

# إحياء علوم الدين

## للإمام الفخر الرازي

مع مقدمة في التصوف الإسلامي ودراسة تحليلية لشخصية الفخر الرازي  
وفلسفته في الإحياء

بمعلم

الدكتور عبد الوهيّ طباطبة

الأستاذ المساعد بكلية دار العلوم  
بجامعة القاهرة

فيها كدرج قيمة

مكتبة محمد بن إسماعيل حمزة بن عبد الوهيّ

From the Library of  
Muhammad S. Hosien

المجلد الرابع

مكتبة وطبعة "كرياض فوترا" - سمارا

« إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ »

(فراخ كريم)

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### (كتاب التوبة)

(وهو الأول من ربيع التحيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي بتحميده يستفتح كل كتاب . وبذكره يصدر كل خطاب . وبعمده يقدم أهل النعم في دار الثواب . وباصمه ينسئ الأشتباه وإن أرخى دونهم الحجاب . وضرب بينهم وبين السعداء بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب . وتوب إليه توبة من يوقن أنه ربّ الأرباب ومسبب الأسباب . ونرجوه رجاء من يعلم أنه الملك الرحيم الغفور التواب . ونمزج الخوف رجائنا مزج من لا يرتاب . إنه مع كونه غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب . ونصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه صلاة تنقذنا من هول الطلع يوم العرض والحساب . ونحمد لنا عند الله زلفى وحسن مأب .

أما بعد : فإن التوبة عن الذنوب بالرجوع إلى ستار العيوب وعلام الغيوب ، مبدأ طريق السالكين ، ورأس مال القائرين ، وأول إقدام الريدئين ، ومفتاح استقامة السائرين ، ومطلع الاصطفاء والاجتهاد للفرحين ، ولأئينا آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر الأنبياء أجمعين ، وما أجدر بالأولاد ، الاقتداء بالآباء والأجداد ، فلا غرو إن أذنب آدمي واجرم ، ففى غشنة يعرفها من أخزم ، ومن أشبه أباه فما ظلم . ولكن الأب إذا جبر بعد ما كسر وعمر بعد أن هدم ، فليكن التزوع إليه فى كلا طرفى الثنى والاثبات والوجود والعدم ، ولقد قرع آدم سنّ النعم ، وتقدم على ما سبق منه وتقدم . فمن أخذ له قدوة فى الذنب دون التوبة فقد زلت به القدم ، بل التجرد لمحض الخير دأب اللاتسكة للقرين ، والتجرد للشر دون التلاقي سجية الشياطين ، والرجوع إلى الخير بعد الوقوع فى الشر ضرورة الأكدميين . فالتجرد للخير ملك مقرب عند الملك المهيمن . والتجرد للشر شيطان ، والتلاقى للشر بالرجوع إلى الخير بالحقيقة إنسان ، فقد ازدوج فى طينة الانسان شائبتان ، واضطرب فيه سبيلتان ، وكل عبد مصحح نسيبه إما إلى الملك أو إلى الشيطان ، فالتائب قد أقام البرهان ، على صحة نسيبه إلى آدم بملازمة حد الانسان ، والصر على الطيفان مسجل على نفسه بنسب الشيطان ، فأما تصحيح النسب إلى اللاتسكة بالتجرد لمحض الخير فخارج عن حيز الامكان ، فإن الشر معجون مع الخير فى طينة آدم هجما محكما لا يخلصه إلا إحدى التارين

(كتاب التوبة)

[الباب التاسع]

والأربعون فى استقبال

النهار والأدب فيه

والعدل

قال الله تعالى - وأتم

الصلاة طرفى النهار -

أجمع للقسرون على

أن أحد الطرفين

أراد به النجر وأمر

بصلاة النجر واختلفوا

فى الطرف الآخر قال

قوم أراد به القرب وقال

آخرون صلاة المشاء

وقال قوم صلاة الفجر

واظهر طرف وصلاة

المصر وللغرب طرف

وزلفا من الليل صلاة

المشاء ثم إن الله تعالى

أخبر عن عظم بركة

الصلاة وشرف فائدتها

ونعمرتها وقال - إن

الحسنات يذهب

نار الندم أو نار جهنم ، فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان من خبايا الشيطان وإليك الآن اختيار أهون التائبين ، والبادرة إلى أخف الشرين ، قبل أن يطوى بساط الاختيار ، ويساق إلى دار الاضطرار . إما إلى الجنة وإما إلى النار . وإذا كانت التوبة موقفا من الدين هذا للواقع وجب تقديمها في صدر ربيع التجليات بشرح حقيقتها وشروطها وسببها وعلامتها وثمراتها والآفات للثامة منها والأدوية اليسرة لها ويتضح ذلك بذكر أربعة أركان : الركن الأول في نفس التوبة وبيان حدها وحقيقتها وأنها واجبة على القور وعلى جميع الأشخاص وفي جميع الأحوال وأنها إذا صحت كانت مقبولة . الركن الثاني : فيما عنه التوبة وهو الذنوب وبيان انقسامها إلى صفائر وكبائر وما يتعلق بالعباد وما يتعلق بحق الله تعالى وبيان كيفية توزيع الدرجات والمراكب على الحسنات والسيئات وبيان الأسباب التي بها تعظم الصفائر . الركن الثالث : في بيان شروط التوبة ودوامها وكيفية تدارك ماضى من اللظام وكيفية تكفير الذنوب وبيان أقسام التائبين في دوام التوبة ، الركن الرابع : في السبب الباعث على التوبة وكيفية العلاج في حل عقدة الاصرار من المذنبين ويتم للقعود بهذه الأركان الأربعة إن شاء الله عز وجل . الركن الأول : في نفس التوبة .

### ( بيان حقيقة التوبة وحدها )

اعلم أن التوبة عبارة عن معنى ينظم ويلتزم من ثلاثة أمور مرتبة : علم وحال وفعل ، فالعلم الأول والحال الثاني والفعل الثالث والأول موجب للثاني والثاني موجب للثالث إيجابا انتفاء اطراصة الله في تلك والسكوت . أما العلم : فهو معرفة عظم ضرر الذنوب وكونها حجابا بين العبد وبين كل محبوب فإذا عرف ذلك معرفة محققة يقين غالبة على قلبه ثار من هذه العرفة تألم للقلب بسبب فوات المحبوب فان القلب معها شعر بغوات محبوبة تألم فان كان فواته بغمله تأسف على الفعل القوت فيسمى تألمه بسبب فعله القوت لمحبه ندما فإذا غلب هذا الألم على القلب واستولى اثبت من هذا الألم في القلب حالة أخرى تسمى إرادة وقصدا إلى فعله لتعلق بالحال والماضي والاستقبال أمانتقه بالحال فباترك للذنوب الذي كان ملاسا وأما بالاستقبال فبالعزم على ترك الذنوب للفوت للمحبيب إلى آخر العمر وأما بالماضي فبتلاقي ما فات بالجبر والقضاء إن كان قليلا للجبر فالعلم هو الأول وهو مطلع هذه الحيرت وأعطى بهذا العلم الايمان واليقين فان الايمان عبارة عن التصديق بأن الذنوب موموم مهلكة واليقين عبارة عن تأكيد هذا التصديق وانتفاء الشك عنه واستيلائه على القلب فيثمر نور هذا الايمان منها أشرق على القلب فإر الندم فيتألم بها القلب حيث يبصر باشراف نور الايمان أنه صار محبوبا عن محبوبة كمن يده في عليه نور الشمس وقد كان في ظلمة يسقط النور عليه بانقشاع سحاب أو انحسار حجاب فرأى سيرة وقد أشرف على الهلاك فتشتعل نيران الحب في قلبه وتنبث تلك النيران برادته للانشاء للندم والتدارك فالعلم والندم والقصد التمتع بالترك في الحال والاستقبال والتلاقي للماضى ثلاثة معان مرتبة في الحصول فيطلق اسم التوبة على مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة على معنى الندم وحده ويحمل العلم كالسابق وللقدمة والترك كالآخرة والتابع للتأخر وبهذا الاعتبار قال عليه الصلاة والسلام « الندم توبة <sup>(١)</sup> » إذ لا يغلو الندم عن علم أو حبه وآثره وعن عزم بانه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطريقه أعنى ثمرته ومثمره وبهذا الاعتبار قيل في حد التوبة إنه ذوبان الحشا لما سبق من الخطأ فان هذا يمرض لجهد الألم ولذلك قيل هو ناري القلب تلهب وصنع

(١) حديث الندم توبة ابن ماجه وابن حبان والحاكم وصحح إسناده من حديث ابن مسعود ورواه ابن حبان والحاكم من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين .

السيئات أي الصلوات  
الحس بنهين  
الخطيئات ، وروى  
أن أبا اليسر كتب  
إبن عمرو الأنصاري  
كان يبيع التمر فأتت  
امراة تتباع تمرا فقال  
لها إن هذا التمر ليس  
بجيد وفي البيت أجود  
منه فهل لك فيه رغبة  
قالت نعم فذهب بها  
إلى بيته فغضنها إلى  
نفسه وقبلها فقالت له  
اتق الله فتركها وندم  
ثم أتى النبي عليه  
السلام وقال يا رسول  
الله ما تقول في رجل  
رأود امرأة عن نفسها  
ولم يبق شيء مما يفعل  
الرجال بالنساء إلا  
ركبه غير أنه لم يجامعها  
قال عمر بن الخطاب

في الكبد لا ينشعب وباعتبار معنى الترك قيل في حد التوبة إنه خلع لباس الجفاء ونثر بسات الوفاة وقال سهل بن عبد الله تسترئ التوبة بتدبير الحركات للنمومة بالحركات الممودة ولا يتم ذلك إلا بالخلوة والصمت وأكل الحلال وكأنه أشار إلى المعنى الثالث من التوبة والأقوال في حدود التوبة لا تنحصر وإذا فهمت هذه المعاني الثلاثة وتلازمها وترتيبها عرفت أن جميع ما قبل في حدودها قاصر عن الإحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بمحقق الأمور أهم من طلب الألفاظ المجردة .

( يان وجوب التوبة وفضلها )

اعلم أن وجوب التوبة ظاهر بالأخبار (١) والآيات وهو واضح بنور البصيرة عند من اقتضت بصيرته وشرح الله بنور الإيمان صدره حتى اقتدر على أن يسمى بنوره الذي بين يديه في ظلمات الجهل مستنبا عن قائد يقوده في كل خطوة .. فالسالك إما أعمى لا يستفي عن القائد في خطوه ، وإما بصير يهdy إلى أول الطريق ثم يهتدي بنفسه ، وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون بهذا الانقسام .. فمن قاصر لا يقدر على مجاوزة التقليد في خطوه فيفتقر إلى أن يسمع في كل قدم نصا من كتاب الله أو سنة رسوله وربما يوزع ذلك فيتعبر . فسير هذا وإن طال عمره وعظم جده مختصر وخطاه قاصرة ومن سعيد شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فيتبى بأذنى إشارة لسلك طريق معومة وقطع غفبات متعبة ويشرق في قلبه نور القرآن ونور الإيمان وهو لشدة نور باطنه يهزى بأذنى بيان فسكانه بكاد زيت يضىء ولولم تحسه نار فلذا مسته نار فهو نور على نور يهdy الله لنوره من يشاء وهذا لإحتياج إلى نص منقول في كل واقعة . فمن هذا حاله إذا أراد أن يعرف وجوب التوبة فينظر أولا بنور البصيرة إلى التوبة ماهى ثم إلى الوجوب مامنه ثم يجمع بين معنى الوجوب والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بأن يعلم بأن معنى الواجب ماهو واجب في الوصول إلى سعادة الأبد والنجاه من هلاك الأبد فانه لولا تعلق السعادة والشقاوة بخلف الشيء وتركه لم يكن لو صفه بكونه واجبا معنى . وقول القائل صار واجبا بالإنجاب حديث محض فان مالا غرض لنا آجلا عاجلا في فعله وتركه فلا معنى لاشتغالنا به أوجه علينا غيرنا أولم يوجهه فاذا عرف معنى الوجوب وأنه الوسيلة إلى سعادة الأبد وعلم أن لاسعادة في دار البقاء إلا في لقاء الله تعالى وأن كل محبوب عنه يشقى لبعالة محول بينه وبين مايشتهى يحترق بنار الفراق ونار الهمم وعلم أنه لايمعد عن لقاء الله إلا اتباع الشهوات والأنس بهذا العالم القانى والا كياب على حب مالا يد من فراقه قطعا وعلم أنه لا مقرب من لقاء الله إلا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية على الله طلبا للأنس به بدوام ذكره والحملة له بمعرفة جلاله وجماله على قدر طاقته وعلم أن الذنوب التى هى إغراض عن الله واتباع لهاب الشياطين أعداء الله للبعدين عن حضرة سبب كونه محبوبا مبدا عن الله تعالى فلا يشك في أن الانصراف عن طريق البعد واجب للوصول إلى القرب وإنما يتم الانصراف بالعلم والتدزم والعزم فانه مالم يعلم أن الذنوب أسباب البعد عن المحبوب لم يندم ولم يتوجع بسبب سلوكه في طريق البعد وما لم يتوجع فلا يرجع ومعنى الرجوع الترتك والعزم فلا يشك في أن الثمان الثلاثة ضرورية في الوصول إلى المحبوب وهكذا يكون الإيمان الحاصل عن نور البصيرة وأما من لم يترشم ثل هذا القيام للترغم ذروته عن حدود أكثر الخلق في التقليد والإحماة

قد ستر الله عليك لو  
ستر على نفسك ولم  
يرد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم عليه شيئا  
وقال أنتظر أمر ربى  
وحضرت صلاة العصر  
وصلى النبي عليه الصلاة  
والسلام العصر . فلما  
فرغ أتاه جبريل بهذه  
الآية فقال النبي عليه  
الصلاة والسلام : أين  
أبو اليسر فقال هاأنذا  
يلرسول الله قال شهدت  
منا هذه الصلاة قال  
نعم قال انهب فانها  
كفارة لما عملت فقال  
همر يا رسول الله هذا  
في خاصة أولئامة ،  
فقال بل للناس عامة  
فيستعد البعد لصلاة  
النسج باستكمال  
الطهارة قبل طلوع

(١) الأخبار الواردة على وجوب التوبة لمسلم من حديث الأغر الذي يابها الناس توبوا إلى الله الحديث ولا بن ماجه من حديث جابر يابها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن تموتوا الحديث وسنده ضعف .

بحال رحب يتوصل به إلى الدجاة من الهلاك فلا حظ فيه قول الله وقول رسوله وقول السلف الصالحين  
 فقد قال الله تعالى - وتوبوا إلى الله جميعاً أيه المؤمنون لعلكم تفلحون - وهذا أمر على العموم  
 وقال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً - الآية ومعنى التصوح الخالص  
 تعالى خالياً عن الشوائب مأخوذاً من النصوح ويدل على فضل التوبة قوله تعالى - إن الله يحب  
 التوابين ويحب المتطهرين - وقال عليه السلام «التائب جيب الله والتائب من الذنب كمن  
 لا ذنب له» (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد أفرح بتوبة العبد للؤمن من رجل نزل  
 في أرض دوية مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع رأسه فنام فاستيقظ وقد ذهبت  
 راحلته فطلبها حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش أومأ الله قال أرجع إلى مكان الذي كنت فيه  
 فأتاهم حتى أموت فوضع رأسه على ساعده فموت فاستيقظ فاذا راحلته عنده عليها زاده وشرابه فأنه  
 تعالى أشد فرحاً بتوبة العبد للؤمن من هذا بإرسلته» (٢) وفي بعض الأقاويل قال من شدة فرحه  
 إذا أراد شكر الله : أنا ربك وأنت عبيد . وروى عن الحسن قال لما تاب الله عز وجل على آدم  
 عليه السلام هأنذا للأنكة وهبط عليه جبريل وميكائيل عليهما السلام فقالا يا آدم قرأت عينك  
 بتوبة الله عليك فقال آدم عليه السلام يا جبريل فإن كان بعد هذه التوبة سؤال فأين مقامى فأوحى  
 الله إليه يا آدم ورثت ذنوبك النصب والنصب وورثتهم التوبة فمن دعاني منهم لبيتك كما لبيتك ومن  
 سألتني الغفرة لم أبخل عليه لأنى قريب مجيب يا آدم وأحشر التائبين من القبور مستبشرين ضاحكين  
 ودعائهم مستجاب والأخبار والآثار في ذلك لا تحصى والاجماع متفق من الأمة على وجوبها إذ معناه  
 العلم بأن الذنوب والعماس مهلكات ومبعدات من الله تعالى وهذا داخل في وجوب الإيمان ولكن  
 قد تدهش الغفلة عنه فسمى هذا العلم إزالة هذه الغفلة ولا خلاف في وجوبها ومن معانيها ترك المعاصي  
 في الحال والعزم على تركها في الاستقبال وتدارك ما سبق من التفسير في سابق الأحوال وذلك لا يشك  
 في وجوبه وأما التندم على ما سبق والتحزن عليه فواجب وهو روح التوبة وبه تمام التلاقي  
 فكيف لا يكون واجباً بل هو نوع ألم يحصل للأحالة عقيب حقيقة المعرفة بمخافات من العمر وضاع  
 في سخط الله . فان قلت تألم القلب أمر ضروري لا يدخل تحت الاختيار فكيف يوصف بالوجوب  
 فاعلم أن سببه تحقيق العلم بغوات المحبوب وله حيل إلى تحصيل سببه وبمثل هذا العلم دخل العلم  
 تحت الوجوب لا بمعنى أن العلم بخلق الله والعبد وبعدته في نفسه فان ذلك محال بل العلم والتدبر والقول  
 والارادة والقدرة والقادر الكل من خلق الله وفعله - والله خلقكم وما تعملون - وهذا هو الحق  
 عند ذوى الأبصار وماسوى هذا ضلال . فان قلت أفليس لأبعد اختيار في الفعل والترك قلنا نعم  
 وذلك لا يناقض قولنا إن الكل من خلق الله تعالى بل الاختيار أيضاً من خلق الله والعبد مضطر

(١) حديث التائب حبيب الله والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ابن ماجه من حديث ابن مسعود  
 بالشرط الثاني دون الأول وأما الشرط الأول فروى ابن أبي الدنيا في التوبة وأبو الشيخ في كتاب  
 التواب من حديث أنس بسند ضعيف إن الله يحب الشاب التائب ولعبد الله بن أحمد في زوائد  
 للسند وأبي حنبل بسند ضعيف من حديث علي إن الله يحب العبد للؤمن للثلاث التواب (٢) حديث  
 أنه أفرح بتوبة عبده للؤمن من رجل نزل في أرض فلاة دوية مهلكة الحديث متفق عليه من  
 حديث ابن مسعود وأنس زاذ مسلم في حديث أنس ثم قال من عدة الترحم اللهم أنت عبيد  
 وأنا ربك أخطأ من عدة الترحم ورواه مسلم بهذه الزيادة من حديث النعمان بن بشير ومن حديث  
 أبي هريرة مختصراً .

الفجر ويستقبل الفجر  
 بتجديد الشهادة كما  
 ذكرنا في أول الليل ثم  
 يؤذن إن لم يكن أجاب  
 للؤذن ثم يصلي ركعتي  
 الفجر يقرأ في الأولى  
 بعد القنطرة قل يا أيها  
 الكافرون وفي الثانية  
 قل هو الله أحد وإن  
 أراد قرأ في الأولى  
 - قولوا آمنا بالله  
 وما أنزل - الآية في  
 سورة البقرة وفي  
 الأخرى - ربنا آتنا  
 بما أنزلت وأنبئنا  
 الرسول - ثم يستغفر  
 الله ويسبح الله تعالى  
 بما ييسر له من العدد  
 وإن اقتصر على كلمة  
 استغفر الله لذني  
 سبحانه الله بحمد ربى  
 أى بالمقصود من

في الاختيار الذي له فان الله اذا خلق اليد الصحيحة وخلق الطعام القديد وخلق الشهوة للطعام في المدة وخلق العلم في القلب بأن هذا الطعام يسكن الشهوة وخلق الخواطر للتعارضة في أن هذا الطعام هل فيه مضرة مع أنه يسكن الشهوة وهل دون تناوله مانع يتضرر معه تناوله أم لا ثم خلق العلم بأنه لا مانع ثم عند اجتماع هذه الأسباب تنجزم الارادة الباعثة على التناول فانجزم الارادة بمد تردد الخواطر للتعارضة وبعد وقوع الشهوة للطعام يسمى اختيارا ولا بد من حصوله عند تمام أسبابه فاذا حصل انجزم الارادة بخلق الله تعالى إياها تحركت اليد الصحيحة إلى جهة الطعام لاجتماع إرادة حصول الارادة والقدرة يكون حصول الفعل ضروريا فتحصل الحركة فتكون الحركة بخلق الله بمد حصول القدرة وانجزم الارادة وهما أيضا من خلق الله وانجزم الارادة يحصل بمد صدق الشهوة والعلم بمد الواقع وهما أيضا من خلق الله تعالى ولكن بعض هذه الخواطر يترتب على البعض ترتيبا جرت به سنة الله تعالى في خلقه - ولن تجد لسنة الله تبديلا - فلا غنى الله حركة اليد بكتابة منظومة مالم يخلق فيها صفة تسمى قدرة ومالم يخلق فيها حياة ومالم يخلق إرادة مجزومة ولا يخلق الارادة المجزومة مالم يخلق شهوة وميلا في النفس ولا يبعث هذا الدليل انبعاثا تاما مالم يخلق علما بأنه موافق للنفس إما في الحال أو في الكمال ولا يخلق العلم أيضا إلا بأسباب آخر ترجع إلى حركة وإرادة وعلم فالعلم واللبيط الطبيعي أبدا يستريح الارادة الجازمة والقدرة والارادة بدأت تعرف الحركة وهكذا الترتيب في كل فعل والسلك من اختراع الله تعالى ولكن بعض مخلوقاته شرط لبعض فذلك يجب تقدم البعض وتأخر البعض كما لا يخلق الارادة إلا بعد العلم ولا يخلق العلم إلا بعد الحياة ولا يخلق الحياة إلا بعد الجسم فيكون خلق الجسم شرطا لحدوث الحياة لأن الحياة تتولد من الجسم ويكون خلق الحياة شرطا لخلق العلم لأن العلم يتولد من الحياة ولكن لا يستند المخلوق للقبول العلم إلا إذا كان حيا ويكون خلق العلم شرطا لجزم الارادة لأن العلم يولد الارادة ولكن لا يقبل الارادة إلا الجسم حيا عالم ولا يدخل في الوجود إلا يمكن وللإمكان ترتيب لا يقبل التغير لأن تغييره محال فهما وجد شرط الوصف استند المخلوق به لقبول الوصف لحصل ذلك الوصف من الجود الإلهي والقدرة الأزلية عند حصول الاستعداد ولما كان الاستعداد بسبب الشروط ترتيب كان حصول الحوادث بفعل الله تعالى ترتيب والبد مجرى هذه الحوادث للرتبة وهي مرتبة في قضاء الله تعالى الذي هو واحد كمال البصر ترتيبا كليا لا يتغير وظهورها بالتفصيل مقدر بقدر لا يتعداها وعنه العبارة بقوله تعالى - إنا نأكل ثمى - خلقناه بقدر - وعن القضاء الكلي الأزلي العبارة بقوله تعالى - وما أمرنا إلا واحدة كلعج بالبصر - وأما العباد فاتهم مسخرون تحت مجارى القضاء والقدر ومن جهة القدر خلق حركة في يد الكاتب بمد خلق صفة محسوسة في يده تسمى القدرة وبعد خلق ميل قوى جازم في نفسه يسمى التقصد وبعد علم بما إليه ميله يسمى الإدراك والعرفة فإذا ظهرت من باطن للكسوت هذه الأمور الأربعة على جسم عبد مسخر تحت قهر التقدير سبق أهل عالم الملك والشهادة المحجوبون عن عالم القلب واللكسوت وقالوا بأبائها الرجل قد تحركت ورميت وكنيت ونودي من وراء حجاب القلب وسراقات اللكسوت وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى وما قتلت إذ قتلت ولكن قالوا لهم ينسبهم الله بأيديكم وعند هذا تحير عقول القاعدين في مجبوحه عالم الشهادة فمن قال إنه جبر محض ومن قال إنه اختراع صرف ومن متوسط مائل إلى أنه كتب ولو تفتح لهم أبواب السماء فنظروا إلى عالم القلب واللكسوت لظهر لهم أن كل واحد منهم من وجهه وأن القصور شامل لجسمهم فلم يدركوا أحدهم منه كنه هذا الأمر ولم يحط عليه بجوانبه وتتمام علمه بنال بأشراق النور من كوة نافذة إلى عالم القلب

التسبيح والاستغفار.

ثم يقول اللهم صل على

محمد وعلى آل محمد اللهم

إني أسألك رحمة من

عندك تهدي بها قلبي

وتجمع بها شمل وتلم

بها شقي وترد بها

الفتن عني وتصلح بها

ديني وتحفظ بها قلبي

وترفع بها شاهدي

وتركني بها عمل وتبين

بها وجهي وتلقني بها

رشدني وتصممني بها

من كل سوء اللهم

أعطني إيماننا صادقا

وغيثنا ليس بصد

كفر ورحمة أئام بها

شرف صكرامتك في

الدينا والآخرة اللهم إني

أسألك القور عند

القضاء ومنازل الشهداء

وغيث السعداء

وأما تعالى - عالم النيب والشهادة لا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول - وقد يطلع على الشهادة من لم يدخل في حيز الارتضاء ومن حرك سلسلة الأسباب والسيئات وعلم كيفية تسلسلها ووجه ارتباط مناسط سلسلتها بسبب الأسباب انكشف له سر القدر وعلم علما يقينا أن خاتمة الآله ولا مبدع سواه . فان قلت قد قضيت على كل واحد من القائلين بالجبر والاختراع والكسب أنه صادق من وجه وهو مع صدقه قاصر وهذا تناقض فكيف يمكن فهم ذلك وهل يمكن إصالح ذلك إلى الأنعام بمثل ، فاعلم أن جماعة من المياني قد جمعوا أنه حمل إلى البلية حيوان عجيب يسمى القيل وما كانوا قط شاهدوا صورته ولا سمعوا اسمه فقالوا لابد لنا من مشاهدته لمعرفة باللس الذي تدر عليه فطلبوه فلما وصلوا إليه لمسه فوقع يد بعض المياني على رجله ووقع يد بعضهم على نابه ووقع يد بعضهم على أذنه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا سالمهم بقية المياني فاختلفت أجوبتهم فقال الذي لس الرجل إن القيل ماهو إلا مثل اسطوانة خشنة الظاهر إلا أنه ألبن منها وقال الذي لس الناب ليس كما يقول بل هو صلب لا لب فيهِ وألس لا خشونة فيهِ وليس في غلط الاسطوانة أصلا بل هو مثل عمود وقال الذي لس الأذن لعمري هو لبين وفيهِ خشونة فصدق أحدهما فيهِ ولكن قال ساهو مثل عمود ولا هو مثل اسطوانة وإنما هو مثل جلد عريض غليظ فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه إذا أخبر كل واحد عما أمامه من معرفة القيل ولم يخرج واحد في خبره عن وصف القيل ولكنهم بجملتهم قصرُوا عن الإحاطة بكنه صورة القيل فاستبصر بهذا لكالك واعتبر به فإنه مثال أكثر ما اختلف الناس فيهِ وإن كان هذا كلاما يناطح علوم الكائنات ومحرك أمواجها وليس ذلك من غرضنا فلنرجع إلى ما كنا بصدده وهو بيان أن التوبة واجبة بجميع أجزائها الثلاثة العلم والندم والترك وأن الندم داخل في الوجوب لكونه واقعا في جملة أهوال الله المحصورة بين علم العبد وإرادته وقدرته للتخلية بينها وما هذا وصفه فاسم الوجوب يشملهُ .

( بيان أن وجوب التوبة على الفور )

أما وجوبها على الفور فلا يسترب فيهِ إذ معرفة كون الماعى مهلكا من نفس الإيمان وهو واجب على الفور والنقص عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل المكروه فإن هذه المعرفة ليست من علوم الكشفات التي لاتعلق بصل بل هي من علوم العامة وكل علم يراد ليكون باعثا على عمل فلا يقع النقص عن عهده ما لم يصير باعثا عليه فالعلم بضرب الذنوب إنما أريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من الإيمان وهو للرد بقوله عليه السلام ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن <sup>(١)</sup> وما أريد به نفي الإيمان الذي يرجع إلى علوم المكاشفة كالتمباقة ووحدانيته وصفاته وكتبته ورسله فإن ذلك لا ينفيه الزنا والماعى وإنما أراد به نفي الإيمان لكون الزنا مبعدا عن الله تعالى موجبا للمقت كما إذا قال الطبيب هذا سم فلانتأوله فإذا تناوله يقال تناوله وهو غير مؤمن لأن معنى أنه غير مؤمن بوجود الطبيب كونه طبيبا وغير مصدق به بل للرد أنغير مصدق بقوله إنه سم مهلك فإن العالم بالسم لا يتأوله أصلا فالماعى بالضرورة ناقص الإيمان وليس الإيمان بابا واحدا بل هو نيف وسبعون بابا أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله وأدناها إمالة الأذى عن الطريق ومثاله قول القائل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا أعلاها القلب والروح وأدناها إمالة الأذى عن البشرية بأن يكون مقصود الشارب معلوم الأطفار في البشرية عن البحث حتى تميز عن البهائم الرسالة للغة بأروائها للسكرحة الصور بطول مخالها وأخلافا وهذا مثال مطابق فالإيمان كالانسان

(١) حديث لابن الزاني حين يزني وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبي هريرة .

والنصر على الأعداء  
ومراقبة الأنبياء اللهم  
إني آتزل بك حاجتي  
وان تصررا وضف  
عملي واقتربت إلى  
رحمتك وأسألك  
يا قاضي الأمور ولغاني  
الصدور كما تجبر بين  
البحور أن تخبر بين  
عذاب السمير ومن  
دعوة التبور ومن فتنة  
القبور اللهم ما قصر  
عنه رأيي وضف فيه  
عملي ولم تلبه نيتي  
وأمنيني من خير  
وشره أحسد من  
جبارك أو خير أمت  
مطبه أحد من خلقك  
فأنا راغب إليك فيه  
وأسألك إليه يارب  
المالين . اللهم اجعلنا  
هادين مهدين غير

وقد شهادة التوحيد بوجد البطلان بالسكية كقصد الروح والذي ليس له لإشهادة التوحيد والرسالة هو كائن منقطع الأطراف مفقود العينين فاقد لجميع أعضائه الباطنة والظاهرة لا أصل للروح وكما أن من هذا حاله قرب من أن يموت فزايده الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الأعضاء التي تعدها وتقومها فكذلك من ليس له إلا أصل الإيمان وهو مقصر في الأعمال اقرب من أن تنقطع شجرة إيمانه إذا صدمتها الرياح العاصفة المحركة للإيمان في مقدمة قدوم ملك اللوت ووروده فكل إنسان لم يثبت في اليقين أصله ولم تنتشر في الأعمال فروع له لم يثبت على عواصف الأهوال عند ظهور راصية ملك اللوت وخيف عليه سوء الحاتمة لاما يبقى بالعنايات على توالي الأيام والساعات حتى دسغ وثبت وقول الناسى للمطيع إن مؤمن كما أنك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة الصنوبر أنا شجرة وأنت شجرة وما أحسن جواب شجرة الصنوبر إذ قالت ستعرفين اغترارك بشمول الاسم إذا عصفت رياح الحرف ضد ذلك تنقطع أصولك وتتأثر أوراقك وتكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجرة مع النقلة عن أسباب ثبوت الأشجار : وسوف ترى إذا انجلى الفبار أقوس تحتك أم حمار . وهذا أمر يظهر عند الحاتمة وإنما اقتطع نياط المارفين خوفا من دواعي اللوت ومقدمته الهائلة التي لا يثبت عليها إلا الآفلون فالعاصي إذا كان لا يخاف الخلود في النار بسبب مصيبتة كالصحيح التهمك في الشهوات الفسرة إذا كان لا يخاف اللوت بسبب صمته وأن اللوت غالبا لا يقع فجأة فيقال له الصحيح بخاف الرض ثم إذا مرض خاف اللوت وكذلك العاصي يخاف سوء الحاتمة ثم إذا ختم له بالسوء واليأس بالله وجب الخلود في النار فالعاصي للإيمان كالمأ كولات الفسرة للأبدان فلا تزال تجتمع في الباطن حتى تغبر مزاج الأغلاط وهو لا يشعر بها إلى أن يفسد الزاج فيمرض دفعة ثم يموت دفعة فكذلك العاصي فإذا كان الخائف من الهلاك في هذه الدنيا للنفقة يجب عليه ترك السموم وما يضره من المأكولات في كل حال وعلى القور والخائف من هلاك الأبد أولى بأن يجب عليه ذلك وإذا كان متناول السم إذا تدم يجب عليه أن يتقيا ويرجع عن تناوله بإبطاله وإخراجه عن المدة على سبيل القور والمباداة لتفاليدينه المشرف على هلاكه لا يغوت عليه إلا هذه الدنيا القانية لتناول موم الدين وهي الذنوب أولى بأن يجب عليه الرجوع عنها بالتدارك الممكن مادام يبقى للتدارك مهلة وهو العمر فإن الخوف من هذا السم فوات الآخرة الباقية التي فيها النعيم القيم والمكث العظيم وفي فواتها نار الجحيم والعذاب المقيم الذي تصرم أضعاف أعمار الدنيادون عشر عشر مده إذ ليس لمدته آخر أئنة فالبدار البدار إلى التوبة قبل أن تعمل موم الذنوب بروح الإيمان عملا يجاوز الأمر فيه الأطباء واختيارهم ولا ينفع بعده الإحياء فلا ينفع بعد ذلك نصح الناصحين ووعظ الواعظين وتحق الكلمة عليه بأنه من المالكين ويدخل تحت محوم قوله تعالى - إنا جعلنا في أعناقهم أغلافا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون . وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يصرون . وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون - ولا يترك فقط الإيمان فنقول المراد بالآية الكافر إذ ين لك أن الإيمان بنص وسبعون بابا وأن الزاني لا يزني حين يزني وهو مؤمن فالجواب عن الإيمان الذي هو شعب وفروع سيجب في الحاتمة عن الإيمان الذي هو أصل كما أن الشخص القائد لجميع الأطراف التي هي حروف وفروع يساق إلى الموت المدم للروح التي هي أصل فلا بقاء للأصل دون الفرع ولا وجود للفرع دون الأصل ولا فرق بين الأصل والفرع إلا في شيء واحد وهو أن وجود الفرع وبناء جميعا يستدعي وجود الأصل وأما وجود الأصل فلا يستدعي وجود الفرع فبقاء الأصل بالفرع ووجود الفرع بالأصل ضلوم المكشافة وعلم المعامة متلازمة كتلازم الفرع والأصل فلا يستثنى أحدهما عن الآخر وإن كان أحدهما في ربة الأصل والآخر في ربة

صالحين ولا مضلين حربا  
لأعدائك وسلسا  
لأولئك نهب عجبك  
الناس ونهادى  
بداوتك من خالك  
من خلقك اللهم هذا  
الدعاء مني ومنك  
الاجابة وهذا الجهد  
وعليك التكفل إن الله  
وإنا إليه راجعون ولا  
حول ولا قوة إلا بالله  
المولى العظيم ذى  
الحبل الشديد والأمر  
الرشيد أسألك الأمن  
يوم الوعيد والجنة  
يوم الخلود مع المقربين  
الشهود والركع السجود  
والموفين بالمهود إنك  
رحيم ودود وأنت تفضل  
عائدي سبحان من  
تططف بالزم وقال به  
سبحان من ليس المجد

التابع وعلوم العامة إذا لم تكن بائنة على العمل فقدمها خير من وجودها فإن هي لم تعمل عملها الذي تراد له قامت مؤيدة للحجة على صاحبها ولذلك يزداد في عذاب العالم العاجز على عذاب الجاهل العاجز كما أوردنا من الأخبار في كتاب العلم .

( بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال فلا ينفك عنه أحد ألبته )

اعلم أن ظاهر الكتاب قد دل على هذا إذ قال تعالى - وتوبوا إلى الله جميعا أيه المؤمنون لعلكم تفلحون - فعمم الخطاب ، ونور البصيرة أيضا يرشد إليه إذ معنى التوبة الرجوع عن الطريق البعد عن الله للتقرب إلى الشيطان ولا يتصور ذلك إلا من عاقل ولا تسكل غرزة العقل إلا بعد كمال غريرة الشهوة والغضب وسائر الصفات للذمومة التي هي وسائل الشيطان إلى إغواء الإنسان إذ كمال العقل إنما يكون عند مقارنة الأربعين وأصله إنما يتجدد عند مراعاة البلوغ ومبادئ تظهر بعد سبع سنين والشهوات جنود الشيطان والفعول جنود اللاتسكة فإذا اجتمعا قام القتال بينهما بالضرورة إذ لا يثبت أحدهما للآخر لأنهما ضدان فالأطارد بينهما كالمتطارد بين الليل والنهار والتور والظلمة ومهما غلب أحدهما أزهج الآخر بالضرورة وإذا كانت الشهوات تسكل في الصبا والشباب قبل كمال العقل قد سبق جند الشيطان واستولى على السكان ووقع القلب به أنس وإلف لا محالة مقتضيات الشهوات بالمادة وغلب ذلك عليه ويسر عليه التزعم عنه ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ أوليائه من أيدي أعدائه شيئا فشيئا على التدريج فإن لم يقو ولم يكمل سلت مملكة القلب للشيطان وأبجز العيون وموعده حيث قال - لا تحسبنّ ذنوبه إلا قليلا - وإن كمل العقل وقوى كان أول شغله قمع جنود الشيطان بكسر الشهوات ومفارقة العادات وردّ الطبع على سبيل القهر إلى العبادات والامتنع للتوبة إلا هذا وهو الرجوع عن طريق ذلله الشهوة وخفيره الشيطان إلى طريق الله تعالى وليس في الوجود آدمي إلا وشوبته سابقة على عقله وغرخته التي هي عدة الشيطان متقدمة على غرخته التي هي عدة اللاتسكة فكان الرجوع عما سبق إليه على مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل إنسان نبيّا كان أو غيبيا فلا تظن أن هذه الضرورة اختصت بآدم عليه السلام وقد قيل :

فلا تحسبن هذالها القدر وحدها سجيّة نفس كل غايّة هند

بل هو حكم أزل مكتوب على جنس الإنس لا يمكن فرض خلافه ما لم يتبدل السنة الإلهية التي لا مطلق في تبدلها فاذن كل من بلغ كافرا جاعلا فعله التوبة من جهله وكفره فإذا بلغ مسلما تبعها لأبويه غافلا عن حقيقة إسلامه فعله التوبة من غفائه بفهم معنى الإسلام فإنه لا يثبت عنه إسلام أبويه شيئا ما لم يسلم نفسه فإن فهم ذلك فعله الرجوع عن عادته وإلغاه للاسترسال وراء الشهوات من غير صارف بالرجوع إلى قالب حدود الله في التبع والاطلاق والانفكاك والاسترسال وهو من أخف أبواب التوبة وفيه هلك الأكثرون إذ هبوا عنه وكل هذا رجوع وتوبة فدل على أن التوبة فرض عين في حق كل شخص لا يتصور أن يستغنى عنها أحد من البشر كالم يستغنى آدم خلقة الولد لا تنسج لما لم ينسج له خلقة الوالد أصلا ، وأما بيان وجوبها على الدوام وفي كل حال فهو أن كل بشر فلاحوا عن معصية يجوز أحدهم أن يغفل عنه الأنبياء كما ورد في القرآن والأخبار من خطايا الأنبياء وتوبتهم وبكائهم على خطاياهم فإن خلافاً بين الأحوال عن معصية الجوارح فلاحوا عن المصية بالتوب بالقلب فإن خلافاً بين الأحوال عن المصية فلا يغفل عن وسوس الشيطان بإيراد الحواطر للفرقة المذهلة عن ذكر الله فإن خلافة فلا يغفل عن عدة وتصوره في العلم بالله وصفاته وأفعاله وكل ذلك نفس وله أسباب وترك أسبابه بالتشاغل بأشدها رجوع عن طريق إلى ضده والرد بالتوبة الرجوع ولا يتصور الخلو في حق الآدمي عن هذا النفس واتمها وتواتون

وتكرم بمسبحان الذي  
لا ينفى التيسيح إلا له  
مسبحان ذي الفضل  
والتمسبحان ذي الجود  
والكرم مسبحان الذي  
أحصى كل شيء بلمه  
اللهم اجعل لي نوراً في  
قلبي ونوراً في قبري  
ونوراً في مميتي ونوراً  
في بصري ونوراً في  
شعري ونوراً في بشري  
ونوراً في فمي ونوراً  
في دمي ونوراً في عظامي  
ونوراً من بين يدي  
ونوراً من خلفي ونوراً  
عن يميني ونوراً عن  
شمالتي ونوراً من فوق  
ونوراً من تحتي اللهم  
زدني نوراً وأعطني  
نوراً واجعل لي نوراً .  
ولهذا المصنف أثر  
كثير ومما رأيت

في القادر فأما الأصل فلا بد منه ، ولهذا قال عليه السلام : **وَإِنَّ لِي نَافِلَةً عَلَى قَلْبِي حَتَّى أَسْتَغْفِرَ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ سَبْعِينَ مَرَّةً** (١) الحديث ، ولذلك أكرمه الله تعالى بأن قال - ليغفر لك الله ما تقدمت من ذنبك وما تأخر - وإذا كان هذا حاله فكيف حال غيره . فإن قلت لا يخفى أن ما يطرأ على القلب من الموم والحوادث نقص وأن النكاح في الحلق عنه وأن القصور عن معرفة كنه جلال الله نقص وأنه كلما ازدادت المعرفة زاد النكاح وأن الانتقال إلى النكاح من أسباب نقصان رجوع والرجوع توبة ولكن هذه فضائل لا فراغ وقد أطلقت القول بوجوب التوبة في كل حال والتوبة عن هذه الأمور ليست بواجبة إذ إدراك النكاح غير واجب في الشرع فالمراد بقولك التوبة واجبة في كل حال.

فاعلم أنه قد سبق أن الإنسان لا يخلو في مبدأ خلقه من اتباع الشهوات أصلا وليس معنى التوبة تركها فقط بل تمام التوبة بتدارك ما مضى وكل شهوة ابتغها الإنسان ارتفع منها طرفة إلى قلبه كما يرتفع عن نفس الإنسان ظلة إلى وجه المرأة السقيمة فإن تراكت ظلة الشهوات صار رينا كاصبر بخار النفس في وجه المرأة عند تراكمه خشنا كما قال تعالى - كلاب ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون - فإذا تراكم الرين صار طبعاً فيطبع على قلبه كالخشب على وجه المرأة إذا تراكم وطال زمانه طاس في جرم الحديد وأفسده وصار لا يقبل الصقل بعده وصار كالطوبخ من الخشب ولا يكتفي في تدارك اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لابد من هو تلك الأريان التي انطبعت في القلب كالابتنى في ظهور الصور في المرأة قطع الأغصان والبخارات للسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبعت فيها من الأريان وكما يرتفع إلى القلب ظلة من المعاصي والشهوات فيرفع إليه نور من الطاعات وترك الشهوات فتسمى ظلة المعصية بنور الطاعة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام : **«اتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَحْتَهَا»** (٢) فاذن لا يستغنى البعد في حال من أحواله عن محو آثار السيئات عن قلبه مباشرة حسنة تضاد آثارها آثار تلك السيئات . هذا في قلب حصل أو لا صفاءه وجلالته ثم أعظم بأسباب عارضة فأما التصديق الأول ففيه يطول الصقل إذ ليس شغل الصقل في إزالة السد عن المرأة كشغله في عمل أصل المرأة فهذه أشغال طويلة لاتقطع أصلا وكل ذلك يرجع إلى التوبة ، فأما قولك إن هذا الاسم واجباً بل هو فضل وطلب كمال . فاعلم أن الواجب له معنيان : أحدهما ما يدخل في فتوى الشرع ويشترك فيه كافة الخلق وهو القدر الذي لو اشتغل به كافة الخلق لم يغرب العالم فلو كاف الناس كلهم أن يقولوا الحق فقامت تركوا المعاصي ورفضوا الدنيا بالسكينة ثم يؤدي ذلك إلى بطلان التقوى بالسكينة فانه ما صدقت المعاصي لم يفرغ أحد للتقوى بل شغل الحياكة والحراثة والحرب يستغرق جميع العمر من كل واحد فاحتاج إليه لجميع هذه الدرجات ليست بواجبة بهذا الاعتبار والواجب الثاني هو الذي لا بد منه للوصول به إلى القرب المطلوب من رب العالمين والقام المصود بين الصديقين والتوبة عن جميع ما ذكرناه واجبة في الوصول إليه كما يقال الطهارة واجبة في صلاة التطوع أي لمن يريد بها فانه لا يتوصل إليها إلا بها فأما من رضى بالنقصان والحرمان عن فضل صلاة التطوع فالطهارة ليست واجبة عليه لأجلها كما يقال العين والأذن واليد والرجل شرط في جود الإنسان يعني أنه شرط لمن يريد أن يكون إنساناً كاملاً

أحدا حافظ عليه إلا وعنده خير ظاهر ور كدوه من وصية الصادقين بعضهم بضاً بحفظه والحفاظة عليه منقول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقرؤه بين القرينة والسنة من صلاة الفجر ثم يقصد السجدة للصلاة في الجماعة ويقول عند خروجه من منزله : - **وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً** - ويقول في الطريق : **اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك وبحق عمتي هذا إليك لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياء**

(١) حديث إنه لي نافلة على قلبي فأستغفر الله في اليوم والليلة سبعين مرة مسلم من حديث الأغرلزي إلا أنه قال في اليوم مائة مرة وكذا عند أبي داود والبخاري من حديث أبي هريرة إني لأستغفر الله في اليوم أكثر من سبعين مرة وفي رواية البيهقي في الشعب سبعين لم يقل أكثر وتقدم في الأذكار والدعوات (٢) حديث أتبع السيئة الحسنة تمحها الترمذي من حديث أبي ذر زيادة في أولها أخره وقال حسن صحيح وقد تقدم في رياضة النفس .

يتنفع بإنسانيته ويتوصل بها إلى درجات العلا في الدنيا فأما من قطع بأصل الحياة ورضى أن يكون  
كلهم على وضوء وتكررة مطروحة فليس يشترط لئلا هذه الحياة عين وبد ورجل فأصل الواجبات  
الداخلة في ضوى العامة لا يوصل إلا إلى أصل النجاة وأصل النجاة كأصل الحياة وما وراء أصل النجاة  
من السعادات التي بها تنتهى الحياة يجري مجرى الأعضاء والآلات التي بها تنتهى الحياة وفيه يسمى الأشياء  
والأولياء والخدام والأمتل فالأمتل وعليه كان حرصهم وحواله كان تطوافهم ولأجله كان رضاهم إلا  
الدنيا بالكلية حتى انتهى عيسى عليه السلام إلى أن توسد حجرا في منامه فجاء إليه الشيطان وقال  
أما كنت تركت الدنيا الآخرة فقال نعم وما الذي حدث فقال توعدك لهذا الحبر تنم في الدنيا فلم  
لا تضع رأسك على الأرض فرمى عيسى عليه السلام بالحجر ووضع رأسه على الأرض وكان دمه للحجر  
توبة عن ذلك التتم ، أقرى أن عيسى عليه السلام لم يعلم أن وضع الرأس على الأرض لا يسمى  
واجبا في ضوى العامة . أقرى أن نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم لما شغله التوب الذي كان عليه علم  
في صلاته حتى زعه <sup>(١)</sup> وشغله شركه لله الذي جده حتى أعاد الشرك الحلق <sup>(٢)</sup> لم يعلم أن ذلك  
ليس واجبا في شرعه الذي شرعه لكافة عباد الله فإذا علم ذلك فلم تاب عنه بتركه وهل كان ذلك إلا لأنه  
رأه مؤثرا في قلبه آرا يمتنع عن بلوغ القيام المحمود الذي قد وعد به ، أقرى أن الصديق رضي الله  
عنه بعد أن شرب اللبن وعلم أنه على غير وجهه أدخل أصبعه في حلقه ليخرجه حتى كاد يخرج معمره  
ما علم من الفقه هذا القدر وهو أن ما أكله عن جهل فهو غير آثم به ولا يجب في ضوى الفقه إخراج  
فلم تاب عن شربه بالتدراك على حسب إمكانه بتخليه العدة عنه وهل كان ذلك إلا لسر وقرى صدره  
عرفه ذلك السر أن ضوى العامة حديث آخر وأن خطر طريق الآخرة لا يعرف إلا بالصدقون فتأمل  
أحوال هؤلاء الذين هم أعرف خلق الله بالله وبطريق الله وبترك الله وبكامل التور باله وإياكم مرة  
واحدة أن تترك الحياة الدنيا وإياكم ثم إياكم ألف مرة أن يترك بالله التور ، فهذه أسرار من  
استشقى مبادئ روايتها علم أن لزوم التوبة النصوح ملازم للبعد السالك في طريق الله تعالى في كل  
نفس من أنفسه ولو عمر عمر نوح وأن ذلك واجب على التور من غير مهلة ، ولقد صدق أبو سليمان  
الداراني حيث قال لو لم يترك العاقل فيما بقي من عمره إلا على تفويت ماضى منه في غير الطاعة لكان  
خليقا أن يموت ذلك إلى المات ، فكيف من يستقبل ما بقي من عمره بثل ماضى من جهله وإنما  
قال هذا لأن العاقل إذا ملك جوهره نفيسة وضاعت منه بشير فائدة بكي عليها لا محالة وإن ضاعت  
منه وصار ضايعا سبب هلاكه كان بكاءه منها أشد وكل ساعة من العمر بل كل نفس جوهره نفيسة  
لا خائف لها ولا بدل منها فاتها سالحة لأن توصلك إلى سعادة الأبد وتنفذك من شقاوة الأبد وأى جوهر  
أشس من هذا فإذا ضيعتها في الفقة قد خربت خسرانا مبينا وإن صرفتها إلى مصيبة قد هلك  
هلاكا قاحشا ، فإن كنت لا تبكي على هذه المصيبة فذلك لجهلك ومصيتك بجهلك أعظم من كل  
مصيبة لكن الجهل مصيبة لا يعرف الصاب بها أنه صاحب مصيبة فإن نوم الفقة يحول بينه وبين  
معرفة الناس نيام فإذا ماتوا اتهموا فعند ذلك ينكشف لكل مفلس إفلاسه ولكل مصاب مصيبته  
وقد رخص الناس عن التدراك . قال بعض العارفين : إن ملك الموت عليه السلام إذا ظهر للبعد أعلمه  
أنه قد بقي من عمره ساعة وإنك لا تستأخر عنها طرفة عين فيبدو للبعد من الأسف والحسرة  
ما لو كانت له الدنيا بخلافها خرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستحب فيها

(١) حديث زعه صلى الله عليه وسلم التوب الذي كان عليه في الصلاة تقدم في الصلاة أيضا (٢) حديث  
زعه الشرك الجديد وإعادة الشرك الحلق تقدم في الصلاة أيضا .

ولا حمة خرجت انشاء  
سخطك وابتشاء  
مرضاتك أسألك أن  
تنقذني من النار  
وأن تغفر لي ذنوبي  
إنه لا يغفر الذنوب إلا  
أنت . وروى أبو سعيد  
الخدري أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال  
« من قال ذلك إذا  
خرج إلى الصلاة وكل  
الله به سبعين ألف  
ملك يستغفرون له  
وأقبل الله تعالى عليه  
بوجهه الكريم حتى  
يقضى صلاته » وإذا  
دخل للسجد أو دخل  
بجاءته للصلاة يقول:  
بسم الله والحمد لله  
والصلاة والسلام على  
رسول الله اللهم اغفر  
لي ذنوبي واتق لي

وتدرك تحريطه فلا يجد إليه سبيلا وهو أول ما يظهر من معاني قوله تعالى - وحيل بينهم وبين ما يشتهون - وإليه الإشارة بقوله تعالى - من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين . ولئن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها - فقيل الأجل القريب الذي يطلبه معناه أنه يقول عند كشف اللثام للعبد يملك الموت أخرني يوما أعترفيه إلى ربى وأتوب وأزود صالحا لنفسى فيقول فليت الأيام فلا يوم فيقول فأخرنى ساعة فيقول فليت الساعات فلا ساعة فيخلق عليه باب التوبة فينفر غر بروحه وتردد ألقاه في شر أسفه ويتجرع غصة اليأس عن التدارك وحسرة الدائمة على تضييع العمر فيضطرب أصل إيمانه في صدمات تلك الأحوال فإذا زهقت غصه فإن كان سبقت له من الله الحسنى خرجت روحه على التوحيد فذلك حسن الخاتمة وإن سبق له القضاء بالقنوة واليأس بالله خرجت روحه على الشك والاضطراب وذلك سوء الخاتمة، ولكل هذا يقال - وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني نبت الآن - وقوله - إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب - ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بأن يتندم عليها ويعمو أثرها بعسنة يردفها بها قبل أن يتراكم الزين على القلب فلا يقبل الحور ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أتبع السيئة الحسنة تمحها » ولذلك قال لقمان لابنه يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة ، ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسوية كان بين خطيرين عظيمين : أحدهما أن تراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير رينا وطبعيا فلا يقبل الحور . الثاني أن يجالجه الرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالحو ، ولذلك ورد في الخبر « إن أكثر صياح أهل النار من التسوية (١) » فإهلك من هلك إلا بالتسوية فيكون تسوية القلب هدا وجلاؤه بالطاعة نسبة إلى أن يغتطفه الموت فيأتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو إلا من أتى الله بقلب سليم ، فالقلب أمانة الله تعالى عند عبده والعمر أمانة الله عنده وكذا سائر أسباب الطاعة فمن خان في الأمانة ولم يتدارك حياته فأمره محط . قال بعض العارفين : إن لله تعالى إلى عبده سرين يسرهما إليه على سبيل الإلهام : أحدهما إذا خرج من بطن أمه يقول له عبدي قد أخرجتك إلى الدنيا طاهرا نظيفا واستودعتك محمرك والتمسكك عليه ، فانظر كيف تحفظ الأمانة وانظر إلى كيف تلقاني . والثاني عند خروج روحه يقول عبدي ماذا صنعت في أمانتي عندك هل حفظتها حتى تلقاني على العهد فالتفتك على الوفاء أو أضعتها فألقاك بالمطالبة والعقاب وإليه الإشارة بقوله تعالى - أو فاجبهدى أوف بعهدكم - وقوله تعالى - والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون - .

( بيان أن التوبة إذا استجعت شر أظها فهي مقبولة لامعة )

اعلم أنك إذا فهمت معنى القبول لم تشك في أن كل توبة صحيحة فهي مقبولة فالناظرون بنور البصائر للسمدون من أنوار القرآن علموا أن كل قلب سليم مقبول عند الله ومتسم في الآخرة في جوار الله تعالى ومستعد لأن ينظر بعينه الباقية إلى وجه الله تعالى ، وعلموا أن القلب خلق سليما في الأصل وكل مولود يولد على الفطرة وإنما فوته السلامة بكدورة ترهق وجهه من غيرة الذنوب وظلماتها ، وعلموا أن نار الندم تحرق تلك الغيرة وأن نور الحسنة يمجو عن وجه القلب ظلمة السيئات لا طاعة لظلام المعاصي مع نور الحسنات كالأطعمة الظلام الليل مع نور النهار بل كما لا طاعة للكدورة الوسخ مع بياض الصابون ، وكما أن التوب الوسخ لا يقبله الملك لأن يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله تعالى لأن يكون في جواره ، وكما أن استعمال التوب في الأعمال الحسنة يوسخ التوب وغسله

(١) حديث إن أكثر صياح أهل النار من التسوية لم أجده أصلا .

أبواب رحمتك ويقدم  
رجله اليمنى في الدخول  
واليسرى في الخروج  
من المسجد أو السجادة  
فسجدة الصوف بمنزلة  
البيت والمسجد ثم يصلي  
صلاة الصبح في جماعة  
فإذا سلم يقول : لا إله  
إلا الله وخده لا شريك  
له ، له الملك وله الحمد  
يعبي ويميت وهو حي  
لا يموت بيده الخير  
وهو على كل شيء قدير  
لا إله إلا الله وحده  
صدق وعده ونصر  
عبده وأعز جنده  
وهزم الأحزاب وحده  
لا إله إلا الله أهل النعمة  
والفضل والثناء الحسن  
لا إله إلا الله ولا نبيد  
إلا إياه مخلصين له الدين  
ولو كره الكافرون  
ويقراً هو الله الذي

بالصاوبون والياء الحار ينظفه ويظهره ويركيه ، وكل قلب زكي طاهر فهو مقبول كما أن كل ثوب نظيف فهو مقبول فأما عليك الزكية والظهير . وأما القبول فينبول فسبق به القضاء الأزل الذي لا مرد له وهو للمسي فلاحا في قوله - قد أفلع من زكاه - ومن لم يعرف على سبيل التحقيق معرفة أقوى وأجل من للشاهدة بالبصر أن القلب يتأثر بالمعاصي والطاعات تأثرا متضادا يستمر لأحدهما لفظ الظلمة كما يستمر للجهل ويستمر للآخر لفظ النور كما يستمر للعلم وأن بين النور والظلمة تضادا ضروريا لا يتصور الجمع بينهما فكأنه لم يبق من الدين إلا قشوره ولم يبق به إلا أسماؤه وقلبه في غطاء كشيء عن حقيقة الدين بل عن حقيقة نفسه وصفات نفسه ومن جهل نفسه فهو بغيره أجمل وأعلى بقلبه إذ بقلبه يعرف غير قلبه فكيف يعرف غيره وهو لا يعرف قلبه ، فمن يتوهم أن التوبة تصح ولا تتبل كن يتوهم أن الشمس تطلع والظلام لا يزول والثوب ينسل بالصاوبون والوسخ لا يزول إلا أن يوضع الوسخ لطول تراكمه في تجاوبف الثوب وخلله فلا يقوى الصاوبون على قلته فثالث ذلك أن تراكم الذنوب حتى يصير طبعا وربنا على القلب فثالث هذا القلب لا يرجع ولا يتوب ، نعم قد يقول باللسان ثبت فيكون ذلك كنول القصار بلسانه قد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب أصلا ما لم يغير صفة الثوب باستعمال ما يصاد الوصف التمكن به فهذا حال امتناع أصل التوبة ، وهو غير بعيد بل هو الغالب على كافة الخلق القليلين على الدنيا للراضين عن الله بالكيفية فهذا البيان كاف عند ذوي البصائر في قبول التوبة ولكننا نضد جناحه بنقل الآيات والأخبار فكل استعمار لا يسده الكتاب والسنة لا يوثق به وقد قال تعالى - وهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويفوعن السيئات - وقال تعالى - غفر الذنب وقابل التوب - إلى غير ذلك من الآيات . وقال صلى الله عليه وسلم « فقه أفرح بتوبة أحدكم » الحديث والفرح وراء القبول فهو دليل على القبول وزيادة . وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يسطر يده بالتوبة لمسى الليل إلى النهار وإلى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها <sup>(١)</sup> » . وبسط اليد ككتابة عن طلب التوبة والطلب وراء القابل فرب قابل ليس بطالب ولا طالب إلا وهو قابل وقال صلى الله عليه وسلم « لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم <sup>(٢)</sup> » وقال أيضا « إن العبد ليدب الذنب فيدخل به الجنة فقتل كيف ذلك يارسول الله قال يكون نصب عينه نالبا منه فارا حتى يدخل الجنة <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « كفارة الذنب الندامة <sup>(٤)</sup> » . وقال صلى الله عليه وسلم « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » .

(١) حديث إن الله يسطر يده بالتوبة لمسى الليل إلى النهار الحديث مسلم من حديث أبي موسى بنظ يسطر يده بالليل ليتوب مسى النهار الحديث ، وفي رواية للطبراني لمسى الليل أن يتوب بالنهار الحديث (٢) حديث لو عملتم الخطايا حتى تبلغ السماء ثم ندمتم لتاب الله عليكم ابن ماجه من حديث أبي هريرة وإسناده حسن باقظ لو أخطأتم وقال ثم تتبم (٣) حديث إن العبد ليدب الذنب فيدخل به الجنة الحديث ابن المبارك في الزهد عن المبارك بن فضالة عن الحسن مرسلا ولأبي نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة إن العبد ليدب الذنب فاذا ذكره أحزنه فاذا نظر الله إليه أنه أحزنه غفرله الحديث وفيه صالح المري ، وهو رجل صالح لكنه مضطرب في الحديث ولابن أبي الدنيا في التوبة عن ابن عمر إن الله لينفع العبد بالذنوب يذنبه والحديث غير محفوظ قاله القليل (٤) حديث كفارة الذنب الندامة أحمد والطبراني وهق في الشعب من حديث ابن عباس وفيه يحيى بن عمرو بن مالك اليشكري ضعيف .

لا إله إلا هو الرحمن الرحيم التسعة والتسعين اسما إلى آخرها فاذا فرغ منها يقول : اللهم صل على محمد عبدك ونيك ورسولك النبي الأبي وعلى آل محمد صلاته تكون لهم رضاء ولحمه اداء وأعطه الوسيلة والقام المحمود الذي وعدته وأجزه عنا ما هو أهله وأجزه عنا أفضل ما جازت نيا عن أمته وصل على جميع إخوانه من التبيين والصديقين والشهداء والصالحين . اللهم صل على محمد في الأولين وصل على محمد في الآخرين وصل على محمد إلى يوم الدين اللهم صل على روح

وبروى « أن حبشيا قال يارسول الله إني كنت أعمل القواض فهل لي من توبة؟ قال نعم فولي ثم رجع فقال يارسول الله أكان يراني وأنا أعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت فيها روحه (١) وبروى أن الله عز وجل لما لمن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح فقال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا حبيت عنه التوبة مادام الروح فيه (٢) قال صلى الله عليه وسلم « إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب للاء الوسخ (٣) » والأخبار في هذا لا تحصى . وأما الآثار : فقد قال سعيد بن السيب أنزل قوله تعالى - إنه كان للأوابين غفورا -

في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب . وقال الفضيل قال الله تعالى : بشر للذين بأنهم إن تابوا قبلت منهم وحذر الصديقين أني إن وضعت عليهم عدلي عذبهم وقال طلق بن حبيب : إن حقوق الله أعظم من أن يقوم بها العبد ولكن أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما من ذكر خطيئة ألم بها فوجل منها قلبه حبت عنه في أم الكتاب . وبروى أن نبيان أنبياء بني إسرائيل أذنب فأوحى الله تعالى إليه وعزتي لئن عدت لأعذبك فقال يارب أنت أنت وأنا أنا وعزتك إن لم تصحني لأعودن فصممه الله تعالى وقال بعضهم إن العبد ليذنب الذنب فلا يزال ناديا حتى يدخل الجنة فيقول إبليس ليقي لم أوقفه في الذنب وقال حبيب بن ثابت تعرض على الرجل ذنوبه يوم القيامة فيمر بالذنب فيقول أما إني قد كنت مشفقا منه قال فيفتره . وبروى أن رجلا سأل ابن مسعود عن ذنب ألم به هل له من توبة فأعرض عنه ابن مسعود ثم التفت إليه فرأى عينه تخرقان فقال له إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكا موكلا به لا يطلق فاعمل ولا تياس . وقال عبد الرحمن بن أبي قاسم هذا كرام مع عبد الرحيم توبة الكافر وقول الله تعالى - إن يتوبوا يغفر لهم ما قد سلف - قال إني لأرجو أن يكون السلم عند الله أحسن حالا ولقد بلغني أن توبة السلم كإسلام بعد إسلام . وقال عبد الله بن سلام لأحدثكم إلا عن نبي مرسلا أو كتاب منزل إن العبد إذا عمل ذنبا ثم ندم عليه طرفة عين سقط عنه أسرع من طرفتيين . وقال عمر رضي الله عنه اجلسوا إلى التوابين فانهم أرق أثمة وقال بعضهم أنا أعلم متى يغفر الله لي قيل ومتى قال إذا تاب على وقال آخر أنا من أن أحرم التوبة أخوف من أن أحرم النفرة أي النفرة من لوازم التوبة وتوابها لاحتالة وبروى أنه كان في بني إسرائيل شاب عبد الله تعالى عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة ثم نظر في المرآة فرأى الشيب في لحية فساء ذلك فقال إلهي أطلعتك عشرين سنة ثم عصاه عشرين سنة فان رجعت إليك أتقبلني فسمع قائلا يقول ولا يرى شخصا أحببتنا فأحببتنا وتركنا فتركناك وعصيتنا فأههناك وإن رجعت إلينا قبلناك . وقال ذو النون للصري رحمه الله تعالى إن لله عبادا نصبوا أشجار الخطايا نصب رواق القلوب وسقوها بماء التوبة فأثمرت ثلما وحزننا فجنونا من غير

مجد في الأرواح وصل على جد محمد في الأجساد واجمل شرائف صلواتك ونواحي برصكاته ورافقتك ورحمتك وعينك ورضوانك على محمد عبدك ونيك ورسولك اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يود السلام لحنا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام اللهم إني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك دفع ما أرجو وأصبح الأمر بيد فيدي وأصبحت مرتهنا يصلي فلا تقبر أهقر متى اللهم لا تشمت بي

(١) حديث أن حبشيا قال يارسول الله إني كنت أعمل القواض فهل لي من توبة قال نعم الحديث لم أجده أصلا (٢) حديث إن الله لما لمن إبليس سأله النظرة فأنظره إلى يوم القيامة فقال وعزتك لا خرجت من قلب ابن آدم مادام فيه الروح الحديث أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد أن الشيطان قال وعزتك يارب لا أزال أغوي عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم قال وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني أوردته للصنف بصينة وبروى كذا ولم يزه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقد كرهه احتباطا (٣) حديث إن الحسنات يذهبن السيئات كما يذهب للاء الوسخ لم أجده بهذا اللفظ وهو صحيح المعنى وهو بمعنى أتبع السيئة الحسنة تمحها رواه الترمذي وتقدم قريبا .

جنون وتبهدوا من غيري ولا بكم وإلهم م البقاء القصص المارقون بالله ورسوله ثم شربوا بكتأس الصفا فورثوا العبر على طول البلاء ثم تولعت قلوبهم في اللسكوت وجالت أفكارهم بين سرايا حجب الجبروت واستظلمت رواق الندم وقرءوا صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى علو الزهد بسلم الورع فاستمذّبوا مرارة الترك لدينا واستلناوا خشونة للضعف حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة وسرحت أرواحهم في الملا حتى أناخوا في رياض النعيم وخاضوا في بحر الحيا فوردوا خنادق الجزع وعبروا جسور الهوى حتى نزلوا بغناء العلم واستقوا من غدير الحكمة وركبوا سفينة القنطرة وأقلعوا بريح النجاة في بحر السلامة حتى وصلوا إلى رياض الراحة ومعدن المزا والكرامة فهذا القدر كاف في بيان أن كل توبة صحيحة مقبولة لامحالة . فان قلت أفتقول ما قاله المعتزلة من أن قبول التوبة واجب على الله . فأقول لا على مجاز كثرته من وجوب قبول التوبة على الله إلا ما يريد القائل بقوله إن التوب إذا غسل بالصابون وجب زوال الوسخ وإن العطشان إذا شرب الماء وجب زوال العطش وإنه إذا منع الماء مدة وجب العطش وإنه إذا دام العطش وجب اللوث وليس في شيء من ذلك ما يريد المعتزلة بالإيجاب على الله تعالى . بل أقول خلق الله تعالى الطاعة مكفرة للصية والحسنة ماحية للسيئة كما خلق الماء مزيلًا للعطش والقدرة متعة بخلافه لوسيق به للشيء فلا واجب على الله تعالى ولكن ما سبقت به إرادته الأزلية فواجب كونه لامحالة . فان قلت فما من تأمل إلا هو شاك في قبول توبته والشارب للماء لا يشك في زوال عطشه فلم يشك فيه . فأقول شكك في القبول كشكك في وجود شرائط الصحة فان للتوبة أركانًا وشروطًا دقيقة كإسائي وليس يتحقق وجود جميع شروطها كالشيء يشك في دواء شربه للإسهال في أنه هل يسهل وذلك لشكك في حصول شروط الإسهال في الدواء باعتبار الحال والوقت وكيفية خلط الدواء وطبيعته وجودة عقاقيره وأدوية فهذا وأمثاله موجب للخوف بعد التوبة وموجب للشك في قبولها لامحالة على ماسائي في شروطها إن شاء الله تعالى .

### (الركن الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب صغارها وكبارها)

اعلم أن التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشيء إلا بعد معرفته وإذا كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل إليها إلا به واجبة لمعرفة الذنوب إذن واجبة والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لأمر الله تعالى في ترك أو فعل وتقصير ذلك يستدعي شرح التكليفات من أولها إلى آخرها وليس ذلك من غرضنا ولكننا نشير إلى مجامعها وروابط أقسامها والله الموفق للصواب رحمته

### (بيان أقسام الذنوب بالإضافة إلى صفات العبد)

اعلم أن للانسان أوصافًا وأخلاقًا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب مجانب القلب وغوايته ولكن تنحصر مئارات الذنوب في أربع صفات ربوية وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبية وذلك لأن طينة الانسان مجتمعة من أخلاط مختلفة فاقضى كل واحد من الأخلاط في السجون منه أثرًا من الآثار كما يقتضي السكر والخمر والحل والحر غرارة في السكتيين آثارًا مختلفة . فأما ما يقتضي النزوع إلى الصفات الربوية فمثل الكبر والفخر والجبرية وحسب للفساد والتناء والمز والتقى وحسب دوام البقاء وطلب الاستلاء على الكافة حتى كأنه يريد أن يقول أنا ربكم الأعلى وهذا ينشعب منه جملة من كبار الذنوب غفل عنها الخلق ولم يصدّها ذنوبًا وهي للهلكات العظيمة التي هي كالأمهات لأكثر الناس كما استغنيته في ربيع للهلكات . الثانية هي الصفات الشيطانية التي منها ينشعب الحسد والبغى والحيلة والحداد والأمر بالفساد والنكر وفيه يدخل النفي والتناقض والدعوة إلى

عموى ولا تسيء في صديق ولا تجلس مصديق في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا تسلط على من لا يرحمي اللهم هذا خلق جديد فاقحه على بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها وماعمت فيه من سيئة فاغفر لي إنك غفور رحيم ودود رضىت بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا اللهم إني أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه وأعوذ بك من شر



الكبائر سبع عشرة جمعها من جملة الأخبار (١) وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم أربعة في القلب وهي الشرك بالله والإصرار على معصيته والقنوط من رحمة والأمن من مكروه

(١) الأخبار الواردة في الكبائر حكى الصنف عن أبي طالب المكي أنه قال الكبائر سبع عشرة جمعها من جملة الأخبار وجملة ما اجتمع من قول ابن عباس وابن مسعود وابن عمر وغيرهم الشرك بالله والإصرار على معصيته والقنوط من رحمة والأمن من مكروه وشهادة الزور وقذف المحصن والعين الغموس والسحر وشرب الخمر وللسكر وأكل مال اليتيم ظلماً وأكل الربا والنال والواطء والقتل والنسوة والفرار من الزحف وعقوق الوالدين انتهى . وسأذكر ماورد منها مرفوعاً وقد تقدم أربعة منها في حديث عبد الله بن عمرو وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة اجتنبوا السبع اللواتي قالوا يارسول الله وما هي؟ قال الشرك بالله والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات المؤمنات ولهما من حديث أبي بكرة ألا أنبئكم بأكبر الكبائر الإتيان بالشرك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قال قول الزور ولهما من حديث أنس سئل عن الكبائر قال الشرك بالله وقتل النفس وعقوق الوالدين وقال ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قال قول الزور أو قال شهادة الزور ولهما من حديث ابن مسعود سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الذنوب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خالقك قلت ثم أي قال أن تقتل ولدك مخافة أن يطعم معك قلت ثم أي قال أن تزاني حليقة جارك وللطبراني من حديث سلمة بن قيس إنما هي أربع لا تتركوا بالله شيئاً ولا تفتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تسرقوا وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت يابوني على أن لا تتركوا بالله شيئاً ولا تزنوا ولا تسرقوا وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس الحرام ثم القواحي وأكبر الكبائر وفيه موقوف على عبد الله بن عمر وأعظم الكبائر شرب الخمر وكلامها ضيف وللبزار من حديث ابن عباس باسناد حسن أن رجلاً قال يارسول الله ما الكبائر؟ قال الشرك بالله والإيأس من روح الله والقنوط من رحمة الله وله من حديث بريدة أكبر الكبائر الإتيان بالشرك بالله وعقوق الوالدين ومنع فضل المساء ومنع الفضل وفيه صالح بن جبان ضعفه ابن معين والنسائي وغيرهما وله من حديث أبي هريرة الكبائر أو لحن الإتيان بالشرك وفيه والانتقال إلى الأعراب بعد هجرته وفيه خالد بن يوسف السمين ضعيف وللطبراني في الكبير من حديث سهل بن أبي حنيفة في الكبائر والتعرب بعد الهجرة وفيه ابن لهيعة وله في الأوسط من حديث أبي سعيد الخدري الكبائر سبع وفيه الرجوع إلى الأعرابية بعد الهجرة وفيه أبو بلال الأشعري ضعفه الدارقطني ولهما كرم من حديث عبيد بن عمير عن أبيه الكبائر تسع فذكر منها واستحلال البيت الحرام وللطبراني من حديث وثالة إن من أكبر الكبائر أن يقول الرجل على مالم أقل وله أيضاً من حديث إن من أكبر الكبائر أن يتنق الرجل من ولده ولمسلم من حديث جابر بين الرجل وبين الشرك أو الكفر ترك الصلاة ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو من الكبائر شتم الرجل والدي بولاً ولأبي داود من حديث سعد بن زيد من أبي الربا الاستنطالة في عرض السلم بغير حق وفي الصحيحين من حديث ابن عباس أنه عليه السلام مر على قبرين فقال لهما ليعذبان وما يعذبان في كبير وإنه لكبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميم وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله الحديث ولأحمد في هذا القصة من حديث أبي بكرة أما أحدهما فكان يأكل لحوم الناس الحديث ولأبي داود والترمذي من حديث أنس عرست على ذنوب أمي فلم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أو تبها رجل ثم نفسها سكت عليه أبو داود واستغربه البخاري والترمذي وروى ابن أبي شيبة في التوبة من حديث ابن عباس لاصفيرة مع إصرار وفيه أبو شيبة الحراسي

وأربع في اللسان ، وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين النعوس ، وهي التي يحق بها باطلاؤ  
ببطلانها حقاً ، وقيل هي التي يقطع بها مال امرئ مسلم باطلاً ولو سوا كامن أراك . وصحبت غموساً  
لأنها تنصص صاحبها في النار . والسحر وهو كل كلام يثير الانسان وسائر الأجسام عن موضوعات  
الخلق . وثلاث في البطن وهي شرب الخمر والمسكر من كل شراب وأكل مال اليتيم ظلالاً أو كل الربا  
وهو علم . واثنان في الفرج وهما الزنا والواط . واثنان في اليدين وهما القتل والسرقة . وواحدة

في الرجلين وهو الفرار من الرحف الواحد من اثنين والشرطة من الشرين وواحدة في جميع الجسد  
وهو عقوق الوالدين . قال وجعلت عقوقهما أن يقبلا عليه في حق فلا ير قسمهما وإن سألاه حاجة  
فلا يعطيهما وإن يسأه فيضربهما ويحوجان فلا يطعمهما هذا ما قاله وهو قريب ولكن ليس يحصل  
به تمام الشفاء إذ يسكن الزيادة عليه والنقصان منه فانه جعل أكل الربا ومال اليتيم من الكبائر  
وهي جناية على الأموال ، ولم يذكر في كبائر النفوس إلا القتل فأما قتل العيين وقطع اليدين وغير  
ذلك من تعذيب المسلمين بالضرب وأنواع العذاب فلم يتعرض له وضرب اليتيم وتعذيبه وقطع أطرافه  
لاشك في أنه أكبر من أكل ماله ، كيف وفي الخبر من الكبائر « السبтан بالبسة ومن الكبائر  
استطالة الرجل في عرض أخيه السلم <sup>(١)</sup> وهذا زائد على قذف المحصن . وقال أبو سعيد الحدرى  
وغيره من الصحابة : إنكم تسمعون أعمالاً هي أدق في أعينكم من الشعر كنا ندها على عهد  
رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر <sup>(٢)</sup> . وقالت طائفة : كل عمد كبيرة وكل مانهى الله عنه  
فهو كبيرة وكشف الطعام عن هذا أن نظر الناظر في السرقة أم هي كبيرة أم لا لا يصح مالم يفهم معنى

إنه لا يغفر الذنوب  
إلا أنت . اللهم اجعل  
أول يومنا هذا صلاحاً  
 وآخره نجاحاً وأوسطه  
فلاحاً . اللهم اجعل  
أوله رحمةً وأوسطه  
نعمةً وآخره تكريمةً  
أصبحنا وأصبح لك  
فؤاد العظيمة والكبرياء  
فـه والجبروت  
والسلطان فـه والليل  
والنهار وما سكن فيها  
فـه الواحد القهار .  
أصبحنا على فطرة  
الإسلام وكلمة الإخلاص  
وعلى دين نبينا محمد  
صلى الله عليه وسلم  
وملة آيينا إبراهيم  
حنيفاً مسلماً وما كان  
من الشركين ، اللهم إنا  
نسألك بأن لك الحمد  
لا إله إلا أنت الحنان

والحدث منككر يعرف به . وأما الوقوفات فروى الطبراني والبيهقي في الشعب عن ابن مسعود قال  
الكبائر الإشراف بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله والبأس من روح الله . وروى  
البيهقي فيه عن ابن عباس قال الكبائر الإشراف بالله والبأس من روح الله والأمن من مكر الله  
وعقوق الوالدين وقتل النفس التي حرم الله وقذف المحصنات وأكل مال اليتيم والفرار من الرحف  
وأكل الربا والسحر والزنا واليمين النعوس والقاذرة والغلول ومنع الزكاة وشهادة الزور وكتان الشهادة  
وشرب الخمر وترك الصلاة متعمداً وأشياء مما فرضها الله وقضى العهد وقطيعة الرحم . وروى ابن  
أبي الدنيا في التوبة عن ابن عباس كل ذنب أصر عليه العبد كبير وفيه الربيع بن صبيح يختلف  
فيه . وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس عن أنس قوله لا نصيرة مع الإصرار وإسناده  
جيد فقد اجتمع من الرفوعات والوقوفات ثلاثة وثلاثون أو اثنان وثلاثون إلا أن بعضها لا يصح  
إسناده كما تقدم وإنما ذكرت الوقوفات حتى يعلم ما ورد في الرفوع وما ورد في الوقوف والبيهقي في الشعب  
عن ابن عباس أنه قيل له الكبائر سبع فقال هي إلى السبعين أقرب وروى البيهقي أيضاً فيه عن  
ابن عباس قال كل مانهى الله عنه كبيرة ، والله أعلم <sup>(١)</sup> حديث من الكبائر السبتان بالبسة ومن  
الكبائر استطالة الرجل في عرض أخيه السلم عزاه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس لأحمد  
وأبي داود من حديث سعيد بن زيد والذي عندهما من حديثه من أربى الربا استطالة في عرض  
السلم بغير حق كما تقدم <sup>(٢)</sup> حديث أبي سعيد الحدرى وغيره من الصحابة إنكم تعملون أعمالاً  
هي أدق في أعينكم من الشعر كنا ندها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبائر أحمد  
والبخاري بسند صحيح وقال من اللوقات بدل الكبائر ورواه البخاري من حديث أنس وأحمد والحاكم  
من حديث عبادة بن قريص وقال صحيح الإسناد .

الكبيرة والراد بها كقول القائل السرقة حرام أم لا ، لا مطمع في تبرئته إلا بعد تحرر معنى الحرام أو لانهم البحث عن وجوده في السرقة ، فالكبيرة من حيث اللفظ مبهم ليس بموضوع خاص في اللفظ ولا في الشرع وذلك لأن الكبير والصغير من الضافات وما من ذنب إلا وهو كبير بالإضافة إلى مادونه وصغير بالإضافة إلى ما فوقه فالضاجة مع الأجنبية كبيرة بالإضافة إلى النظرة صغيرة بالإضافة إلى الزنا وقطع يد المسلم كبيرة بالإضافة إلى ضربه صغيرة بالإضافة إلى قتله ، نعم للانسان أن يطلق على ما نوهذ بالنار على فله خاصة اسم الكبيرة ، ونفى يوصفه بالكبيرة أن العقوبة بالنار عظيمة وله أن يطلق على ماوجب الحد عليه مصيرا إلى أن ما جهل عليه في الدنيا عقوبة واجبة عظيم وله أن يطلق على ماورد في نص الكتاب التي عنه فيقول تخصيحه بالذكور في القرآن يدل على عظمته، فهو يكون عظيما وكبيرة لامحالة بالإضافة ، إذ منصوبات القرآن أيضا تفاوت درجاتها فهذه الاطلاقات لا حرج فيها وما نقل من ألقاظ الصحابة يتردد بين هذه الجهات ولا يحد تفرعها على شيء من هذه الاحتمالات ، نعم من اللغات أن تعلم معنى قول الله تعالى : « إن تجتنبوا كبار ما نهى عن نكفركم سيأتكم » وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلوات كفارات لما بينهن » إلا الكبائر » فان هذا إثبات حكم الكبائر والحق في ذلك أن الذنوب منقسمة في نظر الشرع إلى ما يعظم استنظامه وإياها إلى ما يعظم أنها معدودة في الصفات وإلى ما يشك فيه فلا يدري حكمه فالطمع في معرفة حد حاصر أو عدد جامع مانع طلب لما لا يمكن فان ذلك لا يمكن إلا بالسماح من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول إني أردت بالكبائر عشرا أو خمسا ويفصلها ، فان لم يرد هذا بل ورد في بعض الألقاظ « ثلاث من الكبائر <sup>(١)</sup> » وفي بعضها « سبع من الكبائر <sup>(٢)</sup> » . ثم ورد « أن السبطين بالسبة الواحدة من الكبائر » وهو خارج عن السبع والثلاث علم أنه لم يقصد به العدد بما يحصر فكيف يطمع في عدد ما لم يعدد الشرع وربما قصد الشرع إيهامه ليكون العباد منه على وجل كما أجهل ليلة القدر ليعظم جد الناس في طلبها ، نعم لنا سبيل كل يمكن أن نعرف به أجناس الكبائر وأنواعها بالتحقيق . وأما أعيانها فمفرها بالظن والتقريب ونعرف أيضا أكبر الكبائر ، فأما أصغر الصفات فلا سبيل إلى معرفته . ويانه أنا نعلم بشواهد الشرع وأنوار البصائر جميعا أن مقصود الترائع كلها سياق الخلق إلى جوار الله تعالى وسعادة لقاءه وأنه لا وصول لهم إلى ذلك إلا بمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وكتبه ورسله وإليه الإشارة بقوله تعالى : « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - أي ليعبدوا عبيداي ولا يكون العبد عبدا ما لم يعرف ربه بالربوبية وغسه بالعبودية ولا بد أن يعرف غسه وره فهذا هو للقصود الأقصى يمتلئ الأنبياء ولكن لا يتم هذا إلا في الحياة الدنيا ، وهو الحق بقوله عليه الصلاة والسلام « الدنيا مزرعة الآخرة <sup>(٣)</sup> » فصار حفظ الدنيا أيضا مقصودا بما بالدين لأنه وسيلة إليه

(١) حديث ثلاث من الكبائر الشيطان من حديث أبي بكره ألا نبشكم بأكبر الكبائر ثلاثا الحديث وقد تقدم (٢) حديث سبع من الكبائر طلب في الأوسط من حديث أبي سعيد الكبائر سبع وقد تقدم وله في الكبير من حديث عبد الله بن عمر من صلى الصلوات الخمس واجتنب الكبائر الحديث ثم عدهن سبعا وتقدم عن الصحيحين حديث أبي هريرة اجتنبوا السبع اللواتي (٣) حديث الدنيا مزرعة الآخرة لم أجده بهذه اللفظ مرفوعا وروى الضعيف في الضعفاء وأبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث طارق بن أشيم نعمت الدار الدنيا لمن تزود منها لاخرته الحديث وإسناده ضعيف .

للان يدعي السموات والأرض ذو الجلال والأكرام أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد يا حي يا قيوم يا حي حين لحي في دعوة ملكه وجائه يا حي حي للوفى يا حي محبت الأحياء ووارث الأرض والسماء ، اللهم إني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم اللهم إني أسألك باسمك الأعظم الأجل الأغر الحكرم الذى إذا دعيت به أجبت وإذا سئلت به أعطيت يا نور النور يا مدبر الأمور

وللعلم من الدنيا بالآخرة شيان النفوس والأموال فكل ما يسهل باب معرفة الله تعالى فهو أكبر الكبائر  
 وبليه ما يسهل باب حياة النفوس وبليه ما يسهل باب العايش التي بها حياة النفوس فهذه ثلاث مراتب ،  
 حفظ المرفة على القلوب والحياة على الأبدان والأموال على الأشخاص ضروري في مقصود الترتاع  
 كلها وهذه ثلاثة أمور لا يتصور أن تختلف فيها للكل فلا يجوز أن الله تعالى يثبت نيا يريد يثبت  
 إصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يأمرهم بما ينتمون عن معرفته ومعرفة رساله أو يأمرهم بهلاك  
 النفوس وإهلاك الأموال لحصل من هذا أن الكبائر على ثلاث مراتب : الأولى ما ينتم عن معرفة  
 الله تعالى ومعرفة رساله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر ، والحجاب بين الله وبين المبدوء الجهل  
 والوسيلة للقرية له إليه هو العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبسده بقدر جهله ويتلو الجهل الذي  
 يسمى كفرا الأمن من مكر الله والقنوط من رحمة فان هذا أيضا عين الجهل لمن عرف الله يتصور  
 أن يكون آمنا ولأن يكون آيسا ويتلو هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله وصفاته وأفعاله  
 وبضها أشد من بعض وضاعتها على حسب تفاوت الجهل ، وعلى حسب تعلقها بذات الله سبحانه وبأفعاله  
 وشرائعه وبأوامره ونواهي ومراتب ذلك لا تنحصر وهي تنقسم إلى ما يلي منها داخلة تحت ذكر  
 الكبائر المذكورة في القرآن وإلى ما يلي أنه لا يدخل وإلى ما يشك فيه وطلب دفع الشك في القسم  
 للتوسط طمع في غير مطمع . الرتبة الثانية : النفوس إذ يقاها وحفظها تنوم الحياة وحصل للمرفة  
 بالله قتل النفس لعمالة من الكبائر وإن كان دون الكفر لأن ذلك يصدم عين القنوط وهذا  
 يصدم وسيلة المقصود إذ حياة الدنيا لا تتراد إلا للآخرة والتوصل إليها بمعرفة الله تعالى ويتلو هذه  
 السكيرة قطع الأطراف وكل ما يفضي إلى الهلاك حتى الضرب وبضها أكبر من بعض ويقع في  
 هذه الرتبة تحريم الزنا واللواط لأنه لو اجتمع الناس على الاكتفاء بالكفر في قضاء الشهوات  
 اتقطع النسل ودفع للوجود قريب من قطع الوجود ، وأما الزنا فانه لا ينفذ أصل الوجود ولكن  
 يشوش الأنساب ويصل التوارث والتناصر وجملة من الأمور التي لا ينظم العيش إلا بها بل كيف  
 يتم النظام مع إباحة الزنا ولا ينظم أمور البهائم مالم يتميز الفحل منها بإنان يختص بها عن سائر  
 الفحول ولذلك لا يتصور أن يكون الزنا مباحا في أصل شرع قصد به الإصلاح وينبغي أن يكون الزنا  
 في الرتبة دون القتل لأنه ليس ينفذ دوام الوجود ولا يمنع أصله ولعمركه ينفذ تميز الأنساب  
 ويحرك من الأسباب ما يكاد يفضي إلى القتال وينبغي أن يكون أشد من اللواط لأن الشهوة  
 داعية إليه من الجانبين فيكثر وقوعه وحظم أثر الضرر بكثرته . للرتبة الثالثة : الأموال فاتها ما يسهل  
 الخلق فلا يجوز تسلط الناس على تناولها كيف شاءوا حتى بالاستيلاء والسرقة وغير ما يلي ينبغي أن يحفظ  
 لتبقى يقاها النفوس لأن الأموال إذا أخذت أمكن استردادها وإن أكلت أمكن تركها  
 فليس يحظم الأمر فيها ، نعم إذا جرى تناولها بطريق يفسد التدارك له فينبغي أن يكون ذلك من  
 الكبائر وذلك بأربع طرق : أحدها الخفية ، وهي السرقة فانه إذا لم يطلع عليه غالبا كيف  
 يتدارك . الثاني أكل مال اليتيم ، وهذا أيضا من الخفية وأعنى به في حق الولي والقيم فانه مؤتمن  
 فيه وليس له خصم سوى اليتيم وهو صغير لا يعرفه فتعظيم الأمر فيه واجب بخلاف النصب فانه ظاهر  
 بحرف وبخلاف الحياة فإن الودية فإن اللودع خصم فيه يتمصف لنفسه . الثالث : خونها بشهادة  
 الزور . الرابع : أخذ الودية وغيرها باليمين القموس فان هذه طريق لا يمكن فيها التدارك ولا يجوز  
 أن تختلف الترتاع في تحريمها أصلا وبضها أشد من بعض وكلها دون رتبة الثانية المتعلقة بالنفوس

إعالم ما في الصدور  
 يا صبيح يا قريب يا مجيب  
 الدعاء يا لطيفا يا بشاء  
 يا روف يا رحيم يا كبير  
 يا عظيم يا الله يا رحمن  
 يا ذا الجلال والإكرام  
 يا الله لا إله إلا هو الحي  
 القيوم وعت الوجوه  
 للحي القيوم يا لمي  
 وإله كل شيء إلهنا  
 واحدا لا إله إلا أنت  
 اللهم إني أسألك باسمك  
 يا الله الله الله الذي  
 لا إله إلا هو رب العرش  
 العظيم فتعالى الله الملك  
 الحق لا إله إلا هو رب  
 العرش الكريم أنت  
 الأول والآخر والظاهر  
 والباطن وسعت كل  
 شيء رحمة وعلما  
 كيهي سم عسق  
 الرحمن يا واحد يا قهار

وهذه الأربعة جدية بأن تكون مرادة بالكبائر وإن لم يوجب الشرع الحد في بعضها ولكن أكثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تأثيرها . وأما كل الرافض في إلا كل مال الغير بالقراض مع الإخلال بشرط وضعه الشرع ولا يبعد أن تختلف الشرائع في مثله وإذا لم يحل التصب الذي هو أكل مال الغير بغير رضاه وبغير رضا الشرع من الكبائر فأكل الربا أكل رضا الثالث ولكن دون رضا الشرع وإن عظم الشرع الربا بالزجر عنه فقد عظم أيضا الظلم بالتصب وغيره وعظم الحيانة والصبر إلى أن أكل دائق الحيانة أو التصب من الكبائر فيه نظر وذلك واقع في مظنة الشك وأكثريه إلى أن أكل دائق الحيانة أو التصب من الكبائر بل ينبغي أن تخص الكبيرة بما لا يجوز اختلاف الشرع فيه ليكون ضروريا في الدين فيبقى مما ذكره أبو طالب الحكي القذف والشرب والسحر والفرار من الزحف وعقوق الوالدين . أما الشرب لما يزيل العقل فهو جدير بأن يكون من الكبائر وقد دل عليه تشديدات الشرع وطريق النظر أيضا لأن العقل معطوط كما أن النفس معطوطة بل لا خير في النفس دون العقل فإزالة العقل من الكبائر ولكن هذا لا يجري في قطرة من الخمر فلا شك في أنه لو شرب ماء في قطرة من الخمر لم يكن ذلك كبيرة وإنما هو شرب ماء نجس والقطرة وحدها في محل الشك وإيجاب الشرع الحد به يدل على تعظيم أمره فبعد ذلك من الكبائر بالشرع وليس في قوة البشرية الوقوف على جميع أسرار الشرع فإن ثبت إجماع في أنه كبيرة وجب الاتباع وإلا فالتوقف فيه محال . وأما القذف فليس فيه إلا تناول الأعراض والأعراض دون الأموال في الرية ولتاؤها مراتب وأعظمها تناول بالقذف بالإضافة إلى فاحشة الزنا وقد عظم الشرع أمره وأظن ظنا غالبا أن الصحابة كانوا يمدون كل ما يجب به الحد كبيرة فهو بهذا الاعتبار لا تكفئه الصلوات الجس وهو الذي زیده بالكبيرة الآن ولكن من حيث إنه يجوز أن تختلف فيه الشرائع فالتقياس بمجرده لا يدل على كبره وعظمته بل كان يجوز أن يرد الشرع بأن الحد الواحد إذا رأى إنسانا يزني فله أن يشهد ويجعل الشهود عليه بمجرد شهادته فإن لم تقبل شهادته لخدمه ليس ضروريا في مصالح الدنيا وإن كان على الجملة من الصالح الظاهرة الواضحة في رتبة الحاجات فاذن هذا أيضا يلحق بالكبائر في حق من عرف حكم الشرع فأما من ظن أنه أن يشهد وحده أو ظن أنه يساعده على شهادة غيره فلا ينبغي أن يحسم في حقه من الكبائر . وأما السحر فإن كان فيه كفر فكبيرة وإلا فضلمته بحسب الضرر الذي يتولد منه من هلاك نفس أو مرض أو غيره . وأما الفرار من الزحف وعقوق الوالدين فهذا أيضا ينبغي أن يكون من حيث القياس في محل التوقف وإذا قطع بأن سب الناس بكل شيء سوى الزنا وضربهم والظلم لهم بنصب أموالهم وإخراجهم من مساكنهم وبلادهم وإجلالهم من أوطانهم ليس من الكبائر إذ لم ينقل ذلك في السبع عشرة كبيرة وهو أكبر ما قيل فيه فالتوقف في هذا أيضا غير بعيد ولكن الحديث يدل على تسببه كبيرة فليعلق بالكبائر . فإذا رجح حاصل الأمر إلى أنا نفي بالكبيرة مالا تكفئه الصلوات بحكم الشرع وذلك مما اهتم إلى ما علم أنه لا تكفئه قطعا وإلى ما ينبغي أن تكفئه وإلى ما يتوقف فيه التوقف فيه بشه مظنون لثني والاثبات وبشبه مشكوك فيه وهو شك لا يزيله إلا نص كتاب أو سنن وإن لامطعم فيه فطلب رفع الشك فيه محال . فإن قلت فهذا إقامة برهان على استحالة معرفة حد ما فكيف يرد الشرع بما يستحيل معرفة حده . فأعلم أن كل مالا يتعلق به حكم في الدنيا فيجوز أن ينطرق إليه الإيهام لأن دار التكليف هي دار الدنيا والكبيرة على الخصوص لاحكامها في الدين من حيث إنها كبيرة بل كل موجبات الحدود معلومة بأسمائها كالسرقة والزنا وغيرها وإنما حكم الكبيرة أن الصلوات الجس لا تكفئها ، وهذا أمر يتعلق بالآخرة والإيهام أليق به حتى يكون الناس على وجل وحذر

ياعزيز يا جبار يا أحد  
يا صمد يا ودود يا غفور  
وهو الله الذي لا إله إلا  
هو عالم الغيب والشهادة  
هو الرحمن الرحيم لا إله  
إلا أنت سبحانك إن  
كنت من الظالمين  
اللهم إني أعوذ بك  
الكنون المخزون  
الزوال السلام للظهر  
الظاهر القدوس القدس  
يأدهر يادهور يادهار  
يأبد يأزل يامن لم يزل  
ولا يزال ولا يزول هو  
يا هو لا إله إلا هو يامن  
لا هو إلا هو يامن  
لا يلزم ما هو إلا هو  
يا كان يا كائن  
يا روي يا كائن قبل  
كل كون يا كائن بعد  
كل كون يا كائن

فلا يتجرءون على الصائت اعتقاداً على الصلوات الحسن وكذلك اجتناب الكبائر يكفر الصائت بموجب قوله تعالى - إن تجنّبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم - ولكن اجتناب الكبيرة إنما يكفر الصغيرة إذا اجتنبها مع القدرة والإرادة كمن يتمكن من امرأته من مواقعتها فكيف نفسه عن الوقوع فيقتصر على نظر أو لمس فإن مجاهدة نفسه بالكف عن الوقوع أشد تأثيراً في تنوير قلبه من إقامته على النظر في إظلامه فهذا معنى تكفيره فإن كان عنيماً أو لم يكن امتناعه إلا بالضرورة للعجز أو كان قادراً ولكن امتنع لحوف أمر آخر فهذا لا يصح للتكفير أصلاً وكل من يشتهي الحمر بطبعه ولو أسيح له لما شربه فاجتنابه لا يكفر عنه الصائت التي هي من مقدماته كسباغ اللآه والأوتار، ثم من يشتهي الحمر وسباغ الأوتار فيفسد نفسه بالمجاهدة عن الحمر ونظافة في السباغ فجاهدته بنفسه بالكف ربما تمحو عن قلبه الظلمة التي ارتفعت إليه من معصية السباغ فكل هذه أحكام أخروية ويجوز أن يبقى بعضها في محل الشك وتكون من للشكيات فلا يعرف تفصيلها إلا بالنص ولم يرد النص بعد ولا حد جامع بل ورد بالفاظ مختلفة : قد روى أبو هريرة رضي الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشرارة بالله وترك السنة ونسكت الصفقة (١) » قيل ما ترك السنة قيل الخروج عن الجماعة ونسكت الصفقة أن يبايع رجلاً ثم يخرج عليه بالسيف فقاتله فذأ أو مثاله من الألفاظ لا يحيط بالعدد كما لا يدل على حد جامع فيبقى لعمالة مبهما . فإن قلت الشهادة لا تقبل إلا لمن يجنب الكبائر والورع عن الصائت ليس شرطاً في قبول الشهادة وهذا من أحكام الدنيا . فاعلم أنا لا نخصم رد الشهادة بالكبائر فلا خلاف في أن من يسمع للآه ويلبس الديباغ ويتختم بخاتم الذهب ويشرى في أوالي الذهب والقضة لا تقبل شهادته ولم يذهب أحد إلى أن هذه الأمور من الكبائر وقال الشافعي رضي الله عنه إذا شرب الخنق التبيذ حدثته ولم أرد شهادته قد جعله كبيرة بإيجاب الحد ولم يرد به الشهادة فدل على أن الشهادة نفا وإثباتاً لا تدور على الصائت والكبائر بل كل الذنوب تندفع في العدالة إلا ما لا يغلو الإنسان عنه غالباً بضرورة مجاري العادات كالنية والتجسس وسوء الظن والكذب في بعض الأقوال وسباغ الفينة وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأكل الشبهات وسب الولد والفلان وضرهما بحكم القضب زائداً على الصلحة وإكرام السلاطين الظلمة ومصادقة الفجار والتكاسل عن تعليم الأهل والولد جميع ما يحتاجون إليه من أمر الدين فهذه ذنوب لا يتصور أن يتركها الشاهد عن قلبها أو كبرها إلا بأن يمتزل الناس ويتجرّد لأموال الآخرة ومجاهدة نفسه مدة بحيث يبقى على سمعته المحاطة بعد ذلك ولو لم يقبل إلا قول مثله لزم وجوده وبطلت الأحكام والشهادات وليس لبس الحرير وسباغ اللآه واللب بالزرد ومجالسة أهل الشرب في وقت الشرب والحلوة بالأجنبيات وأمثال هذه الصائت من هذا القبيل فإلى مثل هذا النهاج يذمى أن ينظر في قبول الشهادة وردها إلى الكبيرة والصغيرة ثم أحاد هذه الصائت التي لا ترد الشهادة بها ولو اطلب عليها لأثر في رد الشهادة كن أخذ النية وتلب الناس عادة وكذلك مجالسة الفجار ومصادقهم والصغيرة تكبر بالمواظبة كما أن البليح يصير صغيرة بالمواظبة كاللب بالشرنخ والترنم بالقضاء على الدوام وغيره فهذا بيان حكم الصائت والكبائر .

( بيان كيفية توزيع الدرجات والدركات في الآخرة على الحسنات والسيئات في الدنيا )

اعلم أن الدنيا من عالم الملك والشهادة والآخرة من عالم الغيب واللكوت وأغنى بالله نياتك قبل

(١) حديث الصلاة إلى الصلاة كفارة ورمضان إلى رمضان كفارة إلا من ثلاث إشرارة بالله وترك السنة ونسكت الصفقة الحديث الحاكم من حديث أبي هريرة نحوه وقال صحيح الاسناد .

لكل ككون أهيا  
شراهما أدواني  
أصوت بأجلى عظام  
الأمور - فإن تولوا  
قل حسب الله لا إله  
إلا هو عليه توكلت  
وهو رب العرش  
العظيم - ليس كذلك شيء  
وهو السميع البصير -  
اللهم صل على محمد وعلى  
آل محمد كما صليت  
على إبراهيم وآل  
إبراهيم وبارك على  
محمد وعلى آل محمد كما  
باركت على إبراهيم  
وآل إبراهيم إنك  
رحيم حميد اللهم إني  
أعوذ بك من علم  
لا ينفع وقلب لا يخشع  
ودعاء لا يسمع اللهم إني  
أعوذ بك من فتنة  
الدجال وعذاب القبر

الموت وبالأخرة حالته بعد الموت فديناك وآخرتك صفاتك وأحوالك يسمى القريب الداني منها دنيا والمتأخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة فاننا الآن نتكلم في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الآخرة وهي عالم الملكوت ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك إلا بضرب الأمثال ولذلك قال تعالى - وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون - وهذا لأن عالم الملك نوم بالإضافة إلى عالم الملكوت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا» (١) وما سيكون في البقطة لإثنين لك في اليوم إلا بضرب الأمثال الموحجة إلى التعبير فكذلك ما سيكون في بقطة الآخرة لإثنين في نوم الدنيا إلا في كثرة الأمثال وأغنى بكثرة الأمثال ما تعرفه من علم التعبير وبكثيرك منه إن كنت فظاً ثلاثة أمثلة قد جاء رجل إلى ابن سيرين فقال رأيت كأن في يدي خاتماً أختم به أفواه الرجال وفروج النساء فقال إنك مؤذن تؤذن في رمضان قبل طلوع الفجر قال صدقت وجاء رجل آخر فقال رأيت كأنني أصعب الزيت في الزيتون فقال إن كان تحنك جارية اشتريتها فتمش عن حالها فان أمك سييت في صفر لك لأن الزيتون أصل الزيت فهو يرد إلى الأصل فنظر فإذا جاريته كانت أمه وقد سييت في صفره وقال له آخر رأيت كأنني ألق الله الدر في أعناق الخنازير فقال إنك تعلم الحكمة غير أهلها فكان كما قال والتعبير من أوله إلى آخره أمثال تعرفك طريق ضرب الأمثال وإنما نفي بالمثل أداء المعنى في صورة إن نظر إلى معناه وجده صادقا وإن نظر إلى صورته وجده كاذبا فلمؤذن إن نظر إلى صورة الخاتم والحنم به على الفروج رآه كاذبا فإنه لم يغم به قط وإن نظر إلى معناه وجده صادقا إذ صدر منه روح الحنم ومعناه وهو الشح الذي يراد الحنم له وليس لأنبياء أن يتكلموا مع الخلق إلا بضرب الأمثال لأنهم كفوا أن يكلموا الناس على قدر عقولهم وقدر عقولهم أنهم في النوم والنائم لا يكشف له عن شيء إلا بمثل فاذا ماتوا انتبهوا وعرفوا أن التل صادق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن» (٢) وهو من التل الذي لا يقفه إلا العالمون فأما الجاهل فلا يجاوز قدره فظاهر التل الجاهل بالتفسير الذي يسمى تأويلا كما يسمى تفسير ما يرى من الأمثلة في النوم تعبيرا فيثبت لله تعالى يدا وأصعبا، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . وكذلك في قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته» (٣) فإنه لا ينهم من الصورة إلا اللون والشكل والهيئة فيثبت لله تعالى مثل ذلك، تعالى الله عن قوله علوا كبيرا . ومن ههنا زل من زل في صفات الهيئة حتى في الكلام وجعلوه صوتا وحرفا إلى غير ذلك من الصفات والقول فيه يطول وكذلك قد ورد في أمر الآخرة ضرب أمثلة يكذب بها اللحد بمحمود نظره على ظاهر التل وتناقضه عنده كقول صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح فيثور للحد الأحق ويكذب» (٤) ويستدل به على كذب الأنبياء ويقول بأدب أن الله الموت عرض والكبش جسم فكيف يغلب العرض جسما وهل هذا إلا إجمال ولكن الله تعالى عزله هؤلاء الحق عن معرفة أسرارهم فقال - وما يعقلها إلا العالمون - ولا يدري السكين أن من قال رأيت في منامي أنه جى بكبش وقيل هذا هو الوباء الذي في البلد وذبح فقال العبر صدقت والأمير كما رأيت وهذا يدل على أن هذا الوباء ينقطع ولا يعود قط لأن

- (١) حديث الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا لم أجده مرفوعا وإنما يرمي إلى علي بن أبي طالب
- (٢) حديث قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن تقدم (٣) حديث إن الله خلق آدم على صورته تقدم (٤) حديث يؤتى بالموت يوم القيامة في صورة كبش أملح فيذبح متفق عليه من حديث أبي سعيد .

ومن فئة المبالغات  
الهم إلى أعوذ بك من  
شر ماعلت وشر عالم  
أعلم وأعوذ بك من  
شر حمى وبصرى  
ولساني وقلي اللهم إني  
أعوذ بك من القسوة  
والغلظة والذل والسكينة  
وأعوذ بك من الفقر  
والكفر والشقاق  
والشقاق والنفاق وسوء  
الأخلاق وضيق  
الأرزاق والسمة  
والرياء وأعوذ بك من  
الصمم والبكم والجنون  
والجذام والبرص وحائر  
الأسقام، اللهم إني أعوذ  
بك من زوال نعمتك  
ومن تحويل عاقبتك  
ومن فجأة همتك ومن  
جميع سخطك، اللهم  
إني أسألك الصلاة على

للدبوح وقع اليأس منه فإن للمبر صادق في تصديقه وهو صادق في رؤيته وترجع حقيقة ذلك إلى أن اللوكل بالرويا وهو الذي يطلع الأرواح عند النوم على ما في اللوح المحفوظ عرفة بما في اللوح المحفوظ يتأمل ضربه له لأن التأمل إنما يحتمل المثال فكأن مثاله صادق وكان معناه صحيحا فالرسل أيضا إنما يكلمون الناس في الدنيا وهي بالإضافة إلى الآخرة نوم فيوصلون للعاني إلى أفهامهم بالأمثلة حكمة من الله ولطفًا بعباده وتيسيرًا لإدراك ما يجوزون عن إدراكه دون ضرب للقل قوله يؤتى بالموت في صورة كبش أملح مثال ضربه ليوصل إلى الأفهام حصول اليأس من الموت وقد جبلت القلوب على التأثر بالأمثلة وثبوت للعاني فيها بواسطتها ولذلك عبر القرآن بقوله كن فيكون عن نهاية القدرة وغير صلى الله عليه وسلم بقوله «قلب الزمن بين أصابع الرحمن» عن سرعة التقلب . وقد أشرنا إلى حكمة ذلك في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات فلترجع الآن إلى الغرض فالمقصود أن تعريف توزع الدرجات والدرجات على الحسنات والسيئات لا يمكن إلا بضرب المثال فلفظهم من للقل الذي نضربه معناه لاصورته . فقول : الناس في الآخرة ينقسمون أصنافا وتتفاوت درجاتهم ودرجاتهم في السعادة والشقاوة تفاوتًا لا يدخل تحت الحصر كما تفاوتوا في سعادة الدنيا وشقاوتها ولا تغارق الآخرة في هذا المعنى أصلا ألبته فإن مدبر الملك والملكوت واحدا لا يترك له وسسته الصادرة عن إرادته الأزلية مطردة لا تبدل لها إلا أنابن هجرتا عن إحصاء أحاد الدرجات فلا يجز عن إحصاء الأجناس . فقول الناس ينقسمون في الآخرة بالضرورة إلى أربعة أقسام هالكين وممذنين وناجين وقائرين . ومثاله في الدنيا أن يستولى ملك من الملوك على إقليم يقتل بعضهم فهم المهلكون ويعذب بعضهم مدة ولا يقتلهم فهم الممذبون ويغنى بعضهم فهم الناجون ويخلع على بعضهم فهم الفائزون فإن كان للملك عادلا لم يقسمهم كذلك إلا باستحقاق فلا يفتل إلا جاحدا لاستحقاق الملك معاندا له في أصل الدولة ولا يجذب إلا من قصر في خدمته مع الاعتراف بملكه وعلو درجته ولا يغنى إلا مترفًا له رتبة الملك لكنه لم يقصر لعباد ولم يخدم ليلخلع عليه ولا يخلع إلا من أبى عمره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي أن تكون خلق الفائزين متفاوتة الدرجات بحسب درجاتهم في الخدمة وإهلاك المهلكين إما تخفيفا بحز الرقية أو تسكيلا بالثقة بحسب درجاتهم في العاندة وتعذيب الممذبين في الحقة والشدة وطول المدة وقصرها وأنواعها واختلافها بحسب درجات تخصيرهم فتقسم كل رتبة من هذه الرتب إلى درجات لأخصى ولا تنحصر فكذلك فافهم أن الناس في الآخرة هكذا يتفاوتون فمن هالك ومن ممذب مدة ومن ناج يحمل في دار السلامة ومن فائز والفائزون ينقسمون إلى من يعملون في جنات عدن وأجنات المأوى وأجنات الفردوس والممذبون ينقسمون إلى من يذب قليلا وإلى من يذب ألف سنة إلى سبعة آلاف سنة وذلك آخر من يخرج من النار (١) كما ورد في الخبر وكذلك المهلكون الأيسون من رحمة الله تتفاوت درجاتهم وهذه الدرجات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعها عليها : الرتبة الأولى وهي رتبة المهلكين . يعني المهلكين الأيسين من رحمة الله تعالى إذ الذي قتله الملك في القتال الذي ضربناه آيس من رضا الملك وإكرامه فلا تغفل عن معاني المثال وهذه الدرجة لا تكون إلا للجاحدين والمرضين للشجردين للدنيا المذبذبين باقه ورسله وكتبه فإن السعادة الأخروية في القرب من الله والنظر إلى وجهه وذلك لا يتألا أصلا إلا بالمعرفة التي يبرعها

عهد وعلى آله وأسألك  
من الحسير كله عاجله  
وأجله ما علمت منه  
وما لم أعلم وأعوذ بك  
من الشر كله عاجله  
وأجله ما علمت منه  
وما لم أعلم وأسألك الجنة  
وما قرب إليها من قول  
وعمل وأعوذ بك من  
النار وما قرب إليها من  
قول وعمل وأسألك  
ما أسألك عبدك ونيك  
عهد صلى الله عليه  
وسلم وأستعذك مما  
استعاذك منه عبدك  
ونيك محمد صلى الله  
عليه وسلم وأسألك  
ما قضيت لي من أمر أن  
تجعل عاقبته رشدا  
ترحمك يا أرحم  
الرحمين يا حي يا قيوم  
ترحمك أستغث

(١) حديث إن آخر من يخرج من النار يذب سبعة آلاف سنة الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة بسند ضعيف في حديث قال فيه وأطولهم مكانا فيه مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة .

بالإيمان والتصديق والجاهدون هم للسكران والسكرانون هم الآيسون من رحمة الله تعالى أبدالاً بهم  
وهم الذين يكذبون رب العالمين وبأنبيائه المرسلين إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا محالة وكل  
محبوب عن محبوبه فمحول بينه وبين ما يشبهه لا محالة فهو لا محالة يكون محترقاً نار جهنم نار العراق  
ولذلك قال العارفون ليس خوفنا من نار جهنم ولا رجاؤنا للورع والعين وإنما مطالبنا للقاء ومهرتنا  
من الحجاب فقط ، وقالوا من يبعد الله بعوض فهو لئيم كأن يبعد الله بطلب جنته أو لحوف ناره بل  
العارف يبعد لذاته فلا يطلب إلا ذاته فقط ، فأما الحور العين والقواكه فقد لا يشبهها وأما النار  
فقد لا يتقها إذ نار العراق إذا استولت ربما غلبت النار المحرقة للأجسام ، فإن نار العراق نار الله  
الوقدة التي تطلع على الأفق ونار جهنم لا تشغل لها إلا مع الأجسام وألم الأجسام تستحرق مع ألم القواد  
ولذلك قيل :

وفي فؤاد الحب نار جوى أمر نار الجحيم أبردها

ولا ينبغي أن تنكر هذا في عالم الآخرة إذ له نظير مشاهد في عالم الدنيا قد رؤى من غلب عليه الوجد  
فدا على النار وعلى أصول القصب الجارحة للقدم وهو لا يحس به لقرط غلبة ما في قلبه وبزرى الفضبان  
يستولى عليه الغضب في القتال فتصيه جراحات وهو لا يشعر بها في الحال لأن الغضب نار في القلب  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الغضب قطعة من النار »<sup>(١)</sup> واحتراق القواد أشد من احتراق  
الأجسام والأعد يطل الإحساس بالأضغف كما أراه فليس الهلاك من النار واليف إلا من حيث إنه  
يفرق بين جزئين يرتبط أحدهما بالآخر برابطة التأليف الممكن في الأجسام فالذي يفرق بين القلب  
وبين محبوبه الذي يرتبط به برابطة تأليف أشد إحكاماً من تأليف الأجسام فهو أشد إيلاهما إن  
كنت من أرباب البصائر وأرباب القلوب ولا يبعد أن لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الألم ويستحقه  
بالإضافة إلى ألم الجسم فالصبي لو خير بين ألم الحرمان على السكر والصولجان وبين ألم الحرمان عن  
رتبة السلطان لم يحس بألم الحرمان عن رتبة السلطان أصلاً ولم يمد ذلك ألماً وقال العدو في البلدان  
مع الصولجان أحب إلى من ألف سرير للسلطان مع الجلوس عليه ، بل من قلبه شهوة البطن  
لو خير بين الهريسة والخلواء وبين فصل جميل يقهر به الأعداء ويفرح به الأصدقاء لأثر الهريسة  
والخلواء ، وهذا كله لقد العنى الذي بوجوده يصير الجاه محبوباً بوجود العنى الذي بوجوده يصير  
الطعام للذيذا وذلك لمن استرقت صفات البهائم والسباع ولم تظهر فيه صفات اللائكة التي لا ياسبها ولا  
يلد لها إلا القرب من رب العالمين ولا يؤلمها إلا البعد والحجاب وكما لا يكون الذوق إلا في اللسان والسمع  
إلا في الآذان فلا تكون هذه الصفة إلا في القلب ، فمن لا قلب له ليس له هذا الحس كمن لا سمع له ولا  
بصر ليس له لذة الأكل وحسن الصور والألوان وليس لكل إنسان قلب ولو كان لمصاحبه قوله تعالى  
- إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب - فجعل من لم يذكر بالقرآن مفلساً من القلب ، ولست أعنى  
بالقلب هذا الذي تتكف به عظام الصدر ، بل أعنى به السر الذي هو من عالم الأمور وهو اللحم الذي  
هو من عالم الخلق وعرشه والصدر كرسية وسائر الأعضاء عاله ومملكته والله الخلق والأمر جميعاً ،  
ولكن ذلك السر الذي قال الله تعالى فيه - قل الروح من أمر ربى - هو الأمير والملك لأن بين  
عالم الأمر وعالم الخلق ترتيباً وعالم الأمر أمير على عالم الخلق وهو اللطيفة التي إذا صلت صلت لها  
سائر الجسد من عرفها فقد عرف نفسه ومن عرف نفسه فقد عرف ربه وعند ذلك يتم العبد  
مبادئ روائع العنى للطوى تحت قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله خلق آدم على صورته » ونظر بعين  
(١) حديث الغضب قطعة من النار الترمذى من حديث أبي سعيد نحوه وقد تقدم .

لا تسكنى إلى قصى  
طرفة عين وأصلح لى  
شأنى حكه يأنور  
السموات والأرض  
يا جمال السموات  
والأرض يا عماد  
السموات والأرض  
يا بديع السموات  
والأرض إذا الجلال  
والاكرام يا صريح  
السنن يا غوث  
الستين يا منتهى  
رغبة الراغبين  
والفرح عن الكرويين  
والروح عن الندوميين  
وجيب دعوة  
الضطرين وكشف  
السوء وأرحم الراحمين  
والله العالمين منزل  
بك كل حاجة يا أرحم  
الراحمين اللهم استر  
عورائى وآمن روعائى

الرحمة إلى الحاملين له على ظاهر لفظه وإلى الله... في طريق تأويله ، وإن كانت رحمته للحاملين على اللفظ أكثر من رحمته للمتسقين في التأويل لأن الرحمة على قدر الصية ومصيبة أولئك أكثر وإن اشتركوا في مصيبة الحرمان من حقيقة الأمر فالحقيقة فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وهي حكته يخصص بها من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ، ولتعد إلى الفرض فقد أرخينا الطول وطولنا النفس في أمر هو أعلى من علوم المعلمات التي قصدتها في هذا الكتاب فقد ظهر أن رتبة الهلاك ليس إلا للجهال للسكدين ، وشهادة ذلك من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لا تدخل تحت الحصر فذلك لم نوردنا . الرتبة الثانية : رتبة للمذنبين وهذه رتبة من تحلى بأصل الإيمان ولكن قصر في الوفاء بقتضائه فان رأس الإيمان هو التوحيد وهو أن لا يجبد إلا الله ومن اتبع هواه فقد أخذ إلهه هواه فهو موحد بلسانه لا بالحقيقة بل بمعنى قولك لا إله إلا الله معنى قوله تعالى - قل الله ثم ذرم في خوضهم يلعبون - وهو أن تذر بالسكينة غير الله ، ومعنى قوله تعالى - الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا - ولما كان الصراط المستقيم الذي لا يكل التوحيد إلا بالاستقامة عليه أدق من الشمر وأحد من السيف مثل الصراط للوصوف في الآخرة فلا ينفك بشر عن ميل عن الاستقامة ولو في أمر يسير إذ لا يغلو عن اتباع الهوى ولو في فصل قليل وذلك قاصح في كمال التوحيد بقدر ميله عن الصراط المستقيم فذلك يقتضي لاحالة نقصانا في درجات القرب ومع كل نقصان تاركان تار الفراق لذلك السكال القاتل بالنقصان وتار جهنم كالوصفها القرآن فيكون كل مائل عن الصراط المستقيم معذبا مرتين من وجهين ، ولكن شدة ذلك العذاب وخفته وتفاوته بحسب طول اللذة إنما يكون بسبب أمرين : أحدهما قوة الإيمان وضعفه ، والثاني كثرة اتباع الهوى وقلته وإذ لا يغلو بشر في غالب الأمر عن واحد من الأمرين قال الله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا - ولذلك قال الخائفون من السلف : إنما خوفنا لأننا نيقنا أنا على النار واردون وشكنا في النجاة ، ولما روى الحسن الخبر الوارد فيمن يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادي يا حنان يا منان<sup>(١)</sup> قال الحسن باليتي كنت ذلك الرجل . واعلم أن في الأخبار ما يدل على أن آخر من يخرج من النار بعد سبعة آلاف سنة وأن الاختلاف في اللذة بين اللحظة وبين سبعة آلاف سنة درجات متفاوتة من اليوم والأسبوع والشهر وسائر الدد وأن الاختلاف بالشدة لانهاية لأعلاه وأدناه التعذيب بالمناقشة في الحساب كأن الملك قد يذب بعض القصرين في الأعمال بالمناقشة في الحساب ثم يعفو وقد يضرب بالسباط وقد يذب بنوع آخر من العذاب وينتقل إلى العذاب اختلاف ثالث في غير اللذة والشدة وهو اختلاف الأنواع إذ ليس من يذب بمصادرة المسال فقط كمن يذب بأخذ المسال وقتل الولد واستباحة الحرم وتمذيب الأقارب والضرب وقطع اللسان واليد والأنف والأذن وغيره ، فهذه الاختلافات ثابتة في عذاب الآخرة دل عليها فواطع الشرع وهي بحسب اختلاف قوة الإيمان وضعفه وكثرة الطاعات وقتها وكثرة السيئات وقتها . أما عدة العذاب فبشدة قبح السيئات وكثرتها وأما كثرته فبكثرتها وأما اختلاف أنواعه فباختلاف أنواع السيئات وقد انكشف هذا لأرباب القلوب مع شواهد القرآن بنور الإيمان وهو المعنى بموله تعالى - وما ربك بظلام للعبيد - وبقوله تعالى - اليوم نجزي كل نفس

وأفلى عثراني ، اللهم احفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي ، اللهم - م إلى ضيف تقو في رضاك ضمني وخذ إلى الخير بناصيتي واجعل الإسلام منهي راضي ، اللهم إلى ضيف قدوتي اللهم إلى دليل فأعزني ، اللهم إلى قدير فأغثني برحمتك يا أرحم الراحمين ، اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فأعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فأغفر لي ذنوبي ، اللهم إني أسألك إيمانا ييسر قلبي وقيتنا صادقا حتى أعلم

(١) حديث من يخرج من النار بعد ألف عام وأنه ينادي يا حنان يا منان أحمد وأبو يعلى من رواية أبي ظلال الترمذي عن أنس وأبو ظلال ضيف واسمه هلال بن ميمون .

بما كسبت - ويقول تعالى - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - ويقول تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - إلى غير ذلك مما ورد في الكتاب والسنة من كون العقاب والثواب جزاء على الأعمال وكل ذلك يعدل لظلم فيه وجانب العفو والرحمة أرجح ، إذ قال تعالى فيها أخبر عنه نبينا صلى الله عليه وسلم « سبقت رحمتي غضبي »<sup>(١)</sup> وقال تعالى - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما - فإذن هذه الأمور الكلية من ارتباط الدرجات والدرجات بالحسنات والسيئات معلومة بقواطع الشرع ونور المعرفة ، فأما التفصيل فلا يعرف إلا غلطا ومستنده ظواهر الأخبار ونوع حدس يستمد من أنوار الاستبصار بين الاعتبار. فتقول: كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع القرائن : أعنى الأركان الخمسة ولم يكن منه إلا صفائر متفرقة لم يجر عليها فينبه أن يكون عذابه الناقصة في الحساب فقط فإنه إذا حوسب رجعته حسنة على سيئاته إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمس والجمعة وصوم رمضان كفارات لسيئاتهن ، وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفر للصغائر وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن يدفع الحساب وكل من هذا حاله قد تقلت موازينه ، فينبغي أن يكون بعد ظهور الرجحان في الزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية ، نعم التحاقه بأصحاب الجنتين أو بالمقرئين وزوله في جنات عدن أوفى الفردوس الأعلى فكذلك يتبع أصناف الإيمان ، لأن الإيمان إيمانان تقليدي كإيمان العوام يصدقون بما يشتمون ويستمررون عليه ، وإيمان كسفي يحصل بانسراح الصدر بنور الله حتى يكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه فيتضح أن الكل إلى الله مرجعه ومصيره إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله ، فهذا الصنف هم القريبون النازلون في الفردوس الأعلى وهم على غاية القرب من اللاأ الأعلى وهم أيضا على أصناف فتمهم السابقون ومنهم من دولهم ، وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى ودرجات المعارف في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر إذا الإحاطة بكنهه جلال الله غير ممكنة وبعمق المعرفة ليس له ساحل وعمق وإنما يخص فيه التواصون بقدر قوامه وبقدر ماسبق لهم من الله تعالى في الأزل ، فالطريق إلى الله تعالى لانهائية لمنازله فالسالكون سبيل الله لانهائية لدرجاتهم . وأما المؤمن إيمانا تقليديا فهو من أصحاب الجنتين ودرجته دون درجة القريبين وهم أيضا على درجات فالأعلى من درجات أصحاب الجنتين تقارب رتبته رتبة الأدنى من درجات القريبين ، وهذا حال من اجتنب كل الكبائر وأدى القرائن كلها : أعنى الأركان الخمسة التي هي النطق بكلمة الشهادة باللسان والصلاة والزكاة والصوم والحج ، فأما من ارتكب كبيرة أو كبائر أو أهمل بعض أركان الإسلام فإن تاب توبة نصوحا قبل قرب الأجل التحق بمن لم يرتكب لأن التائب من الذنب كمن لا ذنب كمن لا ذنب له والثواب المقسول كالتقى لم يتوسخ أصلا وإن مات قبل التوبة فهذا أمر مخظر عند الموت إذ ربما يكون موته على الإصرار سببا للزول لإيمانه فيختل له بسوء الخاتمة لاسيا إذا كان إيمانه تقليديا ، فإن التقليد وإن كان جزما فهو قابل للاختلال بأدنى شك وخيال والمعارف البصير أبعد أن يخاف عليه سوء الخاتمة ، وكلاهما إن ماتا على الإيمان يذببان إلا أن يخفو الله عذابا يزيد على عذاب الناقصة في الحساب وتكون كثرة العقاب من حيث المدة بحسب كثرة مدة الإصرار ومن حيث الشدة بحسب قبح الكبائر ومن حيث اختلاف النوع بحسب اختلاف أصناف السيئات وعند انقضاء مدة العذاب ينزل الله المقلدون في درجات أصحاب الجنتين والمعارفون المستبصرون في أعلى عليين ،

(١) حديث سبقت رحمتي غضبي مسلم من حديث أبي هريرة .

أنه لن يصيبني إلا ما كتب لي والرضا بما قسمت لي إذا الجلال والاكرام اللهم بإهداي المضلين وبارحهم المذنبين ومقبل عزة العائرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم جمعين واجعلنا مع الأحباء المرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصدقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين اللهم عالم الخفيات رفيع الدرجات تلقى الروح بأمرك على من تشاء ومن عبادك غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذا الطول لإله إلا هو أنت الوكيل

ففي الخبر « آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف <sup>(١)</sup> » فلا تظن أن المراد به تقديره بالساحة لأطراف الأجسام كأن يقابل فرسخ بفرسخين أو عشرة بشعرين فإن هذا جهل بطريق ضرب الأمثال بل هذا كتول القائل أخذ منه جملا وأعطاه عشرة أمثاله وكان الجمل يساوي عشرة دنائير فأعطاه مائة دينار فإن لم يفهم من لثلث إلا لثلث في الوزن والثقل فلا تكون مائة دينار لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة الأخرى عشر عشرة بل هو موازن لثمنها في الأجسام وأرواحها دون أشخاصها وهياكلها فإن الجمل لا يقصد لثمنه وطوله وعرضه ومساحته بل لما لثمنه فروجه السالية وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة أمثاله الموازنة الروحية لا بالموازنة الجسدية وهذا صادق عند من يعرف روح السالية من الذهب والفضة بل لو أعطاه جوهرة وزنها مثقال قيمتها مائة دينار وقال أعطيتني عشرة أمثاله كان صادقا ولكن لا يدرك صدقه إلا الجوهريون فإن روح الجوهرة لا تدرك بمجرد البصر بل بفتنة أخرى وراء البصر فذلك يكذب به الصبي بالقرودى والدوى ويقول ماهذه الجوهرة إلا حجر وزنه مثقال ووزن الجمل ألف مثقال فقد كذب في قوله إني أعطيتني عشرة أمثاله والكاذب بالتحقيق هو الصبي ولكن لاسيلا إلى تحققي ذلك عنده إلا بأن ينتظر به البلوغ والكمال وأن يحصل في قلبه النور الذي يدرك به أرواح الجواهر وسائر الأموال فنصدق ذلك بنكشف له الصدق والمعارف عاجز عن تفهيم الثقل القاصر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الموازنة إذ يقول صلى الله عليه وسلم « الجنة في السموات <sup>(٢)</sup> » كما ورد في الأخبار والسموات من الدنيا فكيف يكون عشرة أمثال الدنيا في الدنيا وهذا كما يعجز البالغ عن تفهيم الصبي تلك الموازنة وكذلك تفهيم الدوى وكما أن الجوهري مرحوم إذا بلى بالدوى والقرودى في تفهيم تلك الموازنة فالعارف مرحوم إذا بلى بالبلد الأبله في تفهيم هذه الموازنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « ارحموا ثلاثة عالمين الجهال وغنى قوم افتقر وعزير قوم ذبل <sup>(٣)</sup> » والأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا السبب ومقاساتهم لقصور عقول الأمة فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله انتفاء الأزل وهو اللقي بقوله عليه الصلاة والسلام « البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل <sup>(٤)</sup> » فلا تظن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام وهو الذي ينزل بالبدن فإن بلاء نوح عليه السلام أيضا من البلاء العظيم إذ بلى بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه إلى الله إلا فرارا ولذلك لما تأذى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكلام بعض الناس قال « رحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر <sup>(٥)</sup> » فاذن لا تخلو الأنبياء عن الابتلاء بالجاهدين ولا تخلو الأولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين ولذلك قلنا ينفك الأولياء عن ضروب

(١) حديث إن آخر من يخرج من النار يعطى مثل الدنيا كلها عشرة أضعاف متفق عليه من حديث ابن مسعود (٢) حديث كون الجنة في السموات خ من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فيه فاذا سألتهم الله فاسألوه القردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن (٣) حديث ارحموا ثلاثة عالمين الجهال الحديث ابن حبان في الضعفاء من رواية عيسى بن طهمان عن أنس وعيسى ضيف ورواه فيه من حديث ابن عباس إلا أنه قال عالم ثلاثة أصناف به الصبيان وفيه أبو البختري وإمامه وهب بن وهب أحد السكنايين (٤) حديث البلاء موكل بالأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل الترمذي وصححه والنسائي في الكبرى وابن ماجه من حديث سعد بن أبي وقاص وقال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء فذكره دون ذكر الأولياء ولطبراني من حديث فاطمة أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون الحديث (٥) حديث رحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر البخاري من حديث ابن مسعود .

وإليك الصبر يا من لا يشغله شأن عن شأن ولا يشغله صمغ عن صمغ ولا تشبهه عليه الأصوات ويا من لا تقاطعه السائل ولا تختلف عليه اللغات ويا من لا يشتم بالجاح الملحين أدقنى برد عفوك وحلاوة رحمتك اللهم إني أسألك قلبا سليما ولسانا صادقا وغملا متقبلا أسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفر لك لما تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب . اللهم إني أسألك إيمانا لا يرتد ونعما لا ينفذ وقرة عين الأبد ومراقة نيك حمد وأسألك حبك

من الأبداء وأنواع البلاد الأخرى من البلاد والسعاية بهم إلى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين وواجب أن يكون أهل للفرقة عند أهل الجبل من الكافرين كما يجب أن يكون للناس من الجبل الكبير جوهره صغيرة عند الجاهلين من البفرون للضيق. فإذا عرفت هذا فاعلم أن ما من بقوله عليه الصلاة والسلام «إنه يعطى آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات» وإياك أن تقتصر بتصدقك على ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين لأن الحمار يشارك في الحواس الخمس وإنما أنت مفارق للحمار بسرا إلى عرض على السموات والأرض والجبال فأين أن يحمله وأنفق منه فإدراك ما يخرج عن عالم الحواس الخمس لا يصادف إلا في عالم ذلك السر الذي فارت به الحمار وسائر البهائم فمن ذهل عن ذلك وعطله وأهمله وقنع بدرجة البهائم ولم يجاوز الحسوس فهو الذي أهلك نفسه بتعطيلها ونسبها بالإعراض عنها فلا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم فكل من لم يعرف إلا المدرك بالحواس فقد نسي الله إذ ليس ذات الشهدى كما في هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسي الله أنساه الله لامحالة نفسه ونزل إلى رتبة البهائم وترك الترقى إلى الألفى والأعلى وخان في الأمانة التي أودعه الله تعالى وأنعم عليه كافر الأئمة ومتعرضا لفتنة إلهائه أسوأ حال من البهيمة فإن البهيمة تتخلص بالموت. وأما هذا فعنده أمانة مترجع لامحالة إلى مودعها فإليه مرجع الأمانة ومصيرها واثبت الأمانة كالشمس الزاهرة وإنما هي ط إلى هذا القالب الثاني وغربت فيه وتطلع هذه الشمس عند خراب هذا القالب من مغربها وتعود إلى بارئها وخالقها بإمظلمة منكسة وإما زاهرة مشرقة. والزهرة المشرقة غير محبوبة عن حضرة الربوبية والمظلمة أيضا راجعة إلى الحضرة إذ المرجع والمصير لكل إليه إلا أنها ناكسة رأسها عن جهة أعلى عليين إلى جهة أسفل سافلين ولذلك قال تعالى - ولوترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم - فيبين أنهم عند ربهم إلا أنهم منكوسون قد اعتلبت وجوههم إلى أفتيتهم وانتكست رؤوسهم عن جهة فوق إلى جهة أسفل وذلك حكم الله فيمن حرمه توفيقه ولم يهده طريقه، فتعود باله من الضلال والتزلزل إلى منازل الجبال فهذا حكم اتسام من يخرج من النار ويعطى مثل عشرة أمثال الدنيا أو أكثر ولا يخرج من النار إلا موحد. ولست أعنى بالوحيد أن يقول بلسانه لا إله إلا الله فإن اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينع إلى عالم الملك فيدفع السيف عن رقبته وأيدي الغافلين عن ماله ومدة الرقبة والمال مدة الحياة طحت لا تبقى رقبة ولا مال لا ينع القول باللسان وإنما ينع الصدق في التوحيد وكما التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله. وعلمته أن لا ينضب على أحد من الخلق بما يجري عليه إذ لا يرى الوسائط وإنما يرى سبب الأسباب كما سيأتى تحقيقه في التوكل وهذا التوحيد متفاوت في الناس من لاهن التوحيد مثل الجبال. ومنهم من له متقال ومنهم من له مقدار خردلة وذرة. فمن في قلبه متقال دينار من إيمان فهو أول من يخرج من النار. وفي الخبر يقال «أخرجوا من النار من في قلبه متقال دينار من إيمان» (١) وآخر من يخرج من في قلبه متقال ذرة من إيمان وما بين المتقال والذرة على قدر تفاوت درجاتهم يخرجون بين طبقة المتقال وبين طبقة الذرة والموازنة بالمتقال والذرة على سبيل ضرب المثل كما ذكرنا في الموازنة بين أعيان الأموال وبين النفود وأكثر ما يدخل المحدث النار مظالم العباد فديوان العباد هو الديوان الذي لا يترك فأما بقية السبب فيستارع العقو والتكبير إليها في الأثر إن البعد ليوقف بين يدي الله تعالى وله من الحسنات أمثال الجبال لو سلمت له لكان من أهل الجنة يقوم أصحاب المظالم فيكون قد سبب عرض هذا وأخذ مال هذا وضرب هذا فيقضى من حسناته حتى لا تبقى له حسنة، فتقول

(١) حديث أخرجه من النار من في قلبه متقال دينار من إيمان الحديث تقدم.

وحب من أحبك  
وحب عمل يقرب إلى  
حبك . اللهم بطفك  
الطيب وقدرتك على  
خلقك أحسن ما كانت  
الحياة خيرا لي وتوفى  
ما كانت الوفاة خير لي  
أسألك خفيشك في  
الطيب والشهادة وكلة  
العدل في الرضا والظن  
والقصد في النفي والفر  
وللة النظر إلى  
وجهك والشوق إلى  
لقائك وأعوذ بك من  
ضراء مضرة وقتة  
مضلة . اللهم اقم لي  
من خشيتك ما أعول  
به بيني وبين مصيبتك  
ومن طاعتك ما يدخلني  
جنتك ومن اليقين  
ماتهمون به علينا  
مصائب الدنيا . اللهم  
ارزقنا حزن خوف

للاشكة ياربنا هذا قد فُتحت حسناته وبقى طالبون كثير فيقول الله تعالى : ألقوا من سيئاتهم على سيئاته وسكوا له صكا إلى النار وكما يهلك وبسطة غيره بطريق التماس فكذلك ينجم للظلم بحسنة الظالم إذ ينقل إليه عوضا عما ظلم به وقد حكى عن ابن الجلاء أن بعض إخوانه اغتابه ثم أرسل إليه يستحله فقال لا أمل ليس في صحيفتي حسنة أفضل منها فكيف أمحوها وقال هو غير مذنب بإخواني من حسناتي أريد أن أزين بها صحيفتي فهذا ما أردنا أن نذكره من اختلاف العباد في العاد في درجات السعادة والشقاوة وكل ذلك حكم بظاهر أسباب يضاهي حكم الطبيب على مريض بأنه يموت لاهماله ولا يقبل العلاج وعلى مريض آخر بأن عارضه خفيف وعلاجه هين فإن ذلك ظن يصيب في أكثر الأحوال ولكن قد تنوق إلى الشرف على المهلاك نفسه من حيث لا يشمر الطبيب وقد يساق إلى ذى العارض الخفيف أجله من حيث لا يطلع عليه وذلك من أسرار الله تعالى الخفية في أرواح الأحياء وغموض الأسباب التي رتبها مسبب الأسباب بقدر معلوم إذ ليس في قوة البشر الوقوف على كنهها فكذلك النجاة والفوز في الآخرة لهما أسباب خفية ليس في قوة البشر الاطلاع عليها جبر عن ذلك السبب الخفي النقي إلى النجاة بالغو والرضا وعمما يغضى إلى المهلاك بالنصب والانتقام ووراء ذلك سر للشيئة الإلهية الأزلية التي لا يطلع الخلق عليها فذلك يجب علينا أن نجوز الغو عن العاصي وإن كثرت سيئاته الظاهرة والنصب على الطيب وإن كثرت طاعاته الظاهرة فإن الاعتدال على التقوى والتقوى والقوى في القلب وهو أغمض من أن يطلع عليه صاحبه فكيف غيره . ولكن قد انكشف لأرباب القلوب أنه لا هغو عن عبد إلا بسبب خفي فيه يقتضى الغو ولا غضب إلا بسبب باطن يقتضى البعد عن الله تعالى ولولا ذلك لم يكن الغو والنصب جزاء على الأعمال والأوصاف ولولا يكن جزاء لم يكن عدلا ولولا يكن عدلا لم يصح قوله تعالى - وما ربك بظلال للبعد - ولا قوله تعالى - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وكل ذلك صحيح فليس للانسان إلا ما سمى وسعيه هو الذي يرى وكل نفس بما كسبت رهينة فلا زاعوا أزاع الله قلوبهم ولما غيروا ما بأنفسهم غير الله ما بهم تحقيقا لقوله تعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وهذا كله قد انكشف لأرباب القلوب انكشافا واضحا من الشاهدة بالبصر إذ البصر يمكن الغلط فيه إذ قد يرى البعيد قريبا والكبير صغيرا ومشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها وإنما الشأن في اختناج بصيرة القلب وإلا فبارى بها بعد الاختناج فلا يتصور فيه الكذب وإليه الإشارة بقوله تعالى - ما كذب الفؤاد ما رأى - . الرتبة الثالثة : رتبة التاجين وأعلى بالنجاة السلامة فقط دون السعادة والفوز وهم قوم لم يخدموا فيخلق عليهم ولم يقصروا فيعذبوا وشبه أن يكون هذا حال المجانين والصييان من الكفار والمنتهيين والذين لم تبلغهم الدعوة في أطراف البلاد وعاشوا على البله وعدم المعرفة فلم يكن لهم معرفة ولا جود ولا طاعة ولا مصيبة فلا وسيلة تفريقهم ولا جنابة تبعدهم فقام من أهل الجنة ولأهل النار بل ينزلون في منزلة بين المنزلتين ومقام بين المقامين عبر الشرع عنه بالأعراف وحلول طاهة من الخلق<sup>(١)</sup> فيه معلوم يقينا من الآيات والأخبار

(١) حديث حول طائفة من الخلق الأعراف البراز من حديث أبي سعيد الخدري مثل رسول الله صل الله عليه وسلم عن أصحاب الأعراف فقال هم رجال قتلوا في سبيل الله وهم عصاة لأبائهم فمنهم الشهادة أن يدخلوا النار ومنعهم العصية أن يدخلوا الجنة وهم على سور بين الجنة والنار الحديث وفيه عبد الرحمن بن زيد بن أسلم وهو ضعيف ورواه الطبراني من رواية أبي معشر عن يحيى بن شبل عن عمر بن عبد الرحمن المدني عن أبيه مختصرا وأبو معشر ينجح السندى ضعيف ويحيى ابن شبل لا يعرف وللحاكم عن حذيفة قال أصحاب الأعراف قوم تجاوزت بهم حسناتهم النار

الوعد وسرور رجاء للوعد حتى نجد لغة ما نطلب وخوف مامنه نهرب اللهم ألبس وجوهنا منك الحياء واملأ قلوبنا بك فرحا وأسكن في قلوبنا من عظمتك مهابة وذلل جوارحنا لخدمتك واجعلك أحب إلينا مما سواك واجعلنا أختى لك ممن سواك نسألك تمام النعمة بتمام التوبة ودوام العافية بدوام الصمة وأداء الشكر بحسن العبادة اللهم إني أسألك بركة الحياة وخير الحياة وأعوذ بك من شر الحياة وشر الوفاة وأسألك خير ما بينهما أحيى حياة

ومن أنوار الاعتبار فأما الحكم على العبد كالحكم مثلاً بأن الصبيان منهم فهذا مطلق وليس بمستقيم والاطلاع عليه تخفياً في عالم النبوة ويسعد أن ترتقي إليه رتبة الأولياء والعلماء والأخبار في حق الصبيان أيضاً متعارضة حتى قالت عائشة رضي الله عنهن لمعات بعض الصبيان عصفور من عصفائر الجنة فأفسرك ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وما يدريك (١) فاذن الاشكال والاشتباه أغلب في هذا المقام . الرتبة الرابعة : رتبة الفائزين وهم المارفون دون القديين وهم القربون السابقون فان القدي وإن كان له فوز على الجملة بمقام في الجنة فهو من أصحاب اليقين وهؤلاء هم القربون وما يلي هؤلاء مجاوز حد البيان والقدر الممكن ذكره ماضيه القرآن فليس بعد بيان الله بيان والذي لا يمكن التعبير عنه في هذا العالم فهو الذي أجمله قوله تعالى - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين - وقوله عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر والمارفون مطلبي تلك الحالة التي لا يتصور أن تخطر على قلب بشر في هذا العالم . وأما الحور والقصور والفاكهة واللبن والعسل والمجر والحلى والأساور فاتهم لا يحرمون عليها ولو أعطوها لم يقنعوا بها ولا يطلبون إلا الله النظر إلى وجهه الله تعالى الكريم فهي غاية السعادة ونهاية اللذات

وقصرت ميثاقهم عن الجنة الحديث وقال صحيح على شرط الشيخين وروى الثعلبي عن ابن عباس قال الأعراف موضع عال في الصراط عليه العباس وحجرة على وجعفر الحديث هذا كذب موضوع وفيه جماعة من الكذابين (١) حديث عائشة أنها قالت لمعات بعض الصبيان عصفور من عصفائر الجنة فأفسرك ذلك وقال ما يدريك رواه مسلم قال الصف والأخبار في حق الصبيان متعارضة . قلت روى البخاري من حديث حمزة بن جندب في رؤيا التي صلى الله عليه وسلم وفيه وأما الرجل الطويل الذي في الروضة فأبراهيم عليه السلام وأما الولدان حوله فكل مولود يولد على الفطرة قبل يارسل الله وأولاد للشر كين قال وأولاد للشر كين وللطبراني من حديثه سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أولاد للشر كين فقال هم خدمة أهل الجنة وفيه عباد بن منصور الناجي قاضي البصرة وهو ضعيف برويه عن عيسى بن شعيب وقد ضعفه ابن حبان ولفنساني من حديث الأسود ابن سريع كذا في غزاة لنا الحديث في قتل الدرية ، وفيه ألا إن خياركم أبناء للشر كين ثم قال لا تقتلوا ذرية وكل نسمة تولد على الفطرة الحديث وإسناده صحيح ، وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة كل مولود يولد على الفطرة الحديث وفي رواية لأحمد ليس مولود يولد إلا على هذه الملة ولأبي داود في آخر الحديث فقالوا يارسل الله أفرايت من يموت وهو صغير فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وفي الصحيحين من حديث ابن عباس سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أولاد للشر كين فقال الله أعلم بما كانوا عاملين وللطبراني من حديث ثابت بن الحرث الأنصاري كانت يهود إذا هلك لهم صبي صغير قالوا هو صديق فقال النبي صلى الله عليه وسلم كذبت يهود ما من نسمة يخلفها الله في بطن أمه إلا أنه شق أو سعيد الحديث وفيه عبد الله بن لهيعة ولأبي داود من حديث ابن مسعود الوائدة والمودعة في النار وله من حديث عائشة قلت يارسل الله ذراري المؤمنين فقال مع آياتهم قلت بل يعمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت بل يعمل قال مع آياتهم قلت بل يعمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين وللطبراني من حديث خديجة قلت يارسل الله أين أطفائي منك قال في الجنة قلت بل يعمل قال الله أعلم بما كانوا عاملين قلت فأين أطفائي قبلك قال في النار قلت بل يعمل قال لقد علم الله ما كانوا عاملين وإسناده منقطع بين عبد الله بن الحرث وخديجة وفي الصحيحين من حديث الصعب بن جثامة في أولاد المشركين من آياتهم وفي رواية هم منهم .

السعداء حياة من تحب بقاءه وتوفى وفاة الشهداء وفاة من تحب لبقائه ياخير الرازيين وأحسن التوابين وأحكم الحاكمين وأرحم الراحمين ورب العالمين ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارحم ما خلقت واغفر ما قدرت وطيب ما رزقت وتمم ما أنعمت وتقبل ما استعملت واحفظ ما استخففت ولا تهتك ما سترت فإنه لا إله إلا أنت أستغفرك من كل لذة بغير ذكرك ومن كل راحة بغير ذكرك ومن كل خدمتك ومن كل سرور بغير ذكرك ومن كل فرح بغير ذكرك من كل

ولذلك قيل لراية العبودية رحمة الله عليها كيف رغبتك في الجنة قتالت الجار ثم الدار فهو لا يقوم  
شغلهم حب رب الدار عن الدار وزيتها بل عن كل شيء . سواء حتى عن أنفسهم ومثلهم مثال العاشق  
للسهرت بمشوقه السنوي همه بالنظر إلى وجهه والفكر فيه فانه في حال الاستراق غافل عن نفسه  
لا يحس بما يصيبه في بدنه ويبر عن هذه الحالة بأنه فني عن نفسه ومعناه أنه صار مستغرقا بغيره  
وصارت همومه بها واحدا وهو محبوبه ولم يبق فيه متسع لتبر محبوبه حتى يلفظت إليه لافسه ولاغير  
نفسه وهذه الحالة هي التي توصل في الآخرة إلى قررة عين لا يتصور أن تخطر بباله في هذا العالم على قلب جسر  
كما لا يتصور أن تخطر صورة الألوان والألحان على قلب الأصم والأكمه إلا أن رفع الحجاب عن صممه  
وبصره فعند ذلك يدرك حاله ويحس قطعا أنه لم يتصور أن تخطر بباله قبل ذلك صورته قاله نباحجاب  
على التحقيق ورفعه ينكشف الغطاء فعند ذلك يدرك ذوق الحياة الطيبة وإن الدار الآخرة لمسى  
الحيوان لو كانوا يلمون فهذا القدر كاف في بيان توزيع الدرجات على الحسنات والله الوفي بلفظه .  
( بيان ما تعظم به الصفات من الذنوب )

اعلم أن الصغيرة تكبر بأسباب . منها الاصرار والواظبة ولذلك قيل لاصغير فمع اصرار ولا كبيرة مع  
استغفار فكبيرة واحدة تنصرم ولا يتبعها مثلبا لو تصور ذلك كان الفوق عنها أرجى من صغيرة يواظب  
العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تنبع على الحجر على توال فتؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب  
عليه دفعة واحدة لم يؤثر ولذلك قال رسول الله ﷺ « خير الأعمال أدومها وإن قل » (١) ، والأشياء  
تستبان بأعدادها وإن كان النافع من العمل هو الدائم وإن قل فالكبير للنصرم قبل النفع في تنوير  
القلب وتطهيره فكذلك القليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام القلب إلا أن الكبيرة قلما  
يتصور الهجوم عليها بفتنة من غير سوابق ولواحق من جملة الصفات قلما يرنى الزاني بفتنة من غير  
مراودة ومقدمات وقلما يقتل بفتنة من غير مشاحنة سابقة ومعاداة فكل كبيرة تستكشفها صفات  
سابقة ولا حقة ولو تصورت كبيرة وحدها بفتنة ولم يتفق إليها عود بما كان الفوقها أرجى من صغيرة  
واظب الانسان عليها عمره . ومنها أن يستنصر الذنب فإن الذنب كلما استنظمه العبد من نفسه  
صغر عند الله تعالى وكما استنصره كبر عند الله تعالى لأن استنظامه يصدر عن تقور القلب عنه  
وكراهيته له وذلك النور يمنع من شدة تأثيره به واستنظامه يصدر عن الالف به وذلك يوجب شدة  
الأثر في القلب والقلب هو الما لوب توربه بالطاعات والهندور تسويده بالسيئات ولذلك لا يؤاخذ بما  
يجرى عليه في الفعلة فإن القلب لا يتأثر بما يجري في الفعلة وقد جاء في الخبر « المؤمن يرى ذنبه كالجبل  
فوقه يخاف أن يقع عليه والنافق يرى ذنبه كذباب مر على أنفه فأطارده » (٢) وقال بعضهم الذنب  
الذي لا يغير قول العبد ليت كل ذنب عمله مثل هذا وإنما يعظم الذنب في قلب المؤمن لعله يحلل  
الله فإذا نظر إلى عظم من عصى به رأى الصغيرة كبيرة وقد أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تنظر  
إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر إلى كبرياء من واجهته بها  
وهذا الاعتبار قال بعض العارفين لاصغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة وكذلك قال بعض الصحابة

شغل بغير معاملتك  
اللهم إني أستغفرك من  
كل ذنب ثبت إليك  
منه ثم عدت فيه اللهم  
إني أستغفرك من كل  
عقد عقدته ثم لم أوف  
به اللهم إني أستغفرك  
من كل نعمة أنعمت  
بها على فقويت بها على  
معصيتك اللهم إني  
أستغفرك من كل عمل  
عملته لك غلظا لم يس  
لك اللهم إني أسألك أن  
تصلي على محمد وعلى  
آل محمد وأسألك  
جوامع الخير وفوائده  
وخوائمه وأعوذ بك من  
جوامع الشر وفوائده  
وخوائمه اللهم احفظنا  
فيا أمرتنا واحفظنا  
عما نهيتنا واحفظ لنا  
ما أعطيتنا يا حافظ

- (١) حديث خير الأعمال أدومها وإن قل متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحب وقد تقدم
- (٢) حديث المؤمن يرى ذنبه كالجبل فوقع البخاري من رواية الحرث بن سويد قال حدثنا  
عبد الله بن مسعود حديثين أحدهما عن النبي صلى الله عليه وسلم والآخر عن نفسه فذكر هذا  
وحديثه أنه أفرح بتوبة العبد ولم يبين المرفوع من الموقوف وقد رواه البيهقي في الشعب من هذا  
الوجه موقوفا ومرقوفا .

رضى الله عنهم للتائبين إنكم لتعملون أعمالاً هي في أعينكم أدق من الشعر كنا نعتدا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اللواتح إذ كانت معرفة الصغائر بجلال الله أمم فكانت الصغائر عندهم بالاضافة إلى جلال الله تعالى من الكبائر وبهذا السبب يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل ويتجاوز عن العاصي في أمور لا يتجاوز في أمثاله عن العارف لأن الذنب والمخالفة يكبر بقدر معرفة المخالف . ومنها السرور بالصغيرة والفرح والتبجح بها واعتداد الشخص من ذلك نعمة والنفقة عن كونه سبب الشقاوة فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت الصغيرة وعظم أثرها في تسويد قلبه حتى إن من الذنوب من يتمدح بذنبه ويتبجح به لشدة فرحه بتقاربه إياه كما يقول أمارأيتني كيف مزقت عرصة ويقول الناظر في مناظرته أمارأيتني كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى أخجلته وكيف استغفرت به وكيف لبست عليه ويقول العامل في التجارة أما رأيت كيف روجت عليه الرفاف وكيف خدعته وكيف غبت في ماله وكيف استحقته فهذا وأمثاله تكبر به الصغائر فإن الذنوب مهلكات وإذا دفع العبد إليها وظفر الشيطان به في الحبل عليها فينبغي أن يكون في مصيبة وتأسف بسبب غلبة العدو عليه وبسبب بعده من الله تعالى فالمرضى الذي يفرح بأن ينسكر إناءه الذي فيه دواؤه حتى يتخلص من ألم شره لا يرجى شفاؤه . ومنها أن يهاون بستر الله عليه وحله عنه وإهماله إياه ولا يدري أنه إنما يعمل مقنا ليزداد بالإهمال إنما فيظن أن تمكنه من المعاصي غناية من الله تعالى به فيكون ذلك لأمنه من مكر الله وجهله بكناس القور بالله كما قال تعالى - ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول حسبهم جهنم يصلونها فبئس المرسلون إنما يأتي الذنب ويظهره بأن يذكره بعد إتيانه أو يأتيه في مشهد غيره فان ذلك جنايته على ستر الله الذي سده عليه وتحريك لرغبة الترفيعين أبعده ذنبه أو أشده فله فيما جنايتان اضمنا إلى جنايته فطلعت به فان انضاف إلى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل عليه وتهمة الأسباب له صارت جناية رابعة وتضاعفت الأمر وفي الخبر « كل الناس معافي إلا المجاهرين ببيت أحدهم على ذنب قد ستره الله عليه فيصبح فيكشف ستر الله ويتحدث بذنبه (١) » وهذا لأن من صفات الله ونعمه أنه يظهر الجليل ويستر القبيح ولا يهتك السر فلا يظهر كفران لهذه النعمة . وقال بعضهم لا تذب فإن كان ولا بد فلا ترغب غيرك فيه فتذب ذنبين ولذلك قال تعالى - للناقصون والشاقيات بعضهم من بعض يأمرون بالنسك ويهتدون عن العروف - وقال بعض السلف ما تهتك الرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصيته يهونها عليه . ومنها أن يكون للذنب عالما يقتدى به فإذا فعله بحيث يرى ذلك منه كبر ذنبه كلبس العالم الأبريسم وركوبه مراكب الذهب وأخذ مال الشبهة من أموال السلاطين ودخوله على السلاطين وتردده عليهم ومساعدته إياهم بترك الانسكار عليهم وإطلاق اللسان في الأعراس وتدب باللسان في المناظرة وقصده الاستخفاف واشتغاله من العلوم ولا يصدده إلا الجلاء كعلم الجدول والمناظرة فهذه ذنوب يتبع العالم عليها فيحوت العالم ويريث شره مستطير إلى العالم آماداً مطاوله فطوبى لمن إذا مات ماتت ذنوبه معه وفي الخبر « من سن سنة سيئة ضلها وزرعا ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيء (٢) » قال تعالى - ونكتب ما قدموا وآثارهم - والآثار ما يبق من الأعمال بعد انقضاء العمل والعامل وقال ابن عباس ويل للعالم من الأتباع زل زلة فيرجع عنها ويحملها الناس فيذهبون بها في الآفاق وقال بعضهم

(١) حديث كل الناس معافي إلا المجاهرين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ كل أمي وقد تقدم (٢) حديث من سن سنة سيئة ضلها وزرعا ووزر من عمل بها الحديث مسلم من حديث جرير بن عبد الله وقد تقدم في آداب الكسب .

الحافظين وبالله  
الذاكرين وبالله  
الشاكركين بذكرك  
ذكروا وبفضلك  
شكروا يا غياث يا من  
يا مستغاث يا غياث  
الستين لا تنكح إلى  
نفس طرفه عين  
فأهلك ولا إلى آدم  
خلق فأمنع الكائن  
كلالة الوليد ولا عل  
عنى وتولى مما تتولى به  
عبادك الصالحين أنا  
عبدك وابن عبدك  
ناصر يدك جار في  
حكك عدل في  
أضالك نافذ في مشيتك  
إن تعذب فأهل ذلك  
أنا وإن رحم فأهل  
ذلك أنت فاقبل اللهم  
بأمولاي يا الله يارب  
مأنت له أهل ولا تفعل

مثل زلة العالم مثل انكسار السفينة تفرق ويغرق أهلها . وفي الاسرائيليات : إن طالما كان يضل الناس بالبدعة ثم أدركته توبة فصل في الإصلاح دهرها فأوحى الله تعالى إلى نبيه قل له إن ذنبك لو كان فيا بيني وبينك لغفرت لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادي فأدخلتهم النار . فهذا يتضح أن أمر العلماء خطير فليهم وظيقتان : إحداها ترك الذنوب والأخرى إغفالهم وكثافتهم أوزارهم على الذنوب فكذلك يتضاعف ثوابهم على الحسنات إذا اتبعوا فإذا ترك التجمد والليل إلى الدنيا وقع منها باليسر ومن الطعام بالقوت ومن الكسوة بالخلق فيتبع عليه ويتدى بالعطاء والعموم فيكون له مثل ثوابهم وإن مال إلى التجمد عالت طباع من دونه إلى التشبه به ولا يقدر على التجمد إلا بمخمة السلاطين وجمع الحطام من الحرام ويكون هو السبب في جميع ذلك فخر كات العلماء في طوري الزيادة والتقصان تتضاعف آثارها إما بالربع وإما بالحران وهذا القدر كاف في تفاصيل الذنوب التي التوبة توبة عنها .

### ( الركن الثالث في تمام التوبة وشروطها ودوامها إلى آخر العمر )

فد ذكرنا أن التوبة عبارة عن ندم يورث عزما وقصدا وذلك الندم أورهه العلم بكون المعاصي حائلا بينه وبين محبوبه ولكل واحد من العلم والندم والعزم دوام وتتمام وتساميها علامة وقد وادها شروط فلا بد من بيانها . أما العلم فالعقل فيه نظر في سبب التوبة وسببها . وأما الندم فهو توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلاوته طول الحسرة والحزن وانكساب اللمع وطول البكاء والمكره في استنصر عقوبة نازلة بولسه أوبعض أعزته طال عليه مصيبته وبكاؤه وأى عزير أعز عليه من نفسه وأى عقوبة أشد من النار وأى شيء أدل على نزول العقوبة من المعاصي وأى خبر أصدق من الله ورسوله ولوحده إنسان واحد يسمى طبيبا أن مرض ولده للربض لا يبرأ وأنه سيموت منه لطال في الحال حزنه فليس ولده بأعز من نفسه ولا الطبيب بأعلم ولا أصدق من الله ورسوله ولا الموت بأشد من النار ولا الربض بأدلى على الموت من المعاصي على سحق الله تعالى والتعرض بها للعار فألم الندم كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى فسلامة محبة الندم رقة القلب وغزارة اللمع وفي الخبر « جالسوا التوابين فاتهم أرق أفئدة <sup>(١)</sup> » ومن علامته أن تمكن مرارة تلك الذنوب في قلبه بدلا عن حلاوتها فيستبدل بالميل كراهية وبالرغبة نفرة . وفي الاسرائيليات : إن الله سبحانه وتعالى قال لبعض أنبيائه وقد سأله قبول توبة عبد بعد أن اجتهد سنين في العبادة ولم يرقبول توبته فقال وعزتي وجلالي لو شفع فيه أهل السموات والأرض ما قبلت توبته وحلاوة ذلك الذنب الذي تاب منه في قلبه . فإن قلت فالذنوب هي أعمال مشبهة بالطبع فكيف يجد مرارتها ؟ فأقول من تناول عسلا كان فيه سم ولم يدركه الذوق واستلته ثم مرض وطال مرضه وألمه وتآثر شره وفلجت أعضاؤه فإذا قدم إليه عسل فيه مثل ذلك السم وهو في غاية الجوع والشهوة للحلاوة فهل تنفر عنه ذلك العسل أم لا ؟ فإن قلت لافيه وجد للشاهدة والضرورة بل ربما تنفر عن العسل الذي ليس فيه سم أيضا تشبه به وجدان التائب مرارة الذنب كذلك يكون وذلك لعله بأن كل ذنب فذوقه ذوق العسل وعمله عمل السم ولا يصح التوبة ولا تصدق إلا بتخل هذا الإيمان ولما عز مثل هذا الإيمان عزت التوبة والتائبون فلا يرى إلا معرضا عن الله تعالى منها ونا بالذنوب مصرعا عليها فهذا شرط تمام الندم ويغني أي بدوام إلى الموت

(١) حديث جالسوا التوابين فاتهم أرق أفئدة لم أجده مرفوعا وهو من قول عون بن عبد الله وهو ابن أبي الدنيا في التوبة قال جالسوا التوابين فإن رحمة الله إلى التائب أقرب وقال أيضا قالوا عظمة إلى قلوبهم أسرع وهم إلى الرقة أقرب وقال أيضا التائب أسرع دمة وأرق قلبا .

اللهم يارب يا الله  
ما أنا له أهل إنك أهل  
التقوى وأهل الغفرة  
يا من لا تحضره الذنوب  
ولا تنقصه الغفرة هب  
لي ملا يضررك وأعطني  
ملا ينقصك ياربنا  
أفرغ علينا صبرا  
وتوفنا مسلحين توفي  
مسلمنا وألحقني  
بالصالحين أنت ولينا  
فاغفر لنا وارحمنا وأنت  
خير الغافرين ربنا  
عليك توكلنا وإليك  
أئبنا وإليك الصبر  
ربنا اغفر لنا ذنوبنا  
وإسرافنا في أمرنا  
وثبت أقدامنا وانصرنا  
على القوم السكاقرين  
ربنا آتنا من لدنك  
رحمة وهي لنا من  
أمرنا وشيئا ربنا

ويبنى أن يجد هذه الرارة في جميع التوب وإن لم يكن قد ارتكبها من قبل كما يجد متناول السم في السمل التفرة من الماء البارد مهما علم أن فيه مثل ذلك السم إذ لم يكن ضرره من السمل بل بما فيه ولم يكن ضرر التائب من مرقته وزناه من حيث إنه سرقة وزنا بل من حيث إنهم من مخالفة أمر الله تعالى وذلك جاز في كل ذنب . وأما القصد الذي ينبعث منه وهو إرادة التدارك لله تعالى بالحال وهو واجب ترك كل مجفون هو ملابس له وأداء كل فرض هو متوجه عليه في الحال وله تعلق بالماضي وهو تدارك ما فرط وبالمستقبل وهو دوام الطاعة ودوام ترك العصية إلى الموت . وشروطهما فيما يتعلق بالماضي أن يرد فكره إلى أول يوم بلغ فيه بالنسب أو الاحتلام وينقش عما مضى من عمره سنقة وشهر اشهرها ويوما ويوما ونفسا ونفسا وينظر إلى الطاعات المأثية قصر فيه منها وإلى المعاصي المأثية قارفة منها فإن كان قد ترك صلاة أو صلاها في ثوب نجس أو صلاها بنية غير صحيحة لجله بشرط التوبة فيقضيه عن آخرها فإن شك في عدد ما فاتته منها حسب من مدة بلوغه وترك القدر الذي يستيقن أنه أداه ويقضى الباقي وله أن يأخذ فيه بفالظن ويصل إليه على سبيل التحري والاجتهاد . وأما الصوم فإن كان قد تركه في سفر ولم يقضه أو أفطر عمدا أو نسي التوبة بالليل ولم يقض فيتعرف بمجموع ذلك بالتحري والاجتهاد ويستقل بقضائه ، وأما الزكاة فيحسب جميع ماله وعدد السنين من أول ملكه لا من زمان البلوغ فإن الزكاة واجبة في مال الصبي فيؤدى ما علم بفالظن أنه في ذمته فإن أدله لا يوجب موافق مذهبه بأن لم يصرف إلى الأصناف الثمانية أو أخرج البدل وهو على مذهب الشافعي رحمه الله تعالى فيقض جميع ذلك فإن ذلك لا يجزئه أصلا وحساب الزكاة ومعرفة ذلك يطول ويحتاج فيه إلى تأمل شاف ويؤمره أن يسأل عن كيفية الخروج عنه من العلماء . وأما الحج فإن كان قد استطاع في بعض السنين ولم يتفق له الخروج والآن قد أقفل ضايه الخروج فإن لم يقدر مع الإفلاس فعليه أن يكتب من الخلال قدر الزاد فإن لم يكن له كسب ولا مال فعليه أن يسأل الناس أن يصرف إليه من الزكاة أو الصدقات ما يجزئ به فانه إن مات قبل الحج مات عاصيا قال عليه السلام « مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا وإن شاء نصرانيا » (١) والعجز الطارئ بعد القدرة لا يسقط عنه الحج فهذا طريق تفتيشه عن الطاعات وتداركها . وأما المعاصي فيجب أن يفكش من أول بلوغه عن صممه ويصرم لسانه ويظنه ويدهور جله وفرجه وسائر جوارحه ثم ينظر في جميع أيامه وساعاته ويفصل عند نفسه ديوان معاصيه حتى يطلع على جميعها صفاتها وكبارها ثم ينظر فيها فما كان من ذلك بينه وبين الله تعالى من حيث لا يتلحق بظلمة البقاء كنظر إلى غير محرم وقعود في مسجد مع الجناة ومس مصحف بتبر وضوء واعتقاد بدعة وشرب خمر وجماع ملاء وغير ذلك مما لا يتلحق بعظام العباد فالقوبة عنها بالدم والتحرر عليها بأن يحسب مقدارها من حيث الكبر ومن حيث لذة وبطل لكل معصية منها حسنة تناسبها فيأتي من الحسنات بمقدار تلك السيئات أخذا من قوله بالحق « اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها » (٢) بل من قوله تعالى - إن الحسنات يذهبن السيئات - فيكفر جماع اللاهي بجماع القرآن وبجماع الذكر ويكفر القعود في المسجد جنباً بالاعتكاف فيه مع الاشتغال بالعبادة ويكفر من الصفح بمحذات كرام الصفح وكثرة قراءة القرآن منه وكثرة تقييله بأن يكتب مصحفاً ويعمله وقفا ويكفر شرب الخمر بالتصدق بمراب حلال هو أحليبه منه وأحب إليه وعد جميع المعاصي غير يمكن وأما التصود سلوك

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا الحديث تقدم في الحج (٢) حديث اتق الله حيث كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها الترمذي من حديث أبي ذر وصححه وتقدم أوله في آداب الكسب وبضه في أوائل التوبة وتقدم في رياضة النفس .

آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وارزقنا العون على الطاعة والعصمة من المعصية وإفراغ الصبر في الخدمة وإبداع الشكر في النعمة وأسألك حسن الخاتمة وأسألك اليقين وحسن المعرفة بك وأسألك المحبة وحسن التوكل عليك وأسألك الرضا وحسن الثقة بك وأسألك حسن القلب إليك اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصلح أمة محمد اللهم ارحم أمة محمد اللهم فرج عن أمة محمد فرجا عاجلا ربنا اغفر

الطريق الضادة فإن المرض يبالغ بضده فكل ظلة ارتفعت إلى القلب بمصيبة فلا يعلوها إلا نور يرتفع إليها بحسنة تضادها والتضادات هي التناقضات فذلك ينبغي أن تحي كل سببة محنة من جنسها لكن تضادها فإن البياض يزال بالسواد بالحرارة والبرودة وهذا التدرج والتحقيق من التلطيف طريق المحو فالرجاء فيه أصدق والثقة به أكثر من أن يواظب على نوع واحد من العبادات وإن كان ذلك أيضاً مؤثراً في المحو فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى . وبدل على أن الله يكفر بضده أن حب الدنيا رأس كل خطيئة وأثر اتباع الدنيا في القلب السرور بها والحنين إليها فلا جرم كان كل أذى يصيب المسلم يربو بسببه قلبه عن الدنيا ليكون كفارة له إذ القلب يتجاف بالمصوم والقوم عن دار المصوم قال صلى الله عليه وسلم « من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا المصوم » وفي لفظ آخر « إلا المصم يطلب العيشة » وفي حديث عائشة رضي الله عنها « إذا كثرت ذنوب العبد ولم تكن له أعمال تكفرها أدخل الله تعالى عليه المصوم فتكون كفارة ذنوبه » ويقال إن المصم الذي يدخل على القلب والبدل لا يعرف هو ظلة الذنوب والمصم بها وشعور القلب بوقفة الحساب وهو الطلع . فان قلت هم الإنسان غالباً بما له وولده وجاعه وهو خطيئة فكيف يكون كفارة . فاعلم أن الحب له خطيئة والحرام عنه كفارة ولو تمت به لغت الخطيئة فقد روي أن جبريل عليه السلام دخل على يوسف عليه السلام في السجن فقال له كيف تركت الشيخ الكتيب فقال قد حزن عليك حزن مائة شكلى قال فما له عند الله قال أجرمته شهيد فأذن المصوم أيضاً مكفرات حقوق الله فهذا حكم ما بينه وبين الله تعالى . وأما مظالم العباد فيها أيضاً مصيبة وجناية على حق الله تعالى فإن الله تعالى نهى عن ظلم العباد أيضاً فباعتق منه بحق الله تعالى تداركه بالندم والتعسر وترك مثله في المستقبل والاتباع بالحسنات التي هي أضعافها فيقابل إبداءه الناس بالاحسان إليهم ويكفر غضب أموالهم بالصدق بملكه الحلال ويكفر تناول أعراضهم بالقيمة والقدح فيهم بالثناء على أهل الدين وإظهار ما يعرف من خصال الخير من أقرانه وأمثاله ويكفر قتل النفوس باعتناق الرقاب لأن ذلك إحياء إذ العبد مفقود لنفسه موجود لسببه والاعتناق بالإجماع لا يقدر الإنسان على الأكثر منه فيقابل الأعداء بالإجماع وبهذا تصرف أن ما ذكرناه من سلوك طرق الضادة في التكفير وهو مشهود له في الشرع حيث كفر القتل باعتناق رقبته ثم إذا فعل ذلك كله لم ينجم له مكفره ما لم يخرج عن مظالم العباد ومظالم العباد إما في النفوس والأموال والأعراض والقلوب أعني به الإبداء المحض . أما النفوس فإن جرى عليه قتل خطأ فتوبته بتسليم الدية ووصولها إلى المستحق إمامته أو من عاقبته وهو في عهدة ذلك قبل الوصول وإن كان عمداً موجبا لقتصاص فيالقتصاص فإن لم يعرف فيجب عليه أن يتعرف عند ولي الدم وعهده في روحه فإن شاء عفا عنه وإن شاء قتله ولا تسقط عهدة الإيهذا ولا يجوز له الإخفاء وليس هذا كاللوزي أو شرب أو سرق أو قطع الطريق أو باشر ما يجب عليه فيه حد الله تعالى فإنه لا يلزمه في التوبة أن يفضح نفسه ويهتك ستره ويلتمس من الوالي استيفاء حق الله تعالى بل عليه أن يستتر بستر الله تعالى ويقيم حد الله عليه نفسه بأشكال أنواع المجاهدة والتعذيب فالغفوة في محض حقوق الله تعالى قرب من للتائبين التاميين فإن رفع أمر هذه إلى الوالي حتى أقام عليه الحد وقع موقع مقيم تكون توبته صحيحة مقبولة عند الله تعالى بدليل ما روي « أن ما عزم مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لنا ولا خواتنا الذين  
سبقونا بالأيمان ولا  
تجعل في قلوبنا غلا  
لذين آمنوا ربنا إنك  
رهوف رحيم اللهم  
اغفر لي ولوالدي وللمن  
تولدا وارحمهما كما  
ربياني صغيرا واغفر  
لأعمامنا وعماتنا  
وأخواننا وخالاتنا  
وأزواجنا وفدائنا  
ولجميع المؤمنين  
والمؤمنات والمسلمين  
والمسلمات الأحياء  
منهم والأموات وأرحم  
الراحمين يا خير القاهرين  
ولما كان الدعاء من  
العبادة أحبنا أن  
نستوفي من ذلك فيما  
صالحا نرجو بركته  
وهذه الأدعية  
استخرجها الشيخ

- (١) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها إلا المصوم وفي لفظ آخر إلا المصم في طلب العيشة طس وأبو نعيم في الحلية والخطيب في التلخيص من حديث أبي هريرة بسند ضعيف تقدم في التسكاح
- (٢) حديث إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له أعمال تكفرها أدخل الله عليه الصوم وتقدم أيضاً في التسكاح وهو عند أحمد من حديث عائشة بلفظ ابتلاه الله بالحنن .

فقال يارسول الله إني ظلمت نفسي وزينيت وإني أريد أن تطهرني فرده فلما كان من القدر أناه  
فقال يارسول الله إني قد زينت فرده الثانية فلما كان في الثالثة أمر به لحفر له حفرة ثم أمر بفرجم  
فكان الناس فيه فريقين قاتل يقول لقد هلك وأحاطت به خطيئته وقاتل يقول ما توبة أصدق من  
توبته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد تاب توبة لو قسمت بين أمة لو ستمت (١) وجاءت  
الغامدية فقالت « يارسول الله إني قد زينت فطهرني فردها فلما كان من القدر الثالث يارسول الله إني أردني  
لعلك تريد أن تردني كما رددت ماعزاً فوالله إني لحبلى فقال صلى الله عليه وسلم أما الآن فأذهبي حتى  
تضمي فلما ولدت أنت بالصبي في حفرة قالت هذا قد ولدته قال اذهبي فأرضعيه حتى تظلمه فلما فطمته  
أنت بالصبي وفي يده كسرة خبز قالت يا بني الله قد فطمته وقد أكل الطعام فدفعت الصبي إلى رجل من  
السليين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها وأمر الناس فرجموها فأقبل خالد بن الوليد بمحجر فرمى  
رأسها فتضخ الدم على وجهه فسبحا فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبه إياها فقال مهلاً يا خالد  
فو الذي نفسي بيده لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس كفر له ثم أمر بها ففصل عليها ودفنت (٢) .  
وأما القصاص وحده القذف : فلا بد من تحليل صاحبه المستحق فيه وإن كان للتناول مالا تناوله  
بغصب أو خيانة أو غبن في معاملة بنوع تلبس كترويج زائف أو ستر عيب من البيع أو قمع أجره  
أجبر أو منع أجرته فكل ذلك يجب أن يغشى عنه لا من حد بلوغه بل من أول مدة وجوده فإن  
ما يجب في مال الصبي يجب على الصبي إخراج به البوغ إن كان الولي قد قصر فيه فإن لم يفعل كان  
ظالماً مطالبا به إذ يستوى في الحقوق المالية الصبي والبالغ ولعاصب نفسه على الحيات والسواقي من  
أول يوم حياته إلى يوم توبته قبل أن يعاصب في القيامة وليناقض قبل أن يناقض فمن لم يعاصب نفسه  
في الدنيا طال في الآخرة حسابه فإن حصل مجموع ما عليه بظن غالب ونوع من الاجتهاد يمكن فليكتبه  
وليكتب أسامى أصحاب الظلم واحدا واحدا وليظف في نواحي العالم وليطاهم وليسئلهم أو يؤد  
حقوقهم وهذه التوبة تشق على الظلمة وعلى التجار فاتهم لا يقدر على طلب للماملين كلهم ولا على  
طلب ورثتهم ولكن على كل واحد منهم أن يغفل منه ما يقدر عليه فإن عجز فلا يبقى له طريق  
إلا أن يكثر من الحسنات حتى تنفيش عنه يوم القيامة فتؤخذ حسناته وتوضع في موازين أرباب  
الظلم ولنسكن كثرة حسناته بقدر كثرة مظالمه فإنه إن لم تنف بها حسناته حمل من السيئات أرباب  
الظالم فهلك بسببها غيره فهذا طريق كل تائب في رد الظالم وهذا يوجب استغراق العمر في الحسنات  
لو طال العمر بحسب طول مدة الظلم فكيف وذلك مما لا يعرف وربما يكون الأجل قريبا فينبغي  
أن يكون تشميره للحسنات والوقت ضيق أشد من تشميره الذي كان في المعاصي في مقاسع الأوقات  
هذا حكم للظالم الثابت في ذمته . أما أمواله الحاضرة فليرد إلى المالك ما يعرف له مال كالميتة وما لا يعرف  
له مال كالفدية أن يتصدق به فإن اختلط الحلال بالحرام فليعلم أنه يعرف قدر الحرام بالاجتهاد ويتصدق  
بذلك المقدار كما سبق تفصيله في كتاب الحلال والحرام . وأما الجناية على القلوب بمشاهدة الناس  
بما يسوؤهم أو يبيهم في النية فيطلب كل من تعرض له بلسانه أو آذى قلبه بفعله من أفضاله وليستحل  
واحدا واحدا منهم ومن مات أو غاب فقد فات أمره ولا يتدارك إلا بشكثير الحسنات فتؤخذ منه  
عوضا في القيامة وأما من وجدته وأحله بطيب قلب منه فذلك كفرته وعليه أن يعرفه قدر جنايته

(١) حديث اعتراف ماعز بالزنا ورده صلى الله عليه وسلم حتى اعترف أربعا وقوله لقد تاب توبة  
الحديث مسلم من حديث بريدة بن الحصب (٢) حديث الغامدية واعترافها بالزنا وردها وقوله صلى  
الله عليه وسلم : لقد تابت توبة الحديث مسلم من حديث بريدة وهو بعض الذي قبله .

أبو طالب المسكين رحمه  
الله في كتابه قوت  
القلوب وعلى قلبه كل  
الاعتقاد وفي البركة  
فليدع بهذه الدعوات  
منفردا أو في الجماعة  
إماما أو مأموما  
ويغصر منها ما يشاء  
[الباب الخمسون في  
ذكر العمل في جميع  
النهار وتوزيع  
الأوقات]

فمن ذلك أن يلازم  
موضعه الذي صلى هو  
فيه مستقبل القبلة إلا  
أن يرى انتقاله إلى  
زاوية أو علم لعينه مثلا  
بحاج إلى حديث  
أو التفت إلى شيء فإن  
السكوت في هذا الوقت  
وترك السلام له أثر  
ظاهر بين يحمده أهل

وتعرض له فلا يستحلل الله ليكني وربما لو عرف ذلك وكثرة تعديه عليه لم تطب نفسه بالاحلال  
 وادخر ذلك في القيامة ذخيرة بأخذها من حسناته أو يحمله من سيئاته فان كان في جملة جنائنه على  
 الغير مالد ذكره وعرفه لتأذي بعرفته كزناه بجاريته أو أهله أو نسبه بالسان إلى عيب من خفايا  
 عيوبه يعظم أذاه مهما شوفه به فقد انسد عليه طريق الاستحلال فليس له إلا أن يستحل منها ثم  
 تبقى له مظلة فليجبرها بالحسنات كما يجبر مظلة الليث والغائب . وأما الذكر والتعريف فهو سيئة  
 جديدة يجب الاستحلال منها ومهما ذكر جنائنه وعرفه المجني عليه فلم تسمع نفسه بالاستحلال  
 بقيت الظلمة عليه فان هذا حقه فليبه أن يتطاف به ويسعى في مهماته وأغراضه ويظهر من  
 حبه والشفقة عليه ما يستميل به قلبه فان الانسان عبد الاحسان وكل من تهر ببينة مال بحسنة  
 فاداب قلبه بكثرة تودده وتلطفه كقدر سعيه في أذاه حتى إذا قام أحداه الآخر أو زاد عليه أخذ ذلك  
 واعتذاره إليه من جملة حسناته التي يمكن أن يجبر بها في القيامة جنائنه وليكن قدر سعيه في فرحه  
 وسروره قلبه بتودده وتلطفه كقدر سعيه في أذاه حتى إذا قام أحداه الآخر أو زاد عليه أخذ ذلك  
 منه عوضا في القيامة بحكم الله به عليه كمن أنلف في الدنيا مالا لجاه يثله فامتنع من له المال من  
 القبول وعن الإبراء فان الحاكم يحكم عليه بالقبض منه شاء أم أبي فكذلك يحكم في صعيد القيامة  
 أحكام الحاكمين وأعدل القسطين وفي التنقي عليه من الصحيحين عن أبي سعيد الخدري أن نبي الله  
 صلى الله عليه وسلم قال « كان فيمن كان قلبكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا فسأل عن أعلم  
 أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فقال إنه قتل تسعة وتسعين نفسا فهل له من توبة ؟ قال لا  
 فقتله فشكل به مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فقال له إنه قتل مائة نفس  
 فهل له من توبة ؟ قال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا وكذا فان بها  
 أناسا يعبدون الله عز وجل فاعبد الله معهم ولا ترجع إلى أرضك فانها أرض سوء فانطلق حتى إذا  
 نصف الطريق أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة  
 جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله وقالت ملائكة العذاب إنه لم يعمل خيراً قط فأتاهم ملك في سورة آدمي  
 فجاءوه حكماً بينهم فقاتل قيسوا ما بين الأرضين قال أيهما كان أدنى فهو له فقاموا فوجدوه أدنى  
 إلى الأرض التي أراد قبضته ملائكة الرحمة (١) وفي رواية : فكان إلى القرية الصالحة أقرب  
 منها بشير فجعل من أهلها . وفي رواية : فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تباعدى وإلى هذه أن تقربى  
 وقال قيسوا ما بينهما فوجدوه إلى هذه أقرب بشير فقفر له ، فهذا تعرف أنه لا خلاص إلا برجحان  
 ميزان الحسنات ولو بمقال ذرة فلا بد للتاب من تكثير الحسنات هذا حكم القصد للتعليق بالخامس .  
 وأما الزم للربط بالاستحلال فهو أن يعقد مع الله عقدا مؤكداً وبهده بهمه وثيق أن لا يعود  
 إلى تلك الذنوب ولا إلى أمثالها كالتي يعلم في مرضه أن الفاكهة تضره مثلاً فيعزم عزماً جزمياً  
 أنه لا يتناول الفاكهة مالم يزل مرضه فان هذا الزم بتأكد في الحال وإن كان يتصور أن تغلبه  
 الشهوة في ثاني الحال ولكن لا يكون تائباً مالم يتأكد عزمه في الحال ولا يتصور أن يترك التائب  
 في أول أمره إلا بالعزلة والصمت وقلة الأكل والنوم وإحراز قوت حلال فان كان له مال موروث  
 حلال أو كانت له حرفة يكتسب بها قدر الكفاية فليقتصر عليه فان رأس النامى أكل الحرام  
 فكيف يكون تائباً مع الاصرار عليه ولا يكتفى بالحلال وترك الشبهات من لا يقدر على ترك الشهوات

(١) حديث أبي سعيد الخدري التنقي كان فيمن كان قلبكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً  
 عن أعلم أهل الأرض الحديث هو . تنقي عليه كما قال الصنف من حديث أبي سعيد .

للحاسة وأرباب القلوب  
 وقد ندب رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم إلى  
 ذلك ثم بقر القاعة  
 وأول سورة البقرة في  
 للقلوب والآيتين  
 ولحكم الله الواحدية  
 الكرسي والآيتين  
 بعدها وآمن الرسول  
 والآية قبلها وشهد الله  
 وقال اللهم مالك الملك  
 وإن ربيك الله الذي  
 خلق السموات  
 والأرض إلى المحسنين  
 ولقد جاءكم رسول إلى  
 الآخر وقال ادعوا الله  
 الآيين وآخر الكهف  
 من إن الذين آمنوا  
 وذا التوراة إذ ذهب  
 مضاعف إلى خير الوارثين  
 فسبحان الله حسين  
 تحسون وحين تصبحون

في لأ كولات واللبنسات وقد قال بعضهم من صدق في ترك الشهوة وجاهد نفسه لله سبع مرار لم يبتل بها . وقال آخر من تاب من ذنب واستقام سبع سنين لم يعد إليه أبدا . ومن مهمات التائب إذا لم يكن عالما أن يتعلم ما يجب عليه في المستقبل وما يحرم عليه حتى يمكنه الاستقامة وإن لم يؤثر العزلة له ثم له الاستقامة المطلقة إلا أن يتوب عن بعض الذنوب كالذي يتوب عن الشرب والزنا والغضب مثلا وليست هذه توبة مطلقة وقد قال بعض الناس إن هذه التوبة لاتصح وقال قائلون تصح ولقظ الصحة في هذا القام مجمل بل قول لمن قال لاتصح إن عنت به أن تركه بعض الذنوب لا يفيد أصلا بل وجوده كدمه لما أعظم خطأك فانا نعلم أن كثرة الذنوب سبب لكثرة العقاب وقتها سبب قلته وقول لمن قال تصح إن أردت به أن التوبة عن بعض الذنوب توجب قبولاً يوصل إلى النجاة أو القبول فهذا أيضا خطأ بل النجاة والقبول بترك الجميع هذا حكم الظاهر ولنا شككم في خلاف أسرار عفو الله فان قال من ذهب إلى أنها لاتصح إلى أردت به أن التوبة عبارة عن الندم وإنما يندم على السرقة مثلا لكونها معصية لكونها سرقة ويستحيل أن يندم عليها دون الزنا إن كان توجهه لأجل العصية فان العلة شاملة لها إذ من يتوجه على قتل ولده بالسيف يتوجه على قتله بالسكين لأن توجهه بغوات محبوه سواء كان بالسيف أو بالسكين فكذلك توجه العبد بغوات محبوه وذلك بالعصية سواء عصى بالسرقة أو الزنا فكيف يتوجه على البعض دون البعض فالندم حالة يوجبها العلم بكون العصية مغفوة للمحبوب من حيث إنها معصية فلا يتصور أن يكون على بعض المعاصي دون البعض ولو جاز هذا لجاز أن يتوب من شرب الخمر من أحد الدين دون الآخر فان استحالة ذلك من حيث إن العصية في الخمرين واحد وإنما الدتان ظروف فكذلك أعيان المعاصي آلات للمصير للعصية من حيث مخالفة الأمر واحدة فاذن معنى عدم المصحة أن الله تعالى وعد التائبين رتبة وتلك الرتبة لاتنال إلا بالندم ولا يتصور الندم على بعض التماسات فهو كالمالك المرتب على الإيجاب والقبول فانه إذا لم يتم الإيجاب والقبول يقول إن العقد لا يصح أي لم ترتب عليه الجزاء وهو الملك وتحقق هذا أن ثمرة مجرد التزك أن ينقطع عنه عقاب ما تركه وثمره الندم تكفير ما سبق فترك السرقة لا يكثر السرقة بل الندم عليها ولا يتصور الندم إلا لكونها معصية وذلك يتم جميع المعاصي وهو كلام مفهوم واقع يستنطق بالتصنيف بتفصيل به يكشف الغطاء . فتقول التوبة عن بعض الذنوب لا تغلوا إما أن تكون عن الكبائر دون الصغائر أو عن الصغائر دون الكبائر أو عن كبيرة دون كبيرة . أما التوبة عن الكبائر دون الصغائر فأمراً يمكن لأنه يعلم أن الكبائر أعظم عند الله وأجلب لسخط الله ومقته والصغائر أقرب إلى تطرق العفو إليها فلا يستحيل أن يتوب عن الأعظم ويتقدم عليه كالذي ينجى على أهل الملك وحرمة ويحجى على دابته فيكون خائفاً من الجناية على الأهل مستحقاً للجناية على الدابة والندم بحسب استعظام الذنب واعتقاد كونه بعيداً عن الله تعالى وهذا يمكن وجوده في الشرع فقد كثرت التائبون في الأعصار الحثالي ولم يكن أحد منهم معصوماً فلا تستدعي التوبة المصمة والطبيب قد يحذر المريض العمل تحذيراً شديداً ويحذر السكر تحذيراً أخف منه على وجه يشعر معه أنه ربما لا يظهر ضرر السكر أصلاً فيتوب المريض بقوله عن العمل دون السكر فهذا غير محال وجوده وإن أكلهما جميعاً بحكم شهوته ندم على أكل الفصل دون السكر . الثاني أن يتوب عن بعض الكبائر دون بعض وهذا أيضاً يمكن لاعتقاده أن بعض الكبائر أشد وأغلظ عند الله كالذي يتوب عن القتل والنهب والظلم ومظالم العباد لعله أن ديوان العباد لا يترك وما بينه وبين الله يسارع العفو إليه فهذا أيضاً يمكن كافي تفاوت

وسبحان ربك إلى آخر  
السورة ولقد صدق الله  
وأول سورة الحديد إلى  
بذات الصدور وآخر  
سورة الحنتر من  
لو أنزلنا ثم يسبح ثلاثاً  
وثلاثين وهكذا محمد  
صلواته ويكرمه وشمها  
مائة بلإله إلا الله وحده  
لا شريك له فإذا فرغ  
من ذلك يشغل بتلاوة  
القرآن حفظاً أو من  
المصحف أو يشغل  
بأنواع الأذكار ولا  
يزال كذلك من غير  
قصور وقصور وناس  
فان التوب في هذا الوقت  
مكروه جداً فان غلبه  
النوم فليقم في مصلاه  
فانما مستقبل القبلة  
فان لم يذهب النوم  
بالقيام فليخطو خطوات

الكبائر والصغائر لأن الكبائر أيضا متفاوتة في أنفسها وفي اعتقاد مرتكبها ، ولذلك قد يتوب عن بعض الكبائر التي لا تتعلق بالعباد كما يتوب عن شرب الخمر دون الزنا مثلا ، إذ يتضح له أن الخمر مفتاح الشرور وأنه إذا زال عقله ارتكب جميع المعاصي وهو لا يدري فبحسب ترجيح شرب الخمر عنده ينبعث منه خوف يوجب ذلك تركا في المستقبل وتدما على الماضي . الثالث أن يتوب عن صغيرة أو صغائر وهو مصر على كبيرة يعلم أنها كبيرة كالذي يتوب عن الغيبة أو عن النظر إلى غير المحرم أو ما يجري مجراه وهو مصر على شرب الخمر فهو أيضا ممكن ووجه إمكانه أنه ما من مؤمن إلا وهو خائف من معاصيه وتادم على فعله تدا إما ضعيفا وإما قويا ولكن تكون نفسه في تلك المعصية أقوى من ألم قلبه في الخوف منها لأسباب توجب ضعف الخوف من الجهل والفتنة وأسباب توجب قوة الشهوة فيكون الندم موجودا ولكن لا يكون مليا بتحريك العزم ولا قويا عليه ، فإن سلم عن شهوة أقوى منه بأن لم يعارضه إلا ما هو أضنف قهر الخوف الشهوة وغلبها وأوجب ذلك ترك المعصية وقد تشدد ضراوة القاسق بالخمر فلا يقدر على الصبر عنه وتكون له ضراوة ما بالقية وثلب الناس والنظر إلى غير المحرم وخوفه من الله قد بلغ مبلغا يمتنع هذه الشهوة الضعيفة دون القوة فيوجب عليه جند الخوف انبعاث العزم للترك بل يقول هذا القاسق في نفسه : إن قهرني الشيطان بواسطة غلبة الشهوة في بعض المعاصي فلا ينبغي أن أخلع الذنار وأرخصي العنان بالكيفية بل أجاهده في بعض المعاصي فمسا أن قلبه فيكون قهري له في البعض كفارة لبعض ذنوبي ، ولو لم يتصور هذا لما تصور من القاسق أن يصلي ويصوم ولليل له إن كانت صلاتك لغير الله فلا تصح وإن كانت لله فأترك الفسق لله فإن أمر الله فيه واحد فلا يتصور أن تصمد بصلاتك التقرب إلى الله تعالى ما لم يتقرب بترك الفسق وهذا حال بأن يقول لله تعالى على أمران ولي على المخالفة فيهما عقوبتان وأنا على في أحدهما قهر الشيطان عاجز عنه في الآخر فأنا أنفهر فيما أقدر عليه ، وأرجو مجاهدتي فيه أن يكفر عني بعض ما عجزت عنه بفراط شهوتي فكيف لا يتصور هذا وهو حال كل مسلم . إذ لا سلم إلا وهو جامع بين طاعة الله ومعصيته ولا سبب له إلا هذا وإذا فهم هذا فهم أن غلبة الخوف للشهوة في بعض الذنوب ممكن وجودها ، والخوف إذا كان من فعل ماض أوثرت الدم والندم وبورث العزم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « الندم توبة » ولم يشترط الندم على كل ذنب وقال « التائب من الذنب كمن لا ذنب له » ولم يقل التائب من الذنوب كلها وبهذه المعاني تبين سقوط قول القائل إن التوبة عن بعض الذنوب غير ممكنة لأنها مثالة في حق الشهوة وفي حق التعرض إلى سخط الله تعالى ، ثم يجوز أن يتوب عن شرب الخمر دون التبيذ لتفاوتهما في اقتضاء السخط ويتوب عن الكثير دون القليل لأن لكثرة الذنوب تأثيرا في كثرة العقوبة فيساعد الشهوة بالتدبر الذي يسجز عنه وترك بعض شهوته لله تعالى كالرئيس الذي حذره الطيب الفا كرهته فانه قد يتناول قليلها ولكن لا يستكثر منها فقد حصل من هذا أن لا يمكن أن يتوب عن شيء ولا يتوب عن مثله بل لا بد وأن يكون متتاب عنه فما القاسم بق عليه إما في شدة المعصية وإما في غلبة الشهوة وإذا حصل هذا التفاوت في اعتقاد التائب تصور اختلاف حاله في الخوف والندم فيتصور اختلاف حاله في الترك فقدمه على ذلك الذنب ووافقه بمنزلة على الترك بلحظه عن لم يذنب وإن لم يكن قد أطاع الله في جميع الأوامر والنواهي . فإن قلت هل تصح توبة العاين من الزنا الذي قارفه قبل طريان العنة . فأقول لا ، لأن التوبة عبارة عن ندم يثبت العزم على الترك فلا يقدر على فعله وما لا يقدر على فعله فقد اندم بنفسه لا بتركه إياه . ولكني أقول لو طرأ عليه سدالة كشف ومعرفة تحقق به ضرر الزنا الذي قارفه وثار منه احتراق وتحسر وندم بحيث لو كانت شهوة الواقع به باقية

نحو القبلة ويتأخر بالحطاوات كذلك ولا يستدير التبتل في إدامة استقبال القبلة وترك السلام والنوم ودوام الذكر في هذا الوقت أثر كبير وبركة غير قليلة . وحدنا ذلك بحمد الله ونوصي به الطالبين ، وأثر ذلك في حق من جمع في الأذكار بين التلب واللسان أكثر وأظهر وهذا الوقت أول النهار والتهار مظنة الآفات فإذا أحكم أوله بهذه الرعاية فقد حكم بنيه وتبني أوقات النهار جميعا على هذا البناء فلذا قارب طلوع الشمس يستدعي بهراءه للساعات العشر

لكانت خرفة الدم تمنع تلك الشهوة وتخلبها فاني أرجو أن يكون ذلك مكفرا لذنبه وماحيا عنه  
سيئه إذ لاخلاف في أنه لو تاب قبل طريان العنة ومات عقب التوبة كان من التائبين وإن لم يطرأ  
عليه حالة تهيج فيها الشهوة وتيسر أسباب قضاء الشهوة ولكنه تاب باعتبار أن ندمه بلغ مبلغا  
أوجب صرف قصده عن الزنا ولو ظهر قصده فاذن لا يستجبل أن تبلغ قوته الدم في حق التائبين هذا البلغ  
إلا أنه لا يعرفه من نفسه فان كل من لا يشتهي شيئا بقدر نفسه قادرا على تركه بأذى خوف الله  
تعالى مطلع على ضميره وعلى مقدار ندمه ففساد يقبله منه بل الظاهر أنه يقبله والحقيقة في هذا كله  
ترجع إلى أن ظلمة اللصبة تمنح عن القلب بشيئين : أحدهما حرقة الدم ، والآخر شدة المجاهدة  
بالترك في المستقبل وقد امتعت المجاهدة بزوال الشهوة ولكن ليس محالا أن يقوى الدم بحيث يوى  
على محوها دون المجاهدة ولولا هذا لقلنا إن التوبة لا تقبل مالم يحس التائب بمد التوبة مدة مجاهد  
نفسه في عين تلك الشهوة مرات كثيرة وذلك مما لا يبدل ظاهر الشرع على اشتراطه أصلا. فان قلت  
إذا فرضنا تائبين أحدهما سكنت نفسه عن الزنوع إلى الذنب والآخر بقى في نفسه نزوع إليه وهو  
بمجاهدتها ويعتصم فأيهما أفضل ؟ فاعلم أن هذا محال باختلاف الطاء فيه ، فقال أحمد بن أبي الحواري  
وأصحاب أبي سليمان الداراني إن المجاهد أفضل لأن له مع التوبة فضل الجهاد. وقال علماء البصرة ذلك  
الآخر أفضل لأنه لو قر في توبته كان أقرب إلى السلامة من المجاهد الذي هو في عرصة التورع  
المجاهدة وما قاله كل واحد من الفريقين لا يخلو عن حق وعن قصور عن كمال الحقيقة والحق في أن  
الذي انقطع نزوع نفسه له حالتان : أحدهما أن يكون انقطاع نزوعه إليها يمتد في نفس الشهوة  
فقط فالمجاهد أفضل من هذا إذ تركه بالمجاهدة قد دل على قوة نفسه واستيلاء دينه على شهوته فهو  
دليل قاطع على قوة اليقين وعلى قوة الدين ، وأعلى بقوة الدين قوة الإرادة التي تنبعث بإشارة اليقين  
وتضع الشهوة للنبذة بإشارة الشياطين فهاتان قوتان تدل المجاهدة عليهما قطعا وقول القائل إن هذا  
أسلم إذ لو قر لا يعود إلى الذنب فهذا صحيح ولكن استعمال لفظ الأفضل فيه خطأ وهو كقول القائل  
الدين أفضل من التحل لأنه في أمن من خطر الشهوة والعبي أفضل من البالغ لأنه أسلم والفلس أفضل  
من الملك القاهر القامع لأعدائه لأن الفلس لا عدو له ولذلك ربما يفل مرة وإن عاب مرات وهذا  
كلام رجل سليم القلب قاصر النظر على الظواهر غير عالم بأن المر في الأخطار وأن العلوس طرطه اقحام  
الاعترار بل كقول القائل الصياد الذي أبس له فرس ولا كلب أفضل في صناعة الاصطياد وأعلى رتبة  
من صاحب الكلب والفرس لأنه آمن من أن يجمع به فرسه فتكسر أعضاؤه عند السقوط على  
الأرض وآمن من أن يعضه الكلب ويعتدى عليه وهذا خطأ بل صاحب الفرس والكلب إذا كان  
قويا عالما بطريق تأديبهما أعلى رتبة وأحرى بدرك سعادة الصبي . الحالة الثانية : أن يكون بطلان  
الزنوع بسبب قوة اليقين وصدق المجاهدة السابقة إذ بلغ مبلغا فقع هيجان الشهوة حتى تأتبت بأدب  
الشرع فلا تهيج إلا بالإشارة من الدين وقد سكنت بسبب استيلاء الدين عليها فهذا أعلى رتبة من  
المجاهدة القامسي لهيجان الشهوة وقدها ، وقول القائل ليس لذلك فضل الجهاد قصور عن الاحاطة  
بمقصود الجهاد فان الجهاد ليس مقصودا لئنه بل المقصود قطع ضراوة المدح حتى لا يستجرك إلى شهواته  
وان هجز عن استجارك فلا يجدك عن سلوك طريق الدين فاذا قهرته وحصلت المقصود قد ظفرت ودامت  
في المجاهدة فأنت بمد في طلب الظفر ومثاله كماله من قهر المدح واسترقة بالاضافة إلى من هو مشغول بالمجاهد  
في صف القتال ولا يدرى كيف يسلم ووالله أيضا مثال من علم كلب الصيد وراض الفرس فمهما تأمسان عنده  
بعد ترك الكلب الفرواه والفرس الجاح بالاضافة إلى من هو مشغول بمقاساة التأديب وبدو لعدول

وهي من تطهير الحضر  
عليه السلام عليها  
ابراهيم التيمي وذكر  
أنه تطهرا من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ،  
وبنال بالمداومة عليها  
جميع الفسوق في  
الأذكار والدعوات ،  
وهي عشرة أشياء  
سبعة سبعة القاعة  
والعودتان وقل هو  
الله أحد وقل يا أيها  
الكافرون وآية  
الكرسى وسبحان الله  
والحمد لله ولا اله إلا الله  
والله أكبر والصلاة  
على النبي وآله وسبح  
لنفسه ولوالديه  
والمؤمنين والمؤمنات  
ويقول سبحان الله  
في وهم عاجلا وأجلا  
في الدين والدينا والآخرة

في هذا فريق فظنوا أن الجهاد هو القصد الأنصى ولم يعلموا أن ذلك طلب للخلاص من عوائق الطريق وظن آخرون أن قمع الشهوات وإمالتها بالكلية مقصود حتى جرب بعضهم نفسه فحزنه فقال هذا محال فكذب بالسرع وسلك سبيل الإباحة واسترسل في اتباع الشهوات وكل ذلك جهل وضلال وقد قررنا ذلك في كتاب رياضة النفس من ربيع اللهسات . فان قلبك فساؤلك في تائبين أحدهما مني الذنب ولم يشتغل بالتفكير فيه والآخر جعله نصب عينه ولا يزال يتفكر فيعويحرق ندماعليه فأيهما أفضل . فاعلم أن هذا أيضا قد اختلفوا فيه فقال بعضهم حقيقة التوبة أن تصيب ذنبك بين عينيك . وقال آخر حقيقة التوبة أن تنسى ذنبك وكل واحد من المذهبين عندنا حق ولكن بالإضافة إلى حالين وكلام النصوفة أبدا يكون قاصرا فان عادة كل واحد منهم أن يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمل حال غيره فتختلف الأجوبة لاختلاف الأحوال وهذا نقصان بالإضافة إلى المهمة والارادة والجد حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمل أمر غيره إذ طريقه إلى الله تعالى ومنزله لأحواله وقد يكون طريق العبد إلى الله العلم فالطريق إلى الله تعالى كثيرة وإن كانت مختلفة في القرب والبعد والله أعلم بمن هو أهدي سبيلا مع الاشتراك في أصل الهداية . فأقول تصور الذنب ودكره والتجمع عليه كالقبح في حق البندي . لأنه إذا نسى لم يكر احتراقه فلا تقوى إرادته وانبعاته لسوء الطريق ولأن ذلك يستخرج منه الحزن والخوف والواعظ عن الرجوع إلى مثله فهو بالإضافة إلى الغافل كالو لكنه بالإضافة إلى سالك الطريق نقصان فانه شغل مانع عن سلوك الطريق بل سالك الطريق ينبغي أن لا يبرح على غير السلوك فان ظهر له مبادئ الوصول وانكشف له أنوار المعرفة ولوامع القلب استغرقه ذلك ولم يبق فيه متسع للاتفات إلى ما سبق من أحواله وهو الكمال بل لو عاق السافر عن الطريق إلى بلد من البلدان لم حاجز طال نصب السافر في عبوره مدة من حيث إنه كان قد خرب جسره من قبل فلو جلس على شاطئ النهر بعد عبوره يبكي متأسفا على تخريبه الجسر كان هذا مانعا آخر اشتغل به بعد الفراغ من ذلك للناس ، نعم إن لم يكن الوقت وقت الرحيل بأن كان لا يفتقد السلوك أو كان على طريقة النهار وهو يخاف على نفسه أن يمر بها فليطبل بالليل بكاءه وحزنه على تخريب الجسر ليتأكد بطول الحزن عزمه على أن لا يعود إلى مثله فان حصل له من التنبه ما وثق بنفسه أنه لا يعود إلى مثله فسلك الطريق أولى بمن الاشتغال بدكر تخريب الجسر والبكاء عليه وهذا لا يعرفه إلا من عرف الطريق والقصد والاعتق وطريق السلوك وقد أشرنا إلى تلويحات منه في كتاب العلم وفي ربيع اللهسات بل قول شرط دوام التوبة أن يكون كثير الفكر في النعم في الآخرة لتزيد رغبته ولكن إن كان شابا فلا ينبغي أن يطيل فكم في كل ماله نظير في الدنيا كالخور والقصور فان ذلك الفكر بما يحرك رغبته فيطلب المأجول لا يرضى بالأجاة بل ينبغي أن يتفكر في لذة النظر إلى وجه الله تعالى فقط فذلك لا نظير له في الدنيا فكذلك تذكر الذنب قد يكون محركا للشهوة فالبندي أيضا قد يستغربه فيكون النسيان أفضل له عند ذلك ولا يصدك عن التصديق بهذا التحقيق ما يحكي لك من بكاء داود ونياحته عليه السلام فان قياسك نفسك على الأنبياء قياس في غاية الاعوجاج لأنهم قد ينزلون في أقوالهم وأفعالهم إلى الدرجات الثلاثة بأهمهم فاتهم ما يشاءوا إلا لأرشادهم فطهير التلبس بما تنفع عنهم بمشاهدته وإن كان ذلك نازلا عن ذروة مقامهم فلقد كان في الشيوخ من لا يشير على مريده بنوع رياضة إلا ويخوض معه فيها وقد كان مستغنيا عنها لقراغه عن المجاهدة وتأديب النفس تسهلا للأمر على اللريد ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أما إني لا أنسى ولكن أنسى لأشعر <sup>(١)</sup> » وفي لفظ « إنما أسهو لأمن » .

(١) حديث أما إني لا أنسى ولكن أنسى لأشعر ذكره مالك بلاغا يشير إسناده وقال ابن عبد البر

مأنت له أهل ولا تعمل ربنا يسولانا ما نحن له أهل إنك غفور رحيم جواد كريم رءوف رحيم وروى أن إبراهيم التيمي لما قرأه بعد أن تطهر من الحضر رأى في التلم أنه دخل الجنة ورأى للأنبياء عليهم السلام وأكل من طعام الجنة وقيل إنه مكث أربعة أشهر لم يطعم وقيل له كان ذلك لكونه أكل من طعام الجنة فاذا فرغ من المسبات أقبل على التيسيع والاستغفار والتلاوة إلى أن تطلع الشمس قدر رمح .

ولا تسب من هذا فإن الأمم في كنف شفقة الأنبياء كالصبيان في كنف شفقة الآباء، وكلما وثق في كنف الرعاة أما ترى الأب إذا أراد أن يستطلق ولده السبي كيف ينزل إلى درجة نطق السبي كما قال صلى الله عليه وسلم للحسن « كعب كعب »<sup>(١)</sup> لما أخذ تمره من تمر الصدقة ووضعها في فمها ما كانت فصاحته تقصر عن أن يقول ارم هذه التمرة فانها حرام ولكنه لما علم أنه لا يفهم منطقه ترك الفصاحة ونزل إلى لسانه بل الذي يعلم شاة أو طائرا يصوت به رغاء أو صفيرا تشبها بالبيسوق الطائر تطلق في تسليمه فأياك أن تنفل عن أمثال هذه الدقائق فانها مزية أقدام العارفين فضلا عن الغافلين ، نسأل الله حسن التوفيق بلفظه وكرمه .

### ( بيان أقسام العباد في دوام التوبة )

اعلم أن التائبين في التوبة على أربع طبقات . الطبقة الأولى : أن يتوب العاصي ويستقيم على التوبة إلى آخر عمره فيتدارك ما فرط من أمره ولا يحدث نفسه بالعود إلى ذنوبه إلا الزلات التي لا ينفك البشر عنها في العادات مهما لم يكن في رتبة النبوة فهذا هو الاستقامة على التوبة توصاحبها السابق بالخيرات للتبديل بالسببات حسنات واسم هذه التوبة التوبة النصوح واسم هذه النفس الساكنة النفس اللطيفة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية وهؤلاء هم الذين إليهم الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « سبق للمفردون السهرون بذكر الله تعالى وضع الله كبر عنهم أو زارهم فوردوا القيامة خفافا »<sup>(٢)</sup> فان فيه إشارة إلى أنهم كانوا تحت أوزار وضما الذكر عنهم وأهل هذه الطبقة على رتب من حيث النزوع إلى الشهوات فمن تائب سكنت شهواته تحت قهر المراقبة فترزأ عما ولم يشغله عن السلوك صرعها وإلى من لا ينفك عن منازعة النفس ولكنه على عبادتها وردها ثم تنافوت درجات النزاع أيضا بالكثرة والقلة وباختلاف اللذة وباختلاف الأنواع وكذلك يختلفون من حيث طول العمر فمن مختطف يموت قريبا من توبته يخط على ذلك لسلامته وموته قبل الفترة ومن يمهل طال جهاده وصبره وتعمدت استقامته وكثرت حسناته وحال هذا أعلا وأفضل إذ كل سيئة قائمها عجزها حنة حتى قال بعض العلماء إنما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفا من الله تعالى واشتراط هذا بعيد وإن كان لا يشكر عظم أمره لو فرض ولكن لا يضيغ للعديد الضعيف أن يسلك هذا الطريق فتسبج الشهوة وتغتر بالأسباب حتى يتمكن ثم يطمع في الانكشاف فانه لا يؤمن خروج عنان الشهوة عن اختياره فيقدم على العصية وينقض توبته بل طريقها الفرار من ابتداء أسبابه للبصرة له حتى يسد طرقها على نفسه ويسعى مع ذلك في كسر شهوته بما يقدر عليه فيه تسلم توبته في الابتداء . الطبقة الثانية : تائب سلك طريق الاستقامة في أمهات الطاعات وترك كباثر الفواحش كلها إلا أنه ليس ينفك عن ذنوب تنعيريه لاعتن عمد وتجريد قصد ولكن يبتلى بها في مجارح أحواله من غيبه أن يقدم عزمها على الاقدام عليها ولكنه كلما أقدم عليها لام نفسه وندم وتأسف وجدد عزمه على أن يتشمر للاحتراز من

لا يوجد في اللوطا إلا مرسل لا إسناد له وكذا قال حمزة الكناني إنه لم يرد من غير طريق مالك وقال أبو طاهر الأنصاري وقد طال بحثي عنه وسألى عنه لائمة والحفاظ فم أظفر بولامصمت عن أحدانه ظفر به قال وادعى بعض طلبة الحديث أنه وقع له مسندا (١) حديث أنه قال للحسن كعب كعب لما أخذ تمره من الصدقة ووضعها في فم البخاري من حديث أبي هريرة وتقدم في كتاب الحلال والحرام (٢) حديث سبق للمفردون السهرون بذكر الله الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وحسنه وقد تقدم .

روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « لأن أقصد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة التداو إلى طلوع الشمس أحب إلى من أن أعق أربع رقة » ثم صلى ركعتين قبل أن يصرف من مجلسه قد قل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان صلى الركعتين وبهاتين الركعتين تبين فائدة رعاة هذا الوقت وإذا صلى الركعتين يجمع م وحضور فهم وحسن تدبر لما يقرأ يجد في باطنه أثرا ونورا وروحاً وأنسا إذا كان صادقا والذي يحمد

أسيابها التي تعرض لها وهذه النفس جذيرة بأن تكون هي النفس القوامية إذ تلوم صاحبها على ما تستهدف له من الأحوال القدسية لأن تصميم عزم وتخمين رأى وقصد وهذه أيضا رتبة عالية وإن كانت نازلة عن الطبقة الأولى وهي أغلب أحوال التائبين لأن الشر معجون بطينة الآدى فلا ينفك عنه وإنما غاية سعيه أن يثقل خبيرة شره حتى يثقل ميزانه فترجح كفة الحسنات فأما أن تخلو بالسكية كفة السيئات فذلك في غاية البعد وهؤلاء لهم حسن الوعد من الله تعالى إذ قال تعالى - الذين يحبون كِبَارَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّعَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْغُفْرَةِ - فكل إثم يقع بصغيرة لأن توطئ نفسه عليه فهو جدير بأن يكون من اللعم المغو عنه قال تعالى - والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم - فأثني عليهم مع ظلمهم لأنفسهم لتندمهم ولومهم أنفسهم عليه وإلى مثل هذه الرتبة الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم فيها رواء عنه على كرم الله وجهه « خياركم كل مفتقن تواب » (١) « وفي خبر آخر « المؤمن كالسنبلة في أحيانا ويعل أحيانا » (٢) « وفي الخبر « لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه القينة بعد القينة » (٣) « أي الحين بعد الحين فكل ذلك أدلة قاطعة على أن هذا القدر لا ينقض التوبة ولا يلحق صاحبها بدرجة الصيرين ومن يؤيس مثل هذا عن درجة التائبين كالطبيب الذي يؤيس الصحيح عن دوام الصحة بما يتقاوله من الفواكه والأطعمة الحارة مرة بعد أخرى من غير مداومة واستمرار وكالقفية الذي يؤيس للثقبه عن نيل درجة القفاه بغثوره عن التكرار والتعليق في أوقات نادرة غير متطاولة ولا كثيرة وذلك يدل على نقصان الطبيب والقفية بل القفية في الدين هو الذي لا يؤيس الخلق عن درجات السعادات بما يتفق لهم من الفترات ومقارفة السيئات المختطفات قال النبي ﷺ « كل بني آدم خطاءون وخير الخطائين التوابون المستغفرون » (٤) وقال أيضا « المؤمن وله رافع غيرهم من مات على رقبته » (٥) أي واه بالذنوب رافع بالتوبة والندم وقال تعالى - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا وابتدروا بالحسنة السيئة - فأوصفهم بعدم السيئة أصلا. الطبقة الثالثة : أن يتوب ويستمر على الاستقامة مدة ثم تلبه الشهوات في بعض الذنوب فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة لجزءه عن قهر الشهوة إلا أن مع ذلك مواظب على الطاعات وتارك لجملة من الذنوب مع القدرة والشهوة وإنما قهرته هذه الشهوة الواحدة أو الشهوات وهو يولد لوقدره الله تعالى على قهرها وكفاه شرها هذا أمنيته في حال قضاء الشهوة وعند الفراغ يتندم ويقول ابني لأفعله وسأجوب عنه وأجاهد نفسي في قهرها لكنه تسول نفسه ويسوف توبته مرة بعد أخرى ويوما بعد يوم فهذه النفس هي التي تسمى النفس السوءة وصاحبها من الذين قال الله تعالى فيهم - وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا - فأمرهم من حيث مواظبتهم على الطاعات وكرهتهم لما طاعوا مرجو (١) حديث على خياركم كل مفتقن تواب البيهقي في الشعب بسند ضعيف (٢) حديث للمؤمن كالسنبلة تنفي أحيانا وتيميل أحيانا أبو يعلى وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس والطبراني من حديث عمار بن ياسر والبيهقي في الشعب من حديث الحسن مرسلها وكلها ضعيفة وقالوا تقوم بدل تنفي وفي الأمثال للرامهرمزي إسناده جيد لحديث أنس (٣) حديث لا بد للمؤمن من ذنب يأتيه القينة بعد القينة الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بأسانيد حسنة (٤) حديث كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين المستغفرون الترمذي واستغفبه والحاكم وصححه إسناده من حديث أنس وقال التوابون بدل المستغفرون . قلت فيسه على بن مسعدة ضعفه البخاري (٥) حديث للمؤمن واه رافع غيرهم من مات على رقبته الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث جابر بسند ضعيف وقالوا تسعبد بدل غيرهم .

من البركة ثواب  
مستجلب له على عمله هذا  
وأحب أن يتسرف في  
هاتين الركعتين في  
الأولى آية الكرسي  
وفي الأخرى آمن  
الرسول والله نور  
السماوات والأرض  
إلى آخر الآيات تكون  
نيتها فيهما الشكر لله  
على نعمه في يومه  
وليلة ثم يصلي ركعتين  
آخرتين يقرأ العودتين  
فيهما في كل ركعة  
سورة وتكون صلاته  
هسته ليستبد بالله  
تعالى من شر يومه  
وليلة ويذكر بعد  
هاتين الركعتين كلمات  
الاستعاذة فيقول أعوذ  
بالحك وكلك التامة  
من شر الامة والحامة

ففسى الله أن يوب عليه وعاقبته عظمة من حيث تسوية وتأخير فربما يغتطف قبل التوبة ويقع أمره في للشبهة فإن تدارك الله بفضل وجبر كسره وامتن عليه التوبة التي بالسابقين وإن غلبت شقوته وقهرته شهوته فنجس أن يحق عليه في الحاشية ما سبق عليه من القول في الأزل لأنه مهما تمذر على التفتحه مثلاً الاعتراض عن شواغل التعلل له تعذر على أنه سبق له في الأزل أن يكون من الجاهلين فيضرب الرجاء في حقه وإذا برزت له أسباب اللواظبة على التحصيل دل على أنه سبق له في الأزل أن يكون من جملة العالمين فكذلك ارتباط سعادته الآخرة ودرجاتها بالحسنات والسيئات يحكم تقدير مسبب الأسباب كارتباط اللرض والصحة بشاغل الأغذية والأدوية وارتباط حصوله النفس الذي به تستحق المناصب العلية في الدنيا بترك الكسل واللواظبة على تفقيه النفس فكذلك لا يصلح لنصب الرئاسة والقضاء والتقدم بأهل إلا أن يصار بطلون التفتحه فلا يصلح للملك الآخرة وتبنيها ولا تقرب من رب العالمين إلا قلب سليم صار طاهراً بطلون الزكية والتطهير هكذا سبق في الأزل بتدبير رب الأرباب وتلك قال تعالى - ونسى ما سواها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكاهوا وقد خاب من دساها - فهما وقع البعد في ذنب فصار الذنب نقداً والتوبة نسبة كان هذا من علامات الخذلان قال صلى الله عليه وسلم «إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة حتى يقول الناس إنه من أهلها ولا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» (١) فاذن الخوف من الحاشية قبل التوبة وكل نفس فهو خاطئة ما قبله إذ يمكن أن يكون للوث متصلاً به فليقرب الأتقاس والأوقع في المذخور ودامت الحشرات حين لا ينفذ التحصر . الطبقة الرابعة : أن يتوب ويجري مدة على الاستقامة ثم يعود إلى مفاخرة الذنب أو الذنوب من غير أن يحدث نفسه بالتوبة ومن غير أن يتأسف على فعله بل يهنك الهماك الغافل في اتباع شهواته فهذا من جملة الصرير وهذه النفس هي النفس الأمارة بالسوء الفرارة من الخير ويغاف على هذا سوء الحاشية وأمره في مشيئة الله فإن ختم له بالسوء شقي شقاوة لا آخر لها وإن ختم له بالحسن حتى مات على التوحيد فينتظر له الخلاص من النار ولو بعد حين ولا يستحيل أن يشمله محوم الغفو بسبب خفي لا نطلع عليه كالأستحيل أن يدخل الإنسان خراباً ليجد كنزاً فيفتق أن يجد وأن يجلس في البيت ليجعله الله عالماً بالعلوم من غير تعلم كما كان الأنبياء صلوات الله عليهم فطلب الغفرة بالطاعات كطلب العلم بالجهنم والتشكر والطلب للنال بالتجارة وركوب البحار وطلبها بغير دالرجاء مع خراب الأعمال كطلب الكنوز في المواضع الخربة وطلب العلوم من تعليم اللاتسكة ولت من اجتهد تعلم ولت من أبحر استغنى ولت من صام وصلى غفر له فاناس كلهم محرمون إلا العالمون والعالمون كلهم محرمون إلا العالمون والعالمون كلهم محرمون إلا العالمون والمخلصون على خطر عظيم وكما أن من خرب بيته وضيع ماله وترك نفسه وعياله جبابرة عزمه ينتظر فضل الله بأن يرزقه كنزاً يجد تحت الأرض في بيته الحرب بعد عند ذوي البصائر من الحق والبرورين وإن كان ما ينتظر غير مستحيل في قدرة الله تعالى وفضله فكذلك من ينتظر الغفرة من فضل الله تعالى وهو مقصر عن الطاعة مصر على الذنوب غير ماله سبيل الغفرة بعد عند باب القلوب من المتوهمين والعجب من عقل هذا المتوهم وتروجه حماقة في صفة حسنة إذ يقول إن الله كريم وجنته ليست

(١) حديث إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين سنة الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد دون قوله سبعين سنة ولمسلم من حديث أبي هريرة إن الرجل ليعمل الزم الطويل بعمل أهل الجنة الحديث ولأحمد من رواية شهر بن حوشب عن أبي هريرة إن الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة وشهر مختلف فيه

وأعوذ بأمك وكلتك  
التامة من شر عذابك  
وشر عبادك وأعوذ  
بأمك وكلتك التامة  
من شر ما يجري به الليل  
والنهار إن ربّي الله لا إله  
إلا هو عليه توكلت  
وهو رب العرش العظيم  
ويقول بعد الركتين  
الأوليين اللهم إني  
أصبحت لأستطيع  
دفع ما أكره ولا أملك  
نفع ما أرجو وأصبحت  
مرتبها بعمل وأصبح  
أمرى يد غيري فلا  
تقبر أقبرني اللهم  
لا تشمت بي عدوي  
ولا تنسني بي صديقي  
ولا تجعل مصيبي في  
دينى ولا تجعل الدنيا  
أكبر همى ولا مبلغ  
علمى ولا تسلط على من

تضيق على مثلي ومهريق ليست تضره ثم تراه يركب البحار ويتقدم الأوعار في طلب الدنار وإذ قيل  
 إن الله كريم ودنانير خزائنه ليست تنصر عن هرك وكسلك بترك التجارة ليس يضرك فاجلس في بيتك  
 ففساد برزلك من حيث لا تعتب فيستحق قائل هذا الكلام ويستهيء به ويقول ما هذا الهوس  
 السماء لا تعطر ذهباً ولا فضة وإنما ينال ذلك بالكسب هكذا قدره مسبب الأسباب وأجرى به سته  
 ولا تبديل لسنة الله ولا يلزم للزور أن رب الآخرة ورب الدنيا واحد وأن سته لا تبديل لها فيما جاعها  
 وأنه قد أخبر إذ قال - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فكيف يستفاد أنه كريم في الآخرة وليس بكريم  
 في الدنيا وكيف يقول ليس مقتضى الكرم القنور عن كسب اللال ومقتضاء القنور عن العمل للالك  
 للقيم والنعم الدائم وأن ذلك يحكم الكرم يسطه من جهد في الآخرة وهذا ينتم مع شدة الاجتهاد  
 في غالب الأمر في الدنيا وينسئ قوله تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون - فتموذاً لله من العنى  
 والفضال لما هذا إلا انتكاس على أم الرأس وانتماس في ظلمات الجهل وصاحب هذا جدير بأن يكون  
 داخلاً تحت قوله تعالى - ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وصنعنا فارجعنا  
 لعمل صالحاً - أرى أبصرنا أنك صدقت إذ قلت - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فارجعنا نسعى وعند  
 ذلك لا يمكن من الانقلاب ويحق عليه العذاب فتموذاً من دواعي الجهل والشك والارتباب السائق  
 بالضرورة إلى سوء الثقل والمآب.

( بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب إن جرى عليه ذنب إما

عن قصد وشهوة غالبية أو عن إلمام بحكم الانفاق )

اعلم أن الواجب عليه التوبة والندم والاشتغال بالكثير بحسن تضافه كذا كرنا طريقه فان لم تساعده  
 النفس على العزم على الترك لثقل الشهوة فقد هجر عن أحد الواجبين فلا ينبغي أن يترك الواجب الثاني  
 وهو أن يبدأ بالحسنة السيئة ليحوها فيكون ممن خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً فالحسنات الكفيرة  
 للسبب إما بالقلب وإما باللسان وإما بالجوارح ولشكن الحسنة في محل السيئة وفيما يتعلق بأسبابها  
 فأما بالقلب فليكثره بالضرع إلى الله تعالى في سؤال المغفرة والعفو ويتذلل تذلل العبد الآبق  
 ويكون ذله بحيث يظهر لسائر العباد وذلك بقصان كبره فيما بينهم فما ليعبد الآبق الذنب وجه  
 للتكبر على سائر العباد وكذلك يضر قلبه الخيرات للسلين والعزم على الطاعات . وأما باللسان  
 فبالاعتراف بالظلم والاستغفار فيقول رب ظلمت نفسي وعملت سوءاً فاغفر لي ذنوبي وكذلك يكثر  
 من ضروب الاستغفار كما أوردناه في كتاب الدعوات والأذكار . وأما بالجوارح فبالطاعات  
 والصدقات وأنواع العبادات وفي الآثار ما يدل على أن الذنب إذا أتبع بشمانية أعمال كان العفو عنه  
 مرجوا أربعة من أعمال القلوب وهي التوبة أو العزم على التوبة وحب الافلاع عن الذنب وتخوف العقاب  
 عليه ورجاء المغفرة له وأربعة من أعمال الجوارح وهي أن تصلي عقيب الذنب ركعتين ثم تستغفر الله  
 تعالى بعدها سبعين مرة وتقول سبحان الله العظيم وبعده ما بمغفرة ثم تصدق بصدقة ثم تصوم وما وفي  
 بعض الآثار تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصل ركعتين<sup>(١)</sup> وفي بعض الأخبار تصلي أربع ركعات<sup>(٢)</sup>

(١) أثر إن من مكفرات الذنب أن تسبغ الوضوء وتدخل المسجد وتصل ركعتين أصحاب السنن من  
 حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه ما من عبد يذنب ذنباً فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ثم  
 يستغفر الله لا يغفر الله له لفظ أبي داود وهو في الكبرى للسناني مرفوعاً وموقوفاً قلل للسنن  
 بالأثر لارادة الوقوف فذكره احتياطاً وإلا فالآثار ليست من شرط كنان (٢) حديث التكمير  
 بصلاة أربع ركعات ابن مردويه في التفسير والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس قال كان رجل

لا يرحم الله أن أعوذ  
 بك من الذنوب التي  
 تزيد النعم وأعوذ بك  
 من الذنوب التي توجب  
 النقم ثم يصلي  
 ركعتين أخريين بنية  
 الاستخارة لكل عمل  
 عمله في يومه وليلته  
 وهذه الاستخارة  
 تصكون بمعنى الدعاء  
 على الإطلاق وإلا  
 فالاستخارة التي وردت  
 بها الأخبار هي التي  
 يصلها أمام كل أمر  
 يريد ويقرأ في هاتين  
 الركعتين - قل يا أيها  
 الكافرون - وقل هو  
 الله أحد - ويقرأ دعاء  
 الاستخارة كما سبق  
 ذكره في غير هذا  
 الباب ويقول فسيه  
 كل قول وعمل أريده

وفي الخبر « إذا عملت سيئة فأَتبها حسنة تكفرها السر بالسر والملاينة بالملاينة » (١) ، ولذلك قيل صدقة السر تكفر ذنوب الليل وصدقة الجهر تكفر ذنوب النهار ، وفي الخبر الصحيح « أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن عالجت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا السيس فأقض على بحكمك الله تعالى فقال صلى الله عليه وسلم أو ماصليت معنا صلاة الغداة قال بلى فقال صلى الله عليه وسلم إن الحسنات يذهبن السيئات » (٢) ، وهذا يدل على أن ما دون الزنا من معالجة النساء صغيرة إذ جعل الصلاة كفارة له بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم « الصلوات الخمس كفارات لما بينهن إلا الكبائر » فصل الأحوال كلها ينبغي أن بحاسب نفسه كل يوم وجمع سيئاته ويجهد في دفعها بالحسنات ، فإن قلت فكيف يكون الاستغفار نافعا من غير حل عقدة الاصرار ، وفي الخبر « للستغفر من القنب وهو مصر عليه كالمتهمزى . بآيات الله » (٣) ، وكان بعضهم يقول استغفر الله من قولى استغفر الله ، وقيل الاستغفار باللسان نوبة الكذابين . وقالت رابعة العدوية : استغفارتنا يحتاج إلى استغفار كثير . فاعلم أنه قد ورد في فضل الاستغفار أخبار خارجة عن المصنف كرها في كتاب الأذكار والدعوات حتى قرن الله الاستغفار بقاء الرسول صلى الله عليه وسلم فقال تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون - فكان بعض الصحابة يقول كان لنا أمانان ذهب أحدهما وهو كون الرسول فينا وبقي الاستغفار معنا فإن ذهب هاسكتنا » (٤) . فنقول : الاستغفار الذى هو نوبة الكذابين هو الاستغفار بمجرد اللسان من غير أن يكون القلب فيه شركة كما يقول الانسان بحكم العادة وعن رأس التفة استغفر الله وكما يقول إذا سمع صفة النار نفوذ بالله منها من غير أن يتأثر به قلبه ، وهذا يرجع إلى مجرد حركة اللسان ولا جدوى له فأما إذا انضاف إليه تضرع القلب إلى الله تعالى وإبهاله في سؤال الغفرة عن صدق إرادة وخلوص نية ورغبة فهذه حسنة في نفسها فصلح لأن تدفع بها السيئة ، وعلى هذا تحمل الأخبار الواردة في فضل الاستغفار حتى قال صلى الله عليه وسلم « ما أصر من استغفر ولو عاد في اليوم سبعين مرة » (٥) ، وهو عبارة عن الاستغفار بالقلب وللنوبة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يهوى امرأة الحديث وفيه فدا رها جالس منها مجلس الرجل من امرأته وحرك ذكره فإذا هو مثل الهدية فقام نادما فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم صل أربع ركعات فأزّل الله عز وجل - وأقم الصلاة طرفي النهار - الآية وإسناده جيد (١) حديث إذا عملت سيئة فأَتبها حسنة تكفرها السر بالسر والملاينة بالملاينة البيهقي في الشعب من حديث معاذ وفيه رجل لم يسم ورواه الطبراني من رواية عطاء بن يسار عن معاذ ولم يلقه بلفظ وما عملت من سوء . فأحدث لله فيه توبة السر بالسر الحديث (٢) حديث إن رجلا قال يارسول الله إنى عالجت امرأة فأصبت منها كل شيء إلا السيس الحديث في نزول - إن الحسنات يذهبن السيئات - متفق عليه من حديث ابن مسعود دون قوله أو ماصليت معنا صلاة الغداة ورواه مسلم من حديث أنس وفيه هل حضرت معنا الصلاة قال نعم ومن حديث أبي أمامة وفيه ثم شهدت الصلاة معنا قال نعم الحديث (٣) حديث للستغفر من الذنب وهو مصر عليه كالمتهمزى . بآيات الله ابن أبي الدنيا في التوبة ومن طريقه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ كالمتهمزى . بربوبه وسنده ضيف (٤) حديثا بعض الصحابة في قوله تعالى - وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم - الآية كان لنا أمانان ذهب أحدهما أحمد من قول أبي موسى الأشعري ورفضه الترمذى من حديثه أنزل الله على أمانتين الحديث وضعفه ابن مردويه في تحفيرة من قول ابن عباس (٥) حديث ما أصر من استغفر الحديث تخدم في الدعوات .

في هذا اليوم اجعل فيه  
الحيرة . ثم يصلى  
ركعتين أخريين يقرأ  
في الأولى سورة الواقعة  
وفي الأخرى سورة  
الأكل ويقول بعدها  
الحم صل على محمد  
وعلى آل محمد واجعل  
حبك أحب الأشياء  
إلى وخشيتك أخوف  
الأشياء عندى واقطع  
عنى حاجات الدنيا  
بالشوق إلى لقاءك وإذا  
أقررت أعدى أهل  
الدنيا بدنياهم فأقرر  
عبنى بعبادتك واجعل  
طاعتك في كل شيء  
منى يا أرحم الراحمين  
ثم يصلى بعد ذلك  
ركعتين يقرأ فيهما  
شيئا من حربه من  
القرآن ثم بعد ذلك

والاستغفار درجات وأوائلها لا تخلو عن القائده وإن لم تنته إلى آخرها ، وكذلك قال سهل لا بد له من مولا فاحسن أحواله أن يرجع إليه في كل شيء ، فإن عصى قال يارب استر علي فإذا فرغ من الصلوة قال يارب تب علي فإذا تاب قال يارب ارزقني العصمة وإذا عمل قال يارب تغفلني ورسول أيضا عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال أول الاستغفار الاستجابة ثم الأناثة ثم التوبة فاستجابة أعمال الجوارح والأناثة أعمال القلوب والتوبة على مولا بأن يترك الحق ثم يستغفر الله ثم تصديه الذي هو فيه ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر فقد ذك يفر له ويكون عنده مأواه ثم التنفل إلى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم الفسك ثم المعرفة ثم التاجئة ثم الصفات ثم اللوالة ثم محادثة السرو هو الخلقة ولا يستقر هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه ، والله كرواه والرضا ادهم والتوكل صاحبه ثم ينظر الله إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش ، وشئ أيضا عن قوله صلى الله عليه وسلم « التائب حبيب الله » قالوا : إنما يكون حبيبا إذا كان فيه جميع ما ذكر في قوله تعالى - التائبون العابدون - الآية . وقال الحبيب هو الذي لا يدخل فيه يكرهه حبيبه ، والقصد أن للتوبة ثمرتين إحداها تكفير السيئات حتى يصير كمن لا ذنب له . والثانية نيل الدرجات حتى يصير حبيبا والتكفير أيضا درجات فبعضه نحو لأصل الذنب بالكلية وبعضه تخفيفه ويفاوت ذلك بتفاوت درجات التوبة فالاستغفار بالقلب والتدارك بالحسنة وإن خلا عن حل عقدة الاصرار من أوائل الدرجات فليس يغلو عن القائده أصلا فلا ينبغي أن تظن أن وجودها كعدمها ، بل عرف أهل الشاهدة وأرباب القلوب معرفة لأرب فيها أن قوله الله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - صدق وأنه لا تخلو ذرة من الخير عن أثر كالا تخلو شعيرة تطرح في الميزان عن أثر ولو خلت الشعيرة الأولى عن أثر لكانت الثانية مثلها ولكن لا يرجع الميزان بأعمال الذرات وذلك بالضرورة بحال بل ميزان الحسنات يرجع بذرات الخير إلى أن يثقل قترفع كفة السيئات فإياك أن تستصغر ذرات الطاعات فلا تأتيتها وذرات العاصي فلا تنفها كالمرأة الحرقاء تسكن عن القول تعالا بأنها لا تقدر في كل ساعة إلا على خطيئة واحد وتقول أي غنى يحصل غيظ وما وقع ذلك في الثياب ولا تدرى العتوة أن ثياب الدنيا اجتمعت خطاياها وأن أجسام العالم مع اتساع أقطاره اجتمعت ذرة ذرة فاذن التضرع والاستغفار بالقلب حسنة لا تضيع عند الله أصلا بل أقول الاستغفار باللسان أيضا حسنة إذ حركة اللسان بها عن غفلة خير من حركة اللسان في تلك الساعة بنية مسلم أو فضول كلام بل هو خير من السكوت عنه فيظهر فضله بالإضافة إلى السكوت عنه وإنما يكون قصانا بالإضافة إلى عمل القلب . ولذلك قال بعضهم لشيوخه أي عثمان الغري : إن لسان في بعض الأحوال يجزى بالذكر والقرآن وقلي غافل . قال اشكر الله إذ استعمل جارحة من جوارحك في الخير وعوده الذكر ولم يستعمله في الشر ولم يعود الفضول وما ذكره حق فإن تعود الجوارح للخيرات حتى يصير لها ذلك كالطبع يدفع جملة من الناسي فمن تعود لسانه الاستغفار إذا مع من غيره كذبا سبق لسانه إلى ما تعود فقال استغفر الله ومن تعود الفضول سبق لسانه إلى قول ما أحقك وما أقبح كذبك ومن تعود الاستعاذة إذا حدث بظهور مبادئ الشر من شرير قال بحكم سبق اللسان نعمود بالله وإذا تعود الفضول قال لعنه الله فيعصي في إحدى السكمتين وسلم في الأخرى وسلامته أثر اعتياد لسانه الخير وهو من جملة معاني قوله تعالى - إن الله لا يضيع أجر المحسنين - ومعاني قوله تعالى - وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما - فأنظر كيف ضاعفها إذ جعل الاستغفار في العفة عادة اللسان حتى دفع بذلك العادة شر العصيان بالغيرة واللهم والفضول هذا تضعيف في الدنيا لأدنى الطاعات وتضعيف الآخرة كبر لو كانوا

إن كان متفرغا ليس له شغل في الدنيا يشغل في أنواع العمل من الصلاة والتلاوة والذكر إلى وقت الضحى وإن كان ممن له في الدنيا شغل إما لنفسه أو لعباله فليحضر لحاجته ومهامه بعد أن يصلي ركعتين لخروجه من المنزل وهكذا ينبغي أن يفعل أبدا لا يخرج من البيت إلى جهة إلا بعد أن يصلي ركعتين إليه الله سوء المخرج ولا يدخل البيت إلا ويصلي ركعتين ليقبه الله سوء الدخول بعد أن يصلي على من في المنزل من الزوجة وغيرها وإن لم يكن في البيت

يسعون - فأياك وأن تلج في الطاعات مجرد الآفات فتفر رغبتك عن العبادات من هذه مكية ورجعها الشيطان بلمته على الثرورين وخيل إليهم أنهم أرباب البصائر وأهل التذلل للخفايا والسرائر فأخبر في ذكرنا باللسان مع غفلة القلب فانقسم الحلق في هذه السكيدة إلى ثلاثة أقسام: ظالم لنفسه ومقتصد وسابق بالحيرات . أما السابق فقال صدقت ياملون ولكن هي كتحقيق أردت بها إبلا لا جرم أعذبك مرين وأرغم أنفك من وجهين فأضيف إلى حركة اللسان حركة القلب فكان كالذي داوى جرح الشيطان بشر الملح عليه . وأما الظالم للثرور فاستشعر في نفسه خيلاء الفطنة لهذه الدققة ثم هجر عن الإخلاص بالقلب فترك مع ذلك تويد اللسان بالذكر فأضعف الشيطان وتمدلى بجبل غروره فتمت بينهما المشاركة والواقعة كإبل : وافق شئ طبقه . واقفه فاعتنفه . وأما المقتصد فلم يقدر على إرفاقه بشارك القلب في العمل وتظن لتقصان حركة اللسان بالإضافة إلى القلب ولكن اعتدى إلى كاله بالإضافة إلى السكوت والفضول فاستمر عليه وسأل الله تعالى أن يترك القلب مع اللسان في اعتياد الخير فكان السابق كالحائك الذي ذمت حياكنه فتركها وأصبح كاتباً والظالم للتخلف كالذي ترك الحياكة أصلاً وأصبح كاساً والمقتصد كالذي هجر عن الكتابة فقال لأنكر مقدمة الحياكة ولكن الحائك مذموم بالإضافة إلى السكاب لا بالإضافة إلى الكناس فذا هجرت عن الكتابة فلا ترك الحياكة كذلك قالت رابعة العدوية استغفارتنا محتاج إلى استغفار كثير فلا تظن أنها تدم حركة اللسان من حيث إنه ذكر الله بل تدم غفلة القلب فهو محتاج إلى الاستغفار من غفلة قلبه لا من حركة لسانه فإن سكنت عن الاستغفار باللسان أيضاً احتاج إلى استغفار لا إلى استغفار واحد فكذا ينبغي أن تفهم ما يدم وما يمد وما يعمد وإلا جهلت معنى مقال القائل الصادق: حسنت الأبرار سيئات القرين . فإن هذه أمور ثبتت بالإضافة فلا ينبغي أن تؤخذ من غير إضافة بل ينبغي أن تستحقر ذرات الطاعات والمعاصي ولذلك قال جعفر الصادق إن الله تعالى خبياً ثلاثاً في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحفروا منها شيئاً فقلتم رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحفروا منها شيئاً فقلتم غضبه فيه وخبياً ولايته في عبادته فلا تحفروا منهم أحداً فقلتم ولي الله تعالى وزاد خبياً إجابته في دعائه فلا تتركوا الدعاء فربما كانت الأجابه فيه .

(الركن الرابع في دواء التوبة وطريق العلاج لحل عقدة الإصرار)

اعلم أن الناس قلمان : شاب لاصبوه له نشأ على الخير واجتنب الشر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم « تعجب ربك من شاب ليست له صوة <sup>(١)</sup> » وهذا عز زنادر : والقسم الثاني هو الذي لا يخلو عن مقارفة الذنوب ثم هم ينقسمون إلى مصرين وإلى ثائمين وغرضنا أن نبين العلاج في حل عقدة الإصرار ونذكر الدواء فيه . فاعلم أن شفاء التوبة لا يحصل إلا بالدواء ولا يقبض على الدواء من لا يقف على الدواء إلا معنى للدواء إلا متناضفة أسباب الداء فكل داء حصل من سبب فالدواء حل ذلك السبب ورفضه وإبطاله ولا يبطئ الشيء إلا بضده ولا سبب للإصرار إلا التعلق بالشهوة ولا يضاد الغفلة إلا التلم ولا يضاد الشهوة إلا الصبر على قطع الأسباب المحركة للشهوة والغفلة رأس الخطايا قال تعالى - وأولئك هم المنافقون لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون - فلا دواء إذن للتوبة إلا لمعجون معين من خلوة الدم ومرارة الصبر وكما يجمع السكتين بين خلوة السكر وحوضة الحل وبقدرة بكل منهما غرض آخر في العلاج بمجموعهما فيقع الأسباب للهجة للصبراء فكذا ينبغي أن تفهم علاج القلب مما به من مرض الإصرار فاذن لهذا الدواء أصلان : أحدهما التلم والآخر الصبر ولا بد من بينهما .

(١) حديث يجب ربك من الشاب ليست له صوة أحمد والطبراني من حديث عقبه بن عامر وفيه ابن أبي عمير .

أحد يسلم أيضاً يقول السلام على عباد الله الصالحين المؤمنين وإن كان متفرغاً فأحسن أشغاله في هذا الوقت إلى صلاة الضحى الصلاة فإن كان عليه قضاء صلى صلاة يوم أو يومين أو أكثر وإلا فليصل ركعات يطولها ويقرأ فيها القرآن فقد كان من الصالحين من يحتم القرآن في الصلاة بين اليوم واليلة وإلا فليصل أعداداً من الركعات خفيفة بفاعة الكتاب وقل هو الله أحد والآيات التي في القرآن وفيها الدعاء مثل قوله تعالى - ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا - وإليك المصير -

فإن قلت أنفع كل علم لحل الإصرار أم لا بد من علم مخصوص . فاعلم أن العلوم بمجملها أدوية لأمراض القلوب ولكن لكل مرض علم يخصه كما أن علم الطب نافع في علاج الأمراض بالجملة ولكن يخص كل علة علم مخصوص فكذلك دواء الإصرار . فلنذكر خصوص ذلك العلم على مواز تقمص الأبدان ليكون أقرب إلى الفهم ، فنقول : يحتاج المريض إلى التصديق بأمر : الأول أن يصدق على الجملة بأن للمرض والصحة أسبابا يتوصل إليها بالاختيار على ما رتبته مسبب الأسباب وهذا هو الإيمان بأصل الطب فإن من لا يؤمن به لا يشتغل بالعلاج ويعق عليه الهلاك وهذا وزانه عما نحن فيه الإيمان بأصل الشرع وهو أن السعادة في الآخرة سببا هو الطاعة والعشقاوة سببا هو الصبر وهذا هو الإيمان بأصل الشرائع وهذا لا بد من حصوله إما عن تحقيق أو تقليد وكلاهما من جملة الإيمان . الثاني أنه لا بد أن يعتقد المريض في طبيب معين أنه عالم بالطب حاذق فيه صادق فيما يبر عنه لا يلبس ولا يكذب فإن إيمانه بأصل الطب لا ينفعه بمجرد دون هذا الإيمان ، ووزانه عما نحن فيه العلم بصدق الرسول صلى الله عليه وسلم والإيمان بأن كل ما يقوله حق وصدق لا كذب فيه ولا خلف . الثالث أنه لا بد أن يصنى إلى الطبيب فيما يحذره عنه من تناول القواكه والأسباب للضرر على الجملة حتى يفلت عليه الخوف في ترك الاحتيا . فتكون شدة الخوف باعثة له على الاحتيا . ووزانه من الدين الاصناف إلى الآيات والأخبار الشتملة على الترهيب في التقوى والتحذير من ارتكاب الذنوب واتباع الهوى والتصديق بجميع ما يلقي إلى سمعه من ذلك من غير شك واستراية حتى يثبت به لحوف القوى على الصبر الذي هو الركن الآخر في العلاج . الرابع أن يصنى إلى الطبيب فيما يخص مرضه وفيما يلزمه في نفسه الاحتيا . عنه ليعرفه أو لا تفصيل ما يضره من أفعاله وأحواله وما كوله ومشروبه فليس على كل مريض الاحتيا . عن كل شيء ولا ينفعه كل دواء بل لكل علة خاصة علم خاص وعلاج خاص ووزانه من الدين أن كل علة فليس يتل بكل شهوة وارتكاب كل ذنب بل لكل مؤمن ذنب مخصوص أو ذنوب مخصوصة وإنما حاجته في الحال مرهقة إلى العلم بأنها ذنوب ثم إلى العلم بآفاتهما وقدر ضررها ثم إلى العلم بكيفية التوصل إلى الصبر عنها ثم إلى العلم بكيفية تكفير ما سبق منها فهذه علوم يختص بها أطباء الدين وهم العلماء الذين هم مودة الأنبياء فالعاصي إن علم عصيانه فعليه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وإن كان لا يدري أن ما يرتكبه ذنب فعلى العالم أن يعرفه ذلك ، وذلك بأن يتكفل كل عالم باقليم أو بلدة أو محلة أو مسجد أو مشهد فيعلم أهله دينهم ويعبر ما يضرهم عما ينفعهم وما يشقهم عما يسدهم ولا ينبغي أن يصبر إلى أن يشتغل عنه بل ينبغي أن يتصدى لدعوة الناس إلى نفسه فاتهم ورثة الأنبياء والأنبياء ما تركوا الناس على جهلهم بل كانوا يتادبونهم في مجامعهم ويدورون على أبواب دورهم في الابتداء ويطلبون واحدا واحدا فيرشدونهم فإن مرضى القلوب لا يعرفون مرضهم كما أن الذي ظفر على وجهه برص ولا مرآة معه لا يعرف برصه ما لم يعرف غيره وهذا فرض عين على العلماء كافة وعلى السلاطين كافة أن يرتبوا في كل قرية وفي كل محلة قتها متدينا يعلم الناس دينهم فإن الحق لا يولدون إلا جهلا فلا بد من تبليغ الدعوة إليهم في الأمل والقرع والدنيا دار الرضى إذ ليس في بطن الأرض إلا ميت ولا على ظهرها إلا سقيم ومرضى القلوب أكثر من مرضى الأبدان والطباء أطباء والسلاطين قوام دار الرضى فكل مريض لم يقبل العلاج بدواوة العالم يسلم إلى السلطان ليكشف شره كما يسلم الطبيب للمريض الذى لا يحتمى أو الذى غلب عليه الجنون إلى القيم ليقبده بالسلاسل والأغلال ويكشف شره عن نفسه وعن سائر الناس وإنما صار مرض القلوب أكثر من مرض الأبدان ثلاث علل : إحداها أن المرض به لا يدري أنه مريض . والثانية أن عاقبته غير مشاهدة في هذا العالم بخلاف مرض البدن

وأمثال ههنا الآية يقرأ في كل ركعة آية منها إما مرة أو يكررها مهما شاء ويقدر الطالب أن يحلى بين الصلاة التي ذكرناها بعد طلوع الشمس وصلاة الضحى مائة ركعة خفيفة وقد كان في الصالحين من ورده بين اليوم واليلة مائة ركعة إلى مائتين إلى خمسمائة إلى ألف ركعة ومن ليس له في الدنيا شغل وقد ترك الدنيا إلى أهلها لسا باله يسطر ولا ينتم بخدمة الله تعالى . قال سهل بن عبد الله التستري لا يكمل شغل قلب عبد بالله الكريم وله في الدنيا حاجة فإذا ارتفعت الشمس

فإن عاقبة موت مشاهد تنفر الطباع منه وما يجد اللوث غير مشاهد وعاقبة الذنوب موت القلب وهو غير مشاهد في هذا العالم قتلت النفرة عن الذنوب وإن عليها مرتكبها فذلك تراه يشكلى على فضل الله في مرض القلب ويجهد في علاج مرض البدن من غير اتكال . والثالثة : وهو الداء الضال قد الطيب فإن الأطباء هم العلماء وقد مرضوا في هذه الأعصار مرضا شديدا بهزوا عن علاجه وصارت لهم سلة في عموم المرض حتى لا يظهر قصاتهم فاضطروا إلى إغواء الخلق والاعارة عليهم بما يزيد مرضا لأن الداء للهك هو حب الدنيا وقد غلب هذا الداء على الأطباء فلم يقدر واحد على تحذير الخلق منه استنكافا من أن يقال لهم فلما لكم تأمرون بالعلاج وتمنون أن تسكنم فهذا السبب عم على الخلق الداء وعظم الوباء واتطع الدواء وهلك الخلق فقد الأطباء . بل اشتغل الأطباء بغنم الإغواء عليهم فلم ينصحوهم بالمعشوا وإذا لم يصلحوا لم يفسدوا ولينهم سكوا وما نطقوا فاتهم إذا تكلموا لم يهمنهم في مواعظهم إلا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ولا يتوصلون إلى ذلك إلا بالإرجاء وتخليب أسباب الرجاء وذلك لائق الرحمة لأن ذلك أقد في الأسماع وأنف على الطباع فتصرف الخلق عن مجالس الوعظ وقد استفادوا من يد جراءة على العاصي ومزيد حجة بغض الله ومهما كان الطبيب جاهلا أو خائفا أهلك بالدواء حيث يضعه في غير موضعه فالرجاء والخوف دواء آن ولكن لشخصين متضادى الملة أما الذى غلب عليه الخوف حتى هجر الدنيا بالكلية وكلف نفسه ما لا يطيق وضيق العيش على نفسه بالكلية فكسر سورة إسراره في الخوف بذكر أسباب الرجاء ليعود إلى الاعتدال وكذلك الصر على الذنوب للشهية لثبوتة للمتتبع عنها بحكم القنوط واليأس استظاما للذنوب التى سبقت يصلح أيضا بأسباب الرجاء حتى يطمع في قبول التوبة فيتوب ، فأما معالجة للقرور السترسل في للعاصي بذكر أسباب الرجاء فيضاهى معالجة الهرور بالصل طلبا للشفاء وذلك من دأب الجهال والأغبياء فاذن فساد الأطباء هى المصلحة الرباء التى لا تغلب الدواء أصلا . فإن قلت : فاذسكن الطريق الذى يبنى أن يسلكه الواعظ في طريق الوعظ مع الخلق . فاعلم أن ذلك بطول ولا يمكن استقصاؤه ، نعم تشير إلى الأنواع النافعة في حل عقدة الإصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهى أربعة أنواع : الأول أن يذكر ما فى القرآن من الآيات المخوفة للذنبين والعاصين ، وكذلك ماورد من الأخبار والآثار مثل قوله صلى الله عليه وسلم « ما من يوم طلع جفره ولا ليلة غاب شفقها إلا ومكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدها : يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ، ويقول الآخر : يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ، فيقول الآخر : يا ليتهم إذ لم يعلموا لماذا خلقوا علموا بما علموا » وفى بعض الروايات « ليتهم تبالسوا فتذكروا ما علموا ، ويقول الآخر : يا ليتهم إذ لم يعلموا بما علموا تابوا بما عملوا » وقال بعض السلف إذا أذنب البعد أمر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو أمير عليه أن يرفع القلم عنه ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتب عليه وإن لم يستغفر كتبها . وقال بعض السلف ما من عبد يحصى الاستأذن مكانه من الأرض أن يحسف بهواستأذن سقته من السماء أن يسقط عليه كسفا ، فيقول الله تعالى للأرض والسماء كفا عن عبيدى وأمهلاء فإنك لا تمخلقاهم ولو خلقتهم لرحمتهم ولله يتوب إلى فأغفر له ولله يستبدل ما حلما فأبدله له حسنات

(١) حديث ما من يوم طلع جفره ولا ليلة غاب شفقها إلا ومكان يتجاوبان بأربعة أصوات فيقول أحدها يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا الحديث غريب لم أجده هكذا . وروى أبو منصور الديلمى في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف إن لله ملكا ينادى في كل ليلة أبناء الأربعة زرع قد دنا حساه الحديث وفيه ليت الخلاق لم يخلقوا ولينهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا فجالسوا بينهم فتذكروا الحديث .

وتصف الوقت من صلاة الصبح إلى الظهر كما يتصف الصر بين الظهر والغرب على الضحى فهذا الوقت أفضل الأوقات لصلاة الضحى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « صلاة الضحى إذا رمضت الفصال وهو أن يتم الفصيل في ظل أمه عند حر الشمس . وقبل الضحى إذا ضحيت الأقدام غير الشمس وأقل صلاة الضحى ركعتان وأكثرها اثنتا عشرة ركعة ويجعل نفسه دعاء بعد كل ركعتين ويسبح ويستغفر ثم بعد ذلك إن كان هناك

فذلك معنى قوله تعالى - إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده - وفي حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه « الطابع معلق بقائمة العرش فإذا انتهكت الحرمات واستحلقت الهامم أرسل الله الطابع فيطبع على القلوب بما فيها (١) » وفي حديث مجاهد « القلب مثل الكف للفتوحة كلما أذنب البعد ذنبا انقبضت أصبح حتى تنقبض الأصابع كلها فيسحب على القلب فذلك هو الطابع (٢) » وقال الحسن : إن بين البعد وبين الله حدا من النامى معلوما إذا بلغه البعد طبع الله على قلبه فلم يوقه بعدها حيز والأخبار والآثار في ذم العاصي ومدح التائبين لا تحصى فيبين أن يستكثر الواعظ منها إن كان وارث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه ما خلف دينارا ولا درهما إنما خلف العلم والحكمة وورثه كل عالم بقدر ما أصابه (٣) .

التوع الثاني : حكايات الأنبياء والسلف الصالحين وما جرى عليهم من العاصب بسبب ذنوبهم فذلك شديد الوقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل أحوال آدم صلى الله عليه وآله وسلم في عصيانه وما لقيه من الإخراج من الجنة والتاج والإكليل من وجهه أن يرتضا عنه فجاءه جبريل عليه السلام فأخذ التاج عن رأسه وحل الإكليل عن جبينه ونودي من فوق العرش : اهبط من جوارى فإنه لا يجاورني من عصائي قال فالتفت آدم إلى حواء باكية وقال هذا أول شقوى العصية أخرجا من جوار الحبيب. وروى أن سليمان بن داود عليهما السلام لما عوقب على خطيئته لأجل القتال الذي عيذ في داره أربعين يوما وقيل لأن المرأة سأله أن يحكم لأبيها فقال نعم ولم يفعل وقيل بل أحب بقلبه أن يكون الحكم لأبيها على خصمه لمساكنها منه فسلم ملكه أربعين يوما فهرب تأمها على وجهه فكان يسأل بكفه فلا يطمع فإذا قال أطعموني فاني سليمان بن داود شجع وطرد وضرب . وحكى أنه استعلم من بيت لأمراهه فطردته وصفت في وجهه . وفي رواية أخرجت عجوز جرة فيها بول فضبت على رأسه إلى أن أخرج الله الحاتم من بطن الحوت قلبه بعد انقضاء الأربعين (أيام القنوبة) قال فجاوت الطيور فضكت على رأسه وجاءت الجن والشياطين والوحوش فاجتمعت حوله فاعتذر إليه بعض من كان جنى عليه فقال لا ألومكم بها فسلم من قبل ولا أحكم في عذركم الآن إن هذا أمر كان من السماء ولا بد منه . وروى أن الاسرائيليات أن رجلا تزوج امرأة من بلدة أخرى فأرسل عبده ليحملها إليه فزادته شهوة وطالبته بها فجاهدها واستعصم قال فنبأ الله بركة تنواه فكان نبيا في بني إسرائيل وفي قصص موسى عليه السلام أنه قال للخضر عليه السلام بم أطعمك الله على علم القلب قال بتركي العاصي لأجل الله تعالى . وروى أن الرب كانت تسير بسليمان عليه السلام فظفر إلى قيصة نظرة وكان جديدا فكانه أعجبه قال فوضعت الربح فقال لم فعلت هذا ولم أترك ؟ قالت إنما نطعمك إذا أطعت الله .

حق بغض عما نذب إليه من زيارة أو عيادة بعض فيه وإلا فيدم العمل لله تعالى من غير حضور ظاهرها وباطنها وقبلها وقابلا وإلا فيطاعنا وترتيب ذلك أنه يصل مادام منكسرا وخشعه عجية فإن سم يزل من الصلاة إلى التلاوة فإن مجرد التلاوة أخف على النفس من الصلاة فإن سم التلاوة أيضا يذكر الله بالتعاقب واللسان فهو أخف من القراءة فإن سم الذكر بدع ذكر اللسان ويلزم بقية الرقابة والراقبة في القلب بنظر الله تعالى إليه فما دام هذا العلم مسلما لما قبله فهو مراقب والراقبة عين

(١) حديث عمر الطابع معلق بقائمة من فوائم العرش فإذا انتهكت الحرمات الحديث ابن عدى وابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عمر وهو منكر (٢) حديث مجاهد القلب مثل الكف للفتوحة . قلت هكذا قال الصنف وفي حديث مجاهد وكأنه أراد به قول مجاهد وكذا ذكره القسرون من قوله وليس بمرفوع وقد رويناه في شعب الإيمان للبيهقي من قول حذيفة (٣) حديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم ما خلف دينارا ولا درهما إنما خلف العلم والحكمة البخاري من حديث عمرو بن الحرث قال مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عند موته دسارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة وسلم من حديث عائشة مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا شاة ولا بيرا روى حديث أبي الدرداء إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما إنما ورثوا العلم الحديث وقد تقدم في العلم .

وروى أن الله تعالى أوحى إلى يعقوب عليه السلام أتدري لم فرقت بينك وبين ولدك يوسف ؟ قال لا . قال لتوكت لإخوته - أخاف أن يأكله الذئب وأنهم عنه غافلون - لم خفت عليه الذئب ولم ترجى ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حفظي له وتدري لم رددته عليك ؟ قال لا قال لأنك رجوتني وقلت - عسى الله أن يأتيني بهم جميعا - وبما قلت - اذهبوا فاحسبوا من يوسف وأخيه ولا تبأسوا - وكذلك لما قال يوسف لصاحب الملك - اذكرني عند ربك - قال الله تعالى - فأناشد الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين - وأمثال هذه الحكايات لا تنحصر ولم يرد بها القرآن والأخبار ورود الأسرار بل القرض بها الاعتبار والاستبصار لتعلم أن الأنبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغار فكيف يتجاوز عن غيرهم في الذنوب السكبار، نعم كانت سعادتهم في أن عوجلوا بالعقوبة ولم يؤخروا إلى الآخرة والأشقياء يهلون ليزدادوا وإنما ولأن عذاب الآخرة أشد وأكبر - فهذا أيضا مما ينبغي أن يكثر جنسه على أسباع للصرين فإنه نافع في تحريك دواعي التوبة . النوع الثالث : أن يقرر عذمه أن تسجل العقوبة في الدنيا متوقع على الذنوب وأن كل ما يصيب العبد من المصائب فهو بسبب جنائياته قرب عبد يتساهل في أمر الآخرة ويخاف من عقوبة الله في الدنيا أكثر لقرط جهله فيبني أن يخوف به فإن الذنوب كلها تسجل في الدنيا شؤونها في غالب الأمور كما حكى في قصة داود وسليمان عليهما السلام حتى إنه قد يضيق على العبد رزقه بسبب ذنوبه وقد تسقط منزلته من القلوب ويستولى عليه أعداؤه قال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليجرم الرزق بالذنب بصيه » (١) وقال ابن مسعود إنى لأحسب أن العبد ينسى العلم بالذنب بصيه وهو معنى قوله عليه السلام « من قارف ذنباً فارق عقله لا يوجد إليه أبداً » (٢) وقال بعض السلف لبيت اللئمة سواداً في الوجه وقصاً في السال إنما اللئمة أن لا تخرج من ذنب إلا وقعت في مثله أو شر منه وهو كما قال لأن اللئمة هي الطرد والإبعاد فإذا لم يوفق للخير ويسر له الشر فقد أبعد والحرماني عن رزق التوفيق أعظم حرمان وكل ذنب فإنه يدعو إلى ذنب آخر ويتضاعف فيجرم العبد به عن رزقه النافع من مجالة العلماء للتكرين للذنوب ومن مجالة الصالحين بل يحتمل الله تعالى ليقته الصالحون . وحكى عن بعض العارفين أنه كان يمشي في الوحل جامعا ثيابه محترزا عن زلقة رجله حتى زلقت رجله وسقط ققام وهو يمشي في وسط الوحل ويسكي ويقول هذا مثل العبد لا يزال يتوق الذنوب ويحاربها حتى يقع في ذنب وذنوب فتندفعه بغوص في الذنوب خوفاً وهو إشارة إلى أن الذنب تسجل عقوبته بالانجرار إلى ذنب آخر ولذلك قال الفضيل ما أنكرت من خير الزمان وجفاء الإخوان فذنوبك ورتبك ذلك وقال بعضهم إنى لأعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال آخر أرف العقوبة حتى في فأرى يبق وقال بعض صوفية الشام نظرت إلى غلام نصراني حسن الوجه فوقت أنظر إليه فمرني ابن الجلاء الدمشقي فأخذ يدي فاستحييت منه فقلت يا أبا عبد الله سبحانه الله تعجب من هذه الصورة الحسنة وهذه الصنعة المحسنة كيف خلقت للشار قمقم يدى وقال لتجدن عقوبتها بعد حين قال فعوقبت بها بعد ثلاثين سنة . وقال أبو سليمان الداراني الاحتلام عقوبة وقال لا يغوث أحد أصلا جماعة إلا بذنب يذنبه وفي الخبر « ما أنكرتم من زمانكم فيها غيرتم من أعمالكم » (٣) وفي الخبر « يقول الله تعالى إن أدنى ما أنصنع

(١) حديث إن العبد ليجرم الرزق بالذنب بصيه ابن ماجه والحاكم وصحح إسناده واللفظه إلا أنه قال الرجل بدل العبد من حديث ثوبان (٢) حديث من قارف ذنباً فارق عقله لا يوجد إليه أبداً تقدم (٣) حديث ما أنكرتم من زمانكم فيها غيرتم من أعمالكم البيهقي في الزهد من حديث أبي الدرداء

الذكر وأفضله فإن يحز  
عن ذلك أيضا وتعلسته  
الواسوس وراسم في  
باطنه حديث النفس  
فليتم في النوم السلامة  
وإلا فتفكر حديث  
النفس تقى القلب  
كثرة الكلام لأنه  
كلام من غير اسان  
فيحترز عن ذلك قال  
سهل بن عبد الله أسوأ  
العاصي حديث النفس  
والطالب يريد أن يتخير  
باطنه كما يتخير ظاهره  
فانه بحديث النفس  
وما يتخايل له من ذكر  
مامضى ورأى ومع  
كشخص آخر في باطنه  
فيقيد الباطن بالمراقبة  
والرعاية كما يقيد الظاهر  
بالعمل وأنواع الذكر  
ويمكن للطالب المجتهد

بالعبء إذا أثر شهوته على طاعته أن أحرمه فليبد مناجاتي (١) . وحكى عن أبي عمرو بن علاون في قصة يطول ذكرها قال فيها كنت قائماً ذات يوم أصلى غامرة فاني هوى طاولته فسكنت حتى تولد منه شهوة الرجال فوضت إلى الأرض واسود جسدي كله فاستترت في البيت فلم أخرج ثلاثة أيام وكنت أعالج غشاه في الحمام بالصابون فلا يزداد إلا سودا حتى انكشف بعد ثلاث فلقيت الجليد وكان قد وجه إلى فأخصني من الرقة فلما أتيت قال لي أما استحيت من الله تعالى كنت قائماً بين يديه فصاررت نفسك بشهوة حتى استولت عليك برقة وأخرجتك من بين يدي الله تعالى فلولا أني دعوت الله لك وتبت إليه عنك لقتيت الله بذلك اللون قال فصبرت كيف علم بذلك وهو يفتاد وأنا بالبرقة . واعلم أنه لا يذنب العبد ذنباً إلا ويسود وجه قلبه فإن كان سعيداً أظهر السواد على ظاهره ليترجر وإن كان شقياً أخفى عنه حتى يهلك ويستوجب النار والأخبار كثيرة في آفات القنوب في الدنيا من الفقر والمرض وغيره بل من شؤم القنب في الدنيا على الجملة أن يكسب ما يبدد صفته فإن ابتلى بشيء كان عقوبة له وبجرم جميل الرزق حتى يتضاعف شقاؤه وإن أصابته نعمة كانت استدراجاً له وبجرم جميل الشكر حتى يماقب على كفرانه وأما للطبع لمن ركة طاعته أن تكون كل نعمة في حقه جزاء على طاعته ويوفى لشكرها وكل بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته .

النوع الرابع : ذكر ماورد من العقوبات على آحاد الذنوب كالحر والزنا والسرقة والقتل واليأس والتكبر والحسد وكل ذلك مما لا يمكن حصره وذكره مع غير أهله وضع الدواء في غير موضعه بل ينبغي أن يكون العالم كالطبيب الحاذق فيستدل أولاً بالبض والسحنة ووجود الحركات على العلل الباطنة ويشتمل بعلاجها فليستدل بفرائض الأحوال على خفايا الصفات وليتعرض لما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال له واحد « أوصني يا رسول الله ولا تنكر على قال لا تنصب (٢) » وقال له آخر « أوصني يا رسول الله فقال عليه السلام عليك باليأس مما في أيدي الناس فإن ذلك هو الثقي وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع وإياك وما يستدر منه (٣) » وقال رجل لمحمد بن واسع أوصني فقال أوصيك أن تكون ملكاً في الدنيا والآخرة قال وكيف لي بذلك قال ألزم الزهد في الدنيا فكا أنه صلى الله عليه وسلم توسم في السائل الأول مخايل التضب قناه عنه وفي السائل الآخر مخايل الطمع في الناس وطول الأمل وتخيل محمد بن واسع في السائل مخايل الحرص على الدنيا وقال رجل لماذا أوصني فقال كن رجلاً كن لك بالجنز عيا فكا أنه نفرس فيه آثار القضاة والمظلة . وقال رجل لاراهم بن آدم أوصني فقال : إياك والناس وعليك بالناس ولا بد من الناس فإن الناس هم الناس وليس كل الناس بالناس ذهب الناس وبني الناس وما أرام بالناس بل غموا في ماء اليأس فكا أنه نفرس فيه آفة المخالطة وأخبر عما كان هو الغالب على حاله في وقته وكان الغالب آذاه بالناس والكلام على قدر حال السائل أولى من أن يكون بحسب حال القائل وكتب معاوية رحمه الله إلى عائشة رضي الله عنها أن اكتبني كتاباً توصيني فيه ولا تنكرني فكتبني إليه من عائشة إلى معاوية سلام عليك أما بعد فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

أن يصلي من صلاة الضحى إلى الاستواء مائة ركعة أخرى وأقل من ذلك عشرون ركعة يصلها خفيفة أو يقرأ في كل ركعتين جزءاً من التمرآن أو أقل أو أكثر والنوم بعد الفراغ من صلاة الضحى وبعد الفراغ من أعداد آخر من الركعات حسن . قال صفبان كان يحجبهم إذا فرغوا أن ينموا طلباً للسلامة وهذا النوم فيه فوائد منها أنه يعين على قيام الليل ومنها أن النفس تستريح ويصفو القلب ببقية النهار والعمل فيه والنفس إذا استراحت عادت جديدة فيبد الإقبال

وقال غريب نمرود به هكذا العقيلي وهو عبيد الله بن هانيه . قلت : هو منهم بالكذب قال ابن أبي حاتم روى عن أبيه أحاديث بواطيل (١) حديث يقول الله إن أدنى ما صنع بالبد إذا أثر شهوته على طاعته أن أحرمه لذة مناجاتي غريب لم أجده (٢) حديث قال رجل أوصني ولا تنكر على قال لا تنصب تقدم (٣) حديث قال له آخر أوصني قال عليك باليأس الحديث ابن ماجه والحاكم وقد تقدم .

ومن النفس رضا الله بسخط الناس كفاء الله مؤنة الناس ومن النفس سخط الله رضا الناس وكله الله إلى الناس (١) والسلام عليك فانظر إلى فهمها كيف تفرغت لآفة التي تكون الولاية بسدها وهي مراعاة الناس وطلب مرضاتهم وكتبت إليه مرة أخرى : أما بعد ؛ فأتق الله فانك إذا اتقيت الله كفاك الناس وإذا اتقيت الناس لم يغفوا عنك من الله شيئا والسلام . فاذن على كل ناسح أن تكون عنايته مصروفة إلى فخر الصفات الحفية ونوم الأحوال الثلاثة ليسكون اشتغاله بالمهم فان حكاية جميع مواظب الشرع مع كل واحد غير ممكنة والاشتغال بوعظه بما هو مستغن عن التوعظ فيه تعريض زمان . فان قلت : فان كان الواظ يتكلم في جمع أوساؤه من لا يدري باطن حاله أن يعظه فكيف يعمل . فاعلم أن طريقه في ذلك أن يعظه بما يشترك كافة الخلق في الحاجة إليه إما على العموم وإما على الأكثر فان في علوم الشرع أغذية وأدوية فالأغذية للكافة والأدوية لأرباب العلل . ومثاله ما روي أن رجلا قال لأبي سعيد الخدري أوصني قال عليك بتقوى الله عز وجل فانها رأس كل خير عليك بالجهاد فانه رهبانية الاسلام وعليك بالقرآن فانه نور لك في أهل الأرض وذكر لك في أهل السماء . وعليك بالصمت لإمن خير فانك بذلك تغلب الشيطان . وقال رجل لأحسن أوصني فقال أعز أمر الله عزك الله . وقال لقمان لابنه يا بني زاحم العلماء بركتك ولا تجادلهم فيمقتوك وخذ من الدنيا بلاغك وأتق فضول كسبك لأخركك ولا ترفض الدنيا كل الرضا فستكون عيالا وعلى أعناق الرجال كلا وصم صوما يكسر شهوتك ولا تصم صوما يضرب بصلاتك فان الصلاة أفضل من الصوم ولا تجالس السفه ولا تخالط ذا الوجهين . وقال أيضا لابنه يا بني لا تضحك من غير عجب ولا تضحى في غير أرب ولا تسأل عمالا حيك ولا تضيع مالك وتصلح مال غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما تركت يا بني إن من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغم ومن يقل الشر يأنم ومن لا يملك لسانه يندم وقال رجل لأبي حازم أوصني فقال كل مال وجارك كاللوث عليه فرائته غنيمة فائز به وكل مال وجارك اللوث عليه فرائته مصيبة فاجتنبه . وقال موسى لأخضر عليهما السلام أوصني فقال كن بساما ولا تكن غضابا وكن فاعا ولا تكن ضاررا وأنزع عن الجاجة ولا تعش في غير حاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تدير الخطائين بخطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران . وقال رجل لمحمد بن كرام أوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا نفسك وقال رجل لحامد اللعاف أوصني فقال اجعل ليدك غلافا كغلاف الصنف أن تدنسه الآفات قال وما غلاف الدين قال ترك طلب الدنيا إلا ما لا بد منه وترك كثرة الكلام إلا ما لا بد منه وترك مخالطة الناس إلا ما لا بد منه . وكتب الحسن إلى عمر بن عبد العزيز رحمهم الله تعالى : أما بعد ، خف مما خوفك الله واحذر مما حذر الله وخذ مما في يديك فند اللوث بأيتك الخير اليقين والسلام ، وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن يسأله أن يعظه فكتب إليه : أما بعد ، فان الهول الأعظم والأمور الفظيعة أمامك ولا بد لك من مشاهدة ذلك إما بالنجاة وإما بالمطب ، واعلم أن من حاسب نفسه ربح ومن غفل عنها خسر ومن نظر في العواقب نجح ومن أطاع هواه ضل ومن حلم غم ومن خاف أمن ومن آمن اعتبر ومن اعتبر أبصر ومن أبصر فهم علم فاذا زلت فارجع وإذا ندمت فأقلع وإذا جهلت فاسأل وإذا غضبت فأمسك . وكتب مطرف بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله : أما بعد ، فان الدين دار عقوبة ولها يجمع من لا علة له وبها يفتر من لا علم عنده فكُن فيها يأمر للؤمنين كالمدادى جرحه يصير

(١) حديث عائشة من النفس رضا الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس الحديث الترمذي والحاكم وفي مسند الترمذي من لم يحس .

من نوم النهار تجد في الباطن نشاطا آخر وشغلا آخر كما كان في أول النهار فيكون لصادق في النهار بهاران يغتنمهما بخدمة الله تعالى والدؤوب في العمل وينبغي أن يكون ابتلاه من نوم النهار قبل الزوال بساعة حتى يتسكن من الوضوء والطهارة قبل الاستواء بحيث يكون وقت الاستواء مستقبل القبلة ذا كرا أو مسجبا أو تاليا قال الله تعالى - وأتم الصلاة طرقي النهار - وقال - فسبح بعد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - قيل قبل طلوع الشمس صلاة الصبح

على شدة الدواء لما يخاف من عاقبة الهباء . وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه إلى عدي بن أرطاة  
 أما بعد ، فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله فأما أولياءه فهدتهم وأما أعداؤه فخرتهم . وكتب  
 أيضا إلى بسى عماله : أما بعد ، فقد أمكنتك القدرة من ظلم العباد فإذا همست بظلم أحد فاذكر قدرة  
 الله عليك ، واعلم أنك لا تأتي إلى الناس شيئا إلا كان زائلا عنهم بآية عليك ، واعلم أن الله عز وجل  
 آخذ للظالمين من الظالمين والسلام . فكذا ينبغي أن يكون وعظ العاصي وعظم من لا يدرى خصوص  
 واقته فهذه الواعظ مثل الأغذية التي يشترك السكافة في الانتفاع بها ولأجل ذلك مثل هؤلاء الواعظ  
 انهم باب الاتعاط وغلبت العاصي واستمرى الفساد وعلى الخلق بوعاظ يزخرفون أسباعا وينشدون  
 أيانا ويتكفون ذكر ما ليس في سمعهم ويتشبهون بحال غيرهم فسقط عن قلوب العامة وقارم  
 ولم يكن كلامهم صادرا من القلب ليل إلى القلب بل القائل متكلف وألتسع متكلف وكل واحد  
 منهما مدبر ومتخلف ، فاذن كان طلب الطبيب أول علاج المرضى وطلب العلماء أول علاج العاصين  
 فهذا أحد أركان العلاج وأصوله . الأصل الثاني الصبر ووجه الحاجة إليه أن المريض إما يطول مرضه  
 لتناوله مباشرته وإما يتناول ذلك إما تفتله عن مضرة وإما لشدة غلبة شهوته فله سببان فإذ كرهناه  
 هو علاج الفتنة فينبغي علاج الشهوة وطريق علاجها قد ذكرناه في كتاب رياضة النفس . وحاصله  
 أن المريض إذا اشتدت ضرارته لما كوله مضرة فطريقه أن يستشعر عظم ضرره ثم يشب ذلك عن  
 عينه فلا يحضره ثم يمسح عنه بما يقرب منه في صورته ولا يكثر ضرره ثم يصير قوة الخوف على الألم  
 الذي يناله في تركه فلا بد على كل حال من مرارة الصبر فكذا في علاج الشهوة في العاصي كالشاب مثلا  
 إذا غلبته الشهوة صار لا يقدر على حفظ عينه ولا حفظ قلبه أو حفظ جوارحه في السعي وراء شهوته  
 فينبغي أن يستشعر ضرر ذنبه بأن يستقرى المخوفات التي جاءت فيه من كتاب الله تعالى وسنة رسوله  
 صلى الله عليه وسلم فإذا اشتد خوفه تباعد من الأسباب للبهجة للشهوة ومهيج الشهوة من خارج هو  
 حضور الشهوة والنظر إليه وعلاجه الحرب والمزلة ومن داخل تناول للذات الأطمعوا وعلاجه الجوع  
 والصوم والدماء وكل ذلك لا يتم إلا بالصبر ولا يصبر إلا عن خوف ولا يخاف إلا عن علم ولا يعلم إلا عن بصيرة  
 واشتد أوعن صناع وتقليد فأول الأمر حضور مجالس التذكر ثم الاستماع من قلب مجرد عن سائر  
 الشواغل مصروف إلى السماع ثم التفكير فيه لفهم الفهم وينبعث من تمامه لاحالة خوفه وإذا قوى  
 الخوف تيسر بمعونه الصبر وابتعث الدواعي لطالب العلاج وتوفيق الله وتيسيره من وراء ذلك فن  
 أعطى من قلبه حسن الاصغاء واستشعر الخوف فانتفى وانتظر الثواب وصدق بالحسن فيسيره الله  
 تعالى لا يسرى ، وأما من يغفل واستغنى وكذب بالحسن فيسيره الله للعسرى فلا يغنى عنه ما شغل  
 به من ملاذ الدنيا مهما هلك وتردى وما إلى الأنياب للإشراح طرق الهدى وإتمامه الآخرة والأولى .  
 فإن قلت قد رجع الأمر كله إلى الإيمان لأن ترك الذنب لا يمكن إلا بالصبر عنه والصبر لا يمكن إلا بعرفة  
 الخوف والخوف لا يكون إلا بالعالم والعالم لا يحصل إلا بالتصديق بعظم ضرر الذنوب والتصدق بعظم  
 ضرر الذنوب هو تصديق الله ورسوله وهو الإيمان فكأن من أصر على الذنب لم يصبر عليه إلا لأنه  
 غير مؤمن . فاعلم أن هذا لا يكون لفقد الإيمان بل يكون لنصف الإيمان إذ كل مؤمن مصدق  
 بأن النصية سبب البعد من الله تعالى وسبب العقاب في الآخرة ولكن سبب وقوعه في الذنوب أمور :  
 أبداها أن العقاب لا يعود غيب ليس بمحاضر والنفس جبلت متأثرة بالحاضر فتأثرها بالموعود فتدنى  
 بالإضافة إلى تأثرها بالحاضر . الثاني : أن الشهوات الباعثة على الذنوب لذاتها ناجزة وهي في الحال آخذة  
 بالحنق وقد قوى ذلك واستولى عليها بسبب الاعتياد والإلف والعادة طيبة خامسة والزروع عن

وقبل غروبها صلاة  
 الصبر - ومن آناه  
 الليل فسبح - أراد  
 العشاء الأخيرة  
 وأطراف النهار ساراد  
 الظهر والقرب لأن  
 الظهر صلاة في آخر  
 الطرف الأول من  
 النهار وآخر الطرف  
 الآخر غروب الشمس  
 وفيها صلاة القرب  
 ضار الظهر آخر  
 الطرف الأول والغرب  
 آخر الطرف الآخر  
 فيستقبل الطرف الآخر  
 بالقبلة والله ذكر كما  
 استقبل الطرف الأول  
 وقد عاد بنوم النهار  
 جديدا كما كان بنوم  
 الليل ويصل في أول  
 الروال قبل السنة  
 والقرض أربع ركعات

الماجل لحوف الأجل شديد على النفس ولذلك قال تعالى - كلا بل نجون العاجلة ونذرنا الآخرة - وقال عز وجل - بل تؤثرون الحياة الدنيا - وقد عبر عن شدة الأمر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات » (١) وقوله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى خلق النار لجبريل عليه السلام اذهب فانظر إليها فقال وعزتك لا يسمع بها أحد فيدخلها خلفها بالشهوات ثم قال اذهب فانظر إليها فنظر فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يلقى أحد إلا دخلها وخلق الجنة فقال لجبريل عليه السلام اذهب فانظر إليها فنظر فقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها خلفها بالمكاره ثم قال اذهب فانظر إليها فنظر إليها فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد » (٢) فإذا كون الشهوة مرهقة في الحال وكون العقاب متأخراً إلى اللآل سريان ظاهراً في الاسترسال مع حصول أصل الإيمان فليس كل من يشرب في مرضه ماء الثلج لشدة عطشه مكذباً بأصل الطب ولا مكذباً بأن ذلك مضر في حقه ولكن الشهوة تطلبه وألم الصبر عنه ناجز فيكون عليه الألم للنظر. الثالث أنه مامن مذهب مؤمن إلا وهو في القالب عازم على التوبة وتكفير السيئات بالحنات وقوداً بأن ذلك يجبره إلا أن طول الأمل غالب على الطباع فلا يزال يسوف التوبة والتكفير في حيث رحاؤه التوفيق فتوبة ربما يقدم عليه مع الإيمان - الرابع أنه مامن مؤمن موقن إلا وهو معتد أن الذنوب لا توجب العقوبة إيجاباً لا يمكن الضو عنها فهو يذب ويتنظر العفو عنها استكالياً في فضل الله تعالى فهذه أسباب أربعة موجبة للإصرار على الذنب مع بقاء أصل الإيمان ، ثم قد يقدم الذنب بسبب خامس قدح في أصل إيمانه وهو كونه شاكاً في صدق الرسل وهذا هو الكفر كالذي بعذر الطبيب عن تناول ماضره في المرض فإن كان المهدر ممن لا يعتقد فيه أنه عالم بالطب فيكذبه أو يشك فيه فلا يبال به فهذا هو الكفر . فان قلت فما علاج الأسباب الخمسة ؟ فأقول هو الصبر وذلك بأن يقرر على نفسه في السبب الأول وهو تأخر العقاب أن كل ما هو آت آت وأن غداً لناظرين قريب وأن الموت أقرب إلى كل أحد من شركائه فلهذا يدبره لعل الساعة تقرب والتأخر إذا وقع صار ناجزاً ويذكر نفسه أنه أبداً في دنياه يتصب في الحال لحوف أمر في الاستقبال إذ يركب البحار ويقامى الأسفار لأجل الرخ الذي يظن أنه قد يحتاج إليه في ثانی الحال بل لو مرض فأخبره طبيب نصراني بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت وكان الماء البارد ألد الأشياء عنده تركه مع أن الموت له اللحظة إذ لم يخف ما بعده ومعارفته للعالم لا بد منها فكيف نسبة وجوده في الدنيا إلى عدمه أن لا يبدأ في النظر كيف يادر إلى ترك ملاذه بقول ذي لم تقم معجزة على طبعه فيقول كيف يليق بقل أن يكون قول الأنبياء لا يؤيدون بالمعجزات عندي دون قول نصراني يدعي الطب لنفسه بلا معجزة على طبعه ولا يشهد له الإعوام الخلق وكيف يكون عذاب النار عندي أخف من عذاب المرض وكل يوم في الآخرة بمقدار خمسين ألف سنة من أيام الدنيا وبهذا التفكير يبينه صالح اللغة الغالبة عليه ويكلف نفسه تركها ويقول إذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام العمر وهي أيام قلائل فكيف أقدر على ذلك أبداً وإذا كنت لا أطيق ألم الصبر فكيف أطيق ألم النار وإذا كنت لا أصبر عن زخارف الدنيا مع كدوراتها وتنقصها وامتزاج صفوها بكدرها فكيف أصبر عن نعيم الآخرة وأما تسويف التوبة فيما لجه بالكفر في أن أكثر صياح أهل النار من التسويف لأن السوف يبنى الأمر على ما ليس إليه وهو البقاء فلهذا لا يلقى وإن بقي

(١) حديث حفت الجنة بالمكاره الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث إن الله خلق النار فقال لجبريل اذهب فانظر إليها الحديث أبو داود والترمذي والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة وقدم فيه ذكر الجنة .

بتسليمة واحدة كان يصلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذه صلاة الزوال قبل الظهر في أول أوقاتها و يحتاج أن يراعى لهذه الصلاة أول الوقت بحيث يغطن الوقت قبل اللذين حين ينهب وقت الصكر اهلية بالاستواء فيشرع في صلاة الزوال ويسمع الأذان وقد توسط هذه الصلاة ثم يستعد لصلاة الظهر فإن وجد في باطنه كدراً من محالطة أو محالة انفتحت يستغفر الله تعالى ويضرب على ولا يشرع في صلاة الظهر إلا بعد أن يجد الباطن عاقداً إلى حاله

فلا يقدر على الترك غذا كما لا يقدر عليه اليوم فليت شرى هل عجز في الحال إلا الغلبة الشهوة والشهوة ليست خارقة غذا بل تضاعف إذ تتأكد بالاعتاد فابست الشهوة التي أكدتها الإنسان بالعادة كالقلم يؤكدها وعن هذا هلك السوفون لأنهم يظنون الفرق بين التائبين ولا يظنون أن الأيام متعاقبة في أن ترك الشهوات فيها أبدا شاق وماء شال السوف إلا ما شال من احتياج إلى قطع شجرة فراهقوه لا تتعلق إلى بعثرة شديدة فقال أوزهرها سنة ثم أعود إليها وهو يعلم أن الشجرة كلما بقيت ازداد رسوخها وهو كما طال عمره ازداد ضعفه فلا حقا في الدنيا أعظم من حماقة إذ عجز مع قوته عن مقاومة ضعف فأخذ ينظر الخيبة عليه إذا ضعف هو في نفسه وقوى الضعيف. وأما المني الرابع وهو انتظار عفو الله تعالى فإلهامه ماسبق وهو كمن ينفق جميع أمواله ويترك نفسه وعباله فقراء منتظرا من فضل الله تعالى أن يرزقه العزور على كثر في أرض خربة فإن إمكان المنوع عن القنب مثل هذا الإمكان وهو مثل من يتوقع التنب من النطفة في بلده وترك ذخائر أمواله في صحن داره وقدر على دقها وإخفائها فلم يفعل وقال أنتظر من فضل الله تعالى أن يسلم غفلة أو عقوبة على الظالم الناهب حتى لا ينفرد إلى هاري أو إذا انتهى إلى داري مات على باب الدار فإن الموت ممكن والغفلة ممكنة. وقد حكى في الأسرار أن مثل ذلك وقع فأنا أنتظر من فضل الله مثله فننظر هذا منتظر أمر ممكن ولكنه في غاية الحماقة والجبل إذ قد لا يمكن ولا يكون. وأما الخامس وهو شك فهذا كفر وعلاجه الأسباب التي تعرفه صدق الرسول وذلك بطول ولكن يمكن أن يحالج يعلم قريب يلبق بعد عقله فيقال له ما قاله الأنبياء المؤيدون بالمعجزات هل صدقه ممكن أو تقول أعلم أنه محال كما أعلم استحالة كون شخص واحد في مكانين في حالة واحدة فإن قال أعلم استحاله كذلك فهو أشرق منوه وكأنه لا وجود لمثل هذا في العقلاء وإن قال أنا شك فيه فيقال لو أخبرك شخص واحد مجهول عند تركك طعامك في البيت لحظة أنه ولست فيه حبة وألقت معها فيه وجوزت صدقه فهل تأكله أو تتركه وإن كان أنه الأطمعة فيقول أتركه لا محالة لأنني أقول إن كذب فلا يغتوى إلا هذا الطعام والصبر عنه وإن كان شديدا فهو قريب وإن صدق فتغتنى الحياة والثوت بالإضافة إلى ألم الصبر عن الطعام وإضاوته شديد فيقال له يا سبحان الله كيف تؤخر صدق الأنبياء كلهم مع ما ظهر لهم من المعجزات وصدق كافة الأولياء والعلماء والحكماء بل جميع أصناف العقلاء ولست أرى بهم جهال العوام بل ذوي الألباب عن صدق رجل واحد مجهول لعل له غرضا فيما يقول فليس في العقلاء إلا من صدق باليوم الآخر وأثبت ثوابا وعقابا وإن اختلفوا في كيفية فإن صدقوا فقد أشرقت على عذاب يبق أبدا الآباد وإن كذبوا فلا يفوتك إلا بعض شهوات هذه الدنيا الغانية للكثرة فلا يبقى له توقف إن كان عاقلا مع هذا الفكر إذ لا نسبة لمدة العمر إلى أبدا الآباد بل لو قدرنا الدنيا مخلوقة بالذرة وقدرنا طائرًا بالذرة فكل ألف ألف سنة حبة واحدة منها لقنيت القررة ولم ينقص أبدا الآباد شيئا فكيف يفتر رأى العاقل في الصبر عن الشهوات مائة سنة مثلا لأجل سعادة تبقى أبدا الآباد وقلنا قال أبو العلاء أحمد ابن سليمان التوحى المرى :

قال للشج والطبيب كلاهما لا تبث الأموات قلت إليكما  
إن صح قولكما فليست بخاسر أو صح قولي فالحسار عليكما

ولذلك قال على رضي الله عنه لبعض من قصر عقله عن فهم تحقيق الأمور وكان شاكا إن صح ما قلت فقد تخاسنا جميعا وإلا فقد تخاسمت وهلكت أي العاقل يسلك طريق الأمن في جميع الأحوال. فإن قلت هذه الأمور جلية ولكنها ليست تال إلا بالفكر فما بال القلوب هجرت الفكر فيها واستغفلته وما علاج القلوب لردّها إلى الفكر لاسيما من آمن بأصل الشرع وتخصيله. فاعلم أن النافع من الفكر

من الصفاء والقدرة  
حلاوة النجاة لا بد أن  
يجدوا صفو الأنس في  
الصلاة ويتكبدون  
يسير من الاسترسال  
في البلح وصير على  
بواطنهم من ذلك عقد  
وكدر وقد يكون ذلك  
يجرد الخاطلة والمجاسة  
مع الأهل والولد مع  
صكون ذلك عبادة  
ولكن حسنة الأبرار  
سيات القرين فلا  
يدخل الصلاة إلا  
بعد حل العقد  
وإدهاب الكدرو حل  
العقد بصدق الانابة  
والاستغفار والتضرع  
إلى الله تعالى ودواء  
ما عذب من الكدر  
بمجالسة الأهل والوالدان  
أن يكون في عجاسته

أمران : أحدهما أن الفكر النافع هو الفكر في عقاب الآخرة وأهوالها وشدائنها وحسرات العاصين في الحرمان عن النعيم القيم وهذا فكر لداغ مؤلم للقلب فينفر القلب عنه ويتفقد الفكر في أمور الدنيا على سبيل التفرج والاستراحة . والثاني أن الفكر شغل في الحال مانع من لذائذ الدنيا ونهاية الشهوات وما من إنسان إلا وله في كل حالة من أحواله ونفس من أنفاسه شهوة قد تسلطت عليه واسترقت صغار عقله مسخرة لشهوته فهو مشغول بتدبير حيلته وصارت لذته في طلب الحيلة وفي مباشرة قضاء الشهوة والفكر ينمعه من ذلك ، وأما علاج هذين للأنبياء فهو أن يقول لقلبه ما أشد غياوتك في الاحتراز من الفكر في الموت وما جده تألما بذكره مع استحضار ألم موافقته فكيف تصبر على مقاسمته إذا وقع وأنت عاجز عن الصبر على تقدير الموت وما بعده وتألم به وأما الثاني وهو كون الفكر مغفوا للذات الدنيا فهو أن يتحقق أن فوات لذات الآخرة أشد وأعظم تألما بأنها آخر لها ولا كدورها فيها ولذات الدنيا سرية بالدور وهي مشوبة بالمكدرات فما فيها لذة صافية عن كدر وكيف في التوبة عن الماصي والإقبال على الطاعة تلذذ بتناجاة الله تعالى واستراحة بمرقته وطاعته وطول الأُنس به ولو لم يكن لمطيع جزاء على عمله إلا ما يجده من حلاوة الطاعة وروح الأُنس بتناجاة الله تعالى لسكان ذلك كافيا فكيف بما يضاف إليه من نعيم الآخرة ، ثم هذه اللذة لا تكون في ابتداء التوبة ولكنها بعد ما يصبر عليها مدة مديدة وقد صار الخير ديدنا كما كان الشر ديدنا فالتنسيق ما عودتها تعود والخير عادة والشر لاجبة ، فاذن هذه الأفكار هي الهيجة للخوف للهيج قوة الصبر عن اللذات ومهيج هذه الأفكار وعظ الوعاظ وتذبيات تقع للقلب بأسباب تنفق لا تدخل في الحصر فيصير الفكر مواظا للطبع فيجلب القلب إليه ويحير عن السبب الذي أوقع الواقعة بين الطبع والفكر الذي هو سبب الخير بالتوفيق إذ التوفيق هو التأليف بين الإرادة وبين اللهي الذي هو طاعة ناعمة في الآخرة وقد روي في حديث طويل أنه قام محارب بن يسار فقال لعلني بن أبي طالب كرم الله وجهه بأمر المؤمنين أخبرنا عن الكفر على ما ذابني ، وقال علي رضي الله عنه بن علي أربع دعائم : على الجفاء والعصى والغفلة والشك ، فمن جفا احتقر الحق وجهر بالباطل ومقت الملبأ ومن عصى نسي الذكر ومن غفل حاد عن الرشد ومن شك غرته الأمانى فأخذته الحسرة والدمعة وبدا له من الله عالم يكن يحسب ، فما ذكرناه بيان لبعض آفات الغفلة عن التصبر وهذا القدر في التوبة كاف وإذا كان الصبر ركنا من أركان دوام التوبة فلا بد من بيان الصبر فذكره في كتاب مفرد إن شاء الله تعالى .

### (كتاب الصبر والشكر)

( وهو الكتاب الثاني من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

غير راكن إليهم كل الركون بل يسترق القلب في ذلك نظرات إلى الله تعالى فتكون تلك النظرات كفارة لتلك المجالسة إلا أن يكون قوى الحال لا يجبهه الخلق عن الحق فلا ينقد على باطنه عقدة فهو كما يدخل في الصلاة لا يجدها وبعد باطنه وقلبه لأنه حيث استروحت نفس هذا إلى المجالسة كان استرواح نفسه متغصرا بروح قلبه لأنه يجالس ويخالط وعين ظاهره ناظرة إلى الخلق وعين قلبه مطالعة للحضرة الإلهية فلا ينقد على باطنه عقدة وصلاته

الحد فله أهل الحدود التناء ، التفرد برباءه ، السكبر براءه ، التوحد بصفات الجود والملاء ، لا يذصفوقه الأولياء ، بقوة الصبر على السراء والضراء ، والشكر على البلاء والنعماء . والصلوة على محمد سيد الأنبياء على أصحابه بمساعدة الأصفياء وعلى آله قادة البررة الأتقياء ، صلاة محروسة بالدوام عن الفناء ، ومصونة بالتعاقب عن التصرم والافتضاء [ أما بعد ] فإن الإيمان نصفان : نصف صبر ونصف شكر <sup>(١)</sup> كما وردت به الآثار وشهدته الأخبار وما أيضا وصفان من أوصاف الله تعالى وإيمان من أصنامه الحسن إذ سمى نفسه صبرا وشكورا فإلجل عقيقة الصبر والشكر جهل بكل شطري الإيمان ثم هو غفلة عن وصفين من أوصاف الرحمن

### (كتاب الصبر والشكر)

(١) حديث الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من

ولا سبيل إلى الوصول إلى القرب من الله تعالى إلا بالإيمان وكيف تصور سلوك سبيل الإيمان دون معرفة ما به الإيمان ومن به الإيمان والتقاعد عن معرفة الصبر والشكر تقاعد عن معرفة من به الإيمان وعن إدراك ما به الإيمان فما أسوج كلا الشطرين إلى الإيضاح والبيان ونحن نوضح كلا الشطرين في كتاب واحد لارتباط أحدهما بالآخر إن شاء الله تعالى . الشطر الأول في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده وحقته وبيان كونه نصف الإيمان وبيان اختلاف أماسيه باختلاف متعلقاته وبيان أقسامه بحسب اختلاف القوة والضعف وبيان مظان الحاجة إلى الصبر وبيان دواء الصبر وما يستعان به عليه فهي سبعة فصول تشتمل على جميع مقاصده إن شاء الله تعالى .

### ( بيان فضيلة الصبر )

قد وصف الله تعالى الصابرين بأوصاف وذكر الصبر في القرآن في ثيف وسبعين موضعاً وأضاف أكثر الدرجات والخيرات إلى الصبر وجعلها ثمرة له فقال عز من قائل - وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا - وقال تعالى - وتمت لك ربك الحسنى على يدي إسرائيل بمصبروا وقال تعالى - ولنجزي الذين صبروا أجرهم بأحسن مما كانوا يصلون - وقال تعالى - وأولئك يؤتون أجرهم مرتين بمصابروا - وقال تعالى - إنما يوفى الصابرون وأجرهم بغير حساب - فمن قرأه لا وأجرها بتدبير وحساب إلا الصبر ولأجل كون الصوم من الصبر وأنه نصف الصبر قال الله تعالى « الصوم لي وأنا أجزى به » فأضافه إلى نفسه

من بين سائر العبادات ووعد الصابرين بأنه معهم فقال تعالى - واصبروا إن الله مع الصابرين - وعلق النصره على الصبر فقال تعالى - بل إن تصبروا وتتقوا وبأنوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين - وجمع الصابرين بين أمور لم يجمعها لغيرهم فقال تعالى - وأولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المثيدون - فالهدى والرحمة والصلوات مجموعة للصابرين واستقصاء جميع الآيات في مقام الصبر بطول . وأما الأخبار فقد قال صلى الله عليه وسلم « الصبر نصف الإيمان <sup>(١)</sup> » على ما سيأتي وجه كونه نصفاً وقال صلى الله عليه وسلم « من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال بما فاتته من قيام الليل وصيام النهار ولأن تصروا على ما أتم عليه أحب إلى من أن يوافق كل امرئ منكم بمثل عمل جميعكم ولكني أخاف أن تنزع عليكم الدنيا جدى فينكر بضعكم بعضاً وبشكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب ظفر بكل نوابه ثم قرأ قوله تعالى - ما عندكم ينفذ وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم - <sup>(٢)</sup> » الآية وروى جابر أنه سئل <sup>(٣)</sup> عن الإيمان فقال « الصبر والسجدة <sup>(٤)</sup> » وقال أيضاً « الصبر كزمن كنوز الجنة <sup>(٥)</sup> » وسئل مرة « ما الإيمان فقال الصبر <sup>(٦)</sup> » وهذا يشبه قوله صلى الله عليه وسلم « الحج عرفة <sup>(٧)</sup> » معناه معظم الحج عرفة

رواية يزيد الرقاشي عن أنس وزيد ضعيف (١) حديث الصبر نصف الإيمان أبو نعيم والمحطوب من حديث ابن مسعود وتقدم في الصوم (٢) حديث من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث بطوله تقدم في العلم مختصراً ولم أجده هكذا بطوله (٣) حديث جابر سئل عن الإيمان فقال الصبر والسجدة الطبراني في معارج الأخلاق وابن حبان في الضعفاء وفيه يوسف بن محمد بن النكدر ضعيف ورواه الطبراني في الكبير من رواية عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده (٤) حديث الصبر كزمن كنوز الجنة غريب لم أجده (٥) حديث سئل مرة عن الإيمان فقال الصبر أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ويزيد ضعيف (٦) حديث الحج عرفة تقدم في الحج .

أروال التي ذكرناها  
تحل المسقود وتبي  
الباطن لصلاة الظهر  
فيقرأ في صلاة الزوال  
بقدر سورة البقرة  
في النهار الطويل وفي  
القصير ما يتيسر من  
ذلك قال الله تعالى :  
موعثيا وحين نظهرون-  
وهذا هو الإظهار فإن  
انتظر بعد السنة  
حضور الجماعة لقرض  
وقرأ الدعاء الذي بين  
الفريضة والسنة من  
صلاة الفجر لحسن  
وكذلك ما ورد أن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم دعا به إلى  
صلاة الفجر ثم إذا  
فرغ من صلاة الظهر  
جراً الفاعسة وآية  
السكرى وسبح

وقال أيضا صلى الله عليه وسلم «أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس»<sup>(١)</sup>، وقيل أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام تخلق بأخلاق وإن من أخلاق أنى الصبور وفي حديث عطاء عن ابن عباس لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأنصار فقال «أؤمنون أنتم؟ فسكتوا فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال وماعلمة إيمانكم قالوا نشكر على الرخاء ونصبر على البلاء ونرضى بالقضاء فقال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب السكينة»<sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «في الصبر على ما تكره خير كثير»<sup>(٣)</sup> وقال السبح عليه السلام : إنكم لتندركون ما يحبون إلا يصبركم على ما تكرهون . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لو كان الصبر رجلا لكان كريما والله يحب الصابرين»<sup>(٤)</sup> والأخبار في هذا لا تحصى . وأما الآثار : فقد وجد في رسالة عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أبي موسى الأشعري عليك بالصبر واعلم أن الصبر صبران أحدهما أفضل من الآخر : الصبر في الصييات حسن وأفضل منه الصبر عما حرم الله تعالى . واعلم أن الصبر ملاك الإيمان وذلك بأن التقوى أفضل البر والتقوى بالصبر وقال صلى الله عليه وسلم «أعظم وجهي : بني الإيمان على أربع دعائم : اليقين والصبر والجهاد والعدل . وقال أيضا الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا إيمان لمن لا صبر له وكان عمر رضي الله عنه يقول : نعم العبدان وأنعم الملاوة للصابرين يعني بالمدين الصلاة والرحمة وبالملاوة الهدى والملاوة ما جعل فوق العبدتين على البعير وأشار به إلى قوله تعالى - أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون - وكان حبيب بن أبي حبيب إذا قرأ هذه الآية - إننا وجدنا صابرا ثم الصبر فإنه أو أتبنيبك وقالوا بهجاء أعطى وأثنى أي هو المعطى للصبر وهو للثقة . وقال أبو الدرداء مذكورة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر هذا بيان فضيلة الصبر من حيث الثقل وأما من حيث النظر بين الاعتبار فلا نفعهما إلا بعد فهم حقيقة الصبر ومعناه إذ معرفة الفضيلة والرتبة معرفة صفة فلا يحصل قبل معرفة الوصف فلذلك حقيقته ومعناه وبالله التوفيق .

### ( بيان حقيقة الصبر ومعناه )

اعلم أن الصبر مقام من مقامات الدين ومزول من منازل السالكين وجميع مقامات الدين إيمان تنتظم من ثلاثة أمور : معارف وأحوال وأعمال فالمعارف هي الأصول وهي توزن الأحوال والأحوال تتم الأعمال فالمعارف كالأشجار والأحوال كالأغصان والأعمال كالثمار وهذا مظهر في جميع منازل السالكين إلى الله تعالى واسم الإيمان تارة يختص بالمعارف وتارة يطلق على السلك كاذكرناه في اختلاف اسم الإيمان والاسلام في كتاب قواعد العقائد وكذلك الصبر لا يتم إلا بمعرفة سابقة وبمعالجة قائمة فالصبر على التحقيق عبارة عنها والعمل هو كالثمره يصدر عنها ولا يعرف هذا إلا بمعرفة كسبية الترتيب بين اللاتسكة والإنس والبهائم فإن الصبر خاصية الانس ولا يتصور ذلك في البهائم ولللاتسكة أما في البهائم فلتقتضائها . وأما في اللاتسكة فلكمالها ويانه أن البهائم سلطت عليها الشهوات وصارت مسخرة لها فلا باع لها على الحركة والسكون إلا الشهوة وليس فيها قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى ثبات تلك القوة في مقابلة مقتضى الشهوة صبرا . وأما اللاتسكة

(١) حديث أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس لأصل له مرفوعا وإيماء هو من قول عمر بن عبد العزيز هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب محاسبة النفس (٢) حديث عطاء عن ابن عباس دخل على الأنصار فقال مؤمنون أنتم فسكتوا فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقالوا في الأوسط من رواية يوسف بن ميمون وهو منكر الحديث عن عطاء (٣) حديث في الصبر على ما تكره خير كثير الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم (٤) حديث لو كان الصبر رجلا لكان كريما الطبراني من حديث عائشة وفيه صحيح بن دينار ضعفه العقيلي .

وبحمد وبكبر ثلاثا  
وثلاثين كما وصفنا ولو  
قدر على الآيات كلها  
التي ذكرناها بعد  
صلاة الصبح وعلى  
الأدعية أيضا كان ذلك  
خيرا كثيرا وفضلا  
عظيما ومن له همة  
ناهضة وعزيمة صادقة  
لا يستكثر شيئا لله  
تعالى ثم يحسب بين  
الظهر والمصر كما يحسب  
بين المشايين على  
الترتيب الذي ذكرناه  
من الصلاة والتلاوة  
والذكر والراقبة  
ومن دام سهره ينال  
نومة خفيفة في النهار  
الطويل بين الظهر  
والعصر ولو أحيا بين  
الظهر والعصر ركعتين  
يقرأ فيهما ربع القرآن

عليهم السلام فإنهم جرّوا لشوق إلى حضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها ولم تسلط عليهم شهوة صارفة صادرة عنها حتى يحتاج إلى مصادمة ما يصرفها عن حضرة الجلال بمجد آخر يطلب الصوارف . وأما الإنسان فإنه خلق في ابتداء الصبا ناقصا مثل البهيمة لم يخلق فيه إلا الشهوة القذاة الذي هو محتاج إليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب والزينة ثم شهوة التسكح على الترتيب وليس له قوة الصبر البتة ، إذ الصبر عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند آخر قام القتال بينهما لتضاد مقتضياتهما ومطالبهما وليس في الصبي إلا جند الهوى كما في البهائم ولكن الله تعالى بفضله وسعة جوده أكرم بني آدم ورفع درجته عن درجة البهائم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين : أحدهما يهديه . والآخر يقويه فتميز بمعونة الملكين عن البهائم ، واختص بصفتين : إحداهما معرفة الله تعالى ومعرفة رسوله ومعرفة الصالح للتعاقب بالمواقب وكل ذلك حاصل من الملك الذي إليه الهداية والتسريف ، فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية إلى مصلحة المواقب بل إلى مقتضى شهواتها في الحال فقط فذلك لا تغلب إلا لاقيده . وأما الدواء النافع مع كونه مضرا في الحال فلا تطلبه ولا تفرقه فصار الإنسان بنور الهداية يعرف أن اتباع الشهوات له مغيات مكروهة في العاقبة ولكن لم تكن هذه الهداية كافية ما لم تكن له قدرة على ترك ما هو مضر فكم من مضر يعرفه الإنسان كالرأس النازل به مثلا ولكن لا قدرة له على دفعه فانقصر إلى قدرة وقوة يدفع بها في نحر الشهوات فيجاهدها بتلك القوة حتى يقطع عداوتها عن نفسه فوكل الله تعالى به ملكا آخر يسدده ويؤيده ويقويه بمجنود لم تروها وأمر هذا الجند بقتال جند الشهوة قتارة يضعف هذا الجند وتارة يقوى ذلك بحسب إمداد الله تعالى عبده بالتأييد كأن نور الهداية أيضا يختلف في الخلق اختلافا لا ينحصر فلنفس هذه الصفة التي بها فارق الإنسان البهائم في قمع الشهوات وقهرها باثنا دينا ولنفس مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم أن القتال قائم بين باعث الدين و باعث الهوى والحرب بينهما سجل ومعركا هذا القتال قلب العبد ، ومدد باعث الدين من اللائكة الناصرين لحزب الله تعالى ، ومدد باعث الشهوة من الشياطين الناصرين لأعداء الله تعالى ، فالصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الشهوة ، فإن ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر حزب الله والنحى بالصائرين وإن تخاذل وضعف حتى غلبته الشهوة ولم يصبر في دفعها التحق بأتباع الشياطين ، فإذا ترك الأفعال المشبهة عمل يشمره حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين الذي هو في مقابلة باعث الشهوة وثبات باعث الدين حال ثمرها العفة بسداوة الشهوات ومضادتها لأصباب السعادات في الدنيا والآخرة فإذا قوى يقينه أمضى العرفة التي تسمى إيمانا وهو اليقين بكون الشهوة عدوا قاطعا للطريق إلى الله تعالى قوى ثبات باعث الدين وإذا قوى ثباته تحت الأفعال على خلاف ما تقتضيه الشهوة فلا يتم ترك الشهوة إلا بقوة باعث الدين المضاد لباعث الشهوة وقوة العرفة والأيمان تنبج مغية الشهوات وسوء عاقبتها وهذا أن للسلطان ما للتكفلان بهذين الجسدين بإذن الله تعالى وتسخيره إياهما ، وهما من الكرام السكاكين وهما للسلطان التوكلان بكل شخص من الآدميين . وإذا عرفت أن رتبة الملك الهادي أعلى من رتبة الملك للقوى لم يخف عليك أن جانب الخير هو الذي أشرف الجانبين من جنبتي الدست ، ينبغي أن يكون مسلما له فهو إذن صاحب الخير والآخر صاحب الشمال . ولقيد طوران في التفتة والفكر وفي الاسترسال والمجاهدة فهو بالفتنة معرض عن صاحب الخير ومضى . إليه فيكب أعراضه سيئة وبالفكر مقل عليه ليستفيد منه الهداية فهو به محسن فيكب أقباله له حسنة وكذا بالاسترسال هو معرض عن صاحب اليسار تارك للاستمداد منه فهو به مسيء . إليه فيكب عليه سيئة وبالمجاهدة مستعد من جنوده فيثبت له به حسنة وانما ثبتت هذه الحسنة والسيئات بانباتها فذلك حيا كراما

أوغرأ ذلك في أربع  
ركعات فهو خير كثير  
وان أراد أن يحي هذا  
الوقت بمائة ركعة  
في النهار الطويل أمكن  
ذلك أو بشرين  
ركعة يقرأ فيها قل هو  
الله أحد ألف مرة  
في كل ركعة خمسين  
ويستاك قبل الزوال  
إذا كان صائما وان لم  
يكن صائما فأى وقت  
تخير فيه التمس . وفي  
الحديث والسواك  
مطهرة لقم مرضاة  
لرب . وعند القيام  
من الفراش يستحب  
قيل إن الصلاة بالسواك  
تدخل على الصلاة  
بضرب سواك سبعين  
ضعا ، وقيل هو خبر  
وإن أراد أن يقرأين

كاتبين أما الكرام فلا تنافع العبد بكرمها ولأن لللائكة كلهم كرام بررة وأما الكاتبون فلا تباينها الحسنات والسيئات وإنما يكتبان في صحائف مطوية في سر القلب ومطوية عن سر القلب حتى لا يطلع عليه في هذا العالم فانها وكنتهما وخطهما وصحائفها وجملة ما تعلق بهما من جملة عالم الغيب واللكوت لامن عالم الشهادة وكل شيء من عالم لللكوت لا تتركه الأبصار في هذا العالم ثم تنشر هذه الصحائف المطوية عنه مرتين مرة في القيامة الصغرى ومرة في القيامة الكبرى وأعى بالقيامة الصغرى حالة الموت إذ قال صلى الله عليه وسلم « من مات قد قامت قيامته <sup>(١)</sup> » وفي هذه القيامة يكون العبد وحده وعنده يقال - ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة - وفيها يقال - كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً - أما في القيامة الكبرى الجامعة لكافة الخلائق فلا يكون وحده بل ربما يحاسب على ملائمتي الخلق وفيها يساق الثقلون إلى الجنة والمجرمون إلى النار زمراً لا آحاداً والمولود الأول هو مولد القيامة الصغرى ولجميع أحوال القيامة الكبرى نظير في القيامة الصغرى مثل زلزلة الأرض مثلاً فإن أرضك الخاصة بك تزلزل في الموت فانك تعلم أن الزلزلة إذا زلزلت يهلك صدق أن يقال قد زلزلت أرضهم وإن لم تزلزل البلاد المحيطة بها بل لو زلزل مسكن الإنسان وحده قد حصلت الزلزلة في حقه لأنه إنما يتضرر عند زلزلة جميع الأرض بزرزلة مسكنه لا بزرزلة مسكن غيره فخصته من الزلزلة قد توفرت من غير تصان - واعلم أنك أرض مخلوق من التراب وحطك الخاص من التراب بذلك قطعاً فإما بد غيرك فليس بحطك والأرض التي أنت جالس عليها بالانضافة إلى بدنك طرف ومكان وإنما تخاف من زلزله أن يترزّل بدنك بسببه وإلا فالهواء أبداً مترزّل وأنت لا تغشاها إذ ليس يترزّل به بدنك فخطك من زلزلة الأرض كلها زلزلة بدنك قطع فهي أرضك وترباك الخاص بك وعظامك جبال وأرضك ورأسك سماء أرضك وقلبك شمس أرضك وصمك وبصرك وسائر خواصك نجوم جوائك وميض العرق من بدنك بحر أرضك وشعورك نبات أرضك وأطرافك أشجار أرضك وهكذا إلى جميع أجزائها فإذا انهدم بالموت أركان بدنك قد زلزلت الأرض زلزلةً فإذا انفصلت العظام من اللحم قد حملت الأرض والجبال قد كسرت دكة واحدة فإذا رمت العظام قد نسفت الجبال نسفاً فإذا أظلم قلبك عند الموت قد كورت الشمس تكويراً فإذا بطل صمك وبصرك وسائر خواصك فقد انكسرت النجوم انكساراً فإذا انشق دماغك قد انشقت السماء انشقاقاً فإذا انشجرت من هول الموت عرق جبينك قد فجرت البحار تفجيراً فإذا انتفت إحدى سابقك بالأخرى وهما مطباتك قد عطلت العشار تعطلاً فإذا فارقت الروح الجسد قد حملت الأرض فعدت حتى ألقت ما فيها وتخلت ولست أطول بجميع موازين الأحوال والأحوال ولكني أقول بمجرد الموت تقوم عليك هذه القيامة الصغرى ولا يغوثك من القيامة الكبرى شيء وما يحسك بل ما يخص غيرك فإن بقاء الكواكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انشئت حواسك التي بها تنتفع بالنظر إلى الكواكب والأعمى يستوى عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاءها التي بها قد كسفت في حقه دفعة واحدة وهو خسته منها فالانجلاء بعد ذلك حصة غيره ومن انشق رأسه قد انشقت سماؤه إذ السماء عبارة عما يلي جهة الرأس فمن لأرأسه لأمعاه فمن أين ينفعه بقاء السماء لغيره فهذه هي القيامة الصغرى والحرق بعد أسفل والمولود بعد مؤخر وذلك إذا جاءت الطامة الكبرى ولم ترتفع الخصوص وبطلت السموات والأرض ونسفت الجبال ونمت الأحوال - واعلم أن هذه الصغرى وإن طوفاً في وصفها فإنا لم نذكر عشر عشر أوصافها وهي بالنسبة إلى القيامة الكبرى كالولادة الصغرى بالنسبة إلى الولادة الكبرى فإن للإنسان ولادتين: إحداهما الخروج من الصلب والترائب إلى مستودع الأرحام

(١) حديث من مات قد قامت قيامته ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

الصلابين في صلاته في  
عشرين ركعة في كل  
ركعة آية أو بعض آية  
تقرأ في الركعة الأولى  
- ربنا آتانا في الدنيا  
حسنة وفي الآخرة  
حسنة وثنا عذاب  
النار - ثم في الثانية  
- ربنا أفرغ علينا صبراً  
وثبت أقدامنا واضرنا  
على القوم الكافرين -  
ثم - ربنا لا تؤاخذنا  
إلى آخر السورة ثم ربنا  
لا تزغ قلوبنا - الآية  
- ربنا إنا صمانادنا  
ينادي للإيمان - الآية  
ثم - ربنا آتانا بما  
أزلت - ثم - أنت  
ولينا فاغفر لنا - ثم  
- فاطر السموات  
والأرض أنت ولي -  
ثم - ربنا إنك تعلم

فهو في الرحم في قرار مكين إلى قدر معلوم وله في سلوكه إلى الكمال منازل وأطوار من نطقه وعلقه ومضغه وغيرها إلى أن يخرج من مضيق الرحم إلى فضاء العالم فنية عموم القيامة الكبرى إلى خصوص القيامة الصغرى كتنسبة سعة فضاء العالم إلى سعة فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي يقدم عليه البدن المولود إلى سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا أيضا إلى الرحم بل أوسع وأعظم نفس الآخرة بالأولى فما خلقكم ولا بشئكم إلا كنفس واحدة وما النشأة الثانية إلا على قياس النشأة الأولى بل أعداد النشآت ليست محصورة في اثنتين وإليه الإشارة بقوله تعالى - وننشئكم فيها لآلئهم من فلقا لقيامتين مؤمن بها المنيب والشهادة وموقف الملك والمكوت والقر بالقيامة الصغرى دون الكبرى ناظر بالعين الموراء إلى أحد العالمين وذلك هو الجهل والضلال والاختداء بالأعور إلى الدجال ، فما أعظم غفلتك يا مسكين وكلنا ذلك للسكين وبين يديك هذه الأهوال فان كنت لا تؤمن بالقيامة الكبرى بالجهل والضلال أفلا تكفيك دلالة القيامة الصغرى أو صامت قول سيد الأنبياء « كفى بالموت واعظا »<sup>(١)</sup> أو صامت بذكره عليه السلام عند الموت حتى قال صلى الله عليه وسلم « اللهم هون على محمد سكرات الموت »<sup>(٢)</sup> أو ما تنسج من استبطائك هجوم الموت اقتداء برعاغ الغافلين الذين لا ينظرون إلا صبيحة واحدة تأخذهم وهم يغمضون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون قياتهم للرض نذرا من الموت فلا ينجحون وبآتهم الشيب رسولاً له فما يعتبرون فيما حسروا على العباد ما يأتهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون أفظنون أنهم في الدنيا خالسون أو لم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا يرجعون أم يحسبون أن اللون سافروا من عندهم فهم معدومون كل إن كل ما جمعه لدينا محضرون ولكن ماتنا منهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين وذلك لأننا جعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ولرجع إلى الفرض فان هذه تلويحات تشير إلى أمور هي أعلى من علوم العاملة . فتقول قد ظهر أن الصبر عبارة عن ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى وهذه المقاومة من خاصة الآدميين لما وكل بهم من الكرام الكائنين ولا يكتبان شيئا على الصبيان والمجانين إذ قد ذكرنا أن الحسنه في الاقبال على الاستفادة منها والسيئة في الاعراض عنها وما للصبيان والمجانين سبيل إلى الاستفادة فلا تصور منها إقبال وإعراض ولها لا يكتبان إلا الاقبال والاعراض من القادرين على الاقبال والإعراض ولعمري إنه قد تظهر مبادئ إشراق نور الهداية عند سن التمييز وتنمو على التدرج إلى سن البلوغ كما يبدو نور الصبح إلى أن يطلع قرص الشمس ولكنها هداية قاصرة لا ترشد إلى مضار الآخرة بل إلى مضار الدنيا فلذلك يضرب على ترك الصلوات ناجزا ولا يعاقب على تركها في الآخرة ولا يكتب عليه من الصحائف ما ينشر في الآخرة بل على القيم العدل والولي البر الشفيق إن كان من الأبرار وكان على محبت الكرام الكائنين البررة الأخبار أن يكتب على الصبي سيئه وحسنه على صحفة قلبه فيكتبه عليه بالحفظ ثم ينشره عليه بالترفيف ثم يعذبه عليه بالضرب فكل ولي هذا حسنة في حق الصبي فقد ورث أخلاق اللائكة واستعملها في حق الصبي فبنال بها درجة القرب من رب العالمين كما ناله اللائكة فيكون مع النبيين والصديقين وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث كفى بالموت واعظا البيهقي في الشعب من حديث عائشة وفيه الريس بن بدر ضعيف ورواه الطبراني من حديث عتبة بن عامر وهو معروف من قول الفضيل بن عياض رواه البيهقي في الزهد (٢) حديث اللهم هون على محمد سكرات الموت الترمذي وقال غريب والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث عائشة بافظ اللهم أعني على سكرات الموت .

ما غنى وما نطق -  
الآية ثم - وقال رب زدني علما - ثم - لا اله إلا أنت سبحانك - ثم - رب لا تدركني فردا -  
ثم - وقال رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين - ثم - ربنا هب لنا من أزواجنا - ثم - رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين -  
ثم - بعلم خاتمة الأعين وما تحفى الصدور - ثم - رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي - الآية - من سورة الأحقاف ثم - ربنا اغفر لنا

وأنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة (١) وأشار إلى أصبيه السكرتتين صلى الله عليه وسلم .  
( بيان كون الصبر نصف الإيمان )

اعلم أن الإيمان تارة يختص في إطلاقة التصديقات بأصول الدين وتارة يختص بالأعمال الصالحة الصادرة منها وتارة يطلق عليهما جميعا وللمعارف أبواب وللأعمال أبواب ولا يقال لفظ الإيمان على جميعها كان الإيمان نيفا وسبعين بابا واختلاف هذه الإطلاقات ذكرناه في كتاب قواعد العقائد من ربيع العبادات ولكن الصبر نصف الإيمان باعتبارين وعلى مقتضى إطلاقي : أحدهما أن يطلق على التصديقات والأعمال جميعا فيكون للإيمان ركنان : أحدهما اليقين والآخر الصبر والرادى اليقين للمعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالى عبده إلى أصول الدين والرادى الصبر العمل بمقتضى اليقين إذ اليقين يعرفه أن للصية ضرورة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك الصية والمواظبة على الطاعة إلا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوى والكسل فيكون الصبر نصف الإيمان بهذا الاعتبار ولهذا جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما فقال « من أقل ما أوثيم اليقين وعزيمة الصبر » الحديث إلى آخره . الاعتبار الثاني أن يطلق على الأحوال المثمرة للأعمال لاهل المعارف وعند ذلك ينضم جميع ما يلاقى الصبر إلى ما ينفعه في الدنيا والآخرة أو يضره فيها وله بالإضافة إلى ما يضره حال الصبر وبالإضافة إلى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر أحد شطري الإيمان بهذا الاعتبار كأن اليقين أحد الشطرين بالاعتبار الأول وبهذا النظر قال ابن مسعود رضى الله عنه الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وقد يرفع أيضا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان الصبر صبرا عن باعث الهوى بثبات باعث الدين وكان باعث الهوى قسعين . باعث من جهة الشهوة ، وباعث من جهة القضب فالشهوة تطلب القديز والقضب للهرب من المؤلم وكان الصوم صبرا عن مقتضى الشهوة فقط وهى شهوة البطن والفرج دون مقتضى القضب قال صلى الله عليه وسلم بهذا الاعتبار « الصوم نصف الصبر » لأن كمال الصبر بالصبر عن دواعي الشهوة ودواعي القضب جميعا فيكون الصوم بهذا الاعتبار ربيع الإيمان فهكذا ينبغي أن نضم تقديرات الشرع بمحمود الأعمال والأحوال ونسبها إلى الإيمان والأصل فيه أن تعرف كثرة أبواب الإيمان فإن اسم الإيمان يطلق على وجوه مختلفة .

( بيان الأسامي التي تتجدد للصبر بالإضافة إلى ماعنه الصبر )

اعلم أن الصبر ضربان : أحدهما ضرب بدنى كتحمل الشاق بالبدن والثبات عليها وهو إما بالعمل كتصاطي الأعمال الشاقة إما من العبادات أو من غيرها وإما بالاحتفال كالصبر عن الضرب الشديد والارض العظيم والجراحات المائلة وذلك قد يكون محمدا إذا وافق الشرع ولكن الحمد والتألم هو الضرب الآخر وهو الصبر النفسى عن مشتبهات الطبع ومقتضيات الهوى ثم هذا الضرب إن كان صبرا على شهوة البطن والفرج سمى عفة وإن كان على احتمال مكروه اختلقت أساميه عند الناس باختلاف للسكره الذى غلب عليه الصبر فإن كان فى مصيبة اقتصر على اسم الصبر وتضاده حالة تسمى الجزع والملمع وهو إطلاق داعى الهوى ليسترسل فى رفع الصوت وضرب الحدود وشق الجيوب وغيرها وإن كان فى احتمال النفسى سمى ضبط النفس وتضاده حالة تسمى البطر وإن كان فى حرب ومقابلة سمى شجاعة ويضاده الجبن وإن كان فى كظم التيطز والغضب سمى حلا ويضاده التذمر وإن كان فى نائبة من نوائب الزمان مضجرة سمى سعة الصدر ويضاده الضجر والتيرم وضيق الصدر وإن كان فى إخفاء كلام سمى كتمان السر وسمى صاحبه كئوما وإن كان عن فضول الغيش سمى زهدا ويضاده

(١) حديث أنا وكافل اليتيم كهاتين البخارى من حديث سهل بن سعد وتقدم .

ولاخوانا الدين -  
الآية ثم - ربنا عليك  
توكلنا ثم سرب اغفر  
لى ولوالدى ولمن دخل  
بىق مؤمنا وللمؤمنين  
والؤمنات ولا تزد  
الظالمين إلا تبارا -  
مهما يصل فليقرأ هذه  
الآيات والمحافظة على  
هذه الآيات فى الصلاة  
مواظبا للقلب واللسان  
يوشك أن يرقى إلى  
مقام الاحسان ولورد  
فرد آية من هذه فى  
ركعتين من الظهر أو  
الصبر كان فى جميع  
الوقت مناجيا لمولاه  
وداعيا وتاليا ومصليا  
والمؤوب فى العمل  
واستعاب أجزاء التمار  
بلقادة وحلاوة من  
غير سامة لا يصح

الحرس وإن كان صبرا على قدر يسير من الحطوط سوى قناعة وإضاعة الشره فأكثر أخلاق  
الإنسان داخل في الصبر ولذلك لما سئل عليه السلام مرة عن الإيمان قال «هو الصبر» لأنه أكثر  
أعماله وأعزها كما قال «الحج عرفة»<sup>(١)</sup> وقد جمع الله تعالى أقسام ذلك وصي الكل صبرا قال تعالى  
- والصابرين في البأساء - أي الضيقة - والضراء - أي الفقر - وحين البأس - أي المار بتهلكته  
الدين صدقوا وأولئك هم المتقون - فاذن هذه أقسام الصبر باختلاف متعلقاتها ومن يأخذ المعاني من  
الأسامي يظن أن هذه الأحوال مختلفة في ذواتها وحقائقها من حيث رأى الأسامي مختلفة والذي  
يسلك الطريق للستيم وينظر بنور الله يحفظ المعاني أولا فيطلع على حقائقها ثم يلاحظ الأسامي  
فإنها وضعت ذلة على المعاني فالمعاني هي الأصول والألفاظ هي التوابع ومن يطلب الأصول من التوابع  
لا بد وأن يزل وإلى الفريقين الإشارة بقوله تعالى - أفمن ينشئ مكباً على وجهه أهدى أمن ينشئ  
سوا على صراط مستقيم - فإن الكفار لم يسلطوا فيها غلطوا فيه إلا مبتل هذه الانكسارات ، نسأل  
الله حسن التوفيق بكمه ولطفه .

( بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف )

اعلم أن باعث الدين بالإضافة إلى باعث الهوى لثلاثة أحوال : أحدها أن يقهر داعي الهوى فلا تنطبق  
له قوة للنازعة ويتوصل إليه بدوام الصبر وعند هذا يقال من صبر عظم والواصلون إلى هذه الرتبة  
هم الأفقون فلاجزم هم الصديقون القريبون الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا هم هؤلاء لازموا الطريق  
للاستقيم واستووا على الصراط القويم والهدأت نفوسهم على مقتضى باعث الدين وإيما ينادي للنادي  
- يا أيها النفس اللطيفة ارجعي إلى ربك راضية مرضية - . الحالة الثانية أن تغلب دواعي الهوى  
وتسقط بالكلية منازعة باعث الدين فيسلم نفسه إلى جند الشياطين ولا يجاهد ليأسه من المعاهدة  
وهؤلاء هم الغافلون وهم الأكثرون وهم الذين استرقهم شهواتهم وغلبت عليهم شغفهم فكسروا  
أعداء الله في قلوبهم التي هي سر من أسرار الله تعالى وأمر من أمور الله وإليه الإشارة بقوله تعالى  
- ولوشنا لأتينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين -  
وهؤلاء هم الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة غفرت صفقتهم وقيل لمن قصد إرشادهم - فأعرض عنهم  
تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبغضهم من العلم - وهذه الحالة علامتها اليأس والغرور  
والفرور بالأمان وهو غاية الحق كما قال صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد  
الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله»<sup>(٢)</sup> وصاحب هذه الحالة إذا وعظ قال أنا مشفق  
إلى التوبة ولكنها قد تمذرت على فلست أطمع فيها أولم يكن مشتاقا إلى التوبة ولكن قال إن  
الله غفور رحيم كريم فلا حاجة به إلى توبتي وهذا السكين قد صار عقه رقيقا لشهوته فلا يستعمل  
عقه إلا في استنباط دقائق الحيل التي بها يتوصل إلى قضاء شهوته قد صار عقه في بدشهوته كسلم  
أسير في أيدي الكفار فهم يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ المحور وحملها ومعه عند الله تعالى  
عمل من يقهر مسلما ويسلمه إلى الكفار ويحمله أسيرا عندهم لأنه بفاحش جنايته يشبه أنه مسخر  
ما كان حقه أن لا يستسخر وسلط ماحقه أن لا يسلط عليه وإنما استحق السلم أن يكون متسلطا  
لما فيه من معرفة الله وبعث الدين ، وإنما استحق الكفار أن يكون متسلطا عليه لما فيه من الجهل  
بالدين وبعث الشياطين وحق السلم على نفسه أوجب من حق غيره عليه فلهما سخر الله الشريف

إلا ليد تزك نفسه  
بكل التقوى  
والاستنصاء في الزهد  
في الدنيا واتزع منه  
متابعة الهوى ومتبقى  
على الشخص من  
التقوى والإزهد الهوى  
بقية لا يدوم بروحه في  
العمل بل ينشط وقتا  
ويسأم وقتا ويتأوب  
النشاط والكسل فيه  
لبقاء متتابعة شيء من  
الهوى بقصان تقوى  
أوعية دنيا وإذا صح  
في الزهد والتقوى فإن  
ترك العمل بالجوارح  
لا يفر عن العمل بالقلب  
لأن رام دوام الروح  
واستعلاء الدؤوب في  
العمل فله بحسب مادة  
الهوى والهوى روح  
النفس لا يزول ولكن

(١) حديث الحج عرفة أصحاب السنن من حديث عبد الرحمن بن بسير وتقدم في الحج

(٢) حديث الكيس من دان نفسه الحديث تقدم في ذم الفرور .

الذي هو من حزب الله وجند لللائكة للمعنى الحسني الذي هو من حزب الشياطين البعدين عن الله تعالى كان كمن أرق مسلماً لكافر بل هو كمن تصد للثقل التميم عليه فأخذ أعز أولاده وسلفه إلى أبغض أعدائه فانتظر كيف يكون كفراته لثمنه واستجابه لثمنه لأن الهوى أبغض إليه عبد في الأرض عند الله تعالى والفضل أعز موجود خلق على وجه الأرض . الحالة الثالثة أن يكون الحروب سجلاً بين الجندين فتارة له اليد عليها وتارة لها عليه وهذا من المجاهدين بعد مثله من الظافرين وأهل هذه الحالة هم الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً صلى الله أن يتوب عليهم هذا باعتبار القوة والضعف ويتطرق إليه أيضاً ثلاثة أحوال باعتبار عدد ما يصر عنه : فانه إما أن يظلب جميع الشهوات أو لا يظلب شيئاً منها أو يظلب بعضها دون بعض وتزبل قوله تعالى - خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً - على من هجر عن بعض الشهوات دون بعض أولى والتاركون للمجاهدة مع الشهوات مطلقاً يشبهون بالأنعام بل هم أضل سبيلاً إذ البهيمة لم تخلق لها للعفة والقدرة التي بها يجاهد مقتضى الشهوات وهذا قد خلق ذلك له وعطاه فهو الناقص حقاً للدبر بقينا ولذلك قيل :

فلم أر في عيوب الناس عيباً كنعص القادرين على التجم

وينقسم الصبر أيضاً باعتبار اليسر والعسر إلى ما ينشأ على النفس فلا يمكن الدوام عليه إلا بمجهود جهد وتعب شديد ويسمى ذلك تصبراً وإلى ما يكون من غير شدة تعب بل يحصل بأدنى تحمل على النفس ويغنى ذلك باسم الصبر وإذا دامت القوى وقوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسر الصبر ولذلك قال تعالى - فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسر - ومثال هذه القسمة قدرة الصانع على غيره فان الرجل القوي يقدر على أن يصرع الضعيف بأدنى حيلة وأيسر قوة بحيث لا يلقاه في مصارعة إعياء ولا لقوب ولا تضرب فيه نفسه ولا ينهر ولا يقوى على أن يصرع الشديد إلا بتعب ومزيد جهد وعرق جبين فهكذا تكون المصارعة بين باعث الدين وباعث الهوى فانه على التحقيق صراع بين جنود الللائكة وجنود الشياطين ومهما أذعن الشهوات واخضعت وتسلطت باعث الدين واستولى وتيسر الصبر بطول اللواقبة أوردت ذلك مقام الرضا كلبياً في كتاب الرضا فالرضا أعلى من الصبر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير (١) » وقال بعض العارفين أهل الصبر على ثلاثة مقامات : أولها ترك الشهوة وهذه درجة التائبين . وثانيها الرضا بالتدور وهذه درجة الزاهدين . وثالثها الهبة لما يصنع به مولاه وهذه درجة الصديقين وسنين في كتاب الهبة أن مقام الهبة أعلى من مقام الرضا كما أن مقام الرضا أعلى من مقام الصبر وكان هذا الانقسام مجرباً في صبر خاص وهو الصبر على المصائب والبلايا . واعلم أن الصبر أيضاً ينقسم باعتبار حكمه إلى فرض وقتل ومكره وعمرم . فالصبر عن المحظورات فرض وعلى الكفار . نقل والصبر على الأذى المحظور ممن قطع يده أو يد ولده وهو صبر عليه ما كانوا ممن يقصد سرعه بشهوة محظورة فتبيح غيرته فيصبر عن إظهار القية ويسكت على ما يجرى على أهله فهذا الصبر عمرم والصبر للكره هو الصبر على أذى يناله بجهة مكروهة في الشرع فليكن الشرع يحكم الصبر فكون الصبر نصف الايمان لا ينبغي أن يحيل إليك أن جميعه محمود بل الراد به أنواع من الصبر محصورة .

( يان مظان الحاجة إلى الصبر وأن العبد لا يستغنى عنه في حال من الأحوال )

اعلم أن جميع ما يلقى العبد في هذه الحياة لا يخلو من نوعين : أحدهما هو الذي يوافق هواه . (١) حديث اعبد الله على الرضا فان لم تستطع ففي الصبر على ما تكره خير كثير الترمذي من حديث ابن عباس وقد تقدم .

تزول متابعته والتي عليه السلام ما استأذ من وجود الهوى ولكن استأذ من متابعته فقال « أعوذ بك من هوى متبع » ولم يستأذ من وجود الشح فانه طبيعة النفس ولكن استأذ من طاعته فقال « وشح مطاع » ودقائق متابعته الهوى تتبين على قدر صفاء القلب وعلا الخلال فقد يكون متبعاً للهوى باستحالة جملة الخلق ومكالتهم أو النظر إليهم وقد يتبع الهوى بتجاوز الاعتدال في النوم والأكل وغير ذلك من أقسام الهوى التبع وهذا شغل من ليس له شغل إلا في الدنيا

والآخر هو الذي لا يوافقه بل يكرهه وهو يحتاج إلى الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الأحوال لا يخلو عن أحد هذين النوعين أو عن كليهما فهو إذن لا يستغنى قط عن الصبر . النوع الأول : ما وافق الهوى وهو الصحة والسلامة والمال والجاه وكثرة العشرة واتساع الأسباب وكثرة الأتباع والأنصار وجميع ملاذ الدنيا وما أحوج العبد إلى الصبر على هذه الأمور فإنه إن لم يضبط نفسه عن الاحترام والركون إليها والانهماك في ملاذها للباحة منها أخرجته ذلك إلى البطر والظنآن فإن الإنسان ليظن أن رآه استغنى حتى قال بعض العارفين : البلاء يصبر عليه المؤمن والعوائى لا يصبر عليها إلا صديق . وقال سهل : الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء . ولما فتحت أبواب الدنيا على الصعابة رضى الله عنهم قالوا ابتلينا بفتنة الضراء ضربنا وابتلينا بفتنة السراء ففر صبر ولذلك حذر الله عباده من فتنة المال والزوج والولد فقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله . وقال عز وجل - إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم - وقال صلى الله عليه وسلم « الولد مبخلة بحبة عزة » (١) . « ولما نظر عليه السلام إلى ولده الحسن رضى الله عنه يتعثر في قيصره نزل عن المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله - إنما أموالكم وأولادكم فتنة - إنى لما رأيت ابنى يتعثر لم أطك نفسى أن أخذه » (٢) . في ذلك عبرة لأولى الأبصار فالرجل كل الرجل من يصبر على العافية ومعنى الصبر عليها أن لا يركن إليها ويعلم أن كل ذلك مستودع عنده وعسى أن يسترجع على القرب وأن لا يرسل نفسه في الفرج بها ولا ينهمك في التمتع واللذة واللهو واللعب وأن يعزى حقوق الله في ماله بالاتفاق وفي بدنه بذيئ العونة للخلق وفي لسانه بذيئ الصدق وكذلك في سائر مآلئهم الله به عليه . وهذا الصبر متصل بالشكر فلا يتم إلا بالقيام بحق الشكر كما سيأتى . وإنما كان الصبر على السراء أشد لأنه مقرون بالقدرة ومن العصمة أن لا تقدر والصبر على الحاجة والفقر إذا تولاه غيرك أيسر من الصبر على فصدك نفسك وحجانتك نفسك والجامع عند غيبة الطعام أقدر على الصبر منه إذا حضرته الأطعمة اللذيذة وقدر عليها فليذا عظمت فتنة السراء . النوع الثانى مالا يوافق الهوى والطبع وذلك لا يخلو إما أن يرتبط باختيار العبد كالطاعات والمعاصى وألا يرتبط باختياره كالصائب والنواب أولا يرتبط باختياره ولكن له اختيار في إزالته كالنفس من المؤذى بالاتقام منه فهذه ثلاثة أقسام : القسم الأول ما يرتبط باختياره وهو سائر أفضاله التى توصف بكونها طاعة أو معصية وهما ضربان . الضرب الأول : الطاعة والعبد يحتاج إلى الصبر عليها فالصبر على الطاعة شديد لأن النفس بطبعها تنفر عن اليهودية وتشهى الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس إلا وهى مضمرة ما يظهره فرعون من قوله - أنا ربكم الأعلى - ولكن فرعون وجده له بالاقبولا فأظهره إذ استخف قومه فأطاعوه وما من أحد إلا وهو يدعى ذلك مع عبده وخادمه وأتباعه وكل من هو تحت قهره وطاعته وإن كان محتما من إظهاره فإن استعاضته وغبطه عند تقصيرهم في خدمته واستبداده ذلك ليس بصدور إلا عن إضمار الكبر ومنازعة الربوبية في رداء الكبرياء فإذا ذنبت اليهودية فتاة على النفس مطلقا ثم من البادات ما يكره بسبب الكسل كالصلاة ومنها ما يكره بسبب الخلل كالزكاة ومنها ما يكره بسببها جميعا كالجهاد فالصبر على الطاعة صبر على الشدائد واحتياج الطبع إلى الصبر على طاعته في ثلاث أحوال : الأولى قبل الطاعة وذلك في تصحيح التيقوا والاخلاص والصبر عن شواهب الرياء

ثم يصل العبد قبل الصبر أربع ركعات فإن أمكنه تعجيد الوضوء لكل فرضة كان أكمل وأتم ولو اغتسل كان أفضل فكل ذلك له أثر ظاهر في تسوير الباطن وتكميل الصلاة وقراءتها في الأربع قبل الصبر إذا زلزلت والعبادات والقارعة والمهاكم وصل الصبر ويحصل من قراءته في بعض الأيام والثناء ذات البروج وصحت أن قراءة سورة البروج في صلاة الصبر أمان من الدماويل ويقرأ بعد الصبر ما ذكرنا من الآيات والهاجوما يتيسر له من ذلك فإذا صلى

(١) حديث الولد بحبة مبخلة بحبة أبو يعلى الوصلى من حديث أبي سعيد وتقدم (٢) حديث لما نظر إلى ابنه الحسن يتعثر في قيصره نزل عن المنبر المحدث أصحاب السنن من حديث بريده وقالوا الحسن والحسين وقال الترمذى حسن غريب .

ودعاى الآفات وعقد العزم على الاخلاص والوفاء وذلك من الصبر الشديد عند من يعرف حقيقة النية والاخلاص وآفات الرياء ومكاييد النفس ، وقد نبه عليه صلوات الله عليه إذ قال « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى » (١) وقال تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - ولهذا قدم الله تعالى الصبر على العمل ، فقال تعالى - لإلذنين صبروا وعملوا الصالحات - الحالة الثانية : حالة العمل كي لا يغفل عن الله في أثناء عمله ولا يتكاسل عن تحقيق آدابه وسنته ويدوم على شرط الأدب إلى آخر العمل الأخير فيلزم الصبر عن دواعي القنور إلى الفراغ ، وهذا أيضا من شدائد الصبر ولعله المراد بقوله تعالى - ثم أجر العاملين الذين صبروا - أى صبروا إلى تمام العمل . الحالة الثالثة بعد الفراغ من العمل إذ يحتاج إلى الصبر عن إفشائه والتظاهر به لسمعة والرياء والصبر عن النظر إليه بين العجب وعن كل ما يبطل عمله ويحبط أثره كما قال تعالى - ولا تبطلوا أعمالكم - وكما قال تعالى - لا تبطلوا صدقاتكم بالبنى والأذى - فمن لم يصبر بعد الصدقة عن البنى والأذى فقد أبطل عمله . والطاعات تنقسم إلى فرض ونفل وهو محتاج إلى الصبر عليهما جميعا وقد جمعهما الله تعالى في قوله - إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى - فالعدل هو الفرض ، والإحسان هو النفل ، وإيتاء ذى القربى هو الرزمة وصلة الرحم وكل ذلك يحتاج إلى صبر . الضرب الثانى للعاصى لما أوجع العبد إلى الصبر عنها ، وقد جمع الله تعالى أنواع للعاصى في قوله تعالى - ونهى عن الفحشاء والمنكر والبغى - وقال صلى الله عليه وسلم « الهاجر من هجر السوء ، والمجاهد من جاهد هواه » (٢) وللعاصى مقتضى باعث الهوى . وأشد أنواع الصبر عن للعاصى الصبر عن للعاصى التى صارت مألوفاً للعادة فإن العادة طبيعة خامسة ذات انفاذ الدادة إلى الشهوة تظاهر جندان من جنود الشيطان على جند الله تعالى فلا يقوى باعث الدين على قمعها ، ثم إن كان ذلك الفعل مما يتيسر فعله كان الصبر عنه أثقل على النفس كالصبر عن ، عاصى اللسان من الغيبة والكذب والراء والثناء على النفس تعريضا وتصريحا . وأنواع الزح للؤذى للقلوب وضروب الكلمات التى يقصدها الأرزاء والاستحقار وذكر لوني والفتح فيهم وفي علومهم وسيرهم ومناصهم فإن ذلك في ظاهره غيبة وفي باطنه ثناء على النفس فلتنفس فيه ثم وثان : إحداها نفى الصبر والأخرى إثبات نفسه وبها تم له الربوبية التى هى في طبعه ، وهى ضد ما أمر به من العبودية ولا يجتمع الشهوتين وتيسر تحريك اللسان ومصير ذلك معتادا في المحاورات يسر الصبر عنها وهى أكبر للووقات حتى يطل استنكارها واستنباها من القلوب لكثرة تكريرها وعموم الأتس بها فترى الإنسان يلبس حريرا مثلا فيستبعد غاية الاستبعاد ويطلق لسانه طول النهار في أعراض الناس ولا يستنكر ذلك مع ماورد في الخبر « من أن الغيبة أشد من الزنا ومن لم يترك لسانه في المحاورات ولم يقدر على الصبر عن ذلك فيجب عليه المزمة والافتراء » (٣) فلا يجنبه غيره فالصبر على الافتراء أهون من الصبر على السكوت مع المخاطبة وتختلف شدة الصبر في آحاد للعاصى باختلاف داعية تلك العصية في قوتها وضعفها وأيسر من حركة اللسان حركة الحواطر باختلاج الوسواس فلا يجرم يقي

(١) حديث إنما الأعمال بالنيات متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث الهاجر من هجر السوء والمجاهد من جاهد هواه ابن ماجه بالشرط الأول والنسائي في الكبرى بالشرط الثانى كلاهما من حديث فضالة بن عبيد باسنادين جيدين وقد تقدم (٣) حديث إن الغيبة أشد من الزنا تقدم في آفات اللسان .

الصبر ذهب وقت  
التفعل بالصلاة وبق  
وقت الأذكار والتلاوة  
وأفضل من ذلك  
مجالسة من يزهد  
في الدنيا ويسدد  
كلامه عرا التقوى  
من العلماء الزاهدين  
التكلمين بما يقوى  
عزائم للؤيدين فاذا  
صحت نية القاتل  
وللمسمع فهذه المجالسة  
أفضل من الافتراء  
وللدائمة على الأذكار  
وإن عذمت هذه  
المجالسة وتصدت  
فايتروح بالتفعل في  
أنواع الأذكار وإن  
كان خروجه لحوائجه  
وأمر معاشه في هذا  
الوقت يكون أفضل  
وأولى من خروجه

حديث النفس في العزلة ولا يمكن الصبر عنه أصلاً إلا بأن يغلب على القلب ثم آخر في الدين يستغرقه  
 كن أصبح وهو مهتم واحد وإلا فإن لم يستعمل الفكر في شيء معين لم يتصور ثور الوسواس  
 عنه . القسم الثاني ملا يربط هجومه باختياره وله اختيار في دفعه كالمزأوى يفعل أو يقول وحتى  
 عليه في نفسه أوماله ، فالصبر على ذلك بترك المكافأة تارة يكون واجباً وتارة يكون فضيلة . قال  
 بعض الصحابة رضوان الله عليهم : ما كنا نعد إيمان الرجل إيماناً إذا لم يصبر على الأذى ، وقال  
 تعالى - ولنصبرن على ما آتيتمونا وعلى الله فليتوكل التوكانون - « وقسم رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم مرة مالا ، فقال بعض الأعراب من المسلمين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فأخبر  
 به رسول الله صلى الله عليه وسلم فأحمرت وجنتاه ثم قال يرحم الله أخى موسى لقد أودى بأكثر  
 من هذا صبر (١) وقال تعالى - ودع أدام وتوكل على الله - وقال تعالى - واصبر على مايقولون  
 واهجرهم هجراً جيلاً - وقال تعالى - ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد  
 ربك - الآية وقال تعالى - ولتسمن من الذين أتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا  
 أدى كثيراً وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور - أى تصبروا عن المكافأة ولذلك مدح  
 الله تعالى العاقين عن حقوقهم في القصاص وغيره فقال تعالى - وإن عاقبتهم فعاقبوا مثل ما عاقبتهم  
 به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين - وقال صلى الله عليه وسلم «صل من قطعك وأعط من حرمك  
 وأعف عمن ظلمك (٢)» ورأيت في الإنجيل قال عيسى ابن مريم عليه السلام لقد قيل لكم من  
 قبل إن السن بالسن والأنف بالأنف وأنا أقول لكم لا تعاقبوا الشر بالشر بل من ضرب خدك  
 الأيمن حول إليه الخد الأيسر ومن أخذ رداك فأعطه إزارك ومن سخرك لتسير معه ميلافسر  
 معه ميلافسر وكل ذلك أمر بالصبر على الأذى ، فالصبر على أذى الناس من أعلى مراتب الصبر لأنه  
 يتناول فيه باعث الدين و باعث الشهوة والغضب جميعاً . القسم الثالث : ما لا يدخل تحت حصر  
 الاختيار أوله وآخره كالمصاب مثل موت الأعزّة وهلاك الأموال وزوال الصحة بالمرض وعصى العين  
 وفساد الأعضاء وبالجملة سائر أنواع البلاء فالصبر على ذلك من أعلى مقامات الصبر . قال ابن عباس  
 رضي الله عنهما : الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه : صبر على أداء فرائض الله تعالى فله ثلث درجات  
 وصبر عن محارم الله تعالى فله سبعة درجات وصبر على الصيبة عند الصدمة الأولى فله تسعة درجات  
 وإجماعاً فضلت هذه الرتبة مع أنها من الفضائل على ما قبلها وهي من الفرائض لأن كل مؤمن بقدر على  
 الصبر عن المحارم . فأما الصبر على بلاء الله تعالى فلا يقدر عليه إلا الأنبياء لأنه بضاعة الصديقين فإن ذلك  
 شديد على النفس ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «أسألكم من اليقين ما تهون على بمصائب الدنيا (٣)»  
 فهذا صبر مستفاد حسن اليقين . وقال أبو سليمان والله ما صبر على ما صبر على ما صبر على ما صبر  
 وقال النبي صلى الله عليه وسلم «لا اله عز وجل إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله  
 أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة أن أنصب من أنا وأئسره ديواناً (٤)»

في أول النهار ولا  
 يخرج من المنزل إلا  
 وهو على وضوء .  
 وكره جمع من العلماء  
 تحبة الطهارة بعد  
 صلاة العصر وأجازوه  
 للشافعي والصلحون  
 ويقول كذا خرج من  
 منزله بسم الله ماشاء  
 الله حسب الله لا قوة  
 إلا بالله ، اللهم  
 إليك خرجت وأنت  
 أخرجني ؛ ولقرأ  
 الفاتحة والمؤذنين ولا  
 يدع أن يتصدق كل  
 يوم بما يتيسر له ولو  
 نمرة أو لقمة فإن  
 القلب بحسن التوبة  
 كثير . وروى أن  
 عائشة رضي الله  
 عنها أعطت السائل

(١) حديث قسمة مرة مالا وقول بعض الأعراب هذه قسمة ما أريد بها وجه الله الحديث متفق  
 عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم (٢) حديث صل من قطعك الحديث تقدم (٣) حديث  
 أسألكم من اليقين ما تهون على بمصائب الدنيا الترمذي والنسائي والحاكم وصححه من حديث ابن عمر  
 وحسنه الترمذي وقد تقدم في الدعوات (٤) حديث قال الله إذا وجهت إلى عبد من عبيدي  
 مصيبة في بدنه أو ولده أو ماله ثم استقبل ذلك بصبر جميل الحديث ابن عدى من حديث أنس  
 بسند ضعيف .

وقال صلى الله عليه وسلم « انتظار الفرج بالصبر عبادة <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « مامن عبد مؤمن أصيب بمصيبة فقال كما أمر الله تعالى - إنا لله وإنا إليه راجعون - اللهم أجرني في مصيبي وأعقبني خيرا منها إلا ضل الله به ذلك <sup>(٢)</sup> » وقال أنس حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل قال يا جبريل ماجزء من سلبت كرميته قال سبحانه لا علم لنا إلا ما علمتنا قال تعالى جزاؤه الخلود في داري والنظر إلى وجهي <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل إذا ابتليت عبدي بلاء فصر ولم يشكني إلى عواده أبدته لحا خيرا من لحه وحما خيرا من دمه فإذا برأته برأته ولا ذنب له وإن توفيته قالى رحمى <sup>(٤)</sup> » وقال داود عليه السلام : يارب ماجزء الجزئين الذى يصبر على الصائب ابتداء مرضاته قال جزاؤه أن ألبسه لباس الإيمان فلا أزعه عنه أبدا. وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله في خطبته ما أتم الله على عبد نعمة فانزعها منه وعوضه منها الصبر إلا كان ما عوضه منها أفضل مما أنزع منه وقرأ - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وسئل فضيل عن الصبر فقال هو الرضا بقضاء الله ، قيل وكيف ذلك ؟ قال الرضا بالشيء فوق منزلته ، وقيل حبس الشئى رحمه الله في السارستان فدخل عليه جماعة فقال من أتم قالوا أجاؤك جاءوا زائرين فأخذ يرميهم بالحجارة فأخذوا يهربون فقال لو كنتم أحيائي لصبرتم على بلائى ، وكان بعض العارفين في جبهة رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها وكان فيها - وأصبر لحسبك ربك فانك ! مبتنا - ويقال إن امرأة تصح الوصلى عثرت فانهطت ظفيرا فضحكته فقيل لها أما تجدين الوجع فقالت إن الله توبه أزالته عن قلبى مرارة وجهه ، وقال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوى المؤمن بثلاث حسن التوكل فيما لم يزل وحسن الرضا فيما قد نال وحسن الصبر فيما قد فات . وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك <sup>(٥)</sup> » وروى عن بعض الصالحين أنه خرج يوما في كهف صرة فأنفذها فإذا هي قد أخذت من كهف فقال بارك الله له فيها لعله أحوج إليها فأتى وروى عن بعضهم أنه قال مررت على سالم مولى أبي حذيفة في القتل وبه رمق فقلت له أسفك ما قال جرنى قليلا إلى العدو واجعل الماء في الترس فانى صائم فان عشت إلى الليل شررت به فكذا كان صبرا لك طريق

- (١) حديث انتظار الفرج بالصبر عبادة القضاعى في مسند الشباب من حديث ابن عمرو بن عباس وابن أبي الدنيا في الفرج بعد الشدة من حديث على دون قوله بالصبر وكذلك رواه أبو سعيد الخدري في مسند الصوفية من حديث ابن عمر وكلها ضعيفة وللمرئى من حديث ابن مسعود أفضل العبادة انتظار الفرج وتقدم في الدعوات (٢) حديث مامن عبد أصيب بمصيبة فقال كما أمره الله - إنا لله وإنا إليه راجعون - الحديث مسلم من حديث أم سعة (٣) حديث أنس إن الله قال يا جبريل ماجزء من سلبت كرميته الحديث الطبراني في الأوسط من رواية أبي ظلال التميمي واسمه هلال أحد الضعفاء عن أنس ورواه البخارى بلفظ إن الله عز وجل قال إذا ابتليت عبدي بحبيتيه فصر عوخته منها في الجنة رواه ابن عبيد وأبو يعلى بلفظ إذا أخذت كرميتى عبدي لم أرض له ثوبا دون الجنة قلت يارسول الله وإن كانت واحدة قال وإن كانت واحدة وفيه سعيد بن سالم قال ابن عدى ضعيف (٤) حديث يقول الله إذا ابتليت عبدي بلاء فصر ولم يشكني إلى عواده أبدته لحا خيرا من لحه الحديث مالك في الوطأ من حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري وعبد بن كثير ضعيف ورواه البيهقي موقوفا على أبي هريرة (٥) حديث من إجلال الله ومعرفة حقه أن لا تشكو وجعك ولا تذكر مصيبتك لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبي الدنيا في الرض والسكفارات من رواية سفيان عن بعض الفقهاء قال من الصبر أن لا تحدث بمصيبتك ولا بوجعك ولا تزكى نفسك .

عبدة واحدة وقالت إن فيها لتأقيل ذر كثير . وجاء في الخبر « كل امرئ يوم القيامة تحت ظل صدقته » ويكون من ذكره من الصبر إلى الغرب مائة مرة لإله إلا الله وحده لا شريك له . والك له الحمد وهو على كل شيء قدير فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن من قال ذلك كل يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب وكتب له مائة حسنة ومحبت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به

الآخرة على بلاء الله تعالى . فان قلت فبماذا تنال درجة الصبر في الصائب وليس الأمل إلى اختياره فهو مضطر شاء أم أبى فان كان الراد به أن لا تكون في نفسه كراهية العيبة فذلك غير داخل في الاختيار . فاعلم أنه إنما يخرج عن مقام الصابرين بالجزع وشق الجيوب وضرب الحدود والبالغة في الشكوى وإظهار السكابة وتغيير العادة في اللبس والفرش والطعم وهذه الأمور داخلة تحت اختياره فينبغي أن يمتنع جميعها ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ويبقى مستمرا على عادته ويستند أن ذلك كان ودية فاسترجعت كما روى عن الربيعاء أم سليم رحمها الله أنها قالت توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غائب فقممت فسيبته في ناحية البيت فقدم أبو طلحة فقممت فبئس له إفطاره فجعل يأكل فقال كيف الصبي قلت بأحسن حال بحمد الله ومنه فانه لم يكن منذ اشتكى بأمكن منه الليلة ثم قصمت له أحسن ما كنت أتصنع له قبل ذلك حتى أصاب مني حاجته ثم قلت ألا تعجب من جيراننا قال ما لهم قلت أعيروا عارية لها طلبت منهم واسترجعت جزعوا فقال بئس ما صنعوا فقلت هذا ابنك كان عارية من الله تعالى وإن الله قد قبضه إليه لحمد الله واسترجع ثم غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره فقال اللهم بارك لهما في ليلتهما (١) قال الراوى فلقد رأيت لهم بعد ذلك في السجدة سبعة كلهم قد قدموا القرآن ، وروى جابر أنه عليه السلام قال رأيتني دخلت الجنة فاذا أنا بالربيعاء امرأة أبي طلحة ، وقد قيل الصبر الجليل هو أن لا يعرف صاحب العيبة من غيره ولا يخرج به عن حد الصابرين توجع القلب ولا فيضان العين بالسمع إذ يكون من جميع الحاضرين لأجل اللوث سواء ولأن البكاء توجع القلب على الليث فان ذلك متغنى البشرية ولا يفارق الانسان إلى اللوث ولقدك لمسات إبراهيم ولد النبي صلى الله عليه وسلم فاضت عيناه فقيل له « أما نهيتنا عن هذا فقال إن هذه رحمة وإنا برحم الله من عباده الرحماء » بل ذلك أيضا لا يخرج عن مقام الرضا فالقدم على الحجاب متوالف الصبر مرض به وهو متألم بسببه لا محالة وقد تخفف عناه إذا عظم ألمه وسأيت ذلك في كتاب الرضا إن شاء الله تعالى ، وكتب ابن أبي نجيع بحزى بعض الخلفاء إن أحق من عرف حق الله تعالى فيما أخذ منه من عظم حق الله تعالى عنده فيما أنفاه له . واعلم أن الساضى قبلك هو الباقي لك والباقي بعدك هو اللجوء إليك . واعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون به أعظم من النعمة عليهم فيما يوافقون منه فاذن مهدد بالكرهية بالتفكر في نعمة الله تعالى عليه بالثواب نال درجة الصابرين ، ثم من كمال الصبر كتمان المرض والفقر وسائر المصائب ، وقد قيل من كنوز البر كتمان المصائب والأوجاع والصدقة فقد ظهر لك بهذه التفصيات أن وجوب الصبر عام في جميع الأحوال والأعمال فان الذي كفى الشهوات كلها واعتزل وحده لا يستغنى عن الصبر على العزلة والافتراق ظاهرا وعن الصبر عن وساوس الشيطان باطنا فان اختلاج الحواطر لا يمكن وأكثر جولان الحواطر إنما يكون في فاش لا تدارك له وفي مستقبل لا بد وأن يحصل منه ما هو مقدر فهو كيفما كان تخيير زمان وآلة العبد قلبه وبضاعته عمره فاذا غفل القلب في نفس واحد عن ذكر يستفيد به أنسا بالله تعالى أو عن فكر يستفيد به معرفة بالله تعالى يستفيد بالمعرفة بحجة الله تعالى فهو مغبون هذا إن كان فكره ووساوسه في الباسات مقصورا عليه ولا يكون ذلك غالبا بل يتفكر في وجوه الجليل لقضاء الشهوات إذ لا يزال ينازع كل من تحرك على خلاف غرضه في جميع عمره أو من يتوهم أنه ينازعه وبغالف أمره أو غرضه بظهور أمارة له منه بل بقدر التحاقه من أخلص الناس في حبه حتى في أهله وولده . ويتوهم مخالفتهم له ثم يتفكر في كيفية زجرهم وكيفية تهرم وجوابهم عما يتوهمون به

إلا أحد عمل أكثر من ذلك ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين قد ورد أن من قال في يومه مائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين لم يعمل أحد في يومه أفضل من عمله ويتول مائة مرة سبحان الله والحمد لله والكلمات ومائة مرة سبحان الله وحمده سبحان الله العظيم ومحمد استغفر الله ومائة مرة لا إله إلا الله الملك الحق المبين ومائة مرة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ومائة مرة استغفر الله العظيم الذي لا إله إلا هو المحي القيوم وأسأله التوبة ومائة

(١) حديث الربيعاء أم سليم توفي ابن لي وزوجي أبو طلحة غائب فقممت فسيبته في ناحية البيت الحديث طبع ومن طريقه أبو نعيم في الحلية والقصص في الصحيحين من حديث أنس مع اختلاف .

في محالته ولا يزال في شغل دائم فللشيطان جندان جندي بطير وجندي سير والوسواس عبارة عن حركة جنده الطيار والشهوة عبارة عن حركة جنده السار وهذا لأن الشيطان خلق من النار وخلق الإنسان من صلصال كالقنطار والقنطار قد اجتمع فيه مع النار الطين والطين طبيعته السكون والنار طبيعتها الحركة فلا يتصور نار مشتتة لا تتحرك بل لا تزال تتحرك بطبيعتها وكلف اللعون المخلوق من النار أن يطعم عن حر كته ساجدا لما خلق الله من الطين فأبى واستكبر واستعصى وعبر عن سبب استعصائه بأن قال - خلقتني من نار وخلقته من طين - فاذن حيث لم يسجد للعون لأيتنا آدم صلوات الله عليه وسلامه فلا ينبغي أن يطعم في سجوده لأولاده ومهما كف عن القلب وسواسه وعدوانه وطيرانه وجولانه قد أظهر اتقياده وإذعانه وأتباعه بالاذعان مسجود منه فهو روح السجود وإعماض الجبهة على الأرض قلبه وعلامته الدالة عليه بالاصطلاح ولوجعل وضع الجبهة على الأرض علامة استخفاف بالاصطلاح لتصور ذلك كما أن الانبطاح بين يدي العظم المحترم يرى استخفافا بالمادة فلا ينبغي أن يدهشك صدف الجوهر عن الجوهر وقالب الروح عن الروح وقشر اللب عن اللب تكون عن قديمه عالم الشهادة بالكلية عن عالم الغيب وتحقق أن الشيطان من التنظيرين فلا يتواضع لك بالكف عن الوسواس إلى يوم الدين إلا أن تصبح وهومك هم واحد فتشغل قلبك بالله وحده فلا يجد اللعون مجالاً فيك فند ذلك تكون من عباد الله المحضين الداخلين في الاستثناء عن سلطة هذا اللعين ولا تخلف أن غلو عنه قلب فارغ بل هو سبيل يحرم من ابن آدم مجرى الدم وسيلانه مثل الهواء في القدر فأنك إن أردت أن غلو القدر عن الهواء من غير أن تشغل باله أو يتغيره قد طمعت في غير مطمع بل بقدر ما غلو من الماء يدخل فيه الهواء لا محالة فكذلك القلب يشغول بفكرهم في الدين لا يغلو عن جولان الشيطان والإلغى غفل عن الله تعالى ولو في لحظة فليس له في تلك اللحظة قرن إلا الشيطان ولذلك قال تعالى - ومن يش عن ذكر الرحمن تقيض له شيطانا فهو له قرين - وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يفيض الشاب الفارغ» (١) وهذا لأن الشاب إذا تعطل عن عمل يشغل باطنه بعباد يستعين به على دنسه كان ظاهره فارغا ولم يبق قلبه فارغا بل يعيش فيه الشيطان ويبس ويغرس ثم تزود أفراده أيضا ويبس مرة أخرى وتفرغ وهكذا يتوالد نسل الشيطان توالدا أسرع من توالد سائر الحيوانات لأن طبيعته من النار وإذا وجد الحلفاء اليابسة كثرت والداء فلا يزال تتوالد النار من النار ولا تنقطع البتة بل تسمى شيئا فشيئا على الاتصال فالشهوة في نفس الشاب للشيطان كالحلفاء اليابسة للنار وكما لا ينفك النار إذا لم يبق لها قوت وهو الحطب فلا يبق للشيطان مجال إذا لم تكن شهوة فاذن إذا تأملت علمت أن أعدى عدوك شيهونك وهي صفة نفسك ولذلك قال الحسين بن منصور الحلاج حين كان يصلب وقد سئل عن التصوف ما هو فقال هي ضمك إن لم تضلها ضللتك فاذن حقيقة الصبر وكافة الصبر عن كل حركة مذمومة وحركة الباطن أولى بالصبر عن ذلك وهذا صبر دائم لا يقطعه إلا الموت نسأل الله حسن التوفيق عنه وكرمه .

( بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه )

اعلم أن الذي أزل الداء أزل الدواء ووعد الشفاء فالصبر وإن كان شاقا أو عمتنا فتحصيله ممكن بمجون العلم والعمل فالعلم والأخلاق متناهات كالأدوية لأمرض القلوب كلها ولكن يحتاج كل مريض إلى علم آخر وعمل آخر وكما أن أقدام الصبر مختلفة فأقدام الملل الثابتة منه مختلفة وإذا اختلفت الملل اختلف العلاج إذ معنى العلاج مضادة العلة وقمها واستيقام ذلك بما طول

(١) حديث إن الله يفيض الشاب الفارغ لم أجده .

مرة ماشاء الله لا قوة إلا بالله ورأيت بعض الفقهاء من الغريب بمكة وله سبعة فيها ألف حبة في كيس له ذكر أن ورده أن يدبرها كل يوم اثني عشرة مرة بأنواع الذكر . ونقل عن بعض الصحابة أن ذلك كان ورده بين اليوم واليلة ونقل عن بعض التابعين كان ورده من التسبيح ثلاثين ألفا بين اليوم واليلة وليلته مائة مرة بين اليوم واليلة هذا التسبيح سبحان الله العلي الديان سبحان الله شديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتي بالنهار

ولكننا نعرف الطريق في بعض الأمثلة . فقول إذا افتقر إلى الصبر عن شهوة الواقع مثلا وقد غلبت عليه الشهوة بحيث ليس يملك معها فرجه أو يملك فرجه ولكن ليس يملك عينه أو يملك عينه ولكن ليس يملك قلبه ونفسه إذ لا تزال تحدته بمقتضيات الشهوات ويصرفه ذلك عن اللواظبة على الذكر والتفكير والأعمال الصالحة . فقول قد قدمنا أن الصبر عبارة عن مصارعة باعث الدين مع باعث الهوى وكل منصارعين أودنا أن يظلب أحدهما الآخر فلا طريق لنا فيه إلا تقوية من أردنا أن تكون له اليد العليا وتضعف الآخر فلزمنا هنا تقوية باعث الدين وتضعيف باعث الشهوة فأما باعث الشهوة فببديل تضعيفه ثلاثة أمور : أحدها أن ننظر إلى مادة قوتها وهي الأغذية الطيبة المهركة للشهوة من حيث نوعها ومن حيث كثرتها فلا بد من قطعها بالصوم الدائم مع الاقتصاد عند الإفطار على طعام قليل في نفسه ضئيف في جسده فيحترز عن اللحم والأطعمة للبهجة للشهوة . الثاني قطع أسباب البهجة في الحال فانه إنما يهيج بالنظر إلى مظان الشهوة إذ النظر يحرك القلب والقلب يحرك الشهوة وهذا يحصل بالزلة والاحتراز عن مظان وقوع البصر على الصور المشتهية والفرار منها بالكيفية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « النظره سهم مسموم من سهام إبليس » وهو سهم يبدده اللذون ولا ترس يمنع منه إلا تقبيض الأجنان أو الحرب من صوب ربه فانه إنما يرمى هذا السهم عن قوس الصور فاذا انقلبت عن صوب الصور لم يصبك سهمه . الثالث تسليبه النفس بالبيع من الجنس الذي تشتهيه وذلك بالكساح فان كل ما يشتهيه الطبع في الباحات من جسده ما ينشأ عن المحظورات منه وهذا هو العلاج الأنفع في حق الأكثر فان قطع الغذاء يضعف عن سائر الأعمال ثم قد لا يقطع الشهوة في حق أكثر الرجال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء »<sup>(١)</sup> فهذه ثلاثة أسباب للعلاج الأول وهو قطع الطعام يضاهي قطع الملقح عن البهيمة المجموع وعن الكلب الضاري ليضعف قوته . الثاني يضاهي تقييد اللحم عن الكلب وتضييب الشعر عن البهيمة حتى لا تتحرك بواطنها بسبب مشاهدتها . والثالث يضاهي تسليتها بشئ قليل مما يجلب إليه طبعها حتى يبق معها من القوة مانصير به على التأديب . وأما تقوية باعث الدين فبما تكون بطريقين أحدهما إطعامه في فوائد المجاهدة ومخارباته في الدين والدنيا وذلك بأن يكثر فكره في الأخبار التي أوردناها في فضل الصبر وفي حسن عواقبه في الدنيا والآخرة وفي الأثر : إن ثواب الصبر على الصيبة أكثر مما فات وإنه بسبب ذلك مغبوط بالصيبة إذ فاته ما لا يبق معه لإدامة الحياة وحصل له ما يبقى بعده موته أبد الدهر ومن أسلم خسيسا في تقييد فلا يبقنى أن يحزن لفوات الخسيس في الحال وهذا من باب المعارف وهو من الإيمان فخارة بضعف وثارة يقوى فان قوى قوى باعث الدين وهيجه تهيجا شديدا وإن ضعف ضعفه وإثما قوة الإيمان يجر عنها باليقين وهو المهركة لمرعبة الصبر وأقل ما يؤق الناس اليقين وعزيمة الصبر والثاني أن يعود هذا الباعث مصارعة باعث الهوى تدريجا قليلا قليلا حتى يدركه اللذة الظفرها فيستجري عليها وتقوى منه في مصارعتها فان الاعتياد والممارسة للأعمال الشاقة تؤكده القوى التي تصدر منها تلك الأعمال ولذلك تزيد قوة الحالمين والقلائع وللقائلين وبالجملة قوة الممارسين للأعمال الشاقة تزيد على قوة الحياطين والعطارين والفقهاء والمجاهدين وذلك لأن قواهم لم تتأكده بالممارسة فالعلاج الأول يضاهي أطماع الصارع بالحكمة عند الغلبة ووعده بأنواع الصكرامة كما وعد فرعون سحرته عند إغرائه بإمام موسى حيث قال - وإنكم إذا لمن القربين - والثاني يضاهي تمويده الصبي

سبحان من لا يشغله شأن عن شأن سبحان الله الحنان اللطيف سبحان الله السميع في كل مكان . روى أن بعض الأبدال بات على شاطئ البحر فسمع في هذه الليل هذا التسبيح فقال من الذي أسمع صوته ولا أرى شخصه فقال أنا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أصبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت قلت ما اسمك فقال مهلبائيل قلت ما ثواب هذا التسبيح قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له . وروى أن عثمان رضى

(١) حديث النظره سهم مسموم من سهام إبليس تقدم عبر مرة (٢) حديث عليكم بالباءة فمن لم يستطع فعليه بالصوم الحديث تقدم في الكساح .

الذى يراد منه المصارعة والمقاتلة بمباشرة أسباب ذلك منذ الصبا حتى يأس ويستجري عليه وتوفى فيه منته لمن ترك بالكلية المجاهدة بالصبر ضعف فيه باعث الدين ولا يقوى على الشهوة وإن ضعف ومن عود نفسه مخالفة الهوى غلبها مهما أراد فهذا منهاج العلاج في جميع أنواع الصبر ولا يمكن استيفاءه وإنما أشدها كلف الباطن عن حديث النفس وإنما يشتد ذلك على من نغره له بأن تقع الشهوات الظاهرة وآثر الزلة وجلس للمراقبة والدكر والفكر فإن الوسواس لا يزال يجاذبه من جانب إلى جانب وهذا لا علاج له البتة إلا قطع العلائق كلها ظاهرا وباطنا بالقرار عن الأهل والولد والمال والجاه والرفقاء والأصدقاء ثم الاعتزال إلى زاوية بعد إحراز قدر يسير من القوت وبعد القناعة به ثم كل ذلك لا يكفي ما لم تقصر المحموم عما واحدا وهو الله تعالى ثم إذا غلب ذلك على القلب فلا يكفي ذلك ما لم يكن له مجال في الفكر وسير الباطن في ملكوت السموات والأرض ومحاسن صنع الله تعالى وصالحات أبواب معرفة الله تعالى حتى إذا استولى ذلك على قلبه دفع اشتغاله بذلك مجاذبة الشيطان ووساوسه وإن لم يكن له سير بالباطن فلا ينبغي إلا الأوراد المتواصلة للترتبة في كل لحظة من القراءة والأذكار والصلوات ويحتاج مع ذلك إلى تسكين القلب الحضور فإن الفكر بالباطن هو الذي يستغرق القلب دون الأوراد الظاهرة ثم إذا فعل ذلك كله لم يسلم له من الأوقات إلا بعضها إذ لا يغلو في جميع أوقاته عن حوادث تتجدد فتشتله عن الفكر والدكر من مرض وخوف وإيذاء من إنسان وطغيان من مخالط إذ لا يستغنى عن مخالطة من يبينه في بعض أسباب العبثة فهذا أحد الأنواع المشاغلة . وأما النوع الثاني فهو ضروري أشد ضرورة من الأول وهو اشتغاله بالمطعم والملبس وأسباب العاش فان تهيئة ذلك أيضا تخرج إلى شغل إن تولاه بنفسه وإن تولاه غيره فلا يغلو عن شغل قلب من يتولاه ولكن بعد قطع العلائق كلها يسلم له أكثر الأوقات إن لم تهجم مملدة أو واقعة في تلك الأوقات يصفو القلب ويتيسر له الفكر وينكشف فيه من أسرار الله تعالى في ملكوت السموات والأرض ما لا يقدر على عشر عشره في زمان طويل لو كان مشغول القلب بالعلائق والالتها إلى هذا هو أقصى التمامات التي يمكن أن تنال بالاكتساب والجهد فأما مقادير ما ينكشف ومبالغ ما يرد من لطف الله تعالى في الأحوال والأعمال فذلك يجري مجرى الصيد وهو بحسب الرزق فقد بقل الجهد ومجال الصيد وقد يطول الجهد ويقل الخطو للمولود وهذا الاجتهاد على جذبة من جذبات الرحمن فاتها توازي أعمال الثقلين وليس ذلك باختيار العبد ، ثم اختيار العبد أن يتعرض لتلك الجذبة بأن يقطع عن قلبه جواذب الدنيا فان المجنوب إلى أسفل سافلين لا يجذب إلى أعلى عليين وكل مهوم بالدنيا فهو منجذب إليها فقطع العلائق المجاذبة هو الراد بقوله **عليه السلام** « إن ربكم أنام دهركم شحات ألا تفرضوا لها » وذلك لأن تلك التفحات والجذبات لها أسباب مماوذة إذ قال الله تعالى - وفي السماء رزقكم وما نعدون - وهذا من أعلى أنواع الرزق والأمور السالوية غالبة عدا فلا تدرى متى يسر الله تعالى أسباب الرزق لها حلينا إلا تضيق الخلد والانتظار لزول الرحمة وبلوغ الكتاب أجله كالذي يصلح الأرض وينقيها من الحشيش ويثب البذر فيها وكل ذلك لا ينفعه إلا عطر ولا يدري متى يقدر الله أسباب المطر لأنه يتق بفضل الله تعالى ورحمته أنه يغني سنة عن مطر فكذا ذلك فلما غلغوسه وشعره ويوم عن جذبة من الجذبات ونفحة من النفحات فينبغي أن يكون العبد قد طهر القلب عن حشيش الشهوات وبذر فيه بذر الإرادة والاختلاص وعرضه لمهاب رياح الرحمة كما يقوى انتظار الأمطار في أوقات الربيع وعند ظهور القيم فيقوى انتظار تلك النفحات في الأوقات الثمينة وعند اجتماع الهمم وتساعد القلوب كافي يوم عرفة ويوم الجمعة وأيام رمضان فان الهمم والأفاس أسباب يحكم تقدير الله تعالى استبرار ربه حتى

الله عنه سأل رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
عن تمسير قوله تعالى  
- له مقاليد السموات  
والأرض - فقال سألني  
عن شيء عظيم مأسأني  
غيرك هو لإله إلا الله  
والله أكبر وسبحان الله  
والحمد لله ولا حول  
ولا قوة إلا بالله عز وجل  
وأستغفر الله الأول  
الأخر الظاهر الباطن  
له الملك وله الحمد يده  
الحير وهو على كل شيء  
قدير من قالها عشرا  
حين يصبح وحسين  
يحمي أعطى ست خصال  
فأول خصلة أن يحرس  
من إبليس وجنوده  
الثانية أن يعطي قنطارا  
من الأجر الثالثة أن يرفع  
له درجة في الجنة

تستدر بها الأمطار في أوقات الاستسقاء وهي لا تستدرار أمطار الكاشفات ولطائف المعارف من خزان  
 للسكرات أعد مناسبة منها لاستدراار قطرات الماء واستجرار النجوم من أقطار الجبال والبحار بل  
 الأحوال والكشافات حاضرة معك في قلبك وإنما أنت مشغول عنها بملأ فمك وضميرك فصار ذلك  
 حجاباً بينك وبينها فلا تحتاج إلا إلى أن تنكسر الشهوة ويرفع الحجاب فتشرق أنوار المعارف من  
 باطن القلب وتظهر ماء الأرض بحفر القى أسهل وأقرب من استرسال اليأس من مكان بعيد تنخفض عنها  
 ولكونه حاضراً في القلب ومنسباً بالشئ عنه معى الله تعالى جميع معارف الإيمان تذكر أفعال تعالى  
 - إنا نحن زلنا الذكر وإنا له لحافظون - وقال تعالى - ولينذكر أولوا الألباب - وقال تعالى ولقد  
 برنا القرآن لذكر فكل من مذكر - فهذا هو علاج الصبر عن الوسواس والشواغل وهو آخر درجات  
 الصبر وإنما الصبر عن العلائق كلها مقدم على الصبر عن الحواطر . قال الجنيد رحمه الله السير من الدنيا  
 إلى الآخرة سهل على المؤمن وهجران الخلق في حب الحق شديد والسير من النفس إلى الله تعالى صعب  
 شديد والصبر مع الله أشد من شدة الصبر عن شواغل القلب ثم شدة هجران الخلق وأشد العلائق  
 على النفس علاقة الخلق وحب الجاه فإن لغة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع أغلب اللذات في  
 الدنيا على نفوس العقلاء وكيف لا تكون أغلب اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الربوبية  
 والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من للنسبة لأمر الربوبية وعنه العبادة بقوله تعالى  
 - قل الروح من أمر ربي - وليس القلب مذموماً على خبثه ذلك وإنما هو مذموم على غلط وقع له بسبب  
 تقرر الشيطان المعين للبدن عن عالم الأمر إذ حسده على كونه من عالم الأمر فأشده وأغواؤه كيف يكون  
 مذموماً عليه وهو يطلب سعادة الآخرة فليس يطلب إلا بقاء لا فناء فيه وعزا لادنيه وأمنه لا خوف فيه  
 وغنى لا فقر فيه وكلا لا نقصان فيه وهذه كلها من أوصاف الربوبية وليس مذموماً على طلب ذلك بل  
 حق كل عبد أن يطالب ملكاً عظيماً لا آخره وطالب الملك طالب للملوكة والملك لا للملكة ولكن الملك  
 ملكان ملك مشوب بأنواع الآلام وملحوق بسرعة الانصرام ولكنه متحل وهو في الدنيا وملك محله  
 دائم لا يشوبه كدر ولا ألم ولا يقطعه قاطع ولكنه آجل وقد خلق الإنسان محملاً لأغراضها العاجلة فجاء  
 الشيطان وتوسل إليه بواسطة المصلحة التي في طبعه فاستغواه بالعاجلة وزلزلته بالحاضرة وتوسل إليه بواسطة  
 الحق فوعده بالقرور في الآخرة ومناه مع ملك الدنيا ملك الآخرة كما قال **عليه السلام** **«والمؤمن من أتبع نفسه**  
**هو أها»** وتوسل على الله الأمانى فأنخدع بالخدول بضروره واشتغل بطلب عز الله بنوا ملكها على قدر إمكانه ولم  
 يتدل الموفق بمجل غروره إذ علم مدخل مكره فأعرض عن العاجلة فبر عن الخدولين بقوله تعالى - كلا  
 بل تحبون العاجلة وتدنون الآخرة - وقال تعالى - إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً  
 ثقيلاً - وقال تعالى - فأعرض عن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك يبلغهم من العلم  
 ولما استطار مكر الشيطان في كافة الخلق أرسل الله الملائكة إلى الرسل وأوحى إليهم ما على الخلق  
 من إهلاك البدن وإغوائه فاستغوا بدعوة الخلق إلى الملك الحقيقي عن الملك الهزلي الذي لا أصل  
 له إن سلم ولا دوام له أصلاً فنادوا فيهم - يا أيها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم أنفروا في سبيل  
 الله أننا قلتم إلى الأرض أرضيتكم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا القليل -  
 فالتوراة والإنجيل والفرقان وصحف موسى وإبراهيم وكل كتاب منزل ما تزل إلا لدعوة  
 الخلق إلى الملك الدائم المجد والبراد منهم أن يكونوا ملوكاً في الدنيا ملوكاً في الآخرة أما ملك الدنيا  
 فالزهد فيها والقناعة باليسير منها وأما ملك الآخرة فبالقرب من الله تعالى بذكره بقاء لا فناء فيه وعزا  
 لاذل فيه وقرعة عين أخفيت في هذا العالم لا تعلمها نفس من النفوس والشيطان يدعوهم إلى ملك  
 الدنيا لعله بأن ملك الآخرة يفوت به إذ الدنيا والآخرة خريتان ولعله بأن الدنيا لا تسلم له أيضاً

الرابعة يزوجه الله من  
 المحور العين الخامسة  
 اثنا عشر ملكاً  
 يستفرون له السادسة  
 يكون لمن الأجر كمن  
 حج واعتمر ويقول  
 أيضاً في هذا الوقت وفي  
 أول النهار اللهم أنت  
 خلقتني وأنت هديتني  
 وأنت تطعمني وأنت  
 تسميني وأنت تميتني  
 وأنت تحييني أنت رب  
 لا رب لي سواك ولا  
 إله إلا أنت وحسبك  
 لا شريك لك ويقول  
 ماشاء الله لا أقول إلا بالله  
 ماشاء الله كل نعمة  
 من الله ماشاء الله الخير  
 كله بيد الله ماشاء الله  
 لا يصرف نسوة إلا الله  
 ويقول حسبي الله لا إله  
 إلا هو عليه توكلت

ولو كانت تسلم له لكان يحسده أيضا ولكن ملك الدنيا لا يغفل عن المغازاة والشكرات وطول المحوم  
في التدبيرات وكذا سائر أسباب الجاه ثم معها تسلم وتم الأسباب فتضي العمر - حتى إذا أخذت الأرض  
زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أنها أمرنا ليلا أو نهارا لحفلنا حصيدا كأنهم تغتنم  
بالأمس - فضرب الله تعالى لها مثلا فقال تعالى - واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء  
فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيما تذروه الرياح - والزهد في الدنيا لما أن كان ملكا حاضرا  
حسده الشيطان عليه فصد عنه ومعنى الزهد أن يملك العبد شهوته وغضبه فينفاد أن يباعث الدين  
وإشارة الإيمان وهذا ملك بالاستحقاق إذ به يصير صاحبه حرا وبإستيلاء الشهوة عليه يصير عبدا  
لفرجه ويطنه وسائر أغراضه فيكون مسخرا مثل البهيمة مملوكا يستجره زمام الشهوة أخذها بمخنته  
إلى حيث يريد ويهوى فما أعظم اعتقار الإنسان إذ ظن أنه ينال الملك بأن يصير مملوكا وينال الرابوية  
بأن يصير عبدا ومثل هذا هل يكون إلا معكوسا في الدنيا منكوسا في الآخرة ولهذا قال بعض الملوك  
لبعض الزهاد هل من حاجة ؟ قال كيف أطلب منك حاجتي معك من ملكك فقال كيف قال من  
أنت عبده فهو عبدي فقال كيف ذلك قال أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك ويطنك وقد ملكك  
هؤلاء كلهم فهم عبيدي فهذا إذن هو الملك في الدنيا وهو الذي يسوق إلى الملك في الآخرة فالحمد وعون  
بغور الشيطان خسروا الدنيا والآخرة جميعا والدين وقوا الاشتداد على الصراط المستقيم فازوا بالدنيا  
والآخرة جميعا فإذا عرفت الآن معنى الملك والرابوية ومعنى التسخير والعبودية ومدخل الطغى في ذلك  
وكيفية تعمية الشيطان وتبليسه يسول عليك الزوع عن الملك والجاه والاعراض عنه والصبر عند  
فواته إذ تصير بتركه ملكا في الحال وترجوه ملكا في الآخرة فمن كوشف بهذه الأمور بعد أن ألف  
الجاه وأنس به ورسخت فيه العادة مباشرة أسبابه فلا يكتفي في العلاج بمجرد التلم والكشف بل لابد  
وأن يضيف إليه العمل وعمله في ثلاثة أمور : أحدها أن يهرب عن موضع الجاه كي لا يشاهد أسبابه  
فيعسر عليه الصبر مع الأسباب كما يهرب من غلبته الشهوة من مشاهدة الصور المحركة ومن لم يعمل  
هذا فقد كفر نعمة الله في سعة الأرض إذ قال تعالى سألتك أرض الله واسعة فتهاجروا عنها إلى الثاني  
أن يكلف نفسه في أعماله أفعالا تخالف ما اعتاده فيبدل التكلف بالتبذل ويزي الحشمة بزي التواضع  
وكذلك كل هيئة وحال وفعل في مسكن ومابس ومطعم وقيام وقعود كان يعتاده وفاء بمقتضى جاهه  
فينبئ أن يبدلها بنقضها حتى يرسخ باعتياد ذلك ضد مارسه فيه من قبل باعتياده ضد فلامعنى للمعالجة  
بالإضافة . الثالث أن يراعى في ذلك التلطف والتدرج فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى  
من التبذل فإن الطبع تقور ولا يمكن نقله عن أخلاقه إلا بالتدرج فيترك البعض ويسل نفسه البعض  
ثم إذا نعمت نفسه بذلك البعض ابتدأ ترك البعض من ذلك البعض إلى أن يقع بالبقية وهكذا يفعل  
شيئا فشيئا إلى أن يقع تلك الصفات التي رسخت فيعول إلى هذا التدرج الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم  
«إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تنفض إلى نفسك عبادة الله فإن التبت لأرضنا قطع ولا ظهرا  
أبقى»<sup>(١)</sup> وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «لا تشادوا هذا الدين فإن من يشاده يغلبه»<sup>(٢)</sup> فاذن ما ذكرناه  
من علاج الصبر عن الوسواس وعن الشهوة وعن الجاه أضعفه إلى ما ذكرناه من قوانين طرق المعاهدة  
في كتاب رياضة النفس من ربيع الملكات فأخذه دستورك لتصرف به علاج الصبري جميع الأقسام  
التي فصلناها من قبل فإن تفصيل الأحاد يطول ومن راعى التدرج ترقى به الصبر إلى حال يشق عليه الصبر

وهو رب العرش العظيم  
ثم يستعد لاستقبال  
الليل بالوضوء والطهارة  
وبرأ السبعات قبل  
التسربوب . وبديم  
التسبيح والاستغفار  
بحيث تتيب الشمس  
وهو في التسبيح  
والاستغفار وقرأ عند  
الغروب أيضا أو الخمس  
واليسل والعبادتين  
ويستقبل الليل كما  
استقبل النهار قال الله  
تعالى - وهو الذي  
جعل الليل والنهار خلفه  
لمن أراد أن يذكر أو  
أراد شكورا - فكما  
أن الليل يعقب النهار  
والنهار يعقب الليل  
ينبئ أن يكون العبد  
بين الذكر والشكر  
يعقب أحدهما الآخر

(١) حديث إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق الحديث أحمد من حديث أنس والبيهقي من  
حديث جابر وتقدم في الأوراد (٢) حديث لا تشادوا هذا الدين فإنه من شاده يغلبه تقدم فيه .



وقد أنزل الله تعالى على - إن في خلق السموات والأرض - (١) الآية وهذا يدل على أن البكاء ينبغي أن لا ينقطع أبداً وإلى هذا السر يشير ما روى أنه مر بعض الأنبياء بهجر صغير يخرج منه ماء كثير فتصب منه فأنطقه الله تعالى فقال منذ سمعت قوله تعالى - وقودها الناس والحجارة - فأنا أبكي من خوفه فسأله أن يجبره من النار فأجابه ثم رآه بعد مدة على مثل ذلك فقال لم تبكي الآن فقال ذلك بكاء الخوف وهذا بكاء الشكر والسرور وقلب العبد كالحجارة أو أشد قسوة ولا تزول قسوته إلا بالبكاء في حال الخوف والشكر جميعاً . وروى عنه عليه السلام أنه قال « ينادى يوم القيامة ليقيم المحادون فتقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة قبل ومن المحادون قال الذين يشكرون الله تعالى على كل حال (٢) وفي لفظ آخر « الذين يشكرون الله على السراء والضراء » وقال صلى الله عليه وسلم « الحمد رداء الرحمن (٣) » وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام (في رضى) الشكر مكافئ لمن أوليائي في كلام طويل وأوحى الله تعالى إليه أيضاً في صفة الصابرين أن دارهم دار السلام إذا دخلوها ألهمتهم الشكر وهو خير الكلام وعند الشكر أسزديهم وبالنظر إلى أزديهم ولما نزل في الكنوز ما نزل . قال عمر رضى الله عنه « أى اللال تتخذ فقال عليه السلام ليتخذ أحدكم لساناً إذا كرا وقلبا عاكراً (٤) » فأمر باقتناء القلب الشاكر بدلًا عن اللال . وقال ابن ميمون الشكر نصف الإيمان .

( بيان حد الشكر وحقيقته )

اعلم أن الشكر من جملة مقامات السالكين وهو أيضاً ينظم من علم وحال وعمل فالعلم هو الأصل فيورث الحال والحال يورث العمل ، فأما العلم فهو معرفة النعمة من النعم والحال هو القرع الحاصل بالعامه والعمل هو القيام بما هو مقصود النعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب والجوارح وباللسان ولا بد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاطاعة بحقيقة الشكر فان كل ما قيل في حد الشكر قاصر عن الاطاعة بكامل معانيه . فالأصل الأول : العلم وهو علم بثلاثة أمور بحسن النعمة ووجه كونها نعمة في حقه وبذات النعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام وبصدر الانعام منه عليه فانه لا بد من نعمة ومنعم ومنعم عليه تصل إليه النعمة من النعم بقصد وإرادة فهذه الأمور لا بد من معرفتها هذا في حق غير الله تعالى فأما في حق الله تعالى فلا يتم إلا بأن يعرف أن النعم كلها من الله وهو النعم والوسائطه يحسون من جهته وهذه المعرفة وراء التوحيد والتقديس إذ دخل التقديس والتوحيد فيها بل الرتبة الأولى في معارف الإيمان التقديس ثم إذا عرف ذاتا مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس وهو التوحيد ثم يعلم أن كل مافي العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط فالكل نعمة منه فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة إذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد كمال القدرة والافراد بالفعل وعن هذا عبر

(١) حديث عطاء دخلت على عائشة فقلت لها أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت وأمره لم يكن عجبا الحديث في بكائه في صلاة الليل أبو الشيخ ابن حبان في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن طريقه ابن الجوزي في الوفاء وفيه أبو جناب وأصح بهجتي أن أبي حبة ضعف الجمهور ورواه ابن حبان في صحيحه من رواية عبد الملك بن أبي سليمان عن عطاء دون قولها وأى أمره لم يكن عجبا وهو عند مسلم من رواية عروة عن عائشة مقتصرا على آخر الحديث (٢) حديث ينادى يوم القيامة ليقيم المحادون الحديث الطبراني وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث ابن عباس بلفظ أول من يدعى إلى الجنة المحادون الحديث وفيه قيس بن الرزيق ضعف الجمهور (٣) حديث الحمد رداء الرحمن لم أجده أصلا في الصحيح من حديث أبي هريرة السكبر دائما الحديث وتقدم في العلم (٤) حديث عمر ليتخذ أحدكم لسانا إذا كرا وقلبا شاكرا الحديث تقدم في التكاس .

الله جميع علم - .  
 روى عن عبد الله بن الزبير قال قدم وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم من بني تميم فقال أبو بكر أمر القعقاع بن معد وقال عمر بل أمر الأقرع بن حابس فقال أبو بكر ما أردت إلا خلافي وقال عمر ما أردت خلافتك فقاريا حتى ارتفعت أصواتها فأرسل الله تعالى سلاطينها الذين آمنوا - الآية قال ابن عباس رضى الله عنهما لا تقدموا لا تسلكوا بين يدي كلامه وقال جابر كان ناس يضحون قبل رسول الله فبوا عن تقديم الأضحية على

رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « من قال سبحان الله عشر حسنات ومن قال لا إله إلا الله عشر حسنات ومن قال الحمد لله ثلاثون حسنة (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الذكر لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء الحمد لله (٢) » وقال « ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحمد لله (٣) » ولا تظن أن هذه الحسنات يلزم تحريك اللسان بهذه الكلمات من غير حصول معانيها في القلب فسبحان الله كلمة تدل على التقديس ولا إله إلا الله كلمة تدل على التوحيد والحمد لله كلمة تدل على معرفة النعمة من الواحد الحق فالحسنات يلزم هذه المعارف التي هي من أبواب الإيمان واليقين. واعلم أن تمام هذه المعرفة ينشئ الشرك في الأفعال ، فمن أنعم عليه ملك من الملوك شيء فإن رأى لوزيره أو وكيله دخلا في تيسير ذلك وإيصاله إليه فهو إشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك من كل وجه بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحدا في حق الملك ، ثم لا ينض من توحيد في حق الملك وكال شكره أن يرى النعمة الواصلة إليه بتوقيعه الذي كتبه بقلمه وبالكافد الذي كتبه عليه فإنه لا يفرح بالقلم والكافد ولا يشكرها لأنه لا يثبت لهما دخلا من حيث هما موجودان بأنفسهما بل من حيث هما مسخران تحت قدرة الملك وقد يعلم أن الوكيل الوصل والخازن أيضا مضطربان من جهة الملك في الإيصال وأنه لو رد الأمر إليه ولم يكن من جهة الملك إرهاب أو جزم يخاف عقابته لما سلم إليه شيئا فإذا عرف ذلك كان نظره إلى الخازن والوصل كمنظره إلى القلم والكافد فلا يورث ذلك شركا في توحيد من إضافة النعمة إلى الملك وكذلك من عرف الله تعالى وعرف أفضاله علم أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره كالقلم مثلا في يد الكاتب وأن الحيوانات التي لها اختيار مسخرات في نفس اختيارها فإن الله تعالى « وللسلططة واعى عليها لتعمل شامت أم أبت كالخازن المضطر الذي لا يجد مديلا إلى مخالفة الملك ولو خلى ونفسه لما أعطاك ذرة مما في يده فكل من وصل إليك نعمة من الله تعالى على يده فهو مضطر بإسقاطه عليه الإرادة وهيج عليه الدواعي وألقى في نفسه أن خيره في الدنيا والآخرة أن عطيك ما أعطاك وأن غرضه القصد عندك في الحان والآل لا يحصل إلا به وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد لا يجد مديلا إلى تركه فهو إذن إنما يعطيك لترض نفسه لا لترضك ولو لم يكن غرضه في العطاء لما أعطاك ولو لم يعلم أن نفعه في منفعتك لما نفعك فهو إذن إنما يطلب نفع نفسه بنفعك فليس منعا عليك بل اتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى وهو يرجوها وإنما الذي أنعم عليك هو الذي سخره لك وألقى في قلبه من الاعتقادات والأرادات ما صار به مضطرا إلى الإيصال إليك فإن عرفت الأمور كذلك فقد عرفت أن الله تعالى وعرف فطره وكنت موحدا وقدرت على شكره بل كنت بهذه العروة بمجرد ما ذكرنا ولذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته: إلهي خلقت آدم بيدك وضلت وضلت فكيف شكرتك فقال الله عز وجل اعلم أن كل ذلك متى فسكنت معرفته شكره فاذن لا تشكر إلا بأن تعرف أن الكل منه فإن خالجت ريب في هذا لم تكن عارفا بالنعمة ولا بالتم فلا تفرح بالتم وحده بل وبشيره فبتقصان معرفتك بتقص حالك في الفرح وبتقصان فركك بتقص عمك فهذا بيان هذا الأجل. الأصل الثاني: الحال للتمتدة من أصل للفرقة وهو الفرح بالتم مع هيئة الخضوع والتواضع وهو أيضا في نفسه

رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل كان قوم يقولون لو أنزل في كذا وكذا فكره الله ذلك وقلت عائشة رضي الله عنها أي لا تصوموا قبل أن يصوم نبيكم . وقال الكافي لا تسبقوا رسول الله يقول ولا فصل حتى يكون هو الذي بأمركم به وهكذا أدب المرید مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار لا ينصرف في نفسه وماله إلا بما راحة الشيخ وأمره . وقد استوفينا هذا المعنى في باب المشيخة وقبل لا تقدموا لأتبعوا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى

(١) حديث من قال سبحان الله عشر حسنات الحديث تقدم في الدعوات (٢) حديث أفضل الذكر لا إله إلا الله وأفضل الدعاء الحمد لله الترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه وابن حبان من حديث جابر (٣) حديث ليس شيء من الأذكار يضاعف ما يضاعف الحديث لم أجده مرفوعا وإنما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الشكر عن إبراهيم النخعي يقال إن الحمد أكثر الكلام تضييفا .

شكر على نجرته كما أن العرفة شكر ولكن إنما يكون شكرا إذا كان حاويا لشرطه، وشرطه أن يكون فركه بالتمنن بالانعمة والبالإنعام، ولعل هذا مما يتلوه عليك فهمه فاضربك مثلا فقول: الملك الذي يريد الخروج إلى سفر فأتمم بفارس على إنسان يتصور أن يفرح النعم عليه بالفارس من ثلاثة أوجه: أحدها أن يفرح بالفارس من حيث إنه فارس وإنه مال ينتفع به ومركوب يوافق غرضه وإنه جواد فليس وهذا فرح من لاحظ له في الملك بل غرضه الفارس فقط ولو وجد في صحراء فأخذ له لسان فرحه مثل ذلك الفرح. الوجه الثاني أن يفرح به لامن حيث إنه فارس بل من حيث يستدل به على عناية الملك به وشفقته عليه وإهتمامه بجانبه حتى لو وجد هذا الفارس في صحراء أو أعطاء غير الملك لكان لا يفرح به أصلا لاستغنائاه عن الفارس أصلا أو استحقاقه له بالإضافة إلى مطلوبه من نيل المحل في قلب الملك. الوجه الثالث أن يفرح به ليركبه ليخرج في خدمة الملك ويتحمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب منه وربما يرتقى إلى درجة الوزارة من حيث إنه ليس بفتح بأن يكون محله في قلب الملك أن يعطيه فرسا ويعتني به هذا القدر من العناية بل هو طالع لأن لا يتم الملك بشيء من ماله على أحد إلا بواسطته، ثم إنه ليس يريد من الوزارة الوزارة أيضا بل يريد مشاهدة الملك والقرب منه حتى لو خير بين القرب منه دون الوزارة وبين الوزارة دون القرب لاختار القرب فهذه ثلاث درجات، فالأولى لا يدخل فيها معنى الشكر أصلا لأن نظره صاحبها قصور على الفارس فقرحه بالفارس لا بالمطى، وهذا حال كل من فرح بنبعة من حيث إنها لذينة وموافقة لغرضه فهو بعيد عن معنى الشكر، والثانية داخلة في معنى الشكر من حيث إنه فرح بالتمنن ولكن لامن حيث ذاته بل من حيث معرفة عنايته التي تستجته على الانعام في المستقبل، وهذا حال الصالحين الذين يريدون الله ويشكروه خوفا من عقابه ورجاء ثوابه وإنما الشكر التام في الفرح الثالث، وهو أن يكون فرح السيد بنبعة الله تعالى من حيث إنه يقدرها على التوصل إلى القرب منه تعالى والوصول إلى جواره والنظر إلى وجهه على الدوام فهذا هو الرتبة العليا. وأما رتبة أن لا يفرح من الدنيا إلا بما هو مزرعة للأخرة ويعينه عليها ويحزن بكل نعمة تنهيه عن ذكر الله تعالى وتصدده عن سيده لأنه ليس يريد النعمة لأنها لذينة كما لم يرد صاحب الفارس الفارس لأنه جواد وممحلج بل من حيث إنه يحمله في حبة الملك حتى تدوم مشاهدته له وقربه منه، ولذلك قال الشبلي رحمه الله: الشكر رؤية النعم لأروية النعمة. وقال الحواص رحمه الله: شكر العامة على الطعام واللبس والشرب، وشكر الخاصة على واردات القلوب وهذه رتبة لا يدرها كل من انحصرت عنده القدرات في البطن والفرج ومدرجات الحواس من الألوان والأصوات وخلا عن لذة القلب فإن القلب لا يتذوق في حال الصحة إلا يذكر الله تعالى ومعرفته وقائه وإنما يتذوق بغيره إذا مرض بسوء العادات كما يأنس بعض الناس بأكل الطين وكما يستبشع بعض الرضى الأشياء الحلوة ويستحلي الأشياء المرة كما قيل:

ومن يك ذا فم مريض يجد مرارة الماء الزلالا

فإن هذا شرط الفرح بنبعة الله تعالى، فإن لم تكن إيل فعمى، فإن لم يكن هذا فالمرجة الثانية. أما الأولى فخارجة عن كل حساب فكمن من فرق بين من يريد الملك للفارس ومن يريد الفارس للملك وكمن من فرق بين من يريد الله لينعم عليه وبين من يريد نعم الله لصل بها إليه. الأصل الثالث: العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة النعم وهذا العمل يشلق بالقلب وباللسان وبالجوارح. أما بالقلب قصد الخير وإضاره لكافة الخلق. وأما باللسان فإظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه. وأما بالجوارح: فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوفى من

أبو البرداء قال كنت أمتى أمام أبي بكر فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم تحبى أمام من هو خير منك في الدنيا والآخرة وقيل نزل في أقوام كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا سئل الرسول عليه السلام عن شيء خاضوا فيه وتقدموا بالقول والفتوى فهو عن ذلك وهكذا أدب الريد في مجلس الشيخ يبنى أن يأنس السكوت ولا يقول شيئا يحضره من كلام حسن إلا إذا استأمر الشيخ ووجد من الشيخ فسحبه في ذلك وغان

الاستعانة بها على مصيته حتى إن شكر العبيد أن تستر كل عيب تراه لسم وشكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمه فيه فيدخل هذا في جملة شكر نعم الله تعالى بهذه الأعضاء والشكر باللسان لاظهار الرضا عن الله تعالى وهو مأمور به فقد قال صلى الله عليه وسلم لرجل «كيف أصبحت قال غير فأعاد صلى الله عليه وسلم السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال صلى الله عليه وسلم هذا الذي أردت منك (١)» وكان السلف يشاءون ونيتهم استخراج الشكر لله تعالى ليكون الشاكر مطعياً وللمتنطق له به مطعياً وما كان قصدهم الرياء باظهار الشوق وكل عبد مثل عن حال فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت فالشكر طاعة والشكوى مصيبة قبيحة من أهل الدين وكيف لا تنقبش الشكوى من ملك للوك ويدعه كل شيء إلى عبد مملوك لا يقدر على شيء فالأحرى بالعبد إن لم يحسن الصبر على البلاء والقضاء وأفضى به الضعف إلى الشكوى أن تكون شكواه إلى الله تعالى فهو للبي والقادر على إزالة البلاء وذلك العبد لمولاه عز والشكوى إلى غيره ذل وإظهار القلّة للعبد مع كونه عبداً مثله ذلّ قبيح قال الله تعالى - إن الذين يعبّدون من دون الله لعلّهم يكونوا لهم رزقاً فابتنوا عند الله الرزق واعبدوه واشكروا له - وقال تعالى - إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - فالشكر باللسان من جملة الشكر . وقد روى أن وفداً قدموا على عمر بن عبد العزيز رحمه الله فقام شاب ليحكّم فقال عمر الكبير الكبير فقال يأمر المؤمنين لو كان الأمر بالسنّ لكان في المسلمين من هو أسنّ منك فقال تكلم فقال لنا وفد الرغبة ولا وفد الرهبة أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك وأما الرهبة فقد آمنتنا منها عدلك وإيماننا وقد الشكر جثاكَ لشكركَ باللسان وتضرب . فهذه هي أصول معاني الشكر المحبطة بمجموع حقيقته . فأما قول من قال إن الشكر هو الاعتراف بنعمة التمس على وجه الخضوع فهو نظر إلى فعل اللسان مع بعض أو أوال القلب . وقول من قال إن الشكر هو التثناء على المحسن بذكر إحسانه نظر إلى مجرد عمل اللسان وقول القائل إن الشكر هو الاعتكاف على بساط الشهود بإدامة حفظ الحرمة جامع لأكثر معاني الشكر لا يشذ منه إلا عمل اللسان وقول حمدون القصار شكر النعمة أن ترى نفسك في الشكر طغفيلياً إشارة إلى أن معنى للفرقة من معاني الشكر فقط وقول الجند الشكر أن لا ترى نفسك أهلاً لنعمة إشارة إلى حال من أحوال القلب على الخصوص وهؤلاء أقوالهم تعرب عن أحوالهم فذلك يختلف أجوبتهم ولا تتفق ثم قد يختلف جواب كل واحد في حالتين لأنهم لا يشكرون إلا عن حالتهم الراهنة القابلة عليهم اشتغالا بما همهم عمالاً بهمهم أو يشكرون بما يرونه لانتفاء بحال السائل اقتضاراً على ذكر القدر الذي يحتاج إليه وإعراضاً عما لا يحتاج إليه فلا ينبغي أن تظن أن ما ذكرناه طعن عليهم وأنه لو عرض عليهم جميع المعاني التي شرحناها كانوا ينكرونها بل لا يظن ذلك بعاقل أبداً إلا أن تعرض منازعة من حيث القنط في أن اسم الشكر في وضع اللسان هل يشمل جميع المعاني أم يتناول بعضها مقصوداً وبقيّة المعاني تكون من نواصيه ولوازمه ولنا شاهد في هذا الكتاب شرح موضوعات اللغات فليس ذلك من علم طريق الآخرة في شيء والله الوفاق برحمته .

للبريد في حضرة الشيخ كن هو قاعد على ساحل بحر ينتظر رزقاً يساق إليه فطلعه الى الاستماع وما يبرزق من طريق كلام الشيخ يحقق مقام إرادته وطلعه واستزادته من فضل الله وتطلعه الى القول برده عن مقام الطلب والاستزادة الى مقام إثبات شيء لنفسه وذلك جنابة للبريد . وينبغي أن يكون تطلعه إلى مبهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ على أن الصادق لا يحتاج إلى السؤال باللسان في حضرة الشيخ بل يادته بما يريد لأن الشيخ يكون مستنطقاً بلفظه بالحق

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم لرجل كيف أصبحت قال غير فأعاد السؤال حتى قال في الثالثة بخير أحمد الله وأشكره فقال هذا الذي أردت منك الطائري في الدماء من رواية الفضيل بن عمرو مرفوعاً نحوه قال في الثالثة أحمد الله وهذا معضل ورواه في المعجم الكبير من حديث عبد الله بن عمرو ليس فيه تكرار السؤال وقال أحمد الله إليك وفيه راشد بن سعد ضمه الجهور لسوء حفظه ورواه مالك في اللوطاً موقوفاً على عمر باسناد صحيح .

(بيان طريق كشف الغطاء عن الشكر في حق الله تعالى)

لعلك يخطر ببالك أن الشكر إنما يقبل في حق من هو صاحب حظ في الشكر فانا نشكر للوكة  
إما بالثناء ليزيد علمهم في القلوب ويظهر كرمهم عند الناس فيزيد به صيتهم وجاههم أو بالخدمة التي  
هي إغانة لهم على بعض أغراضهم أو بالتول بين أيديهم في صورة الخدمة وذلك تكبير لسوادم وسبب  
زيادة جاههم فلا يكونون شاكرين لهم إلا بشيء من ذلك وهذا محال في حق الله تعالى ومن وجهين:  
أحدهما أن الله تعالى منزّه عن الحظوظ والأغراض مقدس عن الحاجة إلى الخدمة والإغانة وعن  
نشر الجاه والخشمة بالثناء والإطراء وعن تكبير سواد الخدم بالتول بين يديه ركعا سجدا فاشكرنا  
إياه بما لاحظ له فيه ضاهي شكرنا للوك اللهم علينا بأن تام في يوتنا أو نسجد أو نركع إذا لاحظ  
للملك فيه وهو غائب لاعم له ولا حظ لله تعالى في أفعالنا كلها. الوجه الثاني أن كل ما تعاطاه باختيارنا  
فهو نعمة أخرى من نعم الله علينا إذ جوارحنا وقدرتنا وإرادتنا وداعيتنا وسائر الأمور التي هي  
أسباب حركتنا ونفس حركتنا من خلق الله تعالى ونعمته فكيف نشكر نعمة نعمة ولو أعطانا  
الملك مراكوبا فأخذنا مراكوبا آخر له وركبناه أو أعطانا الملك مراكوبا آخر ليكن الثاني شكر الأول  
منا بل كان الثاني يحتاج إلى شكر كما يحتاج الأول ثم لا يمكن شكر الشكر إلا بنعمة أخرى فيؤدي  
إلى أن يكون الشكر محالا في حق الله تعالى من هذين الوجهين ولنا شك في الأمرين جميعا  
والشرع قد ورد به فكيف السبل إلى الجمع . فاعلم أن هذا الخطر قد خطر إذا ود عليه السلام وكذلك  
لموسى عليه السلام فقال يارب كيف أشكرك وأنا لا أستطيع أن أشكرك إلا بنعمة ثانية من نعمك  
وفي لفظ آخر وشكركم لك نعمة أخرى منك توجب على الشكر لك فأوحى الله تعالى إليه إذا عرفت  
هذا فقد شكرتني وفي خبر آخر إذا عرفت أن النعمة متى رضى منك بذلك شكرا . فان قلت فقد  
فهمت السؤال وفهمى قاصر عن إدراك معنى ما أوحى إليهم فاني أعلم استحالة الشكر لله تعالى فأما  
كون العلم باستحالة الشكر شكرا فلا أفهمه فان هذا العلم أيضا نعمة منه فكيف صار شكرا وكان  
الحاصل يرجع إلى أن من لم يشكر فقد شكر وأن قبول الخلة الثانية من الشكر للخلة الأولى  
والنعم قاصر عن درك السر فيه فان أمكن تبريف ذلك بتال فهو مهم في نفسه . فاعلم أن هذا  
فرع باب من المعارف وهي أعلى من علوم العامة ولكنها تنير منها إلى ملامح وتقول ههنا نظران  
نظر بين التوحيد المحض وهذا النظر يبرفك قطعا أنه الشاكر وأنه للشكور وأنه المحب وأنه  
المحبوب وهذا نظر من عرف أنه ليس في الوجود غيره وأن كل شيء هالك إلا وجهه وأن ذلك صدق  
في كل حال أزلا وأبدا لأن الغير هو الذي يتصور أن يكون له بنفسه قوام ومثل هذا الغير لا وجود له  
بل هو محال أن يوجد إذ الوجود الحق هو القائم بنفسه وما ليس له بنفسه قوام فليس له بنفسه  
وجود بل هو قائم بغيره فهو موجود بغيره فان اعتبر ذاته ولم يلتفت إلى غيره لم يكن له وجودا بئنة  
وإنما للوجود هو القائم بنفسه والقائم بنفسه هو الذي لو قدر عدم غيره بقي موجودا فان كان مع  
قيامه بنفسه يقوم بوجوده وجود غيره فهو قيوم ولا قيوم إلا واحد ولا يتصور أن يكون غير ذلك  
فأذن ليس في الوجود غير الحى القيوم وهو الواحد الصمد فاذا نظرت من هذا المقام عرفت أن  
الكل منه مصدره وإليه مرجعه فهو الشاكر وهو المشكور وهو المحب وهو المحبوب ومن ههنا  
نظر حبيب بن أبي حبيب حيث قرأ - إنا وجدناه صابرا ثم العبد إنه أواب - فقال واصبها أعطى  
وأثنى إشارة إلى أنه إذا أثنى على إعطائه قل نفسه أثنى فهو المثنى وهو المثنى عليه ومن ههنا نظر  
الشيخ أبو سعيد الملبى حيث قرئ بين يديه - بحمهم ومحبونه - فقال لعمري بحمهم ودعه بحمهم

وهو عند حضور  
الصادقين يرفع قلبه  
إلى الله ويستمنظر  
ويستقي لهم فيكون  
لسانه وقلبه في القول  
والنطق مأخوذين إلى  
مهم الوقت من أحوال  
الطالبين المحتاجين إلى  
ما يفتح به عليه لأن  
الشيخ يعلم تطلع  
الطالب إلى قسوله  
واعتساده بقوله  
والقول كاليد يقع في  
الأرض فاذا كان  
اليد فاسدا لا يثبت  
وفساد الكلمة بدخول  
الهوى فيها فالشيخ  
ينفى بئر الكلام عن  
شوب الهوى ويسلمه  
إلى الله ويسأل الله  
الموتى والساداتهم يقول  
فيكون كلامه بالحق

فبحق محبتهم لأنه إنما يحب نفسه أشار به إلى أنه المحب وأنه المحبوب وهذه رتبة عالية لانضمامها  
إلا بمثال على حد عقلك فلا يخفى عليك أن الصنف إذا أحب تصنيفه فقد أحب نفسه والصانع إذا  
أحب صنعه فقد أحب نفسه والوالد إذا أحب ولده من حيث إنه ولده فقد أحب نفسه وكل مافي  
الوجود سوى الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى وصنعتة فإن أحبه لما أحب إلا نفسه وإذا لم يحب  
إلا نفسه فبحق أحب ما أحب وهذا كله نظر بعين التوحيد وتعبير الصوفية عن هذه الحالة بخلاء  
النفس أي فنى عن نفسه وعن غير الله فلم ير إلا الله تعالى فمن لم يفهم هذا ينكر عليهم ويقول  
كيف فنى وطول ظله أربية أذرع ولله يأكل في كل يوم أرطالا من الحبز فضعك عليهم الجبال  
لجلبهم بمعنى كلامهم وضرورة قول العارفين أن يكونوا ضحكة للجاهلين وإليه الإشارة بقوله تعالى  
- إن الذين أجروا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى  
أهلهم اتقلبوا فكيف وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين - ثم بين أن  
ضحك العارفين عليهم غدا أعظم إذ قال تعالى - فالיום الذين آمنوا من الكفار يضحكون على  
الأراكت ينظرون - وكذلك أمة نوح عليه السلام كانوا يضحكون عليه عند اشتغاله بمل السفينة  
قال - إن تسخروا منا فلنا نسخر منكم كما تسخرون - فهذا أحد النظرين . النظر الثاني نظر من  
لم يبلغ إلى مقام الغناء عن نفسه وهؤلاء قمان قسم لم يشبوا إلا وجود أنفسهم وأنكروا أن يكون  
لهم رب سجد وهؤلاء هم العميان التكويسون وعمام في كلنا العيين لأنهم تقوا ماهو الثابت تحقيا  
وهو القويم الذي هو قائم بنفسه وقائم على كل نفس بما كسبت وكل قائم قائم به ولم يقتصروا على  
هذا حتى أثبتوا أنفسهم ولو عرفوا لمعوا أنهم من حيث هم م لا ثبات لهم ولا وجود لهم وإنما وجودهم  
من حيث أوجدوا لامن حيث وجدوا وفرق بين الوجود وبين الوجد وليس في الوجود إلا موجود  
واحد وموجد فالوجود حق والوجد باطل من حيث هو هو الوجود قائم وقويم والوجد هالك  
وفان وإذا كان كل من عليها فان فلا يبقى إلا وجه ربك ذو الجلال والإكرام . الفريق الثاني  
ليس بهم عى ولكن بهم عور لأنهم يصرون بأحدى العينين وجود الوجود الحق فلا ينكرونه  
والعين الأخرى إن تم معهما لم يصير بها فناء غير الوجود الحق فأثبت موجودا آخر مع الله تعالى  
وهذا مشترك تحقيا كما أن الذي قبله جاحد تحقيا فان جاوز حد العى إلى المسمى أدرك ضاوتنا  
بين الوجودين فأثبت عبدا وربا فهذا القدر من إثبات التفاوت والنقص من الوجود الآخر دخل  
في حد التوحيد ثم إن لكل بصره بما يزيد في أنواره فبقيل عشمه وبقدرب مايزيد في بصره يظهر له  
تقصان ماأثبتته سوى الله تعالى فان بقى في سلوكه كذلك فلا يزال يغشى به التقصان إلى المهور  
فينمى عن رؤية ماسوى الله فلا يرى إلا الله فيكون قد بلغ كمال التوحيد وحيث أدرك تقصا  
في وجود ماسوى الله تعالى دخل في أوائل التوحيد وبينهما درجات لا تحصى فهذا تفاوت درجات  
الموحدين وكتب الله المنزلة على ألسنة رسله هي السكحل الذي به يحصل أنوار الأبدان والأبداء هم  
السكالون وقد جاءوا داعين إلى التوحيد المحض ورجسته قول لا إله إلا الله ومعناه أن لا يرى  
إلا الواحد الحق والواصلون إلى كمال التوحيد هم الأفلون والجاهدون والمشركون أيضا قليلون وهم  
على الطرف الأقصى المقابل لطرف التوحيد إذ عبدة الأوثان قالوا - ما نبيد إلا ليقربونا إلى  
الله زلفى - فكانوا داخلين في أوائل أبواب التوحيد دخولا ضيقا والمتوسطون هم الأكثرون  
وفهم من تنفتح بصيرته في بعض الأحوال فتولج له حقائق التوحيد ولكن كالبرق الحاطف  
لا يثبت وفهم من يلوح له ذلك ويثبت زمانا ولكن لا يدوم والموافق فيه عزز :

من الحق الحق فالشيخ  
المريد بن أمين الإلهام  
كما أن جبريل أمين  
الوحي فكما لا يخون  
جبريل في الوحي  
لا يخون الشيخ في  
الإلهام وكما أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
لا ينطق عن الهوى  
فالشيخ مقتدر رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
ظاهرا وباطنا لا يتكلم  
بهوى النفس . وهوى  
النفس في القبول  
بشيئين : أحدهما طلب  
استجلاب القلوب  
وصرف الوجوه إليه  
وما هذا من شأن  
الشيخ . والثاني ظهور  
النفس باستتلاء  
الكلام والمعجب وذلك  
خيانة عند المحققين

لكل إلى شأو الملا حركات ولكن عزيز في الرجال ثبت

ولما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بطلب القرب قيل له سواسجد واقترب - قال في سجوده « أعوذ بفنوك من عقابك وأعوذ برضائك من سخطك وأعوذ بك منك لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك <sup>(١)</sup> » قوله صلى الله عليه وسلم « أعوذ بفنوك من عقابك » كلام عن مشاهدة فضل الله قط فمكانه لم ير إلا الله وأفضاله فاستعاذ بغطه من فعله ثم اقترب فثنى عن مشاهدة الأفعال وترقى إلى مصادر الأفعال وهي الصفات فقال « أعوذ برضائك من سخطك » وهما صفتان ثم رأى ذلك قصانا في التوحيد فاقرب ورتى من مقام مشاهدة الصفات إلى مشاهدة الذات فقال « وأعوذ بك منك » وهذا فرار منه إليه من غير رؤية فعل وصفة ولكنه رأى نفسه فاراً منه إليه ومستغيثاً وثم ثابته عن مشاهدة نفسه إذ رأى ذلك قصانا واقترب فقال « لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك » قوله صلى الله عليه وسلم « لأحصى » خبر عن فناء نفسه وخروج عن مشاهدتها وقوله « أنت كما أثنيت على نفسك » بيان أنه لثني والثني عليه وأن السكك منه بدا وإليه يعود وأن - كل شيء هالك إلا ووجهه - فكان أول مقاماته نهاية مقامات للوحدين وهو أن لا يرى إلا الله تعالى وأفضاله فيستعيز بفعل من فعل فانظر إلى ماذا انتهت نهائيه إذا انتهى إلى الواحد الحق حتى يرتفع من نظره ومشاهدته سوى الذات الحق ، ولقد كان صلى الله عليه وسلم لا يرى من رتبة إلى أخرى إلا ويرى الأولى يبدأ بالاضافة إلى الثانية فكان يستغفر الله من الأولى ويرى ذلك قصافي سلو كوتقصيرا في مقامه وإليه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم « إنه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله في اليوم واليلة سبعين مرة <sup>(٢)</sup> » فكان ذلك لترقيته إلى سبعين مقاما بعضها فوق البعض أو لما وإن كان مجاوزا أقصى غايات الحلق ولكن كان قصانا بالاضافة إلى آخرها فكان استغفاره لذلك ، ولما قالت عائشة رضي الله عنها « أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فها هذا البكاء في السجود وما هذا الجهد الشديد قال أفلا أكون عبدا شكورا <sup>(٣)</sup> » معناه أفلا أكون طالبا للزيد في القامات فإن الشكر سبب الزيادة حيث قال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - وإذا قلنا فلنا في بحار للكاشفة فلنقبض الصان ، ولترجع إلى ما يليق بعلوم اللامعة ، فنقول : الأنبياء عليهم السلام بعثوا لعودة الحلق إلى كمال التوحيد الذي وصفناه ولكن بينهم وبين الوصول إليه مسافة بعيدة وعقبات شديدة وإنما التبرع كله تعريف طريق سلوك تلك المسافة وقطع تلك العقبات وعند ذلك يكون النظر عن مشاهدة أخرى ومقام آخر فيظهر في ذلك القام بالاضافة إلى تلك للمشاهدة الشكر والشاكر والشكور ولا يعرف ذلك إلا بعثال ، فأقول : بإمكان أن نضم أن ملكا من الملوك أرسل إلى عبد قد بددته من ركوبا وملبوسا وهذا لأجل زاده في الطريق حتى يقطع به مسافة البعد ويقرب من حضرة الملك ثم يكون له حالان : أحدهما أن يكون قصده من وصول العبد إلى حضرته أن يقوم ببعض مهماته ويكون له عناية في خدمته ، والثانية أن لا يكون الملك حظ في العبد ولا حاجة به إليه بل حضوره لا يزيد في ملكه

(١) حديث قال في سجوده أعوذ بفنوك من عقابك وأعوذ برضائك من سخطك الحديث مسلم من حديث عائشة أعوذ برضائك من سخطك وبمعافتك من عقوبتك الحديث (٢) حديث إنه ليغان على قلبي الحديث تقدم في التوبة وقوله في الدعوات (٣) حديث عائشة لما قالت له غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فها هذا البكاء الحديث رواه أبو الشيخ وهو بغيه حديث عطاء عنها المتقدم قبل هذا بقسمة أحاديث وهو عند مسلم من رواية عروة عنها مختصرا وكذلك هو في الصحيحين مختصرا من حديث الفيرة بن شعبة .

والشيخ فبا يجرى على لسانه راقد النفس تشبه مطالعة نعم الحق في ذلك فاقد الحظ من فوالد ظهور النفس بالاستحلال والعجب فيحكون الشيخ لما يحربه الحق سبحانه وتعالى عليه مستعما كأحد للسمعين وكان الشيخ أبو السعود رحمه الله يشكك مع الأصحاب بما يلقى إليه وكان يقول أنا في هذا الكلام مستمع كأحدكم فأشكل ذلك على بعض الحاضرين وقال إذا كان القائل هو يعلم ما يقول كيف يكون كستمع لا يعلم حتى يسمع منه فرجع إلى منزله فرأى ليلته

لأنه لا يقوى على القيام بخدمة تفي فيه غناء وغيتة لانتقص من ملكه فيكون قصد من الإنعام عليه بالمركوب . والزاد أن يحظى العبد بالقرب منه وينال معادته حضرة ليتنفع هو في نفسه ولا يتنفع الملك به وينتفعه لفرز البعاد من الله تعالى في للزلة الثانية لافي للزلة الأولى فإن الأولى محال على الله تعالى والثانية غير محال . ثم اعلم أن العبد لا يكون شاكرًا في الحالة الأولى بمجرد الركون والوصول إلى حضرة مالم يتم بخدمته التي أرادها الملك منه . وأما في الحالة الثانية فلا يحتاج إلى الخدمة أصلاً ومع ذلك يتصور أن يكون شاكرًا وكافرًا ويكون شكره بأن يستعمل ما أنعم الله عليه مولاة فيأجبه لأجله لأجل نفسه وكفره أن لا يستعمل ذلك فيه بأن يستعمله فيما يزيد في بعده من فهم ما ليس العبد الثوب وركب القرس ولم ينق الزاد إلا في الطريق فقد شكره مولاة إذا استعمل نعمته في محبة: أي فيها أجبه لعبدته لانتفسه وإن ركب واستدبر حضرة وأخذ يعد منه فقد كفر نعمته: أي استعملها فيما كرهه مولاة لعبدته لانتفسه وإن جلس ولم يركب لافي طلب القرب ولا في طلب البعد فقد كفر أيضًا نعمته إذا عملها وعطها وإن كان هذا دون ماله بعد منه فكذلك خلق الله سبحانه الخلق وهم في ابتداء فطرهم يحتاجون إلى استعمال الشهوات لتسكن بها أبدانهم فيمدون بها عن حضرة ثم يحتاجون إلى استعمال في القرب منه فأعد لهم من النعم ما يقدرون على استعماله في نيل درجة القرب وعن بعدهم وقرهم عبر الله تعالى إذ قال - قد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين إلا الذين آمنوا - الآية فاذن نعم الله تعالى آيات يترقى العبد بها عن أسفل السافلين خالقها الله تعالى لأجل العبد حتى ينال بها سعادة القرب والله تعالى غنى عنه قرب أم بعد والعبد فيها بين أن يستعملها في الطاعة فيكون قد شكر لموافقة محبة مولاة وبين أن يستعملها في معصيته فقد كفر لانتقامه ما يكرهه مولاة ولا يرضاه له فإن الله لا يرضى لعباده الكفر والعصية وإن عطها ولم يستعملها في طاعة ولا معصية فهو أيضًا كفران للنعمة بالتضييع وكل ما خلق في الدنيا إنما خلق آله للعبد ليتوصل به إلى سعادة الآخرة ونيل القرب من الله تعالى فكل مطيع فهو بقدر طاعته شاكر نعمة الله في الأسباب التي استعملها في الطاعة وكل كسلان ترك الاستعمال أو عاس استعملها في طريق البعد فهو كافر جار في غير محبة الله تعالى فالمعصية والطاعة تشتملها للشيء ولكن لا تشتملها المحبة والكراهة بل رب مراد محبوب ورب مراد مكروه . ووراء بيان هذه الحقيقة سر القدر الذي منع من إفشائه وقد أحل هذه الاشكال الأول وهو أنه إذا لم يكن للشكور حظ فكيف يكون الشكر ، وهذا أيضًا يحل الثاني فإن ما نحن بالشكر إلا انصراف نعمة الله في جهة محبة الله فإذا انصرفت النعمة في جهة المحبة بفعل الله قد حصل للراد وفعلك عطاء من الله تعالى ومن حيث أنت عمله قد أتى عليك وثناؤه نعمة أخرى منه إليك فهو الذي أعطى وهو الذي أتى وصار أحد فعليه سببًا لانصراف فعله الثاني إلى جهة محبة فله الشكر على كل حال وأنت موسوف بأنك شاكر بمعنى أنك عمل اللعين الذي الشكر عبارة عنه لا بمعنى أنك موجب له كما أنك موسوف بأنك عارف وعالم لا بمعنى أنك خالق للعالم وموجد له ولكن بمعنى أنك عمل له وقد وجد بالقدرة الأزلية فيك فرصتك بأنك شاكر إثبات شية لك وأنت شيء إذ جعلك خالق الأشياء شيئًا وإنما أنت لاشيء إذا كنت أنت ظانًا لنفسك شيئًا من ذاتك فأما باعتبار النظر إلى الذي جعل الأشياء شيئًا فأنت شيء إذ جعلك شيئًا فإن قطع النظر عن جملة كنت لاشيء محققًا وإلى هذا أشار صلى الله عليه وسلم حيث قال «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» (١) لما قيل له يا رسول الله فقيم العمل إذا كانت الأشياء قد فرغ منها من قبل فتبين أن الخلق مجاري قدرة الله تعالى وعمل أفضاله وإن كانوا أيضًا من أماله ولكن بعض أفعاله محل لبعض وتوله أعمالوا وإن كان جاريا على

في المنام كأن قائلا يقول له أليس العواس يهوس في البحر لطلب الدر ويجمع الصدف في محلاته والدر قد حصل معه ولكن لا يراه إلا إذا خرج من البحر ويشاركه في رؤية الدر من هو على الساحل فهمهم بالنام إشارة الشيخ في ذلك فأحسن أدب للمريد مع الشيخ السكوت والجلود والحمد حق يادته الشيخ بماله فيه من الصلاح قولاً وفعلًا وقيل أيضًا في قوله تعالى - لا تقدموا بين يدي الله ورسوله - لا تطلبوا منزلة وراء منزلته ، وهذا من

(١) حديث اعلموا فكل ميسر لما خلق له منهق عنه من حديث علي وعمران بن حصين .

لسان الرسول صلى الله عليه وسلم فهو فعل من أفعاله وهو سبب لعلم الخلق أن العمل نافع وعلمهم فعل من أفعال الله تعالى والعلم سبب لانبعاث داعية جازمة إلى الحركة والطاعة وإنبعاث الداعية أيضا من أفعال الله تعالى وهو سبب لحركة الأعضاء وهي أيضا من أفعال الله تعالى ولكن بعض أفعاله سبب لبعض أفعال الله تعالى شرط للثاني كما كان خلق الجسم سببا لخلق العرش إذ لا يخلق العرش قبله وخلق الحياة شرط لخلق العلم وخلق العلم شرط لخلق الإرادة والكل من أفعال الله تعالى وبعضها سبب لبعض : أي هو شرط ومعنى كونه شرطاً أنه لا يستعد لقبول فعل الحياة إلا بوجوده ولا يستقبل قبول العلم إلا ذو حياة ولا قبول الإرادة إلا ذو علم فيكون بعض أفعاله سببا لبعض هذا المعنى أن بعض أفعاله موجد لغيره بل ممد شرط للحصول لغيره وهذا إذا حقق ارتقى إلى درجة التوحيد الذي ذكرناه . فان قلت فلم قال الله تعالى اعملوا وإلا فأنتم معاقبون مذمومون على الصيان وما ينبثق فكيف ندم وإنما الكل إلى الله تعالى . فأعلم أن هذا القول من الله تعالى سبب لحصول اعتقادنا والاعتقاد سبب لهيجان الخوف وهيجان الخوف سبب لترك الشهوات والتجاني عن دار الغرور ، وذلك سبب للوصول إلى جوار الله والله تعالى مسبب الأسباب ومرتبها في سبق له في الأزل السعادة بسر له هذه الأسباب حتى يعوده بسلسلتها إلى الجنة ويعبر عن مثله بأن كلاً ليس لما خلق له ومن لم يسبق له من الله الحسنى بعد عن صماع كلام الله تعالى وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام العلماء فإذا لم يسمع لم يعلم وإذا لم يعلم لم يخف وإذا لم يخف لم يترك الزكوة إلى الدنيا وإذا لم يترك الزكوة إلى الدنيا بقي في حزب الشيطان وإن جهنم لموعدهم أجمعين ، فإذا عرفت هذا تعجبت من قوم يقادون إلى الجنة بالسلال فما من أحد إلا وهو مقود إلى الجنة بسلال الأسباب وهو تسليط العلم والخوف عليه وما من مخدول إلا وهو مقود إلى النار بالسلال وهو تسليط الغفلة والأمن والغرور عليه فالتقون يساقون إلى الجنة قهراً والمجرمون يقادون إلى النار قهراً ولا قهراً إلا الله الواحد القهار ولا قادر إلا الملك الجبار وإذا انكشف الغطاء عن أعين الغافلين فشهدوا الأمر كذلك سمعوا عند ذلك نداء النادى - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار - ولقد كان الملك لله الواحد القهار كل يوم لذلك اليوم على الخصوص ولكن الغافلين لا يسمعون هذا النداء إلا ذلك اليوم ، فهو نبأ عما يتجدد للغافلين من كشف الأحوال حيث لا ينفعهم الكشف ، فعوذ بالله الحليم الكريم من الجهل والعمى فإنه أصل أسباب الهلاك .

( بيان تميز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه )

اعلم أن فعل الشكر وترك الشكر لا يميز إلا بمعرفة ما يحبه الله تعالى عما يكرهه إذ معنى الشكر استعمال نعمه تعالى في محابه ومعنى الشكر تقيض ذلك إما بترك الاستعمال أو باستعمالها في سكاره وتميز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه مدر كان : أحدهما السمع ومستنده الآيات والأخبار . والثاني بصيرة القلب وهو النظر بين الاعتبار وهذا الأخير عسير وهو لأجل ذلك عزيز ، فلذلك أرسل الله تعالى الرسل وسهل بهم الطريق على الخلق ومعرفة ذلك تنبى على معرفة جميع أحكام الشرع في أفعال العباد فمن لا يطاع على أحكام الشرع في جميع أفعاله لم يمكنه القيام بحق الشكر أصلاً . وأما الثاني وهو النظر بين الاعتبار فهو إدراك حكمة الله تعالى في كل موجود خلقه إذ ما خلق شيئاً في العالم إلا وفيه حكمة وتحت الحكمة مقصود وذلك المقصود هو المحبوب وتلك الحكمة منقسمة إلى جلية وخفية . أما الجلية فكأنهم بأن الحكمة خلق الشمس أن يحصل بها الفرق بين الليل والنهار فيكون النهار معاشاً والليل لباساً فتيسر الحركة عند الإبصار والسكون عند الاستتار فهذا من جملة حكم الشمس على كل الحكيم فيها

محاسن الآداب  
وأعزها وينبغي للمريد  
أن لا يحدث نفسه  
بطلب منزلة فوق  
منزلة الشيخ بل يجب  
للشيخ كل منزلة عالية  
وتسعى للشيخ عز  
النسب وغرائب الواجب  
وهذا يظهر جوهر  
للردي حسن الإرادة  
وهذا يعز في الريدين  
فإرادته للشيخ تعطيه  
فوق ما يتسنى لنفسه  
ويكون قائماً بل يجب  
الإرادة . قال السرى  
رحمه الله حسن الأدب  
ترجمان العقل . وقال  
أبو عبد الله بن حنيفة  
قال لي روم يابى  
اجعل عملك ملحا  
وأدبك دقيقاً ، وقيل  
التصوف كله أدب

بل فيها حكم أخرى كثيرة دقيقة وكذلك معرفة الحكمة في القيم ونزول الأمطار وذلك لانشقاق الأرض  
 بأنواع النبات مطعما للخلق ومرعى للأنعام وقد انطوى القرآن على جملة من الحكم الجليلة التي عملها  
 أنعام الخلق دون الدقيق الذي يهشرون عن فهمه إذ قال تعالى - أنا صبنا السماء صبانا شفقا للأرض  
 شقا فأنتننا فيها حبا وعبنا - الآية . وأما الحكمة في سائر الكواكب السيارة ومنها الثوابت فحكمة لا يطلع  
 عليها كافة الخلق والقدر الذي يحمله فهم الخلق أنما زينة السماء لتستلذذ العين بالنظر إليها وأنوار إليه  
 قوله تعالى - إنا زيننا السماء الدنيا بزينة الكواكب - لجميع أجزاء العالم محاقه وكواكبه ورياحه  
 وبخاره وجباله ومعادنه ونباته وحيواناته وأعضاء حيواناته لإخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة من  
 حكمة واحدة إلى عشرة إلى ألف إلى عشرة آلاف وكذا أعضاء الحيوان تنقسم إلى ما يعرف حكمها  
 كالعلم بأن العين لا يبصر إلا بالبصيرة واليد للبصيرة والرجل للمشي والشم فأنما الأعضاء الباطنة من  
 الأسماء وللراثة والكبد والكلى والبنكرياس والغدة والكبد والبنكرياس والغدة والكبد والبنكرياس والغدة والكبد  
 والاشتباه والانحراف والدقة والظن وسائر الصفات فلا يعرف الحكمة فيها سائر الناس والذي يعرفونها  
 لا يعرفون منها إلا قدرا يسيرا بالإضافة إلى ما في علم الله تعالى وما أوتيتم من العلم الا قليلا فاذن كل من  
 استعمل شيئا في جهة غير الجهة التي خلق لها ولا على الوجه الذي أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالى فمن  
 ضرب غيره يده قد كفر نعمة اليد إذ خلقت له اليد ليدفع بها عن نفسه ما يهلكه ويأخذ ما ينفعه  
 لا يهلك بها غيره ومن نظر إلى وجه غير المحرم قد كفر نعمة العين ونعمة الشمس إذا إلتصا بهما  
 وإنما خلقتا ليصير بهما ما ينفعه في دينه ودنياه ويتقى بهما ما يضره فيهما قد استعملهما في غير  
 ما أريدتا به وهذا لأن المراد من خلق الخلق وخلق الدنيا وأسبابها أن يستعين الخلق بهما على الوصول  
 إلى الله تعالى ولا وصول إليه إلا بمحبته والأنس به في الدنيا والتجافي عن غرور الدنيا والانس إلى ابدوام  
 الذكر ولا محبة إلا بالمعرفة الحاصلة بدوام الفكر ولا يمكن الدوام على الذكر والفكر إلا بدوام اليدن  
 ولا يقوى البدن إلا بالقضاء ولا يتم الغذاء إلا بالأرض والسماء والهواء ولا يتم ذلك إلا بخلق السماء والأرض  
 وخلق سائر الأعضاء ظاهرا وباطنا فكل ذلك لأجل البدن والبدن مطية النفس والراجع إلى الله  
 تعالى هي النفس الطمعة بطول العبادة والعرفة فذلك قال تعالى وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون  
 ما أريد منهم من رزق - الآية فكل من استعمل شيئا في غير طاعة الله فقد كفر نعمة الله في جميع  
 الأسباب التي لا بد منها لإقامته على تلك العصية . ولتذكر مثلا واحدا للحكم الخفية التي ليست في  
 ظاهرها الخفاء حتى نتبر بها وتعلم طريقة الشكر والكفران على التمام فنقول : من نعم الله تعالى خلق  
 الدرام والدنانير وهما قوام الدنيا وهما حبران لامتعة في أعيانها ولكن يضطر الخلق إليهما من  
 حيث إن كل إنسان محتاج إلى أعيان كثيرة في مطعمه وملبسه وسائر حاجاته وقد يجز عما يحتاج  
 إليه ويملك ما يستغنى عنه كمن يملك الزعفران مثلا وهو محتاج إلى جمل يركبه ومن يملك الجمل وربما  
 يستغنى عنه ويحتاج إلى الزعفران فلا بد بينهما من معاونة ولا بد في مقدار العوض من تقدير لا يذيل  
 صاحب الجمل جملة بكل مقدار من الزعفران ولا مناسبة بين الزعفران والجمل حتى يقال يعطى منه مثله في  
 الوزن أو الصورة وكذا من يشتري دارا بتياب أو عبدا بخنفس أو دقيقا بحمار فهذا الأشياء لا تناسب فيها  
 فلا يدري أن الجمل كم يسوى بالزعفران فتعذر العاملات جدا فافتقرت هذه الأعيان للتناثرة  
 للتباعدة إلى متوسط بينها يحكم فيها بحكم عدل فيعرف من كل واحد رتبته وميزته حتى إذا  
 تفرقت المنازل وترتبت الرتب علم بعد ذلك المساوي من خير المساوي خلق الله تعالى الدنانير  
 والدرام حاكيتين ومتوسطين بين سائر الأموال حتى تقدر الأموال بها فيقال بهذا الجمل يسوى

لكل وقت وأدب لكل  
 حال وأدب ولكل مقام  
 أدب فمن يلزم الأدب  
 يبلغ مبلغ الرجال ومن  
 حرم الأدب فهو بعب  
 من حيث ينظر القرب  
 ومردود من حيث  
 يرجو القبول ومن  
 تأدب الله تعالى أصحاب  
 رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم قوله تعالى  
 - لآزفوا أصواتكم  
 فوق صوت النبي - كان  
 ثابت بن قيس بن شماس  
 في أذنه وقر وكان  
 جهوى الصوت فكان  
 إذا كلم إنسانا جهر  
 بصوته وربما كان  
 يكلم النبي صلى الله عليه  
 وسلم فيتأذى بصوته  
 فأرسل الله تعالى الآية  
 تأديا له ونهي .

مائة دينار وهذا القدر من الزعفران يسوى مائة فهدا من حيث إنها مساوية بشئ واحد إذن متساويان وإنما أمكن التمديل بالتدوين إذ لا غرض في أعيانها ولو كان في أعيانها غرض ربما اقتضى خصوص ذلك الغرض في حق صاحب الغرض ترجيحاً ولم يقتض ذلك في حق من لا غرض له فلا ينظم الأمر فاذن خلقهما الله تعالى لتداولهما الأبدى ويكونا حاكبين بين الأموال بالعدل والحكمة أخرى وهى التوسل بهما إلى سائر الأشياء لأنهما عزيزان في أنفسهما ولا غرض في أعيانها ونسبتهما إلى سائر الأموال نسبة واحدة فمن ملكهما فكأنه ملك كل شئ لا كمن ملك ثوباً فإنه لم يملك إلا الثوب فلو احتاج إلى طعام ربما لم يرغب صاحب الطعام في الثوب لأن غرضه في دابة مثلاً فاحتجج إلى شئ هو في صورته كأنه ليس بشئ وهو في مناه كأنه كل الأشياء والشئ إنما تستوى نسبته إلى الاختلافات إذا لم تكن له صورة خاصة يفيد بها خصوصاً كالمرآة كالون لها وتحكى كل لون فكذلك النقد لا غرض فيه وهو وسيلة إلى كل غرض وكالحرف لا معنى له في نفسه وأظهر به العاني في غيره فهذه هى الحكمة الثانية وفيهما أيضاً حكم بطول ذكرهما فكل من حمل فيهما عملاً لا يلبق بالحكم بل يخالف الغرض المقصود بالحكم فقد كفر نعمة الله تعالى فيهما فاذن من كثرهما فقد ظلمهما وأبطل الحكمة فيهما وكان كمن حبس حاكم المسلمين في سجن ينتنع عليه الحكم بسببه لأنه إذا كثر فقد ضيع الحكم ولا يحصل الغرض المقصود به وما خالت الدراهم والدنانير يزيد خاصة ولا لمعرو خاصة إذ لا غرض للأحاد في أعيانها فاتهما حيران وإنما خلقا لتداولهما الأبدى فيكونا حاكبين بين الناس وعلامة معرفة المقادير مقومة للمراتب فأخبر الله تعالى الذين بهجرون عن قراءة الأسطر الإلهية المكتوبة على صناعات الموجودات بخلق الحرف فيه ولا صوت الذى لا يدرك بين البصر بل بين البصيرة أخبر هؤلاء العاجزين بكلام صمد من رسوله صلى الله عليه وسلم حتى وصل إليهم بواسطة الحرف والصوت اللغى الذى همجوا عن إدراكه فقال تعالى - والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فيشرم بعذاب أليم - وكل من أخذ من الدراهم والدنانير آتية من ذهب أو فضة فقد كفر النعمة وكان أسوأ حالاً ممن كثر لأن مثال هذا مثال من استسخر حاكم البلد في الحياة وللنكس والأعمال التى يقوم بها أخصاء الناس والحسب أهون منه وذلك أن الحرف والحديد والرصاص والحاس تنوب مناب الذهب والفضة في حفظ المنافع عن أن تتبدد وإنما الأواني لحفظ المنافع ولا يكتفى الحرف والحديد في القصد الذى أريد به القود فمن لم ينكشف له هذا انكشف له بالترجمة الإلهية وقيل له من شرب في آتية من ذهب أو فضة فكأنما يجرجر في بطنه نار جهنم<sup>(١)</sup> وكل من عامل معاملة إلى بائى الدراهم والدنانير فقد كفر النعمة وظلم لأنهما خلقا للغيرهما لا لنفسهما إذ لا غرض في عينهما فإذا أبحر في عينهما فقد أخذها مقصوداً على خلاف وضع الحكمة إذ طلب النقد لغير ما وضع له ظلم ومن معه ثوب ولا قد معه فقد لا يقدر على أن يشتري به طعاماً ودابة إذ ربما لا يبيع الطعام والدابة بالثوب فهو معذور في بيعه بقدر آخر ليحصل النقد فيتوصل به إلى مقصوده فاتهما وسيلتان إلى الغير لا غرض في أعيانها وموقعهما في الأموال كواقع الحرف من السلام كما قال النحويون إن الحرف هو الذى جاء لغيره في غيره وكوقع للمرآة من الألوان فأما من معه نقد فلو جاز له أن يبيعه بالنقد فيستخذ التعامل على النقد غاية عمله فيبقى النقد مقبداً عنده ويؤول منزلة السكوك وتقيده الحاكم والبريد الموصل إلى الغير ظلم

أخبرنا ضياء الدين  
عبد الوهاب بن حلى  
قال أنا أبو الفتح  
المروى قال أنا أبو نصر  
الترقي قال أنا أبو محمد  
الجسراسى قال أنا  
أبو اليباس الجبوى  
قال أنا أبو عيسى  
الترمذى قال ثنا محمد  
ابن لثقي قال ثنا مؤمل  
ابن إسماعيل قال ثنا نافع  
ابن عمر بن جميل الجدى  
قال حدثني حابس بن  
أبي سليكة قال حدثني  
عبد الله بن الزبير أن  
الأفرع بن حابس قدم  
على النبي صلى الله عليه  
وسلم فقال أبو بكر  
استعمله على قومه فقال  
عمر لا تستعمله يارسول  
الله فكلمنا عند النبي  
صلى الله عليه وسلم

كان حبه ظم فلا معنى لبيع النقد بالنقد إلا اتخاذ النقد مقصودا للدخار وهو ظم . فان قلت : فلم جاز بيع أحد الثغدين بالآخر ولم جاز بيع الدرهم بثله . فاعلم أن أحد الثغدين يخالف الآخر في مقصود التوصل ، إذ قد تيسر التوصل بأحدهما من حيث كثرته كالدرهم تنفرق في الحاجات قليلا قليلا في النعم ما يشوش المقصود الخاص به ، وهو تيسر التوصل به إلى غيره . وأما بيع الدرهم بدرهم بمائته فجائز من حيث إن ذلك لا يرغب فيه عاقل مهما تساوى ولا يشتغل به تاجر فانه عت بجري مجرى وضع الدرهم على الأرض وأخذ به منه ونحن لا نخاف على العقلاء أن يصرفوا أوقاتهم إلى وضع الدرهم على الأرض وأخذ به منه فلا تمنع مما لا تشوق النفوس إليه إلا أن يكون أحدهما أجود من الآخر وذلك أيضا لا يتصور جريانه ، إذ صاحب الجيد لا يرضى بثله من الردي . فلا يتنظم العقد وإن طلب زيادة في الردي . فذلك مما قد يقصده فلا جرم نمنعه منه ونحكم بأن جيدها ورديها سواء لأن الجودة والرداءة يبنى أن ينظر إليهما فيما يقصد في عبته ، وما لا غرض في عبته فلا يبنى أن ينظر إلى مضافات دقيقة في صفاته وإنما الذي ظم هو الذي ضرب النقود مختلفة في الجودة والرداءة حتى صارت مقصودة في أعيانها وحققا أن لا تقصد . وأما إذا باع درهما بدرهم مثله نسيئة فالحال يجوز ذلك لأنه لا يقصد على هذا إلا سامح قاصد الإحسان في القرض وهو مكرمة منه ودعوة عنه لتبني صورة للسامحة فيكون له حمد وأجر . والعارض لا حسد فيها ولا أجر فهو أيضا ظم لأنه إضاعة خصوص السامحة وإخراجها في معرض العاوضة وكذلك الأطعمة خلقت ليتغذى بها أو يتداوى بها فلا يبنى أن تصرف على جهتها فان فتح باب العامة فيها يوجب تنقيدها في الأيدي ويؤخر عنها الأكل الذي أريدت له لما خلق الله الطعام إلا ليؤكل والحاجة إلى الأطعمة شديدة فبني أن تخرج عن يد المستغنى عنها إلى المحتاج ولا يمايل على الأطعمة إلا مستغن عنها . إذ من معه طعام فلم يلبأ كله إن كان محتاجا ولم يحمله بضاعة تجارة وإن جعله بضاعة تجارة فليسه ممن يطلبه بوض غير الطعام يكون محتاجا إليه . فأما من يطلبه بهن ذلك الطعام فهو أيضا مستغن عنه ولهذا ورد في الشرع لمن المحتكر وورد فيه من التثديبات ما ذكرناه في كتاب آداب الكسب ، نعم بائع البر بالتمر معذور إذ أحدهما لا يبدد مسد الآخر في القرض وبائع صاع من البر بصاع منه غير معذور ولكنه عايب فلا يحتاج إلى منع لأن النفوس لا تسمح به إلا عند التفاوت في الجودة ومقابلة الجيد بثله من الردي . لا يرضى بها صاحب الجيد . وأما جيد يرد شيئا قد يقصد ولكن لما كانت الأطعمة من الضروريات والجيد يساوي الردي في أصل الفائدة وبخاله في وجوه التتم أسقط الشرع غرض التتم فيها هو القوام فهذه حكمة الشرع في تحريم الربا وقد انكشف لنا هذا بعد الاعراض عن فن الفقه فلتلحق هذا بغير الفقهيات فانه أقوى من جميع ما أوردناه في الخلافات وبهذا يتضح رجحان مذهب الشافعي رحمه الله في تخصيص الأطعمة دون السكيات إذ لو دخل الجلس فيه لكانت الثياب والدواب أولى بالدخول ولولا اللبس لكان مذهب مالك رحمه الله أقوم المذاهب فيه إذ خصه بالأوقات ولكن كل معنى يراءه الشرع فلا بد أن يضبط بعد وتحديد هذا كان ممكنا بالقوت وكان ممكنا بالمطعم فقرأى الشرع التحديد بمنح المطعم أخرى لكل ما هو ضرورة البقاء وتحديدات الشرع قد تحيط بأطراف لا بقوى فيها أصل المعنى البائع على الحكم ولكن التحديد يقع كذلك بالضرورة ولو لم يجد التحديد الخلق في اتباع جوهر المعنى مع اختلافه بالأحوال والأشخاص فبني المعنى بكل قوته بخلاف اختلاف الأحوال والأشخاص فيكون الحد ضروريا فلذلك قال الله تعالى - ومن يمتد حدود الله فقد ظلم نفسه -

حتى علت أصواتها  
فقال أبو بكر لعمر  
ما أردت إلا خلافي وقال  
عمر ما أردت خلافتك  
فأنزل الله تعالى الآية  
فكان عمر بعد ذلك  
إذا تكلم عند النبي  
صلى الله عليه وسلم  
لا يسمع كلامه حتى  
يستغفر . وقيل لما نزلت  
الآية أتى أبو بكر أن  
لا يسمع عند النبي  
صلى الله عليه وسلم إلا  
كلح السرار فكذا  
يبنى أن يكون المراد  
مع الشيخ لا ينسب  
رفع الصوت وكثرة  
الضحك وصكثرة  
الكلام إلا إذا بسطه  
الشيخ ورفع الصوت  
تحية جلباب الوفاة  
والوقار إذا سكن

ولأن أصول هذه العاني لا تختلف فيها الشرائع وإنما تختلف في وجوه التحديد كما يجد شرع عيسى ابن مريم عليه السلام تحريم الخمر بالسكر وقد حدد شرعنا بكونه من جنس السكر لأن قلبه يدعو إلى كثيره والداخل في الحدود داخل في التحريم بحكم الجنس كما دخل أصل النقي بالجملة الأصلية فهذا مثال واحد لحكمة خفية من حكم التقدين فينبغي أن يعتبر شكر النعمة وكفرانها بهذا المثال فكل ما خلق لحكمة فينبغي أن يصرف عنها ولا يعرف هذا إلا من قد عرف الحكمة ومن يؤت الحكمة قد أوتي خيرا كثيرا - ولكن لا تصادف جواهر الحكم في قلوب هي مزابيل الشهوات وملعب الشياطين بل لا يترك إلا أولو الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «لولا أن الشياطين يعمون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء (١)» وإذا عرفت هذا المثال قص عليه حركتك وسكونك ونطقك وسكونك وكل فعل صادر منك فانه إما شكر وإما كفر إذ لا يتصور أن يفكر عنهما وبعض ذلك نصفه في لسان الفقه الذي تاطق به عوام الناس بالكرهه وبسنة بالحظر وكل ذلك عند أرباب القلوب موصوف بالحظر . فأقول مثلا لو استجبت بالنيي قد كفرت نعمة الدين إذ خلق الله لك الدين وجعل إحداها أقوى من الأخرى فاستحق الأقوى بمزيد رجائه في الغالب التشريف والتفضيل وتفضيل الناس عدول عن العدل والله لا يأمر إلا بالعدل ثم أوجبك من أعطاك الدين إلى أعمال بعضها شريف كأخذ للصف وبعضها خسيس كإزالة النجاسة فإذا أخذت الصف باليسار وأزلت النجاسة باليدين قد خصمت التشريف بما هو خسيس فنقضت من حقه وظلته وعدلت عن العدل وكذلك إذا بصقت مثلا في جهة القبلة أو استقبلتها في قضاء الحاجة قد كفرت نعمة الله تعالى في خلق الجهات وخلق سعة العالم لأنه خلق الجهات لتكون مقصداً لحركتك وقسم الجهات إلى مالم يشرفها وإلى ما شرفها بأن وضع فيها بيتا أضافه إلى نفسه اسمالة قلبك إليه ليتقيد به قلبك فيتقيد بسببه بدنك في تلك الجهة على هيئة الثبات والوقار إذا عديت ربك وكذلك اهتمت أفعالك إلى ما هي شريفة كالطاعات وإلى ما هي خسيسة كقضاء الحاجة ورمى البصاق فإذا رميت بصافك إلى جهة القبلة قد ظلمتها وكفرت نعمة الله تعالى عليك بوضع القبلة التي بوضعها بكل عبادتك وكذلك إذا لبست خفك فابتدأت باليسرى قد ظلمت لأن الخف وقاية للرجل فللرجل فيه حظ والبداءة في المخطوط ينفى أن تكون بالأشرف فهو العدل والوفاء بالحكمة وتقيضه ظلم وكفران لنعمة الخف والرجل وهذا عند العارفين كبيرة وإن سماه الفقيه مكروها حتى إن بعضهم كان قد جمع أكراراً من الخطئة وكان يتصدق بها فسل عن سببه فقال لبست اللداس مرة فابتدأت بالرجل اليسرى سهوا فأريد أن أكفره بالصدقة ، ثم الفقيه لا يقدر على تضخم الأمر في هذه الأمور لأنه مسكين على ما صرح العوام الذين قرب درجاتهم من درجة الأنعام وهم مغموسون في ظلمات أطم وأعظم من أن تظهر أمثال هذه الظلمات بالإضافة إليها فتبيح أن يقال الذي شرب الخمر وأخذ القديح ييساره قد تعدى من وجهين : أحدهما الشرب والآخر الأخذ باليسار ومن باع خمرًا في وقت النداء يوم الجمعة فتبيح أن يقال خان من وجهين : أحدهما بيع الخمر والآخر البيع في وقت النداء ومن قضى حاجته في هرب للسجد مستدبر القبلة فتبيح أن يذكر تركه الأدب في قضاء الحاجة من حيث إنه لم يجعل القبلة بمن يمينه فالعاصي كلها ظلمات بعضها فوق بعض فيمنعق بعضها في جنب البعض فالسيد قد يصاقب عبده إذا استعمل سكينه بشر إذنه ولكن لو قتل بذلك السكين أعز ولا مدعى يرق

(١) حديث لولأن الشياطين يعمون على بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء تقدم في الصوم .

القلب عقل اللسان  
ما يقول وقد يشاغل  
باطن بعض الريدين  
من الحرمة والوقار من  
الشيخ مالا يستطيع  
الريد أن يشبع النظر  
إلى الشيخ وقد كنت  
أحم فدخل على عني  
وشيخي أبو النجيب  
السهورودي رحمه  
الله فترشح جسدي  
عرفا وكنت أتمنى  
العرف لتخف الحلي  
فكنت أجد ذلك  
عند دخول الشيخ  
على ويكون في قدومه  
بركة وشفاء و كنت  
ذات يوم في البيت  
خاليا وهناك مندبل  
وهبه لي الشيخ وكان  
ينعم به فوقع قدمي  
على التنديل انضافا قدام

لاستعمال السكين بغير إذنه حكم ونسكافى في نفسه فشكل ما راعاه الأنبياء والأولياء من الآداب وتسامحنا فيه في الفتحة مع العوام فسيبه هذه الضرورة وإلا فشكل هذه للكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة وتقصان عن المدرجة للبلغة للعبد إلى درجات القرب ، ثم بعضها يؤثر في العبد بتقصان القرب وأعطاط التزلة وبعضها يخرج بالسكينة عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقر الشياطين وكذلك من كسر غصنا من شجرة من غير حاجة ناجزة مهمومة من غير حاجة غرض صحيح فقد كفر نعمة الله تعالى في خلق الأشجار وخلق اليد . أما اليد فأنها لم تخلق للعبث بل للطاعة والأعمال المينة على الطاعة . وأما الشجر فأنما خلقه الله تعالى وخلق له العروق وساق إلى الماء وخلق فيه قوة الغشاة والثمار ليبلغ منتهى نشوءه فينتفع به عباده فكسره قبل منتهى نشوءه لاطل وجهه ينتفع به عباده محالقة لتقصود الحكمة عدول عن العدل فإن كان له غرض صحيح فله ذلك إذا التجرو والمحيوان جملا فداء لأغراض الإنسان فأنها جميعا فانيان هالكان فافاء الأخص في جاء الأشر فمدمما أقرب إلى العدل من تخصيص ما جئوا إليه الإشارة بقوله تعالى - وسفر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعا منه - ثم إذا كسر ذلك من ملك غيره فهو ظالم أيضا وإن كان محتاجا لأن كل شجرة بينها لاتفى بحاجات عباد الله كلهم بل تنفي حاجة واحدة ولو خص واحد بها من غير رجحان واختصاص كان ظلما فصاحب الاختصاص هو الذي حصل البئر ووضعه في الأرض وساق إلى الماء وقام بالتمديد فهو أولى به من غيره فيرجح جانبه بذلك ، فإن ثبت ذلك في موات الأرض لابسى آدمى اختص بغيره أو بغيره فلا بد من طلب اختصاص آخر وهو السبق إلى أخذه فلتسابق خاصة السبق . فالعدل هو أن يكون أولى به ، وعبر الفقهاء عن هذا الترجيح بالملك ، وهو مجاز محض ، إذ لا ملك إلا للملك الملوك الذي له مافي السموات والأرض ، وكيف يكون العبد مالكا وهو في نفسه ليس بملك نفسه بل هو ملك غيره ، نعم الخلق عباد الله والأرض مائدة الله وقد أذن لهم في الأكل من مائدته بقدر حاجتهم كالملك ينصب مائدة لبيده ، فمن أخذ لقمة يمينه واحتوت عليها راحه فجاء عبد آخر وأراد ارتضاعها من يده لم يمكن منه لأن اللقمة صارت ملكا له بالأخذ باليد فإن اليد وصاحب اليد أيضا مملوك ولكن إذا كانت كل لقمة بينها لاتفى بحاجة كل العبد فالعدل في التخصيص عند حصول ضرب من الترجيح والاختصاص والأخذ اختصاص ينفرده البعد فنع من لا يدلي بذلك الاختصاص عن مزاحته ، فهكذا ينبغي أن نضم أمراؤه في عبادته وكذلك نقول من أخضع أموال الدنيا أكثر من حاجته وكثره وأمسكه وفي عباد الله من محتاج إليه فهو ظالم وهو من الذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله وإنما سبيل الله طاعة وزاد الخلق في طاعته أموال الدنيا ، إذ بها تتدفع ضروراتهم وترتفع حاجاتهم ، نعم لا يدخل هذا في حدنا وفي الفتنة لأن مقدار الحاجات خفي وفي النفوس في استعمار الفقر في الاستقبال محتانة وأواخر الأعمار غير معلومة فتكليف العوام ذلك يجرى مجرى تكليف الصياني الوقار والنزوة والسكوت عن كل كلام غير مهم ، وهو يحكم بنفاسهم لا يطيعونه فتركنا الاعتراض عليهم في الحب والهوى وإباحتنا ذلك أيام لا يدل على أن الله هو الله حق فكذلك إباحتنا للعوام حفظ الأموال والاحتصار في الاتفاق على قدر الزكاة لضرورة ما جئوا عليه من البخل لا يدل على أنه غاية الحق . وقد أشار القرآن إليه إذ قال تعالى - إن يسألكموها فيحكمكم فيها - بل الحق الذي لا كدورة فيه والعدل الذي لا ظلم فيه أن لا يأخذ أحد من عباد الله من مال الله إلا بقدر زاد الرأب فشكل عباد الله ركاب لطايا الأبدان إلى حضرة الملك الديان . فمن أخذ زيادة عليه ثم منه عن ركب آخر محتاج إليه فهو ظالم تارك للعدل وخارج عن مقصود الحكمة وكافر نعمة الله تعالى عليه بالقرآن والرسول والعقل وصائر الأسباب التي بها عرف أن ماصي زاد الرأب وبالله عليه

باطن من ذلك وهاتئ  
الوطء بالتقدم على  
مندیل الشيخ وانبث  
من باطن من الاحترام  
ما أرجو بركته . قال  
ابن عطاء في قوله تعالى  
- لا ترضوا أصواتكم -  
زجر عن الأدنى مثلا  
يشغى أحد إلى مافوقه  
من ترك الحرمة وقال  
سهل في ذلك لا غلطوه  
إلا مستغنين . وقال  
أبو بكر بن طاهر  
لا يبدو به الخطاب ولا  
تجيوه إلا على حدود  
الحرمة ولا تجبروا له  
بالقول كبحر بسكم  
لبعض أرى لا تظنوا له  
في الخطاب ولا تنادوا  
بسمه يا محمد يا أحمد كما  
ينادي بسكم بسا  
ولكن عظموه

في الدنيا والآخرة لمن فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الوجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر واستصاء ذلك يحتاج إلى مجلدات ثم لانني بالاقليل وإنما أوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى - وقليل من عبادي الشكور - وفرح إبليس لعنه الله بقوله - ولا تجدنا كثر من شاكركن - فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله وأمورا أخرى وراء ذلك تقضي الأعمار دون استقصاء مبادئها ، فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير . فان قلت قد رجح حاصل هذا الكلام إلى أن لله تعالى حكمة في كل شيء وأنه جعل بعض أفعال العباد سببا لتقام تلك الحكمة وبلوغها غاية المراد منها وجعل بعض أفعالها مانعا من تمام الحكمة فكل قول وافق مقتضى الحكمة حتى انساقت الحكمة إلى غايتها فهو شكروا وكل ما خالف ومنع الأسباب من أن تنساق إلى الغاية المرادة بها فهو كفران وهذا كله مفهوم ولكن الأشكال باقية وهو أن فعل العبد النقص إلى ما ينتمى الحكمة وإلى ما يرضها هو أيضا من فعل الله تعالى فأين العبد في البين حتى يكون شاكرا مرة وكافرا أخرى . فاعلم أن تمام التحفيظ في هذا يستمد من تيار بحر عظيم من علوم الكشفيات وقد رمزنا فيما سبق إلى تلويحات عباديها ونحن الآن نبر بعبارة وجيزة عن آخرها وغايتها في فهمها من عرف منطق الطير وبمجرد ما من محجز عن الإيضاح في السير فضلا عن أن يحول في جو الملوكوت جولان الطير فنقول : إن لله عز وجل في جلالة وكبريائه صفة عنها يصدر الحلق والاختراع وتلك الصفة على وأجل من أن تلحقها عين واضع اللغة حتى يعبر عنها بعبارة تدل على كنهه جلالا وخصوص حقيقتها فلم يكن لها في العالم عبارة لمواضعها وانحطاط رتبة واضع اللغات عن أن يمتد طرف فهمهم إلى مبادئ إشراقها فانخفضت عن دروتها أبصارهم كما تنخفض أبصار الخفافيش عن نور الشمس لامتوض في نور الشمس ولكن لشعف في أبصار الخفافيش فاضطر الذين تحت أبصارهم لملاحظة جلالها إلى أن يستعيروا من حضيض عالم للتناطقين باللفات عبارة تفهم من مبادئ حقائقها شيئا ضئيلا جدا فاستعاروا لها اسم القدرة فتجاسرنا بسبب استعارتهم على اللفظ قلنا لله تعالى صفة عن القدرة عنها يصدر الحلق والاختراع ثم الحلق ينقسم في الوجود إلى أقسام وخصوص صفات ومصدر اتقسام هذه الأقسام واختصاصها بخصوص صفاتها صفة أخرى استعير لها بمثل الضرورة التي سبقت عبارة الشئ في نومهم منها أمرا محملا عند التناطقين باللفات التي هي حروف وأصوات التفاهمين بها وقصور لفظ المشيئة عن الدلالة على كنه تلك الصفة وحقيقتها كقصور لفظ القدرة ثم انقسمت الأفعال الصادرة من القدرة إلى ما ينساق إلى المنتهى الذي هو غاية حكمتها وإلى ما ينفذ دون الغاية وكان لكل واحد نسبة إلى صفة المشيئة لرجوعها إلى الاختصاصات التي بها تم القصة والاختلافات فاستعير لنسبة البالغ غايته عبارة المحبة واستعير لنسبة الواقف دون غايته عبارة الكراهة وقبل إتمامها جملتا داخلان في وصف المشيئة ولكن لكل واحد خاصية أخرى في النسبة يوم لفظ المحبة والكراهة منهما أمرا محملا عند طالع الفهم من الألفاظ واللفات ثم انقسم عباده الذين هم أيضا من خلقه واختراعه إلى من سبقت له المشيئة الأزلية أن يستعمله لاستيفاء حكمته دون غايتها ويكون ذلك قهرا في حقهم بتسليط الدواعي والبواصت عليهم وإلى من سبقت لهم في الأزل أن يستعملهم لسياقة حكمته إلى غايتها في بعض الأمور فكان لكل واحد من الفريقين نسبة إلى المشيئة خاصة فاستعير لنسبة المستملين في إتمام الحكمة بهم عبارة الرضا واستعير للذين امتنعت بهم أسباب الحكمة دون غايتها عبارة الضبط فظهر على من غضب عليه في الأزل فعل وقت الحكمة به دون غايتها فاستعير له الكفران وأردف ذلك بنعمة اللحن والمزمنة زيادة في النكال وظهر على من ارتضاء في الأزل فعل انساقت بسببه الحكمة إلى غايتها فاستعير له عبارة الشكر وأردف

واحترموا وقولوا له :  
يا بني الله يا رسول الله  
ومن هذا القليل  
يكون خطاب المريد  
مع الشيخ وإذا سكن  
الوقار القاب علم اللسان  
كيفية الخطأ . ولما  
كلفت النفوس بمحنة  
الأولاد والأزواج  
ونعكت أهوية  
النفوس والقطيع  
استخرجت من اللسان  
عبارات غريبة وهي  
تحت وقتها صاغها  
كلف النفس وهواها  
فإذا امتلأ القلب حرمة  
ووقارا تعلم اللسان  
العبارة . وروى لما  
نزلت هذه الآية قد  
ثابت بن قيس في  
الطريق يسكي فر به  
عاصم بن عدي فقال

بخلة الشاء والإطراء زيادة في الرضا والقبول والإقبال فكان الحاصل أنه تعالى أعطى الجلال ثم أثنى وأعطى التكامل ثم فصح وأردى وكان مثاله أن ينظف للثوب عيبه الوسخ عن أوساخه ثم يلبسه من محاسن ثيابه فإذا تم زينه قال يا جميل ما أجلك وأجل ثيابك وأنظف وجهك فيكون بالحققة هو الجميل وهو الثاني على الجلال فهو الثاني عليه بكل حال وكأنه لم يثن من حيث للمنى إلا على نفسه وإنما الهدف الشاء من حيث الظاهر والصورة فهكذا كانت الأمور في الأزل وهكذا انتمسلس الأسباب وللشياء بتقدير رب الأرباب ومسبب الأسباب ولم يكن ذلك على اتفاق وبحث بل عن إرادة وحكمة وحق وقدر جزم استعير له لفظ القضاء وقيل إنه كلف بالبر أو هو أقرب ففاضت بحار التقادير بحكم ذلك القضاء الجزم بما سبق به التقدير فاستعير لثرب آحاد القدورات بعضها على بعض لفظ القدر فكان لفظ القضاء يلزاه الأمر الواحد الكلى ولفظ القدر يلزاه التفصيل للتأدي إلى غير نهايتها وقيل إن شيئا من ذلك ليس خارجا عن القضاء والقدر فخطر لبعض العباد أن القسمة لماذا اقتضت هذا التفصيل وكيف انتظم العدل مع هذا التفاوت والتفضيل وكان بعضهم لقصوره لا يطبق ملاحظة كنه هذا الأمور والاحتواء على مجاميعه فأجلجوا عما لم يطبقوا خوض غمرته بلجام النع وقيل لهم اسكنوا لما لهذا خلقتم لا يستل عما يفعلونهم يستلون وامتلأت مشكاة بضمهم نورا مقتبسا من نور الله تعالى في السموات والأرض وكان زعيمهم أولا صافيا يكاد يضيء ولو لم تحسه نار فاستل نورا على نور فأشرق أقطار لللكوت بين أيديهم بنور ربها فأدركوا الأمور كلها كما هي عليه فقبل لهم تأدبوا بأداب الله تعالى واسكنوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا (١) فإن للحيطان أذانا وحواليكم ضغاء الأبصار فسبروا بسير أضفكم ولا تكتفوا حجاب الشمس لأبصار الخفافيش فيكون ذلك سبب هلاكهم فتخلقوا بأخلاق الله تعالى وأنزلوا إلى سماء الدنيا من منتهى علوكم ليأمنس بكم الضغاء ويقتبوا من بقايا أنواركم الشرقية من وراء حجابكم كما يقتبس الخفافيش من بقايا نور الشمس والكواكب في جنح الليل فيجلبها به حياة محتملها شخصه وحاله وإن كان لا يحيا به حياة التردد بين في كمال نور الشمس وكونوا كمن قيل فيهم :

شربنا شرابا طيبا عند طيب كذاك شراب الطيبين يطيب

شربنا وأهرقنا على الأرض فضلة وللأرض من كأس الكرام نصب

فهكذا كان أول هذا الأمر وآخره ولا يغمره إلا إذا كنت أهلا له وإذا كنت أهلا له فتحت العين وأبصرت فلا تحتاج إلى قائد يقودك والأعمى يمكن أن يقاد ولكن إلى حداما إذا ضاق الطريق وصار أحد من السيف وأدق من الشعر قدر الطائر على أن يطير عليه ولم يقدر على أن يستجروا ده أعمى وإذا دق المجال ولطف لطف الماء مثلا ولم يكن البور إلا بالسباحة فقد يقدر الساهر بصنعة السباحة أن يجبر نفسه وربما لم يقدر على أن يستجروا ده آخر فهذه أمور نسبة السر عليها إلى السر على ما هو محال جماهير الخلق كنسبة لكشي على الماء إلى لكشي على الأرض والسباحة يمكن أن تتعلم فأما لكشي على الماء فلا يكتب بالتعلم بل ينال بقوة اليقين ، ولذلك قيل لكشي على الله عليه وسلم « إن عيسى عليه السلام يقال إنه مشى على الماء فقال صلى الله عليه وسلم لو ازداد يقينا لكشي على الهواء (٢) » فهذه

مايكلك يا ثابت قال هذه الآية أخوف أن تكون نزلت في أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون - وأنا رفيع الصوت على النبي صلى الله عليه وسلم أخاف أن يحبط عملي وأكون من أهل النار فضى عاصم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وغلب ثابتا البكاء فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول فقال لها إذا دخلت بيت فرسى فدى على الضبة بمسار فضربته بمسار حتى إذا خرجت عطفته وقال لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما

(١) حديث إذا ذكر القدر فأمسكوا الطبراني من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم ولم يصرح بالصنف بكونه حديثا (٢) حديث قيل له يقال إن عيسى مشى على الماء قال لو ازداد يقينا لكشي على الهواء وهذا حديث منكر لا يعرف هكذا والمعروف ما رواه ابن أبي الدنيا في كتاب اليقين من قول بكر بن عبد الله المزني قال قد أهدوا ليوث نبيهم فليل له توجه نحو البحر فانطلقوا يطبلونه . فلما اتهموا إلى البحر

رموز وإشارات إلى معنى السكرانة والحبوة والرضا والغضب والشكر والكفران لا يليق بلم العامة أكثر منها وقد ضرب الله تعالى مثلا لذلك تقريبا إلى أفهام الخلق إذ عرف أنهم خلق الجن والإنس إلا يمدوه فكانت عبادتهم غاية الحكمة في حقهم ثم أخبر أن له عبيدين يحب أحدهما واسمه جبريل وروح القدس والأمين وهو عنده محبوب مطاع أمين مكين ويفض الآخر واسمه إبليس وهو اللعين للنظر إلى يوم الدين ، ثم أحال الإرشاد إلى جبريل فقال تعالى - قل زله روح القدس من ربك بالحق - وقال تعالى - يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده - وأحال الإغواء على إبليس فقال تعالى - لبس على سبيله - والإغواء هو استيقاف المباد دون بلوغ غاية الحكمة فانظر كيف نسب إلى العبد الذي غضب عليه والارشاد سباقه لهم إلى الغاية فانظر كيف نسب إلى العبد الذي أحبه وعندك في العادة له مثال فالملك إذا كان محتاجا إلى من يسقيه الشراب وإلى من يحجمه وينظف ثيابه منزله عن القاذورات وكان له عبدان فلا يمين للحجامة والتنظيف إلا أتجهما وأحسهما ولا يفر من حمل الشراب الطيب إلا إلى أحسهما وأكملهما وأحسهما إليه ولا ينفى أن يتول هذا فعل ولا يكون فعله دون فعلك فأفانك أخطأت إذ أضمت ذلك إلى نفسك بل هو الذي صرف دواعيتك لتخصيص الفعل للكره وللشخص الكره والفعل المحبوب بالشخص المحبوب وإنما للعدل فإن عدله تارة يتم بأمر لا مدخل لك فيها وتارة يتم بك فانك أيضا من أفعاله فداعيتك وقدرتك وعملك وعملك وسائر أسباب حركاتك في التمييز هو فعله الذي رتبته للعدل ترتيبا تصدر منه الأفعال للعدالة إلا أنك لا ترى إلا نفسك فظن أن ما يظهر عنك في عالم الشهادة ليس له سبب من عالم الغيب والمساكوت فذلك تخفيفه إلى نفسك وإنما أنت مثل الصبي الذي ينظر ليلا إلى لبس الشخص الذي يخرج صورا من وراء حجاب ترقص وتزق وتقوم وتغصدهوى مؤلفة من خرق لا تحرك بأغصها وإنما تحركها خطوط شعرية دقيقة لا تظهر في ظلام الليل ورؤوسها في يد الشخص وهو محتجب عن أبصار الصبيان فيفرحون ويتعجبون لظنهم أن تلك الحرق ترقص وتلعب وتقوم وتغصده ، وأما الغلاء فاتهم يملون أن ذلك تحريك وليس بتحريك ولكنهم ربما لا يملون كيف تفصله والذي يعلم بعض تفصيله لا يملكه كما يعلم الشخص الذي الأمر إليه والجاذبة بيده فكذلك صبيان أهل الدنيا والخلق كلهم صبيان بالنسبة إلى العلماء ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها التحركة فيجلبون عليها ، واللباس يملون أنهم محركون لأنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون إلا العارفون والعلماء الراسخون فاتهم أدركوا بمحنة أبصارهم خطوطا دقيقة عنكبوتية بل أدق منها بكثير معلقة من السماء متشعبة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرك تلك الحيطوط كلها بهذه الأبصار الظاهرة ثم شاهدوا ردوس تلك الحيطوط في مناطق لها من معلقة بها وشاهدوا تلك المناطق مقابض هي في أيدي الملائكة المهركين للسموات وشاهدوا أيضا ملائكة السموات مصروفة إلى حلة العرش ينظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كي لا يصوا الله الأمرهم ويعملون ما يؤمرون وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن وقيل - وفي السماء رزقكم وما توعدون - وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل إليهم من القدر والأمر قليل - خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن ينزل الأمر بينهن لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علما - وهذه أمور لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضى الله عنهما عن اختصاص

إذا هو قد أقبل يمشي على الماء قد ذكر حديثا فيه أن عيسى قال : لو أن لابن آدم من اليقين شجرة مشى على الماء وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف من حديث معاذ بن جبل لوعرقم الله حق معرفته لمشيته على البحور وثالث بدعائكم الجبال

آتى عاصم النبي وأخبره بخبره قال اذهب فادعه فجاء عاصم إلى المكان الذي فيه رآه فلم يجد فجاء إلى أهله فوجده في بيت الفرس فقال له إن رسول الله يدعوك فقال اكر الضبة فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما يكيك بالثابت فقال أنا صيت وأخاف أن تكون هذه الآية زلت في فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أما ترضى أن تعيش سعيدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقال قد رضيت بشي رى الله تعالى ورسوله ولا أرفع صوتي أبدا على

الراسخين في العلم يسلمون لاختصاصها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى - ينزل الأمر بينهن - قال لود كرت  
مأعره من معنى هذه الآية لرجتموني وفي لفظ آخر قلتم إنه كافر . ولتنصير على هذا القدر قد خرج  
عنان الكلام عن قبضة الاختيار ولمتزعج بهم للعامة ما ليس منه فخرج إلى مقاصد الشكر فقول: إذا  
رجع حقيقة الشكر إلى كون العبد مستعلا في إتمام حكمة الله تعالى فأعسكر الباء أحبهم إلى الله  
وأقربهم إليه وأقربهم إلى الله للثبات ولهم أيضا ترتيب ومامنهم الإلاه مقام معلوم وأعلام في رتبة  
القرب ملك اسمه إسرأفل عليه السلام وإنما علو درجته لأنهم في أنفسهم كرام برة وقد أصلح  
الله تعالى بهم الأنبياء عليهم السلام وهم أشرف مخلوق على وجه الأرض وبلى درجته من درجة الأنبياء فانهم  
في أنفسهم أخيار وقد هدى الله بهم سائر الخلق ونعم بهم حكته وأعلام رتبة نبينا ﷺ وعليهم إذ  
أكل الله به الدين وختم به التبيين وبليهم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء فانهم في أنفسهم صالحون وقد  
أصلح الله بهم سائر الخلق ودرجة كل واحد منهم بقدر ما أصلح من نفسه ومن غيرهم ثم يليهم السلاطين  
بالعدل لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم ولأجل اجتماع الدين والملك والسلطنة لنبينا  
محمد صلى الله عليه وسلم كان أفضل من سائر الأنبياء فإنه أكل الله به صلاح دينهم ودنياهم ولم يكن  
السيف والملك لغيره من الأنبياء ثم يلي العلماء والسلاطين الصالحون الذين أصلحوا دينهم ونفوسهم فقط  
فلم تتم حكمة الله بهم بل فيهم ومن عدا هؤلاء فمعجز راع . واعلم أن السلطان بقوام الدين لا يفتنى  
أن يستحق وإن كان ظالما فاسقا . قال عمرو بن العاص رحمه الله : إمام غشوم خير من فتنة تدموم .  
وقال النبي صلى الله عليه وسلم سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتتكرون وبفسدون وما يصلح  
الله بهم أكثر فان أحسنوا فإلهم الأجر وعليكم الشكر وإن أساءوا فإلهم الوزر وعليكم الصبر (١) .  
وقال سول من أنكر إمامة السلطان فهو زنديق ومن دعاه السلطان فلم يجب فهو بدع ومن أمان من غير  
دعوة فهو جاهل . وسئل أي الناس خير فقال السلطان فقيل كنز أي نثر الناس السلطان فقال هملا  
إن الله تعالى كل يوم نظرتين نظرة إلى سلامة أموال المسلمين ونظرة إلى سلامة أبدانهم فيقطع  
في صحيفته فيغفر له جميع ذنبه وكان يقول الخشب السود المعلقة على أبوابهم خير من سبعين قاصيصون .  
(الركن الثاني من أركان الشكر مأليه الشكر)

وهو النعمة فلندكر فيه حقيقة النعمة وأقسامها ودرجاتها وأصنافها وعما فيها يخص وبم فإن إحصاء  
نعم الله على عباده خارج عن مقدور البشر كما قال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - فتقدم  
أمورا كلية تجري مجرى القوانين في معرفة النعم ثم نشتمل بذكر الأحاد والله للوفيق للصواب .  
(بيان حقيقة النعمة وأقسامها)

اعلم أن كل خير ولادة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر فانه يسمى نعمة ولكن النعمة الحقيقية هي

(١) حديث سيكون عليكم أمراء بفسدون وما يصلح الله بهم أكثر الحديث مسلم من حديث أم سلمة  
يستعمل عليكم أمراء تعرفون وتتكرون ورواه الترمذي بلفظ سيكون عليكم أعوذ وقال حسن صحيح  
وللبزار بإسناد ضعيف من حديث ابن عمر السلطان ظل الله في الأرض بأوى إليه كل مظلوم من عباده  
فان عدل كان له الأجر وكان على الرعية الشكر وإن جار أو خاف أو ظلم كان عليه الوزر وعلى  
الرعية الصبر وأما قوله وما يصلح الله بهم أكثر فلم أجده بهذا اللفظ إلا أنه يؤخذ من حديث ابن  
مسعود حين فرغ إليه الناس لما أنكروا سيرة الوليد بن عتبة فقال عبيد الله أصبروا فان جور  
إمامكم خمسين سنة خير من هرج شهر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قد كرهت  
والإمارة القاجرة خير من الهرج رواه الطبراني في الكبير بإسناد لا بأس به .

رسول الله فأنزل الله  
تعالى - إن الذين  
يضنون أصواتهم عند  
رسول الله - قال  
أنس كنا ننظر إلى  
رجل من أهل  
الجنة يمشي بين أيدينا  
فلما كان يوم الجمعة  
في حرب سيلم قرأى  
ثابت من المسلمين  
بعض الانكسار  
وانهزمت طائفة منهم  
فقال أف لهؤلاء وما  
يستمون ثم قال ثابت  
لألم بن حذيفة  
ما كنا نقاتل أعداء  
الله مع رسول الله صلى  
الله عليه وسلم مثل هذا  
ثم نبنا ولم يزالا  
يقاتلان حتى قتل  
واستشهد ثابت كما  
وعده رسول الله

المعادة الأخروية وتسمية ما سواها نعمة وسعادة إما غلط وإما مجاز كتسمية السعادة الدنيوية إلى  
 لا تمن على الآخرة نعمة فإن ذلك غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقة ولكن يكون إطلاقه  
 على السعادة الأخروية أصدق فكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة وسين عليها إما بواسطة واحدة  
 أو بواسطة فان تسميته نعمة صحيحة وصدق لأجل أنه يقضى إلى النعمة الحقيقية والأسباب للنعمة  
 والذات السادة نعمة تشرحها بتسميات [القسم الأول] أن الأمور كلها بالإضافة إلى ما تنقسم إلى ما هو  
 نافع في الدنيا والآخرة جميعا كالعلم وحسن الخلق وإلى ما هو ضار فيها جميعا كالجهل وسوء الخلق وإلى  
 ما ينفع في الحال ويضر في الآخرة كالتلذذ بإتيان الشهوات وإلى ما يضر في الحال ويؤلم ولكن ينفع في  
 الآخرة كقطع الشهوات ومخالفة النفس فالنافع في الحال والآلة هو النعمة تحقيا كالعلم وحسن الخلق  
 والضار فيها هو البلاء تحقيا وهو ضدهما والنافع في الحال والضرر في الآخرة هو البلاء محض عند ذوي  
 البصائر وتلقته الجهال نعمة ومثاله الجائع إذا وجد عسلا فيه سم فانه يمد نعمة إن كان جاهلا وإذا علمه  
 علم أن ذلك بلاء سيق إليه والضرر في الحال النافع في الآخرة نعمة عند ذوي الألباب بلاء عند الجهال  
 ومثاله الدواء البشع في الحال مذاقه إلا أنه شاف من الأمراض والأقسام وجاب للصحة والسلامة فالصبي  
 الجاهل إذا كلف شربه ظنه بلاء والماعز يمد نعمة وينقلد الحقة بمن يهديه إليه ويقربه منه ويريه  
 له أسبابا فذلك تمنع الأم ولدها من الحجابة والأب يدعو إليها فان الأب لكامل عقله بلع العقابة  
 والأم لفرط حبها وتصورها تحفظ الحال والصبي لجهله يتخذ منه من أمه دون أبيه وأبى إليها وإلى  
 شفقها وقدر الأب عدوا له ولو عقل لعلم أن الأم عدو باطن في صورته صديق لأن منها إياها من الحجابة  
 يسوقه إلى أمراض وآلام أشد من الحجابة ولكن الصديق الجاهل شر من العدو العاقل وكل إنسان فانه  
 صديق نفسه ولكنه صديق جاهل فلذلك تحصل به ما لا يصلح به العدو [قسم ثانيا] اعلم أن الأسباب  
 الدنيوية محتلفة قد امتزج خيرها بضرها قلما يصفو خيرها كالمال والأهل والولد والأقارب والجاه  
 وسائر الأسباب ولكن تنقسم إلى مانعة أكثر من ضره كتقدير الكفاية من المال والجاه وسائر  
 الأسباب وإلى ماضرة أكثر من نفعه في حق أكثر الأشخاص كالمال الكثير والجاه الواسع وإلى  
 ما يكافئ ضرره نفعه وهذه أمور تختلف بالأشخاص فرب إنسان صالح ينتفع بالمال الصالح وإن كثير  
 فينتفعه في سبيل الله ويصرفه إلى الخيرات فهو مع هذا التوفيق نعمة في حقهم ورب إنسان يستضرر بالقليل  
 أيضا إذ لا يزال مستغصرا له شاكيا من ربه طالبا للزيادة عليه فيكون ذلك مع هذا الخذلان بلاء  
 في حقه [قسم ثالثة] اعلم أن الخيرات باعتبار آخر تنقسم إلى ما هو مؤثر لداته لا لغيره وإلى مؤثر  
 لغيره وإلى مؤثر لداته ولغيره . فالأول ما يؤثر لداته لا لغيره ككلذة النظر إلى وجه الله تعالى وسعادة  
 لقاءه ، وبالجملة سعادة الأخرى التي لا تاضع لها فانها لا تتطلب ليتوصل بها إلى غاية أخرى مقصودة وراها  
 بل تتطلب لداتها . الثاني ما يقصد لغيره ولا غرض أصلا في ذاته كالإراحم والدنانير فان الحاجة لو كانت لا تتقاضى  
 بها لكانت هي والحسب بمثابة واحدة ولكن لما كانت وسيلة إلى الذوات سريعة الإقبال إليها صارت  
 عند الجهال محبوبية في نفسها حتى يجمعوها ويكثرزوها ويتصارفوا عليها بالربا ويظنون أنها مقصودة  
 ومثال هؤلاء مثال من يحب شخصا فيحب بسببه رسوله الذي يجمع بينه وبينه من نفس في حجة الرسول  
 حجة الأصل فيعرض عنه طول عمره ولا يزال مشغولا بتمهيد الرسول وصراعاته وتغفقه وهو غاية  
 الجل والفضائل . الثالث ما يقصد لداته ولغيره كالصحة والسلامة فانها تقصد ليقدر بسببها على الذكر  
 والفكر الموصلين إلى لقاء الله تعالى أو ليتوصل بها إلى استيفاء ذات الدنيا وتصدق أيضا لداتها  
 فان الإنسان وإن استغنى عن الشيء الذي أراد سلامة الرجل لأجله فيريد أيضا سلامة الرجل

صل الله عليه وسلم  
 وعليه درع فركه  
 رجل من الصحابة بعد  
 موته في المنام فقال له  
 اعلم أن فلانا رجلا من  
 المسلمين نزع درعي  
 فذهب بها وهو في  
 ناحية من المعسكر  
 وعنده فرس يستن  
 في طيله وقد وضع على  
 درعي برمة فاشتد خالده  
 ابن الوليد فأخبره  
 حتى يسترد درعي وأنت  
 أبا بكر خليفة رسول  
 الله عليه السلام قتل  
 له إن على دنيا حتى  
 يقضى عني وفلان من  
 عبيدي عتيق فأخبر  
 الرجل خالدًا فوجد  
 الدرع والفرس على  
 ما وصفه فاسترد الدرع  
 وأخبر خالد أبا بكر

من حيث إنها سلامة فإذا نزلت لذاته قطع هو الخير والنعمة تحقيقاً وما يؤثر لذاته وتغيراً يضاف هو نعمة ولكن دون الأول فأما مالا يؤثر إلا لتغيره كالتقدين فلا يوصفان في أنفسهما من حيث إنهما جوهران بأنهما نعمة بل من حيث هما وسيلتان فيكونان نعمة في حق من يقصد أمراً ليس يمكنه أن يتوصل إليه إلا بهما فلو كان مقصده العلم والعبادة ومعة الكفاية التي هي ضرورة حياته لمستوى عند الذهب والدر فكان وجودهما وعدمهما عنده بمثابة واحدة بل ربما شفه وجودهما عن الفكر والعبادة فيكونان بلاء في حقه ولا يكونان نعمة [قصة رابعة] اعلم أن الخبرات باعتبار آخر تنقسم إلى نافع ولذيذ وجميل فاللذيذ هو الذي تدرك راحته في الحال والنافع هو الذي يفيد في المال والجميل هو الذي يستحسن في سائر الأحوال . والشروط أيضاً تنقسم إلى ضار وقبيح ومؤلم وكل واحد من القسمين ضربان مطلق ومقيد . فالمطلق هو الذي اجتمع فيه الأوصاف الثلاثة أما في الخير فكالعلم والحكمة فإنها ناعمة وجيدة ولذيذة عند أهل العلم والحكمة وأما في الشر فكالجهل فإنه ضار وقبيح ومؤلم وإنما يحس الجاهل بألم جهله إذا عرف أنه جاهل وذلك بأن يرى غيره عالماً ويرى نفسه جاهلاً فيدرك ألم النفس فتنبهت منه شهوة العلم اللذيذة ثم قد يمنه الحسد والكبر والشهوات البدنية عن التعلم فتنبهت منه متضادان فيعظم ألمه فإنه إن ترك التعلم تألم بالجهل ودرك نقصان وإن اشتغل بالتعلم تألم بترك الشهوات أو بترك الكبر وذلك التعلم ومثل هذا الشخص لا يزال في عذاب دائم لا يهاله . والضرب الثاني التقليد وهو الذي جمع بعض هذه الأوصاف دون بعض فرب نافع ومؤلم كقطع الأصبع للتأكل والسلمة الخارجة من البدن ورب نافع وقبيح كالحق فإنه بالإضافة إلى بعض الأحوال نافع فقد قبل استراحته من لاعقل له فإنه لا ينهم بالعاقبة فيستريح في الحال إلى أن يحين وقت هلاكه ورب نافع من وجه ضار من وجه كإلقاء المال في البحر عند خوف الفرق فإنه ضار للمال نافع للنفس في نجاتها والنافع قبان ضروري كالإيمان وحسن الخلق في الإقبال إلى سعادة الآخرة وأعني بهما العلم والعمل إذ لا يقوم مقامهما البتة غيرها وإلى مالا يكون ضرورياً كالسكنجبين مثلاً في تسكين الصفره فإنه قد يمكن تسكينها أيضاً بما يقوم مقامه [قصة خامسة] اعلم أن النعمة يعبر بها عن شكل لذتي والذات بالإضافة إلى الإنسان من حيث اختصاصه بها أو مشاركته لتغيره ثلاثة أنواع عقلية وبدنية مشتركة مع بعض الحيوانات وبدنية مشتركة مع جميع الحيوانات أما العقلية فكذلك العلم والحكمة إذ ليس يستلذهما السمع والبصر والشم والذوق ولا البطن ولا القرح وإنما يستلذهما القلب لاختصاصه بصفة يعبر عنها بالعقل وهذه أقل اللذات وجوداً وهي أشرفها أما قلنا فلأن العلم لا يستلذه إلا عالم والحكمة لا يستلذهما إلا حكيماً وأقل أهل العلم والحكمة وما أكثر للتسمين باسمهم والتزمتهم برسومهم وأما شرفها فلائها لازمة لا تزول أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة ودائمة لا تمل فالتعلم يشبع منه فيعمل وشهوة الواقع يفرغ منها فتستقل العلم والحكمة قط لا يتصور أن تمل وتستقل ومن قدر على الشرف الباقي أبداً الأبد إذا رضى بالحسب الثاني في أقرب الآمال فهو مصاب في عقله محروم لشقاوته وإدباره وأقل أمر فيه أن العلم والعقل لا يحتاج إلى أعوان وحفظه بخلاف المال إذ العلم يهرسك وأنت تهرس المال والعلم يزد بالإضافي والمال ينقص بالانفاق والمال يسرق والولاية يزل عنها والعلم لا يمتد إليه أبدي السراق بالأخذ ولا يبدى السلاطين بالمرز فبكون صاحبه في روح الأمن أبداً وصاحب المال والجاه في كرب الخوف أبداً ثم العلم نافع ولذيذ وجميل في كل حال أبداً والمال تارة يجذب إلى الهلاك وتارة يجذب إلى النجاة ولذلك لم الله تعالى المال في القرآن في مواضع وإن ساء خيراً في مواضع وأما بقصوراً أكثر الخلق

بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته قال مالك بن أنس رضى الله عنهما لا أعلم وصية أجبرت بعد موت صاحبها إلا هذه فهذه كرامة ظهرت ثابت بحسن ثوابه وأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليعتبر المرید الصادق وسلم أن الشيخ عنده تذكرة من الله ورسوله وأن الذي يستمد مع الشيخ عوض ما لو كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم واعتاده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فليأتم القوم بواجب الأدب أخبر الحق عن حالهم وأثنى عليهم فقال - أولئك

عن إدراك لذة العلم فلما لعمد الدوق فن لم يذق لم يعرف ولم يشق إذ الشوق تبع الدوق وإما لقصد  
أمرجهم ومرض قلوبهم بسبب اتباع الشهوات كالمرض الذي لا يدرك حلالة العمل ويراها مرًا  
وإما اقصور فظنهم إذ لم تغلق لهم بعد الصفة التي بها يستلذ العلم كالطفل الرضيع الذي لا يدرك لذة  
العمل والطبوع السمان ولا يستلذ إلا اللبن وذلك لا يدل على أنها ليست لذينة ولا مستطابة اللبيل بدل  
على أنه ألد الأضياء فالقاصرون عن درك لذة العلم والحكمة ثلاثة إما من لم يحى باطنه كالطفل وإما  
من مات بعد الحياة باتباع الشهوات وإما من مرض بسبب اتباع الشهوات وقوله تعالى - في قلوبهم  
مرض - إشارة إلى مرض العقول وقوله عز وجل - لينذر من كان حيا - إشارة إلى من لم يحى  
حياة باطنة وكل حي بالبدن ميت بالقلب فهو عند الله من الموت وإن كان عند الجمال من الأحياء  
وذلك كان الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فرحين وإن كانوا موتى بالأبدان . الثانية لذة  
يشارك الإنسان فيها بعض الحيوانات كلفة الرياضة والغلبة والاستيلاء وذلك موجود في الأسود والفيل  
وبعض الحيوانات . الثالثة ما يشارك فيها سائر الحيوانات كلفة البطن والقرح وهذا كثرها وجودا  
وهي أحسنها ولذلك اشترك فيها كل مادي ودرج حتى الديدان والخشرات ومن جاوز هذه الرتبة  
تثبت به لذة الغلبة وهو أشدها تصاقا بالمغناطين فان جاوز ذلك ارتقى إلى الثالثة فصار أغلب  
القدات عليه لذة العلم والحكمة لاسيما لذة معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله وهذه مرتبة الصديقين  
ولابد أن تنمائها بالإخراج استيلاء حب الرياضة من القلب وأخر ما يخرج من ردوس الصديقين حب  
الرياضة وأما شره البطن والقرح فكسره بما يقوى عليه الصالحون وشهوة الرياضة لا يقوى على  
كسرها إلا الصديقون فأما قمعها بالسكينة حتى لا يقع بها الإحساس على الدوام وفي اختلاف الأحوال  
فيشبه أن يكون خارجا عن مقدور البشر ، نعم نطلب لذة معرفة الله تعالى في الأحوال لا يقع معها الإحساس  
بلذة الرياضة والغلبة ولكن ذلك لا بدوم طول العمر بل تمر به القترات فتعود إليه الصفات البشرية  
فتكون موجودة ولكن تكون مقهورة لا تقوى على حمل النفس على المدول عن العدل وعند هذا  
تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام قلب لا يحب إلا الله تعالى ولا يستريح إلا الزيادة للفرقة به والفكر  
فيه وقلب لا يدري مالذة للفرقة وما معنى الأنس بالله وإيمانه بالجاه والرياضة والمال وسائر الشهوات  
البدنية وقلب أغلب أحواله الأنس بالله سبحانه والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعثره في  
بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعثره  
في بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة أما الأول فان كان ممكنا في الوجود فهو في غاية البعد وأما الثاني  
فالله تعالى طاعة به وأما الثالث والرابع فوجدان ولكن على غاية التدور ولا يتصور أن يكون ذلك  
إلا نادرا شاذا وهو مع التدور يتفاوت في القوة والكثرة وإيمان تكون كثرته في الأعصار القريبة  
من أعصار الأنبياء عليهم السلام فلا يزال يزداد العهد طولا وتزداد مثل هذه التلويح إلى أن تغرب  
الساعة ويقضى الله أمرا كان مفعولا وإحما وجب أن يكون هذا نادرا لأنه مبادئ ملك الآخرة  
والملك عزيز واللوك لا يكثرون فكما لا يكون الفائق في الملك والجمال إلا نادرا وأكثر الناس من  
دونهم فكما في ملك الآخرة فان الدنيا مرآة الآخرة فانها عبارة عن عالم الشهادة والآخر عبارة  
عن عالم الغيب وعالم الشهادة تابع لعالم الغيب كما أن الصورة في المرآة ناسية لصورة الناظر في المرآة  
والصورة في المرآة وإن كانت هي الثانية في رتبة الوجود فانها أولى في حق رؤيتك فانك لا ترى  
نفسك وترى صورتك في المرآة أولا تعرف بها صورتك التي هي قاعة بك ثانيا على سبيل المحاكاة  
فالقلب النابع في الوجود متبوعا في حق المعرفة والقلب التأخر متقدم وهذا نوع من الانعكاس

الذين امتحن الله قلوبهم  
للتقوى - أي اختبر  
قلوبهم وأخلصها كما  
يبتحن الذهب بالكبر  
فيخرج خالصه وكان  
اللسان ترجمان القلب  
وتهذب اللفظ لتأدب  
القلب فهذا ينبغي أن  
يصكون المرشد مع  
الشيخ . قال أبو عثمان  
الأدب عند الأكابر  
وفي جملة السادات من  
الأولياء يبالغ بصاحبه  
إلى الدرجات العليا  
والخبر في الأولى والعقوى  
ألا ترى إلى قول الله  
تعالى - ولو أنهم صبروا  
حتى تخرج إليهم لكان  
خيبر لهم - ومعاظمهم  
الله تعالى قوله سبحانه  
- إن الذين ينادونك  
من وراء الحجرات

ولكن الانكاس والانتكاس ضرورة هذا العالم فكذلك عالم الملك والشهادة محاك لعالم القريب  
وللكسوت فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا ويصير به إلى  
عالم المكسوت فيسمى عبوره عبرة وقد أمر الحق به فقال - فاعتبروا بأولي الأوصار - ومنهم من  
عميت بصيرته فلم يعتبر فاحتبس في عالم الملك والشهادة وستفتح إلى حبه أبواب جهنم وهذا  
الجس مجلوع نارا من شأنها أن تطلع على الأئمة إلا أن بينه وبين إدراكها حجابا فلذا رُفِعَ  
ذلك الحجاب بالموت أدرك وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا  
الجنة والنار مخلوقتان ولكن الجمع تدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين ومرة بإدراك آخر  
يسمى عين اليقين وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن  
للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين فذلك قال الله تعالى - كلا لو تعلمون علم اليقين لثرون بالجمع -  
أي في الدنيا - ثم ترونها عين اليقين - أي في الآخرة فالذا قد ظهر أن القلب الصالح ملك الآخرة  
لا يكون إلا عزرا كالشخص الصالح ملك الدنيا .

### (قصة سادسة حاوية لجامع النعم)

اعلم أن النعم تنقسم إلى ما هي غاية مطلوبة لدانها وإلى ما هي مطلوبة لأجل الغاية أمالغاية فاتها  
سعادة الآخرة ويرجع حاصلها إلى أربعة أمور : بقائه لاقائه له سرور لا غم فيه وعلم لاجلهم مع غنى  
لا فقر بعده وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا عبث إلا عبث الآخرة »<sup>(١)</sup>  
وقال ذلك مرة في الشدة تسلياً للنفس وذلك في وقت حفر الخندق في حدة الضر وقال ذلك مرة  
في السرور منّا لنفس من الركون إلى سرور الدنيا وذلك عند إحداق الناس بفى حجة الوداع<sup>(٢)</sup>  
وقال رجل « اللهم إني أسألك تمام النعمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم وهل تعلم ما تمام النعمة ؟ قال  
قال تمام النعمة دخول الجنة<sup>(٣)</sup> » وأما الوسائل فتقسم إلى الأقرب الأخص كفضائل النفس وإلى  
ما يليه في القرب كفضائل البدن وهو الثاني وإلى ما يليه في القرب ويجاوز إلى غير البدن كالأسباب  
للنيفة بالبدن من اللال والأهل والمشيئة وإلى ما يجمع بين هذه الأسباب الخارجية عن النفس  
وبين الخاصة للنفس كالتوفيق والمهداية فهي إذن أربعة أنواع : النوع الأول وهو الأخص  
الفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشغال أطرافها إلى الإيمان وحسن الخلق وينقسم الإيمان  
إلى علم السكافة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسوله وإلى علوم للعامة ، وحسن الخلق  
يتقدم إلى قسمين ترك مقتضى الشهوات والغضب وإصمه الغفة ومراعاة العدل في الكف عن  
مقتضى الشهوات والإقدام حتى لا يمتنع أصلاً ولا يقدم كيف شاء بل يكون إقدامه وإحجامه بالميزان  
العدل الذي أنزله الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم إذ قال تعالى - أن لا تطغوا في البران  
وأقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا البران - فمن خصى نفسه ليزيل شهوة النكاح أو ترك النكاح  
مع القدرة والأمن من الآفات أو ترك الأكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد أخسر  
البران ومن انهك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في البران وإنما العدل أن يخلووز به وتقدره  
عن الطغيان والحسرة ان تصمد به كفتا البران فاذا الفضائل الخاصة بالنفس للقرية إلى الله تعالى أربعة  
علم مكاشفة وعلم معاملة وعفة وعدالة ولا ينف هذا في غالب الأمر إلا بالنوع الثاني وهو الفضائل البدنية

أكثرهم لا يستقون -  
وكان هذا الحال من  
وقد بنى جميع جاء إلى  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فنادوا يا محمد  
أخرج إلينا فان مدحنا  
زين وذننا حين قال  
فسمع رسول الله صلى  
الله عليه وسلم غفر  
إليهم وهو يقول « إنما  
ذلكم الله الذي فيه  
خير ومدحه زين » في  
قصة طويلة وكانوا أنوا  
بها عزم وخطيئهم  
فطلبهم حسان بن ثابت  
وشيبان المهاجرين  
والأصهار بالحطبة وفي  
هذا تأديب للبريد في  
الدخول على الشيخ  
والإقدام عليه وتركه  
الاستعجال وصبره إلى  
أن يخرج الشيخ من

- (١) حديث قوله عند حفر الخندق لا عبث إلا عبث الآخرة متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث  
قوله في حجة الوداع لا عبث إلا عبث الآخرة الشافعي مرسلا والحاكم متصلًا وصححه وتقدم في الحج  
(٣) حديث قال رجل اللهم إني أسألك تمام النعمة الحديث الترمذي من حديث معاذ بن سعد حسن

وهي أربعة الصحة والقوة والجمال وطول العمر ولا تنبأ هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث وهي  
النم الحارجة للطيفة بالبدن وهي أربعة السال والأهل والجاه وكرم العشرة ولا يتنعم شيء من هذه  
الأسباب الحارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع وهي الأسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل  
النفسية الداخلة وهي أربعة : هداية الله ورشده وتسيده وتأيدته ، فجميع هذه النعم ستة عشر  
إذا قسمناها إلى أربعة وقسمنا كل واحدة من الأربعة إلى أربعة وهذه الجلة يحتاج البعض منها  
إلى البعض إما حاجة ضرورية أو نافلة . أما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة إلى الإيمان  
وحسن الخلق إذ لا سبيل إلى الوصول إلى سعادة الآخرة البتة إلا بهما فليس للإنسان إلا ما سمى وليس  
لأحد في الآخرة إلا ما تزود من الدنيا فكذلك حاجة الفضائل النفسية التي تكسب هذه العلوم وتهذيب  
الأخلاق إلى صحة البدن ضرورية . وأما الحاجة النافذة على الجلة فكحاجة هذه النعم النفسية البدنية  
إلى النعم الحارجة مثل السال والمز والأهل فان ذلك لو عدم ربما تفرق الخلق إلى بعض النعم الداخلة .  
فان قلت : فما وجه الحاجة لطريق الآخرة إلى النعم الحارجة من السال والأهل والجاه والعشرة . فاعلم  
أن هذه الأسباب جارية مجرى الجناح المبلغ والآلة السهلة المقصود . أما السال فالفقير في طلب العلم  
والكمال وليس له كفاية : كساع إلى المجهاب بغير سلاح ، وكبازي يوم الصبد بلا جناح ، ولذلك  
قال صلى الله عليه وسلم « نعم السال الصالح للرجل الصالح » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « نعم المؤمن  
على تقوى الله السال » (٢) وكيف لا ومن عدم السال صار مستغرق الأوقات في طلب الأوقات وفي  
تهيئة لباس والسكن وضرورات المعيشة ثم يتعرض لأنواع من الأذى تنفله عن الفكر والفكر  
ولا تدفع إلا بسلاح السال ثم مع ذلك يحرم عن فضيلة الحج والزكاة والصدقات وإقامة الحجرات .  
وقال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعم فقال : التي فاني رأيت الفقير لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال  
الأمن فاني رأيت الخائف لا يعيش له ، قيل زدنا ، قال الصافية فاني رأيت المريض لا يعيش له ، قيل  
زدنا ، قال الشباب فاني رأيت الهرم لا يعيش له ، وكان مذكراً إشارة إلى نعم الدنيا ولكن من حيث  
إنه معين على الآخرة فهو نعمة ؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « من أصبح معافى في بدنه آمنافى  
سربه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها » (٣) وأما الأهل والولد الصالح فلا يخفى  
وجه الحاجة إليهما إذ قال صلى الله عليه وسلم « نعم الدون على الدين المرأة الصالحة » (٤) وقال صلى  
الله عليه وسلم في الولد « إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث ولد صالح يدعو له » (٥) والحديث  
وقد ذكرنا فوائد الأهل والولد في كتاب النكاح . وأما الأقارب فلهما أكثر أولاد الرجل وأقاربه  
كانوا له مثل الأعمى والأبدي فيتمسك به بسبب من الأمور الدنيوية المهمة في دينه ما لو انترده لطلال  
شبهه وكل ما يفرغ قلبه عن ضرورات الدنيا فهو معين لك على الدين فهو إذن نعمة . وأما المز

(١) حديث نعم السال الصالح للرجل الصالح أحمد وأبو يعلى والطبراني من حديث عمرو بن العاص  
بسند جيد (٢) حديث نعم المؤمن على تقوى الله السال أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من  
رواية محمد بن المنكدر عن جابر ورواه أبو القاسم البغوي من رواية ابن المنكدر مرسل ومن طريقه  
رواه القاضي في مسند الشهاب هكذا مرسل (٣) حديث من أصبح معافى في بدنه آمنافى سربه  
الحديث الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث عبيد الله بن محسن الأنصاري وقد تقدم (٤) حديث  
نعم المؤمن على الدين المرأة الصالحة لم أجده إلا إسناداً ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو الدنيا متاع  
وخير صاع الدنيا المرأة الصالحة (٥) حديث إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث مسلم من  
حديث أبي هريرة وتقدم في النكاح .

موضع خلوته . صحته  
أن الشيخ عبدالقادر  
رحمه الله كان إذا جاء  
إليه فقير زائر فخرج  
بالفقير فيخرج وضاح  
جانب الباب وصافح  
الفقير وسلم عليه ولا  
يجلس معه ويرجع  
إلى خلوته وإذا جاء  
أحد ممن ليس من  
زمره الفقراء يخرج  
ويجلس معه غفط  
لبعض الفقراء نوع  
إنكار لتركه الخروج  
إلى الفقير وخروجه  
لتسريح الفقير فانه  
ما خطر للفقير إلى  
الشيخ فقال الفقير  
رابطنا معه رابطة  
قلبية وهو أهل وليس  
عنده أجنبية فكنت  
معه بموافقة القلوب

والجاء فيه يدفع الانسان عن نفسه الذل والضم ولا يستنى عنه مسلم فانه لا ينفك عن عدو يؤذيه وظالم يشوش عليه وعمله وفراغه ويشغل قلبه وقلبه رأس ماله وإنما تدفع هذه الشواغل بالمرء والجاه ولذلك قيل الدين والسلطان توأمان . قال تعالى - ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض - ولا معنى للجاه إلى ملك القلوب كالأمة التي لا ملك الا لملك الدرام ومن ملك الدرام تسخرته أرباب القلوب لدفع الأذى عنه فكما يحتاج الإنسان إلى سقف يدفع عنه اللطرب وجة تدفع عنه البرد وكلب يدفع الذئب عن ماشيته فيحتاج أيضا إلى من يدفع الشر به عن نفسه ، وعلى هذا التصديكان الأنبياء الذين لا ملك لهم ولا سلطنة يراعون السلاطين ويطلبون عديم الجاه وكذلك علماء الدين لا يلهي قصد التناول من خزانهم والاستتار والاستكثار في الدنيا بتأنيهم ولا تظنون أن نعمة الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم حيث نصره وأكل دينه وأظهره على جميع أعدائه ومكن في القلوب جبه حتى اتسع به عزه وجاهه كانت أقل من نعمته عليه حيث كان يؤذى ويضرب حتى اختفى إلى الحرب والهجرة (١) ، فان قلت كرم المشيرة وشرف الأهل هو من التمام أم لا ؟ أقول نعم ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الأئمة من قرش (٢) » ولذلك كان صلى الله عليه وسلم من أكرم الناس أرومة في نسب آدم عليه السلام (٣) وقال صلى الله عليه وسلم « تغيروا لنطفكم الأكفاء (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « إياكم وخضراء الدمن ، قليل وما خضراء الدمن ؟ قال المرأة الحسناء في التبت السود (٥) » فهذا أيضا من التمام ولست أعني به الانتساب إلى الظلفوقارباب الدنيا بل الانتساب إلى شجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أئمة العلماء وإلى الصالحين والأبرار التوميين بالملم والعمل . فان قلت لما معنى الفضائل البدنية . فأقول لا يخاف بشدة الحاجة إلى الصحة والقوة وإلى

وضع بها عن ملاقات  
الظاهرة بهذا القدر  
وأما من هو من غير  
جنى الفقراء فهو  
واقف مع العادات  
والظاهر فحق لم يوف  
حقه من الظاهر  
استوحش خلق للريد  
عمارة الظاهر والباطن  
بالأدب مع الشيخ ،  
قيل لأبي منصور  
للصربي كم صحبت  
أبا عثمان قال خدمته  
لأصحبته فالصعبة مع  
الإخوان والأقران  
ومع الشايع الخدمة  
وبني العريد أنه كلما  
أشكى عليه شيء من  
حال الشيخ بك كرفة  
موسى مع الحضر عليها  
السلام كيف كان  
الحضر يفعل أشياء

(١) حديث ما ناله صلى الله عليه وسلم من الأذى ونحوه حتى اختفى إلى الحرب والهجرة البخاري ومسلم من حديث عائشة أنها قالت لقيت صلى الله عليه وسلم هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد قال لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبدالمطلب الحديث ولقمتي وصحبه وابن ماجه من حديث أنس قد أخذت في الله وما يخاف أحد ولقد أذيت في الله وما يؤذي أحد ولقد أتى على ثلاثون من بين يوم وليلة ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه يبط بال قال الترمذي معنى هذا حين خرج النبي ﷺ هاربا من مكة ومعه بلال والبخاري عن عروة قال سألت عبد الله بن عمرو عن أشد ما صنع المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت عقبة بن أبي معيط جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي فوضع رداءه في عنقه فخنقه خنقا فهدى الجاهل أبو بكر فدفعه عنه الحديث والبرار وأبي يعلى من حديث أنس قال قد ضربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى غشى عليه فقام أبو بكر لجل ينادي ويلك أنقلوا رجلا أن يقول ربي الله وإسناده صحيح على شرط مسلم (٢) حديث الأئمة من قرش النسائي والحاكم من حديث أنس بإسناد صحيح (٣) حديث كان صلى الله عليه وسلم من أكرم أرومة في نسب آدم . الأرومة أصل هذا معلوم فروى مسلم من حديث وثالة بن الأسقع مرفوعا إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشا من ولد إبراهيم إسماعيل وله من حديث العباس وحسنه وابن عباس والطلب بن ربيعة وصححه والطلب بن أبي وداعة وحسنه إن الله خلق الخلق فبعثني من خيرهم وفي حديث ابن عباس ما بال أقوام يبتذلون أصلي فوائه لأننا أفضلهم أصلا وخيرهم موصنا (٤) حديث تغيروا لنطفكم ابن ماجه من حديث عائشة ونعم في النكاح (٥) حديث إياكم وخضراء الدمن تقدم فيه أيضا .

طول العمر إذ لا يتم علم وعمل إلا بهما ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى (١) وإنما يستحق من جلته أمر الجبال فيقال يكنى أن يكون البدن سليماً من الأمراض الشاغلة عن نحرى الخيرات ، ولعمري الجبال قليل النماء ولكنه من الخيرات أيضاً أما في الدنيا فلا يخفى ثمنه فيها وأما في الآخرة فمن وجهين : أحدهما أن القبيح مذموم والطابع عنه نافرة وحاجات الجليل إلى الإجابة أقرب وجاهه في الصدور أوسع فمكانته من هذا الوجه جناح يبلغ كماله والجاه إذ هو نوع قدرة إذ يقدر الجليل الوجه على تنجيز حاجات لا يقدر عليها القبيح وكل معين على قضاء حاجات الدنيا فعين على الآخرة بواسطتها . والثاني أن الجبال في الأثر يدل على فضيلة النفس لأن نور النفس إذ يتم إثرائه تآدى إلى البدن فالنظر والمهرك كثيرا ما يتلزمان ولذلك عول أصحاب الفراسة في معرفة مكارم النفس على هيئات البدن وتقالوا الوجه والعين مرآة الباطن ، وذلك يظهر فيه أثر الغضب والسرور والتم ، ولذلك قيل طلالة الوجه عنوان مافي النفس ، وقيل مافي الأرض قبيح إلا ووجهه أحسن مافيه ، واستعرض للأموث جيشا فرض عليه رجل قبيح فاستنطقه فإذا هو ألكن فأسقط اسمه من الديوان وقال الروح إذا أشرفت على الظاهر ضباحة أو على الباطن قصاصة وهذا ليس له ظاهر ولا باطن ، وقد قال صلى الله عليه وسلم «اطلبوا الخير عند صباح الوجوه» (٢) وقال عمر رضي الله تعالى عنه : إذا بستم رسولا فاطلبوه من الوجه من الامم . وقال الفقهاء : إذا تساوت درجات الصلبي فاحسنهم وجها أولام بالامامة ، وقال تعالى مما يذكره وزاده بسطة في العلم والجسم - ولنا نرى بالجبال ما يحرك الشهوة فان ذلك أنوثة وإنما نرى به ارتفاع القامة على الاستقامة مع الاعتدال في اللحم وتناسب الأعضاء وتتألف خلقة الوجه بحيث لا تنبوا الطبع عن النظر إليه . فان قلت قد أدخلت المال والجاه والنسب والأهل والولد في حيز النعم ، وقد ذم الله تعالى المال والجاه وكذا رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) وكذا العلماء قال تعالى : إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم - وقال عز وجل : إنما أموالكم وأولادكم فتنة وقال على كرم الله وجهه في ذم النسب : الناس أبناء ما يحسنون وقيمة كل امرئ ما يحسنه ، وقيل الر - بنفسه لا بأية فامنى كونها نعمة مع كونها مذمومة شرعا - فاعلم أن من يأخذ العلوم من الألقاظ للنقولة الملوثة والعمومات المخصصة كان الضلال عليه أغلب ما لم يهتد بنور الله تعالى إلى إدراك العلوم على ما هي عليه ثم ينزل التذلل على وفق مظهره منها بالتأويل مرة وبالتخصيص أخرى فهذه نعم معينة على أمر الآخرة لا سيبل إلى جدها إلا أن فيها فتنا ومحاف ، فتعال المال مثال الحية التي فيها ترياق نافع وسم نافع فان أصابها المزم الذي يعرف وجه الاحتراز عن مهاب وطريق استخراج ترياقها النافع كانت نعمة وإن أصابها السوادى الفرغى عليه بلاء وهلاك وهو مثل البحر الذى تحته أصفاف الجواهر والآلى . فمن ظفر بالبحر فان كان عالما بالسباحة وطريق القوص وطريق الاحتراز عن

يشكرها موسى ولما أخبره الخضر بسرهما يرجع موسى عن إنكاره فأيتهكره للريد لققعه بحقيقة ما يوجد من الشيع فلشيع في كل شئ عذر بلسان العلم والحكمة . سأله بعض أصحاب الجنيد مسألة من الجنيد فأجابه الجنيد فمارسته في ذلك فقال الجنيد فان لم تؤمنوا لى فاعتزلون وقال بعض الشايع من لم يعظم حرمة من تأدب به حرم بركة ذلك الأدب ، وقيل من قال لأستاذ لا ، لا يطلع أبدا . أخبرنا شيخنا ضياء الدين عبد الوهاب بن على

- (١) حديث أفضل السعادة طول العمر في عبادة الله غريب بهذا اللفظ ولقرمذى من حديث أبى بكره أن رجلا قال يا رسول الله أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح
- (٢) حديث اطلبوا الخير عند حسان الوجوه أبومولى من رواية إسماعيل بن عياش عن خيرة بنت محمد بن ثابت بن سباع عن أمها عائشة وخيرة وأمها لا أعرف حالهما ورواه ابن حبان من وجه آخر في الضعفاء والبيهقى في الشعب من حديث ابن عمر وله طرق كلها ضعيفة (٣) حديث ذم المال والجاه الترمذى من حديث كعب بن مالك ما ذهبان جالمان أرسلا في غم بأفسد لها من حب المال والشرى لهينه وقد تخدم في ذم المال والبعث .



وإلا فقد كان فيمن يروى هذا الحديث ويسلم به من يأخذ مائة ألف درهم في موضع واحد وبقرها في موضعه ولا يمسك منها حبة ٥ ولما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة استأذنه عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه في أن يخرج عن جميع ما يملكه فأذن له فنزل جبريل عليه السلام ، وقال : مه بأن يعلم للسكين ويكسو العارى ويقرى الضيف <sup>(١)</sup> الحديث . فأذن التم للديوية مشوبة قد امتزج دواؤها بدائها ومرجوها بمخوها ونعسها بضرها فن وثق يصيرته وكال معرفه فله أن يقرب منها متقيا داءها ومستخرجا دواها ، ومن لا يثق بها فالبعد البعد والقرار القرار عن مظان الأخطار فلا تملك السلامة عيشا في حق هؤلاء . وم الخلق كلهم إلا من عصمه الله تعالى وهذه لطريقه . فان قلت : لما معنى التم التوفيقية الراجعة إلى الهداية والرشد والتأييد والتشديد . فاعلم أن التوفيق لا يستثنى عنه أحد وهو عبارة عن التأليف والتلويح بين إرادة البعد وبين قضاء الله وقدره وهذا يشمل الخير والشر وما هو سعادة وما هو شقاوة ولكن جرت العادة بتخصيص اسم التوفيق بما يوافق السعادة من جملة قضاء الله تعالى وقدره كما أن الإلحاد عبارة عن الليل فخصص بمن مال إلى الباطل عن الحق وكذا الارتدادوا خلافا بالحااجة إلى التوفيق ولذلك قيل :

إذا لم يكن عون من الله لفتى فأكثر ما يفتى عليه اجتنباه

فأما الهداية فلا حيل لأحد إلى طلب السعادة إلا بها لأن داعية الانسان قد تكون مائلة إلى ما فيه صلاح آخرته ولكن إذا لم يعلم ما فيه صلاح آخرته حتى يظن الفساد صلاحا فن أين ينفعه مجرد الإرادة فلا فائدة في الإرادة والتدبر والأسباب إلا بعد الهداية ولذلك قال تعالى - ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى - وقال تعالى - ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكي منكم من أحد أبدا ولكن الله يزكي من يشاء - وقال صلى الله عليه وسلم ٥ ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله تعالى أى بهدائه قيل ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا <sup>(٢)</sup> . والهداية ثلاث منازل : الأولى معرفة طريق الخير والشر للشار إليه بقوله تعالى - وهديناه النجدين - وقد أتم الله تعالى به على كافة عباد بهضه بالفعل وبهضه على لسان الرسل ولذلك قال تعالى - وما أودع دينهم فاستجبوا للسمى على الهدى - فأسباب الهدى هي الكتب والرسل وبصائر العقول وهي مبدؤة ولا يمنع منها إلا الحسد والكبر وحب الدنيا والأسباب التي تسمى القلوب وإن كانت لا تسمى الأبصار قال تعالى - فانها لا تسمى الأبصار ولكن تسمى القلوب التي في الصدور - ومن جملة السميات الإلف والعادة وحب استصحابها وعنه العبارة بقوله تعالى

والحاكم من حديث سلمان لفظ الحاكم وقال بلفة وقال مثل زاد الراكب وقال صحيح الاسناد . قلت هو من رواية أبي سفيان عن أشياخه غير مسمعين وقال ابن ماجه عهد إلى أن يكفى أحدكم مثل زاد الراكب (١) حديث استأذنان عبد الرحمن بن عوف أن يخرج عن جميع ما يملكه لما ذكر أن الأغنياء يدخلون الجنة بشدة فأذن له فنزل جبريل فقال مه بأن يعلم للسكين الحديث الحاكم من حديث عبد الرحمن بن عوف وقال صحيح الاسناد . قلت : كلا فيه خالفه بن أبي مالك ضعيف جدا (٢) حديث ما من أحد يدخل الجنة إلا برحمة الله متفق عليه من حديث أبي هريرة لن يدخل أحدكم عمله الجنة قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتممدني الله بفضل منه ورحمة وفي رواية لمسلم ما من أحد يدخله عمله الجنة الحديث وانفقا عليه من حديث عائشة وانقرده به مسلم من حديث جابر وقد تقدم .

قيل لي هذا إنسان  
يصحب أبا حفص  
ويخدمنا وقد أتفق  
عليه مائة ألف درهم  
كانت له واستدان مائة  
ألف أخرى أنفقها عليه  
ما يسوغ له أبو حفص  
أن يتكلم بكلمة واحدة  
وقال أبو يزيد البسطامي  
صحبت أبا علي السدي  
فكنت ألقته ما يقم به  
فرضه وكان يطنى  
التوحيد والحقائق  
صرفا . وقال أبو عثمان  
صحبت أبا حفص وأنا  
غلام حدث فطردني  
وقال لا تجلس عندي  
فلم أجعل مكافآتي له على  
كلامه أن أولى ظهري  
إليه فالصرفت أمشي  
إلى خلف ووجهي  
مقابل له حتى غبت

- إنا وجدنا آباءنا على أمة - الآية وعن السكبر والحمد العبارة بقوله تعالى - وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - وقوله تعالى - أجزأنا واحدًا تبغفه هذه للمعبات هي التي منعت الاعتناء والهداية الثانية وراء هذه الهداية العامة وهي التي يعد الله تعالى بها العبد حالاً بعد حال وهي ثمرة المجاهدة حيث قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - وهو للراي بقوله تعالى: - والذين اهتدوا زادهم هدى - والهداية الثالثة وراء الثانية وهو النور الذي يشرق في عالم النبوة والولاية بعد كمال المجاهدة فيبتدى بها إلى ما لا يبتدى إليه بالقل الذي يحصل به التكليف وإمكان تحمل العلوم وهو الحموى المطلق وما عده حجاب له ومقدمات وهو الذي شرفه الله تعالى بتخصيص الاضافة إليه وإن كان الكل من جهته تعالى فقال تعالى - قل إن هدى الله هو الهدى - وهو للسمى حياة في قوله تعالى - أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به في الناس - واللفظ بقوله تعالى - ألن نرحم الله صرنا للإسلام فهو على نور من ربه - وأما الرشد فنحن به العناية الإلهية التي تعين الإنسان عند توجهه إلى مقاصده فتقويه على ما فيه صلاحه وتفترو عما فيه فساده ويكون ذلك من الباطن كما قال تعالى - ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عاينين - فالرشد عبارة عن هداية باعثة إلى جهة السعادة محركة إليها فالشي إذا بلغ خبيراً يحفظ المال وطرق التجارة والاستماء ولكنه مع ذلك يندري ولا يريد الاستماء لا يسعى رشيداً لا يعلم هدايته بل لتصور هدايته عن تحريك داعيته فكأن من شخص يقدم على ما يعلم أنه يضره فقد أعطى الهداية وميزها عن الجاهل الذي لا يدري أنه يضره ولكن ما أعطى الرشد فالرشد بهذا الاعتبار أكل من مجرد الهداية إلى وجوه الأعمال وهي نعمة عظيمة . وأما التدبير فهو توجيه حركاته إلى صوب المطلوب وتيسرها عليه ليتشدد في صوب الصواب في أسرع وقت فإن الهداية بمجرد أنها لا تنفي بل لا بد من هداية محركة للداعية وهي الرشد والرشد لا يمكن بل لا بد من تيسر الحركات بمساعدة الأعضاء والآلات حتى يتم الإرادة مما ابتعثت الداعية إليه فالهداية محض التعريف والرشد هو تنبيه الداعية لتستيقظ وتحرك والتدبير إعانة ونصرة بتحريك الأعضاء في صوب السداد وأما التأيد فكأنه جامع للكل وهو عبارة عن تقوية أمره بالصبر من داخل وتقوية البطش ومساعدة الأسباب من خارج وهو الراد بقوله عز وجل - إذا يدنك روح القدس - وتخرجه منه الصفة وهي عبارة عن وجود إلهي يسبح في الباطن يقوى به الإنسان على تحرى الخير وتجنب الشر حتى يصير كأنه من باطنه غير محسوس وإلهاء عن بقوله تعالى - ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه - فهذه هي مجامع النعم وإن تثبت إلا بما عوله الله من الفهم الصافي الثابت والسمع الواسع والقلب البصير التواضع المراعى والعلم الناصح والدال الواصل على ما يقصر عن المهادت بقلته القاصر عما يشغل عن الدين بكثرته والعز الذي يصونه عن صفه السفاء وعظم الأعداء ويستدعي كل واحد من هذه الأسباب الستة عشر أسباباً وتستدعي تلك الأسباب أسباباً إلى أن تنتهي بالآخرة إلى دليل التحيرين وملجأ للضطرين وذلك رب الأرباب ومسبب الأسباب وإذا كانت تلك الأسباب طويلة لا يحتمل مثل هذا الكتاب استقصاها فلنذكر منها أنموذجاً ليعلم معنى قوله تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - بالله التوفيق.

عنه واعتقدت أن أحسن نفس برأ على بابها وأزل وأقعد فيه ولا أخرج منه إلا بأذنه فلما رأى ذلك منى فربى وقلبي وصبرني من خواص أصحابه إلى أن مات رحمه الله ومن آدابهم الظاهرة أن للريد لا يسطر سجداته مع وجود الشيخ إلا لوقت الصلاة فإن للريد من شأنه التبذل للخدمة في السجادة إعناء إلى الاستراحة والتمزز ولا يترك في السجود مع وجود الشيخ إلا أن يخرج عن حد التخيير وهيبة الشيخ تحملك المسريد عن الاسترسال في السجود وتحميده واستثراؤه في

( بيان وجه الأعوذ في كثرة نعم الله تعالى وتسلسلها وخروجها عن الحصر والإحصاء )  
اعلم أننا جمعنا النعم في ستة عشر ضرباً وجعلنا حصة البدن نعمة من النعم الواضحة في الرتبة لتأخر هذه النعمة الواحدة لو أردنا أن نستقصى الأسباب التي بها تمت هذه النعمة لم نقدر عليها ولكن الأكل أحد أسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الأسباب التي بها تتم نعمة الأكل فلا يخفى أن الأكل فعل وكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة لا بد لها من جسم متحرك هو أكلها ولا بد لها من قدرة على

الحركة ولا بد من إرادة للحركة ولا بد من علم بالمراد وإدراك له ولا بد لأكل من مأكول ولا بد للمأكول من أصل منه يحصل ولا بد له من صانع يصلحه فالتذكر أسباب الإدراك ثم أسباب الإرادات ثم أسباب القدرة ثم أسباب التأكل على سبيل التلويح لآلئ سبيل الاستقصاء .

(الطرف الأول في نعم الله تعالى في خلق أسباب الإدراك)

اعلم أن الله تعالى خلق النبات وهو أكل وجودا من الحجر والحدرو والحديد والنحاس وسائر الجواهر التي لا تنمى ولا تنفذ فإن النبات خلق فيه قوة بها يجتذب الغذاء إلى نفسه من جهة أصله وعروقه التي في الأرض وهي له آلات فيها يجتذب الغذاء وهي العروق الدقيقة التي ترأها في كل ورقة ثم تلتصق أصولها ثم تنسحب ولا تزال تستدق وتنسحب إلى عروق شمعية تنسبط في أجزاء الورقة حتى تنسحب عن البصر إلا أن النبات مع هذا الكمال ناعم فإنه إذا أعوزته غذاء يساق إليه ويمس أصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء من موضع آخر فإن الطلب إنما يكون بعمرة اللطوب وبالاتقال إليه والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله تعالى عليك أن خلق لك آلات الاحساس وآلة الحركة في طلب الغذاء فانظر إلى ترتيب حكمة الله تعالى في خلق الحواس الخمس التي هي آلة الإدراك فأولها حاسة اللمس وإنما خافت لك حتى إذا مسك نار محرقة أو سيف جارح تحس به فتهرب منه وهذا أول حس يخلق للحيوان ولا يصور حيوان إلا ويكون له هذا الحس لأنه لم يحس أصلا فليس بحيوان وأنفس درجات الحس أن يحس بما لا يلاصقه ويمسه فإن الاحساس مما يبعد منه إحساس أنه لا محالة وهذا الحس موجود لكل حيوان حتى الدودة التي في الطين فاتها إذا غرز فيها إبرة انقبضت للحرب لا كالبات فإن النبات يقطع فلا ينقبض إذ لا يحس بالقطع إلا أنك لو لم يخلق لك إلا هذا الحس لكنت ناقصا كالبدوة لا تقدر على طلب الغذاء من حيث يبعد عنك بل ما يحس بدناك تحس به فتجذب به إلى نفسك فقط فالتفتت إلى حس تدرك به ما يبعد عنك غلقت لك الشم إلا أنك تدرك به الرائحة ولا تدري أنها جاءت من أي ناحية فتحتاج إلى أن تطوف كثيرا من الجوانب فربما تمر على الغذاء الذي شممت ريحهم بما تفتقر فتكون في غاية نقصان لو لم يخلق لك إلا هذا غلقت لك البصر لتدرك به ما يبعد عنك وتدرك جهته فتقتصد تلك الجهة بينها إلا أنه لو لم يخلق لك إلا هذا لكنت ناقصا إذ لا تدرك بهذا ما وراء الجدران والحجب فتبصر غذاء ليس بينك وبينه حجاب وتبصر عدوا لا حجاب بينك وبينه وأماما بينك وبينه حجاب فلا تبصره وقد لا ينكشف الحجاب إلا بعد قرب العدو فتعجز عن الحرب غلقت لك السمع حتى تدرك به الأصوات من وراء الجدران والحجب عند جريان الحركات لأنك لا تدرك بالبصر إلا شيئا حاضرا أو أمما الغائب فلا يمكنك معرفته إلا بكلام يتنظم من حروف وأصوات تدرك بحس السمع فالتفتت إليه حاجتك فخلق لك ذلك وميزت بهم الكلام عن سائر الحيوانات وكل ذلك ما كان يفنيك لو يكن لك حسن الذوق لإفصل الغذاء إليك فلا تدرك أنه موافق لك أو مخالف فتأكله قهلا كالشجرة يسب في أصلها كل مانع ولا ذوق لها فتجذب به وربما يكون ذلك سبب جفافها ثم كل ذلك لا يفيك لو لم يخلق في مقدمة دماغك إدراك آخر يسمى حسا مشتركا تأدئ إليه هذه الحسوسات الخمس وتجتمع فيه ولولا لاطال الأمر عليك فانك إذا أكلت شيئا أصفر مثلا فوجدته مرحا فالذاك قد ركت فاذا رأته مرة أخرى فلا تعرف أنه مر مضر حال تذوقه ثانيا لولا الحس المشترك إذ العين تبصر الصفرة ولا تدرك الرائحة فكيف تتجنب عنه والتذوق يدرك الرائحة ولا يدرك الصفرة فلا بد من حاكم يجمع عنده الصفرة والرائحة جميعا حتى إذا أردت الصفرة يحجب عنه مر فيمتنع عن تناوله ثانيا وهذا كله تشارك فيه الحيوانات إذ لا شاة هذه الحواس كلها فلا يمكن لك إلا هذا لكنت ناقصا فإن الهممة يخال عليها فتؤخذ فلا تدري كيف تدفع الحيلة عن نفسها كيف

الشيخ بالنظر إليه ومطالعة موارد فضل الحق عليه أجمع لمن الإصغاء إلى السماع ومن الأدب أن لا يكتم على الشيخ شيئا من حاله ومواهب الحق عنده وما يظهر لمن كرامة وإجابة وينكشف للشيخ من حاله ما يعلم الله تعالى منه وما يستجى من كشفه يذكره إتماما وتعميضا فان الرب يدعى انطوى منسجما على شيء لا يكشفه للشيخ تصرعا أو تعريضا يصبر على باطنه منه عقدة في الطريق وبالقول مع الشيخ تتحل العقدة وتزول ومن الأدب أن

تتخلص إذا قيئت وقد تلقى نفسها في بر ولا تدرى أن ذلك يهلكها ولذلك قد تأكل البهيمة ما تستلذه في الحال وبضرها في ثانی الحال تضر مرض وتموت إذ ليس لها إلا الاحساس الحاضر فأما إدراك العواقب فلا فيرك الله تعالى وأكرمك بصفة أخرى هي أشرف من الكل وهو العقل فيه تدرك مضر فالأطعمة وتنفعها في الحال والكل وبه تدرك كيفية طبع الأطعمة وتأليفها وإعداد أسبابها فتتذعن بعقلك في الأكل الذي هو سبب صحتك وهو أحسن فوائد العقل وأقل الحكم فيه بل الحكمة الكبرى في معرفة الله تعالى ومعرفة أمثاله ومعرفة الحكمة في عاقله وعند ذلك تنقلب قائمة الحواس الخمس في حرك فتكون الحواس الخمس كالجواسيس وأصحاب الأخبار اللوكلين بنواحي الملكة وقد وكلت كل واحدة منها بأمر تختص به فواحدة منها بأخبار الألوان والأخرى بأخبار الأصوات والأخرى بأخبار الروائح والأخرى بأخبار الطعوم والأخرى بأخبار الحر والبرد والخشونة واللاسة واللين والصلابة وغيرها وهذه البرد والجواسيس يقتضون الأخبار من أقطار الملكة ويسلمونها إلى الحس المشترك والحس المشترك قاعد في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب على باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواحي العالم فيأخذها وهي محتومة فيسألها إذ ليس له إلا أخذها وجمعها وحفظها فأما معرفة حقائق ما فيها فلا ولكن إذا صادف القلب العاقل الذي هو الأمير والملك سلم الإنهاآت إليه محتومة فيفتشها الملك ويطلع منها على أسرار الملكة ويحكم فيها بأحكام بحجة لا يمكن استقصاؤها في هذا المقام وبحسب ما يلوح له من الأحكام والصلح بحرك الجنود وهي الأعضاء مرة في الطلب ومرة في الحرب ومرة في إتمام التدبيرات التي تمن له فهذه سياقة نعمة الله عليك في الإدراكات ولا تظن أننا ستوفيناها فان الحواس الظاهرة هي بعض الإدراكات والبصر واحد من جملة الحواس والعين آلة واحدة له وقد ركب العين من عشر طبقات مختلفة بعضها رطوبات وبعضها أغشية وبعض الأغشية كأنها نسج الشبكون وبعضها كالنسيج وبعض تلك الرطوبات كأنه يياض البيض وبعضها كأنه الجمد ولكل واحدة من هذه الطبقات العشر صفة وصورة وشكل وهيئة وعرض وتدوير وتركيب لو اختلت طبقة واحدة من جملة العشر أوصفة واحدة من صفات كل طبقة لاختل البصر وهجر عنه الأكلاب والكحالكون كلهم فهذا في حس واحد قدس به حاسة السمع وسائر الحواس بل لا يمكن أن تستوفي حكم الله تعالى وأنواع نعمه في جسم البصر وطبقاته في مجلدات كثيرة مع أن جلته لا تزيد على جوده صغيرة فكيف ظنك بجميع البدن وسائر أعشائه ومجائبه فهذه مرامز إلى نعم الله تعالى بخلق الإدراكات.

#### (الطرف الثاني في أصناف النعم في خلق الارادات)

اعلم أنه لو خلق لك البصر حتى تدرك به بالتذام من بعد لم يخلق لك ميل إلى الطبع وشوق إلى المشاهدة تستحق على الحركة لكان البصر معطلا فكم من مريض يرى الطعام وهو أتنع الأشياء له لو قد سقطت شهوته فلا يتناول فيبقى البصر والإدراك معطلا في حقه فاضطررت إلى أن يكون لك ميل إلى ما يواظك يسمى شهوة وتفرع عما يخالفك تسمى كراهة لتطلب بالشهوة ونهرب بالكراهة فخلق الله تعالى فيك شهوة الطعام وسلطها عليك ووكلمها بك كالتقاضى الذي يضطررك إلى تناول حتى تتناول وتغذى فتبقى بالتذام وهذا مما يشاركك فيه الحيوانات دون النبات ثم هذه الشهوة لو لم تسكن إذا أخذت مقدار الحاجة أسرفت وأهلكك نفسك فخلق الله لك الكراهة عند الشبع لترك الأكل بها لا كالزورق فانه لا يزال يجتذب الباء إذا انصب في أسفه حتى يفسد فيحتاج إلى آثم فيقدر غداه بقدر الحاجة فيسقيه مرة ويقطع عنه الماء أخرى وكأ خالفت لك هذه الشهوة حتى تأكل فيبقى به يدك خلق لك شهوة الجماع حتى تتجامع فيبقى به نسلك ولو قصصنا عليك مجاب من الله تعالى في خلق الرحم وخلق

لا يدخل في صفة الشيخ إلا بعد علمه بأن الشيخ قد تأديه وتهذيبه وأنه أقوم بالتأديب من غيره ومضى كان عند الريد تطلع إلى شيخ آخر لاتصفو محبته ولا ينفذ القول فيه ولا يستمد باطنه لسراية حال الشيخ إليه فان الريد كلما يغن تفرد الشيخ بالمشيخة عرف فضله وقويت محبته والمجبة والتألف هو الوساطة بين الريد والشيخ وعلى قدر قوة المجبة تكون سراية الحال لأن المجبة علامة التعارف والتعارف علامة الجنسية والجنسية جالبة للريد حال الشيخ أو بعض حاله

دم الحيز وتأليف الجنين من النى ودم الحيز وكيفية خلق الأثنين والعروق السالكة إليها من الفقار الذى هو مستقر النطفة وكيفية انصباب ماء المرأة من التراب بواسطة العروق وكيفية انقسام مقر الرحم إلى قوالب تقع النطفة في بعضها تنتشكّل بشكل الذكور وتعرف في بعضها فتشكّل بشكل الإناث وكيفية إدارتها في أطوار خلقها مضفة وعلقة ثم عظما ولحا ودما وكيفية قسمة أجزائها إلى رأس ويد ورجل وبلطن وظاهر ومائر الأعضاء قضيت من أنواع نعم الله تعالى عليك في مبدأ خلقك كل المعجب فضلا عما تراه الآن ولكنا لسنا نريد أن نعرض إلا لنعم الله تعالى في الأكل وحده كي لا يطول الكلام . فاذن شهوة الطعام أحد ضروب الارادات وذلك لا يكفيك فانه تأنيك الهلكتات من الجوانب فلو لم يخلق فيك الضرب الذى به تدفع كل ما يضاذك ولا يوافقك لبقيت عرصة للآفات ولأخدمتك كل ما حصلته من الغذاء فان كل واحد يشتهى ما في يديك فتحتاج إلى داعية في دفعه ومقاتلته وهى داعية الضرب الذى به تدفع كل ما يضاذك ولا يوافقك ثم هذا لا يكفيك إذ الشهوة والضرب لا يدعوان إلا إلى ما يضر وينفع في الحال وأما في السأل فلا تسكن في هذه الارادة فخلق الله تعالى لك إرادة أخرى مسخرة تحت إشارة العقل للعروف والمواقب كالخلق الشهوات والضرب مسخرة تحت إدارتك الدخس المدرك للحالة الحاضرة تم بها انتفاعك بالعقل إذ كان مجرد للرفة بأن هذه الشهوة مثلا تضررك لا يثبت في الاحتراز عنها ما لم يكن لك مبل إلى العمل بموجب الرفة وهذه الارادة أفردت بها عن البهائم إكراما لبني آدم كما أفردت بحرفة المواقب وقد مينا هذه الارادة باعثا دينيا وفصلنا في كتاب الصبر تفصيلا أوفى من هذا .

### ( الطرف الثالث في نعم الله تعالى في خلق القدرة وآلات الحركة )

اعلم أن الحس لا ينفيد إلا الادراك والارادة لا معنى لها إلا الليل إلى الطلب والحرب وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن فيك آلة الطلب والحرب فك من مريض مشتاق إلى شيء يبغى عنه مدرك له ولكنه لا يمكنه أن يمشى إليه فقد رجه أولا يمكنه أن يتناوله فقد يده أو لقلج وخدر فيها فلا بد من آلات للحركة وقدرة في تلك الآلات على الحركة لتكون حركتها بتنفى الشهوة طلبا وتنفى الكراهية هربا فذلك خلق الله تعالى لك الأعضاء التى تنظر إلى ظاهرها ولا تعرف أسرارها منها هو للطلب والحرب كالرجل للانسان والجناح للطير والقوائم للدواب ومنها ما هو للدفع كالأسلحة للإنسان والقرون للحيوان وفي هذا تختلف الحيوانات اختلافا كثيرا فعنها ما يكثر أعداؤه ويعد غذاؤه فيحتاج إلى سرعة الحركة فخلق له الجناح لطير بسرعة ومنها ما خلق له أربع قوائم ومنها ماله رجلان ومنها ما يذب وذكر ذلك بطول قلند ذكر الأعضاء التى بها يتم الأكل فقط ليقاس عليها غيرها فنقول : رؤيتك الطعام من بعد وحركتك إليه لا تسكنى ما لم تتمكن من أن تأخذه فاخترت إلى آلة باطشة فأتم الله تعالى عليك خلق البدن وهما طولتان ممتدتان إلى الأشياء ومتممتان على مقاصد كثيرة لتحرك في الجهات فتمتد وتنشئ إليك فلا تكون كشعبة منصوبة ثم جعل رأس اليد عرضا فخلق الكف ثم قسم رأس الكف بخمسة أقسام هى الأصابع وجعلها في صفين بحيث يكون الإبهام في جانب ويدور على الأربعة الباقية ولو كانت مجتمعة أو متراكمة لم يحصل بها تمام غرضك فوضعا وضعا إن بسطتها كانت لك حجرة وإن جمعتها كانت لك مفرقة وإن جمعتها كانت لك آلة للضرب وإن شرتها ثم قبضتها كانت لك آلة في القبض ثم خلق لها أظفار وأسند إليها رءوس الأصابع حتى لا تفتت وتحت ثلثتها بها الأصابع الدقيقة التى لا تعوبها الأصابع فأخذها برءوس أظفارها ثم هب أنك أخذت الطعام باليد فمن أين يكفيك هذا ما لم يصل إلى المعدة وهى فى الباطن فلا بد وأن يكون من الظاهر

أخبرنا الشيخ الثقة  
أبو الفتح محمد بن  
سليمان قال أنا أبو الفضل  
حميد قال أنا الحافظ  
أبو نعيم قال تاسليان  
ابن أحمد قال تأسس  
ابن أسلم قال ثنا عتبة  
ابن رزق عن أبي  
أمامة الباهلي عن  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم قال « من علم  
عبدا آية من كتاب  
الله فهو مولا يبنى  
له أن لا يغذله ولا  
يستأثر عليه فمن فعل  
ذلك فقد فسم عروة  
من عرا الاسلام » ومن  
الأدب أن يراعى  
خطرات الشيخ في  
جزئيات الأمور  
وكلياتها ولا يستحقر  
كرهية الشيخ ليعبر

دهليز إليها حتى يدخل الطعام منه فيجمل القم منفذا إلى اللدة مع ما فيه من الحكم الكبيرة سوى  
 كونه منفذا للطعام إلى اللدة ثم إن وضعت الطعام في القم وهو قطعة واحدة فلا يتيسر ابتلاعه فتحتاج  
 إلى طاحونة تقطع بها الطعام فخلق لك اللحين من عظمين وركب فيهما الأسنان وطبق الأخراس  
 العليا على السفلى لنطحن بهما الطعام طحنا ثم الطعام ثارة يحتاج إلى الكسرة وتارة إلى القطع ثم يحتاج  
 إلى طحن بعد ذلك قسم الأسنان إلى عريضة طواحين كالأخراس وإلى جادة قواطع كالرباعيات  
 وإلى ما يصلح للكسر كالآنياب ثم جعل مفصل اللحين متخلخلا بحيث يتقدم الفك الأسفل ويتأخر  
 حتى يدور على الفك الأعلى دوران الرعي ولولا ذلك لما تيسر لأضرب أدمعاه على الآخر مثل تصفيق  
 اليدين مثلا وبذلك لا يمت الطحن فيجمل اللحم الأسفل متحركا كدور يدو اللحي الأعلى ثابتا لا يتحرك  
 فانظر إلى عجب صنع الله تعالى فإن كل رعي منه الخلق فيثبت منه الحجر الأسفل ويدور الأعلى إلا  
 هذا الرعي الذي صنعه الله تعالى إذ يدور منه الأسفل على الأعلى فيسبحانه ما أعظم شأنه وأعز سلطانه  
 وأتم برهانه وأوسع امتنانه ، ثم هب أنك وضعت الطعام في فضاء القم فكيف يتحرك الطعام إلى ما تحت  
 الأسنان أو كيف تستجده الانسان إلى نفسه أو كيف يتصرف باليد في داخل القم فانظر كيف أنعم الله  
 عليك بخلق اللسان فانه يطوف في جوانب القم ويرد الطعام من الوسط إلى الأسنان بحسب الحاجة  
 كالمخرفة التي ترد الطعام إلى الرعي هذا مع ما فيه من فائدة الذوق ومهاج قوة النطق والحكم التي  
 لسانا نطلب بذكرها ، ثم هب أنك قطعت الطعام وطحنه وهو يابس فلا تغدر على الابتلاع إلا بأن  
 يترلق إلى الخلق بنوع رطوبة فانظر كيف خلق الله تعالى تحت اللسان عينا يفيض اللعاب منها  
 وينصب بقدر الحاجة حتى ينحسب به الطعام فانظر كيف سخرها لهذا الأمر فانك ترى الطعام من  
 بعد فيثور الحنكان للخدمة وينصب اللعاب حتى تحلب أشداقك والطعام بعد بيد عنك ثم هذا  
 الطعام الطحون للتعين من يوصله إلى اللدة وهو في القم ولا تغدر على أن تدفعه باليد في اللدة  
 حتى تمتد فنجذب الطعام فانظر كيف هيأ الله تعالى للرعي والحجرة وجعل على رأسها طبقات تتفتح  
 لأخذ الطعام ثم تنطبق وتنضغط حتى يتقلب الطعام بضغطه فيهبوي إلى اللدة فيدهليز للرعي فاذا ورد  
 الطعام على اللدة وهو خبز وفاكهة مقطعة فلا يصلح لأن يصير لحما وعظما ودما على هذه الهيئة بل  
 لابد وأن يطبخ طبخا تاما حتى تتشابه أجزاؤه فخلق الله تعالى اللدة على هيئة قدر فيقع فيها الطعام  
 فتحوى عليه وتعلق عليه الأبواب فلا يزال لا يثا فيها حتى يتم الهضم والنضج بالحرارة التي تحيط باللدة  
 من الأعضاء الباطنة إذ من جانبها الأيمن الكبد ومن الأيسر الطحال ومن قدامها التراب ومن خلف  
 لحم الصلب فتعدى الحرارة إليها من تسخين هذه الأعضاء من الجوانب حتى يطبخ الطعام ويصير  
 ما نأما متشابها يصلح للغذاء في تجاويف العروق وعند ذلك يشبه ماء الشعير تشابه أجزائه وروقه وهو  
 بعد لا يصلح للتغذية فخلق الله تعالى بينها وبين الكبد مجارى من العروق وجعل لها فوهات كثيرة  
 حتى ينصب الطعام فيها فينتهي إلى الكبد والكبد معجون من طينة الدم حتى كأنه دم وفيه  
 عروق كثيرة شمعية منتشرة في أجزاء الكبد فينصب الطعام الرقيق النافذ فيها وينتشر في أجزائها  
 حتى تستولى عليه قوة الكبد فتصفه بلون الدم فيستقر فيها ريشا يحصل له نضج آخر ويحصل له  
 هيئة الدم الصافي الصالح لغذاء الأعضاء إلا أن حرارة الكبد هي التي تنضج هذا الدم فتولد من  
 هذا الدم فضلتان كما يتولد في جميع ما يطبخ إحداها شبيهة بالبردى والعكر وهو الخاط السوداوي  
 والأخرى شبيهة بالرغوة وهي الصفراء ولو لم تفصل عنها الفضلتان فسد مزاج الأعضاء فخلق  
 الله تعالى الحرارة والطحال وجعل لكل واحد منهما عنقا ممدودا إلى الكبد داخلا في تجويفه

حركاته معتمدا على  
 حسن خلق الشيخ  
 وكمال حله ومداراه.  
 قال إبراهيم بن شيان  
 كنا نصحب أبا عبد الله  
 للبرقي ونحن شبان  
 وسافر بنا في البراري  
 والغلات وكان معه  
 شيخ اسمه حسن وقد  
 صبه سبعين سنة  
 فكان إذا جرى من  
 أحدهما خطأ وتسير  
 عليه حال الشيخ  
 تشفع إليه بهذا  
 الشيخ حتى يرجع لنا  
 إلى ما كان . ومن  
 أدب للرديع الشيخ  
 أن لا يستقل بوقائه  
 وكشفه دون مراجعة  
 الشيخ فان الشيخ  
 علمه أوسع وبابه  
 الفتوح إلى الله أكبر

فتجذب للرارة الفضلة الصفراوية ويجذب الطحال المكر السوداوى فيبقى الدم صائلا ليس فيه إلا زيادة رقة ورطوبة لحافيه من اللينة ولولاها لما انتشر في تلك المروق الشعرية وأخرج منها متصاعدا إلى الأعضاء غلق الله سبحانه السكتين وأخرج من كل واحدة منهما عنفا طويلا إلى السكبد ومن عجائب حكمة الله تعالى أن عظمها ليس داخلًا في تجويف السكبد بل متصل بالمروق الطالعة من حدة السكبد حتى يجذب ما يلبا بعد الطلوع من المروق الدقيقة التي في السكبد إذ لو اجتنبت قبل ذلك لفلط ولم يخرج من المروق فإذا انفصلت منه اللينة قد صار الدم صافيا من الفضلات الثلاث بقيا من كل ما يغسد النماء، ثم إن الله تعالى أطلع من السكبد عروقا ثم قسمها بعد الطلوع أقساما وشعب كل قسم شعب وانتشر ذلك في البدن كله من الفرق إلى القدم ظاهرا وباطنا فيجري الدم الصافي فيها ويصل إلى سائر الأعضاء حتى تصير المروق للنقمة شعرية كمروق الأوراق والأشجار بحيث لا يندرك بالابصار فيصل منها الغذاء بالرشح إلى سائر الأعضاء ولوحلت بالمرارة آفة فلم تجذب الفضلة الصفراوية قدس الدم وحصل منه الأمراض الصفراوية كاليرقان والبثور والحمرة وإن حلت بالطحال آفة فلم يجذب الحائط السوداوى حدثت الأمراض السوداوية كالبيق والجذام والليخوليا وغيرها وإن لم تندفع اللينة نحو السكى حدث منه الاستسقاء وغيره، ثم انظر إلى حكمة القاطر الحكيم كيف رتب النافع على هذه الفضلات الثلاث الحسيسة أما الرارة فاتها تجذب بأحد عتيقها وتقذف بالعتق الآخر إلى الأمعاء ليحصل له في ثقل الطعام رطوبة مزقة ومعدت في الأمعاء لنزع يحركها فتدفع فتضغط حتى يندفع الثقل وينزلق وتكون مغرته لذلك وأما الطحال فانه يحيل تلك الفضلة إحالة يحصل بها فيه حموضة وقبض ثم يرسل منها كل يوم شيئا إلى فم المعدة فيحرك الشهوة بجموحته ويذهبها ويثيرها ويخرج الباقي مع الثقل وأما السكية فاتها تقتنى بما في تلك اللينة من دم وترسل الباقي إلى اللينة ولتقتصر على هذا القدر من بيان نعم الله تعالى في الأسباب التي أعدت للأكل ولو ذكرنا كيفية احتياج السكبد إلى القلب والدماغ واحتياج كل واحد من هذه الأعضاء الرئيسية إلى صاحبه وكيفية انشعاب المروق الضوارب من القلب إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الحسى وكيفية انشعاب المروق السواكن من السكبد إلى سائر البدن وبواسطتها يصل الغذاء ثم تركب الأعضاء وعدد عظامها وعضلاتها وعروقها وأوتارها ورباطاتها وغضاريفها ورطوباتها لطلال السلام وكل ذلك محتاج إليه للأكل والأمور أخر سواه بل في الأدمى آلاف من العضلات والمروق والأعصاب بخلافه بالصغر والكبر والدقة والغلظ وكثرة الانقسام وقلته ولا شيء منها إلا وفيه حكمة أو اثنتان أو ثلاث أو أربع إلى عشر وزيادة وكل ذلك نعم من الله تعالى عليك لو سكن من جلته عرق متحرك أو غير عرق ساكن لهلكت بامسكين قاطر إلى نعمة الله تعالى عليك أولا لتقوى بعدها على الشكر فانك لا تعرف من نعمة الله سبحانه إلا الأكل وهو أخسها ثم لا تصرف منها إلا أنك تجوع فأأكل والحمار أيضا يعلم أنه يجوع فيأكل ويتعب فينام ويشهى فيجاءع ويستنهض فينهض ويرمع فإذا لم تعرف أنت من نفسك إلا ما يعرف الحمار فكيف تقوم بشكر نعمة الله عليك وهذا الذي رمزنا إليه على الإجازة قطرة من بحر واحد من بحار نعم الله قطب نفس على الاجمال ما أهملناه من جملة ما عرفناه محذرا من التطويل ووجهه ما عرفناه وعرضه الخلق كلهم بالإضافة إلى ما لم يعرفوه من نعم الله تعالى أقل من قطرة من بحر الآن من نعم شيئا من هذا أفدرك فحتمن معاني قوله تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - ثم انظر كيف ربط الله تعالى قوام هذه الأعضاء وقوام مناضها وادراكها وقواها بخيار لطيف يتساعد من الأخلاط الأربعة ومستقره القلب ويسرى في جميع البدن بواسطة المروق الضوارب فلا ينهى إلى جز من أجزاء البدن

فإن كان واقعة للريد  
من الله تعالى بواقعه  
الشيخ وبعضها له  
وما كان من عند الله  
لا يختلف وإن كان  
فيه شبه نزول شبهة  
الواقعة بطريق الشيخ  
ويكتب للريد  
علا بصحة الواقع  
والكشوف فالريد  
له في واقعه بخامره  
كون إرادة في النفس  
فيشكك كون الإرادة  
بالواقعة منما كان  
ذلك أوبقطة ولهذا  
سر عجيب ولا يقوم  
للريد باستكمال شأفه  
السكن في النفس  
وإذا ذكره فليشيخ في  
في الريد من كون  
إرادة النفس مفقود  
في حق الشيخ فإن

إلا وحدث عند وصوله في تلك الأجزاء ما يحتاج إليه من قوة حس وإدراك وقوة حركة وغيرها كالسراج الذي يدار في أطراف البيت فلا يصل إلى جزء إلا ويحصل بسبب وصوله من كل أجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سبباً له عكسته وهذا البخار اللطيف هو الذي يسمى الأظفار الروح وعمله القلب ومثاله جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة والهم الأسود الذي في باطن القلب له كالفتيلة والقضاء له كالزيت والحياة الظاهرة في سائر أعضاء البدن بسببه كالنور للسراج في حجرة البيت وكان أن السراج إذا انقطع زيته انطفأ فسراج الروح أيضاً ينطفئ\* مهما انقطع غذاءه وكان القلب قد تحرق فتصير رماذا بحيث لا تنبل الزيت فينطفئ\* السراج مع كثرة الزيت فكذلك الهم الذي تشتت به هذا البخار في القلب قد تحرق بخرط حرارة القلب فينطفئ\* مع وجود القضاء فإنه لا يخبث القضاء الذي يبقى به الروح كما لا يخبث الرماد الزيت قبولاً تشتت النار به وكان أن السراج تارة ينطفئ\* بسبب من داخل كما ذكرناه وتارة بسبب من خارج كريح عاصف فكذلك الروح تارة تنطفئ\* بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكان أن القضاء السراج بفناء الزيت أو جفاف الفتيلة أو بريح عاصف أو بإطفاء إنسان لا يكون إلا بسبب مقدرة في علم الله مرتبة ويكون كل ذلك بقدر فكذلك انطفاء الروح وكان أن القضاء السراج هو منتهى وقت وجوده فيكون ذلك أجله الذي أجل له في أم الكتاب فكذلك انطفاء الروح وكان السراج إذا انطفأ أظلم البيت كله فالروح إذا انطفأ أظلم البدن كله وفارقه أنوار التي كان يستضيئها من الروح هي أنوار الاحساسات والقدرة والارادات وسائر ما يحسها معنى لفظ الحياة فهذا يضار مزوجيز إلى عالم آخر من عوالمهم الله تعالى ومحجابه منعه وحكته يعلم أنه لو كان الحرمداد لكلمات رب في هذا البحر قبل أن تنفذ كلمات رب - عز وجل فتصا لمن كفر بالله تصا وسحقاً لمن كفر نعمت سبحانه فان قلت قد وصفت الروح ومثله رسول الله ﷺ ومثل عن الروح فلم يرد عن أن قال - قل الروح من أمر رب - (١) فلم يصفه لهم على هذا الوجه . فاعلم أن هذه غفلة عن الاشتراك الواقع في لفظ الروح فان الروح يطلق لعمان كثيرة لا تطول بذكرها ونحن إنما وصفنا من جعلها جسماً لطيفاً يسمى الأظفار والروح وقد عرفوا صفته ووجوده وكيفية سريانه في الأعضاء وكيفية حصول الاحساس والقوى في الأعضاء به حتى إذا خدر بعض الأعضاء علواً أن ذلك لوقوع سدة في مجرى هذا الروح فلا يالجون موضع الحد بل منابت الأعصاب ومواقع السدة فيها ويالجونها بما يفتح السدة فان هذا الجسم بلطفه يتنفذ في شباك العصب وبواسطته يتأذى من القلب إلى سائر الأعضاء وبارقى إليه معرفة الأظفار فأمر رسول نازل . وأما الروح التي هي الأصل وهي التي إذا فسدت فسد لها سائر البدن فذلك سر من أسرار الله تعالى لم نصفه ولا رخصة في وصفه إلا بأن يقال هو أمر رباني كما قال تعالى - قل الروح من أمر رب - والأمور الربانية لا تختمل العقول وصفها بل تتجبر فيها عقول أكثر الخلق وأما الأوهام والخيالات فقاصرة عنها بالضرورة قصور البصر عن إدراك الأصوات وتزول في ذكر بادي وصفها بما عاقد العقول القيدة بالجوهر والعرش المحبوسة في منصفها فلا يدرك العقل شيء من وصفه بل ينور آخر أظلاله وأشرف من العقل يشرق ذلك النور في عالم النبوة والولاية فيسببه إلى العقل نسبة العقل إلى الوجود والخيال وقد خالق الله تعالى الخلق أطواراً فكما يدرك الصي المحسوسات ولا يدرك العقول لأن ذلك طور لم يسله بعد فكذلك يدرك البالغ العقول ولا يدرك ما وراءها لأن ذلك طور لم يسله بعد

كان من الحق يتبرهن بطريق الشيخ وإن كان ينزع واقته إلى كون هوى النفس نزول وتبرأ ساحة للريد ويتحمل الشيخ مثل ذلك لقوة حاله وحمة إيوائه إلى جناب الحق وكلام معرفته ومن الأدب مع الشيخ أن الريد إذا كان له كلام مع الشيخ في شيء من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستجيب بالإقدام على مكالمة الشيخ والمجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولجع كلامه وقوله متفرغ فكأن له دعاء أوقاتاً وآداباً وشروطاً لأنه مخاطبة الله تعالى

(١) حديث أنه سئل عن الروح فلم يرد على أن قال الروح من أمر ربى متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم في شرح محجبات القلب .

وإنه لهام شريف ومشرب عذب ورتبة عالية فيها يلحظ جناب الحق بنور الإيمان واليقين وذلك للشرب أعم من أن يكون شربة لكل وارء بل لا يطلع عليه إلا واحد بعد واحد ولباب الحق صدر وفي مقدمة الصدر مجال وميدان رحب وعلى أول اللبدان عتبة هي مستقر ذلك الأمر الرباني فمن لم يكن له على هذه العتبة جواز ولا لحاظ التبة مشاهدة لستحال أن يصل اللبدان فكيف بالانتهاء إلى ماوراءه من للشاهدات العالية وذلك قبل من لم يعرف نفسه لم يعرف ربوأن يصادف هذا في خزانة الأطباء ومن أين للطبيب أن يلتقطه بل للعنى للسعى روحا عند الطبيب بالإضافة إلى هذا الأمر الرباني كالكسرة التي يحركها صولجان لللك بالإضافة إلى لللك فمن عرف الروح الطبي فظن أنه أدرك الأمر الرباني كان كمن رأى الكسرة التي يحركها صولجان لللك فظن أنه رأى لللك ولا يشك في أن خطاه فاحصى وهذا الخطأ أغشى منه جدا ولما كانت القول التي بها يحصل التكليف وبها تدرك مصالح الدنيا عقولا قاصرة عن ملاحظة كنه هذا الأمر لم يأذن الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم أن يتحدث عنه بل أمره أن يكلم الناس على قدر عقولهم ولم يذكر الله تعالى في كتابه من حقيقة هذا الأمر شيئا ولكن ذكر نسبته ونسبه ولم يذكر ذاته أما نسبت في قوله تعالى - من أمر ربى - وأما نسبه فقد ذكر في قوله تعالى - يأيتها النفس اللطمة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى في عبادى وادخلنى جنى - ولترجع الآن إلى الترض فان التصود ذكر ثم الله تعالى في الأكل قد ذكرنا بسن ثم الله تعالى في آلات الأكل .

( الطرف الرابع: في ثم الله تعالى في الأصول التي يحصل منها الأطعمة )

وتصير صالحة لأن يصلحها الأذى بعد ذلك جهنمه )

اعلم أن الأطعمة كثيرة وفيه تعالى في خلقها عجائب كثيرة لأغصى وأسابم موابلة لانتهاهى وذكر ذلك في كل طعام مما يطول فان الأطعمة إما أدوية وإما فواكه وإما أغذية فتأخذ الأغذية فانها الأصل ولتأخذ من جعلتها حبة من البر وقطع سائر الأغذية فتقول : إذا وجدت حبة أو حبات فلو أكلتها فبیت وقبیت جانبا فما أحوجك إلى أن تموا الحبة في نفسها وتزيد وتضاعف حتى تنق بتمام حاجتك خلق الله تعالى في حبة الحنطة من القوى ما يتخذى به كما خلق فيك فان النبات إنما يشارك في الحس والحركة ولا يخالفك في الاعتداء لأنه يتخذى بالماء ويجتنب إلى باطنه بواسطة العروق كما تتخذى أنت وتجتنب ولنا نعلم في ذكر آلات النبات في اجتذاب الغذاء إلى نفسه ولكن تشرب إلى غذائه . فتقول : كما أن الحب والتراب لا يذهبك بل تحتاج إلى طعام مخصوص فكذلك الحبة لا تتخذى بكل شيء بل تحتاج إلى شيء مخصوص بدليل أنك لو تركتها في البيت لم تزد لأنه ليس يحيط بها إلا هواء ومجرد الهواء لا يصلح لتغذائها ولو تركتها في الماء لزدولت وتركها في أرض لأماء فيها لم تزد بل لابد من أرض فيها ماء يمزج ماؤها بالأرض فيصير طيناً وإليه الإشارة بقوله تعالى - فلينظر الإنسان إلى طعامه أنا صبينا للماء صبا ثم شققنا الأرض شقا فأنبثنا فيها حبا وعناوقبازوتونا ونخللا - ثم لا يكفى للماء والتراب إذ لو تركت في أرض ندية صلبة مترا كسمة لم تثبت لتعد الهواء فيحتاج إلى تركها في أرض رخوة متخلقة يتنقل الهواء إليها ثم الهواء لا يتحرك إليها بنفسه فيحتاج إلى ريح تحرك الهواء وتضربه بهجر وعنف على الأرض حتى ينفذ فيها وإليه الإشارة بقوله تعالى - وأرسلنا الرياح لواقص - وإنما إلحاقها في إيقاع الازدواج بين الهواء والماء والأرض ثم كل ذلك لا يثبتك لو كان في برد مفرط وشتاء شات فيحتاج إلى حرارة الريح والصف قد بان احتياج غذائه إلى هذه الأربعة فانظر إلى ماذا يحتاج كل واحد إذ يحتاج للماء لينساق

فقطولمع الشيخ أيضا  
آداب وشروط لأنمن  
معاملة الله تعالى ويسأل  
الله تعالى قبل الكلام  
مع الشيخ التوفيق  
لما يجب من الأدب  
وقد نهى الحق سبحانه  
وتعالى على ذلك فبأمر  
به أصحاب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم في  
محاطبة فقال - يا أيها  
الذين آمنوا إذا ناجيتم  
الرسول قدموا بين  
يديكم سجدة  
بني أمام مناجاتكم  
قال عبد الله بن عباس  
سأل الناس رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
فأكثروا حتى شقوا  
عليه وأخفوه بالمسكة  
فأدبهم الله تعالى  
وفطمهم عن ذلك

إلى أرض الزراعة من البحار والعيون والأنهار والسواقي فانظر كيف خلق الله البحار والبحار والعيون وأجرى منها الأنهار ثم الأرض ربما تكون مرصعة واليه لا ترتفع إليها فانظر كيف خلق الله تعالى النجوم وكيف سلط الرياح عليها لتسوقها بآذنه إلى أقطار الأرض وهي سحب تقال حوامل بالماء ثم انظر كيف رسمه مدارا على الأرض في وقت الربيع والخريف على حسب الحاجة وانظر كيف خلق الجبال حافظا للقيام تنبج منها العيون تدريجا فلو خرجت دفعة لفرقت البلاد وهلك الزرع واللواشي ونعم الله في الجبال والسياب والبحار والأمطار لا يمكن إحضاؤها وأما الحرارة فأنها لا تحصل بين الماء والأرض وكلاهما باردان فانظر كيف سخر الشمس وكيف خلقها مع جدها عن الأرض مسخنة للأرض في وقت دون وقت ليحصل البرد عند الحاجة إلى البرد والحر عند الحاجة إلى الحر فهذه إحدى حكم الشمس والحكم فيها أكثر من أن تحصى ثم النبات إذا ارتفع عن الأرض كان في الفواكه اعتقاد وصلابة فتفتقر إلى رطوبة فتضجها فانظر كيف خلق القمر ووجده من خاصيته الترطيب كما جعل من خاصية الشمس التسخين فهو ينضج الفواكه وجبها بتقدير الفطر الحكيم ولذلك لو كانت الأشجار في ظل يمنع شروق الشمس والقمر وسائر الكواكب عليها لكانت فاسدة نافسة حتى إن الشجرة الصغيرة تفسد إذا ظللتها شجرة كبيرة وتعرف ترطيب القمر بأن تكشف رأسك له بالليل فتظلم على رأسك الرطوبة التي يصر عنها بالزكام فكما يرطب رأسك يرطب القاكهة أيضا ولا تطول فيها لاطمع في استقصائه بل شول كل كوكب في السماء قد سخر لنوع فائدة كما سخرت الشمس للتسخين والقمر لترطيب فلا يغلو واحد منهما عن حكم كثيرة لا تفي قوة البشر بأحسانها ولو لم يكن كذلك لكان خلقها عبثا وباطلا ولم يصح قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا - وقوله عز وجل - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا سبعين - وكما أنه ليس في أعضاء بدنك عضو إلا لفائدة فليس في أعضاء بدن العالم عضو إلا لفائدة والعالم كله كعضو واحد وآحاد أجسامه كالأعضاء له وهي متعاونة تعاون أعضاء بدنك في جملة بدنك وشرح ذلك بطول ولا ينبغي أن تظن أن الإيمان بأن النجوم والشمس والقمر مسخرات بأمر الله سبحانه في أمور جعلت أسبابا لها بحكم الحكمة مخالف للشرح لما ورد فيه من النهي عن تصديق النجميين وعن علم النجوم (١) بل للنهي عنه في النجوم أمران : أحدهما أن تصدق بأنها فاعلة لآثارها مستقلة بها وأنها ليست مسخرة تحت تدبير مدبر خلقها وقهرها وهذا كفر . والثاني تصديق النجميين في تفصيل ما يخبرون عنه من الآثار التي لا يشترك كافة الخلق في دركها لأنهم يقولون ذلك عن جهل فإن علم أحكام النجوم كان معجزة لبعض الأنبياء عليهم السلام ثم اندرس ذلك العلم فلم يبق إلا ما هو مختلط لا يتميز فيه الصواب عن الخطأ فاعتقاد كون الكواكب أسبابا لآثار تحصل بخلق الله تعالى في الأرض وفي النبات وفي الحيوان ليس قادحا في الدين بل هو حق واسكن دعوى العلم بذلك الآثار على التفصيل مع الجهل قاذح في الدين ولذلك إذا كان معك ثوب غسسته وتربده نجفقه فقال لك غيرك أخرج الثوب وابسطه فإن الشمس قد طلعت وحى النهار والهواء لا يلزمك تكذيبه ولا يلزمك الإنكار عليه بحوائثه حمى

(١) حديث الترمذي عن تصديق النجميين وعن علم النجوم أبو داود وابن ماجه بسند صحيح من حديث ابن عباس من اقتبس علما من النجوم اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد ولا تطرا من حديث ابن مسعود وثوبان إذا ذكر النجوم فأمسكوا وإسنادها ضيف وقد تقدم في العلم ولمسلم من حديث معاوية بن الحكم السلمي قال قلت لرسول الله أمورا كنا نصنعها في الجاهلية كنا نأتى السكبان قال فلا تأتوا السكبان الحديث .

وأمرهم أن لا يناجوه حتى يقدموا صدقة وقيل كان الأغنياء يأتون النبي عليه السلام ويطلبون الفقراء على المجلس حتى كره النبي عليه السلام طول حديثهم ومناجاتهم فأمر الله تعالى بالصدقة عند الحاجة فلا رأوا ذلك انتهوا عن مناجاته فأما أهل الصرة فلا منهم لم يجدوا شيئا وأسأله اليسرة فدخلوا ومنعوا فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وزلت الرخصة وقال تعالى - أشفقت أن تقدموا بين يدي نجواكم صدقات - وقيل لما أمر الله تعالى بالصدقة

الهواء على طالع الشمس وإذا سألت عن تغيير وجه الإنسان قال قرعتني الشمس في الطريق فأسود وجهي لم يلمسك تسكينه بذلك وقس بهذا سائر الآثار إلا أن الآثار بعضها معلوم وبعضها مجهول فالمجهول لا يجوز دعوى العلم فيه والمعلوم بضه معلوم للناس كافة كحصول الشتاء والحرارة بطالع الشمس وبضه لبعض الناس كحصول الزكام جروق القمر فاذن الكواكب ما خلقت عبثاً بل فيها حكم كثيرة لأعمى ولهذا «نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السماء وقرأ قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتل عذاب النار - ثم قال صلى الله عليه وسلم : ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبكه» ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضاً فمن قطع منه بمنفعة ذلك فهو الذي مسح بها سبكه لله تعالى في ملكوت السموات والآفاق والأرض والحيوانات جهات يطلب معرفتها المحبون لله تعالى فإن من أحب عالماً فلا يزال مشغولاً يطلب خصائفه ليزداد بمزيد الوقوف على جهات علمه سبحانه فكذلك الأمر في جهات صنع الله تعالى فإن العالم كله من تصنيفه وتصنيف الصنفين من تصنيفه الذي صنعه بواسطة قلوب عباده فإن تصبغت من تصنيفه للصنفين من تصنيفه بل من الذي سخر الصنف لتصنيفه بما أنعم عليه من هدايته وتربيته وتعميره كما إذا رأيت لعب الشعوذة ترقص وتتحرك حركات موزونة متتابعة فلا تصحب من اللعب فإنها خرق محركة لا متحركة ولكن تصب من خلق الشعوذة الحركة لها بروابط دقيقة خفية عن الأبصار فاذن للتصوّدان غذاء النبات لا يتم إلا بالهواء والهواء والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك إلا بالأنفلاك التي هي مركوزة فيها ولا يتم الأنفلاك إلا بحركاتها ولا يتم حركاتها إلا بعلاصة سبابة بحركاتها وكذلك يتأدى ذلك إلى أسباب بيّنة تركناها ذكرها تنبيهاً بما ذكرناه على ما علمناه ولتقتصر على هذا من ذكر أسباب غذاء النبات .

( الطرف الخامس : في نعم الله تعالى في الأسباب للوصلة للأطعمة إليك )

اعلم أن هذه الأطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لأجلها توجد في بعض الأماكن دون بعض والناس منتشرون على وجه الأرض وقد تبعدهم عنهم الأطعمة وعول بينهم وبينها البعاد والبراري فانظر كيف سخر الله تعالى التجارة وسلط عليهم حرص حبّ الدال وشهوة الربح مع أنهم لا يشعرون في غالب الأمر شيء بل يعمدون فلما أن خرق بها السفن أوتيتها قطاع الطريق أو عوتوا في بعض البلاد فأخذها السلاطين وأحسن أحوالهم أن يأخذوها ورتبهم وهم أخذ أعدائهم لوعرفوا ، فانظر كيف سلط الله الجهل والفتنة عليهم حتى يقاسوا الشدائد في طلب الربح ويركبوا الأخطار ويغرروا بالأرواح في ركوب البحر فيحملون الأطعمة وأنواع الحوائج من أقصى الشرق والغرب إليك وانظر كيف علمهم الله تعالى صناعة السفن وكيفية الركوب فيها وانظر كيف خلق الحيوانات وسخرها للركوب والحمل في البراري وانظر إلى الأبل كيف خلقت وإلى القرس كيف أمدت بسرعة الحركة وإلى الحمار كيف جعل صورا على الثوب وإلى الجمال كيف قطع البراري وتطوى للراحل تحت الأعباء الثقيلة على الجوع والعطش وانظر كيف سيرهم الله تعالى بواسطة السفن والحيوانات في البر والبحر ليحملوا إليك الأطعمة وسائر الحوائج وتأمل ما يحتاج

(١) حديث قرأ قوله تعالى - ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقتل عذاب النار - ثم قال ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبكه أي ترك تأملها التعلي من حديث ابن عباس بلقط ولم يشكر فيها وفيه أبو جناب يحيى بن أبي حبة ضعيف .

لم يباح رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على ابن أبي طالب قدم ديناراً فصدق به وقال على في كتاب الله آية ما عمل بها أحد قبل ولا يعمل بها أحد بعدى وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية دعا علياً وقال ما ترى في الصدقة كم تكون ديناراً قال على لا يطينونه قال كم قال على تكون حبة أو شعيرة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لو هددت ثم نزلت الرخصة ونسخت الآية وما نبه الحق عليه بالأمر بالصدق وموافقه من حسن الأدب وتقييد اللفظ والاحترام

إليه الحيوانات من أسبابها وأدواتها وعلفها وما تحتاج إليه السفن قد خلق الله تعالى جميع ذلك إلى حد الحاجة وفوق الحاجة وإحصاء ذلك غير ممكن ويتعاضد ذلك إلى أمور خارجة عن المحضر نرى تركها طلباً للإيجاز .

### ( الطرف السادس : في إصلاح الأطعمة )

اعلم أن الذي يثبت في الأرض من النبات وما خلق من الحيوانات لا يمكن أن يغضم ويؤكل وهو كذلك بل لابد في كل واحد من إصلاح وطبخ وتركيب وتنظيف بإلقاء البعض وإبقاء البعض إلى أمور آخر لأخصى واستقصاء ذلك في كل طعام يطول فلتعين رغيفاً واحداً ولننظر إلى ما يحتاج إليه الرغيف الواحد حتى يستدير ويصلح للأكل من بدائعه البذر في الأرض فأول ما يحتاج إليه الحراث ليزرع ويصلح الأرض ثم الثور الذي يجر الأرض والقدان وجميع أسبابه ثم بعد ذلك الصعد بسقي الماء مدة ثم تنقية الأرض من الحشيش ثم الحصاد ثم القربك والتنقية ثم الطحن ثم العجن ثم الخبز فامل عدد هذه الأفعال التي ذكرناها وما لم نذكره وعدد الأشخاص القائمين بها وعدد الآلات التي تحتاج إليها من الحديد والخشب والجحر وغيره وانظر إلى أعمال الصناع في إصلاح آلات الحراث والطحن والخبز من نجار وحداد وغيرهما وانظر إلى حاجة الحداد إلى الحديد والراس والنحاس وانظر كيف خلق الله تعالى الجبال والأحجار والمعادن وكيف جعل الأرض قطعاً متجاورات مختلفة ، فإن قشقت عنت أن رغيفاً واحداً لا يستدير بحيث يصلح لأكله يمسكين ما لم يعمل عليه أكثر من ألف صانع فابتدئ من الملك الذي يرعى السحاب لينزل الماء إلى آخر الأعمال من جهة للانشكة حتى تنتهي التوبة إلى عمل الإنسان ، فإذا استدار طلبه قريب من سبعة آلاف صانع كل صانع أصل من أصول الصانع التي بها تتم مصلحة الخلق ، ثم تأمل كثرة أعمال الإنسان في تلك الآلات حتى إن الآلة التي هي آلة صغيرة فاعادتها خياطة القابس الذي يمتع البرد عنك لا تسلك صورتها من حديد تصنع الآلة لا بد أن تمر على يد الأبري خمساً وعشرين مرة ويتماطى في كل مرة منها عملاً ، فأولم يجمع الله تعالى البلاد ولم يسخر البلاد واقتوت إلى عمل النبل الذي تصعد به البر مثلاً بعد نيابة لفد حمره ومجزت عنه . ألا ترى كيف هدى الله عبده الذي خلقه من نقطة فقرة لأن يعمل هذه الأعمال الصغيرة الصانع القرية فانتظر إلى القراض مثلاً ولها جفان متطابقتان ينطبق أحدهما على الآخر فيقتالان الشيء مما ويقطعانه بسرعة ولولم يكشف الله تعالى طريق أخافه فضله وكرمه لمن قبلنا واقتربنا إلى استنباط الطريق فيه بفكرتنا ثم إلى استخراج الحديد من الحجر وإلى تحصيل الآلات التي بها يعمل القراض وعمر الواحد منا عمر نوح وأو أن أكل القول تقصر عمره عن استنباط الطريق في إصلاح هذه الآلة وحدها فضلاً عن غيرها ، فسيحان من ألحق ذوى الأبصار بالعيان وسيحان من منع التبيين مع هذا البيان . فانتظر الآن لو خلا بلك عن الطحان مثلاً أو عن الحداد أو عن الخياط الذي هو أخس العمال أو عن الخائف أو عن واحد من جملة الصناع ماذا يصيبك من الأذى وكيف تضطرب عليك أمورك كلها ، فسيحان من سخر بعض البلاد لبعض حتى تفتت به مشيته وتمت به حكمته . ولنوثر القول في هذه الطبقة أيضاً فإن القرض التنبيه على التمسك دون الاستقصاء .

### ( الطرف السابع : في إصلاح الصالحين )

اعلم أن هؤلاء الصناع الصالحين للأطعمة وغيرها لو تفرقت آراؤهم وتافرت طبائعهم تافرت طبعها لو حش لتبدوا وتباعدا ولم يتفق بعضهم بعض بل كانوا كالوحوش لا يحوبهم مكان واحد ولا يجمعهم غرض واحد ، فانظر كيف آلف الله تعالى بين قلوبهم وسلط الأنس والمهبة عليهم لو أخفت ما في الأرض جميعاً

مانسح ، والقائدة  
باقية . أخبرنا الشيخ  
الثقة أبو الفتح محمد  
ابن سلمان قال أنا  
أبو الفضل أحمد قال  
أنا الحافظ أبو نعيم  
قال حدثنا سلمان  
ابن أحمد قال حدثنا  
مطلب بن شبيب قال  
حدثنا عبد الله بن صالح  
قال ثنا ابن لمية  
عن أبي قبيل عن  
عبادة بن الصامت قال  
سمعت رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
يقول وليس منا من  
لم يعمل كبيراً ويرحم  
صغيراً ويعرف لعالمنا  
حقه فاحترام العلماء  
توفيق وهداية وإلهام  
ذلك خذلان وعقوق .

ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم - فلاجل الإلف وتعارف الأرواح اجتمعوا واشتقوا ونوا للذن والبلاد وربوا الساكن والدور متقاربة متجاورة وربوا الأوقاق والحانات وسائر أصناف البقاع مما يطول إحساؤه ثم هذه الحبة تزول بأغراض يترامحون عليها ويتنافسون فيها في جيلة الإنسان النفيظ والحمد وللنافة وفيك مما يؤدي إلى التناثر والتنافر فانظر كيف ساطق الله تعالى السلاطين وأدمم بالقوة والعدة والأسباب وألقى عليهم في قلوب الرعايا حتى أذعنوا لهم طوعا وكراهيا كيف هدى السلاطين إلى طريق إصلاح البلاد حتى ربوا أجزاء البلد كأنها أجزاء شخص واحد تعاون على غرض واحد ينتفع البعض منها البعض فربوا الرؤساء والقضاة والسجن وزعماء الأسواق واضطروا إلى الخلق إلى قانون العدل وأقرمهم التساعدا والتعاون حتى صار الحداد ينتفع بالخصاب والحجاز وسائر أهل البلد وكلهم ينتفعون بالحداد وصار الحجاب ينتفع بالحراث والحراث بالحجاب وينتفع كل واحد بكل واحد بسبب ترتيبهم واجتماعهم وانضباطهم تحت ترتيب السلطان وجمعه كما تعاون جميع أعضاء البدن وينتفع بعضها ببعض وانظر كيف بث الأنبياء عليهم السلام حتى أصلحو السلاطين الصالحين الرعايا عرّفهم قوانين الشرع في حفظ العدل بين الخلق وقوانين السياسة في ضبطهم وكشفوا من أحكام الإمامة والسلطنة وأحكام القضاة ما اعتدوا به إلى إصلاح الدنيا فضلا عما أرشدوهم إليه من إصلاح الدين وانظر كيف أصلح الله تعالى الأنبياء باللائكة وكيف أصلح لللائكة بعضهم بعض إلى أن ينتهي إلى الملك القرب الذي لا واسطة بينه وبين الله تعالى فالجياز يغيز الجبين والطعان يصلح الحب بالطن والحراث يصلح الحصاد والحداد يصلح آلات الحراثة والتجار يصلح آلات الحداد وكذا جميع أرباب الصناعات الصالحين والآلات والأطعمة والسلطان يصلح الصنائع والأنبياء يصلحون العلماء الذين هم ورثتهم العلماء يصلحون السلاطين واللائكة يصلحون الأنبياء إلى أن ينتهي إلى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف وكل ذلك ثم من رب الأرباب ومسبب الأسباب ولولا فضله وكرمه إذ قال تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا - لما اعتدنا إلى معرفة هذه البذة البسيرة من نعم الله تعالى ولولا عزله إيانا عن أن نطمع بعين الطمع إلى الإحاطة بكنهه نعمه لنشوقنا إلى طلب الإحاطة والاستقصاء ولكنه تعالى عزنا بحكم القهر والقدرة فقال تعالى - وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها - فان تكلمنا فإذنه أنبسطنا وإن سكنا فبقهره اقتضاه إذ لا مغطى لما منع ولا مانع لما أعطى لأننا في كل لحظة من لحظات العمر قبل الموت نسمع بنعم القلوب نداء الملك الجبار - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار - فالحمد لله الذي ميزنا عن الكفار وأصمنا هذا النداء قبل انقضاء الأعمار .

( الطرف الثامن في بيان نعمة الله تعالى في خلق لللائكة عليهم السلام )

ليس يخفى عليك ماسبق من نعمة الله في خلق لللائكة بأصالح الأنبياء عليهم السلام وهذا فهو تبليغ الوحي إليهم ولا تظن أنهم مقتضرون في أصالحهم على ذلك القدر بل طبقات الللائكة مع كثرتها وترتيب مراتبها تنحصر بالجملة في ثلاث طبقات : لللائكة الأرضية والسموية وحمل العرش . فانظر كيف وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع إلى الأكل والنفاء الذي ذكرناه دون ما يماور ذلك من الهدايا والواردات وغيرها . واعلم أن كل جزء من أجزاء بدنك بل من أجزاء النبات لا يشتد إلا بأن يوكل بمسبقتن لللائكة فهو الله إلى عشرة إلى مائة إلى ماوراء ذلك وبيانه أن معنى النذاء أن يقوم جزء من النذاء مقام جزء وقد تلف ذلك الغذاء صير دما في آخر الأمر ثم صير لحما وعظما وإذا صار لحما وعظما ثم اغتذوا ذلك الدم وأجسامهم ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بأنفسها ولا تنبهر بأنفسها وهجر الطبع لا يكتفي في تردد هائي أطول لها كما أن البر بنفسه لا يصير طبعنا ثم يحينا ثم خيرا مستديرا محبوزا إلا بصناع فكذلك الدم بنفسه لا يصير لحما

[ الباب الثاني والحمدون  
في آداب الشيخ وما  
يستمده مع الأحباب  
والتلامذة ]

أمم الآداب : أن  
لا تعرض الصادق  
للتقدم على قوم ولا  
تعرض لاستجلاب  
بواطنهم بلطف الرفق  
وحسن الكلام عجة  
لاستباج فإذا رأى  
أن الله تعالى يمت  
إليه للبردين  
والستردين بعين  
الظن وصدق الإرادة  
يحذر أن يكون ذلك  
إتلاء وامتناعا من  
الله تعالى والنفوس  
مجبولة على حجة إقبال  
الخلق والشهرة وفي  
الحجون السلامة فلا يخلف  
الكتاب أجله وتمكن

وعظما وعروقا وعصبا إلا بصاع والصناع في الباطن هم اللاتسكة كما أن الصناع في الظاهر هم أهل البلد وقد أسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة وباطنة فلا ينبغي أن تغفل عن نعمه الباطنة . فقول لا بد من ملك يجذب الغذاء إلى جوار اللحم والعظم فإن الغذاء لا يتحرك بنفسه ولا بد من ملك آخر يمسك الغذاء في جواره ولا بد من ثالث يخلع عنه صورة اللحم ولا بد من رابع يكسو صورة اللحم والعروق أو العظم ولا بد من خامس يدفع الفضل الفاضل عن حاجة الغذاء ولا بد من سادس يمسق ما اكتسب صفة العظم بالعظم وما اكتسب صفة اللحم باللحم حتى لا يكون منفصلا ولا بد من سابع يرعى القادير في الإصااق فيلحق بالمستدير مالا يبطل استدارته وبالمرض مالا يزيل عرضه وبالمجوف مالا يطل تجويفه ويحفظ على كل واحد قدر حاجته فانه لو جمع مثلا من الغذاء على أنف الصبي ما يجمع على غذاه لشكر أنه وبطل تجويفه وتشوهت صورته وخلقت له بل ينبغي أن يسوق إلى الأنفان مع رقتها وإلى الخدقة مع صفائها وإلى الأنف مع غلظها وإلى العظم مع صلاته ما يليق بكل واحد منها من حيث القدر والشكل وإلا بطلت الصورة وربما بعض الواضع وضعف بعض الواضع بل لو لم يرع هذا الملك العدل في القسمة والتفريط فساق إلى رأس الصبي وسائر بدنه من الغذاء ما ينمو به إلا إحدى الرجاين مثلا لقيت تلك الرجل كما كانت في حد الضرع وكبر جميع البدن فكنت ترى شخصا في ضخامة رجل ولولاه رجل واحدة كأنها رجل صبي فلا ينتفع بنفسه البتة فراعاة هذه الهندسة في هذه القسمة مفعولة إلى ملك من اللاتسكة ولا تظن أن الدم بطبعه يهندس شكل نفسه فان عمل هذه الأمور على الطبع جاهل لا يدري ما يقول فهذه هي اللاتسكة الأرضية وقد غفلوا بك وأنت في النوم تستريح وفي الغفلة تردد وهم يصلحون الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من أجزائك الذي لا يتجزأ حتى يغترف بعض الأجزاء كالعين والقلب إلى أكثر من مائة ملك تركنا تفصيل ذلك للإيجاز واللاتسكة الأرضية مددوم من اللاتسكة السماوية على ترتيب معلوم لا يحيط بكنهه إلا الله تعالى ومدد اللاتسكة السماوية من حملة العرش والمعم على جملتهم بالتأييد والهداية والتسديد المهيمن القدوس المنفرد بالملك والملكوت والمنة والجهربوت جبار السموات والأرض مالك الملك ذو الجلال والإكرام والأخبار الواردة في اللاتسكة الموككين بالسموات والأرض وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل صاحب ينجر من جانب إلى جانب (١) أكثر من أن نحصى فذلك تركنا الاستشهاد به . فان قلت فهل انقضت هذه

(١) حديث الأخبار الواردة في اللاتسكة الموككين بالسموات والأرضين وأجزاء النبات والحيوانات حتى كل قطرة من المطر وكل صاحب ينجر من جانب إلى جانب انتهى . ففي الصحيحين من حديث أبي ذر في قصة الأسراء قال جبريل لحازن السماء الدنيا اصنع وفيه حتى أتى السماء الثانية فقال لحازنها اصنع الحديث ولهما من حديث أبي هريرة إن لله ملائكة سياحين يبلغون عن أممي السلام وفي الصحيحين من حديث عائشة في قصة عرضه نفسه على عبد الإيل فناداني ملك الجبال إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين الحديث ولهما من حديث أنس إن الله وكل بالرحم ملكا الحديث وروى أبو منصور البجلي في مسند الفردوس من حديث بريدة الأسلمي ما من نبت نبت إلا ونحته ملك موكل حتى يحصد الحديث وفيه محمد بن صالح الطبري وأبو بحر البكر أوى وأمه عثمان بن عبد الرحمن وكلامها ضعيف ولطبراني من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف إن لله ملائكة يزولون في كل ليلة يحسون الكلال عن دواب الفزاة إلا دابة في عنقها جرس ولترمذي وحسنه من حديث ابن عباس قالت اليهوديا بالقاسم أخيرا عن الرعد قال ملك من اللاتسكة موكل بالسحاب ولمسلم من حديث أبي هريرة بينا رجل غلام من الأرض سمع صوتا من سحابة اسقى حديقة فلان فتسعى ذلك السحاب فأفرغ ما به في حرة الحديث.

العبد من حاله وعلم بتعريف الله إياه أنه مراد بالارشاد والتعليم للمريدين فيصنعهم حينئذ كلام التامع المشفق والودود بما ينفعه في دينه ودنياه وكل مرید ومسترشد ساقه الله تعالى إليه يراجع الله تعالى في معناه ويكثر اللجأ إليه أن يتولاه فيه وفي القول معه ولا يشككم مع المرید بالسكينة إلا وقلبه ناظر إلى الله مستعين به في الهداية للصواب من القول صحت شيخنا بالتعجب السهر وردى رحمه الله يوصي بعض أصحابه ويقول لاتسك أحدًا من الفقراء إلا في أقصى

الأفضل إلى ملك واحد ولم أقتر إلى سبعة أملاك والحذقة أيضا تحتاج إلى من يطعن أولاهم إلى من  
يجز عنه النعالة ويدفع الفضلة ثانيا ، ثم إلى من يصب الباء عليه ثالثا ، ثم إلى من يجعن رباعيا ، ثم  
إلى من يقطعه كرات مدورة خامسا ، ثم إلى من يرقها رغفانا عرضة سادسا ثم إلى من يصفها بالنثور  
سابعا ولكن قد يتولى جميع ذلك رجل واحد يستغل به فهلا كانت أعمال الملائكة باطنا كأعمال  
الإنس ظاهرا ؟ فاعلم أن خلقه الملائكة تخالف خلقه الإنس ومامن واحد منهم إلا وهو وحده الصفه  
ليس فيه خلط وتركيب البتة فلا يكون لكل واحد منهم إلا فضل واحد ، وإليه الإشارة بقوله تعالى  
- ومامن إلا له مقام معلوم - فذلك ليس بينهم تنافس وتقاتل بل مناهض في تعيين مرتبة كل واحد منهم  
وفضله مثال الحواشي الخمس فإن البصر لا يزاحم السمع في إدراك الأصوات ولا الشم يزاحم البصر ولا يباينان زاحان  
الشم وليس كاليد والرجل فانك قد تبسط بأصابع الرجل بطشا ضعيفا فتزاحم به اليد وقد تضرب  
غيرك برأسك فتزاحم اليد بالهوى آلة الضرب ولا كالإنسان الواحد الذي يتولى بنفسه الطعن والسجن  
والحزب فإن هذا نوع من الاعوجاج والدول عن العدل سببه اختلاف صفات الإنسان واختلاف دواعيه  
فانه ليس وحداني الصفه فلم يكن وحداني القعل ولذلك ترى الإنسان يطبع الله مرة وبصيه أخرى  
لاختلاف دواعيه وصفاته وذلك غير ممكن في طباع الملائكة بل هم مجبولون على الطاعة لا مجال للعصية  
في حقهم فلا جرم لا يصون الله مأمريهم ويفعلون ما يؤمرون ويحبون الليل والنهار لا يغترون  
والرايح منهم راكع أبدا والساجد منهم ساجد أبدا والقائم قائم أبدا لا اختلاف في أفعالهم ولا تنور  
ولكل واحد مقام معلوم لا يتعداه وطاعتهم لله تعالى من حيث لا مجال للمخالفة فيهم يمكن أن تشبه بطاعة  
أطرافك لك ، فانك مهما جزمت الإرادة بفتح الأجناف لم يكن للجفن الصحيح تردد واختلاف في  
طاعتك مرة ومصينتك أخرى بل كأنه منتظر لأمرك ونهيك بفتح وينطبق متصلا بأشارتك فهذا  
يشبه من وجه ولكن يخالفه من وجه إذا جفن لا يعلم له بما يصدر منه من الحركة فتعا وإطاعة  
والملائكة أحياء عالمون بما يعملون فاذن هذه نعمة الله عليك في الملائكة الأربعة والساوية وحاجتك  
إليهما في غرض الأكل فقط دون ماعداها من الحركات والحاجات كلها فانا لم نطول بذكرها ، فهذه  
طبقة أخرى من طبقات النعم وجماع الطبقات لا يمكن إحصاؤها فكيف آحاد ما يدخل تحت جماع  
الطبقات ، فاذن قد أسبغ الله تعالى نعمه عليك ظاهرة وباطنة ثم قال - وذروا ظاهر الإيم وباطنه -  
فتذك باطن الآثم مما لا يعرفه الخلق من الحمد وسوء الظن والبذعة وإظهار الشر للناس إلى غير ذلك  
من آثام القلوب هو الشكر لنعم الباطنة وترك الآثم الظاهر بالجوارح شكر للنعم الظاهرة ، بل أقول  
كل من عصى الله تعالى ولو في تطريفة واحدة بأن قنع جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر  
كل نعمة لله تعالى عليه في السموات والأرض وما بينهما فإن كل ما خلقه الله تعالى حتى للملائكة والسموات  
والأرض والحيوانات والنبات يجعله نعمة على كل واحد من العباد قدم به استغناء وإن انتفع غيره  
أيضا به فإن لله تعالى في كل تطريفة بالجفن نعمتين في نفس الجفن إذ خلق تحت كل جفن عضلات ولها  
أوتار ورباطات متصلة بأعصاب الدماغ بها يتم انخفاض الجفن الأعلى وارتفاع الجفن الأسفل وعلى كل  
جفن شعور سود ونعمة الله تعالى في سوادها أنها تجمع ضوء العين إذا لياض بغرق الضوء والسواد  
بجمعه ونعمة الله تعالى في ترتيبها صفا واحدا أن يكون ما ناله من الدبيب إلى باطن العين ومتشبها  
للأفقاء التي تتناثر في الهواء وله في كل شجرة منها نعمتان من حيث لبن أصلها ومع اللين قوام ضباطه  
في اشتباك الأهداب نعمة أعظم من الكل وهو أن غبار الهواء قد يمنع من فتح العين ولو طبق لم يصر  
فيجمع الأجفان مقدار ما تشابك الأهداب فينظر من وراء شبك الشعر فيكون شبك الشعر مانعا من  
وصول التقي من خارج وغير مانع من امتداد البصر من داخل ثم إن أصاب الحدقة غبار قد خلق

أوقانك ، وهذه وصية  
نافعة لأن السكامة تضع  
في سمع الربد الصادق  
كالحبة تقع في الأرض  
وقد ذكرنا أن الحبة  
الفاسدة تهلك وتضيع  
وفساد حبة الكلام  
بالموى وقطرة من  
الموى تكدر عمرا  
من العلم فسد الكلام  
مع أهل الصدق  
والإرادة يبنى أن  
يستمد القلب من الله  
تعالى كما يستمد اللسان  
من الجنان وكما أن  
اللسان ترجمان القلب  
يكون قلبه ترجمان  
الحق عند البصير  
فيكون ناظرا إلى الله  
مضيا إليه متقلبا  
ما يد عليه مؤيدا  
للأمانة فيه ثم يبنى

أطراف الأخفان خادمة منطبقة على الحديقة كالصلاة للآراء فيطبقها مرة وأمرتين وقد انصقلت الحديقة من التبار وخرجت الأقداء إلى زوايا العين والأخفان والقباب لملم يكن لحديثه جن خلقه يدين قراء على الدوام يسبح بها حديثه ليصلها من التبار وإذ تركا الاستثناء لتفاصيل التمه لا تقاربه إلى تطويل يزيد على أصل هذا الكتاب ، ولما نساخه كتابه صودا فيه إن أمهل الزمان وساعد التوفيق نسبه بحجاب صنع الله تعالى ، فلنرجع إلى غرضنا فنقول : من نظر إلى غير محرم قد كفر بفتح العين فمة الله تعالى في الأخفان ولا تقوم الأخفان إلا بين ولا العين إلا برأس ولا الرأس إلا بجميع البدن ولا البدن إلا بالبدن إلا بالبدن ولا السماوات إلا بالسماوات إلا باللائكة فإن الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالشيء من ذلك إلا بالسماوات ولا السماوات إلا باللائكة فإن الكل كالشيء الواحد يرتبط البعض منه بالبدن لا يرتبط أعضاء البدن بعضها ببعض فأنه قد كفر كل فمة في الوجود من منتهى التبار إلى منتهى الترى فلم يبق فلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات ولا جماد إلا أوليته وملكه ورد في الأخبار أن البقرة التي يجتمع فيها الناس إما أن تلهم إذا غرقوا أو تستغفر لهم (١) وكذلك ورد أن العالم يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر (٢) وأن اللائكة يملكون الصلاة (٣) في أقطاب كثيرة لا يمكن إحصاؤها وكل ذلك إشارة إلى أن العاصي بطريقة واحدة جنى على جميع مافي الملك والملكوت وقضاء كل فمة إلا أن يتبع البيعة بحسنه تحمها فيقبل العن بالاستغفار فصي الله أن يتوب عليه ويتجاوز عنه وأوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام : يا أيوب ما من عبد لي من الآدميين إلا وسمه ملكا فإذا شكرني على نعمائي قال للسلطان اللهم زده نعماً لي نعم فأنك أهل الحمد والشكر فكن من الشاكرين قريبا فكفى بالشاكرين علو رتبة وعندي آتى أشكر شكرهم وملاشك يبدعون لهم البقاع تحمهم والآثار تبكي عليهم ، وكما عرفت أن في كل طرفة عين نما كثيرة فاعلم أن في كل نفس ينسط وينفخ تستنق إذا نبسطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولولم يخرج لملك وباقباضه يجمع روح الهواء إلى القلب ولو سدت تنفسه لاحترق قلبه بانقطاع روح الهواء وبرودته عنه وهلك بل اليوم واليلة أربع وعشرون ساعة وفي كل ساعة قرب من ألف نفس وكل نفس قريب من عشر لحظات فليكن في كل لحظة آلاف آلاف فمة في كل جزء من أجزاء بدنك بل في كل جزء من أجزاء العالم فانظر هل يتصور إحصاء ذلك أم لا ، ولما انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوته تعالى - وإن تمدوا فمة الله لانحوسها - قال إلهي كيف أشكرك ولك في كل شجرة من جسدني نعمتان أن لنت أصلها وأن طمست رأسها وكذا ورد في الأمر أن من لم يرف نعم الله إلا في مطعمه ومشربه قد قتل عليه وحضر عذابه وجميع ما ذكرناه يرجع إلى الطعم والشرب فاعتبر ما سواه من النعم به فإن البصير لا يضيع عنه في العالم على شيء ولا يلم خاطره بوجوده ولا يتحقق أن فمة فيه فمة عليك فلترك الاستثناء والتفصيل فانه طمع في غير مطعم .

### ( بيان السبب الصارف للخلق عن الشكر )

اعلم أنه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة إلا الجاهل والقفلة فانهم انعموا بالجاهل والقفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة إلا بهد معرفتها ، ثم إنهم ان عرفوا نعمة غفلوا أن الشكر عليها أن يقول بلسانه الحمد ف الشكر لله ، ولم يعرفوا أن معنى الشكر أن يستعمل النعمة في إنعام الحكمة التي أرادت بها وهي طاعة الله عز وجل فلا يمنع من الشكر بعد حصول هاتين المرتبتين إلا غلبة الشهوة

(١) حديث إن البقرة التي اجتمع فيها الناس تلهم إذا غرقوا أو تستغفر لهم لم أجده أصلا (٢) حديث إن العالم ليستغفره كل شيء حتى الحوت في البحر تخدم في العلم (٣) حديث إن اللائكة يملكون الصلاة الصائغ من حديث أبي هريرة لللائكة تلحن أحدكم إذا أشار إلى أخيه بحديثه وإن كان أخاه لأبيه وأمه

للشيخ أن يعتبر حال للردين ويتفرس فيه بنور الإيمان وقوة العلم والعرفه ما يتأتى منه ومن صلاحه واستعداده فمن للردين من يصلح لتجديد النفس وأعمال القوالب وطريق الأبرار ومن للردين من يكون مستعدا صالحا لقرب وسلوك طريق التربين الرادين بمعاملة القلوب والعلامات النبوية ولكل من الأبرار والتربين مبادونهايات فيكون الشيخ صاحب الاشراف على البواطن برف كل شخص وما يصلح له والسبب أن الصراوى

واستيقاظ الشيطان - أما الثقة عن النعم فلها أسباب وأحد أسبابها أن الناس يجهمهم لا يبدون ما بهم الخلق وسلم لهم في جميع أحوالهم نعمة فذلك لا يشكرون على جملة ما ذكرناه من النعم لأنها عامة للخلق مبنوة لهم في جميع أحوالهم فلا يرى كل واحد لنفسه منهم اختصاصا به فلا ينده نعمته ولا تراهم يشكرون الله على روح الهواء ولو أخذ بمختلفهم لحظة حتى انقطع الهواء عنهم ماتوا ولو جسوا في بيت حمام فيه هواء حار أو في بئر فيه هواء قتل برطوبة لئلا ماتوا غمما فإن ابتلى واحد منهم شيء من ذلك ثم نجى ربحا قدر ذلك نعمة وشكرا لله عليها وهذا غاية الجهل إذ صار شكرهم موقوف على أن تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم في بعض الأحوال والنعمة في جميع الأحوال أولى بأن تشكر في بعضها فلا ترى البصير يشكر صحة بصره إلا أن تسمى عينه ضد ذلك لو أعبد عليه بصره أحسن بهو شكره موعده نعمة ولما كانت رحمة الله واسعة عجم الخلق وبذل لهم في جميع الأحوال فلهذا الجاهل نعمته وهذا الجاهل مثل الصب السوء حتى أن يضرب دائما حتى إذا ترك ضربه ساعة تخلف به متفان ترك ضربه على الدولم غلبه البطر وترك الشكر ضار الناس لا يشكرون إلا لئال الذي يتطرق الاختصاص إليهم من حيث الكثرة والمنة وينسون جميع نعم الله تعالى عليهم كما يشكوا بعضهم قهره إلى بعض أبواب البصائر وأظهر شدة اغتمامه به فقال له أيسرك أنك أعمى ولك عشرة آلاف درهم قال لا قال أيسرك أنك أخرس ولك عشرة آلاف درهم قال لا قال أيسرك أنك أقطع اليدين والرجلين ولك عشرة آلاف درهم قال لا قال أيسرك أنك مجنون ولك عشرة آلاف درهم قال لا قال أما تستحي أن تشكو مولاك وله عندك عروص خمس ألفا . وحكي أن بعض القراء اشتد به الفقر حتى ضاق به ذرعا فرأى في المنام كأن قائلا يقول له تود أنا أنيساك من القرآن سورة الأنعام وأن لك ألف دينار قال لا قال فسورة هود قال لا قال فسورة يوسف قال لا ضد عليه سورة ثم قال فمك قمم مائة ألف دينار وأنت تشكو فأصبح وقد سرى عنه . ودخل ابن الهك على بعض الخلفاء ويده كوز ماء يشربه فقال له عظمي قال لو لم تعط هذه الثمرة إلا يفتل جميع أموالك وإلا بقيت عطشان فهل كنت تعطيه قال نعم فقال لو لم تعط إلا يملكك كله فهل كنت تركه قال نعم قال فلا تخرج بملكك لا يسارى شربة ماء فهذا تبين أن نعمة الله تعالى على العبد في شربة ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها وإذا كانت الطبايع مائلة إلى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة ، وقد ذكرنا النعم العامة فلندكر إشارة وجيزة إلى النعم الخاصة فنقول ما من عبد إلا ولو آمن النظر في أحوال الرأى من الله نعمة أو نعمنا كثيرة نخضعه لا يشاركة فيها الناس كافة بل يشاركة عدد يسير من الناس وربما لا يشاركة فيها أحد وذلك يستوفيه كل عبد في ثلاثة أمور : في العقل والخلق والعلم أما العقل فما من عبد في عقله تعالى إلا وهو راض عن الله في عقله يعتقد أنه أعقل الناس وقل من يسأل الله العقل وإن من شرف العقل أن يفرح به الخالي عنه كما يفرح به للتصف به فإذا كان اعتضاده أنه أعقل الناس فواجب عليه أن يشكره لأنه إن كان كذلك فالشكر واجب عليه وإن لم يكن ولكنه يعتقد أنه كذلك فهو نعمة في حقه فمن وضع كذا تحت الأرض فهو يفرح به ويشكر عليه فإن أخذ الكثير من حيث لا يدري فيبقى فرحه بحسب اعتقاده ويرى شكره لأنه في حقه كالباقي وأما الخلق فما من عبد إلا ويرى من غيرهم عيوبها وأخلاقياتهم ما وإنما يشكرهم من حيث يرى قسمة بريئا عنها فإذا لم يشتغل بدم التبر فينبغي أن يشتغل بشكر الله تعالى إذ حسن خلقه وابتلى غيره بالخلق السيئ ، وأما العلم فما من أحد إلا ويعرف من مواطن أمورهم وبخاها فأفكاره ما هو منفرد به ولو كشف النطاء حتى أطلع عليه أحد من الخلق لا تفتح فكيف لو أطلع الناس كافة فادن لكل عبد غم بأمر غلس لا يشاركة فيه أحد من عباد الله فلم لا يشكر ستر الله الجليل الذي أرسله على وجه مبسوطة فأظهر الجليل دسر التبع وأخفى ذلك عن أعين الناس وخصم عليه به

يلم الأرض والغروب  
وسلم كل غرس وأرضه  
وكل صاحب صنعة يعلم  
منافع صنعه ومضارها  
حتى لرأى تعلم قطعا  
وما يتأتى منه من الغزل  
ودقه وغلفه ولا يعلم  
الشيخ حال للريد  
وما يصلح له . وكان  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم يكلم الناس  
على قدر عقولهم  
وبأمر كل شخص بما  
يصلح له فمنهم من كان  
بأمره بالانفاق ومنهم من  
أمره بالإسك ومنهم  
من أمره بالكسب  
ومنهم من قرره على  
ترك الكسب كأصحاب  
الصفة فكان رسول  
الله صلى الله عليه وسلم

حتى لا يطلع عليه أحد فهذه ثلاثة من التمتع خاصة يشرف بها كل عبد إماما مطلقا وإماما في بعض الأمور فنزل  
عن هذه الطبقة إلى طبقة أخرى أهم منها قليلا فنقول : مامن عبد إلا وقد رزقه الله تعالى في صورته أو  
شخصه أو أخلاقه أو صفاته أو أهله أو ولده أو مسكنه أو بلده أو رفيقه أو أقربه أو عذبه أو واجهه أو في  
سائر محابه أمور لو سلب ذلك منه وأعطى ما يخص به غيره لكان لا يرضى به وذلك مثل أن جعلنا  
لا كافرا وحيا لأجمادا وإنسانا لابهيمة وذكرنا لأشئ وصحبا لاسريضا وسليبا لامعيا فان كل هذه  
خصائص وإن كان فيها عموم أيضا فان هذه الأحوال لو بدلت بأخذائها لم يرض بها بل له أمور  
لا يبدلها بأحوال الآدميين أيضا وذلك إما أن يكون بحيث لا يبدله بما يخص به أحد من الخلق أولا يبدله  
بما يخص به الآخر فإذا كان لا يبدل حال نفسه بحال غيره فإذا حاله أحسن من حال غيره وإذا كان  
لا يعرف شخص يرتضى لنفسه حالة بدلا عن حال نفسه إما على الجملة وإما في أمر خاص فأنشأ الله تعالى عليه  
نعم ليست له على أحد من عباد الله سواء وإن كان يبدل حال نفسه بحال بعضهم دون البعض فليظن إلى  
عدد النبيين عنده فانه لا محالة يرام أقل بالإضافة إلى غيرهم فيكون من دونه في الحال أكثر بكثير  
عما هو فوقه فما باله ينظر إلى من فوقه ليرى نعم الله تعالى على نفسه ولا ينظر إلى من دونه ليستعظم نعم  
الله عليه وما باله لا يسوي ديناه بدينه أليس إذا لامته نفسه على سيئة يبارقها يستدري إليها بأن في السقاة  
كثرة فينظر أبدا في الدين إلى من دونه لا إلى من فوقه فلم لا يكون نظره في الدنيا كذلك فإذا كان  
حال أكثر الخلق في الدين خيرا منه وحاله في الدنيا خيرا من حال أكثر الخلق فكيف لا يلجأ إليه الشكر  
ولهذا قال صلى الله عليه وسلم « من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتب  
الله صابرا وشاكرا ومن نظر في الدنيا إلى من هو فوقه وفي الآخرة إلى من هو دونه لم يكتبه الله صابرا ولا  
شاكرا (١) » فاذن كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما يخص به وجد الله تعالى على نفسه نعم كثيرة لا يحيط  
من خص بالسنة والإيمان والعلم والقرآن ثم الفراغ والصحة والأمن وغير ذلك وتلك قيل :

من شاء عيشا رحيما يسقط به في دينه ثم في دينه إقبالا

فليظنن إلى من فوقه ورعا وليظنن إلى من دونه مالا

وقال صلى الله عليه وسلم « من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله (٢) » وهذا إشارة إلى نعمة العلم وقال  
عليه السلام « إن القرآن هو التي لا غنى بعده ولا فقر معه (٣) » وقال عليه السلام « من آتاه الله  
القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استبرأ بآيات الله (٤) » وقال عليه السلام « ليس من آمن لم يتغن بالقرآن (٥) »  
وقال عليه السلام « كفى باليقين غنى (٦) » وقال بعض السلف يقول الله تعالى في بعض الكتب الزلزلة

(١) حديث من نظر في الدنيا إلى من هو دونه ونظر في الدين إلى من هو فوقه كتب الله صابرا وشاكرا  
الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو وقال غريب وفيه التثنية بن الصباح ضعيف (٢) حديث  
من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله لم أجده بهذا اللفظ (٣) حديث إن القرآن هو الغناء الذي لا غناء بعده  
ولا فقر معه أبو يعلى والطبراني من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ إن القرآن غنى لا فقر بعده ولا غنى  
دونه قال الدارقطني رواه أبو معاوية عن الأعمش عن يزيد الرقاشي عن الحسن مرسلا وهو أغنى  
بالصواب (٤) حديث من آتاه الله القرآن فظن أن أحدا أغنى منه فقد استبرأ بآيات الله البخاري في  
التاريخ من حديث جرارة الغنوي بلفظ من آتاه الله حفظ كتابه وظن أن أحدا أغنى أفضل مما أوني قد  
سخر أعظم التمتع وقد تقدم في فضل القرآن وجاء مختلف في صحبته وورد من حديث عبد الله بن عمرو وجابر  
والبراء نحوه وكلها ضعيفة (٥) حديث ليس من آمن لم يتغن بالقرآن تقدم في آداب التلاوة (٦) حديث كفى  
باليقين غنى الطبراني من حديث عتبة بن عامر ورواه ابن أبي الدنيا في التناعية موقوفا عليه وقد تقدم.

يعرف أوضاع الناس  
وما يصلح لكل واحد  
فأما في رتبة الدعوة  
فقد كان يسم الدعوة  
لأنه مبعوث لإثبات  
الحجة وإيضاح المحجة  
يدعو على الإطلاق ولا  
يخص بالدعوة من  
يتنرس فيه الهداية  
دون غيره . ومن  
أدب الشيخ أن يكون  
له خلوة خاصة ووقت  
خاص لا يسمعه فيه  
معاناة الخلق حتى  
يقضي على جلوته فائدة  
خلوته ولا تدعى نفسه  
قوة ظنا منها أن  
استدامة المخالطة مع  
الخلق والكلام معهم  
لا يضرم ولا يأخذ منه  
وأنه غير محتاج إلى  
الخلوة فان رسول الله

إن عبدا أغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتي عن سلطان يأنيه وطيب يدأويه وعمأ في يد أخيه وعبر الشاعر عن هذا فقال :

إذا ما القوت يأنيك كذا الصحة والأمن  
وأصبحت أأحارن فلا فارقت الحزن

بل أُرشد البارات وأُصح الكلمات كلام أنصح من نطق بالصاد حيث عبر صلى الله عليه وسلم عن هذا للفقير فقال «من أصبح آمنا في سربه معاف في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها»<sup>(١)</sup> ومهما تأملت الناس كلهم وجدتهم يشكون ويتألمون من أمور وراء هذه الثلاث مع أنها وبال عليهم ولا يشكرون نعمة الله في هذه الثلاث ولا يشكرون نعمة الله عليهم في الإيعان الذي بوصوله لهم إلى النعم القيم والملك العظيم بل البصير ينبغي أن لا يفرح إلا بالبرقة واليقين والإيمان بل نحن نعلم من العلماء من لو سلم إليه جميع ما دخل تحت قدرة ملوك الأرض من للشرق إلى الغرب من أموال وأتباع وأنصار وقيل له خذها عوسما عن علك بل عن عشر عشر علك لم يأخذها وذلك لرجائه أن نعمة العلم تنفض به إلى قرب الله تعالى في الآخرة بل لو قيل له لك في الآخرة ما ترجوه بكأله خذ هذه اللذات في الدنيا بدلا عن التذاتك بالعلم في الدنيا وفرحك بل كان لا يأخذها لعله بأن هذه العلم دائماً لا تنقطع وباقية لا تسرق ولا تخب ولا يناس فيها وأنها صافية لا كدورة فيها ولذات الدنيا كلها ناقصة مكدرة مشوشة لا يفي مرجوها تخوفها ولا لذتها بألمها ولا فرحها بنعمها هكذا كانت إلى الآن وهكذا تكون ما بقي الزمان إذا ما خلقت لذات الدنيا لا لتلج بها العقول الناقصة وتخدع حتى إذا اتخذت وتضيد بها أبت عليها واستصحت كالمرأة الجليل ظاهرها تزين للشاب الشبق التي حتى إذا تقيد بها قلبه استصحت عليه واحتجبت عنه فلا يزال معها في حب قائم وعناء دائم وكل ذلك باعتراره بقله النظر إليها في لحظة ولو عقل وغض البصر واستهان بتلك اللذة سلم جميع عمره فهكذا وقمت أرباب الدنيا في شباك الدنيا وحبائلها ولا ينبغي أن تقول إن العرض عن الدنيا متألم بالصبر عنها فإن القلب عليها أيضاً متألم بالصبر عليها وحفظها وتحصيلها ودفع القصوص عنها وتألم للعرض ينفي إلى فنة في الآخرة وتألم للقلب ينفي إلى الألم في الآخرة فليقر لأعرض عن الدنيا على نفسه قوله تعالى - ولا تنهوا في ابتغاء القوم إن تكونوا تأملون فإنهم يأملون كما تأملون وترجون من الله ما لا يرجون - فإذا نأمتا سدد طريق الشكر على الخلق لجهاهم بضروب النعم الظاهرة والباطنة والخاصة والعامية . فإن قلت لما علاج هذه القلوب العالفة حتى تشعر بنعم الله تعالى فصاها تشكر . فأقول أما القلوب البصيرة فعلاجها التأمل فيآرمزنا إليمن أصفاف نعم الله تعالى العامة وأما القلوب البليدة التي لاتعد النعمة نعمة إلا إذا خصتها أو شمرت بالبلاد معها فصيله أن ينظر أبدا إلى من دونه ويذل ما كان يفضله بعض الصوفية إذا كان يحضر كل يوم دار المرضى واللقابر والواضع التي تمام فيها الحدود فكان يحضر دار الرضى ليشاهد أنواع بلاء الله تعالى عليهم ثم يتأمل في صحنه وسلامته فيشعر قلبه بنعمة الصحة عند شعوره بيلاء الأمراض ويشكر الله تعالى ويشاهد الجنة الذين يقتلون وتقطع أطرافهم ويعدون بأنواع العذاب ليشكر الله تعالى على عصمته من الجنائيات ومن تلك العقوبات ويشكر الله تعالى على نعمة الأمن وبحضر للقاء فيعلم أن أحب الأشياء إلى اللوى أن يردوا إلى الدنيا ولو يوما واحدا أما من عصى الله فليندارك وأما من أطاع فليزد في طاعته فإن يوم القيامة يوم التغابن فالطغيح مغبون إذ يرى جزاء طاعته فيقول كنت أقدر على أكثر من هذه الطاعات فلما أعظم غيبي إذ صبحت بعض الأوقات في الباحات، وأما العاصي فنه يظهر فاذ شاهد للقاء

(١) حديث من أصبح آمنا في سربه الحديث تقدم غير مرة .

صلى الله عليه وسلم مع كمال حاله كان له قيام الليل وصلوات يصليها ويدوم عليها وأوقات غلغول فيها فطبع البشر لا يستغنى عن السيادة قل ذلك أو أكثر لطف ذلك أو كنف وكتم من مغرور قانع باليسير من طيبة القلب اتخذ ذلك رأس ماله واغتر بطيبة قلبه واسترسل في المازجة والمخالطة وجعل نفسه مناة للباطلين بالقمة تؤكل عنده ورفق بوجود منه فيقصده من ليس قصده الدين ولا يئنه سلوك طريق للتئين فافتن وأفتن وبقي في خلة القصور ووقع في

وعلم أن أحب الأشياء إليهم أن يكون قد بقى لهم من العمر ما بقى له يصرف بقية العمر إلى ما ينشئ أهل القبور العود لأجله ليكون ذلك معرفة لهم الله تعالى في بقية العمر بل في الأصناف كل قسم من الأنفس وإذا عرف تلك النعمة شكر بأن يصرف العمر إلى ما خلقه وهو التزوّد من الدنيا والآخرة فهذا علاج هذه القلوب الغافلة لتشتت بعم الله تعالى فساها تشكر وقد كان الربيع بن خثيم مع حمام استبحاره يستعين بهذه الطريق تأكيذا للمعرفة فكان قد سافر في داره قبر افكان يضع غلا في عنقه وينام في لحده ثم يقول رب ارجعوني لأعمل صالحا ثم يقوم ويقول يا رب قد أعطيت مسألتا فاعمل قبل أن تسأل الرجوع فلازد . وعما ينهى أن تعالج به القلوب البعيدة عن الشكر أن تعرف أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد ولذلك كان الفضيل بن عباس رحمه الله يقول : عليك بملازمة التشكر على النعم قبل نعمة زالت عن قوم فعادت إليهم . وقال بعض السلف النعم وحشية تقبدها بالشكر وفي الخبر وما عظمت نعمة الله تعالى على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه <sup>(١)</sup> فمن تهاون بهم عرض تلك النعمة فزوال وقال الله سبحانه وتعالى - إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - فهذا تمام هذا الركن . الركن الثالث من كتاب الصبر والشكر فيها يشترك فيه الصبر والشكر ويرتبط أحدهما بالآخر ( بيان وجه اجتناع الصبر والشكر على شيء واحد )

لعلك تقول ماذا كرت في النعم إشارة إلى أن الله تعالى في كل موجود نعمة وهذا يشير إلى أن البلاء لا وجود له أصلا فاما معنى الصبر إذن وإن كان البلاء موجودا فاما معنى الشكر على البلاء وقد ادعى مدعون أنا نشكر على البلاء فضلا عن الشكر على النعمة فكيف يتصور الشكر على البلاء وكيف يشكر على ما يصبر عليه والصبر على البلاء يستدعي أما والشكر يستدعي فرحا وما يتضادان واما معنى ما ذكرتموه من أن الله تعالى في كل ما أوجده نعمة على عباده فاعلم أن البلاء موجود كما أن النعمة موجودة والقول بآيات النعمة يوجب القول بآيات البلاء لأنها متضادان فقد البلاء نعمة وقد النعمة بلاء ولكن قد سبق أن النعمة تنقسم إلى نعمة مطلقة من كل وجه أما في الآخرة فكسعادة العبد بالتزول في جوار الله تعالى وأما في الدنيا فكلاهما . وحسن الخلق وما يصيب عايلهما وإلى نعمة مقيدة من وجه دون وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويغسه من وجه فكذلك البلاء ينقسم إلى مطلق ومقيد أما المطلق في الآخرة فالعبد من الله تعالى إمامة وإماما أبدا وأما في الدنيا فالسفر والنسبة وسوء الخلق وهي التي تفضي إلى البلاء المطلق وأما القيد فكالفقر والمرض والحول وسائر أنواع البلاء التي لا تكون بلاء في الدين بل في الدنيا فالشكر المطلق للنعمة المطلقة وأما البلاء المطلق في الدنيا فقد لا يؤمر بالصبر عليه لأن الكفر بلاء ولا معنى للصبر عليه وكذا النسبة بل حق الكافر أن يترك كفره . وكذا حق العاصي نعم الكافر قد لا يعرف أنه كافر فيكون كمن به علقوه ولا تأم بسبب غشية أو غيرها فلا يصبر عليه والعاصي يعرف أنه طمس ضلعه ترك النسبة بل كل بلاء يقدر الإنسان على دفعه فلا يؤمر بالصبر عليه فلو ترك الإنسان البلاء مع طول العطش حتى عظم تألمه فلا يؤمر بالصبر عليه بل يؤمر بالذهاب إلى الماء وإما الصبر على ألم ليس إلى العبد إزالته فاذن يرجع الصبر في الدنيا إلى ما ليس بلاء مطلق بل يجوز أن يكون نعمة من وجه فذلك يتصور أن يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان التقى مثلا يجوز أن يكون سببا لهلاك الإنسان حتى يقصد بسبب ماله فيقتل ويقتل أولاده

(١) ما عظمت نعمة الله على عبد إلا كثرت حوائج الناس إليه الحديث ابن عدي وابن حبان والضعفاء من حديث معاذ بن جبل بلفظ إلا عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة الحديث ورواه ابن حبان في الضعفاء من حديث ابن عباس وقال إنه موضوع على حجاج الأعور .

دائرة القصور لما يستغنى الشيخ عن الاستعداد من الله تعالى والتضرع بين يدي الله بقلبه إن لم يكن بذاته بقلبه فيكون له في كل كلمة إلى الله رجوع وفي كل حركة بين يدي الله خضوع وإجماع دخلت الفتنة على القرويين الذين للقوة والاسترسال في الكلام والمخالطة لقلة معرفتهم بصفات النفس واغترارهم بيسر من اللوعة وقلة تأديهم بالشيوخ . كان الجنيد رحمه الله يقول لأصحابه لو علمت أن صلاة ركعتين لي أفضل من جلوسي معكم ما جلست عندكم فإذا رأي القتل في الخلوة غلوا

والصحة أيضا كذلك فما من نعمة من هذه النعم الدنيوية إلا ويجوز أن تصير بلاء. ولكن بالإضافة إليه فكل ذلك مامن بلاء إلا ويجوز أن يصير نعمة ولكن بالإضافة إلى حاله فرب بعدت تكون الحيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله ليطر ويضي قال الله تعالى - ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض - وقال تعالى - كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله ليحمي عبده المؤمن من الدنيا وهو يحبه كما يحمي أحدكم مريضه <sup>(١)</sup> » وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل مذكرناه في الأقسام الستة عشر من النعم سوى الإيمان وحسن الخلق فانها يتصور أن تكون بلاء في حق بعض الناس فتكون أضعافها إذن نعمة في حقهم إذ قد سبق أن المنة كال نعمة فانها صفة من صفات الله تعالى ولكن قد تكون على العبد في بعض الأمور بلاء ويكون قد ضاع نعمة مثاله جهل الإنسان بأجله فانه نعمة عليه إذ لو عرفه ربما تنحس عليه العيش وطال بذلك غمه وكذلك جهله بما يضره الناس عليه من معارفه وأقاربه نعمة عليه إذ لو رفع السر وأطلع عليه لطال ألمه وحقد وحسده واشتغاله بالانتقام وكذلك جهله بالصفات للدمومة من غيره نعمة عليه إذ لو عرفها أبغضه وآذله وكان ذلك وبالا عليه في الدنيا والآخرة بل جهله بالتحصيل المحمودة في غيره قد يكون نعمة عليه فانه ربما يكون وليا لله تعالى وهو يضطر إلى إيذائه وإهانته ولو عرف ذلك وأدنى كان إيئه لاهالة أعظم فليس من آذى نبييا أو وليا وهو يعرف كمن آذى وهو لا يعرف. ومنها إيهام الله تعالى أمر القيامة وإيهامه ليلة القدر وساعة يوم الجمعة وإيهامه بعض الكفار فكل ذلك نعمة لأن هذا الجهل يوفر دواعيك على الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم وحيث قلنا إن الله تعالى في كل موجود نعمة فهو حق وذلك مطرد في حق كل أحد ولا يستثنى عنه بالظن إلا الآلام التي يخلقها في بعض الناس وهي أيضا قد تكون نعمة في حق للتألم بها فان لم تكن نعمة في حقه كالألم الحاصل من اللصبة كقطعه يد نفسه ووجعه بشرته فانه يتألم به وهو عاص به وألم الكفار في النار فهو أيضا نعمة ولكن في حق غيرهم من العباد لا في حقهم لأن مصائب قوم عند قوم فوائد ولولا أن الله تعالى خلق العذاب وعذب به طائفة لعارف التمتع بقدرة نعمه ولا كثر فرحهم بها ففرح أهل الجنة إنما يتضاعف إذا تشكروا في آلام أهل النار أما ترى أهل الدنيا ليس يشتد فرحهم بنور الشمس مع شدة حاجتهم إليها من حيث إنها عامة مبدولة ولا يشتد فرحهم بالنظر إلى زينة السماء وهي أحسن من كل بستان لهم في الأرض يجتهدون في محاربهه ولكن زينة السماء لما عمت لم يعمرها بها ولم يفرحوا بسببها فاذن قد صرح ماذكرناه من أن الله تعالى لم يخلق شيئا إلا وفيه حكمة ولا خلق شيئا إلا وفيه نعمة إما على جميع عباده أو على بعضهم فاذن في خلق الله تعالى البلاء نعمة أيضا إما على الليلى أو على غير الليلى فاذن كل حاله لا توصف بأنها بلاء مطلق ولا نعمة مطلقة فيجتمع فيها على العبد وظيفتان الصبر والشكر جميعا. فان قالت فما متضادان فكيف يجتمعان إذ لاصبر إلا على غم ولا شكر إلا على فرح. فاعلم أن الشيء الواحد قد يظم به من وجه ويخرج به من وجه آخر فيكون الصبر من حيث الاعتماد والشكر من حيث الفرح وفي كل قدر ومرض وخوف وبلاء في الدنيا خمسة أمور يبنى أن يفرح الماقل بها ويشكر عليها. أحدها أن كل مصيبة ومرض فيصور أن يكون أكبر منها إذ مقدورات الله تعالى لا تنهاى فلو ضيقها الله تعالى وزادها ماذا كان يردده ويججزها فليشكر إذ لم تكن أعظم منها في الدنيا. الثاني أنه كان يمكن أن تكون مصيبته في دينه. قال رجل لسهل رضى الله تعالى عنه دخل الهمس يثق

(١) حديث إن الله ليحمي عبده الدنيا الحديث الترمذى وحسنه الحاكم وصححه وقد تقدم.

وإذا رأى الفضل في  
الجلوسه يجلس مع  
الأصحاب فتكون جلوسه  
في حمايته خلوسه وجلوسه  
مزيدا خلوسه وفي هذا  
سر وذلك أن الأذى  
ذو تركيب مختلف فيه  
تضاد وتنازع على  
ما أسلفنا من كونه  
مرتددا بين السلى  
والعلاوى ولما فيه من  
التنازع له حظ من  
القنور عن الصبر  
على صرف الحق ولهذا  
كان لكل عامل  
فترة والفترة قد تكون  
تارة في صورة العمل  
وتارة في غم الروح في  
العمل وإن لم تكن في  
صورة العمل ففي وقت  
الفترة للمريد  
والسالكين تنصيص

وأخذ متاعى فقال اشكر الله تعالى لو دخل الشيطان قلبك فأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع وتقول  
استأذ عيسى عليه الصلاة والسلام في دعائه إذ قال : اللهم لا تجعل مصيبتى في ديني، وقال عمر بن الخطاب  
رضي الله تعالى عنه ما ابتليت بلاء إلا كان الله تعالى علي فيه أربع ثم إذ لم يكن في ديني وإذ لم  
يكن أعظم منه وإذ لم أحرم الرضا به وإذ أرجو الثواب عليه . وكان لبعض أرباب القلوب صديق  
لخليفة السلطان فأرسل إليه يملعه ويشكو إليه فقال له اشكر الله فضربه فأرسل إليه يملعه ويشكو  
إليه فقال اشكر الله فجاءه بمجوسى خبىس عنده وكان مبطونا قعيد وجعل حلقة من قيده في رجله  
وحلقة في رجل المجوسى فأرسل إليه فقال اشكر الله فكان المجوسى محتاج إلى أن يقوم مرات  
وهو محتاج إلى أن يقوم معه ويقف على رأسه حتى يقضى حاجته فكتب إليه بذلك فقال اشكر الله  
فقال إلى متى هذا وأى بلاء أعظم من هذا فقال لو جعل الزنار الذي في وسطه على وسطك ماذا كنت  
تصنع فاذن مامن إنسان قد أصيب بلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء أدبه ظاهره وباطنه في حق  
مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلا وأجلا ومن استحق عليك أن يضربك  
مائة سوط فاقصر على عشرة فهو مستحق للشكر ومن استحق عليك أن يقطع يديك فترك إحداها  
فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب على رأسه طشت من رماد فسجد لله  
تعالى سجدة الشكر فقيل له ماهذه السجدة فقال كنت أنتظر أن تصب على النار فالاقصار على  
الرماد نعمة . وقيل لبعضهم ألا تخرج إلى الاستسقاء فقد احتسبت الأمطار فقال أنت تستبطون للطر  
وأنا أسقطى الحجر . فان قلت كيف أفرح وأرى جماعة ممن زادت مصيبتهم على مصيبتى ولم يصابوا  
بما أصبت به حق الكفار . فاعلم أن الكافر قد خذى له ما هو أكثر وإنما أهمل حتى يستكثروا من  
الاثم وبطول عليه العقاب كما قال تعالى - إنما نعلم لهم ليزدادوا إثما - وإنما للعاصي فمن أن تعلم أن  
في العالم من هو أعصى منه ورب خاطر بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته أعظم وأظم من  
شرب الخمر والزنا وسائر المعاصي بالجوارح ولذلك قال تعالى في مثله - ونحبوه هينا وهو عند الله  
عظيم - فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك ثم اعلم قد أخرت عقوبته إلى الآخرة وهجات عقوبتك  
في الدنيا فلم لانشكر الله تعالى على ذلك وهذا هو الوجه الثالث في الشكر وهو أنه مامن عقوبة  
إلا وكان يتصور أن تؤخر إلى الآخرة ومصائب الدنيا بقسلى عنها بأسباب أخر تهون الصيبة فيخفف  
وقمها ومصيبة الآخرة تدوم وإن لم تدم فلا سبيل إلى تخفيفها بالقسلى إذ أسباب القسلى مقطوعة  
بالكلية في الآخرة عن المذنبين ومن مجلت عقوبته في الدنيا فلا يحاقب ثانياً إذ قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « إن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابته شدة أو بلاء في الدنيا فآله أكرم من أن يعذبه  
ثانياً » (١) الرابع أن هذه الصيبة والبلاء كانت مكتوبة عليه في أم الكتاب وكان لابد من وصولها  
إليه وقد وصلت ووقع الفراغ واستراح من بعضها أو من جميعها فهذه نعمة . الخامس أن نوابها  
أكثر منها فإن مصائب الدنيا طرق إلى الآخرة من وجهين : أحدهما الوجه الذى يكون به الدواء  
السكرية نعمة في حق المريض ويكون النعم من أسباب اللعب نعمة في حق الصبي فانه لو خلى واللعب  
كان يمنعه ذلك عن العلم والأدب فكان يخسر جميع عمره فكذلك السال والأهل والأقارب

واستراح لنفسه  
وركون إلى البطالة فمن  
بلغ رتبة الشيخية  
انصرف قسم فقرته إلى  
الحلق فأقطع الحلق  
قسم فقرته وما ضاع  
قسم فقرته كصياحه في  
حق الريدن فالمريد  
يعود من الفترة بقوة  
الشدة وحدة الطلب إلى  
الإقبال على الله والشيخ  
يكتسب الفضيلة من نعم  
الحلق بقسم فقرته  
ويعود إلى أوطان  
خلوته وخاص حاله  
بنفس مشربة أكثر  
من عود الفقير بمحنة  
إرادته من فقرته فيعود  
من الحلق إلى الخلوة  
منزعه الفتور بغلب  
متعشش وافر الثور  
وروح متخلصة عن

(١) حديث ابن العبد إذا أذنب ذنبا فأصابه شدة أو بلاء في الدنيا فآله أكرم من أن يعذبه ثانياً  
الترمذى وابن ماجه من حديث علي بن أصاب في الدنيا ذنبا عوقب به قاله أعد من أن يثنى عقوبته  
على عبده الحديث لفظ ابن ماجه وقال الترمذى من أصاب حدا فضبل عقوبته في الدنيا وقال حسن  
ولشيخين من حديث عبادة بن الصامت ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له الحديث.

والأعضاء حتى الصين التي هي أعز الأشياء قد تكون سببا لهلاك الإنسان في بعض الأحوال بل العقل الذي هو أعز الأمور قد يكون سببا لهلاكه فالملحمة غدا يمتنون لو كانوا مجانين أو صيانا ولم يتصرفوا بمفهوم في دين الله تعالى فنامن شيء من هذه الأسباب يوجد من البعد إلا يتصور أن يكون له فيه خيرة دينية فعليه أن يحسن الظن بالله تعالى ويقدر فيه الخيرة ويشكره عليه فإن حكمة الله واسعة وهو بمصالح العباد أعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلاء إذا ذروا ثواب الله على البلاء كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ أستاذة وآله على ضربه وتأديبه إذ يدرك ثمرة ما استفاده من التأديب والبلاء من الله تعالى تأديب وعنايته بعباده أنهم وأوفر من عناية الآباء بالأولاد فقد روي «أن رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أوصني قال لا تنهم الله في شيء قضاه عليك (١)» «ونظر صلى الله عليه وسلم إلى السماء فضحك فقل قال هجيت قضاء الله تعالى للمؤمن إن قضى له السراء رضى وكان خيرا له وإن قضى له بالضرراء رضى وكان خيرا له (٢)» الوجه الثاني أن رأس الخطايا للهلكة حب الدنيا ورأس أسباب النجاة التجاني بالقلب عن دار القرور ومواناة النعم على وفق الرزاد من غير امتزاج بلاء ومصيبة تورث طمأنينة القلب إلى الدنيا وأسيائها وأنه بها حتى تصير كالجنة في حقه فيعظم بلاؤه عند الموت بسبب مغافرة وإذا كثرت عليه المصائب اتزعج قلبه عن الدنيا ولم يسكن إليها ولم يأمن بها وصارت سببا عليه وكانت نجاته منها غاية اللذة كإخلاص من السجن ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر (٣)» والكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد لإلحاح الدنيا ورضى بها وأطمأن إليها وللمؤمن كل منقطع قلبه عن الدنيا شديد الخوف إلى الخروج منها والكفر بضمه ظاهر وبضمه خفي ويقدر حب الدنيا في القلب يسرى فيه الشرك الحق بل للوحد الطلق هو الذي لا لعب إلا الواحد الحق فاذن في البلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به وأما التألم فهو ضروري وذلك بضاهي فرحك عند الحاجة إلى الحاجة بمن يتولى حجامتك مجانا أو بستانك دواء ناقضا بشما مجانا فانك تألم وتفرح فحصر على الألم وتشكره على سبب الفرح فكل بلاء في الأمور الدنيوية مثله الدواء الذي يؤلم في الحال وينفع في المآل بل من دخل دار ملك للتضارة وعلم أنه يخرج منها لأحالة فرأى وجها حسنا لا يخرج معه من الدار كان ذلك وبلا وبلاء عليه لأنه يومه الأنس بمنزل لا يمكنه القيام فيه ولو كان عليه في القيام خطر من أن يطلع عليه للثك فيعذبه فأصابه ما يكره حتى نغره عن القيام كان ذلك نعمة عليه والدنيا منزل وقد دخلها الناس من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد فكل ما يحقق أنهم بالمنزل فهو بلاء وكل ما يزجج قلوبهم عنها ويقطع أنسهم بها فهو نعمة فمن عرف هذا تصور منه أن يشكر على البلاء ومن لم يعرف هذه النعم في البلاء لم يتصور منه الشكر لأن الشكر يتبع معرفة النعمة بالضرورة ومن لا يؤمن بأن ثواب الصية أكبر من الصية لم يتصور منه الشكر على الصية. وحكي أن أعرابيا عزي ابن عباس على أبيه فقال :

(١) حديث قال له رجل أوصني قال لا تنهم الله في شيء قضاه عليك أحمد والطبراني من حديث عبادة بن زيادة في أوله وفي إسناده ابن أبي شيبة (٢) حديث نظر إلى السماء فضحك فقل قال هجيت قضاء الله للمؤمن الحديث مسلم من حديث صهيب دون نظره إلى السماء وشككه مجا لأمر المؤمنين إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرء شكر فكان خيرا له وإن أصابته ضرء صبر فكان خيرا له وللنساء في اليوم واليلة من حديث سعد بن أبي وقاص هجيت من رضا الله للمؤمن إن أصابته خير حمدته وشكر الحديث (٣) حديث الدنيا سجن للمؤمن وجنة للكافر مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

مضيق مطالعة الأغيار  
قادمة بحمد شغفنا الى  
دور القرار . ومن  
وظيفة الشيخ حسن  
خلقه مع أهل الارادة  
والطلب والنزول من  
حقه فبا يجب من  
التبجيل والتمظيم  
لشأج واستعماله  
التواضع . حكي الرقي  
قال كنت بصبر وكنا  
في السجد جماعة من  
الفقراء جلوسا فدخل  
الزقاق فقام عند  
أطوانة يركع قلنا  
يسرع الشيخ من  
صلاته وتقوم نسل عليه  
فما فرغ جاء إلينا وسلم  
علينا قلنا نحن كنا  
أولى بهذا من الشيخ  
فقال ما عذب الله

اصبر نكن بك صابرين قائما صبر الرعية بعد صبر الراس  
خير من العباس أجرك بعدد والله خير منك للعباس

قال ابن عباس ما عزاني أحد أحسن من نصرتي. والأخبار الواردة في الصبر على الصائب كثيرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من يرد الله به خيرا يصبر به»<sup>(١)</sup> وقال عليه السلام «قال الله تعالى وإذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدته أو ماله أو أولاده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنكره ديوانا . وقال عليه السلام «وامن عبد أصيب بمصيبة قال كما أمره الله تعالى - إن الله وإننا إليه راجعون - اللهم أجرني في مصيبي وأعني خيرا منها لا تضل الله ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى «من سلبت كريمة غزاؤه الخلود في جاري والنظر إلى وجهي» وروى أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسمي قال عليه السلام «والخير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسمه إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره»<sup>(٢)</sup> وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل لتكون له الدرجة عند الله تعالى لا يلقها بعمل حتى يتلى بيلاه في جسمه فيلقها بذلك»<sup>(٣)</sup> وعن خباب بن الأثر قال أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برداه في ظل الكعبة فشكونا إليه قلنا يا رسول الله ألا تدعو الله تستصره لنا جلس عمرا لونه ثم قال «إن من كان قلبكم يؤتي بالرجل فيحفر له في الأرض حفرة ويحيا بالتمشيط فيوضع على رأسه فيجل فرقتين ما يصره فذلك عن دينه»<sup>(٤)</sup> وعن علي كرم الله وجهه قال : أبا رجل حبسه السلطان ظلمات فهو شهيد وإن ضربه فبات فهو شهيد . وقال عليه السلام «من إجلال الله ومعرفة أنه أن لا تشكوا وجملا ولا تذكر مصيبتك» وقال أبو الدرداء رضي الله تعالى عنه: تولدون للوثة وتعمرون للخراب وتخرجون على ما في وتلدون ما بين الأحياء للكرهات ثلاث الفقر والمرض والوثة . وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبده خيرا أو أراد أن يصابه صيب عليه البلاء صبا ونجبه عليه نجا فإذا دعا قالت لللائكة صوت معروف وإن دعاه ثانيا قال يارب قال الله تعالى ليك عبيدي ومصدقك لا تسألني شيئا إلا أعطيتك أودعت عنك ما هو خير وأدخرت لك عندي ما هو أفضل منه فإذا كان يوم القيامة جئى بأهل الأعمال فوقوا أعمالهم بالميزان أهل الصلاة والصيام والصدقة والحج ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان يصب عليهم الأجر صبا كما كان يصب عليهم البلاء صبا

قلبي بهذا قطب حتى  
ما تقيدت بأن أحترم  
وأقصد . ومن آداب  
الشيخ التزول إلى  
حال الردين من  
الرفق بهم وبسطهم .  
قال بعضهم : إذا رأيت  
الفقر الله بالرفق ولا  
تلقه بالعلم فإن الرفق  
يؤنه والعلم يوحشه  
فإذا فصل الشيخ  
هنا لئلا من الرفق  
يتدرج الردي بركة  
ذلك إلى الانتفاع  
بالعلم فيعامل حينئذ  
بصرح العلم . ومن  
آداب الشيخوخة  
النطق على الأصحاب  
وقضاء حقوقهم في  
الصحة والمرض ولا  
يترك حقوقهم اعتادا  
على إرادتهم وصدمهم

(١) حديث من يرد الله به خيرا يصبر منه البخاري من حديث أبي هريرة (٢) حديث أن رجلا قال يا رسول الله ذهب مالي وسقم جسدي قال لا خير في عبد لا يذهب ماله ولا يسقم جسده إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه وإذا ابتلاه صبره ابن أبي الدنيا في كتاب الرضا والكفارات من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد فيه لين (٣) حديث أن الرجل ليكون له الدرجة عند الله لا يلقها بعمل حتى يتلى بيلاه في جسمه فيلقها بذلك أبو داود في رواية ابن داسه وابن العبد من حديث محمد بن خالد السلمي عن أبيه عن جده وليس في رواية الثوري ورواه أحمد وأبو جلي والطبراني من هذا الوجه ومحمد بن خالد لم يروعه إلا أبو الليث الحسن بن عمر الرقي وكذلك لم يروعه خالد إلا ابنه محمد وذكر أبو نعم أن ابن منته سمى جده الجلجل بن سليم فله أعلم وعلى هذا فإنه خالد بن الجلجل العامري ذاك مشهور روى عنه جماعة ورواه ابن منته وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة من رواية عبد الله بن أبي ياس بن أبي فاطمة عن أبيه عن جده ورواه البيهقي من رواية إبراهيم السلمي عن أبيه عن جده فله أعلم (٤) حديث خباب بن الأثر أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد برداه في ظل الكعبة فشكونا إليه الحديث تقدم .

فيود أهل العافية في الدنيا لو أنهم كانت ترض أجسادهم بالمقاريض لما يرون يذهب به أهل البلاء من التواب ، فذلك قوله تعالى - (إعياى في الصابرون أجرهم بغير حساب) (١) - وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنها قال شكنا في من الأنبياء عليهم السلام إلى ربه فقال يارب العالمين يؤمن يطعك ويمتحن بمصائبك تروى عنه الدنيا وتعرض له البلاء ويكون العبد الكافر لا يطعك ويمتحن . عليك وعلى مصائبك تروى عنه البلاء . وتبسط له الدنيا فأوحى الله تعالى إليه إن العباد إلى والبلاء وكل يسبح بحمدي فيكون المؤمن عليه من الذنوب فأزوى عنه الدنيا وأعرض له البلاء فيكون كفارة لذنوبه حتى يلقاني فأجزيه بحسناته ويكون الكافر له الحسنات فأبسط له في الرزق وأزوى عنه البلاء فأجزيه بحسناته في الدنيا حتى يلقاني فأجزيه بسبائته . وروى أنه لما نزل قوله تعالى - من يصل سوءا يجزيه - قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه كيف القرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفر الله لي يا أبا بكر أليس تعرض ألسن يصبك الأذى ألسن تحزن فقهه محاسنهم به » (٢) « يعني أن جميع ما يصبك يكون كفارة لذنوبك . وعن عتبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا رأيتم الرجل يحطيه الله ما يحب وهو مقب على مصيبته فاعلموا أن ذلك استدراج ثم قرأ قوله تعالى - فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء - » (٣) « يعني لما تركوا ما أمروا به فتحنا عليهم أبواب الخير حتى إذا فرحوا بما آتوا بأيها أعطوا من الخير أخذناهم ببئته . وعن الحسن البصري رحمه الله أن رجلا من الصحابة رضى الله عنهم رأى امرأة كان يعرفها في الحلية فكسها ثم تركها فجعل رجل يلتفت إليها وهو يمشى فصدمه حائط فأثر في وجهه فأتى النبي ﷺ فأخبره فقال صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا » (٤) « وقال على كرم الله وجهه ألا أخبركم بأرجى آية في القرآن قالوا بلى فقرأ عليهم - وما أباك من مصيبة فما كسبت أيدبك ويمن عن كثير - فالصائب في الدنيا يكسب الأوزار فإذا عاقبه الله في الدنيا فاقه أكرم من أن يعذبه ثانيا وإن عفا عنه في الدنيا فاقه أكرم من أن يعذبه يوم القيامة وعن أنس رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما يجزع عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة يغظ ردها يحلم وجرعة مصيبة يصبر الرجل لها ولا تظفر قطرة » (٥)

(١) حديث أنس إذا أراد الله بعبد خيرا وأراد أن يصا به عليه البلاء صبا الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب المرض من رواية بكر بن خنيس عن يزيد الرقاشي عن أنس أخضر منه دون قوله فإذا كان يوم القيامة إلى آخره وبكر بن خنيس والرقاشي ضعيفان ورواه الأصمعي في الترغيب والترهيب بشماه وأدخل بين بكر وبين الرقاشي ضرار بن عمرو وهو أيضا ضعيف (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - من يعمل سوءا يجزيه - قال أبو بكر الصديق كيف القرح بعد هذه الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « غفر الله لك يا أبا بكر أليس تعرض ألسن يصبك الأذى ألسن تحزن فقهه محاسنهم به » (٣) حديث عمر ومن حديث الزبير قال وليس فيها شيء . ثبت (٤) حديث عتبة بن عامر إذا رأيتم الرجل يحطيه الله ما يحب وهو مقب على مصيبته فاعلموا أن ذلك استدراج الحديث أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن (٥) حديث الحسن البصري في الرجل الذي رأى امرأة فجعل يلتفت إليها وهو يمشى فصدمه حائط الحديث وفيه إذا أراد الله بعبد خيرا عجل له عقوبة ذنبه في الدنيا أحمد والطبراني بإسناد صحيح من رواية الحسن عن عبد الله بن معقل مرفوعا ومتصلا وصله الطبراني أيضا من رواية الحسن عن عمار بن ياسر ورواه أيضا من حديث ابن عباس وقد روى الترمذي وابن ماجه الرفوع منه من حديث أنس وحسنه الترمذي .

قال بعضهم لا تنزع حق أخيك بما بينك وبينه من اللوعة . وحكى عن الجبري قال وأبنت من الحج فابتدأت بالجند وصلت عليه وقلت حق لا يتنى ثم أتيت منزلي فلما صليت القداء التفت وإذا بالجند خلفي فقلت يا سيدي إنما ابتدأت بالسلام عليك لكيلا تتعنى إلى هنا فقال لي يا أبا محمد هذا حقك وذلك فضلك . ومن آداب الشيوخ أنهم إذا عدوا من بعض الشرشد بن ضغفا في مراغة النفس وقهرها واعتاد صدق العزيمة أن يرققوا

أحب إلى الله من قطرة دم أهرقت في سبيل الله أو قطرة دمع في سواد الليل وهو ساجد ولا يله إلا الله ، وما خطا عبد خطوتين أحب إلى الله تعالى من خطوة إلى صلاة الفريضة وخطوة إلى صلاة الرحم<sup>(١)</sup> . وعن أبي هريرة قال : توفي ابن سليمان بن داود عليهما السلام فوجد عليه وجدا شديدا فأثاء ملكان فنجيا بين يدي في زي المحصور ، فقال أحدهما : بذرت بذرا هذا استحصد مر به هذا فأفسده ، فقال للآخر ما تقول ، فقال أخذت الجادة فأثبت على زرع فنظرت يمينا وشيئا فإذا الطريق عليه ، فقال سليمان عليه السلام ولم بذرت على الطريق أما علمت أن لابد للناس من الطريق . قال فلم يحزن على ذلك وأما علمت أن اللوت سبيل الآخرة كتاب سليمان إلى ربه ولم يرجع على ولد بعد ذلك . ودخل عمر بن عبد العزيز على ابن له مريض ، فقال يا بني : لأن تكون في ميزاني أحب إلى من أن أكون في ميزانك ، فقال يا بني لأن يكون ما أحب أحب إلى من أن يكون ما أحب . وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نسي إليه إبرة له فاسترجع وقال عورة سترها الله تعالى ومؤنة كفها الله وأجر قد ساقه الله ثم نزل صلى ركنين ثم قال قد صنعنا ما أمر الله تعالى . قال تعالى - واستعينوا بالصبر والصلاة - . وعن ابن المبارك أنه مات له ابن فعزاه بحوسى يعرفه ، فقال له ينبغي للمال أن يعمل اليوم ما يضل الجاهل بعد خمسة أيام ، وقال ابن المبارك كتبوا عنه هذه . وقال بعض العلماء إن الله يبتلي العبد بالبلاء بعد البلاء حتى يمشي على الأرض وما لله ذنب . وقال الفضيل : إن الله عز وجل ليعاهد عبده المؤمن بالبلاء كما يعاهد الرجل أهله بالخير . وقال حاتم الأصم إن الله عز وجل يجتج يوم القيامة على الخلق بأربعة أنفس على أربعة أجناس على الأغنياء بسلبان وعلى الفقراء بالمسيح وعلى العبيد يوسف وعلى الرضى بأيوب صلوات الله عليهم . وروى أن زكريا عليه السلام لما هرب من الكفار من بني إسرائيل واختفى في الشجرة فصرخ فوجد ذلك فنجى بالمشار فنتشر الشجرة حتى بلغ المشار إلى رأس زكريا فأن منه أنه أوحى الله تعالى إليهم زكريا لأن صعدت منك أنه ثانية لأحوتك من ديوان النبوة ففهم زكريا عليه السلام على أصبعه حتى قطع شطرين . وقال أبو السعود البلخي : من أصيب بعصية فزق ثوبا وأضرب صدرا فكأنما أخذ رحا يريد أن يقابل به ربه عز وجل . وقال لقمان رحمه الله لابنه : يا بني إن الذهب يجرب بالنار والعبد الصالح يجرب بالبلاء فإذا أحب الله قوما ابتلاه ، فمن رضى فله الرضا ، ومن سخط فله السخط . وقال الأحنف بن قيس : أصبحت يوما أشتكي خرسى ، فقلت لعلى ماتت البارحة من وجع الخرس حتى قلتها ثلاثا ، فقال : لقد أكثرت من خرسك في ليلة واحدة وقد ذهبت عني هذه منذ ثلاثين سنة ما علم بها أحد . وأوحى الله تعالى إلى عزير عليه السلام إذا زلت بك بلية فلا تشكى إلى خلقى واشك إلى كالا تشكوك إلى ملائكتي إذا صعدت مساويك وقضاحك نسأل الله من عظيم لطفه وكرمه ستره الجليل في الدنيا والآخرة .

به وبوقوه على حد  
الرخصة في ذلك خير  
كثير وما دام العبد  
لا يتخطى حصر  
الرخصة فهو حر ثم  
إذا ثبت وخالط الفقراء  
وتدرب في زوم الرخصة  
يخرج بالرفق إلى  
أوطان العزة . قال  
أبو سعيد بن الأعرابي  
كان شاب يصرف  
بأبراهيم السائح وكان  
لأبيه نصبة فاططع  
إلى الصوفية ومحب  
أبا أحمد القلانسي  
فربما كان يقع يد  
أبي أحمد شيء من  
الدرهم فكان يشتري  
له إرفاق والشواء  
والحلواء ويؤثره عليه  
ويقول هذا خرج  
من الدنيا وقد تمود

(١) حديث أنس مانجرج عبد قط جرعتين أحب إلى الله من جرعة غيظ ردها بحلم ، وجرعة مصيبة يسير الرجل لها الحديث أبو بكر بن لال في مكلام الأخلاق من حديث على بن أبي طالب دون ذكر الجرعتين وفيه محمد بن صدقة وهو القدي منكر الحديث وروى ابن ماجه من حديث ابن عمر بإسناد جيد ما من جرعة أعظم عند الله من جرعة غيظ كظلمها عبد ابتغاء وجه الله وروى أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة ما قطر في الأرض قطرة أحب إلى الله عز وجل من دم رجل مسلم في سبيل الله أو قطرة دمع في سواد الليل الحديث وفيه محمد بن صدقة ، وهو القدي منكر الحديث .

( بيان فضل النعمة على البلاء )

لكلّ يقول هذه الأخبار تدل على أن البلاء خير في الدنيا من التمس فقل لنا أن نسأل الله البلاء .  
 فأقول لأوجه ذلك لما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنه كان يستعبد في دعاته من  
 بلاء الدنيا وبلاء الآخرة (١) » وكان يقول هو والأتبياء عليهم السلام « ربنا آتأ في الدنيا حسنة  
 وفي الآخرة حسنة (٢) » وكانوا يستبدون من شجاة الأعداء وغيرها (٣) . وقال على كرم الله وجهه  
 اللهم إني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم « لقد سألت الله البلاء فأسأله العافية (٤) » وروى  
 الصديق رضي الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « سأل الله العافية لها  
 أعطى أحد أفضل من العافية إلا اليقين (٥) » وأشار باليقين إلى عافية القلب عن مرض الجهل والبك  
 ضافية القلب إلى من عافية البدن . وقال الحسن رحمه الله الحير الذي لا شرف فيه العافية مع الشكر  
 فكمن من منعم عليه غير شاكر . وقال مطرف بن عبد الله « لأن أعافى فأشكر أحب إلى من أن أجلى فأهمل »  
 وقال صلى الله عليه وسلم في دعائه « وعافيتك أحب إلى (٦) » وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل  
 واستشهاد وهذا لأن البلاء صار نعمة باعتبارين : أحدهما بالإضافة إلى ما هو أكثر منه إياها الدنيا أوفى  
 الدين ، والآخر بالإضافة إلى ما يرجى من الثواب فينبغي أن نسأل الله تمام النعمة في الدنيا ودفع ما فوقه من  
 البلاء وبسأله الثواب في الآخرة على الشكر على نعمته فإنه قادر على أن يعطى على الشكر ما لا يعطيه  
 على الصبر . فإن قلت : قد قال بعضهم أود أن أكون جسرا على النار يسير على الخلق كلهم  
 فينجون وأكون أنا في النار وقال ممنون رحمه الله تعالى :

وليس لي في سؤالك حظ فكيفما شئت فاختبرني

فهذا من هؤلاء سؤال البلاء فاعلم أنه حكى عن ممنون الحب رحمه الله أنه بنى بهذه البيت بمكة الحصر  
 فكان بعد ذلك يدور على أبواب المكتبات ويقول للصبيان : ادعوا العزم الكذاب . وأما هذا الإنسان  
 ليكون هو في النار دون سائر الخلق فغير ممكنة ولكن قد تطلب المحبة على القلب حتى يظن الحب بنفسه  
 حبا مثل ذلك فمن شرب كأس المحبة سكر ومن سكر توسع في الكلام ولوزايله سكره علم أن ما غلب  
 عليه كان حالة لا حقيقة لها فسامعته من هذا الفن فهو من كلام المشائق الذين أفرط بهم وكلام العشاق

- (١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان يستعبد في دعاته من بلاء الدنيا والآخرة أحمد من حديث  
 بشر بن أبي أرطاة بلفظ أجربنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة وإسناده جيد ولا يروى في حديث  
 عائشة اللهم إني أعوذ بك من شيق الدنيا وشيق يوم القيامة وفيه بنية وهو مدلى ورواه بالضعفة
- (٢) حديث كان يقول هو والأتبياء عليهم السلام ربنا آتأ في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا  
 عذاب النار البخاري ومسلم من حديث أنس كان أكثر دعوة يدعوها التي صلى الله عليه وسلم يقول  
 اللهم آتأ في الدنيا الحديث ولأبن داود والنسائي من حديث عبد الله بن السائب قال سمعت رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين الركنين ربنا آتأ الحديث (٣) حديث كان يستعبد من شجاة  
 الأعداء تقدم في الدعوات (٤) حديث قال صلى الله عليه وسلم إني أسألك الصبر فقال صلى الله عليه وسلم  
 لقد سألت الله البلاء فله العافية الترمذي من حديث معاذ في أثناء حديث وحسنه ولم يسم عليا وإنما  
 قال مع رجلا وله ولنسائي في اليوم والليلة من حديث على كنت ساكنا فري رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم وأنا أقول الحديث وفيه فإن كان بلاء فصرني فصر به رجلاه وقال اللهم عافه واشقه وقال حسن
- صحيح (٥) حديث أبي بكر الصديق سأل الله العافية الحديث ابن ماجه والنسائي في اليوم والليلة بإسناد  
 جيد وقد تقدم (٦) حديث وعافيتك أحب إلى ذكره ابن اسحق في السيرة في دعائه يوم خرج إلى  
 الطائف بلفظ وعافيتك أوسع لي وكذا رواه ابن أبي الدنيا في الدعاء من رواية حسان بن عطية مرسل

النعمة فيجب أن نرفق

به ونؤثره على غيره .

ومن آداب التبوع

التزهد عن مال الغريب

وخدمته والارتفاق

من جانبه بوجه من

الوجوه لأنه جاء الله

تعالى فيجعل نفسه

وإرشاده خالصا لوجه

الله تعالى لما يسدى

الشيخ للسريد من

أفضل الصدقات .

وقد ورد ما تصدق

متصدق بصدقة أفضل

من علميته في الناس

وقد قال الله تعالى

تنبها على خلوص

مائه وحرسته من

الشوائب إنما نطعمكم

لوجه الله لا ليريد منكم

جزاء ولا شكورا فلا

ينبغي للشيخ أن يطلب

يستلذ سماعه ولا يؤكل عليه كما حكى أن فاختة كان يراودها زوجها فتمنع فقال مالدی بمنك عنی، ولو أردت أن أقلب لك الكونین مع ملك سلیمان ظهرا لبطن لعلته لأجلك فسمعهم سليمان عليه السلام فاستدعاه وعاتبه فقال يابني الله كلام العشاق لا ينبغي وهو كما قال، وقال الشاعر :

أريد وصاله ويريد هجری فأترك ما أريد لما يريد

وهو أيضا المعنى ما أريد ما لا يريد لأن من أراد أن لو صال ما أراد الهجر فكيف أراد الهجر الذي لم يرد به بل لا يصدق هذا الكلام إلا بالآب والابن : أحدهما أن يكون ذلك شقي بعض الأحوال حتى يكتب به رضاه الذي يتوصل به إلى مراد الوصال في الاستقبال فيكون الهجران وسيلة إلى الرضا والرضا وسيلة إلى وصال المحبوب والوسيلة إلى المحبوب محبوبة فيكون مثاله مثال محب المال إذا أسلم درهما في درهمين فهو يحب الدرهمين بترك الدرهم في الحال . الثاني أن يصبر رضاه عنده مطلوب ما من حيث إنه رضاه فقط ويكون له في استعمار مرضاه به منه تزيد تلك اللذة على ما في مشاهدته مع كراهته فند ذلك يتصور أن يريد ما فيه الرضا فذلك قد انتهى حال بعض المحبين إلى أن صارت قوتهم في البلاء مع استعمارهم رضاه عنهم أكثر من قوتهم في العافية من غير شعور الرضا فهو لا يوافقهم في البلاء وصار البلاء أحب إليهم من العافية وهذه حالة لا يعدو قوتها في غلبات الحب ولكنها لا تثبت وإن ثبتت مثلا فهل هي حالة صحيحة أم حالة انتفضها حالة أخرى ووردت على القلب فالتفت به عن الاعتدال هذا فيه نظر وذكر تحقيقه لا يلحق بما نحن فيه وقد ظهر بما سبق أن العافية خير من البلاء ففسال الله تعالى لأن فضله على جميع خلقه الفؤ والعافية في الدين والدنيا والآخرة لنا ولجميع المسلمين.

( بيان الأفضل من الصبر والشكر )

اعلم أن الناس اختلفوا في ذلك فقالوا من الصبر أفضل من الشكر وقال آخرون الشكر أفضل وقال آخرون هما سيان وقال آخرون يختلف ذلك باختلاف الأحوال واستدل كل فريق بكلام شديد الاضطراب بعيد عن التحصيل فلا معنى للتطويل بالتفصيل بل بالبادرة إلى إظهار الحق أولى فنقول في بيان ذلك ما قاما : المقام الأول البيان على سبيل التماسه وهو أن ينظر إلى ظاهر الأمر ولا يطلب بالتفتيش بحقيقته وهو البيان الذي ينبغي أن يغلب به عوام الخلق لقصور أفهامهم عن إدراك الحقائق الماضية وهذا الفن من الكلام هو الذي ينبغي أن يعتمد الوعاظ لإقناعهم من مخاطبة العوام إصلاحهم والظفر الشفقة لا ينبغي أن تصلح للصبي الطفل بالظهور الجان وضروب الحلاوات بل باللبس اللطيف وعليها أن تخرج عنه أطايب الأطعمة إلى أن يصير محتلا لما يقوته ويخاف الضحك الذي هو عليه في بيته فتقول : هذا المقام في البيان يأتي البحث والتفصيل ومقتضاه النظر إلى الظاهر المفهوم من موارد الشرع وذلك يقتضي تفضيل الصبر فإن الشكر وإن وردت أخبار كثيرة في فضله فافا أضيف إليه ما ورد في فضيلة الصبر كانت فضائل الصبر أكثر بل فيه انطباع حقيقة التفصيل كقوله صلى الله عليه وسلم « من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزة الصبر »<sup>(١)</sup> وفي الخبر « يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزءا الشاكرين ويؤتى بأبصر أهل الأرض فيقال له : أما ترضى أن يهزبك كما جزينا هذا الشاكر » فيقول نعم يارب فيقول الله تعالى : كلا أنمت عليه فشكر وإيتيتك نصرت لأنمتن لك الأجر عليه فيعطى أضعاف جزءا الشاكرين<sup>(٢)</sup> وقد قال الله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - وأما قوله « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر »<sup>(٣)</sup>

على صدقه جزء إلا أن يظهر له في شيء من ذلك علم يرد عليه من الله تعالى في قبول الرضى منه أو صلاح يترامى للشيخ في حق للريد بذلك فيكون التلبس بالله والارتفاق بخدمة لمصلحة تعود على الريد مأمونة الفاتحة من جانب الشيخ قال الله تعالى - يؤتىكم أجوركم ولا يسألكم أموالكم إن يسألكموها فيحكم بسخاها ويخرج أمتانكم - معنى بفتح أي جهنم وبلغ عليكم . قال قتادة : علم الله تعالى أن في خروج المال إخراج الأمتان وهذا

ورواه أبو عبد الله بن منده من حديث عبد الله بن جعفر مسندا وفيه من مجهول (١) حديث من أفضل ما أوتيتم اليقين وعزة الصبر تقدم (٢) حديث يؤتى بأشكر أهل الأرض فيجزيه الله جزءا الشاكرين ويؤتى بأبصر أهل الأرض الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

فهو دليل على أن الفضيلة في الصبر إذ ذكر ذلك في معرض الباقية لرفع درجة الشكر فألحقه بالصبر فكان هذا منتهى درجته ولولا أنه فهم من الشرع علو درجة الصبر لما كان إلحاق الشكر به مباينة في الشكر وهو كقولہ صلى الله عليه وسلم «الجمعة حج» للسالكين وجهاد للرأى حسن التبعيل<sup>(١)</sup> وكقولہ صلى الله عليه وسلم «شارب الخمر كما بد الوثن»<sup>(٢)</sup> وأبدا الشبه به يبنى أن يكون أعلى رتبة فكذلك قوله صلى الله عليه وسلم «الصبر نصف الإيمان» لا يدل على أن الشكر مثله ، وهو كقولہ عليه السلام «الصوم نصف الصبر» فإن كل ما ينقسم قسمين يسمى أحدهما نصفاً وإن كان بينهما تفاوت كما يقال الإيمان هو العلم والعمل فالعمل هو نصف الإيمان فلا يدل ذلك على أن العمل يساوى العلم ، وفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم «آخر الأنبياء دخول الجنة سليمان بن داود عليهما السلام لمكان ملكه» وآخر أصحابي دخول الجنة عبدالرحمن بن عوف لمكان غناه<sup>(٣)</sup> وفي خبر آخر «يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفاً»<sup>(٤)</sup> وفي الخبر «أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه مصراع واحد وأول من يدخله أهل البلاء أمامهم أيوب عليه السلام»<sup>(٥)</sup> وكل ما ورد في فضائل الفقر يدل على فضيلة الصبر لأن الصبر حال الفقير والشكر حال الثني، فهذا هو المقام الذي يقتضيه العوام ويكتفيهم في الوعظ والاتق والتعريف لما فيه صلاح دينهم . التمام الثاني :

هو البيان الذي قصد به تعريف أهل العلم والاستبصار بمقتضى الأمور بطريق الكشف والإيضاح فتقول فيه : كل أمرين مبهمين لا يمكن للوازنة بينهما مع الإيهام مالم يكشف عن حقيقة كل واحد منهما وكل مكتشف يقتضي على أقسام لا يمكن للوازنة بين الجملة والجملة بل يجب أن تفرّد الأحاد بالوازنة حتى يتبين الرجحان والصبر والشكر أقسامهما وشبههما كثير فلا يتبين حكمهما في الرجحان

(١) حديث الجمعة حج للسالكين وجهاد للرأى حسن التبعيل الخبر بن أبي أسامة في مسنده بالشرط الأول من حديث ابن عباس بسند ضعيف أو الطبراني بالشرط الثاني من حديثه بسند ضعيف أيضاً أن امرأة قالت كتب الله الجهاد على الرجال فما يدل ذلك من أعمالهم من الطاعة قال طاعة أزواجه . وفي رواية ماجزه غزوة للرأى قال طاعة الزوج الحديث وفيه القاسم بن قياض وثقه أبو داود وضعفه ابن معين وباقي رجاله ثقات (٢) حديث شارب الخمر كما بد الوثن ابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ مدغم الخمر ورواه بلفظ شارب الخمر بن أبي أسامة من حديث عبد الله بن عمر وكلاهما ضعيف وقال ابن عدى إن حديث أبي هريرة أخطأ فيه محمد بن سليمان بن الأسبهاني (٣) حديث آخر الأنبياء دخول الجنة سليمان بن داود لمكان ملكه وآخر أصحابي دخول الجنة عبدالرحمن بن عوف لمكان غناه الطبراني في الأوسط من حديث معاذ بن جبل يدخل الأنبياء كلهم قبل داود وسليمان الجنة بأربعين عاماً وقال لم يروه إلا الشيب بن خالد وهو كوفي ثقة ، وروى البزار من حديث أنس أول من يدخل الجنة من أغنياء أمية عبدالرحمن بن عوف وفيه أغلب بن نجم ضعيف (٤) حديث يدخل سليمان بعد الأنبياء بأربعين خريفاً تقدم حديث معاذ قبله ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية دينار عن أنس بن مالك ودينار الحبشي أحد الكذابين على أنس والحديث منكسر (٥) حديث أبواب الجنة كلها مصراعان إلا باب الصبر فإنه باب واحد الحديث لم أجده أصلاً ولا في الأحاديث الواردة في مصاريع أبواب الجنة نثرقة ، فروى مسلم من حديث أنس في الشفاعة والذي قدس محمد يده إن ما بين للصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى والى الصحيحين في خطبة عتبة بن غزوان ولقد ذكر لنا أن ما بين الصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كغليظ من الرحام .

تأديب من الله الكريم  
والأدب أدب الله .  
قال جعفر الحلي جاء  
رجل إلى الجنيد وأراد  
أن يخرج عن ماله  
كله ويجلس معهم  
على الفقر فقال له الجنيد  
لا تخرج من مالك  
كله احبس منه مقدار  
ما يكفيك وأخرج  
الفضل ونحوه بما  
حبست واجتهد في  
طلب الحلال لا تخرج  
كل ما عندك فاست  
آمن عليك أن  
تطالبك نفسك وكان  
النبي عليه السلام إذا  
أراد أن يعمل عملاً  
حببت وقد يصحون  
الشيخ يعلم من حاله  
للريد أنه إذا خرج  
من الشيء يكسبه من

والنفسان مع الاجمال فتقول : قد ذكرنا أن هذه القامات تنظم من أمور ثلاثة : علوم وأحوال وأعمال والشكر والصبر وسائر القامات هي كذلك وهذه الثلاثة إذا وزن البسنى منها بالبسنى لاجل الناظرين في الظواهر أن العلوم تتراد للأحوال والأحوال تتراد للأعمال والأعمال هي الأفضل. وأما أرباب البصائر فالأمر عندهم بالتكس من ذلك فإن الأعمال تتراد للأحوال والأحوال تتراد للعلوم فالأفضل العلوم ثم الأحوال ثم الأعمال لأن كل مراد فغيره فذلك الغير لاحالة أفضل منه. وأما آحاد هذه الثلاثة فالأعمال قد تتساوى وقد تتفاوت إذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا آحاد الأحوال إذا أضيف بعضها إلى بعض وكذا آحاد المعارف وأفضل المعارف علوم الكاشفة وهي أرفع من علوم العامة بل علوم العامة دون العامة لأنها تتراد للعامة فتأثيرها إصلاح العمل وبما أفضل العالم بالمعاملة على العابد إذا كان عليه محاسن فحسبه ، فيكون بالإضافة إلى عمل خاص أفضل وإلا فالعلم القاصر بالعمل ليس بأفضل من العمل القاصر فتقوله : فائدة إصلاح العمل إصلاح حال القلب وفائدة إصلاح حال القلب أن يكشف له جلال الله تعالى في ذاته وصفاته وأضالته فأرفع علوم الكاشفة معرفة الله سبحانه وهي الغاية التي تطلب لذاتها فإن السعادة تنال بها بل هي عين السعادة ولكن قد لا يشعر القلب في الدنيا بأنها عين السعادة وإنما يشعر بها في الآخرة فهي للفرقة الحزينة التي لا تقيدها ملائكة بنيرها وكل ما عداها من المعارف عبيد وخدم بالإضافة إليها فإنها إيمان تتراد لأجلها ولما كانت مرادة لأجلها كان تفاوتها بحسب تقمها في الإفضاء إلى معرفة الله تعالى فإن بعض المعارف يغضى إلى بعض إما بواسطة أو بوسائط كثيرة فكذلك كانت الوسائط بينه وبين معرفة الله تعالى أقل فهي أفضل . وأما الأحوال فتنبى بها أحوال القلب في تصفيتها وتطهيره عن شوائبه الدنيا وشوائب الخلق حتى إذا ظهر وصفها أصبح له حقيقة الحق فاذن فضائل الأحوال بقدر تأثيرها في إصلاح القلب وتطهيره وإعداده لأن تحصله علوم الكاشفة ، وكما أن تصحيح الرؤية يحتاج إلى أن يتقدم على تمامه أحوال المرأة بعضها أقرب إلى الصفاة من بعض فكذلك أحوال القلب حالمة القرية أو القرية من صفاء القلب هي أفضل مما عداها لأنها لاهالة بسبب القرب من القصود وهكذا ترتيب الأعمال فإن تأثيرها في تأكيد صفاء القلب وجلب الأحوال إليه وكل عمل إيمان يجلب إليه حالة مائة من الكاشفة موجبة لظلة القلب جاذبة إلى زخارف الدنيا وإما أن يجلب إليه حالة مهينة للكاشفة موجبة لصفاء القلب وقطع علائق الدنيا عنه واسم الأول للصية واسم الثاني الطاعة والمصطفى من حيث التأثير في ظلة القلب وقساوته متفاوتة وكذا الطاعات في توير القلب ووصفيتها فدرجاتها بحسب درجات تأثيرها وذلك يختلف باختلاف الأحوال ، وذلك أنا بالقول للطلق ربما شول الصلاة النافعة أفضل من كل عبادة نافعة وأن الحج أفضل من الصدقة وأن قيام الليل أفضل من غيره ولكن التحقيق فيه أن التقى الذي معه ما لو قد غلبه البخل وحب المال على إسكاه فأخرج الدرهم له أفضل من قيام ليل وقيام أيام لأن الصيام يليق بمن غلبته شهوة البطن فأراد كسرهما أو منعه الشبع عن صفاء الفكر من علوم الكاشفة فأراد تصفية القلب بالجويع فأما هذا الدبر إذا لم تكن حاله هذه الحال فليس يستغنى بشهوة بطنه ولا هو مشغول بنوع فكر بمنعه الشبع منه فاشتغاله بالصوم خروج منه عن حاله إلى حال غيره وهو كالمريض الذي يشكو وجع البطن إذا استعمل دواء الصداع لم ينتفع به بل حقه أن ينظر في الهلك الذي استولى عليه والشح للطعام من جملة الهلكات ولا يزال صيام مائة سنة وقيام ألف ليلة منه ذرة بل لا يزال إلا لإخراج المال فلهذا أن يتصدق بما معه ، وتفصيل هذا مما ذكرناه في ربيع الهلكات فاجتمع إليه فاذن باعتبار هذه الأحوال بخلاف وعند ذلك يعرف البصير أن الجواب للطلق فيه خطأ

الحال ما لا يتطالع به إلى اللال غيتدر يجوز له أن يفسح للريد في الخروج من اللال كما فسح رسول الله صلى الله عليه وسلم للإبي بكر وقبل منه جميع ماله ، ومن آداب الشيخ إذا رأى من بسن الريدين مكروها أو علم من حاله أعوجاجا أو أحس منه بدعوى أو رأى أنه داخله عجب أن لا يصرح له بالمكروه بل يتكلم مع الأصحاب ويشير إلى المكروه الذي يسم ويكشف عن وجه للفة مجمل فحصل بذلك الفائدة لكل فهذا أقرب إلى الداراة وأكثر أثرا لأن

إذ لو قال لنا غائل الحزب أفضل أم الله لم يكن فيه جواب حق إلا أن الحزب للجائع أفضل وللهاء العطشان أفضل فان اجتماعا فينظر إلى الأغلب فان كان العطش هو الأغلب فاللهاء أفضل وإن كان الجوع أغلب فالحزب أفضل فان تساوى فهما متساويان وكذا إذا قيل السكجيين أفضل أم شراب الجنون فلم يصح الجواب عنه مطلقا أصلا ، ثم لو قيل لنا السكجيين أفضل أم عدم الصغراء ، فنقول : عدم الصغراء لأن السكجيين مراد له وما يراد لغيره فذلك الغير أفضل منه لاهالة فاذن في هذا العمل وهو الإضاق ويحصل به حال وهو زوال البخل وخروج حب الدنيا من القلب ويتأ القلب بسبب خروج حب الدنيا منه لمعرفة الله تعالى وجهه فالأفضل للفرقة ودونها الحال ودونها العمل فان قلت قد حث الشريعة على الأعمال والبالغ في ذكر فضلها حتى طلب الصدقات بقوله - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - وقال تعالى - يأخذ الصدقات - فكيف لا يكون العمل والاتحاق هو الأفضل . فاعلم أن الطبيب إذا أتى على الدواء لم يدل على أن الدواء مراد لئنه أو على أنه أفضل من الصحة والشفاء الحاصل به ولكن الأعمال علاج لمرض القلوب ومرض القلوب مما لا يشرب بمقابلها فهو كبرس على وجه من لامرأة معه فانه لا يشرب به ولو ذكر له لا يصنع به والسيل مع البالغة في التناهي على غسل الوجه بماء الورد مثلا إن كان ماء الورد يزيل البرص حتى يستحبه فرط الشاء على العاطية عليه فيزول مرضه فانه لو ذكر له أن للقصور زوال البرص عن وجهك ربما ترك العلاج وزعم أن وجهه لا يعيب فيه ولتضرب مثلا أقرب من هذا فنقول : من له ولد علم والقرآن وأراد أن يثبت ذلك في حفظه بحيث لا يزول عنه وعلم أنه لو أمره بالترك والدراسة ليق له محفوظا فقال له محفوظ ولا حاجة إلى تكرار ودراسته لأنه يظن أن ما يحفظه في الحال يبقى كذلك أبدا وكان له عيدا فأمروا الولد بتعليم العبد ووعده على ذلك بالجليل لتوفر دافعه على كثرة التكرار بالتعليم فربما يظن الله للسكجيين أنه للقصور تعليم التبيد القرآن وأنه قد استخدم تعليمهم فيشكل عليه الأمر فيقول ما بالي قد استخدمت لأجل العبد وأنا لأجل منهم وأعز عند الوالد وأعلم أن أبي لو أراد تعليم العبد لقدّر عليه دون تكليفي به وأعلم أنه لا تصمان لأبي بفقد هؤلاء العبد فضلا عن عدم علمهم بالقرآن فربما يتكامل هذا للسكجيين فيترك تعليمهم اعتيادا على استثناء أبيه وعلى كرمه في الصفوة فينسى العلم والقرآن ويبقى مدبرا محروما من حيث لا يدري وقد انجم بمن هذا الخيال طائفة وسلوكوا طريق الإباحة وقالوا إن الله تعالى غنى عن عبادتنا وعن أن يستقرض منا فأى معنى لقوله - من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا - ولو شاء الله إطعام الساكين لأطعمهم فلا حاجة بنا إلى صرف أموالنا إليهم كما قال تعالى حكاية عن الكفار - وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قالوا الذين كفروا الذين آمنوا أن نعطيهم من لو يشاء الله أطعمهم قالوا أيضا - لو شاء الله ما أشركنا ولا آباءنا - فانظر كيف كانوا صادقين في كلامهم وكيف هلكتوا بصدقهم فبجان من إذا شاء أهلك بالصدق وإذا شاء أسعد بالجهل بصل به كثير أو يهدى به كثيرا فهو هؤلاء لما ظنوا أنهم استخدموا لأجل الساكين والقراء أو لأجل الله تعالى قالوا لاحظنا في الساكين ولا حظ لله فينا وفي أموال الناس وما أفتنا وأمسكتنا هلكتوا كاهلك السبي لما ظن أن مقصود الوالد استخدامه لأجل العبد ولم يشعر بأنه كان المقصود بيات صفة العلم في نفسه وتأكده قلبه حتى يكون ذلك سبب سعادته في الدنيا وإنما كان ذلك من الوالد نطقا به في استجراره إلى ما فيه مساعده ، فهذا للتالبيين لك ضلال من ضل من هذا الطريق فاذن للسكجيين الإخذلاك يستوفى بواسطة التالخبث البخل وحب الدنيا من باطنك فانه مهلك لك فهو كالحجام يستخرج البصمات ليخرج بخروج الدم الملة الهلكة من باطنك فالجمام خادم لك لأنك خادم للجمام ولا يخرج الجمام عن كونه خادما بأن يكون له

القلوب وإذا رأى من  
للريد تصير في خدمة  
نذهب إليها بعمل تصميره  
ويغفو عنه ويحرمه  
على الخدمة بالرفق  
واللين وإلى ذلك نذب  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم فيما أخبرنا  
ضياء الدين عبد الوهاب  
ابن أبي قال أنا أبو الفتح  
الكروخي قراءة عليه  
قال أنا أبو نصر الترياق  
قال أنا أبو محمد الجراحي  
قال أنا أبو الباس  
الجبوي قال أنا أبو عيسى  
الترمذي قال ثنا قتبية  
قال ثنا رعد بن  
سعد عن أبي هلال  
الحولاني عن ابن  
عباس بن جليل  
الحجري عن عبد الله بن

غرض في أن صنع شيئا بالدم ولما كانت الصدقات مطهرة للبوطن ومزكية لها عن خبايا الصفات امتنع رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذها وانتهى عنها <sup>(١)</sup> كما نهى عن كسب الحجام وصحائها أو سلع أموال الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها <sup>(٢)</sup> والقصد أن الأعمال مؤثرات في القلب كلسبق في ربح الهلكات والقلب بحسب تأثيرها مستعد لقبول الهداية ونور المعرفة هذا هو القول السلي والقانون الأصل الذي ينبغي أن يرجع إليه في معرفة فضائل الأعمال والأحوال والمآل فلو ترجع الآن إلى خصوص مانع من الصبر والشكر فتقول في كل واحد منهما معرفة وحال ومحل فلا يجوز أن تقابل المعرفة في أحدهما بالحال أو العمل في الآخر بل يقابل كل واحد منهما بنظيره حتى يظهر التماسيح والتناسب يظهر الفضل ومهما فويلت معرفة الشاكر بمعرفة الصابر راجعا إلى معرفة واحدة إذ معرفة الشاكر أن يرى نعمة البعير مثلا من الله تعالى ومعرفة الصابر أن يرى العسر من الله تعالى وهما معرقتان متلازمتان متساويتان هذا إن اعتبرنا في البلاء والمصائب وقد بينا أن الصبر قد يكون على الطاعة وعن الصبر وفيما يبعد الصبر والشكر لأن الصبر على الطاعة هو عين شكر الطاعة لأن الشكر يرجع إلى صرف نعمة الله تعالى إلى ما هو القصد منها بالحكمة والصبر يرجع إلى ثبات باعث الدين في مقابلة ما باعث الهوى والصبر والشكر فيه إيمان لمسمى واحد باعتبارين مختلفين ثبات باعث الدين في مقاومة باعث الهوى يسمى صبرا بالإضافة إلى باعث الهوى ويسمى شكرا بالإضافة إلى باعث الدين إذ باعث الدين إنما خلق لهذه الحكمة وهو أن يصبر به باعث الشهوة وقد صرفه إلى مقصود الحكمة فهما جارتان عن معنى واحد فكيف يفضل الشيء على نفسه فاذن مجازي الصبر ثلاثة : الطاعة وللصية والبلاء وقد ظهر حكمها في الطاعة وللصية وأما البلاء فهو جارية عن قنن نعمة والنعمة إما أن تخضع ضرورية كالعينين مثلا وإما أن تقع في محل الحاجة كالزيادة على قدر السكافة من المال أما العينان فغير الأعمى عنها بأن لا يظهر الشكوى ويظهر الرضا بقضاء الله تعالى ولا يترخص بسبب العسر في حنن المصاعب وشكر البصير عليها من حيث العمل بأمرين : أحدهما أن لا يستعين بها على مصيبة ، والآخر أن يستعملها في الطاعة وكل أحد من المؤمنين لا يخلو عن الصبر فإن الأعمى كفى الصبر عن الصور الجليقة لأنه لا يراها والبصير إذا وقع بصره على جبل فصر كان ما كرا لنعمة العينين وإن أجمع النظر كفر نعمة العينين فقد دخل الصبر في شكره وكذا إذا استعان بالعينين على الطاعة فلا بد أيضا فيه من صبر على الطاعة ثم قد يشكرها بالنظر إلى هباب صنع الله تعالى ليتوصل به إلى معرفة أفضعائه وتعالى فيكون هذا الشكر أفضل من الصبر ولولا هذا لكانت رتبة شيعب عليه السلام مثلا وقد كان ضيرا من الأنبياء فوق رتبة موسى عليه السلام وغيره من الأنبياء لأنه صبر على قنن البصر وموسى عليه السلام لم يصبر مثلا ولكن الكمال في أن يسلب الإنسان الأطراف كلها وترك كلهم على وضوء ذلك محال جدا لأن كل واحد من هذه الأعضاء آلة في الدين يموت فبوتها ذلك الركن من الدين وشكرها يستعملها فما هي آلة فيه من الدين وذلك لا يكون إلا بصبر وأما ما يقع في محل الحاجة كالزيادة على السكافة من المال فانه إذا لم يؤت إلا قدر الضرورة وهو يحتاج إلى ما وراءه في الصبر عنه مجاهدة وهو جاهد القفر ووجود الزيادة نعمة وشكرها أن تصرف إلى الخيرات أو أن لا تستعمل في الصية فإن أضيف الصبر إلى الشكر الذي هو صرف إلى الطاعة فالشكر أفضل لأنه تضمن الصبر أيضا وفيه فرح بنعمة الله

عمر قال جاء رجل إلى النبي عليه السلام فقال يا رسول الله كم أعفو عن الخادم قال كل يوم سبعين مرة وأخلاق لفتاح مهذبة بحسن الاعتماد رسول الله صلى الله عليه وسلم وم أحق الناس بأحياء سنته في كل ما أمر ونهى وأشكر وأوجب ومن جملة مهام الآداب حفظ أسرار للردين فيما يكشفون به ويعتدون من أنواع التسحفسر الريد لا يمدى ربه وشيخه ثم يحتر الصبح في نفس الريد ما يجد في خلوته من كشف أو سماع خطاب أو شيء من خوارق العادات يعرفه

(١) حديث الترمذي عن كسب الحجام تقدم (٢) حديث امتنع من الصدقة وصحائها أو سلع الناس وشرف أهل بيته بالصيانة عنها مسلم من حديث عبد اللطيف بن ربيعة إن هذه الصدقة لأهل لنا إنما هي أو سلع القوم وإنما لأهل الحمد ولا لأن محمد وفي رواية ٤ أو سلع الناس .

تعالى وفيه احتمال ألم في صرفه إلى الفقراء وترك صرفه إلى التتم الباع وكان الحاصل يرجع إلى أن شيئين أفضل من شيء واحد وأن الجملة أعم رتبة من البعض وهذا فيه خلل إذ لا تصح الموازنة بين الجملة وبين أبعاضها وأما إذا كان شكره بأن لا يستعين به على مصيبة بل يصرفه إلى التتم الباع فالصبر هنا أفضل من الشكر والفقير الصابر أفضل من الغني الممسك ماله الصارف إذ إلى المباحات لا من الغني الصارف ماله إلى الخيرات لأن الفقير قد جاهد نفسه وكسر نهيمته وأحسن الرضا على بلائه تعالى وهذا الحالة تستدعي لأعمال قوة والغنى أتبع نهيمته وأطاع شهوته ولكنه اقتصر على الباع والباع فيه مندوحة عن الحرام ولكن لا بد من قوة في الصبر عن الحرام أيضا إلا أن القوة تأتي عنها يصدر صبر الفقير أعم وأتم من هذه القوة التي يصدر عنها الاقتصاد في التتم على الباع والشكر لتلك القوة التي يدل العمل عليها فإن الأعمال لا تراه إلا أحوال القلوب وبذلك القوة حالة القلب تختلف بحسب قوة اليقين والایمان فساد على زيادة قوة في الإيمان فهو أفضل لأعماله وجميع ما ورد من فضيل أجر الصبر على أجر الشكر في الآيات والأخبار إنما أريد به هذه الرتبة على المحصر لأن السابق إلى أفهام الناس من النعمة والأموال والغنى بها والسابق إلى الأفهام من الشكر أن يقول الإنسان المحدث ولا يستعين بالنعمة على المصيبة لأن يصرفها إلى الطاعة ، فاذن الصبر أفضل من الشكر أي الصبر الذي نفعه العامة أفضل من الشكر الذي نفعه العامة وإلى هذا المعنى على الخصوص أشار الجليل رحمه الله حيث سئل عن الصبر والشكر أيهما أفضل فقال ليس منحه التي بالوجود ولا مدح الفقير بالعدم وإنما المدح في الاثنين قياسهما بشرط ما عليهما فشرط الغنى يصح فيها عليه أشياء تلائم صفته وتحميها وتلدها والفقير يصح فيها عليه أشياء تلائم صفته وتحميها وتزججها فإذا كان الاثنان قائمين لله تعالى بشرط ما عليهما كان الذي آلم صفته وأزججها أتم حالا ممن منع صفته ونعمها والأمر على ما قاله وهو صحيح من جهة أقسام الصبر والشكر في القسم الأخير الذي ذكرناه وهو لم يرد سواء ويقال كان أبو العباس بن عطاء قد خالفه في ذلك وقال الغنى الشاكر أفضل من الفقير الصابر فدعا عليه الجليل فأصابه ما أصاب من البلاد من قتل أولاده وإتلاف أمواله وزوال غفله أربع عشرة سنة فكان يقول دعوة الجليل أصابني ورجع إلى فضيل الفقير الصابر على الغنى الشاكر ومهما لاحظت المعاني التي ذكرناها علمت أن لكل واحد من القولين وجهًا في بعض الأحوال فرب فقير صابر أفضل من غنى شاكر كالسبي ورب غنى شاكر أفضل من فقير صابر وذلك هو الغنى الذي يرى نفسه مثل الفقير إذ لا يمسك لنفسه من المال إلا قدر الضرورة الباقي يصرفه إلى الخيرات أو يمسكه على اعتقاد أنه خازن للحاجين وللساكين وإنما ينتظر حاجة تنسح حتى يصرف الباهم إذا صرف لم يصرفه لطلب جاء وصيت ولا تقليد بمنه بل أماء لحق الله تعالى في تقديع عبادته فهذا أفضل من الفقير الصابر ، فإن قلت فهذا لا يشغل على النفس والفقير يشغل عليه الفقر لأن هذا يستشعر لذة القدرة وذلك يستشعر ألم الصبر فإن كان متألما بفراق المال فيجبر ذلك بلائه في القدرة على الاتحاق . فاعلم أن الذي نراه أن من ينفق ماله عن رغبة وطيب نفس أكل حالًا ممن ينفق وهو بخيل به وإنما يقطع عن نفسه فقرا وقد ذكرنا فضيل هذا فيما سبق من كتاب التوبة فإلام النفس ليس مطلوبًا بالعين بل لتأديبها وذلك يضاهي ضرب كلب الصيد والكلب التأديب أكل من الكلب المحتاج إلى الضرب وإن كان صابرا على الضرب ولذلك محتاج إلى الإيلاء والمجاهدة في البداية ولا يحتاج إلى البقاء بالنهاية بل النهاية أن يصير ما كان مؤلما في حقه لذيذة عنده كما يصير التلم عند الصبي العاقل لذيقه لو قد كان مؤلما له أو لا ولكن لما كان الناس كلهم إلا الأقلين في البداية بل قيل البداية بكسر كالصبيان أطلق الجليل القول بأن الذي يؤم صفته أفضل وهو كما قال صحيح فيما أراد من عموم الخلق ، فإذا إذا كنت لا تفصل الجواب وتطلقه لإرادة أكثر

أن الوقوف مع شيء من هذا يشغل عن الله ويسد باب الزيد بل يعرف أن هذه نعمة تشكر ومن ورائها ثم لا تحصى ويعرف أن شأن الريد طلب النعم لا النعمة حتى يبقى سره محفوظا عند نفسه وعند شيخه ولا يذيع سره فإذا دعا الأسرار من ضيق الصدر وضيق الصدر الوجوب لإذاعة السر يوصف به النسوان وضعفاء العقول من الرجال وسبب إذاعة السر أن الإنسان قوتين آخذة ومطبوقة وكلتاها تنشوف إلى الفعل المختص بها ولولا أن الله تعالى وكل للمطبة أظهر ما عندنا

فأطلق القول بأن الصبر أفضل من الشكر فإنه صحيح بالمعنى السابق إلى الأنفهام فإذا أردت التحقيق فقص فان الصبر درجات أقلها ترك الشكوى مع الكراهية ووراءها الرضا وهو مقام وراء الصبر ووراءه الشكر على البلاء وهو وراء الرضا إذا الصبر مع التألم والرضا يمكن بمالائه وبه ولا فرح والشكر لا يمكن إلا على محبوب مغروح به وكذلك الشكر درجات كثيرة ذكرنا أمصاها ويدخل في جملتها أمور دونها فان حياة البعد من تاييح نعم الله عليه شكر ومعرفة بقصره عن الشكر شكر والاعتذار من قلة الشكر شكر والفرقة بعظيم حلم الله وكشف ستره شكر والاعتراض بأن النعم ابتداء من الله تعالى من غير استحقاق شكر والطم بأن الشكر أيضا نعمته من نعم الله وهو به من شكر وحسن التواضع اللهم والنذل فيها شكر وشكر الوسايط شكر إذ قال عليه السلام «من لم يشكر الناس لم يشكر الله» (١) وقد ذكرنا حقيقة ذلك في كتاب أسرار الزكاة وقلة الاعتراف وحسن الأدب بين يدي النعم شكر وتلقى النعم بحسن القول واستنظام صغيرها شكر وما يندرج من الأعمال والأحوال تحت اسم الشكر والصبر لا تنحصر آحادها وهي درجات مختلفة فكيف يمكن إجمال القول بتفضيل أحدها على الآخر إلا على سبيل إرادة الخصوص باللفظ العام كالورد في الأخبار والآثار وقد روى عن بعضهم أنه قال رأيت في بعض الأسفار شيخا كبيرا قد طعن في السن فسأله عن حاله فقال إني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي وهي كذلك كانت تهوأي فانفق أيها زوجت مني فلبت زفافها قلت تعالى حتى نحبي هذه البلية شكر الله تعالى على ما جمنا فليينا تلك البلية ولم يفرغ أحدنا إلى صاحبه فلما كانت البلية الثانية قلنا مثل ذلك فليينا طول الليل فنذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الحالة كل ليلة أليس كذلك يا فلانة قالت العجوز هو كما يقول الشيخ فانظر إليهما لوصرا على بلاء الفرقة أن لولم يجمع الله بينهما وأنسب صبر الفرقة إلى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك أن هذا الشكر أفضل فاذن لاوقوف على حقائق الفضلات لا بتفضيل كما سبق والله أعلم .

### (كتاب الخوف والرجاء)

(وهو الكتاب الثالث من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الرجو لطفه وثوابه الخوف مكره وعقابه الذي عمر قلوب أوليائه بروح رجاؤه حتى ساقهم بلطائف آلائه إلى التزول بفنائه والمعدول عن دار بلائه التي هي مستقر أعدائه وضرب بسياط التخويف وزجره العنيف وجوء للعرضين عن حضرته إلى دار ثوابه وكرامته وصددهم عن التعرض لأنته والتهدف لخطئه وغمته قودا لأصناف الخلق بسلاسل القهر والعنف وأزمة الرقي والالطف إلى جنته ، والصلاة على محمد سيد أنبيائه وخير خلقته وعلى آله وأصحابه وعترته .

[أما بعد] فان الرجاء والخوف جناحان هما بطير القربون إلى كل مقام محمود ومطمان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كشود فلا يقود إلى قرب الرحمن وروح الجنان مع كونه بعيد الأرجاء ثقيل الأعباء محفوقا بكماله القلوب ومشاق الجوارح والأعضاء إلا أزمة الرجاء ولا يصد عن نار الجحيم والعذاب الأليم مع كونه محفوقا بلطائف التسويات ومحائب اللذات إلا بسياط التخويف وسطوات التعنيف فلا بد إذن من بيان حقيقتيهما وتفضيلتهما وسبيل التوصل إلى الجمع بينهما مع تضادهما وتمازجهما وعن

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله تقدم في الزكاة .

### (كتاب الرجاء والخوف)

ما ظهرت الأسرار  
فكامل العقل كل  
طلت القوة الفعل  
قيدها ووزنها بالعقل  
حتى يضمها في مواضعها  
فيجل حال الشيوخ  
عن إذاعة الأسرار  
لرزانة عقولهم ويخفي  
لغيره أن يحفظ سره  
من به في ذلك صفة  
وسلامته وتأييد الله  
سبحانه وتعالى له  
بشدارك للزبدن  
الصادقين في موردكم  
ومصدرهم .

### [الباب الثالث]

والحمسون في حقيقة  
الصحة وما فيها من  
الحير والشر  
للتعنى للصحة وجود  
الجنسية وقد يدعو  
إليها أهم الأوصاف

نجمع ذكرهما في كتاب واحد يشتدل على شطرين الشطر الأول في الرجاء والشطر الثاني في الخوف أما الشطر الأول فيشتمل على بيان حقيقة الرجاء وبيان فضيلة الرجاء وبيان دواء الرجاء والطريق الذي يحتل به الرجاء .

### ( بيان حقيقة الرجاء )

اعلم أن الرجاء من جملة مقامات السالكين وأحوال الطالبين وإنما يسمى الوصف مقاماً إذا ثبت وأقام وإنما يسمى حالاً إذا كان عارضاً سريع الزوال وكما أن الصفرة تنقسم إلى ثابته كصفرة الذهب وإلى سرعة الزوال كصفرة الوجع وإلى ما هو بينهما كصفرة المريض فكذلك صفات القلب تنقسم هذه الأقسام فالذي هو غير ثابت يسمى حالاً لأنه يحول على القرب وهذا جار في كل وصف من أوصاف القلب وغرضنا الآن حقيقة الرجاء فالرجاء أيضاً يتم من حال وعلم وعمل فالعلم يسبب الشعور الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجاء اسماً من جملة الثلاثة وبيانه أن كل ما يلائقك من مكروه ومحبوب فينقسم إلى موجود في الحال وإلى موجود فيما مضى وإلى منتظر في المستقبل فإذا خطر ببالك موجود فيما مضى ذكرنا وتذكروا وإن كان ما خطر بقلبك موجوداً في الحال سمى وجداً وذوقاً وإدراكاً وإنما سمى وجداً لأنها حالة تجدها من نفسك وإن كان قد خطر ببالك وجود شيء في المستقبل وغلب ذلك على قلبك سمى انتظاراً وتوقفاً فإن كان المنتظر مكروهاً حصل منه ألم في القلب سمى خوفاً وإشفاقاً وإن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به وإخطار وجوده بالبال فناء في القلب وارتياح سمى ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب للتوقع لا بد وأن يكون له سبب فإن كان انتظاره لأجل حصول أكثر أسبابه قاسم الرجاء عليه صادق وإن كان ذلك انتظاراً مع انغرام أسبابه واضطرابها قاسم التردد والحق عليه أصدق من اسم الرجاء وإن لم تكن الأسباب معلومة الوجود ولا معلومة الانتهاء قاسم التني أصدق على انتظاره لأنه انتظار من غير سبب وعلى كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف إلا على ما يتردد فيه أما ما يقطع به فلا ، إذ لا يقال أرجو طلوع الشمس وقت الطلوع وأخاف غروبها وقت الغروب لأن ذلك مقطوع به ، ثم يقال أرجو نزول للطر وأخاف انقطاعه وقد علم أن باب الغيوب أن الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالأرض والإيمان كالبذر فيه والطاعات جارية تجري ثقلب الأرض وتطهيرها ويجري حفر الأنهار وسياقة الماء إليها والقلب السهتر الدنيا السهتر فيها كالأرض السبخة التي لا ينمو فيها البذر ويوم القيامة يوم الحصاد ولا يحصد أحد إلا ما زرع ولا ينمو زرع إلا من بذر الإيمان وقفاً ينفع إيمان مع خوث القلب وسوء أخلاقه كما لا ينمو بذر في أرض سبخة فينبغي أن يقاس رجاء العبد للفترة بـرجاء صاحب الزرع فكل من طلب أرضاً طيبة وألقى فيها بذراً جيداً غير غفن ولا مسوس ثم أمده بما يحتاج إليه وهو سوق الماء إليه في أوقاته ثم نقي الشوك عن الأرض والحشيش وكل ما يمنع نبات البذر أو يفسده ثم جلس منتظراً من فضل الله تعالى دفع الصواقي والآفات الفسدة إلى أن يتم الزرع ويبلغ غايته سمى انتظاره رجاء وإن بث البذر في أرض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب إليها الماء ولم يشتدل بتمهيد البذر أصلاً ثم انتظر الحصاد منه سمى انتظاره حملاً وغروراً لارجاه وإن بث البذر في أرض طيبة لكن لا ماء لها وأخذ ينتظر مياه الأمطار حيث لا تنصب الأمطار ولا يتمتع أيضاً سمى انتظاره تمناً لارجاه ، فإذا نسي اسم الرجاء وإنما يصدق على الانتظار محبوب تمهيدت جميع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلا ما ليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى يصرف القواطع والفسادات فالعبد إذا بث بذر الإيمان وسقاء بماء الطاعات

وقد يدعو إليها أخس الأوصاف فالدعاء بأعم الأوصاف كليل جنس البشر بعضهم إلى بعض والدعاء بأخص الأوصاف كليل أهل كل فئة بعضهم إلى بعض ثم أخس من ذلك كليل أهل الطاعة بعضهم إلى بعض وكليل أهل العصية بعضهم إلى بعض فإذا علم هذا الأصل وأن الجاذب إلى الصلحة وجود الجنسية بالأعم تارة وبالأخص أخرى فليقتعد الإنسان نفسه عند الليل إلى صلحة شخص وينظر ما الذي يميل به إلى محبتهم ومن يميل إليه يعز أن الشرع فان

وطهر القلب عن عوكة الأخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى شيئا على ذلك إلى الموت وحسن الحظفة للفضة إلى الغفرة كان انتظاره رجاء حقيقيا محمودا في نفسه باعثا له على اللواظفة والقيام بتقتضى أسباب الإيمان في إتمام أسباب الغفرة إلى الموت وإن قطع عن بند الإيمان تهمله بماء الطامات أو ترك القلب مشغولا بذائل الأخلاق وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر للغفرة انتظاره بحق وغرور قال صلى الله عليه وسلم «الأحقق من أتبع نفسه هواها ونفى على الله الجنة (١)» وقال تعالى - خلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا - وقال تعالى - خلف من بعدهم خلف ورتوا الكتاب يأخضون عرض هذا الأدنى ويقولون سيفر لنا - وذم الله تعالى صاحب البستان إذ دخل جنته وقال - ما ظن أن تبيد هذه أبدا وما أعلم الساعة فائمة ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها متقبلا - فاذن العبد المهتدي في الطاعات المحتجب بالمعاصي حقيق بأن ينتظر من فضل الله تمام العمة وما تمام التمة إلا بدخول الجنة وأما المعاصي فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير حقيق بأن يرجو قبول التوبة وأما قبول التوبة إذا كان كارهيا للمصيبة تسوء السيئة وتسره الحسنة وهو يذم نفسه ويلومها ويستبشئ التوبة ويستأنق إليها حقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة لأن كراهيته للمصيبة وحرصه على التوبة يجرى بحرى السبب القوي قد يفضي إلى التوبة وإنما الرجاء بعد تأكد الأسباب ولذلك قال تعالى - إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله - معناه أولئك يستحقون أن يرجوا رحمة الله وما أراد به تخصيص وجود الرجاء لأن غيرهم أيضا قد يرجو ولكن خصص بهم استحقاق الرجاء فأما من يهمل في تركه الله تعالى ولا يذم نفسه عليه ولا يزم على التوبة والرجوع فحماؤه الغفرة بحق كرجاء من بث البذر في أرض سبخة وعزم على أن لا يتعبه بسقى ولا تنقية. قال يحيى ابن معاذ من أعظم الاعتزاز عندى المتأدي في الذنوب مع رجاء الغفر من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة يذر النار وطلب دار الطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمنى على الله عز وجل مع الإفراط :

رجو النجاة ولم تسلك مسالكها إن السفينة لا تجرى على اليس

فإذا عرفت حقيقة الرجاء ومطلته فقد علمت أنها حالة أمرها العلم بحريان أكثر الأسباب وهذه الحالة تجهز للجهد للقيام ببقية الأسباب على حسب الإمكان فإن من حسن بذره وطابت أرضه وغرر ماؤه صدق رجاءه فلا يزال بعمله يصدق الرجاء على تفقد الأرض وتهملها وتنحبه كل شئش ينبت فيها فلا يفر عن تهملها أصلا إلى وقت الحصاد وهذا لأن الرجاء بضاده اليأس واليأس يمنع من التعمد لمن عرف أن الأرض سبخة وأن الماء معوز وأن البذر لا ينبت فيترك لأهملته تفقد الأرض والتب في تهملها والرجاء محمود لأنه ناعث واليأس مذموم وهو عسده لأنه صارف عن العمل والحواف ليس بضده للرجاء بل هو رفيق له كما سيأتي بيانه بل هو باعث آخر يطريق الرجة كأن الرجاء باعث بطريق الرغبة فاذن حال الرجال يورث طول المجاهدة بالأعمال واللواظفة على الطاعات كيفما تطلبت الأحوال ومن آثاره التلذذ بدوام الإقبال على الله تعالى والتتم بتناجاته والتلطف في التعلق له فإن هذه الأحوال لا بد وأن تظهر على كل من يرجو مسلكا من الملوك أو شخصا من الأشخاص فكيف لا يظهر ذلك في حق الله تعالى فإن كان لا يظهر فليستدل به على الحرمان عن مقام الرجاء والوصول في حضيض النور والحق فهذا هو البيان لحال الرجاء ولما أغمره من العلم ولما استثمر منه من العمل (١) حديث الأحقق من أتبع نفسه هواها الحديث تقدم غير مرة .

رأى أحواله مسددة  
فليشتر نفسه بحسن  
الحال قد جل الله  
تعالى مرآته مجلوة  
يلوح له في مرآة أخيه  
جمال حسن الحال وإن  
رأى أحواله غير مسددة  
فليرجع إلى نفسه باللائحة  
والإتهام قد لاح له في  
مرآة أخيه سوء حاله  
فبالجدر أن غرمنه  
كبرارته من الأسد  
قاتلها إذا اصطحبا  
لرحماداة واعوجاجا  
ثم إذا علم من صاحبه  
القدى مال إليه حسن  
الحال وحكم نفسه  
بحسن الحال طالع ذلك  
في مرآة أخيه فليعلم أن  
الميل بالوصف الأعم  
مركز في جبلته وما لب  
بطرقه واقع وله

وبدل على إيماره هذه الأعمال حديث زيد الخيل إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم «جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد فقال كيف أصبحت قال أصبحت أحب الخير وأهله وإذا قدرت على شيء منه سارعت إليه وأبغيت شؤابه وإذا فاتني منه شيء حزنْتُ عليه وحفنت إليه قال هذه علامة الله فيمن يريد ولو أرادك للأخرى هياك لها ثم لا يبالى في أي أوديتها هل كنت قد قد ذكر صلى الله عليه وسلم علامة من أراده الخير فن لا ترجى أن يكون مراد الخير من غير هذه العلامات فهو مغرور (١)».

(بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه)

بحسب أحكام والناس  
بسببه حكون وركون  
فيصل البيل بالوصف  
الأعم جدوى البيل  
بالوصف الأخص  
ويصير بين التصاحبين  
استرواحات طيبة  
وتقذات جبلية لا يفرق  
بينها وبين خلوص  
الصحة لله إلا العلماء  
الراشدون وقد يفسد  
الريد الصادق بأهل  
الصلاح أكثر مما  
يفسد بأهل الفساد  
ووجه ذلك أن أهل  
الفساد علم فساد  
طريقهم فأخذ حذرهم  
وأهل الصلاح غره  
صلاحهم فقال إليهم  
بغسبة الصالحة ثم  
حصل بينهم استرواحات  
طيبة جبلية  
حالت بينهم وبين

اعلم أن العمل على الرجاء أعلى منه على الخوف لأن أقرب العباد إلى الله تعالى أحبه والحب يخلص الرجاء واعتبر ذلك بملكين يخدم أحدهما خوفاً من عقابه والآخر رجاء شؤابه ولذلك ورد في الرجاء وحسن الظن «غالب لاسياً في وقت اللوث قال تعالى - لا تظنوا من رحمة الله - حرم أصل اليأس وفي أخبار يعقوب عليه السلام أن الله تعالى أوحى إليه أتدري لم فرقت بينك وبين يوسف لأنك قلت أخاف أن يأكله الذئب وأتم عنه غافلون لم خفت الذئب ولم ترجى ولم نظرت إلى غفلة إخوته ولم تنظر إلى حظي له وقال صلى الله عليه وسلم «لا يعونن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى (٢)» وقال صلى الله عليه وسلم «يقول الله عز وجل أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء (٣)» ودخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في التزع قال كيف تجدك فقال أجدي أخاف ذنوبي وأرجو رحمة ربي فقال صلى الله عليه وسلم ما اجتماعك قلب عبدي هذا لوطن بالإعطاء الله ما رجاء وأمنه بما يخاف (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «أخرجني الخوف إلى القنوط لسكرة ذنوبه يا هذا بأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك. وقال سفيان - من أذنب ذنباً فإني أن الله تعالى قدره عليه ورجا غفرانه غفر الله ذنبه قال لأن الله عز وجل عير قوماً قال - وذلك ظنكم الذي ظنتم بربكم أرداكم - وقال تعالى - وظننتم ظن السوء. وكنتم قوماً بوراً وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ما منك إذ رأيت للسكر أن تنسكه فإن الله حبه قال يا رب رجوتك وخفت الناس قال فيقول الله تعالى قد غفرت لك (٥)» وفي الخبر الصحيح «أن رجلاً كان يدين الناس فيسامح النقي ويتجاوز عن العسر فلقى الله ولم يعمل خيراً قط قال الله عز وجل من أحق بذلك منا (٦)» فعفا عنه الحسن ظنه ورجائه أن ينفو عنه مع إفلاسه عن الطاعات وقال تعالى - إن الذين يتلون كتاب الله

(١) حديث زيد الخيل جئت لأسألك عن علامة الله فيمن يريد وعلامته فيمن لا يريد الحديث الطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود بنده ضعف وفيه أنه قال أنت زيد الخير وكذا قال ابن أبي حاتم ساه النبي ﷺ الخير ليس يروى عنه حديث وذكره في حديث يروي قيام زيد الخير فقال بارسول الله الحديث سمعت أبي يقول ذلك (٢) حديث لا يعونن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله مسلم من حديث جابر (٣) حديث أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء ابن حبان من حديث وثالة بن الأسقع وهو في الصحيحين من حديث أبي هريرة دون قوله فليظن بي ما شاء (٤) حديث دخل صلى الله عليه وسلم على رجل وهو في التزع فقال كيف تجدك الحديث الترمذي وقال غريب والسنائي في الكبرى وابن ماجه من حديث أنس وقال النووي إسناده جيد (٥) حديث إن الله يقول للعبد يوم القيامة ما منك إذ رأيت للسكر أن تنسكه الحديث ابن ماجه من حديث أبي سعيد الخدري بإسناد جيد وقد تقدم في الأمر المعروف (٦) حديث أن رجلاً كان يدين الناس فيسامح ويتجاوز عن العسر الحديث مسلم من حديث ابن مسعود حوسب رجل من كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلا أنه كان يخالط الناس وكان موسراً فكان يأمر غلامه أن يتجاوزوا عن العسر قال الله عز وجل من أحق بذلك يتجاوزوا الله وانفقوا عليه من حديث حذيفة

وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلاية يرجون تجارة لن تبور - ولما قال صلى الله عليه وسلم ولتصلون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيكم كثيرا وخرجتم إلى الصدقات تقدمون صدوركم تجارون إلى ربكم فبسط جبريل عليه السلام فقال إن ربك يقول لك لم تخط عبادي فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم (١) وفي الخبر «إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام أجبني وأجب من عبي وحبيبي إلى خلقى فقال يارب كيف أجيبك إلى خلقك قال أذكرني بالحسن الجليل وأذكر آلائي وإحسانى وذكرهم ذلك فانهم لا يعرفون مني إلا الجليل (٢)» ورؤى أبان بن أبي عياش في النوم وكان يذكر أبواب الرجاء فقال أوقفني الله تعالى بين يديه فقال ما الذي حملك على ذلك قلت أردت أن أجيبك إلى خلقك فقال قد غفرت لك ورؤى يحيى بن أكرم بعد موته في النوم قيل له ما فعل الله بك فقال أوقفني الله بين يديه وقال يا شيخ السوء فعلت وفعلت قال فأخذني من الرعب ما يملئ الله ثم قلت يارب ما هكذا حدثت عنك فقال وما حدثت عنى قلت حدثني عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام أنك قلت أنا عند ظن عبي في ظننني ما شاء وكنت أظن بك أن لا تدعني فقال الله عز وجل صدق جبريل وصدق نبي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرزاق وصدقت قال فألبست ومشي بين يدي الولدان إلى الجنة قلت يا لها من فرحة . وفي الخبر «أن رجلا من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم قال فيقول له الله تعالى يوم القيامة اليوم أوبسك من رحمتي كما كنت تخط عبادي منها (٣)» وقال صلى الله عليه وسلم «إن رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة ينادي يا حنان يا منان فيقول الله تعالى لجبريل اذهب فائتني ببدي قال فيجيبه به فيوقه على ربه فيقول الله تعالى كيف وجدت مكانك فيقول شرمكان قال فيقول ردوه إلى مكانه قال فيمشي ويأتني إلى ورائه فيقول الله عز وجل إلى أي شيء تلتفت فيقول لقد رجوت أن لا تعيدني إليها بعد إذ أخرجتني منها فيقول الله تعالى اذهبوا به إلى الجنة (٤)» فدل هذا على أن رجاءه كان سبب نجاة نساء الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه .

( بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال الرجاء ويطلب )

اعلم أن هذا الدواء يحتاج إليه أحد رجلين إما رجل غلب عليه اليأس فترك العبادات وإما رجل غلب عليه الخوف فأسرف في اللواظفة على العبادة حتى أضر بنفسه وأهله وهذان رجلان مائلان عن الاعتدال إلى طرفي الإفراط والتفريط فيحتاجان إلى علاج يردهما إلى الاعتدال فأما العاصي للفرور التمتع على الله مع الاعراض عن العبادة وإتقان العاصي فأدوية الرجاء تنقلب مجموعا مهلكة في حقه وتنزل منزلة السهل الذي هو شفاء لمن غلب عليه البرد وهو سم مهلك لمن غلب عليه الحرارة بل للفرور لا يستعمل في حقه إلا أدوية الخوف والأسباب للهبطة له فلهاذا يجب أن يكون واعظ الخلق متلفعا ناظرا إلى مواقع الملل معالجا لكل علة بما يضاعفها لئلا يزد فيها فان المطلوب هو العدل

وأبي هريرة بنحوه (١) حديث لوطصلون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيكم كثيرا الحديث وفيه فبسط جبريل الحديث ابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة فأوله متفق عليه من حديث أنس ورواه زيادة وخرجتم إلى الصدقات أحمد والحاكم وقد تقدم (٢) حديث إن الله تعالى أوحى إلى عبده داود عليه السلام أجبني وأجب من عبي الحديث لم أجده أصلا وكان ممن الأسر اثلاث كالتى قاله (٣) حديث أن رجلا من بني إسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم الحديث زواه البيهقي في الشعب عن زيد بن أسلم فذكره مقطوعا (٤) حديث إن رجلا يدخل النار فيمكث فيها ألف سنة يتأذى يا حنان يا منان الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله والبيهقي في الشعب وضعه من حديث أنس .

حقيقة السجدة قد

فاكتسب من طريقهم

القتور في الطلب

والتخلف عن بلوغ

الأرب فليقبه الصادق

لهذه الحقيقة ويأخذ

من السجدة أسنى

الأقسام ويذكر منها

ما يسد في وجه للرام

قال بعضهم هل رأيت

شرائط إلا ممن تعرف

ولهذا للمنى أنكر

طائفة من السلف

السجدة ورأوا القضية

في العزة والوحدة

كأبراهيم بن آدم

وداود الطائي وفضل

ابن عياش وسليمان

الحواس وحكى عنه

أنه قبل له جاء إبراهيم

ابن آدم أماتقاه قال

لأن ألقى سبعا ضاريا

واقصد في الصفات والأخلاق كلها وخير الأمور أوساطها فإذا حاز الوسط إلى أحد الطرفين عوج بما  
 رده إلى الوسط لا بما يزيد في ميله عن الوسط وهذا الزمان زمان لا ينبغي أن يستعمل فيمع الحلق  
 أسباب الرجاء بل للبالغة في التخوف أيضا تسكاد أن لاتردم إلى جادة الحق وسن الصواب فاما ذكر  
 أسباب الرجاء فيلهم ويرد بهم بالسكينة ولكها لما كانت أخف على القلوب ولله عند النفوس ولم  
 يكن غرض الوعظ إلا استئالة القلوب واستنطاق الحلق بالثناء كيفما كانوا مالوا إلى الرجاء حتى ازداد  
 الفساد فسادا وازداد التهمكون في ظنهم بما ديا قال على كرم الله وجهه إنما السالم الذي لا ينقض الناس  
 من رحمة الله تعالى ولا يؤمنهم من مكر الله . ونحن تذكر أسباب الرجاء لتستعمل في حق الآيس  
 أو قمن غلب عليه الخوف اتداء بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فانها مشتعلان على الخوف  
 والرجاء جميعا لأنها جامعان لأسباب الشفاء في حق أصناف الرضى ليستعمله العلماء الذين هم ورونة  
 الأنبياء بحسب الحاجة استعمال الطبيب الحاذق لاستعمال الأخرى الذي يظن أن كل شيء من الأدوية  
 صالح لكل مريض كيفما كان . وحال الرجاء يتقلب بشيئين أحدهما الاعتبار والأخر استقراء الآيات  
 والأخبار والآثار . أما الاعتبار فهو أن يأمل جميع ماذكرناه في أصناف التهم من كتاب الشكر حتى  
 إذا علم لطائف نعم الله تعالى لعباده في الدنيا وعجائب حكمه التي راعاها في فطرة الإنسان حتى أعدها في  
 الدنيا كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كآلات الغذاء وما هو محتاج إليه كالأصابع والأظفار  
 وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين واختلاف ألوان العينين وحرمة الشفتين وغير ذلك مما كان لا يتوهم  
 بفقد غرض مقصود وإنما كان غوث به مزية جمال فالعبادة الإلهية إذا لم تقصر عن عبادة في أمثال  
 هذه الدقائق حتى لم يرض لبيانه أن توهتهم الزايد والزاياف في الزينة والحاجة كيف رضى ببقايقهم إلى  
 الهلاك للؤيد بل إذا نظر الانسان نظرا شافيا علم أن أكثر الحائق قد هي له أسباب السعادة في الدنيا  
 حتى إنه بكرة الانتقال من الدنيا للموت وإن أخبر بأنه لا يهذب بعد الموت أبدا مثلا ولا يعمر أصلا  
 فليست كراهتهم لعدم إلا لأن أسباب النعم أغلب لا محالة وإنما الذي ينمي لآلوت نادرتهم لا ينمها إلا في  
 حال نادرة ووافية هاجمة غريبة فإذا كان حال أكثر الحائق في الدنيا الغالب عليه الخير والسلامة  
 فسنة الله لا تعبد لها تبديلا فالغالب أمر الآخرة هكذا يكون لأن مدبر الدنيا والآخرة واحد وهو  
 غفور رحيم لطيف بعباده منعطف عليهم فهذا إذا توهمل حتى التأمل قوى به أسباب الرجاء ومن  
 الاعتبار أيضا النظر في حكمة الشريعة وستتها في مصالح الدنيا ووجه الرحمة للعباد بها حتى كان بعض  
 المارفين يرى آية اللدانية في البقرة من أقوى أسباب الرجاء فليل له وما فيها من الرجاء فقال الدنيا  
 كلها قليل ورزق الانسان منها قليل والدين قليل عن رزقه فانظر كيف أنزل الله تعالى فيه أطول آية  
 ليهدي عبده إلى طريق الاحتياط في حفظ دينه فكيف لا يحفظ دينه الذي لا عوض له منه .

الغن الثاني استقراء الآيات والأخبار : لما ورد في الرجاء خارج عن الحصر أما الآيات فقد قال تعالى  
 - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تنفخوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه  
 هو الغفور الرحيم - وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يزال إلا هو الغفور الرحيم (١) وقال  
 تعالى - والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض - وأخبر تعالى أن النار أعداها  
 لأعدائه وإنما خوف بها أوليائه فقال - لهم من فوقهم ظلمن النار ومن تحته ظلمن ذلك خوف الله به  
 عباده - وقال تعالى - واتقوا النار التي أعدت للكافرين - وقال تعالى - فأنذرتكم نارا لنظي لا يصلها

(١) حديث قرأ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تنفخوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب  
 جميعا ولا يزال الترمذي من حديث أسماء بنت زيد وقال حسن غريب .

أحب إلى من أن أتقى  
 إبراهيم بن آدم قال  
 لأنني إذا رأته أحسن له  
 كلامي وأظهر نفسي  
 باظهار أحسن أحوالي  
 وفي ذلك القصة وهذا  
 كلام عالم بنفسه  
 وأخلاقها وهذا واقع  
 بين الصالحين لإيمان  
 عصمه الله تعالى . أخبرنا  
 الشيخ الثقة أبو الفتح  
 محمد بن عبد الباقي  
 إجازة قال أنا الحافظ  
 أبو بكر محمد بن أحمد  
 قال أنا أبو القاسم  
 اسمعيل بن مسعدة قال  
 أنا أبو عمرو محمد بن  
 عبد الله بن أحمد قال  
 أنا أبو سليمان أحمد بن  
 محمد الحطاب قال أنا  
 محمد بن بصكر بن  
 عبد الرزاق قال حدثنا

إلا الأتقى الذي كذب وتولى - وقال عز وجل - وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم - ويقال « إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك هذه الآية وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم - (١) » وفي تفسير قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - قال لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار وكان أبو جعفر محمد بن علي يقول أنتم أهل العراق تقولون أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله - قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله - الآية ونحن أهل البيت نقول أرجى آية في كتاب الله عز وجل قوله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى - وأما الأخبار فقد روى أبو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « أمي أمة مرحومة لا عذاب عليها في الآخرة عجل الله عقابها في الدنيا الزلازل والفنن فإذا كان يوم القيامة دفع إلى كل رجل من أمي رجل من أهل الكتاب قيل هذا فداؤك من النار (٢) » وفي لفظ آخر « يأتي كل رجل من هذه الأمة يهودي أو نصراني إلى جهنم فيقول هذا فداؤك من النار فيأتي بها (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « الحى من فينج جهنم وهى حظ المؤمن من النار (٤) » وروى في تفسير قوله تعالى - يوم لا يغزى الله النبي والذين آمنوا معه « أن الله تعالى أوحى إلى نبيه عليه الصلاة والسلام أني أجعل حساب أمتك إليك قال لا يارب أنت أرحم بهم مني فقال إذن لا تغزيك فيهم (٥) » وروى عن أنس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم إلى ثلاث بطلع على مساوهم غيري فأوحى الله تعالى إليهم هم أمتك وهم عبادي وأنا أرحم بهم منك لا أجعل حسابهم إلى غيري ثلاث تنظر إلى مساوهم أنت ولا غيرك (٦) » وقال صلى الله عليه وسلم « حياني خير لكم وموتى خير لكم أما حياني فأمن لكم السنن وأشرع لكم الشرائع ، وأما موتى فإن أعمالكم تعرض على فما رأيت منها حسنا حمدت الله عليه وما رأيت منها سيئا استغفرت الله تعالى لكم (٧) »

(١) حديث إن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يسأل في أمته حتى قيل له أما ترضى وقد أنزلت عليك وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم لم أجده بهذا اللفظ وروى ابن أبي حاتم والعلني في تفسيرهما من رواية علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب قال لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا عفو الله وتجاوزة ما هنا أحد العيش الحديث (٢) حديث أبي موسى أمي أمة مرحومة لا عذاب عليها عجل عقابها في الدنيا الزلازل والفنن الحديث أبو داود دون قوله فإذا كان يوم القيامة الخ فرواها ابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف وفي صحيحه من حديث أبي موسى كما سيأتي ذكره في الحديث الذي يليه (٣) حديث يأتي كل رجل من هذه الأمة يهودي أو نصراني إلى جهنم الحديث مسلم من حديث أبي موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهوديا أو نصرانيا فيقول هذا فداؤك من النار وفي رواية له لا يغوت رجل مسلم إلا أدخل الله مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا (٤) حدث الحى من فينج جهنم وهى حظ المؤمن من النار أحمد من رواية أبي صالح الأشعري عن أبي أمامة وأبو صالح لا يعرف ولا يعرف اسمه (٥) حديث إن الله أوحى إلى نبيه صلى الله عليه وسلم أني أجعل حساب أمتك إليك فقال لا يارب أنت خير لهم مني الحديث في تفسير قوله تعالى - يوم لا يغزى الله النبي - ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله (٦) حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم سأل ربه في ذنوب أمته فقال يارب أجعل حسابهم إلى الحديث لم أقفله على أصل (٧) حديث حياني خير لكم وموتى خير لكم الحديث البزار من حديث عبد الله بن مسعود ورجاله رجال الصحيح إلا أن عبد الحميد بن عبد العزيز بن أبي داود وإن أخرجه لمسلم ورواه ابن معين والنسائي فقد ضفوه كثيرون ورواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس بنحوه باسناد ضعيف.

سليمان بن الأشعث  
قال ثنا عبد الله بن  
مسلمة عن مالك عن  
عبد الرحمن بن أبي  
صهمة عن أبيه عن  
أبي سعيد الخدري  
قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
« يوشك أن يكون  
خير مال للمسلم غنما يبيع  
بها شعاب الجبال  
ومواقع القطر بغير  
بدنه عن الفتن » قال  
الله تعالى إخبارا  
عن خليله إبراهيم  
- وأغرتكم وما تدعون  
من دون الله وأدعو  
ربي - استظهر بالقرلة  
على قومه . قيل :  
القرلة نوعان قرلة  
وضيلة فالقرلة  
القرلة عن الشرواهة

وقال صلى الله عليه وسلم يوما «يا كريم الضو قال جبريل عليه السلام أتدري ما تقصيرا يا كريم الضو هو إن عفا عن السيئات برحمة بدلها حسنات بكرمه (١)» وسمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يقول «اللهم إني أسألك تمام النعمة قال هل تدري ما تعلم النعمة؟ قال لا قال دخول الجنة (٢)» قال الطهطاوي قدس سره «اللهم إني أسألك تمام النعمة برضاء الإسلام لنا إذ قال تعالى - وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً وفي الخبر «إذا أذنب البعد ذنباً فاستغفر الله يقول الله عز وجل للملائكة انظروا إلى عبدی أذنب ذنباً فلم أن له ربا يفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أني قد غفرت له (٣)» وفي الخبر «لو أذنب البعد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفري ورجائي (٤)» وفي الخبر «لو قفني عيدي بقراب الأرض ذنوباً لقتته بقراب الأرض مغفرة (٥)» وفي الحديث إن للآلئ ليرفع القلم عن البعد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتب عليه وإلا كتبها سيئة (٦)» وفي لفظ آخر «فاذا كتبها عليه وعمل حسنات قال صاحب الميكن لصاحب التتال وهو أمير عليه ألقى هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة تضيف الشر وأرفع له تسع حسنات تلتقى عنه السيئة» وروى أنس في حديث أنه عليه الصلوة والسلام قال «إذا أذنب البعد ذنباً كتب عليه قال أعرابي وإن تاب عنه قال هي عنه قال فإن عاد قال النبي صلى الله عليه وسلم يكتب عليه قال الأعرابي فإن تاب قال هي من محبته قال إلى متى؟ قال إلى أن يستغفر وينوب إلى الله عز وجل إن الله لا يعلم من الفترة حتى يعل البعد من الاستغفار فإذا دام البعد بحسنة كتبها صاحب الميكن حسنة قبل أن يعملها فإن عملها كتبت عشر حسنات ثم يضاعفها الله سبحانه وتعالى إلى سبعائة ضعف وإذا دام بخطيئة لم تكتب عليه فإذا عملها كتبت خطيئة واحدة ووراءها حسن عفو الله عز وجل (٧)» وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم يوما يا كريم الضو قال جبريل تدري ما تقصير يا كريم الضو الحديث لم أجده عن النبي صلى الله عليه وسلم وللوجود أن هذا كان بين إبراهيم الخليل وبين جبريل هكذا رواه أبو الشيخ في كتاب العظيمة من قول عتبة بن الوليد ورواه البيهقي في الشعب من رواية عتبة بن الوليد قال حدثني بعض الزهاد قد كره (٢) حديث سمع رجلا يقول اللهم إني أسألك تمام النعمة الحديث تقدم (٣) حديث إذا أذنب البعد فاستغفر يقول الله تعالى للملائكة انظروا إلى عبدی أذنب ذنباً فلم أن له ربا يفر الذنوب ويأخذ بالذنب أشهدكم أني قد غفرت له (٤) حديث لو أذنب البعد حتى تبلغ ذنوبه عنان السماء غفرتها له ما استغفري ورجائي (٥) حديث لو قفني عيدي بقراب الأرض ذنوباً لقتته بقراب الأرض مغفرة مسلم من حديث أبي ذر ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشركن بشيئا لقيته يثلمها مغفرة والترمذي من حديث أنس الذي قبله يابن آدم لوقيته الحديث (٦) حديث إن للآلئ ليرفع القلم عن البعد إذا أذنب ست ساعات فإن تاب واستغفر لم يكتب عليه الحديث قال وفي لفظ آخر فاذا كتبها عليه وعمل حسنة قال صاحب الميكن لصاحب التتال وهو أمير عليه ألقى هذه السيئة حتى ألقى من حسناته واحدة من تضيف الشر العشر الحديث البيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند فيه لين باللفظ الأول ورواه أيضا أطول منه وفيه إن صاحب الميكن أمير على صاحب التتال وليس فيه أنه يأمر صاحب التتال بإلقاء السيئة حتى يلقى من حسناته واحدة ولم أجد ذلك أصلا (٧) حديث أنس إذا أذنب البعد ذنباً كتب عليه فقال أعرابي فإن تاب عنه قال هي عنه قال قال فأن عاد الحديث وفيه إن الله لا يعلم من التوبة حتى يعل البعد من الاستغفار

«يا رسول الله إني لأصوم إلا الشهر لأزید عليه ولا أصلي إلا الخس لأزید عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع : أين أنا إذ امتنعت؟» قال صلى الله عليه وسلم ، وقال : نعم مئى ، إذا حفظت قلبك من اثنتين : الغل والحسد ، ولسانك من اثنتين : البقية والكذب ، وعينك من اثنتين : النظر إلى ما حرم الله ، وأن تزدري بهما مسلما دخلت معي الجنة على راحتي هاتين (١) . وفي الحديث الطويل لأئس « أن الأعرابي قال يا رسول الله من على حساب الخلق ؟ قال الله تعالى قال هو بنفسه ؟ قال نعم فتبسم الأعرابي فقال صلى الله عليه وسلم ضحكك يا أعرابي قال إن الكريم إذا قدر عفا وإذا حاسب سامح ، قال النبي صلى الله عليه وسلم صدق الأعرابي ألا كريم أكرم من الله تعالى هو أكرم الأكرمين ثم قال صلى الله عليه الأعرابي (٢) وفيه أيضا « إن الله تعالى شرف الكعبة وعظمها ولأن عبدا هدمها حبرا أجبرتهم أن يحرقوها ما بلغ جرمهم استخف بولي من أولياء الله تعالى . قال الأعرابي ومن أولياء الله تعالى قال المؤمنون كلهم أولياء الله تعالى أما سمعت قول الله عز وجل - الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور - . وفي بعض الأخبار « المؤمن أفضل من الكعبة (٣) » « وللمؤمن طيب طاهر (٤) » « وللمؤمن أكرم على الله تعالى من لللائكة (٥) » وفي الخبر « خلق الله تعالى جهنم من فضل رحمته سوطا يسوق الله به عباده إلى الجنة (٦) » . وفي خبر آخر « يقول الله عز وجل

الصمت فإنه أصل  
والكلام عارض ولا  
يتكلم إلا بحجة فخطر  
الصحة كثير يحتاج  
البد في إلى مزيد  
علم والأخبار والآثار  
في التحذير عن  
المخالطة والصحة

الحديث البيهقي في الشعب بلفظ جاء رجل ، فقال يا رسول الله : إني أذنبت ذنبا . قال استغفرك ربك قال فاستغفر ثم أعود . قال فإذا عدت فاستغفر ربك ثلاث مررات أو أربعاً . قال فاستغفر ربك حتى يكون الشيطان هو للمجور المحسور وفيه أبو يدير سار بن الحكم النصري منكر الحديث وروى أيضا من حديث عتبة بن عامر أحدنا يذنب . قال يكتب عليه قال ثم يستغفر ويتوب قال يغفر له ويتاب عليه قال فيعود الحديث وفيه لا يبل الله حتى تمحوا وليس في الحديثين قوله في آخره فإذا هم العبد بحسنه الخ وهو في الصحيحين بنحوه من حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه فنن هم بحسنه فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها وعملها كتبها الله عنده عشر حسنات إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بسيئته فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة فإن هم بها فعلها كتبها الله سيئة واحدة زاد مسلم في رواية أوعاها الله ولا يهلك على الله إلا هالك ولهما نحوه من حديث أبي هريرة (١) حديث جاء رجل ، فقال يا رسول الله إني لأصوم إلا الشهر لأزید عليه ولا أصلي إلا الخس لأزید عليها وليس لله في مالي صدقة ولا حج ولا تطوع الحديث تقدم (٢) حديث أئس الطويل قال أعرابي يا رسول الله من على حساب الخلق قال الله تبارك وتعالى فقال هو بنفسه قال نعم فتبسم الأعرابي الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث المؤمن أفضل من الكعبة ابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ ما أعظمك وأعظم حرمتك والذي نفسي بيده حرمة المؤمن أعظم حرمة منك ماله ودمه وأن ينظر به لإخيرا ، وشيخه نصر ابن محمد بن سليمان الحمصي ضعفه أبو حاتم ووثقه ابن حبان وقد تقدم (٤) حديث المؤمن طيب طاهر لم أجده بهذا اللفظ . وفي الصحيحين من حديث حذيفة المؤمن لا ينجس (٥) حديث المؤمن أكرم على الله من لللائكة ابن ماجه من رواية أبي الهزم يزيد بن سفيان عن أبي هريرة بلفظ المؤمن أكرم على الله من بعض لللائكة وأبو الهزم تركه شعبة وضعفه ابن معين ورواه ابن حبان في الضعفاء والبيهقي في الشعب من هذا الوجه بلفظ الصنف (٦) حديث خلق الله من فضل رحمته سوطا يسوق به عباده

كثيرة والكتب بها  
مشحونة . وأجمع  
الأخبار في ذلك ما أخبرنا  
الشيخ الثقة أبو الفتح  
بإسناده السابق إلى  
أبي سليمان قال حدثنا  
أحمد بن سليمان  
النجاد قال ثنا محمد  
ابن يونس الكرمي  
قال ثنا محمد  
ابن منصور الجشمي  
قال ثنا مسلم بن سالم  
قال ثنا السري  
ابن يحيى عن الحسن

إنما خلقت الخلق ليرجوا على ولم أخلقهم لأرجع عليهم <sup>(١)</sup> وفي حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما خلق الله تعالى شيئا إلا جعل له ما يخلبه وجعل رحمته تغلب غضبه <sup>(٢)</sup> وفي الخبر المشهور «إن الله تعالى كتب على نفسه الرحمة قبل أن يخلق الخلق إن رحمته تغلب غضبه <sup>(٣)</sup> وعن معاذ بن جبل وأبي مالك أنه صلى الله عليه وسلم قال «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة <sup>(٤)</sup> . «ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار <sup>(٥)</sup> . ومن لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار <sup>(٦)</sup> . ولا يدخلها من في قلبه مثقال ذرة من إيمان <sup>(٧)</sup> » وفي خبر آخر «لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أبس من جنته أحد <sup>(٨)</sup> » ولما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى «إن زلزلة الساعة شيء عظيم - قال أتدرون أي يوم هذا هذا يوم يقال لأدم عليه الصلاة والسلام قم فابست بشت النار من ذرثك فيقول كم يقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون إلى النار وواحد إلى الجنة قال فأبلس القوم وجعلوا يكون وتعلموا يومهم عن الاشتغال والعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل جد ما حدثتنا بهذا فقال كم أنتم في الأمم أين تاويل وثايرت ومنك وبأجوس وبأجوج أم لا يحضها إلا الله تعالى إنما أنتم في سائر الأمم كالشجرة البيضاء في جلد الثور الأسود كالرقعة ذراع إلى الجنة لم أجده هكذا وبني عنه مارواه البخاري من حديث أبي هريرة عجب ربنا من قوم يجاهيهم إلى الجنة في السلاسل <sup>(٩)</sup> حديث قال الله إنما خلقت الخلق ليرجوا على ولم أخلقهم لأرجع عليهم لم أتف له على أصل <sup>(١٠)</sup> حديث أبي سعيد ما خلق الله شيئا إلا جعل له ما يخلبه وجعل رحمته تغلب غضبه أبو الشيخ ابن حبان في الثواب وفيه عبد الرحمن بن كردم جهله بأوحاشته وقال صاحب اللبزان ليس بواه ولا بمجهول <sup>(١١)</sup> حديث إن الله كتب على نفسه بنفسه قبل أن يخلق الخلق : إن رحمته تغلب غضبه متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم <sup>(١٢)</sup> حديث معاذ وأبي مالك من قال لا إله إلا الله دخل الجنة الطبراني في الدعاء بلفظ من مات يشهد وتقدم من حديثه ما ذوهو في اليوم واليلة فلهنا في لفظ من مات يشهد وقد تقدم من حديث معاذ من حديث أنس أيضا وتقدم في الأذكار <sup>(١٣)</sup> حديث من كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم تمسه النار أبوداود والحاكم ومصححه من حديث معاذ بلفظ دخل الجنة <sup>(١٤)</sup> حديث من لقي الله لا يشرك به شيئا حرمت عليه النار الشيخان من حديث أنس أنه صلى الله عليه وسلم قال لمعاذ مامن عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله إلا حرمة الله على النار وزاد البخاري صادقا من قلبه وفي رواية له من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة وأما محمد بن أحمد من حديث معاذ بلفظ جله الله في الجنة ولفظ من حديث أبي عمرة الأنصاري في أمثاله حديث فقال أمهد أن لا إله إلا الله وأشهد أني رسول الله لا يلقى الله عبد يؤمن بهما إلا احبب عن التار يوم القيامة <sup>(١٥)</sup> حديث لا يدخلها من في قلبه وزن ذرة من إيمان أحمد من حديث سهل بن يضاء من شهد أن لا إله إلا الله حرمة الله على النار وفيه انقطاع وله من حديث عثمان بن عفان إلى أعلم كلة لا يقولها عبد حقا من قلبه إلا حرم على النار قال عمر بن الخطاب هي كلة الإخلاص واستانده صحيح ولكن هذا نحوه غاذ عن مخالفنا ثبت في الأحاديث الصحيحة من دخول جماعة من اللوحين النار وإخراجهم بالشفاعاة ، ثم لا ينفي في النار من في قلبه ذرة من إيمان كما هو متفق عليه من حديث أبي سعيد وفيه لمن وجدته في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه . وقال مسلم من خير بدل من إيمان <sup>(١٦)</sup> حديث لو علم الكافر سعة رحمة الله ما أبس من جنته أحد متفق عليه من حديث أبي هريرة .

عن أبي الأوس  
عن عبد الله بن مسعود  
قال : قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
لأتين على الناس زمان  
لا يسلم لدى دين دينه  
إلا من فر بدينه من  
قرية إلى قرية ومن  
شاهق إلى شاهق ومن  
جهر إلى جهر كالغلب  
الذي يروغ قالوا ومتى  
ذلك يا رسول الله قال  
إذا لم تدل الليقة إلا  
بمعاصي الله فإذا كان  
ذلك الزمان حلت  
المزوجة قالوا وكيف  
ذلك يا رسول الله وقد  
أمرتنا بالزواج قال إنه  
إذا كان ذلك الزمان  
كان هلاك الرجل على  
يد أبيه فان لم يكن له  
أبوان فلي يزوجته

الدابة (١) « فانظر كيف كان يسوق الخلق بسياط الخوف ويقودهم بأزمة الرجاء إلى الله تعالى إذ ساقهم بسياط الخوف أولا فلما خرج ذلك بهم عن حد الاعتدال إلى إفراط اليأس داوأم بدواء الرجاء وردهم إلى الاعتدال والقصد والآخر لم يكن منافضا للأول ولكن ذكر في الأول مدارك مسيما للشفاء واتصّر عليه فلما احتاجوا إلى للمعالجة بالرجاء ذكر تمام الأمر . فلي الراعظ أن يقتدى بسيد الوعاظ فيتخلط في استعمال أخبار الخوف والرجاء بحسب الحاجة بعد ملاحظة الطل الباطنة وإن لم يراع ذلك كان ما يفسد بوعظه أكثر مما يصلحه ، وفي الخبر « لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون فينفر لهم (٢) » وفي لفظ آخر « ذهب بك رجاءك بخلق آخر يذنبون فينفر لهم إنه هو الثفور الرحيم » وفي الخبر « لو لم تذنبوا لحشيت عليكم ما هو شر من الذنوب . قيل وما هو قال العجب (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « والذي قضى بيده أنه أرحم بعبده المؤمنين من الوالدة الشقيقة بولدها (٤) » وفي الخبر « ليفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب أحد حتى إن إبليس ليتناول لمارجاء . أن تصيه (٥) » وفي الخبر « إن لله تعالى مائة رحمة ادخر منها عندة تسع وتسعين رحمة وأظهر منها في الدنيا رحمة واحدة فيها يترامح الخلق تخنن الوالدة على ولدها وتعتطف البهيمة على ولدها فإذا كان يوم القيامة ضم هذه الرحمة إلى التسع والتسعين ثم بسطها على جميع خلقه وكل رحمة منها طباق السموات والأرض قال فلا يهلك على الله يومئذ إلا هالك (٦) » وفي الخبر « ما منكم من أحد بدخلة عمله الجنة ولا ينجي من النار قالوا ولا أنت يا رسول الله ؟ قال ولا أنا إلا أن يتصمدني الله برحمته (٧) » وقال عليه أفضل الصلاة والسلام « اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجي عمله (٨) » وقال صلى الله عليه « وإني أختبأت شفاعة لأهل الكبائر من أمي أترونها للمطيعين للذين بل هي المتلونين المحتلين (٩) »

وولده فإن لم يكن له زوجة ولا ولد فليبد قرابته قالوا وكيف ذلك يا رسول الله قال يبرونه بضيق اللبشة فيشكف مالا يطيق حتى يوردوه موارد الملكة . وقدر غب جمع من السلف في الصبة والأخوة في الله وراوا أن الله تعالى من على أهل الإيمان حيث جعلهم إخوانا فقال سبحانه وتعالى - واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمة إخوانا - وقال تعالى - هو الذي أبدلك نصره وبالمؤمنين وألف

(١) حديث لما تلا - إن زلزلة الساعة شيء عظيم - قال أتدرون أي يوم هذا الحديث الترمذي من حديث عمران بن حصين ، وقال حسن صحيح . قلت هو من رواية الحسن البصري عن عمران ولم يسمع منه ، وفي الصحيحين نحوه من حديث أبي سعيد (٢) حديث لو لم تذنبوا لخلق الله خلقا يذنبون ليفرن لهم ، وفي لفظ قهوب بك الحديث مسلم من حديث أبي أيوب واللفظ الثاني من حديث أبي هريرة قريبا منه (٣) حديث لو لم تذنبوا لحشيت عليكم ما هو شر من الذنوب قيل ما هو قال العجب البرار وابن جبان في الضغاء واليهيقي في الشعب من حديث أنس وتقدم في ذم الكبر والعجب (٤) حديث والذي قضى بيده أنه أرحم بعبده المؤمنين من الوالدة الشقيقة بولدها متفق عليه من حديث عمر بنحوه (٥) حديث ليفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت قط على قلب أحد الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف (٦) حديث إن لله تعالى مائة رحمة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث ما منكم من أحد بدخلة عمله الجنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٨) حديث اعملوا وأبشروا واعلموا أن أحدا لن ينجي عمله تقدم أيضا (٩) حديث إنني أختبأت شفاعة لأهل الكبائر من أمي الحديث الشيخان من حديث أبي هريرة لكل نبي دعوة وإن خبات دعوى شفاعة لأمتي ، ورواه مسلم من حديث أنس ، ولترمذي من حديثه وصحه وابن ماجه من حديث جابر شفاعة لأهل الكبائر من أمي ، ولابن ماجه من حديث أبي موسى ، ولأحمد من حديث ابن عمر خير بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمي الجنة فأقرت الشفاعة لأنها أعم وأكفى أترونها للمطيعين الحديث وفيه من لم يسم .

وقال عليه الصلاة والسلام «بشت بالخيفية السمحة السهلة»<sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفي «أحب أن يعلم أهل الكتابين أن في ديننا ساحة»<sup>(٢)</sup> ويدل على معناه استجابة الله تعالى للؤمنين في قولهم - ولا تجعل علينا إضرا - وقال تعالى - وضيع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم - وروى محمد بن الحنفية عن علي رضي الله تعالى عنها أنه قال «ولما نزل قوله تعالى - فاصنع الصبح الجليل - قال بإجبريل وما الصبح الجليل قال عليه السلام إذا عفوت عمن ظلك فلا تنابه فقال بإجبريل فله تعالى أكرم من أن يجانب من عفا عنه فكى جبريل وبكى النبي صلى الله عليه وسلم فبث الله تعالى إليها ميكائيل عليه السلام وقال إن ربك يقرقركا السلام ويقول كيف أعاتب من عفوت عنه هذا ملا يشبه كرمي»<sup>(٣)</sup>. والأخبار الواردة في أسباب الرجاء أكثر من أن تحصى . وأما الآثار : فقد قال علي كرم الله وجهه : من أذنب ذنبا فستره الله عليه في الدنيا فإنه أكرم من أن يكشف ستره في الآخرة ومن أذنب ذنبا ضوب عليه في الدنيا فافقه تعالى أعدل من أن يثنى عقوبته على عبده في الآخرة . وقال الثوري مأخوذ أن يحمل حسابي إلى أبوي لأنني أعلم أن الله تعالى أرحم بي منهما . وقال بعض السلف : لأومن إذا عصى الله تعالى ستره عن أبصار اللئكة كيلا تراه فتشهد عليه . وكتب محمد بن صلب إلى أسود بن سالم بخطه إن العبد إذا كان مسرفا على نفسه فرغ يديه يدعو ويقول : يا رب حجب اللئكة صوتي وكذا الثانية والثالثة حتى إذا قال الرابعة يرى قال الله تعالى حتى متى تعجبون عني صوت عبدي قد علم عبدي أنه ليس له رب يخفر الذنوب غيري أشهدكم أنني قد غفرت له . وقال إبراهيم بن آدم رحمه الله عليه خلا لي الطواف ليه وكانت ليلة مطيرة مظلمة فوقعت في القزح عند الباب قلت : يارب اعصمني حتى لأعصيك أبدا فهتف بي هاتف من البيت يا إبراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي يطلبون مني ذلك فإذا عصمتهم ضلي من أفضل ولئن أشعر ، وكان الحسن يقول: لو لم يذب الله المؤمنين لكان يطير في ملكوت السموات ولكن الله تعالى قمع بالذنوب . وقال الجنيد رحمه الله تعالى : إن بدت عين من الكرم ألحقت للسجين بالهسين . وثاني مالك بن دينار أنا قاله إلى كم تحدث الناس بالرخص قال بأيا يحيى إلى لأروح أن ترى من عفو الله يوم القيامة ما تغرق لك كساره هذا من القرح . وفي حديث ربيعة بن حراش عن أخيه ، وكان من خيار التابعين ، وهو ممن تكلم بمد الموت . قال لما مات أخوه سجي بثوبه . أتقيانه على نشئه فكشف التوب عن وجهه واستوى قاعدة . وقال : إنني لقيت ربي عز وجل خيازي بريح وريحان ورب غير غضبان وإني رأيت الأمر أيسر مما نظنون فلا تفوتوا وأن محمدا صلى الله عليه وسلم ينتظري وأصحابه حتى أرجع إليهم . قال ثم طرح نفسه فكانها كانت حصاة وقفت في طشت لحملتها ودقائه . وفي الحديث

---

(١) حديث بشت بالخيفية السمحة السهلة أحمد من حديث أبي أمامة سمع ضعيف دون قوله السهلة وله وللطبراني من حديث ابن عباس أحب الدين إلى الله الخيفية السمحة وفيه محمد بن إسحق رواه بالضعفة (٢) حديث أحب أن يعلم أهل الكتاب أن في ديننا ساحة أبو عبيد في غرب الحديث وأحمد (٣) حديث محمد بن الحنفية عن علي لما نزل قوله تعالى - فاصنع الصبح الجليل - قال بإجبريل وما الصبح الجليل قال إذا عفوت عمن ظلك فلا تنابه الحديث ابن مردويه في تفسيره سوفوفا على هي مختصرا قال الرضا بغير عتاب ولم يذكر بقية الحديث وفي إسناده نظر .

بين قلوبهم لو أنفتحت  
مافي الأرض جيما  
ماأنفتحت بين قلوبهم  
ولكن الله ألف  
بينهم - وقد اختار  
الصعبة والأخوة في  
الله تعالى سعيد  
ابن السب وعبد الله  
ابن المبارك وغيرهما .  
وقائصة الصعبة أنها  
تفتح مسام الباطن  
ويكتب الانسان  
بهاعلم الحوادث  
والعوارض . قيل :  
أعلم الناس بالآفات  
أكثرهم . آفات  
ويطلب الباطن  
برزق العلم ويسكن  
الصدق بطروق  
هوب الآفات ثم  
يتخلص منها بالإيمان  
ويتم بطريق

«أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله تعالى فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابداً وكان يعلّمه ويذكره فكان يقول دعني وربي أبشت على رقبيا حتى رأته ذات يوم على كبيرة فغضب فقال لا يغفر الله لك قال فيقول الله تعالى يوم القيامة : أبستطيع أخذن مخظروم حتى على عبادي اذهب أنت قد غفرت لك ثم يقول للعابد وأنت قد أوجبت لك النار قال فوالذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أهلكك دنياه وآخرته (١)» وروى أيضاً أن لصاً كان يقطع الطريق في بني إسرائيل أربعين سنة فرأى عليه عيسى عليه السلام وخلقته عابد من عباد بني إسرائيل من الخواريق فقال للص على نفسه هذا نبي الله عيسى وإلى جنبه حواريه لو زلت فكنت معها ثائلاً قال فزّل لجل يريد أن يدنو من الحوارى وزدري نفسه تغضباً للحواري ويقول في نفسه مثل لا يثنى إلى جنب هذا العابد قال وأحس الحوارى به فقال في نفسه هذا يثنى إلى جانبي فضم نفسه ومضى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام فثنى بحبه فبقي الصلح خلقه فأوحى الله تعالى إلى عيسى عليه الصلاة والسلام قل لهما ليسأنا العمل فقد أحبطت ما سلف من أعمالهما أما الحوارى فقد أحبطت حسناته لجهه بنفسه وأما الآخر فقد أحبطت سيئاته بما ازدري على نفسه فأخبرهما بذلك وضم الصلح إليه في سياحته وجعله من حواريه . وروى عن مسروق أن نبيا من الأنبياء كان ساجداً فوطئ عتقه بعض الصاة حتى أثرق الحصى بجمته قال فرغ النبي عليه الصلاة والسلام رأسه مغضباً فقال اذهب فلن يغفر الله لك فأوحى الله تعالى إليه تعالى على في عبادي إني قد غفرت له . ويقرب من هذا ما روى عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يثنت على الشركيين وبلغهم في صلاته فزّل عليه قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - الآية فترك الدعاء عليهم وهدى الله تعالى عامة أولئك للإسلام (٢)» وروى في الأثر أن رجلين كانا من العابدین متساويين في العبادة قال فإذا أدخلنا الجنة رفع أحدهما في الدرجات الصالح على صاحبه فيقول يارب ما كان هذا في الدنيا بأكثر منى عبادة فرغته على في عليين فيقول الله سبحانه إنه كان يسألني في الدنيا الدرجات الصالح وأنت كنت تسألني النجاة من النار فأعطيت كل عبيد سوء وهذا يدل على أن العبادة على الرجاء أفضل لأن المحبة أغلب على الرأى منها على الخائف فكمن فرق في اللوك بين من يخدم انتفاء لقابوعيين من يخدم ارتجاء لانعاموا كرامه وذلك أمر الله تعالى بحسن الظن ولذلك قال ﷺ «سلوا الله الدرجات الصالح فائتمسألون كرمها (٣)» وقال «إذا سألتم الله فاعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى فإن الله تعالى لا يشاغلهم» (٤) وقال بكرين سليم الصواف دخلنا على

الصحية والأخوة  
التعاضد والتعاون  
وتتوى جنود القلب  
ونستروح الأرواح  
بالنشام وتتقى في  
التوجه إلى الرقيق  
الأعلى ويصير مثلاً  
في الشاهد كالأسوات  
إذا اجتمعت خرقت  
الأجرام وإذا تفردت  
قصرت عن بلوغ  
المرام . ورد في الخبر  
عن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم «الؤمن  
كثير بأخيه» وقال  
الله تعالى عبداً عن  
لا صدق له - فإنا من  
شافعين ولا صدق  
حبهم والجميع في الأصل  
الحميم إلا أنه أبدت  
الحاء بالحاء تقرب  
مخرجهما إذ هما من

(١) حديث أن رجلين من بني إسرائيل تواخيا في الله عز وجل فكان أحدهما يسرف على نفسه وكان الآخر عابداً الحديث أبو داود من حديث أبي هريرة بإسناد جيد (٢) حديث ابن عباس كان يثنت على الشركيين وبلغهم في صلاته فزّل عليه قوله تعالى - ليس لك من الأمر شيء - فترك الدعاء عليهم الحديث البخارى من حديث ابن عمر أنه كان إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من القبر يقول اللهم المن فلانا وفلانا وفلانا بعد ما يقول مع الله لمن حمده ربنا ولك الحمد فآل الله عز وجل - ليس لك من الأمر شيء - إلى قوله : فانهم ظالمون - ورواه الترمذى وصححه إسناده وأبو داود والبيهقي في صحيحهم (٣) حديث سلوا الله الدرجات الصالح فائتمسألون كرمها لم أجده بهذا اللفظ والترمذى من حديث ابن مسعود سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسئل وقال هكذا روى حماد بن واقد وليس بالحافظ (٤) حديث إذا سألتم الله فاعظموا الرغبة واسألوا الفردوس الأعلى فإن الله لا يشاغلهم شيء مسلم من حديث أبي هريرة إذا دعا أحداًكم فلا يقبل اللهم

مالك بن أنس في العتبة التي قبض فيها قتلنا بأبنا عبد الله كيف تعبدك قال لا أدري ما أقول لكم إلا أنكم ستباينون من غفو الله ما لم يكن لكم في حساب ثم ما برحنا حتى أغمضناه . وقال يحيى بن معاذ في مناجاته يكاد رجائي لك مع الذنوب يطلب رجائي إليك مع الأعمال لأنني أعتد في الأعمال على الإخلاص وكيف أحرزها وأنا بالآفة معروف وأجدني في الذنوب أعتد على غفوك وكيف لا تنفرها وأنا بالجوهر موصوف .

وقيل إن مجوسيا استضاف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال إن أسلمت أضفك للمجوس فأوحى الله تعالى إليه بإبراهيم لم تطعمه إلا بتغير دينه ونحن من سبعين سنة تطعمه على كفره فلو أضفته لية ماذا كان عليك لم إبراهيم يسمى خلف المجوس فرد وأضافه فقال له المجوس ما السبب فيها بذلك فذكر له فقال له المجوس أهكذا ياملن ثم قال اعرض على الإسلام فأسلم . ورأى الأستاذ أبو سهل الصلوكي أبا سهل الزجاجي في المنام وكان يقول بعيد الأبد فقال له كيف حالك فقال وجدنا الأمر أهون مما توهمنا . ورأى بعضهم أبا سهل الصلوكي في المنام على هيئة حسنة لا توصف فقال له يا أستاذ به نلت هذا فقال بحسن ظني برئي . وحكي أن أبا العباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه أن القيامة قد قامت وإذا الجبار سبحانه يقول أين العلماء قال لجأوا ثم قال ماذا علمتم فيما علمتم هل قتلنا يارب صفرتنا وأسأنا قال فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جوابا غيره فقلت أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تنفرد مدونه فقال اذهبوا به فقد غفرت لكم ومات بذلك ثلاث ليال . وقيل كان رجل شرب جمع قوما من ندمائه ودفع إلى غلامه أربعة دراهم وأمره أن يشتري شيئا من القواكه للمجلس لم الشلام ياب مجلس منصور بن عمار وهو يسأل فقير شيئا ويقول من دفع إليه أربعة دراهم دعوت له أربع دعوات قال فدفع الغلام إليه الدرهم فقال منصور ما الذي تريد أن أدعوك فقال لي سيد أريد أن أتخلص منه ففعل منصور وقال الأخرى قال أن يغلف الله على دراهمي فدعاهم قال الأخرى قال أن يتوب الله على سيدي فدعاهم قال الأخرى قال أن يغفر الله لي وسيدي ولك ولقوم ففعل منصور فرجع الشلام فقال له سيده لم أبطأت قمص عليه القصة قال وبم دعا فقال سألت نفسي المتق فقال له اذهب فأنت حر قال وأيض الثاني قال أن يغلف الله على الدرهم قال لك أربعة آلاف درهم وأيض الثالث قال أن يتوب الله عليك قال ثبت إلى الله تعالى قال وأيض الرابع قال أن يغفر الله لي ولك ولقوم قال هذا الواحد ليس إلى قلنا بات تلك الليلة رأى في المنام كأن قائلا يقول له أنت فعلت ما كان إليك أقرى آني لأفضل ما لي قد غفرت لك وللغلام ولمنصور بن عمار ولقوم الحاضرين أجمعين . وروى عن عبد الوهاب بن عبد الحيد الثقفي قال رأيت ثلاثة من الرجال أوامر أن يعملون جنازة قال فأخذت مكان المرأة وذهبت إلى القبرة وصليت عليها ودفنا لبيت قتل للمرأة من كان هذا البيت منك قالت ابني قلت ولم يكن لكم جيران قالت بلى ولكن صفروا أمره قلت وأيض كان هذا قالت محنتا قال فرحمتها وذهبت بها إلى منزلي وأعطيتها دراهم وحطلة وثيابا قال فرأيت تلك الليلة كأنه أتاني آت كأنه القمر ليلة البدر وعليه ثياب بيض فجلس يتشكرني فقلت من أنت فقال المحدث الذي دفنتموني اليوم رحمني ربني باحتقار الناس ليأي . وقال إبراهيم الأطروش كنا قوادينا عند معمر بن معروف الكرخي في ليلة من أحداث في زورق يضربون بالفوف ويضربون ويأبون يقولوا لعروف أما نراهم يصون الله مجاهر بن ادع الله عليهم فرفع يديه وقال إلهي كما فرحتهم في الدنيا فرحهم في الآخرة فقال اغفر لي إن شئت ولكن ليعزم ويعظم الرغبة فإن الله عز وجل لا يتماخض شيء أعطاهم والبخاري من حديث أبي هريرة في أثناء حديث فاذا سألتهم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ورواه الترمذي من حديث معاذ وهبادة بن الصامت

حروف الحلق والمهم  
مأخوذ من الاهتمام  
أي يهتم بأمر أخيه  
فالاهتمام بهم الصديق  
حقيقة الصداقة . وقال  
عمر إذا رأى أحدا  
ودا من أخيه  
فليتسك به قلنا  
يصيب ذلك وقد قال  
القائل :

وإذا صفا لك من زمانك  
واحد

فهو للراد وأين ذاك  
الواحد

وأوحى الله تعالى إلى  
داود عليه السلام

قال يا داود مالي أراك  
منتبذا وحسبك قال

إلهي قلت الحلق من  
أجلك فأوحى الله إليه

يا داود كن يقظانا  
مرتادا لنفسك اخوانا

للقوم إنما سألك أن تدعو عليهم فقال إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم ، وكان بعض السلف يقول في دعائه يارب أي أهل دهر لم يصوك ثم كانت نعمتك عليهم سابعة ورزقك عليهم دارا سبحانه ما أحلك وعزتك إنك تغمي ثم تسبغ النعمة وتدر الرزق حتى تأكل ما يربنا لاتعصب فهمه هي الأسباب التي بها يجلب روح الرجاء إلى قلوب الخائفين والآيسين ، فأما الحقى المرورون فلا ينبغي أن يسموا شيئا من ذلك بل يسمعون ما منورده في أسباب الخوف فإن أكثر الناس لا يصلح إلا على الخوف كالعبد السوء والصبي العرم لا يستقيم إلا بالسوط والنصا وإظهار الخشونة في الكلام . وأما من ذلك فيسده عليهم باب الصلاح في الدين والدنيا .

### ( الشطر الثاني من الكتاب في الخوف )

وفيه بيان حقيقة الخوف وبيان درجاته وبيان أقسام المخاوف وبيان فضيلة الخوف وبيان الأفضل من الخوف والرجاء وبيان دواء الخوف وبيان معنى سوء الحاتمة وبيان أحوال الخائفين من الأنبياء صلوات الله عليهم والصلحين رحمة الله عليهم ، ونسأل الله حسن التوفيق .

### ( بيان حقيقة الخوف )

اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحترائه بسبب توقع مكروه في الاستقبال ، وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء ومن أسأله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهدا لجمال الحق على الدوام لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى من الخوف والرجاء فإنيهما زمانان يمتان النفس عن الخروج إلى رعوناتها ، وإلى هذا أشار الواسطي حيث قال : الخوف حجاب بين الله وبين العبد . وقال أيضا إذا ظهر الحق على السرائر لا يبق فيها فضلة لرجاء ولا خوف وبالطبع فالخوف إذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف القراق كان ذلك قصا في الشهود وإتمام الشهود غاية القامات ، ولكننا الآن إنما نتكلم في أوائل القامات فنقول : حال الخوف ينتظم بضامن علم وحال وعمل . أما العلم فهو العلم بالسبب القضي إلى المكروه وذلك كمن جنى على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والإفلات وتكون تألم قلبه بالخوف بحسب قوة علمه بالأسباب القضيية إلى قتله وهو تخافش جنايته وتكون الملك في نفسه حقودا غضوبا منتقما وتكونه محفوقا بمن غتته على الانتقام خاليا عمن تشفع إليه في حقه وكان هذا الحائف عاطلا عن كل وسيلة وحسنه تحو أثر جنايته عند الملك فالعلم يتظاهر هذه الأسباب سبب لقوة الخوف وشدة تألم القلب وبحسب ضعف هذه الأسباب يضعف الخوف وقد يكون الخوف لاعتب سبب جناية فارقها الحائف بل عن صفة الخوف كالذي وقع في محال سبع فإنه يخاف السبع لصفة ذات السبع وهي حرمة وسطوته على الأقراس غالبا وإن كان أقراسه بالاختيار وقد يكون من صفة جبلية للسفوف منه تكوف من وقع في مجرى سيل أو جوار حريق فإن الساء يخاف لأنه بطبعه مجبول على السيلان والإغراق وكذا النار على الإحراق فالعلم بأسباب المكروه هو السبب الباعث للتبر لإحراق القلب وتألمه وذلك الإحراق هو الخوف فكذلك الخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأنزل أهلك العالمين لميلاء ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثر الجناية من العبد بمقارفة المعاصي وتارة يكون بهما جميعا وبحسب معرفته بيوب نفسه ومعرفته بجلال الله تعالى واستغاثته وأنه لا يسئل عما يغفل وهم يستلون تكون قوة خوفه فأخوف الناس لربه أعرفهم بنفسه وبربه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : أنا أخوفكم له (١) وكذلك قال الله تعالى : إنما غنى الله من عباده العلماء . ثم إذا كسب المعرفة

وكل خدن لا يوافق على سرى . فلا تصحبه فإنه عنوقى قلبك ويصادك من . وقد ورد في الخبر : إن أحبك إلى الله الدين بالقول وبألف من ألف مألوف وفي هذا دقيقة وهي أنه ليس من اختار العزلة والوحدة فله يذهب عنه هذا الوصف فلا يكون آلفا مألوفاً فإن هذه الإشارة من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخلق الجبلى ، وهذا الخلق بكل في كل من كان أتم معرفة وبقينا وأوزن عقلا وأتم أهلية واستعدادا وكان أوفر الناس خطا

أورثت جلال الخوف واحترق القلب ثم يفيض أثر الحرقه من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات . أما في البدن فبالحول والصفار والفتية والزعقة والبكاء وقد تنشق به الرارة فيفيض إلى الموت أو يجعد إلى الدماغ فيفسد العقل أو يتوى فيورث القسوط واليأس . وأما في الجوارح فيكفها عن المامى وتقيدها بالطاعات تلافيا لمافرط واستعدادا للمستقبل ، ولذلك قيل ليس الخائف من يبكى ويمسح عينه بل من يترك ما يخاف أن يعاقب عليه . وقال أبو القاسم الحكيم من خاف شيئا هرب منه ومن خاف الله هرب إليه ، وقيل لدى التوّن متى يكون العبد خائفا قال إذا نزل نفسه منزلة السقيم الذى يحنى عنقه طولا السقام . وأما في الصفات فبأن يرفع الشهوات ويكدر اللذات فتصير للمامى المحبوبة عنده بكرهه كما يصير العسل مكروها عند من يشربه إذا عرف أن فيه سمّا تحترق الشهوات بالخوف وتتأذب الجوارح ويحصل في القلب القبول والخشوع والدلة والاستكانة وبغارقة الكبر والحقد والحسد بل يصير مستوعب المهمل غوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتبرغ لغيره ولا يكون له شغل إلا للترقية والمجاهدة والفتنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذه النفس بالخطرات والخطوات والكلمات ويكون حاله حال من وقع في مغالب سبع صار لا يدرى أنه يغفل عنه فغفلت أويهم عليه فبذلك فيكون ظاهره وباطنه مشغولا بما هو خائف منه لا متسع فيه لغيره ، هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه وهكذا كان حال جماعة من انصحابه والتائبين وقوة للراقبة والمجاهدة والمجاهدة بحسب قوة الخوف واحترافه وقوة الخوف بحسب قوة اللزعة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبسبب النفس وما بين يديها من الأخطار والأحوال وأقل درجات الخوف بما يظهر أثره في الأعمال أن يمنع عن المخطورات ويسمى الكف الحاصل عن المخطورات ورعا فان زادت قوته كف عما ينطرق إليه إمكان التحريم فكيف أيضا عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى إذ التقوى أن يترك ما يبريه إلى ما لا يبريه وقد يجعله على أن يترك ما لا بأس به بخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى فإذا انضم إليه التجرد للخدمة فصار لا يبنى ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفسا من أفعاله فهو الصدق وصاحبه جدير بأن يسمى صديقا ويدخل في الصدق التقوى ويدخل في التقوى الورع ويدخل في الورع العفة فانها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة ، فاذن الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والإقدام ويتجدد له بسبب الكف اسم العفة وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فانه أهم لأنه كف عن كل محظور ، وأعلى منه التقوى فانه اسم للكف عن المحظور والشبهة جيما ووراءه اسم الصديق والمقرب وتجري الرتبة الآخرة مما قبلها مجرى الأخص من الأعم فإذا ذكرت الأخص قد ذكرت الكل كما أنك تقول الانسان إمام عري وإمام مجع والمربي إما قرشى أو غيره والقرشى إما هاشمى أو غيره والهاشمى إما علوى أو غيره والعلوى إما حسنى أو حشيتى فإذا ذكرت أنه حسنى مثلا فقد وصفته بالجميع وإن وصفته بأنه علوى وصفته بما هو فوقه بما هو أعلم منه فسلك ذلك إذا قلت صديق فقد قلت إنه تقى وورع وعفيف فلا ينبغي أن تظن أن كثرة هذه الأسماء تدل على معان كثيرة متباعدة فيختلط عليك كما اختلط على من طلب للعانى من الألفاظ ولم يتبع الألفاظ للعانى فهذه إشارة إلى جماع معانى الخوف وما يكتنفه من جانب العلو كالمرقة للوجبة له ومن جانب السفلى كالأعمال الصادرة منه كغيا وإقداما .

من حديث عائشة والله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية .

من هذا الوصف الأنبياء ثم الأولياء وأنهم الجميع في هذا نبينا صلوات الله عليه وكل من كان من الأنبياء أمم أمة كان أكثر تبعا ونبينا صلى الله عليه وسلم كان أكثرهم أمة وأكثرهم تبعا وقال فتأكلوا تنكثوا فاني مكاثركم الأمم يوم القيامة وقد نبه الله تعالى على هذا الوصف من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال - ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك - وإنما طلب المزة مع وجود هذا الوصف ومن كان هذا الوصف فيه

## ( بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف )

اعلم أن الخوف محمود وربما يظن أن كل ما هو خوف محمود فكل ما كان أقوى وأكثر كان أحمد وهو غلط بل الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى الواظية على العلم والعمل ليتألبها رتبة القرب من الله تعالى والأصلح للبيعة أن لا تخلو عن سوط وكذا الصبي ولكن ذلك لا يدل على أن البالدة في الضرب محمودة وكذلك الخوف له قصور وله إفراط وله اعتدال والمحمود هو الاعتدال والوسط فأما القاصر منه فهو الذي يجري مجرى رقة النساء يخطر بالبال عند مسمع آية من القرآن فيورث اليكاه وتفيض الدموع وكذلك عند مشاهدة سبب هائل فاذلغاب ذلك السبب عن الحس رجع القلب إلى الضلة فهذا خوف قاصر قليل الجدوى ضعيف النفع وهو كالضئيب الضعيف الذي تضرب به دابة قوية لا يؤلمها ألم المبرح فإلا يسوقها إلى القصد ولا يصلح رياضتها وهكذا خوف الناس كلهم إلا العارفين والعلماء ولست أعني بالعلماء للترسمين برسوم العلماء وللتسمين بأسمائهم فأنهم أهد الناس عن الخوف بل أعني العلماء بالله وبآياته وأفعاله وذلك مما قد عز وجوده الآن ، ولذلك قال الفضيل بن عياض إذا قيل لك هل تخاف الله فاسكت فإنك إن قلت لا كفرت وإن قلت نعم كذبت وأشار به إلى أن الخوف هو الذي يكف الجوارح عن الماصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحر كذا خطر لا يستحق أن يسمى خوفاً . وأما للفرط فإنه أقوى وقوى ويجاوز حد الاعتدال حتى يخرج إلى اليأس والقنوط وهو مذموم أيضاً لأنه يمنع من العمل وقد يخرج الخوف أيضاً إلى المرض والضعف وإلى الولة والدهشة وزوال العقل ، فالمراد من الخوف ما هو الراد من السوط وهو الحمل على العمل ولولا ذلك لما كان الخوف كلاً لأنه بالحقيقة قصصان لأن منشأ الجهل والعجز . أما الجهل فإنه ليس يدرى عاقبة أمره ولو عرف لم يكن خائفاً لأن الخوف هو الذي يترد فيه . وأما العجز فهو أنه متعرض للحدور لا يقدر على دفعه فاذن هو محمود بالإضافة إلى نقص آدمي وإنما المحمود في نفسه وذاته هو العلم والقدرة وكل ما يجوز أن يوصف الله تعالى به وما لا يجوز وصف الله تعالى به فليس يكمال في ذاته وإنما يصير محموداً بالإضافة إلى نقص هو أعظم منه كما يكون احتمال ألم الدواء محموداً لأنه مؤمن من ألم المرض ولأنه قد يخرج إلى القنوط فهو مذموم وقد يخرج الخوف أيضاً إلى المرض والضعف وإلى الولة والدهشة وزوال العقل وقد يخرج إلى الموت وكل ذلك مذموم وهو كالضرب الذي يقتل الصبي والسوط الذي يهلك الدابة أو غرضها أو يكرس عضواً من أعضائها وإنما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسباب الرجاؤ أو أكثر منها العالج به صدمة الخوف للفرط للقضي إلى القنوط أو أحد هذه الأمور فكل ما يراد لأمر فالحمود منه ما يغضى إلى المراد للقصور منه وما يقصر عنه أو يجاوزه فهو مذموم وفائدة الخوف الحذر والورع والتقوى والمجاهدة والعبادة والعكر والذكر وسائر الأسباب للوصول إلى الله تعالى وكل ذلك يستدعي الحياة مع صحة البدن وسلامة العقل فكل ما قدح في هذه الأسباب فهو مذموم . فإن قلت من خاف فثابت من خوفه فهو شهيد فكيف يكون حاله مذموماً . فاعلم أن معنى كونه شهيداً أن له رتبة بسبب موته من الخوف كان لا ينالها لومات في ذلك الوقت لا بسبب الخوف فهو بالإضافة إليه فضيلة فأما بالإضافة إلى تقدير بقائه وطول عمره في طاعة الله وسلوك سبيله فليس بفضيلة بل للسالك إلى الله تعالى بطريق الفكر والمجاهدة والترقي في درجات المعارف في كل لحظة رتبة شهيد وشهداء ، ولولا هذا لكانت رتبة صبي يقتل أو مجنون يفتريه سبع أعلى من رتبة نبي أو ولي يموت حنق وأنه وهو محال فلا ينبغي أن يظن هذا بل أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله تعالى فكل ما يطل العمر أو العقل أو الصحة التي يتعمل للعمر بتعطيلها فهو حيران ونقصان بالإضافة إلى أمور وإن كان بعض أقسامه فضيلة بالإضافة

أقوى وأهم كان طلب العزلة فيه أكثر في الابتداء ولهذا المعنى حب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخلوة في أول أمره وكان يغلو في غار حراء ويبحث البالي فوات السدد وطلب العزلة لا يسلب وصف كونه آلهة مألوفاً وقد غلط في هذا قوم ظنوا أن العزلة تلعب هذا الوصف فتركوا العزلة طلباً لهذه الضئيلة وهذا خطأ وسرطبل العزلة لمن هذا الوصف فيه أسم من الأنبياء ثم الأئمة فالأئمة ما أسلفنا في أول الباب إن في الإنسان ميلاً إلى الجنس بالوصف

إلى أمور أخر كما كانت الشهادة ضئيلة بالاضافة إلى ما دونها لا بالاضافة إلى درجة التيقن والصدقين فاذن الخوف إن لم يؤثر في العمل فوجوده كعدمه مثل السوط الذي لا يزيد في حركة الدابة وإن أثر فله درجات بحسب ظهور أثره فان لم يعمل إلا على النية وهى الكف عن مقتضى الشهوات فله درجة فإذا انمر الورع فهو أعلى وأفضى درجاته أن يشر درجات الصديقين وهو أن يسلب الظاهر والباطن عما سوى الله تعالى حتى لا يبقى لتبر الله تعالى فيه متسع فهذا أقصى ما يحمده منه وذلك مع بقاء الصحة والعقل فان جاوز هذا إلى إزالة العقل والصحة فهو مريض يجب علاجه إن قدر عليه ولو كان محمودا لمواجب علاجه بأسباب الرجاء وبغيره حتى يزول ولذلك كان سهل رحمه الله يقول للمريدن لللازمين للجوع أياما كثيرة احفظوا عقولكم فانه لم يكن لله تعالى ولى ناصى العقل .

( بيان أقسام الخوف بالاضافة إلى ما يخاف منه )

اعلم أن الخوف لا يتحقق إلا بانتظار مكروه والكسوة إما أن يكون مكروها في ذاته كالنار وإما أن يكون مكروها لأنه يفضى إلى المكروه كما تتركه العاصي لأدائها إلى مكروه في الآخرة كما يكره الرياضي الفواكه الضررة لأدائها إلى اللوث فلا بد لكل خائف من أن يشتغل في نفسه مكروها من أحد القسمين ويقوى انتظاره في قلبه حتى يحرق قلبه بسبب استحضاره ذلك للمكروه ومقام الخائفين يخالف فيما يغلب على قلوبهم من الكسروها المهدورة فالتين يغلب على قلوبهم ما ليس مكروها لذاته بل لتبره كالذين يغلب عليهم خوف اللوث قبل التوبة أو خوف نقض التوبة ونسكت العهد أو خوف ضعف القوة عن الوفاء، بعضهم حقوق الله تعالى أو خوف زوال رقة القلب وتبدلها بالتساوة أو خوف الليل عن الاستقامة أو خوف اسبيل، العادة في اتباع الشهوات للآلوفة أو خوف أن يكفه الله تعالى إلى حسناته التي اتكل عليها وتمزج بها في عباد الله أو خوف البطر بكثرة نعم الله عليه أو خوف الاشتغال عن الله بغير الله أو خوف الاستدراج بنوار التهم أو خوف انكشاف غوائل طاعاته حيث يدوله من الله ما لم يكن يحسب أو خوف تبعات الناس عنده في القبية والحياة والفن وإضمار السوء أو خوف ما لا يدري أنه يحدث في بقية عمره أو خوف تعجيل العقوبة في الدنيا والافتضاح قبل اللوث أو خوف الاغترار بخلاف الدنيا أو خوف اطلاع الله على سريره في حال غفلته عنه أو خوف الحتم له عند اللوث بمخافة السوء أو خوف السابقة التي سبقت له في الأزل ، فهذه كلها مخاوف العارفين ولكل واحد خصوص فائدة وهو سلوك سبيل الحذر عما يفضى إلى المخوف فمن يخاف استبلاء العادة عليه فيواظب على القطام عن العادة ، والذي يخاف من اطلاع الله تعالى على سريره يشتغل تطهير قلبه عن الوسوس وهكذا إلى بقية الأقسام وأغلب هذه المخاوف على اليقين خوف الحاجة فان الأمر فيه مخاطر وأعلى الأقسام وأدناها على كمال المعرفة خوف السابقة لأن الحاجة تتبع السابقة وفرع يتفرع عنها بعد تحلل أسباب كثيرة فالحاجة تظهر ماسبق به القضاء في أم السكتاب والخائف من الحاجة بالاضافة إلى الخائف من السابقة كرجلين وقع الملك في حقهما بتوقيع بمحمل أن يكون فيه حر الرقية ومحمل أن يكون فيه تسليم الوزارة إليه ولم يصل التوقيع إليهما بعد فيرتبط قلب أحدهما بمخالة وصول التوقيع وشراء وأنه عما ذا يظهر ويرتبط قلب الآخر بمخالة توقيع الملك وكيفيته وأنه ما الذي خطر له في حال التوقيع من رحمة أو غضب وهذا الذفان إلى السبب فهو أعلى من الالتفات إلى ما هو فرع فكذلك الالتفات إلى القضاء الأزل الذي جرى بتوقيعه القلم أعلى من الالتفات إلى ما يظهر في الأبد وإليه أشار النبي صلى الله عليه وسلم حيث كان على المنبر يقبض كفه اليمنى ثم قال : « هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آباءهم لا يزدادهم ولا ينقص ثم قبض كفه اليسرى

الأعم فقل علم الخدائق ذلك اللهم الله تعالى محبة الخوة والعزلة لصفية النفس عن الليل بالوصف الأعم لترتقى المهم العالية عن ميل الطباع إلى تألف الأرواح فإذا وفوا التصفية حقها اشترأت الأرواح إلى جنسها بالتألف الأصلي الأولى وأعادها الله تعالى إلى الخلق ومخاطبتهم مصفاة واستنارت النفوس الطاهرة بأنوار الأرواح وظهرت صفة الجسلة من الألفة للكلية آفة مألوفة فصارت العزلة من أهم الأمور عند من

وقال هذا كتاب الله كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يراد فيهم ولا ينقص وليعلمن أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هم ثم يستخرجهم الله قبل اللوث ولو غواق ثافة السعيد من سعد بقضاء الله والشقى من شقى بقضاء الله والأعمال بالحوادث (١) وهذا كاشف الغافين إلى من يخاف مصيبته وجنائه وإلى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله وأوصافه التي تقتضي الهبة لعمالة فهذا أعلى رتبة ولذلك يبقى خوفه وإن كان في طاعة الصديقين وأما الآخر فهو في عرصة السرور والأمن وإن اطلب على الطاعات فالخوف من المصيبة خوف الصالحين والخوف من الله خوف الوحيدين والصديقين وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جنابة بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف مصيبته ولولا أنه يخوف في نفسه لما سخره للمصيبة وسر له سبلها ووسد لها أسبها فان تيسر أسباب المصيبة إبعاد ولم يسبق منه قبل المصيبة مصيبة استحق بها أن يسخر للمصيبة ونجوى عليه أسبها ولا سبق قبل الطاعة وسيلة توسل بها من سرت له الطاعات ومهد له سبل القربات فالعاصي قد قضى عليه بالمصيبة شاء أم أبى وكذا المطيع فآلى برفع عهده صلى الله عليه وسلم إلى أعلى عليين من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده وبضع أبا جهل في أمثال سافلين من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بأن يخاف منه لصفته جلالة فان من أطاع الله أطاع بأن سلط عليه إرادة الطاعة وآتاه القدرة وبعد خلق الإرادة الجازمة والقدرة التامة يصير القفل ضروريا والذي عصى عصى لأنه ساطع عليه إرادة قوية جازمة وآتاه الأسباب والقدرة فكان القفل بعد الإرادة والقدرة ضروريا فليت شعري ما الذي أوجب إكرام هذا وتخصيصه بتسليط إرادة الطاعات عليه وما الذي أوجب إهانة الآخر وإبعاده بتسليط دواعي العصية عليه وكف بحال ذلك على العبد وإذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جنابة ولا وسيلة فالخوف ممن يقضى بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل ووراء هذا المعنى سر القدر الذي لا يجوز إفشاؤه ولا يمكن تفهم الخوف منه في صفاته جل جلاله إلا بتال لولا إذن الترخيم لم يستجري على ذكره ذو بصيرة فقد جاء في الخبر « إن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام يداود خفي كما تخاف السبع الضاري (٢) » فهذا التال يفهمك حاصل المعنى وإن كان لا يتقيد بك على سببه فان الوقوف على سببه وقوف على سر القدر ولا يكشف ذلك إلا لأهله . والحاصل أن السبع يخاف لا للجناية سبقت إليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته ولأنه يفعل مايقبل ولا يتألى فان قتلك لم يرق قلبه ولا يتألم بقتلك وإن خلاك لم يخلك شفقة عليك وإيقا على روحك بل أنت عند أخس من أن يلفظ إليك حيا كنت أو ميتا بل إهلاك ألف مثلك وإهلاك ثلثة عنده على وثيرة واحدة إذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته والله التال الأعلى ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة أنه صادق في قوله « هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي » وبكذلك من موجبات الهبة والخوف المعرفة بالاستثناء وعدم البالاة.

(١) حديث هذا كتاب من الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم الحديث الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص وقال حسن صحيح غريب (٢) حديث إن الله تعالى أوحى إلى داود يداود خفي كما تخاف السبع الضاري لم أجده أصلا ولعل للصف قدس بآراءه أنه من الأسراليات فانه خبر عنه بقوله جاء في الخبر وكثيرا ما يعبر بذلك عن الأسراليات التي هي غير مرفوعة .

بألف فيؤلف ومن أدل الدليل على أن الذي استعمل ألف مأثور حتى يذهب الغلط عن الذي غلط في ذلك وضم العزلة على الإطلاق من غير علم بحقيقة الصفة وحقيقة العزلة فصارت العزلة مرغوبا فيها في وقتها والصحيح مرغوبا فيها في وقتها قال محمد بن الحنفية رحمه الله ليس بحكيم من لم يباشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بدا حتى يجعل الله له منه فرجا . وكان بشر بن الحرث يقول إذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله تعالى من يؤنس فالأنيس يهيبه الله

الطبقة الثانية من الخائفين : أن يشغل في أنفسهم ماهو المكروه وذلك مثل سكرات الموت وشدة  
أوساؤل منكر ونكير أو عذاب القبر أو هول المطلع أو هيبه الوقف بين يدي الله تعالى والحياه من  
كشف السر والسؤال عن النقيز والقطيعر أو الخوف من الصراط وحدته وكيفية العبور عليه  
أو الخوف من النار وأغلاها وأهوالها أو الخوف من الحرمان عن الجنة دار العيم ولللك القيم  
وعن قصان الدرجات أو الخوف من الحجاب عن الله تعالى وكل هذه الأسباب مكروهة في نفسها  
فهي لا محالة مخوفة وتختلف أحوال الخائفين فيها وأغلاها رتبة هو خوف الفراق والحجاب عن الله  
تعالى وهو خوف العارفين وما قبل ذلك خوف العالمين والصالحين والزاهدين وكافة العالمين ومن  
لم تسكن معرفته ولم تنفتح بصيرته لم يشعر بطنه الوصال ولا بألم البعد والفراق وإذا ذكر له أن  
العارف لا يخاف النار وإنما يخاف الحجاب وجد ذلك في باطنه منكرا وتعجب منه في نفسه وربما  
أنكر لغة النظر إلى وجهه الكريم لولامع السمع إياه من إنكاره فيكون اعترافه به باللسان  
عن ضرورة التقليد والإفباضة لا يصدق به لأنه لا يعرف إلا الله الباطن والفرج والعين بالنظر  
إلى الألوان والوجوه الحسان وبالجملة كل لغة تشركه فيها البهائم فأما لغة العارفين فلا بدركها غيرهم  
وتفصيل ذلك وشرحه حرام مع من ليس أهله ومن كان أهله استبصر بنفسه واستغنى عن أن  
يشرحه له غيره فإلى هذه الأقسام يرجع خوف الخائفين نسأل الله تعالى حسن التوفيق بكرمه .

### ( بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه )

اعلم أن فضل الخوف تارة يعرف بالتأمل والاعتبار وتارة بالآيات والأخبار . أما الاعتبار فسيده أن  
فضيلة الشيء بقدر غناؤه في القضاء إلى سعادة لقاء الله تعالى في الآخرة إذ لا مقصود سوى السعادة  
ولامعادة للبعد إلا في لقاء مولاه والقرب منه فكل ما أتان عليه فله فضيلة وفضيلته بقدر غايته وقد  
ظهر أنه لا وصول إلى سعادة لقاء الله في الآخرة إلا بتحصيل محبته والأنس به في الدنيا ولا يحصل  
المحبة إلا بالمعرفة ولا تحصل المعرفة إلا بدوام الفكر ولا يحصل الأنس إلا بالمحبة ودوام الذكر  
ولا يتيسر للواظبة على الذكر والفكر إلا باطّاع حب الدنيا من القلب ولا ينقطع ذلك إلا بترك لذات  
الدنيا وشهواتها ولا يمكن ترك للشهوات إلا بجمع الشهوات ولا تنقطع الشهوة بشيء كما تنقطع نار  
الخوف فالخوف هو النار المحرقة للشهوات فإن فضيلته بقدر ما يحرق من الشهوات وبقدر ما يكف  
عن اللامسى ويحث على الطاعات ويختلف ذلك باختلاف درجات الخوف كما سبق وكيف لا يكون  
الخوف ذا فضيلة وبه تحصل العفة والورع والتقوى والمجاهدة وهي الأعمال الفاضلة الممهدة التي  
تقرب إلى الله زلفى . وأما بطريق الاقتباس من الآيات والأخبار فتاورد في فضيلة الخوف خارج  
عن المحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي  
جوامع مقامات أهل الجنان قال الله تعالى - وهدي ورحمة للذين هم لربهم يرهبون - وقال تعالى  
- إنما يخشى الله من عباده العلماء - وصفهم بالملم لحشيتهم وقال عز وجل - رضى الله عنهم  
ورضىوا عنه ذلك لمن خشى ربه - وكل ما دل على فضيلة العلم دل على فضيلة الخوف لأن الخوف  
ثمرة العلم ولذلك جاء في خبر موسى عليه أفضل الصلاة والسلام وأما الخائفون فإن لهم الرقيق  
الأعلى لا يشاركون فيه فأنظر كيف أفردهم بمراقبة الرقيق الأعلى وذلك لأنهم العلماء والعلماء لهم  
رتبة مراققة الأنبياء لأنهم ورثة الأنبياء ومراقبة الرقيق الأعلى للأنبياء ومن يلحق بهم ولذلك  
لما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرض موته بين البقاء في الدنيا وبين القدوم على الله

لصادقين رتقا من الله  
تعالى وثوابا للبعد  
معجلا والأنيس قد  
يكون مفيدا كالمشاخ  
وقد يكون مستفيدا  
كالمردين فصحيح  
الحلوة والعزلة لا يترك  
من غيب أنيس فإن  
كان قاصرا يؤنس الله  
بمن يشم حاله به وإن  
كان غير قاصر يقيض  
الله تعالى له من يؤنس  
من الريدين وهذا  
الأنس ليس فيه ميل  
بالوصف الأعم بل هو  
بالله ومن الله وفي الله  
وروى عبد الله بن  
سمود عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم قال  
واللحايون في الله على  
عمود من ياقوته حمراء  
في رأس العمود سبعون

تعالى كان يقول أسألك الرقيق الأملى <sup>(١)</sup> « فاذن إن نظر إلى مشرعه فهو العلم وإن نظر إلى ثمرته فالورع والتقوى ولا يخفى ماورد في فضائلهما حتى إن العاقبة صارت موسومة بالتقوى مخصوصة بها كما صار الحمد مخصوصا بالله تعالى والصلاة برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يقال الحمد لله رب العالمين والماقية للثقتين والصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله أجمعين وقد خصص الله تعالى التقوى بالإضافة إلى نفسه فقال تعالى - لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منك - وإنما التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف كما سبق وذلك قال تعالى - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وذلك أوصى الله تعالى الأولين والآخرين بالتقوى فقال تعالى - ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله - وقال عز وجل - وخافون إن كنتم مؤمنين - فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان فذلك لا يتصور أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم في فضيلة التقوى « إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم فإدام بصوت يسمع أصوام كما يسمع أذانهم فيقول يا أيها الناس إني قد أنصت لكم منذ خلقتمكم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلى اليوم إنما هي أعمالكم ترد عليكم يا أيها الناس إني قد جعلت نسباً جعلتم نسباً فوضعت نسباً ورفعت نسبكم - قلت - إن أكرمكم عند الله أتقاكم - وأيتهم إلا أن تقولوا فلان بن فلان وفلان أغنى من فلان فالיום أضع نسبكم وأرفع نسي أبن للثقون فيرفع لقوم لواء فيبيع القوم لواءهم إلى منازلهم فيدخلون الجنة بغير حساب <sup>(٢)</sup> » وقال عليه الصلاة والسلام « رأس الحكمة مخافة الله <sup>(٣)</sup> » وقال عليه الصلاة والسلام لابن مسعود « إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بعدى <sup>(٤)</sup> » وقال الفضيل : من خاف الله دله الخوف على كل خير - وقال الثبلي رحمه الله : ما خفت الله يوماً إلا رأيت له باباً من الحكمة والعبرة مآربه قط - وقال يحيى بن معاذ : ما من مؤمن يعمل سيئة إلا ولا يحقها أحسنان خوف العقاب ورجاء العفو كتملأ بين أمدنين وفي خبر موسى عليه الصلاة والسلام وأما الورعون فإنه لا يبق أحد إلا ناقشته الحساب وقتنت عما في يديه إلا الورعين فإني أستحي منهم وأجلهم أن أوقهم للحساب والورع والتقوى أمام اشتقت من معان شرطها الخوف فإن خلت عن الخوف لم تسهم هذه الأسامي وكذلك ماورد في فضائل الذكر لا يخفى وقد جعله الله تعالى مخصوصاً بالخاصين قال سيذكر من غنى - وقال تعالى - ولمن خاف مقام ربه جنتان - وقال صلى الله عليه وسلم « قال عز وجل وعزني غنى »

ألف غرفة مشرفون على أهل الجنة يعني حسنهم لأهل الجنة كما تعني الشمس لأهل الدنيا فيقول أهل الجنة انطلقوا بنا ننظر إلى التحابين في الله عز وجل فإذا أشرفوا عليهم أنما حسنهم لأهل الجنة كغنى الشمس لأهل الدنيا عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم هؤلاء التحابون في الله عز وجل » وقال أبو إدريس الخولاني لما ذابني أجبك في الله فقال له أبشر ثم أبشر فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ينسب لطائفة من الناس كراسي حول

- (١) حديث لماخيز في مرض موته كان يقول أسألك الرقيق الأملى متفق عليه من حديث عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول وهو صحيح إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يغبر فذا نزل به ورأسه في حجرى غشى عليه ثم أفاق فأشخص يصره إلى مقبب البيت ثم قال اللهم الرقيق الأملى فعلت أنه لا يختارنا وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح الحديث
- (٢) حديث إذا جمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم ناداهم بصوت يسمعه أصوام كما يسمع أذانهم فيقول يا أيها الناس إني قد أنصت إليكم منذ خلقتمكم إلى يومكم هذا فأنصتوا إلى اليوم إنما هي أعمالكم ترد عليكم يا أيها الناس إني جعلت نسباً الحديث الطبراني في الأوسط والحاكم في المستدرک بسند ضعيف والعلوي في التفسير مقتصر على آخره إني جعلت نسباً الحديث من حديث أبي هريرة (٣) حديث رأس الحكمة مخافة الله أبو بكر بن لال الفقيه في مكارم الأخلاق والبيهقي في الشعب وضعفه من حديث ابن مسعود ورواه في دلائل النبوة من حديث عقبة بن عامر ولا يصلح أيضاً
- (٤) حديث إن أردت أن تلقاني فأكثر من الخوف بعدى قاله لابن مسعود لم أقف له على أصل.

لأجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمتين فإن أمتي في الدنيا أخفته يوم القيامة وإن خافني في الدنيا أمتته يوم القيامة (١) « وقال صلى الله عليه وسلم » من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه الله من كل شيء (٢) « وقال عليه السلام » أنتم كعقلاء أشدكم خوفاً لله تعالى وأحسكم فيما أمر الله تعالى به ونهى عنه نظراً (٣) « وقال يحيى بن معاذ رحمه الله عليه مسكين ابن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر دخل الجنة . وقال ذو النون رحمه الله تعالى من خاف الله تعالى ذاب قلبه واشتد قلبه وصح له به . وقال ذو النون أيضاً ينبغي أن يكون الخوف أبلغ من الرجاء فإذا غلب الرجاء تشوش القلب . وكان أبو الحسين الضرير يقول : علامة السعادة خوف الشقاوة لأن الخوف زمام بين الله تعالى وبين عبده فإذا انقطع زمامه هلك مع المالكين . وقيل ليحيى بن معاذ من آمن الخلق غداً فقال أشدكم خوفاً اليوم . وقال سهل رحمه الله لا تجد الخوف حتى تأكل الحلال . وقيل للحسن بأبأسه كيف تصنع نجاس أقواماً يخوفوننا حتى تسكد قلوبنا تطير فقال والله إنك إن تغالط أقواماً يخوفونك حتى يدركك أمن خير لك من أن تصعب أقواماً يؤمنونك حتى يدركك الخوف . وقال أبو سليمان الناداري رحمه الله ما فرق الخوف قلباً إلا خرب . وقالت عائشة رضي الله عنها « قلت يارسول الله - الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فهو الرجل يسرق ويرزى قال لا ، بل الرجل يصوم ويصلي ويتصدق ويخاف أن لا يقبل منه (٤) « والتشديدات الواردة في الأمن من مكر الله وعذابه لا تنحصر وكل ذلك ثناء على الخوف لأن مذمة الشيء ثناء على ضده الذي ينفيه وضد الخوف الأمن كما أن ضد الرجاء اليأس وكادت مذمة القنوط على فضيلة الرجاء فكذلك تدل مذمة الأمن على فضيلة الخوف للشاهد بل هل تقول كل ما ورد في فضل الرجاء فهو دليل على فضل الخوف لأنهما متلازمان فإن كل من رجا محبوباً فلا بد وأن يخاف فوته فإن كان لا يخاف فوته فهو إذا لا يحبه فلا يكون بانتظاره راجياً فالخوف والرجاء متلازمان يستحيل انفكاك أحدهما عن الآخر نعم يجوز أن يغلب أحدهما على الآخر وهما مجتمعان ويجوز أن يشغل القلب بأحداهما لا يلتفت إلى الآخر في الحال لفكته عنه وهذا لأن من شرط الرجاء والخوف تعلقهما بما هو مشكوك فيه إذ العلوم لا يرجى ولا يخاف فإذا ن المحبوب الذي يجوز وجوده يجوز عدمه لا محالة فتقدير وجوده يروح القلب وهو الرجاء وتقدير عدمه يوجع القلب وهو الخوف والتقديران يتبادلان لا محالة إذا كان ذلك الأمر ينتظر مشكوكاً فيه نعم أحد طرفي الشك قد يرجع على الآخر بحضور بعض الأسباب ويسمى ذلك ظناً فيكون ذلك سبب غلبة أحدهما على الآخر فإذا غلب على الظن وجود المحبوب قوى الرجاء وخفى الخوف بالإضافة إليه وكذا بالعكس وعلى كل حال فهما متلازمان ولذلك قال تعالى - ويذعنون رغباً ورهبا - وقال عز وجل - يدعون ربهم خوفاً وطمعاً - ولذلك عبر العرب عن الخوف بالرجاء فقال تعالى - ما لكم لا ترجون لله وقاراً - أي لا تخافون وكثيراً ما ورد في القرآن الرجاء بمعنى

- (١) حديث لأجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمتين ابن حبان في صحيحه والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين من رواية الحسن مرسلاً
- (٢) حديث من خاف الله خافه كل شيء الحديث أبو الشيخ ابن حبان في كتاب التوابين حديث أبي أمامة بسند ضعيف جداً ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين بإسناد ضعيف معضل وقد تقدم
- (٣) حديث أنتم كعقلاء أشدكم خوفاً لله الحديث لم أقف له على أصل ولم يصح في فضل العقل شيء
- (٤) حديث عائشة قلت يارسول الله - الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة فهو الرجل يسرق ويرزى قال لا ، الحديث الترمذي وابن ماجه والحاكم وقال صحيح الاسناد . قلت بل منقطع بين عائشة وبين عبد الرحمن بن سعد بن وهب قال الترمذي وروى عن عبد الرحمن بن سعد عن أبي حازم عن أبي هريرة .

العرش يوم القيامة  
وجوههم كالقمر ليلة  
البدر يفرغ الناس  
ولا يفرعون ويخاف  
الناس ولا يخافون وهم  
أولياء الله الذين لا خوف  
عليهم ولا هم يحزنون  
فتقبل من هؤلاء  
يارسول الله قال  
التحايون في الله عز  
وجل . « وروى عبادة  
ابن الصامت عن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
قال « يقول الله عز وجل  
حقت محبتي للتحابين  
في ولزاورين في  
والبائسين في  
والتصادقين في »  
أخبرنا الشيخ  
أبو الفتح محمد بن  
عبد الباقي بإجازة قال  
أنا أحمد بن الحسين

الخوف وذلك لتلازمهما إذ عادة العرب التعبير عن الشيء بما يلازمه بل أقول كل ما ورد في فضل البكاء من خشية الله فهو إظهار لفضيلة الخشية فإن البكاء ثمرة الخشية فقد قال تعالى - «فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً» وقال تعالى - «يكون نورا يزيدكم خشوعاً» وقال عز وجل - «أفمن هذا الحديث مجنون وتضحكون ولا تبكون وأنتم سامعون» - وقال عليه السلام «ما من عبد مؤمن يخرج من عبادة دمه وإن كانت مثل رأس الدباب من خشية الله تعالى ثم تصيب شيئاً من حروجه إلا حرمه الله على النار» <sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أقرض قلب المؤمن من خشية الله نحاتت عنه خطايا كما ينحات من الشجرة ورقها» <sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «لا يلبج النار أحد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود البين في الضرع» <sup>(٣)</sup> وقال عقبة بن عامر «ما النجاة يا رسول الله قال أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك» <sup>(٤)</sup> وقالت عائشة رضي الله عنها «قلت يا رسول الله أيدخل أحد من أمتك الجنة بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكي» <sup>(٥)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «ما من قطرة أحب إلى الله تعالى من قطرة دم مع من خشية الله تعالى أو قطرة دم أهرقت في سبيل الله سبحانه وتعالى» <sup>(٦)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «اللهم ارزقني عيني هطالتين تشفيان» <sup>(٧)</sup> بذروف الدمع قبل أن تصير الدموع دماً والأضرأس جراً» <sup>(٨)</sup> وقال عليه السلام «سبعة يظلمهم الله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم رجلاً ذكر الله خالياً ففاضت عيناه» <sup>(٩)</sup> وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع أن يبكي فليبك ومن لم يستطع فليتبأك . وكان محمد بن السكندر رحمه الله إذا بكى مسح وجهه ولحيته بدموعه ويقول : يا بني أن النار لا تأكل من وضعت دمه الدموع . وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ابكوا فإن لم تبكوا فتبكوا فوالذي نفسي بيده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى يسكر صلبه وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ما تغرغرت عين بدمعها إلا برهق وجه صاحبها فترت ولادة

(١) حديث ما من مؤمن يخرج من عبادة دمه وإن كانت مثل رأس الدباب الحديث الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث إذا أقرض جلد المؤمن من خشية الله نحاتت عنه ذنوبه الحديث الطبراني والبيهقي فيه من حديث العباس بسند ضعيف (٣) حديث لا يلبج النار عبد بكى من خشية الله الحديث الترمذي وقال حسن صحيح والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة (٤) حديث قال عقبة بن عامر ما النجاة يا رسول الله قال أمسك عليك لسانك الحديث تقدم (٥) حديث عائشة قلت يدخل الجنة أحد من أمتك بغير حساب قال نعم من ذكر ذنوبه فبكي ثم قال أفك له على أصل (٦) حديث ما من قطرة أحب إلى الله من قطرة دمه من خشية الله الحديث الترمذي من حديث أبي أمامة وقال حسن غريب وقد تقدم (٧) حديث اللهم ارزقني عيني هطالتين تشفيان بذروف الدمع الحديث الطبراني في الكبير وفي الدعاء وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند حسن ورواه الحسين الروزي في زيادته على الزهد والرفائق لابن المبارك من رواية سالم بن عبد الله من سلاطون ذكره الله وذكر الدار قطني في المال أن من قال فيه عن أبيه وهم إنما هو عن سالم بن عبد الله من سلاطون وقال هذا يشبه أن يكون سالم بن عبد الله المحاربي وليس بابن عمر انتهى وما ذكره من أنه سالم المحاربي هو الذي يدل عليه كلام البخاري في التاريخ ومسلم في السنن وابن أبي حاتم عن أبيه وأبي أحمد الحاكم في إرواء له عن سالم عبد الله أبو سلمة وإعنا ذكروا له رواية عن سالم المحاربي والله أعلم نعم حكى ابن عساكر في تاريخه الخلاف في أن الذي يروي عن سالم المحاربي أو سالم بن عبد الله بن عمر (٨) حديث سبعة يظلمهم الله في ظله الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

ابن خيرون قال أنا أبو عبد الله أحمد بن عبد الله الحاملي قال أنا أبو القاسم عمر بن حنبل بن محمد بن سلام قال أنا أبو اسحق إبراهيم بن اسحق الحارثي قال حدثنا حماد عن يحيى ابن سعيد عن سعيد ابن السيب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ألا أخبركم خير من كثير من الصلاة والصدقة قالوا وما هو قال إصلاح ذات البين وإياكم والبضعة فإنها هي الخالقة» وبسناد إبراهيم الحارثي عن عبد الله بن عمر عن أبي أمامة عن عبد الله بن الوليد عن عمران ابن رباح قال سمعت

[١] قوله تشفيان بذروف الدمع الذي في الجامع الصغير تشفيان القلب بذروف الدمع من خشيتك .

يوم القيامة فإن سالت دموعه أطفأ الله بأول قطرة منها بحارا من البراء ولو أن رجلا بقي في أمة ماعدت تلك الأمة . وقال أبو سليمان البكاء من الخوف والرجاء والطرب من الشوق . وقال كعب الأحبار رضي الله عنه والذي قسمي يده لأن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجنتي أحب إلي من أن أتصدق بجبل من ذهب . وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما لأن أدمع دموعا من خشية الله أحب إلي من أن أتصدق بألف دينار . وروى عن حنظلة قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت لها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فذنت من المرأة وجرى بيننا من حديث الدنيا فذبت ما كنا عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذنا في الدنيا ثم تذكرت ما كنا فيه فقللت في نفسي فدنققت حيث تحولت عني ما كنت فيه من الخوف والرفة فخرجت وجعلت أنادي نافي حنظلة فاستقباني أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال كلام ينافي حنظلة فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول نافي حنظلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلام ينافي حنظلة فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجاءت منها القلوب وذرفت منها العيون وعرفنا أنفسنا فرجعت إلى أهلي فأخذنا في حديث الدنيا ونسيت ما كنا عندك عليه فقال صلى الله عليه وسلم يا حنظلة لو أنكم كنتم أبدا على تلك الحالة لصالحكم للآلئكة في الطرق وعلى فراشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة <sup>(١)</sup> فاذن كل ما ورد في فضل الرجاء والبكاء وفضل التقوى والورع وفضل العلم ومذمة الأمن فهو دلالة على فضل الخوف لأن جملة ذلك متعلقة به إما تعلق السبب أو تعلق السبب .

( بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء أو اعتدلهما )

اعلم أن الأخبار في فضل الخوف والرجاء قد كثرت وربما نظر الناظر إليها فترى يشك في أن الأفضل أهما وقول القائل الخوف أفضل أم الرجاء سؤال فاسد يشأه قول القائل الخبر أفضل أم السوء وجوابه أن يقال الخبر أفضل للجائع والماء أفضل للعطشان فإن اجتماع نظر إلى الأغلب فإن كان الجوع أغلب فالخبر أفضل وإن كان العطش أغلب فالماء أفضل وإن استويا فهما متساويان وهذا لأن كل ما يراد لتصوده فضله يظهر بالاضافة إلى مقصوده لا إلى نفسه والخوف والرجاء دوا آن يداوى بهما القلوب فضاهما بحسب الداء للوجود فإن كان الغالب على القلب داء الأمن من مكر الله تعالى والاعتراض به فالخوف أفضل وإن كان الأغلب هو اليأس والقنوط من رحمة الله فالرجاء أفضل وكذلك إن كان الغالب على العبد العصية فالخوف أفضل ويجوز أن يقال مطلقا الخوف أفضل على التأويل الذي يقال فيه الخبر أفضل من السكينة إذ ما يجز مرض الجوع والسكينة مرض الصفاء ومرض الجوع أغلب وأكثر فالخوف أكثر فهو أفضل فهذا الاعتبار غلبة الخوف أفضل لأن المعاصي والاعتراض على الخلق أغلب وإن نظر إلى مطلع الخوف والرجاء فالرجاء أفضل لأنه مستقيم من بحر الرحمة ومستقيم الخوف من بحر غضب ومن لاحظ من صفات الله تعالى ما يقتضي اللطف والرحمة كانت المحبة عليه أغلب وليس وراء المحبة مقام . وأما الخوف فستند الالتفات إلى الصفات التي تقتضي العنف فلا تمازجه المحبة بمازجتها للرجاء . وعلى الجملة فإيراد لغيره ينبغي أن يستعمل فيه لفظ الأصلح لا لفظ الأفضل فتقول : أكثر الخلق الخوف لهم الأصلح من الرجاء وذلك لأجل غلبة المعاصي . فأما التقى الذي ترك ظاهر الانتم واطنه وخفيه وجليه فالأصلح أن يستدل خوفه ورجاؤه ولذلك

(١) حديث حنظلة كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فوعظنا الحديث وفيه نافي حنظلة الحديث وفيه ولكن يا حنظلة ساعة وساعة مسلم مختصرا .

أما مسلم يقول سمعت  
أبا هريرة يقول يقول الخبر  
وفي الخبر تحذير عن  
البغضة وهو أن يحفو  
الحمل الناس مقتا لهم  
وسوء ظن بهم وهذا  
خطأ وإنما يريد أن  
يخلو مقتا لنفسه  
وعلم بما في نفسه من  
الآفات وحذرا على  
نفسه من نفسه وعلى  
الحاق أن يعود عليهم  
من شره فمن كانت  
خلوته بهذا الوصف  
لا يدخل تحت هذا  
الوعيد والاشارة  
بالخلة يعني أن البغضة  
حائلة للدين لأنه نظر  
إلى المؤمنين والمسلمين  
بين القتل . وآخرنا  
الشيخ أبو الفتح  
بإسناده إلى إبراهيم

قيل لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا وروى أن علياً كرم الله وجهه قال لبعض ولده يا بني خف الله خوفاً ترى أنك لو أتيت بهجستان أهل الأرض لم يتقبلها منك وأرج الله رجاءاً ترى أنك لو أتيت بهيستان أهل الأرض غفرها لك ولذلك قال عمر رضي الله عنه لو نودي ليدخل النار كل الناس إلا رجلاً واحداً لرجوت أن أكون أنا ذلك الرجل ولو نودي ليدخل الجنة كل الناس إلا رجلاً واحداً لحشيت أن أكون أنا ذلك الرجل وهذا عبارة عن غاية الخوف والرجاء واعتدلهما مع القلبة والاستيلاء ولكن على سبيل التقاوم والتساوي فمثل عمر رضي الله عنه ينبغي أن يستوى خوفه ورجاؤه فأما العاصي إذا ظن أنه الرجل الذي استثنى من الذين أمروا بدخول النار كان ذلك دليلًا على

اغتزاره . فان قلت مثل عمر رضي الله عنه لا ينبغي أن يتساوى خوفه ورجاؤه بل ينبغي أن يغلِب رجاءه كما سبق في أول كتاب الرجاء وأن قوته ينبغي أن تكون بحسب قوت أسيا به كمثل الزرع والبذر ومعلوم أن من بث البذر الصحيح في أرض تقيّة وانقلب على تعدها وجاء به شروطاً وازراعة جميعها غلب على قلبه رجاء الإدراك ولم يكن خوفه مساوياً لرجائه فهكذا ينبغي أن تكون أحوال للتقين . فاعلم أن من يأخذ بالطواف من الألفاظ والأمثلة يكثر زلله وذلك وإن أوردنا ما لا فليس يضاهي ما نحن فيه من كل وجه لأن سبب غلبة الرجاء العلم بالحاصل بالتجربة إذ علم بالتجربة صحة الأرض وشاؤها وصحة البذر وصحة الهواء وقلة الصواعق النهلكة في تلك البقاع وغيرها وانما مثل مسألنا بذر لم يجرب جنسه وقد بث في أرض غريبة لم يجدها الزارع ولم يجربها وهي في بلاد ليس يدري أن أكثر الصواعق فيها أم لا فمثل هذا الزارع وإن أدى كنه مجهود وجاء بكل مقدورة فلا يغلِب رجاءه على خوفه والبذر في مسألته هو الإيمان وشروط صحته دقيقة والأرض القلب وخفاياها وصفاته من الشرك الخفي والتفاق والرياء وخفايا الأخلاق فيه غامضة والآفات هي الشبوات وزخارف الدنيا والتفات القلب إليها في مستقبل الزمان وإن سلم في الحال وذلك مما لا يتحقق ولا يعرف بالتجربة إذ قد يمرض من الأسباب ما لا يطاق محاقته ولم يجرب مثله الصواعق هي أهوال السكرات لثوت واضطراب الاعتقاد عنده وذلك مما لم يجرب مثله ثم الحصاد والإدراك عند التصرف من القيامة إلى الجنة وذلك لم يجرب فمن عرف حقائق هذه الأمور فإن كان ضئيف القلب جباناً في نفسه غلب خوفه على رجائه لا محالة كما سيحكي في أحوال الخائفين من الصحابة والتابعين وإن كان قوي القلب ثابت الجأش تام المعرفة استوى خوفه ورجاؤه فأما أن يغلِب رجاءه فلا وقد كان عمر رضي الله عنه يبالغ في تمنيش قلبه حتى كان يسأل حذيفة رضي الله عنه أنه هل يعرف به من آثار التفاق شيئاً إذا كان قد خسه رسول الله ﷺ يعلم للناققين (١) فمن ذا الذي يقدر على تطهير قلبه من خفايا التفاق والشرك الخفي وإن اعتقد تقاه قلبه عن ذلك فمن أين يأمن مكر الله تعالى بتلبيس حاله عليه وإخفاء عيه عنه وإن وثق به فمن أين يثق بيقانه على ذلك إلى تمام حسن الحاتمة وقد قال صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر» (٢) وفي رواية «لا قدر فواق

الحربي قال حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال حدثنا أبو عاصم عن ثور عن خالد بن معدان قال إن الله تعالى ملكاً نصفه من نار ونصفه من ثلج وإن من دعاة الله فكا ألت بين هذا الثلج وهذه النار فلا تثلج يظفر النار ولا النار تذيب الثلج ألف بين قلوب عبادك الصالحين وصحيف لا تأتف قلوب الصالحين وقد وجدتم رسول الله صلى الله عليه وسلم في وقته العزيز بقاب قوسين في وقت لا يسه فيه شيء لطف حال الصالحين وجدتم في ذلك لقام العزيز

(١) حديث إن حذيفة كان خسه رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم للناققين مسلم من حديث حذيفة في أمهاني اثنا عشر مناقباً تمامه لا يدخلون الجنة حتى يبلغ الجبل في سم الحياط الحديث (٢) حديث إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا شبر وفي رواية لا قدر فواق ناقة الحديث مسلم من حديث أبي هريرة إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له بعمل أهل النار ولا يزالوا والطبراني في الأوسط سبعين سنة وإنسانه حسن ولشيعته في أثناء حديث لابن مسعود إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع الحديث

ناقة فيسبق عليه الكتاب فيعتم له بعمل أهل النار، وقد فراق الناقة لا يتحمل عملا بالرجاء أو بالخوف  
بمقدار خاطر يخرج في القلب عند الموت فيقتضى خاتمة السوء فكيف يؤمن ذلك فاذن أقصى غايات  
الزمن ان يستدل خوفه ورجاؤه وغلبة الرجاء في غالب الناس تكون مستندة للاعتراض وقلة العرف قوله ذلك  
جمع الله تعالى بينهما في وصف من أثبت عليهم فقال تعالى - يدعون ربهم خوفا وطمعا - وقال عز وجل  
- ويدعوننا رغبا ورهبا - وأين مثل عمر رضي الله عنه فالحق الموجودون في هذا الزمان كلهم الأصلح  
لهم غلبة الخوف بشرط أن لا يخرجهم إلى اليأس وترك العمل وقطع الطمع من الغفرة فيكون ذلك سببا  
للتكاسل عن العمل وداعيا إلى الانهكاك في المعاصي فان ذلك قنوط وليس خوفا إنما الخوف هو الذي  
يحث على العمل ويكسر جميع الشهوات ويزعج القلب عن الركون إلى الدنيا ويدعوه إلى التجافي عن  
دار القرور فهو الخوف المحمود دون حديث النفس الذي لا يؤثر في الكف والحث ودون اليأس للوجوب  
لقنوط وقد قال عبي بن معاذ من عبد الله تعالى بمحض الخوف غرق في بحار الأفكار ومن عبده بمحض  
الرجاء تاه في مفازة الاغترار ومن عبده بالخوف والرجاء استقام في محجة الادكار - وقال مكحول  
الدمشق من عبد الله بالخوف فهو حروري ومن عبده بالرجاء فهو مرجي ومن عبده بالمهبة فهو زنديق  
ومن عبده بالخوف والرجاء والمهبة فهو موحد فاذن لابد من الجمع بين هذه الأمور وغلبة الخوف هو  
الأصلح ولكن قبل الاشراف على الموت أما عند الموت فالأصلح غلبة الرجاء وحسن الظن لأن الخوف  
جار مجرى السوط الباعث على العمل وقد اقتضى وقت العمل فالمشرف على الموت لا يقدر على العمل ثم  
لا يطبق أسباب الخوف فان ذلك يقطع نياط قلبه ويعين على تبجيل موته وأما روح الرجاء فانه يقوى  
قلبه ومحبه إليه ربه الذي إليه رجاءه ولا ينبغي أن يغارق أحدا الدنيا بالإحباط تعالى ليكون محاللقاء  
الله تعالى فان من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه والرجاء تثار له المهبة فمن ارغب في كرمه فهو محبوب  
وللقصود من العلوم والأعمال كلها معرفة الله تعالى حتى تشرق العروة المحبة فان للصبر اليق والقدوم بالموت  
عليه ومن قدم على محبوبه عظم سروره بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محبته وعذابه فلهما  
كان القلب القالب عليه عند الموت حب الأهل والولد والوالد والمساكين والمقار والرفقاء والأصحاب  
فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنة إذ الجنة عبارة عن البقعة الجامعة لجميع المحاب فلو تخرج  
من الجنة وحلوه بينه وبين ما يشبهه ولا يخفى حال من يحال بينه وبين ما يشبهه فاذ لم يكن له محبوب  
سوى الله تعالى وسوى ذكره ومعرفته والفكر فيه والدنيا وعلاقتها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا إذن  
سجنه لأن السجن عبارة عن البقعة السائفة للمحبوس عن الاسترواح إلى محابه فلو تقدم على محبوبه  
وخلص من السجن ولا يخفى حاله من أفلت من السجن وخلى بينه وبين محبوبه بلا مانع ولا مكدر  
فهذا أول ما يقابل كل من فارق الدنيا عقب موته من الثواب والعقاب فضلا عما أعد الله لعباده  
الصالحين مما لم تره عين ولم تسمع أذن ولا خطر على قلب بشر وفضلا عما أعد الله تعالى للذين استحبوا  
الحياة الدنيا على الآخرة ورضوا بها واطمأنوا إليها من الأنكاس والسلاسل والأغلال وضروب الحزى  
والكآل فنسأل الله تعالى أن يتوفانا مسلمين وبلحقنا بالصالحين ولا طمع في إجابة هذا الدعاء إلا  
بأكساب حب الله تعالى ولا سبيل إليه إلا باخراج حب غيره من القلب وقطع العلائق عن كل ما سوى  
الله تعالى من جاه ومال ووطن فالأولى أن تدعو بما دعا به نبينا صلى الله عليه وسلم إذ قال «اللهم ارزقني  
حبك وحب من أحببك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد» (١) والعرض

ليس فيه تحدير زمن العمل بخمسين سنة ولا ذكر شر ولا فواق ناقة (١) حديث اللهم ارزقني  
حبك وحب من أحبك الحديث الترمذي من حديث معاذ وتقدم في الأذكار والدعوات .

وقال السلام علينا  
وعلى عباد الله الصالحين  
فهم مجتمعون وإن  
كانوا متفرقين  
وصحبهم لازمة  
وعزيتهم في التواصل  
في الدنيا والآخرة  
جازمة . وعن عمر بن  
الخطاب رضي الله عنه  
لو أن رجلا صام النهار  
وقام الليل وتصدق  
وجاهد ولم يحب في  
الله ولم يفيض فيه  
ماضعه ذلك . أخبرنا  
رضي الدين أحمد بن  
إسماعيل بن يوسف  
إجازة إن لم يكن معا  
قال أنا أبو المظفر عن  
والله أبي القاسم  
التشيري قال سمعت  
أبا عبد الرحمن السلمي  
يقول سمعت عبد الله

أن غلبة الرجاء عند الموت أصلح لأنه أدب للعبادة وغلبة الخوف قبل الموت أصلح لأنه أحرق لئلا الشهوات وألق لهبة الدنيا عن القلب ولذلك قال عليه السلام « لا يموت أحدكم إلا وهو عمن الظن بره » وقال تعالى « أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء » ولما حضرت سليمان التيمي الوفاة قال لابنه يحيى حدثني بالرخص واذكر لي الرجاء حتى ألقى الله على حسن الظن به وكذلك لما حضرت الثوري الوفاة واشتد جرحه جمع العلماء حوله برجونه وقال أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه لابنه عند الموت اذكر لي الأخبار التي فيها الرجاء وحسن الظن والتقصود من ذلك كله أن يحب الله تعالى إلى نفسه وذلك أوصى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام أن يجيبني إلى عبادي فقال بماذا قال بأن تذكر لهم الآتي وضاعى فاذن غاية السعادة أن يموت عبدا لله تعالى وإنما تحصل المحبة بالمعرفة وبإخراج حب الدنيا من القلب حتى يصير الدنيا كلها كالسجن البائع من المحبوب ولذلك رأى بعض الصالحين بأساليب الداراني في المنام وهو يطير فسأله فقال الآن أفلت قلنا أصبح سأل عن حاله فقيل له إنه مات بالرحمة .

( بيان الدواء الذي به يستجلب حال الخوف )

اعلم أن ما ذكرناه في دواء الصبر وشرحناء في كتاب الصبر والشكر هو كاف في هذا العرض لأن الصبر لا يمكن إلا بعد حصول الخوف والرجاء لأن أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر فإن الجنة قد حُفَّت بالمسكار فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء والنار قد حُفَّت بالشهوات فلا يصبر على قهرها إلا بقوة الخوف ولذلك قال علي كرم الله وجهه من اشتاق إلى الجنة سلا عن الشهوات ومن أهفق من النار رجع عن الهرمات ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرد لذكر الله تعالى والتفكير فيه على الدوام ويؤدي دوام الذكر إلى الأُنس ودوام التفكير إلى كمال المعرفة ويؤدي كمال المعرفة إلى الأُنس إلى المحبة وتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين وليس به بأسأل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء ولا بدعها مقام سوى الصبر وبه المجاهدة والتجرد قد ظهر أو باطنا ولا مقام بعد المجاهدة فتنحصر له الطريق إلا الهداية والمعرفة ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والأُنس ومن ضروراته المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة ببنائه وهو التوكل فاذن فبإذن كرم الله وجهه علاج الصبر كفاية ولو كنا نتردد الخوف بكلام جلي فنقول : الخوف يحصل بطريقتين مختلفتين أحدهما أعلى من الآخر ومثاله أن الصبي إذا كان في بيت فدخل عليه سبع أو حية ربما كان لا يخاف وربما مد اليد إلى الحية ليأخذها ويلب بها ولو كان إذا كان معه أبوه وهو قائل خاف من الحية وهرب منها فإذا نظر الصبي إلى أبيه وهو ترعد فرأى أنه يحتال في الحرب منها قام معه وغلب عليه الخوف وواقفه في الحرب غفوف الأب عن بصيرة ومعرفة بصفة الحية وحماها وخاصيتها وسطوة السبع وبطشه وقلة مبالاته . وأما خوف الابن فإيمانه بجبره والتقليد لأنه يحسن الظن بأبيه ويعلم أنه لا يخاف إلا من سبب مخوف في نفسه فيعلم أن السبع مخوف ولا يعرف وجهه وإذا عرفت هذا المثال فاعلم أن الخوف من الله تعالى على مقامين أحدهما الخوف من عذابه والثاني الخوف منه فأما الخوف منه فهو خوف العلماء وأرباب القلوب المارفين من صفاته ما يقتضي المحبة والخوف والخير المطلقين على سر قوله تعالى - وحذركم الله نفسه - وقوله عز وجل - اتقوا الله حق تقاته وأما الأول فهو خوف عموم الخلق وهو حاصل بأصل الإيمان بالجنة والنار وكونهما جزءا من عباد الله بالطاعة والمصبة وضحه بسبب التفقه وسبب ضعف الإيمان وإنما تزول الفكرة بالتذكير والوعظ ولازمة الفكر في أهوال

ابن المسلم يقول سمعت أبا بصير التلمساني يقول أصبوا مع الله فإن لم تطيقوا فأصبوا مع من صعب مع الله تنوعلكم بركة صحتهم إلى سعة الله . وأخبرنا شيخنا ضياء الدين أبو العجيب بإجازة قال أنا عمر ابن أحمد الصفار النيسابوري بإجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن السلي قال سمعت أبا نصر الأصفهاني يقول سمعت أبا جعفر الحداد يقول سمعت علي بن سهل يقول : الأُنس بالله تعالى أن تستوحش من الخلق إلا من أهل

(١) حديث لا يموت أحدكم إلا وهو عمن الظن بره مسلم من حديث جابر وقد تقدم .

يوم القيامة وأصناف العذاب في الآخرة وتزول أيضا بالنظر إلى الحائزين ومجالسهم ومشاهدتهم أحوالهم فان قامت للمشاهدة فالسجاع لا يغلو عن تأثير وأما الثاني وهو الأهل فان يكون الله هو الخوف أعني أن يغاف العبد المحجوب عنه ويرجو القرب منه . قال ذو النون رحمه الله تعالى خوف التارعة وخوف الفراق كقطرة قطرت في بحر طي وهذه خشية العلماء حيث قال تعالى - إنما يخشى الله من عباده العلماء - ولعموم المؤمنين أيضا حفظ من هذه الخشية ولكن هو مجرد التقليد أضاهى خوف الصبي من الحبة تقليدا لأبيه وذلك لا يستند إلى بصيرة فلا جرم يضعف ويزل على قرب حق إن الصبي ربما يرى العزم يدم على أخذ الحبة فينظر إليه ويترقبه فيجتري على أخذها تقليدا له كما احتزم من أخذها تقليدا لأبيه والعقائد التقليدية ضعيفة في الغالب إلا إذا قويت بمشاهدة أسبابها للثبوت لها على الدوام وبالمواظبة على مقتضاها في تكثير الطاعات واجتناب المعاصي مدة طويلة على الاستمرار فاذن من اوتقن إلى ذروة المعرفة وعرف الله تعالى خافه بالضرورة فلا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف كما أن من عرف السبع ورأى شفه واقفا في محالبه لا يحتاج إلى علاج لجلب الخوف إلى قلبه بل بخافه بالضرورة شاء أم أبى ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه الصلاة والسلام خفي كما تخاف السبع الضاري ولا حيلة جلب في الخوف من السبع الضاري إلا المعرفة السبع ومعرفة الوقوع في محالبه فلا يحتاج إلى حيلة سواء لم يعرف الله تعالى عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالى وعلم ما يريد ولا يخاف قرب الملائكة من غير وسيلة سابقة وأبعد إبليس من غير جريمة سابقة بل صفته ما ترجمه قوله تعالى هو لا ، في الجنف ولا يبالى وهو لا في النار ولا ألى وإن خطر يالك أنه لا يعاقب إلا على معصية ولا يثيب إلا على طاعة فأعلم أنه لم يجد للطبع بأسباب الطاعة حتى يطيع شاء أم أبى ولم يجد المعاصي بدو المعصية حتى يصي شاء أم أبى فانه مهما خلق الفعلة والشهوة والقدرة على قضاء الشهوة كان القمل والقابض بالضرورة فان كان أبعد لأنه عصاه فلم يحمله على المعصية هل ذلك لمصبة سابقة حتى يتسلسل إلى غير نهاية أو يقف له محال على أول لاعلة لمن جهة العبد بل قضى عليه في الأزل وعن هذا المعنى عبر صلى الله عليه وسلم إذ ذاك واحتج آدم وموسى عليهما الصلاة والسلام عند ربهما فخرج آدم موسى عليه السلام قال موسى أنت آدم الذي خلقك الله يده ونفخ فيك من روحه وأسجدك ملائكته وأسكنك جنة ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض فقال آدم أنت موسى الذي اصطفاك الله برسائه وبكلامه وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا فبكمت وحدث الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال أقتلوني على أن عملت عملا كتبته الله على قلب أن أعمله وقبل أن تخلفي بأربعين سنة قال صلى الله عليه وسلم فخرج آدم موسى <sup>(١)</sup> فمن عرف السبب في هذا الأمر معرفة صادرة عن نور الهداية فهو من خصوص المارقين للظالمين على سر القدر ومن مع هذا فاقم به وصدق بمجرد السجاع فهو من عموم المؤمنين ويحصل لكل واحد من الفريقين خوف فان كل عبد فهو واقع في قبضة القدرة وقوع الصبي الضعيف في محال السبع والسبع قد يغفل بالاتفاق فيخيل بوقد يهجم عليه فيفتسه وذلك بحسب ما يتفق ولذلك الاتفاق أسباب مرتبة بتدر معلوم ولكن إذا أضيف إلى من لا يعرفه سوى اتفاق وإن أضيف إلى علم الله لم يجز أن يسمى اتفاقا الواقع في محال السبع لو كانت معرفته لكان لا يخاف السبع لأن السبع مسخر إن سلط عليه الجوع افترس وإن سلط عليه الغفلة خلق وترك قائما يخاف خالق السبع وخالق صفاته فلست أقول مثال الخوف من الله تعالى الخوف من السبع

(١) حديث احتج آدم وموسى عند ربهما فخرج آدم موسى الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وهو متفق عليه بألفاظ أخر .

ولأيه الله فان الأنس بأهل ولاية الله هو الأنس بالله . وقد نبه القائل نظاما على حقيقة جامعة لمعان الصحة والحلوة وفانتهما وما يحذر فيها بقوله : وحدة الانسان خير من جليس السوء عنده

وجليس الخير خير من فعود المرء وحده  
[ الباب الرابع  
والجسوسون في أداء حقوق الصحة والأخوة في الله تعالى ]  
قال الله تعالى - وتعاونوا على البر والتقوى - وقال تعالى - وتواصوا بالحق وتواصوا بالرحمة - وقال في وصف أصحاب

بل إذا كشف القطاء علم أن الخوف من السبع هو عين الخوف من الله تعالى لأن الهلك بواسطة السبع هو الله . فاعلم أن سبع الآخرة مثل سبع الدنيا وأن الله تعالى خلق أسباب العذاب وأسباب الثواب وخلق لكل واحد أهلا يسوقه القدر للتفرع عن القضاء الجزم الأزلي إلى ما خلق له من خلق الجنة وخلق لها أهلا سخروا لأسبابها شاءوا أم أبوا ، وخلق النار وخلق لها أهلا سخروا لأسبابها شاءوا أم أبوا فلا يرى أحد نفسه في ملتطم أمواج القدر إلا غلبه الخوف بالضرورة ، فهذه مخاوف المارفين بسر القدر فمن قعد به القصور عن الارتفاع إلى مقام الاستبصار فسيب له أن يبالغ نفسه بسباع الأخبار والآثار فيطالع أحوال الخائفين المارفين وأقوالهم ونسب عقولهم ومناصبهم إلى مناصب الراجعين للزورين فلا يتمسارى في أن الاقتداء بهم أولى لأنهم الأنبياء والأولياء والعلماء . وأما الآمنون فهم المراقبة والجهال والأغبياء . أما رسولنا صلى الله عليه وسلم فهو سيد الأولين والآخرين (١) وكان أشد الناس خوفا (٢) حتى روي أنه كان يصلى على طفل ، قض رواية أنه سمع في دعائه يقول « اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار (٣) » وفي رواية ثانية « أنه سمع قائلا يقول هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة ففضب وقال ما يدريك أنه كذلك والله إنى رسول الله وما أدري ما يصنع بي إن الله خلق الجنة وخلق لها أهلا لا يزداد فيهم ولا ينقص منهم (٤) » وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ذلك أيضا على جنازة عثمان بن مظعون وكان من المهاجرين الأولين لما قالت أم سلمة هنيئا لك الجنة فكانت تقول أم سلمة بعد ذلك والله لا أذكرى أحدا بعد عثمان (٥) وقال محمد بن خولة الحنبلية والله لا أذكرى أحدا غير رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أبى الذي ولدنى قال فارت الشيعية عليه فأخذ يذكر من فضائل على ومناقبه ، وروى في حديث آخر « عن رجل من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة هاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقتل في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم : وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا ينفعه ويمنع ما لا يضره (٦) » وفي حديث آخر « وأنه دخل صلى الله عليه وسلم على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأة تقول هنيئا

رسول الله صلى الله عليه وسلم - أشد على الكفار رحما بينهم - وكل هذه الآيات تنبيه من الله تعالى للعباد على آداب حقوق الصعبة فمن اختار صعبة أو أخوة فأدبه في أول ذلك أن يسلم نفسه وصاحبه إلى الله تعالى بالمسئلة والدعاء والتضرع وإسأل البركة في الصعبة فإنه يفتح على نفسه بذلك إما بابا من أبواب الجنة وإما بابا من أبواب النار فإن كان الله تعالى يفتح بينهما خيرا فهو باب من أبواب الجنة قال الله تعالى - الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين - وقيل

(١) حديث كان سيد الأولين والآخرين مسلم من حديث أبي هريرة أن أبا سعيد ولد لآدم ولا غير الحديث (٢) حديث كان أشد الناس خوفا فسلم قبل هذا خمسة وعشرين حديثا قوله والله إنى لأخشاكم قه وقوله والله إنى لأعلمهم بالله وأعدم له خشية (٣) حديث إنه كان يصلى على طفل فسمع في دعائه يقول اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار الطبراني في الأوسط من حديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى على صبي أوصية وقال لو كان أحد نجا من ضمة القبر لجا هذا الصبي واختلف في إسناده فرواه في الكبير من حديث أبي أيوب أن صبيا دفن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أفلت أحد من ضمة القبر لأفلت هذا الصبي (٤) حديث إنه سمع قائلا يقول لطفل مات هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة ففضب وقال ما يدريك الحديث مسلم من حديث عائشة قالت توفي صبي فقالت طوبى له عصفور من عصافير الجنة الحديث وليس فيه فضب وقد تقدم (٥) حديث لما توفي عثمان بن مظعون قالت أم سلمة هنيئا لك الجنة الحديث البخارى من حديث أم العلاء الأنصارية وهى القائلة رحمة الله عليك أبا السائب فشهداى عليك لقد أكرمك الله قال وما يدريك الحديث ، وورد أن النى قالت ذلك أم خارجة بن زيد ولم أجد فيه ذكر أم سلمة (٦) حديث إن رجلا من أهل الصفة استشهد فقالت أمه هنيئا لك عصفور من عصافير الجنة الحديث أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف بلفظ إن أمه قالت هنيئا لك يا بنى الجنة ورواه البيهقي في الشعب إلا أنه قال فقالت أمه هنيئا لك الشهادة وهو عند الترمذى إلا أنه قال إن رجلا قال له أجزر بالجنة وقد تقدم في ذم المال والبخل مع اختلاف.

لأن الجنة قال صلى الله عليه وسلم من هذه الآية على الله تعالى فقال للريش هي أمي يا رسول الله فقال وما يدرك لعل فلانا كان يشكم بما لا ينبغي ويخل بما لا ينبغي<sup>(١)</sup> وكيف لا يخاف المؤمنون كلهم وهو صلى الله عليه وسلم يقول « شيتني هود وأخوانها »<sup>(٢)</sup> سورة الواقعة وإذا الشمس كورت وعم يتسألون قال العلماء لعل ذلك لما في سورة هود من الإبعاد كقوله تعالى - لا أبعدا لعاد قوم هود - ألا بعدا لنود - ألا بعدا لمدين كما بدت نود - مع علمه صلى الله عليه وسلم بأنه لو شاء الله ما أشركوا إذ لو شاء لآتى كل نفس هداها ، وفي سورة الواقعة - ليس لو قتها كاذبة ، خاضعة راضة - أي جف القلم بما هو كائن وتمت السابقة حتى نزلت الواقعة إما خاضعة قوما كانوا مرفوعين في الدنيا وإما راضة قوما كانوا محضين في الدنيا ، وفي سورة التكاثر أحوال يوم القيامة وانكشف الحائطة وهو قوله تعالى - وإذا الجعجع سعت وإذا الجنة أزلقت علت نفس ما أحضرت - وفي عم يتسألون - يوم ينظر الله ما قدمت يده - الآية ، وقوله تعالى - لا يشكعون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا - والقرآن من أوله إلى آخره مخاوف لمن قرأه يتدبر ولو لم يكن فيه إلا قوله تعالى - وإنى لنفاز لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى - لكان كافيا إذ علق النفرة على أربعة شروط يصحز الصبر عن أحادها ، وأشد منه قوله تعالى - فأما من تاب وآمن وعمل صالحا نفسى أن يكون من الفلجحين - وقوله تعالى - ليسأل الصادقين عن صدقهم - وقوله تعالى - سنفرغ لكم آية الفلقان - وقوله عز وجل - أفأمنوا مكر الله - الآية وقوله - وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد - وقوله تعالى - يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا والآيتين وقوله تعالى - وإن منكم إلا واردها - الآية وقوله - اعملوا ما شئتم - الآية وقوله - من كان يريد حرث الآخرة زدله في حرثه - الآية وقوله - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - الآيتين وقوله تعالى - وقدمنا إلى ما عملوا من عمل - الآية وكذلك قوله تعالى - والصر إن الإنسان لفي خسر - إلى آخر السورة فهذه أربعة شروط للخلاص من الحشران وإنما كان خوف الأنبياء مع ما فاض عليهم من النعم لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالى - ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون - حتى روى أن النبي وجبريل عليهما الصلوة والسلام بيكا خوفا من الله تعالى فأوحى الله إليهما لم تبكيا وقد امتسكا قتالا ومن يأمن مكر الله<sup>(٣)</sup> وكأنهما إذا علم أن الله هو علام الثيوب وأنه لا وقوف لهما على غاية الأمور لم يأمن أن يكون قوله قد امتسكا ابتلاء وامتناعا لهما ومكرا بهما حتى إن سكن خوفهما ظهر أنهما قد امتن من المكروما فبقولهما كان إبراهيم عليه السلام لما وضع في المتجنق قال حسبي الله وكانت هذه من الدعوات المظام فاستنح وعورض بجبريل في الهواء حتى قال أمك حاجة فقال أما إليك فلا فكان ذلك وفاء بحقيقة قوله حسبي الله فأخبر الله تعالى عنه فقال - وإبراهيم الذي وفى - أي بموجب قوله حسبي الله وبمثل هذا أخبر عن موسى عليه السلام حيث قال - إننا نخاف أن يقرط علينا أو أن يطغى قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى - ومع هذا لما أتى السحرة سحرهم أوجس موسى في نفسه خيفة إذ لم يأمن مكر الله والتبس الأمر عليه حتى جدد عليه الأمن وقيل له - لا تخف إنك أنت الأعلى - ولما ضغفت شوكة المسلمين يوم بدر قال صلى الله عليه وسلم

إن أحد الأخوين في الله تعالى يقال له ادخل الجنة فيسأل عن منزل أخيه فإن كان دونه لم يدخل الجنة حتى يعطى أخوه مثل منزله . فإن قيل له لم يكن يصل مثل عملك فيقول إني كنت أعمل لى وله فيعطى جميع ما يسأل لأخيه ويرفع ويرفع أخوه إلى درجته وإن فتح الله تعالى عليهما بالصحة شرافوا باب من أبواب النار . قال الله تعالى - ويوم يعرض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ليتني لم اتخذ فلانا خليلا - وإن مكنت الآية

(١) حديث دخل على بعض أصحابه وهو عليل فسمع امرأته تقول هنيئا له الجنة الحديث تقدم أيضا  
(٢) حديث شيتني هود وأخوانها الحديث الترمذي وحسنه الحاكم وصححه من حديث ابن عباس وهو في التمام من حديث أبي جحيفة وقد تقدم في كتاب السماع (٣) حديث أنه وجبريل صلى الله عليه وسلم بيكا خوفا من الله عز وجل فأوحى الله إليهما لم تبكيا الحديث ابن شاهين في شرح السنة من حديث عمر وروياه في مجلس من أمالي أبي سعيد النقاش بسند ضعيف .

« اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك » (١) فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه دع عنك مناشدتك ربك فإنه واف لك بما وعدك فكان مقام الصديق رضي الله عنه مقام الثقة بوعده الله ، وكان مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم مقام الخوف من مكر الله وهو أتم لأنه لا يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يصير عن بعض ما يصدر عنها بالمكر وما لأحد من البشر الوقوف على كنه صفات الله تعالى ، ومن عرف حقيقة المعرفة وقصور معرفته عن الاحاطة بكنه الأمور عظم خوفه لا بحالته ولذلك قال المسيح صلى الله عليه وسلم لما قيل له - أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك - وقال - إن تذهب قلوبهم عبادك وإن تغفر لهم - الآية . فوض الأمر إلى الشبهة وأخرج نفسه بالكلية من البين لعله بأنه ليس له من الأمر شيء وأن الأمور مرتبطة بالشبهة ارتباطا يخرج عن حدة العقول والالفاظ فلا يمكن الحكم عليها بقياس ولا حدس ولا حسان فضلا عن التحقيق والاستيعان وهذا هو الذي قطع قلوب العارفين ، إذ الظامة الكبرى هي ارتباط أمرك بعشيتي من لا يبالى بك إن أهلكك فقد أهلك أمثالك ممن لا يحصى ولم يزل في الدنيا يذهبهم بأنواع الآلام والأمراض ورض مع ذلك قلوبهم بالكفر والافتقار ثم يغلبه القناب عليهم أبد الآباد ثم يخبر عنه ويقول - ولو شئنا لأنينا كل نفس هداها ولكن حق القول مني لأمدان جهنم من الجنة والناس أجمعين - وقال تعالى - وتمت كلمة ربك لأمدان جهنم - الآية فكيف لا يخاف ماحق من القول في الأزل ولا يطمع في تداركه ولو كان الأمر أمثا لكانت الأطماع تمتد إلى حيلة فيه ولكن ليس إلا التسليم فيه واستغناء عن السابقة من جل الأسباب الظاهرة على القلب والجوارح فمن سرت له أسباب الشر وحيل بينه وبين أسباب الخير وأحكمت علاقته من الدنيا فكأنه كشف له على التحقيق سر السابقة التي سبقت له بالشفاوة ، إذ كل ميسر لما خلق له وإن كانت الحيرات كلها يسيرة والقلب بالكلية عن الدنيا منقطعا وبظاهره وباطنه على الله مقبالا كان هذا يقتضى تخفيف الخوف لو كان الصوم على ذلك مؤثقا به ولكن خطر الحفافة وعسر الثبات يزيد نيران الخوف إشعالا ولا يمكنها من الانطفاء ، وكيف يؤمن تير الحال وقلب المؤمن بين أصابع الرحمن وإن القلب أعدت قبلها من القدر في غلباتها وقد قال مقلب القلوب عز وجل - إن عذاب ربهم غير مأمون - فأجهل الناس من آمنوهو ينادى بالتحذير من الأمن ولولا أن الله لطف بعباد العارفين إذ روح قلوبهم بروح الرجاء احترقت قلوبهم من نار الخوف . فأبواب الرجاء رحمة لخواص الله وأسباب التفتة رحمة على عوام الخلق من وجه ، إذ لو انكشف التطاء لزهفت النفوس وتقطعت القلوب من خوف مقلب القلوب . قال بعض العارفين : لو حالت بيني وبين من عرفته بالتوحيد تحسبن سنة أسطوانة فأت لم أقطع له بالتوحيد لأنى لأدري ماظهر له من القلب . وقال بعضهم : لو كانت الشهادة على باب الدار والموت على الاسلام عند باب الحجر لاخترت الموت على الإسلام لأنى لا أدري ما يمرض قلبي بين باب الحجر وباب الدار . وكان أبو الدرداء يحلف بالله ما أحد أمن على إيمانه أن يسلبه عند الموت إلا سلبه . وكان سهل يقول : خوف الصديقين من سوء الحفافة عند كل خطرة وعند كل

وردت في قصة مشهورة وأمكن الله تعالى فيه بذلك عبادته على الحذر من كل خليل يقطع عن الله واختيار الصعبة والأخوة انفاقا من غير نية في ذلك وتثبت في أول الأمر شأن أرباب للفتنة الجاهلين بالنيات والقاصد والتافع والمضار . وقد قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في كلام له وهل يغسد الناس إلا الناس ، قاله ساد بالصعبة متوقع والصالح متوقع وما هذا سبيله كيف لا يغدر في أوله ويحكم الأمر فيه بكثرة اللجأ إلى الله تعالى وصدق الاختيار

(١) حديث قال يوم بدر : اللهم إن تهلك هذه العصابة لم يبق على وجه الأرض أحد يعبدك البخاري من حديث ابن عباس بإفظ : اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم الحديث .

حركة وهم الدين وصفهم الله تعالى إذ قال - وقلوبهم وجلة - ولما احتضر سفيان جل بيكي  
 ومجزع قيل له يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإن عفوائه أعظم من ذنوبك ، فقال أوحى ذنوبي  
 أبكي ؟ لو علمت أن أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا . وحكى عن  
 بعض الحاشئين أنه أوحى بعض إخوانه ، فقال إذا حضرته الوفاة فاعد عند رأسى ، فإن رأيتنى  
 متاً على التوحيد غدت جميع ما ملكتك فاشتره لوزاوسكرا واتره على صبيان أهل البلد ، وقل هذا  
 عرس النفلت ، وإن مت على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يفتروا بشهود جنازتى ليحضر  
 جنازتى من أحب على بصيرة لئلا يلحقنى الرياء بعد الوفاة . قال : وبم أعلم ذلك فذكر له علامة  
 فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر والاوز وفرقه . وكان سهل يقول : للربيد يخاف  
 أن يبتل بالمصا ، والمارف يخاف أن يبتلى بالكفر . وكان أبو يزيد يقول : إذا توجهت إلى  
 المسجد فكان فى وسطى زناراً أخاف أن يذهب به إلى البيعة وبين النار حتى أدخل المسجد فيقطع  
 عن الزنار فهذا فى كل يوم خمس مرات . وروى عن المسيح عليه الصلاة والسلام أنه قال :  
 يا مشتر الحواريين أنتم تخافون للمصا ، ونحن معاشر الأنبياء نخاف الكفر . وروى فى أخبار  
 الأنبياء أن نبياً عسك إلى الله تعالى الجوع والعمل والعري سنين وكان لباسه الصوف ، فأوحى الله  
 تعالى إليه : عبدى أما رزيت أن عصمت قلبك أن تكفر به حتى تسألنى الدنيا فأخذ التراب  
 فوضه على رأسه ، وقال بلى قد رزيت يارب فاعصنى من الكفر ، فإذا كان خوف المارفين  
 مع رسوخ أقدامهم وقوة إيمانهم من سوء الخاتمة فكيف لا يخافه الضعفاء ، ولسوء الخاتمة أسباب  
 تتقدم على الموت مثل البدعة والنفاق والكبر وجملة من الصفات الذمومة ، ولذلك اشتد خوف  
 الصحابة من النفاق حتى قال الحسن : لو أعلم أنى برى من النفاق كان أحب إلى مما ملكت عليه  
 الشمس وما عنوا به النفاق الذى هو ضد أصل الإيمان بل للراد به ما يجمع مع أصل الإيمان  
 فيكون مسلماً مناقها ، وله علامات كثيرة : قال صلى الله عليه وسلم « أربع من كن فيه فهو  
 منافق خالص وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم وإن كانت فيه خصلة منهن فبه شعبة من النفاق  
 حتى يدعها : من إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أتمن خان ، وإذا خاصم فجر »<sup>(١)</sup>  
 وفى لفظ آخر « وإذا هاهن غدر » وقد فسر الصحابة والتابعون النفاق بتفاسير لا يخلو عن شئ  
 منه إلا صدق إذ قال الحسن : إن من النفاق اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب  
 واختلاف للدخل والمخرج ، ومن الذى يخلو عن هذه للمانى بل صارت هذه الأمور مأثوفة بين  
 الناس متادة ونسب كونها منكراً بالكيفية بل جرى ذلك على قرب عهد بزمان النبوة ، فكيف  
 الظن بزماننا حتى قال حذيفة رضى الله تعالى عنه : إن كان الرجل ليحكم بالكلمة على عهد  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فيصير بها مناقها إلى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات<sup>(٢)</sup>  
 وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : إنكم لتعملون أعمالاً هي أدق فى أعينكم

(١) حديث أربع من كن فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو  
 وقد خدم فى قواعد العقائد (٢) حديث حذيفة إن الرجل ليحكم بالكلمة على عهد رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم فيصير بها مناقها الحديث أحمد من حديث حذيفة وقد تقدم فى قواعد  
 العقائد .

وسؤال البركة والخيرة  
 فى ذلك وتقديم صلاة  
 الاستخارة . ثم إن  
 اختيار الصلحة  
 والأخوة عمل وكل  
 عمل يحتاج إلى التوبة  
 وإلى حسن الخاتمة  
 وقد قال عليه الصلاة  
 والسلام فى الخبر  
 الطويل « سبعة  
 يظلمهم الله تعالى فهم  
 اثنا تنحوا فى الله  
 فاشا على ذلك وماذا  
 عليه » إشارة إلى  
 أن الأخوة والصلحة  
 من شرطهما حسن  
 الخاتمة حتى يكتب  
 لهما ثواب للواحدة  
 وفى أنفس اللواحة  
 بتضييع الحقوق فيها  
 ضد الصل من  
 الأول . قيل ما قصد

من الشمر كنا نعدّها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكبار<sup>(١)</sup> . وقال بعضهم : علامة النفاق أن تسكره من الناس مائتة مثله ، وأن تحبّ على شيء من الجور ، وأن تبغض على شيء من الحق . وقيل من النفاق : أنه إذا مدح بشيء ليس فيه أحبه ذلك . وقال رجل لابن عمر رحمه الله إن تدخل على هؤلاء الأمراء فصدّهم فيما يقولون ، فإذا خرجنا تسكّمنا فيهم ، فقال كنا نعدّ هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٢)</sup> . وروى أنه سمع رجلا يلتمّ الحجاج ويقع فيه ، فقال : أرايت لو كان الحجاج حاضرا أكنت تسكّم بما تكلمت به قال لا قال كنا نعدّ هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٣)</sup> . وأشد من ذلك ما روى أن نفرا قدموا على باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يسكّمون في شيء من شأنه ، فلما خرج عليهم سكتوا حياء منه ، فقال تسكّموا فيما كنتم تقولون نسكتوا ، فقال كنا نعدّ هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(٤)</sup> . وهذا حذيفة كان قد خصّ بلم النافقين وأسباب النفاق ، وكان يقول : إنه يأتي على القلب ساعة يتلى بالإيمان حتى لا يكون للنفاق فيه مغرر إبرة ويأتي عليه ساعة يتلى بالنفاق حتى لا يكون للإيمان فيه مغرر إبرة . قد عرفت بهذا أن خوف العارفين من سوء الحاتمة ، وأن سببه أمور تتقدمه : منها البدع . ومنها المعاصي . ومنها النفاق ، ومتى غلّو البعد عن شيء من جملة ذلك وإن ظن أنه قد خلا عنه فهو النفاق ، إذ قيل من آمن النفاق فهو منافق . وقال بعضهم لبعض العارفين : إني أخاف على نفسي النفاق ، فقال لو كنت منافقا لما خفت النفاق فلا يزال العارف بين الالتفات إلى السابقة والحاتمة خائفا منهما وذلك قال صلى الله عليه وسلم « البعد المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستتب ولا بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار<sup>(٥)</sup> » ، والله السميع .

### ( بيان معنى سوء الحاتمة )

فإن قلت : إن أكثر هؤلاء يرجع خوفهم إلى سوء الحاتمة فاما معنى سوء الحاتمة . فاعلم أن سوء الحاتمة على رتبتين : إحداهما أعظم من الأخرى . فأما الرتبة العظيمة المسائلة : فإن يغلب على القلب عند سكرات اللوث وظهور أهواله إما الشك : وإما الجحود فتقبض الروح على حال غلبة الجحود أو الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجبا

(١) حديث أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنكم تعملون أعمالا هي أدق في أعينكم من الشعر الحديث البخاري من حديث أنس وأحمد والبراز من حديث أبي سعيد وأحمد والحاكم من حديث عبادة بن قيس وجميع إسناده وتقدم في التوبة (٢) حديث قال رجل لابن عمر إذا تدخل على هؤلاء الأمراء فصدّهم بما يقولون الحديث رواه أحمد والطبراني وقد تقدم في قواعد العقائد (٣) حديث سمع ابن عمر رجلا يلتمّ الحجاج ويقع فيه فقال أرايت لو كان الحجاج حاضرا الحديث تقدم هناك ولم أجد فيه ذكر الحجاج (٤) حديث إن نفرا قدموا عند باب حذيفة ينتظرونه فكانوا يسكّمون في شيء من شأنه فلما خرج سكتوا الحديث لم أجد له أصلا (٥) حديث البعد المؤمن بين مخافتين من أجل قد مضى الحديث البيهقي في الشعب من رواية الحسن عن رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدم في ذم الدنيا ذكره ابن المبارك في كتاب الترهّد بلاغا وذكره صاحب الفردوس من حديث جابر وإبراهيم بن محمد بن مسند الفردوس .

الشیطان متعاونین  
على بر حسده  
متأخین فی الله  
متحابین فیہ فانه  
بعده نفسه وبغث  
قبیله على إفساد  
ما بینہما . وكان  
الفضیل يقول : إذا  
وقعت القیبة ارتفعت  
الأخوة ، والأخوة فی الله  
تعالی مواجهة قال  
الله تعالی - إخواننا  
على سرر متقابلین -  
ومتی أضمر أحدهما  
للآخر سوءا أوكره  
منه شیئا ولم ینبهه  
عليه حتى یزله أو  
یتسبب إلى إزالته منه  
فماواجه بل استدبره  
قال الجنید رحمه الله  
ما نواخی اثنان فی  
الله واستوحش

بينه وبين الله تعالى أبداً وذلك يقضى البعد الدائم والعذاب الخلد . والثانية وهي دونها أن يغلِب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا وشهوة من شهواتها فيقبل ذلك في قلبه ويستخرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره فينتقب قبض روحه في تلك الحال فيكون استتراق قلبه به منكساً رأسه إلى الدنيا وصارفاً وجهه إليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى حصل الحجاب ومهما حصل الحجاب نزل العذاب إذ ناز الله الموقدة لا تأخذ إلا المهيوبين عنه فأما المؤمن السليم قلبه عن حب الدنيا المعروف همه إلى الله تعالى فتقول له النار جز يا مؤمن فإن نورك قد أطفأ لمحي فلهما اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا فالأمر خطير لأن المرء يموت على ما عاش عليه ولا يمكن اكتساب صفة أخرى للقلب بعد الموت تضاد الصفة الغالبة عليه إذ لا تصرف في القلوب إلا بأعمال الجوارح وقد بطلت الجوارح بالموت فبطلت الأعمال فلا مطعم في عمل ولا مطعم في رجوع إلى الدنيا ليتدارك وعند ذلك تعظم الحسرة إلا أن أصل الإيمان وحب الله تعالى إذا كان قد رسخ في القلب مدة طويلة وتأكد ذلك بالأعمال الصالحة فإنه ينجو عن القلب هذه الحالة التي عرضت له عند الموت فإن كان إيمانه في القوة إلى حد متقارب أخرجه من النار في زمان أقرب وإن كان أقل من ذلك طال مكثه في النار ولو لم يكن إلا متقارب جبة فلا بد وأن يخرج من النار ولو بعد آلاف سنين . فإن قلت فما ذكرته يقتضى أن تسرع النار إليه عقاب موته فما باله يؤخر إلى يوم القيامة وبعمل طول هذه اللدة . فاعلم أن كل من أسكر عذاب القبر فهو مبتدع محجوب عن نور الله تعالى وعن نور القرآن ونور الإيمان بل الصحيح عند ذوى الأبصار ما سمعت به الأخبار وهو « أن القبر إما محفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة » (١) . « وأنه قد يفتح إلى قبر العذب سبعون باباً من الجحيم » (٢) كما وردت به الأخبار فلا تتفارق روحه إلا وقد نزل به البلاه إن كان قد شقي بسوء الحاتمة وإنما تختلف أصناف العذاب باختلاف الأوقات فيكون سؤال منكبر ونكبر عند الوضع في القبر (٣) والتعذيب بعده (٤) ثم للناقشة في الحساب (٥) والافتضاح على ملاء من الأشهاد في القيامة (٦) ثم بعد ذلك خطر الصراط (٧) وهول الزبانية (٨) إلى آخر ما وردت به الأخبار فلا يزال الشقي متردداً في جميع أهواله بين أصناف العذاب وهو في جملة الأحوال معذب إلا أن يضاعفه الله برحمته ولا تظن أن محل الإيمان يأكله التراب بل التراب يأكل جميع الجوارح ويددها إلى أن يبلغ الكتاب أجله

(١) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة الترمذي من حديث أبي سعيد وقال غريب وتقدم في الأدكار (٢) حديث إنه يفتح إلى قبر العذب سبعون باباً من الجحيم لم أجده أصلاً (٣) حديث سؤال منكبر ونكبر عند الوضع في القبر تقدم في قواعد العقائد (٤) حديث عذاب القبر تقدم فيه (٥) حديث للناقشة في الحساب تقدم فيه (٦) حديث الافتضاح على ملاء الأشهاد في القيامة أحمد والطبراني من حديث ابن عمر باسناد جيد من اتقى من ولده ليفضحه في الدنيا فضحه الله على رؤوس الأشهاد وفي الصحيحين من حديث ابن عمر وأما الكافر والنافي فينادي بهم إلى رءوس الخلائق هؤلاء الذين كذبوا على ربهم والطبراني والعميلي في الضعفاء من حديث الفضيل بن عياض فضوح الدنيا أهون من فضوح الآخرة وهو حديث طويل منكبر (٧) حديث خطر الصراط تقدم في قواعد العقائد (٨) حديث هول الزبانية الطبراني من حديث أنس الزبانية يوم القيامة أسرع إلى فسقة حملة القرآن منها إلى عبدة الأوثان والنيران . قال صاحب اللزآن حديث مسكروى ابن وهب عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم معضلاً في خزنة جهنم ما بين منسكي أحدكم كما بين الشرق والغرب .

أحدهما من صاحبه إلا  
لعل في أحدهما فالخواجة  
في الله أصنى من الله  
الزلال وما كان لله فاته  
مطالب الصفاء فيعول  
ماصفا دام والأصل في  
دوام صفاته عدم الخالفة  
قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « لا تخار  
أخاك ولا تمازحه  
ولا تعدد موعدا  
فخلفه » . قال أبو سعيد  
الحاراز : سمعت  
الصوفية حسين سنة  
ما وقع بين وبينهم  
خلاف قليل لم وكيف  
ذلك ؟ قال لأنى كنت  
معهم على نفسى .  
أخبرنا شيخنا  
أبو النجيب السمروردي  
إجازة قال أنا عمر بن  
أحمد الصغار قال أنا

فتجتمع الأجزاء للتفرقة وتعاد إليها الروح التي هي محل الإيمان وقد كانت من وقت اللوث إلى  
الاعادة إما في حواصل طيور خضر مخلقة تحت العرش إن كانت سعيدة وإما على حالة تضاد هذه  
الحال إن كانت والعباد بالله شقية . فان قلت لما السبب الذي يقضى إلى سوء الحاقة . فاعلم أن  
أسباب هذه الأمور لا يمكن إحصاؤها على التفصيل ولكن يمكن الإشارة إلى مجامعها أما الحتم على  
الشك والجحود فينحصر سببه في شيئين : أحدهما يتصور مع تمام الورع والزهد وتمام الصلاح  
في الأعمال كالمبتدع الزاهد فان عاقبته مخطرة جدا وإن كانت أعماله سالمة ولست أعنى مذهبا .  
فأقول إنه بدعة فان بيان ذلك بطول القول فيه بل أعنى بالبدعة أن يعتقد الرجل في ذات الله  
وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقد على خلاف ما هو عليه إما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يحادل  
الحسم وعليه يسول وبه يشتر وإما أخذا بالتقليد بمن هذا حله فاذا قرب اللوث وظهرت له ناصية  
ملك اللوث واضطرب القلب بما فيه ربما ينكشف له في حال سكرات اللوث بطلان ما اعتقده جهلا  
إذ حال اللوث حال كشف النطاء ومبادئ سكراته منه قد ينكشف به بعض الأمور فهما بطل  
عنده ما كان اعتقده وقد كان قاطعا به متيقنا له عند نفسه لم يظن بنفسه أنه أخطأ في هذا الاعتقاد  
خاصة لانتجائه فيه إلى رآيه الفاسد وعقله الناقص بل ظن أن كل ما اعتقده لا أصل له إذ لم يكن  
عنده فرق بين إيمانه بالله ورسوله وسائر اعتقاداته الصحيحة وبين اعتقاده الفاسد فيكون انكشاف  
بعض اعتقاداته عن الجهل سببا لبطلان بقية اعتقاداته أو لشكه فيها فان انضى زهو في روحه في هذه  
المخطرة قبل أن يثبت ويعود إلى أصل الإيمان قد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك والعباد  
بالله منه فمؤلاهم المرادون بقوله تعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - وبوله عز وجل  
- قل هل شئتم بالآخرين أعمالا الذين منل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون  
صنعا - وكما أنه قد ينكشف في الزوم ما يكون في المستقبل وذلك بسبب خفة أشغال الدنيا عن  
القلب فكذلك ينكشف في سكرات اللوث بعض الأمور إذ شواغل الدنيا وشهوات البدن هي الباطنة  
لقلب من أن ينظر إلى اللسكوت فيطالع ما في اللوح المحفوظ لتكشف له الأمور على ما هي عليه  
فيكون مثل هذه الحال سببا للكشف ويكون الكشف سبب الشك في بقية الاعتقادات وكل من  
اعتقد في الله تعالى وفي صفاته وأفعاله شيئا على خلاف ما هو به إما تقليدا وإما نظرا إلى رأى والعقول  
فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكتفي لدفع هذا الخطر بل لا يجنى منه إلا الاعتقاد الحق والبله  
يمرل عن هذا الخطر أعنى الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر إيمانا مجللا راسخا كالأعراب  
والسواوية وسائر العوام الذين لم يغوصوا في البحث والنظر ولم يشعروا في الكلام استغلا ولا صغوا  
إلى أصناف التشككين في تقليد أقوالهم الختلفة . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة  
البله (١) » ولذلك منع السلف من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الأمور  
وأمروا الخلق أن يقتصروا على أن يؤمنوا بما أنزل الله عز وجل جميعا وبكل مجاه من الظواهر  
مع اعتقاده نفي التشبيه ومنعهم عن الخوض في التأويل لأن الخطر في البحث عن الصفات عظيم  
وعقباته كثرة ومسالكه وعرة والعقول عن درك جلال الله تعالى قاصرة وهداية الله تعالى بنور  
اليقين عن القلوب بما جبلت عليه من حب الدنيا محجوبة وما ذكره الباحثون يضاعف عقولهم  
مضطرب ومتعارض والقلوب لما ألقي إليها في مبتدأ النشأة آلفة وبه متعلقة والتصببات الثائرة بين  
الخلق مسامير مؤكدة لافانئد اللورومة أو الأخوة بحسن الظن من الطين في أول الأمر ثم الطباع

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله الزرار من حديث أنس وقد تقدم .

أبو بكر أحمد بن خلف  
قال أنا أبو عبد الرحمن  
السلمى قال سمعت  
عبد الله الداراني قال  
سمعت أبا عمر والدمشقي  
الرازي يقول سمعت أبا  
عبد الله بن الجلاء يقول  
وقد سأله رجل على أي  
شرط أصبح الخلق  
قال إن لم ترم فلا  
تؤذم . وإن لم ترم  
فلا تؤثم . وهذا  
الاستاد قال أبو عبد الله  
لا تخشع حق أخبك  
بما بينك وبينه من  
للودة والصدقة فان الله  
تعالى فرض لكل  
مؤمن حقوقا لم يضعها  
إلا من لم يراع حقوق الله  
عليه ومن حقوق  
الصحة أنه إذا وقع  
فرقة ومباينة لا بد كر

يحب الدنيا مشغوفة وعليها مقبلة وشهوات الدنيا ينجتها آخذة وعن تمام الفكر صارفة فإذا فتح باب الكلام في الله وفي صفاته والرأى والمقول مع تفاوت الناس في قرائعهم واختلافهم في طبائهم وحرص كل جاهل منهم على أن يدعى الكمال أو الاحاطة بكنه الحق انتقلت ألسنتهم بما يقع لسكل واحد منهم وتعلق ذلك بغلوب الصغين إليهم وتأكد ذلك بطول الإلف فيهم فاندت بالكسرة طريق الخلاص عليهم فكانت سلامة الخلق في أن يشتغلوا بالأعمال الصالحة ولا يترعوا الماهو وخارج عن حد طاعتهم ولكن الآن قد استرخى العنان وفيها الهذيان ونزل كل جاهل على ما وافق طبعه بظن وحسبان وهو يعتقد أن ذلك علم واستيقان وأنه صفو الإيمان ويظن أنه ما وقع بمن حدس وتحمين علم اليقين وعين اليقين - ولتعلم نباء بعد حين - ويبقى أن ينشد في هؤلاء عند كشف الغطاء:

أحسنت ظلك بالأيام إذ حسنت ولم تحف سوء ما يأتى به القدر  
وساتلك الليالى فاعتقرت بها وعند صفو الليالى يحدث السكدر

واعلم يقينا أن كل من فارق الإيمان الساذج بالله ورسوله وكتبه وخاض في البحث فقد تعرض لهذا الخطر ومثاله مثال من انسكرت سميته وهو في ملتطم الأمواج يرميه موج إلى موج فربما يتفق أن يلقبه إلى الساحل وذلك بعيد والمهلك عليه أغلب . وكل نازل على عبدة تلقفها من الباحثين بضاعة عقولهم إمامع الأداة التي حرروها في تصيبهم أودون الأدلة فان كان شاكا فيه فهو فاسد الدين وإن كان واقفا فهو آمن من مكر الله مفر بقله الناقص وكل خاص في البحث فلا يترك عن هاتين الحالتين إلا إذا جاوز حدود العقول إلى نور المكشوفة التي هو مشرق في عالم الولاية والنبوة وذلك هو السكرية الأحمر وأنى يتيسر وإنما يسلم عن هذا الخطر إليه من العوالم والدين شغلهم خوف النار بطاعة الله فلم يغرضوا في هذا القصور فهذا أحد الأسباب الخطرة في سوء الحاتمة . وأما السبب الثاني فهو ضعف الإيمان في الأصل ثم استبداء حب الدنيا على القلب ومهم منصف الإيمان منصف حب الله تعالى وقوى حب الدنيا فيصير بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى إلا من حيث حديث النفس ولا يظهر له أثر في محالة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك الانهماك في اتباع الشهوات حتى يظلم القلب ويقسو ويسود وتراكم ظلمة النفوس على القلب فلا يزال يطفى ما فيه من نور الإيمان على منصفه حتى يصير طبعنا ورينا فإذا جاءت سكرات الموت ازداد ذلك الحب أعنى حب الله منغلا لما يبدو من استعمار فراق الدنيا وهو المحبوب الغالب على القلب فيتألم القلب باستعمار فراق الدنيا ويرى ذلك من الله فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة ذلك من حيث إنه من الله فيخشى أن يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل الحب كما أن الذي يحب ولده حبا ضيقا إذا أخذ ولده أمواله التي هي أحب إليه من ولده وأحرقها انتقل ذلك الحب الضيق بضيقا فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة قد ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا والسبب الذي يغضى إلى مثل هذه الحاتمة هو غلبة حب الدنيا والركون إليها والفرح بأسبابها مع ضعف الإيمان اللوجب لضعف حب الله تعالى فن وجد في قلبه حب الله أغلب من حب الدنيا وإن كان محب الدنيا أيضا فهو أبعد عن هذا الخطر وحب الدنيا رأس كل خطيئة وهو الداء الضال وقد عم أصناف الخلق وذلك كله لقلة المعرفة بالله تعالى إذ لا يجزمه إلا من عرفه ولهذا قال تعالى - قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترى بصواحيبي الله بأمره فاذن كل من فارقه روحه في حالة خطرة الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض قلبه لله بقلبه في ضريقه بينه وبين أهله وماله

أخاه إلا غير . قيل  
كان لبعضهم زوجة  
وكان يعلم منها ما يكره  
فكان يقال له استخبارا  
عن حالها فيقول لا ينبغي  
للرجل أن يقول في أهله  
إلا خيرا ففارقها وطلقها  
فاستنجر عن ذلك فقال  
امرأة بعدت عنى  
ولست متى في شرم  
كيف أدكرها وهذا  
من التخليق بأخلق الخلق  
تعالى أنه سبحانه يظهر  
الجميل ويستر القبيح  
وإذا وجد من أحدهما  
ما يوجب التقاطع فهل  
يفضه أولا اختلف  
القول في ذلك . كان  
أبو ذر يقول إذا انتاب  
عما كان عليه أبغضه  
من حيث أحبته وقال  
غيره لا يفيض الأخ

وسائر محابه فيكون موته قدوما على ما يفضيه وفراقا لما أحبه فيقدم على الله قدوم العبد اليقظ الآبق إذا قدم به على مولاه قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الحزى والسكال وأما الذي يتوقى على الحب فإنه يقدم على الله تعالى قدوم العبد المحسن للشتاق إلى مولاه الذي تحمل مشاق الأعمال ووعثاء الأسفار طمعا في لقائه فلا يخفى ما يلقاه من الفرح والسرور بمجرد القدوم فضلا عما يستحقه من لطائف الأكرام وبدائع الانعام . وأما الحاتمة الثانية التي هي دون الأولى وليست مقتضية للخلود في النار فلها أيضا سببان : أحدهما كثرة المعاصي وإن قوى الإيمان والآخر ضعف الإيمان وإن قلت المعاصي وذلك لأن مقارفة المعاصي سببا غلبة الشهوات ورسوخها في القلب بكثرة الإلّف والمادة وجميع ما ألقاه الإنسان في عمره يعود ذكره إلى قلبه عند موته فإن كان ميله أكثر إلى الطاعات كان أكثر ما يحضره ذكر طاعة الله وإن كان ميله الأكثر إلى المعاصي غلب ذكرها على قلبه عند الموت فربما تفيض روحه عند غلبة شهوة من شهوات الدنيا ومعصية من المعاصي فينقيد بها قلبه ويصير محجوبا عن الله تعالى فلا يلقى الاقارب الذنب إلا الفينة بعد الفينة فهو أبعد عن هذا الخطر والذي لم يقارف ذنبا أصلا فهو بعيد جدا عن هذا الخطر والذي غلبت عليه المعاصي وكانت أكثر من طاعاته وقلبه بها أفرح منه بالطاعات فهذا الخطر عظيم في حقه جدا وتعرف هذا بمثال وهو أنه لا يخفى عليك أن الإنسان يرى في منامه جملة من الأحوال التي عهدها طول عمره حتى إنه لا يرى إلا ما عاين مشاهداته في اليقظة حتى إن الراحق الذي يعتل لا يرى صورة الواقع إذا لم يكن قد واقع في اليقظة ولو بقي كذلك مدة لما رأى عند الاحتلام صورة الواقع ثم لا يخفى أن الذي قضى عمره في الفقه يرى من الأحوال المتعلقة بالعلم والعلماء أكثر مما يراه التاجر الذي قضى عمره في التجارة والتاجر يرى من الأحوال المتعلقة بالتجارة وأسبابها أكثر مما يراه الطبيب والفقيه لأنه إنما يظهر في حالة النوم ما حصل له مناسبة مع القلب بطول الإلّف أو بسبب آخر من الأسباب والموت شبيه النوم ولكنه فوقه ولكن سكرات الوشوم يتقدمه من النعشة قريب من النوم فيقتضى ذلك تذكّر المألوف وعوده إلى القلب وأحد الأسباب الرجعة لحصول ذكره في القلب طول الإلّف فطول الإلّف بالمعاصي والطاعات أيضا مرجح وكذلك تغلب أيضا منامات الصالحين منامات الفساق فتكون غلبة الإلّف سببا لأن تتمثل صورة فاحشة في قلبه وتتميل إليها نفسه فربما تفيض عليها روحه فيكون ذلك سبب سوء خاتمته وإن كان أصل الإيمان باقيا بحيث يرجى له الخلاص منها وكما أن ما عظم في اليقظة إنما يخطر بسبب خاص يلهي الله تعالى فكذلك آحاد النامات لها أسباب عند الله تعالى تعرف بعضها ولا تعرف بعضها كأننا نعلم أن الحاطر يفتل من الشيء إلى ما يناسبه إما بالمشاهدة وإما بالمضادة وإما بالمقارنة بأن يكون قد ورد على الحسنة . أما بالمشاهدة فأن ينظر إلى جميل فيذكر جمالا آخر وأما بالمضادة فأن ينظر إلى جميل فيذكر قبيحا ويتأمل في سمة التفاوت بينهما وأما بالمقارنة فأن ينظر إلى فرس قدر أنه من قبل مع إنسان فيذكر ذلك الإنسان وقد ينتقل الحاطر من شيء إلى شيء ولا يدري وجه مناسبتة له وإنما يكون ذلك بواسطة واسطتين مثل أن ينتقل من شيء إلى شيء ثان ومنه إلى شيء ثالث ثم ينسى الثاني ولا يكون بين الثالث والأول مناسبة ولكن يكون بينه وبين الثاني مناسبة وبين الثاني والأول مناسبة فكذلك لا انتقالات الحواطر في النامات أسباب من هذا الجنس وكذلك عند سكرات الموت فعل هذا هو عالم عند الله من كانت الحياطة أكثر أشغاله فانك تراه يومئذ إلى رأسه كأنه يأخذ برأسه ويخلط بها ويبل أصبعه التي لها عادة بالسكسبجان ويأخذ الأزار من فوقه ويقدره ويشبهه كأنه يتعاطى نفسه لئلا يعمده إلى القراض ومن أراد أن يكف خاطره عن الانتقال عن المعاصي والشهوات فلا طرقي له إلا المجاهدة طول العمر في فطامه

بعد السجدة ولكن يفيض عمله قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم - فإن عصفوك فقل إني بربى مما تعملون - ولم يقل إني بربى منكم . وقبل كان شاب بالزمر مجالس أبي الدرداء وكان أبو الدرداء يعزبه على غيره فابتنى الشاب بكبيرة من الكبار وانتهى إلى أبي الدرداء ما كان منه قبيلا له لو أبعدته وهجرته فقال سبحانه الله لا يترك صاحب شيء كان منه . قيل : الصداقة لحة لكحة القلب . وقيل لحكيم مرة أما أحب إليك أخوك أو صديقك فقال إنما

نفسه عنها وفي قمع الشهوات عن القلب فهذا هو التقدير الذي يدخل تحت الاختيار ويكون طول الواظية على الحبر وتخفية الفكر عن الشر عدة وذخيرة لخالفه سكرات الموت فانه يموت المرء على ما عاش عليه ويمحى على ما مات عليه ولذلك قيل من يقال أنه كان يلقن عند الموت كلني الشهادة يقول خمسة ستة أربعة فكان مشغول النفس بالحساب الذي طال الفعلة قبل الموت. وقال بعض العارفين من السلف العرش جوهره تتلأأ نوراً فلا يكون العبد على حال إلا انطبع مثاله في العرش على الصورة التي كان عليها إذا كان في سكرات الموت كشف له صورته من العرش فرمما يرى نفسه على صورة معصية وكذلك يكشف له يوم القيامة فيرى أحوال نفسه فيأخذ من الحياء والخوف ما يجل عن الوصف وما ذكره صحيح وسبب الرؤيا الصادقة قريب من ذلك فان التام يدرك ما يكون في المستقبل من مطالعة اللوح المحفوظ وهو جزء من أجزاء النبوة فإذا رجع سوء الحاة إلى أحوال القلب واختلاج الحواطر ومقلب القلوب هو الحق والاتصاف بالقتضية لسوء الحواطر غير داخلية تحت الاختيار دخولا كلياً وإن كان لطول الإلف فيه تأثير فهذا عظم خوف العارفين من سوء الحاة لأنه لو أراد الإنسان أن لا يرى في التمام إلا أحوال الصالحين وأحوال الطاعات والعبادات عسر عليه ذلك وإن كانت كثرة الصلاح والمواظية عليه مما يؤثر فيه ولكن اضطرابات الخيال لا تدخل بالسكينة تحت الضبط وإن كان الغالب مناسبة ما يظهر في النوم لما غلب في البظة حتى سمعت الشيخ أبا علي الفارمذي رحمه الله عليه يصف لي وجوب حسن أدب المريد لشيخه وأن لا يكون في قلبه إنكار لكل ما يقوله ولا في لسانه مجادلة عليه فقال حكيت شيخي أي القاسم الكرماني منامي وقلت رأيتك قلت لي كذا فقلت لم ذاك قال فخرجني شهر اولم يكلمني وقال لولا أنه كان في باطنك تجوز المطالبة وإنكار ما أقوله لك لما جرى ذلك على لسانك في النوم وهو كما قال إذ قلنا يرى الإنسان في منامه خلاف ما يغلب في البظة على قلبه فهذا هو التقدير الذي نسمع به ذكره في علم المعاملة من أسرار أمر الحاة وما وراء ذلك فهو داخل في علم المكشوفة وقد ظهر لك بهذا أن الأمن من سوء الحاة بأن ترى الأشياء كما هي عليه من غير جهل وترجي جميع العمر في طاعة الله من غير معصية فان كنت تعلم أن ذلك محال أو عسير فلا بد وأن يغلب عليك من الخوف ما عاب على العارفين حتى يطول بسية بكائك وباحتك وبدوم به حزنك وتقلق كما يستحكيه من أحوال الأتقياء والسلف الصالحين ليسكون ذلك أحد الأسباب المهيجة ل نار الخوف من قلبك وقد عرفت بهذا أن أعمال العمر كلها ضائعة إن لم يسلم في النفس الأخير الذي عليه خروج الروح وأن سلامته مع اضطراب أمواج الحواطر مشكلة جداً ولذلك كان مطرف بن عبد الله يقول إني لا أعجب من هلك كيف هلك ولو لم يكن أعجب من نجا كيف نجا ولذلك قال حامد اللقاف إذا صعدت الملائكة بروح البطلان المؤمن وقدمات على الحبر والاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا هذا من دنيا فدفعه أخبارنا وكان الثوري يوماً يبكي فقيل له علام تبكي فقال بكيت على الذنوب زماناً فالآن تبكي على الاسلام. وبالجملة من وقت سفينته في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الأمواج كانت النجاة في حقه أبعد من الهلاك وقلب المؤمن أشد اضطراباً من السفينة وأمواج الحواطر أعظم النظام من أمواج البحر وإنما الخوف عند الموت خاطر سوء غطر فقط وهو الذي قال في رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقى بينه وبين الجنة إلا فراق ناقة فيختم له بها سبق به الكتاب (١) ولا يتسع فراق الناقة لأعماله نوجب الشقاوة بل هي الحواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق الخاطف وقال سهل رأيت كائن أدخلت الجنة فرأيت ثلاثمائة نبي فسألتهم ما أخوف ما كنتم تخافون في الدنيا قالوا سوء

(١) حديث إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة خمسين سنة الحديث تقدم .

أحب أخى إذا كان  
صديقى وهذا الخلاف  
في المفارقة تظاهروا بها  
وأما الملازمة بالباطن إذا  
وقعت المباعدة تظاهروا  
فتختلف باختلاف  
الأشخاص ولا يطلق  
القول فيه إطلاقاً من  
غير تفصيل فمن الناس  
من كان تغيره رجوعاً  
عن الله وظهور حكم  
سوء السابقة فيجب  
بفضه وموافقة الحق  
فيه ومن الناس من  
كان تفسيره غيرة  
حدثت وفترة ونمت  
يرجى عوده فلا ينبغي  
أن ينفذ ولكن  
ينص عمله في الحاة  
الحاضرة ولا يحط به  
الود منتظراً له العرج  
والعود إلى أوطان

الحائمة ولأجل هذا الخطر العظيم كانت الشهادة مضبوطة عليها وكان موت القبطاء مكرها ، أمالوت  
 حجة فلائه ربما ينق عند غلبة خاطر سوء واستيلائه على القلب والقلب لا يغلو عن أمثاله إلا أن يدفع  
 بالسكراة أو بنور العرفة ، وأما الشهادة فلائها عبارة عن قبض الروح في حالة إيقظ في القلب سوى  
 حب الله تعالى وخرج حب الدنيا والأهل والنال والولد وجميع الشهوات عن القلب إذ لا يجمع على  
 صف القتال موطنه نفسه على الموت لإحباطه وطلبا لمرضاة الله تعالى وأما ما جاءه بآخره فهو راضيا ببيع الله بابه  
 الله به إذ قال تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة والبايع راضب عن  
 البيع لأعماله ومخرج به عن القلب وبجرد حب الموض المطلوب في قلبه ومثل هذه الحالة قد ينقلب  
 على القلب في بعض الأحوال ولكن لا يتفق زهوق الروح فيها نصف القتال سبب زهوق الروح على  
 مثل هذه الحالة هذا فمن ليس بقصد القلبة والفتنة وحسن الصيت بالشجاعة فإن من هذا حاله  
 وإن قتل في المعركة فهو بعيد عن مثل هذه الرتبة كادلت عليه الأخبار (١) وإذ بان لك معنى سوء الحائمة  
 وما هو مخوف فيها فاشتغل بالاستعداد لها فواظب على ذكر الله تعالى وأخرج من قلبك حب الدنيا واحرس  
 عن فعل الماصي وجوارحك وعن الفكر فيها قلبك واحترز عن مشاهدة الماصي ومشاهدة أهلها  
 جهدها فإن ذلك أيضا يؤثر في قلبك ويصرف إليه فكرك وخواطره وإياك أن تسوف وتقول سأستعد  
 لها إذا جاءت الحائمة فإن كل نفس من أنفسك خائنتك إذ يمكن أن تختطف فيمروحك فراقب قلبك  
 في كل طريقة وإياك أن تهمل لحظة فلعل تلك اللحظة خائنتك إذ يمكن أن تختطف فيمروحك بهذا  
 مادمت في يقظتك وأما إذا نمت فإياك أن تنام إلا على طهارة الظاهر والباطن وأن يملكك النوم إلا بعد  
 غلبة ذكر الله على قلبك لست أول على لسانك فإن حركة اللسان بمجرد صغرة الأمر . واعلم قطعا  
 أنه لا ينام عند النوم على قلبك إلا ما كان قبل النوم غالبا عليه وأنه لا ينام في النوم إلا ما كان غالبا قبل  
 النوم ولا ينام عن نومك إلا ما غلب على قلبك في نومك واللوت والبث شيء النوم واليقظة فسكا  
 لا ينام العبد إلا على ما غلب عليه في يقظته ولا يستيقظ إلا على ما كان عليه في نومه فكذلك لا يعمد للراء  
 إلا على ما عاش عليه ولا يعش إلا على ما مات عليه وتحقق قطعا وبثنا أن الموت والبث حالتان من  
 أحوالك كما أن النوم واليقظة حالتان من أحوالك وآمن بهذا تصديها باعتقاد القلب إن لم تكن أهلا  
 لمشاهدة ذلك بين اليقين ونور البصرة وراقب أنفسك ولحظائك وإياك أن تغفل عن الله فطرعة  
 فانك إذا فلتت ذلك كله كنت مع ذلك في خطر عظيم فكيف إذا لم تضل الناس كلهم هلكت إلا  
 العالمون والعالمون كلهم هلكت إلا العاملون والعالمون كلهم هلكت إلا المخلصون والمخلصون على خطر  
 عظيم . واعلم أن ذلك لا يتيسر لك ما لم تنفع من الدنيا بقدر ضرورتك وضرورتك معلوم وليس  
 ومسكن والباقي كله فضول والضرورة من الطعام ما يقبض عليك ويسد رمقك فينبغي أن يكون تناولك  
 تناول مضطر كاره . ولا تكون رغبتك فيه أكثر من رغبتك في قضاء حاجتك إذ لا فرق بين إدخال  
 الطعام في البطن وإخراجها فيها ضرورتان في الجيلة ولا يكون قضاء الحاجتين هتكا التي يشغل بها  
 قلبك فلا ينبغي أن يكون تناول الطعام من هتك . واعلم أنه إن كان هتك ما يدخل بطنك فقيمته  
 ما يخرج من بطنك وإذا لم يكن فصدك من الطعام إلا بالقوى على عبادة الله تعالى كقصدك من قضاء

الصلح قد ورد وأن  
 النبي عليه الصلاة  
 والسلام لما شتم التوم  
 الرجل الذي أتى بأحشة  
 قال له وزجره بقوله  
 ولا تصكونوا عونا  
 للشيطان على أخيك  
 وقال إبراهيم النخعي  
 لا تطلع أخاك ولا تهجره  
 عند الذنب يذنبه فانه  
 يركبه اليوم ويتركه  
 غدا وفي الخبر «اتقوا  
 زلة العالم ولا تقطعوه  
 وانظروا فيثبه »  
 وروى أن عمر رضی  
 الله عنه سأل عن أخ  
 له كان آخاه فخرج إلى  
 الشام فسأل عنه بعض  
 من قدم عليه فقال  
 ما ضل أخى فقال له  
 ذاك أخو الشيطان قال  
 له ما قال له إنه قارف

(١) حدث القتول في الحرب إذا كان قصده الغلبة والفتنة وحسن الصيت فهو بعيد عن رتبة  
 الشهادة متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري إن رجلا قال يا رسول الله الرجل يقاتل ولغمم والرجل  
 يقاتل للذكر والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله قتاله من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في  
 سبيل الله وفي رواية الرجل يقاتل شجاعة ويقال حمية ويقال رياء وفي رواية يقاتل غضبا .

حاجتك خلاصة ذلك تظهر في ثلاثة أمور: من مأكولك في وقت وقدر وجنس أمال الوقت فأقله أن يكفى في اليوم واليلة بجرة واحدة فيوطلب على الصوم وأما قدره فبأن لا يزيد على ثلث البطن وأما جنسه فأن لا يطلب لذائذ الأطعمة بل يقع بما يتفق فان قدرت على هذه الثلاث وسقطت عنك شئونة الشهوات والذائذ قدرت بعد ذلك على ترك الشهوات وأمكنك أن لا تأكل إلا من حله فان الحلال يميز ولا يفي بجميع الشهوات وأما ما يسلك فليكن غرضك منه دفع الحر والبرد وستر العورة فكل مادفع البرد عن رأسك ولو قلنسوة بدائق فطلبك غيره فضول منك يضيع فيه زمانك ويلزمك الشغل الدائم والعناء القائم في تنصيه بالسكسب حمة والطعم أخرى من الحرام والشبهة وقس بهذا مادفع به الحر والبرد عن بدنك فكل ما حصل مقصود الباس إن لم تكن تف به في خاسة قدر وجنسه لم يكن لك موقف ومرد بعده بل كنت ممن لا يعلا بطنه إلا التراب وكذلك السكين إذا كتيفت بمقصوده كففتك السماء سقفا والأرض مستقرا فان غلبك حر أو برد فليكن بالمساجد فان طلبت مسكنا خاصا طال عليك وانصرف إليه أكثر عمرك وعمره ك هو بضاعتك ثم إن تيسر لك قصصت من الحافظ سوى كونه حائلا بينك وبين الأجسام ومن السفس سوى كونه دافعا للأطمار فأخذت ترفع الحيطان وتزين السقوف قد تورطت في مهواة يعد ريك منها وهكذا جميع ضرورات أمورك إن اقتصر عليها تفرغت فقه و قدرت على التزوّد لأخرك والاستعداد لحاجتك وإن جاوزت حد الضرورة إلى أودية الأمانى تشعبت همومك ولم يبال الله في أى واد أهلك فأقبل هذه النصيحة ممن هو أحوج إلى النصيحة منك . واعلم أن متسع التدبير واليزود والاحتياط هذا العمر القصير فإذا ذهبت يومايوم في تسويفك أو غفلتك اختطفت لحاة في غير وقت إرادتك ولم تفارقك حسرتك وندامتك فان كنت لا تقدر على ملازمة ما أرشدت إليه بضعف خوفك إذ لم يكن فيها وصفاء من أمر الحاشية كفاية في تخويفك فانا سنورد عليك من أحوال الحافظين ما نرجو أن يزيل بعض القساوة عن قلبك فانك تتحقق أن عقل الأنبياء والأولياء والعلماء وعلمهم ومكانهم عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعملك ومكانك فتأمل مع كلال بصيرتك وعمش عين قلبك في أحوالهم لم اشتد بهم الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصق وبعضهم يدهش وبعضهم يسقط مشيا عليه وبعضهم يغرّ ميتا إلى الأرض ولا غرو إن كان ذلك لا يؤثر في قلبك فان قلوب القاطنين مثل الحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما تنفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون .

( بيان أحوال الأنبياء والملائكة عليهم الصلاة والسلام في الخوف )

روث عائشة رضى الله عنها «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة يتغير وجهه فيقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب الله<sup>(١)</sup> » وقرأ صلى الله عليه وسلم آية في سورة الواقعة فصعق<sup>(٢)</sup> وقال تعالى سوخر موسى صفقا ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم صورة جبريل عليه السلام بالأبطح فصعق<sup>(٣)</sup> » وروى أنه عليه السلام كان إذا دخل

(١) حديث عائشة كان إذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة تغير وجهه الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث قرأ في سورة الواقعة فصعق المروفي فيأروى من هذه القصة أنه قرأ في غداة لدينا أنكلأ وجعيا وطعاما فافغصة وعذابا أليما فصعق كما رواه ابن عدى والبيهقي في الشعب مرسلوه هكذا ذكره الصنف على الصواب في كتاب السماع كما تقدم (٣) حديث إنه رأى صورة جبريل بالأبطح فصعق الخبر من حديث ابن عباس بسند جيد سأل النبي ﷺ جبريل أن يراه في صورته فقال ادع ربك فدنا به فطلع عليه من قبل الشرق فجعل يرتفع ويسير فلما رآه صعق ورواه ابن البار من رواة الحسن مرسل

الكبار حتى وقع في الحجر فقال إذا أردت الخروج فأدنى قال فكتب إليه - حم - تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب - ثم عابته تحت ذلك وعذبه فلما قرأ الكتاب بكى فقال صدق الله تعالى ونصح عمر فتاب ورجع . وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى ابن عمر يلتفت عينا وشمالا فقال يا رسول الله آخيت رجلا فانا أطلبه ولا أراه فقال يا عبد الله إذا آخيت أحدا فاسأله عن اسمه واسم أبيه وعن منزله فان

في الصلاة يسمع لصدره أزيز كأزيز المرجل<sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «ما جاءني جبريل قط إلا هو  
يرعد فرقا من الجبار<sup>(٢)</sup>» وقيل لما ظهر على إيليس ماظهر طفق جبريل وميكائيل عليهما السلام  
بكيان فأوحى الله إليهما ما لكاتبكيا ن كل هذا الكلام فقالا يارب ما نأمن منك فكذلك قال الله تعالى هكذا  
كونا لأننا مكرى . وعن محمد بن السكندر قال لما خلقت النار طارت أئنفدة اللائكة من أماكنها فلما  
خلق بنو آدم طادت وعن أنس أنه عليه السلام سأله جبريل «ما لآرى ميكائيل يضحك فقال جبريل  
ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار<sup>(٣)</sup>» وقال إن لله تعالى ملائكة لم يضحك أحد منهم منذ خلقت النار  
عجافا أن غضب الله عليهم فبعضهم بها وقال ابن عمر رضي الله عنهما «خرجت مع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم حتى دخل بعض حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل فقال يا ابن عمر مالك لأنا كل  
قلقت يا رسول الله لأشنيه فقال لكنني أشنيه وهذا صبح رابعة لم أذق طعاما ولم أجده ولو سألت  
ربي لأعطاني ملكا فيصر وكسرى فكيف بك يا ابن عمر إذا بقيت في قوم غثون رقيق ستهم وبضغ  
اليقين في قلوبهم قال فو الله ما برحنا ولا نأمن حتى نزلت - وكان من دابة لأعمل رزقها الله برزقها وإياكم  
وهو السميع العليم - قال فقال رسول الله ﷺ إن الله ليأمركم بكنز الدال ولا اتباع الشهوات من كنز  
دنانير يريد بها حياة فانية فإن الحياة بيد الله ألا وإنى لا أكنز دينار ولا درهما ولا أخبار رزق الله<sup>(٤)</sup>» . وقال  
أبو الدرداء كان يسمع أزيز قلب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة من  
سيرة ميل خوفا من ربه . وقال مجاهد بكى داود عليه السلام أربعين يوما ساجدا لا يرفع رأسه حتى  
نبت للرعى من دموعه وحتى غطى رأسه فنودي بإداده أن تقطعهم طمأن قسقى أمهار فكتسى  
فصبغ نحية حاج النود فاحترق من حر خوفه ثم أزل الله تعالى عليه التوب والنفرة فقال يارب اجعل  
خطيئتي في كفى فصارت خطيئته في كفه مكتوبة فكان لا ييسط كفه لطعام ولا لشراب ولا لغيره . إلا  
رأها فأبكته قال وكان يؤتى بالقدح ثناء فإذا تناوله أبصر خطيئته لما يضعه على شفته حتى يفيض  
القدح من دموعه . وبروي عنه عليه السلام أنه ما رفع رأسه إلى السماء حتى مات حياة من الله عز  
وجل وكان يقول في مناجاته : إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت على الأرض رجبا وإذا ذكرت رحمتك  
ارتدت إلى روعي سبحانك إلهي أثبت أطباء عيادك لداود وخطيئتي فكلمهم عليك بدلي فؤسا قانطين  
من رحمتك . وقال الفضيل بلغني أن داود عليه السلام ذكر ذنبه ذات يوم فوثب صارخا واضعا يده على

كان مريضا عدته وإن  
كان مشغولا عنه  
وكان يقول ابن عباس  
رضي الله عنهما  
ما اختلف رجل إلى  
مجلس ثلاثا من غير  
حاجة تكون له فقلت  
ما مكافأته في الدنيا وكان  
يقول سعيد بن العاص  
جليسني على ثلاث  
إذا دنا رجيت به وإذا  
حدث أقبلت عليه  
وإذا جلس أوسمت له  
وعلمة خلوص المحبة  
فه تعالى أن لا يكون  
فيها عافية حفظ عاجل  
من رفق أو إحسان  
فان ما كان معلولا  
يزول بزوال علته ومن  
لا يستند في خلقه إلى  
خلق يحكم بدوام خلقه  
ومن شرط الحب في الله

بلفظ ففشي عليه وفي الصحيحين عن عائشة رأت جبريل في صورته مرتين ولهما عن ابن مسعود رأى  
جبريل لمسة جناح<sup>(٥)</sup> (١) حديث كان إذا دخل في الصلاة سمع لصدره أزيز كأزيز المرجل أبو داود  
والترمذي في التمهال والنسائي من حديث عبد الله بن الشخير وتقدم في كتاب السماع (٢) حديث  
ما جاءني جبريل قط إلا وهو ترتد فرائضه من الجبار لم أجده هذا اللفظ وزوى أبو الشيخ في كتاب  
العظمة عن ابن عباس قال إن جبريل عليه السلام يوم القيامة لقائم بين يدي الجبار تبارك وتعالى ترتد  
فرائضه فرقا من عذاب الله الحديث وفيه زميل بن سحاح الحنفى يحتاج إلى معرفته (٣) حديث أنس  
أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل ما لآرى ميكائيل يضحك فقال ما ضحك ميكائيل منذ خلقت  
النار أحمد وابن أبي الدنيا في كتاب الحاشية من رواية ثابت عن أنس بإسناد جيد ورواه ابن شاهين  
في السنة من حديث ثابت مرسلًا وورد ذلك أيضا في حق إسماعيل رواء البيهقي في الشعب وفي حق  
جبريل رواء ابن أبي الدنيا في كتاب الحاشية (٤) حديث ابن عمر خرجت مع رسول الله ﷺ حتى  
دخل على حيطان الأنصار فجعل يلتقط من التمر ويأكل الحديث ابن مردويه في التمهال والبيهقي  
في التمهال من رواية رجل لم يسم عن ابن عمر قال البيهقي هذا إسناد مجهول والجرارح من مهال ضيف

رأسه حتى لحق بالجبال فاجتمعت إليه السباع فقال ارجعوا لأرشدكم إنما أريد كل بكاءه على خطيئته فلا يستقبلني إلا البكاء ومن لم يكن ذا خطيئة لما يصنع بداءه الخطاء وكان يعاقب في كثرة البكاء فيقول دعوني أبكي قبل خروج يوم البكاء قبل تحريق العظام واشتعال الحشا قبل أن تمرى ملائكتك غلاظ شداد لا يصون الله ما أمرهم ويملون ما يؤمرون . وقال عبد العزيز بن عمر لما أصاب داود الخطيئة نقص صوته فقال إلهي بع صوتي في صفاء أصوات الصديقين ، وروى أنه عليه السلام لما طال بكاءه ولم ينفعه ذلك ضاق فذره واشتد غمه فقال يارب أمارحم بكائي فأوحى الله تعالى إليه يا داود نسيت ذنبك وذكرت بكاءك فقال إلهي وسيدى كيف أنسى ذنبي وكنت إذا تلوت الزبور كفف الماء الجاري عن جريه وسكن هبوب الريح وأطلق الطير على رأسى وأنست الوحوش إلى عرجاني وإلهي وسيدى فما هذه الوحشة التي بيني وبينك فأوحى الله تعالى إليه يا داود ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة اللصية يا داود آدم خلق من خلقه خلقت يدي ونفخت فيه من روحي وأسجدت له ملائكتي وألبست ثوب كرامتي وتوجته بناج وقارى وشكالى في الوحدة فزوجه حواء أمي وأسكنته جنى عصاني فطردته عن جزاري عريانا ذليلا يا داود اجمع مني والحق أقول أعطت أفاطنك وأسألت أفاطنك وعصيت أفاطنك وإن عدت إلينا على ما كان منك قبلنا . وقال يحيى بن أبي كثير بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح مكث قبل ذلك سبعا لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء فإذا كان قبل ذلك يوم أخرجه للثبر إلى البرية فأمر سليمان أن ينادي بصوت يستقرى البلاد وساحو لها من الفياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع فينادي فيها أأمن أن يسبح نوح داود على نفسه فليأت قال فتأتى الوحوش من البراري والآكام وتأتى السباع من الفياض وتأتى الهوام من الجبال وتأتى الطير من الأدكار وتأتى العذارى من خدور هن وتجتمع الناس لذلك اليوم ويأتى داود حتى يرى للثبر ويحيط به بنو إسرائيل وكل صنف على حدته يحيطون به وسليمان عليه السلام قائم على رأسه فيأخذ في الشتاء على ربه فيضجون بالبكاء والصراخ ثم يأخذ في ذكر الجنة والنار فتصوت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس ثم يأخذ في أحوال القيامة وفي البياضة على نفسه فيصوت من كل نوع طائفة فإذا رأى سليمان كثرة اللوى قال يا ابتاه قد مضت الستمين كل محرق ومامت طوائف من بني إسرائيل ومن الوحوش والهوام فيأخذ في الدعاء فيبناهو كذلك إذا ناداه بعض عباد بني إسرائيل يا داود هجعت بطلب الجزاء على ربك قال فيخر داود مفتشيا عليه فإذا نظر سليمان إلى ما أصابه أتى بسرر فحمله عليه ثم أمر مناديا ينادي أأمن كان له مع داود حميم أو قريب فليأت بسرر فليحمله فإن الذين كانوا معه قد قتلهم ذكر الجنة والنار فكانت المرأة تأتي بالسرر وتعمل قريبا وتقول يا من قتله ذكر النار يا من قتله خوف الله ثم إذا أفاق داود قام ووضع يده على رأسه ودخل بيت عبادته وأخلق بابا ويقول بإله داود أغضبان أنت على داود ولا يزال يتناجي ربه فيأتى سليمان ويقعد على الباب ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعر فيقول يا ابتاه تنوب هذا على ما تريد فأكل من ذلك القرص ما شاء الله ثم يخرج إلى بني إسرائيل فيكون بينهم . وقال يزيد الرقاشي خرج داود ذات يوم بالناس يطعمهم ويغفرهم فخرج في أربعين ألفا فأتى ثلاثون ألفا وارجع إلى عشرة آلاف قال وكان له جاريان أخذاهما حتى إذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب فعدتا على صدره وعلى رجله مخافة أن تفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت . وقال ابن عمر رضى الله عنهما دخل يحيى بن زكريا عابدا السلام بيت القدس وهو ابن ثمان حبيب فظفر إلى عبادهم قد لبسوا مدرع الشمر والصوف ونظر إلى مجتهديهم قد خرخوا الترابى وسلكوا فيها السلاسل وعدوا أنفسهم إلى أطراف بيت القدس فهاله ذلك

إشارة إلى الأفعى بكل ما يدر عليه من أمر الدين والدنيا قال الله تعالى - يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - قوله تعالى - لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا - أى لا يجدون إخوانهم على ما لهم وهذا الوصفان بهما بكل صفو المحبة أحدهما اشرع الحسد على شئ من أمر الدين والدنيا . والثاني الاشارة بالمقدور . وفي الخبر عن سيد البشر عليه الصلاة والسلام والره على دين خليله ولاخير

فرجع إلى أبويه فر بضيان يلعبون فقالوا له يا يحيى هلم بنا للعب فقال إني لم أخلق للعب قال فأني أبويه فسألهما أن يدرعاه الشعر فملا فرجع إلى بيت المقدس وكان غنمه نهارا وصبح فيه ليلا حتى أثبت عليه خمس عشرة سنة فخرج ولزم أطواد الأرض وغيران الشباب فخرج أبواه في طلبه فأدركاه على بحيرة الأردن وقد أنقع رجله في الماء حتى كاد العطش يذعه وهو يقول وعزتك وجلالك لا أدوق بارد الشراب حتى أعلم أين مكاني منك فسأله أبواه أن يغطر على قمرس كان معهما من شعير ويشرب من ذلك الماء ففعل وكفر عن يمينه فندح بالبرفرد أبواه إلى بيت المقدس فكان إذا قام يصلي بكى حتى يسكى معه الشجر والدر ويسكى زكريا عليه السلام لبكائه حتى يرضى عليه فميرز يسكى حتى خرقت دموعه لحم خديه وبدت أضراسه للناظرين فقالت له أمه يا بني لو أدت لي أن اتخذك شيئا توراني به أضراسك عن الناظرين فأذن لها فعدت إلى قطاني لبود فأصغتهما على خديه فكان إذا قام يصلي بكى فإذا استنفقت دموعه في القطنتين أثبت إليه أمه فصرتهما فإذا رأى دموعه تسيل على ذراعي أمه قال اللهم هذه دموعي وهذه أمي وأنا عبدك وأنت أرحم الراحمين فقال له زكريا يوما يا بني إنما سألت ربك أن يهبك لي لتفرعنائي بك فقال يحيى يا أبت إن جبريل عليه السلام أخبرني أن بين الجنة والنار مفازة لا يقطعها إلا كل بكاء فقال زكريا عليه السلام يا بني فالك . وقال للصبح عليه السلام : معاشر الخواريين خشية الله وحب الفردوس يورثان الصبر على الشقة ويباعدان من الدنيا يحيى أقول لكم إن أكل الشير والوم على الزايل مع الكلاب في طلب الفردوس قليل . وقيل كان الخليل صلوات الله عليه وسلامه إذا ذكر خطيئته يثني عليه ويسمع اضطراب قلبه ميلا في ميل فيأتيه جبريل فيقول له ربك يقرئك السلام ويقول هل رأيت خيلا يخاف خيله فيقول يا جبريل إني إذا ذكرت خطيئتي نسيت خلقي فهذه أموال الأنبياء عليهم السلام فدونك والتأمل فيها فانهم أعرف خلق الله بالله وصفاته صلوات الله عليهم أجمعين وعلى كل عباد الله القربين وحسبنا الله ونعم الوكيل .

( بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين في شدة الخوف )

روى أن أبابكر الصديق رضي الله عنه قال لطائر ليتني مثلك يا طائر ولم أخلق بشرا . وقال أبوذر رضي الله عنه وددت لو أني شجرة تعذب وكذلك قال طلحة . وقال عثمان رضي الله عنه وددت أني إذا مت لم أبعث وقالت عائشة رضي الله عنها وددت أني كنت نسيا منسيا وروى أن عمر رضي الله عنه كان يسقط من الخوف إذا سمع آية من القرآن منسيا عليه فكان يباد أياها وأخذ يوما تينة من الأرض فقال يا ليتني كنت هذه التينة يا ليتني لم أكن شيئا مذكورا يا ليتني كنت نسيا منسيا باليقين لم تظن أمي وكان في وجه عمر رضي الله عنه خيطان أسودان من الدموع . وقال رضي الله عنه من خاف الله لم يشف غيظه ومن اتقى الله لم يصنع ما يريد ولو لا يوم القيامة لكان غير ماترون ولما قرأ عمر رضي الله عنه - إذا الشمس كورت - وانتهى إلى قوله تعالى - وإذا الصحف نشرت - خر منسيا عليه ومروا يوما بدار إنسان وهو يصلي ويقرأ سورة الطور فوقف يستمع ففأبلغ قوله تعالى - إن عذاب ربك لواقع ماله من دافع - نزل عن حمائه واستند إلى حائط ولم يكتزما نورا وجع إلى منزله فرض شهر أبعد الناس ولا يمدون ممرضه وقال على كرم الله وجهه وقد سلم من صلاة الفجر وقد علاه كآبة وهو يلقب بده لقد رأيت أصحاب محمد ﷺ فلم أر اليوم شيئا يشبههم لقد كانوا يصبحون شفاصرا غبرا بين أعينهم مثال العركب للمري قد بانوا لله سجدا وقياماتلون كتاب الله يراوون بين جباههم وأقدامهم فإذا أصبحوا ذكروا الله فادوا كما يبد الشجر في يوم الربيع وهملت أعينهم بالدموع حتى تبل ثيابهم والله فساكن بالقوم بانوا عاقلين

ك في صفة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه وكان يقول أبو معاوية الأسود إخواني كلهم خير مني قبل وكيف ذلك ؟ قال كلهم يرى لي الفضل عليه ومن فضلي على نفسه فهو خير مني وليسهم نظما : تذلل لمن تذلل له يرى ذلك الفضل لا اله

وجانب صداقة من من لم يزل على الأصدقاء يرى الفضل له .

[ الباب الخامس والمحسون في آداب الصفة والأخوة ]  
سئل أبو حفص عن أدب الفقراء في الصفة

ثم قام فما روى بعد ذلك ضاحكا حتى ضربه ابن ملجم ، وقال عمران بن حصين : وددت أن أكون رمادا تنسفني الرياح في يوم عاصف ، وقال أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه : وددت أني كبش فيذبحني أهلي فيأكلون لحمي ويحسون مرقى ، وكان علي بن الحسين رضي الله عنه إذا توتأ أصر لونه فيقول له أهله ما هذا الذي يتأكد عند الوضوء فيقول أتندرون بين يدي من أريد أن أقوم . وقال موسى بن مسعود كنا إذا جلسنا إلى الثوري كأن النار قد أحاطت بنا لما نرى من خوفه وجزعه وقرأ مضر القاري يوما - هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق - الآية فيسبي عبد الواحد بن زيد حتى غشي عليه فلما أفاق قال وعزتك لأعصبتك جهدي أبدا فأعني بتوفيقك على طاعتك ، وكان السور ابن عزيمة لا يقوى أن يسمع شيئا من القرآن لشدة خوفه ولقد كان يقرأه الحرف والآلة فيصيح الصيحة لما يعلل أبيها حتى أتى عليه رجل من ختم ققرأ عليه - يوم نختر للتقين إلى الرحمن وقدنا ونسوق الجبريين إلى جهنم وردا - فقال أنا من الجبريين ولست من للتقين أعدى القول أنها القاري . فأعادها عليه فشقى شققة فلحق بالآخرة ، وقرئ عند يحيى البكاء - ولو ترى إذ وقفوا على ربهم - فصاح صيحة مكث منها مريضا أربعة أشهر يناد من أطراف البصرة ، وقال مالك بن دينار بينا أنا أطوف بالبيت إذ أنا بجويرة متعبدة متعلقة بأستار الكعبة وهي تقول يارب كم شهوة ذهبت لئلاها وبقيت تبعاتها يارب أما كان لك أدب وعقوبة إلا النار وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى طلع النجاء ، قال مالك فلما رأيت ذلك وضعت يدي على رأسي صارخا أقول تكلمت مالكاً أمه ، وروى أن الفضيل رأى يوم عرفة والناس يدعون وهو يسكب بكاء الشكوى المحترقة حتى إذا كادت الشمس تقرب قبض على لحيته ثم رفع رأسه إلى السماء وقال واسألتك منك وإن غفرت ثم انقلب مع الناس ، وسئل ابن عباس رضي الله عنهما عن الخائفين فقال قلوبهم بالحول فرحة وأعينهم باكية يقولون كيف نخرج واللوت من درائنا والقبر أماننا والقيامة موعدا وعلى جهنم طريقنا وبين يدي الله ربنا ومقتنا . وروى الحسن بن شهاب وهو مستغرق في ضحكته وهو جالس مع قوم في مجلس فقال له الحسن انقذهل مررت بالصراط قال لا قال فهل تدري إلى الجنة تصير أم إلى النار قال لا قال فهاذا الضحك قال فما روى ذلك الفتي بعدها ضاحكا . وكان حماد بن عبد ربه إذا جلس جلس مستوفزا على قدميه فيقال له لو أطمأننت فيقول تلك جلسة الآمن وأنا غير آمن إذ عصيت الله تعالى ، وقال عمر بن عبد العزيز : إنما جعل الله هذه النفقة في قلوب العباد رحمة كيلا يموتوا من خشية الله تعالى ، وقال مالك بن دينار لقد هممت إذا أنا مت أمرهم أن يقيدوني ويغلقوني ثم ينطلقوا بي إلى رب كما ينطلق بالعبدة الآبق إلى سيده ، وقال حاتم الأصم لا تختار بموضع صالح فلا مكان أصلح من الجنة وقد لقي آدم عليه السلام فيها مائتي ولا تترك كثرة العبادة فإن إبليس بعد طول تعبدته قفى مائتي ولا تفر بكثرة العلم فإن بلعام كان يحسن اسم الله الأعظم فانظر ماذا لقى ولا تفر برؤية الصالحين فلا شخص أكبر منزلة عند الله من الصلطي صلى الله عليه وسلم ولم ينتفع بلفائه أقاربه وأعداؤه . وقال السري : إني لأنظر إلى أنفي كل يوم مرات مخافة أن يكون قد اسود وجهي ، وقال أبو حصص منذ أربعين سنة اعتقادي في نفسي أن الله ينظر إلى نظير السخط وأعماله تدل على ذلك ، وخرج ابن المبارك يوما على أصحابه فقال إني اجتريت البارحة على أقدام الله الجنة ، وقالت أم محمد بن كعب القرظي لأبني يابى إني أعرفك صبرا طيبا وكبيرا طيبا وأراك أحدث حدثا موقعا لما أراك تصنع في ليلتك ونهارك فقال يا أماء ما يؤمنني أن يكون الله تعالى قد اطلع على وأنا على بعض ذنوبي فتمتني وقال وعزتي وجلالي لا غفرت لك ، وقال الفضيل إني لا أغضب نبياً مرسلًا ولا ملكاً مقرباً ولا عبداً صالحاً أبس هؤلاء يعاينون يوم القيامة إن أغضب من الخلق . وروى أن قتيباً من الأنصار

قال حفظ حرمت  
الشايح وحسن  
المشورة مع الاخوان  
والنصيحة للأصغر  
وترك صجة من ليس  
في طبقتهم وملازمة  
الائثار ومجانبة الادخار  
والعاونة في أمر الدين  
والدنيا فمن أدهم  
التغافل عن زلل  
الاخوان والنصح فيها  
يجب فيه النصيحة  
وكنتم عيب صاحبه  
واطلاعه على عيب  
يمل منه . قال عمر بن  
الخطاب رضي الله عنه  
رحم الله امرأ أهدى  
إلى عيوبه وهذا فيه  
مصلحة كلية تكون  
للشخص عن بنه  
على عيوبه قال جعفر  
ابن برقان قال لي

دخلته خشية النار فكان يركب حتى جسه ذلك في البيت فجاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل عليه واعتنقه غفر ميتا فقال ﷺ جزوا صاحبكم فان الفرق من النار فتت كبده (١) وروى عن ابن أبي ميسرة أنه كان إذا أوى إلى فراشه يقول باليت أمتي لم تلدني فقال الله آمه بيسرة إن الله تعالى قد أحسن إليك هذا إلى الاسلام قال أجل ولكن الله قدين لنا أناولردو النار ولم يكن لنا أناصادرون عنهم اوقيل لفرقد السبحي أخبرنا بأعجب شيء بلغك عن بني إسرائيل فقال بلغني أنه دخل بيت القدس خمسينا عفره لباسهن الصوف والسوح فتذاكرن ثواب الله وعقابه فتن جميعا في يوم واحد وكان عطاء السدي من الخائفين ولم يكن يسأل الله الجنة أبدا إنما كان يسأل الله العفو وقيل له في مرضه ألا تشتهي شيئا فقال إن خوف جهنم لم يدع في قلبي موصلا للشهوة وقال إنه ما رفع رأسه إلى السماء ولا ضحك أربعين سنة وأنه رفع رأسه يوما فترع فسقط فاهنقى في بطنه فتنى وكان يحس جسده في بعض الليلة عافة أن يكون قد مسخ وكان إذا أصابته ريح أو برق أو غلاء طعام قال هذا من أجل صييم لومات سطاء لاستراح الناس ، وقال عطاء خرجنا مع عتبة الغلام وفيها كهول وشبان يصلون صلاة الفجر بطهور المشاء قد تورمت أقدامهم من طول القيام وغارت أعينهم فرمهم وصهلوصقت جلودهم على عظامهم وبقيت العروق كأنها الأوتار يصيحون كأن جلودهم قشور البطيخ وكانهم قد خرجوا من القبور يخبرون كيف أكرم الله الطيعين وكيف أهان العصاة فيبئنا هم يشئون إذ مر أحدهم بكان غفر مغطيا عليه فجلس أصحابه حوله ليكون في يوم شديد البرد وجبينه يرشح عرقا فجاءه إمامهم فمسحوا وجهه فأفاق وسألوه عن أمره فقال إني ذكرت أني كنت عصيت الله في ذلك المكان. وقال صالح الربي قرأت على رجل من المتبدئين - يوم قلب وجوههم في النارية ولونوا باليتنا طعنا الله وطعنا الرسول - فصعق ثم أفاق فقال زدني بأصالح فاني أجد غما فقرأت - كما تروا أن غرجوا منها أعيدها فيها - غفر ميتا، وروى أن زلزلة من أبي أوفى صلى بالناس العدة فلما قرأ - فاذا تفرقوا في القور - خر مغطيا على بطنه ميتا. ودخل يزيد الرقاشي على عمر بن عبد العزيز فقال عظمي يازيد فقال بأمر المؤمنين اعلم أنك لست أول خليفة يموت فبكى ثم قال زدني قال بأمر المؤمنين ليس بينك وبين آدم أب إلا ميت فبكى ثم قال زدني يازيد فقال بأمر المؤمنين ليس بينك وبين الجنة والنار منزل غفر مغطيا عليه . وقال ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية - وإن جهنم لموعدهم أجمعين - صاح سلمان الفارسي ووضع يده على رأسه وخرج هاربا ثلاثة أيام لا يقدررون عليه (٢) ورأى داود الطائي امرأة تبكي على رأس قبر ولدها وهي تقول يا ابنه ليت شعري أي خديك بدأ به الدود أولا فصعق داود وسقط مكانه وقيل مرضه - سفيان الثوري - فرض دليله على طبيب ذمى فقال هذا رجل قطع الحوف كبده ثم جاء وجس عروقه ثم قال عاملت أن في الله الخيفية مثله وقال أحمد بن حنبل رحمة الله عليه سألت الله عز وجل أن يفتح علي بابا من الحوف ففتح نفق على عتلى فقلت يارب هل قدر ما تطيق فمكن قلبي وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أبكوا فإن أبكوا فنيا كوا فوالله الذي نسي يده لو يعلم العلم أحدكم لصرخ حتى ينقطع صوته وصلى حتى يشكر صابه وكأنه أشار إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيتم كثيرا» (٣) وقال الغنبري اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي ولحيته

ميمون بن مهران قل لي في وجهي ما أكره فان الرجل لا ينصح أخاه حتى يقول له في وجهه ما يكرهه فان الصادق يحب من صدقه والكاذب لا يحب الناصح قال الله تعالى ولكن لا تحبون الناصحين - والتمسجة ما كانت في السر - ومن آداب السوفة القيام بخدمة الإخوان واحتمال الأذى منهم فذلك يظهر جوهر القدير روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أمر بقلع ميزاب كان في دار العباس بن عبد المطلب إلى الطريق بين الصفا والمروة فقال له العباس قلعت ما كان

- (١) حدث ابن قمي من الأنصار دخلته خشية من النار حتى جسه خوفه في البيت الحديث ابن أبي الدنيا في الخائفين من حديث حذيفة والبيهقي في الشعب من حديث سهل بن سعد بأسانيد فيهما نظر .  
(٢) حديث ميمون بن مهران لما نزلت هذه الآية وإن جهنم لموعدهم أجمعين صاح سلمان الفارسي لم ألق له على أصل (٣) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلا ولبكيتم كثيرا فاعلموا فواعد العقائد

ترجف فقال عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة ويحكم ليس هذا زمان حديث إنما هذا زمان بكاء  
وتفزع واستكانة ودعاء كدعاء الطريق إنما هذا زمان احفظ لسانك وأخف مكانك وعالج قلبك  
وخذ ما تعرف ودع ما تنكر وروى الفضل يوما وهو ينشئ قيل له إلى أين؟ قال لأندى وكان ينشئ  
والها من الخوف . وقال ذو بن عمر لأبيه عمر بن ذر : ما بال التكمين يتكلمون فلا يكي أحد فإذا  
تكلمت أنت سمعت البكاء من كل جانب فقال يا بني ليست الناحية الشكلى كالناحية للتأجرة وحكي  
أن قوما قوما وبابده وهو يكي فقالوا ما الذي ييكك يرحم الله ؟ قال قرعة يجدها الخائفون في  
فلوهم قالوا وما هي ؟ قال روعة النداء بالعرض على الله عز وجل . وكان الخواص يكي ويقول في مناجاته  
قد كبرت وضعت جسمي عن خدمتك فأعتقني . وقال صالح المري : قدم علينا ابن البكاء مرة فقال  
أرني شيئا من بعض محائب عبادكم فنذبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له فاستأذنا عليه  
فاذا رجل يعمل خوصا فقرأت عليه - إذا الأغلال في أعناقهم والسلاسل يسحبون في الجحيم ثم في النار  
يسحبون - ضيق الرجل شهقة وخر مشيا عليه فخرجنا من عنده وتركناه على حاله وذهبنا إلى آخر  
فدخلنا عليه فقرأت هذه الآية ضيق شهقة وخر مشيا عليه فذهبنا واستأذنا على ثالث فقال ادخلوا  
إن لم تتفعلوا عن ربنا قرأت - ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد - ضيق شهقة فبدأ العم من  
منخريه وجعل يتشعط في دمه حتى يس فركانه على حاله وخرجنا فأدبرته على ستأفنى كل مخرج من  
عنده وتركه مشيا عليه ثم أتيت به إلى السابع فاستأذنا قالنا امرأة من داخل الحصن يقول ادخلوا  
فدخلنا فإذا شيخ فان جالس في معلاة فسلمنا عليه فلم يشعر بسلامنا قلت بصوت عال إلا إن خلق  
غدا مقاما قال الشيخ بين يدي من وعك ثم بقي مهوتا فأما فاه شاخصا بصره يصيح بصوته  
ضعيف أوه أوه حتى انقطع ذلك الصوت فقالت امرأته اخرجوا فانكم لا تتفعلون به الساعة فلما كان  
بعد ذلك حالت عن القوم فاذا ثلاثة قد أفاقوا وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى وأما الشيخ فانه مكث ثلاثة  
أيام على حاله مهوتا متعبا لا يؤذي فرما فلما كان بعد ثلاث عقل وكان يزيد بن الأسود يرى أنه  
من الأبدال وكان قد حلف أنه لا يضحك أبدا ولا ينام مضطجعا ولا يأكل ممنا أبدا لما روى صاحبنا  
ولا مضطجعا ولا يأكل ممنا حتى مات رحمه الله . وقال الحجاج لسعيد بن جبير بلغني أنك لم تفضحك  
نظ قال كيف أضحك وجههم قد نعت والأعلال قد نصبت والزانية قد أعدت وقادرجل للحسن  
يا أبا سعيد كيف أصبحت قال خير قال كيف حالك فبسم الحسن وقال تسألني عن حالي ما ظنك  
بناس ركبو سفينة حتى توسطوا البحر فانكسرت سفينتهم فعلق كل إنسان منهم بخشبة على أقم  
حال يكون قال الرجل على حال شديدة قال الحسن حالي أشد من حالهم . ودخلت مولاة لعمر بن  
عبد العزيز عليه فسلمت عليه ثم قامت إلى مسجد في بيته فصلت فيه ركعتين وغلبتها عينها  
فرقدت فاستبكت في منامها ثم انتهت فقالت يا أمير المؤمنين إني والله رأيت عجبا قال وما ذلك ؟  
فالت رأيت النار وهي تزفر على أهلها ثم جى بالصراط فوضع على منتهى فقال هيه قالت جئى  
ببذل لك بن مروان فحمل عليه فامضى عليه إلا يسير حتى انكفأ به الصراط فهوى إلى جهنم  
قال عمر هيه قالت ثم جى بالوليد بن عبد الملك فحمل عليه فامضى إلا يسير حتى انكفأ به  
الصراط فهوى إلى جهنم فقال عمر هيه قالت ثم جى بسليمان بن عبد الملك فامضى عليه إلا يسير  
حتى انكفأ به الصراط فهوى كذلك قال عمر هيه قالت ثم جى بك والله يا أمير المؤمنين فصاح  
عمر رحمه الله عليه صيحة خر مشيا عليه فقامت إليه فعملت تنادى في أذنه يا أمير المؤمنين إني  
رأيتك والله قد نهوت إني رأيتك والله قد نهوت قال وهي تنادى وهو يصيح ويغص برجله

رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وضع يده  
فقال إذن لا يردني إلى  
مكانه غير يدك ولا يكون  
لك سلم غير عاتق محمد  
فأقامه على عاتق موره  
إلى موضعه ومن أدبهم  
أن لا يرون أنفسهم  
ملكاً يخصون به قال  
ابراهيم بن شيان كنا  
لأنصب من يقول  
نعل . أخبرنا بذلك  
رضي الدين عن أبي  
الظفر عن والده  
أبي القاسم القشيري  
قال سمعت أبا حاتم  
الصوفي قال سمعت  
أبا نصر السراج يقول  
ذلك وقال أحمد بن  
القلائس دخلت على  
قوم من الفقهاء يوما  
بالصرة فأكرموني

ويحكى أن أوسا القرنى رحمه الله كان يحضر عند القاص فيسكى من كلامه فإذا ذكر النار صرخ أوسى ثم يقوم منطلقا فيتمه الناس فيقولون مجنون مجنون . وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه إن المؤمن لا يسكن روعه حتى يترك جسدهم وراءه وكان طاوس يفرش له الفرش فيضطجع ويتلى كما تتلى الحبة في التلى ثم يثب فيدرجه ويستقبل القبلة حتى الصباح ويقول طير ذكر جهنم نوم الحافئين . وقال الحسن البصرى رحمه الله : يخرج من النار رجل بعد ألف عام ياليتنى كنت ذلك الرجل وإنما قال ذلك خوفا من الخلود وسوء الحاتمة . وروى أنه ماضعك أربعين سنة قال وكنت إذا رأيت قاعدة كأنه أسير قد قدم لتضرب عنقه وإذا تسكلم كأنه يمان الآخرة فيجبر عن مشاهدتها فإذا سكنت كأن النار تسمر بين عينيه وعوذب في شدة حزنه وخوفه فقال ما يؤمننى أن يكون الله تعالى قد اطلع في على بعض ماكره ففتنى فقال اذهب فلا تغفرت لك فأنما أعمل في غير معتل . وعن ابن السكك : قال وعظت يوما في مجلس فقام شاب من القوم فقال يا أبا العباس لقد وعظت اليوم بكلمة ما كنا نبأ أن لا نسع غيرها قلت وماهى رحمتك الله قال قولك لقد قطع قلوب الحافئين طول الخلودين إمامي الجنة أوفى النار ثم غاب عن ففقدته في المجلس الآخر فلم أرفسأت عنه فأخبرت أنه مريض يماد فأتيت أعوده فقلت يا أخى ما الذى أرى بك فقال يا أبا العباس ذلك من قولك لقد قطع قلوب الحافئين طول الخلودين إما في الجنة أو النار قال ثم مات رحمه الله فرأيت في المنام فقلت يا أخى ما فعل الله بك ؟ قال غفلى ورحمى وأدخلنى الجنة قلت بماد ؟ قال بالكلمة فهذه مخاوف الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين ونحن أجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء القلوب وكال العرفة والإفليس أمنا لقله ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل قادتنا شهورنا وغلبت علينا شقوقنا وصدمتنا عن ملاحظة أحوالنا غفلتنا وقسوتنا فلقرب الرحيل ينهنا ولا كثرة الذنوب تحركنا ولا مشاهدة أحوال الحافئين تخوفنا ولا خطر الحاتمة يزهدنا ففسأل الله تعالى أن يتدارك بغضه وجوده أحوالنا فيدلحنا إن كان تحريك اللسان بمجرد السؤال دون الاستعداد ينفعنا . ومن العجايب أنا إذا أردنا المال في الدنيا زرعنا وغرسنا وأجبرنا وركبنا البحار والبرارى وخاطرنا وإن أردنا طلب رتبة العلم تنقهننا وتجنبا في حفظه وتكراره وسهرنا ونجهدنى طلب أرزاقنا ولا ترق بضمان الله لنا ولا نجلى في يوتنا فنقول اللهم ارزقنا ثم إذا طلعت أمينا نحو الملك الدائم للقيم قلنا بأن شول بالسنة اللهم اغفر لنا وارحمنا والذى إليه رجأنا وبه اعتزأنا ينادينا ويقول - وأن ليس الإنسان إلا ماسى . ولا يفرنكم بالله الفرور . يا أبا الإنسان ما تحرك برك السكرم - ثم كل ذلك لا ينهنا ولا يجرجنا عن أودية غرورنا وأماننا فجاهده لإلحثة هائلة إن لم ينفض الله علينا بتوبة نصح يتداركنا بها ويجبرنا ففسأل الله تعالى أن يتوب علينا بل نسأل أن يشوق إلى التوبة سرائر قلوبنا وأن لا يجعل حركة اللسان بسؤال التوبة غاية حظنا فنكون ممن يقول ولا يعمل ويسمع ولا يقبل إذا سمعنا العوظ بكينا وإذا جاء وقت العمل بما سمعنا عصينا فلا علامة للخذلان أعظم من هذا ففسأل الله تعالى أن يمن علينا بالتوفيق والرشدينه وفضله ولنقتصر من حكاية أحوال الحافئين على ما أوردناه فان القليل من هذا يصادف القلب القابل فيكنى والسكرمته وإن أفيض على القلب الغافل فلا يضى . ولقد صدق الراهب الذى حكى عنه عيسى بن مالك الحولانى وكان من خيار العباد أنه رأى على باب بيت للقدس واقفا كهية المهزون من شدة الوله ما يكاد يرقأ دمعه من كثرة البكاء فقال عيسى لما رأته هالتي منظره فقلت أيها الراهب أوصنى بوصية أحفظها عنك فقال يا أخى بماد أوصيك إن استطعت أن تكون بمنزلة رجل قد احتوشه السباع والموالم فهو خائف حذر

ويعلمون قلت يوما لبعضهم أين إلهارى فاستطبت من أعينهم . وكان إبراهيم بن آدم إذا سمعه إنسان شارطه على ثلاثة أشياء أن تكون الخدمة والأذان له وأن تكون يده في جميع ما يفتح الله عليهم من الدنيا كيدك فقال رجل ممن أصحابه أنا لا أقدر على هذا فقال أعجبى صدقك . وكان إبراهيم ابن آدم ينظر البسائين ويعمل في الحصاد وينفق على أصحابه . وكان من أخلاق السلف أن كل من احتاج إلى شيء من مال أخيه استعمله من غير مؤامرة قال الله

يخاف أن ينفل خفترسه السباع أو يسهو فتشه الهوام فهو مذخور القلب وجل فهو في الحافة ليله وإن أمن القثرون وفي الحزن نهاره وإن فرح البطالون ثم ولى وتركني قلت لو زدني شيا عسى ينفعني فقال الظمان يحزبه من الساء أسره وقد صدق فإن القلب الصافي يحرره أدنى محافة والقلب الجامد تنبو عنه كل التواضع وما ذكره من تقديره أنه احتوشته السباع والهوام فلا ينبغي أن يظن أنه تقدير بل هو تحقيق فانك لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرايته مشحونا بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل التضب والشوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها وهي التي لا تزال تفتربك وتفتشك إن غفلت عنها لحظة إلا أنك محجوب العين عن مشاهدتها فإذا انكشف الغطاء، ووضعت في قبرك عابثها وقد تملت لك بصورها وأشكالها الواقعة لعانيها فرى عينك العقارب والحيات وقد أحدثت بك في قبرك وإنما هي صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها فإن أردت أن تغفلها وتغترها وتغترها وتغترها عليها قبل اللوت فاعمل ولا فوطن نفسك على لدغها ونهشها لصعب قلبك فضلعان ظاهر شررتك والسلام.

### كتاب الفقر والزهد

( وهو الكتاب الرابع من ربيع للنجيات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الذي تسبج له الرمال ، وتسجد له الطلال ، وتتذكر لمن هيبتة الجبال ، خلق الإنسان من الطين اللاذب والصاصل ، وزين صورته بأحسن تقويم وأتم اعتدال ، وعصم قلبه بنور الهداية عن ورطات الضلال ، وأذن له في قرع باب الخدمة بالقدر والأصال ، ثم كمل بصيرة الخاص في خدمته بنور البرة حتى لاحظ بضيائه حضرة الجلال ، فلاح له من البهجة والبهاء والكمال ، ما استقبح دون مبادئ إشرافه كل حسن وجمال ، واستقل كل ماصرته عن مشاهدته وملازمته غاية الاستغفال ، وتخلله ظاهر الدنيا في سورة امرأة جميلة عيس وتختل ، وانكشف له باطنها عن تجوز شوهاء مجتحت من طينة الحزى وضربت في قالب السكال ، وهي متفغة بجليلها لتخفي قبايح أسرارها بالطفائف السحر والاحتفال ، وقد نصبت جائلها في مدارج الرجال ، فهي تقتنصم بشروب السكر والاعتغال ، ثم لا تجترى ، معهم بالخلف في مواعيد الوصال ، بل تقيدهم مع قطع الوصال بالسلال والأغلال ، وتلبهم بأنواع البلايا والأنكال ، فلما انكشف لعارفين منها قبايح الأسرار والأصال ، زهدوا فيها زهد البغض لما تتركوها وتركوا التفاخر والتكاثر بالأموال ، وأقبلوا بكنههم على حضرة الجلال ، واتبعين منها بوصال ليس دونه انفصال ، ومشاهدة أبدية لا يعثر بها فناء ولا زوال ، والصلاد على سيدنا محمد سيد الأنبياء وعلى آله خير آل .

[ أما بعد ] فإن الدنيا عدوة لله عز وجل بنورها من مثل ويكرها من زلزلها رأس الخطايا والسيئات ، وبفضها أم الطاعات وأس القربات ، وقد استقصينا ما يتعلق بوصفها ، ودم الحب لها في كتاب فم الدنيا من ربيع الهللكات ، ونحن الآن نذكر فضل البغض لها والزهد فيها فانه رأس النجيات ، فلا مطمع في النجاة إلا بالانقطاع عن الدنيا والبغض لها الكن مقاطعة إيمان تكون بازروها عن العبد ويسمى ذلك قترا وإما بازروا البعد عنها ويسمى ذلك زهدا أو سكل واحدا منهما دور حتى قيل السعداء وحظ في الاطاعة الفوز والنجاة ونحن الآن نذكر حقيقة الفقر والزهد ودور حاتمهما وأقسامهما وشروطهما وأحكامهما ونذكر الفقر في شطر من الكتاب والزهد في شطر آخر منه ونبدأ بالذكر الفقر فتقول : [ الشطر الأول من الكتاب في الفقر ] وفيه بيان حقيقة الفقر وبيان فضيلة الفقر مطلقا وبيان

( كتاب الفقر والزهد )

تعالى - وأمرهم شورى بينهم - أى مشاعهم فيه سواء ومن أدبهم أنهم إذا استأفوا صاحبا ينهون أنفسهم ويتسبيون في إزالة ذلك من بواطنهم لأن انطواء الضمير على مثل ذلك للمصاحب وليجة في الصحة . قال أبو بكر الصكتاني صحبني رجل وكان على قلبي ثقبلا فوهبت له شيئا بنية أن زول فتقه من قلبي فلم يزول فخلوت به يوما وقلت له ضع رجلك على خدى فأبى فقلت له لابد من ذلك ففعل ذلك فزال ما كنت أجده في باطنى قال الرقي قصدت من الشام إلى الحجاز

خصوص فضيلة الفقراء وبيان فضيلة التقير على التقى وبيان أدب الفقير في قمره وبيان أدبه في قبوله المطاء وبيان تحريم السؤال بغير ضرورة وبيان مقدار التقى المحرم للسؤال وبيان أحوال السائلين والله اللوفق للصواب بلطفه وكرمه .

### ( بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأساسه )

اعلم أن الفقر عبارة عن فقد ما هو محتاج إليه إما قدماً لأحاجة إليه فلا يسمى قرواً وإن كان المحتاج إليه موجوداً مقدوراً عليه لم يكن المحتاج فقيراً وإذا فهمت هذا لم تشك في أن كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لأنه محتاج إلى دوام الوجود في ثبات الحال ودوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده فإن كان في الوجود موجود ليس وجوده مستفاداً من غيره فهو التقى للطلق ولا يتصور أن يكون مثل هذا الوجود إلا واحداً فليس في الوجود إلا غنى واحد وكل من عداها فهم محتاجون إليه ليجدوا وجودهم بالدوام وإلى هذا الحصر الإشارة بقوله تعالى - والله التقى وأتم الفقراء - هذا معنى الفقر مطلقاً ولكل السانقصد بيان الفقر للطلق بل الفقر من المال على الخصوص وإلا فقير العبد بالأضافة إلى أصناف حاجاته لا يحصر لأن حاجاته لا تحصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل إليه بالمال وهو التقى يريد الآن بيانه فقط فقول: كل فاقد للمال فانا نسجه فقيراً بالأضافة إلى المال الذي فقده إذا كان ذلك للفقر ومحتاجاً إليه في حقهم يتصور أن يكون له خمسة أحوال عند الفقر ونحن نعيها ونخصص كل حال باسم لتتوصل بالتعريف إلى ذكر أحكامها : الحالة الأولى وهي العليا أن يكون بحيث لو أتاه المال لكرهه وتأذى به وهو بر من أخذه مبغضاً له ومعتزلاً من شرفه وشغله وهو الزهد واسم صاحبه الزاهد . الثانية أن يكون بحيث لا يرغب فيه رغبة فخرج لصوره ولا يكرهه كراهة يتأذى بها وزهد فيه لو أتاه وصاحب هذه الحالة يسمى راضياً . الثالثة أن يكون وجود المال أحب إليه من عدمه لرغبة فيه ولكن لم يبلغ من رغبته أن ينهض لطلبه بل إن أتاه صفواً عفواً أخذه وفرح به وإن افتقر إلى تب في طلبه لم يشغل به وصاحب هذه الحالة نسجه قالوا إذ تقع نفسه بالموجود حتى ترك الطلب مع ما فيها من الرغبة الضعيفة . الرابعة أن يكون تركه الطلب لمعجزه وإلا فهو راغب فيه رغبة لو وجد سبباً لإياديه ولو بالتب لطلبه وأهو مشغول بالطلب وصاحب هذه الحالة نسجه بالخرس . الخامسة أن يكون ماقده من المال مضطراً إليه كالجائع الفاقد للغنى والعارى الفاقد للثوب ويسمى صاحب هذه الحالة المضطراً كيفما كانت رغبته في الطلب إما ضعيفة وإما قوية وقد تنفك هذه الحالة عن الرغبة فهذه خمسة أحوال أعلاها الزهد والاضطرار إن انضم إليه الزهد وتصور ذلك فهو أقصى درجات الزهد كما سيأتى بيانه ووراء هذه الأحوال الخمسة حالة هي أعلى من الزهد وهي أن يستوى عند وجود المال وقده فأن وجدته لم يفرح به ولم يتأذى وإن فقده فكذلك بل حاله كما كان حال عائشة رضي الله تعالى عنها إذ أتاهما مائة ألف درهم من العطاء فأخذتها وفرقتها من يومها فقالت خادمتها ما استطعت فها فرقت اليوم أن تشتري لنا بدمر لما نطهر عليه فقالت لو ذكرتني لعلمت أن هذه حاله لو كانت الدنيا بمخاض في يدي ودموع في عيني لم تخشع إذ هو يرى الأموال في خزائن الله تعالى لا في يد غيره فلا يفرق بين أن تشكون في يده أو في يد غيره وينبغي أن يصحى صاحب هذه الحالة للسخط لأنه غنى عن قدس المال ووجوده جميعاً وليتهم هذا الاسم معنى يشارك اسم التقى للطلق على الله تعالى وعلى كل من كثر ماله من العباد فإن من كثر ماله من العباد وهو يفرح به فهو فقير إلى بقاء المال في يده وإتمامه وغنى عن دخول المال في يده لاعتقائه فهو إذن فقير من وجه وأما هذا الشخص فهو غنى عن دخول المال في يده وعن بقاءه في يده وعن خروجه من يده أيضاً فإنه ليس يتأذى به ليجتاح إلى إخراجه وليس يفرح به ليجتاح إلى بقاءه وليس فاقداً له

حتى سألت الكتاني عن هذه الحكاية . ومن أدبهم تقديم من يعرفون فضله والتوسعة له في المجلس والابتار بالوضع . روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالساً في صفة ضيقة فجاءه قوم من البدرين فلم يجدوا موضعاً يجلسون فيه فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل بدر فجلسوا مشككين فاشتر ذلك عليهم فأزال الله تعالى - وإذا قيل انشروا فانشروا - الآية وحكى أن علي بن بشار الصوفي ورد على أبي عبد الله بن خفيف زائراً فهاشياً فقال له

ليحتاج إلى الدخول في بده قضاء إلى المصوم أميل فهو إلى التقي الذي هو وصف الله تعالى أقرب وإنما قرب البعد من الله تعالى بقرب الصفات لأقرب المكان ولكننا لانسى صاحب هذه الحالة غيابة مستغنيا ليقى التي اصحابنا له التي للطلق عن كل شيء وأما هذا البعد فان استغنى عن المال وجودا أوعدما فلم يستغن عن أشياء أخرى سواء ولم يستغن عن مدد توفيق الله له ليقى استغناؤه الذي زين الله به قلبه فان القلب للتقيد بحب المال رقيق والمستغنى عنه حر والله تعالى هو الذي اعتقه من هذا الرقي فهو محتاج إلى دوام هذا العشق والقلوب متقلبة بين الرقي والحرية في أوقات متقاربة لأنها بين أسبوعين من أصابع الرحمن فذلك لم يكن اسم التي مطلقا عليه مع هذا الكمال بالإجازة. واعلم أن الزهد درجة هي كال الأبرار وصاحب هذه الحالة من الفقر بين فلاحهم صار الزهد في حقه قصصا إذ حسنات الأبرار سيئات للفرسين وهذا لأن الكرامة للدين مشغول بالدين كما أن الأغنياء مشغولون بما هو المشغل بما سوى الله تعالى حجاب عن الله تعالى إذ لا بعد بينك وبين الله تعالى حتى يكون البعد حجابا فاقرب إليك من جبل الوريد وليس هو في مكان حتى تكون السموات والأرض حجابا بينك وبينه فلاحجاب بينك وبينه إلا غفلتك بغيره وغفلتك بنفسك وشهواتك شغل بغيره وأنت لا تزال مشغولا بنفسك وشهواتك نفسك فكذلك لا تزال محجوبا عنه فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله تعالى والمشغول بنفسه نفسه أيضا مشغول عن الله تعالى بكل ماسوى الله مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمشتوق فان التفت قلب العاشق إلى الرقيب وإلى بنفسه واستغفاله وكرهه حضوره فهو في حال اشتغال قلبه بنفسه مصروف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه ولو استغرقه العشق للقل عن غير العشق ولم يلتفت إليه فكما أن النظر إلى غير العشق لحبه عند حضور للمشتوق شرك في العشق ونقص فيه فكذلك النظر إلى غير المحبوب لبضه شرك فيه ونقص ولكن أحدهما أخفى من الآخر بل الكمال في أن لا يلتفت القلب إلى غير المحبوب بضه حبا فانه كما لا يجتمع في القلب حيان في حالة واحدة فلا يجتمع أيضا بضه وحب في حالة واحدة فالمشتوق بنفسه الدنيا غافل عن الله كالمشتغل بحبها إلا أن للمشغول بحبها غافل وهو في غفلة سالك في طريق البعد والمشغول بنفسه غافل وهو في غفلة سالك في طريق القرب إذ يرجى له أن ينتهي حاله إلى أن يزول هذه الغفلة ويتبدل بالشغف والكمال له مرتبة لأن بضه الدنيا معية توصل إلى الله فالحب والبغض كرجلين في طريق الحج مشغولين بركوب الناقة وعلفها ونسيورها ولكن أحدهما مستقبل الكعبة والآخر مستدبرها فهما سبان بالإضافة إلى الحال في أن كل واحد منهما محبوب عن الكعبة ومشغول عنها ولكن حال المستقبل محمود بالإضافة إلى المستدبر إذ يرجى له الوصول إليها وليس محمودا بالإضافة إلى المتكسف في الكعبة لا لزوم لها الذي لا يخرج منها حتى يغتفر إلى الاشتغال بالعبادة في الوصول إليها فلا ينبغي أن نظن أن بضه الدنيا مقصود في عبه بل الدنيا حائق عن الله تعالى ولا وصول إليه إلا بدفع العائق ولذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله من زهد في الدنيا واتصرت عليه فقد استجبل الراحة بل ينبغي أن يشتغل بالآخره فينبى أن سلوك طريق الآخرة وراء الزهد كما أن سلوك طريق الحج وراء دفع التريم العائق عن الحج فاذن قد ظهر أن الزهد في الدنيا أن أريد به عدم الرغبة في وجودها وعدمها فمغاية الكمال وإن أريد به الرغبة في عدمها فهو كال بالإضافة إلى درجة الرضا والتفان والحرص ونقصان بالإضافة إلى درجة الشغف بل الكمال في حق المال أن يستوى عندك المال والماء وكثرة الماء في جوارك لا تؤذيكم بأن تكون على شاطئ البحر ولا قلته تؤذيكم إلا في قدر الضرورة مع أن المال محتاج إليه كما أن الماء محتاج إليه فلا يكون قلبك مشغولا بالفرار عن جوار الماء الكثير ولا يفيض الماء الكثير بل نقول أشرب

أبو عبد الله تقدم فقال  
بأي عذر فقال بأنك  
لقت الجيد وما لقيته  
ومن أدبهم ترك محبة  
من همه شيء من  
فضول الدنيا قال الله  
تعالى - فأعرض عن  
تولي عن ذكرنا ولم يرد  
إلا الحياة الدنيا -  
ومن أدبهم بذلك  
الانصاف للأخوان  
وترك مطالبة الانصاف  
قال أبو عثمان الجري  
حق المحبة أن توسع  
على أخيك من مالك  
ولا تطمع في ما له وتصنفه  
من نفسك ولا تطلب  
منه الانصاف وتكون  
تبعاه ولا تطمع أن  
يكون تبعالك وتشكر  
ما يصل اليك منه  
وتستغل ما يصل اليك

منه بقدر الحاجة وأسقى منه عباد الله بقدر الحاجة ولا أدخل به على أحد فهكذا ينبغي أن يكون المال لأن الحزب والباء واحد في الحاجة وإنما الفرق بينهما في قلة أحدهما وكثرة الآخر وإذ عرفت الله تعالى وتوكلت بتدبيره الذي دربه العالم علمت أن قدر حاجتك من الحزب بأهلك لا محالة مادمت حيا كأيامك قدر حاجتك من الماء على مائتي يان في كتاب التوكل إن شاء الله تعالى، قال أحمد بن أبي الحواري قلت لأبي سنان الداراني قال مالك بن دينار للغير تذهب إلى البيت لخذ الزكاة التي أهديتها لي فإن العدو يوسوس لي أن الالف قد أخذها قال أبو سنان هذا من ضعف قلوب الصوفية قد زاده في الدنيا ما غلبه من أخذها فبين أن كراهية كون الزكاة في بيته الثفات إليها سببه الضعف والنقصان . فان قلت فما بال الأتقياء والأولياء هربوا من المال وتفرقوا منه كل التفرق . فأقول : كما هربوا من الماء على معنى أنهم ما شربوا أكثر من حاجتهم ففروا عما وراءه ولم يعمموا في القرب والروايد يرونهم أنفسهم بل تركوه في الأنهار والآبار والبراري للحتاجين إليه لأنهم كانت قلوبهم مشغولة بغيره وأفضه وقد حملت خزان الأرض إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها (١) إذ كان يستوى عندهم المال والماء والذهب والحجر وما مثل عندهم من امتناع فاما أن ينقل عن خاف أن لو أخذه أن يغدعه المال ويقتد قلبه فيدعوه إلى الشهوات وهذا حال الضعفاء فلا حرم البنفس المال والمهرج منه في حقهم كمال وهذا حكم جميع الخلق لأن كلهم ضعفاء إلا الأتقياء والأولياء وإما أن ينقل عن قوى بلغ السكالات وسكن أظهر القرار والتفارت ولا إلى درجة الضعفاء ليعتدوا به في الترك إذ لو اعتدوا به في الأخذ لاسكوا كما يغفل الرجل العزم بين بدى أولاده من الحيلة لاضفنه عن أخذها ولسكن لعله أنه لو أخذها أخذها أولاده إذا رآها فيه يسكون والسير بسير الضعفاء ضرورة الأتقياء والأولياء والعلاء قد عرفت إذن أن الراتب ست وأعلاها رتبة المستغنى ثم الزاهد ثم الراضى ثم القانع ثم الحريص ، وأما الضطر فيصور في حقه أيضا الزهد والرضا والقناعة ودرجته تختلف بحسب اختلاف هذه الأحوال واسم الفقير يطلق على هذه الحجة أما تسمية المستغنى فقيرا فلا وجه لها بهذا المعنى بل إن سمى فقيرا في معنى آخر وهو معرفته بكونه محتاجا إلى الله تعالى في جميع أموره عامة وفي بقاء استغائه عن المال خاصة فيكون اسم الفقير له كاسم العبد لمن عرف نفسه بالعبودية وأقربها فإنه أحق باسم العبد من العلفين وإن كان اسم العبد عاما للخلق فكذلك اسم الفقير عام ومن عرف نفسه بالفقر إلى الله تعالى فهو أحق باسم الفقير فاسم الفقير مشترك بين هذين للعينين وإذا عرفت هذا لا شتر لك فهمت أن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعوذ بك من الفقر (٢)»

(١) حديث إن خزائن الأرض حمت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أبي بكر وعمر فأخذوها ووضعوها في مواضعها هذا معروف وقد تقدم في آداب العبادة من عبد البخاري تطبيقا مجزوما به من حديث أنس أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمال من البحرين وكان أكثر مال أتى به فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصلاة ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فلما كان يرى أحدا إلا أعطاه ووصله عمر بن محمد البجيرى في صحيحه من هذا الوجه وفي الصحيحين من حديث عمرو بن عوف قدم أبو عبيدة بن مال من البحرين فسمعت الأصابع بتدويمه الحديث ولهما من حديث جابر لوجاءنا مال البحرين أعطيتك هكذا ثلاثا فلم يقدم حتى تولى رسول الله صلى الله عليه وسلم تأمر أبو بكر مناديا فنادى من كان له على رسول الله صلى الله عليه وسلم عدة أودين فلما أتت قلت إن النبي صلى الله عليه وسلم وعدني لثلاثا (٣) حديث أعوذ بك من الفقر تقدم في الأذكار والدعوات .

منك . ومن أديهم في الصعبة لمن الجانب وترك ظهور النفس بالصولة . قال أبو علي الروذباري الصولة على من فوق قمة وعلى من مثلك سوء أدب وعلى من دونك عجز ومن أديهم أن لا يعمرى في كلامهم لو كان كذا لم يكن كذا أوليت كذا كذا وعسى أن يكون كذا فاتهم يرون هذه التدبيرات عليه اعتراضا . ومن أديهم في الصعبة حذر المقارفة والحريص على الملازمة . قيل صحب رجل رجلا ثم أراد المقارفة فاستأذن صاحبه فقال بشرط أن لا تصحب أحدا إلا إذا كان وقتنا وان كان

وقوله عليه السلام « كاد الفقر أن يكون كفرا »<sup>(١)</sup> لا يناقض قوله « أحبني مسكينا و أحبني مسكينا »<sup>(٢)</sup> إذ فقر الضر هو الذي استأذنه والفقر الذي هو الاعتراف بالمسكنة والذلة والافتقار إلى الله تعالى هو الذي سأله في دعائه صلى الله عليه وسلم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسجدة .

( بيان فضيلة الفقر مطلقا )

أما من الآيات فيدل عليه قوله تعالى - للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم - الآية وقال تعالى - للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطعون ضربا في الأرض - ساقى السلام في معرض الدخ ثم قدم وصفهم بالفقر على وصفهم بالهجرة والاحصار وفيه دلالة ظاهرة على مدح الفقر . وأما الأخبار : في مدح الفقر فأكثر من أن نحصى روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه « أي الناس خير فقالوا مؤسرين المال يعطى حق الله في نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس يارسل الله قال فقير يعطى جهده »<sup>(٣)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم لبلال « اللق الله فقيرا ولا تلقه غنيا »<sup>(٤)</sup> وقال عليه السلام « إن الله يحب الفقير التمتفأ بأبا العيال »<sup>(٥)</sup> وفي الخبر المشهور « يدخل فقراء أمي الجنة قبل أغنيائها بخمسةائة عام »<sup>(٦)</sup> وفي حديث آخر « بأربعين خريفا »<sup>(٧)</sup> أي أربعين سنة فيكون للراد به تقدير تقدم الفقير الحرص على التقى الحرص والتقدير بخمسةائة عام تقدير تقدم التقى الزاهد على التقى الراغب وما ذكرناه من اختلاف درجات الفقر يعرفك بالضرورة خلواتنا بين الفقراء وكان الفقير الحرص على درجة من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد إذ هذه نسبة الأربعين إلى خمسمائة ولا تظن أن تقدير رسول الله صلى الله عليه وسلم محرم على لسانه جرافا وبالاتفاق بل لا يستنطق صلى الله عليه وسلم إلا بحقيقة الحق فانه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة »<sup>(٨)</sup> فانه تقدير تحقيق لإحالة ليس في قوة غيره أن يعرف تلك النسبة إلا بتخمين فأما بالتحقيق فلا إذ يعلم أن النبوة عبارة عما يخص به النبي وفارق به غيره وهو يختص بأشياء من الخواص أحدها أنه يعرف حقائق الأمور المتعلقة بالله وصفاته واللائكة والهار الآخرة لا كما يفهم غيره

(١) حديث كاد الفقر أن يكون كفرا تقدم في ذم الحسد (٢) حديث اللهم أحبني مسكينا وأمتي مسكينا الترمذي من حديث أنس وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٣) حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه أي الناس خير فقالوا مؤسرين المال يعطى حق الله من نفسه وماله فقال نعم الرجل هذا وليس به قالوا فمن خير الناس قال فقير يعطى جهده أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف مقتصر على الرفع منه دون سؤاله لأصحابه وسؤالهم له (٤) حديث قال لبلال اللق الله فقيرا ولا تلقه غنيا الحاكم في مسند كتاب علامات أهل التحقيق من حديث بلال ورواه الطبراني من حديث أبي سعيد بلطف مت فقيرا ولا تمت غنيا وكلاما ضعيف (٥) حديث إن الله يحب الفقير التمتفأ بأبا العيال ابن ماجه من حديث عمران ابن حصين وقد تقدم (٦) حديث يدخل فقراء أمي الجنة قبل أغنيائهم بخمسةائة عام الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح وقد تقدم (٧) حديث دخولهم قبلهم بأربعين خريفا مسلم من حديث عبد الله بن عمرو إلا أنه قال فقراء المهاجرين والترمذي من حديث جابر وأنس (٨) حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة البخاري من حديث أبي سعيد ورواه هو ومسلم من حديث أبي هريرة وعبد الله بن الصامت وأنس بلطف رؤيا المؤمن جزء الحديث وقد تقدم .

فوقنا أيضا فلا تصعب  
لأنك صحبتنا أولا فقال  
الرجل زال عن قلبي  
نية المفارقة . ومن  
أدبهم التططف على  
الأصاغر . قيل :  
كان إبراهيم بن  
أدم يعمل في الحصاد  
ويطمع الأصحاب وكانوا  
يجتمعون بالليل وهم  
صيام ورعا كان يتأخر  
في بعض الأيام في العمل  
فقالوا ليلتنا لو أن كل  
فطورنا دونه حتى يعود  
بعد هذا يسرع  
فأفطروا وناموا وفرجع  
إبراهيم فوجدهم نياما  
فقال مساكين لعلمهم  
لم يكن لهم طعام فعمد  
إلى شيء من الدقيق  
فصنعه فأتوا وهو  
ينفخ في النار واضعا

بل مخالفه بكثره للملومات وزيادة اليقين والتحقيق والكشف والثاني أن له في نفسه صفة بها  
تم له الأعمال الخارقة للعادات كما أن لنا صفة بها تم الحركات القرونة بارادتنا واختيارنا وهي القدرة  
وإن كانت القدرة والقدرور جميعا من فضل الله تعالى. والثالث أن له صفة بها يمرر للاسكتوت شاهد من كان  
البصر صفة بها يشارك الأعمى حتى يدرك بها البصريات. والرابع أن له صفة بها يدرك ما سيكون في القريب  
إما في البقطة أو في اللتام إذ بها يطالع الفوح المهنوط فيرى ما فيه من القريب فهذه كالات وصفات يعلم  
ثبوتها للأنبياء ويسلم انقسام كل واحد منها إلى أقسام وربما يمكننا أن نقسمها إلى أربعين وإلى  
خمين وإلى ستين ويمكننا أيضا أن تكلف تصنيفها إلى سنة وأربعين بحيث تقع الرؤيا الصحيحة  
جزءا واحدا من جملة ولكن تعيين طريق واحد من طرق التقنيات الممكنة لا يمكن إلا بظن  
وتخمين فلا ندري تحقيقا أنه الذي أراده رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا وإنما للمعلوم جماع الصفات  
التي بها تم النبوة وأصل انقسامها وذلك لا يرشدنا إلى معرفة علة التقدير فكذلك نعلم أن الفقراء  
لهم درجات كما سبق فأما لم كان هذا الفقير الحريص مثلا على نصف سدس درجة الفقير الزاهد  
حتى لم يبق له التقدم بأكثر من أربعين سنة إلى الجنة واقضى ذلك التقدم بمحاسبة عام فليس  
في قوة البشر غير الأنبياء الوقوف على ذلك إلا بنوع من التخمين ولا وثوق به والقرص التنبيه على  
منهاج التقدير في أمثال هذه الأمور فإن الضعيف الایمان قد يظن أن ذلك يجري من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم على سبيل الاتفاق وحاشا منسوب النبوة عن ذلك. ولترجع إلى نقل الأخبار فقد  
قال صلى الله عليه وسلم أيضا « خير هذه الأمة قراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضفأوها »<sup>(١)</sup> وقال  
صلى الله عليه وسلم « إن لي حرتين التنتين فمن أحبهما فقد أحبني ومن أبضهما فقد أبضني الفقر  
والجهاد »<sup>(٢)</sup> وروى أن جبريل عليه السلام نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد إن الله عز وجل قرأ  
عليك السلام ويقول أحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا <sup>(٣)</sup> وتكون ملكا أينما كنت فأطرق رسول  
الله صلى الله عليه وسلم ساعة ثم قال يا جبريل إن الدنيا دار من لادار له وما لمن لا مال له ولها جمع من  
لا عدل له فقال له جبريل يا محمد نبتك الله بالقول الثابت . وروى أن المسيح صلى الله عليه وسلم مر في  
سباحته رجل نائم ملتف في عباءة فأيقظه وقال يا نائم ثم فاذا كره الله تعالى فقال ما تريد مني ؟ إلى  
قد تركت الدنيا لأهلها فقال له قم إذن يا حبيبي ومر موسى صلى الله عليه وسلم رجل نائم على التراب  
ونحت رأسه لينة ووجهه ولحيته في التراب وهو مئزر بعباءة فقال يا رب عبدك هذا في الدنيا ضائع  
فأوحى الله تعالى إليه يا موسى أما علمت أني إذا نظرت إلى عبد يوجهي كله زويت عنه الدنيا  
كلها وعن ابن رافع أنه قال ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه  
فأرسل إلى رجل من يهودي خير وقال قل له يقول لك محمد أسلفني أو بني ديقا إلى هلال رجب  
قال فأنتبه فقال لا والله إلا برهن فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك فقال أما والله  
إني لأؤمن في أهل السماء أمين في أهل الأرض ولو باعني أو أسلفني لأدبت إليه اذهب بدرمي

عاسنه على التراب فقالوا  
له في ذلك فقال قات  
لبيكم ثم جدوا فظفروا  
فتمتم فقالوا انظروا  
بأى شيء عاملناه  
وبأى شيء عاملنا .  
ومن أدبهم أن لا يقولوا  
عند الدعاء إلى ابن دلم  
وبأى سبب أقال بعض  
العلماء إذا قال الرجل  
لصاحب قم بنا فقال  
للي ابن فلا تصعبه .  
وقال آخر من قال  
لأخيه أعطني من  
مالك فقال كم تريد  
ما قام بحق الإخاء وقد  
قال الشاعر :  
لا يسألون أخام حين  
يندهم  
لثنايات على ما قال برهنا  
ومن أدبهم أن  
لا يشكفوا للاخوان

(١) حديث خير الأمة قراؤها وأسرعها تضجعا في الجنة ضفأوها لم أجده له أصلا (٢) حديث  
إن لي حرتين التنتين الحديث وفيه الفقر والجهاد لم أجده له أصلا (٣) حديث أن جبريل نزل فقال  
إن الله يقرأ عليك السلام ويقول أحب أن أجعل هذه الجبال ذهبا الحديث وفيه إن الدنيا دار  
من لادار له الحديث هذا معلق من حديثين فروى الترمذي من حديث أبي أمامة عرض على ربي  
ليجعل لي بطحاء مكة ذهباً قلت لا يا رب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما الحديث وقال حسن  
ولمحمد من حديث عائشة الدنيا دار من لا دار له الحديث وقد تقدم في ذم الدنيا .

هذا إليه فارهنه فلما خرجت نزلت هذه الآية - ولا تمدن عيذك إلى مامتنها أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا (١) - الآية وهذه الآية تعزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم «الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد القرس (٢)» وقال عليه السلام «من أصبح منكم في جسمه آمناً في سره عنده قوت يومه فكلما حيزت له الدنيا بهذا فيها (٣)» وقال كعب الأحبار «قال الله تعالى لموسى عليه السلام يا موسى إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشمار الصالحين». وقال عطاء الخراساني مرني من الأنبياء بساحل فإذا هو برجل بصطاء حيناً فقال بسم الله وألقى الشبكة فلم يخرج فيها شيء ثم مر بأخر فقال باسم الشيطان وألقى شبكته فخرج فيها من الحبثان ما كان يتقاضى من كثرتها فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يارب ما هذا وقد علمت أن كل ذلك بيدك فقال الله تعالى للدلائكة اكشفوا لعبدي عن منزلتيها فلما رأى ما أعد الله تعالى لهذا من الكرامة ولذلك من الهوان قال رضىت يارب وقال نبينا صلى الله عليه وسلم «اطمعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطمعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء» وفي لفظ آخر «قللت أئب الأغنياء قليل حبسهم الجحيم» وفي حديث آخر «فرأيت أكثر أهل النار النساء قتلن ما شئنهن قتلن شغلن الأحرار الذهب والزعفران (٤)» وقال صلى الله عليه وسلم «تحفة المؤمن في الدنيا الفقر (٥)» وفي الخبر «آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان بن داود عليها السلام لمكان ملكه وآخر أصحابي دخولا الجنة عبد الرحمن بن عوف لأجل غناه (٦)» وفي حديث آخر «رأيت دخل الجنة زحفا (٧)» وقال المسيح صلى الله عليه وسلم بشدة يدخلني الجنة وفي خبر آخر عن أهل البيت رضى الله عنهم أنه صلى الله عليه وسلم قال «إذا أحب الله عبدا ابتلاه فإذا أحب الحب البالغ اقتناه قتل وما اقتناه قال لم يتركه أهل ولا ماله (٨)» وفي الخبر «إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشمار الصالحين وإذا رأيت التني مقبلاً فقل ذنب عجبت عقوبته (٩)» وقال موسى عليه السلام يارب من أحباؤك من خلقك حتى أحبهم لأجلك فقال: كل فقير فقير فيمكن أن يكون الثاني للتوكيد ويمكن أن يراد به الشدة بالضر وقال السبع صلوات الله

(١) حديث أبي رافع ورد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيف فلم يجد عنده ما يصلحه فأرسلني إلى رجل من يهود خيبر الحديث في نزول قوله تعالى - ولا تمدن عيذك إلى مامتنها أزواجاً منهم - الطبراني بسند ضعيف (٢) حديث الفقر أزين بالمؤمن من العذار الحسن على خد القرس الطبراني من حديث هداد بن أوس بسند ضعيف والمعروف أنه من كلام عبد الرحمن بن زياد بن أنعم رواه ابن عدى في الكامل هكذا (٣) حديث من أصبح منكم معافى في جسمه الحديث الترمذي وقد تقدم (٤) حديث اطمعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء الحديث تقدم في آداب التكاح مع الزيادة التي في آخره (٥) حديث تحفة المؤمن في الدنيا الفقر رواه محمد بن خفيف الشيرازي في شرف الفقر وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل بسند لا بأس به ورواه أبو منصور أيضاً فيه من حديث ابن عمر بسند ضعيف جداً (٦) حديث آخر الأنبياء دخولا الجنة سليمان الحديث تقدم وهو في الأوسط للطبراني بإسناد فرد وفيه نكارة (٧) حديث رأيتني عبد الرحمن بن عوف دخل الجنة زحفا تقدم وهو ضعيف (٨) حديث إذا أحب الله عبدا ابتلاه الحديث الطبراني من حديث أبي عتبة الحلواني (٩) حديث إذا رأيت الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشمار الصالحين وإذا رأيت التني مقبلاً فقل ذنب عجبت عقوبته أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية مكحول عن أبي هريرة ولم يسمع منه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام يا موسى فذكره زيادة في أوله ورواه أبو نعيم في الحليقة من قول كعب

قيل لما ورد أبو حفص  
السراقى تكلف له  
الجيب أروا من  
الأطعمة فأكثر ذلك  
أبو حفص وقال صبر  
أصحابي مثل الهانث  
بقدم لهم الألوان  
والقنوة عندنا ترك  
التكلف وإحضار  
ما حضر فإن التكلف  
ربما يؤثر مفارقة  
الضيف وبترك  
التكلف يستوى  
مقامه وذهابه ومن  
أدبهم في الصحبة  
للدائرة وترك الداهنة  
وتشبه السدارة  
بالاهنة والفرق بينهما  
أن للدائرة ما أردت  
به صلاح أخيك  
فدأرت له رجاء صلاحه  
واحتملت منه ما نكره

عليه وسلامه إني لأحب السكينة وأبغض النعامة وكان أحب الأسماء إليه صلوات الله عليه أن يقال له يادسكين ولما قالت سادات العرب وأغنيائهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون إليك ولا يجيئون بك ونجى: إليك ولا يجيئون ينون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الأثرث وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصف من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك وذلك لأنهم شكوا إليه التأذي برائعهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فإذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الأغنياء منهم الأنقرع بن حابس التميمي وعبيدة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجتمعهم وإياهم مجلس واحد فقول عليه قوله تعالى - واسبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم - يعني الفقراء - تريدين الحياة الدنيا - يعني الأغنياء - ولا تطع من أغفل قلبه عن ذكرنا - يعني الأغنياء - وقل الحق من ربكم لمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر <sup>(١)</sup> - الآية . واستأذن ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعندهم رجل من أشرف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأذن الله تعالى - عيسى وتولى أن جاءه الأعمى وما يديرك له يركى أويذكر تفتحه المذكرى - يعني ابن أم مكتوم - أما من استغنى فانت له تصدى <sup>(٢)</sup> - يعني هذا الشريف . وعن النبي ﷺ أنه قال «يؤتى بالبعد يوم القيامة فيمتدح الله تعالى إليه كما يمتدح الرجل للرجل في الدنيا فيقول: وعزى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لخوانك على ولكن لما أعددت لك من السكرام والفضيلة أخرج بإعبدى إلى هذه الصفوف فمن أطعمك في أو كساك في يريد بذلك وجهي فخذ يده فقول لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ يده ويدخله الجنة <sup>(٣)</sup>» وقال عليه السلام «أكثرُوا معرفة الفقراء واغذُوا عندكم الأيادى فإن لهم دولة قالوا بارسول الله ومادولتهم قال إذا كان يوم القيامة قبل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا يده ثم امضوا به إلى الجنة <sup>(٤)</sup>»

الأخبار غير مرفوع بإسناد ضعيف (١) حديث قال سادات البربر وأغنيائهم للنبي صلى الله عليه وسلم اجعل لنا يوما ولهم يوما يجيئون إليك ولا يجيئون بك ونجى: إليك ولا يجيئون ينون بذلك الفقراء مثل بلال وسلمان وصهيب وأبي ذر وخباب بن الأثرث وعمار بن ياسر وأبي هريرة وأصحاب الصف من الفقراء رضي الله عنهم أجمعين فأجابهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى ذلك وذلك لأنهم شكوا إليه التأذي برائعهم وكان لباس القوم الصوف في شدة الحر فإذا عرقوا فاحت الروائح من ثيابهم فاشتد ذلك على الأغنياء منهم الأنقرع بن حابس التميمي وعبيدة بن حصن الفزاري وعباس بن مرداس السلمي وغيرهم فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يجتمعهم وإياهم مجلس واحد فقول عليه قوله تعالى - واسبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم - يعني الفقراء - تريدين الحياة الدنيا - يعني الأغنياء - ولا تطع من أغفل قلبه عن ذكرنا - يعني الأغنياء - وقل الحق من ربكم لمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر <sup>(١)</sup> - الآية . واستأذن ابن أم مكتوم على النبي صلى الله عليه وسلم وعندهم رجل من أشرف قريش فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فأذن الله تعالى - عيسى وتولى أن جاءه الأعمى وما يديرك له يركى أويذكر تفتحه المذكرى - يعني ابن أم مكتوم - أما من استغنى فانت له تصدى <sup>(٢)</sup> - يعني هذا الشريف . وعن النبي ﷺ أنه قال «يؤتى بالبعد يوم القيامة فيمتدح الله تعالى إليه كما يمتدح الرجل للرجل في الدنيا فيقول: وعزى وجلالى ما زويت الدنيا عنك لخوانك على ولكن لما أعددت لك من السكرام والفضيلة أخرج بإعبدى إلى هذه الصفوف فمن أطعمك في أو كساك في يريد بذلك وجهي فخذ يده فقول لك والناس يومئذ قد ألجمهم العرق فيتخلل الصفوف وينظر من فعل ذلك به فيأخذ يده ويدخله الجنة <sup>(٣)</sup>» وقال عليه السلام «أكثرُوا معرفة الفقراء واغذُوا عندكم الأيادى فإن لهم دولة قالوا بارسول الله ومادولتهم قال إذا كان يوم القيامة قبل لهم انظروا من أطعمكم كسرة أو سقاكم شربة أو كساكم ثوبا فخذوا يده ثم امضوا به إلى الجنة <sup>(٤)</sup>»

والداهنة ما قصدت به شيئا من الموى من طلب حظ أو إقامة جاء . ومن أدبهم في الصبر رعاية الاعتدال بسين الاقتباس والاتباع ، قل عن الشافعي رحمه الله أنه قال : الاقتباس عن الناس مكسبة للداوئهم والاتباع إليهم مجلبة لقرناء السوء فكأن بسين التقبض والتبسط . ومن أدبهم ستر عورات الاخوان قال عيسى عليه السلام لأصحابه : كيف تصنعون إذا رأيتم أحاكم نائما فكشف الريح عنه ثوبه قالوا نستره ونغطي فقال بل تكشفون عورته

وقال صلى الله عليه وسلم «دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فظننت فإذا بلال ونظرت في أعلاها فإذا ققراء أمي وأولادهم ونظرت في أسفلها فإذا فيه من الأغنياء والنساء قليل فقلت يارب ما شأنهم قال أما النساء فأضرهن» <sup>(١)</sup> الأسمان الذهب والحرير وأما الأغنياء فاشتغلوا بطول الحساب وتنفدت أصهارهم فلم أر عبد الرحمن بن عوف ثم جاءني بعد ذلك وهو يبكي فقلت ما خلفك عنى قال يا رسول الله والله ما وصلت إليك حتى لقيت للشياطين وظننت أني لأراك ، فقلت ولم ؟ قال كنت أحاسب بمالي <sup>(٢)</sup> فانظر إلى هذا وعبد الرحمن صاحب السابعة العظيمة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو من العشرة المحبوبين بأنهم من أهل الجنة <sup>(٣)</sup> وهو من الأغنياء الذين قال فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «إلا من قال بالمال هكذا وهكذا» <sup>(٤)</sup> ومع هذا فقد استعصر<sup>٥</sup> بالناس إلى هذا الحد «ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل قدير فلم ير له شيئا فقال : لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم» <sup>(٦)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «الآخركم بملوك أهل الجنة قالوا يا رسول الله قال كل ضئيف مستضعف أغبر أشعث ذى طمرين لا يؤبه له لو أنس على الله لأبره» <sup>(٧)</sup> وقال عمران ابن حصين «كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاء فقال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقلت نعم بأني أنت وأمي يا رسول الله فقام وقت معي حتى وقف بياب فاطمة ففرق الباب وقال السلام عليكم آذخل فقالت ادخل يا رسول الله قال أنا ومن معي قالت ومن معك يا رسول الله قال عمران فقالت فاطمة والذى بئسك بالحق نيبا ما لي إلا عيادة قال أصغى بها هكذا وهكذا وأشار بيده فقالت هذا جدي قد واريته فكيف برأسي فألقى إليها ملاء كانت عليه خلقة فقال شدى بها على رأسك ثم أذنت له فدخل فقال السلام عليكم بالبناء كيف أصبحت قالت أصبحت والله وجعة وزادني وجعا على ما لي أني لست أقدر على طعام آكله فقد أضرب الجوع فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لا تجزعى بالبناء فوالله ما ذقت طعاما منذ ثلاث وإني لأكرم على الله منك ولوسألت ربى لأطعمنى ولكنى أثمرت الآخرة على الدنيا ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها أيسرى فوالله إنك لسيدة نساء أهل الجنة قالت فأبى آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران قال آسية سيدة نساء عالمها ومريم سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك إن سكن في بيوت من قصب لا أدى فيها ولا صخب ولا نصب ثم قال لها اقضى بأني عمك

إلى أخيه في الدنيا [١] (١) حديث دخلت الجنة فسمعت حركة أمامي فظننت فإذا بلال ونظرت إلى أعلاها فإذا ققراء أمي وأولادهم الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بنند ضيف نحوه وقصة بلال في الصحيح من طريق آخر (٢) حديث إن عبد الرحمن بن عوف أحد العشرة المحبوبين بأنهم من أهل الجنة أصحاب السنن الأربعة من حديث سعيد بن زيد قال الترمذى حسن صحيح (٣) حديث إلا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا متفق عليه من حديث أبي ذر في أثناء حديث تقدم (٤) حديث دخل على رجل قدير ولم ير له شيئا فقال لو قسم نور هذا على أهل الأرض لوسعهم لم أجده (٥) حديث الآخركم عن ملوك الجنة الحديث متفق عليه من حديث حارثة بن وهب مختصرا ولم يقولوا ملوك وقد تقدم ولابن ماجه بسند جيد من حديث معاذ الآخركم عن ملوك الجنة الحديث دون قوله أغبر أشعث .

[١] قال البرهان الحلبي رأيت عن ابن تيمية أني العباس بخط بعض الفضلاء حديث اغتفوا مع الفقراء أبدا وكذا حديث الفقر فخرى قال كلاهما كذب انتهى وكذا رأيت في كلام له آخر .

فوالله لقد زوجتك سيدا في الدنيا سيدا في الآخرة (١) » وروى عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا أبغض الناس قراءهم وأظهروا عماره الدنيا وتكالبوا على نزع الدرهم رماهم الله بأربع خصال بالقسط من الزمان والجور من السلطان والحيانة من ولادة الأحكام والشوكة من الأعداء (٢) » . وأما الآثار فقد قال أبو المرداء رضي الله عنه: ذوالف درهمين أشد حسبا أو قال أشد حسبا من ذي الدرهم ، وأرسل عمر رضي الله عنه إلى سعيد بن عامر بألف دينار رجاء حزينا كثيرا فقالت امرأته أحدث أمر قال أشد من ذلك ثم قال أرى درعك الخلق فشق وجهه صررا وفرقه ثم قام يسلى ويكي إلى القنطرة ثم قال صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ويدخل قنطرة أمي الجنة قبل الأغنياء بخصامة عام حتى إن الرجل من الأغنياء يدخل في غمارهم فيؤخذ بيده فيخرج (٣) » وقال أبو هريرة : ثلاثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد أن يسئل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه ورجل لم ينصب على مستوق قدرين ورجل دعا بشرا به فلا يقال له أيها تريد وقيل جاء فقبر إلى مجلس الثوري رحمه الله فقال له لخط لو كنت غنيا لما قرنتك ، وكان الأغنياء من أصحابه يودون أنهم قنطرة لكثرة تحريمه للفقراء وإعراضه عن الأغنياء . وقال اللؤلؤ ماريأت القنى أقل منه في مجلس الثوري ولا رأيت الفقير أعز منه في مجلس الثوري رحمه الله . وقال بعض الحكماء : سكن ابن آدم لوخاف من التارك كاخاف من الفقر لتجا منها جميعا ولورغب في الجنة كما يرغب في القنى لغاز بهما جميعا ولوخاف الله في الباطن كما يخاف خلقه في الظاهر لسعدى الدارين جميعا وقال ابن عباس : ملعون من أكرم بالثنى وأهان بالفقر . وقال لقمان عليه السلام لابنه : لا تحقرن أحدا خلقنا ثيابه فان ربك ورب واحد وقال يحيى بن معاذ : حبك للفقراء من أخلاق المرسلين وإيثارك بمجالستهم من علامة الصالحين وفرارك من صحبتهم من علامة اللئاعين ، وفي الاخبار عن الكتب السابقة أن الله تعالى أوحى إلى بعض أنبيائه عليهم السلام : احذر أن أمقنك قد سقط من عني فأصبت الدنيا عليك صبا ، ولقد كانت عائشة رضي الله عنها تفرق مائة ألف درهم في يوم واحد بوجهها إليها معاوية وإن عامر وغيرهما وإن درعها لمرقوع وتقول لها الجارية لو اشتريت لك بدرهم لحا تظفرن عليه وكانت صائمة فقالت لو ذكرتني لقلت ، وكان قد أوصاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال « إن أردت اللحوق بي فليكن ببش الفقراء وإيالك ومجالسة الأغنياء ولا تنزعى درعك حتى ترقبه (٤) » وجاء رجل إلى إبراهيم بن آدم بمشرة آلاف درهم فأبى عليه أن يقبها فألح عليه الرجل فقال له إبراهيم أتريد أن أمحو اسمي من ديوان الفقراء بمشرة آلاف درهم إلا أفضل ذلك أبدا رضي الله عنه .

عن هوا يقول مازال  
بعد الأربعين أخبره  
أن الهوى قد زال  
فاكل وشرب . ومن  
أدبهم أن لا يحوجوا  
صاحبهم إلى الداراة  
ولا يلجئوه إلى الاعتذار  
ولا يشكفوا للصاحب  
ما يشق عليه بل  
يكونوا للصاحب من  
حيث هو مؤثرين مراد  
الصاحب على مراد  
أنفسهم قال علي بن أبي  
طالب كرم الله وجهه  
شر الأصدقاء من  
حوجك إلى مداراة  
أولئك إلى اعتذار  
وتكسفت له . وقال  
جعفر الصادق أفضل  
إخواني علي من  
يشكف لي وأحفظ  
منه وأخفهم على قلبي

- (١) حديث عمران بن حصين كانت لي من رسول الله صلى الله عليه وسلم منزلة وجاءه قال يا عمران إن لك عندنا منزلة وجاها فهل لك في عيادة قاطمة الحديث تقدم (٢) حديث إذا أبغض الناس قراءهم وأظهروا عماره الدنيا الحديث أبو منصور الديلمي بإسناده فيه جملة وهو متكرر (٣) حديث سعيد بن عامر يدخل قنطرة السفين الجنة قبل الأغنياء بخصامة عام الحديث وفي أوله قصة أن عمر بعث إلى سعيد بألف دينار رجاء حزينا كثيرا فقالت امرأته أحدث أمر وفرقها ، وقد روى أحمد في الزهد القصة إلا أنه قال تسعين عاما وفي إسناده يزيد بن أبي زياد تكلم فيه وفي رواية له بأربعين سنة وأما دخولهم قبلهم بخصامة عام فهو عند الترمذي من حديث أبي هريرة وصححه وقد تقدم قبل هذا بورقين .
- (٤) حديث قال لقمان إن أردت اللحوق بي فليكن ببش الفقراء وإيالك ومجالسة الأغنياء الحديث الترمذي وقال غريب والحاكم وصححه نحوه من حديثها وقد تقدم .

بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراضين والقاننين والصادقين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن هدى إلى الاسلام وكان عيشه كفافا وقنع به » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تنظفروا ثواب فقركم والإفلا » (٢) فالأول القانع وهذا الراضى ويكاد يشعر هذا بفهمومه أن الحريص لا ثواب له على فقره ولكن الصومات الواردة في فضل الفقر تدل على أن له ثوابا كما سيأتى تحقيقه قلل المراد بدم الرضا والسكراة قلل الله في حبس الدنيا عنه ورب راغب في المال لا يخطر بقله إنكار على الله تعالى ولا كراهة في ضله فذلك السكراة هي التي تحبط ثواب الفقر ، وروى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إن لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء لصبرهم جلوسه الله تعالى يوم القيامة » (٣) وروى عن طي كرم الله وجهه عن النبي ﷺ أنه قال « أحب العباد إلى الله تعالى الفقير القانع يرزقه الراضى عن الله تعالى » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا » (٥) وقال « ما من أحد غنى ولا فقير إلا أود يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا » (٦) وأوحى الله تعالى إلى إسماعيل عليه السلام اطلبني عند المسكسة فلوهم قال ومن هم قال الفقراء الصادقون وقال صلى الله عليه وسلم « لأحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا » (٧) وقال ﷺ « يقول الله تعالى يوم القيامة ابن صفوتى من خلقى فتقول الملائكة ومن هم بار بافقول فقراء المسلمين القانعون ببطان الراضون بقدرى أدخلهم الجنة فيدخلونها ويأكلون ويشربون والناس في الحساب يترددون » (٨) فهذا في القانع والراضى . وأما الذي أهدفنا ذكر فضله في الشطر الثاني من الكتاب إن شاء الله تعالى . وأما الآثار في الرضا والقناعة فكثير قولنا غنى أن القناعة بضادها الطمع ، وقد قال عمر رضي الله تعالى عنه إن الطمع قهر والياس غنى وإنه من يئس عميا أهدى الناس وقنع استنى عنهم . وقال أبو مسعود رضي الله تعالى عنه ما من يوم إلا أوملك بنادى من تحت العرش يا ابن آدم قليل بكفك خير من كثير يطغبك وقال أبو الترداء رضي الله تعالى عنه ما من أحد إلا وفي عقله نقص وذلك أنه إذا أتته الدنيا بالزيادة ظل فرسا مسرورا والليل والتهارد الثبان في هدم محرمهم لا يحزم ذلك ومع ابن آدم ما ينفع مال يزيدو عمر بن الخطاب وقيل لبعض الحكماء ما لفتى قاله فتعبك ورضا عما يكفك وقيل كان إبراهيم بن آدم من أهل النعم بخراسان فيبناه ويصرف من قصره ذات يوم إذ نظر إلى رجل في فناء القصر وفي يده رغيف يأكله ففأ أكل نام فقال لبعض غلامه إذا قام فحشى به فقام جاء به إليه فقال إبراهيم أيها الرجل أكلت الرغيف وأنت جائع

(١) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به رواه مسلم وقد تقدم (٢) حديث يامعشر الفقراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنى هريرة وهو ضعيف جدا فيه أحمد بن الحسن بن أبان الصيرى منهم بالكذب ووضع الحديث (٣) حديث إن لكل شئ مفتاحا ومفتاح الجنة حب المساكين الحديث للدارقطني في غرائب مالك وأبو بكر بن لال في مقام الأخلاق وابن عدى في الكامل وابن جبان في الضعفاء من حديث ابن عمر . (٤) حديث أحب العباد إلى الله الفقير القانع يرزقه الراضى من الله لم أجده بهذا اللفظ وتقدم عند ابن ماجه حديث إن الله يحب الفقير التمعف (٥) حديث اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا مسلم من حديث أنى هريرة وهو متفق عليه بلفظ قوتا وقد تقدم (٦) حديث ما من أحد غنى ولا فقير إلا أود يوم القيامة أنه كان أوفى قوتا في الدنيا ابن ماجه من حديث أنس وقد تقدم (٧) حديث لا أحد أفضل من الفقير إذا كان راضيا لم أجده بهذا اللفظ (٨) حديث يقول الله يوم القيامة ابن صفوتى من خلقى فتقول الملائكة ومن هم بار بافقول فقراء المسلمين الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس .

من أكون معه كما  
أكون وحدى فكأداب  
الصسجة وحقوق  
الأخوة كثيرة  
والحكايات في ذلك  
يطول قتلها وقد رأيت  
في كتاب الشيخ أبى  
طالب المسكى رحمه الله  
من الحكايات في هذا  
المنى شيئا كثيرا قد  
أودع كتابه كل شئ  
حسن من ذلك وحاصل  
الجميع أن العبد ينبغي له  
أن يكون لمولاه ويريد  
حسب ما يريد لمولاه  
لأنه وإذا صاحب  
شخصا تكون محبته  
إياه لله تعالى وإدماحه  
فه تعالى يجتهد في كل  
شئ يزيد عند الله  
زلفى وكل من قام  
بحقوق الله تعالى يرزقه

قال نعم قال فثبت قال نعم قال ثم تحت طي قال نعم فقال إبراهيم في نفسه فما أصح أنابا للدين والنفس تنفع بهذا القدر وصر رجل بامرئ بن عبد القيس وهو يأكل ملحاً وبقل قال له يا عبد الله أَرْضَيْتَ مِنَ الدُّنْيَا بِهَذَا قَالَ أَلَا أَدْرَكَ عَلَى مَنْ رَضِيَ بَشَرٌ مِنْ هَذَا قَالَ بَلَى قَالَ مَنْ رَضِيَ بِالدُّنْيَا عَوْضًا عَنِ الْآخِرَةِ وَكَانَ مُحَمَّدٌ بْنُ وَاسِعٍ رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ خَرَجَ خَبْرًا يَأْسًا قِيلَ بِالْمَاءِ وَيَأْكُلُهُ بِاللَّحِّ وَيَقُولُ مَنْ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِهَذَا لَمْ يَحْتِجْ إِلَى أَحَدٍ . وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ لَمَنْ اللَّهُ أَقْوَامًا أَقْسَمَ لَهُمْ أَنَّهُ تَعَالَى ثُمَّ لَمْ يَصْدُقْهُمْ ثُمَّ قَرَأَ - وَفِي السَّاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تَوْعَدُونَ فَوَرَبِ السَّاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّمَلِكُ - الْآيَةَ . وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمًا جَالِسًا فِي النَّاسِ فَأَتَتْهُ امْرَأَتُهُ فَقَالَتْ لَهُ أَتَجْلِسُ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَاللَّهِ مَا فِي الْبَيْتِ هُمَةٌ وَلَا سَهْةٌ فَقَالَ يَاعَهْدُ إِن بَيْنَ أَيْدِيْنَا عَقِبَةٌ كَثُودًا لَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا كَلْبٌ خَفْثٌ فَرَجَسَتْ وَهِيَ رَاضِيَةٌ وَقَالَ ذُو النُّونِ رَحِمَهُ اللَّهُ أَقْرَبَ اللَّهُ النَّاسَ إِلَى السَّكْرِ ذَوْفَاقَةَ لِاصْبِرْ لَهُ وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَّامِ مَا مَالُكَ فَقَالَ اتَّجَمَلُ فِي الظَّاهِرِ وَالتَّصَدَّقُ فِي الْبَاطِنِ وَالْيَأْسُ بِمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ وَرَوَى أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ فِي بَعْضِ السُّكُتِ السَّالِفَةِ الثَّلَاةُ يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ كَانَتْ الدُّنْيَا كُلُّهَا لَكَ بِكَ يَكُنْ لَكَ مِنْهَا إِلَّا الْقَوْتُ فَأَنَا أَنَا عَطَيْتُكَ مِنْهَا الْقَوْتُ وَجَلَّتْ حَسَابُهَا عَلَى غَيْرِكَ فَأَنَا عَمَّنْ لَكَ وَقَدْ قِيلَ فِي الْقِنَاعَةِ:

أَضْرَعُ إِلَى اللَّهِ لَا تَضْرَعُ إِلَى النَّاسِ      وَاقْنَعْ يَا سَافِرَ الْعَزْ فِي الْيَأْسِ  
وَاسْتَنْفِ عَنْ كُلِّ ذِي قُرْبَى وَذِي رَحِمٍ      إِنَّ النَّفْسَ مِنَ اسْتَنْفِ عَنْ النَّاسِ

وقد قيل في هذا النسي أيضا :

يا جامعا مانعا والدمع برمقه	مقدرا أي باب منه يفلقه
مفكرا كيف تأتبه منيته	أغاديا أم بها يسرى فطرقة
جمعت ما لا تقتل لعل جمته له	يا جامع المال أيا ما غرقه
للال عندك غمزون لوارمه	ما لللال مالك إلا يوم تنفقه
أرفه يال فني يندو على همة	أن الذي قسم الأرزاق يرزقه
فالعرض منه مصون ما بدنه	والوجه منه جديد ليس يحلقه
إن القناعة من يجلل بساحتها	لم يبق في ظلها هم يؤرقه

بيان فضيلة القفر على النسي

اعلم أن الناس قد اختلفوا في هذا فذهب الجنيب والخواص والأكثرون إلى تفضيل القفر . وقال ابن عطاء النسي الشاكر القائم بحقه أفضل من الفقير الصابر ويقال إن الجنيب دعا على ابن عطاء لمخالفته إياه في هذا فأصابته بحنة وقد ذكرنا ذلك في كتاب الصبر وبيننا أوجه التفاوت بين الصبر والشكر ومهدنا سبيل طلب الفضيلة في الأعمال والأحوال وأن ذلك لا يمكن إلا بتفضيل ، فأما القفر والنسي إذا أخذنا مطلقا لم يسترب من قرأ الأخبار والآثار في تفضيل القفر ولا بد فيه من تفضيل فقوله : إنما يتصور الشك في مقامين : أحدهما فقير صابر ليس يحريص على الطلب بل هو قانع أودراض بالاضافة إلى غنى منفق ماله في الحيرات ليس حريصا على إمساك المال والثاني فقير حريص مع غنى حريص فلا يخفى أن الفقير القانع أفضل من النسي الحريص المسك وأن النسي المنفق ماله في الحيرات أفضل من الفقير الحريص أما الأول فرمجا يظن أن النسي أفضل من الفقير لأنهما تساويا في منصف الحرص على المال والنسي متقرب بالصدقات والحيرات والفقير عاجز عنه وهذا هو الذي ظنه ابن عطاء فبما نحبه ، فأما النسي المتمتع بالمال وإن كان في مباح فلا يتصور أن يفضل على الفقير القانع وقد يشهد له ما روي في الخبر « أن الفقراء شكروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء بالحيرات والصدقات والحج والجهاد فلهذه كلغات في التسبيح وذكر لهم أنهم يبالغون به فوق ما ناله الأغنياء فلم الأغنياء ذلك

الله تعالى علما بمعرفة النفس وعيوبها ويسرفه محاسن الأخلاق ومحاسن الآداب وبوقفه من أداء الحقوق على بصيرة ويفقهه في ذلك كله ولا يفوته شيء مما

يحتاج إليه فيها يرجع إلى حقوق الحق وفيها يرجع إلى حقوق الخلق فكل تقصير يوجد من خبت النفس وعدم تركيتها وبقائه صفاتها عليه فإن صحبت ظلت بالافراط تارة وبالتفريط أخرى وتعدت الواجب فيها يرجع إلى الحق والخلق والحكميات والوعاظ والآداب ومحاها لا يعمل في النفس

فكانوا يقولونه صاد الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال عليه السلام ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء (١) وقد استشهد ابن عطاء أيضا لمسائل عن ذلك فقال الثنى أفضل لأنه وصف الحق أماديله الأول فيه نظر لأن الخير قد ورد مفصلا تفصيلا بل على خلاف ذلك وهو أن ثواب الفقير في التسبيح يزيد على ثواب الثنى وأن فوزهم بذلك الثواب فضل الله يؤتيه من يشاء فقد ورد في زيد بن أسلم عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال «بث الفقراء رسولا إلى رسول الله ﷺ فقال إن رسول الفقراء إليك فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم قوم أحبهم قال قالوا يا رسول الله إن الأغنياء ذهبوا بالخير يحبون ولا تندر عليه ويمشرون ولا تندر عليه وإذا مرضوا يشوا بفضل أموالهم ذخيرة لهم قال النبي صلى الله عليه وسلم بلغ عن الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء أما خصال واحدة فإن في الجنة غرضا ينظر إليها أهل الجنة كما ينظر أهل الأرض إلى نجوم السماء لا يدخلها إلا النبي فقير أو سيده فقير أو مؤمن فقير ، والثانية يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام ، والثالثة إذا قال الثنى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وقال الفقير مثل ذلك لم يلحق الثنى بالفقير ولو أنفق فيها عشرة آلاف درهم وكذلك أعمال البر كلها فرجع إليهم فأخبرهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا رضينا رضينا (٢) فهذا يدل على أن قوله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء أي مزيد ثواب الفقراء على ذكرهم وأما قوله إن الثنى وصف الحق فقد أجابه بعض الشيوخ فقال أترى أن الله تعالى غنى بالأسباب والأعراض فاتقطع ولم ينطق وأجاب آخرون فقالوا إن التكبر من صفات الحق فينبغي أن يكون أفضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على أن الفقر أفضل لأن صفات الصودية أفضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينافع فيها ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا صلى الله عليه وسلم «الكبرياء رداء والعظمة إزارى فمن نازعني واحدا منها قصمت» (٣) وقال سهل حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لأنها من صفات الرب تعالى فمن هذا الجفنى تكلموا في تفضيل الثنى والفقر وحاصل ذلك تعلق بمومات قبل التأويلات وبكلمات قاصرة لا تبعد منافستها إذ كما يناقض قول من فضل الثنى بأنه صفة الحق بالتكبر فكذلك يناقض قول من ذم الثنى لأنه وصف للعبد بالعلم والمعرفة فإنه وصف الرب تعالى والجهل والنفقة وصف العبد وليس لأحد أن يفضل الفلفة على العلم فكشف النطاء عن هذا هو ما ذكرناه في كتاب الصبر وهو أن ما لا يراد له بل يراد لغيره فينبغي أن يضاف إلى مقصوده إذ به يظهر فضله والدنيا ليست محدودة لديها ولكن لكونها عاقبة عن الوصول إلى الله تعالى ولا الفقر مطلوبوا له لكونه فيه قد العائق عن الله تعالى وعدم الشاغل عنه وكمن غنى لم يشغله الثنى عن الله عز وجل مثل سليمان عليه السلام وعثمان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما وكمن فقير شغله الفقر وصرفه عن القصد وفاته القصد في الدنيا

- (١) حديث شكا الفقراء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبق الأغنياء بالحيرات والصدقات الحديث وفي آخره فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء متفق عليه من حديث أبي هريرة نحوه
- (٢) حديث زيد بن أسلم عن أنس بث الفقراء إلى رسول الله ﷺ رسولاً إلى الأغنياء ذهبوا بالجنة يحبون ولا تندر عليه الحديث وفيه بلغ عن الفقراء أن لمن صبر واحتسب منكم ثلاث خصال ليست للأغنياء الحديث لم أجده هكذا بهذا السياق والمعروف في هذا المعنى ما رواه ابن ماجه من حديث ابن عمر اشكى قراء الهاجر بن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فضل الله به عليهم أغنياءهم قال يا بشر الفقراء ألا أشركم أن قراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم خمسمائة عام وإسناده ضعيف (٣) حديث قال الله تعالى الكبرياء رداءى والعظمة إزارى تخدم في العلم وغيره.

زيادة تأثير ويكون  
كبر قلب فيه للقاء  
من فوقه فلا يكتف فيه  
ولا يتمتع به وإذا  
أخذت بالتقوى والزهدة  
في الدنيا نبع منها ماء  
الحياة وتنقمت وعلت  
وأدت الحقوق وقامت  
بواجب الآداب  
بتوفيق الله سبحانه  
وتعالى .

[ الباب السادس  
والمحسون في معرفة  
الانسان نفسه  
ومكاشفات الصوفية  
من ذلك ]

حدثنا شيخنا أبو  
التجيب السهروردي  
قال أنا الشريف نور  
الهدى أبو طالب الزيني  
قال أنا كريمة للرواية  
قالت أخبرنا أبو الهيثم

هو حب الله تعالى والأنس به ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته وسلوك سبيل للرفقة مع الشواغل غير ممكن والفقر قد يكون من الشواغل كما أن الثنى قد يكون من الشواغل وإنما الشاغل على التحقيق حب الدنيا إذ لا يجتمع معه حب الله في القلب والحب للثنى مشغول به سواء كان في فراقه أو في وصاله وربما يكون شغله في الفراق أكثر وربما يكون شغله في الوصال أكثر والدنيا مشوقة للفاصلين المحرومين منها مشغول بطلبها والتأدر عليها مشغول بحفظها والتجسس بها فاذن إن فرضت فارغين عن حب المال بحيث صار المال في حقهما كالماء استوى الفاقد والواجد إذ كل واحد غير متمتع لا يقدر الحاجة ووجود قدر الحاجة أفضل من فقده إذ الجائع يسلك سبيل الموت لا سبيل للرفقة وإن أخذت الأمر باعتبار الأكبر فالفقير عن الخطر أبعد إذ فتنة السراء أخذت من فتنة الضراء ومن الصمة أن لا يقدر ولذلك قال الصحابة رضي الله عنهم علينا فتنة الضراء فصبونا وعلينا فتنة السراء فلم نصبر وهذه خلقة الآدميين كلهم إلا الشاذ القل الذي لا يوجد في الأعصار الكبيرة إلا نادرا ولما كان خطاب الشرع مع الكل لامع ذلك التأدر والضراء أصلح للكل دون ذلك التأدر زجر الشرع عن الثنى وزمه وفضل الفقر ومدحه حتى قال السبيح عليه السلام : لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن بريق أموالهم ينهب بنور إيمانكم . وقال بعض العلماء : قلب الأموال بمسح حلالة الإيمان وفي الخبر « إن لكل أمة مجلا ومجمل هذه الأمة الدينار والدرهم <sup>(١)</sup> » وكان أصل مجمل قوم موسى من حلية الذهب والفضة أيضا واستواء المال والياء والذهب والحجر إنما يتصور للأنبياء عليهم السلام والأولياء ثم يتم لهم ذلك بعد فضل الله تعالى بطول المجاهدة إذ كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : يا صغراء غري الدنيا « إليك غي <sup>(٢)</sup> » إذ كانت تمثل له بزينة ما كان على كرم الله وجهه يقول : يا صغراء غري غري وبأبيضاء غري غري وذلك لاستثماره في نفسه ظهور مبادئ الاغترار بها لولأن رأى برهان ربه وذلك هو الثنى المطلق إذ قال عليه الصلاة والسلام « ليس الثنى عن كثرة العرض إنما الثنى غنى النفس <sup>(٣)</sup> » وإذا كان ذلك بعيدا فاذن الأصلح لكافة الخلق قد لئال وإن تصدقوا به وصرفوه إلى الخيرات لأنهم لا ينشكون في القدرة على المال عن أنس بالدنيا وتمتع بالقدرة عليها واستثمار راحة في بذلها وكل ذلك يورث الأنس بهذا العالم ويقدر ما بأنس البديهة يستوجبش من الآخرة ويقدر ما بأنس بصفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من القوم من جهة ومهما انشطت أسباب الأنس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها والقلب إذا تجافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمنا بالله انصرف لامحالة إلى الله إذ لا يتصور قلب فارغ وليس في الوجود إلا الله تعالى وغيره فمن أقبل على غيره قد تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره ويكون إقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر ومثلها مثل الشرق والغرب فانها مجتبان فالتقرب بينهما بقدر ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر فبين حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى فبينى أن يكون مطمح نظر العارف قلبه في عزوه عن الدنيا وأنه بها فاذن فضل الفقير والثنى بحسب تعلق قلبهما بالمال قطع فان تساوى فيه تساوت درجتهما إلا أن هذا مزية قدم وموضع غرور فان الثنى ربما يظن أنه منقطع القلب

(١) حديث لكل أمة مجمل ومجمل هذه الأمة الدينار والدرهم أبو منصور الديلمي من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من حديث حذيفة بإسناد فيه جهالة (٢) حديث كان يقول الدنيا إليك غي الحديث الحاكم مع اختلاف وقد تقدم (٣) حديث ليس الثنى عن كثرة العرض الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

التكتم به في قال أخبرنا أبو عبد الله القريري قال أنا أبو عبد الله البخاري قال ثنا عمر ابن حفص قال ثنا أبي قال ثنا الأعمش قال ثنا زيد بن وهب قال ثنا عبد الله قال ثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق للصدوق قال « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقه مثل ذلك ثم يكون مضغته مثل ذلك ثم يبعث الله تعالى إليه ملكا بأربع كلمات فيكتب عمله وأجله وورثته وشق أمه سعيد ثم ينفع فيه الروح وإن الرجل ليعمل بعمل

عن السال ويكون حبه دفيناً في باطنه وهو لا يشعر به وإنما يشعر به إذا قدّمه فليجرب نفسه بفقره أو إذا سرق منه فإن وجد قلبه إليه التفاتاً فليعلم أنه كان مغروراً فكيف من رجل باع سريته له لظنه أنه منقطع القلب عنها بعد لزوم البيع وتسليم الجارية اشتتلت من قلبه النار التي كانت مستكنة فيه فحقق إذن أنه كان مغروراً وأن العشق كان مستكناً في القواد استكناً التار تحت الرماح وهذا حال كل الأغنياء إلا الأتبياء والأولياء وإذا كان ذلك محالاً أو بعيداً فلتطلق القول بأن الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل لأن علاقة الفقر وأمنه بالدنيا أضنف ويقدّر ضنف علاقته بضائف ثواب تسبيحاته وعباداته فإن حركات اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الأنس بالذكور ولا يكون تأثيرها في إثارة الأنس في قلب فارغ من غير المذكور كتأثيرها في قلب مشغول وذلك قال بعض السلف مثل من تميد وهو في طلب الدنيا مثل من يطيق النار بالحلفاء ومثل من يضل يده من الغمر بالسلك . وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله تعالى : نفس قدير دون شهوة لا يقدر عليها أفضل من عبادة غنى ألف عام . وعن الضحاك قال من دخل السوق فرأى شيئاً يشتره فصرّ واحتسب كان خيراً له من ألف دينار ينفقها كلها في سبيل الله تعالى . وقال رجل لبشر بن الحرث رحمه الله : ادع الله لي فقد أسرف في المال فقال إذا قال لك عيالك ليس عندنا دقيق ولا خبز فادع الله لي في ذلك الوقت فإن دعاءك أفضل من دعائي وكان يقول مثل التي السجد مثل روضة على مزبلة ومثل القمير السجد مثل عقد الجوهر في جيد الحساء وقد كانوا يكرهون سماع علم العرفق من الأغنياء ، وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : اللهم إني أسألك الدل عند النصف من نفسى والزه في جاوز الكفاف وإذا كان مثل الصديق رضي الله عنه في كمال حاله يحذر من الدنيا ووجودها فكيف يشك في أن قد المال أصلح من وجوده هذا مع أن أحسن أحوال التي أن يأخذ حلالاً وينفق طيباً ومع ذلك فيطول حسابه في عرصات القيامة ويطول انتظاره ومن نون الحساب قد عذب ولهذا تأخر عبد الرحمن بن عوف عن الجنة إذ كان مشغولاً بالحساب كما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهذا قال أبو الدرداء رضي الله عنه ما أحب أن لي حاثوناً على باب المسجد ولا تخطئني فيه صلاة وذكر وأربع كل يوم خمسين ديناراً وأصدق بها في سبيل الله تعالى قيل وما تكره قال سوء الحساب ولذلك قال سفیان رحمه الله اختار الفقراء ثلاثة أشياء واختار الأغنياء ثلاثة أشياء اختار الفقراء راحة النفس و فراغ القلب وخفة الحساب واختار الأغنياء تعب النفس وشغل القلب وشدّة الحساب وما ذكره ابن عطاء من أن التي وصف الحق فهو بذلك أفضل فهو صحيح ولكن إذا كان البعد غنياً عن وجود السال وعدمه جميعاً بأن يستوى عنده كلاهما فاما إذا كان غنياً بوجوده ومفقراً إلى مقامه فلا يضاهي غناه غنى الذي لأن الله تعالى غنى بذاته لا بما يتصور زواله والمال يتصور زواله بأن يسرق وما ذكر من الردّ عليه بأن الله ليس غنياً بالأعراض والأنساب صحيح في ذم غنى بقاء المال وما ذكر من أن صفات الحق لا تليق بالبعد غير صحيح بل العلم من صفاته وهو أفضل شيء للبعد بل منتهى البعد أن يتخلق بأخلاق الله تعالى وقد سمعت بعض المشايخ يقول إن سالك الطريق إلى الله تعالى قبل أن يقطع الطريق نصير الأسماء التسعة والتسعون أوصافاً له أي يكون له من كل واحد نصيب وأما التكبر فلا يليق بالبعد فإن التكبر على من لا يستحق التكبر عليه ليس من صفات الله تعالى وأما التكبر على من يستحقه كتكبر المؤمن على الكافر وتكبر العالم على الجاهل والطبيب على الداعي فيليق به ، نعم قد براد بالتكبر الزهو والصلف والإيذاء وليس ذلك من وصف الله تعالى وإنما وصف الله تعالى أنه أكبر من كل شيء وأنه يعلم أنه كذلك والبيد ما مور

أهل النار حتى ما يكون  
بينه وبينها إلا ذراع  
فيسبق عليه الكتاب  
فيعمل بعمل أهل الجنة  
فيدخل الجنة وإن  
الرجل يعمل بعمل  
أهل الجنة حتى  
ما يكون بينه وبينها  
إلا ذراع فيسبق عليه  
الكتاب فيعمل بعمل  
أهل النار فيدخل النار  
وقال تعالى - ولقد  
خلقنا الإنسان من  
سلالة من طين ثم جعلناه  
نطفة في قرار مكين -  
أي حرّز لا استقرارها  
فيه إلى بلوغ أمدها ثم  
قال بعد ذكر قلبها تسنم  
أنشأناه خلقاً آخر - قيل  
هذا الانشاء نفع الروم  
فيه . واعلم أن الكلام  
في الروح صعب الرام

به بأنه يطلب أعلى الراتب إن قدر عليه ولكن بالاستحقاق كما هو حقه لا بالباطل والتليس فلي  
 البعد أن يعلم أن المؤمن أكبر من الكافر والطبع أكبر من العاصي والعالم أكبر من الجاهل والانس  
 أكبر من البهيمة والجماد والنبات وأقرب إلى الله تعالى منها فهو رأى نفسه بهذه الصفة رؤى متحففة  
 لاشك فيها لكانت صفة التكبر حاصلة له ولا تامة به وقضية في حقه إلا أنه لا سبيل له إلى معرفته فان ذلك  
 موقوف على الحاتمة وليس يدرى الحاتمة كيف تكون وكيف تنقضي فليعلمه بذلك وجب أن لا يعتقد  
 نفسه رتبة فوق رتبة الكافر إذ ربما يغتم للكافر بالإيمان وقد يغتم له بالكفر فربما يكن ذلك لاثابه  
 لتصور علمه عن معرفة العاقبة ولما تصور أن يعلم الشيء على ما هو به كان العلم كالا في حقه لأنه من  
 صفات الله تعالى ولما كانت معرفة بعض الأشياء قد نضرة صار ذلك العلم قصصا في حقه إذ ليس  
 من أوصاف الله تعالى علم يضمره فمعرفة الأمور التي لا تضر فيها هي التي تصور في البعد من صفات  
 الله تعالى فلا جرم هو منتهى القضية وبه فضل الأنبياء والأولياء والعلماء فاذن لو استوى عند وجود  
 السال وعدمه فهذا نوع من التقي يضاهي بوجه من الوجوه التقي الذي يوصف به الله سبحانه فهو  
 فضيلة ما لا يقي بوجوده للمال فلا فضيلة فيه أصلا فهذا بيان نسبة حال الفقير القانع إلى حال التقي الشاكر .  
 [ المقام الثاني في نسبة حال الفقير الحريص إلى حال التقي الحريص ] ولنفرض هذا في شخص واحد  
 هو طالب للمال وساع فيه وفاقد له ثم وجده فله حالة الفقد وحالة الوجود فأى حالتيه أفضل فنقول:  
 ننظر فان كان مطلوبه ما لا بد منه في العيشة وكان قصده أن يسلك سبيل الدين ويستعين به عليه  
 لحال الوجود أفضل لأن الفقر يشغله بالطلب وطالب الثوث لا يقدر على الفكر والتذكر إلا بقدره مدخوله  
 يشغل والكنفي هو القادر ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « اللهم اجعل قوت آل محمد كقوت كفاف » وقال « كاد  
 الفقر أن يكون كفرا » أي الفقر مع الاضطرار فيما لا بد منه وإن كان المطلوب فوق الحاجة وكان  
 المطلوب قدر الحاجة ولكن لم يكن القصد الاستعانة به على سلوك سبيل الدين لحالة الفقر أفضل وأصلح  
 لأنها استوى في الحرص وخب المال واستوى في أن كل واحد منهما ليس يقصد به الاستعانة على طريق  
 الدين واستوى في أن كل واحد منهما ليس يتعرض لمصيبة بسبب الفقر والتقي ولكن افترقا في أن الواجد  
 يأني بما يوجد فيتأكد به في قلبه ويطمئن إلى الدنيا والقائد اضطرر بنجاح قلبه عن الدنيا وتكون  
 الدنيا عندك السجن الذي ينفي الخلاص منه ومهما استوت الأمور كلها وخرج من الدنيا رجلان أحدهما  
 أشد ركونا إلى الدنيا لحاله أشد لاحتاجة إذ بلغت قلبه إلى الدنيا ويستوحش من الآخرة بقدر تأكد  
 أنه بالدنيا وقد قال عليه السلام « إن روح القدس ثقت في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة (١) »  
 وهذا تنبيه على أن فراق المحبوب شديد فينبغي أن تحب من لا يفارقك وهو الله تعالى ولا تحب ما يفارقك وهو  
 الدنيا فانك إذا أحببت الدنيا كرهت لقاء الله تعالى فيكون قدومك بالموت على ما تكرهه وفراقك لما  
 تحبه وكل من فارق محبوبا فيكون إذا فارقته بقدر حبه وقد أنه به وأنس الواجد له الدنيا القادر عليها أكثر  
 من أنس القائد لها وإن كان حرصا عليها فاذن قد انكشف بهذا التحقيق أن الفقر هو الأثرف والأفضل  
 والأصلح لكافة الخلق إلا في موضعين أحدهما غنى مثل غنى عائشة رضي الله عنها يستوى عند الوجود  
 والمعدم فيكون الوجود مزيدا له إذ يستفيد به أدعية الفقراء والمساكين وجمع همهم والثاني الفقر عن  
 مقدار الضرورة فان ذلك يكاد أن يكون كفرا ولا خيرة في بوجه من الوجوه إلا إذا كان وجوده يقي حياته  
 ثم يستعين بقوته بحياته على الكفر والمعاصي ولومات جوعا لكانت مصابه أقل فالأصلح له أن يموت  
 جوعا ولا يجد ما يضطر إليه أيضا فلهذا نصيب القول في التقي والفقر وبق النظر في قدر حرص متكالب على

والامساك عن ذلك  
 سبيل ذوى الأحلام وقد  
 عظم الله تعالى شأن  
 الروح وأسجل على  
 الخلق بقية العلم حيث  
 قال - وما أوتيت من  
 العلم إلا قليلا - وقد  
 أخبرنا الله تعالى في كلامه  
 عن إكرامه بنى آدم  
 فقالوا لقد كرمتنا بنى  
 آدم - وروى « أنه لما  
 خلق الله تعالى آدم  
 وذريته قالت الملائكة  
 يا رب خلقتهم ياكلون  
 وشربون وينكحون  
 فأجل لهم الدنيا ولنا  
 الآخرة فقال وعزى  
 وجلالى لأجل ذرية  
 من خلقت يدي كمن  
 قلت له كن فكان « فع  
 هذه الكرامات واختاره  
 سبحانه وتعالى ليأمر على

(١) حديث إن روح القدس ثقت في روعي أحب من أحببت فانك مفارقة تقدم .

طلب المال ليس له ثم سواه وفي غنى دونه في الحرس على حفظ المال ولم يكن تفجعه بفقد المال لوقته كتفجع الفقير بقفره فهذا في محل النظر والأظهر أن بعدها عن الله تعالى بقدر قوة تفجعهما لتفقد المال وقربهما بقدر ضعف تفجعهما بفقد العلم عند الله تعالى فيه .

### ( بيان آداب الفقير في قفره )

اعلم أن الفقير آداباً في باطنه وظاهره وعالمه وأفعاله ينبغي أن يراعيها فأما آداب باطنه فإن لا يكون فيه كراهية لما ابتلاه الله تعالى به من الفقر أعني أنه لا يكون كارهاً فعل الله تعالى من حيث إنه فعله وإن كان كارهاً للفقر كالحجوم يكون كارهاً للحجامة لتألمها ولا يكون كارهاً فعل الحجامة ولا كارهاً للحجامة بل ربما يتقصد منه منة فهذا أقل درجاته وهو واجب وقبحه حرام ومحيط ثواب الفقر وهو معنى قوله عليه السلام «يا معشر الفقراء أعطوا الله الزمان فلو كنتم تظفرون أثواب فقركم وإفلاؤه وأرفع من هذا أن لا يكون كارهاً للفقر بل يكون راضياً به وأرفع منه أن يكون طالباً له وفرحاً به لعله ينوائل الفنى ويكون متوكلاً في باطنه على الله تعالى وإتقاه في قدر ضرورته أنه يأتيه لاحالة ويكون كارهاً للزيادة على الكفاف وقد قال على كرم الله وجهه : إن لله تعالى عقوبات بالفقر ومثوبات بالفقر فمن علامات الفقر إذا كان مثوبة أن يحسن عليه خلقه ويطيع به ولا يشكو حاله ويشكر الله تعالى على فقره ، ومن علاماته إذا كان عقوبة أن يسوء عليه خلقه ويسعى به بترك طاعته ويكثر الشكاية ويتسخط القضاء وهذا يدل على أن كل فقير قليل بمحمود بل المحمود الذي لا يتخطى ويرضى بالفقر ويرضى لعله بشمرته إذ قيل ما أعطى عبد شيئاً من الدنيا إلا قيل له خذ به على ثلاثة أثلاث : شغل وهم وطول حساب . وأما آداب ظاهره فإن يظهر التصف والتجمل ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستر فقره ويستره بستره ففي الحديث «إن الله تعالى يحب الفقير المتصف بالأعمال» وقال تعالى «يحبهم الجاهل الأغنياء من التصف» وقال سفيان أفضل الأعمال التجمل عند الحاجة وقال بعضهم ستر الفقر من كذا والبر . وأما أعماله فأدبه أن لا يتواضع لفنى لأجل غناه بل يشكر عليه قال على كرم الله وجهه ما أحسن تواضع الفنى للفقير رغبة في ثواب الله تعالى وأحسن منه تبه الفقير على الفنى قمة بالله عز وجل فهدى رتبة وأقل منها أن لا يحاطل الأغنياء ولا يرغب في مجالستهم لأن ذلك من مبادئ الماطم . قال الثوري رحمه الله إذا خالط الفقير الأغنياء فاعلم أنه مراد وإذا خالط الساطن فاعلم أنه لى . وقال بعض العارفين إذا خالط الفقير الأغنياء انحلت هروته فإذا طمع فيهم انشطت عصته فإذا سكن إليهم مثل وينبئ أن لا يسكت عن ذكر الحق مداينة للأغنياء وطمعا في العطاء وأما أدبه في أفعاله فإن لا يفتربسبب الفقر عن عيادته ولا يمنع بذل قلبه ما يغضل عنه فإن ذلك جهد القل وفضله أكثر من أموال كثيرة تبذل عن ظهر غنى . روى زيد بن أسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف درهم قيل وكيف ذلك يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف درهم فتصدق بها وأخرج رجل درهما من درهمين لا يملك غيرها طيبة به نفسه ضار صاحب الدرهم أفضل من صاحب المائة ألف»<sup>(١)</sup> وينبغي أن لا يدخر مالا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي في الادخار ثلاث درجات إحداها أن لا يدخر إلا ليوومه وليته وهي درجة الصديقين والثانية أن يدخر لأربعين يوماً فإن مازاد عليه داخل في طول الأمل وقد فهم العلماء ذلك من مبادئ الله تعالى لموسى عليه السلام ففهم منه الرخصة

(١) حديث زيد بن أسلم درهم من الصدقة أفضل عند الله من مائة ألف قيل وكيف يا رسول الله قال أخرج رجل من عرض ماله مائة ألف الحديث الثاني من حديث أبي هريرة متصلاً وقد تقدم في الزكاة ولا أصل له من رواية زيد بن أسلم مرسل .

اللائكة لما أخبر عن الروح أخبر عنهم بقلة العلم وقال - ويستلوثك عن الروح قل الروح من أمر ربى - الآية قال ابن عباس قالت اليهود لئننى عليه السلام أخبرنا ما الروح وكيف تعذب الروح التى فى الجسد وإنما الروح من أمر الله ولم يكن نزل إليه فيه شيء فلم يحجم فأنه جبرائيل بهنم الآية وحيث أمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإخبار عن الروح وماهية باذن الله تعالى ووجه وهو صلوات الله عليه معدن العلم وينبوع الحكمة فكيف يسوغ لتبهر

في أمل الحياة أربعين يوما وهذه درجة للتقين والثالثة أن يدخر لسته وهي أقصى للراتب وهي رزية الصالحين ومن زاد في الادخار على هذا فهو واقع في غمار العموم خارج عن حيز الخصوص بالكيفية فحق الصالح الضعيف في طمأنينة قلبه في قوت سنته وغنى الخصوص في أربعين يوما وغنى خصوص المحصوص في يوم وليلة وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم لفساده على مثل هذه الأقسام فبعضهم كان يعطيها قوت سنة عند حصول ما يحصل وبعضهم قوت أربعين يوما وبعضهم يوما وليلة وهو قسم عائشة وحفصة .

( بيان آداب الفقير في قبول العطاء إذا جاءه بغير سؤال )

ينبغي أن يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة أمور : نفس اللال وغرض المعطي وغرضه في الأخذ أما نفس اللال فينبغي أن يكون خللا خاليا عن الشبهات كلها فإن كان فيه شبهة فليحترز من أخذه وقد ذكرنا في كتاب الحلال والحرام درجات الشبهة وما يجب اجتنابه وما يستحب وأما غرض المعطي فلا غرض إلا أن يكون غرضه تطيب قلبه وطلب محبته وهو الهدية أو الثواب وهو الصدقة والزكاة أو الذكر والرياء والسمة إما على التجرد وإما بمزجها ببقية الأغراض أما الأول وهو الهدية فلا بأس بقبولها فإن قبولها سنة رسول الله ﷺ (١) ولكن ينبغي أن لا يكون فيها منة فإن كان فيها منة فلا أولى تركها فإن علم أن بعضها مما تنظم فيه الله قلبه والبعض دون البعض قد أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ممن وأقط وكبش قبل السمن والأقط ورد الكبش (٢) وكان صلى الله عليه وسلم يقبل من بعض الناس ويرد على بعض (٣) وقال «لقد هممت أن لأتبه لإمن قرشي أو أنصاري أو أدوسي» (٤) وفعل هذا جماعة من التابعين وجاءت إلى فتح للوصلي صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «من أتاه رزق من غير مسألة فرده فأنما يرد على الله» (٥) ثم فتح الصرة فأخذ منها درهما ورد سائرهما وكان الحسن يروي هذا الحديث أيضا ولكن حمل إليه رجل كيسا ووزمة من رقيق ثياب نخراسان فرد ذلك وقال من جلس مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا فلي الله عز وجل يوم القيامة وليس له خلق وهذا يدل على أن أمر العالم والواعظ أشد في قبول العطاء

(١) حديث إن قبول الهدية سنة تقدم أنه صلى الله عليه وسلم كان يقبل الهدية (٢) حديث أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم ممن وأقط وكبش قبل السمن والأقط ورد الكبش أحمد في أسماء حديث لم يلى بن مرة وأهدت إليه كبشين وشيئا من سمن وأقط فقال النبي صلى الله عليه وسلم خذ الأقط والسمن وأحد الكبشين ورد عليها الآخر وإسناده جيد وقال وكيع مرة عن يلى بن مرة عن أبيه (٣) حديث كان يقبل من بعض الناس ويرد على بعض أبو داود والترمذي من حديث أبي هريرة وإيم الله لأقبل بعد يومى هذا من أحد هدية إلا أن يصحكون مهاجريا الحديث فيه محمد بن إسحق ورواه بالنعنة (٤) حديث لقد هممت أن لأتبه لإمن قرشي أو أنصاري أو أدوسي الترمذي من حديث أبي هريرة وقال روى من غير وجه عن أبي هريرة قلت ورجاله ثقات (٥) حديث عطاء مرسل من أنه رزق من غير وسيلة فرده فأنما يرد على الله عز وجل لم أجده مرسل هكذا ولأحمد وأبي يلى والطبراني بإسناد جيد من حديث خالد بن عدى الجهني من بلغه معروف من أخيه من غير مسألة ولا إشراف نفس فليقبله ولا يردعه فأنما هو رزق ساقه الله عز وجل إليه ولأحمد وأبي داود الطيالسي من حديث أبي هريرة من أتاه الله من هذا اللال شيئا من غير أن يسأله فليقبله وفي الصحيحين من حديث عمر مائة من هذا اللال وأنت غير مشرف ولا سائل فغله الحديث .

الحوض فيه والاشارة إليه لاجرم لما تناقض أقصى الانسانية للتطملة إلى الفضول للتشوفة إلى المعقول التحركة بوضعها إلى كل ما أمره بالسكون فيه والتسوية بحرصها إلى كل تحقيق وكل تحويه وأطلقت عنان النظر في مساح الفكر وخاضت غمرات معرفة ماهية الروح تاهت في التيه وتنوع آراؤها فيه ولم يوجد الاختلاف بين أرباب النقل والمفصل في شيء كالاختلاف في ماهية الروح ولو فرضت النفوس حدها متفرقة ببعضها كان ذلك أجدر بها

وقد كان الحسن يقبل من أصحابه ، وكان إبراهيم التيمي يسأل من أصحابه الدرهم والدرهمين ونحوه  
وبمرض عليه غيرهم الذين فلا يأخذها ، وكان بعضهم إذا أعطاه صدقة شيئا يقول أتركه عندك  
وانظر إن كنت بعد قبوله في قلبك أفضل ، فيقبل القبول فأخبرني حتى أخذته وإفلا ، وأمارة هذا  
أن يشق عليه الرد لو رده ويفرح بالقبول ويرى الله على نفسه في قبول صدقة حديثه ، فإن علم  
أنه بمأزجه منه فأخذه مباح ولا يكره عند الفقراء الصادقين . وقال بشر : ما سألت أحدا قط  
شيئا إلا سرى السقطي لأنه قد صبح عندي زهده في الدنيا فهو يفرح بغروج الشيء من يده ويترحم  
يقالعه عنده فأكون عوناً له على ما يحب ، وجاء خراساني إلى الجليل رحمه الله تعالى وسأله أن يأكله  
فقال أفرقه على الفقراء ، قال ما أريد هذا . قال ومتى أعيش حتى آكل هذا قال ما أريد أن تنفقه  
في الخيل والبغال بل في الحلوات والطيات قبل ذلك منه ، فقال الخراساني مأجود في بقداد أمن على  
منك ، قال الجليل ولا ينبغي أن يقبل إلا من مثلك . الثاني أن يكون للثواب المبرد وذلك صدقة  
أو زكاة فعليه أن ينظر في صفات نفسه هل هو مستحق للزكاة فإن اشتبه عليه فهو محل شبهة وقد  
ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب أسرار الزكاة وإن كانت صدقة وكان يطميه لدينه فينظر إلى باطله ،  
فإن كان مقارفا لمصلحة في السر يعلم أن العطى لو علم ذلك لنفر طبعه ولما تقرب إلى الله بالصديق  
عليه فهذا حرام أخذه كما لو أعطاه لظنه أنه عالم أو علوي ولم يكن فإن أخذه حرام محض لاشبهة  
فيه . الثالث أن يكون غرضه السمعة والرياء والشهرة فينبغي أن يرد عليه قصد الفاسد ولا يقبله ،  
إذ يكون معينا له على غرضه الفاسد . وكان سفيان الثوري يرد ما يعطى ، ويقول : لو علت أهم  
لا بد كرون ذلك اختاراً به لأخذت ، وعوقب بعضهم في رد ما كان يأتيه من صلة ، فقال إنما أريد  
صلتهم إشفاة عليهم ونصحا لهم لأنهم يذكرون ذلك ويحجون أن يعلم به فتذهب أموالهم وتحبط  
أجورهم . وأما غرضه في الأخذ فينبغي أن ينظر أهو محتاج إليه فيما لا بد منه أو هو مستغن عنه  
فإن كان محتاجاً إليه وقد سلم من الشبهة والآفات التي ذكرناها في العطى فالأفضل له الأخذ . قال النبي  
صلى الله عليه وسلم « ما للعطى من سعة بأعظم أجراً من الأخذ إذا كان محتاجاً » (١) وقال صلى الله  
عليه وسلم « من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فأنما هو رزق ساقه الله  
إليه » (٢) وفي لفظ آخر « فلا يرد » . وقال بعض العلماء : من أعطى ولم يأخذ سأل ولم يسطوقد  
كان سرى السقطي يوصل إلى أحمد بن حنبل رحمه الله عليهما شيئا فرده مرة ، فقال له السري :  
يا أحمد احذر آفة الرد فإنها أشد من آفة الأخذ ، فقال له أحمد أعد على ما قلت فأعاده ، فقال أحمد  
ماردود عليك إلا لأن عندي قوت شهر فأحبني في عندك فإذا كان بعد شهر فأعنه إلى ، وقد  
قال بعض العلماء يخاف في الرد مع الحاجة عقوبة من ابتلاء بطمع أو دخول في شبهة أو غيره . فأما  
إذا كان مأثماً زالداً على حاجته فلا غلو إما أن يكون حاله الاشتغال بنفسه والتكفل بأمور الفقراء  
والإغناق عليهم لما في طبعه من الفرق والدخاء ، فإن كان مشغولاً بنفسه فلا وجه لأخذه وإمساكه  
إن كان طالباً طريق الآخرة فإن ذلك محض اتباع الهوى وكل عمل ليس فيه فهو في سبيل الشيطان  
أوداع إليه ، ومن حار حول الحمى يوشك أن يقع فيه ، ثم له مقامان : أحدهما أن يأخذ في العلانية

(١) حديث ما للعطى من سعة بأعظم أجراً من الأخذ إذا كان محتاجاً للطيراني من حديث ابن عمر  
وقد تقدم في الزكاة (٢) حديث من أتاه شيء من هذا المال من غير مسألة ولا استشراف فأنما هو  
رزق ساقه الله إليه ، وفي لفظ آخر فلا يرد قدما قبل هذا حديث .

وأولى فأما أقول  
من ليس متمسكاً  
بالشرائع فتزعم  
الكتاب عن ذكرها  
لأنها أقوال أبرتها  
المعقول التي منلت  
عن الرشاد وطبعت  
على الفساد ولم يصبها  
نور الهدى ويرك  
متابعة الأنبياء فهم كما  
قال الله تعالى - كانت  
أعينهم في غطاء عن  
ذكرى وكانوا  
لا يستطيعون سمعاً - .  
وقالوا قلوبنا في  
أكنة مما تدعونا  
إليه وفي آذاننا وقر  
ومن بيننا وبينك  
حجاب - فلما حبسوا  
عن الأنبياء لم يسمعوا  
وحيث لم يسمعوا لم  
يهدوا فأصروا على

وردد في السر أو يأخذ في العلانية ويفرق في السر ، وهذا مقام الصديقين وهو شاق على النفس لا يطيقه إلا من اطعمت نفسه بالرياضة . والثاني أن يترك ولا يأخذ ليصرفه صاحبه إلى من هو أحوج منه أو يأخذ ويوصل إلى من هو أحوج منه فيفعل كلبها في السر أو كلبها في العلانية ، وقد ذكرنا جل الفضل إظهار الأخذ أو إخفاؤه في كتاب أسرار الزكاة مع جملة من أحكام الفقر فليطلب من موضعه . وأما امتناع أحمد بن حنبل عن قبول عطاء سرى السقطي رحمه الله فأنما كان لاستنائه عنه إذا كان عنده قوت شهر ولم يرض لنفسه أن يشتغل بأخذه وصرفه إلى غيره فإن في ذلك آفات وأخطارا والورع يكون حذرا من مظان الآفات إذ لم يأمن ميكدة الشيطان على نفسه . وقال بعض المجاورين بمكة كانت عندي دراهم أعدتها للإعطاء في سبيل الله فسمعت فقيرا قد فرغ من طوافه وهو يقول بصوت خفي أما جالس كما ترى عريان كما ترى لها ترى فيما ترى يأمن يرى ولا يرى فظنرت فإذا عليهما خفان لاستكاد ثوابه قلت في نفسي لأجد دراهمي موضعا أحسن من هذا حملتها إليه فظنرت إليها ثم أخذ منها خمسة دراهم وقال : أريته ثمن مؤثرين ودرهم أخفه ثلاثا فلا حاجة لي إلى الباقي فزده . قال فرأيتة الليلة الثانية وعليه مؤثران جديدان فبحس في نفسي منه شيء فالتفت إلى فأخذ بيدي فأطافني معه أسبوعا كل شوط منها على جوهر من معادن الأرض يتخذني تحت أفدامنا إلى الكعبين : منها ذهب وفضة وياقوت ولؤلؤ وجوهر ولم يظهر ذلك للناس ، فقال هذا كله قد أعطانيه فزهدت فيه وأخذ من أيدي الخلق لأن هذه أهمل وقتة وذلك للعباد فيه رحمة ونعمة ، وللقصود من هذا أن الزيادة على قدر الحاجة إنما تأتينا ابتلاء وقتة لينظر الله إليك ماذا تعمل فيه وقدر الحاجة بأتيك رقا بك ، فلا تقفل عن الفرق بين الرفق والابتلاء . قال الله تعالى - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - وقد قال صلى الله عليه وسلم « لا حق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم عليه ، وثوب يوارى عورته ، وبית يكتنه ، فما زاد فهو حساب <sup>(١)</sup> » فإذا أنت في أخذ قدر الحاجة من هذه الثلاث مثاب وفيما زاد عليه إن لم تنص الله تعرض للحساب ، وإن عصيت الله فأنت معرض للعقاب ، ومن الاختيار أيضا أن تعزم على ترك قدر من اللذات تقربا إلى الله تعالى وكبرا لصفة النفس فتأنيبك عفوا صفوا لتتحن بها قوة عقلك ، فالأولى الامتناع عنها فإن النفس إذا رخص لها في قرض العزم ألقت قرض الدهم وعادت لعادتها ولا يمكن قهرها فرد ذلك مهم وهو الزهد ، فإن أخذه وصرفته إلى محتاج فهو غاية الزهد ، ولا يقدر عليه إلا الصديقون . وأما إذا كانت حالك السخاء والبذل والتكفل بمحقوق الفقراء وتعهده جماعة من الصلحاء فخذ ما زاد على حاجتك فانه غير زائد على حاجة الفقراء ، وبإدبه به إلى الصرف إليهم ولا تدخره فإن إسراكه ولو ليلة واحدة فيه فتنة واختبار فربما يغلو على قلبك فتسكنه فيكون فتنة عليك . وقد تصدى لحدمة الفقراء جماعة اتخذوها وسيلة إلى التوسع في المال والتعم في اللطم والشرب وذلك هو الهلاك . ومن كان غرضه الرفق وطلب الثواب به فله أن يستقرض على حسن الظن بالله لاطي أعباد السلاطين الظلمة فإن رزقه الله ممن حلال قضاوا من مات قبل القضاء قضاء الله تعالى عنه وأرضى غرماءه وذلك بشرط أن يكون مكشوف الحال عند من يقرضه فلا يفر للقرض ولا يجذبه بالمواعيد بل يكشف حاله عنده ليقدم على إقرضه على بصيرة ودين مثل هذا الرجل واجب أن يقضى من مال بيت المال ودين الزكاة وقد قال تعالى

(١) حديث لاحق لابن آدم إلا في ثلاث : طعام يقيم عليه ، وثوب يوارى عورته ، وبית يكتنه فما زاد فهو حساب الترمذي من حديث عثمان بن عفان وقال وجلف الحبز والماء بدل قوله طعام يقيم عليه وقال صحيح .

الجهالات وخجبوا بالمقول عن المأمول والمقل حجة الله تعالى يهدي به قوما ويضل به قوما آخرين فلم تنقل أنوالهم في الروح واختلافهم فيه . وأما المستعصمون بالشرايع الذين تكلموا في الروح قعود منهم بطريق الاستبدلال والنظر وقوم منهم بلسان الدوق والوجد لا باستعمال الفكر حتى نكلم في ذلك مشايخ الصوفية أيضا وكان الأولى الإمساك عن ذلك والتأدب بأدب النبي عليه الصلاة والسلام . وقد قال الجنيد : الروح شيء استأثر الله بعله ولا

- ومن قدر عليه رزقه فليتق بما آتاه الله - قبل معناه لبيع أحد ثوبيه وقبل معناه فليستقرض  
بحاجه تلك مما آتاه الله . وقال بعضهم إن الله تعالى عبادا يتفقون على قدر بضائعهم وفيه عباد يتفقون  
على قدر حسن الخلق بالله تعالى . ومات بعضهم فأوصى بماله ثلاث طوائف الأقوياء والأغنياء والأغنياء  
قبل من هؤلاء ؟ قال أما الأقوياء فهم أهل التوكل على الله تعالى وأما الأغنياء فهم أهل حسن الخلق بالله  
تعالى وأما الأغنياء فهم أهل الاعتدال إلى الله تعالى فاذن معهما وجدت هذه الشروط فيوفي بالدوق  
المعطى فليأخذ ويبنى أن يرى ما يأخذ من الله لامن المعطى لأن للمطى واسطة قد سخر لقطاء وهو  
مضطر إليه بما سطر عليه من البدواي والإرادات والاعتقادات . وقد حكى أن بعض الناس دعا شقيقا  
في خمسين من أصحابه فوضع الرجل مائة حسنة فلما صدق لاصحابه إن هذا الرجل يقول من لم يرى  
صنت هذا الطعام وقدمت قطعاً على حرام قضاوا كلهم وخرجوا إلا عاباً منهم كان دونه في الدرجة  
قال صاحب اللؤلؤ لشقيق ما قصدت بهذا قال أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم . وقال موسى  
عليه السلام : يا رب جلت رزقي هكذا على أيدي بني إسرائيل يدينني هذا يوماً ويدينني هذا ليلة  
فأوصى الله تعالى إليه هكذا أصنع بأوليائي أجرى أرزاقهم على أيدي البطالين من عبادي ليؤجروا  
فيهم فلا يبنيني أن يرى المعطى لامن حيث إنه سخر ما أجور من الله تعالى نساء الله حسن التوفيق لما يريد .

( بيان تحريم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير للضرر فيه )

اعلم أنه قد وردت مناه كثيرة في السؤال وتشديدات وورد في بعضها يدل على الرخصة إذا قال صلى الله عليه  
وسلم ( للسائل حق ولو جاءه من فرس <sup>(١)</sup> ) وفي الحديث ( وردوا البائل ولو يظلف محرق <sup>(٢)</sup> ) ولو كان  
السؤال حراماً مطلقاً لما جاز إعانة للتمدى على عدوانه والاعطاء إعانة فالكشف لقطاء فيه أن السؤال  
حرام في الأصل وإنما يباح بضرورة أو حاجة مهمة قرية من الضرورة فإن كان غنيابته فهو حرام  
وإنما قلنا إن الأصل فيه التحريم لأنه لا يفتك عن ثلاثة أمور محرمة : الأول إظهار الشكوى من الله  
تعالى إذ السؤال إظهار للفقير وذكر للصور نعمة الله تعالى عموه وعين الشكوى وكان أن العبد للملوك  
لوسأل لكن سؤاله تشبهاً على سيده فكذلك سؤال العباد تشبهاً على الله تعالى وهذا ينبغي أن  
يحرم ولا يجل إلا للضرورة كما تحل لليلة . الثاني أن فيه إذلال السائل نفسه قبل الله تعالى وليس  
للمؤمن أن يذل نفسه لتبر الله بل عليه أن يذل نفسه لمولاه فإن فيه عزه . فأما سائر الخلق فاتهم  
عباد أمثاله فلا يبنيني أن يذل لهم إلا للضرورة وفي السؤال ذل للسائل بالإضافة إلى السؤال . الثالث  
أنه لا يفتك عن إيداء للسؤال غالباً لأنه ربما لا تسمح نفسه بالبدل عن طيب قلب منه فإن يذل  
حياء من السائل أو رياء فهو حرام على الآخذ وإن منع ربما استعيا وتأذى في نفسه بالمتع إذ  
يرى نفسه في صورة البخل في البذل نقصان ماله وفي اللع نقصان جاهه وكلاماً مؤذيان والسائل  
هو السبب في الإيداء والإيداء حرام إلا للضرورة ومهما فهمت هذه التحذورات الثلاث قد فهمت قوله

(١) حديث للسائل حق وإن جاءه من فرس أبو داود من حديث الحسين بن علي ومن حديث علي  
وفي الأول يمل بن أبي يحيى جهه أبو حاتم وروقه ابن حبان وفي الثاني شيخ لم يسمه وسكت عليها  
أبو داود وما ذكره ابن الصلاح في علوم الحديث أنه يفتك عن أحمد بن حنبل قال أربعة أحاديث  
تدور في الأسواق ليس لها أصل منها للسائل حق الحديث فانه لا يصح عن أحمد قد أخرج حديث  
الحسين بن علي في مسنده (٢) حديث ردوا السائل ولو يظلف محرق أبو داود والترمذي وقال  
حسن صحيح والنسائي واللفظ له من حديث أم مجيد . وقال ابن عبد البر حديث مضطرب .

تجاوز العبارة عنه  
بأكثر من موجود  
ولكن نجعل للصادقين  
محملاً لأقوالهم وأفعالهم  
ويجوز أن يكون  
كلامهم في ذلك بمثابة  
التأويل لكلام  
الله تعالى والآيات  
القرآنية حيث حرم  
تفسيره وجوز تأويله  
إذ لا يسع القول في  
التفسير إلا نقل وأما  
التأويل فحتم  
القول إليه بالابع  
الطويل وهو ذكر  
ما تحتل الآية من  
اللعن من غير القطع  
بذلك وإذا كان الأمر  
كذلك فللقول فيه  
وجهه ومحل . قال  
أبو عبد الله النجاشي  
الروح جسم يلطف

صلى الله عليه وسلم «مسألة الناس من القواش ما أحل من القواش غيرها»<sup>(١)</sup> فانظر كيف سبها فاحشة ولا يغني أن القاحشة إنما تباح للضرورة كما يباح شرب الخمران غص بلقمة وهو لا يجد غيره. وقال صلى الله عليه وسلم «ومن سأل عن غنى فأنما يستكثر من جمر جهنم»<sup>(٢)</sup> «ومن سأل وله ما يفي به ما جاء يوم القيامة ووجهه عظيم يتقفع وليس عليه لحم» وفي لفظ آخر «كانت مسأله خدوشا وكدوحا في وجهه»<sup>(٣)</sup> وهذه الألقاظ صريحة في التحريم والتشديد «وباع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشتراط عليهم السمع والطاعة ثم قال لهم كلمة خفيفة : ولا تسألوا الناس شيئا»<sup>(٤)</sup> وكان صلى الله عليه وسلم يأمر كثيرا بالتعفف عن السؤال ويقول «من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا»<sup>(٥)</sup> وقال عليه السلام «استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير قالوا ومنك يا رسول الله قال ومنى»<sup>(٦)</sup> ومع عمر رضي الله عنه سائلا يسأل بيد القرب فقال الواحد من قومه عث الرجل فشاه ثم صممه ثانيا يسأل فقال ألم أقل لك عث الرجل قال قد عشتني فظهر عمر فإذا عثت يده محلاة بمووءة خبز فقال لست سائلا ولكنك تاجر ثم أخذوا الخلاوة وشراها بين يدي إلى الصدقة وضربه بالبردة وقال لا تعد ولولا أن سؤاله كان حراما لما ضربته ولا أخذت محملته ولعل الفقيه الضيف الله الضيق الحوصلة يستبعد هذا من فعل عمر ويقول أما ضربته فهو تأديب وقد ورد الشرع بالتزوير وأما أخذه ماله فهو مصادرة والشرع لم يرد بالعقوبة بأخذ المال فكيف استجاز وهو واستبعد مصادره التصور في القصة فإن يظهر قته الفقهاء كلهم في حصوله عمر بن الخطاب رضي الله عنه وإطلاعه على أسرار دين الله ومصالح عباده أفترى أنه لم يعلم أن المصادرة ماله غير جائزة أو علم ذلك ولكن أقدم عليه غضبا في مصيبة الله وحاشاه أو أراد الزجر بالمصلحة بنير طريق شرعها نبي الله وهبات فان ذلك أيضا مصيبة بل الفقه القوي لاح له فيه أنه رأى مستغنيا عن السؤال وعلم أن من أعطاه شيئا فأنما أعطاه على اعتقاده أنه محتاج وقد كان كاذبا فلم يدخل في ملكه بأخذه مع التلبس وعسر تمييز ذلك ورده إلى أصحابه إذ لا يعرف أصحابه بأعيانهم فحق مال الله لا مال له فوجب صرفه إلى الصالح وإلبي الصدقة وعلفها من الصالح وينزل أخذ السائل مع إظهار الحاجة كاذبا كأنه لا يولي بولي إلى علوى وهو كاذب فإنه لا يملك ما يأخذه وأخذ الصوفى الصالح الذي يعطى لمصلحة وهو في الباطن مقارف لمصلحة لوعرفها لعلها تعطى لما أعطاه وقد

عن الحسن وبكر  
عن الحسن ولا يجبر  
عنه بأكثر من  
موجود وهو وإن منع  
عن العبارة فقد حكم  
بأنه جسم فكأنه عبر  
عنه . وقال ابن عطاء  
خلق الله الأرواح قبل  
الأجساد لقوله تعالى  
«ولقد خلقناكم - يعني  
الأرواح - ثم صورناكم -  
يعنى الأجساد . وقال  
بعضهم الروح لطيف  
قائم في حكيث  
كالبرجوه لطيف  
قائم في كفيث وفي هذا  
القول نظر وقال  
بعضهم الروح عبارة  
والقائم بالأشياء هو  
الحق وهذا فيه نظر  
أيضا لأن يحمل على  
معنى الإحياء فقد قال

(١) حديث مسألة الناس من القواش وما أحل الله من القواش غيرها لم أجده إلا أصلا (٢) حديث من سأل عن غنى فأنما يستكثر من جمر جهنم الحديث أبو داود وابن حبان من حديث سهل بن الحنفلية مقتصر على ما ذكرته وتقدم في الزكاة ولمسلم من حديث أبي هريرة عن يسأل الناس أموالهم تكثر وأفانما يسأل جبرا الحديث وللبرائى والطيبرائى من حديث مسعود بن عمر ولا يزال العبد يسأل وهو غنى حتى يخلق وجهه وفي إسناده لين وللشيخين من حديث ابن عمر ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس على وجهه مزرعة لحم وإسناده جيد (٣) حديث من سأل وله ما يفي به ما جاء يوم القيامة ووجهه عظيم يتقفع وليس عليه لحم (٤) حديث باع رسول الله صلى الله عليه وسلم قوما على الاسلام فاشتراط عليهم السمع والطاعة ثم قال كلمة خفيفة ولا تسألوا الناس شيئا مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي (٥) حديث من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله ومن لم يسألنا فهو أحب إلينا ابن أبي الدنيا في القناعة والحرث بن أبي أسامة في مسنده من حديث أبي سعيد الخدري وفيه حسن بن هلال لم أر من تكلم فيه وباقيهم ثقات (٦) حديث استغنوا عن الناس وما قل من السؤال فهو خير الحديث البراء والطيبرائى من حديث ابن عباس استغنوا عن الناس ولو شويش السواك وإسناده صحيح وله في حديث فتغنوا ولو عزم الحطب وفيه من لم يسم وليس فيه وما قل من السؤال الخ .

ذكرنا في مواضع أن ما أخذوه على هذا الوجه لا يعلو كونه وهو حرام عليهم ويجب عليهم الرد إلى مالكه فاستدل بفعل عمر رضي الله عنه على صحة هذا النفي الذي ينفل عنه كثير من الفقهاء وقد قررناه في مواضع ولا تستدل بفعلك عن هذا التفقه على بطلان فعل عمر فإذا عرفت أن السؤال يباح لضرورة فاعلم أن الشيء إما أن يكون مضطرا إليه أو محتاجا إليه حاجة مهمة أو حاجة خفيفة أو مستغنى عنه ، فهذه أربعة أحوال . أما الضطر إليه فهو سؤال الجائع عند خوفه على نفسه موتا أو مرضا وسؤال العاري وبدنه مكشوف ليس معه ما يواريه وهو مباح مهما وجدت بقية الشروط في السئول بكونه مباحا والسئول منه بكونه راضيا في الباطن وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب فإن القادر على الكسب وهو بطلال ليس له السؤال إلا إذا استغرق طلب العلم أوقاته وكل من له خط فهو قادر على الكسب بالوراقة . وأما المستغنى فهو الذي يطلب شيئا وعنده مثله وأمثاله فسؤاله حرام قطعا وهذا من طرفان واضعان وأما المحتاج حاجة مهمة فكالمرضى الذي يحتاج إلى دواء ليس يظهر خوفه لو لم يستعمله ولكن لا يخلو عن خوف وكن له جنة لا قبض تحتها في الشتاء وهو يتأذى بالبرد تأذي لا يتيسر إلى حد الضرورة وكذلك من يسأل لأجل الكراء وهو قادر على الشيء بمشقة ، فهذا أيضا ينبغي أن تسترسل عليه الإباحة لأنها أيضا حاجة محقة ولكن الصبر عنه أولى وهو بالسؤال تارك للأولى ولا يسمى سؤاله مكروها مهما صدق في السؤال وقال ليس تحت جبتي قميص والبرد يؤذي أذى أطيعه ولكن يشق عليّ فإذا صدق فصدقه بكون كفارة لسؤاله إن شاء الله تعالى . وأما الحاجة الخفيفة فتسأل سؤاله قريبا إليه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الحرق من ثيابه عن أعين الناس وكن يسأل لأجل الأدم وهو واحد والخبز وكن يسأل الكراء لقرى الطريق وهو واحد كراء الحمار أو يسأل كراء المحمل وهو قادر على الراحة فهذا ونحوه إن كان فيه تلبس حال مظهر حاجة غير هذه فهو حرام وإن لم يكن وكان فيه شيء من المهنذورات الثلاثة من الشكوى والذل وإيذاء السئول فهو حرام لأن مثل هذه الحاجة لا تملح لأن تباح بها هذه المهنذورات وإن لم يكن فيها شيء من ذلك فهو مباح مع الكراهة . فإن قلت فكيف يمكن إخلاء السؤال عن هذه المهنذورات . فاعلم أن الشكوى تدفع بأن يظهر الشكر والاستثناء عن الحلق ولا يسأل سؤال محتاج ولكن يقول أنا مستغن بما أملكه ولكن تطالبني روعة النفس بوب فوق ثيابي وهو فضلة عن الحاجة وفضل من النفس فيخرج به عن حد الشكوى . وأما الذل فإن يسأل أباه أو قريه أو صديقه الذي يعلم أنه لا ينقصه ذلك في عبته ولا يزدريه بسبب سؤاله والرجل السخي الذي قد أعد ما له لئلا هذه السكارم فيخرج بوجود مثله ويتخذ منه منة فيقبله فيستطع عند الذل بذلك فإن الذل لازم لفئة لاهعالة . وأما الإيذاء فببيل الخلاص عنه أن لا يبين شخصا بالسؤال بينه بل يلقى الكلام عرضا بحيث لا يقدم على البذل إلا متبرع بصدق الرغبة وإن كان في القوم شخص مرموق لو لم يبذل لكان يلام بهذا إيذاه فانه ربما يبذل كرها خوفا من اللامة ويكون الأحب إليه في الباطن الخلاص لو قدر عليه من غير اللامة . وأما إذا كان يسأل شخصا معينا فينبغي أن لا يصرح بل يعرض تعرضا يبق له سبيلا إلى التغافل إن أراد فإذا ما يتغافل مع القدرة عليه فذلك لغرضه وأنه غير متأذبه وينبغي أن يسأل من لا يستجيب منه لورده أو يخافه عنه فإن الحياة من السائل يؤدي كأن الرياء مع غير السائل يؤدي . فإن قلت فإذا أخذ مع العلم بأن باعث السئول هو الحياة منه أو من الحاضرين ولو لا ما ابتدأ به فهل هو حلال أو شبهة . فأقول ذلك حرام محض لا خلاف فيه بين الأمة وحكمه حكم أخذ مال الغير بالضرب والصادرة إذ لا فرق بين أن يضرب ظاهر جلده بسياط الخشب أو يضرب باطن قلبه بسوط الحياة وخوف اللام وضرب الباطن أشد نكابة في قلوب العقلاء .

بعضهم الإحياء صفة  
الهي كالخلق صفة  
الحال والقل الروح  
من أمرى - وأمره  
كلامه وكلامه ليس  
مخلوق أى صار إلى  
حيا بقوله كن حيا  
وعلى هذا لا يكون  
الروح معنى في الجسد  
فمن الأقوال ما يدل  
على أن قائله يقتضيه قدم  
الروح ومن الأقوال  
ما يدل على أنه يقتضيه  
حدوته ثم إن الناس  
مخلفون في الروح الذي  
سئل رسول الله صلى  
الله عليه وسلم عنه  
فقال قوم هو جبرائيل  
وتدل عن أمير المؤمنين  
على أن طالب رضى  
الله عنه أنه قال هو  
ملك من الملائكة هـ

ولا يجوز أن يقال هو في الظاهر قدرضى به وقد قال صلى الله عليه وسلم « إنما أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر »<sup>(١)</sup> فإن هذه ضرورة القضاة في فصل الخصومات إذ لا يمكن ردهم إلى البواطن وقرآن الأحوال فاضطروا إلى الحكم بظاهر القول باللسان مع أنه ترجمان كثير الكذب ولكن الضرورة دعت إليه وهذا سؤال عما بين البد وبين الله تعالى والحكم فيه أحكم الحاكمين والقلوب عنده كالألسنة عند سائر الحكماء فلا تنظر في مثل هذا إلا إلى قلبك وإن أقنوك وأقنوك فإن التقى مع القاضي والسلطان ليحكموا في عالم الشهادة ومضى القلوب هم علماء الآخرة وبغواهم النجاة من سطوة سلطان الآخرة كأن يفتوى الفقيه النجاة من سطوة سلطان الدنيا فإذا ما أخذه مع السكراة لا يملكه بينه وبين الله تعالى ويجب عليه ردة إلى صاحبه فإن كان يستحي من أن يسترده ولم يسترده فليد أن يشبه على ذلك بما يساوى قيمته في معرض الهفوة والقبالة ليتقضى عن مهنته فإن لم يقبل هديته فليد أن يرد ذلك إلى ورثته فإن تلف في يده فهو مضمون عليه بينه وبين الله تعالى وهو عاص بالتصرف فيه وبالسؤال الذي حصل به الأذى . فإن قلت فهذا أمر باطن يسر الامتلاء عليه فكيف السبيل إلى الخلاص منها فرجاً يظن السائل أمراض ولا يكون هو في الباطن راضياً . فأقول لهذا نكثون السؤال رأساً فإنا كنا بأخذون من أحد شيئاً أصلاً فكان بشر لا يأخذ من أحد أصلاً إلا من السرى رحمة الله عليهما وقال لأنى علمت أنه يفرح بخروج السال من يده فأنا أعينه على ما يجب وإنما عظم التكبر في السؤال وتأكد الأمر بالتعفف لهذا لأن الأذى إنما يحل بضرورة وهو أن يكون السائل مشرفاً على الهلاك ولم يبق له سبيل إلى الخلاص ولم يجد من يعطيه من غير كراهة وأذى فيباح له ذلك كما يباح له أكل لحم الخنزير وأكل لحم البنية فكان الامتناع طريق الوردتين ومن أرباب القلوب من كان وانما يصير تعفى الاطلاع على قرآن الأحوال فكانوا يأخذون من بعض الناس دون البعض ومنهم من كان لا يأخذ إلا من أصدقائه ومنهم من كان يأخذ مما يطمى بيضا ويرد بيضا كما فعل رسول الله ﷺ في الكبش والسمن والأقط وكان هذا فيما يأتيهم من غير سؤال فإن ذلك لا يكون إلا عن رغبة ولكن قد تكون رغبته طمعا في جاه أو طلبا للرياء أو السمعة فكانوا يحترزون من ذلك فأما السؤال فقد امتنعوا عن رأساً إلى موضعين أحدهما الضرورة قد سأل ثلاثة من الأنبياء في موضع الضرورة سليمان وموسى والخضر عليهم السلام ولأشك في أنهم ما سألوا إلا من علو أنه يرغب في إعطائهم . والثاني السؤال من الأصدقاء والأخوان فقد كانوا يأخذون ما لهم بغير سؤال واستئذان لأن أرباب القلوب علوا أن للطلوب رضا القلب لا نطق اللسان وكانوا قد وثقوا بإخوانهم أنهم كانوا يفرحون بعباساتهم فإذا كانوا يسألون الاخوان عند شكهم في اقتدار إخوانهم على ما يريدونه وإلا فسكانوا يستغنون عن السؤال ، وحد إباحة السؤال أن تعلم أن السؤال بصفة قلوبهم من الحاجة لا بئد ذلك دون السؤال فلا يكون لبؤاك تأخير إلا في تعريف حاجتك فأما في تحريك الحياء وإنارة داعيته بالحيل فلا يتصدى لأسائل حالة لا يشك فيها في الرضا بالباطن وحالة لا يشك في السكراة ويعلم ذلك بقرينة الأحوال فالأخذ في الحالة الأولى حلال مطلق وفي الثانية حرام سحت ويتردد بين الحالتين أحوال يشك فيها فليستفت قلبه فيها وليترك حزال القلب فإنه الآثم وليدع ما يريه إلى ما لا يريه وإدراك ذلك بقرائن الأحوال سهل على من قويت فطنته وضمف حرصه وشهوته فإن قوى الحرص وضعت الفطنة تراه له ما يوافق فرضه فلا يفتن بقرائن الدالة على السكراة وبهذا الدقائق يطلع على سر قوله صلى الله عليه وسلم « إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه »<sup>(٢)</sup>

سبعون ألف وجهه  
ولكل وجه منه  
سبعون ألف لسان  
ولكل لسان منه  
سبعون ألف لغة يسبح  
الله تعالى بتلك اللغات  
كلها ويخلق من كل  
تسبيحة ملكا يطير مع  
اللائكة إلى يوم  
القيامة . وروى عن  
عبد الله بن عباس  
رضي الله عنهما أن  
الروح خلق من خلق  
الله صورته على صورة  
بني آدم وما زل من  
السماء ملك إلا ومعه  
واحد من الروح وقال  
أبو صالح الروح كهيئة  
الإنسان وليسوا بناس  
وقال مجاهد الروح على  
صورة بني آدم لهم أيد  
وأرجل ودموس

(١) حديث إنما نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر لم أجده أصلاً وكذا قال الزبي لماسئل عنه.

(٢) حديث إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه تقدم .

وقد أوتي جوامع الكلم لأن من لا كسب له ولا مال ورثه من كسب أبيه أو أحد قرابته يأكل من أيدي الناس وإن أعطى بغير سؤال فأنما يسطى بدينه ومتى يكون باطنه بحيث لو انكشف ليعطى بدينه فيكون ما يأخذه حراما وإن أعطى بسؤال فأن من يطيب قلبه بالعطاء إذا مثل وأين من يقتصر في السؤال على حد الضرورة ، فإذا قشقت أحوال من يأكل من أيدي الناس علت أن جميع ما يأكله أو أكثره سحت وأن الطيب هو الكسب الذي اكتسبه بملك أنت أو مورثك فأذن بيد أن يجتمع الورع مع الأكل من أيدي الناس ، فنسأل الله تعالى أن يقطع طمعنا عن غيره وأن يثبتنا بحلاله عن حرامه وبفضله عمن سواه بمنه وسعة جوده فانه على ما يشاء قدير .

### ( بيان مقدار التني المحرم للسؤال )

اعلم أن قوله صلى الله عليه وسلم « من مأل عن ظهر غنى فأنما يسأل جراً فليستقل منه وأليستكثر » صريح في التحريم ، ولكن حدثني مشكل وتقدره غيره وليس إلينا وضع للقادر بل يستدرك ذلك بالتوقيف ، وقد ورد في الحديث « استنوا بئني الله تعالى عن غيره قالوا وما هو قال غداً يوم وعشاء ليلة <sup>(١)</sup> » وفي حديث آخر « من سأل وله خمسون درهماً أو عدلها من الذهب قد سأل إلحافاً <sup>(٢)</sup> » وورد في لفظ آخر « أربعون درهماً » ومهما اختلفت التقديرات وصحت الأخبار فينبغي أن يقطع بوزورها على أحوال مختلفة فإن الحق في نفسه لا يكون إلا واحداً والتقدير مجتمع وغاية الممكن فيه تقرب ولا يتم ذلك إلا بتقسيم محيط بأحوال المحتاجين ، فنقول . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لاحق لابن آدم إلا في ثلاث طعام يقيم عليه وثوب يوارى به غورته ويتكفئ به فماله حساب » فلنصل هذه الثلاث أصلاً في الحاجات لبيان أجناسها والنظر في الأجناس والقادر والأوقات ، فأما الأجناس فهي هذه الثلاث ويلحق بها مافي معناها حتى يلحق بها الكراء للمسافر إذا كان لا يقدر على التني وكذلك ما يجري مجراه من اللبسات ويلحق بنفسه عياله وولده وكل من تحت كفاله كالغلبة أيضاً . وأما للقادر فالثوب يراعى فيه ما يليق ببنو الدين وهو ثوب واحد وقبض ومنديل وسراويل ومدايس وأما الثاني من كل جنس فهو مستثن عن وليس على هذا أثاث البيت جميعاً ولا ينبغي أن يطلب رقة الثياب وكون الأواني من النحاس والفضة فيما يكتفي فيه الخرف فإن ذلك مستغنى عنه فيقتصر من العدد على واحد ومن النوع على أحسن أجناسه مالم يكن في غاية البعد عن العادة . وأما الطعام فقدرة في اليوم مد وهو ما قدره الشرع ونوعه ما يقتات ولو كان من الشعير والأدم على السواء فضلة وقطعه بالسكينة إضرار ففي طلبه في بعض الأحوال رخصة . وأما السكن فأقله ما يجزى من حيث للقدار وذلك من غير زينة فأما السؤال للزينة والتوسع فهو سؤال عن ظهر غنى وأما بالإنفاق إلى الأوقات فاحتاج إليه في الحال من طعام يوم وليلة وثوب يلبسه وماوى يكتفي به فلا شك فيه فأما سؤاله للمستقبل فهذا له ثلاث درجات : إحداهما ما يحتاج إليه في غد . والثانية ما يحتاج إليه في أربعين يوماً أو خمسين يوماً . والثالثة ما يحتاج إليه في السنة ، ولتقطع بأن من معه ما يكفي له ولعاليه إن كان له عيال لسنة فسؤاله حرام فإن ذلك غاية التني وعليه ينزل التقدير بخمسين درهماً في الحديث فإن خمسة دنانير تكفي الفرد

- (١) حديث استنوا بئني الله قالوا وما هو قال غداً يوم وعشاء ليلة تقدم في الزكاة من حديث سهل ابن الحنظلية قالوا ما يشبهه قال ما يشبهه أو بعشيه ولأحمد من حديث علي بن إسحاق حسن قالوا ما ظهر غنى؟ قال عشاء ليلة وأما اللفظ الذي ذكره المصنف فذكره صاحب التردوس من حديث أبي هريرة .
- (٢) حديث من سأل وله خمسون درهماً أو عدلها من الذهب قد سأل إلحافاً وفي لفظ آخر أربعون درهماً تضاعفاً في الزكاة .

في السنة إذا اقتصد أما الليل فربما لا يكتبه ذلك وإن كان يحتاج إليه قبل السنة فإن كان قادرا على السؤال ولا فتوته فرصته فلا يحل له السؤال لأنه مستغن في الحال وربما لا يعيش إلى القديكون قد سأل مالا يحتاج فيكتبه غداه يوم وعشاء ليلة وعليه ينزل الخبر الذي ورد في التقدير بهذا القدر وإن كان بغوته فرصة السؤال ولا يجد من يعطيه لو أخر فيسأل له السؤال لأن أمل البقاء ستغير بيدفوه بتأخير السؤال تخاف أن يبقى مضطرا عاجزا عما يجنبه فإن كان خوف العجز عن السؤال في المستقبل ضيفا وكان مالا لجه السؤال خارجا عن محل الضرورة لم يحل سؤاله عن كراهية وتكون كراهته بحسب درجات ضعف الانضطراب وخوف القوت وتراخي اللذة التي فيها يحتاج إلى السؤال وكل ذلك لا قبل الضبط وهو منوط باجتهاد العبد ونظره لنفسه بينه وبين الله تعالى فيستغنى فيه قلبه ويسمى به إن كان سالكا طريق الآخرة وكل من كان يقينه أقوى وقتته بعجى الرزق في المستقبل أم وقتاته بقوت الوقت أظهر فدرجته عند الله تعالى أعلى فلا يكون خوف الاستقبال وقد آتاك الله قوت يومك لك ولعياك إلا من ضعف اليقين والاصفاء إلى تخويف الشيطان وقد قال تعالى - فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين - وقال عز وجل - الشيطان يمدكم بالفقر ويأمركم بالفحشاء والله يمدكم مغفرة منه وفضلا - والسؤال من الفحشاء التي أعييت بالضرورة وحال من يسأل لحاجة متراخية عن يومه وإن كان مما يحتاج إليه في السنة أشد من حال من ملك مالا موروثا وادخره لحاجة وراء السنة وكلاهما مباحان في الفتوى الظاهرة ولكنهما صادران عن حبة الدنيا وطول الأمل وعدم الثقة بفضل الله وهذه الحصلة من أمهات الهلكات ، نسأل الله حسن التوفيق بطلعه وكرمه .

( بيان أحوال السائلين )

كان بشر رحمه الله يقول الفقراء ثلاثة : فقير لئال وإن أعطى لا يأخذ فهذا مع الروحانيين في عليين و فقير لئال وإن أعطى أخذ فهذا مع القريين في جنات الفردوس و فقير لئال عند الحاجة فهذا مع الصادقين من أصحاب الجين فاذن قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى أن يمنع العاقبة عطل الرتبة والدرجة . قال شقيق البلخي لأبراهيم بن آدم حين قدم عليه من خراسان كيف تركت الفقراء من أصحابك قال تركتهم إن أعطوا شكروا وإن منعوا صبروا وظن أنعموا وصرفهم ترك السؤال قد أتى عليهم غاية الكفاية فقال شقيق هكذا تركت كلاب بليغ عندنا فقال له إبراهيم فكيف الفقراء عندك يا أبا إسحق قال الفقراء عندنا إن منعوا شكروا وإن أعطوا آثروا قبل رأسه وقال صدقت بأستاذنا فاذن درجات أرباب الأحوال في الرضا والصبر والشكر والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الآخرة من معرفتها ومعرفته اتصافها واختلاف درجاتها فانه إذا لم يعلم لم يقدر على الرقي من حضيضها إلى قلاعها ومن أسفل سافلين إلى أعلى عليين وقد خلق الإنسان في أحسن تقويم ثم رده إلى أسفل سافلين ثم أمر أن يرتقى إلى أعلى عليين ومن لا يميز بين السفل والعلو لا يقدر على الرقي قطعا وانما الشك فيمن عرف ذلك فانه ربما لا يقدر عليه وأرباب الأحوال قد تخلبهم حالة تنفض أن يكون السؤال مزيدا لهم في درجاتهم ولكن بالإضافة إلى حالهم فان مثل هذه الأعمال بالنيات وذلك كما روى أن بعضهم رأى أبا إسحق التوري رحمه الله يمد يده ويسأل الناس في بعض الواضع قال فاستعظمت ذلك واستجبته له فأنبت الجنب رحمه الله فأخبرته بذلك فقال لا يعظم هذا عليك فان التوري لم يسأل الناس إلا لمطمئنه وانما سألهم ليثبتم في الآخرة فيؤجرون من حيث لا يشعرون وكأنه أشار به إلى قوله صلى الله عليه وسلم وابدأ بالمعطي هو العليا <sup>(١)</sup> فقال بعضهم يد المعطي هي يد الآخذ للمال لأنه يعطي الثواب والقدره

صل الله عليه وسلم ذلك وإذا كان الروح للشئ عنه شيئا من هذا للتقول فهو غير الروح الذي في الجسد فلي هذا بسوغ القول في هذا الروح ولا يكون الكلام فيه ممنوعا وقال بعضهم الروح لطيفة تنسرى من الله إلى أما كن معروفة لا يجبر عنه بأكثر من موجود بإيجاد غيره وقال بعضهم الروح لم يخرج من كن لأنه لو خرج من كن كان عليه القدر قبل لمن أي شيء خرج قال من يطلع جماله وجلاله سبحانه وتعالى بملاحظة الإشارة خسرنا بسلامه وسجاها بكلامه

(١) حديث يد المعطي هو العليا - لم من حديث أبي هريرة .

لألسنا يأخذهم قال الجنيد هات البزان فوزن مائة درهم ثم قبض قبضة فألقاها على الساعة ثم قال احملها إليه فقلت في نفسي إنما يوزن الشيء ليعرف مقداره فكيف خلط به مجهول ولا هو رجل حكيم واستحييت أن أسأله فذهبت بالصرة إلى النوري فقال هات البزان فوزن مائة درهم وقال ردّها عليه وقل لها أنا أقل منك أنت شيئا وأخذ ما زاد على الساعة قال فزاد تسجي فسأته فقال الجنيد رجل حكيم يريد أن يأخذ الجبل بطريقه وزن الساعة لنفسه طلبا لتواب الآخرة وطرح عليها قبضة بلا وزن ثم عز وجل فأخذت ما كان في يده ورمى ورددت ما جملته لنفسه قال فرددتها إلى الجنيد فبكي وقال أخذ ماله ورد مالنا الله السمتان، فانظر الآن كيف صفت قلوبهم وأحوالهم وكيف خلصت لله أعمالهم حتى كان يشاهد كل واحد منهم قلب صاحبه من غير مناصرة باللسان ولكن بتشاهد القلوب وتتاجى الأسرار وذلك نتيجة أكل الحلال وخلو القلب عن حب الدنيا والآقبال على الله تعالى بكنه الهمة فمن أنكر ذلك قبل تجربة طريقه فهو جاهل كمن ينكر مثلا كون الدواء سهلا قبل شربه ومن أنكره بعد أن طال اجتهداه حتى بذل كنه مجهوده ولم يصل فأنكر ذلك لغيره كان كمن شرب للسُّهل فلم يؤثر في حقه خاصة لله في بطنه فأخذ ينكر كون الدواء سهلا وهذا وإن كان في الجهل دون الأول ولكنه ليس خاليا عن حظ واف من الجهد بل البصر أحد رجلين إما رجل سلك الطريق فظهر له مثل ما ظهر لهم فهو صاحب الذوق والفرقة وقد وصل إلى عين اليقين وإما رجل لم يسلك الطريق أو سلك ولم يصل ولكنه آمن بذلك وصديق به فهو صاحب علم اليقين وإن لم يكن وإسلا إلى عين اليقين ولم اليقين أيضا رتبة وإن كان دون عين اليقين ومن خلا عن علم اليقين وعين اليقين فهو خارج عن زمرة المؤمنين وعشر يوم القيامة في زمرة الجاهدين المستكبرين الذين هم قتل القلوب الضعيفة وأتباع الشياطين فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من الراغبين في العلم القائلين آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب .

[الشرط الثاني من الكتاب في الزهد] وفيه بيان حقيقة الزهد وبيان درجات الزهد وأقسامه وبيان تفصيل الزهد في الطم واللبيس والسكن والأمان وضروب العيشة وبيان علامة الزهد .

### ( بيان حقيقة الزهد )

اعلم أن الزهد في الدنيا مقام شريف من مقامات السالكين وينتظم هذا المقام من علم وحال وعمل كسائر المقامات لأن أبواب الإيمان كلها كما قال السلف ترجع إلى عقد وقول وعمل وكأن القول لظهوره وأقيم مقام الحال إذ به يظهر الحال الباطن وإلا فليس القول مهادا لعبه وإن لم يكن صادرا عن حال مسمى إسلاما ولم يسم إيمانا والعلم هو السبب في حال يجري مجرى الثمر والعمل يجري من الحال مجرى الثمرة فلذلك الحال مع كلاً طريقه من العلم والعمل . أما الحال فنحن بها ما يسمى زهدا وهو عبارة عن انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه فكل من عدل عن شيء إلى غيره بمعاوضة ويسع وغيره فأنما عدل عنه لرغبته عنه وإنما عدل إلى غيره لرغبته في غيره لحاله بالإضافة إلى المدول عنه يسمى زهدا بالإضافة إلى المدول إليه يسمى رغبة وحبا فإذا نبت زهدا مرغوبا عنه ومرغوبا فيه هو خير من الرغوب عنه وشرط الرغوب عنه أن يكون هو أو يضام مرغوبا فيه بوجه من الوجوه فمن رغب عما ليس مطلوباً في نفسه لا يسمى زهدا إذا تارك الحُبْر والتراب وما أشبهه لا يسمى زهدا وإنما يسمى زهدا من ترك الدرهم والدنانير لأن التراب والحجر ليسا مظنة الرغبة وشرط الرغوب فيه أن يكون عنده خيرا من الرغوب عنه حتى تغلب هذه الرغبة فالبايع لا يقسم على البيع إلا والمشتري عنه خير من البيع فيكون حاله بالإضافة إلى البيع زهدا فيه بالإضافة إلى الموضع عنه رغبة فيه وحبا ولذلك قال الله تعالى - وشروه بئس نكح درهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين - معناه باعوه فقد يطلق الشراء بمعنى البيع

فهو معتقن ذلك كمن  
وسئل أبو سعيد الخراز  
عن الروح أغلوقة هي  
قال نعم ولولا ذلك  
ما أمّرت بالربوبية  
حيث قالت بلى والروح  
هي التي قام بها البدن  
واستحق بها اسم الحياة  
وبالروح ثبت العقل  
وبالروح قامت الحاجة  
ولو لم يكن الروح  
كان العقل معطلا  
لا حاجة عليه ولا له  
وقيل إنها جوهر مخلوق  
واكبها الطيف  
المخلوقات وأصفي  
الجواهر وأ نورها وبها  
تترادى النقيات وبها  
يكون الكشف لأهل  
الحقائق وإذا حببت  
الروح عن مراعاة  
السير أساءت الجوارح

ووصف إخوة يوسف بالزهد فيه إذ طعموا أن يخلو لهم وجه أبيهم ، وكان ذلك عندهم أحب إليهم من يوسف فباعوه طمعا في العوض فاذن كل من باع الدنيا بالآخرة فهو زاهد في الدنيا ، وكل من باع الآخرة بالدنيا فهو أيضا زاهد ولكن في الآخرة ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الزهد بمن زهد في الدنيا كما خصص اسم الإلحاد بمن عيّل إلى الباطل خاصة وإن كان هو الليل في وضع اللسان ولما كان الزهد رغبة عن محبوب بالجملة لم يتصور إلا بالدول إلى شيء هو أحب منه ، وإلا فترك المحبوب بغير الأحب محال والذي يرغب عن كل ماسوى الله تعالى حتى الفرائدس ولا يحب إلا الله تعالى فهو الزاهد المطلق ، والذي يرغب عن كل حظ ينال في الدنيا ولم يزهد في مثل تلك المحظوظ في الآخرة بل طمع في الخور والقصور والأهوار والقواكه فهو أيضا زاهد ولكنه دون الأول والذي يترك من حظوظ الدنيا البعض دون البعض كالذي يترك المال دون الجاه أو يترك التوسع في الأكل ولا يترك التجمّل في الزينة فلا يستحق اسم الزاهد مطلقا ، ودرجته في الزهاد درجة من يتوب عن بعض المعاصي في التائبين وهو زهد صحيح كما أن التوبة عن بعض المعاصي صحيحة فإن التوبة عبارة عن ترك المحظورات . والزهد عبارة عن ترك اللبّاحات التي هي حظ النفس ، ولا يمد أن يقدر على ترك بعض اللبّاحات دون بعض كما لا يمد ذلك في المحظورات ، وللتقصر على ترك المحظورات لا يسمى زاهداً وإن كان قد زهد في المحظور وانصرف عنه ولكن العادة تخصّص هذا الاسم بترك اللبّاحات فاذن الزهد عبارة عن رغبته عن الدنيا عدولا إلى الآخرة أو عن غير الله تعالى عدولا إلى الله تعالى وهي الدرجة العليا وكما يشترط في للرغوب فيه أن يكون خيرا عنده فيشترط في للرغوب عنه أن يكون مقدورا عليه فإن ترك ما لا يقدر عليه محال وبالترك يتبين زوال الرغبة ، ولذلك قيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها ، وأما أنا فظباذا زهدت ؟ . وأما العلم الذي هو شمر لهذه الحال فهو العلم بكون التروك حقيرا بالاضافة إلى للأخذ كعلم التاجر بأن العوض خير من البيع فيرغب فيه وما لم يتحقق هذا العلم لم يتصور أن يزول الرغبة عن البيع فكذلك من عرف أن ماعند الله باق وأن الآخرة خير وأبقى أي لذاتها خير في أنفسها وأبقى كما تكون الجواهر خيرا وأبقى من الثلج مثلا . ولا يسر على مالك الثلج يمه بالجواهر والآلئ . فهكذا مثال الدنيا والآخرة فالدنيا كالثلج اللوضوع في الشمس لا يزال في القبولان إلى الاضرار والآخرة كالجواهر الذي لاخاف له فقدر قوة اليقين والمصرفة بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تحوى الرغبة في البيع والعاملة حتى إن من قوى يقينه يبيع نفسه وماله كما قال الله تعالى - إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة - ثم بين أن صفقتهم راحة فقال تعالى - فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به - فليس يحتاج من العلم في الزهد إلا إلى هذا القدر وهو أن الآخرة خير وأبقى وقد يعلم ذلك من لا يقدر على ترك الدنيا ؛ إما لضعف عقله ويقينه . وإما لاستيلاء الشهوة في الحال عليه وكونه مقهورا في يد الشيطان . وإما لغتراره بمواعيد الشيطان في التسويف يوما بعد يوم إلى أن يختطفه للوت ولا يبقى معه إلا الحسرة بعد القوت وإلى تعريف خسارة الدنيا الاشارة بقوله تعالى - قل متاع الدنيا قليل - وإلى تعريف قاسمة الآخرة الاشارة بقوله عز وجل - وقال الذين أوتوا العلم وبلغكم ثواب الله خير - فبه على أن العلم بنفاسة الجوهر هو للرغب عن عوضه ولما يتصور الزهد إلا بمعاوضة ورغبة عن المحبوب في أحب منه . قال رجل في دعائه اللهم أرني الدنيا كما راها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لا تغفل هكذا ولكن قل أرني

للآدب ولذلك صارت الروح بين نجل واستنار وقابض ونازع وقيل الدنيا والآخرة عند الأرواح سواء وقيل الأرواح أقسام أرواح تجول في البرزخ وتبصر أحوال الدنيا والآخرة وتسمع ما تحدث به في السماء عن أحوال الأديمين وأرواح تحت العرش وأرواح طيارة إلى الجنان وإلى حيث شئت على أقدارها من السعي إلى الله أيام الحياة . وروى سعيد بن السبب عن سلمان قال أرواح المؤمنين تذهب في برزخ من الأرض حيث شئت بين السماء والأرض حتى يردّها

الدنيا كأثرها الصالحين من عبادك (١) ، وهذا لأن الله تعالى براها حقيرة كما هي وكل مخلوق فهو بالإضافة إلى جلاله حقير ، والمبد براها حقيرة في حق نفسه بالإضافة إلى ما هو خير له ولا يتصور أن يرى بألم القرس وإن رغب عنه فرسه كما يرى حشرات الأرض مثلاً لأنه مستغن عن الحشرات أصلاً وليس مستغنياً عن القرس والله تعالى غني بذاته عن كل ماسواه فيرى السكك في درجة واحدة بالإضافة إلى جلاله ويراها متفاناً بالإضافة إلى غيره والزاهد هو الذي يرى تفاوته بالإضافة إلى نفسه لا إلى غيره . وأما العمل الصادر عن حال الزاهد فهو ترك واحد لأنه يبيع ومعاملة واستبدال للذي هو خير بالذي هو أدنى فكم أن العمل الصادر من عقد البيع هو ترك البيع وإخراجه من اليد وأخذ الموض فكذلك الزهد يوجب ترك للزهد فيه بالكيفية وهي الدنيا بأسرها مع أسبابها ومقدماتها وعلاقتها يخرج من القلب حبها ويدخل حب الطاعات ويخرج من العين واليد ما أخرجه من القلب ويوظف على اليد والعين وسائر الجوارح وظائف الطاعات وإلا كان كمن سلم للبيع ولم يأخذ الثمن فإذا وقع بشرط الجانبين في الأخذ والترك فليست يبيع به فأن الذي يبيع به هذا البيع وفي بالمعد من سلم حاضر في غائب وسلم الحاضر وأخذ يسعى في طلب الغائب سلم إليه القالب حين فراغه من سعيه إن كان العائد ممن يوثق بصدقه وقدرته ووفائه بالمعد وما دام تمسكاً للدنيا لا يصح زهده أصلاً ولذلك لم يصف الله تعالى إخوة يوسف بالزهد في بنيامين وإن كانوا قد قالوا - يوسف وأخوه أحب إلى أئنا منذ - وعزموا على إبدائه كما عزموا على يوسف حتى تشفع فيه أحدهم فتركه ولا وصفهم أيضاً بالزهد في يوسف عند العزم على إخراجه بل عند التسليم والبيع فضلالة الرغبة إلى المال وعلامة الزهد الإخراج فإن أخرجت عن اليد بعض الدنيا دون البعض فأنت زاهد فيها فإذا أخرجت فقط ولست زاهداً مطلقاً وإن لم يكن لك مال ولم تساعدك الدنيا لم يتصور منك الزهد لأن ما لا يقدر عليه لا يقدر على تركه وربما يستهويك الشيطان بفروره ويغيب إليك أن الدنيا وإن لم تأتك فأنت زاهد فيها فلا ينبغي أن تتدلى بعجل غروره دون أن تستوثق وتستظهر بموت غليظ من أنه فأنك إذا لم تجرب حال القدرة فلا تثق بالقدرة على الترك عندها فكم من ظان بنفسه كراهة المصاع عند تصرفها فلما تيسرت له أسبابها من غير مكدر ولا خوف من الخلق وقع فيها وإذا كان هذا غرور النفس في المحطورات فأيك أن تثق برعدها في الساحات والوقوف الدليط الذي تأخذه عليها أن تجربها مرة بعد مرة في حال القدرة فإذا دامت بما وعدت على الدوام مع انتفاء الصوارف والأعداء ظاهراً وباطناً فلا بأس أن تثق بها وثوقاً ما ولكن تكون من تجربها أيضاً على حذر فإنها سرية النفس للمعد قرية الرجوع إلى مقتضى الطبع . وبالجملة فلا أمان منها إلا عند الترك بالإضافة إلى مارك فقط وذلك عند القدرة . قال ابن أبي ليلى لابن شبرمة ألا ترى إلى ابن الحائك هذا لا تثق في مسألة إلا رد علينا يميناً حنيفة فقال ابن شبرمة لا أدري أهو ابن الحائك أم ماهو لكن أعلم أن الدنيا فدت إليه فهرب منها وهربت منا فطلبناها وكذلك قال جميع السليبين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم إنا نحب ربنا ولو علنا في أي شيء محبته لعلنا حتى نزل قوله تعالى - ولو أننا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ماضوا إلا قليل منهم - (٢) .

(١) حديث قال رجل اللهم أرني الدنيا كما تراها فقال له لا تفلح هكذا ولكن قل أرني الدنيا كما أراها الصالحين من عبادك ذكره صاحب الفردوس مختصراً اللهم أرني الدنيا كما تريها صالح عبادك من حديث أبي القصور ولم يخرج به واهد (٢) حديث قال السلون إنا نحب ربنا ولو علنا في أي شيء محبته لعلنا حتى نزل قوله تعالى - ولو أننا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم - الآية لم أنف له على أصل .

إلى جسدها . وقيل إذا ورد على الأرواح ميت من الأحياء التقوا وتعذبوا وتساءلوا وكل الله بها ملائكة ترض عليها أعمال الأحياء حتى إذا عرض على الأموات ما عاقب به الأحياء في الدنيا من أجل الذنوب قالوا نعتذر إلى الله ظاهراً عنه فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى وقد ورد في الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم « تعرض الأعمال يوم الاثنين والخميس على الله وتعرض على الأنبياء والآباء والأمهات يوم الجمعة فيغفرهم بحسناتهم

قال ابن مسعود رحمه الله : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أت منهم يعني من القليل قال وما عرف أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة - (١) . وأعلم أنه ليس من الزهد ترك المال وبذله على سبيل السخاء والفتوة وعلى سبيل استئالة القلوب وعلى سبيل الطمع فذلك كلهم من محاسن العادات ولكن لا مدخل لشيء منه في العبادات وإنما الزهد أن تترك الدنيا لطلبك غفارتها بالإضافة إلى نفاة الآخرة فأما كل نوع من الترك فإنه يتصور بمن لا يؤمن بالآخرة فذلك قد يكون مروءة وفخوة وسخاء وحسن خلق ولكن لا يكون زهدا إذ حسن الذكر وسيل القلوب من حظوظ العاجلة وهي الدواهي من المال وكما أن ترك المال على سبيل السلم طمعا في الموض ليس من الزهد فكذلك تركه طمعا في الذكر والشاء والاشتهار بالقوة والسخاء واستقلاله لما في حفظ المال من الشقة والامناء والحاجة إلى التذلل للسلطين والأغنياء ليس من الزهد أصلا بل هو استعمال حظ آخر للنفس بل الزاهد من أنه الدنيا راغمة صفوا غفوا وهو قادر على التتم بها من غير نقصان جاء وقبح اسم ولا ذوات حظ للنفس فتركها خوفا من أن يأنيس بها فيكون آتسا بنير الله ومحالما سوى الله ويكون مشركا في حب الله تعالى غيره أو تركها طمعا في ثواب الله في الآخرة فترك التمتع بأشربة الدنيا طمعا في أشربة الجنة وترك التمتع بالسراري والنسوان طمعا في المحور العين وترك التفرج في البساتين طمعا في بساتين الجنة وأشجارها وترك الزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا في زينة الجنة وترك اللطاعم اللذيذة طمعا في فواكه الجنة وخوفا من أن يقال له - أذهبت طياتكم في حياتكم الدنيا - فأتر في جميع ذلك ما وعد به في الجنة على ما تيسر له في الدنيا غفوا صفوا لعله بأن مافي الآخرة خير وأبقى وأن ماسوى هذا المعاملات دنيوية لا جدوى لها في الآخرة أصلا .

### ( بيان فضيلة الزهد )

قال الله تعالى - عرج على قومه في زينته - إلى قوله تعالى : وقال الذين أوتوا العلم ولعلكم نواب الله خير لمن آمن - فنسب الزهد إلى العلماء ووصف أهل العلم وهو غاية الشاء وقال تعالى - أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا - وجاء في التفسير على الزهد في الدنيا وقال عز وجل - إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا - قيل معناه أيهم أزهدهم فيها فوصف الزهد بأنه من أحسن الأعمال وقال تعالى - من كان يريد حرث الآخرة زد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب - وقال تعالى - ولتعبدن عبيك إلى ما تمننا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى - وقال تعالى - الذين يستحيون الحياة الدنيا على الآخرة - فوصف الكفار بذلك فنفهموه أن للؤمن هو الذي يتصف بقبضه وهو أن يستحب الآخرة على الحياة الدنيا . وأما الأخبار : فهاورد منها في ذم الدنيا كثير وقد أوردنا بعضها في كتاب ذم الدنيا من ربح الهلكات إذهب الدنيا من الهلكات ونحن الآن نقتصر على فضيلة بعض الدنيا فانه من اللجيات وهو المعنى بالزهد وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من أصبح وهمه الدنيا شقت الله عليه أمره وفرق عليه شيعته وجعل قهره بين عينيه ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب له ومن أصبح وهمه الآخرة جمع الله له همه وحفظ عليه شيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة » (٢) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا رأيت العبد وقد أعطى ممتا وزهدا في الدنيا فاقربوا منه

وزددوا وجوههم ياضا وإشراقا » فانوا الله تعالى ولا تؤذوا موتاكم وفي خبر آخر « إن أعمالكم تعرض على عشائركم وأقاربكم من لاوتى فإن كان حسنا استبشروا وإن كان غير ذلك قالوا اللهم لا ننتهم حتى تهديهم كما هديتنا » وهذه الأخبار والأقوال تدل على أنها أعيان في الجسد وليست بعيان وأعراض ، مثل الواسطى لأى علة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلم الخلق ؟ قال لأنه خلق روحه أولا فوقع له صحبة الصمكين والاستقرار الآراء يقول « كنت

(١) حديث ابن مسعود ما عرفت أن فينا من يحب الدنيا حتى نزل قوله تعالى - منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة - الآية . (٢) البيهقي في دلائل النبوة باسناد حسن (٣) حديث من أصبح وهمه الدنيا شقت الله عليه أمره الحديث ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بسند جيد والترمذي من حديث أنس بسند ضعيف نحوه

فانه يلقي الحكمة (١) وقال تعالى - ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا سوفذلك قيل: من زهد في الدنيا أربعين يوما أجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه. وعن بعض الصحابة أنه قال « قلنا يا رسول الله أي الناس خير ؟ قال كل مؤمن مخوم القلب صدوق اللسان قلنا يا رسول الله وما مخوم القلب ؟ قال التقى النقي الذي لا غش فيه ولا غش ولا بغي ولا حسد قلنا يا رسول الله فمن على أثره ؟ قال الذي يشأ الدنيا ويحب الآخرة (٢) » ومفهوم هذا أن شر الناس الذي يحب الدنيا وقال صلى الله عليه وسلم « إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا (٣) » فجعل الزهد سبيلا لمحبة من أحبه الله تعالى فهو في أعلى الدرجات فينبغي أن يكون الزهد في الدنيا من أفضل للمقامات ومفهومه أيضا أن حب الدنيا مترشح لبعض الله تعالى وفي خير من طريق أهل البيت « الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليله فان صادقا قلبا فيه الايمان والحياء أقاما فيه والإلزام (٤) » ولما قال حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة إيمانك ؟ قال عزفت نفسي عن الدنيا فاستوى عندي جبرها وزهبا وكأني بالجنة والنار وكأني برش ربي بارزا فقال صلى الله عليه وسلم غرقت قارم ، عبد نور الله قلبه بالإيمان (٥) » فانظر كيف بدأ في إظهار حقيقة الايمان بزوف النفس عن الدنيا وقرنه باليقين وكيف زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال عبد نور الله قلبه بالإيمان « ولما سئل رسول الله ﷺ عن معنى الشرح في قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وقيل له ماهذا الشرح ؟ قال إن النور إذا دخل في القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل يا رسول الله وهل ذلك من علامة ؟ قال نعم التجافي عن دار التورود والإلتفات إلى دار الخلود والاستعداد للو شقبل زوجه (٦) » فانظر كيف جعل الزهد مشروطا للإسلام وهو التجافي عن دار التورود والالتفات إلى دار الخلود قال صلى الله عليه وسلم « استحيوا من الله حق الحياء قالوا إنا لنستحي منه تعالى فقال ليس كذلك تتبنون ما لا تسكنون وتجمعون ما لا تأكلون (٧) » فبين أن ذلك يناقض الحياء من الله تعالى « ولما قدم عليه بعض الوفود قالوا إنا مؤمنون قال وما علامة إيمانكم ؟ فذكروا الصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء والرضا بمواقع القضاء وترك الشهامة بالمصيبة إذا زلت بالأعداء فقال عليه الصلاة والسلام إن كنتم كذلك فلا تحسبوا ما لا تأكلون ولا تبنيوا ما لا تسكنون ولا تنافسوا فيما عنه ترحلون (٨) » فجعل الزهد تسكلا لإيمانهم وقال جابر رضى الله عنه « خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث إذا رأيتم العبد قد أوتي صفتا وزهدا في الدنيا فاقتربوا منه فانه يلقي الحكمة فإن ما جاء من حديث أبي خلداء بسند فيه ضعف (٢) حديث قلنا يا رسول الله وما مخوم القلب ؟ قال التقى النقي الحديث ابن ماجه باسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله يا رسول الله فمن على أثره وقد تقدم ورواه هذه الزيادة بالاسناد للذكور الحرثاني في كتابه الأخلاق (٣) حديث إن أردت أن يحبك الله فازهد في الدنيا ابن ماجه من حديث سهل بن سعد بسند ضعيف نحوه وقد تقدم (٤) حديث الزهد والورع يجولان في القلوب كل ليله فان صادقا قلبا فيه الايمان والحياء أقاما فيه والإلزام لم أجده أصلا (٥) حديث لما قال له حارثة أنا مؤمن حقا قال وما حقيقة إيمانك الحديث البراري من حديث أنس والطبراني من حديث الحارث بن مالك وكلا الحديثين ضعيف (٦) حديث سئل عن قوله تعالى - فمن يرد الله أن يهديه - الحديث الحاكم وقد تقدم (٧) حديث استحيوا من الله حق الحياء الحديث الطبراني من حديث أم الوليد بنت عمر بن الخطاب باسناد ضعيف (٨) حديث لما قدم عليه بعض الوفود قالوا إنا مؤمنون قال وما علامة إيمانكم الحديث الخطيب وابن عساكر في تاريخهما باسناد ضعيف من حديث جابر .

نبياء وآدم بين الروح والجسد « أي لم يكن روحا ولا جسدا وقال يضمم الروح خالق من نور العزة وإليس من نار العزة ولهذا قال - خلقتني من نار وخلقته من طين سولم يدرك أن النور خير من النار فقال بضمهم قرن الله تعالى العلم بالروح فهي لطاقاتها تنمو بالعلم كما ينمو البدن بالغذاء وهذا في علم الله لأن علم الخلق قليل لا يبلغ ذلك والختار عند أكثر متكلمي الاسلام أن الانسانية والحيوانية برهان خلقا في الانسان وللنور يندمهما وأن الروح هي الحياة بينهما صار

قال : من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط بها غيرها وجبت له الجنة مقام إليه على كرم الله وجهه ، قال : **بأي أنت وأمي** يارسول الله مالا يخلط بها غيرها ؟ صفه لنا قسره لنا ، قال : حب الدنيا طلبا لها واتباعا لها ، وقوم يقولون قول الأنبياء ويسألون عمل الجبابرة ، فمن جاء بلا إله إلا الله ليس فيها شيء من هذا وجبت له الجنة (١) . وفي الخبر : **السخا من اليقين ولا يدخل النار** موثق وبالبخل من الشك ولا يدخل الجنة من شك (٢) . وقال أيضا : **السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة ، والبخيل بعيد من الله بعيد من الناس قريب من النار** (٣) . والبخل ثمرة الرغبة في الدنيا والسخا ثمرة الزهد والتنا ، على الثمرة تماء على الثمرة لا محالة . وروى عن ابن السيب عن أبي ذر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه** فأنطق بها لسانه وعرفه داه الدنيا ودواها وأخرجه منها سالما إلى دار السلام (٤) . وروى أنه صلى الله عليه وسلم : **مر في أصحابه بشار من التوق حفل وهي الحوامل وكانت من أحب أموالهم إليهم وأتسها عندهم لأنها تجمع النظم والاعم واللين والوبر ، ولعلظها في قلوبهم** قال الله تعالى : **وإذا العشار عطلت - قال فأعرض عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغض بصره** قيل له : **يارسول الله هذه أنس أموالنا لم لا تنظر إليها** فقال قد نهاني الله عن ذلك ثم تلا قوله تعالى : **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به - (٥)** الآية وروى مسروق عن عائشة رضي الله عنها قالت : **قلت يارسول الله ألا تستظم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رأيته به من الجوع ، قال يا عائشة والذي قسى يده لو سألت ربي أن يجرى مني جبال الدنيا ذنبا لأجرها حيث شئت من الأرض ولكني اخترت جوع الدنيا على شبعها وفقر الدنيا على غناها وحزن الدنيا على فرحها ، يا عائشة إن الدنيا لا تمنيني لمحمد ولا لآل محمد ، يا عائشة إن الله لم يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر على مكروه الدنيا والصبر عن محبوبها ، ثم لم يرض لي إلا أن يكفني ما كلتهم ، قال - فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل - والله مالى يد من طاعته وإنى والله لأصبرن كما صبروا بجهدي ولا قوة إلا بالله (٦)**

(١) حديث جابر من جاء بلا إله إلا الله لا يخلط معها شيئا وجبت له الجنة لم أر من حديث جابر وقد رواه الترمذي الحكيم في النوادر من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف نحوه (٢) حديث السخا من اليقين ولا يدخل النار موثق الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء ولم يخرج له ولده في مسنده (٣) حديث السخي قريب من الله الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث أبي ذر من زهد في الدنيا أدخل الله الحكمة قلبه الحديث لم أره من حديث أبي ذر ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب فم الدنيامن حديث صفوان بن سليم مرسل ولا ينحصر في الكامل من حديث أبي موسى الأشعري من زهد في الدنيا أربعين يوما وأخلص فيها العبادة أجرى الله بها نبيح الحكمة من قلبه على لسانه وقال حديث منكرو وقال الذهبي باطل ورواه أبو الشيخ في كتاب التواب وأبو نعيم في الحلية مختصرا من حديث أبي أيوب من أخلص لله وكلها ضيفة (٥) حديث مرفي أصحابه بشار من التوق حفل الحديث وفيه ثم تلا قوله تعالى : **ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به** أصلا (٦) حديث مسروق عن عائشة قلت يارسول الله ألا تستظم ربك فيطعمك قالت وبكيت لما رأيته به من الجوع الحديث . وفيه يا عائشة إن الله لم يرض لأولي العزم من الرسل إلا الصبر الحديث أبو منصور الديلمي في مستند الفردوس من طريق أبي عبد الرحمن السلمي من رواية عباد ابن عباد عن مجاهد عن الشعبي عن مسروق مختصرا : **يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم**

البدن بوجودها حيا وبالإعادة إلى القيامة يصير حيا وذهب بعض متكلمي الإسلام إلى أنه جسم لطيف مشبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالسود الأخضر وهو اختيار أبي للعالي الجويني وكثير منهم مال إلى أنه عرض إلا أنهم ردوا عن ذلك الأخبار الدالة على أنه جسم لما ورد فيمن الخروج والمحبوط والتردد في البرزخ حيث وصف بأوصاف دل على أنه جسم لأن العرض لا يوصف بأوصاف إذ الوصف معنى والشي لا يقوم بالمعنى واختار بعضهم أنه عرض .

وروى عن عمر رضي الله عنه و أنه حين فتح عليه الفتوحات قالت له ابنته حفصة رضي الله عنها  
البس ألين الثياب إذا وفدت عليك الوفود من الآفاق ، ومر بصنعة طعام تطعمه وتطعم من  
حضر ، فقال عمر يا حفصة ألت تملين أن أعلم الناس بحال الرجل أهل بيته فقالت بلى قال ناشدتك  
الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا  
أهل بيته غدوة إلا جاعوا عشية ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة . وناشدتك الله هل تملين أن  
النبي صلى الله عليه وسلم ليث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع من البحر هو وأهله حتى فتح الله عليه  
خير ، وناشدتك الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ بسم الله يوم ما طعاما على مائدة فيها ارتضاع  
فشق ذلك عليه حتى تغير لونه ثم أمر بالمائدة فرفعت ووضع الطعام على دون ذلك أو وضع على الأرض  
وناشدتك الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينام على عبادة مثنية ذنبت له ليلة  
أربع طلائع فنام عليها فلما استيقظ قال منعتوني قيام الليلة بهذه العبادة اتوها بالثنتين كما كنتم  
تثوبنها ، وناشدتك الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يضع ثيابه لتغسل فأبىه  
بلال فيؤذنه بالصلاة لما يجد ثوبا يخرج به إلى الصلاة حتى نجف ثيابه فخرج بها إلى الصلاة ،  
وناشدتك الله هل تملين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صنعت له امرأة من بني ظفر كسامين  
إزارا وردا وبعثت إليه بأحداهما ليل أن يبلغ الآخر فخرج إلى الصلاة وهو مشتتل به ليس عليه غيره  
قد عقد طرفه إلى عنقه ففعل كذلك لما زال يقول حتى أبكها وبكى عمر رضي الله عنه وانتحب  
حتى غلظنا أن نسه ستخرج <sup>(١)</sup> وفي بعض الروايات زيادة من قول عمر وهو أنه قال كان لي

من الرسل إلا الصبر على مكروهها والصبر عن محبوبها ثم لم يرض إلا أن كلفني ما كلفهم فقال تعالى  
- فاصبر كما صبر أولوا الزمن الرسل - ومجالد مختلف في الاحتجاج به <sup>(٢)</sup> حديث إن عمر لما فتحت  
عليه الفتوحات قالت له حفصة البس ألين الثياب إذا قدمت عليك الوفود الحديث بطوله وفيه ناشدتك  
الله هل تملين كذا يذكرها ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى أبكها وبكى الخ لم أجده  
هكذا مجموعا في حديث وهو مفرق في عدة أحاديث فروى البزار من حديث عمران بن حصين قال  
ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهله غداء وعشاء من خبز شعير حتى لقي ربه وفيه عمرو  
ابن عبد الله القدري متروك الحديث وللقزطبي من حديث عائشة قالت ما شبع من طعام فأشاء  
أن أبكي إلا بكيت قلت لم قالت أذكر الحال التي فارق رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا عليها  
والله ما شبع من خبز ولم مرتين في يوم قال حديث حسن وللشيخين من حديثها ما شبع آل محمد  
منذ قدم المدينة من طعام ثلاث ليل تباعا حتى قبض وللبخاري من حديث أنس كان لا يأكل على  
خوفان الحديث وتقدم في آداب الأكل وللقزطبي في الثمائل من حديث حفصة أنها لما سئلت ما كان  
فراش النبي صلى الله عليه وسلم : مسح ثيابه ثنتين فنام عليه الحديث ولابن سعد في الطبقات من  
حديث عائشة أنها كانت تفرش للنبي صلى الله عليه وسلم عباءة بالثنتين الحديث وتقدم في آداب  
العبادة والبزار من حديث أبي الدرداء قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينخل له الخديق  
ولم يكن له إلا لبص واحد وقال لا نمل يروي هذا اللفظ إلا بهذا الاستناد قال بونس بن بكير قد  
حدث عن سعيد بن ميسرة البكري بأحاديث لم يتابع عليها واحتملت على ما فيها قلت فيه سعيد  
ابن ميسرة قد كذب يحيى القطان وضمه البخاري وابن حبان وابن عدى وغيرهم ولابن ماجه  
من حديث عبادة بن الصامت صلى في شملة قد عقد عليها زاد الطبرقي في جزئه المشهور فعقد بها عنقه  
ما عليه غيرها وإسناده ضعيف وتقدم في آداب العبادة .

صاحبان سلكا طريقا فان سلكك غير طريقهما سلك في طريق غير طريقهما وإن الله سأسبر على عيشهما الشديدا على أقدامهما عيشهما الرغيد . وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « لقد كان الأنبياء قبلي يبئى أحدهم بالقر فلا يلبس إلا العباءة وإن كان أحدهم ليبتلى بالقميص حتى يشنه القمل وكان ذلك أحب إليهم من العطاء إليكم (١) » وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما ورد موسى عليه السلام ماء مدين كانت خضرة البقل ترى في بطنه من الخزال فهذا ما كان قد اختاره أنبياء الله ورسوله وهم أعرف خلق الله بالله وبطريق القوز في الآخرة وفي حديث عمر رضي الله عنه أنه قال « لما نزل قوله تعالى - والذين يكتزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله - قال صلى الله عليه وسلم يا بني الدنيا ثياب الدينار والدرهم قلنا يا رسول الله نأنا الله عن كثرة الذهب والفضة فأبى شيئا فدخل فقال صلى الله عليه وسلم : ليتخذ أحدهم لسانا ذا كرا وقلبا شاكرا وزوجة سالحة تنبئ على أمر آخرته (٢) » وفي حديث حذيفة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم « من آثر الدنيا على الآخرة ابتلاه الله ثلاثا إما لا يشارك قلبه أبدا أو يقرأ لا يستحي أبدا أو يحرم لا يشبع أبدا (٣) » وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يستكمل العبد الإيمان حتى يكون أن لا يعرف أحب إليه من أن يعرف وحتى يكون ثقة الذي أحب إليه من كثرة (٤) » وقال للسبح صلى الله عليه وسلم الدنيا قطرة فاعبروها ولا تمسروها وقيل له يا بني الله لو أمرت أن أنبي بيتا فبذل الله فيه قال اذهبوا فابنوا بيتا على الماء فقالوا كيف يستقيم بيان على الماء قال وكيف تستقيم عبادة مع حب الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم « إن ربي عز وجل عرض علي أن يخلني بإطعام مكة ذبعا قلنت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأفزعك إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يبش وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أسمى لآل محمد كفى سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلاما بأسرع من أن مع هذه من السماء أفضت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أم الله

(١) حديث أبي سعيد الخدري كان الأنبياء يبئى أحدهم بالقر فلا يجد إلا الثياب الحديث باسناد صحيح في أثناء حديث أوله دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك دون قوله وإن كان أحدهم ليبتلى بالقميص (٢) حديث عمر لما نزل قوله تعالى - والذين يكتزون الذهب والفضة - الآية قال ثياب الدينار والدرهم الحديث وفيه فأبى شيئا فدخل فقال صلى الله عليه وسلم « إن ربي عز وجل عرض علي أن يخلني بإطعام مكة ذبعا قلنت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأفزعك إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يبش وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أسمى لآل محمد كفى سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلاما بأسرع من أن مع هذه من السماء أفضت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أم الله (٣) حديث أبي سعيد الخدري كان الأنبياء يبئى أحدهم بالقر فلا يجد إلا الثياب الحديث باسناد صحيح في أثناء حديث أوله دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وهو يوعك دون قوله وإن كان أحدهم ليبتلى بالقميص (٤) حديث عمر لما نزل قوله تعالى - والذين يكتزون الذهب والفضة - الآية قال ثياب الدينار والدرهم الحديث وفيه فأبى شيئا فدخل فقال صلى الله عليه وسلم « إن ربي عز وجل عرض علي أن يخلني بإطعام مكة ذبعا قلنت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فأما اليوم الذي أجوع فيه فأفزعك إليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثني عليك » وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم يبش وجبريل معه فصعد على الصفا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا جبريل والذي بعثك بالحق ما أسمى لآل محمد كفى سويق ولا سفة دقيق فلم يكن كلاما بأسرع من أن مع هذه من السماء أفضت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أم الله

نجردها من هبات  
البدن عند الفارقة  
غير يمكن وهي عند  
اللوت شاعرة بالموت  
وبعد اللوت متخيلة  
بنفسها مقبورة  
وتصور جميع  
ما كانت تصفه حال  
الحياة وتحس بالآواب  
والغضب في القبر قال  
بعضهم أسلم القالات  
أن يقال الروح شيء  
مخلوق أجرى الله تعالى  
العادة أن يحس البدن  
مادام متصلا به وأنه  
أشرف من الجسد  
بذوق اللوت بفارقة  
الجسد كما أن الجسد  
بفارقته بذوق اللوت  
فإن الكنية والسابعة  
يتعاشى العقل فيهما  
كما يتعاشى البصر في

القيامة أن تقوم قال لاسكن هذا إسرائيل عليه السلام قد نزل إليك حين سمع كلامك فأناه إسرائيل  
 فقال إن الله عز وجل مع ماذكرت فبعضى بنفاتيح الأرض وأمرنى أن أعرض عليك إن أحببت أن  
 أسير معك جبال تهامة زمردا ويقوتا وذهبا وفضة فقلت وإن شئت نيبا ملكا وإن شئت نيبا عبدا  
 فأومأ إليه جبريل أن تواضع لله فقال نيبا عبدا ثلاثا (١) وقال صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله بعبد  
 خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره ببؤس نفسه» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «الزهد في الدنيا  
 يحبك الله ولزهد فيها في أبدى الناس يحبك الناس» (٣) وقال صلوات الله عليه «من أراد أن يؤتبه  
 الله علما بشير تعلم ويهدى بشير هداية فليزهد في الدنيا» (٤) وقال صلى الله عليه وسلم «من اشتاق إلى الجنة  
 سارع إلى الخيرات ومن خاف من النار هاجع الشهوات ومن ترقب للوث ترك اللذات ومن زهد في الدنيا  
 هانت عليه النسيات» (٥) ويروى عن نبينا وعن المسيح عليهما السلام «أربع لا يدركن إلا بتعب  
 الصمت وهو أول العبادة والتواضع وكثرة الذكر وقلة التمسك» (٦) وإبراد جميع الأخبار الواردة في مدح  
 بعض الدنيا وذم جها لا يمكن فإن الأنبياء ما بشوا إلا أنصرف الناس عن الدنيا إلى الآخرة وتو إليه يرجع  
 أكثر كلامهم مع الخلق وفيها أوردناه كفاية والله السمتان وأما الآثار: فقد جاء في الأثر: لا تزال لإله  
 إلا الله تدفع عن العباد سخط الله عز وجل ما لم يسألوا ما نقص من دينهم وفي لفظ آخر: عالم يؤثروا صفة  
 دينهم على دينهم فإذا فعلوا ذلك وقالوا لإله إلا الله قال الله تعالى: كذبتم لستم بها مدقين. وعن بعض  
 الصحابة رضى الله عنهم أنه قال تابعا الأعمال كلها فلم ترف في أمر الآخرة أبلغ من زهد في الدنيا وقال  
 بعض الصحابة لصدر من التابعين أتم أكثر أعمالا واجتهادا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا أخيرا  
 منكم قيل ولم ذلك؟ قال كانوا أزهد في الدنيا منكم. وقال عمر رضى الله عنه الزهادة في الدنيا راحة  
 القلب والجسد وقال بلال بن سعد كفى به ذنبا أن الله تعالى يزهدنا في الدنيا ونحن نرغب فيها وقال  
 رجل لسفيان أشبهى أن أرى علما زاهدا فقال وعحك تلك ضالة لا توجد وقال وهب بن منبه إن  
 للجنة ثمانية أبواب فإذا صار أهل الجنة إليها جعل البوابون يقولون وعزة ربنا لا يدخلها أحد  
 قبل الزاهدين في الدنيا العاشقين للجنة. وقال يوسف بن أسباط رحمه الله إن لأشبهى من الله ثلاث خصال  
 أن أموت حين أموت وليس في ملكي درهم ولا يكون على دين ولا على عظمي لحم فأعطى ذلك كله. وروى  
 أن بعض الخلفاء أرسل إلى الفقهاء بمواثيق قبلوها وأرسل إلى الفضيل بشرة آلاف فلم يقبلها فقال  
 له بنوه قد قبل الفقهاء وأنت ترد على حالتك هذه فيكي التفضيل وقال أتدرون ما مثلى ومثلكم  
 كمثل قوم كانت لهم بقرة يمرثون عليها فلما هربت دبحوها لأجل أن يتفجعوا بجلدها وكذلك

(١) حديث ابن عباس خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وجبريل معه فصعد على الصفا  
 الحديث في نزول إسرائيل وقوله إن أحببت أن أسير معك جبال تهامة زمردا ويقوتا وذهبا وفضة  
 الحديث تقدم مختصرا (٢) حديث إذا أراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة  
 وبصره ببؤس نفسه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس دون قوله ورغبه في الآخرة وزاد  
 فيه في الدين وإسناده ضعيف (٣) حديث ازهد في الدنيا يحبك الله الحديث تقدم (٤) حديث  
 من أراد أن يؤتبه الله علما بشير تعلم ويهدى بشير هداية فليزهد في الدنيا لم أجده أصلا (٥) حديث  
 من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات الحديث ابن حبان في الضمفاء من حديث علي بن أبي طالب  
 (٦) حديث أربع لا يدركن إلا بتعب الصمت هو أول العبادة الحديث الطبراني والحاكم من حديث  
 أنس وقد تقدم .

شعاع الشمس ولما  
 رأى الشكاهون أنه  
 يقال لهم الوجودات  
 محصورة قديم وجسم  
 وجوهر وعرض  
 فالروح من أي هؤلاء  
 فاختار قوم منهم أنه  
 عرض وقوم منهم أنه  
 جسم لطيف كذا ذكرنا  
 واختار قوم أنه قديم  
 لأنه أمر والأمر كلام  
 والكلام قديم فأحسن  
 الامساك عن القول  
 فيها هذا سبيله وكلام  
 الشيخ أبي طالب المكي  
 في كتابه يدل على أنه  
 يعيد إلى أن الأرواح  
 أعيان في الجسد وهكذا  
 النفوس لأنه يذكر  
 أن الروح تتحرك  
 لتغير ومن حركتها  
 يظهر نور في القلب

أنتم أردتم ذمعي على كبريى موتوا يا أهل جوعا خبز لكم من أن تدبخوا فضيلا . وقال عبيد بن حمير  
كان المسيح ابن مريم عليه السلام يلبس الشعر ويأكل الشجر وليس له ولد يموت ولا يمت غريب ولا  
يدخر لقد أنبأ أدرکه لسانه . وقالت امرأة أبي حازم لأبي حازم هذا الشتاء قد هجم علينا ولا بد لنا  
من الطعام واللباب والحطب فقال لها أبو حازم من هذا كله بد . ولكن لا بد فاقمن اللوث ثم البعث ثم  
الوقوف بين يدي الله تعالى ثم الجنة أو النار . وقيل للحسن لم لا تسلي شيأك قال الأمر أهمل من ذلك .  
وقال إبراهيم بن آدم قد حبت قلوبنا بثلاثة أغطية فلن يكشف للعبد اليقين حتى ترض عنه هذه الحبيب  
الفرح بالوجود والحزن على اللقود والسرور بالمدح فإذا فرحت بالوجود فأنت حرس وإذا حزنت  
على اللقود فأنت سائح والسائح مملوك وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والمعجب يحبط العمل .  
وقال ابن مسعود رضى الله عنه ركعتان من زاهد قلبه خبره وأحب إلى الله من عبادة التجدين المجتهدين  
إلى آخر الدهر أبدا سرمد . وقال بعض السلف نعمة الله علينا فيها صرف عنا أكثر من نعمته فيها  
صرف إلينا وكأنه التفت إلى معنى قوله صلى الله عليه وسلم « إن الله يعمي عبده المؤمن الذي يوهبه  
كأنعمون مريضكم الطعام والشراب يخافون عليه » (١) فافهم هذا علم أن النعمة في التمتع تؤدي  
إلى الصحة أكبر منها في الاعطاء تؤدي إلى السقم . وكان الثوري يقول: الدنيا دار التواء لا دار استواء  
ودار ترج لا دار فرح من عرفها لم يفرح برخاء ولم يحزن على شقاء . وقال سهل لا يخاف العمل لتعبه  
حتى لا يفرغ من أربعة أشياء الجوع والعري والفقر والذل . وقال الحسن البصري أدركت أقواما  
وهبت طوائف ما كانوا يفرحون بشئ من الدنيا أقبل ولا بأسفون على شئ منها أذبر ولمى كانت  
في أميهم أهون من التراب كان أحدم يعيش خمسين سنة أو ستين سنة لم يطوله ثوب ولم ينصب له  
قدر ولم يحل بينه وبين الأرض شيئا ولا أمر من في بيته بسنة طعام قط فإذا كان الليل قيام على  
أقدامهم يفرشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم بناجون ربه في فسلك رقابهم كانوا إذا  
عملوا الحسنة دأبوا في شكرها وسألوا الله أن يقبلها وإذا عملوا السيئة أحزنهم وسألوا الله أن يغفرها  
لم لم يزالوا على ذلك والله ما سلوا من الذنوب ولا نجوا إلا بالمغفرة رحمة الله عليهم ورضوانه .  
( بيان درجات الزهد وأقسامه بالإضافة إلى نفسه وإلى الرغوب عنه وإلى الرغوب فيه )

اعلم أن الزهد في نفسه يتفاوت بحسب تفاوت قوته على درجات ثلاث: الدرجة الأولى وهي السفلى  
منها أن يزهد في الدنيا وهو لها مشتة وقلبه إليها مائل ونفسه إليها ملتفت ولكنه يجاهد ما ويكفها وهذا  
يسمى التزهد وهو مبدأ الزهد في حق من يصل إلى درجة الزهد بالكسب والاجتهاد والتزهد يذيب  
أولاهه ثم كيبه والزهد أولاً يذيب كيبه ثم يذيب نفسه في الطاعات لافي الصبر على ما قاله قول التزهد  
على خطر فاته ربما قلبه نفسه وتجذبه شهوة فيعود إلى الدنيا وإلى الاستراحة بها في قليل أو كثير .  
الدرجة الثانية: الذي ترك الدنيا طوعا لاستحقاقه إليها بالإضافة إلى ما طمع فيه كالأدى يترك درهما  
لأجل درهمين فانه لا يبق عليه ذلك وإن كان يحتاج إلى انتظار قليل ولكن هذا الزاهد يرى  
لا هالة زهد وبلغت إليه كما يرى البائع للبيح وبلغت إليه فيكاد يكون معجبا بنفسه وزهد ووطن  
في نفسه أنه ترك شيئا له قدر لما هو أعظم قدرا منه وهذا يشاقصان . الدرجة الثالثة: وهي العليا  
يزهد طوعا ويزهد في زهد فلا يرى زهد إذ لا يرى أنه ترك شيئا لا يعرف أن الدنيا لاشئ فيكون  
كن ترك خرفة وأخذ جوهره فلا يرى ذلك معاوضة ولا يرى نفسه تاركا شيئا والدنيا بالإضافة إلى الله  
تعالى ونعيم الآخرة أخس من خرفة بالإضافة إلى جوهره فهذا هو الكمال في الزهد وسببه كاللحرفة

(١) حديث إن الله يعمي عبده المؤمن من الدنيا الحديث تقدم .

براه ذلك فليهم الخير  
عند ذلك وتترك  
لشئ ومن حركتها  
تظهر ظلة في القلب  
فيرى الشيطان الظلة  
فيقبل بالاعوام وحب  
وجدت أقوال الشايع  
تفسير إلى الروح  
أقول : ما عسى في  
ذلك على معنى ما ذكرت  
من التأويل دون  
أن أقطع به إذ ملى  
في ذلك إلى السكوت  
والاستكفاء قول والله  
أعلم : الروح الانساني  
الطوى السلاوى من  
عالم الأمر والروح  
الحيوانى البشرى من  
عالم الخلق والروح  
الحيوانى البشرى  
عمل الروح الطوى  
ومسوده والروح

ومثل هذا الزاهد آمن من خطر الانكشاف إلى الدنيا كما أن تارك الخوفة بالجوهرة آمن من طلب الاقالة في البيع . قال أبو يزيد رحمه الله تعالى لأبي موسى عبد الرحيم في أي شيء تتكلم ؟ قال في الزهد قال في أي شيء ؟ قال في الدنيا فنقض يده وقال غلثت أنه يتكلم في شيء . والدنيا لا شيء . إيش زهد فيها ومثل من ترك الدنيا للآخره عند أهل المعرفة وأرباب القلوب العمورة بالمشاهدات والمساكنات مثل من منعه من باب الملك كلب على بابه فأتى إليه لقمة من خبز فشقه بنفسه ودخل الباب ونال القرب عند الملك حتى أخذ أمره في جميع عملكته أقرى أنه يرى نفسه يدا عند الملك بلقمة خبز ألقاها إلى كلبه في مقابلة ماقد ناله فالشيطان كلب على باب الله تعالى يمنع الناس من الدخول مع أن الباب مفتوح والحجاب مرفوع والدنيا كلمعة خبز إن أكلت فلفقتها في حال الضغ وتقمص على القرب بالابتلاع ثم يبق ثقلها في المعدة ثم تنهى إلى التقي والقدر ثم يحتاج بعد ذلك إلى إخراج ذلك الثقل فمن تركها لئلا يزال عزالملك كيف بلغت إليها ونسبة الدنيا كلها أعنى ما يسلم لكل شخص منها وإن عمر مائة سنة بالإضافة إلى نعيم الآخر أقل من لقمة بالإضافة إلى ملك الدنيا إذ لانبية للتمتع إلى مالا نهاية له والدنيا متناهية على القرب ولو كانت تسامى ألف ألف سنة صافية عن كل كدر لكان لانبية لها إلى نعيم الأبد فكيف ومدة العمر قصيرة ولدت الدنيا مكدر غير صافية فأى نسبة لها إلى نعيم الأبد فاذن لا يلتفت الزاهد إلى زهده إلا إذا التفت إلى ما زهد فيه ولا يلتفت إلى ما زهد فيه إلا لأنه يراه شيئا معتدا به ولا يراه شيئا معتدا به إلا لقصور معرفته فسبب نقصان الزهد نقصان المعرفة فهذا تفاوت درجات الزهد وكل درجة من هذه أيضا لها درجات إذ قصر الزهد يختلف ويتفاوت أيضا باختلاف قدر الشفقة الصبر وكذلك درجة للعجب زهده بقدر التفاته إلى زهده . وأما أقسام الزهد بالإضافة إلى الرغبة فيه فهو أيضا على ثلاث درجات: الدرجة السفلى أن يكون الرغبة فيه النجاة من النار ومن سائر الآلام كعذاب القبر ومناقشة الحساب وخطر الصراط وسائر ما بين يدي العبد من الأهوال كالموردت به الأخبار إذ فيها « إن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بغير عطايا على عرقه لصدرت رواء (١) » فهذا هو زهد الخائفين وكانهم رضوا بالعدم ولو أعدموا فإن الخلاص من الألم يحصل بمجرد عدمه . الدرجة الثانية أن زهد رغبة في ثواب الله ونعيمه والذات للعودة في جنة من المحور والقصور وغيرها وهذا زهد الراجين فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا فتاعة بالعدم والخلاص من الألم بل طمعوا في وجود دائم ونعيم سرمد لا آخر له . الدرجة الثالثة وهي العليا أن لا يكون له رغبة إلا في الله وفي لقائه فلا يلتفت قلبه إلى الآلام ليقصد الخلاص منها ولا إلى اللذات ليقصد نيلها والظفر بها بل هو مستغرق المم بالله تعالى وهو القى أصبح وهو مغمى ثم واحد وهو للوحد الحقيقي الذي لا يطلب غير الله تعالى لأن من طلب غير الله قد عبده وكل مطلوب معبود وكل طالب عبد بالإضافة إلى مطلبه وطلب غير الله من التارك الحق وهذا زهد المحبين وهم الدارقون لأنه لا يحب الله تعالى خاصة إلا من عرفه وكما أن من عرف الدينار والدرهم وعلم أنه لا يقدر على الجمع بينهما لم يحب إلا الدينار فكذلك من عرف الله وعرف قوة النظر إلى وجهه الكريم وعرف أن الجمع بين تلك اللذة وبين لذة التمتع بالمحور العين

(١) حديث إن الرجل ليوقف في الحساب حتى لو وردت مائة بغير عطايا على عرقه لصدرت رواء أحمد من حديث ابن عباس التقي مؤثنان على باب الجنة مؤمن غنى ومؤمن فقير الحديث وفيه إني حبست بسلك محبسا فظليما كره ما وصلت إليك حتى سال من العرق ما لو ورده ألف بغير أكلة حتى لصدرت عنه رواء وفيه زهد غير مذنوب محتاج إلى معرفته قال أحمد حديثه مثله .

الحيوانى جبهانى لطيف  
حامل قسوة الحس  
والحركة يثبت من  
القلب أغنى بالقلب  
ههنا الضفة اللحية  
العروفة الشكل المودعة  
في الجانب الأيسر  
من الجسد وينتشر  
في تجاويف الروق  
الضوارب وههنا  
الروح لسائر الحيوانات  
ومنه خفيض قوى  
الحواس وهو الذى  
قوامه بأجراء سنة الله  
بالغذاء غالباً ويصرف  
بسلم الطب فيه  
باعتدال المزاج الأخلاط  
ولورود الروح الانسانى  
المولى على هذا  
الروح تجنسى الروح  
الحيوانى وبان  
أرواح الحيوانات

والنظر إلى نفس القصور وخضرة الأشجار غير ممكن فلا يحب إلا الله النظر ولا يؤثر غيره ولا يتظن أن أهل الجنة عند النظر إلى وجه الله تعالى يبق للذة الحور والقصور متسع في قلوبهم بل تلك اللذة بالإضافة إلى لذة نعيم أهل الجنة كلذة ملك الدنيا والاستيلاء على أطراف الأرض وراقب الخلق بالإضافة إلى لذة الاستيلاء على عصفور والحب به والطالبون لنعيم الجنة عند أهل المعرفة وأرباب القلوب كالصبي الطالب للعب بالعصفور التارك للذة الملك وذلك لقصوره عن إدراك لذة الملك لأن القلب بالمصفور في نفسه أعلى وألذ من الاستيلاء بطريق الملك على كافة الخلق . وأما انقسامه بالإضافة إلى اللغو عنه فقد كثرت فيه الأقاويل ولعل للذكور فيه زيد على مائة قول فلا يشتغل بنقل الأقاويل ولكن نشر إلى كلام محيط بالتفاصيل حتى يتضح أن أكثر ما ذكر فيه قاصر عن الاحاطة بالكل . فنقول: للرغوب عنه بالزهد له إجمال وتفصيل وتفصيله مراتب بعضها أشرح لأحد الأقسام وبعضها أجل للجمل . أما الأجمال في الدرجة الأولى فهو كل ما سوى الله فيبغى أن يزهد فيه حتى يزهد في نفسه أيضا . والأجمال في الدرجة الثانية أن يزهد في كل صفة للنفس فيأتمتع وهذا يتناول جميع مقتضيات الطبع من الشهوة والتعصب والكبر والرياسة والمال والجاه وغيرها ، وفي الدرجة الثالثة أن يزهد في المال والجاه وأسبابهما إذ إليهما ترجع جميع حظوظ النفس ، وفي الدرجة الرابعة أن يزهد في العلم والقدرة والدينار والدرهم والجاه ، إذا الأموال وإن كثرت أضافها فيجمعها الدينار والدرهم ، والجاه وإن كثرت أضافه فيجمع إلى العلم والقدرة وأغنى به كل علم وقدرة مقصودها ملك القلوب ، إذ معنى الجاه هو ملك القلوب والقدرة عليها كما أن معنى المال ملك الأعيان والقدرة عليها فإن جاوزت هذا التفصيل إلى شرح وتفصيل أبلغ من هذا فيكاد يخرج ما فيه الزهد عن الحصر وقد ذكر الله تعالى في آية واحدة سبعة منها قال - زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا - ثم رده في آية أخرى إلى خمسة فقال عز وجل - أعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد - ثم رده تعالى في موضع آخر إلى اثنين فقال تعالى - إنما الحياة الدنيا لعب ولهو - ثم رد الكل إلى واحد في موضع آخر فقال - ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى - فالهوى لفظ يجمع جميع حظوظ النفس في الدنيا فيبغى أن يكون الزهد فيه وإذا فهمت طريق الأجمال والتفصيل عرفت أن البعض من هذه لا يخالف البعض وإعنا يفارقه في الشرح مرة والأجمال أخرى . فالخاصل أن الزهد عبارة عن الرغبة عن حظوظ النفس كلها ومهما رغب عن حظوظ النفس رغب عن البقاء في الدنيا قصر أمه لا محالة لأنه إنما يريد البقاء ليتمتع ويريد التمتع الدائم بإرادة البقاء فإن من أراد شيئا أراد دوامه ولا معنى لحب الحياة إلا حب دوام ما هو موجود أو يمكن في هذه الحياة فإذا رغب عنها لم يردّها ولذلك لما كتب عليهم القتال - قالوا ربنا لم نكتب علينا القتال لولا أخرتنا إلى أجل قريب - فقال تعالى - قل متاع الدنيا قليل - أي لستم تريدون البقاء إلا لمتاع الدنيا فظهر عند ذلك الزاهدون وانكشف حال الناقضين . أما الزاهدون المحبون لله تعالى فقاتلوا في سبيل الله كأنهم بانيان مرموسين واستظفروا إحدى الحسين وكانوا إذا دعوا إلى القتال يستشفون رائحة الجنة ويأبدون إليه مبادرة الظلمة إلى الماء البارد حرصا على نصرته دين الله أو لئلا رتبة الشهادة وكان من مات منهم على فراشه يتحسر على قوت الشهادة حتى إن خالد بن الوليد رضى الله تعالى عنه لما احتضر الموت على فراشه كان يقول كم غررت بروحي وهجمت على الصغوف طمعا في الشهادة وأنا الآن أموت موت المعاجز فلما مات عد على جسده غائما تعب من آثار الجراحات هكذا كان حال الصادقين في الإيمان رضى الله تعالى عنهم أجمعين

واكتسب صفة أخرى  
نصار تسمعون لا تطلق  
واللهام قال الله تعالى  
- ونسى وما سواها  
فألهمها فجورها  
وتقواها - فتسويتها  
بوجود الروح للإنسان  
عليها وانقطاعها عن  
جنس أرواح الحيوانات  
فتكونت النفس  
بكون الله تعالى من  
الروح العلوي وصار  
تكون النفس التي  
هي الروح الحيواني من  
الآدمي من الروح  
العلوي في عالم الأمر  
كنكون حواء من  
آدم في عالم الخلق وصار  
بينهما من التألف  
والتماثل كما بين آدم  
وحواء وصار كل واحد  
منهما يهود للوث

وأما الناقون ففروا من الزحف خوفا من الموت قبل لهم - إن الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم - فابتارم البقاء على الشهادة استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير فأولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فارتعت تجارتهم وما كانوا مهتدين . وأما المخلصون فان الله تعالى اشترى منهم أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فظاروا أنهم تركوا تمتع عشرين سنة مثلا أو ثلاثين سنة تمتع الأبد استبشروا بيمينهم الذي باجوابه فهذا بيان الزهود فيه ، وإذا فهمت هذا علمت أن ما ذكره للتكمون في حدّ زهد لم يشيروا به إلا إلى بعض أقسامه فقد ذكر كل واحد منهم مראה غالبا على ثمة أو على من كان يخاطبه فقال بشر رحمة الله تعالى الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس ، وهذا إشارة إلى الزهد في الجاه خاصة . وقال قاسم الجوعى الزهد في الدنيا هو الزهد في الجوف فيقدر بما تملك من بطنك كذلك تملك من الزهد ، وهذا إشارة إلى الزهد في شهوة واحدة ، ولعمري هي أغلب الشهوات على الأكثر وهي الهبة لأكثر الشهوات . وقال الفضيل الزهد في الدنيا هو القناعة وهذا إشارة إلى المال خاصة . وقال الثوري الزهد هو قصر الأمل وهو جامع لجميع الشهوات فان من عيّل إلى الشهوات يحدث نفسه بالبقاء فيطول أمله ومن قصر أمله فكأنه رغب عن الشهوات كلها . وقال أوس إذا خرج الزاهد يطلب ذهب الزهد عنه وما قصد بهذا حدّ الزهد ولكن جعل التوكل شرطاً في الزهد . وقال أوس أيضا الزهد هو ترك الطلب للفضول وهو إشارة إلى الرزق . وقال أهل الحديث الدنيا هو العمل بالرأى والمقول والزهد إمساكهم اتباع العلم ولزوم السنة وهذا إن أريد به الرأى الفاسد والمقول الذي يطلب به الجاه في الدنيا فهو صحيح ولكنه إشارة إلى بعض أسباب الجاه خاصة أو إلى بعض ما هو من فضول الشهوات فان من المأمور ما لا فائدة فيه في الآخرة وقد طوّعوا حتى ينقض عمر الإنسان في الاشتغال بواجب من أخصر الزاهد أن يكون الفضول أوّل مرغوب عنه عنده ، وقال الحسن الزاهد الذي إذا رأى أحدا قال هذا أفضل مني فذهب إلى أن الزهد هو التواضع وهذا إشارة إلى نفي الجاه والعجب وهو بعض أقسام الزهد وقال بعضهم الزهد هو طلب الحلال ، وأن هذا ممن يقول الزهد هو ترك الطلب كما قال أوس ، ولا شك في أنه أراد به ترك طلب الحلال وقد كان يوسف بن أسباط يقول من صبر على الأدنى وترك الشهوات وأكل الحز من الحلال فقد أخذ بأصل الزهد ، وفي الزهد أنواريل وراما تفتناهم لم نرى نقلا قائمة فان من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رأها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدته من قلبه لا يتلقف من سمعه قد وفق بالحق والاطلع على قصور من قصر تصور بصيرته وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته وهؤلاء كلهم اقتصروا لاقتصروا في البصيرة لكنهم ذكروا ما ذكروه عند الحاجة فلا جرم ذكروهم بقدر الحاجة والحاجات تختلف فلا جرم الكلمات تختلف وقد يكون سبب الاقتصار الاخبار عن الحالة الزهنية التي هي مقام البعد في نفسه والأحوال تختلف فلا جرم الأقوال المتغيرة عنها تختلف ، وأما الحق في نفسه فلا يكون إلا واحدا ولا يتصور أن يختلف وإنما الجامع من هذه الأقاويل التكامل في نفسه وإن لم يكن فيه تفصيل ما قاله أبو سليمان الداراني إذ قال معنى في الزهد كلاما كثيرا ولله زهد عندنا ترك كل شيء يشغلك عن الله عز وجل وقد فصل مرة وقال من تزوج أو سافر في طلب العيشة أو كتب الحديث قد ركن إلى الدنيا فجعل جميع ذلك ضدّا للزهد ، وقد قرأ أبو سليمان قوله تعالى - إلامن أنى الله بقلب سليم - فقال هو القلب الذي ليس فيه غير الله تعالى وقال إنما زهدوا في الدنيا لترغ قلوبهم من همومها للآخرة ، فهذا بيان انقسام الزهد بالإضافة إلى أصناف الزهود فيه ، فأما بالإضافة إلى أحكامه فنقسم إلى فرض وتعل وسلامة كما قاله إبراهيم بن آدم فالعرض هو الزهد في الحرام والتعل هو الزهد في الحلال والسلامة هو الزهد في الشهوات ، وقد ذكرنا تفاصيل درجات الورع في كتاب الحلال

بغارقة صاحبه قال الله تعالى وجعل منها زوجا ليسكن إليها - فسكن آدم إلى حواء وسكن الروح الانساني العلوي إلى الروح الحيواني وصبره نسا وتكون من سكنون الروح إلى النفس القلب وأغنى بهذا القلب اللطيفة التي يحملها الغضة الحسية فالمشقة الاحمية من عالم الخلق وهذه اللطيفة من عالم الأمر وكان تكون القلب من الروح والنفس في عالم الأمر كتكون الذرية من آدم وحواء في عالم الخلق ولولا الساكنة بين الزوجين الذين أحدهما النفس ساكنون القلب فمن

والحرام وذلك من الزهد إذ قيل لما لك بن أنس ما الزهد قال التقوى ، وأما بالإضافة إلى خفايا ما تركه فلأنه لانه في إذلا نهاية لما تمتنع به النفس في الحطرات والحفظات وسائر الحالات لاسباب خفايا الرياء فإن ذلك لا يطلع عليه إلا محاسنة العلماء بل الأموال الظاهرة بأضداد جرات الزهد فيها لا تنأى فمن أقصى درجاته زهد عيسى عليه السلام إذ توسد حجرا في نومته قال له الشيطان أما كنت تركت الدنيا لما الذي بدا لك قال وما الذي نجد قال توسدك الحجر . أي تمتعت برغز رأسك عن الأرض في النوم فرمى الحجر وقال خذ مع ماركته لك ، وروى عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه لبس السوح حتى ثقب جلده تركا لقتل بين اللباس واستراحة حتى القس فسأته أمه أن يلبس مكان السح جبة من صوف ففعل فأوحى الله تعالى إليه يا يحيى آثرت على الدنيا فيكس وتزع الصوف وعاد إلى ما كان عليه ، وقال أحمد رحمه الله تعالى الزهد زهد أوسى يبلغ من العز أن جلس في قوصرة وجلس عيسى عليه السلام في ظل حائط إنسان فأقامه صاحب الحائط فقال ما أنتي أنت إنما أقنيتني لم يرض لي أن أتم بظل الحائط فأذن درجات الزهد ظاهره وأباطنا لا يحصرها وأقل درجاته الزهد في كل شعبة ومحظور ، وقال قوم الزهد هو الزهد في الحلال لا في الشبه والمحظور فليس ذلك من درجاته في شيء ثم رأوا أنه لم يبق حلال في أموال الدنيا فلا يتصور الزهد الآن . فان قلت مهما كان الصحيح هو أن الزهد ترك ماسوى الله فكيف يتصور ذلك مع الأكل والشرب واللبس وغناطة الناس ومكالتهم وكل ذلك اشتغال بماسوى الله تعالى . فاعلم أن معنى الانصراف عن الدنيا إلى الله تعالى هو الاقبال بكل القلب عليه ذكر أو فكريا ولا يتصور ذلك إلا مع البقاء لبقاء البصرويات النفس فيها انحصرت من الدنيا على دفع اللهكات عن البدن وكان غرضك الاستعانة بالبدن على العبادة لم تكن مشغلا بغير الله فان ما لا يتوصل إلى الشيء إلا به فهو منه فاشتغل بغير الله فاشتغل بطريق الحرج ليس معرضا عن الحرج ولكن يبنى أن يكون بدنك في طريق الله مثل ناقتك في طريق الحرج ولا غرض لك في تتم ناقتك بالذات بل غرضك مقصور على دفع اللهكات عنها حتى تسير بك إلى مقصدك فكذلك يبنى أن تكون في صيانة بدنك عن الجوع والعطش للهلاك بالأكل والشرب وعن الحر والبرد للهلاك باللباس والسكن فتقتصر على قدر الضرورة ولا تصد القلب بغير التقوى على طاعة الله تعالى فذلك لا يتناقض الزهد بل هو شرط الزهد . وإن قلت فلا بد وأن أنقذ بالأكل عند الجوع . فاعلم أن ذلك لا يضر إذا لم يكن قصدك التلذذ فان شارب اللاء البارد قد يستلذ بالشرب ويرجع حاصله إلى زوال ألم العطش ومن يقضى حاجته قد يستريح بذلك ولكن لا يكون ذلك مقصودا عند من يطلب بالقصد فلا يكون القلب منصرفا إليه فالإنسان قد يستريح في أيام الليل ينسم الأسحار وصوت الأطيار ولكن إذا لم يقصد طلب موضع لهذه الاستراحة لما يصيبه من ذلك بغير قصد لا يضره . ولقد كان في الحائذين من طلب موضعا لا يصيبه فيه نسم الأسحار خيفة من الاستراحة بمؤانس القلب معه فيكون فيه أنس بالدنيا وتعمان في الأنس بالله بقدر وقوع الأنس بغير الله . ولذلك كان داود الطائي لهج بكشف فيه مأوه فكان لا يرفه من الشمس ويشرب للاء الحار ويقول من وجد قدة للاء البارد شق عليه مفارقة الدنيا ، فهذه مخاوف المختاطين والحزم في جميع ذلك الاحتياط فانه وإن كان شافا فدهه قرية والاحتياط مدة يسيرة للتمتع على التأيد لا ينقل على أهل المعرفة القاهرين لأنهم سياسة الشرع للتصميم بحروة البينين في معرفة للضادة التي بين الدنيا والدين رضى الله تعالى عنهم أجمعين .

( بيان تفصيل الزهد فيها هو من ضروريات الحياة )

اعلم أن ما الناس منهم يكون فيه ينقسم إلى فضول وإلى مهم فالفضول كاللحل السوسة مثلا وإذ قال الناس

القلوب قلب متطلع إلى الأب الذي هو الروح العلوى مبال إليه وهو القلب للؤيد الذي ذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها رواء حذيفة رضى الله عنه قال : القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب أسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفع فيه إيمان وتناق فمثل الايمان فيمثل البقرة يدها للاء الطيب ومثل التناق فيه كمثل القرحة يدها القبيح والصديد فأى الناس

إنما يحتجها لقرنه ركوبها وهو قادر على الشيء ولهم كالأكل والشرب ولنا قدر على تفصيل أصناف الفضول فإن ذلك لا ينحصر وإنما ينحصر لهم الضرورى ولهم أيضا ينطبق إليه فضول في مقداره وجنسه وأوقاته فلا بد من بيان وجه الزهد فيه واللهات ستة أمور : الطم والللبس والسكن وأثاثه والشك والبال والجاه يطلب لأغراض وهذه الستة من جملة وقد ذكرنا معنى الجاه وسبب حب الحلق له وكيفية الاحتراز منه في كتاب الرأى من ربيع الهللكات ونحن الآن تقتصر على بيان هذه اللهات الستة [ الأول الطم ] ولا بد للإنسان من قوت حلال يقيم عليه ولكن له طول وعرض فلا بد من قبض طوله وعرضه حتى يتم به الزهد فأما طوله فبالإضافة إلى جملة العمر فإن من يملك طعام يومه فلا يتعجب به وأما عرضه ففي مقدار الطعام وجنسه وقت تناوله أما طوله فلا يقصر إلا بقصر الأمل وأقل درجات الزهد فيه الاقتصاد على قدر دفع الجوع عند شدة الجوع وخوف المرض ومن هذا حاله فإذا استقل بما تناوله لم يدخر من غذائه لعشائه وهذه هي الدرجة العليا . الدرجة الثانية : أن يدخر لشهر أو أربعين يوما . الدرجة الثالثة : أن يدخر لسنة فقط وهذه رتبة صفاء الزهاد ومن ادخر لأكثر من ذلك قسمته زهدا محال لأن من أمل بقاء أكثر من سنة فهو طويل الأمل جدا فلا يتم منه الزهد إلا إذا لم يكن له كسب ولم يرض لنفسه الأخذ من أيدي الناس كداود الطائي فإنه ورث عشرين ديناراً فأمسكها وأتقيا في عشرين سنة فهذا أيضاً أصل الزهد لا يعتمد من جعل التوكل شرط الزهد وأما عرضه فبالإضافة إلى القدر وأقل درجاته في اليوم واليلة نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد واحد وهو ما قدره الله تعالى في إطعام السكين في الكفارة وما وراء ذلك فهو من اتساع البطن والاشتغال به ومن لم يقدر على الاقتصاد على مد لم يكن له من الزهد في البطن نصيب وأما بالإضافة إلى الجنس فأقله كل ما يقوت ولو الحبز من النخالة وأوسطه خبز الشعير والقدرة وأعلاه خبز البر غير منخول فإذا ميز من النخالة وصار حواري قد دخل في التتم وخرج عن آخر أبواب الزهد فضلا عن أوائله وأما الأدم فأقله للحل والبقل والحل وأوسطه الزيت أو سبب من الأدهان أى دهن كان وأعلاه اللحم أى لحم كان وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين فإن صار دائماً أو أكثر من مرتين في الأسبوع خرج عن آخر أبواب الزهد فلم يكن صاحبه زاهداً في البطن أصلاً وأما بالإضافة إلى الوقت فأقله في اليوم واليلة مرة وهو أن يكون صائماً وأوسطه أن يصوم ويشرب ليلة ولا يأكل ليلة ولا يشرب وأعلاه أن يتمنى إلى أن يطوى ثلاثة أيام أو أسبوعاً وما زاد عليه وقد ذكرنا طريق تقليل الطعام وكسر شرهه في ربيع الهللكات ولينظر إلى أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم في كيفية زهدهم في الطعام وركم الأدم قالت عائشة رضى الله تعالى عنها « كانت تأتى علينا أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار قيل لها فهم كنتم تمشون قالت بالأسودين الجروالاء <sup>(١)</sup> » وهذا ترك اللحم والمرقة والأدم . وقال الحسن « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويتنمل المصوف ويلق أصابه ويأكل على الأرض ويقول إنما أنا جبد أكل كما تأكل العبيد وأجلس كما تجلس العبيد <sup>(٢)</sup> » وقال السج عليه السلام بحق أقول لكم إنه من طلب الفردوس غلبه الشعر له والنوم على الزايل مع الكلاب كثير . وقال الفضيل

(١) حديث عائشة كانت تأتى أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار الحديث ابن ماجه من حديث عائشة كان يأتي آل محمد الشهر مابرى في بيت من بيوتهم دخان الحديث وفي رواية له ما يوقد فيه نار ولا أحد كان يمر بنا هلال وهلال ما يوقد في بيت من بيوتهم نار وفي رواية له ثلاثة أهلة (٢) حديث الحسن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار

غلبت عليه حكمه  
بها والقلب للنكوس  
ميل إلى الأم التي هي  
النفس الأمانة بالسوء  
ومن القلوب قلب  
مرتدد في ميله إليها  
وبحسب غلبة ميل  
القلب يكون حكمه  
من السعادة والشقاوة  
والقل جوهى الروح  
المولى ولسانه والبال  
عليه وتديره القلب  
المؤيد والنفس الزكية  
للطمشة تدبير الوالد  
للولد البار والزوج  
للزوجة الصالحة  
وتدبیره القلب  
النكوس والنفس  
الأمانة بالسوء تدبير  
الوالد للولد المالحق  
والزوج للزوجة السيئة  
فنكوس من وجه

ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر<sup>(١)</sup> . وكان السبع صلى الله عليه وسلم يقول : يا بني إسرائيل عليكم بالماء القراح والبقل البري وخبز الشير وإياكم وخبز البر فاسكنن تقوموا بشركم وقد ذكرنا سورة الأنبياء والسلف في الطعم والشرب في ربيع الهلكات فلا ينعده ولما أتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قباء أتوه بشربة من لبن مشوبة بسل فوضع القدح من يده وقال : «أما إنني لست أحرمه ولكن أركه تواضعاً لله تعالى»<sup>(٢)</sup> وأتى عمر رضي الله عنه بشربة من ماء بارد وعسل في يوم صائف فقال اعزلوا عني حسابها وقد قال يحيى بن معاذ الرازي الزاهد الصادق قوته ما وجد وإليه ما ستر ومسكنه حيث أدرك الدنيا سجنه والقبر مضجعه والحلوة مجلسه والاعتبار فكرته والقرآن حديثه والرب أنيسه والذكر رفيقه والزهد قرينه والحزن شأنه والحياة شماره والجوع إدامه والحسكة كلامه والتراب فراشه والتقوى زاده والصمت غنيته والصبر معتمده والتوكل حسبه والعقل دليله والعبادة حرفة والجنة مبلغه إن شاء الله تعالى [ اللهم الثاني ] اللبس وأقل درجته ما يندفع الحر والبرد ويسترد الورد وهو كساء يتغطى به وأوسطه قميص وقائسوة وتعلان وأعلى أن يكون معه مندبل وسراويل وما جاوز هذا من حيث التقدير فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد أن لا يكون له ثوب يلبسه إذا غسل ثوبه بل يلزمه القمود في البيت ، فإذا صار صاحب قميصين وسراويلين ومندبلين فقد خرج من جميع أبواب الزهد من حيث التقدير ، أما الجنس فأقله السوح الخشن وأوسطه الصوف الخشن وأعلىه القطن النظيف ، وأما من حيث الوقت فأقصاه ما يستر سنة وأقله ما يبق يوما حتى رقع بعضهم ثوبه يورق الشجر وإن كان يتسارع الجفاف إليه وأوسطه ما يتمايل عليه شهرا وما يقاربه قطب ما يبق أكثر من سنة خروج إلى طول الأمل وهو مضاد للزهد إلا إذا كان المطلوب خشوته ثم قد يتبع ذلك قوته ودوامه فمن وجد زيادة من ذلك فينبغي أن يتصدق به فإن أسكه لم يكن زاهدا بل كان مجاهدا للدنيا ولينظر فيه إلى أحوال الأنبياء والصحابة كيف تركوا الملابس قال أبو بردة أخرجت لنا عائشة رضي الله تعالى عنها كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت قس رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين<sup>(٣)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «إن الله تعالى يحب المتبذل الذي لا يبالى ما لبس»<sup>(٤)</sup> وقال عمرو بن الأسود العنسي لا لبس مشهورا أبدا ولا أنام بليل على دثار أبدا ولا أركب على ما تور أبدا ولا أملأ حوفي من طعام أبدا فقال عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتنظر إلى عمرو بن الأسود<sup>(٥)</sup> وفي الخبر «مامن عبد لبس ثوب شهرة إلا أعرض الله عنه حتى يترعه وإن كان عنده حبيبا»<sup>(٦)</sup> واشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم<sup>(٧)</sup>

ومنجذب إلى تديرها  
من وجه إذ لا بد له  
منها وقول القائلين  
واختلافهم في هل  
القل فمن قائل إن  
هله الدماغ ومن قائل  
إن هله القلب كلام  
القاصرين عن ذلك  
حقيقة ذلك واختلافهم  
في ذلك لعدم استقرار  
القل على نسق واحد  
وانجذابه إلى البارتارة  
بإلى العاق أخرى  
وللقلب والدماغ نسبة  
إلى البار والعاق فإذا  
رؤى في تدير العاق  
قل مسكنه الدماغ  
وإذا رؤى في تدير  
البار قل مسكنه القلب  
فالروح العلوى يه  
بالارضاع إلى مولا  
شوقا وحسوا وتزها

الحديث تقدم دون قوله إنما عدا فانه ليس من حديث الحسن إنما هو من حديث عائشة وقد تقدم (١) حدث ما شيع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر تقدم (٢) حديث لما أتى أهل قباء أتوه بشربة من لبن بسل فوضع القدح من يده الحديث تقدم (٣) حديث أخرجت عائشة كساء ملبدا وإزارا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذين الشيطان وقد تقدم في آداب المعيشة (٤) حديث إن الله يحب المتبذل الذي لا يبالى ما لبس لم أجده أصلا (٥) حديث عمر من سره أن ينظر إلى هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليتنظر إلى عمرو بن الأسود رواه أحمد بإسناد جيد (٦) حديث مامن عبد لبس ثوب شهرة الحديث ابن ماجه من حديث أبي ذر بإسناد جيد دون قوله وإن كان عنده حبيبا (٧) حديث اشترى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثوبا بأربعة دراهم أبو يعلى من حديث أبي هريرة قال

وكانت قيمة ثوبه عشرة <sup>(١)</sup> . وكان إزاره أربعة أذرع ونصف <sup>(٢)</sup> . واشترى سراويل بثلاث دراهم <sup>(٣)</sup> . وكان بلبس قمطين يضارب من صوف <sup>(٤)</sup> وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد وربما كان بلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه القلائد وفي الخبر كان قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنه قبض ريات <sup>(٥)</sup> . ولبس رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما واحدا ثوبا سيرا من سندس قيمته مائتا درهم <sup>(٦)</sup> فكان أصحابه يلبسونه ويقولون يا رسول الله أنزل عليك هذا من الجنة تصيبا وكان قد أهدها إليه القوقس ملك الاسكندرية فأراد أن يكرمه بلبسه ثم زعه وأرسل به إلى رجل من التركيين وصله به ثم حرم لبس الحرير والديباغ وكأنه إنما لبسه أولا ثم أكيدا للتحريم كما لبس خاتما من ذهب يوم مات ثم زعه <sup>(٧)</sup> لحرم لبسه على الرجال وكان قال لعائشة في شأن بريرة اشترطي لأهلها الولاء <sup>(٨)</sup> فلما اشترطته صد عليه السلام للبر غفره وكما أباح للثقة ثلاثا ثم حرمها فلما أكد أمر النكاح <sup>(٩)</sup> وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمته لما علم فلما سلم قال شغافى النظر إلى هذه اذهبوا بها إلى أبي جهم واتنوى بأن يجانيته <sup>(١٠)</sup> بنتي كساء فاختار لبس الكساء على الثوب الناعم وكان شره لخلق فأنزل بديل بسر جديد فصل في فيه فلما سلم قال أعيذوا الشراك الخلق وأنزعوا هذا الجديد فأنظرتم إليه في الصلاة

دخلت يوما السوق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس إلى البرازين واشترى سراويل بأربعة دراهم الحديث وإسناده ضعيف <sup>(١)</sup> حديث كان قيمة ثوبه عشرة دراهم لم أجده <sup>(٢)</sup> حديث كان إزاره أربعة أذرع ونصف أبو الشيخ في كتاب أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم من رواية عروة بن الزبير مرسلان كان رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة أذرع ، وعمره ذراعان ونصف الحديث وفيه ابن لهجة . وفي طبقات ابن سعد من حديث أبي هريرة كان له إزار من نسج عمان طوله أربعة أذرع وشبر في ذراعين وشبر ، وفيه محمد بن عمر الواقدي <sup>(٣)</sup> حديث اشترى سراويل بثلاثة دراهم للعرف أنه اشتره بأربعة دراهم كما تقدم عند أبي بصير وشراؤه السراويل عند أصحاب السنن من حديث سويد بن قيس إلا أنه لم يذكر فيه مقدار ثمنه قال الترمذي حسن صحيح <sup>(٤)</sup> حديث كان بلبس قمطين يضارب من صوف وكانت تسمى حلة لأنها ثوبان من جنس واحد وربما كان بلبس بردين يمانيين أو سحوليين من هذه القلائد تقدم في آداب وأخلاق النبوة لبسه لشملة البرد والحجرة . وأما لبسه الحلة ففي الصحيحين من حديث البراء رأيته في حلة حمراء ولأبي داود من حديث ابن عباس حين خرج إلى الحزورية وعليه أحسن ما يكون من حلل اليمن وقال رأيته على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن ما يكون من الحلل وفي الصحيحين من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم قبض في ثوبين أحدهما إزار غليظ مما يصنع باليمن وتقدم في آداب العيشة ولأبي داود والترمذي والنسائي من حديث أبي رزمة وعليه بردان أخضران سكت عليه أبو داود واستخره الترمذي والبرازين من حديث قدامة الكلبي وعليه حلة حمراء وفيه عريف بن إبراهيم لا يعرف قاله الذهبي <sup>(٥)</sup> حديث كان لبسه كأنه قبض ريات الترمذي من حديث أنس بن مالك ضعف كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحته حتى كأن ثوبه ثوب ريات <sup>(٦)</sup> حديث لبس يوما واحدا ثوبا سيرا من سندس قيمته مائتا درهم أهدها له القوقس ثم زعه الحديث <sup>(٧)</sup> حديث لبس يوما خاتما من ذهب <sup>(٨)</sup> ثم زعه متفق عليه وقد تقدم <sup>(٩)</sup> حديث قال لعائشة في شأن بريرة اشترطي لأهلها الحديث متفق عليه من حديثها <sup>(٩)</sup> حديث أباح للثقة ثلاثا ثم حرمها مسلم من حديث سلمة بن الأكوع <sup>(١٠)</sup> حديث صلى في خيمته لما علم الحديث متفق عليه وقد تقدم في الصلاة .

[١] قول العراقي ثم زعه الحديث هكذا في النسخ غير ذكر راو ولم يشكهم عليه الشارح فليظفروا .

عن الأكون ومن  
الأصكوان القلب  
والنفس فإذا ارتقى  
الروح نحو القلب إليه  
حو الولد الحسين  
البار إلى والدو نحن  
النفس إلى القلب الذي  
هو الولد حين الولادة  
الحنية إلى ولدها وإذا  
حنت النفس ارتقت  
من الأرض وازوت  
عروفتها الضاربة في  
العالم السفلى وانطوى  
هواها وانحسرت  
مادته ووزهدت في الدنيا  
وتجافت عن دار  
الغرور وأثابت إلى دار  
الخلود وقد تغلغل النفس  
التي هي الأم إلى  
الأرض بوضعها الجبلي  
لتكونها من الروح  
الحيوانى الجنس

«وليس خاتماً من ذهب ونظر إليه على اللبر نظرة فرسى به فقال شغلنى هذا عنكم نظرة إليه ونظرة إليكم» (١). «وكان صلى الله عليه وسلم قد احتذى مرة تعالين جديدين فأنجبهما حسنهما غفر ساجدا وقال : أجبني حسنهما فتواضعت لى خشية أن يفتنى ثم خرج بهما فدفنهما إلى أول مسكن مكة» (٢). وعن سنان بن سعد قال : حيثك رسول الله صلى الله عليه وسلم جبة من صوف أعمار وجعلت حاشيتها سوداء فلما لبسها قال : «انظروا ما أحسنها وما أليها قال أقام إليه أعرابي قال يا رسول الله هي إلى وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سئل شيئا لم يخل به قال فدفنها إليه وأمر أن يحاك له واحدة أخرى فأتى صلى الله عليه وسلم على فاطمة رضى الله تعالى عنها وهي تطحن بالرحى وعليها كساء من وبر الابل فلما نظر إليها بكى وقال يا فاطمة تجرعى مرارة الدنيا لتعم الأبد فأنزل الله عليه - ولولف يملكك ربك قترض -» (٣). وقال صلى الله عليه وسلم «إن من خيار أمتي فبا أنبأى للآألى قوما يضحكون جهرا من سمة رحمة الله تعالى ويكفون سرا من خوف عذابه مؤتمى على الناس خفية وعلى أنفسهم ثقيلة يلبسون الخلقان ويتبعون الرهبان أجسامهم فى الأرض وأقشهم عند الرمش» (٤). فلهذا كانت سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اللابى «وقد أوصى أمة عامة باتباعه إذ قال «من أحبني فليستن بسننى» (٥). وقال «عليكم بسننى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عضوا عليها بالواجد» (٦). وقال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبك الله - «وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة رضى الله عنها خاصة وقال إن أردت الحق فى فالك وبجاسة الأغنياء ولا تنزعى ثوبا حتى ترقيه» (٧). وعد على قبر عمر رضى الله عنه اثنا عشرة رقعة بعضها من آدم واشترى على بن أبى طالب كرم الله وجهه ثوبا بثلاثة دراهم ولبسه وهو فى الخلقة وقطع كيه من الرمنين وقال الحمد لله الذى كسانى هذا من ريشه . وقال الثورى وغيره البس من الثياب ما لا يشرك عند العلماء ولا يعفرك عند الجهال وكان يقول إن الفقير ليجر بي وأنا أصلى فأدعه يجوز ويمر بي واحد من أبناء الدنيا وعليه هذه البرة فأمته ولا أدعه يجوز . وقال بعضهم قومت ثوبى سفيان وفضله بدرهم وأربعة دنانير . وقال ابن شبرمة خير ثيابى ما خدمنى وشرها ما خدمته . وقال بعض السلف : البس من الثياب ما يغفلك بالسوقة ولا تلبس منها ما يشرك فينظر إليك . وقال أبو سليمان الداراني : الثياب ثلاثة ثوب لله وهو ما يستر العورة وثوب للنفس وهو ما يطلب ليه وثوب للناس وهو ما يطلب جوهره وحسنه . وقال بعضهم من رقى ثوبه رقى دينه

(١) حديث لبس خاتماً فظهر إليه على اللبر فرسى به وقال شغلنى هذا عنكم نظرة إليه ونظرة إليكم (٢) حديث لبس خاتماً فظهر إليه على اللبر فرسى به وقال شغلنى هذا عنكم نظرة إليه ونظرة إليكم (٣) حديث لبس خاتماً فظهر إليه على اللبر فرسى به وقال شغلنى هذا عنكم نظرة إليه ونظرة إليكم (٤) حديث لبس خاتماً فظهر إليه على اللبر فرسى به وقال شغلنى هذا عنكم نظرة إليه ونظرة إليكم (٥) حديث لبس خاتماً فظهر إليه على اللبر فرسى به وقال شغلنى هذا عنكم نظرة إليه ونظرة إليكم (٦) حديث لبس خاتماً فظهر إليه على اللبر فرسى به وقال شغلنى هذا عنكم نظرة إليه ونظرة إليكم (٧) حديث لبس خاتماً فظهر إليه على اللبر فرسى به وقال شغلنى هذا عنكم نظرة إليه ونظرة إليكم

ومستندها فى ركونها إلى الطباع التى هى أركان العالم السفلى . قال الله تعالى - ولو شئت لفسدتها ولكنت أخلفه لى الأرض واتبع هواه - فإذا سكنت النفس التى هى الأم إلى الأرض انحذب إليها القلب للشكوس انحذاب الولد لوالده إلى والدته للعوجة النافسة دون الوالد الكامل للسنتم وتنجذب الروح إلى الولد الذى هو القلب لاجل عليه من انحذاب الوالد إلى ولده فند ذلك يتخلف عن حقيقة القيام بحق مولاه وفى هذين الانحذابين يظهر حكم السعادة والشقاوة

وكان جمهور العلماء من التابعين قيمة ثيابهم ما بين العشرين إلى الثلاثين درهما وكان الخواص لا يلبس أكثر من قطعتين قميص ومزترحة وربما يعطف ذيل قميصه على رأسه . وقال بعض السلف أول الفسك الذي وفي الخبر « البذلة من الإيمان » وفي الخبر « من ترك ثوب جال وهو يقدر عليه نواضعا لله تعالى وإتباعا لوجهه كان حقا على الله أن يدخر له من عبقري الجنة في ثغث الباقوت » وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه قل لأوليائي لا يلبسوا ملابس أعدائي ولا يدخلوا مداخل أعدائي فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي ونظر رافع بن خديج إلى بشر بن مروان على منبر الكوفة وهو يعظ فقال انظروا إلى أميركم يعظ الناس وعليه ثياب الفساق وكان عليه ثياب رفاق وجاء عبد الله بن عامر بن ربيعة إلى أبي ذر في ربه فجعل يشكك في الزهد فوضع أبو ذر راحته على فيه وجعل يضرب به فغضب ابن عامر فشكه إلى عمر فقال أنت منعت بنفسك تشكك في الزهد بين يديه بهذه البزة وقال على كرم الله وجهه إن الله تعالى أخذ على أمة الهدى أن يكونوا في مثل أدنى أحوال الناس ليقتدى بهم الغنى ولا يزي بالفتير فقره ولما عوب في خشونة لباسه قال هو أقرب إلى التواضع وأجدر أن يقتدى به السلم ونهى صلى الله عليه وسلم عن التثمم وقال « إن لله تعالى عبادا ليسوا بالمتنعين <sup>(١)</sup> » ورؤي فضالة بن عبيد وهو والى مصر أشعث حافيا يقول له أنت الأمير وتعمل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاء وأمرنا أن نخفي أحيانا <sup>(٢)</sup> . وقال على لعمر رضى الله عنهما إن أردت أن تلحق بصاحبك فارقع القميص ونكس الإزار واخشف النعل وكل دون الشيع وقال عمر اخشوشنوا وإياكم وزي العجم كسرى وقصر . وقال على كرم الله وجهه من زنا بزى قوم فهو منهم وقال رسول الله ﷺ « إن من شرار أمم الذين غدوا بالتميم يطلبون ألوان الطعام وألوان الثياب ويتشدقون في الكلام <sup>(٣)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « أزره المؤمن إلى أنصاف سابقه ولا جناح عليه فيما بينه وبين الكمين وما أسفل من ذلك ففي التار ولا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر إزاره بطرا <sup>(٤)</sup> » وقال أبو سليمان الداراني قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « لا يلبس الشعر من أمق إلا مراة أو أحرق <sup>(٥)</sup> » وقال الأوزاعي لباس الصوف في السفرة وفي الحضر بدعة ودخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم وعليه جبة صوف فقال له قتيبة مادماك إلى مدرعة الصوف فسكت فقال أكلك ولا تجيبي فقال أكره أن أقول زهدا فأزكي نفسي أو قترا فأشكو ربى وقال أبو سليمان لما أخذ الله إبراهيم خيلا أوحى إليه أن وار عورتك من الأرض وكان لا يتخذ من كل شيء إلا واحدا سوى السراويل فإنه كان يتخذ سراويلين فإذا غسل أحدهما لبس الآخر

الترمذي وقال غريب والحاكم وصححه من حديث عائشة وقد تقدم (١) حديث نهى عن التثمم وقال إن لله عبادا ليسوا بالمتنعين أحمد من حديث معاذ وقد تقدم (٢) حديث فضالة بن عبيد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإرفاء [١] وأمرنا أن نخفي أحيانا أبو داود بإسناد جيد (٣) حديث إن من شرار أمم الذين غدوا بالتميم الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بإسناد ضيف سيكون رجال من أمم يلبسون ألوان الطعام الحديث وآخره أولئك شرار أمم وقد تقدم (٤) حديث أزره المؤمن إلى أنصاف سابقه الحديث مالك وأبو داود والنسائي وابن جابر من حديث أبي سعيد ورواه أيضا النسائي من حديث أبي هريرة قال محمد بن يحيى الذهلي كلا الحديثين محفوظ (٥) حديث أبي سليمان لا يلبس الشعر من أمق إلا مراة أو أحرق لم أجده له إسنادا .

[١] الإرفاء بكسر الهمزة ثم راء ساكنة ثم فاء مفصولة ثم هاء وليست بثاء : التدهن والترجيل كل يوم . وقيل التوسع في الطعام والمشر برفهان اه .

- ذلك تقدير العزيز العليم . - وقد ورد في أخبار داود عليه السلام أنه سأل ابنه سليمان أن يوضح العقل منك قال القلب لأنه قالب الروح والروح قالب الحياة . وقال أبو سعيد القرشي الروح روحان روح الحياق وروح اللات فاذا اجتمعا غفل الجسم وروح اللات هي التي إذا خرجت من الجسد صير الحي ميتا وروح الحياة ما به مجارى الأنفاس وقوة الأكل والشرب وبغيرها ، وقال بعضهم : الروح نسيم طيب يكون به الحياة والنفس ريح حارة يصحكون منها

الآخر حتى لا يأتي عليه حال إلا وعورته مستورة ، وقيل لسان القارسي رضى الله عنه مالك تلبس الجريد من الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فإذا عتق فله والله ثياب لا تبلى أبدا ، وروى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله أنه كان له جبة شعر وكساء شعر يلبسهما من الليل إذا قام صلى ، وقال الحسن لقرعة السبخي تحسب أن لك فضلا على الناس بكسائك بلنى أن أكثر أصحاب النار أصحاب الأكسية خافا . وقال يحيى بن معين : رأيت أبا معاوية الأسود وهو يلتقط الحرق من الزايل ويسلمها ويلبثها ويلبسها قلت إنك تسكن خيرا من هذا قال ماضرم ماضبهم في الدنيا جبر الله لهم بالجنة كل مصيبة فجعل يحيى بن معين يحدث بها ويكنى [ اللهم الثالث ] للسكن والزهو فيه أيضا ثلاث درجات : أعلاها أن لا يطلب موصفا خاصا لنفسه فيقتنع بزوايا الساجد كأصحاب الصفة وأوسطها أن يطلب موصفا خاصا لنفسه مثل كوخ مبنى من سفوف أو خض أو ما يشبهه وأدناها أن يطلب حجرة مبنية إما بشراء أو بإجارة فإن كان قدر سعة للسكن على قدر حاجته من غير زيادة ولم يكن فيه زينة لم يخرج به هذا القدر عن آخر درجات الزهد فإن طلب التشديد والتجسس والسعة وارتضاع السقف أكثر من ستة أذرع قد جاوز بالسكينة حد الزهد في السكن فاختلاف جنس البناء بأن يكون من الجص أو القصب أو بالطين أو بالأجر واختلاف قدره بالسعة والضيق واختلاف طوله بالإضافة إلى الأوقات بأن يكون مملوكا أو مستأجرا أو مستعارا وللزهد مدخل في جميع ذلك وبالجملة كل ما يراد للضرورة فلا ينبغي أن يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة من الدنيا آفة الدين ووسيلته وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من السكن دفع للحر والبرد ودفع الأعين والأذى وأهل الدرجات فيه معلوم وما زاد عليه فهو الفضول والفضول كله من الدنيا وطلب الفضول والساعي له بعيد من الزهد جدا وقد قيل أول شيء ظهر من طول الأمل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم التدبر والتشديد يعني بالتدبر كيف دروز الثياب فإنها كانت تشل شلا والتشديد هو البناء بالجص والأجر وإنما كانوا يبنون بالسعف والجريد (١) وقد جاء في الخبر « يأتي على الناس زمان يوشون ثيابهم كما توشى البرود اليمنية » وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم العباس أن يهدم عليه كان قد علاها (٢) « ومن عليه السلام مجنبه معلة فقال لمن هذه قالوا لفلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه فلم يكن يقبل عليه كما كان فسأل الرجل أصحابه عن تغير وجهه صلى الله عليه وسلم فأخبر فذهب فهدمها فرأى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالموضع فلم يرها فأخبر بأنه هدمها فدعا له غيره (٣) » وقال الحسن « مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة ولا قصبة على قصبة (٤) »

(١) حديث كانت الثياب تشل شلا وكانوا يبنون بالسعف والجريد أما مثل الثياب من غير كيف فروى الطبراني والحاكم أن عمر قطع مافضل عن الأصابع من غير كيف وقال هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما البناء ففي الصحيحين من حديث أنس في قصة بناء مسجد المدينة صفوا النخل قبل المسجد وجعلوا عضادته بالحجارة الحديث ولهم من حديث أنس سيد كان المسجد على عريش فوكف المسجد (٢) حديث أمر العباس أن يهدم عليه كان قد علاها الطبراني من رواية أبي العالية أن العباس بنى غرفة فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اهدمها الحديث وهو منقطع (٣) حديث مر مجنبه معلة فقال لمن هذه ؟ قالوا لفلان فلما جاءه الرجل أعرض عنه الحديث أبو داود ومن حديث أنس بإسناد جيد بلفظ فرأى قبة مشرفة الحديث والمجنبه القبة (٤) حديث الحسن مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لينة على لينة الحديث ابن حبان في الثقات وأبو نعيم في الحلية هكذا مر سلا والطبراني في الأوسط من حديث عائشة من سأله عن أوسرمان نظر إلى فلينظر إلى أشعث صاحب مشعر لم يضع لينة على لينة الحديث وإسناده ضعيف .

المسركات للدمومة  
والتهنوت وغسل  
فلان حار الرأس وفي  
الفصل الذي ذكرناه  
يجع التنبيه بمباهية  
النفس وإشارة للشاغ  
بمباهية النفس إلى  
ما يظهر من آثارها  
من الأفعال النعمية  
والأخلاق النعمية  
وهي التي تعالج بحسن  
الرياضة لإزالتها  
وتبديها بالأفعال  
الردية زوال الأخلاق  
الردية تبدل . أخبرنا  
الشيخ العالم رضى الله  
عنه محمد بن اسمعيل  
القزويني قال أنا إجازة  
أبو سعيد محمد بن أبي  
العباس الحلبي قال أنا  
القاضي محمد بن سعيد  
الفرخزادى قال أنا

وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله بعبد شرا أهلك ماله في الماء والطين »<sup>(١)</sup> وقال عبد الله بن عمر « مر علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج خسا فقال ما هذا قالنا خسرنا لأن قد وهى فقال أرى الأمر أهمل من ذلك »<sup>(٢)</sup> « وأخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فقيل له لو بنيت فقال هذا كثير لمن يموت ، وقال الحسن دخلنا على صفوان بن يحيى وهو في بيت من قصب قدم عليه فقيل له لو أصلحت قال كم من رجل قدم مات وهذا قائم على حاله ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم « من بنى فوق ما بكتفه كلف أن يحمله يوم القيامة »<sup>(٣)</sup> وفي الخبر « كل غفقة لمبد يؤخر عليها إلا ما أنفقته في الماء والطين »<sup>(٤)</sup> وفي قوله تعالى - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا فسادا - إنه الرياسة والتطاول في البنيان . وقال صلى الله عليه وسلم « كل بناء وبال على صاحبه يوم القيامة إلا ما أكن »<sup>(٥)</sup> من حر أو برد »<sup>(٦)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم لرجل الذي شكا إليه ضيق منزله « اتسع في السماء »<sup>(٧)</sup> أي في الجنة ، ونظر عمر رضي الله عنه في طريق الشام إلى صرح قد بنى بحص وأجر فكبر . وقال ما كنت أظن أن يكون في هذه الأمة من بنى ببناء هامان لفرعون يعني قول فرعون - فأوقد لي ياهامان على الطين - يعني به الأجر ويقال إن فرعون هو أول من بنى له بالحص والأجر وأول من عمله هامان ثم تبعهما الجبابرة وهذا هو الزخرف ورأى بعض السلف جامعا في بعض الأمصار فقال أدركت هذا السجد مبنيا من الجريد والسعف ثم رأته مبنيا من رهم ثم رأته الآن مبنيا بالطين فكان أصحاب السعف خيرا من أصحاب الرهم وكان أصحاب الرهم خيرا من أصحاب الطين وكان في السلف من بنى داره مرارا في مدة عمره لضعف بانه وقصرأه له وزهده في إحكام البنيان وكان منهم من إذا حج أو غزا زرع بيته أو وهبه لجيرانه فإذا رجع أعاده وكانت بيوتهم من الخشب والجلود وهي عادة العرب الآن يلاذ الخين وكان ارتفاع بناء السقف قامة وبسطة . قال الحسن كنت إذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت يدي إلى السقف ، وقال عمرو

أبو اسحق أحمد بن محمد  
ابن إبراهيم قال أنا  
الحسين بن محمد بن  
عبد الله السفياني  
قال حدثنا محمد  
ابن الحسن البقطيني  
قال حدثنا أحمد بن  
عبد الله بن يزيد  
القبيلي قال حدثنا  
صفوان بن صالح قال  
حدثنا الوليد بن مسلم  
عن ابن لهيعة عن  
خالد بن يزيد عن

ورأى آخر يشرب من النهر بكفيه فرمى بالكوز وهذا حكم كل أمثاله فإنه إنما يريد التخلص من هذه الدنيا عنه فهو وبال في الدنيا والآخرة ولا يستغنى عنه فيقتصر فيه على أقل الدرجات وهو الخبز في كل ما يكتفي فيه الخبز ولا يبالى بأن يكون مكسور الطرف إذا كان القصد يحصل به أو سطحا أن يكون له أمثاله بقدر الحاجة صحيح في نفسه ولكن يستعمل الآلة الواحدة في مقاصد كالتصديق مع قصة يأكل فيها ويشرب فيها ويحفظ الثاغ فيها وكان السلف يستحبون استعمال آلة واحدة في أشياء فتخفيف وأغلاها أن يكون له بعد ذلك حاجة آلة من الجنس النازل الحديس فإن زاد في العدد أوفى حاجة الجنس خرج عن جميع أبواب الزهد وركن إلى طلب الفضول ولينظر إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، قد قالت عائشة رضي الله عنها : كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من آدم حشوها ليف<sup>(١)</sup> . وقال الفضيل ما كان فراش رسول الله ﷺ إلا عبادة مثنية وسادة من آدم حشوها ليف ، وروى وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشرط بجلوس فرأى أثر الشرط في جنبه عليه السلام فعميت عيناهم وقال: الذي صلى الله عليه وسلم ما الذي أبكاه يا ابن الخطاب قال ذكرت كسرى وقهر وماها فيه من اللك وذكرتك وأنت حبيب الله وصديقه ورسوله نائم على سرير مرمول بالشرط فقال صلى الله عليه وسلم أما ترضى يا عمر أن تكون لهما الدنيا ولنا الآخرة قال بلى يا رسول الله قال فذلك كذلك<sup>(٢)</sup> . ودخل رجل على أبي ذر فحصل قلب بصره في بيته فقال يا أباذر ما أرى في بيتك متاعا ولا غير ذلك من الأمثاله فقال إن لنا بيتا نوجه إليه صالح متاعنا فقال إنه لا بد لك من متاع مادمت ههنا فقال إن صاحب المنزل لا يدعنا فيه ، ولما قام عمر بن سعيد أمير حمص على عمر رضي الله عنهما قال له مامك من الدنيا قال سمى عسارى أنوكا عليها وأقتل بهاحية إن لقيتها ومعى جرابي أحمل فيه طعامي ومعى قمعي أكأكل فيها وأغسل فيها رأسي ونوني ومعى مطهرتي أحمل فيها شرابي ومطهري للصلاة لما كان بعد هذا من الدنيا فهو بيع لمامي فقال عمر صدقت رحمك الله . ووقدم رسول الله ﷺ من سفر فدخل على فاطمة رضي الله عنها فرأى على باب منزلها ستر وفي يدها قلبي من فضة فرجع فدخل عليها أبو ذر وهو يسكن فأشهرته برجوع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أبو ذر فقال من أجل الست والسواربن فأرسلت بهما بلالا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت بهما فضمهما حيث ترى فقال اذهب بهما وادفعه إلى أهل الصفة فباع القلبي بدرهمين ونصف وتصدق بهما عليهم فدخل عليها ﷺ فقال بأبي أنت قد أحسنت<sup>(٣)</sup> .

(١) حديث عائشة كان ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من آدم حشوها ليف أبو داود والترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه (٢) حديث ما كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عبادة مثنية وسادة من آدم حشوها ليف الترمذي في التمهال من حديث حفصة بقصة العبادة وقد تقدم ومن حديث عائشة بقصة الوسادة وقد تقدم قبله بعض طرق (٣) حديث دخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نائم على سرير مرمول بشرط النخل فجلس فرأى أثر الشرط في جنبه الحديث متفق عليه من حديثه وقد تقدم (٤) حديث قدم من سفره فدخل على فاطمة فرأى على منزلها ستر وفي يدها قلبي من فضة فرجع الحديث لم أره مجموعا ولأبي داود وابن ماجه من حديث سفيان بإسناد جيد أنه صلى الله عليه وسلم جاء فوضع يديه على عظامي الباب فرأى القرام قد ضرب في ناحية البيت فرجع فقالت فاطمة لعل النظر فأرجه الحديث والنساء من حديث ثوبان بإسناد جيد قال جاءت ابنة هيرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وفي يدها فتع من ذهب الحديث

النفس لطيفة مودعة في الغالب منها الأخلاق والصفات الذميمة كما أن الروح لطيفة مودعة في القلب منها الأخلاق والصفات الحمودة كما أن العين محل الرؤية والأذن محل السمع والأنف محل الشم والتم محل الطوق وهكذا النفس محل الأوصاف للذمومة والروح محل الأوصاف الحمودة وجميع أخلاق النفس وصفاتها من أصلين أحدهما الطيب والثاني الشره وطيبها من جهلها وشرها من حرصها وشبهت النفس في طيبها بكرة مستديرة على مكان أملى

ورأى رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب عائشة سترًا فتهتكه وقال «كلما ابتعدت الدنيا أرسلني به إلى آل فلان»<sup>(١)</sup> وفرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدًا وقد كان صلى الله عليه وسلم ينام على عبادة مثنية فزال يغلب عليه فلما أصبح قال لها عدي العبادة الخلة فوحي هذا الفرائض عنى قد أسهرت الليلة<sup>(٢)</sup> وكذلك أنه دنانير خمسة أوسنة ليلًا فيبيتها فدهر ليلته حتى أخرجهما من آخر الليل قالت عائشة رضي الله عنهما فقام حينئذ حتى سمعت غطيطة ثم قال «ما ظن محمد بربه لولقي الله وهذه فتنة»<sup>(٣)</sup> وقال الحسن أدركت سبعين من الأخبار مالأحدم إلا نوبه وما وضع أحدهم بينه وبين الأرض نوابقًا كان إذا أراد النوم باشر الأرض بحمسه وجعل نوبه فوقه [اللهم الخاسر] النكح وقد قال قائلون لا مخرج للزهد في أصل النكاح ولا في كثرة زواجه ذهب سهل بن عبد الله وقال قد جيب إلى سيد الزهاد بن النساء فكيف زهد بنين وواجه في هذا القول ابن عيينة وقال كان أزهد الصحابة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكان له أربع نسوة وبضع عشرة سرية والصحيح ما قاله أبو سليمان الداراني رحمه الله إذ قال كل ما شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشغول والراءة قد تكون شاغلا عن الله وكشف الحق فيه أنه قد تكون العزوة أفضل في بعض الأحوال كما سبق في كتاب النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون النكاح أفضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فكيف يكون تركه من الزهد وإن لم يكن عليه فحق تركه ولا ضل ولا ضل ولكن ترك النكاح احترازا عن ميل القلب إلى البهيم والآنس بمن بحيث يشغل عن ذكر الله ترك ذلك من الزهد فإن علم أن الراءة لا تشغله عن ذكر الله ولكن ترك ذلك احترازا من لذة النظر والمضاجعة والواقعة فليس هذا من الزهد أصلا فإن الولد مقصود لبقاء نسله وتكثير أمة محمد ﷺ من القربات والخدمة التي تلحق الإنسان فيا هو من ضرورة الوجود لا تنزهه إذ لم تكن هي القصد والطالب وهذا كمن ترك أكل الحزن وشرب الساء احترازا من لذة الأكل والشرب وليس ذلك من الزهد في شيء لأن في ترك ذلك فوات بدنه فكذلك في ترك النكاح إقطاع

وفي أنه وجد في يد فاطمة سلسلته من ذهب وفيه يقول الناس فاطمة بنت محمد في يدها سلسلته من نار وأنه خرج ولم يقعد فأمرت بالسلسلة فيميت فأشترت بثمنها عبدا فأعتقته فلما سمع قال الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار (١) حديث رأى على باب عائشة سترًا فتهتكه الحديث الترمذي وحسنه والنسائي في الكبرى من حديثها (٢) حديث فرشت له عائشة ذات ليلة فراشا جديدا وفيه كان ينام على عبادة مثنية الحديث ابن جبان في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من حديثها قالت دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فرائش رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبادة مثنية فأنطلقت فبعت إلى فرائش حشوه صوف فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذا الحديث وفيه أنه أمرها برده ثلاث مرات فردته وفيه مجاهد بن سعيد يختلف فيه والعروف حديث حفصة التقدم ذكره من الثمال (٣) حديث أنه دنانير خمسة أوسنة عشاء فيبيتها فدهر ليلته الحديث وفيه ما ظن محمد بربه لولقي الله وهذه فتنة أحمد من حديث عائشة باسناد حسن أنه قال في مرضه الذي مات فيه يا عائشة ما فعلت بالحب فجاء ما بين الحجة إلى الثمانية إلى التسعة فجعل يقلبها بيده ويقول ما ظن محمد الحديث وزاد أنفقها وفي رواية سبعة أو تسعة دنانير وله من حديث أم سلمة باسناد صحيح دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غام [١] الوجه قالت لحسبت ذلك من وجع فقلت يا بني الله مالك غام الوجه فقال من أجل الدنانير السبعة التي آتينا أمس أمسينا وهي في خضم الفرائش وفي رواية أمسينا ولم تنفها .

[١] غام بالمعجمة متغير يقال شهم تغير عن حاله لعارض اه .

موسوب لا تزال متحركة  
بجلبتها ووضعها وشبهت  
في حرسها بالفرائش  
الذي يلقى نفسه على  
نحو الصباح ولا يقنع  
بالضوء اليسير دون  
المجموع على جرم الضوء  
الذي فيه هلاكه فمن  
الطيش توجد العجلة  
وقلة الصبر والعسير  
جوهر القتل والطيش  
صفة النفس وهواها  
وروحها لا ينلها إلا  
الصبر إذ العقل يجمع  
الهوى ومن الشر  
بظهر الطمع والحرس  
وما اللذان ظهرا في  
آدم حيث طمع في  
الخلود حرص على أكل  
الشجرة صفات النفس  
لها أصول من أصل  
تكونها لأنها مخلوقة

نفسه فلا يجوز أن يترك التسكح زهدا في ذاته من غير خوف آفة أخرى وهذا معناه سهل لاهلة ولأجله نكح رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا ثبت هذا فمن حاله حال رسول الله ﷺ في أنه لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بأصلاحيهن والافتقار عليهن<sup>(١)</sup> فلامعنى زهد فيهن خلدن من مجردة الواقع والنظر ولكن آتى بصور ذلك لغير الأنبياء والأولياء فأكثر الناس يشغلهم كثرة النساء فينبغي أن يترك الأصل إن كان يشغله وإن لم يشغله وكان يخاف من أن تشغله الكثرة منه أو جمال المرأة فلينكح واحدة غير جارية ولا يرع قلبه في ذلك قال أبو سليمان : الزهد في النساء أن يختار للمرأة الدون أو البتة على الرأف الجميلة والشريفة . وقال الجند رحمه الله أحب للفردي للبتدى أن لا يشغل قلبه بثلاث وإلا تغير حاله : التكسب وطلب الحديث والزواج وقال أحب للصوفى أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه فإذا ظهر أن هذه التسكح كلذة الأكل لما شغل عن الله فهو محذور فيها جميعا [ اللهم السادس ] ما يكون وسيلة إلى هذه الخسة ، وهو السال والجاء ، أما الجاء فناء ملك القلوب بطلب محل فيها يتوصل به إلى الاستقامة في الأغراض والأعمال وكل من لا يقدر على القيام بنفسه في جميع حاجاته وانفق إلى من يخدمه انفق إلى جلاء لصالة في قلب خافعه لأنه إن لم يكن له عند محل وقدر لم يتم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب هو الجاء وهذا له أول وقرب ولكن يتصادى به إلى هاوية لا يحق لها ومن حالم حول المحي يوشك أن يقع فيه وإنما يحتاج إلى المحل في القلوب إما لطلب جمع أو دفع ضرر أو خلاص من ظلم فأما التفع فيمن عنه السال فإن من يخدم بأجرة يخدم وإن لم يكن عنده للسائر قدر وإنما يحتاج إلى الجاء في قلب من يخدم بغير أجرة وأما دفع الضر فيحتاج لأجله إلى الجاء في بلد لا يكمل فيه العدل أو يكون بين جيران يظلمونه ولا يقدر على دفع شرهم إلا بالعدل له في قلوبهم أو محل له عند السلطان وقدر الحاجة فيه لا يضبط لاسيا إذا انضم إليه الخوف وسوء الظن بالعواقب والمحاض في طلب الجاء سالك طريق الهلاك بل حق الزاهد أن لا يسعى لطلب المحل في القلوب أصلا فإن اشتغاله بالدين والعبادة يجمده من المحل في القلوب ما يدفع به عنه الأدنى ولو كان بين السكفار فكيف بين المسلمين فأما الترهات والتفديرات التي تنحوي إلى زيادة في الجاء على الحاصل بغير كسب فهي أوهام كاذبة إذ من طلب الجاء أيضا يخل عن أدى في بعض الأحوال فصلاح ذلك بالاحتياط والصبر أولى من علاجه بطلب الجاء ، فإذا نطلب المحل في القلوب لا رخصة فيه أصلا والبسير منه داع إلى الكثير وضراوته أشد من ضراوة الحجر فليحترز من قليله وكثيره . وأما السال فهو ضرورى في العيشة أعنى القليل منه فإن كان كسوبا فإذا اكتسب حاجة يومه فينبغي أن يترك التسكسب كان بهضم إذا اكتسب حبتين رفع سفعه وقام ، هذا شرط الزهد فإن جاوز ذلك إلى ما يكتفي أكثر من سنة فقد خرج عن حد منصف الزهاد وأقربا بهم جميعا وإن كانت له ضربة ولم يكن له قوة يقين في التوكل فأفسك منها مقدور ما يكتفي رحمه لسنة واحدة فلا يخرج بهذا القدر عن الزهد بشرط أن يتصدق بكل ما يفضل عن كفاية سنة ولكن يكون من منصف الزهاد فإن شرط التوكل في الزهد كما شرطه أبو إسحق القرنى رحمه الله فلا يكون هذا من الزهاد وقولنا إنه خرج من حد الزهاد نعتي به أن ما وعد للزاهد في الدنيا والآخرة من القامات المحمودة لا يتناهى إلا فاسم الزهد قد لا ينافيه بالاضافة إلى ما زهد فيه من الفضول والكثرة وأمر للتزهد في جميع ذلك أخف من أمر العبد وقد قال أبو سليمان لا ينبغي أن يرهق الرجل أهله إلى الزهد بل يدعوهم إليه فإن أجابوا إلا تركهم وفضل نفسه ماشاء معناه أن التضييق للشرط على الزاهد يخسه ولا يلزمه كل ذلك في عياله ، ثم لا ينبغي أن يحبهم أيضا فخرج عن حد الاعتدال وليتلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حديث كان لا يشغله كثرة النسوة ولا اشتغال القلب بأصلاحيهن والافتقار عليهن تقدم في التسكح .

من تراب ولها محبة وصف وقيل وصف الضف في الأرض من التراب ووصف البخل فيه من الطين ووصف الشهوة فيه من الجأ السنون ووصف الجبل فيه من الصلصال وقيل قوله كالتخار فهذا الوصف فيه تن من الشيطنة لدخول النار في التخار فمن ذلك الخدم والحيل والحسد فمن عرف أصول النفس وجبلاتها عرف أن لا قدرة له عليها إلا بالاستغانة ياربها وفاطرها فلا يتحقق البسد بالانسانية إلا بسد أن يدر دواعي الحيوانية فيه بالسلم والعدل وهو

إذ انصرف من بيت فاطمة رضوان الله عليها بسبب ستر وقابين لأن ذلك من الزينة لامن الحاجة ، فإذا ما اضطر الإنسان إليه من جاه ومال ليس بمحذور ، بل الزائد على الحاجة سم قاتل والتقصير على الضرورة دواء نافع وما بينهما درجات متشابهة ، فما يقرب من الزيادة وإن لم يكن سبباً قاتلاً فهو مضر ، وما يقرب من الضرورة فهو وإن لم يكن دواء نافعاً ولكنه قليل الضرر والسم مخطور شره والدواء فرض تناوله وما بينهما متشابهة أمره فمن احتاط فناما يخطئ نفسه ومن تساهل فناما يتساهل على نفسه ، ومن استبرأ لدينه وترك ما يريه إلى ما لا يريه وردت نفسه إلى مضيق الضرورة فهو الأخذ بالحزم ، وهو من الفرة الناجية للاحالة ، والتقصير على قدر الضرورة واللهم لا يجوز أن ينسب إلى الدنيا بل ذلك القدر من الدنيا هو عين الدين لأنه شرط الدين والشرط من جملة الشروط ، ويدل عليه ما روى أن إبراهيم الخليل عليه السلام أصابته حاجة فذهب إلى صديق له يستقرضه شيئاً فلم يقرضه فرجع مهموماً فأوحى الله تعالى إليهم الوسايت خليك لأعطاك فقال يارب عرفت منك للدنيا خلقت أن أسألك منها عيشاً فأوحى الله تعالى إليه ليس الحاجة من الدنيا ، فأذن قدر الحاجة من الدين وما وراء ذلك وبال في الآخرة وهو في الدنيا أيضاً كذلك يعرفه من يخبر أحوال الأغنياء وما عليهم من المحنة في كسب المال وجمعه وحفظه واحتمال اللد فيه ، وظاية سعادته به أن يسر لورثته فيما كلونه ، وربما يكونون أعداء له وقد يستعينون به على النصبة فيكون هو مينا لهم عليها ولذلك شبه جامع الدنيا ومتبع الشهوات بدود القز لا يزال ينسج على نفسه حياتهم يروم الخروج فلا يجد خلاصاً فيموت وبذلك بسبب عمله الذي عمله بنفسه فكذلك كل من اتبع شهوات الدنيا فناما يحكم على قلبه بسلامة تقيده بما يشبهه حتى تتظاهر عليه السلاسل فيقيده المال والجاه والأهل والولد وشبابة الأعداء ومراآة الأصدقاء وسائر حظوظ الدنيا ، فلو خطر له أنه قد أخطأ فيه فقصده الخروج من الدنيا لم يقدر عليه ورأى قلبه مقيداً بسلاسل وأغلال لا يقدر على قطعها ولوترك محبوا من محابه باختياره كاد أن يكون قاتلاً لنفسه وساعياً في هلاكه إلى أن يفرق ملك الموت بينه وبين جميعها دفعة واحدة فتبقى السلاسل في قلبه معانة بالدنيا التي فاته وخلفها فهي تجاذبه إلى الدنيا وغالب ملك الموت قد عانت بهروق قلبه تجذبه إلى الآخرة فيكون أهون أحواله عند الموت أن يكون كشيخ يشر بالمنشار ويغسل أحد جانبيه عن الآخر بالمجاذبة من الجانبين ، والذي يشر بالمنشار إنما ينزل للؤلؤ يدينه ويؤلم قلبه بذلك بطريق السراية من حيث إنزله فما ظنك بأن يتمكن أولاً من صميم القلب محسوساً به لا بطريق السراية إليه من غيره فهذا أول عذاب يلقاه قبل ما وراء من حسرة فوت الزول في أمي عليين وجوار رب العالمين ، فبالزروع إلى الدنيا يحجب عن لقاء الله تعالى وعند الحجاب تتسلط عليه نار جهنم ، إذ النار غير مساطة إلا على محبوب . قال الله تعالى - كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ، ثم إنهم لصالوا الجحيم - فرب العذاب بالنار على ألم الحجاب وألم الحجاب كاف من غير علاوة النار فكيف إذا أضيفت العلاوة إليه ، ففسأ الله تعالى أن يقرر في آسامنا ما نشت في روع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قيل له أحب من أحببت فانك مفارقة (١) وفي معنى ما ذكرناه من لشال قول الشاعر :

رعاية طرفي الافراط  
والغريظ ثم بذلك  
تقوى إنسانيته  
ومناه ويدرك صفات  
النشطة فيموا الأخلاق  
للمسومة وكال  
إنسانيته ويتفاضله  
أن لا يرضى لنفسه  
بذلك ثم تكشف له  
الأخلاق التي تازع  
بها الربوبية من  
الكبر والعز وروية  
النفس والسحب وغير  
ذلك فيرى أن صرف  
المسودية في ترك  
النازعة للربوبية  
والله تعالى ذكر النفس  
في كلامه القديم  
بسلامة أوصاف :  
بالطمانينة قال  
- يا أيها النفس  
المطمئنة وسها الوامة

مكذود كدود القز ينسج دائماً . وبذلك غما وسط ماهو تاسجه

ولما انكشف لأولياء الله تعالى أن المبد مهلك نفسه بأعماله واتباعه هوى نفسه إهلاك دود القز نفسه رفضوا الدنيا بالسكبة حتى قال الحسن : رأيت سبعين يدري كانوا فيما أحل الله لهم أزهده منكم فيما حرم الله عليكم . وفي لفظ آخر : كانوا مالبلاء أشد فرحاً منكم بالحسب والرخاء لو رأيتهم قلتهم مجانين ، ولورأوا خياركم قالوا ما هؤلاء بمن خلق ، ولورأوا شراركم قالوا ما يؤمن هؤلاء . يوم الحساب . وكان أحدهم يمرض له المال الحلال فلا يأخذه ويقول أخاف أن يفسد على قلبي ، فمن كان له قلب فهو لاهللة يخاف من فسادة والذي أمات حب الدنيا قلوبهم فقد أخبر الله عنهم إذ قال تعالى . ورفضوا بالمحبة الدنيا واطمأنوا بها . والذين هم عن آياتنا غافلون . وقال عز وجل . ولا تطلع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً . . وقال تعالى . فأعرض عنهم تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مباههم من العلم . فأحال ذلك كله على القفلة وعدم العلم ولذلك قال رجل ليعسى عليه السلام اسمي معك في سياحتك ، فقال أخرج مالك والحقني . فقال لأستطيع فقال عيسى عليه السلام بعجب يدخل القنى الجنة أو قال بشدة . وقال بعضهم : مامن يوم ذو شارقه إلا أربعة أملاك بنادون في الآفاق بأربعة أصوات ملسكان بالشرق وملسان بالمغرب يقول أحدهم بالشرق : يا باغى الخير هلم ويا باغى الشر أنصر ، ويقول الآخر : اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلقا ويقول اللذان بالمغرب أحدهما لدوا للفوت وأبثوا للخراب ، ويقول الآخر كلوا وتمتوا الطول الحساب .

( بيان علامات الزهد )

اعلم أنه قد يظن أن تارك المال زاهد وليس كذلك فإن ترك المال وإظهار الخشونة سهل على من أحب اللذخ بالزهد فكم من الرهايين من ردوا أنفسهم كل يوم إلى قدر يسير من الطعام ولازموا دبرا لأباب له وإنما مسرة أحدهم معرفة الناس حاله ونظرهم إليه ومدحهم له فذلك لا يدل على الزهد دلالة قطمة بل لا بد من الزهد في المال والجاه جميعا حتى يكفل الزهد في جميع حظوظ النفس من الدنيا بل قد يدعى جماعة الزهد مع ليس الأصواف الفاخرة والنياب الرقيقة كما قال الخواص في وصف اللعين إذ قال وقوم ادعوا الزهد ولبسوا الفاخر من اللباس يوهون بذلك على الناس ليهدي إليهم مثل لباسهم لئلا ينظر إليهم بالعين التي ينظر بها إلى الفقراء فيحتقروا فيعطوا كما تعطى الساكين وعجنون لنفوسهم باتباع العلم وأنهم على السنة وأن الأشياء داخلية إليهم وهم خارجون منها وإنما يأخذون بعلة غيرهم . هذا إذا طولوا بالحقائق والجشوا إلى الضايق وكل هؤلاء آكلة الدنيا بالدين لم يتنوا بتصفية أسرارهم ولا تهذيب أخلاق نفوسهم فظهرت عليهم صفاتهم فقلبتهم فادعوا حالهم فهم مائلون إلى الدنيا متبعون للهوى . فهذا كله كلام الخواص رحمه الله . فإذا معرفة الزهد أمر مشكل بل حال الزهد على الزهد مشكل وينبغي أن يحول في باطنه على ثلاث علامات : العلامة الأولى أن لا يفرح بوجود ولا يهزن على مفقود كما قال تعالى . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم . بل ينبغي أن يكون بالخذ من ذلك وهو أن يحزن بوجود المال ويفرح بفقده . العلامة الثانية أن يستوى عنده ذامه ومادحه فأول علامة الزهد في المال والثاني علامة الزهد في الجاه . العلامة الثالثة أن يكون أنه بالله تعالى والغالب على قلبه حلوة الطاعة إلا لا يخلو القلب عن حلوة الهبة بإمارة الدنيا وإمارة الله وهما القلب كالماء والمهوى في التذبح فالماء إذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من أنس بالله اشتغل به ولم يشغل بغيره

قال . لا أقسم يوم القيامة ولا أقسم بالفس القوامه . وسماها أماره ، فقال . إن النفس لأماره بالسوء . وهى نفس واحدة . ولها صفات متغيرة ، فإذا امتلأ القلب سكينه خلج على النفس خلج الطمأنينة لأن السكينه مزيد الإيمان وفيها ارتضاء القلب إلى مقام الروح لما منع من حظ اليقين وعند توجه القلب إلى محل الروح توجه النفس إلى محل القلب ، وفي ذلك طمأنينتها وإذا ازدهت من مقام جيلاتها ودواعي طبيعتها متطلبة إلى

ولذلك قيل لبعضهم إلى ماذا أقضى بهم الزهد فقال إلى الأنس بالله . فأما الأنس بالدنيا وبالله فلا  
يُحتملان وقد قال أهل المعرفة إذا تلاقى الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعا وعمل  
لها وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لها ولهذا  
ورد في دعاء آدم عليه السلام : اللهم إني أسألك إعساياياشر قلبي . وقال أبو سليمان من شغل بنفسه  
شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد  
لا بد وأن يكون في أحد هذين للقامين . ومقامه الأول أن يشغل نفسه بنفسه وعند ذلك يستوى  
عنده للدخ والدم والوجود والعدم ولا يستدل بما سلكه قليلا من السالك على قد زهده أصلا .  
قال ابن أبي الحواري : قلت لأبي سليمان أكان داود الطائي زاهدا قال نعم قلت قد بلغني أنه ورت  
عن أبيه عشرين دينارا فأتقنها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو بمسك الدنانير ، فقال أردت  
منه أن يبلغ حقيقة الزهد وأراد بالحقيقة الغاية فإن الزهد ليس له غاية لكثرة صفات النفس . ولا  
يم الزهد إلا بالزهد في جميعها فكل من ترك من الدنيا شيئا مع القدرة عليه خوفا على قلبه وعلى  
دينه فله مدخل في الزهد بقدر ما تركه وآخره أن يترك كل ما سوى الله حتى لا يتوسد حجرا كانه  
للسبح عليه السلام . ففسأل الله تعالى أن يرزقنا من يبادبه نصيبا وإن قل فإن أمثالنا لا يستجريه  
على الطمع في غايته وإن كان قطع الرجاء عن فضل الله غير مأذون فيه . وإذا لاحظنا عجائب نعم  
الله تعالى علينا علمنا أن الله تعالى لا يتماخضه شيء . فلا بد في أن تعظم السؤال اعتيادا على الجود  
المجاور لكل كمال . فاذن علامة الزهد استواء الفقر والغنى والعز والذل والدم والدم وذلك لعلبة  
الأنس بالله . ويتفرع عن هذه العلامات علامات أخرى لاحالة : مثل أن يترك الدنيا ولا يلبس من  
أخذها . وقيل علامته أن يترك الدنيا كما هي فلا يقول أبي رابعا أو أعمر بسجدا . وقال يحيى  
ابن معاذ : علامة الزهد السخاء بالموجود . وقال ابن خفيف علامته وجود الراحة في الخروج من  
الملك . وقال أيضا : الزهد هو عزوف النفس عن الدنيا بلا تكلف . وقال أبو سليمان : الصوفاء  
من أعلام الزهد فلا ينبغي أن يلبس صوفيا ثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم . وقال أحمد  
ابن حنبل وسفيان رحمهما الله : علامة الزهد قصر الأمل . وقال سري : لا يطيب عيش الزاهد  
إذا اشتغل عن نفسه . ولا يطيب عيش العارف إذا اشتغل بنفسه . وقال النصراني : الزاهد  
غريب في الدنيا والعارف غريب في الآخرة . وقال يحيى بن معاذ : علامة الزهد ثلاث عمل بلا علاقة  
وقول بلا طمع وعز بلا رياسة . وقال أيضا الزاهد قد يسقطك الخلد والخرذل والعارف يشمك السك  
والعزير وقال له رجل متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأتصمع الزاهدين ، فقال إذا  
صرت من رباضتك لنفسك في السراويل حلو قطع الله عنك الرزق ثلاثين عاماً لم تعصف في نفسك . فأما  
ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جوهل ثم لا آمن عليك أن تتفصح . وقال أيضا :  
الدنيا كالمرور ومن يطلبها ماشطها والزاهد فيها يسبح وجهها وينف شعرها ويخرق ثوبها .  
والعارف يشتمل بالله تعالى ولا يلتفت إليها . وقال السري مارس كل شيء من أمر الزهد فقلت منه  
ما أريد إلا الزهد في الناس فاني لم أبلغه ولم أطلقه . وقال القليل رحمه الله جل الله الشركه في بيت  
وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا . فهذا ما أردنا  
أن نذكره من حقيقة الزهد وأحكامه وإذا كان الزهد لا يتم إلا بالتوكل فلنشرع في بيانه إن شاء  
الله تعالى .

مقام الطمانينة فهي  
لواصة لأنها تعود  
بالألمة على نفسها  
لتظرفها وعدها تجعل  
الطمانينة ثم أخذها  
إلى محلها التي كانت  
فيه أمانة بالسوء ،  
وإذا أقامت في محلها  
لا يشاها نور السلم  
والعسرة فهي على  
ظلمتها أمانة بالسوء  
فالنفس والروح  
يتطاردان ، فتارة  
يملك القلب دواعي  
الروح ، وتارة يملكه  
دواعي النفس . وأما  
السري فقد أثار  
القوم إليه وجدت  
في كلام القوم أن  
منهم من جعله بعد  
القلب وقبل الروح ،  
ومنهم من جعله بعد

## (كتاب التوحيد والتوكل)

(وهو الكتاب الخامس من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله مدبر تلك والكسوت التفرد بالعمة والجبروت الرافع للساء بنير حماد القدر فيها أرزاق  
النقاد الذي صرف أعين ذوى القلوب والألباب عن ملاحظة الوسائط والأسباب إلى مسبب الأسباب  
ورفع همهم عن الالتفات إلى ماعده والاعتدال على مدبر سواه فلم يبدؤا إلا بإياه علما بأنه الواحد القادر  
الصمد الإله وتحققا بأن جميع أصناف الخلق عباد أمثالهم لا ينتهي عندهم الرزق وأنه ما من ذرة  
إلا إلى الله خائفها ومامن دابة إلا على اقتدرتها فلما تحققوا أنه لرزق عباده ضامن وبه كفيل توكلوا  
عليه فقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل والصلاة على محمد قانع الأباطيل المهادى إلى سواء السبيل وعلى  
آله وسلم تسليما كثيرا .

[أما بعد] فإن التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات اللوقين بل هو من معالي درجات  
القرين وهو في نفسه غامض من حيث العلم ثم هو شاق من حيث العمل ووجه غموضه من حيث  
الفهم أن ملاحظة الأسباب والاعتدال عليها شرك في التوحيد والتشاغل عنها بالكيفية طعن في السنة  
وقدح في الشرع والاعتدال على الأسباب من غير أن يرى أسبابا تنير في وجه العقل وانقصاص في  
غمرة الجهل وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع في غاية  
النموض والسرور لا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدة الخفاء لإلحاحه السواء الذين اكتحلوا  
من فضل الله تعالى بأنوار الحقائق فأبصروا وتعمقوا ثم نطقوا بالأعراب عما شاهدوه من حيث  
استنطقوا ونحن الآن نبدأ بذكر فضيلة التوكل على سبيل التقديم ثم نردفه بالتوحيد في الشطر  
الأول من الكتاب ونذكر حال التوكل وعمله في الشطر الثاني .

### (بيان فضيلة التوكل)

أما من الآيات فقد قال تعالى - وعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين - وقال عز وجل - وعلى الله فليتوكل  
التوكلون - وقال تعالى - ومن يتوكل على الله فهو حسبه - وقال سبحانه وتعالى - إن الله يحب المتوكلين -  
وأعظم مقام موسوم بحسبه الله تعالى صاحبه ومضمون بكفاية الله تعالى ملايه فن الله تعالى حسبه  
وكفايه وعبه ومراعيه فقد فاز الفوز العظيم فإن المحبوب لا يعذب ولا يعدم ولا يحجب وقال تعالى -  
أليس الله بكاف عبده - فطالب الكفاية من غيره والثاركة لتوكل هو للكذب لهذه الآية فانه سؤال  
في معرض استطلاق الحق كقولته تعالى - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا -  
وقال عز وجل - ومن يتوكل على الله فإن الله عزز حكيما - أي عزز لا يذل من استجار به ولا يضيع  
من لاذ بجنبه والتجأ إلى ذمامه وحماه وحكيما لا يفصر عن تدبير من توكل على تديره وقال تعالى  
- إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - بين أن كل ماسوى الله تعالى عبد مسخر حليته  
مثل حاجتك فكيف يتوكل عليه وقال تعالى - إن الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لكم  
رزقا فابتغوا عند الله الرزق واعبدوه - وقال عز وجل - ولله خزائن السموات والأرض ولكن الناصقين  
لا يفقهون - وقال عز وجل - يدبر الأمر مامن شفيح إلا من يشاء الله وكل ما ذكر في القرآن من التوحيد  
فهو تنبيه على قطع للملاحظة عن الأغيار والتوكل على الواحد القهار . وأما الأخبار : فقد قال

الروح وأعلى منها  
وألطف وقالوا السر  
عمل للشاهدة  
والروح عمل المحبة .  
والقلب عمل المعرفة  
والسر الذي وقفت  
إشارة القوم إليه غير  
مذكور في كتاب  
الله وإنما المذكور  
في كلام الله الروح  
والنفس وتنوع صفاتها  
والقلب والفؤاد والعقل  
وحيث لم نجد في كلام  
الله تعالى ذكر السر  
بالمعنى المشار إليه ورأينا  
الاختلاف في القول  
فيه وأشار قوم إلى أنه  
دون الروح وقوم إلى  
أنه ألطف من الروح  
نقول والله أعلم : الذي  
معه سرا ليس هو  
بشيء مستقل بنفسه

### (كتاب التوحيد والتوكل)

صلى الله عليه وسلم فيها رواه ابن مسعود وأريت الأم في الوسم فرأيت أمي قد عملاً والسهل والجليل  
فأهبطني كثرتهم وحياتهم قبل في أرضيت قلت نعم قيل ومع هؤلاء سمعون ألفا يدخلون الجنة بغير  
حساب قيل : من هم يا رسول الله؟ قال الذين لا يكتون ولا يتطرون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون أقام  
عكاشة وقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعله منهم أقام  
آخر فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال صلى الله عليه وسلم : سبقك بها عكاشة <sup>(١)</sup> وقال صلى  
الله عليه وسلم : لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما رزق الطير تقذو تخافوا وتروح  
بطاناً <sup>(٢)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم : من اتطع إلى الله عز وجل كفاه الله تعالى كل مؤنة ورزقه من  
حيث لا يحتسب ومن اقطع إلى الدنيا وكفه الله البها <sup>(٣)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم : من سره أن يكون  
أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق منه بما في يده <sup>(٤)</sup> وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم  
«أنه كان إذا أصاب أهله خصاصة قال قوموا إلى الصلاة ويقول : بهذا أمرني ربّي عز وجل قال عز وجل  
- وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها - <sup>(٥)</sup> الآية وقال <sup>(٦)</sup> ولم يتوكل من استرقى واسترقى واكتوى <sup>(٧)</sup>  
وروي أنه لما قال جبريل لإبراهيم عليهما السلام وقد رمى إلى النار بالنجيق أنك حاجة قال أما ليك  
فلا فواء بقوله حسبي الله ونعم الوكيل إذ قال ذلك حين أخذ ليرمي فأنزله الله تعالى - وإبراهيم الذي وفى -  
وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ياد داود مامن عبد يتصم في دون خلقى فتكبد السموات  
والأرض لإجلته له مخرجاً . وأما الآثار فقد قال سعيد بن جبير لدغني غنرب فأقسمت على أن تسترقين  
فأولت الرأى يدى التى لم تدغ قرأ الخواص قوله تعالى سو توكل على الحى الذى لا يموت إلى آخرها  
فقال ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى . وقبل لبعض العلماء في ممانه من وثق  
بالله تعالى فقد أحرز قوته وقال بعض العلماء لا يشغلك الضمون لك من الرزق عن التفرؤ علىك من  
العمل فتضيع أمر آخرتك ولتألت من الدنيا إلا ما قد كتب الله لك . وقال يحيى بن معاذ في وجود  
العبد الرزق من غير طلب دلالة على أن الرزق مأثور بطاب العبد . وقال إبراهيم بن آدم سألت بعض  
الرهبان من أين تأكل فقال لى ليس هذا العلم عندى ولكن سئل ربي من أين يطعمنى . وقال هرم  
ابن حيان لأوبس القرني أين تأمرنى أن أكون فأومأ إلى الشام قال هرم كيف العيشة قال أوبس أف

(١) حديث ابن مسعود أريت الأم في الوسم فرأيت أمي قد عملاً والسهل والجليل الحديث رواه ابن  
منيع بإسناد حسن واتفق عليه الشيخان من حديث ابن عباس (٢) حديث لو أنكم تتوكلون على  
الله حق توكله لرزقكم كما رزق الطير الحديث الترمذى والحاكم ومجاهد من حديث عمرو قد تقدم  
(٣) حديث من اقطع إلى الله كفاه الله كل مؤنة الحديث الطبرانى فى الصغير وابن أبى الدنيا ومن  
طريقه البيهقى فى الشعب من رواية الحسن بن عمران بن حصين ولم يسمع منه وفيه إبراهيم بن  
الأشعث تكلم فيه أبو حاتم (٤) حديث من سره أن يكون أغنى الناس فليكن بما عند الله أوثق  
منه بما في يده الحاكم والبيهقى فى الزهد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف (٥) حديث كان إذا  
أصاب أهله خصاصة قال قوموا إلى الصلاة وقول بهذا أمرنى ربى قال تعالى - وأمر أهلك بالصلاة  
واصطبر عليها - الطبرانى فى الأوسط من حديث محمد بن حمزة عن عبد الله بن سلام قال كان النبي صلى الله  
عليه وسلم إذا نزل بأهله الضيق أمرهم بالصلاة ثم قرأ هذه الآية ومحمد بن حمزة بن يوسف بن عبد الله بن سلام  
إنما ذكرناه رواه عن أبيه عن جده فيعدهما عن جد أبيه (٦) حديث لم يتوكل من استرقى واكتوى  
الترمذى وحسنه والنسائى فى الكبير والطبرانى واللفظ له إلا أنه قال أو من حديث الثوري بن شعبه وقال  
الترمذى من اكتوى أو استرقى قد برى من التوكل وقال النسائى ما توكل من اكتوى أو استرقى .

له وجود وذات كالروح  
والنفس وإحسان  
صفت النفس وتزك  
انطلق الروح من وثاق  
ظلة النفس فأخذ في  
الروح إلى أوطان  
القرب وانزع القلب  
عند ذلك عن مستقره  
متطلعا إلى الروح  
فأكتسب وصفا إذا  
على وصفه فأنجم على  
الواجدين ذلك الوصف  
حيث رآوه أصفى من  
القلب فسموه سرا  
ولما صار القلب وصف  
زائد على وصفه بتطلعه  
إلى الروح اكتسب  
الروح وصفا إذا  
في عروجه وأنجم  
على الواجدين فسموه  
سرا والذي زعموا أنه  
الطبع من الروح

لهذه القلوب قد خالطها الشك لما تنفعها الوعظة وقال بعضهم متى رضيت بالله وكبلا وجدت إلى كل خير سبيلا ، نسأل الله تعالى حسن الأدب .

( بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل )

اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان وجميع أبواب الإيمان لا ينتظم إلا بعلم وحال وعمل والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل وعمل هو الثمرة وحال هو المراد باسم التوكل . فلنبداً ببيان العلم الذي هو الأصل وهو السعي إيماناً في أصل اللسان إذ الإيمان هو التصديق وكل تصديق بالقلب فهو علم وإذا قوى سعي يقينا ولكن أبواب اليقين كثيرة ونحن إنما نحتاج منها إلى ما ينفي عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك : لا إله إلا الله وحده لا شريك له والإيمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك : له الملك والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك : وله الحمد فمن قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ثم له الإيمان الذي هو أصل التوكل أعني أن يصير معنى هذا القول وصفاً لازماً لقلبه غالباً عليه فأما التوحيد فهو الأصل والقول فيه بطول وهو من علم المكاشفة ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال ولا يتم علم بالعمالة إلا بها فإذن لا تتعرض إلا للقدر الذي يتعلق بالعمالة والألا التوحيد هو البحر الحضم الذي لا ساحل له فنقول : للتوحيد أربع مراتب وينقسم إلى لب وإلى لب القلب وإلى قشر وإلى قشر القشر ولتأمل ذلك تقرياً إلى الأنفهام الضعيفة بالجور في قشرته العليا فإن له قشرتين وله لب ولب دهن هو لب القلب فالرتبة الأولى من التوحيد هي أن يقول الإنسان بلسانه لا إله إلا الله وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد للناقبين والثانية أن يصدق بمعنى اللفظ قلبه كأصدق به عموم للدين وهو اعتقاد المومنان الثالثة أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام القرين وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار والرابطة أن لا يرى في الوجود إلا واحداً وهي مشاهدة الصديقين وتسمية الصوفية الفناء في التوحيد لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً فلا يرى نفسه أيضاً وإذا لم يرق نفسه لكونه مستغرقاً بالوحيد كان قائماً بن نفسه في توحيد بمعنى أنه في عن رؤية نفسه والحق فالأول موحد بمجرد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف واللسان والثاني موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه بمفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما اعتقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه ولم تقصم بالمعاصي عقده ولهذا القدر حيل يقصدها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة وله حيل يقصدها دفع حيلة التحليل والتضمين ويقصدها أيضاً أحكام هذه العقدة وشدها على القلب وتسمى كلاماً والعارف به يسمى متكلماً وهو في مقابلة البدع ومقصده دفع البدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب المومنان وقد يغص المتكلم باسم للوحد من حيث إنه يعمى بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب المومنان حتى لا تتحل عقده والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فعلاً واحداً إذ انكشف له الحق كما هو عليه ولا يرى فعلاً بالحقيقة إلا واحداً وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه لأنه كلف قلبه أن يفد على مفهوم لفظ الحقيقة فإن تلك رتبة المومنان والمتكلمين إذ لم يفارق التكلم العامي في الاعتقاد بل في صفة تلفيق الكلام الذي به حيل البدع عن تحليل هذه العقدة والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد ، فالأول كالقشرة العليا من الجوز ، والثاني كالقشرة السفلى ، والثالث كالب ، والرابع كالدهن المستخرج من الب وكأن القشرة العليا من الجوز لا خير فيها بل إن أكل فهو مر للذائق وإن نظر إلى باطنه فهو كره للنظر وإن أخذ

متصفه بوصف أخص  
معاهدوه والذي سموه  
قبل الروح سره وقلب  
انصف بوصف زائد  
غير معاهدوه وفي مثل  
هذا الترقى من الروح  
والقلب ترقى النفس  
إلى محل القلب وتتخذ  
من وصفها قصيراً  
مطمئنة ترتد كثيراً  
من مردات القلب من  
قبل إذ صار القلب يريد  
ما يريد مولاه متبرئاً  
عن الحصول والقوة  
والارادة والاختيار  
وعندها ذات طم  
صرف العبودية حيث  
صار حراً عن إرادته  
واختياره وأما العقل  
فهو لسان الروح  
وترجمان البصيرة  
والبصيرة للروح بمثابة

حطبا أظفأ النار وأكثر الدخان وإن ترك في البيت حتى يسلم فلا يصلح إلا أن يترك مدة على الجوز  
لنصون ثم يرمى بعنه فكذلك التوحيد يتجرع باللسان دون التصديق بالقلب عديم الجدوى كثير الضرر  
معموم الظاهر والباطن لكنه ينفع مدته في حفظ القشرة السفلى إلى وقت الموت والقشرة السليمة  
القلب والبدن وتوحيد اللسان يصون بدنه عن سيف الفزاة فأنهم لم يؤمروا بشق القلوب واللسان  
إنما يصيب جسم البدن وهو القشرة وإنما يتجرع عنه بالموت فلا يبقى لتوحيده فائدة بعده وكما أن  
القشرة السفلى ظاهرة النفع بالاضافة إلى القشرة العليا فأنها تصون القلب وتحرمه عن الفساد عند  
الادخار وإذا فصلت آمن أن يتنفع بها حطبا السكتا نازلة القدر بالاضافة إلى القلب وكذلك مجرد الاعتقاد  
من غير كشف كثير النفع بالاضافة إلى مجرد نطق اللسان ناقص القدر بالاضافة إلى الكشف وللشاهدة  
التي تحصل بالانزعاج الصدر وانفساحه وإشراق نور الحق فيه إذ ذاك النزع هو للراد بقوله تعالى  
- فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام - وبقوله عز وجل - أفمن شرح الله صدره للإسلام  
فهو على نور من ربه - وكأن القلب خفي في نفسه بالاضافة إلى القشر وكله القصد ولكنه لا يغاوعن  
شوب عصارة بالاضافة إلى الدهن المستخرج منه فكذلك توحيد القلب مقصد عال للساكنين لكنه  
لا يغلو عن شوب ملاحظة القبر والالفتات إلى الكثرة بالاضافة إلى من لا يشاهد سوى الواحد الحق.  
فان قلت كيف يتصور أن لا يشاهد إلا واحدا وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي  
كثيرة فكيف يكون الكثير واحدا . فاعلم أن هندسة علوم المكاشفات وأسرار هذا العلم لا يجوز  
أن تسطر في كتاب قد قال الامارون إفشاء سر الربوبية كفرتهم هو غير متعلق بعلم العامة نعم ذكر  
ما يكسر سورة استبعادك تمكن وهو أن الشيء قد يكون كثيرا بنوع مشاهدة واعتبار ويكون  
واحدا بنوع آخر من للشاهدة والاعتبار وهذا كما أن الانسان كثير إن التف إلى روحه وجسده  
وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحدا يقول إنه إنسان واحد  
فهو بالاضافة إلى الإنسانية واحدا ومن شخص يشاهد إنسانا ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه  
وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه والفرق بينهما أنه في حالة الاستغراق والاستتار به مستغرق  
بواحد ليس فيه غريب وكأنه في عين الجمع والمثلث إلى الكثرة في نفرة فكذلك كل ما في الوجود من  
الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد  
وباعتبارات أخرى سواء كثير وبضئ أشد كثرة من بعض ومثاله الانسان وإن كان لا يطابق العرض  
ولكنه يبينه في الجملة على كيفية مصر الكثرة في حكم للشاهدة واحدا ويستبين بهذا الكلام ترك  
الانكار والجحود لقام لم تبلغه وتؤمن به إيمان تصديق فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا  
التوحيد نصيب وإن لم يكن ما آمنت به صفك كما أنك إذا آمنت بالنبوة وإن لم تكن نبياً كان لك  
نصيب منه بدروقة إيمانك وهذه الشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق  
الحافظ وهو الأكل والذوق نادر عز وجل في هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخواص  
يدور في الأسفار قال لباد أنت فقال أدور في الأسفار لأصحح خاطي في التوكل وقد كان من التوكلين  
قال الحسين قد أفنيت عمرك في عمران باطك فأبى القضاء في التوحيد فكأن الخواص كان في تصحيح  
القام الثالث في التوحيد فطالبه بالقام الرابع فهذه مقامات الوجدن في التوحيد على سبيل الاحمال .  
فان قلت فلا بد لهذا من شرح بقدر ما يفهم كيفية ابتناء التوكل عليه . فأقول أما الرابع فلا يجوز الخوض  
في بيانه وليس التوكل أيضا مبنيا عليه بل يحصل حال التوكل بالتوحيد الثالث. وأما الأول وهو الاتفاق  
نواضع. وأما الثاني وهو الاعتقاد فهو موجود في عموم السالكين وطريق تأكيده بالكلام ودفع حيل

القلب والنقل بشفاعة  
اللسان . وقد ورد في  
الحجر عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم أنه  
قال : لا يؤمن  
الله العقل قال له أقبل  
فأقبل ثم قال له أدبر  
فأدبر ثم قال له أقدم  
فقدم ثم قال له انطلق  
فانطلق ثم قال له اصمت  
فصمت فقال وعزني  
وجسالي وعظمي  
وكبريائي وسماواتي  
وجبروتي ما خلقت  
خلقاً أحب إلي منك  
ولا أكرم علي منك  
بك أعرف وبك  
أحمد وبك أطاع  
وبك آخذ وبك  
أعطي وإياك أعاتب  
ولك التواب وعليك  
العقاب وما أكرمك

البدعة فيمذكور في علم السلام وقد ذكرنا في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد القدر المهم منه . وأما الثالث : فهو الذي بين عليه التوكل إذ مجرد التوحيد بالاعتقاد لا يورث حال التوكل فلنذكر منه القدر الذي يرتبط بالتوكل به دون تفصيله الذي لا يعمه أمثال هذا الكتاب . وحاصله أن ينكشف لك أن لفاعل إلا الله تعالى وأن كل موجود من خلق وورق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وقصر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم الفاعل بأبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره بل كان منه خوفك وإليه رجائك وبه تفنكك وعليه استكالك فانه الفاعل على الانفراد دون غيره وما سواه مسخرون لاستقلال لهم بتحريك فؤده من ملكوت السموات والأرض وإذا افتتحت لك أبواب الكشافة انفتح لك هذا انفتاحا آتم من الشاهدة بالبرهان وبما يصدر الشيطان عن هذا التوحيد في مقام يتنبى به أن يترك إلى قلبك شائبة الشرك بسببين : أحدهما الانفتاح إلى اختيار الحيوانات . والثاني الانفتاح إلى الجمادات أما الانفتاح إلى الجمادات فكأنك انفتح على اللطيف خروج الزرع ونباته ونشأته وعلى القيم في زوال الطرود على البرد في اجتماع القيم وعلى الريح في استواء السفينة وسيرها وهذا كله شرك في التوحيد وجهل بحقائق الأمور ، وللهالك قال تعالى - فاذا ركبو في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون - قيل معناه أنهم يقولون لولا استواء الريح لما نجاونا ومن انكشف له أمر العالم كما هو عليه علم أن الريح هو الهواء والهواء لا يحرك نفسه مالم يحركه محرك وكذلك محركه وهكذا إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا يحركه ولا هو متحرك في نفسه عز وجل فالتفتا العبد في النجاة إلى الريح يضاهي التفات من أخذ لحرز رقبته فكسب الملك توقعا بالعمو عنه وتحليته فأخذ يشغل بذكر الخبر والكاغد والقلم الذي به كتب التوقيع يقول لولا القلم لما تخلصت فيرى نجاته من القلم لامن محرك القلم وهو غاية الجهول ومن علم أن القلم لا حكم له في نفسه وإنما هو مسخر في يد الكاتب لم يثبت إليه ولم يشكر إلا الكاتب بل ربما يدهشه فرح النجاة وشكر الملك والكاتب من أن يخطر بباله القلم والخبر والدواء والشمس والقمر والجوم والطرود والقيم والأرض وكل حيوان وجماد مسخرات في قبضة القدرة كسبحير القلم في يد الكاتب بل هذا تفصيل في حقاك لاعتقادك أن الملك للوقع هو الكاتب التوقيع والحق أن الله تبارك وتعالى هو الكاتب لقوله تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - فاذا انكشف لك أن جميع مافي السموات والأرض مسخرات على هذا الوجه انصرف عنك الشيطان خائبا وأيسر عن مزج توحيدك بهذا الشرك فأنتك في الملكة الثانية وهي الانفتاح إلى اختيار الحيوانات في الأعمال الاختيارية ويقول كيف ترى الشكل من الله وهذا الانسان ببطيك وزقك باختياره فان شاء أعطاك وإن شاء قطع عنك وهذا الشخص هو الذي يحجز رقبته بسيفه وهو قادر عليك إن شاء حرز رقبته وإن شاء عفا عنك فكيف لا تخافه وكيف لا تجرؤه وأمرك بيده وأنت تشاهد ذلك ولا تشك فيه ويقول له أيضا ، نعم إن كنت لا ترى القلم لأنه مسخر فكيف لا ترى الكاتب بالقلم وهو السحر له وعند هذا زل أقدم الأكثرين إلا عباد الله المخلصين الذين لا سلطان عليهم للشيطان اللعين فشاهدوا بنور البصائر كونه الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضمماء كونه القلم مسخرا وعرفوا أن غلط الضمماء في ذلك كغلط الفلانة مثلا لو كانت تدب على الكاغد فترى رأس القلم يسود الكاغد ولم يتد بصرها إلى اليد والأصابع فضلا عن صاحب اليد فغلطت وغلطت أن القلم هو السود لا بياض وذلك لقصور بصرها عن مجاوزة رأس القلم لتفريق حدة تها فكذا من لم ينشرح بنور الله تعالى صدره للإسلام قصرت بصيرته عن ملاحظة جبار السموات والأرض ومشاهدة كونه قاهرا وراء الكل فوقه في الطريق

بشيء أفضل من  
الصبر ، وقال عليه  
السلام : لا يجزيك  
إسلام رجل حتى  
تملوا ما عقده عقله  
وسألت عائشة رضي  
الله عنها التي صلى الله  
عليه وسلم قالت قلت  
يا رسول الله بأي شيء  
يفتاضلون الناس ؟ قال  
بالعدل في الدنيا  
والآخرة قالت قلت  
أليس يحزى الناس  
بأعمالهم ؟ قال يا عائشة  
وهل يعمل بطاعة  
الله إلا من قد عقل  
فقد عرفوا عملهم  
وعلى قدر ما يعملون  
يحزون ، وقال عليه  
السلام : إن الرجل  
ليطلق إلى السجد  
فيصلي وصلاته

على السحاب وهو جهل بحض بل أرباب القلوب والشاهدات قد أنطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والأرض بقدرته التي بها نطق كل شيء حتى سمعوا تهديدها وتوبيخها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز بلسان ذلق تتكلم بالأحرف ولا صوت لا يسمعه الذين هم عن السمع مزولون ولست أعني به السمع الظاهر الذي لا يجاوز الأصوات فإن الحمار شريك في فعله لا يشارك فيه البهايم وإنما أريد به مما يذكر به كلام ليس بحرف ولا صوت ولا هو عرب ولا همي . فإن قلت فهذا أهمل ولا يقبلها العقل نصف في كيفية نطقها وأنها كيف نطقت وبماذا نطقت وكيف صحبت وقد ست وكيف شهدت على نفسها بالعجز . فاعلم أن لكل ذرة في السموات والأرض مع أرباب القلوب مناجاة في السر وذلك مما لا ينحصر وله ينتهي فاتها كانت تستمد من بحر كلام الله تعالى الذي لا نهاية له لعل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر - الآية ثم إنها تتجاسر بأسرار الملك ولللكوت وإنشاء السر لوقم بل صدور الأحرار قبور الأسرار وهل رأيت قط أمينا على أسرار الملك قد نوحى بخفاياه فأدى بسره على ملائمة الخلق ولو جاز إنشاء كل سر لنا لما قال صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» (١) بل كان يذكر ذلك لهم حتى يكون ولا يضحكون . ولما نهى عن إنشاء سر القدر (٢) . ولما قال «إذا ذكر التجوم فأمسكوا وإذا ذكر القدر فأمسكوا» (٣) . ولما خص حذيفة رضي الله عنه ببعض الأسرار (٤) . فاذن عن حكايات مناجاة ذرات الملك ولللكوت قلوب أرباب الشاهدات ما شاء تأديها استحالة إنشاء السر . والثاني خروج كلماتها عن المحصور والتها به ولو كانت في اللال الذي كنفه وهي حركة القلم تحكي من مناجاتها قدرا يسيرا فيهم بميل الاجمال كنية ابتداء التوكل عليه ونرد كلماتها إلى الحروف والأصوات وإن لم تكن هي حروفها وأصواتها ولكن هي ضرورية التضمين فتقول : قال بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى للكاغد وقدره أسود وجهه بالخبر ما بال وجهك كان أبيض مشرقا والآن قد ظهر عليه السواد فلم سودت وجهك وما السبب فيه فقال الكاغد ما أنصفتي في هذه اللقاة فاني ماسودت وجهي بنسي ولكن سل الخبر فانه كان مجموعا في الهجرة التي هي مستقره ووطنه فاسفر عن الوطن ونزل بساحة وجهي ظفوا وعدوا اننا قال صدقت فقال الخبر عن ذلك فقال ما أنصفتي فاني كنت في الهجرة وادعا ساكنا عازما على أن لا أريح منها فاعتدي على القلم بطمعه الفاسد واخطفني من وطني وأجلاني عن بلادي وفرق جمعي وبددني كاتري على ساحة يضاء فالسؤال عليه لاهي فقال صدقت ثم سألت القلم عن السبب في ظله وعدوانه وإخراج الخبر من أوطانه فقال سل اليد والأصابع فاني كنت نصبا ثابتا على شط الأنهار متهربا بين خضرة الأشجار فجاءني اليد بسكين ففتحت عني قسري ومزقت عني ثيابي واقتلعتني من أصلي وفصلت بين أنايي ثم برتني وشقت رأسي ثم غسنتني في سواد الخبر ومرارته وهي تستخذي وتخشيني على فقة رأسي ولقد ثرت للبحر على جرمي بسؤالك وعتابك فتفتح عني وسل من قهري فقال صدقت ثم سألت اليد عن ظلمها وعدوانها على القلم واستخدامها له فقالت اليد ما أنا إلا لحم وعظم ودم وهل رأيت لحما يظلم أو حيا يتحرك بنفسه وإنما أنا مركب مسخر ركبي فارس يقال له القدرة والعزة فهي التي تردني

(١) حديث لوطمون ما أعلم لضحكتم قليلا الحديث تقدم غير مرة (٢) حديث الهبي عن إنشاء سر القدر ابن عدي وأبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر القدر سر الله فلا تفشوا لله عن وجل سره انظر أبي نعيم وقال ابن عدي لا تتكلموا في القدر فانه سر الله الحديث وهو ضعيف ولقد تقدم (٣) حديث إذا ذكر التجوم فأمسكوا إذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث الطبراني وابن جبان في الضعفاء وتقدم في العلم (٤) حديث أنه خص حذيفة ببعض الأسرار تقدم .

لا تحدل جناح بموعدة  
وإن الرجل ليأتي  
للسجد فيصل وصلاته  
تعدل جبل أحد إذا  
كان أحسنها عقلا  
قبل وكيف يكون  
أحسنها عقلا ؟ قال  
أورعها من محارم  
الله وأحرصها على  
أسباب الخير وإن  
كان دونه في العمل  
والطوع . وقال :  
عليه الصلاة والسلام  
«إن الله تعالى قسم  
العقل بين عباده  
أثنائا فإن الرجلين  
يستوى عليهما  
وبرهما وصومهما  
وصلاتهما ولكنهما  
يتفاوتان في العقل  
كالقبرة في جنب أحد»  
وروى عن وهب بن

وتجول في نواحي الأرض أما ترى للدر والحجر والشجر لا يتعدى شئ منها مكانه ولا يتحرك بنفسه إذ لم يركبه مثل هذا الفارس القوى القاهر أمانرى أبدي الوحي تساويني في صورة اللحم والعظم والدم ثم لامعاملة بينهما وبين القلم فأنا أيضا من حيث أنا لامعاملة بيني وبين القلم فسل القدرة عن شأني فاني مركب أزهي من ركني فقال صدقت ثم سألت القدرة عن شأنها في استعمالها اليد وكثرة استعمالها وترديدها فقالت دع عنك لومي ومعانيبي فكم من لائم ملوم وكم من ملوم لا ذنب له وكيف خفي عليك أمرى وكيف ظننت أني ظلت اليد لما ركنها وقد كنت لها راكبة قبل التحريك وما كنت أحركها ولا أستخرجها بل كنت نائمة ساكنة نوما ظن الطائون بي أني ميتة أو معدومة لأنني ما كنت أتحرك ولا أحرك حتى جاءني موكل أزهي وأرهقني إلى ما تراه مني فكانت لي قوة على مساعدته ولم تكن لي قوة على مخالفته وهذا التوكل يسمى الإرادة ولا عرفه إلا باسمه وهجومه وصياله إذ أزهي من غمرة النوم وأرهقني إلى ما كان لي مندوحة عنه لو خلاني ورأيي فقال صدقت ثم سألت الإرادة ما الذي جراك على هذه القدرة الساكنة الطمئة حتى صرقتا إلى التحريك وأرهقتا إليه إرهقا لم تجد عنه خلاصا ولا مناصا فقالت الإرادة لا تسجل على فعلك لاعتدائك وأنت تلوم فاني ما انتهت بنفسى ولكن أهضت وما انتهت ولكني بشت بحكم قاهر وأمر جازم وقد كنت ساكنة قبل بحيث ولكن ورد لي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل بالإشخاص القدرة فأشخصها باضطراب فاني ميكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا أدري بأي جرم وقتت عليه وسخرت له وأزمت طاعته لكني أدري أني في دعة وسكون مالم يرد على هذا الوارد القاهر وهذا الحاكم العادل أو الظالم وقد وقتت عليه وقتا وأزمت طاعته إثر ما بل لا يبق لي معه مهما جزم حكمه طاقة على المثالبة لعمري مادام هو في التردد مع نفسه والتجبر في حكمه فأنا ساكنة لكن مع استعمار وانتظار لحكمه فإذا انحزم حكمه أزعمت بطبع وقهر تحت طاعته وأشخصت القدرة لتقوم بموجب حكمه فسل العلم عن شأني ودع عنى عتابك فاني كما قال القائل :

معي ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا نارقهم قالوا احلوم م

فقال صدقت وأقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعابيا لإيماهم على استباض الإرادة وتسخيرها لإشخاص القدرة فقال العقل أما أنا فسراج ما اشتعلت بنفسى ولكن أشعلت وقال القلب أما أنا فلوح ما انبسطت بنفسى ولكن بسطت وقال العلم أما أنا فتفتش فتشت في رياض لوح القلب لما أشرق سراج العقل وما انحططت بنفسى فكم كان هذا اللوح قبل خاليا عن فصل القلم عنى لأن الخط لا يكون إلا بالقلم فندد ذلك تنوع السائل ولم يفتحه جواب وقال قد طال عبي في هذا الطريق وكثرت منزلتي ولا يزال يعطيني من طمعت في معرفة هذا الأمر منه على غيره ولكني كنت أظن قسما بكثرة التردد لما كنت أسمع كلاما مذكورا في القواد وعذرا ظاهرا في دفع السؤال فأما قولك إني خط وتفتش وإنما خطني فلم فلتست أفهمه فاني لأعلم قضا الإيمن القصب واللوحة بالإيمن الحديد والخبث ولا خطا إلا بالجهر ولا سراجا إلا بالإيمن النار وإني لأسمع في هذا النزول حديث اللوح والتسراج والخط والقلم ولا شاهد من ذلك شيئا أسمع جمجمة ولا أرى طحا فقال له القلم إن صدقت فبالحق فبضاعتك مزجاة وزادك قليل ومركبك ضئيف . واعلم أن الهالك في الطريق التي توجهت إليها كثيرة فالصواب لك أن تتصرف وتنع ما أنت فيه لما هذا بشك قادره عنه فكل ميسر لما خلق له وإن كنت راغبا في استقام الطريق إلى التمسد فألق صممك وأنت شهيد . واعلم أن العوالم في طرقك هذا ثلاثة عالم الملك والشهادة أولها وادكان السكاغد والخبر والقلم واليد من هذا العالم وقد تجاوزت

منه أنه قال إني أجد في سبعين كتابا أن جميع ما أعطى الناس من بدء الدنيا إلى انقطاعها من العقل في جنب عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم كهيئة رملة وقعت من بين جميع رمال الدنيا . واختلف الناس في ماهية العقل والكلام في ذلك يكثر ولا تؤثر قول الأغاويل وليس ذلك من غرضنا فقال قوم : العقل من العلوم فإن الحالى من جميع العلوم لا يوصف بالعقل وليس العقل جميع العلوم فإن الحالى من معظم العلوم يوصف بالعقل وقالوا ليس من العلوم النظرية فإن من

ذلك لتنازل على سهولة والثاني عالم الملكوت وهو ورأى فإذا جلوسته انتهى إلى منازل وفيه الهامه والقيح والخيال الشاهقة والبحار الفرفة ولا أدري كيف تسلم فيها والثالث وهو عالم الجبروت وهو بين عالم الملك وعالم الملكوت ولقد قطعت منها ثلاث منازل في أوائلها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة بين عالم الملك والشهادة والملكوت لأن عالم الملك أسهل منه طريقا وعالم الملكوت أوعر منه منها وبما عالم الجبروت بين عالم الملك وعالم الملكوت يشبه السفينة التي هي في الحركة بين الأرض والساء فلا هي في حد اضطراب الساء ولا هي في حد سكون الأرض وثباتها وكل من يمشي على الأرض يمشي في عالم الملك والشهادة فان جاوزت قوته إلى أن يجري على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى إلى أن يمشي على الساء من غير سفينة مشى في عالم الملكوت من غير تنوع فان كنت لا تقدر على المشي على الساء فاقصر فقد جاوزت الأرض وخلقت السفينة ولم يبق بين يديك إلا الساء الصافي وأول عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العرف لوح القلب وحصول اليقين الذي يمشي به على الماء أما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام «لوازداد قبينا شئ على الهواء» (١) لما قيل له إنه كان يمشي على الماء فقال السالك السائل قد تعجبت في أمري واستعمر قلبي خوفا مما وصفته من خطر الطريق ولست أدري أطيع قطع هذه المهامة التي وصفتها أم لا فهل لك من علامة ؟ قال ثم اتبع بصرك واجمع ضوء عينيك وحده نعوذ أن ظهر لك القلم الذي به أكتب في لوح القلب فيشبه أن تكون أهلا لهذا الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت وقرع بابا من أبواب الملكوت كوشف بالقلم أمارى أن النسي على الله على وسلم في أول أمره كوشف بالقلم إذ أنزل عليه - اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - فقال السالك لقد فحمت بصري وحده فوالله ما أرى قسبا ولا خشيا ولا أعلم قلأ إلا كذك فقال العلم لقد أبعدت النجاة أما سمعت أن متاع البيت يشبه رب البيت أما علمت أن الله تعالى لا تشبه ذاته سائر الدوات فكذلك لا تشبه يده الأبدى ولا قلبه الأقلام ولا كلامه سائر الكلام ولا خطه سائر الخطوط وهذه أمور إلهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو في مكان بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم ودم بخلاف الأيدي ولا قلبه من قصب ولا وحه من خشب ولا كلامه بصوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا جهر زاج وعفس فان كنت لا تشاهد هذا فكذلك أفسأراك إلا عشنا بين نحوه التزييه وأنوثة التشبيه مذبذبا بين هذا وذا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء فكيف نزهت ذاته وصفاته تعالى عن الأجسام وصفاتها ونزهت كلامه عن معاني الحروف والأصوات وأخذت تتوقف في يده وقلبه ولوحه وخطه فان كنت قد فهمت من قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خالق آدم على صورته» الصورة الظاهرة المدركة بالبرص فكأن مشبا مطلقا كما يقال كن يهوديا صرفا وإلا فلا تلعب بالثورة وإن فهمت منه الصورة الباطنة التي تدرك بالباطن لا بالآبصار فكأن منزلها صرفا ومقدسا فخلا واطو الطريق فانك بالواد المقدس طوى واستمع برى قلبك لما يوحى فاعلمك نجد على النار هدى وملك من سرادقات العرش تتادى بما نودى به موسى - إن أنا ربك - فلما سمع السالك من العلم ذلك استعمر قصور نفسه وأنه عشت بين التشبيه والتزييه فاشتغل قلبه نارا من حدة فضبه على نفسه لما رآها بين النفس ولقد كان زيتة الذي في مشكاة قلبه يكاد يضيء ولولم نفسه نارا فلما تقع فيه العلم بجده اشتغل زيتة فأصبح نورا على نور فقال له العلم اغتم الآن هذه الفرصة واتخذ بصرك ملكا نجد على النار هدى ففتح بصره فانكشف له القلم الإلهي

(١) حديث قيل له إن عيسى يمشي على الماء قال لوازداد قبينا شئ على الهواء . تقدم .

شرط ابتداء النظر  
تقدم كال العقل فهو  
إذن من العلوم  
الضرورية وليس هو  
جميعا فان صاحب  
الحواس الخفية حافل  
وقد علم بعض  
مدارك العلوم  
الضرورية. وقال بعضهم  
العقل ليس من أقسام  
العلوم لأنه لو كان منها  
لوجب الحكم بأن  
الذاهل عن ذكر  
الاستحالة والجسور  
لا يتصف بكونه حافلا  
ونحن نرى العاقل في  
كثير من أوقاته ذاهلا  
وقالوا هذا العقل صفة  
يشأ بها درك العلوم .  
وقل عن الحرف بن  
أسد الحاشي وهو من  
أجل الشايع أنه قال

فأذا هو كوصفه العلم في التنزيه ما هو من خشب ولا قصب ولا له رأس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام في قلوب البشر كلهم أصناف العلوم وكان له في كل قلب رأس أو لآرأس له مقتضى منه العجب وقال نعم الرقيق العلم خزانة الله تعالى عن خيرها إذ الآن ظهر لي صدق أنباءه عن أوصاف القلم فاني أراه تفلا كالأقلام فخذ هذا ودع العلم وشكره وقال قد طال مقامي عندك ومرادني لك وأنا غريم على أن أسافر إلى حضرة القلم وأسأله عن شأنه فسافر إلي وقاله: ما بالك أيها القلم تخط على الدوام في القلوب من العلوم ماتحت به الإرادات إلى أشخاص القدر وصرفنا إلى القددورات فقال أوقد نسيت ما رأيت في عالم الملك والشهادة وصممت من جواب القلم إذ سأله فأحالك على اليد قال ما نسيت ذلك قال فجوابي مثل جوابه قال كيف وأنت لا تشبهه قال القلم أما سمعت أن الله تعالى خلق آدم على صورته قال نعم قال نسل عن شأني للقب يسمين الملك فاني قبضته وهو الذي رددني وأمامه مهور مسخر فلأفرق بين القلم الإلهي وقلم الآدمي في معنى التسخير وإنما الفرق في ظاهر الصورة فقال فمن عين الملك قال القلم أما سمعت قوله تعالى - والسماوات مطويات بيمينه - قال نعم قال والأقلام أيضا قبضة يمينه هو الذي بردعها فاسافر السالك من عنده إلى الميمن حتى شاهده ورأى من مجاهبه ما يزيد على مجاهب القلم لا يجوز وصف شيء من ذلك ولا شرحه بل لا يحوي مجلدات كثيرة عشر عشر وصفه والجملة فيه أنه يمين لا كالأيمان وبد لا كالأيدي وأصبع لا كالأصابع فرأى القلم عركا في قبضته فظهر له عذر القلم فسأل الميمن عن شأنه ونحريكه القلم فقال جوابي مثل ما سمعته من الميمن التي رأيتها في عالم الشهادة وهي المواقف القدرة إذ لا يد لك حكم لخاصي نفسها وإنما عركها القدرة لاجتماع فاسافر السالك إلى عالم القدر وتواري فيه من الجبابرة المستحق عندها ما قبله وسألهما عن تحريك الميمن فقالت إنما أنا صفة فاسأل القادر إذ الصمدية على الوصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد أن يزيغ ويطبق بالجرأة لسان السؤال الخيت بالقول الثابت ونودي من وراء حجاب سرادات الحضرة - لا يسأل عما يغفل وهم يشلون - ففتشته هبة الحضرة غرقت مضطرب في غشيتها فلما أفاق قال سبحانك ما أعظم شأنك ثبت إليك وتوكلت عليك وآمنت بآتيك الملك الجبار الواحد القهار فلا أخاف غيرك ولا أرجو سواك ولا أعوذ إلا بفضوك من عقابك وبرصاك من سخطك ومالي إلا أن أسألك وأنفزع إليك وأبتهل بين يديك فأقول : اشرح لي صدرى لأعرفك وأحل عقد من لسانى لأثني عليك فنودي من وراء الحجاب إليك أن تطمع في الثناء وتريد على سيد الأنبياء بل أراجع إليه لما آتاك غنمه وما نهاك عنه فاتمته وما قاله لك قلله فانه ما زاد في هذه الحضرة على أن قال « سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك (١) » فقال إلهي إن لم يكن لسان جرأة على الثناء عليك فهل القلب مطمع في معرفتك فنودي إليك أن تتخطى رقاب الصديقين فأرجع إلى الصديق الأكبر فأتته فان أصحاب سيد الأنبياء كالجنوم بأهم اقتديهم اهتديهم أما سمعت يقول العجز عن درك الإبداع والإبداع فكيف نصيما من حضرتنا أن نعرف أنك محروم عن حضرة تتعاجز عن ملاحظة جمالات وجلالاته فلهذا أرجع السالك واعتذر عن أسئلتهم ومعاتباته وقال للبعين والقلم والعلم والإزادة والقدرة وما بعدها أقبوا عذري فاني كنت غريبا حديث العهد بالخول في هذه البلاد ولكل داخل دهشة لما كان إنكارى عليكم إلا عن قصور وجهل والآن قد صمعت عندي عذركم وانكشف لي أن للنفرد بالملك والملكوت والعزة والجليل وهو الواحد القهار فلما أنتم إلا المسخرون تحت قهره وقدرته مرددون في قبضته وهو الأول والآخرو الظاهر والباطن فلما ذكر ذلك في عالم الشهادة استبعد منه ذلك وقيل له كيف يكون هو الأول والآخروهما وصفان متناقضان وكيف يكون هو الظاهر والباطن فالأول ليس بآخر والظاهر ليس بباطن فقال هو الأول بالإضافة إلى الوجودات إذ صدمته السكل على تربيته واحدا بعد واحد وهو الآخر

(١) حديث سبحانك لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك تقدم .

العقل غريزة يتبها بها  
درك العلوم وعلى هذا  
يتقرر ما ذكرناه في  
أول ذكر العقل : أنه  
لسان الروح لأن  
الروح من أمر الله  
وهي المتحملة للأمانة  
التي أبت السماوات  
والأرض أن يحملها  
ومنها يفيض نور  
العقل وفي نور العقل  
تشكل العلوم فالعقل  
للمعلوم بمثابة اللوح  
للكتوب وهو صفة  
منكوس متطلع إلى  
النفس تارة ومتعصب  
مستقيم تارة فمن كان  
العقل فيه منكوسا  
إلى النفس فرقه في  
أجزاء الكون وعدم  
حسن الاعتدال  
بذلك وأخطأ طريق

بالإضافة إلى سير السائرين إليه فانهم لا يزالون مترقبين من منزل إلى منزل إلى أن يقع الانتهاء إلى تلك الحفرة فيكون ذلك آخر السفر فهو آخر في الشاهدة أول في الوجود وهو باطن بالإضافة إلى الماكثين في عالم الشهادة الطالعين لادراكها بالحواس الخمس ظاهر بالإضافة إلى من عطشه في السراج الذي اشتعل في قلبه بالبصرة الباطنة النافذة في عالم لللكوت فهكذا كان توحيد السالكين لطريق التوحيد في القل: أعنى من انكشف له أن التاعل واحد . فان قلت فقد انتهى هذا التوحيد إلى أنه ينسحب على الإيمان بما لم يفسد ذلك أو يبعده فطريقه ؟ فأقول : أما الجاحد فلا علاج له إلا أن يقال له إنكارك لعالم لللكوت كانكار السنية لعالم الجبروت ، وهم الذين حصروا العلوم في الحواس الخمس فأنكروا القدرة والإرادة والعلم لأنها لا تدرك بالحواس الخمس فلازموا ضياع عالم الشهادة بالحواس الخمس ، فان قال وأنا منهم فاني لا أهدى إلا إلى عالم الشهادة بالحواس الخمس ولا أعلم شيئاً سواه ، فيقال إنكارك لما شاهدته بأرواء الحواس الخمس كانكار السوفسطائية بالحواس الخمس فانهم قالوا ما نزل لا نلق به فلما نراه في المنام ، فان قال وأنا من جملتهم فاني شاك في الحواس فيقال هذا شخص فسد مزاجه وامتنع علاجه فترك أياماً فلال وماكل مريض يقوى على علاجه الأطباء هذا حكم الجاحد . وأما الذي لا يبعد ولكن لا يغم فطريق السالكين معه أن ينظروا إلى عينه التي يشاهد بها عالم لللكوت فان وجدوها صحيحة في الأصل وقد زل فيها ماداً مؤديلاً لالزلة والتفتية اشتغلوا بتفتيته اشتغال الكحال بالأبصار الظاهرة فإذا استوى بصره أرشد إلى الطريق ليسلكها كما فعل ذلك صلى الله عليه وسلم غواص أصحابه فان كان غير قابل للعلاج فلم يمكنه أن يسلك الطريق الذي ذكرناه في التوحيد ولم يمكنه أن يسمع كلام ذوات الملك ولللكوت شهادة التوحيد كقولهم بحرف وصوت وردوا ذروة التوحيد إلى حبيش فهذه فان في عالم الشهادة أيضاً توحيدا إذ يسلم كل أحد أن للزلل يفسد بصاحبه والبد يفسد بأميرين فيقال له على حد عقده إلى العالم واحد والمدير واحد إذ لو كان فيها آلهة لافسد لقدنا فيكون ذلك على ذوق مارآ في عالم الشهادة وينفرد اعتقاد التوحيد في قلبه بهذا الطريق اللائق بقدر عقله وقد كلف الله الأنبياء أن يكلموا الناس على قدر عقولهم ، وقد زل القرآن لسان العرب على حد عادتهم في المحاوره . فان قلت . فقل هذا التوحيد الاعتقادي هل يصلح أن يكون عمادا للتوكل وأصلا فيه ؟ فأقول نعم فان الاعتقاد إذا قوى عمل عمل الكشف في إثارة الأحوال لإلانة في القلب ينفذ ويشارع إلى الاضطراب والتزلزل غالبا ولذلك يحتاج صاحبه إلى متكلم يحرمه بكلامه أو إلى أن يتعلم هو الكلام ليحرس به العقيدة التي تلقاها من أستاذه أو من أبويه أو من أهل بيته . وأما الذي شاهد الطريق وسلكه بنفسه فلا يخاف عليه شيء من ذلك بل لو كشف الغطاء لما ازداد يقينا وإن كان يزداد وضوحا كأن الذي يرى إنسانا في وقت الإسفار لا يزداد يقينا عند طلوع الشمس بأنه إنسان ولكن يزداد وضوحا في تفصيل خلقته ومماثل للكاشفين والمقتدين إلا كسرة فرعون مع أصحاب السامري فان سحرة فرعون لما كانوا مطالبين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى عليه السلام ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الأمر فلم يكتروا بقوله فرعون - لأنظن أبديكم وأرجلكم من خلاف - بل - قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات والذي فطرنا فاقض ما أنت قاض إنما نفى هذه الحياة الدنيا - فان البيان والكشف يمنع التغير . وأما أصحاب السامري لما كان إيمانهم عن النظر إلى ظاهر التبان فلما نظروا إلى عمل السامري ومعموا خواره تغيروا ومعموا قوله - هذا إنكم وإله موسى - ونسوا أنه لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم صرا ولا نفعا فسل من آمن بالنظر

الاهتداء ومن انتصب العقل فيه واستقام تأيد العقل بالبصرة التي هي قروح بمثابة القلب واهدى إلى الصكون ثم عرف الكون بالكون مستوفيا أقسام للرفة بالكون والكون فيكون هذا العقل عقل الهداية فكما أحب الله إقباله في أمر دله على إقباله عليه وما كرهه الله في أمر دله على الادبار عنه فلا يزال يتبع محاب الله تعالى ويجنب مساخطه وكلا استقام العقل وتأيد بالبصرة كانت دلالاته على الرشد ونبيه عن التمس . قال بعضهم : العقل على

إلى تعيان يكفر لا محالة إذا نظر إلى محمل لأن كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير . وأما عالم السموات فهو من عند الله تعالى فذلك لا تجد فيه اختلافا وتضادا أصلا . فان قلت ما ذكرته من التوحيد ظاهر مهما ثبت أن الوسائط والأسباب مسخرات وكذا ذلك ظاهر إلا في حركات الانسان فانه يتحرك إن شاء ويسكن إن شاء فكيف يكون مسخرا . فاعلم أنه لو كان مع هذا إرادة إن أراد أن يشاء ولا يشاء إن لم يرد أن يشاء لكان هذا مزملة التقدم وموقع الغلط ولكن علم أنه يفعل ما يشاء إذا شاء أن يشاء أم لم يشأ فابست الشيئة إليه إذ لو كانت إليه لا فخرت إلى مشيئة أخرى وتسلسل إلى غير نهاية وإذا لم تكن الشيئة إليه فبها وجدت الشيئة التي تصرف القدرة إلى مقدورها انصرفت القدرة لا محالة ولم يكن لها سبيل إلى الخلق فالحركة لا ضرورة بالقدرة والقدرة متحركة ضرورة عند انجرام الشيئة فالشيئة تحدث ضرورة في القلب فهذه ضرورات ترتب بعضها على بعض وليس للبدن أن يدفع وجود الشيئة ولا انصراف القدرة إلى القدور بعدها ولا وجود الحركة بعد شيئة القدرة فهو مضطر في الجميع . فان قلت فهذا جبر محض والجبر ناقض الاختيار وأنت لا تنكر الاختيار فكيف يكون مجبورا مختارا . فأقول لو انكشف الظاهر لعرفت أنه في عين الاختيار مجبور فهو إذن مجبور على الاختيار فكيف يفهم هذا من لا يفهم الاختيار . فلتشرح الاختيار بلسان المنكسرين شرحا وجيزا يليق بما ذكر متظلا وتأبى فان هذا الكتاب لم قصد به إلا العلم العامة . ولكني أقول لفظ الفعل في الانسان يطلق على ثلاثة أوجه : إذ يقال الانسان يكتب بالأصابع ويتنفس بالأنف والنجاسة ويحرق بالنار وإذا وقع عليه مجسم فينسب إليه الحرق في النار والتنفس والكتابة . وهذه الثلاثة في حقيقة الاضطراب والجبر واحدة ولكنها تختلف وراء ذلك في أمور فأعربك عنها بثلاث عبارات فنسمي حرقه بالنار عند وقوعه على وجهه فلا طبيعا ونسمي تنفسه فلا إراديا ونسمي كتابته فلا اختياريا والجبر ظاهر في الفعل الطبيعي لأنه مهيا وقت على وجه النار أو تخفى من السطح للهواء تحرق الهواء لا محالة فيكون الحرق بعد التخطي ضروريا والتنفس في معناه فان نسبة حركة النجاسة إلى إرادة التنفس كنسبة أخراق الماء إلى قتل البدن فهما كان التثقل موجودا وجد الأخراق بعده وليس التثقل إليه وكذلك الإرادة ليست إليه . ولذلك لو قصد عين الإنسان بارة طبق الأجفان اضطرابا ولو أراد أن يتركها مفتوحة لم يقدر مع أن تغمض الأجفان اضطرابا فلا إرادى ولكنه إذا تمثل صورة الإبرة في مشاهدته بالادراك حدثت الإرادة بالتغميض ضرورة وحدثت الحركة بها ولو أراد أن يترك ذلك لم يقدر عليه مع أنه فعل بالقدرة والإرادة قد التحق هذا الفعل الطبيعي في كونه ضروريا . وأما الثالث وهو الاختيارى فهو مظنة الاتباس كالكتابة والنطق وهو الذى يقال فيه إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل وثارة يشاء وثارة لا يشاء فيظن من هذا أن الأمر إليه وهذا الجبر بمعنى الاختيار فلتكشف عنه . ويانه أن الإرادة تبع للعلم الذى يحكم بأن الشيء موافقك والأشياء تنقسم إلى ما تحكم مشاهدتك الظاهرة أو الباطنة بأنه يوافقك من غير تحير وتردد وإلى ما قد يتردد العقل فيه فالذى تقطع به من غير تردد أن يقصد عينك مثلا بارة أو بدتك بسيف فلا يكون في عليك تردد في أن دفع ذلك خبرك وموافق فلا جرم تثبت الإرادة بالسلم والقدرة بالإرادة وتحصل حركة الأجفان بالدفع وحركة اليد بدفع السيف ولكن من غير روية وفكرة ويكون ذلك بالإرادة ومن الأشياء ما يتوقف الجيز والعقل فيه فلا بد من أن لا يحتاج إلى روية وفكر حتى يتميز أن الخير في الفعل أو الترك فإذا حصل بالفكر والرؤية العلم بأن أحدهما خير التحق ذلك بالذى يقطع بمن غير روية فكر فانيثبت الإرادة هنا كما تثبت لدفع السيف واللسان فإذا اثبتت فعل ما ظهر لفعل

ضربين ضرب يصير به أمر دنياه وضرب يصير به أمر آخرته ، وذكر أن الفعل الأول من نور الروح والعقل الثاني من نور الهداية فالفعل الأول موجود في عامة ولا آدم والعقل الثاني موجود في التوحيد منفقود من الله كين . وقيل إنما سمى العقل عقلا لأن الجبر ظلة فإذا غلب التردد بصرة في تلك الظلة زالت الظلة فأعصر نصار عقلا والجبر وقيل عقل الإنسان مستصحب في القلب ومتممه في الصدر بين صبي القامد والذى ذكرناه من كون الفعل لسان

أنه خير سميت هذه الإرادة اختباراً مشتقاً من الخير أي هو انبعاث إلى ما يظهر للعقل أنه خير وهو عين تلك الإرادة ولم ينتظر في انبعاثها إلى ما انتظرت تلك الإرادة وهو ظهور خيرية الفعل في حقه إلا أن الحرية في دفع السيف ظهرت من غير روية بل على البديهة وهذا انقصر إلى الروية فالاختيار عبارة عن إرادة خاصة وهي التي انبثت بإشارة العقل فيها إلى إدراكه توقف وعن هذا قيل إن العقل يحتاج إليه للتمييز بين خير الخبيرين وشر الشرير ولا يتصور أن تنبثق الإرادة بالإحكام الحس والتخيل أو بحكم جزم من العقل ولذلك لو أراد الإنسان أن يحزم رغبة نفسه مثلاً لم يمكنه لعدم القدرة في الإذلال لعدم السكين ولكن لفقد الإرادة الداعية للشخصية للقدرة وإنما قدرت الإرادة لأنها تنبث بحكم العقل أو الحس يكون الفعل موافقاً وقته نفسه ليس موافقاً له فلا يمكنه مع قوة الأعضاء أن يقتل نفسه إلا إذا كان في عتوة مؤهلة لا تطاق فإن العقل هنا يتوقف في الحكم ويتردد لأن تردده بين شر الشرير فإن ترجع له بعد الروية أن ترك القتل أقل شراً لم يمكنه قتل نفسه وإن حكم بأن القتل أقل شراً وكان حكمه جزماً لا ميل فيه ولا صارف منه انبثت الإرادة والقدرة وأهلك نفسه كالذي يتبع بالسيف للقتل فإنه يرمى نفسه من السطح مثلاً وإن كان مهلكاً ولا يبالى ولا يمكنه أن لا يرمى نفسه فإن كان يتبع بضرب خفيف فإن انتهى إلى طرف السطح حكم العقل بأن الضرب أهون من الرمي فوقفت أعضاؤه فلا يمكنه أن يرمى نفسه ولا تنبث له داعية البتة لأن داعية الإرادة مسخرة بحكم العقل والحس والقدرة مسخرة لداعية والحركة مسخرة للقدرة والكل مقدر بالضرورة فيه من حيث لا يدري فإنما هو محل ومجرى لهذه الأمور فأما أن يكون منه فكلاً ولا فأن معنى كونه مجبوراً أن جميع ذلك حاصل فيه من غيره لامتة ومعنى كونه مختاراً أنه محل لإرادة حدث فيه جبراً بعد حكم العقل يكون الفعل خيراً محضاً وما وقع واحد الحكم أيضاً جبراً فإداهو مجبور على الاختيار فعمل النار في الاحراق مثلاً جبر محض وفعل الله تعالى اختيار محض وقيل الإنسان على منزلة بين التوطين فإنه جبر على الاختيار فطلب أهل الحق لهذا عبارة ثالثة لأنها كانت ذاتاً والتموا فيه بكتاب الله تعالى فسوء كبراً وليس منافقاً للجبر ولا للاختيار بل هو جامع بينهما عند من فهمه وفعل الله تعالى يسمى اختياراً بشرط أن لا يفهم من الاختيار إرادة بعد تحير وتردد فإن ذلك في حقه محال وجميع الألفاظ المذكورة في اللغات لا يمكن أن تستعمل في حق الله تعالى إلا على نوع من الاستعارة والتجوز وذكر ذلك لا يليق بهذا العلم وبطول القول فيه . فإن قلت فهل تقول إن العلم والارادة والقدرة والقدرة ولدت الحركة وكل متأخر حدث من التقدم . فإن قلت ذلك فقد حكمت بحدوث شيء لامن قدرة الله تعالى وإن أثبت ذلك فإمضى ترتب البعض من هذا على البعض . فاعلم أن القول بأن بعض ذلك حدث عن بعض جهل محض سواء عبر عنه بالتولد أو بغيره بل حوالة جميع ذلك على المعنى الذي يبر عنه بالقدرة الأزلية وهو الأصل الذي لم ينف كافة الخلق عليه إلا الراسخون في العلم فانهم وقفوا على كنه معناه والكافة وقفوا على مجرد لفظه مع نوع تشبيه بقدرتنا وهو بعيد عن الحق وبيان ذلك بطول ولكن بعض اللقودورات ترتب على البعض في الحدوث ترتب الشرط على الشرط فلا تصد من القدرة الأزلية إرادة إلا بعد علم ولا علم إلا بعد حياة ولا حياة إلا بعد عمل الحياة وكلاهما يجوز أن يقال الحياة تحصل من الجسم الذي هو شرط الحياة فكذلك في سائر درجات الترتيب ولكن بعض الشرط ربما ظهرت للعامة وبعضها لم يظهر إلا للخواص السالكين بنور الحق والإفلا يتقدم مقدم ولا يتأخر متأخر إلا بالحق والضرورة وكذلك جميع أفعال الله تعالى ولولا ذلك لكان التقدم والتأخر عبثاً يضاهي فعل الجاهلين تعالى الله عن قول الجاهلين علواً كبيراً وإلى هذا أشار قوله تعالى وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - وقوله تعالى - وما خلقت السموات والأرض وما بينهما

الروح وهو عقل واحد  
ليس هو على ضربين  
ولكنه إذا انتصب  
واستقام تأيد بالبصيرة  
واعتمد ووضوح  
الأشياء في مواضعها  
وهذا العقل هو العقل  
الستقي نور الشرع  
لأن انتصابه واعتداله  
هداه إلى الاستقامة  
بنور الشرع ليكون  
الشرع ورد على لسان  
النبي المرسل وذلك  
لقرب روحه من  
الحضرة الإلهية  
ومكاشفة بصيرته التي  
هي للروح بمثابة القلب  
بقدرته الله وآياته  
واستقامة عقله بتأييد  
البصيرة فالبصيرة  
تحيط بالمعلوم التي  
يستوعبها العقل والتي

لا عين . ماحلقهما إلا بالحق . - فكل ما بين السماء والأرض حادث على ترتيب واجب وحق لازم لا يتصور أن يكون إلا كحادث على هذا الترتيب الذي وجد قما تأخر متأخراً لا انتظار شرط وطول للشرط قبل الشرط ومحال لا يوصف بكونه مقدوراً فلا يتأخر العلم عن النطقة إلا انعقد شرط الحياة ولا يتأخر عنها الإرادة بعد انقضاء شرط العلم وكل ذلك مباح الواجب وترتيب الحق ليس في شيء من ذلك لعب واتفاق بل كل ذلك بحكمة وتديروا تفهم ذلك غير ولكننا نضرب لتوقف القدور مع وجود القدرة على وجود الشرط متأخراً بمبادئ الحق من الأفهام الضعيفة وذلك بأن تقدر إنساناً محدثاً قد انتمس في الماء إلى رقبته فالحديث لا يرتفع عن أعضائه وإن كان الماء هو الرفع وهو ملاقة قدر القدرة الأزلية حاضرة ملاقة للقدورات متعلقة بها ملاقة الماء للأعضاء ولكن لا يحصل بها للقدور كما لا يحصل رفع الحادث بالماء انتظاراً للشرط وهو غسل الوجه فإذا وضع الواقف في الماء وجهه على الماء عمل للماء في سائر أعضائه وارتفع الحادث فرمى بظن الجاهل أنه الحدث ارتفع عن الدين يرضه عن الوجه لأنه حدث عقيه إذ يقول كان الماء ملاقة لم يكن رافعا للماء لم يتغير عما كان فكيف حصل منه ما لم يحصل من قبل بل حصل ارتفاع الحدث عن الدين عند غسل الوجه، فاذن غسل الوجه هو الرفع للحدث عن الدين وهو جعل يضحى ظن من يظن أن الحركة تحصل بالقدرة والقدرة بالإرادة والإرادة بالعلم وكل ذلك خطأ بل عند ارتفاع الحدث عن الوجه ارتفع الحادث عن اليد بالماء لللاق لها بالنسل الوجه والماء لم يتغير واليد لم تتغير ولم يحدث فيهما شيء ولكن حدث وجود الشرط فظهر أثر العلة فهكذا ينبغي أن تفهم صدور المقدرات عن القدرة الأزلية مع أن القدرة قديمة والمقدورات حادثة وهذا قرع باب آخر لعالم آخر من عوالم المكاشفات فلتترك جميع ذلك فان مقصودنا التنبيه على طريق التوحيد في الفعل فان الفاعل بالحقيقة واحد فهو الخوف والرجو وعليه التوكل والاعتماد ولم تقدر على أن نذكر من محار التوحيد إلا قطرة من بحر المقام الثالث من مقامات التوحيد واسبقنا ذلك في عمر نوح محال كاستيقا ماء البحر بأخذ القطرات منه وكل ذلك ينطوي تحت قول لا إله إلا الله وما أخف مؤته على اللسان وما أسهل اعتقاد مفهوم أظهري على القلب وما عز حقيقته وله عند العلماء الراسخين في العلم فكيف عند غيرهم . فان قلت فكيف الجمع بين التوحيد والشرع ومعنى التوحيد أن لا فاعل إلا الله تعالى ومعنى الشرع إثبات الأفعال للعباد فان كان البعد فاعلا فكيف يكون الله تعالى فاعلاً وإن كان الله تعالى فاعلاً فكيف يكون البعد فاعلاً ومفعولاً من فاعلين غير مفهوم . فأقول نمهد ذلك غير مفهوم إذا كان للفاعل معنى واحد وإن كان له معنيان ويكون اسم مجمل مرددين بينهما لم يناقض كما يقال قتل الأمير فلانا ويقال قتل الجلال ولكن الأمير قاتل بمعنى والجلاد قاتل بمعنى آخر فكذلك البعد فاعل بمعنى وأفعو وجعل فاعل بمعنى آخر فمضى كون الله تعالى فاعلاً أنه المخرج الموجود ومعنى كون البعد فاعلاً أنه المهل الذي خلق فيه القدرة ببدن خلق فيه الإرادة ببدن خلق فيه العلم فارتبطت القدرة بالإرادة والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط وارتبطت القدرة بالله ارتباط المعلول بالعلو وارتبطت بالمتخرج بالمتخرج وكل ماله ارتباط بقدرة فان عمل القدرة يسمى فاعلاً كيفما كان الارتباط كما يسمى الجلاد قاتلاً والأمير قاتلاً لأن القتل ارتباط بقدرة ولكن على وجهين مختلفين فذلك مما فعلنا لمنا فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرة ولأجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الأفعال في القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد ونسبها ببعضها مرة أخرى إلى نفسه فقال تعالى في الموت قل يتوفاكم ملك الموت ثم قال عز وجل - الله يتوفى الأنفس حين موتها وقال تعالى - أفرايتم ما تمحرون - أنصف الإنسان قال تعالى - أنا صابنا الماء صابنا ثم شققنا الأرض شققاً فبنتنا فيها عينا - وقال عز وجل - فأرسلنا إليهم البهار وخنا فحملوا يأسوا - ثم قال تعالى - ففتحنا فيها من رجونا وكان النافع جبريل عليه

يضيق عنها نطاق العقل لأنها تستمد من كائنات الله إلى بقعة البحر دون غادها والعقل ترجمان تؤدي البصيرة إليه من ذلك شطرا كما يؤدي القلب إلى اللسان بعض ما فيه ويستأثر بعضه دون اللسان ولهذا المعنى من حمد على مجرد العقل من غير الاستقامة بنور الشرع حظي جلوم الكائنات التي هي من الملك والملك ظاهر الكائنات ومن استضاء عقله بنور الشرع تأيد بالبصيرة فاطلع على المسكوت والمسكوت باطن الكائنات اختص بمكاشفته باب البصائر

السلام وكما قال تعالى - فاذا قرأناه فانبج قرآنه - قيل في التفسير معناه إذا قرأه عليك جبريل . وقال تعالى - قاتلهم بسبهم الله بأيديكم - فأضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه والتعذيب هو عين القتل بل صرح وقال تعالى - فلم تقتلهم ولكن الله قتلهم - وقال تعالى - وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى - وهو جمع بين النبي والإتيات ظاهرا ولكن معناه وما رميت بالشيء الذي يكون الرب به راميا إذ رميت بالشيء الذي يكون السبب به راميا ، إذ هما معنيان مختلفان . وقال الله تعالى - الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم - ثم قال - الرحمن علم القرآن - وقال - علمه البيان - وقال - ثم إن علينا ياناه - وقال - أفأرأيتم ما كنتم تخفون أنه من نحن المخلقون - ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في وصف ملك الأرحام « إنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة فييده ثم يصورها جسدا ، فيقول يارب أذكرهم أم أنسى أم معوج فيقول الله تعالى ماشاء وعلم خلق الملك <sup>(١)</sup> » وفي لفظ آخر « ويصور الملك ثم ينضج فيه الروح بالسادة أو بالشقاوة » . وقد قال بعض السلف إن الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الأرواح في الأجساد ، وأنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحا يلج في جسم . ولذلك سمى روحا وما ذكره في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أبواب القلوب يصائرهم فما يكون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم إلا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرد وكذلك ذكر الله تعالى في القرآن من الأدلة والآيات في الأرض والسموات ثم قال - أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - . وقال - شهد الله أنه لا إله إلا هو - فيبين أنه الدليل على نفسه وذلك ليس متناقضا بل طرق الاستدلال مختلفة فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر إلى الموجودات ، وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما دل بعضهم عرف رب ربى ولولا ربى لما عرفت ربى وهو معنى قوله تعالى - أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - وقد وصف الله تعالى نفسه بأنه الهى والى الموت والحياة إلى ملكين في الخبر « أن ملكي الموت والحياة تناظرا » ، فقال ملك الموت أنا أميت الأحياء ، وقال ملك الحياة أنا أحيي الموتى فأوحى الله تعالى إليهما كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع وأنا المولى والهى لا يمتنع ولا ينجى سواي <sup>(٢)</sup> » فأذن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تنافض هذه المعاني إذا فهمت ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لقدنى ناوله النمرة « خذها لولم تأنها لأنتك <sup>(٣)</sup> » أضاف الاتيان إليه وإلى النمرة ، ومعلوم أن النمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الإنسان إليها وكذلك لما قال التائب أنوب إلى الله تعالى ولا أنوب إلى محمد فقال صلى الله عليه وسلم « عرف الحق لأهله <sup>(٤)</sup> »

(١) حديث وصف ملك الأرحام أنه يدخل الرحم فيأخذ النطفة ييده ثم يصورها جسدا الحديث البراز وابن عدى من حديث عائشة أن الله تبارك وتعالى حين يريد أن يخلق الخلق يبعث ملكا فيدخل الرحم فيقول يارب ماذا الحديث وفي آخره فإمن شيء إلا هو يخلق معه في الرحم وفي سنده جهالة وقال ابن عدى إنه منكر ، وأصله متفق عليه من حديث ابن مسعود بنحوه (٢) حديث إن ملك الموت والحياة تناظرا فقال ملك الموت أنا أميت الأحياء وقال ملك الحياة أنا أحيي الأموات فأوحى الله إليهما أن كونا على عملكما الحديث لم أجده أصلا (٣) حديث قال لقدنى ناوله النمرة خذها لولم تأنها لأنتك ابن حبان في كتاب روضة العقلاء من رواية هذيل بن شرحبيل ووصاله الطبراني عن هذيل عن ابن عمر ورجاله رجال الصحيح (٤) حديث إنه قال لقدنى قال أنوب إلى الله ولا أنوب إلى محمد عرف الحق لأهله تقدم في الزكاة .

والعقول دون الجاسدين على مجرد القول دون البصائر وقد قال بعضهم إن العقل عقلان عقل للهداية مسكنه في القلب وذلك للمؤمنين الموقنين وتمتع به في الصدرين عيني التوفاد والعقل الآخر مسكنه في الدماغ وتمتع به في الصدرين عيني التوفاد خبالول يدبر أمر الآخرة ، وبالكافي يدبر أمر الدنيا والذي ذكرناه أنه عقل واحد إذا تأيد بالبصيرة دبر الأمرين وإذا تفرد دبر أمرا واحدا وهو أوضح وأبين ، وقد ذكرنا في أول الباب من تدبيره لنفسه للطمشة والأمانة

فكل من أضاف الكل إلى الله تعالى فهو المحقق الذى عرف الحق والحقيقة ومن أضافه إلى غيره فهو التجوز والستير في كلامه وللتجوز وجه كما أن الحقيقة وجهها واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمفترع ولكن ظن أن الانسان مخترع بقدرته فيها فاعلا بحركته وظن أنه تحقيق وتوهم أن نسبت إلى الله تعالى على سبيل الجواز مثل نسبة القتل إلى الأمير فانه مجاز بالاضافة إلى نسبتة إلى الجلال فلما انكشف الحق لأهل عرفوا أن الأمر بالمكس وقالوا إن الفاعل قد وضعت أبه اللوى للمفترع فلا فاعل إلا الله فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز أى تتجاوز به عما وضعه القوى له ولما جرى حقيقة للغة على لسان بعض الأعراب قصدا أو اتفاقا صدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وأصدق بيت قاله الشاعر قول لبيد: • ألا كل شيء ما خلا الله باطل • (١) أى كل ما لا قوام له بنفسه وإنما قوامه بغيره فهو باعتبار نفسه باطل وإنما حقيقته وحقيقته بغيره لا بنفسه فاذن لاحق بالحقيقة إلا إلى القيوم الذى ليس كشيء • فانه قائم بذاته وكل ماسواه قائم بقدرته فهو الحق وماسواه باطل ولذلك قال سهل: بإمكان كيانك ولم تكن ويكون ولا تكون فلما كنت اليوم صرت تقول أنا وأنا كُن الآن كالم تكن فانه اليوم كما كان. فان قلت قد ظهر الآن أن الكل جبر فامعنى الثواب والعقاب والغضب والرضا كيف غضبه على فعل نفسه. فاعلم أن معنى ذلك قد أشرنا إليه في كتاب الشكر فلا نطول بأعادته فهذا هو القدر الذى رأينا الرمز إليه من التوحيد الذى يورث حال التوكل ولا يتم هذا إلا بالإيمان بالرحمة والحسنة فان التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب والإيمان بالرحمة وسعها هو الذى يورث الثقة بسبب الأسباب ولا يتم حال التوكل كما سياتى إلا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل وهذا الإيمان أيضا باب عظيم من أبواب الإيمان وحكاية طريق المكاشفين فيه تطول فلنذكر حاصله ليعتده الطالب لتمام التوكل اعتقادا قاطعا لا يترتب فيه وهو أن يصدق تصديقا غيبيا لا يضاف فيه ولا يرب أن الله عز وجل لو خلق الخلق كلم على عقل أعطهم وعلم أعلمهم وخلق لهم من العلم ما غمطه قوسهم وأفاض عليهم من الحسنة ما لا ينهى لوصفها ثم زاد مثل عدد جميعهم علما وحكمة وعقلا ثم كشف لهم عن عواقب الأمور وأطلعهم على أسرار اللسكوت وعرفهم دقائق اللطف وخفايا العقوبات حتى اطمئنا به على الخير والشر والنعم والضرم أمرهم أن يديروا اللك واللسكوت بما أعطوا من العلوم والحكم لما اقتضى تدبير جميعهم مع التعاون والتظاهر عليه أن يزداد فيها دبر الله سبحانه الخلق في الدنيا والآخرة جناح بهوضة ولأن ينقص منها جناح بهوضة ولأن يرفع منها ذرة ولأن ينقص منها ذرة ولأن يدفع مرض أوعيب أو نقص أو فقر أو ضرر عمن يلى به ولأن يزال همه أو كمال أو غنى أو فقه عمن أتم الله به عليه بل كل ما خلقه الله تعالى من السموات والأرض إن رجوا فيها البصر وطولوا فيها النظر مارا أو افيا من تفاوت ولا فطور وكل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وهجر وقدرة وإيمان وكثروا طاعة ومصلحة فكله عدل محض لا جور فيه وحق صرف لا ظلم فيه بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالتدريج الذى ينبغي وليس فى الامكان أصلا أحسن منه ولا أتم ولا أكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم يتفضل بفضله لكان بخلا يناقض الجود وظلما يناقض العدل ولو لم يكن قادرا لكان هزرا يناقض الألوهية بل كل فقر وضرب الدنيا فهو نقصان من الدنيا وزيادة فى الآخرة وكل نقص فى الآخرة بالاضافة إلى شخص فهو نعيم بالاضافة إلى غيره إذ لولا الليل لما عرف قدر النهار ولولا المرض لما تميزت الأصحاء بالصحة ولولا النار

ما ينسب الى الانسان به الى كونه عقلا واحدا مؤيدا بالبصيرة تارة ومنفردا بوصفه تارة والله اللهم للعوالم [ الباب السابع والخمسون فى معرفة الحسائط وتفصيلها وتمييزها ]

أخبرنا شيخنا أبو النجيب للسهروردى قال أخبرنا أبو الفتح المهرورى قال أنا أبو نصر الترياقى قال أنا أبو محمد الجراحى قال أنا أبو العباس المحبسونى قال أنا أبو عيسى الترمذى قال أنا هناد قال أنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب عن مرة الحمداى عن عبدالله بن مسعود

(١) حديث أصدق بيت قاله العرب بيت لبيد : • ألا كل شيء ما خلا الله باطل •

متفق عليه من حديث أبي هريرة بلطف قاله الشاعر وفى رواية لمسلم أشعر كلمة تسكمت بها العرب

لما عرف أهل الجنة قدر النعمة وكان فداء أرواح الانس بأرواح البهائم وتسلطهم على ذمهم ليس بظلم بل تقدير الكمال على النقص عين العدل فكذلك تخيم النعم على سكان الجحيم بتظيم العقوبة على أهل النيران وفداء أهل الايمان بأهل الكفران عين العدل وما لم يخلق الناقص لا يعرف الكمال ولولا خلق البهائم لمساظهر شرف الإنس فان الكمال والنقص يظهر بالإضافة لفتننى الجود والحكمة خلق الكمال والناقص جميعا وكما أن قطع اليد إذا تأكلت إبقاء على الروح عدل لأنه فعله كامل بنقص فكذلك الأمر في التفاوت الذى بين الخلق في القسمة في الدنيا والآخرة فكل ذلك عدل لا جور فيه وحق لا لب فيه وهذا الآن بحر آخر عظيم العمق واسع الأطراف مضطرب الأمواج قريب في السعة من بحر التوحيد فيه غرق طوائف من القاصرين ولم يعلموا أن ذلك غرض لا يبعثه إلا المألون ووراء هذا البحر سر القدر الذى يحير فيه الأكثرون ومنع من إفشاء سره الكاشفون . والحاصل أن الخير والشر مفضى به وقد كان ماضى به واجب الحصول بعد سبق للشبهة فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه وأمره بل كل صغير وكبير مستطر وحصوله بقدر معلوم منتظر وما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولتقتصر على هذه الرموز من علوم المكاشفة التى هى أصول مقام التوكل ولترجع إلى علم العامة إن شاء الله تعالى وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الشرط الثانى من الكتاب : فى أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل وبيان ما قاله الشيخ فى حد التوكل وبيان التوكل فى السكب للفرد والعيل وبيان التوكل بترك الادطر وبيان التوكل فى دفع الضرر وبيان التوكل فى إزالة الضرر بالتداوى وغيره والله الموفق برحمته .

#### بيان حال التوكل

قد ذكرنا أن مقام التوكل ينتظم من علم وحال وعمل ودكرنا العلم فأما الحال فالتوكل بالتحقيق عبارة عنه وإنما العلم أصله والعمل ثمرة وقد أكثر الحافظون فى بيان حد التوكل واختلفت عباراتهم وتكلم كل واحد عن مقام نفسه وأخبر عن حده كما جرت عادة أهل التصوف به ولا فائدة فى النقل والاكتثار فلنكتشف القلاء عنه ونقول : التوكل مشتق من الوكالة يقال وكل أمره إلى فلان أى فوضه إليه واعتمد عليه فيه ويسمى للوكول إليه وكلا ويسمى للفوض إليه متوكلا عليه ومتوكلا عليه مهما اطمأننت إليه نفسه وثق به ولم يهتم به بتقصير ولم ينتقد فيه عجزا وقصورا فالتوكل عبارة عن اعتماد القاب على الوكيل وحده ولنضرب للوكيل فى الحصومة مثلا فتقول : من ادعى عليه دعوى باطلة بتليس فوكل للحصومة من يكشف ذلك التليس لم يكن متوكلا عليه ولا واثقا به ولا مطمئن النفس بتوكيله إلا إذا اعتقد فيه أربعة أمور : منتهى الهداية ومنتهى القوة ومنتهى الفصاحة ومنتهى الشفاعة أما الهداية فليعرف بها موانع التليس حتى لا يغنى عليه من غوامض الحيل شئ \* أصلا وأما القدرة والقوة فليستجري على التصريح بالحق فلا يداهن ولا يخاف ولا يستحي ولا يحين فانه ربما يطعن على وجه تليس خصمه فيمنع الخوف أو الجبن أو الحياء أو صارف آخر من الصوارف الضعفة للقاب عن التصريح به وأما الفصاحة فهى أيضا من القدرة إلا أنها قدرة فى اللسان على الانصاح عن كل ما استجرا القلب عليه وأشار إليه فلا كل عالم بموانع التليس قادر بذلاقة لسانه على حل عقدة التليس وأما منتهى الشفاعة فيكون باعتاله على بذل كل ما يقدر عليه فى حق من الجهود فان قدرته لا تنفد دون الصاية وإذا كان لا يهمل أمره ولا يبالى به ظفر خصمه أو لم يظفر هلك به حقه أو لم يهلك فان كان شاكا فى هذه الأربعة أو فى واحدة منها أو جوز أن يكون خصمه فى هذه الأربعة أكل منه لطمئن نفسه إلى وكيله بل يثق بمنزج القلب مستغرقا فى المهمل والحيلة والتدبير ليدفع ما يحذر من تصور

رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن الشيطان لمة بابن آدم ولذلك لمة فأما الشيطان فإعداد بالتسوية كذب الحق وأما لمة للالك فإعداد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله فليحمد الله ومن وجد الأخرى فليمتدح بقائه من الشيطان ثم قرأ الشيطان بعد ذلك العن وبأمرهم بالقهشاه .

وإنما ينطلع إلى معرفة الدين وتمييز الخواطر طلبا لم يبدى تشوقا إلى ذلك تشوق المايل من إلى الله لما يعلم من وقع ذلك وخطره وفلاحه وصلاحه

وكيله وسطوة خصمه ويكون تفاوت درجة أحواله في شدة الثقة والطمأنينة بحسب تفاوت قوة اعتقاده لهذه الحاصل فيه والاعتقادات والمظنون في القوة والضعف تتفاوت تفاوتاً لا ينحصر فلا جرم تتفاوت أحوال التوكلين في قوة الطمأنينة والثقة تفاوتاً لا ينحصر إلى أن ينتهي إلى اليقين الذي لا شك فيه كالوكان الوكيل والدلتوكل وهو الذي يسمى بلع الحلال والحرام لأنه يحصل له يقين ينتهي الشفقة والعناية فخير خصلة واحدة من الحاصل الأربعة قطعية وكذلك سائر الحاصلات يصور أن يحصل القطع به وذلك بطول الممارسة والتجربة فتواتر الأخبار بأنه أفصح الناس لسنا وأقوامهم يأنوا أقدرهم على نصرة الحق بل على تصور الحق بالباطل والباطل بالحق فإذا عرفت التوكل في هذا المثال فقس عليه التوكل على الله تعالى فإن ثبت في نفسك بكشف أو اعتقاد جازم أنه لا فاعل إلا الله كما سبق واعتقدت مع ذلك تمام العلم والقدرة على كفاية العباد ثم تمام العطف والعناية والرحمة بعمدة العباد والآحاد وأنه ليس وراء منتهى قدرته قدرة ولا وراء منتهى علمه علم ولا وراء منتهى عنايته بك ورحمته لك عناية ورحمة انكسر لعمالة قلبك عليه وحده ولم ينافست إلى غيره بوجه ولا إلى نفسه وحوله وقوته فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله كما سبق في التوحيد عند ذكر الحركة والقدرة فإن الحلول عبارة عن الحركة والقوة عبارة عن القدرة فإن كنت لا تجد هذه الحالة من نفسك فسيه أحد أمرين إما ضعف اليقين بأحدى هذه الحاصل الأربعة وإما ضعف القلب بمرئته باستيلاء الجبن عليه وإزواجه بسبب الأهواء الغالية عليه فإن القلب قد يترجع تبعاً للوهم وطاعة له عن غير قصان في اليقين فإن من يتناول عسلاً فشيء بين يديه بالعدرة ربما تخرطه وتهدر عليه تناوله ولو كلف الماقل أنه يبيت مع الليث في قبر أو فراش أو بيت تخرطه عن ذلك وإن كان متيقناً بكونه ميتاً وأنه جمادى في الحال وأن سنة الله تعالى مطردة بأنه لا يجتريه الآن ولا يجيه وإن كان قادر على كآتها مطردة بأن لا يقلب القلم الذي بيده حية ولا يقاب السور أسداً وإن كان قادراً عليه ومع أنه لا يشك في هذا اليقين بنفر طبعه عن مضاجعة الليث في فراش أو البيت معه في البيت ولا ينفر عن سائر الجمادات وذلك حين في القلب وهو نوع ضعف قلنا بخلو الإنسان عن شيء منهن وإن قل وقد قوي فبصر مرضا حتى يخاف أن يبيت في البيت وحده مع إغلاق الباب وإحكامه فاذن لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعاً إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لطمأنينة معه كقائل تعالى لإبراهيم عليه السلام - أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي - فالتمس أن يكون مشاهداً لإحياء الليث بينه وليث في خياله فإن النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن يتابع بالآخرة إلى درجة النفس الطمئة وذلك لا يكون إلا بالبداية أصلاً ثم من مطمئن ليقين له كسائر أرباب اللل والذهب فإن اليهودي مطمئن القلب إلى يهوده وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلاً وإنما يتبعون الظن ومتهوى الأئس وقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين إلا أنهم معرضون عنه فاذن الجبن والجراءة غرأولا ينفع اليقين معانته أحد الأسباب التي تضاد حال التوكل كأن ضعف اليقين بالحاصل الأربعة أحد الأسباب وإذا اجتمعت هذه الأسباب حصلت الثقة بالله تعالى وقد قيل مكتوب في التوراة سامعون من قته إنسان مثله وقد قال ﷺ «من استعز باليديد أذله الله تعالى» (١) وإذا انكشف لك معنى التوكل وعلت الحالة التي سميت توكل فاعلم أن تلك الحالة لها في القوة والضعف ثلاث درجات :

وفساده ويكون ذلك عبداً مراداً بالخطوة صفو اليقين ومنع للتوسين وأكسح التشوف إلى ذلك للتقربين ومن أخذ به في طريقهم ومن أخفى طريق الأبرار قد يتشوف إلى ذلك بعض التشوف لأن التشوف إليه يكون على قدر الهمة والطلب والارادة والمخط ومن الله الكريم من هو في مقام عامة المؤمنين والمسلمين لا ينطاع إلى معرفة الدين ولا يهتم بشي من الخواطر ومن الخواطر ما هي رسل الله تعالى إلى البعد كما قال بعضهم لي قلب إن عصيته

(١) حديث من اعز باليديد أذله الله العقيلي في الضعفاء وأبو نعيم في الحلية من حديث عمر أوردته العقيلي في ترجمة عبد الله بن عبد الله الأموي . وقال لا يتابع على حديثه وقد ذكره ابن حبان في الثقات وقال يخالف في روايته .

الدرجة الأولى : ما ذكرناه وهو أن يكون حاله في حق الله تعالى والتمتع بكفالاته وعنايته كحال في الثقة بالوكيل . الثانية : وهي أقوى أن يكون حاله مع الله تعالى كحال الطفل مع أمه فإنه لا يعرف غيرها ولا يفرغ إلى أحد سواها ولا يستمد إلا إياها فإذا رآها تعلق في كل حال بذيلها ولم يخلها وإن نابها أمر في غيبها كان أول سابق إلى لسانه يأماه وأول خاطر يخطر على قلبه أمه فإنها مفرقة عنه قد وثق بكفالاتها وكفالاتها وشفتها ثقة ليست خالية عن نوع إدراك بالتمييز الذي له وبظن أنه طبع من حيث إن السبي لوطول بتفصيل هذه الحاصل لم يقدر على تلقيب لفظه ولا على إحضاره مفصلاً ذهناً ولكن كل ذلك وراء الإدراك فمن كان بالله إلى الله عز وجل ونظره إليه واعتاده عليه كاف به كما يكف الصبي بأمه فيكون متوكلاً حفاً فإن الطفل متوكل على أمه والفرق بين هذا وبين الأول أن هذا متوكل وقد وثق في توكله عن توكله إذ ليس يلتفت قلبه إلى التوكل وحقيقته بل إلى التوكل عليه فقط فلا مجال في قلبه لغير التوكل عليه . وأما الأول فيتوكل بالتكليف والسكب وليس فانياً عن توكله لأن له التفاتاً إلى توكله وشموابه وذلك شغل صارف عن ملاحظة التوكل عليه وخدمه إلى هذه الدرجة أشار سهل حيث سئل عن التوكل ما أدناه قال ترك الأمان قيل وأوسطه قال ترك الاختيار وهو إشارة إلى الدرجة الثانية . وسئل عن أمه فلم يذكره وقال لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه . الثالثة : وهي أعلاها أن يكون بين يدي الله تعالى في حركاته وسكناته مثل اللبث بين يدي العاقل لا يفارقه إلا في أنه يرى نفسه ميتاً تحركه القدرة الأزلية كما تحرك يد العاقل اللبث وهو الذي قوى يقينه بأنه يجري للحركة والقدرة والارادة والعلم وسائر الصفات وأن كلاً يحدث جبراً ويكون بائناً عن الانتظار لما يجري عليه ويغارق الصبي فإن الصبي يفرغ إلى أمه ويصيح ويتعلق بذيلها ويسدو خلفها بل هو مثل صبي علم أنه وإن إزعج بأمه فالأم تطلبه وأنه وإن لم يتعلق بذيل أمه فالأم تحمله وإن لم يسألها الابن فالأم تغاضه وتسيبه وهذا القام في التوكل يشترك الدعاء والسؤال منه ثقة بكرمه وعنايته وأنه يعطى ابتداء أفضل مما يستل فكم من نعماً ابتداء قبل السؤال والدعاء وبغير الاستحقاق والقام الثاني لا يقتضي ترك الدعاء والسؤال منه وإنما يقتضي ترك السؤال من غيره فقط . فإن قلت فهذه الأحوال هل تصور وجودها فاعلم أن ذلك ليس بحال ولكنه عزيز نادر والقام الثاني والثالث أعزها والأول أقرب إلى الامكان ثم إذا وجد الثالث والثاني فدوامه أبعد منه بل يكاد لا يكون القام الثالث في دوامه إلا كصفة الوجل فإن انبساط القلب إلى ملاحظة الحول والقوة والأسباب طبع واتقاضه عارض كما أن انبساط السم إلى جميع الأطراف طبع واتقاضه عارض والوجل عبارة عن انتقاض السم عن ظاهر البشرية إلى الباطن حتى تنمحي عن ظاهر البشرية الحرة التي كانت ترى من وراء الرقيق من ستر البشرية فإن الشرع يترقيق تراءى من وراء حمرة الدم واتقاضه يوجب الصغرة وذلك لا بدوم وكذا انتقاض القلب بالكلية عن ملاحظة الحول والقوة وسائر الأسباب الظاهرة لا بدوم وأما القام الثاني فيشبه صفة المحمود فإنه قد بدوم يوماً وبومين والأول شبه صفة مريض استحكم مرضه فلا يبعد أن بدوم ولا يبعد أن يزول . فإن قلت فهل يبقى مع العبد تدبير وتعلق بالأسباب في هذه الأحوال ؟ فاعلم أن القام الثالث ينفي التدبير رأساً ما دامت الحاله باقية بل يكون صاحبها كالملبوث والقام الثاني ينفي كل تدبير إلا من حيث القزع إلى الله بالدعاء والابتهاج كتدبير الطفل في التعلق بأمه فقط والقام الأول لا ينفي أصل التدبير والاختيار ولكن ينفي بعض التدبيرات كالمتوكل على وكيه في المحسومة فإنه يترك تدبيره من جم غير الوكيل ولكن لا يترك التدبير الذي أشار إليه وكيه به أو التدبير الذي عرفه من عادته وسنته دون صريح إشارته فأما الذي يعرفه بإشارته بأن يقول له لست أتكلم إلا في حضورك فيشتغل بالعمالة بالتدبير للحضور ولا يكون هذا مناقضاً توكله عليه إذ ليس هو فزعاً عنه

عسى الله وهذا حال  
عبد استقام قلبه  
واستقام القلب  
اطمأنينة النفس وفي  
طمأنينة النفس يأمن  
الشیطان لأن النفس  
كما تحركت كدورت  
صفو القلب وإذا  
تسكدر طمع الشيطان  
وقرب منه لأن صفاء  
القلب يحفف بالتذكر  
والرعاية وللذكر نور  
ينفي الشيطان كاتقائه  
أحدنا النار . وقد  
ورد في الخبر «إن  
الشیطان جاثم على  
قلب ابن آدم فإذا  
ذكر الله تعالى تولى  
وخسئ وإذا غفل  
التفم قلبه مغدته ومثاه»  
وقال الله تعالى «ومن  
يشئ عن ذكر

إلى حول نفسه وقوته في إظهار الحجة ولا إلى حول غيره بل من تمام توكله عليه أن يفعل ما رحمه  
إذ لو لم يكن متوكلاً عليه ولا معتمداً له في قوله لما حضر قوله وأما المعلوم من عاداته وأما مستغفرو  
أن يعلم من عاداته أنه لا يحتاج إلى الحزم إلا من السجل فقام توكله إن كان متوكلاً عليه أن يكون سؤلاً  
على سنته وعادته وواقعياً بمقتضاها وهو أن يحمل السجل مع نفسه إليه عند حاجته فاذن لا يستغنى  
عن التدبير في الحضور وعن التدبير في إحضار السجل ولو ترك شيئاً من ذلك كان قصراً في توكله  
فكيف يكون فعله تصافيه ، نعم بعد أن حضر وفاء بأشارته وأحضر السجل وفاء بسنته وعادته وقد  
ناظراً إلى محاجته قد انتهى إلى القيام الثاني والثالث في حضوره حتى يبقى كالمجهول للتدبير لا يفرغ  
إلى حوله وقوته إذ لم يبق له حول ولا قوة وقد كان فرعه إلى حوله وقوته في الحضور وإحضار السجل  
بإشارة الوكيل وسنته وقد انتهى نهايته فلم يبق إلا طمأنينة النفس والثقة بالوكيل والانتظار لما يجري  
وإذا تأملت هذا اندفع عنك كل إشكال في التوكل وقهمت أنه ليس من شرط التوكل ترك كل  
تدبير وعمل وأن كل تدبير وعمل لا يجوز أيضاً مع التوكل بل هو على الانقسام وسبباً في تنصلي في  
الأعمال فإذا فرغ التوكل إلى حوله وقوته في الحضور والإحضار لا يناقض التوكل لأنه يعلم أنه لو لا الوكيل  
لكان حضوره وإحضاره باطلاً وتعباً محضاً بلا جدوى فاذن لا يصير مفيداً من حيث إنه حوله وقوته  
بل من حيث إن الوكيل جعله معتمداً له لاجتماعه في ذلك بإشارته وسنته فاذن لا حول ولا قوة إلا بالوكيل  
إلا أن هذه الكلمة لا يمكن معناها في حق الوكيل لأنه ليس خالقاً حوله وقوته بل هو جاعل لها  
مفيداً في أنفسهما ولم يكونا مفيدين لولا فطرته وإعما بصدق ذلك في حق الوكيل الحق وهو الله تعالى  
إذ هو خالق الحول والقوة كما سبق في التوحيد وهو الذي جعلهم مفيدين إذ جعلهم حاضراً شرطاً لما خلقه  
من بعدهما من القوائد والمقاصد فاذن لا حول ولا قوة إلا بالله حقاً وصدقاً فمن شاهد هذا كله كان له  
الثواب العظيم الذي ورد به الأخبار فيمن يقول لا حول ولا قوة إلا بالله <sup>(١)</sup> وذلك قد يستبعد فيقال  
كيف يعطى هذا الثواب كله بهذه الكلمة مع سبوتها على الإنسان وسهولة اعتقاد القلب بفهم لفظها  
وهيات فإما ذلك جزاء على هذه الشاهدة التي ذكرناها في التوحيد ونسبة هذه الكلمة وثوبها إلى  
كله لإله إلا الله وثوبها كنسبة معنى إحداها إلى الأخرى إذ في هذه الكلمة إضافة شيتين إلى الله  
تعالى فقط وهما الحول والقوة ، وأما كلمة لا إله إلا الله فهو نسبة الكل إليه فانظر إلى التفاضل بين  
الكل وبين شيتين لتعرف به ثواب لا إله إلا الله بالإضافة إلى هذا وكما ذكرنا من قبل أن للتوحيد  
قصرين ولين فكذا هذه الكلمة ولها سائر السمكيات وأكثر الخلق قيدوا بالقرنين وما طرقتوا  
إلى القيين وإلى الدين الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم «من قال لا إله إلا الله صادقاً من قلبه غملاً  
وجبت له الجنة <sup>(٢)</sup>» وحيث أطلق من غير ذكر الصدق والإخلاص أرباباً أطلق هذا التوكيد كإشفاق  
المفكرة إلى الإيمان والعمل الصالح في بعض الواضع وأضافها إلى مجرد الإيمان في بعض الواضع والراد  
به التقييد بالعمل الصالح فالملك لا ينال بالحدث وحركة اللسان حديث وعقد القلب أيضاً حديث ولكنه  
حديث نفس وإعما الصدق والإخلاص وراءها ولا ينصب سرير الملك إلا للقرينين وهم المخلصون ، نعم  
لمن يقرب منهم في الرتبة من أصحاب الجنين أيضاً درجات عند الله تعالى وإن كانت لا تنتهي إلى الملك  
أما ترى أن الله سبحانه لما ذكر في سورة الواقعة القرينين السابقين تعرض لسرير الملك فقال - على

الرحمن فيض له  
شيطانا فهو له قرين -  
وقال الله تعالى - إن  
الذين اتفقا إذا مسهم  
طائف من الشيطان  
تذكروا فإذا هم  
مبصرون - فبالقوى  
وجود خالص الذكر  
وبها ينتج بابه ولا  
يزال العبد يتقى حق  
يحمي الجوارح من  
اللكاء ثم يحبها من  
الفضول وما لا ينبغي  
تقصير أقواله وأفعاله  
ضرورة ثم تنتغل  
تقواه إلى باطنه ويظهر  
الباطن ويقيده عن  
اللكاء ثم من الفضول  
حتى يتقى حديث النفس  
قال سهل بن عبد الله  
أسوأ للعاصي حديث  
النفس ويرى الإصماء

(١) أحاديث ثواب قول لا حول ولا قوة إلا بالله تقدمت في الدعوات (٢) حديث من قال لا إله إلا الله صادقاً غملاً من قلبه وجبت له الجنة الطبراني من حديث زيد بن أرقم وأبو يعلى من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

سرر موصونة متشككين عليها متقابلين - ولما انتهى إلى أصحاب اليقين مازاد على ذكر الماء والظلمة والقوا كهو الأشجار والحدود والين وكل ذلك من لذات النظار والشروب والآكل والشكر ويصور ذلك اليقين على الدوام وأين لذات اليقين من لذات تلك والزول في أعلى عليين في جوار رب العالمين ولو كان لهذه اللذات قدر لها وسعت على اليقين ولما رست عليها درجة اللاتسكة أقترى أن أحوال اليقين وهي مسية في الرياض متمعة بالماء والأشجار وأصناف للأكولات متمعة بالزنوان والسفاد أعلى وأللو أشرف وأجدر بأن تكون عند ذوى السكالك مقبولة من أحوال اللاتسكة في سرورهم وأقرب من جوار رب العالمين في أعلى عليين هيات هيات مأبعد عن التخصيل من إذا خير بين أن يكون حماراً أو يكون في درجة جبريل عليه السلام فيختار درجة الحمار على درجة جبريل عليه السلام وليس يخفى أن شبه كل شيء منجذب إليه وأن النفس التي تزوعها إلى صنعة الأساكفة أكثر من تزوعها إلى صنعة الكتابة فهو بالأساكفة أشبه في جوهره منه بالكتاب وكذلك من تزوع نفسه إلى نيل لذات اليقين أكثر من تزوعها إلى نيل لذات اللاتسكة فهو باليقين أشبه منه باللاتسكة لاحتلاعه وهؤلاء هم الذين يقال فيهم - أولئك كالأغنام بل هم أضل - وإنما كانوا أضل لأن الأغنام ليس في قوتها طلب درجة اللاتسكة فتركها الطالب للعجز، وأما الإنسان في قوته ذلك والقادر على نيل السكالك أخرى بالدم وأجدر بالنسبة إلى الضلالتهما فتعاضد على طلب السكالك. وإذا كان هذا كلاماً معترضاً فلنرجع إلى المقصود قد بينا معنى قول إله الإله ومعنى قول لاهول ولا قوة إلا بالله وأن من ليس قاتلاً بهما عن مشاهدة فلا يتصور منه حال التوكل. فإن قلت ليس في قولك لاهول ولا قوة إلا بالله إلا نسبة شيئ إلى الله فلو قال قائل السماء والأرض خلق الله فهل يكون ثوابه مثل ثوابه؟ فأقول لا، لأن الثواب على قدر درجة المثاب عليه ولما سواة بين الدرجتين ولا ينظر إلى عظم السوء والأرض وصغر الحول والقوة وإن جاز وصفهما بالصغر تجاوزا فليست الأمور عظم الأشخاص بل كل عاى يفهم أن الأرض والسماء ليستا من جهة آدميين بل هما من خالق الله تعالى فأما الحول والقوة فقد أشكل أمرهما على المعتزلة والفلاسفة وطوائف كثيرة ممن يدعى أنه يصدق النظر في الرأي والمعتول حتى يشق الشعر عدة نظره فيهم مملكة خطيرة ومزلة عظيمة هلك فيها القائلون إذ ثبتوا أنفسهم أمراً وهو شرك في التوحيد وإثبات خالق سوى الله تعالى فمن جاوز هذه العقبة يتوفى الله تعالى إياه فقد علت رتبته وعظمت درجته فهو الذي يصدق قول لاهول ولا قوة إلا بالله وقد ذكرنا أنه ليس في التوحيد إلا عقبتان. إحداهما: النظر إلى السماء والأرض والشمس والقمر والنجوم والقيم والمطر وسائر الجمادات. والثانية: النظر إلى اختيار الحيوانات وهي أعظم العقبتين وأخطرها وبطعمها كالسر التوحيد فذلك عظم ثواب هذه النكامة أعنى ثواب المشاهدة التي هذه النكامة ترجعها فإذا رجع حال التوكل إلى التبري من الحول والقوة والتوكل على الواحد الحق وسيوضح عند ذكرنا تفصيل أعمال التوكل إن شاء الله تعالى.

### بيان ما قاله الشيوخ في أحوال التوكل

ليقين أن شيئاً منها لا يخرج عما ذكرنا ولكن كل واحد يشير إلى بعض الأحوال فقد قال أبو موسى الدبلي قلت لأبي يزيد ما التوكل؟ فقال ما تقول أنت قلت إن أصحابنا يقولون لو أن السباع والأفاعي عن عينك ويسارك ما تحرك لذلك شرك فقال أبو يزيد نعم هذا قرب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتعمنون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تمييز بينهما خرجت من حملة التوكل فذكره أبو موسى فهو خبر عن أجل أحوال التوكل وهو المقام الثالث وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة وأن ما ناله الله تعالى فضله بالواجب فلا تمييز بين أهل النار

إلى ما تحدث به النفس ذنباً فينتبه ويتقصد القلب عند هذا الانقضاء بالذكر انتقاد السكالك في كبد السماء ويصير القلب سماء محفوظاً بزينه كواكب الذكر فإذا صار كذلك يمسد الشيطان ومثل هذا العبد يندر في حقه الحواطر الشيطانية ولمناته ويكون له خواطر النفس ومحتاج إلى أن يتفها ويميزها بالعلم لأن منها خواطر لا يضر لا يضر إدمانها كطالبات النفس بما جاتها وساجاتها تنقسم إلى الحقوق والحفاظ ويتعين التمييز عند ذلك وإتمام النفسي بمطالبات

وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل الصلح والحسنة وهذا أغصن أنواع العلم ووراءه سر القدر وأبو زيد قد استكمل الإيعان على المقامات وأقصى الدرجات وليس ترك الاحتراز عن الحياة شرطاً في المقام الأول من التوكل فقد احتراز أبو بكر رضي الله عنه في الفار إذ سدت منافذ الحيات <sup>(١)</sup> إلا أن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره أو يقال إنما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا في حق نفسه وإنما زول التوكل بتحريك سره وتغيره لأمر يرجع إلى نفسه وللنظر في هذا الجمل ولكن سيأتي بيان أن أمثال ذلك وأكثر منه لا يناقض التوكل لأن حركة السر من الحيات هو الخوف وحق التوكل أن يخاف مسلط الحيات إذ لا حول للحيات ولا قوة لها إلا بالله فإن احتراز لم يكن استكمالاً على تديره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير . وسئل ذو النون المصري عن التوكل فقال خلع الأرباب وقطع الأسباب غلغ الأرباب إشارة إلى علم التوحيد وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وإن كان اللفظ يتضمنه فقبل له ردفاً فقال إلقاء النفس في البودية وإخراجها من الربوبية وهذا إشارة إلى التبري من الحول والقوة فقط . وسئل حمدون القصار عن التوكل فقال إن كان لك عشرة آلاف درهم عليك دائن دين لم تأمن أن تموت ويقت دينك في عنقك ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاة لا تأمن من الله تعالى أن ينقضها عنك وهذا إشارة إلى مجرد الإيمان بسمة القدرة وأن في القدورات أسباباً خفية سوى هذه الأسباب الظاهرة وسئل أبو عبيدة القرشي عن التوكل فقال التعلق بالله تعالى في كل حال فقال السائل زدني فقال تترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو التوكل لذلك فالأول مقام للمقامات الثلاث والثاني إشارة إلى المقام الثالث خاصة وهو مثل توكل إبراهيم صلى الله عليه وسلم إذ قاله جبريل عليه السلام أنك حاجة فقال أما إليك فلا، إذ كان سؤاله سبباً ينضى إلى سبب وهو حفظ جبريل له فترك ذلك ثقة بأن الله تعالى إن أراد سخر جبريل لذلك فيكون هو التوكل لذلك وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم يرمعه غيره وهو حال عزيز في نفسه ودواؤه إن وجد أبعد منه وأعز . وقال أبو سعيد الخزاز التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب ولعله يشير إلى المقام الثاني فسكونه بلا اضطراب إشارة إلى سكون القلب إلى الوكيل وفتنه به واضطراب بلا سكون إشارة إلى فرعه إليه واجتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه إلى أمه وسكون قلبه إلى تمام شفقتها . وقال أبو علي الدقاق التوكل ثلاث درجات التوكل ثم التسليم ثم التفويض فالتوكل يسكن إلى وعده والسلام يكفي بملئه وصاحب التفويض يرضى بحكمه وهذا إشارة إلى تفاوت درجات نظره بالإضافة إلى المنظور اليه فإن العلم هو الأصل والوعد ببقعه والحسب يتبع الوعد ولا يبعد أن يكون الغالب على قلب المتوكل ملاحظة شيء من ذلك وللتشيوخ في التوكل أقوالاً في شيء ما ذكرناه فلا نطول بها فإن الكشف أغص من الرواية والنقل فهنا ملحق بحال التوكل والله الموفق برحمته واطفئه .

### بيان أعمال المتوكلين

اعلم أن العلم بمرور الحال والحال يشعر بالأعمال وقد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب باليد وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة وكالاحم على الوضوء وهذا ظن الجهال فإن ذلك حرام في الشرع والشرع قد أمضى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين بل تكشف القضا عنه ويقول إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بملئه إلى مقاصده وسعى العبد باختياره إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادخار أو لدفع ضار لم يزل به كدفع الصائل والسارق والسباع أو لإزالة ضار قد نزل به

الخطا وقل الله تعالى  
يا أيها الذين آمنوا  
إن جاءكم فاسق بنبأ  
فبينوا - أي فبينوا  
وسبب نزول الآية  
الوليد بن عتبة حيث  
بعثه رسول الله صلى  
الله عليه وسلم إلى بني  
المصطلق فكذب عليهم  
ونسبهم إلى الكفر  
والعصيان حتى هم  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم بقتلهم ثم  
بث حاله إليهم فسمع  
أذان القرب والمشاء  
ورأى ما يدل على  
كذب الوليد بن عتبة  
فأنزل الله تعالى الآية  
في ذلك فظهر الآية  
وسبب نزولها ظاهر  
وصار ذلك تنبيهاً من  
الله عباده على التثبت

(١) حديث إن أبابكر سدت منافذ الحيات في الفار شفقة على النبي صلى الله عليه وسلم تقدم .

كالتداوى من المرض فتصود حركات العبد لاتعدو هذه الضون الأربعة وهو جلب النافع أو حفظه أو دفع الضار أو قطعه فانذكر شروط التوكل ودرجاته في كل واحد منها مقرونا بشواهد الشرع .

[ الفن الأول : في جلب النافع ] فقول فيه : الأسباب التي بها يجلب النافع على ثلاث درجات متقطعة به ومظنون ظاهري يوثق به وموهوم وحما لاثنى النفس به ثقة تامة ولاطمئن إليه . الدرجة الأولى : التقطوع به ، وذلك مثل الأسباب التي ارتبطت السببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطا مطردا لا يختلف كما أن الطعام إذا كان موضوعا بين يديك وأنت جائع محتاج ولكيك لست تمد اليد إليه وتقول أنا متوكل ، وشروط التوكل ترك الدعي ومد اليد إليه سمي وحركة وكذلك مضغه بالأسنان وابتلاعه بإطباق أفعالي الحنك على أسنانه فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء فانك إن انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شيئا دون الحيز أو يخلق في الحيز حركة إليك أو يسخر ملكا لحضفه لك ووصله إلى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى وكذلك لو لم تزرع الأرض وطمعت في أن يخلق الله تعالى نباتا من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاح كما ولدت مريم عليها السلام فشكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه فليس التوكل في هذا اللقاع بالعمل بل بالحال والعلم . أما العلم : فهو أن تعلم أن الله تعالى خالق الطعام واليد والأمتان وقوة الحركة وأنه هو الذي يطعمك ويستبقك . وأما الحال فهو أن يكون سكون قلبك واعتناك على فضل الله تعالى لاهل اليد والطعام وكيف تعتمد على محبة يديك وربما تخف في الحال وتفلج ، وكيف تنول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويطل قوة حركتك ، وكيف تنول على حضور الطعام ، وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه أو يبعث حية ترجمك عن مكانك وتفرق بينك وبين طعامك .

وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج إلا بفضل الله تعالى فبذلك فلتفرح وعليه فلتقول فإذا كان هذا حاله وعلمه فليجد اليد فانه متوكل . الدرجة الثانية : الأسباب التي ليست متينة ولكن الغالب أن السببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيدا كالذي يفارق الأمصار والوفال ويسافر في البوادي التي لا يطرأ فيها الناس إلا نادرا ويكون سفره من غير استصحاب زاد فهذا ليس شرطا في التوكل بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الأولين ، ولا يزول التوكل به بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لاهل الزاد كما سبق ولكن فعل ذلك جائز . وهو من أعلى مقامات التوكل ولذلك كان بفعله الخواص فان قلت : فهذا سمي في الهلاك وإلقاء النفس في التهلكة . فاعلم أن ذلك يخرج عن كونه حراما بشرطين : أحدهما أن يكون الرجل قد راض نفسه وجهدها وسواها على الصبر عن الطعام أسبوعا وما يقارب بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوش خاطر وتعتذر في ذكر الله تعالى . والثاني أن يكون بحيث يقوى على الثبوت بالحشيش وما يتفق من الأشياء الحسية فيمد هذين الشرطين لا يغلو في غالب الأمر في البوادي في كل أسبوع عن أن يلفاء آدمي أو ينتهي إلى حلة أو قرية أو إلى حشيش يجترى به فيجيبه به مجاهدا نفسه . والمجاهدة عماد التوكل وعلى هذا كان يقول الخواص ونظراؤه من التوكلين . والدليل عليه أن الخواص كان لا تخافه الإبرة والقرص والحبل والركوة ويقول . هذا لا يندخ في التوكل . وسببه أنه علم أن البوادي لا يكون للاء فيها على وجه الأرض وما جرت سنة الله تعالى بصعود الاء من البرفير دلو ولا حبل ولا ينظ وجود الحبل والءلو في البوادي كما ينظ وجود الحشيش والاء يحتاج إليه لوضوءه كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم أو يومين مرة فان السافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الاء وإن صبر عن الطعام

في الأمور قال سهل في هذه الآية القاسق الكذاب والكاذب صفة النفس لأنها تحمل أشياء وتناول أشياء على غير حقائقها فتبين الثبوت عند خاطرها وإقامتها فيجعل العبد خاطر النفس نسباً يوجب الثبوت ولا يستغزه الطبع ولا يستعجله الهوى فقد قال بعضهم أدنى الأدب أن تحف عند الجهل ، وآخر الأدب أن تحف عند الشبهة . ومن الأدب عند الاشتباه إنزال الخاطر بحرك النفس وخالقها وبرئها وفاطرها وإظهار الفقر والفاقة إليه والاعتراف

وكذلك يكون له توب واحد وربما يتخرق فتكشف عورته ولا يوجد القراض والبرقة البوادي غالباً عند كل صلاة ولا يقوم مقامهما في الحياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي فكل ما في معنى هذه الأربعة أيضاً يلحق بالدرجة الثانية لأنه مظنون ظناً ليس مقطوعاً به لأنه يحتمل أن لا يتخرق التوب أو يعطيه إنسان ثوباً أو يجد على رأس البئر من يديه ولا يحتمل أن يتحرك الطعام منحرفاً إلى فيه فيبين الدرجتين فرقان ولكن الثاني في معنى الأول ولهذا نقول لو انحاز إلى شعب من شعاب الجبال حيث لا ماء ولا حشيش ولا يطرقة طارق فيه وجلس متوكلاً فهو آمن بمساع في هلاك نفسه كما روى أن زاهداً من الزهاد فارق الأمصار وأقام في سفح جبل سبعا وقال لأسأل أحداً شيئاً حتى يأتي بي رزقي فقدم سبعا فكد عوت ولم يأتيه رزقي فقال يارب إن أحييتني فأتني برزقي الذي قسمت لي ولا فاقبني إليك فأوحى الله جل ذكره إليه وعزني لأرزقك حتى تدخل الأمصار وتقدمين الناس فدخل الصر وقصد لجأه هذا بطعام وهذا اجرأب فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تذهب حكمتي بزهك في الدنيا أما علمت أنني أن أرزق عبدي بأيدي عبادي أحب إلي من أن أرزقه بيد قدرتي فاذن التباعذ عن الأسباب كلها فمراغمة الحكمة وجهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الأسباب لا ينافي التوكل كما ضربناه مثلاً في الوكيل بالخسومة من قبل ولكن الأسباب تنقسم إلى ظاهرة وإلى خفية فمضى التوكل الاكتفاء بالأسباب الخفية عن الأسباب الظاهرة مع سكون النفس إلى مسبب السبب لا إلى السبب. فان قلت لما قولك في القعود في البلد بغير كسب أهو حرام أو مباح أو مندوب . فاعلم أن ذلك ليس بحرام لأن صاحب السباحة في البادية إذا لم يكن مهلكاً نفسه فهذا كيف كان لم يكن مهلكاً نفسه حتى يكون فعله حراماً بل لا يبعد أن يأتيه الرزق من حيث لا يحتسب ولكن قديماً أخرجه والصبر يمكن إلى أن يتقوى ولكن لو أغلق باب البيت على نفسه بحيث لا يطرئ لأحد إليه ففعله ذلك حرام وإن فتح باب البيت وهو بطال غير مشغول بعبادة فالكسب والخروج أولى له ولكن ليس فعله حراماً إلا لأن تصرف في الثوت ففقد ذلك يلزمه الخروج والسؤال والكسب وإن كان مشغول القلب بالله غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل من الباب فيأتيه رزقه بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتغاله بالله فهو أفضل وهو من مقامات التوكل وهو أن يشتغل بالله تعالى ولا يهتم برزقه فان الرزق يأتيه لامحالة وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء وهو أن العبد لو هرب من رزقه لطلبه كما لو هرب من الثوت لأدركه وأنه لو سأل الله تعالى أن لا يرزقه لما استجاب وكان عامياً وقال له يا جاهل كيف أخلقك ولا أرزقك ، ولقد قال ابن عباس رضي الله عنهما اختلف الناس في كل شيء إلا في الرزق والأجل فاتهم أجمعوا على أن لا رزق ولا محيت إلا الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خفصاً وتروح بطاناً ولزالت بدعائكم الجبال» (١) وقال عيسى عليه السلام : انظروا إلى الطير لا تزعم ولا تحصد ولا تدخر والله تعالى يرزقها يوماً بيوم . فان قلتم نحن أكبر بطوناً فانظروا إلى الأنعام كيف يقبض الله تعالى لها هذا الحق للرزق . وقال أبو يعقوب السوسي التوكلون تجرى أرزاقهم على أيدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون . وقال بعضهم المبيد كلهم في رزق الله تعالى لكن بعضهم يأكل

بالجهل وطلب العرقه والمونة منه فانه إذا أتى بهذا الأدب يثاب ويهان ويتبين له هل الخطر لطلب حظاً أو طلب حق فان كان لاحق أمشاء وإن كان للحظ نغمة وهذا التوقف إذا لم يقين له الخطر بظاهر العلم لان الافتقار إلى باطن العلم عند فقد الدليل في ظاهر العلم ثم من الناس من لا يسه في صحته إلا الوقوف على الحق دون الحظ وإن أمضى خاطر الخطر بصير ذلك مذنب حاله فيستغفر منه كما يستغفر من الذنوب ومن الناس من يدخل في تناول الحظ وبعض خاطره

(١) حديث لو توكلتم على الله حق توكله الحديث وزاد في آخره ولزالت بدعائكم الجبال وقد تقدمنا قريباً دون هذه الزيادة فرواها الامام محمد بن نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة من حديث معاذ ابن جبل باسناد فيه لين لو عرقتهم الله حق معرفته لشبتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال ورواه البيهقي في الزهد من رواية وهيب الليثي مرسلًا دون قوله لشبتم على البحور وقال هذا منقطع

بذل كالسؤال وبعضهم يمتد وانتظار كاللجاء وبعضهم يمتد كالصناعة وبعضهم يمتد كالصناعة يشهدون  
 المرز فآخذون رزقهم من يده ولا يكون الوساطة . الدرجة الثالثة : ملازمة الأسباب التي يتوكل  
 إنفاؤها إلى للسيئات من غير ثقة ظاهرة كالتي يستغنى في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الأكساب  
 ووجوهه وذلك يخرج بالسكينة عن درجات التوكل كلها وهو الذي فيه الناس كلهم أغنى من يكتب  
 بالحيل الدقيقة اكتساباً مباحاً للمباح فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه شبهة فذلك غاية  
 الحرص على الدنيا والانتكال على الأسباب فلا يغنى أن ذلك يعطل التوكل وهذا مثل الأسباب التي  
 نسبها إلى جلب النافع مثل نسبة الرقية والطيرة ولكن بالإضافة إلى إزالة الضرر الذي على الله عليه  
 وسلم وصف التوكلين بذلك ولم يصفهم بأنهم لا يكتبون ولا يسكنون الأمصار ولا يأخذون من أحد  
 شيئاً بل وصفهم بأنهم يعاطون هذه الأسباب وأمثال هذه الأسباب التي يوثق بها في للسيئات مما يكثر  
 فلا يمكن إحصاؤها . وقال سهل في التوكل إنه ترك التدبير وقال إن الله خلق الخلق ولم يعجزهم عن نفسه  
 وإن حاجتهم بتدبيرهم ولله أراد به استنباط الأسباب البعيدة بالفكر فهي التي تحتاج إلى تدبير دون  
 الأسباب الجلية فذلك قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى ما يخرج التعلق بها عن التوكل وإلى ما لا  
 يخرج وأن الذي يخرج ينقسم إلى مقطوع به وإلى مظنون وأن المقطوع به لا يخرج عن التوكل  
 عند وجود حال التوكل وعلمه وهو الانتكال على مسبب الأسباب فالحوال لا يعمل  
 وأما المظنونات فالحوال فيها بالحال والعلم والعمل جميعاً والمتوكلون في ملازمة هذه الأسباب على  
 ثلاثة مقامات : الأول : مقام الخواص ونظرته وهو الذي يدور في البوادي بشر زاد ثمة بغض الله تعالى  
 عليه في قوته على الصبر أسرعاً وما نوقته أو تيسر حشيش له أوفوت أو تبيتته على الرضا بالموت إن  
 لم يتيسر ثم من ذلك فإن الذي عمل الزاد قد يفقد الزاد أو يضل بهيره وبعت جوعاً لذلك يمكن مع  
 الزاد كما أنه يمكن مع قده . المقام الثاني : أن يقع في بيته أو في مسجد ولكنه في القرى والأما صار وهذا  
 أضف من الأول ولكنه أيضاً متوكل لأنه تارك للكسب والأسباب الظاهرة معزلة على فضل الله  
 تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية ولكنه بالقعود في الأمصار معرض لأحباب الرزق فإن  
 ذلك من الأسباب الجلية إلا أن ذلك لا يعطل توكله إذا كان نظره إلى الذي يسحره سكان البلد  
 لا يصل رزقه إليه لا إلى مكان البلد إذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى  
 بتدبيرهم وتحريك دواعيهم . المقام الثالث : أن يخرج ويكتب اكتساباً على الوجه الذي ذكرناه  
 في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب وهذا السرى لا يخرج أيضاً عن مقامات التوكل  
 إذ يمكن أن يكون نفسه إلى كفايته وقوته وجهه وبضاعته فإن ذلك ربما يهلكه الله تعالى جميعه في  
 لحظة بل يكون نظره إلى السكينة الحق يحفظ جميع ذلك وتيسر أحبابه له بل يرى كسبه وبضاعته  
 وكفايته بالإضافة إلى قدر الله تعالى كبرى القدر في ذلك الوقع فلا يكون نظره إلى القلم بل إلى قلب  
 الملك أنه بماذا يتحرك وإلى ماذا يميل وبم يحكم ثم إن كان هذا المكتسب مكتسباً لبياله أو لغيره  
 على السالكين فهو يدينه المكتسب وقبله عنه منقطع غفال هذا أشرف من حال القاعد في بيته . والدليل  
 على أن الكسب لا ينافي حال التوكل إذا روعيت فيه الشروط وأضاف إليه الحال والفرقة كالسبق أن  
 الصديق رضي الله عنه لما أوبى بالخلافة أصبح أخذاً الأتواب تحت حذنه والذراع بيده ودخل السوق  
 ينادي حتى كرهه المسلمون وقالوا كيف تفعل ذلك وقد أثمت الخلافة البوذة قال لا تشغلوني عن عبادي  
 فاني إن أضعتهم كمت لمساوئهم أضيع حتى فرضوا له قوماً أهل بيت من المسلمين فداروا بذلك رأى  
 مساعدتهم وتطبيع قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى ويستحيل أن يقال بل يكن الصديق

بزيد علم لديه من الله  
 وهو علم السعة ليد  
 مأثرون في السعة عالم  
 بالأذن فيمضي خاطر  
 الحظ والمراد بذلك  
 على بسيرة من أمره  
 عمن به ذلك وبلق  
 به عالم بزيادته وتقصانه  
 عالم بحاله حكم لعل  
 الحال وعلم القيام  
 لا يقاس على حاله ولا  
 يدخل فيه بالقلب  
 لأنه أمر خاص بعيد  
 خاص وإذا كان حان  
 العبد فيمضي خواطر  
 النفس في مقام تخلصه  
 من للمات الشيطان  
 تكسر لديه خواطر  
 الحق وتحوط الملك  
 وتصير خواطر الأرضية  
 في حقه ثلاثاً ويسقط  
 خاطر الشيطان إلا

في مقام التوكل فمن أولى بهذا المقام منه فدل على أنه كان متوكلاً لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفايته والعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدير الأسباب وبشرط كان براعياً في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادّخار ومن غير أن يكون درهمه أحب إليه من درهم غيره فمن دخل السوق ودرمه أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا وعحب لها ولا يصح التوكل إلا مع الزهد في الدنيا، نعم يصح الزهد دون التوكل فإن التوكل مقام وراء الزهد . وقال أبو جعفر الحداد وهو شيخ الجند رحمه الله عليهما وكان من التوكلين : أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارت السوق كنت أكتسب في كل يوم ديناراً ولأيت منه دافعا ولا أستريح منه إلى قيروط أدخل به الحمار بل أخرجه كله قبل الليل وكان الجند لا يتكلم في التوكل بحضرة وكان يقول أستحي أن أسكنكم في مقامه وهو حاضر عندي . واعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل فإن لم يكن معلوم ووقف وأمروا الحادوم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل إلا على ضعف ولكن يغوى بالحال والعلم كتوكل الكنتسب وإن لم يسألوا بل تقوا بما يعمل إليهم فهذا أقوى في توكلهم لكنه بعد اشتغال القوم بذلك فقد صار لهم سوق فهو كدخول السوق ولا يكون داخل السوق متوكلاً إلا بشروط كثيرة كما سبق . فإن قلت لما الأفضل أن يعمد في بيته أو يخرج ويكتسب ؟ فاعلم أنه إن كان يتفرغ بترك الكسب لتكرؤ ذكر وإعلاء واستغراق وقت بالبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل عليه فيعمل إليه شيئاً بل يكون قوى القلب في الصبر والانسكال على الله تعالى فالعمد له أولى وإن كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف إلى الناس فالكسب أولى لأن استشراف القلب إلى الناس سؤال بالقلب وتركه أهم من ترك الكسب وما كان التوكلون يأخذون مائة تشرف إليه نفوسهم . كان أحمد بن حنبل قد أمر أبا بكر الروزي أن يعطى بعض الفقراء شيئاً فضلاً عما كان استأجره عليه فرداه فقال له أحمد الحق وأعطه فانه قبل فالحقه وأعطاه فأخذه فسأل أحمد عن ذلك فقال كان قد استشرفت نفسه فرداه فخرج انقطع طعمه وأيس فأخذ . وكان الخواص رحمه الله إذا نظر إلى عبد في العطاء أو خاف اعتياد النفس لذلك لم يقبل منه شيئاً . وقال الخواص بعد أن سئل عن أحب ما رآه في أسفاره رأيت الحضر ورضى بصحبي ولكني فارقته خيفة أن تسكن نفسي إليه فيكون نقصاً في توكلتي فاذن للكنتسب إذا راعى آداب الكسب وبشرط نيته كالمسبي في كتاب الكسب وهو أن لا يفسد به الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلاً . فإن قلت لما علامة عدم استكاله على البضاعة والكفاية . فأقول علامته أنه إن سرقت بضاعته أو خسرت تجارتها أو توفى أمر من أموره كان راضياً به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحداً فإن من لم يسكن إلى شيء لم يضطرب للفقده ومن اضطرب للفقده شيء فقد سكن إليه وكان بشر يصل للمازول فتركها وذلك لأن البعادي كاتبه قال بلغني أنك استعنت على رزقك بالمغازل أرايت إن أخذ الله سمكك وبسرك الرزق على من ؟ فوقع ذلك في قلبه فأخرج آلة المغازل من يده وتركها وقبل تركها لما نوهت باسمه وقصد لأجلها وقبل فعل ذلك لما مات عياله كما كان لسفيان خمسون ديناراً يتجر فيها فلما مات عياله فرقها . فإن قلت فكيف يتصور أن يكون له بضاعة ولا يسكن إليها وهو يعلم أن الكسب غير بضاعة لا يمكن . فأقول بأن يعلم أن الذين يرزقهم الله تعالى بغير بضاعة فيهم كثرة وأن الذين كثرت بضاعتهم فسرفت وهلكت فيهم كثرة وأن يوطن نفسه على

نادراً لضيق مكانه من  
الدمس لأن الشيطان  
يدخل بطريق اتساع  
النفس واتساع النفس  
باتباع الهوى والإخلاق  
إلى الأرض ومن ضائق  
النفس على التمييز بين  
الحق والحظ ضائق  
نفسه وسقط محل  
الشيطان إلا نادراً  
لدخول الابتلاء عليه  
ثم من المرادين للتملقين  
بمقام المقرين من إذا  
صار قلبه سبأ مزينا  
بزينة كوكب الله كره  
بصر قلبه سبأوا يترقى  
وبعرج يباطنه ومعناه  
وحقيقته في طبقات  
السماوات وكلما ترقى  
تتضاءل النفس الظلمة  
وتبعد عنه خواطرها  
حتى يجاوز السماوات

أن الله لا يعمل به إلا ما فيه صلاحه فإن أهلك بضاعته فهو خير له فلهذا نوركه كان سببا لنسائه فيه وقد لطف الله تعالى به وفاته أن يموت جوعا فينبئ أن يستد أن الموت جوعا خبر له في الآخرة. **قضى الله تعالى عليه بذلك من غير تعسر من جهته** فإذا اعتقد جميع ذلك استوى عنده وجود البضاعة وعدمها ففي الخبر «إن العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو ضل له لكان فيه هلاكه فينظر الله تعالى إليه من فوق عرشه فيعرفه عنه فيصبح كئيبا حزينا يشطير بخاره وابن عمه من سبقت من دهاني وماهي إلا رحمة رحمه الله بها (١) » ولذلك قال عمر رضي الله عنه لا يبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لأدري أيهما خير لي ومن لم يتكامل يقبه بهذه الأمور لم يتصور منه التوكل ولذلك قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبي الخوارى لي من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل للبارك فاني ما مضت منه راحة هذا كلامه مع علو قدره ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال ما أدركته ولله أرواد إدراك أقصاء وما لم يكمل الإيمان بأن لا فاعل إلا الله ولا رازق سواه وأن كل ما يقدره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتعمده العبد لكل حال التوكل فبناء التوكل على قوة الإيمان بهذه الأمور كما سبق وكذا سائر مقامات الدين من الأقوال والأعمال تنبئ على أصولها من الإيمان . وبالجملة التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعى قوة القلب وقوة اليقين ولذلك قال سهل من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد . فان قلت فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون إلى الأسباب الظاهرة وحسن الظن بالله تعالى في تيسير الأسباب الخفية . فأقول نعم هو أن تعرف أن سوء الظن بتلين الشيطان وحسن الظن بتأنيب الله تعالى قال الله تعالى - الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالعصاة والله يبدكم مفرقة منه وفضلا - فان الانسان بطبعه مشغوف بنجاح وتخويف الشيطان ولذلك قيل الشفيق يسوء الظن مولع وإذا انضم إليه الجبن وضئف التلب ومشاهدة للتكسين على الأسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالسلبية بل رؤية الرزق من الأسباب الخفية أيضا تبطل التوكل فقد حكى عن عابد أنه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم فله الامام لو اكتسبت اسكان أفضل لك فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثا فقال في الرابعة يهودى في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين فقال إن كان صادقا في ضيائه فكوفك في المسجد خير لك فقال بإعذا لولم تكن إماما عكف بين يدي الله وبين العاد مع هذا النص في التوحيد كان خيرا لك إذ فضلت وعد يهودى على ضيائه الله تعالى بالرزق . وقال إمام السجدة لبعض المصلين من أين تأكل ؟ قال يا شيخ اصبر حتى أعيذ الصلاة فاني صابتها خلتك ثم أجيئك . وينفع في حسن الظن بمجيئ الرزق من فضل الله تعالى بواسطة الأسباب الخفية أن تسمع الحكايات التي فيها عجائب صنع الله تعالى في وصول الرزق إلى صاحبه وفيها عجائب فخر الله تعالى في إهلاك أموال التجار والأغنياء وقتلهم جوعا كما روى عن حذيفة الرضى وقد كان خدم ابراهيم بن آدم قيل له ما أعجب ما رأيت منه فقال بئنا في طريق مكة أياما لم نجد طعاما ثم دخلنا الكوفة فأوتينا إلى مسجد خراب فنظر إلى ابراهيم وقال يا حذيفة أرى بك الجوع فقلت هو ما رأى الشيخ فقال على بدواة وقرطاس جئت به إليه فكتب :  
بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال والمشار إليه بكل معنى وكتب شعرا :

(١) حديث إن العبد ليهم من الليل بأمر من أمور التجارة مما لو ضل له لكان فيه هلاكه فينظر الله إليه من فوق عرشه فيعرفه عنه الحديث أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عباس باسناد ضعيف جدا نحوه إلا أنه قال إن الممد ليشرف على حاجة من حاجات الدنيا الحديث بنحوه .

بروح باطنه كما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بظاهره وقلبه فإذا استكمل المروج تنفعل عنه خواطر النفس لتستره بأنوار القرب وبعد النفس عنه وعند ذلك تنقطع عنه خواطر الحق أيضا لأن الخاطر رسول والرسالة إلى من بعد وهذا قرب وهذا الذي وصفناه نازل ينزل به ولا يدوم بل يعود في هبوطه إلى منازل مطالبات النفس وخواطره فتعود إليه خواطر الحق وخواطر الملك وذلك أن الخواطر تستدعى وجودا وما أشرنا إليه حال الفناء ولا خاطر فيه ولا خاطر

أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر  
أنا جائع أنا ضائع أنا عارى  
هـى ستة وأنا الضمين لنصفها فكُن الضمين لنصفها يا بارى  
مدحى لتبرك لخب نار خضتها فأجر عبدك من دخول النار

ثم دفع إلى الرقة فقال اخرج ولا تطلق قلبك بغير الله تعالى وادفع الرقة إلى أول من يملكك فخرجت فأول من قبض كان رجلا على بقله فتأولته الرقة فأخذها فقاما وقف عليها بكى وقال ما فعل صاحب هذه الرقة قتلت هو في المسجد القلاني فدفع إلى صرة فيها ستائة دينار ثم قبضت رجلا آخر فسأله عن ركب البقلة فقال هذا نصراني فجئت إلى ابراهيم وأخبرته بالقصة فقال لا تمسها فانه يحسب الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني وأكب على رأس ابراهيم وقبله وأسلم . وقال أبو يعقوب الأقطع البصري : جمعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفا فحدثني نفسي بالخروج فخرجت إلى الوادى لى أجد شيئا يسكن ضفتى فرأيت ساجدة مطروحة فأخذتها فوجدت في قلبي منها وحشة وكان قاللا يقول لى جمعت عشرة أيام وآخره يكون حظك سلجعة متبرقة فرميت بها ودخلت المسجد وقعدت فإذا أنا برجل أنجمى قد أقبل حتى جالس بين يدى ووضع قطرة وقال هذلك قتلت كذب خصمتى بها قال اعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام وأشرفت السفينة على الترق فنذرت إن خلصنى الله تعالى أن أتصدق بهذه على أول من يقع عليه بصرى من المجاورين وأنت أول من قبضه قتلت فتحتها فإذا فيها صيد مصرى ولوز مقشور وسكر كذاب قبضت قبضة من ذا وقبضة من ذا وقلت رد الباقي إلى أصحابك هدية منى إليكم وقد قبلتها ثم قلت في نفسي رزقك يسر إليك من عشرة أيام وأنت تطليه من الوادى : وقال مشاد الديوبى : كان على دين فاشتغل قاي بسببه فرأيت في النوم كأن قاللا يقول يا غيبل أخذت علينا هذا التقدير من الدين خذ عليك الأخذ وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالا ولا صابا ولا غيرهما . وحكى عن بنان الجمال قال: كنت في طريق مكة أجي من مصر ومعى زاد فجاهتى امرأة وقالت لى يا بنان أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتوهم أنه لا يرزقك قال فرميت بزادى ثم أتى على ثلاث لم آكل فوجدت خاخالا في الطريق فقلت في نفسي أحمله حتى يحسب صاحبه فربما يعطينى شيئا فأرده عليه فإذا أنا بملك المرأة فقالت لى أنت تاجر تقول عسى يحسب صاحبه فأخذ منه شيئا ثم رمت لى شيئا من الدراهم وقالت أغفها فأكتفيت بها إلى قريب من مكة . وحكى أن باننا احتاج إلى جارية تخدمه فانبط إلى إخوانه فجمعوا له منها وقالوا هو ذا يحسب التغير فنشترى ما يوافق فلما ورد التغير اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا إنها تصلح له فقالوا لصاحبها بكم هذه فقال إنها ليست للبيع فألحوا عليه فقال إنها لبنان الجمال أهدتها إليه امرأة من حمير قد حملت إلى بنان وذكرته له القصة . وقيل كان في الزمان الأول رجل في سفرو ومعه قرص فقال إن أكلته مت فوكلك الله عز وجل به مسلكا وقال إن أكله فارزقه وإن لم يأكله فلا تعطه غيره فلم يزل القرص معه إلى أن مات ولم يأكله وبقي القرص عنده . وقال أبو سعيد الخراز : دخلت البادية بغير زاد فأصابتنى فاقة فرأيت الرحلة من بعيد فسررت بأن وصلت ثم فكرت في نفسي أتى سكنت وانسكنت على غيره وآليت أن لا أدخل للرحلة إلا أن أحمل إليها فحشرت لنفسي في الرمل حفرة وواريت جسدى فيها إلى صدرى فسمعت صوتا في نصف الليل عاليا يا أهل الرحلة إن لله تعالى وليا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاء جماعة فأخرجوني وحمولوني إلى القرية . وروى أن رجلا لازم باب عمر رضى الله عنه فإذا هو بقاتل يقول : يا هذا هاجرت إلى حمرا وإلى الله تعالى اذهب ففعل القرآن فانه سيخنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتداه عمر فإذاهو قد اعتزل

الحق اتقى لمكان  
القرب وخطر النفس  
بعد عنه بعد النفس  
وخطر الملك تخلف عنه  
كتخلف جبريل في ليلة  
المراج عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
حيث قال . لودنوت  
أمة لا تحرق . قال  
محمد بن على الترمذى  
المحدث والسكلم إذا  
تحققا في درجتهما لم يخافا  
من حديث النفس  
فكما أن النبوة  
محفوظة من إلقاء  
الشیطان كذلك محل  
الكلمة والمحادثة  
محفوظ من إلقاء النفس  
وفتحها وحمروس بالحق  
والسكينة لأن السكينة  
حجاب للسكلم والمحدث  
مع نفسه . وصممت

واشتغل بالعبادة فجاهد عمر فقال له إنني قد اشتقت إليك فما الذي شغلك عني فقال إنني قرأت القرآن فأخذاني عن عمر وآل عمر فقال عمر رحمك الله الذي وجدت فيه فقال وجدت فيه وفي السماء رزقكم وماتوا عدون - فقلت رزق في السماء وأطلبه في الأرض فبكي عمر وقال صدقت فكان عمر بعد ذلك بأبيه وجلس إليه . وقال أبو حمزة الخراساني حجت سنة من السنين فينبأنا ما نسي في الطريق إذ وقعت في بئر فاذنعتي نفسي أن أشتيت قفلات لا والله لا أشتيت فما استتممت هذا الحائط حتى مر رأس البئر جلان فقال أحدهما للآخر تعال حتى نسد رأس هذا البئر لا يقع فيه أحد فأتوا بقصب وبارية وطمو وأرأس البئر فهممت أن أصبح قفلت في نفسي إلى من أصبح هو أقرب منهما وسكنت فينا أنا بعد ساعة إذا ما بشي جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله وكأبه يقول تعال في في مهملة كنت أعرف ذلك فتعلقت به فأخرجني فاذها وسبع فرس وذهب في هانف بأب حمزة ليس هذا أحسن نبيك من التفت بالقلب فشيت وأنا أقول:

نهاني حيائي منك أن أكشف الهوى وأغيتني بالهم منك عن الكشف  
تطلعت في أمري فأبدت شاهدي إلى غايي والالطف يدرك بالالطف  
تراويت لي بالقلب حتى كذا عما تبتئري بالقلب أنك في الكف  
أراك وبني من هيتي لك وحشة فتؤاسي بالالطف منك وباللطف  
ونحسي حبا أنت في الحب حشفه وإذا عجب كون الحياة مع الخلف

وأمثال هذه الوقائع مما يكثر وإذا قوى الإيمان به وانضم إليه القدرة على الجوع قدر أسبوع من غير شيق صدر وقوى الإيمان بأنه إن لم يسق إليه رزقه في أسبوع فاللوت خير له عند الله عز وجل ولذلك حبسه عنه ، ثم التوكل بهذه الأحوال والشاهدات وإلا فلا يتم أصلا .

## بيان توكل اللیل

اعلم أن من له عيال لحكمه يفارق للفرد لأن الفرد لا يصح توكله إلا بأمرين : أحدهما قدرته على الجوع أسبوعا من غير استشراف وضيق نفس . والآخر أبواب الإيمان ذكرناها من جعلها أن يطيب نفسا بالموت إن لم يأت به رزقه علما بأن رزقه اللوت والجوع وهو وإن كان نقصا في الدنيا فهو زيادة في الآخرة فيرى أنه سيق إليه خير الرزقين له وهو رزق الآخرة وأن هذا هو اللرض الذي به يموت ويكون راضيا بذلك وأنه كذا قضى وقدر له فهذا يتم التوكل للفرد ولا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع ولا يمكن أن يقرر عندهم الإيمان بالوحد وأن اللوت على الجوع رزق منبوط عليه في نفسه إن اتفق ذلك نادرا وكذا سائر أبواب الإيمان فاذن لا يمكنه في حقهم إلا توكل بالسكتيب وهو اللقام الثالث كنوكل أبي بكر الصديق رضي الله عنه إذ خرج للسكيب فأما دخول البوادي وترك العيال توكل في حقهم أو اللقود عن الاهتمام بأمرهم توكل في حقهم فهذا حرام وقد يفضي إلى هلاكهم ويكون هو مؤاخذا بهم بل التحقيق أنه لا فرق بينه وبين عياله فإنه إن ساعده العيال على الصبر على الجوع مدته على الاعتداد بالموت على الجوع رزقا وغنيمة في الآخرة أنه يتوكل في حقهم ونفسه أيضا عيال عنده ولا يجوز له أن يضيها إلا أن تساعده على الصبر على الجوع مدة فإن كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتشتوش عليه عبادته لم يجز له التوكل . ولذلك روي أن أبا تراب النخعي نظر إلى سوق مد يد يده إلى قعر بطيخ لياكله بعد ثلاثة أيام فقال له لا يصاح لك التصوف أزم السوق أي لا تصوف إلا مع التوكل ولا يصح التوكل إلا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام . وقال أبو على الروذباري إذا قال الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع فألزمه السوق ومروه بالعمل والسكيب فاذن بدنه عياله وتوكله فبا يضر يده كتوكله في عياله وإنما يفارقهم في شيء واحد وهو أن له تكليف نفسه الصبر على الجوع

الشيخ أبا محمد بن  
عبد الله البصري  
بالصبرة يقول الحواطر  
أربعة : خاطر من  
النفس وخاطر من  
الحق وخاطر من  
الشيطان وخاطر من  
الملك فأما الذي من  
النفس فيحس به من  
أرض القلب والذي  
من الحق من فوق  
القلب والذي من الملك  
عن عين القلب والذي  
من الشيطان عن يسار  
القلب والذي ذكره  
إنما يصح لعبه أذاب  
نفسه بالتقوى والزهده  
وتصفى وجوده واستقام  
ظاهره وباطنه  
فيكون قلبه كالمرآة  
المجولة لا يأتيه  
الشيطان من ناحية

وليس لذلك في عياله وقد انكشف لك من هذا أن التوكل ليس اعتباطاً عن الأسباب بل الاعتقاد على الصبر على الجوع مدة والرضا بالوقت إن تأخر الرزق نادر أو ملازمة البلاد والأمصار أو ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الأذى إذ لا يمكن الاستمرار عليه إلا بالصبر والتوكل في الأمصار أقرب إلى الأسباب من التوكل في البوادي وكل ذلك من الأسباب إلا أن الناس عدلوا إلى أسباب أظهر منها فلم يعدوا تلك أسباباً وذلك لصعف إيمانهم وشدة حرصهم وقلة صبرهم على الأذى في الدنيا لأجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم بإساءة الظن وطول الأمل ومن نظروا في ملكوت السموات والأرض انكشف له تحقيقاً أن الله تعالى دبر الملك والملكوت تدبراً لا يجاوز العبد رزقه وإن ترك الاضطراب فإن العاجز عن الاضطراب لم يجاوز رزقه أما ترى الجنين في بطن أمه لما أن كان عاجزاً عن الاضطراب كيف وصل سرته بالأم حتى تنتهي إليه فضلات غذاء الأم بواسطة السرة ولم يكن ذلك بحيلة الجنين ثم لما انفصل سبط الحب والشفقة على الأم لتكفله شاءت أم أبى اضطراباً من الله تعالى إليه بما أشد في قلبها من نار الحب ثم لما لم يكن له من مضغ به الطعام جعل رزقه من اللبن الذي لا يحتاج إلى المضغ ولأنه لرخوة مزاجه كان لا يحتمل الغذاء الكثيف فأدركه اللبن اللطيف في ثدي الأم عند انفصاله على حسب حاجته أفكان هذا بحيلة الطفل أو بحيلة الأم فإذا صار بحيث يوافقه الغذاء الكثيف أثبت له أسناناً قواطع وطواحين لأجل اللغغ فإذا كبر واستقل يسره أسباب التعم وسالوك سبيل الآخرة ، فجبته بعد البلوغ جهل بعض لأنه ما قصت أسباب معيشته يبلوغه بل زادت فإنه لم يكن قادراً على الاكتساب فالآن قد قدر فزادت قدرته ، نعم كان الشفق عليه شخصاً واحداً وهي الأم والأب وكانت شفقة مفردة جداً فكان يطعمه ويسقيه في اليوم مرة وأمرتين وكان إطعامه بتسليط الله تعالى الحب والشفقة على قلبه فكذلك قد سلط الله الشفقة والمودة والرفق والرحمة على قلوب المسلمين بل أهل البلد كافة حتى إن كل واحد منهم إذا أحس بمحتاج تألم قلبه ورق عليه وانبعث له داعية إلى إزالة حاجته فقد كان الشفق عليه واحداً والآن للشفق عليه ألف وزيادة وقد كانوا لا يشفقون عليه لأنهم رأوه في كفاية الأم والأب وهو مشفق خاص لما رأوه محتاجاً ولو رأوه يتلمس السلط الله داعية الرحمة على واحد من المسلمين أو على جماعة حتى يأخذونه ويكفونه فصاروا إلى الآن في منى الحبص يقيم قدماء جوعاً مع أنه عاجز عن الاضطراب وليس له كافل خاص والله تعالى كافله بواسطة الشفقة التي خلقها في قلوب عباده فلماذا ينبغي أن يشتغل قلبه برزقه بعد البلوغ ولم يشتغل في الصبا وقد كان للشفق واحداً وللشفق الآن ألف ، نعم كانت شفقة الأم أقوى وأحظى ولكنها واحدة وشفقة آحاد الناس وإن ضفت فيخرج من مجموعها ما يغيد الغرض فكيف من يقيم قدماء الله تعالى له حالا هو أحسن من حال من له أب وأم فيجب أن يصف شفقة الآحاد بكثرة المشفقين وبترك التعم والاعتصار على قدر الضرورة ولقد أحسن الشاعر حيث يقول :

جرى قلم القضاء بما يكون      فبيان التحرك والسكون  
جنون منك أن تسمى لرزق      ورزق في غشاوته الجنين

فإن قلت الناس يكفون القيم لأنهم يرونه عاجزاً بسببه وأما هذا فبالغ قادر على الكسب فلا يلتفتون إليه ويقولون هو مثنا فليجهد نفسه . فأقول إن كان هذا القادر بطالا فقد صدقوا فعليه الكسب ولا معنى للتوكل في حقه فإن التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرغ لله تعالى فما للبطال والتوكل وإن كان مشتغلاً بالله ملازماً لمسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالتاس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكفونه ذلك بل اشتغاله بالله تعالى بقر حبه

إلا يصبره فإذا سود  
القلب وعصاه الرين  
لا يصبر الشيطان .  
روى عن أبي هريرة  
رضي الله عنه عن  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « إن العبد  
إذا أذنب نكت في  
قلبه نكتة سوداء  
فإن هو نزع واستغفر  
وناب ستل وإن عاد  
زيد فيه حتى تملأ قلبه  
قال الله تعالى - كلاب  
ران على قلوبهم  
ما كانوا يكسبون - »  
سمعت بعض العارفين  
يقول كلاماً دقيقاً  
كوشف بمقال الحديث  
في باطن الإنسان  
والجبال الذي تراه  
لباطنه وتحيل بين  
القلب وصفاء الذكر

في قلوب الناس حتى يحملون إليه فوق كفايته وإنما عليه أن لا ينفق الباب ولا يهرب إلى جبل من بين الناس وما روى إلى الآن عالم أوعا به استغرق الأوقات بالله تعالى وهو في الأمصار مات جوعا ولا يرى قط بل لو أراد أن يعظم جماعة من الناس بقوله لقد رزقني الله من حيث لم يحتسب وجعل له من حيث لم يحتسب الله عز وجل ألقى الله حبه في قلوب الناس وسخره القلوب كما سخر قلب الأم لو شاء فقدر الله تعالى ذلك وللصكوت تدبيراً كافياً لأهل الملك والصكوت فن شاهد هذا التدبير وفق بالمادبر واشتغل به وآمن ونظر إلى مدبر الأسباب لا إلى الأسباب ، نعم مادبره تدبير يصل إلى الاشتغال به والحلول الطيور السان والياب الرقيقة والحلول النفسية على الدوام لا يحالوا وقد يقع ذلك أيضاً في بعض الأحوال لكن دبره تدبيراً يصل إلى كل مشغل بعبادة الله تعالى في كل أسبوع قرص شعير أو حشيش يتناولها لعمالة والغالب أنه يصل أكثر منه بل يصل ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية فلا سبب لترك التوكل إلا لرغبة النفس في التمتع على الدوام وليس الثياب الناعمة وتناول الأغذية اللطيفة وليس ذلك من طريق الآخرة وذلك قد لا يحصل بنير اضطراب وهو في الغالب أيضاً ليس يحصل مع الاضطراب وإنما يحصل نادراً وفي النادر أيضاً قد يحصل بنير اضطراب فأثر الاضطراب ضعيف عند من اقتنعت بصيرته فذلك لا يطمئن إلى اضطرابه بل إلى مدبر ذلك وللصكوت تدبيراً لا يجاوز عبداً من عباده رزقه وإن سكن إلا نادراً ندوراً عظيماً يتصور مثله في حق المضطرب فإذا استكشفت هذه الأمور وكان معه قوة في القلب وشجاعة في النفس أبحر ما قاله الحسن البصري رحمه الله إذ قال وددت أن أهل البصرة في عيالي وأن حبة بدنيار . وقال وهيب بن الورد لو كانت السماء نحاساً والأرض رصاصاً واهتممت برزقي لطننت أني مشرك فإذا فهمت هذه الأمور فهمت أن التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول إليه لمن فهم نفسه وعلمت أن من أنكر أصل التوكل وإمكانه أنكره عن جهل فإمكانه أن يجمع بين الإتيان بالإفلاس عن وجود اللقائم ذوقاً والإفلاس عن الإتيان به علماً ، فاذن عليك بالقناعة بالزجر القليل والرضا بالقوت قاته يأتيك لعمالة وإن فررت منه وعند ذلك على الله أن يعث إليك رزقك على يدي من لا تحسب فإن اشتغلت بالتفوق والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى - ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب - الآية ، وإلا أنه لم يشكك له أن يرزقه لحلم الطير ولقد الله الأطعمة لها ضمن إلا الرزق الذي تدوم به حياته وهذا الضمون مبذول لكل من اشتغل بالضمائم وأطمأن إلى ضمائه فإن الذي أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما تظهر للخلق بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى إليها وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه في السماء قال الله تعالى . وفي السماء رزقكم وما توعدون - وأسرار السماء لا يطالع عليها ولهذا دخل جماعة على الجنيد فقال ماذا تطلبون ؟ قالوا نطلب الرزق فقال إن علمت أي موضع هو فاطلبوه قالوا نسأل الله قال إن علمت أنه يساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونسوك وننظر ما يكون فقال التوكل على التجربة شك قالوا لها الحيلة ؟ قال ترك الحيلة . وقال أحمد بن عيسى الحراز كنت في البادية فأتاني جوع شديد فطلبني نفسي أن أسأل الله تعالى طامعاً فقلت ليس هذا من أمثال التوكلين فطالبني أن أسأل الله صبراً فلما هممت بذلك سمعت هاتفاً يخف بي ويقول :

ويزعم أنه منا قرب  
وسأنا على الإقترار جهدا  
وأنا لافضيع من أمانا  
حأنا لازراء ولا برانا

قد فهمت أن من انكسرت قسمة وقوى قلبه ولم يضعف بالجبن باطنه وقوى إيمانه بتدبير الله تعالى كان مطمئن النفس أبداً واتقاه عز وجل فان أسوأ حاله أن يموت ولا بد أن يأتيه الموت كأي شيء من

هو من القلب وليس  
هو من النفس وهذا  
خلاف ما تقرر فأنه  
عن ذلك فذكر أن  
بين القلب والنفس  
مناجاة ومحادثات  
وتألفا وتوددا وكلا  
انطلقت النفس في شيء  
بهوها من القول  
والفعل تأثر القلب  
بذلك ونكسر فإذا  
عاد العبد من مواطن  
مطالبات النفس  
وأقبل على ذكره  
وحل مناجاته وخدمته  
فهو تعالى أقبل القلب  
بالمعابة للنفس  
وذكر النفس شيئا  
من ضلها وقولها  
كاللحم للنفس والمعائب  
لها على ذلك فإذا كان  
الخطر أول الفصل

ليس مطشاً فاذن تمام التوكل بقناعة من جانب ووفاء المضمون من جانب والذى ضمن رزق القانعين بهذه الأسباب التي دبرها مادي فاقنع وجرب تشاهد صدق الوعد تحقّقاً بما عبر به عليك من الأرزاق الصعبة التي لم تكن في تلك وحدايك ولا تسكن في توكلك منتظراً للأسباب بل بسبب الأسباب كالأسكون منتظراً لقم السكاب بل قلب السكاب فانه أصل حركة القلم والمحرر الأول واحد فلا ينبغي أن يكون النظر إلا إليه وهذا شرط توكل من يخوض البوادي بلا زاد أو يقعد في الأمصار وهو خامل وأما الذي له ذكر بالعبادة والزم فإذا قنع في اليوم واليلة بالطعام حمة واحدة كيف كان وإن لم يكن من اللذات وثوب خشن يليق بأهل الدين فهذا يأتيه من حيث يغتسب ولا يحتسب على العوام بل يأتيه أمداً فتركه التوكل وإهانته بالرزق غاية الضعف والقصور فإن إهانته بسبب ظاهره يحجب الرزق إليه أقوى من دخول الأمصار في حق الخامل مع الاكتساب لاهتمامه بالرزق فيبيع بذوى الدين وهو بالعلم أتبع لأن شرطهم القناعة والعالم القانع يأتيه رزقه ورزق جماعة كثيرة وإن كانوا معه إلا إذا أراد أن لا يأخذ من أيدي الناس وبأكل من كسبه فذلك له وجه لائق بالعالم العامل الذي سلوكه بظاهر العلم والعمل ولم يكن له سير بالباطن فإن الكسب يمنع عن السير بالقسكر الباطن فاشتغاله بالسلوك مع الأخذ من يد من يتقرب إلى الله تعالى بما يسطيه أولى لأنه نزع فزع وجل وإعانة للمطى على نيل الثواب ومن نظر إلى مجرى سنة الله تعالى علم أن الرزق ليس على قدر الأسباب ولذلك سأل بعض الأكسرة حكماً عن الأحق الرزق والعاقل المحروم فقال أراد الصانع أن يدل على شدة إله الرزق كل عاقل وحرم كل أحق لظن أن العقل رزق صاحبه فلما رأوا خلافه علموا أن الرزاق غيرهم ولأنه بالأسباب الظاهرة لهم ، قال الشاعر :

ولو كانت الأرزاق تجري على الحجا      هاككن إذن من جهلن البهائم

( بيان أحوال التوكلين في التعلق بالأسباب بضرب مثال )

اعلم أن مثال الحق مع الله تعالى مثل طائفة من السؤال وقفا في ميدان على باب قصر الملك وهم محتاجون إلى الطعام فأخرج إليهم غلثاً كثيرة ومعه أرغفة من الخبز وأمرهم أن يسطوا بعضهم رغيفين رغيفين وبعضهم رغيفاً رغيفاً ويجهدوا في أن لا يغفلوا عن واحد منهم وأمر منادياً حتى نادى فيهم أن اسكنوا ولا تملأوا بقلاني إذا خرجوا إليكم بل ينبغي أن يطمئن كل واحدكم في موضعه فإن الغلثان مسخرون وهم مأثورون بأن يوصلوا إليكم طاماًكم فن تعلق بالغلثان وآذاهم وأخذ رغيفين فإذا فتح باب الميدان وخرج أتبعته بسلام يكون موكلاً به إلى أن أقدم لعقوبته في ميعاده يوم عندي ولكن أخفيهم من لم يؤذ الغلثان وقنع برغيف واحد أتاه من يد القلام وهو ساكن فأتى أخضه بخلة سنية في العباد المذكور لعقوبة الآخر ومن ثبت في مكانه ولكنه أخذ رغيفين فلا عقوبة عليه ولا خلة له ومن أخطأ غلثاني فما أوصلوا إليه شيئاً فبات اليلة جائماً غير متسخط للغلثان ولا ذلاليته أوصل إلى رغيفاً فأتى غداً استوزرهم وأفوض ملكي إليه فاقسم السؤال إلى أربعة أقسام: قسم غلبت عليهم بطونهم فلم يلتفتوا إلى العقوبة الوعدة وقالوا من اليوم إلى غد فرج ونحن الآن جاثون فبادروا إلى التلصص فأذوهم وأخذوا الرغيفين فسبقت العقوبة إليهم في العباد المذكور فقدموا ولم ينفعهم الندم ، وقسم تركوا التعلق بالغلثان خوف العقوبة ولكن أخذوا رغيفين فغلب الجوع فسدوا من العقوبة وما فازوا بالخلة وقسم قالوا إنا نجلس بمراي من التلصص حتى لا نخطئها ولكن تأخذ إذ أعطونا رغيفاً واحداً ونقع به فتلنا شوز بالخلة فآذوا بالخلة وقسم رابع اختلقوا في زوايا الميدان وأخفوا عن مرأى أعين التلصص وقالوا إن اتيمونا وأعطينا قننا برغيف واحد وإن

ومفتحه لفرقة من  
ثم شأن البذر لأن  
الأضال من الحواطر  
نشأ حتى ذهب بعض  
العلماء إلى أن العلم  
للقترض طلبه يقول  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم « طلب  
العلم غريضة على  
كل مسلم » هو علم  
الحواطر قال لأنها أول  
العمل وبغادها فساد  
العمل وهذا لعمرى  
لا ينجو لأن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
أوجب ذلك على كل  
مسلم وليس كل المسلمين  
عندهم من القرعة  
والعرفه ما يعرفون به  
ذلك ولكن يعلم  
الطلاب أن الحواطر  
بتابة البذر فلها ماهر

أخطأونا قاسينا شدة الجوع اللبلة فلهنا هوى على ترك التسخط فقال رتبة الوزارة ودرجة القرب عند الملك فما نفهم ذلك إذ اتبعهم العالمان في كل زاوية وأعطوا كل واحد رغبوا واحدا جرى مثل ذلك أياما حتى اتفق على التدور أن اختفى ثلاثة في زاوية ولم تقع عليهم أبصار العالمان وعشاهم مثل صارف عن طول التفتيش فباتوا في جوع شديد فقال الثاني منهم ليقنا نمرضا للعلمان وأخذنا طاعة القاسي نطرق الصبر وسكت الثالث إلى الصباح فقال درجة القرب والوزارة فهذا مثال الحلق والبدان هو الحياقي الدنيا وباب البدان اللوث واليجاد المجهول يوم القيامة والوعد بالوزارة هو الوعد بالمشاهدة لا تنوكل إذا مات جائعا راضيا من غير تأخير ذلك إلى ميعاد القيامة لأن الشهود أحياء عند ربهم يرزقون والتعلق بالعلمان هو للتعدي في الأسباب والعلمان المسخرون هم الأسباب والجالس في ظاهر البدان يرى التعلمان هم للقيوم في الأمصار في الرباطات والاسجاد على هيئة السكون والمختفون في الزوايا هم السامعون في البوادي على هيئة التوكل والأسباب تنبعم والرزق يأتيهم إلا على سبيل التدور فان مات واحد منهم جائعا راضيا فله الشهادة والقرب من الله تعالى وقد انقسم الحلق إلى هذه الأقسام الأربعة ولعل من كل جائة تعلق بالأسباب تسعون وأقام سبعة من العشرة الباقية في الأمصار مترشحين للسبب بمجرد حضورهم واشتهارهم وساح في البوادي ثلاثة وتسخط منهم اثنان وفاز بالقرب واحد ولعله كان كذلك في الأمصار السالفة وأما الآن فالناركة للأسباب لا ينتهي إلى واحد من عشرة آلاف .

[أفمن الثاني في التعرض لأسباب الادخار] أمن حصل له مال يارث أو كسب أو سؤد أو سبب من الأسباب فله في الادخار ثلاثة أحوال : الأولى أن يأخذ قدر حاجته في الوت فبا كل إن كان كافيا أو ليس إن كان عاريا ويشترى مسكنا محتصرا إن كان محتاجا ويفرق الباقي في الحال ولا يأخذ ولا يدخر إلا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج إليه فيدخر على هذه النية فهذا هو الرقي بموجب التوكل تحقيقا وهي الدرجة العليا . الحالة الثانية القابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل أن يدخر لسته قضا فوقها فهذا ليس من التوكلين أصلا وقد قيل لا يدخر من الحيوانات إلا ثلاثة : الفأرة والجملة وابن آدم . الحالة الثالثة أن يدخر لأربعين يوما فما دونها فهذا هل بموجب حرمانه من اللقاه المحمود والوعود في الآخرة للتوكلين اختلفوا فيه فذهب سهل إلى أنه يخرج عن حد التوكل وذهب الخواص إلى أنه لا يخرج بالزيادة يوما ويخرج بما يزيد على الأربعين وقال أبو طالب للسكي لا يخرج عن حد التوكل بالزيادة على الأربعين أيضا وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز أصل الادخار ، نعم يجوز أن يظن ظان أن أصل الادخار يناقض التوكل فأما التقدير بعد ذلك فلا مدرك له وكل ثواب موعود على رتبة فانه يتوزع على تلك الرتبة وتلك الرتبة لها بداية ونهاية ويسمى أصحاب النهايات السابقين ، وأصحاب البدايات أصحاب النجيين ، ثم أصحاب النجيين أيضا على درجات وكذلك السابقون وأعلى درجات أصحاب النجيين تلاصق أصافل درجات السابقين فلا معنى للتدبير في مثل هذا بل التحقيق أن التوكل بترك الادخار لا يمت إلا بقصر الأمل وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس فان ذلك كالممتنع وجوده أما الناس فمتفاوتون في طول الأمل وقصره وأقل درجات الأمل يوم وليسته فسادونه من الساعات وأقصاه ما يتصور أن يكون عمر الانسان وبينه درجات لاحصر لها فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى القصد ممن يؤمل سنة وتزيد بأربعين لأجل مبعاد موسى عليه السلام بعد فان تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما رخص الأمل فيه ولكن استحقاق موسى لئيل الموعد كان لا يمت إلا بعد أربعين يوما لست جرت به وبأمثاله سنة الله تعالى في تدرج الأمور كما قال عليه السلام «إن الله خريطة آدم بيده أربعين صباحا» (١) لأن استحقاق تلك الطينة التخمر كان موقفا على مدقماتها ما ذكر فلاذن ماوراء

(١) حديث خمر طينة آدم بيده أربعين صباحا أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث

بخر السعادة ومنه ما هو بذر الشقاوة . وسبب اشتباه الخواطر أحد أربعة أشياء لا خامس لها إما ضعف اليقين أو قوة العلم بعمرة صفات النفس وأخلاقها أو متابعة الهوى بخرم قواعد الفتوى أو عجة الدنيا جاعها والمهاوطلب الرضة والتزلة عند الناس فمن عصم عن هذه الأربعة بفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومن ابتلى بها لا يلفها ولا يطلبها وانكشف بعض الخواطر دون البعض لوجود بعض هذه الأربعة دون البعض وأقوم الناس

السنة لا يدخر ٤ إلا بعلمك ضيف القلب والركون إلى ظاهر الأسباب فهو خارج عن مقام التوكل غير وائق باحاطة التدبير من الوكيل الحق بما في الأسباب فإن أسباب الدخل في الارتفاعات والزكوات تتكرر بتكرر السنين غالباً ومن آخر لأقل من سنة فله درجة بحسب نصر أمه ومن كان أمه شهيداً لم تكن درجته كدرجة من أمل شهراً ولا درجة من أمل ثلاثة أشهر بل هو ينزح في الرتبة ولا يمنع من الادخار إلا قصر الأمل فالأفضل أن لا يدخر أصلاً ، وإن ضيف قلبه فكما حال ادخاره كان فضله أكثر ، وقد روى في الفقير الذي أمر صلى الله عليه وسلم علياً كرم الله وجهه وأسامه أن يسأله فضله ، وكفنه يردته فلما دفعه قال لأصحابه « إنه يبعث يوم القيامة وجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كانت فيه لبست وجهه كالشمس الضاحية » قلنا وماهي يا رسول الله ؟ قال كان صوماً قوماً كثير الله كرهه تعالى غير أنه كان إذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه وإذا جاء الصيف ادخر حلة الشتاء لشتائه ، ثم قال صلى الله عليه وسلم بل أقل ما تؤتيهم اليقين وعزيمة الصبر <sup>(١)</sup> الحديث ، وليس الكوز والشفرة وما يحتاج إليه على الدوام في معنى ذلك فإن ادخاره لا ينقص العزيمة وأما توب فلا يحتاج إليه في الصيف ، وهذا في حق من لا ينزع قلبه بترك الادخار ولا تستشرف نفسه إلى أيدي الخلق بل لا يلتفت قلبه إلا إلى الوكيل الحق فإن كان يستشعر في نفسه اضطراباً يشغل قلبه عن السادة والذكر والفكر فالادخار له أولى بل لو أمسك ضبعة يكون دخله وأيقا بقدر كفايته وكان لا ينزع قلبه إلا به فذلك له أولى لأن المقصود إصلاح القلب ليتجرد للذكر الله ورب شخص يشغله وجوده للال ورب شخص يشغله عدمه والمخدور ما يشغل عن الله عز وجل وإلا فالدين في عتبه غير مذكورة لا وجودها ولا عدمها ، ولذلك بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أصناف الخلق وفيهم التجار والمهترقون وأهل الحرف والصناعات فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المهترف بترك حرفه ولا المزارع لهما بالاشتغال بهما بل دعا الكل إلى الله تعالى وأرشدهم إلى أن فوزهم ونجاتهم في انصرف قلوبهم عن الدنيا إلى الله تعالى وعمدة الاشتغال بالله عز وجل القلب فصواب الضعة فادخاره قدر حاجته كأن صواب القوى ترك الادخار ، وهذا كله حكم التفرد ، فأما العمل فلا يخرج عن حد التوكل فادخار قوت سنة لمياله جبرا لضيقهم وتسكيناً لقلوبهم وادخار أكثر من ذلك مبطل للتوكل لأن الأسباب تتكرر عند تكرار السنين فادخاره ما يزيد عليه سببه ضعف قلبه وذلك يناقض قوة التوكل فالقوت عبارة عن موحد قوى القلب مطمئن النفس إلى فضل الله تعالى واثق بتدبيره دون وجود الأسباب الظاهرة ، وقد ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم لمياله قوت سنة <sup>(٢)</sup> ونهى أم أيمن وغيرها أن تدخر له شيئاً بعد <sup>(٣)</sup> ونهى بلال عن الادخار في كسرة خبز ادخارها ليفطر عليها فقال <sup>(٤)</sup> « أنفق بلالاً ولا تخش من ذي العرش إقللاً » <sup>(٥)</sup>

بميز الخواطر وأقوهم بمعرفة النفس ومعرفة صفة المال لانكاد تيسر إلا بسد الاستقصاء في الزهد والفقير . واثق للشارع على أن من كان أكسبه من الحرام لا يفرق بين الالهام والوسوسة . وقال أبو علي الدقاق من كان قوته معلوما لا يفرق بين الالهام والوسوسة وهذا لا يصح على الإطلاق إلا بقيد وفك أن من المعلوم ما يقسمه الحق سبحانه وتعالى ليريد أن يرق إليه في الأخذ منه والثبوت به ومثل هذا المعلوم لا يحجب عن تمييز الخواطر إنما ذلك

وقال صلى الله عليه وسلم « إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تمنعاً » (١) « اقتداء بسيد التوكلين صلى الله عليه وسلم وقد كان قصر أمه بحيث كان إذا بال يشيم مع قرب الماء ويقول ما يدري لعل لا يلقه » (٢) وقد كان صلى الله عليه وسلم لو ادخر لنفسه ذلك من توكله إذا كان لا يتق بما أذخره ولكنه عليه السلام ترك ذلك تحلياً للأقوياء من أمته فإن أقوياء أمته منصفاء بالإضافة إلى قوته وادخر عليه السلام ليهامسة لا لضعف قلب فيه وفي عباله ولكن ليسن ذلك للضعفاء من أمته بل أخبر « أن الله تعالى يحب أن تؤدى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه » (٣) فطيباً لقلوب الضعفاء حتى لا ينتهي بهم الضعف إلى اليأس والنعوط فيتركون اليسور من الخير عليهم بمعجزهم عن منتهى الدرجات لما أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الراحمة للعالمين كلمهم على اختلاف أصنافهم ودرجاتهم وإذا فهمت هذا علمت أن الادخار قد يضر بعض الناس وقد لا يضر ، ويدل عليه ما روى أبو أمامة الباهلي « أن بعض أصحاب الصفة توفي لما وجد له كفن فقال عليه السلام فقتلوا ثوبه فوجدوا فيه دينارين في داخل إزاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان » (٤) وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالاً ولا يقول ذلك في حقهم وهذا يحتل وجهين لأن حاله محتمل حالين: أحدهما أنه أراد كيتين من النار كما قال تعالى - تكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم - وذلك إذا كان حاله يظهر الزهد والفقر والتوكل مع الانفاس عنه فهو نوع تليس. والثاني أن لا يكون ذلك عن تليس فيكون المعنى به نقصان عن درجة كماله كإنقص من جمال الوجه أثر كيتين في الوجه وذلك لا يكون عن تليس فإن كل ما يغلفه الرجل فهو نقصان عن درجته في الآخرة إذ لا يؤتى أحد من الدنيا شيئاً إلا نقص بقدره من الآخرة . وأما بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن الدخر ليس من ضرورته بطلان التوكل فيشهد له ما روى عن بشر قال الحسين الغازلي من أصحابه كنت عنده ضيق من التبار فدخل عليه رجل كهل عمر خفيف العارضين فقام إليه بشر قال وما رأيتك قام لأحد غيره قال ودفع إلي كفافاً من درهم وقال اشترنا من أطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب وما قال لي فط مثل ذلك قال فبغت بالطعام فوضعت فأكل معه وما رأيتك أكل مع غيره قال فأكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير فأخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله معه وانصرف ففجعت من ذلك وكرهته له فقال لي بشر لعلك أنكرت فعله فقلت نعم أخذ بقية الطعام من غير إذن فقال ذاك أخونا فتح لأوصلي زارنا اليوم من الموصل فاعلمنا أن يلعبنا أن التوكل إذا صبح لم يضر مع الادخار [ الفئ الثالث في مباشرة الأسباب الدافعة للضرر المعرض للخوف ] اعلم أن الضرر قد يعرض للخوف في نفس أو مال أو لبس من شروط التوكل ترك الأسباب الدافعة رأساً أما في النفس فكالنوم في الأرض المسبعة أو في مجارى السيل من الوادي أو تحت الجدار المسائل والسقف المنكسر فكل ذلك منهي عنه وصاحبه قد عرض نفسه للهلاك بغير فائدة ، ثم تنقسم هذه الأسباب إلى مقطوع بها ومظنونة وإلى موهومة ترك الموهوم منها من شرط التوكل وهي التي نسبتها إلى دفع الضرر نسبة الكي والرقية

(١) حديث قال لبلال إذا سئلت فلا تمنع وإذا أعطيت فلا تمنعاً الطبراني والحاكم من حديث أبي سعيد هوذة . حديث أبي الله فقيرا [١] قد تقدم (٢) حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال وتيمم مع قرب الماء ويقول ما يدري لعل لا يلقه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٣) حديث إن الله يحب أن تؤتى رخصه الحديث أحمد والطبراني والبيهقي من حديث أم عمر وقد تقدم (٤) حديث أبي أمامة توفي بعض أصحاب الصفة فوجدوا دينارين في داخل إزاره فقال صلى الله عليه وسلم كيتان أحمد من رواية شهر بن حوشب عنه .

[١] قول العراقي حديث لقي الله فقيراً الخ لم يكن هذا الحديث موجوداً بالأصل فلمه بنسخته تأمل.

بقال في حق من دخل في معلوم باختيار منه وإشاراً لأنه ينحجب لموضع اختياره والذي أشرنا إليه منسليخ من إرادته فلا يعجبه السلوم وفرقوا بين هواجس النفس ووسوسة الشيطان وقالوا إن النفس تطالب وتلح فلا تزال كذلك حتى تمصل إلى مرادها والشيطان إذا دعا إلى زلة ولم يجب يوسوس بأخرى إذ لا غرض له في تخصيص بل مراده الاغواء كيفما أمكنه وتكلم الشيوخ في الحاطرين إذا كانوا من الحق أيهما يتبع قال الجنيدي الحاطر الأول

فإن السكى والريقة قد تقدم به على المذخور دفعا لما يتوقع وقد يستعمل بعد نزول المذخور للزلازل والقور - رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يصف للتوكلين إلا بترك السكى والريقة والطيرة ولم يصنفهم بأنهم إذا خرجوا إلى موضع بارد لم يلبسوا جبة والحية تلبس دفعا للبرد للتوقع وكذلك كل مافي معناها من الأسباب ، نعم الاستظهار يأكل الثوم مثلا عند الخروج إلى السفر في الشتاء تنجيا لقوة الحرارة من الباطن ربما يكون من قبيل التعقيم في الأسباب والتعويل عليها فيكاد يقرب من السكى بخلاف الحية وترك الأسباب الدائمة وإن كانت مقطوعة وجه إذا ناله الضر من إنسان فانه إذا أمكنه الصبر وأمكنه الدفع والتشفي فشرط التوكل الاحتمال والصبر قال الله تعالى - فاصبر وكبلا واصبر على ما يقولون - وقال تعالى - ولنصبرن - كلما آذبنمونا على الله فليترك التوكلون - وقال عز وجل - ودع أدام وتوكل على الله - وقال سبحانه وتعالى - فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل - وقال تعالى - نعم أجر العاملين الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون - وهذا في أذى الناس وأما الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب فترك دفعا ليس من التوكل في شيء إذ لا فائدة فيه ولا يراد السعى ولا بترك السعى لعنه بل لإجافته على الدين وترتيب الأسباب معها كترتيبها في السكب وجلب النافع فلا نطول بالأعادة وكذلك في الأسباب الدائمة عن المال فلا ينقص التوكل باغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يحمل البعير لأن هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إماما وإمامنا ولذلك قال صلى الله عليه وسلم للأعرابي لمسان أهل البعير وقال نوكلت على الله أعاقها وتوكل <sup>(١)</sup> وقال تعالى - خذوا حذركم - وقال في كيفية صلاة الخوف - وليأخذوا أسلحتهم - وقال سبحانه - وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل - وقال تعالى لموسى عليه السلام - فأمر بعباد ليلا - والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب واختفاء رسول الله ﷺ في الغار اختفاء عن أعين الأعداء دفعا للضرر <sup>(٢)</sup> وأخذ السلاح في الصلاة ليس دائما قطعا كقتل الحية والعقرب فانه دافع قطعا ولكن أخذ السلاح مسبب مظنون وقد بينا أن الظنون كالطواع وإعسا لا هوهم هو الذي ينقض التوكل تركه . فان قلت قد حكى عن جماعة أن منهم من وضع الأسديده على كتفه ولم يتحرك . فأقول وقد حكى عن جماعة أنهم ركبوا الأسد وسخروه فلا ينبغي أن يترك ذلك اللقائم فانه وإن كان محميا في نفسه فلا يصلح للاعتداء بطريق التعلم من الغير بل ذلك مقام رفيع في السكرامات وليس ذلك شرطا في التوكل وفيه أسرار لا يقف عليها من لم ينته إليها . فان قلت وهل من علامة أعلم بها أن قد وصلت إليها ؟ فأقول الواصل لا يحتاج إلى طلب العلامات ولكن من العلامات على ذلك اللقائم السابقة عليها أن يسخر لك الأسد الذي هو ملك السباع وكلب دارك أولى بأن يكون مسخرا لك من كلب البوادي وكلاب إهابك أولى بأن يسخر من كلب دارك فاذا لم يسخر لك الكلب الباطن فلا تطمع في استسخار الكلب الظاهر . فان قلت فاذا أخذ للتوكل سلاحه حذرا من الدود وأغلق باب حذرا من اللص وعقل بعيره حذرا من أن يطلق فأبى اعتبار يكون متوكلا . فأقول يكون متوكلا بالدم والحال فأما الدم فهو أن يعلم أن اللص إن اندفع لم يندفع بكنايته في إغلاق الباب بل لم يندفع إلا بدفع الله تعالى إياه فكيف من باب يغلق ولا ينفع وكمن بعير يعقل ودعوت أو يغلق وكمن من أخذ سلاحه بغل <sup>(١)</sup> حديث اعقلها وتوكل الترمذي من حديث أنس قال يحيى القطان منكرو رواه ابن خزيمة في التوكل والطبراني من حديث عمرو بن أمية الضمري بإسناد جيد فيها <sup>(٢)</sup> حديث اخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أعين الأعداء دفعا للضرر تقدم في قصة اختفائه في الغار عند إرادة الهجرة .

لأنه إذا بقي رجع صاحبه إلى التأمل وهذا شرط العلم . وقال ابن عطاء الثاني أقوى لأنه ازداد قوة بالأول . وقال أبو عبدالله بن خفيف هما سواء لأنهما من الحق فلا مزية لأحدهما على الآخر قالوا الواردات أهم من الخواطر لأن الخواطر تختص بنوع خطاب او مطالبة والواردات تكون تارة خواطر وتارة شكوك ووارد سرور ووارد حزن ووارد قبض ووارد بسط . وقيل بنور التوحيد يقبل الخاطر من الله تعالى وبنور المعرفة يقبل من الملك وبنور الإيمان

أويشك فلا تشكل على هذه الأسباب أصلا بل على مسبب الأسباب كاحضر بنا للثلث في الوكيل في الحسومة  
 فانه إن حضر وأحضر السجل فلا يشكل على نفسه وجعله بل على كفاية الوكيل وقوته. وأما الحال فهو  
 أن يكون راضيا بما يقضى الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول اللهم إن سلطت على مافي البيت من  
 يأخذه فهو في سبيلك وأتاراض بحكمك فاني لأدري أن ما أعطيتني هبة فلا تترجمها أو عارية وودعة  
 فاستردها ولأدري أنه رزقي أوسقت مشيتك في الأزل بأنه رزقي غيري وكنتما قضيت فأتاراض  
 به وما أغلقت الباب تحصنا من فضائك وتسخطا له بل جريا على مقتضى سننك في ترتيب الأسباب فلا  
 ثقة إلا بك يا مسيب الأسباب فاذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل  
 بسفل البعير وأخذ السلاح وإغلاق الباب ثم إذا عا فوجد متاعه في البيت فينبغي أن يكون ذلك عنده  
 نعمة جديدة من الله تعالى وإن لم يجد بل وجده مسروقا نظرا إلى قلبه فإن وجد متاعا أو فرحا بذلك  
 عالما أنه ما أخذ الله تعالى ذلك منه إلا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وطهر له صدقه  
 وإن تألم قلبه به ووجد قوة الصبر فقد بان له أنه ما كان صادقا في دعوى التوكل لأن التوكل مقام بعد  
 الزهد ولا يصح الزهد إلا لمن لا يتأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي بل يكون على العكس  
 منه فكيف يصح له التوكل . نعم قد يصح له مقام الصبر إن أخفاه ولم يظهر شكوه ولم يكثر سعيه في  
 الطلب والتجسس وإن لم يقدر على ذلك حتى تأذى بقلبه وأظهر الشكوى بلسانه واستقصى الطلب  
 يدينه فقد كانت السرقة مزيدا له في ذنبه من حيث إنه ظهر له قصوره عن جميع القامات وكذب في  
 جميع الدعاوى فبمده هذا ينبغي أن يجتهد حتى لا يصدق نفسه في دعاؤها ولا يتدلى بمجمل غرورها فانها  
 خداعة أمارة بالسوء مدعية للخير . فان قلت فكيف يكون للمتوكل ماله حتى يؤخذ . فأقول للتوكل  
 لا يغلو بيته من متاع كتصعة يأكل فيها وكوز يشرب منه وإنما يتوضأ منه وجراب يحفظ به زاده وعصا  
 يدفع بها عدوه وغير ذلك من ضرورات العيشة من أثاث البيت وقد يدخل في يده ماله وهو يسكه ليجد  
 محتاجا فيصرفه إليه فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلا لتوكله وليس من شرط التوكل إخراج  
 السكود الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده وإنما ذلك في المأكل وفي كل ما لا يزال على قدر  
 الضرورة لأن سنة الله جارية بوصول الخبر إلى الفقراء التوكلين في زوايا الساجد وما جرت السنة بتفرقة  
 الكيزان والأمتعة في كل يوم ولا في كل أسبوع والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطا في التوكل  
 ولذلك كان الخواص يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقرض والإبرة دون الزاد لكن سنة الله تعالى  
 جارية بالفرق بين الأمراء . فان قلت فكيف يتصور أن لا يحزن إذا أخذ متاعه الذي هو محتاج إليه  
 ولا يتأسف عليه فان كان لا يشتهي فلم أمسكه وأغلق الباب عليه وإن كان أمسكه لأنه يشتهي حاجته  
 إليه فكيف لا يتأذى قلبه ولا يحزن وقد حبل بينه وبين ما يشتهي . فأقول إنما كان يحفظه ليستعين  
 به على دينه إذ كان يظن أن الحيرة له في أن يكون له ذلك المتاع ولولا أن الحيرة له في عدم رزقه الله تعالى  
 ولما أعطاه إياه فاستدل على ذلك بتيسير الله عز وجل وحسن الظن بالله تعالى مع ظنه أن ذلك معين  
 له على أسباب دينه ولم يكن ذلك عنده مفلوطا به إذ يحتمل أن تكون خيرته هي أن يبتلى بفقد ذلك  
 حتى ينصب في تحصيل غرضه ويكون ثوابه في التسبب والتنبأ أكثر فلما أخذ الله تعالى منه بتسليط  
 الامس تميز ظنه لأنه في جميع الأحوال والحق بالله حسن الظن به فيقول لولا أن الله عز وجل علم أن الحيرة  
 كانت لي في وجودها إلى الآن والحيرة في الآن في عدمها لما أخذها مني فيتمثل هذا الظن بتصور أن يدفع عنه  
 الحزن إذ به يخرج عن أن يكون فرحه بأسباب من حيث إنها أسباب بل من حيث إنه يسرها مسبب الأسباب  
 عناية وتلطفا وهو كالمرضى بين يدي الطبيب الشفيق يرضى بما يفعله فان قدم إليه الدواء فرح وقال لولا أنه

ينهى النفس وينور  
 الاسلام يرد على العدو  
 ومن قصر عن درك  
 حقائق الزهد وتطلع  
 إلى تحيير الخواطر  
 الخاطر أولا بجزان  
 الشرع لما كان من  
 ذلك فلا وفرضا عليه  
 وما كان من ذلك محرم  
 أو مكروها ينبغي فان  
 استوى الخاطر ان في  
 نظر العلم ينفذ أقربها  
 إلى مخالفة هوى  
 النفس فان النفس قد  
 يكون لها هوى كامن  
 في أحدها والغالب من  
 شأن النفس الا عواج  
 والركون إلى الدون  
 وقد يل الخاطر بنشاط  
 النفس والعبد يظن أنه  
 يهوى القلب وقد  
 يكون من القلب نفاق

يرف أن الغداء ينفعني وقد قويت على إحباله لما قربه إليّ وإن أخر عنه الغداء بعد ذلك أيضا فرح وقال لولا أن الغداء بضرتني ويسوقني إلى اللوث لما حال بيني وبينه وكل من لا يتقيد في لطف الله تعالى ما عتده للريض في الوالد الشفق الحافق لم الطب فلا يصح منه التوكل أصلا . ومن عرف الله تعالى وعرف أماله وعرف سنته في إصلاح عبادته لم يكن فرحه بالأسباب فانه لا يدري أي الأسباب خير له كما قال عمر رضي الله عنه : لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لأدري أيهما خير لي فكذلك ينبغي أن لا يبالي للتوكل يسرق متاعه أولا يسرق فانه لا يدري أيهما خير له في الدنيا أوفي الآخرة فكأن من متاع في الدنيا يكون سبب هلاك الانسان وكأن من غنى يتلذذ بواقعة لأجل غناه يقول يا ليتني كنت فقيرا .

### ( بيان آداب التوكلين إذا سرى متاعهم )

للتوكل آداب في متاع بيته إذا خرج عنه . الأول : أن يطاق الباب ولا يستعصى في أسباب الحفظ كالتحسنة من الجيران الحفظ مع الغلق وبكلمة أغلاظة كثيرة فقد كان مالك بن دينار لا يثق بابه ولكن يشده جريط ويقول لولا الكلاب ما عتده أيضا . الثاني : أن لا يترك في البيت متاعا معرض عليه السراق فيكون هو سبب مصيبتهم أو إمساكه يكون سبب هيجان رغبتهم ولذلك لما أهدى الفرية إلى مالك بن دينار ركوة قال خذها لأحاجة لي إليها قال لم قال يوسوس إلى المصون أن الأس أخذها فكأنه احتزن من أن يسمى السارق ومن شغل قلبه بوسوس الشيطان بسرقتها ولذلك قال أبو سليمان هذا من ضعف قلوب الصوفية هذا قد زهد في الدنيا لما عليه من أخفها . الثالث : أن ما يضطر إلى تركه في البيت ينبغي أن ينوي عند خروجه الرضا بما يقضى الله فيه من تسليط سارق عليه ويقول ما بأخذ السارق فهو من في حل أو هو في سبيل الله تعالى وإن كان قبر المني عليه صدقة وإن لم يشترط الفقر فهو أولى فيكون له نيتان لو أخذه غنى أو فقير : إحداها أن يكون ماله مانعا له من العصية فانه ربما يستغنى به فيتوانى عن السرقة بعده وقد زال عصيانه بكل الحرام لما أن جعله في حل . والثانية أن لا يظلم مسلما آخر فيكون ماله فداء لمال مسلم آخر ، ومهما بنو حراسة مال غيره بمال نفسه أو ينو دفع العصية عن السارق أو تخفيفها عليه فقد نصح للمسلمين وامتنل قوله صلى الله عليه وسلم « انصر أخاك ظالما أو مظلوما »<sup>(١)</sup> ونصر الظالم أن تمنحه من الظلم وغفوه عنه إعدام للظلم ومنع له ولينحقق أن هذه النية لا تقصر بوجه من الوجوه إذ ليس فيها ما يسلط السارق ويغير القضاء الأزلي ولكن يتحقق بالزهد فيه فان أخذ ماله كان له كل درهم سبعة دراهم لأنه نواه وقصده وإن لم يؤخذ حصل له الأجر أيضا كما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيمن ترك العزل فأقر النطفة قرأها أن له أجر غلام وله من ذلك الجماع وعاش قتل في سبيل الله تعالى وإن لم يولد له<sup>(٢)</sup> لأنه ليس أمر الولد إلا الواقع فأما الحق والباطل والرزق والبقاء فليس إليه فلو خاف أن كان ثوابه على فعله وقوله لم يعدم فكذلك أمر السرقة . الرابع : أنه إذا وجد المال مسروقا فينبغي أن لا يعجز بل يفرح إن أمكنه ويقول لولا أن الحيرة كانت فيه لما سلمه الله تعالى ثم إن لم يكن قد جعله في سبيل الله عز وجل فلا يلزم في طلبه وفي إسائة الظن بالمسلمين ، وإن كان قد جعله في سبيل الله فترك طلبه فانه قد قدمه ذخيرة لنفسه إلى الآخرة فان

يسكونه إلى النفس يقول بعضهم منذ عشرين سنة ما سكن قلبي إلى قسي ساعة فيظهر من سكون القلب إلى النفس خواطر تشبه خواطر الحق على من يكون ضعيف العلم فلا يدرك تفارق القلب والخواطر للتوكل منه إلا العلماء الراسخون . وأكثر ما يدخل الآفات على أرباب الصلوات والخذلين من اليقين واليقظة والحال بهم من هذا القبيل وذلك لقلة العلم بالنفس والقلب وبقاء نصب الهوى فيهم . وينبغي أن يعلم العبد قطعا أنه مهما بقى عليه أثر

(١) حديث انصر أخاك ظالما أو مظلوما متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم (٢) حديث من ترك العزل وأقر النطفة قرأها كان له أجر غلام الحديث لم أجده أصلا .

أعيد عليه فالأولى أن لا يثبته بعد أن كان قد جعله في سبيل الله عز وجل وإن قبله فهو في ملكه في ظاهر العلم لأن الملك لا يزول بمجرد تلك التبة ولكنه غير محبوب عند التوكلين . وقد روى أن ابن عمر سرق ثاقته فطلبها حتى أعيانهم قال في سبيل الله تعالى فدخل السجد فصل في ركعتين فبجاءه رجل ، فقال : يا أبا عبد الرحمن إن ثاقتك في مكان كذا فليس نعه وقام ثم قال استغفر الله وجلس قبله له ألا تذهب فتأخذها فقال إني كنت قلت في سبيل الله . وقال بعض الشيوع رأيت بعض إخواني في النوم بعد موته قتلت ما فعل الله بك قال غفر لي وأدخلني الجنة وعرض علي منازل في فيها فرأيته قال وهو مع ذلك كئيب حزى قلت قد غفر لك ودخلت الجنة وأنت حزى فتتفس الصعداء ثم قال نعم إني لا أزال حزنا إلى يوم القيامة قلت ولم ؟ قال إني لما رأيت منازل في الجنة رفت لي مقامات في عليين مارأيت مثلهما رأيت فقرحت بها فلما همت بدخولها نادى مناد من فوقها اصرفوه عنها فليست هذه له إنما هي لمن أمضى السبيل ، قتلت وما أمضاء السبيل أقتل ككنت تقول للشيء : إنه في سبيل الله ثم ترجع فيه فلو كنت أمضيت السبيل لأمضيتها لك . وحكى عن بعض العباد بمكة أنه كان نائما إلى جنب رجل معه هيئته فاقبته الرجل فقعد هيئته فانهجه به فقال له كم كان في هيئته فذكر له حمله إلى البيت ووزنه من عنده ثم بعد ذلك أغله أصحابه أنهم كانوا أخذوا الهيئتين مزحما معه فجاء هو وأصحابه معه وردوا القصب فأبى وقال خذوه حللا طيبا فساكنت لأعود في مال أخرجه في سبيل الله عز وجل فلم يقبل فألحوا عليه فدعا إياه له وجعل يصره صررا ويحث بها إلى الففراء حتى لم يبق منه شيء . فهكذا كانت أخلاق السلف وكذلك من أخذ رغبنا ليعطيه فقيرا فتاب عنه كان يكره رده إلى البيت بعد إخراجهم فيعطيه فقيرا آخر وكذلك يفعل في البرام والدنانير وسائر الصدقات . الخامس : وهو أقل الدرجات أن لا يدعوا على السارق الذي ظلمه بالأخذ ، فإن فعل بطل توكله ودل ذلك على كراهته وتؤاذه على ما فات وبطل زهده ولو بالغ فيه بطل أجره أيضا فبما أصيب به في الخبر « من دعا على ظالمه فقد اتصر » (١) . وحكى أن الربيع بن خيثم سرق فرس له وكان قيمته عشرين ألفا وكان قائما يصل فلم يقطع صلاته ولم يزعج أطلقه فبجاءه قوم بمزونه ، فقال أما إني قد كنت رأيته وهو يحمله قيل وما منعك أن تزجره . قال كنت فيها هو أحب إلي من ذلك يعني الصلاة فجعلوا يدعون عليه فقال لا تمتنعوا فقولوا خيرا فأبى قد جمعا صدقة عليه . وقيل لبعضهم في شيء قد كان سرق له ألا تدعو على ظالمك قال ما أحب أن أكون عوناً للظالم عليه قيل أرأيت لو رد عليك قال لا أخذه ولا أنظر إليه لأنني كنت قد أحلته له . وقيل لآخر : ادع الله على ظالمك ، فقال ما ظلمني أحد ثم قال إنما ظلم نفسه ألا يكتفي السكين ظلم نفسه حتى أزيدته شرًا . وأكثر بعضهم شتم الحاجب عند بعض السلف في ظلمه ، فقال لا تنرق في شتمه فإن الله تعالى ينتصف للحجاج ممن اتهمك عرضه كما ينتصف منه لمن أخذ ماله ودمه . وفي الخبر « إن العبد ليظلم الظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويبسه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبق للظالم عليه مطالبة بما زاد عليه يقتصر له من الظلوم » (٢) . السادس أن يتم لأجل السارق وعصيانه تعرضه لعذاب الله تعالى ويشكر الله تعالى إذ جعله مظلوما ولم يجعله ظالما وجعل ذلك نصا في دينه لاهصا في دينه فقد شكك بعض الناس إلى عالم أنه قطع عليه الطريق وأخذ ماله

من الهوى وإن دق  
وقل يبق عليه بحسبه  
قبسة من اشتباه  
الحواطر ثم قد يخلط  
في تميز الحواطر من  
هو قليل العلم ولا  
يؤاخذ بذلك ما لم يكن  
عليه من الشرع  
مطالبة وقد لا يسامح  
بذلك بعض الدالطين لما  
كوشفوا به من دقيق  
الحفاء في التمييز ثم  
استعجالهم مع علمهم  
وقلة التثبت . وذكر  
بعض العلماء أن لمة  
الملك ولمة الشيطان  
وجدنا لحركة النفس  
والروح وأن النفس  
إذا تحركت اندسح من  
جوهرها ظلمة تنكث  
في القلب همة سوء  
فيظفر الشيطان إلى

(١) حديث من دعا على من ظلمه فقد اتصر تقدم (٢) حديث إن العبد ليظلم الظلمة فلا يزال يشتم ظالمه ويبسه حتى يكون بمقدار ما ظلمه ثم يبق للظالم عليه مطالبة الحديث تقدم .

قال إن لم يكن لك غم أنه قد صار في السلمين من يستحل هذا أكثر من تحك بمالك لما نصحت للمسلمين. وسرق من علي بن الفضل دنانير وهو يطوف بالبيت فرآه أبوه وهو يسكن ويحزن قال أبل الدنانير بكى ؟ قال لا والله ولكن على السكين أن يشل يوم القيامة ولا تكون له حبة وقيل لبعضهم ادع على من ظلمك فقال إني مشغول بالحزن عليه عن الدعاء عليه فهذه أخلاق السلف رضي الله عنهم أجمعين .

[القن الرابع في السعي في إزالة الضرر كدواوة للرض وأمثاله] اعلم أن الأسباب الزيلة للمرض أيضا تنقسم إلى مقطوع به كالسقاء للزيل لضرر العطش والحيز للزيل لضرر الجوع وإلى مظنون كالنصد والحمى وتوشرب الهواء للسيل وسائر أبواب الطب أعنى معالجة البرودة بالحرارة والحرارة بالبرودة وهي الأسباب الظاهرة في الطب وإلى موهوم كالسكى والرقية . أما اللقطوع فليس من التوكل تركه بل تركه حرام عند خوف الموت. وأما الوهوم فشرط التوكل تركه إذ به وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم للتوكلين وأقواها السكى ويلي الرقية والطيرة آخر درجاتها والاعتقاد عليها والاتكال إليها غاية التعمق في ملاحظة الأسباب وأما الدرجة للتوسطة وهي المظنونة كالدواوة بالأسباب الظاهرة عند الأطباء فقله ليس مناقضا للتوكل بخلاف الوهوم وتركه ليس محظورا بخلاف اللقطوع بل قد يكون أفضل من فعله في بعض الأحوال وفي بعض الأشخاص فهى على درجة بين الدرجتين ويدل على أن التداوى غير مناقض للتوكل فعل رسول الله ﷺ وقوله وأمره به أما قوله فقد قال صلى الله عليه وسلم « مامن داء إلا وله دواء عرفة من عرفه وجهه من جهه إلا السام <sup>(١)</sup> » يعنى الموت وقال عليه السلام « تداءوا عباد الله فإن الله خلق الداء والدواء <sup>(٢)</sup> » . « وسئل عن الدواء والرقى هل ترد من قدر الله شيئا قال: هي من قدر الله <sup>(٣)</sup> » وفي الخبر المشهور « ما مرت بلا من الملائكة إلا قالوا مر أمثك بالحجامة <sup>(٤)</sup> » وفي الحديث أنه أمر بها وقال « احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين لا يبيغ بك الدم فيقتل <sup>(٥)</sup> » . فذكر أن يبيغ الدم سبب الموت وأنه قاتل بإذن الله تعالى وبين أن إخراج الدم خلاص منه إذ لا فرق بين إخراج الدم المهلك من الإهاب وبين إخراج القرب من تحت الثياب وإخراج الحية من البيت وليس من شرط التوكل ترك ذلك بل

القلب فيقبل بالاغواء والوسوسة وذكر أن حركة النفس تكون إما هوى وهو عاجل حظ النفس أو أمنية وهى عن الجهل التمرى أو دعوى حركة أو سكون وهى آفة العقل ومحنة القلب ولا ترد هذه الثلاثة إلا بأحد ثلاثة بجهل أو غفلة أو طلب فضول ثم يكون من هذه الثلاثة ما يجب فيه فاتها رد بخلاف ما أور أو على وفق منهى ومنها ما يكون فيها فضيلة إذا وردت بمباحات . وذكر أن الروح إذا تحركت اندفع من جوهرها نور ساطع يظهر من

(١) حديث مامن داء إلا له دواء عرفة من عرفه وجهه من جهه إلا السام أحمد والطبراني من حديث ابن مسعود دون قوله إلا السام وهو عند ابن ماجه مختصرا دون قوله عرفة إلى آخره وإسناده حسن والترمذى وصحه من حديث أسامة بن شريك إلا الحرم والطبراني في الأوسط والبخاري من حديث أنس بن مالك والترمذى في الكبير من حديث ابن عباس وسندهما ضعيف والبخاري من حديث أبي هريرة ما أزل الله داء إلا أزل له شفاء ولمسلم من حديث جابر لكل داء دواء (٢) حديث تداءوا عباد الله الترمذى وصحه وابن ماجه واللفظ له من حديث أسامة بن شريك (٣) حديث مثل من الدوا والرقى هل ترد من قدر الله فقال هو من قدر الله الترمذى وابن ماجه من حديث أبي خزيمة وقيل عن أبي خزيمة عن أبيه قال الترمذى وهذا أصح (٤) حديث ما مرت بلا من الملائكة إلا قالوا مر أمثك بالحجامة الترمذى من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب ورواه ابن ماجه من حديث أنس بن مالك بسند ضعيف (٥) حديث احتجموا لسبع عشرة وتسع عشرة وإحدى وعشرين الحديث البخاري من حديث ابن عباس بسند حسن موقوفا ورضه الترمذى بلفظ إن خيرا ما تحتجمون فيه سبع عشرة الحديث دون ذكر التبع وقال حسن غريب وقال البخاري إن طريقه التقدمة أحسن من هذا الطريق ولابن ماجه من حديث أنس بن مالك بسند ضعيف من أراد الحجامة فليتها سبعة عشر الحديث.

هو كسب الماء على النار لإطفائها ودفع ضررها عند وقوعها في البيت وليس من التوكل الخروح عن سنة الوكيل أصلاً وفي خبر مقطوع «من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دوام من داء سنة (١)» وأما أمره صلى الله عليه وسلم فقد أمر غير واحد من الصحابة بالتداوى والحجبة (٢) وقطع لسعد بن معاذ عرقاً (٣) أي قصده وكوى سعد بن زرارة (٤) وقال لعلى رضي الله تعالى عنه وكان رمد العين «لأنأكل من هذا يعني الرطب وكل من هذا فانه أوفق لك (٥)» يعني سلقاً قد طبخ بدقيق شير . وقال لصبيب وقد رأى يأكل الخمر وهو وجع العين «تأكل خمرًا وأنت أرمد فقال إني أكل من الجانب الآخر فتبسم صلى الله عليه وسلم (٦)» . وأما فعله عليه الصلاة والسلام فقد روى في حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر وشرب الدواء كل سنة (٧) قيل السنا السكي . وتداوى <sup>بالتداوى</sup> غير مرة من القرب وغيرها (٨) وروى أنه كان إذا نزل عليه الوحي صدم رأسه فكان يلقفه بالخلاء (٩) وفي خبر أنه كان إذا خرجت به قرحة جبل عليها حناء وقد جبل على قرحة خرجت به تراباً (١٠) وماروى في تداويه وأمره بذلك كثير خارج عن المحصر وقد صنف في ذلك كتاب وصي طبيب النبي صلى الله عليه وسلم وذكر بعض العلماء في الاسرائيليات أن موسى عليه السلام اعتل بقلة فدخل عليه بنو إسرائيل فصرفوا علته

(١) حديث من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة من الشهر كان له دوام من داء سنة الطبراني من حديث معقل بن يسار وابن حبان في الضعفاء من حديث أنس وإسنادهما واحد اختلف على روايه في الصحابي وكلاًهما فيه زيد العمى وهو ضعيف (٢) حديث أمره بالتداوى لغير واحد من الصحابة الترمذي وابن ماجه من حديث أسامة بن شريك أنه قال للأعرابي حين سأله تداووا الحديث وسأني في قصة علي وصبيب في الحجية بعده (٣) حديث قطع عرقاً لسعد بن معاذ مسلم من حديث جابر قال رمى سعد في أكلكه فحسمه النبي صلى الله عليه وسلم بيده بمشقم الحديث (٤) حديث أنه كوى أسعد بن زرارة الطبراني من حديث سهل بن حنيف بسند ضعيف ومن حديث أبي أسامة بن سهل بن حنيف دون ذكر سهل (٥) حديث قال لعلى وكان رمداً لأنأكل من هذا الحديث أبو داود والترمذي وقال حسن غريب وابن ماجه من حديث أم التمر (٦) حديث قال لصبيب وقدر أنه يأكل الخمر وهو وجع العين تأكل خمرًا وأنت رمد الحديث تقدم في آفات اللسان (٧) حديث من طريق أهل البيت أنه كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة ابن عدى من حديث عائشة وقال إنه منكر وفيه سيف بن محمد كذبه أحمد بن حنبل ويعني بن معين (٨) حديث أنه تداوى غير مرة من القرب وغيرها الطبراني بإسناده حسن من حديث جبلة بن الأزرق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبسته غفرب فضى عليه فرقاه الناس الحديث وله في الأوسط من رواية سعيد بن مسيرة وهو ضعيف عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى شمع كفا من غونيز ويشرب عليه ماء وعسل ولأبي جلي والطبراني في الكبير من حديث عبيد الله بن جعفر أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم بماء من فيه جابر الجعفي صفه الجمهور (٩) حديث كان إذا نزل عليه الوحي صدم رأسه فيلقفه بالخلاء الزبيري وابن عدى في الكامل من حديث أبي هريرة وقد اختلف في إسناده على الأحرص بن حكيم كان إذا خرجت به قرحة يجبل عليها حناء الترمذي وابن ماجه من حديث سلمى قال الترمذي غريب (١٠) حديث جبل على قرحة خرجت بيده تراباً البخاري ومسلم من حديث عائشة كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه أو كانت قرحة أو جرح قال النبي صلى الله عليه وسلم بيده هكذا ووضع سفيان بن عيينة الراوى سبابته بالأرض ثم وضعها وقال بسم الله مرة أرضنا ورقبة بعضنا في سفيان.

ذلك النور في القلب حجة عالية بأحد معان ثلاثة إما بفرض أمر به أو بفعل نذب إليه وإما بمباح يسود صلاحه إليه وهذا الكلام يدل على أن حركتي الروح والنفس هما للوجبتان للعتين . وعندى والله أعلم أن اللاتين يتقدمان على حركة الروح والنفس فحركة الروح من لمة الملك والهمة العالية من حركة الروح وهذه الحركة من الروح يركب لمة الملك وحركة النفس من لمة الشيطان ومن حركة النفس الهمة الدنيوية من شؤم لمة الشيطان فإذا وردت اللتان ظهرت الحركة

فقالوا له لو تدأويت بكذا لبرئت فقال لا تدأوى حتى يفاينى هو من غير دواء. فطالت علته فقالوا إليه  
 دواء هذه العلة معروف جرب وإنا تدأوى به فقبأ فقال لا تدأوى وأقامت علته فأوحى الله تعالى إليه  
 وعزى وجلالى لأبرأتك حتى تدأوى بما ذكره لك فقال لهم داوونى بما ذكرتم فداووه فقبأ  
 فأوحى فى نفسه من ذلك فأوحى الله تعالى إليه أردت أن تبطل حكمتى بتوكلك على من أودع العقاقير  
 منافع الأشياء غيرة. وروى فى خبر آخر أن نبيا من الأنبياء عليهم السلام شككاه بمجداه فأوحى الله  
 تعالى إليه كل البيض. وشكا نبي آخر الضعف فأوحى الله تعالى إليه كل اللحم بالعين فان فيها الله وقبل  
 هو الضعف عن الجماع. وقد روى أن قوما شكوا إلى نبيهم قبح أولادهم فأوحى الله تعالى إليه مرهم  
 أن يطعموا نساهم الحلباتى السفرجل فانه يحسن الولد. وبطل ذلك فى الشهر الثالث والرابع إذ فيه  
 يصور الله تعالى الولد وقد كانوا يطعمون الحلبى السفرجل والنساء الرطب فهذا تبين أن مسبب  
 الأسباب أجرى سنته بربط للسياات بالأسباب إظهارا للحكمة والأدوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى  
 كسائر الأسباب فكأن الحبز دواء الجوع والماء دواء العطش فالكسجين دواء الصفراء والسقمونيا  
 دواء الاسهال لا غارقه إلا فى أحد أمرين: أحدهما أن معالجة الجوع والعطش بالماء والخبز على واضح  
 يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء بالكسجين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق  
 فى حقه بالأول: والثانى أن الدواء يسهل والكسجين يسكن الصفراء بشرط آخر فى الباطن وأسباب  
 فى الزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها وربما يغوت بعض الشروط فتتقاعد الدواء عن  
 الاسهال. وأما زوال العطش فلا يستدعى سوى الماء شروطا كثيرة وقد يتفق من الموارض ما يوجب  
 دواء العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر واختلال الأسباب أبدا ينحصر فى هذين الشيئين  
 والإفلاسب يتلو السبب لاحالة مهما تحت شروط السبب وكل ذلك بتدبير مسبب الأسباب وتسخيره  
 وترتيبه بحكم حكته وكما قدرته فلا يضر التوكل استعماله مع النظر إلى مسبب الأسباب دون الطبيب  
 والدواء فقد روى عن موسى عليه السلام أنه قال يارب من الداء الدواء؟ فقال تعالى منى قال فما يصنع الأطباء؟  
 قال يا كليون أرزاقهم ويطيئون نفوس عبادى حتى يأتى شفاى أو قضائى فإذا نفعى التوكل مع التدأوى  
 التوكل بالعلم والحال كما سبق فى فنون الأعمال الدافعة لاضرر الجالبة للنفع فأمّا ترك التدأوى رأسا فليس  
 شرطا فيه. فان قلت فالسكى أيضا من الأسباب الظاهرة النفع. فأقول ليس كذلك إذ الأسباب  
 الظاهرة مثل القصد والحجامة وشرب السهل وسقى البردات للحرور وأما السكى فلو كان مثله فى الظهور  
 لما خلت البلاد الكثيرة عنه وقلا يتاد السكى فى أكثر البلاد إجماعا كعادة بعض الأتراك والأعراب  
 فهذا من الأسباب الوهومة كالرقى لإلانه يتميز عنها بأمر وهو أنه إحراق النار فى الحال مع الاستثناء  
 عنه فانه مأمور وجع يبالغ بالسكى لإلوه دواء يشفى عنه ليس فيه إحراق فالإحراق بالنار جرح عذب  
 للبيئة محذور السراية مع الاستثناء عنه بخلاف القصد والحجامة فان سرائهما بعيدة ولا يستدسدهما  
 غيرها ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السكى دون الرقى (١) وكل واحد منهما بعيد  
 عن التوكل وروى أن عمران بن الحصين اعتل فأشاروا عليه بالسكى فامتنع فلم يز الواب وعزم عليه  
 الأمر حتى اكنوتى فكان يقول كنت أرى نورا وأسمع صوتا وتسلم على اللائكة فلما كنوتى انقطع  
 ذلك عنى وكان يقول اكنوتى كيات فوالله ما فاجحت ولا أعجبت ثم تاب من ذلك وأتاب إلى الله تعالى

(١) حديث نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السكى دون الرقى البخارى من حديث ابن عباس  
 ونهى أمى عن السكى، وفى الصحيحين من حديث عائشة رخص رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فى الرقة من كل ذى حمة.

وظهـر سرّ العطاء  
 والابتلاء من معط  
 كريم وبيل حكمه وقد  
 تكون هاتان الممان  
 متداركتين وينتمى أثر  
 إحداهما بالأخرى  
 ولنفطن للتبقيظ  
 يفتح عليه عطالة  
 وجود هذه الآثار فى  
 ذاته باب أنس وبق  
 أبداء تفقد احاله مطالعا  
 آثار الامتين. وذكر  
 خاطر خامس: وهو  
 خاطر العقل متوسط  
 بين الخواطر الأربعة  
 يكون مع النفس  
 والعدو لوجود التميز  
 وإثبات الحجة على  
 العبد ليدخل العبد فى  
 الشئ بوجود عقل إذ  
 لو فقد العقل سقط  
 العقاب والعتاب وقد

فرد الله تعالى عليه ما كان يحد من أمر الملائكة وقال لمطرف بن عبد الله ألم تر إلى الملائكة التي كان أكرمى الله بها قدردها الله تعالى على بدن كان أخبره بقصدها فاذن السكى وما جرى مجراه هو الذى لا يلقى بالتوكل لأنه يحتاج في استنباطه إلى تدبير ثم هو مضموم ويدل ذلك على شدة ملاحظة الأسباب وعلى التصق فيها والله أعلم .

( بيان أن ترك التدأوى قد يحمده في بعض الأحوال ويدل على قوة التوكل )

وأن ذلك لا يناقض فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم )

أعلم أن الذين تدأوا من السلف لا ينصرون ولكن قد ترك التدأوى أيضا جماعة من الأئمة فرمى بظن أن ذلك ضمان لأنه لو كان كالتوكل لترك رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ لا يكون حال غيره في التوكل أكل من حاله ، وقد روى عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قيل له لو دعوتك طيبا قال الطيب قد نظر إلى وقال إني فعلا ما أريد . وقيل لأن البرداء في مرضه راتشكى قال ذنوبى قيل فأتشهى قال مغفرة روى قالوا ألا تدعوك طيبا قال الطيب أمرضى . وقيل لأبي ذر وقد رمدت عيناه لودأوتها قال إني عنهما مشغول قبل لو سألت الله أن يهلك قال أسأله فإعوانهم على منها . وكان الريح ابن خنيم أسأله فإله قبله لو تدأوت فقال قد همت ثم ذكرت عادا وعمودا وأصحاب البرس وقروتناين ذلك كثير أو كان فيهم الأطباء فهلك الدأوى والدأوى ولم تكن الرقى شيئا . وكان أحمد بن حنبل يقول أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التدأوى من شرب الدواء وغيره وكان به علل فلا يخبر للطبيب بها أيضا إذا سأله . وقيل لسهل متى يصح لعبد التوكل قال إذا دخل عليه الضر في جسمه والنفس في ماله فلم يفتن إليه شغلا به . ونظر إلى قيام الله تعالى عليه فإذا منهم من ترك التدأوى وراهم ومنهم من كرهه ولا يفتخ وجه الجمع بين فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصلهم إلا بعصر الصوارف عن التدأوى . فنقول إن ترك التدأوى أسبابا . السبب الأول : أن يكون المرض من الكشفين وقد كوشف بأنه انتهى أجله وأن الدواء لا ينفعه ويكون ذلك معلوما بجملة تارة برؤيا صادقة وتارة بحس وظن وتارة بكشف محقق وبشبه أن يكون ترك الصديق رضى الله عنه التدأوى من هذا السبب فإنه كان من الكشفين فإنه قال لما نشف رضى الله عنه في أمر البراء إنما من أختاك وإنما كان لها أخت واحدة ولكن كانت امرأته حايلا فولدت أنتى فلم أجد كان قد كوشف بأنها حامل بأننى فلا يبعد أن يكون قد كوشف أيضا بأنها حامل . ولا فلا يظن به إنكار التدأوى وقد شاهد رسول الله صلى الله عليه وسلم تدأوى وأمريه . السبب الثانى : أن يكون المرض متحولاً بحاله وخوف عاقبه وإطلاع الله تعالى عليه فينفيه ذلك ألم المرض فلا تغرغ قلبه التدأوى فعلا بحاله وعليه يدل كلام ابن ذر إذا قال إني عنهما مشغول . وكلام أبي البرداء إذا قال إنما أشكى ذنوبى فكان تأمل ما هو قوام من دنوبه أكثر من تأمل بدنه بالمرض ويكون هذا كالصواب بوث عزيز من أعزته أو كالخائف الذى يعمل إلى ملك من الملوك ليقول إذا قيل له لا تأكل وأنت جائع فيقول أنا مشغول عن ألم الجوع فلا يكون ذلك إنكارا لكون الأكل نافعا من الجوع ولا طمنا فبعض أكل وغرب من هذا اشتغال سهل حيث قيل لما القوت فقال هوذا كراخى القيوم قبل إنما سألتك عن القوام فقال القوام هو العلم قبله أنك عن الغذاء قال الغذاء هو الله كراخى قبل سألتك عن طعمة الجسد قال مالك ولجسد دع من تولاه أولا يتولاه آخر إذا دخل عليه علة فرده إلى صانه أما رأيت السنة إذا عيبت ردوها إلى صانها حتى يصلحها . السبب الثالث : أن تكون العلة مزمنة والدواء الذى يؤمر به بالإضافة إلى علة . وهووم النفع جار مجرى السكى والرقية في ترك التوكل وإليه يشير قول الريح بن خنيم إذا قال ذكرت عادا

يكون مع الملك والروح  
ليوقع الفعل مختارا  
ويستوجب به  
الثواب . وذكر  
خاطر سادس وهو خاطر  
اليقين وهو روح  
الايان ومزبد العلم  
ولا يبعد أن يقال الخاطر  
السادس وهو خاطر  
اليقين حاصله راجع  
إلى ما يرد من خاطر  
الحق وخاطر العقل  
أسله تارة من خاطر  
الملك وتارة من خاطر  
النفس وليس من  
العقل خاطر على  
الاستفلال لأن العقل  
كما ذكرنا غرزة نبيا  
بها إدراك العلوم ونبيا  
بها الانجذاب إلى  
دواعى النفس تارة  
وإلى دواعى الملك تارة

ونمود وفيهم الأطباء فهلك للدواى وللداوى أى أن الدواء غير موثوق به وهذا قد يكون كذلك في نفسه وقد يكون عند المرض كذلك لقلة ممارسته للطب وقلة تجربته له فلا يثبت على ظنه كونه نافعا ولا شك في أن الطبيب المحرب أشد اعتقادا في الأدوية من غيره فتكون الثقة والظن بحسب الاعتقاد والاعتقاد بحسب التجربة وأكثر من ترك التداوى من العباد والزهاد هذا مستقدم لأنه يبقى الدواء عنده شيئا موهوما لأصله وذلك صحيح في بعض الأدوية عند من عرف صناعة الطب غير صحيح في البعض ولكن غير الطبيب قد ينظر إلى الكل نظرا واحدا فيرى التداوى تنمنا في الأسباب كالسكى والرقى فيتركه توكلا . السبب الرابع . أن يقصد العبد بترك التداوى استيقاض الرضى لينال ثواب المرض بحسن الصبر على بلاء الله تعالى وليجرب نفسه في القدرة على الصبر قد ورد في ثواب الرضى ما يكثر ذكره فقد قال صلى الله عليه وسلم « نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى العبد على قدر إيمانه فإن كان صلب الإيمان شدد عليه البلاء وإن كان في إيمانه ضعف خفف عنه البلاء (١) » وفي الخبر « إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه بالنار فثمن من يخرج كذهب الإبريز لا يرد ومنهم من دون ذلك ومنهم من يخرج أسود محترقا (٢) » وفي حديث من طريق أهل البيت « إن الله تعالى إذا أحب عبدا ابتلاه فإن صبر اجتبه وإن رضى اصطفاه (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « تحبون أن تكونوا كالخمر الفاضلة لا تمرضون ولا تسقون (٤) » وقال ابن مسعود رضى الله عنه تجد المؤمن أصبح شىء قلبا وأمرضه جسما وتجد المنافق أصبح شىء جسما وأمرضه قلبا . فلما عظم ابتلاءه على المرض والبلاء أحب قوم المرض واغتصموا لينالوا ثواب الصبر عليه فكان منهم من له علة تخفيها ولا يذكرها لطبيب ويقاسى العلة ورضى بحكم الله تعالى وسلم أن الحق أغلب على قلبه من أن يشغله المرض عنه وإنما يتنع المرض جوارحه وعلموا أن صلاتهم فعودا مثلا مع الصبر على قضاء الله تعالى أفضل من الصلاة قيا مع العافية والصحة في الخبر « إن الله تعالى يقول للملائكة اكتبوا لعبدى صالح ما كان يعمل به فانه في وثاقى إن أطلقته أبدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه وإن توفيته توفيته إلى رحمتي (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس (٦) » قبل مضاعف ما دخل عليه من الأمراض والمصائب وإليه الإشارة بقوله تعالى - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - وكان سهل يقول ترك التداوى وإن ضعف عن الطاعات وقصر عن القرائن أفضل من التداوى لأجل الطاعات وكانت به علة عظيمة فلم يكن يتداوى منها وكان يداوى الناس منها وكان إذا رأى العبد يصلى من

وإلى دواعى الروح تارة  
وإلى دواعى الشيطان  
تارة فعلى هذا لا تزيد  
الخواطر على أربعة  
ورسول الله صلى الله  
عليه وسلم لم يذكر غير  
المتين وهاتان العلتان  
هما الأصل والمخاطران  
الآخران فرع عليهما  
لأن لمة الملك إذا حركت  
الروح واهتزت الروح  
بالهمة الصالحة قربت  
أن تهتز الهمة الصالحة  
إلى حظ الرقبة فورد  
عليه عند ذلك خواطر  
من الحق وإذا تخفق  
بالقرب بتحقيق البقاء  
فتثبت الخواطر الربانية  
عند ذلك كما ذكرناه  
قبل لموضع قريبه  
فيكون أصل خواطر  
الحق لمة لللك ولمة

(١) حديث نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل الحديث أحمد وأبو يعلى والحاكم وصححه على شرط مسلم نحوه مع اختلاف وقد تقدم مختصرا ورواه الحاكم أيضا من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث إن الله تعالى يجرب عبده بالبلاء كما يجرب أحدكم ذهبه الحديث الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف (٣) حديث من طريق أهل البيت إن الله إذا أحب عبدا ابتلاه الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث على ولم يخرجوه ولده في مسنده ولطبراني من حديث أبي عتبة إذا أراد الله بعبده خيرا ابتلاه وإذا ابتلاه ابتلاه لا يترك له مالا ولا ولدا وسنده ضعيف (٤) حديث تحبون أن تكونوا كالخمر الفاضلة لا تمرضون ولا تسقون ابن أبي عاصم في الأحاد والثاني وأبو نعيم وابن عبد البر في الصحابة والبيهقي في الشعب من حديث أبي فاطمة وهو صدر حديث إن الرجل ليكون له الميزة عند الله الحديث وقد تقدم (٥) حديث إن الله يقول للملائكة اكتبوا لعبدى صالح ما كان يعمل به فانه في وثاقى الحديث الطبراني من حديث عبد الله بن عمر وقد تقدم (٦) حديث أفضل الأعمال ما أكرهت عليه النفوس قد تقدم ولم أجد مرفوعا .

فمؤد ولا يستطيع أعمال البر من الأمراض فيتدأوى للقيام إلى الصلاة والنهوض إلى الطاعات يجب من ذلك ويقول صلاته من مؤد مع الرضا بحاله أفضل من التدأوى لقوة والصلاة تأتما. وسئل عن شرب الدواء فقال كل من دخل في شيء من الدواء فاعلم هو سعة من الله تعالى لأهل الضعف ومن لم يدخل في شيء فهو أفضل لأنه إن أخذ شيئا من الدواء ولو كان هو للداء البارد يستل عنه لم يأخذ ومن لم يأخذ فلا سؤال عليه وكان مذهبه ومذهب البصريين تضعيف النفس بالجوع وكسر الشهوات لهم بأن ذرة من أعمال القلوب مثل الصبر والرضا والتوكل أفضل من أمثال الجبال من أعمال الجوارح والرض لا يمنع من أعمال القلوب إلا إذا كان ألم غالبا مدحشا . وقال سهل رحمه الله على الأجسام رحمة وعلى القلوب عقوبة . السبب الخامس : أن يكون البعد قد سبق له ذنوب وهو خائف منها عاجز عن تكفيرها فيرى للرض إذا طال تنكيرا فيترك التدأوى خوفا من أن يسرع زوال المرض فقد قال عليه السلام « لا تزال الحى واللبية بالبد حتى يمضى على الأرض كالبردة ما عليه ذنب ولا خطيئة <sup>(١)</sup> » وفي الخبر « حى يوم كفاة سنة <sup>(٢)</sup> » قيل لأنها تهد قوة سنة وقيل للإنسان ثلثمائة وستون مفصلا فتدخل الحى في جميعها ويجد من كل واحد ألما فيكون كل ألم كفاة يوم ، ولما ذكر صلى الله عليه وسلم كفاة الذنوب بالحى سأله زيد بن ثابت ربه عز وجل أن لا يزال محموا فلم تكن الحى تغارقه حتى مات رحمه الله وسأل ذلك طائفة من الأنصار فكانت الحى لا تزالهم <sup>(٣)</sup> ولما قال صلى الله عليه وسلم « من أذهب الله كرميته لم يرض له ثوابا دون الجنة <sup>(٤)</sup> » قال فلقد كان من الأنصار من يتبعى العمى وقال عيسى عليه السلام : لا يكون عالما من لم يخرج بدخول الصائب والأمراض على جسده وماله لما يرجو في ذلك من كفاة خطايه . وروى أن موسى عليه السلام نظر إلى عبد عظيم البلاد فقال يارب ارحمه فقال تعالى كيف أرحمه فيما به أرحمه أى به أكفر ذنوبه وأزيد في درجاته . السبب السادس أن يستمر البعد في نفسه مبادئ البطر والطينان تطول مدة الصحة فيترك التدأوى خوفا من أن يعاجله زوال الرض فتعود الغفلة والبطر والطينان أو تطول الأمل والتسويق في تدارك الفائت وتأخير الحيرات فان الصحة عبارة عن قوة الصفات وبها يثبت الهوى وتحرك الشهوات وتدعو إلى العاصى وأقلها أن تدعو إلى التنسم في اللباحات ، وهو تضييع الأوقات وإهمال فرغ العظم في مخالطة النفس وملازمة الطاعات وإذا أراد الله بعد خيرا لم يخله عن التنبه بالأمراض والصائب ولذلك قيل لا يغلو

(١) حديث لا تزال الحى والمليبة بالبعد حتى يمضى على الأرض كالبردة ما عليه خطيئة أبو يعلى وابن عدى من حديث أبي هريرة والطبرانى من حديث أبي الدرداء نحوه وقال الصداع بدل الحى ولطبرانى في الأوسط من حديث أنس مثل الرضى إذا صح وبرأ من مرضه كمثل البردة تقع من السماء تقع في صفاتها ولونها وأسايد ضعيفة (٢) حديث حى يوم كفاة سنة القضاء في مسند الشهاب من حديث ابن مسعود بسند ضعيف وقال لية بدل يوم (٣) حديث لما ذكر رسول الله ﷺ كفاة الذنوب بالحى سأله زيد بن ثابت أن لا يزال محموا الحديث وسأل ذلك طائفة من الأنصار أحمد أبو يعلى من حديث أبي سعيد الخدرى بإسناد جيد أن رجلا من السلفين قال يا رسول الله رأيت هذه الأمراض تصيبنا ما لنا فيها قال كفارات قال أبى وإن قلت قال فان شوكة لا فو قم أهله فدعا أبى أن لا يغارقه الو عك حتى يموت الحديث وللطبرانى في الأوسط من حديث أبى بن كعب أنه قال يا رسول الله ما جزاء الحى قال تجري الحسنات على صاحبها ما خلت عليه قدم أو ضرب عليه عرق فقال اللهم إني أسألك حى لا تمنى خروجا في سبيلك ولا خروجا إلى بيتك ولا مسجد نبيك الحديث والاسناد مجهول قاله على بن الدبى (٤) حديث من أذهب الله كرميته لم يرض له ثوابا دون الجنة تقدم للرفع منه دون قوله فلقد كان في الأنصار من يتبعى العمى .

الشیطان اذا حركت النفس هوت بجربتها الى مركزها من السريرة والطبع فظهر منها لحركتها خواطر ملائمة لتربزتها وطبيعتها وهواها فصارت خواطر النفس نتيجة لمة الشيطان فأصلها لذات وينتجان آخرين وخاطر البقية والعدل مندرج فيها وانه أعلم

[ الباب الثامن والمحسون في شرح الحال والقام والفرق بينهما ]

قد كثرت الاشتباه بين الحال والقام واختلفت إشارات الشيوخ في ذلك ووجود الاشتباه لمصكان تشابههما

الؤمن من علة أوقلة أوزلة وقد روى «أن الله تعالى يقول الغفر سبحانه والرض قيدي أحبس بمن أحب من خلق» فإذا كان في الرض حبس عن العطين وركوب الماصي فأى خير يزيد عليه ولم ينبغ أن يشتغل بصلاحه من يخاف ذلك على نفسه فالعافية في ترك الماصي قد قال بعض العارفين لإنسان كيف كنت بدى؟ قال في عافية قال إن كنت لم تفسد الله عز وجل فأنت في عافية وإن كنت قد عصيته فأى داء أودأ من اللصبة ماعوفى من عصى الله . وقال على كرم الله وجهه لما رأى زينة النبط بالعراق في يوم عيد ماهذا الذى أظهره؟ قالوا يا أمير المؤمنين هذا يوم عيدهم فقال كل يوم لاصي الله عز وجل فيه فهو لنا عيد . وقال تعالى - من بعد ما أراكم مانحبون - قيل الموائى - إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى - وكذلك إذا استغنى بالعافية . وقال بعضهم : إنما قال فرعون : أنا ربكم الأعلى لطول العافية لأنه لبث أربعين سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم يضرب عليه عرق فادعى الربوبية لئنه الله ولولا أخذته الشقيقة يوما لثقلته عن القبول فضلا عن دعوى الربوبية . وقال صلى الله عليه وسلم «أكثرنا من ذكر هادم اللذات (١)» وقيل الحمى رائد الموت فهو مذكرة له ودافع للتسوف ، وقال تعالى - أولايرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون - قيل يفتنون بأمراس يخبرون بها ، ويقال إن العبد إذا مرض مرضين ثم لم يقب قال له ملك الموت يا غافل جاءك منى رسول بعد رسول فلم تجب ، وقد كان السلف ذلك يستوحشون إذا خرج عام ولم يجابوا فيه بنفس في نفس أومال وقالوا لا يغفل المؤمن في كل أربعين يوما أن يروع روعة أو يجاب بيلة حتى روى أن عمار بن ياسر تزوج امرأة فلم تكن تحرم فطلقها وأن النبي صلى الله عليه وسلم «عرض عليه امرأة غسقى من وصفها حتى هم أن يتزوجها ، فقيل إنها مأمومة قط ، فقال لاحاجة لى فيها (٢)» . وذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره ، فقال رجل وما الصداع ما أعرفه فقال صلى الله عليه وسلم : إليك عني من أرد أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا وهذا (٣)» لأنه ورد في الخبر «الحمى حظ كل مؤمن من النار (٤)» . وفي حديث أنس وعائشة رضى الله عنهما «قيل يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم؟ فقال نعم من ذكر الموت كل يوم عشرين مرة (٥)» . وفي لفظ آخر «الذى يذكر ذنوبه فتحزنه» ولا شك في أن ذكر الموت على المريض أغلب فلما أن كثرت فوائده للمرض رأى جماعة ترك الحيلة في زوالها وإذراؤا لأنفسهم مزيدا فيها لامن حيث رأوا التدأوى قصانا وكيف يكون قصانا وقد فعل ذلك صلى الله عليه وسلم .

(١) حديث أكثرنا ذكر هادم اللذات الترمذى وقال حسن غريب والنسائى وابن ماجه من حديث أنس بن مالك (٢) حديث عروضة عليه امرأة فذكر من وصفها حتى هم أن يتزوجها فقيل فأنها مأمومة قط فقال لاحاجة لى فيها أحد من حديث أنس بنحوه بإسناد جيد (٣) حديث ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمراض والأوجاع كالصداع وغيره ، فقال رجل وما الصداع ما أعرفه فقال إليك عني الحديث أبو داود من حديث عامر البراء أخى الحضرمي [أنس بن مالك] بنحوه وفى إسناده من لم يسم (٤) حديث الحمى حظ كل مؤمن من النار البزار من حديث عائشة وأحمد من حديث أنس بن مالك والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس وأبو منصور الدلمى فى مسند القردوس من حديث ابن مسعود وحديث أنس ضعيف وإليه حسن (٥) حديث أنس وعائشة قول يا رسول الله هل يكون مع الشهداء يوم القيامة غيرهم؟

[١] الحضرمي : نطن من محارب بن خصفة .

فى شمسها وتدخلها  
قترأى لبعض التى  
حالا وتراعى لبعض  
مقاما وكلا الرؤيتين  
صحيح لوجود تدخلها  
ولا بد من ذكر ضابط  
بفرق بينهما على أن  
اللفظ والبارة عنها  
متعر بالفرق بالحال  
سمى حالته وتحوّل والقام  
مقاما لثبوت واستقراره  
وقد يكون التى  
بعبته حالاً ثم يصير  
مقاما مثل أن يثبت  
من باطن العبد داعية  
المهابة ثم يزول  
الداعية بقلبة صفات  
النفس ثم تعود ثم  
زول فلا يزال العبد  
حال المهابة يتعاهد  
الحال ثم يحول الحال  
بظهور صفات النفس

( بيان الرد على من قال ترك التداوى أفضل بكل حال )

فلو قال قائل إنما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس له غيره وإلا فهو حال الضعفاء، ودرجة الأقوياء توجب التوكل بترك الدواء ، فيقال ينبغي أن يكون من شرط التوكل ترك الحجامة والقصد عند تبخير الدم . فان قيل إن ذلك أيضا شرك فليكن من شرطه أن تلذغه القرب أو الحبة فلا ينحيا عن خسه ، إذ الدم يلدغ الباطن والقرب يلدغ الظاهر فأى فرق بينهما ؟ . فان قال وذلك أيضا شرط التوكل فيقال ينبغي أن لا يزيل لدغ العطش بالماء ولدغ الجوع بالخبز ولدغ البرد بالجلية وهذا لا قائل به ، ولا فرق بين هذه الدرجات فان جميع ذلك أسباب رتبها مسبب الأسباب سبحانه وتعالى وأجرى بها سنته ، ويدل على أن ذلك ليس من شرط التوكل ما روى عن عمر رضي الله عنه وعن الصحابة في قصة الطاعون فانهم لما قصدوا الشام واتوا إلى الجابية بلغهم الخبر أن به موتا عظيما ووباء ذريعا فافترق الناس فرقتين ، فقال بعضهم لا ندخل على الوباء فنقلنا بأدينا إلى التهلكة ، وقالت طائفة أخرى بل ندخل ونتوكل ولا نهرب من قدر الله تعالى ولا نفر من اللوت فنسكون كمن قال الله تعالى فيهم - ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم آلاف حذر اللوت - فرجعوا إلى عمر فسألوه عن رأيه ، فقال يرجع ولا ندخل على الوباء ، فقال « الخائفون في رأيه : أضر من قدر الله تعالى ؟ قال عمر نعم نعم من قدر الله إلى قدر الله ، ثم ضرب لهم مثلا ، قال : أرأيتم لو كان لأحدكم غنم فبسط واديا له شبتان : إحداهما خصبة ، والأخرى مجذبة ليس إن رعى الخصبة رعاها بقدر الله تعالى وإن رعى المجذبة رعاها بقدر الله تعالى فقالوا نعم ثم طلب عبد الرحمن ابن عوف ليسانة عن رأيه وكان غالبا فصار أصبحوا جاء عبد الرحمن فسأله عمر عن ذلك ، فقال عندي فيه يأمر المؤمنين شي من سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر الله أكبر فقال عبد الرحمن سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا سمعتم بالوباء في أرض فلا تلتدوموا عليه وإذا وقع في أرض وأنت بها فلا تخرجوا فرارا منه <sup>(١)</sup> » فترحم عمر رضي الله عنه بذلك وحسد الله تعالى إذ وافق رأيه ورجع من الجابية بالناس ، فاذن كيف اتفق الصحابة كلهم على ترك التوكل وهو من أخطى القمامات إن كان أمثال هذا من شروط التوكل . فان قلت فلم نهى عن الخروج من البلد الذى فيه الوباء ، وسبب الوباء في الطب الهواء وأظهر طرق التداوى الفرار من الضر ، والهواء هو الضر فلم لم يرخص فيه ؟ . فاعلم أنه لا خلاف في أن الفرار عن الضر غير منهي عنه ، إذ الحجامة والفضد فرار من الضر وترك التوكل في أمثال هذا مباح وهذا لا يدل على القصد ولكن الذى يقدر فيه والعلم عند الله تعالى أن الهواء لا ضر من حيث إنه يلاقى ظاهر البدن بل من حيث دواؤه الاستنشاق له فانه إذا كان فيه عفونة ووصل إلى الرئة والقلب وباطن الأحشاء أثر فيها بطول الاستنشاق فلا يظهر الوباء على الظاهر إلا بعد طول التأثير في الباطن فالخروج من البلد لا يخفى غالبا من الأثر الذى استحك من قبل ولكن يتوهم الخلاص فيصير هذا من جنس الوهومات كالرقى والطيرة وغيرها ، ولو تجرد هذا المعنى لكان منقضا للتوكل ولم يكن منيا عنه ولكن صار منيا عنه لأنه انضاف إليه أمر آخر وهو أنه لو رخص للأخصاء في الخروج لما بقى في البلد إلا الرضى الذين أمدهم الطاعون فانكسرت قلوبهم وقعدوا التهمدين ولم يبق في البدن من يستفيد من الماء ويطعمهم الطعام وهم يسبزون عن مباشرتهما بأنفسهم فيكون ذلك سعيًا في إهلاكهم تحقيقًا وخلاصهم منظر

فقال نعم من ذكر اللوت كل يوم عشرين مرة لم أنف له على إسناد (١) حديث عبد الرحمن بن عوف إذا سمعت بالوباء في أرض فلا تلتدوموا عليه الحديث وفي أوله قصة خروج عمر بالناس إلى الجابية وأنه بانهم أن بالشام وباء الحديث رواه البخارى .

إلى أن تداركه  
للعونة من الله الكريم  
وبغلب حال المحاسبة  
وتستقهر النفس  
وتتضبط وتتسلحها  
المحاسبة تصير المحاسبة  
وطنه ومستقره ومقامه  
فيصير في مقام المحاسبة  
بعد أن كان له حال  
المحاسبة ، ثم ينزله  
حال للراقبة ، فمن  
كانت المحاسبة مقامه  
يصير له من للراقبة  
حال ، ثم يحول حال  
الراقبة لتأوب السوء  
والقفلة في باطن العبد  
إلى أن ينشع ضباب  
السوء والقفلة ويتدارك  
الله عبده بالعونة  
فتصير الراقبة مقاما  
بعد أن كانت حالا لا  
يسنقر مقام المحاسبة

كما أن خلاص الأسماء منتظر فلواقموا لم تكن الإقامة قاطعة بالموت ولو خرجوا لم يكن الخروج قاطعا بالخلاص وهو قاطع في إهلاك الباقيين والسلمون كالبقيان يشد بسنه بساؤل المؤمنين كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى إليه سائر أعضائه فهذا هو الذى يقدم عندنا في تقبل التمس ويتعكس هذا فيمن لم يقدم بد على البه فانه لم يؤثر الهواء في باطنهم ولا بأهل البه حاجة إليهم، نعم لو لم يبق باله إلا مسلمون واخفروا إلى التمهدين وقدم عليهم قوم فرما كان يتفدح استجاب الدخول ههنا لأجل الاطاعة ولا ينهى عن الدخول لأنه تعرض لضرر موهوم على رجاء دفع ضرر عن بقية المسلمين، وبهذا جبه القرار من الطاعون في بعض الأخبار بالقرار من الرحف (١) لأن فيه كسرا لقلوب بقية المسلمين وسما في إهلاكهم فهذه أمور دقيقة فمن لا يلاحظها وينظر إلى ظواهر الأخبار والآثار يتناقض عنده أكثر مما سمع وغلط العباد والزهاد في مثل هذا كثير وإنما شرف العلم وفضيلته لأجل ذلك . فان قلت ففي ترك التدوى فضل كما ذكرت فلم لم يترك رسول الله صلى الله عليه وسلم التدوى لبنال الفضل ؟ . فنقول فيه فضل بالإضافة إلى من كثرت ذنوبه ليكرها أو خاف على نفسه طغيان العافية وغلبة الشهوات أو احتاج إلى ما يذكره الموت لقلبه التفتة أو احتاج إلى نيل ثواب الصابرين لقصوره عن مقامات الراضين والتوكلين أو نصرت بصيره عن الاطلاع على ما أودع الله تعالى في الأدوية من لطائف النافع حتى صار في حقه موهوما كالركى أو كان شغفه بهاله بمنحه عن التدوى وكان التدوى يشغله عن حاله لفضه عن الجمع على حله للماني رجعت الصوارف في ترك التدوى وكل ذلك ككالات بالإضافة إلى بعض الخلق وقصان بالإضافة إلى درجة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كان مقامه أعلى من هذه اللقائات كلها إذ كان حاله يفتنى أن تكون مشاهدته على وبيرة واحدة عند وجود الأسباب وقدها فانه لم يكن له نظر في الأحوال إلا إلى سبب الأسباب ومن كان هذا مقامه لم تضره الأسباب كما أن الرغبة في المال تحس والرغبة عن المال كراهية له وإن كانت كالا فهي أيضا تحس بالإضافة إلى من يستوى عنده وجود المال وعدمه فاستواء الحبر والذهب أكل من المرهب من الذهب دون الحبر وكان حاله صلى الله عليه وسلم استواء للمد والذهب عنده وكان لا يحسك لتعلم الخلق مقام الزهد فانه منهي قوتهم لا خوفه على نفسه من إسساكه فانه كان أعلى رتبة من أن تفره الدنيا، وقد عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبها (٢) فكذلك يستوى عنده مباشرة الأسباب وتركها لمثل هذه المشاهدة وإنما لم يترك استعمال الدواء جريا على سنة الله تعالى وترخيصا لأمتة فيما تحس إليهم حاجتهم مع أنه لا ضرر فيه بخلاف إدخال الأموال فان ذلك بعظم ضرره، نعم التدوى لا يضر إلا من حيث رؤية الدواء ناضا دون خالق الدواء وهذا قد نهى عنه ومن حيث إنه يقصد به الصحة ليستعان بها على الماسى وذلك منهي عنه والمؤمن في غالب الأمر لا يقصد ذلك واحد من المؤمنين لا يرى الدواء ناضا بنفسه بل من حيث إنه جلله الله تعالى سببا لتففع كالابرى الماء مرويا ولا الحبر مشعبا حكيم التدوى في مقصوده حكيم السكب فانه إن اكتسب للاستعانة على الطاعة أو على المسية كان له حكمها وإن اكتسب لتتم المباح فله حكمه قد ظهر بالمعاني التي أوردناها أن ترك التدوى قد يكون أفضل في بعض الأحوال ، وأن التدوى قد يكون أفضل في بعض ، وأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال

قراره إلا بانزل حال المراقبة ولا يستمر مقام المراقبة قراره إلا بانزل حال المشاهدة فاذا منع البعد بانزل حال المشاهدة استمرت مراقبته وصارت مقامه ونازل المشاهدة أيضا يصكون حالا بحول بالاستتار ويظهر بالتجلى ثم يصير مقاما وتخلص منه عن كسوف الاستتار ثم مقام المشاهدة أحوال وزيادات وترقيات من حال الى حال أعلى منه كالتحقق بالثناء والتخلص إلى البقاء والتقى من عيبين اليقين الى حق اليقين وحق اليقين نازل غرق شفاف القلب وذلك أعلى فروغ

(١) حديث تشبيه القرار من الطاعون بالقرار من الرحف رواه أحمد من حديث عائشة بأسانيد جيد ومن حديث جابر بأسانيد ضعيف وقد تقدم (٢) حديث أنه عرضت عليه خزائن الأرض فأبى أن يقبها تحم ولطفه عرضت عليه مفاتيح خزائن السماء وكنوز الأرض فردها .

والأشخاص والنبات وأن واحدا من الفعل والترك ليس شرطا في التوكل إلا ترك الوهميات كالسكى والرقى فإن ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالتوكلين .

### ( بيان أحوال التوكلين في إظهار المرض وكنيانه )

اعلم أن كنيان المرض وإخفاء الفقر وأتباع البلاء من كنوز البرِّ وهو من أعلى اللقائات لأن الرضا بحكم الله والصبر على بلائه معاملة بينه وبين الله عز وجل فسكنيانه أسلم عن الآفات ومع هذا فلا إظهار لأبأس به إذا صحت فيه التوبة وللقصد ومقاصد الإظهار ثلاثة : الأول أن يكون غرضه التداوى فيحتاج إلى ذكره للطبيب فيذكره لافي معرض الشكاية بل في معرض الحكاية لما ظهر عليه من قدرة الله تعالى ، فقد كان جسر يصف لعبد الرحمن الطبيب أوجاعه وكان أحمد بن حنبل يغير بأمراض يجدها ويقول إنما أصف قدرة الله تعالى في . الثاني : أن يصف تغير الطبيب وكان ممن يقتدى به وكان مكنيا في المعرفة فأراد من ذكره أن يتعلم منه حسن الصبر في المرض بل حسن الشكر بأن يظهر أنه يرى أن المرض نعمة فيشكر عليها فيحدث به كما يتحدث بالنعم . قال الحسن البصري : إذا حشد المرض لله تعالى وشكره ثم ذكر أوجاعه لم يكن ذلك شكوى . الثالث أن يظهر بذلك عجزه وإفقاره إلى الله تعالى وذلك يحسن ممن تليق به القوة والشجاعة ويستبعد منه العجز كما روى أنه قيل لعلى في مرضه رضى الله عنه كيف أنت قال جسر فظهر بهضم إلى بعض كأنهم كرهوا ذلك وظنوا أنه شكاية فقال أجعل على ؟ فأجب أن يظهر عجزه وإفقاره مع عامل به من القوة والضرارة وتأدب فيه بأدب النبي صلى الله عليه وسلم بإزاء حيث مرض على كرم الله وجهه فسمع عليه السلام وهو يقول : اللهم صبرنى على البلاء فقال له صلى الله عليه وسلم « لقد سألت الله تعالى البلاء فسل الله العافية (١) » فبهذه النبات يرضى في ذكر المرض وإنما يشترط ذلك لأن ذكره شكاية والشكوى من الله تعالى حرام كاذرته في تحريم السؤال على الفقراء إلا بضرورة ويصير الإظهار شكاية بقرينة السخط وإظهار الكراهة لعلم الله تعالى فإن خلا عن قرينة السخط وعن النبات التي ذكرناها فلا يوصف بالتحريم ولكن يحكم فيه بأن الأولى تركه لأنه ربما يوم الشكاية ولأنه ربما يكون فيه تصنع ومزید في الوصف على الموجود من العلة ومن ترك التداوى توكلًا فلاوجه في حقه للإظهار لأن الاستراحة إلى الدواء أفضل من الاستراحة إلى الافتناء ، وقد قال بعضهم من بث لم يصبر ، وقيل في معنى قوله - نصبر جبيل - لا شكوى فيه ، وقيل يعقوب عليه السلام ما ألقى أذهب بصرك ؟ قال مر الزمان وطول الأحران فأوحى الله تعالى إليه : نغزغ لشكواى إلى عبادى فقال يارب آتوب إليك ، وروى عن طاوس ومجاهد أنهما فلا يكتب على المريض أنينه في مرضه وكانوا يكرهون أن ينين المرض لأنه إظهار معنى يقتضى الشكوى حتى قبل ما أصاب إبليس لعنه الله من أيوب عليه السلام إلا أنينه في مرضه لجعل الأنين حظا منه ، وفي الخبر « إذا مرض العبد أوحى الله تعالى إلى الملكين انظرا ما يقول لعوده فان حمد الله وأثنى غيره دعواه وإن شكا وذكر شرا فلا كذلك تكون (٢) » وإنما كره بعض العباد العبادة خشية الشكاية وخوف الزيادة في الكلام فكان بعضهم إذا مرض أغلق باب فليدخل عليه أحد حتى يبرأ فيخرج إليهم منهم فضيل وهيب وشعر ، وكان فضيل يقول أشتهي أن أمرض بلا عواد وقال لا أكره العلة إلا لأجل العواد رضى الله عنه وعنه أجمعين .

(١) حديث مرض على فسمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول اللهم صبرنى على البلاء فقال قد سألت الله البلاء فسل الله العافية تقدم مع اختلاف (٢) حديث إذا مرض العبد أوحى الله إلى الملكين انظرا ما يقول لعوده الحديث تقدم .

الشاهدة . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اللهم إني أسألك إيمانا يباشر نافي » قال سهل بن عبد الله القلب نحو زمان أحدهما باطن وفيه السمع والبصر وهو قلب القلب وسويداؤه والتجويف الثاني ظاهر القلب وفي العقل ومثل العقل في القلب مثل النظر في العين وهو صقال لموضع مخصوص فيه بمنزلة الصقال الذي في سواد العين ومنه تنبعث الأشعة المحيطة بالمرئيات هكذا تنبعث من نظر العقل أشعة المعلوم المحيطة بالمعلومات وهذا الحالة التي خرفت شفاف

كل كتاب التوحيد والتوكل بمون الله وحسن توفيقه يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا والله سبحانه وتعالى للوفيق .

## ( كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا )

( وهو الكتاب السادس من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الذي نزه قلوب أوليائه عن الالتفات إلى زخرف الدنيا ونفستره ، وصنى أسرارهم من ملاحظة غير حضرته ، ثم استخلصها للكشف على بساط عزته ، ثم نجلى لهم بأسمائه وصفاته حتى أشرفت بأنوار معرفته ، ثم كشف لهم عن سبجات وجهه حتى احترقت بنار محبته ، ثم احتجب عنها بكنهه جلالة حتى تاهت في يدهام كبريائه وعظمته ، فكلما اهتزت لملاحظة كنهه الجلال غشيا من الدهش ما أغبر في وجه العقل وبسيرته ، وكلامته بالانصراف آية نوديت من سرادقات الجمال صير إليها الأيسر عن نيل الحق بجهله ومجهته ، فبقيت بين الرد والقبول والصد والوصول غرق في بحر معرفته ، وبحرقة بنار محبته . والصلاة على محمد خاتم الأنبياء بكامل نبوته ، وعلى آله وأصحابه سادة الخلق وأئمة ، وقادة الحق وأزمته وسلم كثيرا .

[ أما بعد ] فإن المحبة لله هي الغاية القصوى من اللقائات والقدرة العليا من الدرجات فلا يصدر إدراك المحبة مقام إلا وهو ثمرة من ثمارها وتابع من توابها كالشوق والأنس والرضا وأخواتها ولا قبل المحبة مقام إلا وهو مقدمة من مقدماتها كالثوبة والصبر والزهد وغيرها وسائر اللقائات إن عز وجودها فلم تغل القلوب عن الإيمان بامكانها ، وأما محبة الله تعالى فقد عز الإيمان بها حتى أنكر بعض العلماء إمكانها ، وقال لا معنى لها إلا الواظبة على طاعة الله تعالى ، وأما حقيقة المحبة بحال إلا مع الجنس والنال ولما أنكروا المحبة أنكروا الأنس والشوق ولثة الناجاة وسائر لوازم الحب وتوابه ولا بد من كشف الغطاء عن هذا الأمر ، ونحن نذكر في هذا الكتاب بيان شواهد الشرع في المحبة ثم بيان حقيقتها وأسبابها ثم بيان أن لا مستحق للعبة إلا الله تعالى ثم بيان أن أعظم اللذات لذته النظر إلى وجه الله تعالى ثم بيان سبب زيادة لذته النظر في الآخرة على العرفة في الدنيا ثم بيان الأسباب للقوة لحب الله تعالى ثم بيان السبب في تفاوت الناس في الحب ثم بيان السبب في قصور الأنهم عن معرفة الله تعالى ثم بيان معنى الشوق ثم بيان محبة الله تعالى للعبد ثم القول في علامات محبة العبد لله تعالى ثم بيان معنى الأنس بالله تعالى ثم بيان معنى الانبساط في الأنس ثم القول في معنى الرضا وبيان فضيلته ثم بيان حقيقته ثم بيان أن الدعاء وكرهه المعاصي لاتناضه وكذا القرار من المعاصي ثم بيان حكايات وكلمات للصالحين متفرقة ، فهذه جميع بيانات هذا الكتاب .

( بيان شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى )

اعلم أن الأمة مجمعة على أن الحب لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم فرض وكيف بغرض ملا وجود له وكيف بغسر الحب بالطاعة والطاعة تبع الحب ونمته فلا بد وأن يقدم الحب ثم بعده ذلك بطبع من أحب ويدل على إثبات الحب لله تعالى قوله عز وجل - يحبهم ويحبونه - وقوله تعالى - والذين آمنوا أهدى حياتهم - وهو دليل على إثبات الحب وإثبات التفاوت فيه وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحب لله من شرط الإيمان في أخبار كثيرة إذ قال أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن يكون

القلب ووصلت إلى سويدائه وهي حق اليقين هي أسنى المطايا وأعسر الأحوال وأشرها ونسبة هذه الحال من المشاهدة ككسبة الأجر من التراب إذ يكون ترابا ثم طينا ثم لبنا ثم أجرا فالشاهدة هي الأول والأصل يكون منها الفناء كالمطين ثم البقاء كالبن ثم هذه الحالة وهي آخر الفروع . ولما كان الأصل في الأحوال هذه الحالة وهي أشرف الأحوال وهي محض موهبة لا تكتسب بحيث كل المواهب من الدوازل بالبدء أحوالا لأنها غير مقدورة

( كتاب المحبة والشوق والرضا )

الله ورسوله أحب إليك مما سواهما<sup>(١)</sup> وفي حديث آخر « لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما<sup>(٢)</sup> » وفي حديث آخر « لا يؤمن الصديق حتى يكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين<sup>(٣)</sup> » وفي رواية « ومن نفسه » كيف وقد قال تعالى - قل إن كان آبؤكم وبناؤكم وإخوانكم - الآية. وإنما أجرى ذلك في معرض التهديد والإنكار وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحبة فقال « أحبوا الله ما يفتنكم به من نفسه وأحبوني لحب الله إياي<sup>(٤)</sup> » وروى « أن رجلا قال لرسول الله إنني أحبك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : استمد لقفرك فقال إنني أحب الله تعالى فقال استمد ليل<sup>(٥)</sup> » وعن عمر رضي الله عنه قال « نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به فقال النبي صلى الله عليه وسلم : انظروا إلى هذا الرجل الذي نور الله قلبه فقدرت عين أبويه بضوانه بأطيب الطعام والشراب فذموا حب الله ورسوله إلى ما روي<sup>(٦)</sup> » وفي الخبر المشهور « إن إبراهيم عليه السلام قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه : هل رأيت خيلًا يمت خيلها فأوحى الله تعالى إليه هل رأيت حبا بكرو لقاء حبيبه فقال ياملك الموت الآن قابض<sup>(٧)</sup> » وهذا لا يجده إلا عبد يحب الله بكل قلبه . فإذا علم أن الموت سبب اللقاء أنزعج قلبه إليه ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت إليه وقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم في مقامه « اللهم ارزقني حبك وحب من أحبك وحب ما يقربني إلى حبك واجعل حبك أحب إلي من الماء البارد<sup>(٨)</sup> » وجاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال « يا رسول الله متى الساعة قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام إلا أني أحب الله ورسوله فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرء مع من أحب<sup>(٩)</sup> » قال أنس لما رأيت المسلمين فرحوا حتى يبد الإسلام فرحهم بذلك . وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق من خالص محبة الله تعالى غفله ذلك عن طلب الدنيا وأوحشه عن جميع البشر . وقال الحسن من عرف به أحبه ومن عرف الدنيا هذبها ولؤمن لا يلهو حتى يغفل فإذا تفكر حزن . وقال أبو سليمان الداراني

(١) حديث أبي زرقة القيلي أنه قال يا رسول الله ما الإيمان ؟ قال أن يكون الله ورسوله أحب إليك مما سواهما أخرجه أحمد بزيادة في أوله (٢) حديث لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما متفق عليه من حديث أنس بلفظ لا يجد أحد خلاوة الإيمان حتى يكون أحب إليه من أهله وماله وذكره بزيادة (٣) حديث لا يؤمن الصديق حتى يكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين وفي رواية ومن نفسه متفق عليه من حديث أنس واللفظ لمسلم دون قوله ومن نفسه وقال البخاري من والده وولده وله من حديث عبد الله بن هشام قال عمر يا رسول الله لأنني أحب إلي من كل شيء إلا نسي فقال لا والذي نسي يده حتى يكون أحب إليك من نفسك فقال عمر فأنت الآن والله أحب إلي من نسي فقال الآن يا عمر (٤) حديث أحبوا الله لما يفتنكم به من نفسه الحديث الترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن غريب (٥) حديث إن رجلا قال يا رسول الله إنني أحبك فقال استمد لقفرك الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل بلفظ نأعد لقفرك نجفا دون آخر الحديث وقال حسن غريب (٦) حديث عمر قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمير مقبلا وعليه إهاب كبش قد تنطق به الحديث أبو نعيم في الحلية بإسناد حسن (٧) حديث إن إبراهيم قال لملك الموت إذ جاءه لقبض روحه هل رأيت خيلًا يمت خيلها فقبض خيلها الحديث لم أجده أصلا (٨) حديث اللهم ارزقني حبك وحب من يحبك الحديث تقدم (٩) حديث قال أعرابي يا رسول الله متى الساعة قال ما أعددت لها الحديث متفق عليه من حديث أنس ومن حديث أبي موسى وابن مسعود بنحوه .

للمد بكبه فأطلقوا القول وتداولت السنة الشيوخ أن القامات مكاسب والأحوال مواهب وطى الترتيب الذي درجنا عليه كلها مواهب إذ المكاسب محسوفة بالمواهب وللواهب محسوفة بالأحوال مواجيد والقامات طرق الواجيد ولكن في القامات ظهر

إن من خلق الله خلقا ما يشغلهم الجنان وما فيها من العجب عنه فكيف يشغلون عنه بالدينا . وروى  
أن عيسى عليه السلام مر بثلاثة نفر قد نخلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم ما الذي بلغ بكم ما رآي  
فقالوا الخوف من النار فقال حق على الله أن يؤمن الخائف ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فآذاهم أشد نحولا  
وتغيرا فقال ما الذي بلغ بكم ما رآي فقالوا الشوق إلى الجنة فقال حق على الله أن يطعمكم ما رجون ثم  
جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فآذاهم أشد نحولا وتغيرا كأن على وجوههم الرأى من النور فقال ما الذي بلغ  
بكم ما رآي قالوا حب الله عز وجل فقال أنهم القربون أنهم القربون . وقال عبد الواحد بن زيد  
مررت برجل قائم في الحاج فقلت أما تجد البرد فقال من شغله حب الله لم يجد البرد . وعن سري السقطي  
ندعى الأمم يوم القيامة بأنبيائها عليهم السلام فقال يا أمة موسى ويا أمة عيسى ويا أمة محمد غير  
الهيئتة تعالى فاتهم ينادون يا أولياء الله هلموا إلى الله سبحانه فكماد قلوبهم تتخلع فرحا . وقال هرم  
ابن حيان المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه وإذا وجد حلاوة الاقبال إليه  
لم ينظر إلى الدنيا بين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروحه في الآخرة .  
وقال يحيى بن معاذ غفوه يستغرق الذنوب فكيف رضوانه ورضوانه يستغرق الآمال فكيف جبهوجه  
بدهش القول فكيف وده ووده بنسى مادونه فكيف لطفه . وفي بعض الكتب عبيد أنا وحكناك  
عجب فبحق عليك كرى لي عجا . وقال يحيى بن معاذ متقال خردلة من الحب أحب إلى من عباد سبعين  
سنة بلا حب . وقال يحيى بن معاذ ألمي إلى مقبر غناك مشغول بشاك صغيرا أخذني إليك وسر بلتي  
بعرفتك وأمكنتي من لطفك وتقتنى في الأحوال وتلبتي في الأعمال سترًا وتوبة وزهدا وشوقا ورضا  
وحبا تسقين من حياضك وتهملني في رياضك ملازما لأمرك ومشغولا بقولك ومناطرا لشاربي ولاح  
طائري فكيف أنصرف اليوم عنك كبيرا وقد اعتدت هذا منك صغيرا قل ما بقيت حولك دندنة  
وبالضراعة إليك هممة لأنى عجب وكل عجب بحبيبه مشغوف وعن غير حبيبه مصروف وقد ورد  
في حب الله تعالى من الأخبار والآثار ما لا يدخل في حصر حاصر وذلك أمر ظاهر وإنما النموض  
في تحقيق معناه فلنشتغل به .

( بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة العبد لله تعالى )

اعلم أن الطلب من هذا الفصل لا يستكشف إلا معرفة حقيقة المحبة في نفسها ثم معرفة شروطها وأسبابها  
ثم النظر بعد ذلك في تحقيق معناها في حق الله تعالى : فأقول ما ينبغي أن يتحقق أنه لا يتصور محبة إلا  
بعد معرفة وإدراك إد لا يجب الإنسان إلا ما يعرفه ولذلك لم يتصور أن يتصف بالحب جمد بل هو من  
خاصية الحى للدركات في انضمامها تنقسم إلى ما يوافق طبع المادرك وبلائه وبلقه وإلى  
ما ينافيه وينافره وبؤله وإلى ما لا يؤثر فيه بإبلاهم وإلذا فكل ما في إدراكه للذة وراحة فهو محبوب  
عند المادرك وما في إدراكه ألم فهو مبغوض عند المادرك وما يحلو عن استعقاب ألم ولذته لا بوصف  
بكونه محبوا لا مكرها فاذن كل للذبة محبوب عند الملتذبه ومعنى كونه محبوا بأن في الطبع ميلا إليه  
ومعنى كونه مبغوضا أن في الطبع نفرة عنه فالحب عبارة عن ميل الطبع إلى الشيء . للذ فان تأكد  
ذلك الميل وقوى سمي عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المؤمن المتب فاذا قوى سمي مقتافها  
أصل في حقيقة معنى الحب لا بد من معرفته . الأصل الثاني : أن الحب لما كان تابعا للإدراك  
والمعرفة انقسم لا محالة بحسب انضمام المادركات والحواس فكل حاسة إدراك نوع من المادركات  
ولكل واحد منها لشفق في بعض المادركات ولطبع يسبب تلك اللذة ميل إليها فكانت محبوبات عند الطبع  
للشدة فلهذا العين في الإبصار وإدراك المبصرات الجميلة والصور المليحة الحسنة المستندة ولذته الأذن في  
الشمات الطيبة واللوز وبؤله الكرم في الروائح الطيبة ولذته الدوق في الطعوم ولذته اللس في اللين والنومة

السموات فاني أعرف  
بها من طرق الأرض  
إشارة إلى اللذات  
والأحوال فطسرق  
السموات التي فوق الزهد  
وغير ذلك من اللذات  
فان السالك لهذه  
الطرق يصير قلبه  
مماويا وهي طرق  
السموات ومتنزل  
البرصحات وهذه  
الأحوال لا يتحقق بها  
إلا ذو قلب سجاوي .  
قال بعضهم الحال هو  
الله كالحق وهذا  
إشارة إلى شيء مما  
ذكرناه وصحت الشايع  
فالمرق يقولون الحال  
ما من الله فكل  
ما كان من طريق  
الاكتساب والأعمال  
يقولون هذا ما من  
العبد فاذا لاح للريد

ولما كانت هذه الدركات بالحواس ملذذة كانت محبوبة أى كان للطبع السليم ميل إليها حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وجعل قرعة عيني في الصلاة» (١) فسمى الطيب محبوا ومعلوم أنه لاحظ للمعين والسمع فيه بل لشم فقط وسمى النساء محبوبات ولاحظ فيهن إلا للبصر والشم دون الشم والذوق والسمع وسمى الصلاة قرعة عين وجعلها أبلغ المحبوبات ومعلوم أنه ليس تحظى بها الحواس الخمس بل حتى سادس مظنة القلب لا يدرك إلا من كان له قلب ولذلك الحواس الخمس تشارك فيها البهائم الإنسان فإن كان الحب مقصورا على مدركات الحواس الخمس حتى يقال إن الله تعالى لا يدرك بالحواس ولا يشتمل في الخيال فلا يحب فاذن قد بطلت خاصة الإنسان وما يتميز به من الخمس السادس الذي يعبر عنه إما بالعقل أو بالنور أو بالقلب أو بما شئت من البارات فلا تشابه فيه وهيات فالبصرة الباطنة أقوى من البصر الظاهر والقلب أشد إدراكا من العين وجمال المعاني للدركة بالعقل أعظم من جمال الصور الظاهرة فلا يبصر فتشكون لاحالة لثة القلب بما يدرك من الأمور الشريفة الإلهية التي تجعل عن أن تدركها الحواس ثم وأبلغ فيكون ميل الطبع السليم والعقل الصحيح إليه أقوى ولا معنى للحب إلا للآل إلى ما في إدراكه لذاته كما سيأتي تفصيله فلا ينسركر إذن حب الله تعالى إلا من قصد به القصور في درجة البهائم فلم يجاوز إدراك الحواس أصلا . الأصل الثالث : أن الإنسان لا يخفى أنه يحب نفسه ولا يخفى أنه قد يحب غيره لأجل نفسه وهل يتصور أن يحب غيره لذاته لأجل نفسه هذا مما قد يشكل على الضعفاء حتى يظنون أنه لا يتصور أن يحب الإنسان غيره لذاته ما لم يرجع منه حظ إلى المحب سوى إدراك ذاته والحق أن ذلك متصور وموجود فلتبين أسباب المحبة وأسماها وبأنه أن المحبوب الأول عند كل حي نفسه وذاته ومعنى حبه لنفسه أن في طبعه ميلا إلى دوام وجوده ونفرة عن عدمه وهلاكه لأن المحبوب بالطبع هو اللذات المحب وأي شيء أتم ملامته من نفسه ودوام وجوده وأي شيء أعظم مضادة ومناقرة له من عدمه وهلاكه فذلك يحب الإنسان دوام الوجود ويكره الموت والقتل لا للمجرد ما يخافه بعد الموت ولا للمجرد الحذر من سكرات الموت بل لو اختطف من غير ألم وأميت من غير ثواب ولا عقاب لم يرض به وكان كارها لذلك ولا يحب الموت والعدم المحض إلا لتقاسمه ألم في الحياة ومهما كان مبتلى ببلاء فمحبوبه زوال البلاء فإن أحب عدم لم يحبه لأنه عدم بل لأن فيه زوال البلاء فلهلاك وعدمه مموت ودوام الوجود محبوب وكان دوام الوجود محبوب فكأن الوجود أيضا محبوب لأن الناقص فاقد للكمال والنقص عدم بالإضافة إلى القدر المفقود وهو هلاك بالنسبة إليه والهلاك والعدم مموت في الصفات وكأن الوجود كما أنه مموت في أصل الذات ووجود صفات الكمال محبوب كما أن دوام أصل الوجود محبوب وهذه غريزة في الطباع بحكم سنة الله تعالى - ولن نجد لسنة الله تبديلا - فاذن المحبوب الأول للإنسان ذاته ثم سلامة أعضائه ثم ماله وولده وعشيرته وأصدقائه فالأعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة لأن كمال الوجود ودوام الوجود موقوف عليها والمال محبوب لأنه أيضا آله في دوام الوجود وكما له وكذا سائر الأسباب . فالإنسان يحب هذه الأشياء لأغنيائها بل لا يرتبط حظه في دوام الوجود وكما له بها حتى إنه ليحب ولده وإن كان لا يناله منه حظ بل يتحمل للشاق لأجله لأنه يخافه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نفسه نوع بقاء له فلفظ حبه لبقاء نفسه يجب بقاء من هو قائم مقامه وكأنه جزء منه لما يحجز عن الطمع في بقاء نفسه أبدا ، ثم لو خير بين قتله وقتل ولده وكان طبعه باقيا على اعتداله أثمر بقاء نفسه على بقاء ولده

(١) حديث حب إلى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء الحديث النفساني من حديث أنس دون قوله ثلاث وقد تقدم .

شيء من اللوازم  
والواجب قالوا هذا  
ما من الله وصحه حالا  
إشارة منهم إلى أن  
الحال موهبة . وقال  
بعض مشايخ خراسان  
الأحوال موارث  
الأعمال . وقال بعضهم  
الأحوال كالبروق  
فإن بقي لحدث النفس  
وهذا لا يكاد يستقيم على  
الاطلاق وإنما يكون  
ذلك في بعض الأحوال  
فإنها تسطرقت ثم تستلبها  
النفس فأما على الإطلاق  
فلا والأحوال لا تنزعج  
بالنفس كالدهرن  
لا يستخرج بالماء .  
وذهب بعضهم إلى  
أن الأحوال لا تكون

لأن قاء ولحم يشبه بقاءه من وجه وليس هو بقاءه الحق وكذلك حبه لأقارب وعشيرته يرجع إلى حبه  
لكمال نفسه فانه يرى نفسه كثيرا بهم قويا بسببهم متجسلا بكاملهم فان الشبهة والبال والأسباب  
الخارجة كالنجاح الكمال للانسان وكمال الوجود ودوامه محبوب الطبع لاهلته فاذن المحبوب الأول عند  
كل حي ذاته وكمال ذاته ودوام ذلك كله والسكره عنده ضد ذلك فهذا هو أول الأسباب السبب الثاني:  
الاحسان فان الانسان عبد الاحسان وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها وفض من أساء إليها  
وقال رسول الله ﷺ «الهم لا تجعل لئاجل على» يدا فيجبه قلبي<sup>(١)</sup> إشارة إلى أن حب القلب للحسن  
اضطرار لا استطاع دفعه وهو جيلة وفطرة لا سبيل إلى تغييرها وبهذا السبب قد حب الانسان الأجنبي  
الذي لا قرابة بينه وبينه ولا علاقة وهذا إذا حقق رجع إلى السبب الأول فان الحسن من أمد بالمال  
والمنفعة وسائر الأسباب للوصلة إلى دوام الوجود وكمال الوجود وحصول المحظوظ التي بها تبدأ الوجود  
إلا أن الفرق أن أعضاء الانسان محبوبة لأن بها كمال وجوده وهي عين الكمال المطلوب فأما المحسن  
فليس هو عين الكمال المطلوب ولكن قد يكون سببا له كالطبيب الذي يكون سببا في دوام صحة  
الأعضاء ففرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب الصحة إذ الصحة مطلوبة لذاتها  
والطبيب محبوب لا لذاته بل لأنه سبب للصحة وكذلك العلم محبوب والأستاذ محبوب ولكن العلم  
محبوب لذاته والأستاذ محبوب لكونه حبيب العلم المحبوب وكذلك الطعام والشراب محبوب والذات  
محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والذات غير محبوبة لأنها وسيلة إلى الطعام فاذن يرجع الفرق إلى  
تفاوت الرتبة والإفعل واحد يرجع إلى محبة الانسان نفسه فكل من أحب المحسن لاحسانه فمحب  
ذاته تحقيقا بل أحب إحسانه وهو فعل من أفعاله لوزال زال الحب مع بقاء ذاته تحقيقا ولو قص  
الحب ولوزاد زاد وينتقل إلى الزيادة والنقصان بحسب زيادة الاحسان ونقصانه . السبب الثالث أن  
يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته بل تكون ذاته عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي البالغ  
الذي يوثق بدوامه وذلك كحب الجمال والحسن فان كل جمال محبوب عند مدرك الجمال وذلك  
لعين الجمال لأن إدراك الجمال فيه عين اللذة واللذة محبوبة لذاتها لا لتغيرها ولا لتظن أن حب  
الصورة الجلية لا يتصور إلا لأجل قضاء الشهوة فان قضاء الشهوة لذته أخرى قد تحب الصور الجلية  
لأجلها وإدراك نفس الجمال أيضا لذته فيجوز أن يكون محبوا لذاته وكيف ينكر ذلك والحضرة  
والماء الجاري محبوب لا ليشرب الماء وتوكل الحضرة أو نال منها حظ سوى نفس الرؤية وقد  
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعبه الحضرة والماء الجاري<sup>(٢)</sup> والطباع المليحة فاضية تستلذ  
النظر إلى الأنوار والأزهار والأطيار الملحة الألوان الحسنة النقش المتناسبة التشكيل حتى إن  
الانسان لتتفرج عنه العموم والمعموم بالنظر إليها لا لطلب حظ وراء النظر فهذه الأسباب ملحة  
وكل لذية محبوب وكل حسن وجمال فلا يغفل إدراكه عن لذته ولا أحد ينكر كون الجمال محبوا  
بالطبع فان ثبت أن الله جميل كان لاهلته محبوا عنه من انكشف جماله وجلاله كما قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم «إن الله جميل يحب الجمال»<sup>(٣)</sup> .

[ الأصل الرابع في بيان معنى الحسن والجمال ] اعلم أن الملبوس في مضيق الخيالات والموسسات

(١) حديث الهم لا تجعل لئاجل لكافر على يدا فيجبه قلبي أبو منصور الديلمي في مستند القردوس من حديث  
معاذ بن جبل بسند ضعيف منقطع وقد تقدم (٢) حديث كان يعبه الحضرة والماء الجاري أبو نعيم في  
الطب النبوي من حديث ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحب أن ينظر إلى الحضرة وإلى الماء  
الجاري وإسناده ضيف (٣) حديث إن الله جميل يحب الجمال مسلم في أثناء حديث لابن مسعود.

إلا إذا دامت فأما إذا  
لم تدم فهي لوائح  
وطوالع ويوادروهي  
مقدمات الأحوال  
وليست بأحوال .  
واختلاف الشائع في أن  
البعد هل يجوز له أن  
ينتقل إلى مقام غير  
مقامه الذي هو فيه  
قبل إحكام حكم مقامه .  
قال بعضهم : لا ينبغي  
أن ينتقل عن الذي هو  
فيه دون أن يحكم حكم  
مقامه . وقال بعضهم :  
لا يكمل اللقاه الذي هو  
فيه إلا بعد ترقية إلى  
مقام فوقه فينظر من  
مقامه العالي إلى مادونه  
من اللقاه فيحكم أمر  
مقامه . والأولى أن يقال  
والله أعلم : الشخص في  
مقامه يسطي حالا من

ربما يظن أنه لا معنى للحسن والجمال إلا تناسب الخلق والشكل وحسن اللون وكون البياض مشربا بالحرارة وامتداد القامة إلى غير ذلك مما يوصف من جمال شخص الإنسان فإن الحسن الأغلب على الخلق حسن الإبرار وأكثر التفاتهم إلى صور الأشخاص فيظن أن ما ليس بمصرا ولا متخيلا ولا متشكلا ولا متولنا مقدر فلا يتصور حسنه وإذا لم يتصور حسنه لم يكن في إدراكه لثمة فلم يكن محبوبا وهذا خطأ ظاهر فإن الحسن ليس مقصورا على مدركات البصر ولا على تناسب الخلق وامتزاج البياض بالحرارة فإنا نقول هذا خطأ حسن وهذا صوت حسن وهذا فرس حسن بل هو لهذا نوب حسن وهذا إناء حسن فأى معنى لحسن الصوت والخطوسائر الأشياء إن لم يكن الحسن إلا في الصورة ومعقول أن العين تستلذ بالنظر إلى الخط الحسن والأذن تستلذ استماع النغمات الحسنة الطيبة وما من شيء من المدركات إلا وهو منقسم إلى حسن وقيبح فلهذا معنى الحسن الذى تشترك فيه هذه الأشياء فلا بد من أبحاث عنه وهذا البحث بطول ولا يلقى بلم العامة الاطباب فيه فنصرح بالحق ونقول كل شيء مجمله وحسنه في أن يحضر كاله اللائق به للممكن له فإذا كان جميع كالاته للممكن حاضرة فهو في غاية الجمال وإن كان الحاضر بضفاؤه من الحسن والجمال بقدر ما حضر فالقرس الحسن هو الذى جمع كل ما يليق بالقرس من هيئة وشكل ولون وجن عدو وتيسر كثر وفر عليه والخط الحسن كل ما جمع ما يليق بالخط من تناسب الحروف وتوازنها واستقامة ترتيبها وحسن انتظامها ولكل شيء كمال يليق به وقد يلقى بغيره منه فحسن كل شيء في كماله الذى يليق به فلا يحسن الإنسان بما يحسن به القرس ولا يحسن الخط بما يحسن به الصوت ولا تحسن الأواني بما تحسن به الثياب وكذلك سائر الأشياء . فإن قلت فهذه الأشياء وإن لم تدرك جميعها بحس البصر مثل الأصوات والطعوم فإنا لا نتفك عن إدراك الحواس لها ففى محسوسات وليس ينكر الحسن والجمال للمحسوسات ولا ينكر حصول اللذة بادرآك حسنها وإنما ينكر ذلك في غير الدرك بالحواس . فاعلم أن الحسن والجمال موجود في غير المحسوسات إذ قال هذا خلق حسن وهذا علم حسن وهذه سيرة حسنة وهذه أخلاق جميلة وإنما الأخلاق الجميلة يراد بها العلم والعقل والصفة والشجاعة والتقوى والكرم والروءوساؤها خلال الخير وسمى من هذه الصفات لا يدرك بالحواس الحسن بل يدرك بنور البصيرة الباطنة وكل هذه الخلال الجميلة محبوبة والوصوف بها محبوب بالطبع عند من عرف صفاتها وآية ذلك وأن الأمر كذلك أن الطباع محبولة على حب الأنبياء صلوات الله عليهم وعلى حب الصحابة رضى الله تعالى عنهم مع أنهم لم يشاهدوا بل على حب أبواب المذاهب مثل الشافعى وأبى حنيفة ومالك وغيرهم حتى إن الرجل قد يجاوز به حبه لصاحب مذهبه حد المشق فيحمله ذلك على أن ينفي جميع ماله في نصرة مذهبه والذب عنه ويخطر بروحه في قتال من يظن في إمامه ومتبوعه فكمن دم أريق في نصرة أبواب المذاهب وليت شعري من يحب الشافعى مثلا فلم يحبه ولم يشاهده قط صورته ولو شاهده ربما لم يستحسن صورته فاستحسناته التى حمل على إفراط الحب هو صورته الباطنة لا لصورته الظاهرة فإن صورته الظاهرة قد اقتلعت ترابا مع التراب وإنما يحبه لصفاته الباطنة من الدين والتقوى وغزارة العلم والاحاطة بمدارك الدين وانتهائه لا فائدة علم التصرع ولتشره هذه الخيرات في العالم وهذه أمور جميلة لا يدرك جمالها إلا بنور البصيرة فأما الحواس فقاصرة عنها وكذلك من يحب بابكر الصديق رضى الله عنه ويغضله على غيره أو يحب عليا رضى الله تعالى عنه ويغضله ويتعصب له فلا يحبهم إلا لاستحسان صورهم الباطنة من العلم والدين والتقوى والشجاعة والكرم وغيره فمعلوم أن من يحب الصديق رضى الله تعالى عنه مثلا ليس يحب عظمه ولحمه وجلته وأطرافه وشكله إذ كل ذلك زال وتبدل وانعدم ولكن بقي ما كان الصديق به صديقا وهي الصفات الحمودة التى هي مصادر السيرة الجميلة فكان الحب باقيا

مقامه الأعلى الذى سوف يرتقى إليه فيوجد أن ذلك الحال يستقيم أمر مقامه الذى هو فيه ويتصرف الحق فيه كذلك ولا يضاف الشيء إلى البعد أنه يرتقى أولا يرتقى فإن البعد بالأحوال يرتقى إلى المقامات والأحوال مواهب ترقى إلى المقامات التى يسترج فيها الكسب بالموهبة ولا يلوح البعد حال من مقام أعلى مما هو فيه إلا وقد قرب ترقيه إليه فلا يزال البعد يرتقى إلى المقامات بزيادة الأحوال فبلى ما ذكرناه يتضح تداخل المقامات والأحوال حتى التوبة

يقيم تلك الصفات مع زوال جميع الصور ، وتلك الصفات ترجع جميعها إلى العلم والقدرة إذا علم حقائق الأمور وقدر على حمل نفسه عليها بغير شهواته لجميع خلال الخير يشتهي على هذين الوصفين ، وهما غير مدركين بالحس ومحلهما من جملة البدن جزء لا يتجزأ فهو المحبوب بالحقيقة وليس للجزء الذي لا يتجزأ صورة وشكل ولون يظهر للبصر حتى يكون مجزأ بالأجله ، فاذن الخيال موجود في السير ولو صدرت السيرة الجلية من غير علم وبصيرة لم يوجب ذلك حبا فالمحسوب مصدر السير الجلية ، وهي الأخلاق الجيدة والفضائل الشريفة ، وترجع جميعها إلى كمال العلم والقدرة وهو محبوب بالطبع وغير مدرك بالحواس حتى إن الصبي المثل طبعه إذا أردنا أن نحسب إليه غائبا أو حاضرا حيا أو ميتا لم يكن لنا سبيل إلا بالاطناب في وصفه بالشجاعة والكرم والعلم وسائر الخصال الحميدة فهما اعتقد ذلك لم يتماثل في نفسه ولم يقدر أن لا يحبه فهل غلب حب الصحابة رضي الله تعالى عنهم وبغض أبي جهل وبغض إبليس لعنه الله إلا بالاطناب في وصف المحاسن واللقاب التي لا تدرك بالحواس بل لما وصف الناس حاتمًا بالسخاء ووصفوا خالدًا بالشجاعة أحبهم القلوب حبا ضرورياً وليس ذلك عن نظر إلى صورة محسوسة ولا عن حظ بناله الحب منهم بل إذا حكى من سيرة بعض الملوك في بعض أقطار الأرض العدل والإحسان وإفاضة الخير غلب حبه على القلوب مع اليأس من انتشار إحسانه إلى المحبين لبعد الزار ونأي العيار ، فاذن ليس حب الإنسان مقصورا على من أحسن إليه بل المحسن في نفسه محبوب وإن كان لا يتقضى قط إحسانه إلى الحب لأن كل جمال وحسن فهو محبوب والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما ، وتدرك الصور الظاهرة بالبحر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة ، فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل إليها ، ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس الظاهرة كان حبه للعلماني الباطنة أكثر من حبه للعلماني الظاهرة ففتان بين من يحب تعسا مصورا على الحائط للجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبيا من الأنبياء لجمال صورته الباطنة . السبب الخامس : للنسبة الحفية بين الحب والمحبوب ، إذ رب شخصين تتأكد المحبة بينهما لا بسبب جمال أو حظ ولكن بمجرد تآسب الأرواح كقَالَ صلى الله عليه وسلم «لما تعارف منها اتلفت وماتت كرمها اختلفت» (١) وقد حققنا ذلك في كتاب آداب الصعجة عند ذكر الحب في الله فليطلب منه لأنه أيضا من عجائب أسباب الحب ، فاذن ترجع أقسام الحب إلى خمسة أسباب ، وهو حب الإنسان وجود نفسه وكاله وبقاته وحبه من أحسن إليه فيما يرجع إلى دوام وجوده ويعين على بقائه ودفع الهلكات عنه وحبه من كان محسنا في نفسه إلى الناس وإن لم يكن محسنا إليه وحبه لكل ما هو جميل في ذاته ، سواء كان من الصور الظاهرة أو الباطنة وحبه لمن بينه وبينه منادية خفية في الباطن فواجتمعت هذه الأسباب في شخص واحد تضاعف الحب للاحالة كالأول كان للإنسان ولد جميل الصورة حسن الحاق كامل العلم حسن التدبير محسن إلى الخلق ومحسن إلى الوالد كان محبوبا للاحالة غاية الحب وتكون قوة الحب بعد اجتماع هذه الخصال بحسب قوة هذه الخلال في نفسه ، فان كانت هذه الصفات في أقصى درجات السكال كان الحب لا محالة في أعلى الدرجات ، فليبين الآن أن هذه الأسباب كلها لا يتصور كلها واجتماعها إلا في حق الله تعالى فلا يستحق المحبة بالحقيقة إلا الله سبحانه وتعالى .

ولا تعرف غضبة إلا فيها حال ومقام وفي الزهد حال ومقام وفي التوكل حال ومقام وفي الرضا حال ومقام . قال أبو عبيد الحري منذ أربعين سنة ما أقامني الله في حال فكرهته ، أشار إلى الرضا ويكون منه حالاً ثم يصير مقاما والمحبة حال ومقام ولا يزال العبد يتتوب بطروق حال التوبة حتى يتوب وطروق حال التوبة بالانزعاج أولا . قال بعضهم الزجر هيجان في القلب لا يسكنه إلا الانبياء من الغفلة فيرده إلى البقطة فإذا تيسر بصر الصواب من الخطأ .

(١) حديث لما تعارف منها اتلفت وماتت كرمها اختلفت .

( بيان أن المتحق للجنة هو الله وحده )

وأن من أحبَّ غير الله لامن حيث نسبته إلى الله انذلك لجلبه وقصوره في معرفة الله تعالى وحبه الرسول صلى الله عليه وسلم محمود لأنه عين حبِّ الله تعالى وكذلك حبِّ العلماء والأتقياء لأن محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب وعحب المحبوب محبوب وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوز به إلى غيره فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للجنة سواه . وإيضاحه بأن ترجع إلى الأسباب الخمسة التي ذكرناها ونبين أنها جتمعة في حق الله تعالى بجمليتها ولا يوجد في غيره إلا آحادها وأنها حقيقة في حق الله تعالى ووجودها في حق غيره وهم ونحوه ، وهو مجاز محض لاحقيقة له ومهما ثبت ذلك انكشف لكل ذي بصيرة ضد ما تخيله من صفات العقول والقلوب من استعالة حب الله تعالى تحقيقاً وبأن أن التحقيق يقتضي أن لا يحب أحداً غير الله تعالى . فأما السبب الأول وهو حب الإنسان نفسه وبقاءه وكأله ودوام وجوده وبضنه لهلاكه وعدمه وتقصاته وقواطع كآله فهذه جيلة كل حي ، ولا يتصور أن ينفك عنها وهذا يقتضي غاية المحبة في تعالى فان من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعا أنه لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكأله وجوده من الله وإلى الله وبالله فهو المقترب للوجد له وهو البقي له وهو الشكل لوجوده بخلاف صفات الكمال وخلق الأسباب للوصلة إليه وخلق الهداية إلى استكمال الأسباب وإلا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته بل هو محض وعدم صرفاً لا فضل الله تعالى عليه بالإيجاد وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالبقاء ، وهو ناقص بعد اوجوده لولا فضل الله عليه بالتكثير لخلقه . وبالجملة فليس في الوجود شيء له نفسه قوام إلا التوهم الحى الذى هو قائم بذاته وكل ماسواه قائم به فان أحب العارف ذاته ووجود ذاته مستفاد من غيره ، فبالضرورة يجب التمسك لوجوده وللدائم له إن عرفه خالقاً موجداً ومختزماً مبقياً وقواماً بنفسه ومقوماً لغيره فان كان لا يحبه فهو لجلبه بنفسه وربه والمحبة ثمرة المعرفة فتعدم بانعدامها وتضعف بضعفها وتقوى بقوتها ولذلك قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى من عرف ربه أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها وكيف يتصور أن يحب الإنسان نفسه ولا يحب ربه الذى به قوام نفسه ، وسعوا أن البتل بحر الشمس لما كان يجب الظل فيجب بالضرورة الأشجار التي بها قوام الظل وكل ما في الوجود بالإضافة إلى قدرة الله تعالى فهو كالظل بالإضافة إلى الشجر والنور بالإضافة إلى الشمس فان الشكل من آثار قدرته ووجود الشكل تابع لوجوده كما أن وجود النور تابع للشمس ووجود الظل تابع للشجر بل هذا مثال صحيح بالإضافة إلى أوهام العوام إذ تخيلوا أن النور أثر الشمس وقائمه بها وموجود بها وهو خطأ محض إذ انكشف لأرباب القلوب انكشافاً أظهر من مشاهدة الأبصار أن النور حاصل من قدرة الله تعالى احتراقة عند وقوع القابلة بين الشمس والأجسام الكثيفة كما أن نور الشمس ومنها وشكلها وصورتها أيضاً حاصل من قدرة الله تعالى ولكن الفرض من الأمثلة التفهيم فلا يظلم فيها الحقائق فاذن إن كان حب الإنسان نفسه ضرورياً فبغيره لمن به قوامه وأولاده وأمهاتنا في آسائه وصفاته وظاهره وباطنه وجواهره ومواعراضه أيضاً ضرورى إن عرف ذلك كذلك ومن خلعا عن هذا الحب فلا ته اشتغل بنفسه وشهواته وزهل عن ربه وخالفه فلم يعرفه حق معرفته وقصر نظره على شهواته ومحسوساته وهو عالم الشهادة الذى يشارك البهائم في التمتع به والاتساع فيه دون عالم الملكوت الذى لا يطارأ منه إلا من يقرب إلى شيء من الملكوت فينظر فيه بقدر قربته في الصفات من الملكوت ويقتصر عنه بقدر انحطاطه إلى حضيض عالم البهائم .

وقال بعضهم : الزجر ضياء في القلب يصير به خطأ تصدق الزجر في مقدمة التوبة على ثلاثة أوجه زجر من طريق السلم وزجر من طريق السفل وزجر من طريق الإيعان فينازل الثاب حال الزجر وهي موهبة من الله تعالى تخوده إلى التوبة ولا يزال بالبدن ظهور هوى النفس يحويه آثار حال التوبة والزجر حتى تستقر وتصير مقاماً وهكذا في الزهد لا يزال يتزهد بنزلة حال توبته ترك الاشتغال بالدنيا وتضيح له الإقبال عليها

وأما السبب الثاني وهو حبه من أحسن إليه فواساه بماله ولاطفه بكلامه وأمدّه بموته وانتدب  
لنصرته وقمع أعداءه وقام بدفع شرّ الأشرار عنه وانتهى وسيلة إلى جميع حظوظه وأغراضه في  
نفسه وأولاده وأقاربه فانه محبوب لاهالة عدده وهذا بيّنه يقتضى أن لا يجب إلا الله تعالى فانه  
لوعرف حق للرفقة لعم أن الحسن إليه هو الله تعالى فقط فأما أنواع إحسانه إلى كل عبده فقلت  
أعدها إذ ليس يحيط بها حصر حاصر كما قال تعالى - وإن تمدوا نعمة الله لا تحصوها - وقد  
أشرنا إلى طرف منه في كتاب الشكر ولكننا نقصر الآن على بيان أن الاحسان من الناس غير  
متصور إلا بالخيال وإنما الحسن هو الله تعالى ولنفرض ذلك فيمن أنعم عليك بجميع خزائنه وسكنك  
منها لتتصرف فيها كيف تشاء فانك تظن أن هذا الاحسان منه وهو غلط فانه إنما تم إحسانه به  
وبعاله وبقدرته على المال وبداعيته الباطنة له على صرف المال إليك فمن الذي أنعم خلقه وخلق  
ماله وخلق قدرته وخلق إرادته وداعيته ومن الذي حبك إليه وصرف وجهه إليك وألقى في نفسه  
أن صلاح دينه أودياه في الاحسان إليك ولولا كل ذلك لما أعطاك حبة من ماله ومهما سلب الله  
عليه الدوامى وقرر في نفسه أن صلاح دينه أودياه في أن يسلم إليك ماله كان مقهورا مضطرا  
في التسليم لا يستطيع مخالفته فالحسن هو الذي اضطره لك وسخره وسلط عليه الدوامى الباطنة  
المرهقة إلى القتل وأما يده فواسطة يصل بها إحسان الله إليك وصاحب اليد مضطر في ذلك اضطرار  
مجرى الماء في جريان الماء فيه فإن اعتقدته حسنا أو شكرته من حيث هو بنفسه محسن لامن  
حيث هو واسطة كنت جاهلا بحقيقة الأمر فانه لا يتصور الاحسان من الانسان إلا إلى نفسه أما  
الاحسان إلى غيره فجعل من المخلوقين لأنه لا يبدل ماله إلا ليرض له في البذل إما أجل وهو الثواب  
وإما عاجل وهو اللذة والاسترخاء أو اللذة والصيت والاشتهار بالسخا والكرم أو جذب قلوب الخلق  
إلى الطاعة والحبية وكأن الانسان لا يلقى ماله في البحر إذ لا غرض له فيه فلا يلقى في يد إنسان  
إلا ليرض له فيه وذلك الغرض هو مطلوبه ومقصده وأما أنت فقلت مقصودا بل يدك الله في القبض  
حتى يحصل غرضه من الذكر والثناء أو الشكر أو الثواب بسبب قبضك للمال فقد استسخرتك في القبض  
للتوصل إلى غرض نفسه فهو إذن محسن إلى نفسه ومعتاض عما بذله من ماله عوضا هو أرحح عنده  
من ماله ولولا رجحان ذلك الحظ عنده لما نزل عن ماله لأجلك أصلا البتة فاذن هو غير مستحق للشكر  
والحب من وجهين : أحدهما أنه مضطر بتسليط الله الدوامى عليه فلا قدرته على مخالفة فهو جبار مجرى  
خازن الأمير فانه لا يرى محسنا بتسليم خالعة الأمير إلى من خاع عليه لأنه من جهة الأمير مضطر إلى الطاعة  
والامتثال لما يرميه ولا يقدر على مخالفته ولو خلاه الأمير ونفسه لما سلم ذلك فكذلك كل محسن  
لواخلاء الله ونفسه لم يبدل حبة من ماله حتى سلب الله الدوامى عليه وألقى في نفسه أن حظه دينا  
ودنيا في بذله فبذله لذلك . والثاني أنه معتاض عما بذله حظا هو أوفى عنده وأحب مما بذله فكما  
لا يبدد البائع محسنا لأنه بذل بعض هو أحب عنده مما بذله فكذلك الواهب اعتاض الثواب  
أو الحمد والثناء أو عوضا آخر وليس من شرط العوض أن يكون عينيا متمولا بل المحظوظ كلها  
أعوان تستحق الأموال والأعيان بالإضافة إليها فلا إحسان في الجود والجود هو بذل المال من  
غير عوض وحظ يرجع إلى الباذل وذلك محال من غير الله سبحانه فهو الذي أنعم على العالمين إحسانا  
إليهم ولأجلهم لا حظ وغرض يرجع إليه فانه يتعالى عن الأغراض فانظ الجود والاحسان في حق  
غيره كذب أو مجاز ومعناه في حق غيره محال وممتنع امتناع الجمع بين السواد والبياض فهو التفرد  
بالجود والاحسان والطول والامتنان فإن كان في الطبع حب الحسن فينبى أن لا يجب العارف إلا الله

فدعو أثر حاله بدلالة  
شره النفس وحرصها  
على الدنيا ورؤية العاجلة  
حتى تتداركه العونة  
من الله الكريم فيزهد  
ويستقر زهده ويصير  
الزهد مقامه ولا تزال  
نازلة حال التوكل تفرغ  
باب قلبه حتى يتوكل  
وهكذا حال الرضا حتى  
يطمئن على الرضا ويصير  
ذلك مقامه وهما  
لطيفة وذلك أن مقام  
الرضا والتوكل يثبت  
وبحكم يقام مع وجود  
داعية الطبع ولا يحكم  
يقام حال الرضا مع  
وجود داعية الطبع  
وذلك مثل كراهة  
بجده الرضا بحكم  
الطبع ولكن عله  
يقام الرضا بقدر حكم

تعالى إذ الاحسان من غيره محال فهو المستحق لهذه المحبة وحده وأما غيره فيستحق المحبة على  
الانسان بشرط الجهول بمعنى الاحسان وحقيقته . وأما السبب الثالث وهو حبك الحسن في نفسه وإن  
لم يصل إليك إحسانه وهذا أيضا موجود في الطباع فانه إذا بلغك خبر ملك عابد عادل عالم رفيق  
بالتاس متطلف بهم متواضع لهم وهو في قطر من أنظار الأرض بعيد عنك وبلغك خبر ملك آخر  
ظالم متكبر فاسق مهتك شرير وهو أيضا بعيد عنك فانك تجد في قلبك خفة بينهما إذ تجد  
في القلب ميلا إلى الأول وهو الحب وخفة عن الثاني وهو البغض مع أنك آتس من خير الأول  
وأمن من شر الثاني لا تقطع طمأنينة عن التوصل إلى بلادهما فهذا حب الحسن من حيث إنه حسن  
فقط لا من حيث إنه حسن إليك وهذا أيضا يقتضى حب الله تعالى بل يقتضى أن لا يحب غيره أصلا  
إلا من حيث يتعلق منه بسبب فان الله هو المحسن إلى الكفاة والتفضل على جميع أصناف الخلائق  
أولا بأجسادهم وثانيا بتكليفهم بالأعضاء والأسباب التي هي من ضرورتهم وثالثا بترفيهم وتعيمهم  
بخلق الأسباب التي هي في مظان حاجتهم وإن لم تكن في مظان الضرورة وربما ينجم لهم بالمزايا  
والروائد التي هي في مظنة زينتهم وهي خارجة عن ضرورتهم وحاجاتهم ومثال الضرورى من الأعضاء  
الرأس والقلب والكبد ومثال المحتاج إليه العين واليد والرجل ومثال القوة استقواس الحاجبين  
وحمرة الشفتين وتلوذ العينين إلى غير ذلك مما لوفاة لم تنخرم به حاجة ولا ضرورة ومثال الضرورى  
من التمتع الخارجة عن بدن الانسان الساء والغذاء ومثال الحاجة الهواء والحمم والقواكه ومثال المزايا  
والروائد خضرة الأشجار وحسن أشكال الأنوار والأزهار وقلائد القواكه والأطعمة التي لا تنخرم  
بعدها حاجة ولا ضرورة وهذه الأقسام الثلاثة موجودة لكل حيوان بل لكل نبات بل لكل  
صنف من أصناف الخلق من ذروة العرش إلى منتهى الفرش فاذا هو المحسن فكيف يكون غيره  
محسنا وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته فانه خالق الحسن وخالق المحسن وخالق الاحسان  
وخالق أسباب الاحسان فالحب هذه العلة لغيره أيضا جهل محض ومن عرف ذلك لم يحب غيره  
إلا الله تعالى . وأما السبب الرابع وهو حب كل جميل لذات الجمال لاحظ ينال متورا وإدراك  
الجمال قد بينا أن ذلك مجبول في الطباع وأن الجمال ينقسم إلى جمال الصورة الظاهرة الدركة وبين  
الرأس وإلى جمال الصورة الباطنة للدركة وبين القلب ونور البصرة والأول يدركه الصبيان والبهائم  
والثاني يغتنم بدركه أرباب القلوب ولا يشاركون فيه من لا يعلم إلا ظاهرا من الحياة الدنيا وكل  
جمال فهو محبوب عند مدرك الجمال فإذ كان مدركا بالقلب فهو محبوب القلب ومثال هذا في الشاهدة  
حب الأنبياء والعلماء وذوى الكرام السنية والأخلاق للرضية فان ذلك متصور مع تنشوش صورة  
الوجه وسائر الأعضاء وهو المراد بحسن الصورة الباطنة والحس لا يدركه ، نعم يدرك بحسن آثاره  
الصادرة منه الدالة عليه حتى إذا دل القلب عليه مال القلب إليه فأعجب لمن يحب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم أو الصديق رضى الله تعالى عنه أو الشافى رحمة الله عليه فلا يحجم إلا لحسن مظهره  
منهم وليس ذلك لحسن صورهم ولا لحسن أفعالهم بل دل حسن أفعالهم على حسن الصفات التي هي  
مصدر الأفعال إذ الأفعال آثار صادرة عنها ودالة عليها فمن رأى حسن تصانيف الصنف وحسن  
شعر الشاعر بل حسن نقش النقاش وبناء البناء انكشف له من هذه الأفعال صفاتها الجميلة الباطنة  
التي يرجع حاصلها عند البحث إلى العلم والقدرة ثم كلما كان العلوم أشرف وأتم جمالا وعظمة  
كان العلم أشرف وأجل وكذا القدور كلما كان أعظم رتبة وأجل منزلة كانت القدرة عليه أجل  
رتبة وأشرف قدرا وأجل المعلومات هو الله تعالى فلا جرم أحسن العلوم وأشرفها معرفة الله تعالى

الطبع وظهور حكم  
الطبع في وجود  
الكراهية المنصورة  
بالعلم لا يخرجها عن  
مقام الرضا ولكن بفقد  
حال الرضا لأن الحال  
تجردت موهبة أحرفت  
داعية الطبع فيقال  
كيف يكون صاحب  
مقام الرضا ولا يكون  
صاحب حال فيه والحال  
مقدمة المقام والمقام  
أثبتت قول لأن المقام  
لما كان مشوبا بكسب  
العبد احتمل وجود  
الطبع فيه والحال لما  
كانت موهبة من الله  
نزعت عن مزيج الطبع  
حال الرضا أصلا ومقام  
الرضا ممكن ولا بد  
للمقامات من زائد  
الأحوال فلا مقام إلا

وكذلك ما يقاربه ويخص به فشرفه على قدر تعلقه به فاذن جمال صفات الصديقين الذين تحبهم القلوب طبعاً ترجع إلى ثلاثة أمور : أحدها علمهم بالله وملائكته وكتبه ورسله وشرائع أنبيائه . والثاني قدرتهم على إصلاح أنفسهم وإصلاح عباد الله بالإرشاد والسياسة . والثالث تزهدهم عن الرذائل والحيثات والشهوات الغالية الصارفة عن سنن الخير الجاذبة إلى طريق الشر . وبمثل هذا يحب الأنبياء والعلماء والخلفاء والملوك الذين هم أهل العدل والكرم فأُنسب هذه الصفات إلى صفات الله تعالى . أما العلم فأين علم الأولين والآخرين من علم الله تعالى الذي يحيط بالسلك إحاطة خارجة عن النهاية حتى لا يرب عنه متقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقد خاطب الحاق كلهم فقال عز وجل - وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً - بل لو اجتمع أهل الأرض والسماء على أن يحيطوا بعلمه وحكمته في فضيل خلق نملة أو بوضحة لم يعلموا على عشر عشر ذلك - ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء - والقدر اليسير الذي علمه الخلاق كلهم فبتعلمه علوه كما قال تعالى - خالق الإنسان علمه البيان - فإن كان جمال العلم وشرفه أمراً محبوباً وكان هو في نفسه زينة وكلاً للموصوف به فلا ينبغي أن يحب بهذا السبب إلا الله تعالى فعلوم العلماء جهل بالإضافة إلى علمه بل من عرف أعلم أهل زمانه وأجهل أهل زمانه استحال أن يحب بسبب العلم الأجلل ويترك الأعم وإن كان الأجلل لا يخلو عن علم ما تنافاه معيشته والتفاوت بين علم الله وبين علم الخلاق أكثر من التفاوت بين علم أعلم الخلاق وأجهلهم لأن الأعم لا يغفل الأجلل إلا بعلوم معدودة متناهية يتصور في الامكان أن ينالها الأجلل بالكسب والاجتهاد وفضل علم الله تعالى على علوم الخلاق كلهم خارج عن النهاية إذ معلوماته لا نهاية لها ومعلومات الخلق متناهية . وأما صفة القدرة فهي أيضاً كمال والعجز قص فكل كمال وبهاء وعظمة ومجد واستيلاء فانه محبوب وإدراكه لذيذ حتى إن الإنسان ليسمع في الحكاية شجاعة على وخالده رضى الله عنهما وغيرهما من الشجعان وقدرتهما واستيلائهما على الأفران فيصادف في قلبه اهتزازاً وفرحاً وإرتياحاً ضرورياً بمجرد لذة السماع فضلاً عن الشاهدة وبورث ذلك حباً في القلب ضرورياً للمتصف به فانه نوع كمال فأنسب الآن قدرة الخلق كلهم إلى قدرة الله تعالى فأعظم الأشخاص قوة وأوسعهم ملكاً وأقوام بطشاً وأقهرهم للشهوات وأقهرهم لحياث النفس وأجهمهم للقدرة على سياسة نفسه وسياسة غيره مامنتهى قدرته وإنما غايته أن يقدر على بعض صفات نفسه وعلى بعض أشخاص الانس في بعض الأمور وهو مع ذلك لا يملك لنفسه موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا ضراً ولا نفعاً بل لا يقدر على حفظ عينه من العمى ولسانه من الحرس وأذنه من الصمم وبدنه من الرض ولا يحتاج إلى عد ما يسجن عنه في نفسه وغيره بما هو على الجلمة متاع قدرته فضلاً عما لا يتعلق به قدرته من ملكوت السموات وأفلأكلها وكواكبها والأرض وحبائلها وبحارها ورياحها وصواعقها ومعادنها ونباتها وحيوانها وجميع أجزائها فلا قدرته على ذرة منها وما هو قادر عليه من نفسه وغيره فليست قدرته من نفسه ونفسه بل الله خالقه وخالق قدرته وخالق أسبابه والممكن له من ذلك ولو سلط بوضا على أعظم ملك وأقوى شخص من الحيوانات لأهلكه فليس لعبد قدرة إلا بتسكين مولاه كما قال في أعظم ملوك الأرض ذي القرنين إذ قال - إنا ممكنا له في الأرض - فلم يكن جميع ملكه وسلطته إلا بتسكين الله تعالى إياهم جزء من الأرض والأرض كلها مدبرة بالإضافة إلى أجسام العالم وجميع الولايات التي يحظى بها الناس من الأرض غير من تلك القدرة ثم تلك البقرة أيضاً من فضل الله تعالى وتسمكته فيستحيل أن يحب عبداً لله تعالى لقدرة تسمى سياسته وتسمكته واستيلائه وكال قوته ولا يحب الله تعالى لذلك ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فهو الجبار

بعد سابقة حال . ولا تفرد للمقامات دون سابقة الأحوال . وأما الأحوال فنما ما يصير مقاماً ومنها ما لا يصير مقاماً والسر فيه ما ذكرناه أن الكسب في القام ظهر والوهبة بطنت وفي الحال ظهرت للوهبة والكسب بطن فذا مكان في الأحوال الوهبة غالبية لم تنقيد وصارت الأحوال إلى ما لا نهاية لها ولطف سنى الأحوال أن يصير مقاماً ومقدورات الحق غير متناهية ومواهبه غير متناهية ولهذا قال بعضهم لو أعطيت روحانية عيسى وكلمة موسى وخلفه إبراهيم

القاهر والعلیم القادر السموات مطويات يمينه والأرض وملكتها وما عليها في قبضته وناصية جميع المخلوقات في قبضة قدرته إن أهلكتهم من عند آخرهم لم ينقص من سلطانه وملكت ذرة وإن خلق أمثالهم ألف مرة لم يمس غناؤها ولا يسه لثوب ولا تنور في اختراعها فلا قدر ولا قادر إلا هو أثر من آثار قدرته فله الجلال والبهاء والعظمة والكبرياء والقهر والاستبلاء فإن كان يتصور أن يحب قادر لكمال قدرته فلا يتحقق الحب بكمال القدرة سواء أصلا - وأما صفة التنزه عن العيون والثاقص والتقدس عن الرذائل والحائث فهو أحد موجبات الحب ومقتضيات الحسن والجمال في الصور الباطنة والأنبياء والصديقون وإن كانوا منزهيين عن العيوب والحائث فلا يتصور كمال التقديس والتنزه إلا بالواحد الحق الملك القدوس ذي الجلال والإكرام. وأما كل مخلوق فلا خلوع عن نفس وعن قافص بل كونه عاجزا مخلوقا مسخرا مشطرا هو عين العيب والنقص فالكمال لله وحده وليس لغيره كمال إلا بقدر ما أعطاه الله وأبى في القدور أن ينعم بعنهي الكمال على غيره فإن منتهى الكمال أقل درجاته أن لا يكون عبدا مسخرا لغيره فأعما بغيره وذلك محال في حق غيره فهو التفرد بالكمال التنزه عن النقص للتقدس عن العيوب وشرح وجوه التقديس والتنزه في حقه عن الثاقص بطول وهو من أسرار علوم الكشافات فلا يتناول بذكره فهذا الوصف أيضا إن كان كالا وجمالا محبوا فلانتم حقيقة إلهه وكمال غيره وتنزهه لا يكون مطلقا بل بالاضافة إلى ما هو أشد منه قصانا كما أن القوس كالا بالاضافة إلى الحمار وللإنسان كالا بالاضافة إلى القوس وأصل النقص شامل للكل وإنما يتفاوتون في درجات النقص فإذن الجليل محب والجليل المطلق هو الواحد الذي لا ند له الفرد الذي لا ند له الصمد الذي لا منازع له التقى الذي لا حاجة له القادر الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه العالم الذي لا يهرب عن علمه مثقال ذرة في السموات والأرض القاهر الذي لا يخرج عن قبضة قدرته أعناق الجبابرة ولا تغفل من سطوته وبطشه رقاب القياصرة الأزلی الذي لا أول لوجوده الأبدی الذي لا آخر لبقائه الضروري الوجود الذي لا يحوم إمكان العدم حول حضرته القيوم الذي يقوم بنفسه ويقوم كل موجود به جبار السموات والأرض خالق المجدد والحيوان والنبات للتفرد بالقدرة والجبروت للتوحد الملك والملكوت ذو الفضل والجلال والبهاء والجمال والقدرة والكمال الذي تحجير في معرفة جلالة المقول ونحس في وصفه الألسنة الذي كمال معرفة العارفين الاعتراف بالعجز عن معرفته ومنتهى نبوة الأنبياء الاقرار بالقصور عن وصفه كما قال سيد الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين «لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» (١) وقال سيد الصديقين رضي الله تعالى عنه: العجز عن درك الإدراك إدراك سبحانه من لم يعمل للمخاق طريقا إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته ، فليت شعري من يشكر إمكان حب الله تعالى تحقيا وعمله مجازا أيشكر أن هذه الأوصاف من أوصاف الجلال والحمد ونفوت الكمال والمحسن أو يشكر كون الله تعالى موصوفا بها أو يشكر كون الكمال والجلال والبهاء والعظمة محبوا بالطبع عند من أدركه سبحانه من احتجب عن بصائر العيان غيره على جماله وجلاله أن يطاع عليه إلا من سبق له منه الحسنى الذين هم عن نار الحجاب مبدون وترك الجاسرين في ظلمات العمى يتبهون وفي مسارح المحسوسات وشهوات البهائم يرددون يملكون ظاهرا من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون . فالحب بهذا السبب أقوى من الحب بالاحسان لأن الاحسان يزيد وينقص ولذلك أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام : إن أود الأوداء إلى من عبدني بغير نوال لكن ليعطى الربوبية حقا ، وفي الزبور : من أعظم ممن

(١) حديث لأحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك تقدم .

عليه السلام طلبت ما وراء ذلك لأن مواهب الله لا تنحصر وهذه أحوال الأنبياء ولا تملأ الأولياء ولكن هذه إشارة من القائل إلى دوام تطوع العبد وتطلبه وعدم قناعته بما هو فيمن أمر الحق تعالى لأن سيد الرسل صلوات الله عليه وسلامه به على عدم القناعة وفسر باب الطلب واستئزال بركة الزيد بقوله عليه السلام «كل يوم لم أزد فيه علما فلا يورك لي في صبيحة ذلك اليوم» وفي دعائه صل الله عليه وسلم «اللهم ما حضره عنه رأيي وضغف فيه

عبدى لجنة أوتار لوم أخلق جنة ولا ناراً ألم أكن أهلاً أن أطاع ، ومر عيسى عليه السلام على طائفة من المباد قد نعلوا فقالوا تخاف النار وترجو الجنة فقال لهم غفوا فغفم ونخلوا قارجوت ، ومر يقوم آخرين كذلك فقالوا تبعد جباله وتمظيلاً لجلاله فقال أتم أولياء الله خاتمكم أمرت أن أفهم وقال أبو حازم إنى لأستحي أن أعبد للثواب والعقاب فأكون كالعبد السوء إن لم يغف لم يسل ولا كالعبد السوء إن لم يسل لم يسل ، وفي الخبر لا يكون أحدكم كالعبد السوء إن لم يسل إلا أن يغف له ولا كالعبد السوء إن لم يسل إلا أن يغف له <sup>(١)</sup> وأما السبب الخامس للحب فهو التماسه والشاكلة لأن شبه الله منجذب إليه والشكل إلى الشكل أميل ، ولذلك ترى الصبي يألف الصبي والكبير يألف الكبير ويألف الطير نوعه ويغفر من غير نوعه وأنس العالم بالماء أكثر منه بالمخترق وأنس التجار بالتجار أكثر من أنسه بالذلاح ، وهذا أمر تشبه به التجربة وتشبهه الأخبار والآثار كما استقصناه في باب الأخوة في الله من كتاب آداب الصلوة فيطلب منه وإذا كانت التماسه سبب المحبة فالتماسه قد يكون في معنى ظاهر كتماسه الصبي الصبي في معنى الصاوق قد يكون خفياً حتى لا يطلع عليه كما ترى من الاتحاد الذى يتفق بين شخصين من غير ملاحظة جمال أو طمع في مال أو غيره كما أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم إذ قال «الأرواح جنود مجنونة فاستأمن منها ألتفت وماتنا كرها منها ألتفت» فالصارف هو التماسه والتناكر هو التباين وهذا السبب أيضاً يقتضى حب الله تعالى للنامية بالتمسك إلى الشبهة في الصور والأشكال بل إلى معان بالتمسك يجوز أن يذكر بعضها في الكتب وبعضها لا يجوز أن يسطر بل يترك تحت غطاء القبرة حتى يشر عليه السالكون بالطريق إذا استكملوا شرط السلوك فالذى يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التى أرفقها بالافتداء والتخلق بأخلاق الربوبية حتى قبل تخافوا بأخلاق الله وذلك في اكتساب محامد الصفات التى هي من صفات الإلهية من العلم والبر والاحسان والاعطف وإفاسة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل إلى غير ذلك من مكارم الشريعة فكل ذلك يقرب إلى الله سبحانه وتعالى لاجئى طلب القرب بالمكان بل بالصفات ، وأما ما لا يجوز أن يسطر في الكتب للنامية الخاصة التى اقتص بها آدمى فهي التى يومى إليها قوله تعالى - ويشتلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى - إذ بين أنه أمر ربانى خارج عن حد عقول الخلق وأوضح من ذلك قوله تعالى - فإذا سويته ونفخت فيه من روحي - ولذلك أسجد له ملائكته ويشير إليه قوله تعالى - إنا جعلناك خليفة في الأرض - إذ لم يستحق آدم خلافة الله تعالى إلا بملك النامية وإليه يرمز قوله صلى الله عليه وسلم «إن الله خلق آدم على صورته» <sup>(٢)</sup> حتى ظن القاصرون أن لا صورة إلا الصورة الظاهرة للذكورة بالخواص فشيروا وجسموا وصوروا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً وإليه الإشارة بقوله تعالى موسى عليه السلام «مرضت فلم تعدنى فقال يارب وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان فلم تعده ولوعده وجدعتى عنه» <sup>(٣)</sup> وهذه النامية لا تظهر إلا بالمواظبة على النوافل بعد أحكام الفرض كما قال الله تعالى «لا يزال يتقرب العبد إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت معه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ولسانه الذى ينطق به» <sup>(٤)</sup> وهذا موضع يجب قبض عنان القلب فيه فقد

عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعدته أحداً من عبادك أو خير أنت عطية أحداً من خلقك فأنارغب إليك وأسألك إياه فاعلم أن مواهب الحق لا تنحصر بالأحوال مواهب وهى متصلة بكلمات الله التى ينفذ البحر دون قادها وتنفذ أعداد الرمال دون أعدادها والله أعلم بالمعنى .

[الباب التاسع والخمسون فى الاشارات إلى القامات على الاختصار والابحاز] أخبرنا شيخنا شيخ الاسلام أبو العجب السهروردى رحمه الله قال أنا أو منصور بن

(١) حديث لا يكون أحدكم كالعبد السوء إن لم يسل إلا أن يغف له ولا كالعبد السوء إن لم يسل إلا أن يغف له (٢) حديث إن الله خلق آدم على صورته تقدم (٣) حديث قوله تعالى مرضت فلم تعدنى فقال وكيف ذلك قال مرض عبدى فلان الحديث تقدم (٤) حديث قوله تعالى لا يزال يتقرب العبد إلى بالنوافل حتى أحبه الحديث البخارى من حديث أبى هريرة وقد تقدم .

عزب الناس فيه إلى قسرين مالوا إلى التشبيه الظاهر وإلى غاين مسرفين جاوزوا وحدانية الماسية إلى الاتحاد وقالوا بالخلول حتى قال بعضهم أنا الحق وضل النصارى في عيسى عليه السلام فقالوا هو إلهه وقال آخرون منهم تدبرع الناسوت باللاهوت وقال آخرون اتحد به ، وأما الذين انكشف لهم استعالة التشبيه والتبيل واستعالة الاتحاد والخلول واتضح لهم مع ذلك حقيقة السر فهم الأقول ، ولعل أبا الحسن النوري عن هذا المقام كان ينظر إذا غلبه الوجد في قول القائل :

لأزلت أنزل من وداك منزلا تحير الأبواب عند نزوله

فلم يزل يمدو في وجده على أجمة قد قطع نصبا وبني أصوله حتى تشقت قدماءه وتورثا ومات من ذلك وهذا هو أعظم أسباب الحب وأقواها وهو أعزها وأبدها وأقلها وجودا ، فهم مدعى المعرفة من أسباب الحب وحيلة ذلك متظاهرة في حق الله تعالى تحقيقا لمجاز أو في أعلى الدرجات لأن أدناها مكان العقول القبول عند ذوى البصائر حب الله تعالى فقط كما أن العقول الممكن عند العيان حب غير الله تعالى تنظم كل من يحب من الخلق بسبب من هذه الأسباب بتصور أن يحب غير لما شرته إياهم في السبب والشركة نقصان في الحب وغض من كآله ولا ينفرد أحد بوصف محبوب إلا وقد يوجد له شريك فيه فإن لم يوجد فيمكن أن يوجد الله تعالى فإنه موصوف بهذه الصفات التي هي نهايات الجلال والكمال ولا شريك له في ذلك وجودا ولا يتصور أن يكون ذلك إمكانا فلا جرم لا يكون في حبه شركة فلا يتطرق النقصان إلى حبه كما لا يتطرق الشركة إلى صفاته فهو المستحق إذا لأدمل الحب ولو لكمال المحبة استحقاقا لا يساهم فيه أحدا .

( بيان أن أجل الذات وأعلامها معرفة الله تعالى والنظر إلى وجهه الكريم

وأنه لا يتصور أن لا يؤثر عليها لذة أخرى إلا من حرم هذه اللذة )

اعلم أن الذات ثابته للإدراكات والأحاسيس جامع لجلعة من القوى والفرأز لسل قوة وغريزة للذة ولذتها في نيلها لمقتضى طبعها الذي خلقت له فإن هذه الفرأز ما ركبت في الإنسان عينا بل ركبت كل قوة وغريزة لأمر من الأمور هو مقتضاها بالطبع فغريزة العصب خلقت للثقة والانتقام فلا جرم لذتها في القلب والانتقام الذي هو مقتضى طبعها وغريزة شهوة الطعام مثلا خلقت لتحصيل الغذاء الذي به القوام فلا جرم لذتها في نيل هذا الغذاء الذي هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الإبصار والامتاع والشم فلا تغلو غريزة من هذه الفرأز عن ألم ولذة بالإضافة إلى مدركاتها فكذلك في القلب غريزة تسمى الثور الإلهي لقوله تعالى - ألمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه - وقد تسمى العقل وقد تسمى البصيرة الباطنة وقد تسمى نور الإيمان واليقين ولا معنى للاشتغال بالأماني فإن الأطلاحات مختلفة والضعيف يظن أن الاختلاف واقع في المعاني لأن الضعيف يطلب المعاني من الألفاظ وهو عكس الواجب فالقلب مفارق لسائر أجزاء البدن بصفة به يدرك المعاني التي ليست متخيلة ولا محسوسة كما درأه خالق العالم أو افتقار إلى خالق قديم مبدع حكيم موصوف بصفات إلهية ولهم تلك الغريزة عقلا بشرط أن لا يفهم من لفظ العقل ما يدرك به طرق المجادلة والمناظرة فقد اشتهر اسم العقل بهذا ولهذا فانه بعض الصوفية والإفاصفة التي فارق الإنسان بها الهيام وبها يدرك معرفة الله تعالى أعز الصفات فلا ينبغي أن نضم وهذه الغريزة خلقت ليعلم بها حقائق الأمور كلها لمقتضى طبعها للمعرفة والعلم وهي لذتها كما أن مقتضى سائر الفرأز هو لذتها وليس ينبغي أن في العلم والمعرفة لذة حتى إن الذي ينسب إلى العلم والمعرفة ولو في شيء خسيس بفرح به والذي ينسب إلى الجهل ولو في شيء حقير يغم به وسحق إن الإنسان لا يكاد يصبر عن اتحدى بالعلم والتمسح به في الأشياء المألوفة فالعلم بالآب بالشرط نزع على خسته لا يطبق السكوت فيه عن التعاميم وينطق لسانه بذكر ما يلهو وكل ذلك لفرط لذة العلم وما يستشعره

خيرون إجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري إجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن العباس بن محمد قال أنا أبو محمد يحيى بن ساعد قال أنا الحسين بن الحسن الروزي قال أنا عبد الله ابن المبارك قال أنا الهيثم بن جميل قال أنا كثير بن سليم المدائني قال سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه قال أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل فقال يا رسول الله إني رجل ذرب اللسان وأكثر ذلك على أهل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إني أنت من الاستغفار فاني أستغفر الله

من كمال ذاته به فإن العلم من أخص صفات الربوبية وهي منتهى التكامل ولذلك يرتاح الطبع إذا انتهى عليه بالبقاء وغزارة العلم لأنه يستشعر عند سماع التناء كمال ذاته وكمال علمه فيعجب بنفسه ويلتذبه ثم ليست لهذه العلم بالحكمة والخباطة كلفة العلم بسياسة الملك وتدير أمر الحاقق ولا لهذه العلم بالبحو والأشعر كلفة العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ومليكوته السموات والأرض بل لهذه العلم بقدر شرف العلم وشرف العلم بقدر شرف العلوم حتى إن الذي يعلم بواطن أحوال الناس ونجبر بذلك بحمله لهذه وإن جهله نقاضا طبعه أن يفحص عنه فإن علم بواطن أحوال رئيس البلد وأسرار تديره في رياسته كان ذلك ألد عنده وأطيب من علمه بواطن حال فلاح أوحائك فإن أطلع على أسرار الوزير وتديره وما هو عازم عليه في أمور الوزارة فهو أشهى عنده وألذ من علمه بأسرار الرئيس فإن كان خبير بباطن أحوال الملك والسلطان الذي هو السئول على الوزير كان ذلك أطيّب عنده وألذ من علمه بباطن أسرار الوزير وكان تحسبه بذلك وحرصه عليه وعلى البحث عنه أشدّ وجهه له أكثر لأن لذته فيه أعظم فهذا استبان أن ألد العارف أشرفها وشرفها بحسب شرف العلوم فإن كان في المعلومات ما هو الأجل والأكل والأشرف والأعظم فالعلم به ألد العلوم لأحالة وأشرفها وأطيّبها وليست شعري هل في الوجود شيء أجل وأعلى وأشرف وأكمل وأعظم من خالق الأشياء كلها ومكملها ومزينا ومبدئها ومعيدها ومديرها ومرتبها وهل يتصور أن تكون حضرة في الملك والكمال والجمال والبهاء والجلال أعظم من الحضرة الربانية التي لا يحيط بجمادى جلالتها وعجائب أحوالها وصف الواسفين فإن كنت لا تشك في ذلك فلينبني أن تشك في أن الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتيب الأمور الإلهية المحيطة بكل الوجودات هو أعلى أنواع العارف والاطلاعات وألذها وأطيّبها وأشهرها وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف به كلها وجمالها وأجدر ما يعظم به القرح والارتياح والاستبشار وبها تبين أن العلم لذيذ وأن ألد العلوم العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله وتديره في مملكته من منتهى عرشه إلى تخوم الأرض فينبغي أن يعلم أن لهذه المعرفة أقوى من سائر اللذات أغنى لهذه الشهوة والغضب ولذته سائر الخواص المحس فان اللذات مختلفة بالتوابع أولا كخلفة لهذه الواقع لهذه السماع ولذته المعرفة للرياسة وهي مختلفة بالضعف والقوة كخلفة لهذه الشيق التلذذ من الجماع لهذه القاتر الشهوة وكخلفة لهذه النظر إلى الوجه الجليل الفائق الجلال لهذه النظر إلى مادونه في الجمال وإعنا عرف أقوى اللذات بأن تكون مؤثرة على غيرها فان التغييرين النظر إلى صورة جميلة والتعجب بمشاهدتها وبين استنشاق روائح طيبة إذا خاضع النظر إلى الصورة الجميلة علم أنها ألد عنده من الروائح الطيبة وكذلك إذا حضر الطعم ومفت الأكل واستمر اللاعب بالشطرنج على اللعب وترك الأكل فيعلم به أن لهذه القلبية في الشطرنج أقوى عنده من لذته الأكل فهذا معيار صادق في الكشف عن ترجيح اللذات فتعود قول: اللذات تنقسم إلى ظاهرة كلفة الخواص المحس وإلى باطنة كلفة الرياسة والقلبية والسكرامة والعلم وغيرها إذ ليست هذه للذة للعين ولا للأنف ولا للذن ولا لللس ولا للذنق والمعاني الباطنة أغلب على ذوى الكمالات من اللذات الظاهرة فلو غير الرجل بين لذته الدجاج السمين واللويزنج وبين لذته الرياسة وقهر الأعداء ونيل درجة الاسيلا ما كان كنه الخبر خسيس المهمة ميت القلب شديد التهمة اختار اللحم والحلاوة وإن كان على المهمة كامل العقل اختار الرياسة وهان عليه الجوع والصبر عن ضرورة القوت أياما كثيرة فاختاره لرياسة يدل على أنها ألد عنده من المعلومات الطيبة نعم الناقص الذي لم تكمل معانيه الباطنة بعد كالصبي أو كالذي مات قوله الباطنة كالمتنوء لا يبعد أن يؤثر لهذه المعلومات على لذته الرياسة وكما أن لذته الرياسة والسكرامة أغلب اللذات على من جاوز نقصان الصا والمنة فلهذا معرفة الله تعالى ومطالعة جمال حضرة الربوبية والنظر إلى

في اليوم واليلة  
مائة مرة» وروى  
أبو هريرة رضي الله عنه  
في حديث آخر «فاني  
لأستغفر الله وأتوب  
إليه في كل يوم مائة  
مرة» وروى أبو هريرة  
قال قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم «إنه  
ليغان على قلبي فأستغفر  
الله في اليوم مائة مرة»  
وقال الله تعالى - وتوبوا  
إلى الله جميعا أيه  
للمؤمنون للملك  
تخلعون - وقال الله  
عز وجل - إن الله يحب  
التوابين - وقال الله  
تعالى - يا أيها الذين  
آمنوا توبوا إلى الله  
نوبة نصوحا - النوبة  
أصل كل مقام وقوام  
كل مقام ومفتاح كل

أسرار الأمور الالهية أنه من الرياسة التي هي أعلى الذات الغالبة على الخلق وغاية العبادة عنه أن يقال - فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين - وأنه أعد لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهذا الآن لا يعرفه إلا من ذاق اللذتين جميعا فإنه لا محالة يؤثر البنل والتفرد والعكس والذكر وينقسم في بحار المعرفة ويترك الرياسة ويستقر الخلق الذين يرأسهم الله بفناء رياسته وفناء من عليه رياسته وكونه مشوبا بالسكودرات التي لا يتصور الخلو عنها وكونه مقطوعا بالوث التي لا يدمن إتيانه معها أخذت الأرض زخرفا وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها فاستعظم بالاضافة إليها لذة معرفة الله ومطالمة صفاته وأعماله ونظام مملكته من أعلى عليين إلى أسفل السافلين فانها خالية عن الزاحات والسكدرات متسعة للمتواردين عليها لا تضيق عنهم بكبرها وإنما عرضها من حيث التدبير السموات والأرض وإذا خرج النظر عن القدرات فلا نهاية لمرضاها فلا يزال العارف بطالمتها في جنة عرضها السموات والأرض يرتع في رياضها ويقطف من ثمارها ويكرع من حياضها وهو آمن من انقطاعها إذ تمار هذه الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعة ثم هي أبدية سرمدية لا يطمها الموت إذ الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى وعلمها الروح الذي هو أمر رباني معاوي وإيمالات يترأخوها ويقطع شواغلها وعوائقها ويغلبها من حبسها فأما أن يعدمها فلا ولا يحبب الله من يتلو في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم - الآية - ولا تظن أن هذا مخصوص بالمتقون في الحركة فإن العارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفي الخبر « إن الشهيد ينشئ في الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وإن الشهداء يمتعون لو كانوا علماء لما يؤمنون علو درجة العلماء<sup>(١)</sup> » فإذا ن جميع أقطار مملكات السموات والأرض ميدان العارف يتبوأ منه حيث يشاء من غير حاجة إلى أن يتحرك إليها بجسمه وبشخصه فهو من مطالمة جمال الملكوت في جنة عرضها السموات والأرض وكل عارف فله من مملاتها من غير أن يضيق بعضهم على بعض أصلا إلا أنهم يتفاوتون في سعة منزلاتهم بقدر تفاوتهم في اتساع نظرم وسعة معارفهم وهم درجات عند الله ولا يدخل في الحشر تفاوت درجاتهم فقد ظهر أن لذة الرياسة وهي باطنة أقوى في ذوى الكمال من لذات الحواس كلها وأن هذه اللذة لا تكون لبيعة ولا لصي ولا لموت ولا لله وأن لذة المحسوسات والشهوات تكون لذوى الكمال مع لذة الرياسة ولكن يؤثرون الرياسة فأمامهم كون معرفة الله وصفاته وأفعاله ومملكوت سمواته وأسرار مملكته أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بعرفته من النورية العرفية ذاتها ولا يمكن إثبات ذلك عند من لا قلب له لأن القلب مدمن هذه القوة كما أنه لا يمكن إثبات رجحان لذة الواقع على لذة القلب بالصولجان عند الصبيان ولا رجحان على لذة شم البندنج عند العنبر لأنه قد الصفة التي بها تدرك هذه اللذة ولكن من سلم من آفة العنة وسلم حاسة شمه أدرك التفاوت بين اللذتين وعند هذا لا يبقى إلا أن يقال من ذاق عرف ولعمري طلاب العلوم وإن لم يشتغلوا بطلب معرفة الأمور الإلهية قد استنشقوا رائحة هذه اللذة عند انكشاف الشكليات وانحلال الشبهات التي قوى حرصهم على طلبها فانها أيضا معارف وعلوم وإن كانت معلوماتها غير شريفة شرف للمعلومات الإلهية فأما من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشيء البير فإنه صادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به ويتعجب من نفسه في ثباته واحتياله قوة فرحه وسروره وهذا مما لا يدرك إلا بالدوق والحكاية فليقلل الجدوى فهذا

(١) حديث إن الشهيد ينشئ في الآخرة أن يرد إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى الحديث متفق عليه من حديث أنس وقد تقدم وليس فيه وإن الشهداء يمتعون أن يكونوا علماء الحديث .

حال وهي أول اللقائات وهي بمثابة الأرض للبناء لمن لا أرض له لا بناء له ومن لا توبة له لا حال له ولا مقام له وإنى يبلغ على وقد رسمى وجهه واعتبرت اللقائات والأحوال ومخترها فقرأتها بجميعها ثلاثة أشياء بمد صفة الإيمان وعقوده وشروطه فصارت مع الإيمان أربعة ثم رأيتها في إفادة الولادة العنوية الحقيقية بتثابة الطابع الأربع التي جعلها الله تعالى بأجراء سنته مفيدة للولادة الطبيعية ومن تحقق بحقائق هذه الأربع ليح مملكات السموات

القدر ينهك على أن معرفة الله سبحانه الله الأشياء وأنه لائق فوقها ولهذا قال أبو سليمان الداراني إن لله عبادا ليس يشغلهم عن الله خوف النار ولا رجاء الجنة فكيف تشغلهم الدنيا عن الله ولذلك قال بعض إخوان معروف الكرخي له أخبرني بأبأ محظوظ أي شيء أهلك إلى العباد ولا تقطاع عن الخلق فكنت فقال ذكر الموت فقال وأي شيء الموت فقال ذكر القبر والبرزخ فقال وأي شيء القبر فقال خوف النار ورجاء الجنة قال وأي شيء هذا إن ملكا هذا كله يده إن أحبته أنساك جميع ذلك وإن كانت بينك وبينه معرفة فكذلك جميع هذا . وفي أخبار عيسى عليه السلام : إذا رأيت الفق مشغوبا بطلب الرب تعالى قد لئله ذلك مما سواه ورأى بعض الشيوخ بشر بن الحرث في النوم فقال ما فعل أبو نصر النخعي وعبد الوهاب الوراق فقال تركتهما الساعة بين يدي الله تعالى يا كلان وبشر بن قتات قال علم الله قلة رغبتني في الأمكنة والشرب فأعطاني النظر إليه وعن علي بن الرافعي قال رأيت في النوم كأنني أدخلت الجنة فرأيت رجلا قاعدا على مائدة وملك من عن يمينه وشماله بلقمان من جميع الطيبت وهو يأكل ورأيت رجلا قائما على باب الجنة يتصفح وجوه الناس فيدخل بضاً ويرد بعضاً قال ثم جاوزتهما إلى حظيرة القدس فرأيت في سرادق العرش رجلا قد شخص بصره بنظر إلى الله تعالى لا يظرف فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوف من نار ولا شوق إلى جنته بل حباله فأناحه النظر إليه إلى يوم القيامة . وذكر أن الآخرين بشر بن الحرث وأحمد بن حنبل ولذلك قال أبو سليمان : من كان ليوم مشغولا بنفسه فهو غدا مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولا بربه فهو غدا مشغول بربه . وقال الثوري لأبية ماحقية إيمانك قالت ما عبدته خوفا من نار ولا لاجل الجنة فأكون كالأجير السوء . بل عبدته حباله وشوقا إليه ، وقالت في معنى المحبة نظما :

أحبك حبيب حب المحوى وحبا لأنك أهل قدا  
فأما الذي هو حب المحوى فتشلى بكرك عن سواكا  
وأما الذي أنت أهل له فكشفك لي المحب حتى أراكا  
فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد ذاوذاكا

ولعلها أرادت بحب المحوى حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها عموما وظنوا محبة لها وأهل له الحب محاله وجلاله الذي انكشف لها وهو أعلى الحبين وأقوامها واندمت لجمال الربوي بقي التي عبر عنها رسول الله ﷺ حيث قال حاكيا عن ربه تعالى « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا ذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » (١) وقد تعجل بعض هذه الآيات في الدنيا إلى أن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية ولذلك قال بعضهم إنى أقول يارب يا الله فأجد ذلك على قلبي أقبل من الجبال لأن النداء يكون من وراء حجاب وهل رأيت جليسا يتأذى جليسه وقال إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالمجارة أي يخرج كلامه عن حد عوهم فيرون مائة قوله جنونا أو كفرا لقصص العارفين كلامهم وصله وقاؤه فقط فهي قرة العين التي لا تعلم نفس ما أخفى لهم من رزاق وإذا حصلت ما تحققت لهم وموموا بالشهوات كلها وصار القلب مستغرقا بنعيمها فلو أتى في النار لم يحس بها لاستغراقه ولو عرض عليه نعيم الجنة لم يلتفت إليه لسكران نعيمه وبلوغه الغاية التي ليس فوقها غاية وليت شعري من لم يفهم إلا حب الحسوس كيف يؤمن بلذة النظر إلى وجه الله تعالى وماله صورة ولا شكل وأي معنى لوعده تعالى به عبادوه ذكره أنه أعظم النعم بل من عرف الله عرف أن اللذات للفرقة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي تحت هذه اللذة كما قال بعضهم :

(١) حديث قال صلى الله عليه وسلم حاكيا عن ربه تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت الحديث البخاري من حديث أبي هريرة .

ويكشف بالقدر والآيات ويصح له ذوق وفهم لكلمات الله تعالى للزلات ويحظى بجميع الأحوال والنفائات فكيفها من هذه الأربع ظهرت وبها نيات وتأكدت فأحد الثلاث بعد الإيمان التوبة النصوح والثاني الزهد في الدنيا والثالث تحقيق مقام العبودية بدوام العمل لله تعالى ظاهرا وباطنا من الأعمال القلبية والقالية من غير ذور وقصور ثم يستعان على إتمام هذه الأربعة بأربعة أخرى بها تمامها وقوامها وهي

كانت لقي أهواء مفرقة فاستجمعت مذ رأته العين أهواى  
فصار يحدنى من كنت أحسده وصرت مولى الورى مذ صرت مولائى  
تركتم الناس دينام ودينهم شغلا بذكرك يادى ودينائى  
ولذلك قال بعضهم : وهجره أعظم من ناره ووصله أطيب من جته

وما أرادوا بهذا إلا إشاراً لذة القلب في معرفة الله تعالى على لذة الأكل والشرب والتكاح فان  
الجنة معدن تمتع الحواس . فأما القلب فقلته في لقاء الله فقط ومثال أطوار الخلق في لذتهم ما نذكره  
وهو أن الصبي في أول حركته وتعبه يظهر فيه غريزة بها يستلذ اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده  
آفة من سائر الأشياء ثم يظهر بعده لذة الزينة ولبس الثياب وركوب الدواب فيستحضر معها لذة  
اللعب ثم يظهر بعده لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها في الوصول إليها ثم تظهر لذة  
الرياسة والعلو والتكاثر وهي آخر لذات الدنيا وأعلاها وأقواها كما قال تعالى - اعلموا أنما الحياة  
الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر - الآية ثم بعد هذا تظهر غريزة أخرى يدرك بها  
لذة معرفة الله تعالى ومعرفة أهواله فيستحضر معها جميع ما قبلها فكل متأخر فهو أقوى وهذا هو  
الآخير إذ يظهر حب اللعب في سن التمييز وحب النساء والزينة في سن البلوغ وحب الرياسة بعد  
العشرين وحب العلوم بقرب الأربعين وهي الغاية العليا وكما أن الصبي يضحك على من يترك اللعب  
ويشتغل بلعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون على من يترك الرياسة  
ويشتغل بمعرفة الله تعالى . والعارفون يقولون - إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون  
فسوف تعلمون - .

( بيان السبب في زيادة النظر في لذة الآخرة على المعرفة في الدنيا )

اعلم أن للدرجات تنقسم إلى ما يدخل في الخيال كالصور والتخيلة والأجسام الثلاثة والتشكيلة من  
أشخاص الحيوان والنبات وإلى ما لا يدخل في الخيال كذات الله تعالى وكل ما ليس بحس كالماء والقدر  
والأرادة وغيرها ومن رأى إنساناً ثم غص بصره وجد صورته حاضرة في خياله كأنه ينظر إليها  
واسكن إذا فتح العين وأبصر أدرك غرقة بينهما ولا ترجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين  
لأن الصورة للرؤية تكون مواهقة للتخيلة وإنما الانتراق بعزدي الوضوح والكشف فان صورة  
الرئي صارت بالرؤية أتم انكشافاً ووضوحاً وهو كشيء يرى في وقت الاسفار قبل انكشافه  
النهار ثم رؤى عند تمام الضوء فانه لا تفرق إحدى الحالتين الأخرى إلا في مزيد الانكشاف فاذا  
الخيال أول الادراك والرؤية هو الاستكمال لادراك الخيال وهو غاية الانكشاف ومضى ذلك رؤى بل لأنه  
غاية الانكشاف لأنه في الدين بل لو خلق الله هذا الادراك الكامل للكشف في الجهة أو المصدر  
مثلاً استحق أن يسمى رؤية وإذا فهمت هذا في التخيلات فاعلم أن المعلومات التي لا تتشكل أيضاً  
في الخيال لمعرفتها وإدراكها درجتان : إحداهما أولى والثانية استكمال لها وبين الأولى والثانية من  
التفاوت في مزيد الكشف والابضاح ما بين التخيل والرئي فيسمى الثان أيضاً بالامتزاج إلى الأول  
مشاهدة واقعا ورؤية وهذه التسمية حق لأن الرؤية سميت رؤية لأنها غاية الكشف وكما أن سنة  
الله تعالى جارية بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجاباً بين البصر  
والرئي ، ولا بد من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية وما لم ترتفع كان الادراك الحاصل مجرد التخيل  
فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس مادامت محبوبة سوارس البدن ومقتضى الشهوات

قلة الكلام وقلة الطعام  
وقلة المنام والاعتزال  
عن الناس . وانفق  
الماء الزاهدون  
والشايخ على أن هذه  
الأربع بها تستقر  
القناعات وتستقيم  
الأحوال وبها صار  
الأبدان أبدلاً بتأيد  
الله تعالى وحسن  
توفيقه وتبين بالبيان  
الواضح أن سائر  
القناعات تدرج في  
صحة هذه ومن ظفر  
بها قد ظفر بالقناعات  
كلها أولها بعد الإيمان  
التوبة وهي في مبدأ  
صحتها تنظر إلى أحوال  
وإذا صحت تشتمل  
على مقامات وأحوال  
ولا بد في ابتدائها  
من وجود زاجر

وما غلب عليها من الصفات البشرية فانها لا تنتهي إلى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال بل هذه الحجة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصار والقول في سبب كونها حجاباً بطول ولا يليق بهذا العلم ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام - لن تراني - وقال تعالى - لا تدركه الأبصار - أي في الدنيا ، والصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة العراج (١) . فاذا ارتفع الحجاب بالوحي بقيت النفس ملوثة بكدورات الدنيا غير منفكة عنها بالسكينة وإن كانت متفاوتة فمنها ما تراكم عليه الحبث والصدأ فصار كالرآة التي فسد بطول تراكم الحبث جوهرها فلا تقبل الإصلاح والتصفيل وهؤلاء هم المهجوبون عن ربهم أبد الآباد نعوذ بالله من ذلك . ومنها ما لم يفته إلى حد الرين والطبع ولم يخرج عن قبول التزكية والتصفيل فيعرض على النار عرضاً يجمع منه الحبث الذي هو متدنس به ويكون العرض على النار بقدر الحاجة إلى التزكية وأقلها لحظة خفيفة وأقصاها في حق المؤمنين كأوردت به الأخبار سبعة آلاف سنة (٢) ولن ترتحل نفس عن هذا العالم إلا وبصحبها غيرة وكدورة ما وإن قلت . ولذلك قال الله تعالى - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً ثم تجي الذين انتابوا ونذر الطالمين فيها جثياً - فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها فإذا أكل الله تطهيرها وتركبتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به التبرع من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه فانه واقع بعد اقامة ووقت القيامة مجهول فعند ذلك يشتغل بصفائه وبقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غيرة ولا قرة لأن فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى فيتجلى له تجلياً يكون انكشاف تجليه بالإضافة إلى ماعلمه كانكشاف تجلي للرآة بالإضافة إلى ما تجليه ، وهذه الشهادة والتجلي هي التي تسمى رؤية ، فادن الرؤية حق بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصور مخصوص بحجة . ومكان فان ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علواً كبيراً بل كما عرفته في الدنيا معرفة حفيظة ناعمة من غير تخيل ونصور وتقدير شكل وصورة فتراه في الآخرة كذلك ، بل أقول المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تتشكل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتتقلب ومشاهدة ، ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة ، والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح كما ضرنا من المثال في استكمال الخيال بالرؤية ، فإذا لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهة فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيتها في الوضوح إلى غاية

ووجدان الزاجر حال لأنه موهبة من الله تعالى على ما تقرر أن الأحوال مواهب وحال الزجر مفتاح التوبة ومبدؤها . قال رجل لبشر الحافي مالي أراك مهموماً . قال لأنني ضالٌّ ومطلوب ظللت الطريق والقصد وأنا مطلوب به ، ولو تبينت كيف الطريق إلى القصد لطلبت ولكن سنة الغفلة أدركتني وإليس لي منها خلاص إلا أن أزجر فأزجر . وقال الأصمعي : رأيت أعراباً بالبصرة يشككيغيه وهما يسيل منها المساء فقاتلها

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم ما رأى الله تعالى ليلة العراج على الصحيح هذا الذي صححه المصنف هو قول عائشة في الصحيحين أنها قالت من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب . ولمسلم من حديث أبي ذر سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال نور أتى أراه وذهب ابن عباس وأكثر العلماء إلى إثبات رؤيته له وعائشة لم ترو ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحديث أبي ذر قال فيه أحمد ما زلت له منكراً . وقال ابن خزيمة في القلب من صحة إسناده شيء مع أن في رواية لأحمد في حديث أبي ذر رأته نوراً إلى أراه ورجال إسناده رجال الصحيح (٢) حديث إن أقصى الملك في النار في حق المؤمنين سبعة آلاف سنة الترمذي الحكيم في نوادر الأصول من حديث أبي هريرة إنما الشفاعة يوم القيامة لمن عمل الكبائر من أمي الحديث وفيه وأطولهم مكثاً فيها مثل الدنيا من يوم خلقت إلى يوم القيامة وذلك سبعة آلاف سنة وإسناده ضعيف .

الكشف أيضا جهة وصورة لأنها ببينها لا تترك منها إلا في زيادة الكشف كأن الصورة المرئية هي التخييل ببينها إلا في زيادة الكشف وإليه الإشارة بقوله تعالى - يسمي نورهم بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا - إذ تمام النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف ولهذا لا يجوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفين في الدنيا لأن المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب التواة شجرة والمحبة زرعاً ومن لا تواة في أرضه كيف يحصل له نخل ومن لم يزرع المحبة فكيف يحصل له زرع فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة ولما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضا على درجات متفاوتة باختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف باختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذر إذ تختلف لهالة بكتريتها وقلتها وحسنها وقوتها وضعفها ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام وإن الله يتجلى للناس عامة ولأني بكم خاصة (١) فلا ينبغي أن يظن أن غير أبي بكر ممن هو دونه يجد من لغة النظر والشاهدة ما يجد أبو بكر بل لا يجد إلا عشرة عشره إن كانت معرفته في الدنيا عشرة عشره ولما فصل الناس بسر وقرى صدره فضل لهالة بتجلّي اشهد به وكانك ترى في الدنيا من يؤثر في الرياسة على الطعوم والتسكوك وترى من يؤثر في لغة العلم وانكشف مشكلات ملكوت السموات والأرض وسائر الأمور الإلهية على الرياسة وعلى التسكوك والطعوم والشروب جميعا فكذلك يكون في الآخرة قوم يؤثرون في لغة النظر إلى وجه الله تعالى على نعيم الجنة إذ يرجع نعيمهم إلى الطعوم والتسكوك وهؤلاء بينهم هم الذين حالم في الدنيا ما وصفنا من إشارته في لغة العلم والمعرفة والاطلاع على أسرار الربوبية على لغة التسكوك والطعوم والشروب وسائر الخلق مشغولون به ولذلك لما قيل لرياسة ما قولين في الجنة قالت الجارئة المداق فبينت أنه ليس في قلبها التفات إلى الجنة بل إلى رب الجنة وكل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة وكل من لم يجد لغة المعرفة في الدنيا فلا يجد لغة النظر في الآخرة إذ ليس يستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا ولا يحصل أحد إلا ما زرع ولا يحصل لآخر إلا على ما مات عليه ولا يموت إلا على ما عاش عليه فإصحبه من المعرفة هو الذي يقدم به بعينه فقط لأنه ينقلب مشاهدة بكشف الطعوم فتضاعف اللغة به كما تضاعف لغة العاشق إذا استبدل خيال صورة المعشوق برؤية صورته فإن ذلك منهى لذته وإنما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهي فن لا يشتهي إلا لقاء الله تعالى فلا تلة له في غيره بل ربما تأذى به فإذا نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته فأصل السعادات هي المعرفة التي عبر التسرع عنها بالإيمان. فإن كانت فلة الرؤية إن كان لها نسبة إلى لغة المعرفة فهي قليلة وإن كان أضعافها لأن لغة المعرفة في الدنيا ضعيفة فتضاعفها إلى حد قريب لا ينتهي في القوة إلى أن يستحق سائر لذات الجنة فيها. فاعلم أن هذا الاستحقاق لغة المعرفة مصدر من الخلق عن المعرفة فن خلا عن المعرفة كيف يدرك لذتها وإن انطوى على معرفة فتعريفه قلبه مشحون بملائق الدنيا فكيف يدرك لذتها فلما عرفت في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلا عنها لم يستبدلوا بها لغة الجنة ثم هذه اللغة مع كمالها لا نسبة لها أصلا إلى لغة الإقواء والشاهدة كمالا لنسبة لغة الخيال للمعشوق إلى رؤيته ولغة الاستنشاق روائح الأطعمة الشبيهة إلى ذوقها ولغة اللبس بالبدن إلى لغة الواقع وإظهار عظم التفاوت بينهما لا يمكن إلا بضرب مثال فتقول

(١) حديث إن الله يتجلى للناس عامة ولأني بكم خاصة ابن عدى من حديث جابر . وقال باطل بهذا الإسناد وفي الميزان للنهي أن لدار قطفي رواء عن الهاملي عن علي بن عبيدة وقال الدار قطن إن علي بن عبيدة كان يضع الحديث ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق وابن الجوزي في الموضوعات من حديث جابر وأبي بردة وعائشة .

تسبح عنيك فقال لا لأن الطبيب زجرني ولا خير فيمن لا يزجر فالزاجر في الباطن حال بهما الله تعالى ولا بد من وجودها للكتاب ثم بعد الزجاء يجد العبد حال الانتباه. قال بعضهم: من لزم مطالعة الطوارق انتبه. وقال أبو يزيد: علامة الانتباه خمس إذا كرر نفسه اتقى وإذا كرر ذنبه استغفر وإذا ذكر الدنيا انتبه وإذا ذكر الآخرة استبشر وإذا ذكر المولى اتشعر . وقال بعضهم: الانتباه أوائل دلالات الخير إذا انتبه العبد من رقدة غفلته أداه ذلك الانتباه إلى

قوة النظر إلى وجه المشوق في الدنيا تتفاوت بأسباب أحدها كمال جمال المشوق ونقصاها فان الذقة النظر إلى الأجل أكل لأعماله . والثاني كمال قوة الحب والشهوة والعشق فليس التذائق من اشتد عشقه كالتمناذ من خفت شهيته وحبه . والثالث كمال الادراك فليس التذائق رؤية المشوق في ظلمة أو من وراء ستر رقيق أو من بعد كالتذائق بإدراكه على قرب من غير ستر وعند كمال الضوء ولا إدراكه للضاغمة مع ثوب حائل كإدراكها مع التجرد . والرابع انقطاع العوائق للشهوة والآلام الشاغلة للقلب فليس التذائق الصحيح الفارغ للتجرد للنظر إلى المشوق كالتمناذ الخاطف للدعور أو الرضا التأم أو للشغول قلبه بهم من الهمام تقدر عاشقا ضعيف العشق ينظر إلى وجهه مشوقه من وراء ستر رقيق على بعد بحيث يمنع انكشاف كنه صورته في حلة اجتمع عليه عقارب وزناير تؤذي بمرئيه وتشتت قلبه فهو في هذه الحالة لا يغلو عن لقته مامن مشاهدته مشوقه فلو طرأت على التبعاة حالة اهتكت بها الستر وأشرق بها الضوء واندفعت عنه اللؤذيات ونقي سلها فارغا وهجعت عليه الشهوة القوية والعشق القوي حتى بلغ أقصى النيات فانظر كيف تتضاعف القوة حتى لا يبقى للأولى إليها نسبة يتدبها فكذلك فاهم نسبة لقته النظر إلى لقته المعرفة فالستر الرقيق مثال البدن والاهتغال به والعقارب والزناير مثال الشهوات للتسلطة على الانسان من الجوع والعطش والتضيق والهم والحزن وضيق الشهوة والحب مثال قصور النفس في الدنيا ونقصاتها عن الشوق إلى اللأولى والتفتاتها إلى أسفل السافلين وهو مثل قصور السبي عن ملاحظة لقته والاسوة والتفاتة إلى العيب والصغور والعارف وإن قوت في الدنيا معرفته فلا يغلو عن هذه الشغلات ولا يتصور أن يغلو عنها البتة نعم قد تصنف هذه العوائق في بعض الأحوال ولا تدوم فلا جرم يلوح من جمال المعرفة ما يهت به العقل وتعظم لذته بحيث يكاد القلب ينظر لعظمته ولكن يكون ذلك كالبرق الخاطف وقتا بدوم بل يمرض من الشواغل والأفكار والحواطر ما يشوشه وينصمه وهذه ضرورة دائمة في هذه الحياة القانية فلا تزال هذه القوة منصبة إلى اللوت وإنما الحياة الطيبة بعد اللوت وإنما العيش عيش الآخرة - وإن الدار الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون - وكل من اتسبى إلى هذه الرتبة فانه يحب لقاء الله تعالى فيجب اللوت ولا يكرهه إلا من حيث ينتظر زيادة استكمال في المعرفة فان المعرفة كالبلد وهو المعرفة لا ساحل له فلا حيلة بكنهه جلال الله محال فكما كثرت المعرفة بالله وصفاته وأفعاله وبأسرها ومملكته وقوت كثرة التمتع في الآخرة وعظم كماله كما كثرت البذر وحسن كثر الزرع وحسن ولا يمكن تحصيل هذا البلد إلا في الدنيا ولا يزرع إلا في صعيد القلب ولا حصاد إلا في الآخرة ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله (١) لأن المعرفة إنما تتكامل وتتسع في العمر الطويل بدوام التذكر والمواظبة على المجاهدة والانتظام عن علائق الدنيا والتجرد لطلب ويستدعى ذلك زمانا لا محالة فمن أحب الموت أحب الله لأنه رأى نفسه واقفا في المعرفة بالنقا إلى منتهى ما يسره ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل مزيد معرفة تحصل له بطول العمر ورأى نفسه مقصرا عما تحمله قوته لو عمر فهذا سبب كراهة الموت وحبّه عند أهل المعرفة . وأما سائر الخلق فنظروهم مقصور على شهوات الدنيا وإن است

التيقظ فإذا تيقظ  
أكرمه تيقظه الطاب  
طريق الرشد فيطلب  
وإذا طلب عرف  
أنه على غير سبيل الحق  
فيطلب الحق ويرجع  
إلى باب توبته ثم يسقى  
بإتيانه حال التيقظ.  
قال فارس : أوفى  
الأحوال التيقظ  
والاعتبار . وقيل :  
التيقظ تبيان خط  
السلك بعد مشاهدة  
سبيل النجاة . وقيل :  
إذا صحت اليقظة كان  
صاحبها في أواسل  
طريق النوبة . وقيل :  
اليقظة خردة من  
جهة الولي لتلاوب  
الحافضين تعلم على  
طلب التوبة فإذا تمت

(١) حديث أفضل السعادات طول العمر في طاعة الله إبراهيم الحربي في كتاب ذكر الموت من رواية ابن أبي عمير عن ابن الهادي عن المطلب عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال السعادة طول العمر في طاعة الله والله المطلب عبد الله بن حوطب مختلف في محبة وأحمد من حديث جابر إن من سعادة المرء أن يطول عمره ويرزقه الله الأمانة والتمددى من حديث أبي بكره أن رجلا قال يا رسول الله أي الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قال هذا حديث حسن صحيح وقد تقدم.

أحبوا البقاء وإن ضاقت نَحْمُوا الموت وكل ذلك حرمان وخسران معدره الجهل والغفلة فالجهل والغفلة مفرس كل شقاوة والعلم والمعرفة أساس كل سعادة فقد عرفت بما ذكرناه معنى الحب ومعنى العشق فإنه المحبة المفرطة القوية ومعنى لغة المعرفة ومعنى الرؤية ومعنى لغة الرؤية ومعنى كونها أقدم سائر الصفات عند ذوى العقول والكمال وإن لم تكن كذلك عند ذوى النقصان كما لا يمكن الرياسة الله من اللطومات عند الصبيان . فإن قلت فهذه الرؤية محلها القلب أو العين في الآخرة . فاعلم أن الناس قد اختلفوا في ذلك وأرباب البصائر لا يلتفتون إلى هذا الخلاف ولا ينظرون فيه بل العاقل يأكل البقل ولا يسأل عن البقلة ومن يشتهي رؤية معشوقه يشغله عشقه عن أن يلتفت إلى أن رؤيته تخفق في عينه أو في جيبته بل يقصد الرؤية ولذتها سواء كان ذلك بالعين أو غيرها فإن العين محل وظرف لا ينظر إليه ولا حكم له والحق فيه أن القدرة الأزلية واسعة فلا يجوز أن نحكم عليها بالتصور عن أحد الأمرين ، هذا في حكم الجواز ، فأما الواقع في الآخرة من الجائزين فلا يدرك إلا بالنسج<sup>(١)</sup> والحق ما ظهر لأهل السنة والجماعة من شواهد الشرع أن ذلك يخلق في العين ليكون لفظ الرؤية والنظر وسائر الألفاظ الواردة في الشرع مجرى على ظاهرها إذ لا يجوز إزالة الظواهر بالضرورة والله تعالى أعلم.

( بيان الأسباب القوية لحب الله تعالى )

اعلم أن أسعد الخلق حالا في الآخرة أقوام حبا لله تعالى فإن الآخرة تمنعها التقديم على الله تعالى ودرك سعادته وما أعظم نعيم الحب إذا قدم على محبوه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدته أبداً الآباد من غير منقصة ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع إلا أن هذا النعم على قدر قوة الحب فكما ازدادت المحبة ازدادت اللذة وإنما يكتب البسبب حب الله تعالى في الدنيا وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة وأما قوة الحب واستيلاؤه حتى يتهى إلى الاستهتار الذي يسمى عشقا فذلك ينفك عنه الأكرهون وإنما يحصل ذلك بسببين : أحدهما قطع علائق الدنيا وإخراج حب غير الله من القلب فإن القلب مثل الإناء الذي لا يتسع للخل متلما لم يخرج منه الماء . ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه . وكما الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه ومبادم يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره فيقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله ويقدّر ما يبقى من الماء في الإناء ينقص من الحل المصوب فيه وإلى هذا التفريد والتجريد الإشارة بقوله تعالى - قل الله ثم ذرم في خوضهم - وبقوله تعالى - إن الذين قالوا ربنا الله ثم استغماوا - بل هو معنى قولك لا إله إلا الله أى لا معبود ولا محبوب سواه فكل محبوب فانه معبود فإن البعد هو القيد والمعبود هو القيد به وكل حب فهو مقيد بما يحبه ولذلك قال الله تعالى - أرايت من اتخذ إليه هواه - وقال **يُطَاعُ** « أبغض إله عبد في الأرض الهوى » ولذلك قال عليه السلام « من قال لا إله إلا الله محمداً دخل الجنة »<sup>(٢)</sup> ومعنى الاخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه مشرقة لغير الله فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومتصود قلبه فقط ومن هذا حاله قاله نيا - بجه لأنها مائة له من مشاهدة محبوه وموته خلاص من السجن وتقدم على المحبوب فما حال من ليس له إلا محبوس واحد وقد طال إليه مشوقه وتحمى عنه حبسه غل من السجن ومكن من المحبوب وروح بالأمن أبداً أباداً أحد أسباب ضعف حب الله في القلوب قوة حب الدنيا ومنه حب الأهل والمال والولسوالأقارب والمعار والدواب والبساتين والمتنزهات

(١) حديث رؤية الله في الآخرة حقيقة متفق عليه من حديث أبي هريرة أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر الحديث (٢) حديث من قال لا إله إلا الله محمداً دخل الجنة تقدم .

يقطه قل بذلك إلى مقام التوبة فهذه أحوال ثلاثة تقدم التوبة ثم التوبة في استقامتها تحتاج إلى الحاسبة ولا تستقيم التوبة إلا بالحاسبة . نقل عن أمير المؤمنين على رضى الله عنه أنه قال : حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا وحاسبوا وزوجاً قبل أن توزنوا وتزينوا للمعرض الأكره على الله يومئذ تحضرون لا تخفى منكم خافية - فالحاسبة بحفظ الأنفاس وضبط الحواس ورعاية الأوقات وإثارة المهمات ويعلم البعد أن

حتى إن المنفرح بطيب أصوات الطيور وروح نسيم الأشجار ملتفت إلى نعم الدنيا ومتعرض لنقصان حب الله تعالى بسببه فيقدر مأنس بالدنيا فينقص أنسه باقه ولا يؤتى أحد من الدنيا شيئاً إلا ويوتئس بقدره من الآخرة بالضرورة كما أنه لا يقرب الإنسان من للشرق إلا ويبعد بالضرورة من الغرب بقدره ولا يطيب قلب امرأته إلا ويضيق به قلب ضررتها بالدنيا والآخرة ضررانا وهما كالشرق والغرب وقد انكشف ذلك لقوى القلوب انكشافاً أوضح من الإبصار والبصير وسيل قلع حب الدنيا من القلب سلوك طريق الزهد وملازمة الصبر والاحتياط إليهما بزمهم الخوف والرجاء فما ذكرناه من القامات كالنوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هي مقدمات ليكتسب بها أحد ركني المحبة وهو تخلية القلب عن غير الله وأوله الإيمان باقه واليوم الآخر والجنة والنار ثم ينشعب منه الخوف والرجاء وينشعب منها التوبة والصبر عليهما ثم ينجر ذلك إلى الزهد في الدنيا وفي اللال والجامه وكل حظوظ الدنيا حتى يحصل من جميع طهارة القلب عن غير الله قطب حتى يتسع بعده لزول معرفة الله وجهه فيه فكل ذلك مقدمات تطهير القلب وهو أحد ركني المحبة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام «الطهور شطر الإيمان» (١) كما ذكرناه في أول كتاب الطهارة . السبب الثاني لقوة المحبة قوة معرفة الله تعالى واتساعها واستيلائها على القلب وذلك بعد تطهير القلب من جميع شواغل الدنيا وعلاقتها بجري مجرى وضع البذر في الأرض بعد تنقيتها من الحشيش وهو الشطر الثاني ثم يتولد من هذا البذر شجرة المحبة والرفقة وهي السكمة الطيبة التي ضرب الله بها ملائحته قال - ضرب الله مثلاً كلة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء - وإليها الإشارة بقوله تعالى - إليه يصعد الكلم الطيب - أي للرفقة - والعمل الصالح برضه - فالعمل الصالح كالجناح لهذه الرفقة وكالحادم وإتمام العمل الصالح كله في تطهير القلب أولاً من الدنيا ثم إدامة طهارته فلا يراد العمل إلا لهذه الرفقة وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل فالعلم هو الأول وهو الآخر وإتمام الأول علم العاملة وضرته العمل وغرض العاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه حلية الحق ويزين بلم الرفقة وهو علم للكشفة ومهما حصلت هذه الرفقة بتمها المحبة بالضرورة كما أن من كان متمرداً المزاج إذا أبصر الجليل وأندركه بالعين الظاهرة أحبه ومال إليه ومهما أحبه حصلت اللذة فاللذة تبع المحبة بالضرورة والمحبة تبع للرفقة بالضرورة ولا يوصل إلى هذه الرفقة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب إلا بالسكر الصافي والذكر الدائم والجد البالغ في الطلب والنظر المستمر في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوته سبحانه وسائر مخلوقاته والواصلون إلى هذه الرتبة يتقسمون إلى الأقوياء ويكون أول معرفتهم لله تعالى ثم يعرفون غيره وإلى الضعفاء ويكون أول معرفتهم بالأفئدة ثم يترقون منها إلى الفاعل وإلى الأول الإشارة بقوله تعالى - أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد - وهو قوله تعالى - شهيداً أنه لا إله إلا هو - ومنه نظر بعضهم حيث قيل له لم عرف ربك قال عرف رب ربى ولولا ربى لما عرفت ربى وإلى الثاني الإشارة بقوله تعالى - سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق - الآية بقوله عز وجل - أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض - وبقوله تعالى - قل انظروا ماذا في السموات والأرض - وبقوله تعالى - الذي خلق سبع سموات طباقاً ما ترى في خالق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم ارجع البصر كرتين إلى البصر خلتا وهو حدير - وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين وهو الأوسع على السالكين وإليه أكثر دعوة القرآن عند الأمر بالهدى والتفكير والاعتبار والنظر في آيات خارجه عن الحصر . فان قلت كلا الطريقين مشكل فأوضح لنا منهما

(١) حديث الطهور شطر الإيمان - مسلم من حديث أبي مالك الأشعري وقد تقدم .

الله تعالى أوجب عليه هذه الصلوات الحسن في اليوم واليلة رحمة منه لله سبحانه بيده واستيلاء الغفلة عليه كي لا يستبد به الهوى ونسرفه الدنيا فالصلوات الحسن سلسلة تجذب النفوس إلى مواطن العبودية أداء حق الربوبية وبراقيب العبد نفسه بحسن المحاسبة من كل صلاة إلى صلاته أخرى ويسد مدخل الشيطان بحسن المحاسبة والرعاية ولا يدخل في الصلاة إلا بعد حل العقد عن القلب بحسن التوبة والاستغفار لأن كل كلمة وحركة على خلاف الشرع تسكت في

ما يستعان به على تحصيل المعرفة والتوصل به إلى المحبة . فاعلم أن الطريق الأعلى هو الاستشهاد بالحق سبحانه على سائر الخلق فهو غامض والكلام فيه خارج عن حد فهم أكثر الخلق فلا بد في إيراد في الكتب وأما الطريق الأسهل الأدنى فأكثره غير خارج عن حد الأنهم وإنما قصرت الأقدام عنه لإعراضها عن التدبر واستغفالها بجهوات الدنيا وحفظ النفس واللذات من ذكر هذا التساع وكثرته وانتساب أبوابه الخارجة عن المحصر والنهاية إذ من ذرة من أعلى السموات إلى غيوم الأرضين لاونها عجائب آيات تدل على كمال قدرة الله تعالى وكمال حكمته ومنتهى جلاله وعظمته وذلك مما لا يشأه . قل لو كان البحر مداباً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى فلخوفه انقماش في بحر علوم للكشفة ولا يمكن أن يتفكر به على علوم العامة ولكن يمكن الرمز إلى مثال واحد على الإيجاز ليقتع التنبيه لنفسه . فنقول : أسهل الطريقين النظر إلى الأفعال فلتستكلم فيها لترك الأذى ثم الأفعال الإلهية كثيرة فتطلب أقلها وأضرها وأضرها ولنظر في عجائبها فأقل المخلوقات هو الأرض وما عليها أعنى بالانضافة إلى اللائكة وما كوت السموات لآنك إن نظرت فيها من حيث الجسم والعظم في الشخص فالشمس على ما ترى من صغر حجمها هي مثل الأرض مائة وثلاثين مرة فانظر إلى صغر الأرض بالانضافة إليها ثم انظر إلى صغر الشمس بالانضافة إلى فلكها الذي هي مركز فيه فإنه لانسبة لها إليه وهي في السماء الرابعة وهي صغيرة بالانضافة إلى ما فوقها من السموات السبع ثم السموات السبع في الكرسي كلكة في فلاة والكرسي في العرش كذلك فهذا نظر إلى ظاهر الأشخاص من حيث القادير وما أضر الأرض كلها بالانضافة إليها بل ما أضر الأرض بالانضافة إلى البحار قد قال رسول الله ﷺ «الأرض في البحر كالاصطبل في الأرض»<sup>(١)</sup> ومصدق هذا عرف بالمشاهدة والتجربة وعلم أن للكشوف من الأرض عن اللاء بجزيرة صغيرة بالانضافة إلى كل الأرض ثم انظر إلى الأدمى المخلوق من التراب الذي هو جزء من الأرض وإلى سائر الحيوانات وإلى صغره بالانضافة إلى الأرض ودع عنك جميع ذلك فأصغر ما تعرفه من الحيوانات البعوض والنحل وما يجري مجراه فانظر في البعوض على قدر صغر قدره وتأمله بقول حاضر وفكر صاف فانظر كيف خلقه الله تعالى على شكل القمل الذي هو أعظم الحيوانات إذ خلق له خرطومًا مثل خرطومه وخلق له على شكله الصغير سائر الأعضاء كما خلقه للقليل بزيادة جناحين وانظر كيف قسم أعضائه الظاهرة فأثبت جناحه وأخرج يده ورجله وشق صممه وبصره ودبر في باطنه من أعضاء الغذاء وآلاته مادبره في سائر الحيوانات وركب فيها من القوى القاذية والجاذبة والدافعة والماسكة والماضعة ماركب في سائر الحيوانات هذا في شكله وصفاته ثم انظر إلى هدايته كيف هداه الله تعالى إلى غذائه وعرفه أن غذاءه دم الانسان ثم انظر كيف أثبت له آلة الطيران إلى الانسان وكيف خلق له الخرطوم الطويل وهو معد الرأس وكيف هداه إلى مسام بشرة الانسان حتى يضع خرطومه في واحد منها ثم كيف قواه حتى يرضيه الخرطوم وكيف علمه الص والتجرج للدم وكيف خلق الخرطوم مع دقته مجوفًا حتى يجري فيه الدم الرقيق ويتسلى إلى باطنه ويتنثر في سائر أجزائه ويغذي به ثم كيف عرفه أن الانسان يقصد يده فطمع حيلة الحرب واستعداد آله وخلق له السمع الذي يسمع به خفيف حركة اليد وهي يد يد منته فترك الص وهرب ثم إذا سكنت اليد يعود ثم انظر كيف خلق له حدقين حتى يصير موضع غذائه فيقصد مع صغر حجم وجهه وانظر إلى أن حدقة كل حيوان صغير لما لم تحمل حدقة الأجنان لصغره وكانت الأجفان مصققة لمرآة الحدقة عن القذى والبار خلق للبعوض والذباب يدين فتنظر إلى الذباب

(١) حديث الأرض في البحر كالاصطبل في الأرض لم أجده أصلاً .

القلب نكته سوداء  
وتنفذ عليه عقدة  
والنفذ الحاسب بهي  
الباطن لفصادة بضبط  
الجوارح وعمق مقام  
الحاسبة فيكون عند  
ذلك لصلاته نور يشرق  
على أجزاء وقته إلى  
الصلاة الأخرى فلا تزال  
صلاته منورة تامة بنور  
وقته ووقته منورا  
معمورا بنور صلاته .  
وكان بعض المحاسبين  
يسكتب الصلوات في  
قرطاس ويدع بين كل  
صلتين يامنا وكما  
ارتكب خطيئة من  
كله غيبة أو أمر آخر  
خط خطأ وكما تنكلم  
أو تحرك فيها لا يصبه  
قط قطعة ليحسب  
ذنوبه وحركاته فيها

فتراه على الدوام يمسح حدقيه يديه وأما الإنسان والحيوان الكبير غلق حدقيه الأجفان حتى ينطبق أحدهما على الآخر وأطرافهما حادة فيجمع الغبار الذي يلحق الحدقة ويرميه إلى أطراف الأهداب وخلق الأهداب السود لتجمع ضوء العين وتعين على الإبصار وتحسن صورة العين وتشتبكها عند هيجان الغبار فينظر من وراء شبك الأهداب واشتباكها يمنع دخول الغبار ولا يمنع الإبصار وأما البعوض غلق لها حدقتين معقلتين من غير أجفان وعليها كيفية التصقيل باليدن ولأجل ضعف أبصارها تراها تهاافت على السراج لأن بصره ضعيف فهي تطلب ضوء النهار فإذا رأى السكين ضوء السراج بالليل ظن أنه في بيت مظلم وأن السراج كوة من البيت المظلم إلى الوضع المضي فلا يزال يطلب الضوء ويرمى بنفسه إليه فإذا جاوزوه ورأى الظلام ظن أنه لم يصب السكوة ولم يقصدها على السداد فيعود إليه مرة أخرى إلى أن يحترق ولعلك تظن أن هذا لتقصاتها وجعلها فاعلم أن جهل الإنسان أعظم من جعلها بل صورة الآدمي في الاكباب على الشهبوات الدنيا صورة الفرائش في التهاافت على النار إذ تلوح للآدمي أنوار الشهبوات من حيث ظاهر صورتها ولا يدري أن تعجبها السم النافع القاتل فلا يزال يرمى نفسه عليها إلى أن ينفس فيها ويستفيد بها وبذلك هلاكاً مؤبداً فقلت كان جهل الآدمي كجهل الفرائش فإنها باعترارها بظاهر الضوء إن احترقت تخلصت في الحال والآدمي يبقى في النار أبداً الأبد أومدة مديدة ولذلك كان ينادى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول «إني محسك بحجركم عن النار وأنتم تهاافتون فيها تهاافت الفرائش» (١) فهذه لمة عجيبة من عجائب صنع الله تعالى في أصغر الحيوانات وفيها من العجائب ما لا يجتمع الأولون والآخرون على الاحاطة بكنهه بحجروا عن حقيقته ولم يطلخوا على أمور جليلة من ظاهر صورتها فأما غنايا معاني ذلك فلا يطلع عليها إلا الله تعالى ثم في كل حيوان ونبات أعجوبة وأناجيب نخصة لا يشاركها فيها غيره فأنظر إلى النحل وعجائبها وكيف أوحى الله تعالى إليها حتى اتخذت من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يمشون وكيف استخرج من لهايبها الشمع والعسل وجعل أحدها ضياء وجعل الآخر شفاء ثم لو تأملت عجائب أمرها في تناولها الأزهار والأنوار واحترافها عن التباسات والأقنار وطاعتها الواحد من جملتها هو أكبرها شخصاً وهو أميرها ثم ما سخر الله تعالى له أميرها من العدل والانصاف بينها حتى إنه يقتل على باب النفذ كل ما وقع منها على نجاسة لتضيت منها عجايب آخر العجب إن كنت بصيراً في تفكك وفارغا من مبطئك وفرجك وشهبوات تفكك في معاداة أقرانك وموالاته إخوانك ثم دع عنك جميع ذلك وانظر إلى بناتها بيوتها من الشمع واختيارها من جملة الأشكال الشكل السادس فلاتنبي بينا مستندرا ولامرها ولا تخشا بل مدسا خاصة في الشكل السادس ينصر فهم الهندسين عن دركها وهو أن أوسع الأشكال وأحوالها المستديرة وما يقرب منها فإن الربع يخرج منه زوايا ضائعة وشكل النحل مستدير مستطيل فترك الربع حتى لا تنزع الزوايا فبقى فارغة ثم لو بناها مستديرة لبقيت خارج البيوت فرج ضائعة فإن الأشكال للمستديرة إذا جمعت لم تنجمع مزاماة ولا شكل في الأشكال ذوات الزوايا يقرب في الاحتماء من المستدير ثم تراص الحلقة منه بحيث لا يبقى بعد اجتماعها فرجة إلا للسدس وهذه خاصية هذا الشكل فأنظر كيف ألهم الله تعالى النحل على صفر جرمه ولطافة قده

لا يعبه لضيق المحاسبة  
بحارى الشيطان  
والفسى الأماره بالسوء  
لموضع صدقه في حسن  
الاتقاد وحرمه على  
تحقيق مقام العباد وهذا  
مقام المحاسبة والراية  
يقع من ضرورة محبة  
التوبة قال الجدي من  
حسن رعايته دامت  
ولابنه . وسئل  
الواسطي: أي الأعمال  
أفضل قال: مراعاة السر  
والمحاسبة في الظاهر  
والمراقبة في الباطن  
ويكمل أحدهما بالآخر  
وبهما تستقيم التوبة  
والمراقبة والراية حالان  
شريفان وصيران  
مقامين شرفيين  
يصحان بصحة مقام  
التوبة وتستقيم التوبة

(١) حديث إني محسك بحجركم عن النار وأنتم تهاافتون فيها تهاافت الفرائش متفق عليه من حديث أبي هريرة، مثلي ومثل أمي كمثل رجل استوقد نارا فجذبت الدواب والفرائش فقعن فأنا أخذ بحجركم وأنتم تنفتحون فيه لفظ مسلم واقصر البخاري على أوله ولمسلم من حديث جابر وأنا أخذ بحجركم وأنتم تغفلون من يدي .

لعلها به عناية بوجوده و ماهو محتاج إليه ليتنبأ بعيشه فسبحانها أعظم شأنه وأوسع لطفه وامتنانه  
فاعتبر بهذه القصة اليسيرة من عثرات الحيوانات ودع عنك عجائب ملكوت الأرض والسموات  
فإن القدر الذي بقلبه فهنا القاصر منه تنقضي الأعمار دون إيضاحه ولأنسبه لما أحاط به علما إلى  
ما أحاط به الطاء والأنياء ولأنسبه لما أحاط به علم الخلائق كلهم إلى ما استأثر الله تعالى بعلومه بل  
كل ما عرفه الخالق لا يستحق أن يسمى علما في جنب علم الله تعالى فبالنظر في هذا وأمثاله تزداد  
المعرفة الحاصلة بأسرار الطريقين وزيادة المعرفة تزداد المحبة فإن كنت طالبا لسعادة لقاء الله تعالى  
فانبذ الدنيا وراء ظهرك واستغرق العمر في الذكر الدائم والفكر اللازم فذاك تعطى منها بقدر  
يسير ولكن تال بذلك اليسير ملكا عظيما لا آخر له .

( يان السبب في تفاوت الناس في الحب )

اعلم أنّ المؤمنين مشتركون في أصل الحب لا شراكهم في أصل الحبّة ولكنهم متفاوتون تفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا إذ الأشياء إما تتفاوت بتفاوت أسبابها وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي قرعت معهم فخلقوها وحفظوها وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب وربما لم يظلموا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسد بل آمنوا بها إيمان تسليم تصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليقين والتخلّون هم الضالّون والعارفون بالحقائق هم القريبون وقد ذكر الله حال الأسانف الثلاثة في قوله تعالى - فأما إن كان من القريبين فروح وريحان وجنة نعيم - الآية فإن كنت لأخهم الأمور إلا بالأشياء فلنضرب لعماد الحب مثالا فنقول أصحاب الشافعي مثلا يشتركون في حب الشافعي رحمه الله المقهى منهم والموال لهم. مشتركون في معرفة فضله ودينه وحنن يترتبه ومهاد خصاله ولكن المامى يعرف علمه مجملًا وأقرب يعرفه مفصلاً فتكون معرفة الفقيه به أتم وإعجاب به وجهه له أشدّ فأن من رأى تصنيف مصنف فاستحسنه وعرف به فضله أحبه لأهله ومال إليه قلبه فإن رأى تصنيفاً آخر أحسن منه وأعجب تضاعف لعمالة حبه لأنه تضاعفت معرفته بعلمه وكذلك يستند الرجل في الشاعر أنه حسن الشعر فيحبه فإذا سمع من غرائب شعره ما نظم فيه حذقه وصنمته ازداد به معرفة وازداد له حبا وكذا سائر الصناعات والفضائل والمامى قد يسمع أن فلانا مصنف وأنه حسن التصنيف ولكن لا يدري ما في التصنيف فيكون له معرفة مجمل ويكون له حبه ميل مجمل والبصير إذا قش عن التصنيف وأطلع على ما فيها من العجائب تضاعف حبه لعمالة لأن محب الصنعة والشعر والتصنيف يدل على كمال صفات الفاعل وللصنف والعالم بحملته صنع الله تعالى وتصنيفه والمامى يعلم ذلك ويستفهم وأما البصير فإنه يطالع تفصيل صنع الله تعالى فيه حتى يرى في البعوض مثلاً من عجائب صنعه ما يبهر به عقله وينجذب فيه له ويزداد بسببه لعمالة عظمة الله وجلاله وكمال صفاته في قلبه فيزداد له حبا وكما ازداد على أعاجيب صنع الله اطلاعا استدلل بذلك على عظمة الله الضائع وجلاله وازداد به معرفة قوله حيا وبحر هذه المعرفة أتم معرفة عجائب صنع الله تعالى محرراً لاساحله فلا يجزم بتفاوت أهل المعرفة في الحب لأحصره ولما يتفاوت بسببه الحب اختلاف الأسباب المحمّية التي ذكرناها لعجب فإن من يحب الله مثلاً لكونه محباً إليه ننمنا عليه ولم يحبه قداته ضمت محبة إذ تثير بشير الإحسان فلا يكون حبه في حالة البلاء كحبه في حالة الرخاء والتمنا. وأما من يحبه لذاته ولأنه مستحق للعجب بسبب كماله وجماله ومجده وعظمته فإنه لا يتفاوت حبه بتفاوت الإحسان إليه فمذاو أمثاله هو سبب تفاوت الناس في الحبّة والتفاوت في الحبّة هو السبب للتفاوت في معاداة الآخرة وتلك قال تعالى - ولا تحزنوا لكونكم تفضّلون -

على الكمال بها

فصارت المحاسبة

**وللرقابة والرقابة من**

### ضرورة مقام التوبة .

### أ- برنا بوزرعة إجازة

عن ابن خلف أبي بكر

الشیرازی قال سمعت

أبا عبد الرحمن السلمي

يقول سميت الحسن

الفارسي يقول سمعت

الجريري يقول أمراً

**هذا مني على فصيلين**

وهو أن تلزم شك

للرأفة لله تعالى ويكون

العلم على ظاهره كقائما.

**وقال المرحوم: للراقية**

مراجعة السر للاحطة

الحق في كل لحظة

وَلَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى

— أليس هو قائم على

کل نفیس عا گیت -

وهذا هو علم القيام

112 1 2 3 4 5

( بيان السبب في قصور أفهام الخلق عن معرفة الله سبحانه )

اعلم أن أظهر الموجودات وأجلها هو الله تعالى وكان هذا يقتضى أن تكون معرفته أول المعارف وأسبقها إلى الأفهام وأسماها على العقول وترى الأمر بالعقد من ذلك فلا بد من بيان السبب فيه وإعنا قلنا إنه أظهر الموجودات وأجلها معنى لاعتقادهما بالإبتال وهو أنا إذا رأينا إنسانا يكتب أو يخط مثلا كان كونه حيا عندنا من أظهر الموجودات خفيته وعلمه وقدرته وإرادته للخطابة أجلى عندنا من سائر صفاته الظاهرة والباطنة إذ صفاته الباطنة كشهوته وغضبه وخلقه وصحته ومرسته وكل ذلك لانعزله وصفاته الظاهرة لانعزله بعضها وبعضها نشك فيه كقدر طولها واختلاف لون بشرته وغير ذلك من صفاته أمانياته وقدرته وإرادته وعلمه وكونه حيوانا فانه جلى عندنا من غير أن يتفق حس البصر بحياته وقدرته وإرادته فان هذه الصفات لا يحس بشئ من الحواس الخمس ثم لا يمكن أن نعرف حياته وقدرته وإرادته إلا بغيرها وحركته فلو نظرنا إلى كل مافي العالم سواء لم نعرف به صفة شاعليه إلا لادليل واحد وهو مع ذلك جلى واضح ووجود الله تعالى وقدرته وعلمه وسائر صفاته يشهد له بالضرورة كل ما نشاهده ونذكره بالحواس الظاهرة والباطنة من جبر ومدر ونبات وشجر وحيوان وساء وأرض وكوكب وبر وبحر ونار وهواء وجوهر وعرض بل أول شاهد عليه أغصنا وأجسامنا وأوصافنا وتقلب أحوالنا وتغير قلوبنا وجميع أطوارنا في حركاتنا وسكناتنا وأظهر الأشياء في علنا أنفسنا ثم محسوساتنا بالحواس الخمس ثم مدر كاتنا بالعقل والبصيرة وكل واحد من هذه المدركات لم مدر ك واحد وشاهد واحد ودليل واحد وجميع مافي العالم شواهد نافذة وأدلة شاهدة بوجود خالقها ومدرها ومصرفها ومحركها ودالة على علمه وقدرته ولفظه وحكته والوجودات للمدر كة لاحصر لها فان كانت حياة الكاتب ظاهرة عندنا وليس يشهد لها إلا شاهد واحد وهو ما أحسنه به من حركة يده فكيف لا يظهر عندنا ما لا ينصرف في الوجود شئ داخل نفوسنا وخارجها إلا هو شاهد عليه وعلى عظمته وجلاله إذ كل ذرة فانها تتادى بلسان حالها أنه ليس وجودها بنفسها ولا حركتها بذاتها وأنها تحتاج إلى موجد ومحرك لها يشهد بذلك أول تركيب أعضائها واتلاف عظامها ولحمها وأعصابها ومنابت شعورها وتشكل أطرافها وسائر أجزائها الظاهرة والباطنة فانا نعلم أنها لم تألف بأنفسها كما نعلم أن يد الكاتب لم تتحرك بنفسها ولكن لما لم يبق في الوجود شئ مدر ك ومحسوس ومقول وحاضر وغائب إلا هو شاهد ومعرف عظم ظهوره فان ظهرت العقول ودهشت عن إدراكه فان ما تقتصر عن فهمه عقولنا فله سببان: أحدهما خفاؤه في نفسه وغرضه وذلك لا يخفى مثاله . والآخر ما ينتهي وضوحه وهذا كما أن الخفاش يصير بالليل ولا يصير بالنهار لاختلاف النهار واستتاره لكن لشدة ظهوره فان بصير الخفاش ضعيف ببه نور الشمس إذا تفرقت فتكون قوة ظهوره مع ضعف بصره ديبا لا تمتاع بإبصاره فلا يرى شيئا إلا إذا امتزج الضوء بالظلام ووضف ظهوره فكذلك عقولنا ضعيفة وجمال الحضرة الإلهية في نهاية الإشراف والاستنارة وفي غاية الاستحراق والشمول حتى لم يشذ عن ظهوره ذرة من ملكوت السموات والأرض فصار ظهوره مسبب خفائه فسيحان من احتجب بإشراق نوره واختفى عن البصائر والأبصار بظهوره ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الأشياء تسبقان بأضدادها وماتم وجوده حتى إنه لا ضد له عسر إدراكه فلو اختلفت الأشياء فدل بعضها دون بعض أدركت التفرقة على قرب ولما اشتركت في اللالة على نسق واحد أشكال الأمر ومثاله نور الشمس الشرق على الأرض فانا نعلم أنه عرّض من الأعراض يحدث في الأرض ويزل عند غيبة الشمس فلو كانت الشمس دائمة الإشراف لا غروب لها لكانت نظن أنه لا هيئة في الأجسام إلا ألوانها وهي السواد والبياض وغيرها

وبذلك يتم علم الحال  
ومعرفة الزيادة  
والقصان وهو أن يعلم  
مميز حاله فما بينه  
وبين الله وكل هذا  
ملازم لصحة التوبة  
وصحة التوبة ملازم لها  
لأن الحاضر مقدمات  
العزائم والعسزائم  
مقدمات الأعمال لأن  
الحوادث تحقق إرادة  
القلب والقلب أصبر  
الجوارح ولا تحرك  
إلا بتحريك القلب  
بالإرادة وبالراقبة  
حس مواد الحوادر  
الردية فصار من تمام  
الراقبة تمام التسوية  
لأن من حصر الحوادر  
كفي مؤنة الجوارح لأن  
بالراقبة اصطلاح عروفي  
إرادة السكره من

فإننا لا نشاهد في الأسود إلا السوداء وفي الأبيض إلا البياض فأما الضوء فلا ندركه وحدوه ولكن لما غابت الشمس وأظلمت للواضع أدركنا تفرقة بين الحالين فصلنا أن الأجسام كانت قد استضاءت بضوء وانصرفت بصفة فارقتها عند الغروب ففرقا وجود النور بعدمه وما كنا نطلع عليه ولا علمه إلا بصبر شديد وذلك لمشاهدة تماثل الأجسام متشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذما مع أن النور أظهر المحسوسات إذ به تدرك سائر المحسوسات فما هو ظاهر في نفسه وهو مظهر لغيره انظر كيف تصور استنباهم أمره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فأنه تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهتد السموات والأرض وبطل اللآلئ واللكوكب ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين ولو كان بعض الأشياء موجودا به وبعضها موجودا بغيره لأدركت التفرقة بين الشئيين في الدلالة ولكن دلالة عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه فلا جرم أورت شد الظهور خفاء فهذا هو السبب في قصور الأنفهام وأما من قويت بصيرته ولم تصد نفسه فانه في حال اعتدال أمره لا يرى إلا الله تعالى ولا يعرف غيره يعلم أنه ليس في الوجود إلا الله وإضافته أثر من آثار قدرته فهي تابعة له فلا وجود لها بالحقيقة قدوة وإنما الوجود للواحد الحق الذي هو وجود الأنفال كلها ومن هذه حاله فلا ينظر في شيء من الأنفال إلا ويرى فيها الناعل ويذهل عن العمل من حيث إنه صماء وأرض وحيوان وشجر بل ينظر فيه من حيث إنه صنع الواحد الحق فلا يكون نظره مجاوزا له إلى غيره كمن نظر في شعر إنسان أو خطه أو تصنيفه ورأى فيها الشاعر والصف ورأى آثاره من حيث أثره لا من حيث إنه جبر وعص وزاج . رقوم على بياض فلا يكون قد نظر إلى غير الصنف وكل العالم تصنيف الله تعالى فمن نظر إليه من حيث إنه فعل الله وعرفه من حيث أنه فعل الله وأحبه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظرا إلا في الله ولا عارفا إلا بالله ولا محبا إلا لله وكان هو الواحد الحق الذي لا يرى إلا الله بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبد الله فهذا الذي يقال فيه إنه فنى في التوحيد وأنه فنى عن نفسه وإليه الإشارة بقول من قال كنا بنا فقيتنا عنا فقيتنا بلا نحن فهذه أمور معلومة عند ذوى البصائر أشكلت لضعف الأنفهام عن دركها وقصور قدرة العلماء عن إيضاحها وبيانها بعبارة مفهومة موصلة للقرض إلى الأنفهام أو باستشغالهم بأنفسهم واعتقادهم أن بيان ذلك لغيرهم مما لا يعينهم فهذا هو السبب في قصور الأنفهام عن معرفة الله تعالى وانضم إليه أن للدركات كلها التي هي شاهدة على الله إنما يدركها الإنسان في الصبغة فقد فقد العقل ثم تبدو فيه غرزة العقل قليلا قليلا وهو مستغرق في المهم بشهواته وقد أنس بمحركاته ومحسوساته وأهملها فسقط وقعها عن قلبه بطول الأنس ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيوانا غريبا أو نباتا غريبا أو فضلا من أفعال الله تعالى خارقا للمادة عجيبا انطابق لسانه بالمعرفة طيبا فقال سبحانه الله وهو يرى طول النهار نفسه وأعضاءه وسائر الحيوانات المألوفة وكلها شواهد قاطعة لا يحصى يشاهدونها طول الأس بها ولو فرض أنكم تبلغ عاقلهم انقشمت غشاوة عينه فامتن بصره إلى السماء والأرض والأشجار والنبات والحيوان دفعة واحدة على سبيل الفجأة لحيف على عقله أن يظهر لعظم تعجبه من شهادة هذه المعجبات الخالق أمثلة له من الأسباب مع الانهماك في الشهوات هو الذي سد على الخلق سبيل الاستضاءة بأنوار المعرفة والسياسة في معارها الواسعة فالتاس في ظلمهم معرفة الله كالدهوش الذي يضرب به الليل إذا كان راكبا لحماره وهو يطلب حمارة والجليات إذا صارت مطلوبة صارت معتماة فهذا سر هذا الأمر فليحقيق ذلك قيل:

قد ظهرت فما تخفى على أحد إلا على أكه لا يصرف القعرا  
لكن بطب بما أظهرت محتجبا فكيف يعرف من بالعرف قد ستر

القلب وبالمحاسة  
استدراك ما اظلمت  
من المراقبة . أخبرنا  
أبو زرعة عن ابن  
خلف عن السلمي قال  
سمعت أبا عبدان الغري  
يقول أفضل ما يلوم  
الإنسان في هذا  
الطريق المحاسبة  
والمراقبة وسياسة  
العمل بالعلم وإذا صحت  
الثوبة صحت الإجابة  
قال ابراهيم بن آدم  
إذا صدق العبد في  
توبته صار متبيا لأن  
الإجابة ثاني درجة  
التوبة وقال أبو سعيد  
القرشي المنيب الراجع  
عن كل شيء يشغله  
عن الله إلى الله وقال  
بعضهم بالإجابة الرجوع  
منه إليه لا من شيء

## ( بيان معنى الشوق إلى الله تعالى )

اعلم أن من أنكر حقيقة المحبة لله تعالى فلا بد وأن ينكر حقيقة الشوق إذ لا يتصور الشوق إلا إلى محبوب ونحن ثبت وجود الشوق إلى الله تعالى وكون العارف مضطراً إليه بطريق الاعتبار والنظر بأثوار البصائر وبطريق الأخبار والآثار أما الاعتبار فيسكن في إثباته ما سبق في إثبات الحب فكل محبوب يشاق إلى في غيبته لا محالة فأما الحاصل الحاضر فلا يشاق إليه فإن الشوق طلب وتشوق إلى أمر ولو لوجود لا يطلب ولكن يانه أن الشوق لا يتصور إلا إلى شيء أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه فأما لا يدرك أصلاً فلا يشاق إليه فإن من لم ير شخصاً ولم يسمع وصفه لا يتصور أن يشاق إليه وما أدرك بكامله لا يشاق إليه وكال الإدراك بالرؤية فمن كان في مشاهدة محبوبه ممدوماً للنظر إليه لا يتصور أن يكون له شوق ولكن الشوق إنما يتعلق بما أدرك من وجهه ولم يدرك من وجهه ومن وجهين لا ينكشف إلا بمثل المن الشاهدات . فنقول مثلاً من غاب عنه معشوقه وبقي في قلبه خياله فيشتاق إلى استكمال خياله بالرؤية فلو أتمى عن قلبه ذكره وخياله ومعرفة حتى نسب لم يتصور أن يشاق إليه ولو رآه لم يتصور أن يشاق في وقت الرؤية فبقي شوقه تشوق نفسه إلى استكمال خياله فكذلك قد يراه في ظلمة بحيث لا ينكشف له حقيقة صورته فيشتاق إلى استكمال رؤيته وتعمام الاستكشاف في صورته لم يشرق الضوء عليه . والثاني : أن يرى وجه محبوبه ولا يرى شمره مثلاً ولا سائر محاسن فيشتاق لرؤيته وإن لم يرها قط ولم يثبت في نفسه خيال صادر عن الرؤية ولكنه يعلم أن له عضواً وأعضاء جميلة ولم يدرك تفصيل جمالها بالرؤية فيشتاق إلى أن ينكشف له ما لم يره قط والوحيان جميعاً متصوران في حق الله تعالى بل هما لازمان بالضرورة لكل العارفين فإن ما اتضح للعارفين من الأمور الإلهية وإن كان في غاية الوضوح فكأنه من وراء ستر رقيق فلا يكون متشاعفاً لا انتضاحاً بل يكون مشوباً بشوائب التخيلات فإن الخيالات لا تفر في هذا العالم عن التقبل والمحاكاة لجميع المعلومات وهي مكدرات للمعارف ومنهضات وكذلك ينضاف إليها شواغل الدنيا فأما كمال الوضوح بالمشاهدة وتعمام إشراف التجلي ولا يكون ذلك إلا في الآخرة ذلك بالضرورة بوجوب الشوق فإنه منتهى محبوب العارفين وهذا أحد نوعي الشوق وهو استكمال الوضوح فيما اتضح انتضاحاً ما الثاني أن الأمور الإلهية لانهاية لها وإنما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لانهاية لها غائصة والمعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى ويعلم ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر فلا يزال متشوقاً إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلاً لا معرفة واضحة ولا معرفة بالمشقة والشوق الأول ينتهي في الدار الآخرة بالمقام الذي يسمى رؤية لقاء ومشاهدة ولا يتصور أن يسكن في الدنيا وقد كان إبراهيم بن آدم من الشائقين فقال قلت ذات يوم لأبى أن أعطيت أحداً من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقاءك فأعطيني ذلك فقد أضربى القلب قال فرأيت في النوم أنه أوقفت بين يديه وقال يا إبراهيم أما استحييت مني أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقاءك وهل يسكن الشائق قبل لقاء حبيبه قلت لأبى نهت في حبك فم أدرك ما أقول فأغفر لي وعلمي ما أقول فقال قل اللهم رضى بضائك وصبري على بلائك وأوزعني شكر نعمائك فإن هذا الشوق يسكن في الآخرة وأما الشوق الثاني فيشبه ما لا يكون له نهاية في الدنيا ولا في الآخرة إذ نهايته أن ينكشف للعبد في الآخرة من حلال الله تعالى وصفاته وحكمته وأفعاله ما هو معلوم لله تعالى وهو محال لأن ذلك لانهاية له ولا يزال العبد عالماً بأنه في حق الجمال والجلال ما لم يتضح له فلا يسكن قط شوقه لاسيما من يرى فوق درجته درجات كثيرة لأنه متشوق إلى استكمال الوضال مع حصول أصل الوصال فهو يجد لذلك شوقاً لتدبداً لا يظهر فيه ألم ولا يعد أن تكون

غيره فمن رجع من غيره إليه ضيق أحد طرق الانابة والنيب على الحقيقة من لم يكن له مرجع سواء فخرج إليه من رجوعه ثم يرجع من رجوع رجوعه فيبقى شجواً لا وصف له قائماً بين يدي الحق مستغرقاً في عين الجمع ومخالفة النفس ورؤية عيوب الأفعال والمجاهدة بتحقيق العناية والراقبة . قال أبو سليمان ما استجسفت من نفسي عملاً فأحسبه وقال أبو عبد الله السجزي من استحسن شيئاً من أحواله في حال إرادته فندبت عليه إرادته إلا أن يرجع

أطراف الكشف والظن متوالية إلى غير نهاية فلا يزال النعيم واللذة متزايدة أبداً لا يآبى وتكون له ما يتجدد من أطراف النعيم شاغلة عن الأحاسيس بالشوق إلى ما لم يحصل وهذا بشرط أن يمكن حصول الكشف فيها لم يحصل فيه كشف في الدنيا أصلاً فإن كان ذلك غير مبذول ليكون النعيم واقفاً على حد لا يتضاعف ولكن يكون مستمرا على الدوام وقوله سبحانه وتعالى - نورهم يمشي بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا - محتمل لهذا المعنى وهو أن ينعم عليه بأتمام النور مهما تزود من الدنيا أصل النور وبمحتمل أن يكون الراديه بإتمام النور في غير ما استشار في الدنيا استشارة محتاجة إلى مزيد الاستكمال والاشراق فيكون هو الراد بشمائه وقوله تعالى - انظرونا نقبض من نوركم قبل أن رجوعوا وراة كما كفتموا نوراً - يدل على أن الأنوار لا بد وأن يزود أهلها في الدنيا ثم يزاد في الآخرة إشراقاً فاما أن يتجدد نور قلوب الحكماء في هذا برجم الظنون مخطر ولم يتكشف ثابته بعد ما يوثق به فبمسألة الله تعالى أن يزيدنا علماً وورثاً وبرئنا الحق حقاً فهذا القدر من أنوار البصائر كاشف لخصائص الشوق ومعانيه. وأما شواهد الأخبار والآثار فأكثر من أن تحصى فمما اشتهر من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول: « اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرم العيش بعد الموت ولذة النظر إلى وجهك الكريم والشوق إلى لقاءك » (١) وقال أبو الدرداء: لكتب أخبرني عن أخى آية بنى في التوراة فقال يقول الله تعالى: طل شوق الأبرار إلى لقائي وإني إلى قائلهم لأعد شوقاً قال ويكتب إلى جانبها من طلبة وجدني ومن طلب غيري لم يجدني ، فقال أبو الدرداء: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا وفي أخبار داود عليه السلام إن الله تعالى قال ياد داود أبلغ أهل أرضي أني جئيل أحبني وجئيل من جالسني ومؤنس لمن أنس يذكرني وصاحب لمن صاحني ومختار لمن اختارني ومطيع لمن أطاعني ما أحبني عبد أعلم ذلك يقينا من قلبه إلا قبلته لنفسى وأحبته جبالاً لا يتقده أحد من خلقي من طلبة الحق وجدني ومن طلب غيري لم يجدني ، فارضوا يا أهل الأرض ما آتمت عليهم من غرورهم واهلهم إلى كرامتي ومصاحبي ومحاسني وانفسوا في أواسنكم وأسارع إلى محبتكم فاني خالفت طيبة أحبائي من طيبة إبراهيم خليلي وموسى نبيي ومحمد صفيي وخلقت قلوب الشائقين من نوري ونعمتها بجلاي . وروى عن بعض السلف أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين إن لي عبداً من عبادي يحبوني وأحبهم وبشائقون إلى وأشتاق إليهم ويذكرونني وأذكركم وينظرون إلى وأنظر إليهم فإن حدثت طريقهم أحببتك وإن عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علمتهم قال براعون الظلال بالهار كإراعي الراعي الشفيق غنمه ويحنون إلى غروب الشمس كما يحن الطائر إلى وكرة عند الغروب فإذا جهنم الليل واختلط الظلام وفرشت القرش ونصبت الأسيرة وخللا كل حبيب بحبيبه نصبوا إلى أقدامهم واقتروا إلى وجوههم وناجوني بكلامي وتخلقوا إلى باضامي فبين صارخ وبك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راحك وساجد بيني ما يتجددون من أجلي وبسمعي ما يشكون من حي أول ما أعطيت ثلاث : أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم . والثانية لو كانت السموات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقلتهم لهم . والثالثة أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما يريد أن أعطيه . وفي أخبار داود عليه السلام إن الله تعالى أوحى إليه ياد داود إلى كم تذكر الجنة ولا تنسألني الشوق إلى قال يارب من الشائقون إليك قال إن للشائقين إلى الذين صفتهم من كل كدر ونبتهم بالخدر وخرقت من قلوبهم إلى خرقا ينظرون إلى واني لأحمل قلوبهم بيدي فأنتعها على صفاتي ثم أدعو نجباء ملائكتي فإذا اجتمعوا

(١) حديث أنه كان يقول في دعائه اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرم العيش بعد الموت الحديث أحمد والحاكم وتقدم في الدعوات .

إلى ابتدائه فيروض  
نفسه ثانياً ومن لم يكن  
نفسه بميزان الصديق  
فيها له وعليه لا يبلغ  
مبلغ الرجال ورؤية  
عيوب الأنفال من  
ضرورة صحة الاتابة  
وهو في تحقيق مقام  
التوبة ولا تستقيم  
التوبة إلا بصديق  
المجاهدة ولا يصديق  
العبد في المجاهدة إلا  
بوجود الصبر. وروى  
فضالة بن عبيد قال  
سمعت رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يقول  
المجاهد من جاهد نفسه  
ولا يثم ذلك إلا بالصبر  
وأفضل الصبر الصبر  
على الله يكوف لهم  
عليه وصديق للراقبة  
له بالقلب وجسم مواد

سجدوا لي فأقول إني لم أدعكم للتسجدوا لي ولكن دعوتكم لأعرض عليكم قلوب الشاقين إلى وأباهم بكم أهل الشوق إلى فإن قلوبهم لتضيء في سبيل ملائكتي كما تضيء الشمس لأهل الأرض. يادادو إني خلقت قلوب الشاقين من رضواني ونصبتها بنور وجهي فأخذتهم لنفسي محبدي ، وجعلت أبدانهم موضع نظري إلى الأرض وقطعت من قلوبهم طرقا ينظرون به إلى يزدادون في كل يوم شوقا . قال داود يارب أرني أهل محبتك ، فقال يادادو انت جبل لبنان فإن فيه أربعة عشر نكسا فيهم شبان وفيهم شبوح وفيهم كهول فإذا أبتهم فأفرهم من السلام وقل لهم إن ربكم يفرحكم السلام ويقول لكم الأسألون حاجة فانكم أحبابي وأصفائي وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم فأنام داود عليه السلام فوجدهم عند عين من العيون يتذكرون في عظمة الله عز وجل ، فلما نظروا إلى داود عليه السلام نهضوا ليتفرقوا عنه ، فقال داود إني رسول الله إليكم بشركم لأبلغكم رسالة ربكم فأقبلوا نحوه وألقوا أسماهم نحو قوله وألقوا أسماهم إلى الأرض ، فقال داود إني رسول الله إليكم بفرحكم السلام ويقول لكم الأسألون حاجة ألا تادوني أسمع صوتكم وكلامكم فانكم أحبابي وأصفائي وأوليائي أفرح لفرحكم وأسارع إلى محبتكم وأنظر إليكم في كل ساعة نظر الوالدة الشقيقة الرقيقة . قال جبرت الدموع على خدودهم ، فقال شيخهم سبحانه سبحانه نحن عبيدك وبنو عبيدك فاغفر لنا مقاطع قلوبنا عن ذكرك فيما مضى من أعمارنا . وقال الآخر : سبحانه سبحانه نحن عبيدك وبنو عبيدك فامتن علينا بحسن النظر فيما بيننا وبينك . وقال الآخر : سبحانه سبحانه نحن عبيدك وبنو عبيدك أفتجزي على السماء وقد علمت أنه لا حاجة لنا في شيء من أمورنا فأقم لنا لزوم الطريق إليك وأنعم بذلك لنا علينا . وقال الآخر : نحن مقصرون في طلب رضاك فأعنا علينا بحودك . وقال الآخر : من نطفة خلقتنا ومننت علينا بالتفكر في عظمتك أفتجزي على الكلام من هو مشتغل بعظمتك متفكر في جلالك وطلبتنا الدنو من نورك . وقال الآخر : كنت ألسنتنا عن دلائك لعظم شأنك وقربك من أوليائك وكثرة متك على أهل محبتك . وقال الآخر : أنت هدبت قلوبنا فذكرك وفرغتنا للاشتغال بك فاغفر لنا تقصيرنا في شكرك . وقال الآخر : قد عرفت حاجتنا إنعاهي النظر إلى وجهك . وقال الآخر : كيف يجتري العبد على سيده إذ أمرتنا بالسماء بحودك فهب لنا نورا نهتدي به في الظلمات من أطباق السموات . وقال آخر : ندعوك أن تحبل علينا وتديعه عندنا . وقال الآخر : نسألك تمام نعمتك فيما وهبت لنا ونفضلت به علينا . وقال الآخر : لا حاجة لنا في شيء من خلقك فامتن علينا بالنظر إلى جمال وجهك . وقال الآخر : أسألك من بينهم أن تسمى عبي عن النظر إلى الدنيا وأهلها وقابلي عن الاشتغال بالآخرة . وقال الآخر : قد عرفت تباركت وتعاليت أنك تحب أوليائك فامتن علينا باشتغال القلب بك عن كل شيء دونك . فأمر الله تعالى إلى داود عليه السلام قل لهم قد سمعت كلامكم وأجبتكم إلى ما أجبتم فلينافق كل واحد منكم صاحبه وليتخذ لنفسه سرايا فاني أكشف الحجاب فيما بيني وبينكم حتى تنظروا إلى ثوري وجلالي . فقال داود يارب هم نالوا هذا منك قال بحسن الظن والسكف عن الدنيا وأهلها والحلو في ومناجاتهم لي وإن هذا منزل لا يباهه إلا من رفض الدنيا وأهلها ولم يشتغل شيء من ذكرها وفرغ قلبه لي واختارني على جميع خلقي فعند ذلك أعطف عليه وأفرغ نفسه وأكشف الحجاب فيما بيني وبينه حتى ينظر إلى نظر الناظر بعينه إلى الشيء وأربه كرامتي في كل ساعة وأقربه من نور وجهي ، إن

الحواطر والصبر ينقسم إلى فرض وفضل فالفضل كالصبر على أداء للقرضات، والصبر عن المحرمات ومن الصبر الذي هو فضل الصبر على الفقر والصبر عند الصدمة الأولى وصكبان الصائب والأوجاع وترك الشكوى والصبر على إخفاء الفقر، والصبر على كتم النصح والكرامات ورؤية المبر والآيات ووجوه الصبر فرضا وفضلا كثيرة وكثير من الناس من يقوم بهذه الأقسام من الصبر وضيق عن الصبر على الله بلزوم حمة المراقبة والرعاية

مرض مرضته كما تعرض الوالدة الشقيقة ولدها ، وإن عطش أرويته وأذيقه طعم ذكرى ، فإذا ضلت ذلك به يادود حبيت نفسه عن الدنيا وأهلها ولم أحبها إليه لا يفر عن الاشتغال بي . يستجلى القدوم وأنا أكره أن أميته لأنه موضع نظرى من بين خلقى لا يرى غيرى ولا أرى غيره فلو رأيته يادود وقد ذابت نفسه ونحل جسمه وتهدمت أعضاؤه وأخلع قلبه إذا سمع بك كرى أبهى به ملائكتى وأهل سمواى يزداد خوفاً وعبادة ، وعزى وجلالى يادود لأقدسه فى الفردوس ولأشفيين صدره من النظر إلى حق برضى وفوق الرضا . وفى أخبار داود أيضاً : فل لبادى للتوجهين إلى عبيق ماضركم إذا احتجبت عن خلقى ورفقت الحجاب فيما بينى وبينكم حتى تنظروا إلى بيوت قلوبكم وما ضرركم ما زويت عنكم من الدنيا إذا بسطت ديتى لكم وما ضرركم مسخطة الخلق إذا التستم رضائى . وفى أخبار داود أيضاً : إن الله تعالى أوصى إليه تزعم أنك تحبى ، فإن كنت تحبى فأخرج حب الدنيا من قلبك فإن حبى وجهها لا يجتمعان فى قلب . يادود خالص حبيبى مخالط أهل الدنيا مخالطة ودينك قلدته ولا تلهى دينك الرجال ، أما ما استبان لك مما وافق عبيق فتمسك به ، وأما ما أشكل عليك فقله حتى أتى أسارع إلى سياستك وتويعك ولا تكن قائداً ودليلك أعطيك من غير أن تسألنى وأعينك على الشدائد وإنى قد حلفت على نفى أى لا أتب إلا عبداً قد عرفت من طلبته وإرادته وإلقاء كنفه بين يدى وأنه لا غنى به عنى ، فإذا كنت كذلك نزع القلب والوحشة عنك وأسكن الفنى فليك فانى قد حلفت على نفى أنه لا يطمئن عبدى إلى شمه ينظر إلى فعالها إلا وكلته إليها أنصف الأشياء إلى لاضداد عملك فتكون متنبها ولا يتنفع بك من يصحبك ولا تجد لفرقى حداً فليس لها غاية ، ومتى طلبت منى الزيادة أعطيك ولا تجهد للزيادة منى حداً ، ثم أعلم بى إسرائيل أنه ليس بينى وبين أحد من خلقى نسب فلتعظم رغبتهم وإرادتهم عندي أبع لهم مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ضمنى بين عينيك وانظر إلى يصر قلبك ولا تنظر بعينك التى فى رأسك إلى الدين حبيت عقولهم عنى فأخرجوها وسخت باقطاع ثوابى عنها فانى حلفت بجزى وجلالى لا أضح ثوابى لبيد دخل فى طاعنى للتجربة والتسوف تواضع لمن تلمه ولا تطاول على الريدين ، فلو علم أهل عبيق منزلة الريدين عندي لكانوا لهم أرضاً بعشون عليها . يادود لأن تخرج مريداً من سكرة هو فيها تستقنه فأكتبك عندي جهيدا ، ومن كنته عندي جهيدا لا يكون عليه وحشة ولا فاقة إلى الخلقين . يادود : تمسك بكلامى وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتين منها فأحجب عنك عبيق لا تؤيس عبادى من رحنى أقطع شهوتك لى قائما أبحت الشهوات لضعفة خلقى ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات قائما تنقص حلالة مناجاتى ، وإعما عقوبة الأقوياء عندي فى موضع التناول أدنى ما يصل اليهم أن أحجب عقولهم عنى فانى لم أرض الدنيا لحبيبى ونزعتها عنها . يادود : لأجمل بينى وبينك طالما يحجبك بسكره عن عبيق . أولئك قطع الطريق على عبادى الريدين استمن على ترك الشهوات بإدمان الصوم ، وإياك والتجربة فى الإفطار فإن عبيق للصوم إيمانه . يادود تحبب إلى إعادة نفسك لمنعتها الشهوات أنظر إليك وترى المحبب بينى وبينك مرفوعة إنما أداربك مداراة لتقوى على ثوابى إذا مننت عليك به واتى أحبسه عنك وأنت متمسك بطاعنى . وأوصى الله تعالى لى داود يادود لويل للبرون عنى كفى انتظارى لهم ورقى بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لما نوا شوقا إلى وتخطت أوصالهم من عبيق

وفى الخواطر ، فاذن حقيقة الصبر كاتبة فى التوبة كعبونة للراقبة فى التوبة والصبر من أعز مقامات اللوقين وهو داخل فى حقيقة التوبة . قال بعض الدماء : أى شمه أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى فى كلامه فى نيف وتسعين موضعا وما ذكر شيئا بهذا العدد ومحة التوبة تحتوى على مقام الصبر مع شرفه . ومن الصبر الصبر على النعمة ، وهو أن لا يبرفها فى معصية الله تعالى وهذا أيضا داخل فى صفة التوبة

ياداوود هذه إرادتي في الدارين عن فكيف إرادتي في القباين علي ياداوود أخرج ما يكون العبد إلى إذا استغنى عن وأرحم ما يكون بعدي إذا أدر عن وأجل ما يكون عدى إذا رجع إلى ، فهذه الأخبار ونظائرهما مما لا يحصى تدل على إثبات المحبة والشوق والأنس ، وإثبات تحقيق معناها ينكشف بما سبق .

### ( بيان حبة الله للعبد ومعناها )

اعلم أن شواهد القرآن متظاهرة على أن الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة معنى ذلك ، ولتقدم الشواهد على محبته ، فقد قال الله تعالى - يحبهم ويحبونه - وقال تعالى - إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله مفا - وقال تعالى - إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين - ولذلك رد سبحانه على من ادعى أنه حبيب الله فقال - قل فم يذبكم بذنوبكم - وقد روى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا أحب الله تعالى عبدا لم يضوء ذنبه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ثم تلا - إن الله يحب التوابين - (١) » ومعناه أنه إذا أحببه تاب عليه قبل الموت فلم يضره الذنوب الماضية وإن كثرت كما لا يضر السكر الماضي بعد الإسلام وقد اشترط الله تعالى للمعصية غفران الذنب فقال - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبكم الله ويغفر لكم ذنوبكم - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الإيمان إلا من يحب (٢) » وقال الرسول الله صلى الله عليه وسلم « من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر ذكر الله أحب الله (٣) » وقال عليه السلام « قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى بالتواضع حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به (٤) » الحديث . وقال زيد بن أسلم : إن الله يحب العبد حتى يبلغ من حبه له أن يقول : اعمل ما شئت فقد غفرت لك ، وما ورد من ألفاظ المحبة خارج عن الحصر ، وقد ذكرنا أن حبة العبد لله تعالى حقيقة وليست بمجاز ، إذ المحبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى الشيء الموافق والعشق عبارة عن الميل القابل للقرط ، وقريباً أن الإحسان موافق للنفس والجمال موافق أيضاً ، وأن الجمال والإحسان تارة يدرك بالبصر وتارة يدرك بالبصرة والحب يتبع كل واحد منهما فلا يختص بالبصر ، فأما حب الله للعبد فلا يمكن أن يكون بهذا المعنى أصلاً بل الأسمى كلها إذا أطلقت على الله تعالى وعلى غير الله لم تنطلق عليهما بمعنى واحد أصلاً حتى إن اسم الوجود الذي هو أعم الأسماء اشتراكاً لا يشمل الخالق والخلق على وجه واحد بل كل ما سوى الله تعالى فوجوده مستفاد من وجود الله تعالى فالوجود التابع لا يكون مساوياً للوجود التبويح ، وإنما الاستواء في إطلاق الاسم نظيره اشتراك الفرس والشجر في اسم الجسم ، إذ معنى الجسمية وحقيقتها متشابهة فيما من غير استحقاق أحدهما لأن يكون فيه أصلاً فليست الجسمية لأحدهما مستفادة من الآخر وليس كذلك اسم الوجود لله ولا خلقه ، وهذا التابع على سائر الأسماء

(١) حديث أنس إذا أحب الله عبدا لم يضره ذنبه والتائب من الذنب كمن لا ذنب له ذكره صاحب الفردوس ولم يخرج له ولده في مسنده وروى ابن ماجه الشطر الثاني من حديث ابن مسعود وقد تقدم في التوبة (٢) حديث إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب الحديث الحاكم وصححه استناده والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود (٣) حديث من تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن أكثر من ذكر الله أحب الله ابن ماجه من حديث أبي سعيد بإسناد حسن دون قوله ومن أكثر إلى آخره ورواه أبو يعلى وأحمد بهذه الزيادة وفيه ابن لهيعة (٤) حديث قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب إلى بالتواضع حتى أحبه الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

وكان سهل بن عبد الله يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء ، وروى عن بعض الصحابة بلينا بالضراء نصبرنا وبلينا بالسراء فلم نصبر ومن الصبر رعاية الاقتصاد في الرضا والتضبط والصبر عن محبة الناس والصبر على المحول والتواضع والذل داخل في الزهد وإن لم يكن دخلاً في التوبة وكل ما فات من مقام التوبتين القامات السنية والأحوال وجد في الزهد وهو ثالث الأربعة التي ذكرنا وحقيقة الصبر تظهر من طمأنينة النفس وطمأنينتها من تركها وتركها بالتوبة

أظهر كالم والارادة والقدرة وغيرها فكل ذلك لا يشبه فيه الخالق الخلق وواضع الثقة إنما وضع هذه الأساسى أولا للخالق فان الخلق أسبق إلى القول والأنعام من الخالق فكان استمدادها من حق الخالق بطريق الاستعارة والتجوز والنقل والمهبة في وضع اللسان عبارة عن ميل النفس إلى موافق ملائم وهذا إنما يتصور في نفس ناقصة فانها ما برأقتها فتستفيد بنبه كالا تكتلذ بنبه وهذا محال على الله تعالى فان كل كمال وجمال وبهاء وجلال يمكن في حق الإلهية فهو حاضر وحاصل وواجب الحصول أبدا وأزلا ولا يتصور تجددده ولا زواله فلا يكون له إلى غيره نظر من حيث إنه غيره بل نظره إلى ذاته وأفعاله فقط وليس في الوجود إلا ذاته وأفعاله ، ولذلك قال الشيخ أبو سعيد البهني رحمه الله تعالى لما قرئ عليه قوله تعالى - يحبهم ويحبونه - فقال بحق محبهم فانه ليس يحب إلا نفسه على معنى أنه الكل وأن ليس في الوجود غيره فمن لا يحب إلا نفسه وأفعاله نفسه وتمايز نفسه فلا يجاوز حبه ذاته وتوابع ذاته من حيث هي متعلقة بذاته فهو إذن لا يحب إلا نفسه ، وما ورد من الأقاظم في حبه لعباده فهو مؤول ويرجع معناه إلى كشف الحجاب عن قلبه حتى يراه بقلبه ، وإلى تمكينه بإيه من القرب منه وإلى إرادته ذلك به في الأزل قبله لمن أحبه أزلى مهما أضيف إلى الارادة الأزلية التي اقتضت تمكين هذا البدن من سلوك طرق هذا القرب ، وإذا أضيف إلى فعله الذي يكشف الحجاب عن قلب عبده فهو حادث يحدث السبب للقضي له كما قال تعالى ولا يزال عبيدى يتقرب إلى بالزوافل حتى أحبه فيكون تقربه بالزوافل سببا لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه فكل ذلك فعل الله تعالى ولطيف به فهو معنى حبه ، ولا ينهم هذا الابتثال وهو أن الملك قد يقرب عبده من نفسه ويأذن له في كل وقت في حضور بساطه لميل الملك إليه إما لينصره بقوته أو ليسترجه بعشاهدته أو ليشتيره في رأيه أو ليهي أسباب طعامه وشرابه فيل إن الملك يحبه ويكون معناه ميله إليه لما فيه من الخلق الموافق للملائمة له وقد يقرب عبدا ولا يتعمد من الدخول عليه لالاستفاد به ولا للاستجداد به ولكن لكون البدن في نفسه موصوفا من الأخلاق الرضية المحال الحميدة بما يليق به أن يكون قريبا من حضرة الملك وافر الحظ من قربه مع أن الملك لا غرض له فيه أصلا فاذا رفع الملك الحجاب بينه وبينه يقال قد أحبه وإذا اكتسب من الحصول الحميدة ما اقتضى رفع الحجاب يقال قد توصل وحبيب نفسه إلى الملك فحب الله للبدن إنما يكون بالمعنى الثاني بالملئ الأول وإنما يصح تمثيله بالمعنى الثاني بشرط أن لا يسبق إلى فهمك دخول تغير عليه عند تجدد القرب فان الحبيب هو القريب من الله تعالى والقرب من الله في البدن من صفات البهائم والسيباع والشياطين والتخلق بمكارم الأخلاق التي هي الأخلاق الإلهية فهو قرب بالصفة لا بالمكان ومن يمكن قريبا لخصار قريبا قد تغير قريبا يظن بهذا أن القرب لما تجدد قد تغير وصف العبد والزب جميعا بآثار قريبا بعد أن لم يكن وهو محال في حق الله تعالى إذا تغير عليه محال بل لا يزال في نموت النكال والجلال على ما كان عليه في أزل الأزال ولا ينكشف هذا الابتثال في القرب بين الأشخاص فان الشخصين قد يتقاربان بتحركهما جميعا وقد يكون أحدهما ثابتا فيتحرك الآخر فيصل القرب بتغير في أحدهما من غير تغير في الآخر بل القرب في الصفات أيضا كذلك فان التليذ يطلب القرب من درجة أستاذ في كمال العلم وجماله والأستاذ واقف في كمال علمه غير متحرك بالزوال إلى درجة تلميذه والتلميذ متحرك مترق من حضيض الجهل إلى ارتفاع العلم فلا يزال دائما في التغير والترق إلى أن يقرب من أستاذه والأستاذ ثابت غير متغير فكذلك ينبغي أن يفهم ترقى البدن في درجات الترب فكلمها صار أكمل صفة وأتم علما وإحاطة بمقائق الأمور وأثبت قوة في قهر الشيطان وقهر الشهوات وأظهر زهاده عن

فالنفس اذا تركت بالتوبة النصوح زالت عنها الترساة الطبيعية وقلة الصبر من وجود الترساة للنفس وإثباتها واستقامتها والتوبة النصوح تلين النفس وتخرجها من طبيعتها وشراستها إلى اللين لأن النفس بالحاسبة والراقبة تصفو وتطفيء نيرانها الشأجية بتأدية الهوى وتبلغ بطمأنينتها محل لرضا ومقامه وتطمئن فيه بجارى الأقدار قال أبو عبيد الله التياجي قد عباد يستحيون من الصبر ويتقنون مواضع أقداره بالرضا تلقا ، وكان عمر بن عبد العزيز يقول

الذائل صار أقرب من درجة الكمال ومنتهى الكمال لله وقرب كل واحد من الله تعالى بقدر كماله . ثم قد يقدر التفتيد على القرب من الأستاذ على مساوئ على مجاوزته وذلك في حق الله حال فانه لانه نهاية الكمال وسلك العبد في درجات الكمال متناه ولا ينتهي إلا إلى حد محدود لا يطعم له في الساعات ثم درجات القرب تتفاوت تفاوتاً لانهاية له أيضاً لأجل انتفاء النهاية عن ذلك الكمال فاذن محبة الله للعبد تقريه من نفسه بدفع الشواغل والهوى عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه . وأما محبة العبد لله فهو ميله إلى درك هذا الكمال القدسي ومغفلة عنه فاقده فلا جرم يشاقق إلى ما فاته وإذا أدرك منه شيئاً يلتذبه والشوق والهبة بهذا المعنى حال على الله تعالى . فان قلت محبة الله للعبد أمر ملتبس فم يعرف العبد أنه حبيب الله ؟ فأقول يستدل عليه بعلاماته وقد قال صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فإذا أحب الحب البالغ انتباه قبل وما انتباه ؟ قال لم يترك له أهلاً ولا مالاً» (١) فعلمة محبة الله للعبد أن يوحشه من غيره ويحول بينه وبين غيره . قيل لميل على السلام لا لتشرى حماراً فتركه فقال أنا أعز على الله تعالى من أن يشغلي عن نفسه بحمار ، وفي الخبر «إذا أحب الله عبداً ابتلاه فان صبر اجتهاد فان رضى اصطفا» (٢) وقال بعض العلماء إذا رأيتك تحبه ورأيت بينك فاعلم أنه يريد يصافيك ، وقال بعض الريدين لأستافه قدما ولست بشئ من المحبة قال يابن هل ابتلاك بمحبوب سواء فأثرت عليه إياه قال لا قال فلا تطعم في المحبة فانه لا يسطبها عبداً حتى يسلوه . وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه» (٣) وقد قال «إذا أراد الله بعبده خيراً أيسره بيوب نفسه» (٤) فأخص علاماته حبه لله فان ذلك يدل على حب الله . وأما القمل الدال على كونه محبوباً فهو أن يتولى الله تعالى أمره ظاهره وباطنه سره وجهه فيكون هو الشير عليه والدبر لأمره والزين لأخلاته وللمستعمل لجوارحه والسدد لظاهره وباطنه والجاعل همومه لها واحداً والبيض للدينا في قلبه وللوحش له من غيره واللؤس له بلقة للناجاة في خلواته والكاشف له عن الحجب بينه وبين معرفته فهدا وأما الله هو علامة حب الله للعبد ، فلنذكر الآن علامة محبة العبد لله قلنا أيضاً علامات حب الله للعبد .

(القول في علامات محبة العبد لله تعالى)

اعلم أن المحبة يدعيها كل واحد وما أسهل الدعوى وما أعز للمنى فلا ينبغي أن يشتر الإنسان باليأس الشيطان وخدع النفس مهما ادعت محبة الله تعالى ما لم يمتحنها بالعلامات ولم يطالبها بالبراهين والأدلة والمحبة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء وتجارها تظهر في القلب واللسان والجوارح وتدل تلك الآثار الفاضلة منها على القلب والجوارح على المحبة دلالة الدخان على النار ودلالة الثمار على الأشجار وهي كثيرة فلها حب لقاء الجيب بطريق الكشف والشاهدة في دار السلام فلا يتصور أن يحب القلب محبوباً إلا بحب مشاهدته ولقاءه وإذ اعلم أنه لا وصول إلا بالارتحال من الدنيا ومقارنتها بالموت فينبغي أن يكون محباً للموت غير فارته فان الحب لا يثقل عليه السفر عن وطنه إلى مستقر محبوبه

- (١) حديث إذا أحب الله عبداً ابتلاه الحديث الطبراني من حديث أبي حنيفة الحلواني وقد تقدم .
- (٢) حديث إذا أحب الله عبداً ابتلاه فان صبر اجتهاد الحديث ذكره صاحب الفردوس من حديث علي بن أبي طالب ولم يخرج له ولمه في مسنده (٣) حديث إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أم سلمة بإسناد حسن بلفظ إذا أراد الله بعبده خيراً (٤) حديث إذا أراد الله بعبده خيراً أيسره بيوب نفسه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بن زيادة فيه بإسناد ضعيف .

أصبحت ومالي سرور  
إلا ما وقع القضاء قال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم لا ين عباس  
حين وصاه «اعمل لله  
باليقين في الرضا فان لم  
يكن فان في الصبر  
خيراً كثيراً» وفي الخبر  
عن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم «من خير  
ما أعطى الرجل الرضا  
بما قسم الله تعالى له»  
فالأخبار والآثار  
والحكايات في فضيلة  
الرضا وشرفه أكثر  
من أن تحصى والرضا  
ثمررة الثوبة النصوح  
وما تخلف عبد عن  
الرضا إلا يتخلفه عن  
الثوبة النصوح فاذن  
تجمع الثوبة النصوح  
حال الصبر ومقام الصبر  
وحال الرضا ومقام

ليقيم بمشاهدته واللوت مفتاح اللقاء . وباب الدخول إلى الشهادة . قال صلى الله عليه وسلم « من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه »<sup>(١)</sup> وقال حذيفة عند الموت حبيب جاء على فاقة لا أفزع من نسيم . وقال بعض السلف : مامن خصلة أحب إلى الله أن تكون في العبد بعد لقاء الله من كثرة السجود . قد سمع حب لقاء الله على السجود وقد شرط الله سبحانه حقيقة الصدق في الحب القتل في سبيل الله حيث قالوا إنا نحب الله فجعل القتل في سبيل الله وطلب الشهادة علامته فقال - إن الله يحب الذين يقتلون في سبيله صفا - وقال عز وجل - يقتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون - وفي وصية أبي بكر لم عمر رضي الله تعالى عنهما : الحق قليل وهو مع قلته مريء . والباطل خفيف وهو مع خفته وبيء . فإن حفظت وصيقي لم يكن غائب أحب إليك من اللوت وهو مدرتك وإن ضيقت وصيقي لم يكن غائب أبغض إليك من اللوت ولئن تعجزه ، وبروي عن اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله فغلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يارب إني أتستعصم عليك إذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسمه شديدا حرده أقاتله فيك ويقايني ثم يأخذني فيجده أنفي وأذني ويقر بعلي فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله من جدد أنفك وأذنك فأقول فيك يارب وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فقد رأيته آخر النهار وإن أظنه وأذنه لم يلتقيان في خطب<sup>(٢)</sup> قال سعيد بن السبب أرجو أن يروى الله آخر قسمه كما برأؤه ، وقد كان الثوري وجرى الحافي يقولان لا يكره اللوت إلا مرب لأن الحبيب على كل حال لا يكره لقاء حبيبه . وقال البويطي لبعض الزهاد أحب الموت فكمأه توفى فقال لو كنت صادقا لأحببته وتلا قوله تعالى - فتمنوا الموت إن كنتم صادقين - قال الرجل قد قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يمتنع أحدكم الموت »<sup>(٣)</sup> فقال إنما قاله لضر نزل به لأن الرضا بقضاء الله تعالى أفضل من طلب القرار منه . فإن قلت بمن لا يحب الموت فهل يتصور أن يكون محبا لله ؟ فأقول كراهة الموت قد تكون لحب الدنيا والتأسف على فراق الأهل والنال والولد وهذا ينافي بكلام حب الله تعالى لأن الحب الكامل هو الذي يستغرق كل القلب ولكن لا يبعد أن يكون له مع حب الأهل والولد شائبة من حب الله تعالى ضئيلة فإن الناس متفاوتون في الحب وبدل على التفاوت ما روى أن أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس لما تزوج أخته فاطمة من سالم مولاها غابته فريش في ذلك وقالوا أنكحت عتيقة من عوائل قريش لولي قال والله لقد أنكحته إياها وإني لأعلم أنه خير منها فكان قوله ذلك أشد عليهم من ضلقة قالوا كيف وهي أختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فليتنظر إلى سالم<sup>(٤)</sup> » فهذا يدل على أن من الناس من لا يحب الله بكل قلبه فيجبه ويحب أيضا غيره فلا جرم يكون نعيمه

(١) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه متفق عليه من حديث أبي هريرة وعائشة (٢) حديث اسحق بن سعد بن أبي وقاص قال حدثني أبي أن عبد الله بن جحش قال له يوم أحد ألا ندعو الله فغلوا في ناحية فدعا عبد الله بن جحش فقال يارب إني أتستعصم عليك إذا لقيت العدو غدا فلقني رجلا شديدا بأسمه شديدا حرده أقاتله فيك ويقايني ثم يأخذني فيجده أنفي وأذني ويقر بعلي فاذا لقيتك غدا قلت يا عبد الله من جدد أنفك وأذنك فأقول فيك يارب وفي رسولك فتقول صدقت قال سعد فقد رأيته آخر النهار وإن أظنه وأذنه لم يلتقيان في خطب (٣) حديث لا يمتنع أحدكم الموت لضر نزل به لأن الرضا بقضاء الله تعالى أفضل من طلب القرار منه (٤) سالم مولاها غابته فريش في ذلك وقالوا أنكحت عتيقة من عوائل قريش لولي قال والله لقد أنكحته إياها وإني لأعلم أنه خير منها فكان قوله ذلك أشد عليهم من ضلقة قالوا كيف وهي أختك وهو مولاك فقال سمعت رسول الله ﷺ يقول « من أراد أن ينظر إلى رجل يحب الله بكل قلبه فليتنظر إلى سالم »

بلقاء الله عند القدوم عليه على قدر حبه وعذابه بفراق الدنيا عند الموت على قدر حبه لها .  
وأما السبب الثاني للكرهية : فهو أن يكون العبد في ابتداء مقام المحبة وليس بكره الموت وإنما يكره  
محبته قبل أن يستند لبقاء الله فذلك لا يدل على ضعف الحب وهو كالحب الذي وصله الحبيب بقدم  
حبيه عليه فأحب أن يتأخر قدومه ساعة ليهيئ له داره ويعد له أسبابه فيلقاه كما يهواه فارغ القلب  
عن الشواغل خفيف الظاهر عن الموائق فالكرهية بهذا السبب لاتناق كمال الحب أصلاً وعلامته  
الدعوى في العمل واستغراق المهمل في الاستعداد . ومنها أن يكون مؤثراً ما أحبه الله تعالى على ما يحبه  
في ظاهره وباطنه فيقوم مشاق العمل ويحتمل اتباع الهوى ويبرض عن دعة الكسل ولا يزال  
مواظباً على طاعة الله ومتقرباً إليه بالوافل وطالبا عنده مزاياء الدرجات كما يطلب المحب من مريد القرب  
في قلب محبوبه وقد وصف الله الحيين بالإيتار فقال - يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم  
لحاجة بما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة - ومن بقى مستمرا على متابعة الهوى  
فحبوبه ما يهواه بل يترك المحب هوى نفسه لهوى محبوبه كما قيل :

أريد وصاله ويريد هجرى فأترك ما أريد لما يريد

بل الحب إذا غلب فمع الهوى فلم يبق له تتم بغير المحبوب كما روى أن زليخا لما آمنت وتزوج بها  
يوسف عليه السلام انقضت عنه وتخلت للعبادة واتطعت إلى الله تعالى فكان يدعوها إلى فراشه  
نهارا فرفضته إلى الليل فإذا دعاها ليلا سوفت به إلى التبار وقالت يا يوسف إنما كنت أحبك قبل  
أن أعرفه فأما إذ عرفته فما أبقت محبة لسواه وما أريد به بدلا حق قال لها إن الله جل  
ذكره أمرني بذلك وأخبرني أنه مخرج منك ولدين وساعلهما نبين فقلت أما إذا كان الله تعالى  
أمرك بذلك وجعلني طريقا إليه فطاعة لأمر الله تعالى فمدها سكنت إليه ؟ فاذن من أحب الله  
لا يصبه ولذلك قال ابن الباركة فيه :

تصلى الإله وأنت تظاهر حبه هذا لعمري في الفصال بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته إن الحب لمن يحب مطيع

وفي هذا المعنى قيل أيضا :

وأترك ما أهوى لما قد هوته فأرضى بما ترضى وإن سقطت نفسي

وقال سهل رحمه الله تعالى علامة الحب إثاره على نفسك وليس كل من عمل بطاعة الله عز وجل  
صار حبيبا وإنما الحبيب من اجتنب للنهي وهو كما قال لأن محبة الله تعالى سبب محبة الله له كما قال  
تعالى - يحبهم ويحبونه - وإذا أحبه الله تولاها ونصره على أعدائه وإيما عدوه نفسه وشهوته فلا  
يغذله الله ولا يلكه إلى هواه وشهوته ولذلك قال تعالى - والله أعلم بأعنادكم وكفى بالله نصيرا -  
فإن قلت فالحصيان هل يضاد أصل المحبة فأقول : إنه يضاد كمالها ولا يضاد أصلها فك  
من إنسان يحب نفسه وهو مريض ويحب الصحة ويأكل كل ما يضره مع العلم بأنه يضره وذلك لا يدل على  
عدم حبه لنفسه ولكن العرفة قد تضاعف والشهوة قد تنقلب فيعجز عن القيام بحق المحبة ويدل عليه ما روى  
« أن نضيان كان يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل قليل فيجده في مصيبة يرتكبها إلى أن  
آتى به يوما فغده فلعنه رجل وقال ما أكثر ما يؤتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه  
وسلم لا تلعنه فإنه يحب الله رسوله (١) » فلم يخرج به بالمصيبة عن المحبة ، نعم نخرجه للصيحة عن كمال الحب  
(١) حديث آتى نضيان يوما فغده فلعنه رجل قال ما أكثر ما يؤتى به فقال لا تلعنه فإنه يحب الله  
ورسوله البخاري وقد تقدم .

بخاف هجاء في تفسير  
قوله تعالى سولانلقوا  
بأيديكم إلى التهلكة  
هو البسد يذنب  
الكبائر ثم يقول قد  
هلكت لا يفتنى عمل  
فالتائب خاف ظناب  
ورجال القفر ولا يكون  
التائب تابيا إلا وهو راج  
خائف ثم إن التائب  
حيث قيدا الجوارح عن  
السكران واستعان بنعم  
الله على طاعة الله فقد  
يشكر التسليم لأن كل  
جارية من الجوارح  
نعمة وشكرها قيدها  
عن العصية واستعمالها  
في الطاعة وأى شاكر  
للمنعة أكبر من التائب  
للمستغفر فإذا جمع مقام  
التوبة هذه القامات  
كلها فقد جمع مقام

وقد قال بعض المارفين إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حياته متوسطا فإذا دخل سويداء القلب أحب الحب البائع وترك للماضي وبالجملة في دعوى المحبة خطر ولذلك قال الفضيل إذا قبل لك أحب الله تعالى فاسكت فأنك إن قلت لا ، كفرت وإن قلت نعم ، فليس وصفك وصف المحبين فاحذر المقت . ولقد قال بعض العلماء ليس في الجنة نعم أسمى من نعم أهل العرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشد من عذاب من ادعى العرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك . ومنها أن يكون مستهترا بذكر الله تعالى لا يفتقر عنه لسانه ولا يغلو عنه قلبه فمن أحب شيئا أكثر بالضرورة من ذكره . وذكر ما يتعلق به فضيلة حب الله حب ذكره . وحب القرآن الذي هو كلامه وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب كل من ينسب إليه فان من يحب إنسانا يحب قلب محله فالحبة إذا قويت تمدت من المحبوب إلى كل ما يكتنف بالمحبوب ومحيط به ويتعلق بأسيابه وذلك ليس شركة في الحب فان من أحب رسول المحبوب لأنه رسوله وكلامه لأنه كلامه فلم يجاوز حبه إلى غيره بل هو دليل على كمال حبه ومن غلب حب الله على قلبه أحب جميع خلق الله لأنهم خلقه فكيف لا يحب القرآن والرسول وعباد الله الصالحين وقد ذكرنا تحقيق هذا في كتاب الأخوة والصحة ولذلك قال تعالى - قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحبك الله - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحبوا الله لما يفيضكم به من نعمة وأجوني لله تعالى (١) وقال سفيان من أحب من يحب الله تعالى فأنما أحب الله ومن أكرم من يكرم الله تعالى فأنما يكرم الله تعالى . وحكى عن بعض الزهادين قال كنت قد وجدت حلالة الناجاة في سن الارادة فأدمنت قراءة القرآن ليلا ونهارا ثم لحقتني فترة فانقطعت عن التلاوة قال فسمعت قائلا يقول في المنام إن كنت تزعم أنك تحبني فلم جفوت كتابي أما تدبرت ما فيه من لطيف عتابي قال فانتبهت وقد أشرب في قلبي محبة القرآن فتاودت إلى حالي . وقال ابن مسعود لا ينبغي أن يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله عز وجل وإن لم يكن يحب القرآن فليس يحب الله . وقال سهل رحمة الله تعالى عليه علامة حب الله حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي ﷺ وعلامة حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادها وبلغت إلى الآخرة . ومنها أن يكون أنسه بالخلاوة ومناجاته لله تعالى وتلاوة كتابه في الواظب على التهجيد وينتظم هذه الليل وصفاء الوقت بانقطاع العوائق وأقل درجات الحب التلذذ بالخلاوة والحبيب والتمتع بمناجاته فمن كان النوم والاشتغال بالحديث لله عنده وأطيب من مناجاة الله كيف تصح محبته قيل لأبراهيم بن آدم وقد زل من الجبل من أين أقبلت فقال من الأنس بالله وفي أخباره وأودع عليه السلام لاستئناسي إلى أحد من خلقي فاني إنما أقطع عني رجلين رجلا استبطأ ثوابي فانقطع ورجلا يسبني فرضي بحاله وعلامة ذلك أن أكله إلى نفسه وأن أدعه في الدنيا حيران وبهما أنس بغير الله كان بقدر أنسه بغير الله مستوحشا من الله تعالى ساقطا عن درجة محبته وفي قصة بريح وهو العبد الأسود الذي استسقى به موسى عليه السلام إن الله تعالى قال لموسى عليه السلام إن برحا نعم العبد هو لي إلا أن فيه عيا قال يارب وما عييه قال يصبه نسيم الأسفار فيسكن إليه ومن أحبني لم يسكن إلي عيسى . وروى أن عابدا عبد الله تعالى في غيبة دهر طويلا فنظر إلى طائر وقد عتس في شجرة يأوي إليها ويصغر عندها فقال لو حولت مسجدي إلى تلك الشجرة فكنت آتس بصوت هذا الطائر

(١) حديث أحبوا الله لما يفيضكم به من نعمه الحديث تقدم .

التوبة حال الزجر  
وحال الانتباه وحال  
التبسط ومخالفة النفس  
والتقوى والمجاهدة  
ورؤية عيوب الأفعال  
والانابة والصبر والرمنا  
والمحاسبة والمراقبة  
والرعاية والشكر  
والخوف والرجاء وإذا  
صحت التوبة النصح  
وزكك النفس انجات  
مرآة القلب وبان قبس  
الدنيا فيها فيحصل  
الزهد والزهد يتحقق  
فيه التوكل لأنه لا زهد  
في الوجود إلا لاعتماده  
على الوعد والسكون  
إلى وعد الله تعالى هو  
عين التوكل وكلما بقي  
على العبد بغيره في تحقق  
القامات كلها بعد  
توبته يستدركه

قال فضل فأوحى الله تعالى إلى نبي ذلك الزمان قل لقان العابد استأنست بمخلوق لأحطتكم درجة لا تالها بشئ من عملك أبدا ، فاذن علامة المحبة كال أنس بمناجاة المحبوب وكال التمس بالخلوة ، وكال الاستباحث من كل ما ينص على الخلوة ويوق عن لغة للنجاسة وعلامة الأنس مصير العبد والقهم كله مستغرقا بلغة المناجاة كالذي يخاطب معشوقه ويناجيه وقد انتهت هذه اللغة يعضهم حتى كان في صلاته ووقع الحريق في داره فلم يشعر به وقطعت رجل بعضهم بسبب علة أصابته وهو في الصلاة فلم يشعر به ومهما غلب عليه الحب والأنس صارت الخلوة والمناجاة قرنة عنه يدفع بها جميع المصوم بل يستغرق الأنس والحب قلبه حتى لا يفهم أمور الدنيا ما لم تكرر على صم مرارا مثل العاشق الولهان فانه يكلم الناس بلسانه وأنسه في الباطن يذكر حبيبه فالجب من لا يطمئن إلا بمحبوبه . وقال قتادة في قوله تعالى - الذين أنصوا وتطامن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب - قال هشت إليه واستأنست به . وقال الصديق رضى الله تعالى عنه من ذاق من خالص محبة الله شفه ذلك عن طلب الدنيا وأوحته عن جميع البشر . وقال مدطرف بن أبي بكر الحب لا يسأم من حديث حبيبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام قد كذب من ادعى محبة إذا جنة الليل نام عنى أليس كل محب يحب لقاء حبيبه فما أناذا موجود لمن طلبى . وقال موسى عليه السلام : يارب أين أنت فأفتردك فقال إذا قصدت فقد وصلت . وقال يحيى بن معاذ من أحب الله أبغض نفسه . وقال أيضا من لم تكن فيه ثلاث خصال فليس محب : يؤثر كلام الله تعالى على كلام الخلق ولقاء الله تعالى على لقاء الخلق والعبادة على خدمة الخلق . ومنها أن لا يتأفف على ما يغتوسى الله عز وجل ويظم تأسفه على فوت كل ساعة خلت عن ذكر الله تعالى وطاعته فيكثر رجوعه عند الغفلات بالاستعطف والاستغفار والتوبة . قال بعض العارفين إن لله عبادا أحبوه وأطعوا إلى فذهب عنهم التأسف على القاتل فلم يتشاغلوا بحظ أنفسهم إذا كان ملك ملكهم تاما وماذا كان فما كان لهم فهو واصل إليهم وما فاتهم فبحسن تدبيره لهم وحق الحب إذا رجع من غفاته في لحظة أن يقبل على محبوبه ويشتمل بالعتاب وإسأله ويقول رب بأى ذنب أظنت برك عنى وأبعدنى عن حضرتك وشغلتنى بنفى وبمناجاة الشيطان فيستخرج ذلك منه صفاء ذكر ورقة قلب يكفر عنه ماسبق من الغفلة وتكون هفوته سببا لتجدد ذكره وصفاء قلبه ومهما لم ير الحب إلا المحبوب ولم ير شيئا إلا منه ثم تأسف ولم يشك واستقبل السك بالرضا وعلم أن المحبوب لم يقدر له إلا ما فيه خيرته وبذكر قوله - وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم - ومنها أن يتم بالطاعة ولا يستغفلا ويسقط عنه تعصيا كما قال بعضهم كابدت الليل عشرين سنة ثم تمت به عشرين سنة . وقال الجنيد علامة الحب دوام النشاط والدعوى بشهوة تغتر بدنه ولا تغتر قلبه . وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله الفتن . وقال بعض العلماء والله ما اشتنى محب لله من طاعته ولو حل بظلم الوسائل فكل هذا أو مثاله موجود في للشاهدات فإن العاشق لا يستكمل السعى في هوى معشوقه ويستسلخ خدمته بقلبه وإن كان شاقا على بدنه ومهما عجز بدنه كان أحب الأشياء إليه أن تداوده القدرة وأن يفارقه العجز حتى يشتغل به فمكذا يكون حب الله تعالى فإن كل حب صار غالبا قهر لا محالة ما هو دونه فمن كان محبوه أحب إليه من السكسل ترك السكسل في خدمته وإن كان أحب إليه من المال ترك المال في حبه ، وقيل لبعض المحبين وقد كان بذل نفسه وماله حتى لم يبق له شئ ما كان سبب حاله هذه في المحبة فقال سمعت يوما محبا وقد خلا محبوه وهو يقول أنا والله أنجيك بقلبي كله وأنت مريض عنى بوجهك كله فقال له المحبوب إن كنت تحبى فأبش تنفق على قال يا صدى أملكك ما أملك

يزعمه في الدنيا وهو ثالث الأرمية . أخبرنا شيخنا قال أنا أبو منصور محمد بن عبد الملك بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري إجازة قال أنا أبو عمرو محمد بن عباس قال أنا أبو محمد يحيى بن ساعدة قال حدثنا الحسين بن الحسن للروزي قال حدثنا عبد الله بن المبارك قال حدثنا الحسين بن جليل قال أنا محمد بن سليمان عن عبد الله بن بريدة قال قد مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فبدأ خاطبة رضى الله عنها فأتها فحدثت في البيت سرا وزوايد في يدها فلما رأى

ثم أنفق عليك روحى حتى تهلك فقات هذا خلق لحاق وعبد أريد فكيف بسيد لمبود فكل هذا بسببه . ومنها أن يكون مشغفا على جميع عباد الله رحبا بهم شديدا على جميع أعداء الله وعلى كل من يقارف شيئا مما يكرهه كما قال الله تعالى - أشداه على الكفار رحما بينهم - ولا تأخذهم لومة لائم ولا يصرفه عن التضرع له صارف وبه وصف الله أوليائه إذ قال الذين يكفون عني كما يكلف الصبي بالتي . ويأوون إلى ذكرى كما يأوى النسر إلى وكرة وينضون لمحامه كما ينضب النحر إذ حرد فانه لا يبالى قل الناس أو كثروا فانظر إلى هذا اللئال فان الصبي إذا كلف بالتي لم يفارقه أملا وإن أخذته لم يكن له شغل إلا البكاء والصياح حتى يرد إليه فان نام أخذه معه في ثيابه فإذا التبه عاد وتمسك به ومهما فارقه بكى ومهما وجده ضحك ومن نازعه فيه أبضه ومن أعطاه أحبه وأما الخرف فانه لا يملك نفسه عند الغضب حتى يبلغ من شدة غضبه أنه يهلك نفسه فهذه علامات الهبة فمن تمت فيه هذه العلامات قد تمت محبته وخلص حبه فصفا في الآخرة شرابه وعذب مشربه ومن امتزج بحبه حب غير الله تتم في الآخرة بقدر حبه إذ يمزج شرابه بقدر من شراب القربين كما قال تعالى في الأبرار - إن الأبرار لفي نعيم - ثم قال - يستقون من رحي عذوق خاتمه مسك وفي ذلك فليقتافس للناقدون ووزاجه من تسليم عينا يشرب بها القربون - فإذا طاب شراب الأبرار لشوب الشراب الصريف الذي هو لذة قربين والشراب عبارة عن جملة نعيم الجنان كما أن الكتاب عبر به عن جميع الأعمال فقال - إن كتاب الأبرار لفي عابن - ثم قال - يشهد القربون - فكان أمانة علو كتابهم أنه ارتفع إلى حيث يشهد القربون وكان الأبرار يمدحون الزيد في حلهم ومعرفهم بقربهم من القربين ومشاهدتهم لهم فكذلك يكون حلهم في الآخرة - ما خلقهم ولا مشك إلا كنفس واحدة - كما بدأنا أول خلق نعيده - وكما قال تعالى - جزاء وفا - أى وافى الجزاء أعمالهم فتقبل الحاصل بالصرف من الشراب وقبول الشوب بالمشوب وشوب كل شراب على قدر ما سبق من الشوب في حبه وأعماله - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم - وإن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة بضاعفها - وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين - فمن كان حبه في الدنيا رجاء نعيم الجنة والخور المين والصور مكن من الجنة ليتبوأ منها حيث يشاء فيلب مع الولدان ويتبع بالنسوان فهناك تنهى لفته في الآخر لأنه إنما يحلى كل إنسان في الجنة ما تشبهه نفسه ونظ عينه ومن كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يلب عليه إلا حبه بالخالص والصدق أنزل في مقعد صدق عند مليك مقتدر - فالأبرار يرتعون في البساتين ويتعمون في الجنان مع الخور المين والولدان والقربون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرون نعيم الجنان بالإضافة إلى ذرة منها تقوم بقضاء شهوة البطن والفرج وشغلونولون والمجالة أقول آخرون ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أكثر أهل الجنة البله وعليون لدوى الألباب (١) » ولما قصرت الأنعام عن درك معنى عليين عظم أمره فقال - وما أدراك ما عليون - كما قال تعالى - القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة - ومنها أن يكون في حبه خائفا متضائلا تحت المحبة والتنظيم وقد بطن أن الخوف يضاد الحب وليس كذلك بل إدراك العظمة يوجب المحبة كما أن إدراك الجمال يوجب الحب وللخصوص المحبين مخاوف في مقام الهبة ليست لتبريم وبعض مخاوفهم أشد من بعض فأولها خوف الإعراض وأشد منه خوف المحاب وأشد منه خوف الإبعاد وهذا المعنى في سورة هود هو الذي شيب سيد

(١) حديث أكثر أهل الجنة البله وعليون لدوى الألباب الزاير من حديث أنس بن مالك مقتصر على الشطر الأول وقد تقدم والشطر الثاني من كلام أحمد بن أبي الخوارى وإله أدرج فيه .

ذلك رجع ولم يدخل  
ثم جلس فجعل ينكت  
في الأرض ويقول  
مالى ولدينا مالى  
ولدينا فرأت فاطمة  
أنه إنما رجع من أجل  
ذلك السر فأخذت  
الستر والزوائد  
وأرسلت بهما مع لال  
وقالت له اذهب إلى  
التي حلى الله عليه وسلم  
قل له قد تصدقت به  
فضه حيث شئت فأتى  
بلال إلى النبي صلى الله  
عليه وسلم فقال قالت  
فاطمة قد تصدقت به  
فضه حيث شئت فقال  
النبي صلى الله عليه وسلم  
بأبي وأمي قد فعلت  
بأبي وأمي قد فعلت  
اذهب فبه « وقيل  
في قوله تعالى - إنا  
جعلنا ما على الأرض  
زينة لها فلنقوم لهم

الحبيب (١) إذ سمع قوله تعالى - ألا بعدا لنفوس - ألا بعدا لمدين كما بدت ثمود - وإنما اعظم هبة العبد وخوفه في قلب من ألف القرب وذاته وتتم به لحديث البعد في حق البعدين يشبب سماع أهل القرب في القرب ولا يمن إلى القرب من ألف البعد ولا يبيح لحوف البعدين لم يمكن من بساط القرب ثم خوف الوقوف وسلب الزيد فانا قد علمنا أن درجات القرب لانهاية لها وحق العبد أن يجتهد في كل نفس حتى يزداد فيه قربا ولذلك قال رسول الله ﷺ « من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون (٢) » وكذلك قال عليه السلام « إنه ليغان على قلبي في اليوم واليلة حتى أستغفر الله سبعين مرة (٣) » وإنما كان استغفاره من القدم الأول فانه كان بعدا بالإضافة إلى القدم الثاني ويكون ذلك عقوبة لهم على القنور في الطريق والالتفات إلى غير المحبوب كما روى أن الله تعالى يقول إن أدنى ما أضع بالعلم إذا أثر شهوات الدنيا على طاعتي أن أسلبه لئلا يتناجى فسلب للزبد بسبب الشهوات عقوبة للمعوم فأما الخصوص فيحبهم عن الزيد مجرد الدعوى والحب والركون إلى منظر من مبادئ اللطف وذلك هو السكر الحقي الذي لا يقدر على الاحتراز منه إلا ذوو الأقدام الراسخة ثم خوف فوت ما لا يدرك بعد فوته . مع إبراهيم بن آدم قائلا يقول وهو في سياحته وكان على جبل :

كل شيء منك مغفور سوى الإعراض عنا

قد وهبنا لك ما طاف فهب ما طاف منا

فاضطرب وغشى عليه فلم يبق يوما وليلة وطرأت عليه أحوال ثم قال سمعت النداء من الجبل يا إبراهيم كن عبدا فكنت عبدا واسترحت ثم خوف السلوة فان الحب يلزمه الشوق والطيب الحثيث فلا يفر عن طلب المزيد ولا يتسلى إلا بلطف جديد فان تسلى عن ذلك كان ذلك سبب وقوفه وأوسب رجته والسلو يدخل عليه من حيث لا يشعر كما قد يدخل عليه الحب من حيث لا يشعر فان هذه التقلبات لها أسباب خفية ماثورة ليس في قوة البشر الاطلاع عليها فإذا أراد الله السكر به واستدرجه أخفى عنه ماورد عليه من السلو فيقف مع الرجا . ويترجم عن النظر أو بنية الغفلة أو الهوى أو النسيان فكل ذلك من جنود الشيطان التي تغلب جنود اللاتسكة من العلم والعقل والله كروايان وكان من أوصاف الله تعالى ما يظهر فيقتضي هيجان الحب وهي أو صاف اللطف والرحمة والحسنة من أوصافه ما يلوح فيورث السلو كأوصاف الجبرية والمزة والاستغناء وذلك من مقدمات السكر والشقاء والحرمان ثم خوف الاستبدال به بانتقال القلب من حبه إلى حب غيره وذلك هو اللت والسو عنه مقدمة هذا المقام والاعراض والحجاب مقدمة السلو وضيق الصدر بالبرواقباضه عن دوام الله كرماله ولو طائف الأوراد أسباب هذه العائى ومقدماتها وظهور هذه الأسباب دليل على النقل عن مقام الحب إلى مقام التفت نود بالله منه وملازمة الحوف لهذه الأمور وشدة الحذر منها بصفاة للراقية دليل صدق الحب فان من أحب شيئا خاف لا محالة فقد فلا يغلو الحب عن خوف إذا كان المحبوب بما يمكن فوائده وقد قال بعض العارفين من عبد الله تعالى بمحض الهبة من غير خوف هلك بالبسط والإذلال ومن عبده من طريق الحوف من غير حجة انقطع عنه بالبعد والاستيحاش ومن عبده من طريق الهبة والحوف أحبه الله تعالى تقربه ومكنه وعله فالحب لا يغلو عن خوف والحائف لا يغلو عن حبة ولكن الذى غلبت عليه الهبة

أحسن عملا - قيل الزهد في الدنيا . مثل أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضى الله عنه عن الزهد فقال هو أن لا يتألى بمن أكل الدنيا مؤمن أو كافر . وسئل الشبل عن الزهد فقال وبالمك أي مقسدار جناح بموضة أن زهد فيها . وقال أبو بكر الواسطي إلى متى تصول بترك كيف وإلى متى تصول بإعراضك عما لا تزن عند الله جناح بموضة فإذا صح زهد العبد صح توكله أيضا لأن صدق توكله مكنه من زهده في الوجود فن استقام في التوبة وزهد في الدنيا وحق

(١) حديث شيعتي هو أخرجه الترمذي وقد تقدم غير مرة (٢) حديث من استوى يومه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون لا أعلم هذا إلا في منام لعبد العزيز بن أبي بردة وأدال رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال يا رسول الله أوصني فقال ذلك يزاد في آخره رواه البيهقي في الزهد (٣) حديث إنه ليغان على قلبي متفق عليه من حديث الأغر وقد تقدم .

حق التسع فيها ولم يكن له من الخوف إلا يسير يقال هو في مقام المحبة وسعة من المحبين وكان شوب الخوف يسكن قليلا من سكر الحب فلو غلب الحب واستولت المعرفة لم تثبت لذلك طاقة البشر فانما الخوف يسده ويخفف وقته على القلب فقد روى في بعض الأخبار أن بعض الصديقين سأله بعض الأبدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرة من معرفته فعلم ذلك فهم في الجبال وحار عقه ووله قلبه وبقي شاحسا سبعة أيام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء فسأل له الصديق وبه تعالى فقال يلرب انقصه من القدرة بضها فأوحى الله تعالى إليه إنما أعطيتاه جزءا من مائة ألف جزء من اللرفق وذلك أن مائة ألف عبد سألوني شيئا من المحبة في الوقت الذي سألتني هذا فأخبرت إجابتيهم إلى أن شفعت أنت لهذا فلما أجبتك فيما سألت أعطيتكم كما أعطيتهم فقسمت ذرة من المعرفة بين مائة ألف عبد فهذا ما أصابه من ذلك فقال سبحانه يا أحكم الحاكمين انقصه عما أعطيت فأذهب الله عنه جملة الجزء وبقي معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة فاعتدل خوفه وجهه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين ، وقد قيل في وصف حال العارف :

قريب الوجد ذو مرمى بعيد      عن الأحرار منهم والبيد  
غرب الوصف ذوق غريب      كان فؤاده زبر الحديد  
قد عزت معانيه وجلت      عن الأبصار إلا التبريد  
يرى الأعياد في الأوقات تجري      له في كل يوم ألف عيد  
ولأنجاب أفراس بعيد      ولا يجد السرور له بعيد

وقد كان الجنيد رحمه الله ينشد أحيانا يشير بها إلى أسرار أحوال العارفين وإن كان ذلك لا يجوز إظهاره وهي هذه الآيات :

سرت بأناش في التيوب قلوبهم      خلوا بقرب الحاجد للفضل  
عراسا بقرب الله في ظل قدسه      تجسول بها أرواحهم وتقل  
مواردم فيها على العز والتهى      ومصدرم عنها لما هو أكمل  
تروح بز مفرد من صفاته      وفي حال التوحيد تنشى وترفل  
ومن جد هذا ماتدق صفاته      وما كنتمه أولى لديه وأعدل  
سأكنم من على به ما يصونه      وأبدل منه ما يرى الحق يبدل  
وأعطى عباد الله منه حقوقهم      وأمنع منه ما يرى للنع بفضل  
على أن لرحمن سرا يصونه      إلى أهله في السر والوصون أجمل

وأشال هذه العارف التي إليها الإشارة لا يجوز أن يشترك الناس فيها ولا يجوز أن يظهرها من انكشف له شيء من ذلك لمن لم يتكشف له بل لو اشترك الناس فيها لحربت الدنيا بالحكمة تنفضي حمول النقة لعمارة الدنيا بل لو أكل الناس كلهم الحلال أربعين يوما لحربت الدنيا بهدم فيها وطلت الأسواق وللمأضي بل لو أكل العلماء الحلال لاشتغلوا بأنفسهم ولوقفت الألسنة والأقدام عن كثير مما انتشر من العلوم ولكن الله تعالى فيها هو شرفي الظاهر أسوار وحكم كأن له في الخير أسرارا وحكما ولا منتهى لحسنة كالأمانة قدرته ، ومنها كتمان الحب واجتناب الدعوى والتوفى من إظهار الوجد والمحبة تعظيما للمحبيب وإجلالا له وهيبة منه وغيرة على سره فان الحب سر من أسرار المحبيب ولأنه قد يدخل في الدعوى ما يتجاوز حد المني ويزيد عليه فيكون ذلك من الاقتراف وتعظم العقوبة عليه في العقبي وتسهل عليه البلوى في الدنيا ، ثم قد يكون للمحب سكرة في جبه حتى يدهش فيه وتضطرب أحواله

هذين القامين استوفى  
سائر اللقامات وتكون  
فيها وتحقق بها ترتيب  
التوبة مع الرقابة  
وارتباط إحداها  
بالأخرى أن يتوب  
العبد ثم يستقيم في  
التوبة حتى لا يكتب  
عليه صاحب التجال  
شيئا ثم يرتضى من  
تطهير الجوارح عن  
للماضي إلى تطهير  
الجوارح عما لا يخفى  
فلا يسمع بكلمة فضول  
ولا حركة فضول ثم  
ينتقل للرقابة والمهاسبة  
من الظاهر إلى  
الباطن وتستولي  
الراقبة على الباطن  
وهو التحقق بصل  
القيام بحسب خواطر  
الصحة عن باطنه

فيظهر عليه جبه فان وقع ذلك عن غير تحمل أو اكتساب فهو معذور لأنه متهور وربما تشتت من الحب نيرانه فلا يطاق سلطانه وقد غيى القلب به فلا يدفع فيضانه فالتأخر على السكبان يقول:  
وقالوا قريب قلت ماأنا صانع بقرب شعاع الشمس لوكان في جحري  
فألى منه غير ذكر بخاطر يسبح نار الحب والشوق في صدرى  
والعاجز عنه يقول :

بغنى فيسدى الدمع أسرارہ ونظهر الوجد عليه النفس

ويقول أيضا :

ومن قلبه مع غيره كيف حاله ومن سره في جفته كيف يكتم  
وقد قال بعض المارقين أكثر الناس من الله بدا أكثرهم إشارة به كأنه أراد من يكثر التعريض به  
في كل شيء ويظهر التصنع بذكره عند كل أحد فهو محفوت عند الهيين والمساء بالله عز وجل  
ودخل ذو النون المصري على بعض إخوانه ممن كان يذكر الحبة فقرأه مبتلى بالله فقال لا يعجب من وجد  
ألم ضره فقال الرجل لكني أقول لا يعجب من لم يتهم بضره فقال ذو النون ولكني أقول لا يعجب من شبر  
نفسه بحبه فقال الرجل أستغفر الله وأتوب إليه فان قلت الحبة تنهى القمامات وإظهارها إظهار للخير  
فلماذا يستكر . فاعلم أن الحبة موهودة وظهورها موهود أيضا وإنما اللغوم التظاهر بها لما يدخل فيها  
من الدعوى والاستكبار وحق الحب أن يتم على جبه الخفى أيضا وأحواله دون أقواله وأفعاله وينبغي  
أن يظهر حبه من غير قصدته إلى إظهار الحب ولا إلى إظهار العمل الدال على الحب بل ينبغي أن يكون  
قصد الحب اطلاع الحبيب فقط فأما إرادته اطلاع غيره فشارك في الحب وقادح فيه كما ورد في الإنجيل  
إذا تصدقت تصدق بحيث لا تعلم ثم لاك ما صنعت يمينك فالتى يرى الحفبات بحزبك ولا تبه وإذا صنعت  
فاغسل وجهك وادهن رأسك فلا يعلم بذلك غير ربك فإظهار القول والعمل كله مذموم إلا إذا غلب  
سكر الحب فانطلق اللسان واضطربت الأعضاء فلا يلام فيه صاحبه . حكى أن رجلا رأى من بعض  
المجانين ما استجبه فيه فأخبر بذلك معروفا السكرخى رحمه الله فتنسم ثم قال يأخى له محبون صفار  
وكبار وعقلاء ومجانين فهذا الذى رأيته من مجانينهم ومجاكره التظاهر بالحب بسبب أن الحب إن كان  
عارفا وعرف أحوال اللائكة في جهنم الدائم وشوقهم اللازم الذى به يسبحون الليل والنهار لا يفترقون  
ولا يصبون الله ما أمرهم ويعلون ما يؤمرون لاستنكاف من نفسه ومن إظهار حبه وعلم قطعا أنه  
من أخس الهيين في مملكته وأن حبه أقصى من حب كل عجب لله قال بعض الكاشفين من الهيين  
عبدت الله تعالى ثلاثين سنة بأعمال القلوب والجوارح على بذل المجهود واستفراغ الطاقة حتى ظننت  
أن لى عند الله شيئا فذكر أشياء من مكاشفات آيات السموات في قصة طويّة قال في آخرها فإلت صفا  
من اللائكة بعدد جميع ماخلق الله من شيء قلت من أتم قالوا نحن المجهود لله عز وجل نعبده ههنا  
منذ ثلاثة آلاف سنة ماخطر على قلوبنا قط سواء ولا ذكرنا غيره قال فاستحييت من أهمل فوهبتها  
لمن حق عليه الوعيد تخفيا عنه في جهنم فاذن من عرف نفسه وعرف ربه واستحيته حتى الحياة  
خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى ، نعم يصد على حبه حركاته وسكناته وإقدامه وإحجامه وتردداته  
كما حكى عن الجنيد أنه قال مرض أستاذنا السرى رحمه الله فلم تعرف لعلته دواء ولا عرفها لها صيا  
فوصف لنا طبيب حاذق فأخذنا قارورة مائه فنظر إليها الطبيب وجعل ينظر إليه مليا ثم قال لي أراه  
بول عاشق قال الجنيد فصمتت وغشى على ووقمت القارورة من يدي ثم رجعت إلى السرى فأخبرته  
فتبسّم ثم قال قاله الله ما أبصره قلت بأستاذ وتبين الحبة في البول قال نعم وقد قال السرى مرة

ثم خواطر الفضول  
فإذا تمكّن من  
رعاية الحشرات عصم  
عن مخالطة الأركان  
والجوارح وتستقيم  
توبته قال الله تعالى  
لنبيه صلى الله عليه  
وسلم - فاستقم كما  
أمرت ومن تاب  
ملك - أمره الله  
تعالى بالاستقامة في  
التوبة أمر الله ولأتباعه  
وأمنه وقبل لا يكون  
للريد مريضا حتى  
لا يكتب عليه صاحب  
الشمال شيئا عشرين  
سنة ولا يلوم من  
هذا وجود العصمة  
ولكن الصادق النائب  
في التأخر إذا ابتلى  
بذنوب يمتحن أثر الذنب  
من باطنه في

لو شئت أقول ما ليس جلدى على عظمى ولا سئل جسمى إلا حبه ثم غشى عليه وتل القشبة على أنه  
أصبح في غلبة الوجد ومقدمات القشبة فهذه مجامع علامات الحب وغمراته . ومنها الأنس بالرضا كما  
سيأتي . وبالجملة جميع محاسن الدين ومكارم الأخلاق ثمرة الحب وما لا يثمره الحب فهو اتباع الهوى وهو  
من رذائل الأخلاق ، نعم قد يحب الله لإحسانه إليه وقد يحبه لجلاله وجماله وإن لم يحب الله المحبون  
لا يخرجون عن هذين القسمين ولذلك قال الجنيد الناس في محبة الله تعالى عام وخاص فالعوام قالوا  
ذلك بمحبتهم في دوام إحسانهم وكثرة نعمه فلم يتألكوا أن أرضوه إلا أنهم تخل محبتهم وتكثر  
على قدر التعم والاحسان فأما الخاصة فتألموا المحبة بفظم القدر والقدرة والعلم والحكمة والتفرد  
بالملك ولما عرفوا صفاته الكاملة وأسماء الحسن لم يمتنعوا أن أحبوه إذ استحق عندهم المحبة بذلك  
لأنه أهل لها ولو أزال عنهم جميع التعم نعم من الناس من يحب هواه وعدوه إبليس وهو مع ذلك  
يحب على نفسه بحكم الضرور والجهل فيظن أنه يحب لله عز وجل وهو الذي قدت فيه هذه  
العلامات أو يلبس بها غافا ورياء وصمة وغرضه عاجل حظ الدنيا وهو يظهر من نفسه خلاف  
ذلك كدناء السوء وقراء السوء أولئك بضياء الله في أرضه وكان سهل إذا تكلم مع إنسان قال  
يادوست أى يا حبيب قبيح له قد لا يكون جيبا فكيف تحول هذا فقال في أذن القائل سرا لا يخلو  
إما أن يكون مؤمنا أو منافقا فان كان مؤمنا فهو حبيب الله عز وجل وإن كان منافقا فهو حبيب  
إبليس وقد قال أبو تراب البخشي في علامات المحبة آياتا :

لا تخدعن فلحبيب دلائل ولديه من تحف الحبيب وسائل

● منها تتمعه بمز بلائه وسروره في كل ما هو فاعمل

فالنع منه عطية مقبولة والفقر إحكام وبر عاجل

ومن الدلائل أن ترى من عزمه طوع الحبيب وإن ألح العاذل

ومن الدلائل أن يرى متبسا والقلب فيه من الحبيب بلايل

ومن الدلائل أن يرى متفهما لكلام من يحظى لديه السائل

ومن الدلائل أن يرى متشفا متحفلا من كل ما هو قائل

وقال يحيى بن معاذ :

ومن الدلائل أن تراه مشمرا في خرقين على شطوط الساحل

ومن الدلائل حزنه ونحيبه جوف الظلام لما له من عاذل

ومن الدلائل أن تراه مسافرا نحو الجهاد وكل فصل فاضل

ومن الدلائل زهده فبا يرى من دار ذل والنهم الزائل

ومن الدلائل أن تراه باكيا أن قد رأى على قبيح ضائل

ومن الدلائل أن تراه مسلما كل الأمور إلى ليليك العادل

ومن الدلائل أن تراه راضيا بملكك في كل حكم نازل

ومن الدلائل ضحكك بين الوري والقلب محزون كقلب النمل

( بيان معنى الأنس بالله تعالى )

قد ذكرنا أن الأنس والخوف والشوق من آثار المحبة إلا أن هذه آثار مختلفة تختلف على الحب بحسب  
نظرة وما يطلب عليه في وقتها فإذا غلب عليه التطلع من وراء حجب القلب إلى ما يتجلى الجمال واستشعر  
صوره عن الاطلاع على كنه الجلال انبعث القلب إلى الطلب وانزعج لهو حاج اليه ونسى هذه الحالة

ألفظ حاجة لوجود

النعم في باطنه

على ذلك والتمت توبة

فلا يكتب عليه

ساحب التوالت شيئا

فإذا تاب توبة نصوحا

نم زهد في الدنيا

حتى لا يهن في غذائه

لنشائه ولا في عشائه

لنذاه ولا يرى الادخار

ولا يكون له تلقى

م بقدر قد جمع

في هذا الزهد

والفقر والزهد أصل

من الفقر وهو فقر

وزيادة لأن الفقر

عادم لشيء اضطارا

والزهد تارك لشيء

اختيارا وزهده

بحق توكله وتوكله

بحق رضاه ورضاه

بحق الصبر وصبره

في الاتعاج شوقا وهو بالإضافة إلى أمر غائب وإذا غلب عليه القرح والقرب ومشاهدة الحضور بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورا على مطالعة الجمال الحاضر للكشف غير ملتفت إلى ما لم يدركه بعد استبصار القلب بما يلاحظه فيسمى استبصاره أنسا وإن كان نظره إلى صفات المز والافتناء وعدم البالاة وخطر إمكان الزوال والبعد تألم القلب بهذا الاحتشام فيسمى تألمه خوفا وهذه الأحوال نابعة لهذه الملاحظات والملاحظات نابعة لأسباب تختصها لا يمكن حصرها فالأنس منه استبصار القلب وفرحه بمطالعة الجمال حتى إنه إذا غلب ونجرد عن ملاحظة ما غاب عنه وما ينطرق إليه من خطر الزوال عظم نعيمه ولذته ومن هنا نظر بعضهم حيث قيل له أنت مشتاق فقال لا إنما الشوق إلى غائب فإذا كان الغائب حاضرا قالى من يشاق وهذا كلام مستغرق بالقرح بما ناله غير ملتفت إلى ما بقى في الامكان من مزايا الألطاف ومن غلب عليه حال الأنس لم تسكن شهوته إلا في الانفراد والخلوة كما حكى أن إبراهيم بن آدم نزل من الجبل قيل له من أين أقبلت فقال من الأنس بالله وذلك لأن الأنس بالله يلزمه التوحي من غير الله بل كل ما يوق عن الخلوة فيكون من أهل الأشياء على القلب كما روى أن موسى عليه السلام لما كلمه ربه مكث دهرًا لا يسمع كلام أحد من الناس إلا أخذه الشيطان لأن الحب يوجب عنوبة كلام المحبوب وعنوبة ذكره فيخرج من القلب عنوبة ماسواه . ولذلك قال بعض الحكماء في دعاؤه يا من آتاني يذكره وأوحى من خلقه وقال الله عز وجل لداود عليه السلام كن لي مشتاقا وبني مستأنا ومن سواي مستوحشا وقيل لراعيهم قلت هلهم العزلة قالت تركي مالا ينيبى وأنى بمن لم يزل . وقال عبد الواحد بن زيد مرت براهب قلت له ياراهب لقد أعجبتك الوحدة فقال ياهذا الودقت حلالة الوحدة لاستوحشت إليهم نفسك الوحدة رأس العبادة قلت ياراهب ما أفل ما تجده في الوحدة قال الراعي من مداراة الناس والسلامة من شرهم قلت ياراهب متى ينوق البعد حلالة الأنس بالله تعالى قال إذا صفا الود وخلصت للعامة قلت ومتى يصفو الود قال إذا اجتمع لهم فصارها واحدا في الطاعة . وقال بعض الحكماء عجبا للخلاقي كيف أرادوا بك بدلا عجبا للذوق كيف استأنست بسواك عنك . فان قلت لما علامة الأنس فاعلم أن علامته الخاصة ضيق الصدر من معايشة الخلق والتبرم بهم واستناره بعذوبة الذكر فان خالط فهو كمنفرد في جماعة ومجتمع في خلوة وغريب في حضر وحاضر في سفر وشاهد في غيبة وغائب في حضور ومخالط بالبدن منفرد بالقلب مستغرق بعذوبة الذكر كما قال علي كرم الله وجهه في وصفهم هم قوم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين واستلأوا ما استوعر الترفون وأنسوا بما استوحش منه المجاهلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالهل الأمل أوكك خلقاء الله في أرضه والدة إلى دينه فهذا معنى الأنس بالله وهله علامته وهذه شواهد وقد ذهب بعض التكميلين إلى إنكار الأنس والشوق والحب لظنه أن ذلك يدل على التشبيه وجهه بأن جمال للدركات بالصار أكمل من جمال البصيرات ولذا معرفتها أغرب على ذوى القلوب ومنهم أحمد بن غالب يعرف بسلام الخليل أنكر على الجنيد وعلى أبي الحسن النوري والجماعة حديث الحب والشوق والعشق حتى أنكر بعضهم مقام الرضا . وقال ليس إلا الصبر فأما الرضا فغير متصور وهذا كله كلام ناقص قاصر لم يطلع من مقامات الدين إلا على التشوق فظن أنه لا وجود إلا للفرح فان المحسوسات وكل ما يدخل في الحيال من طريق الدين قسر مجرد ووراءه الحب المطلوب فن لم يصل من الجوز إلا إلى قسره يظن أن الجوز خشب كله ويستحيل عنده خروج الدهن منه لامحالة وهو معذور ولكن عذره غير مبول وقد قيل :

يحقق حبس النفس  
وصدق المجاهدة  
وحبس النفس فيه  
يحقق خوفه وخوفه  
عشق رجاءه وجمع  
بالثوبة والزهد كل  
القائمات والزهد  
والثوبة إذا اجتماع  
صحة الإيمان وعقوده  
وشروطه يوزن هذه  
الثلاثة رابع بتمامها  
وهو دوام العمل لأن  
الأحوال السنية  
يتكشف بعضها بهذه  
الثلاثة وتيسر بعضها  
متوقف على وجود  
الرابع وهو دوام  
العمل وسكن من  
الزهد للتحققين بالزهد  
للتقنين في الثوبة  
تخلقوا عن كثير من  
سوى الأحوال لتخلقهم

الأنس ناله لا يجويه بطلال وليس يدركه بالحوال محال  
والآنسون رجال كلهم نجب وكلهم مسفوة في محال  
( بيان معنى الانبساط والادلال الذى تشعره غلبة الأنس )

اعلم أن الأنس إذا دام وغلب واستحكّم ولم يشوشه قلق الشوق ولم ينفضه خوف التفكير والحجاب فإنه يشعر  
نوعاً من الانبساط في الأقوال والأفعال والناجاة مع الله تعالى وقد يكون منكر الصورة لما فيه  
من الجرامة وقلة الهبة ولكنه محتمل من أقيم في مقام الأنس ومن لم يتم في ذلك اللقائم يشبههم  
في الفعل والكلام هلك به وأشرف على الكفر ومثاله ناجاة برخ الأسود الذى أمر الله تعالى بكليه موسى  
عليه السلام أن يسأله ليستسقى لبنى إسرائيل بعد أن قطعوا سبع سنين وخرج موسى عليه السلام  
ليستسقى لهم في سبعين ألفاً فأوحى الله عز وجل إليه كيف أستجيب لهم وقد أظلمت عليهم ذنوبهم  
سرائرهم خبيثة يدعوننى على غير يقين ويؤمنون مكري الرجوع إلى عبد من عبادى يقال له برخ فقل له  
يخرج حتى أستجيب له فسال عنه موسى عليه السلام فلم يعرف فيبينا موسى ذات يوم بمضى في طريق  
إذا بعد أسود قد استقبله بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه فرفه موسى  
عليه السلام بنور الله عز وجل فسلم عليه وقال له ما حملك فقال اسمى برخ قالت طلبتنا منذ حين  
اخرج فاستسقى لنا فخرج فقال في كلامه ما هذا من فلاك ولا هذا من حلك وما الذى بدا لك أنقص  
عليك عيونك أم عادت الريح عن طاعتك أم قد ماعدك أم اشتد غضبك على الذين ألت كنت  
غفارا قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف أم ترينا أنك مجتمع أم تخشى الموت فتسجل  
بالعقوبة قال فابرح حتى اخضلت بنو إسرائيل بالقطر وأنبأ الله تعالى العشب في نصف يوم حتى بلغ  
الركب قال فرجع برخ فاستقبله موسى عليه السلام فقال كيف رأيت حين خاستم ربى كيف أنصفنى  
فهم موسى عليه السلام به فأوحى الله تعالى إليه أن برخا يشككنى كل يوم ثلاث مرات. وعن الحسن  
قال احترقت أخصاص بالبصرة فيبقى في وسطها حصص لم يحترق وأبو موسى يومئذ أمير البصرة فأخبر  
بذلك فبعث إلى صاحب الحصص قال فأتى بشيخ فقال يا شيخ ما بال حصص لم يحترق قال إنى أقسمت على  
ربى عز وجل أن لا يحرقه فقال أبو موسى رضى الله عنه إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول  
« يكون في أمى قوم شعبة رؤسهم دنسة ثيابهم لوانقوسوا على الله ليرم » (١) قال ووقع حريق بالبصرة  
فجاء أبو عبيدة الخواص فجعل يتخطى النار فقال له أمير البصرة فانظر لا تحترق النار فقال إنى أقسمت على  
ربى عز وجل أن لا يحرقنى بالنار قال فاعزم على النار أن تطفأ قال فمزم عليها فطفئت وكان أبو حصص  
يمشى ذات يوم فاستقبله رستاق مدهوش فقال له أبو حصص ما بأباك فقال ضل حمارى ولا أملك غيره  
قال فوقف أبو حصص وقال وعزتك لا أخطو خطوة ما لم ترد عليه حمارة قال فظهر حمارة في الوقت ومرو  
أبو حصص رحمه الله . فهذا وأمثاله يجرى لدى الأنس وليس لغيرهم أن يشبههم. قال الجنيد رحمه الله  
أهل الأنس يقولون في كلامهم ومناجاتهم في خلواتهم أشياء هي كفر عند العامة. وقال مرة لوصفها  
المعوم لكفرهم وهم يحدون الزيد في أحوالهم بذلك وذلك بحتمل منهم ويليق بهم وإليه أشار القائل:

قوم تحالجهم زهو يسيدم والبعد يزهو على مقدار مولا

تاهوا برؤيته عما سواه له باحسن رؤيتهم في عز ما تاهوا

ولا تتبعون رضاه عن البعد بما يضرب به على غيره مهما اختلف مقامهما في القرآن تنبيهات على

(١) حديث الحسن عن أبي موسى يكون في أمى قوم شعبة رؤسهم دنسة ثيابهم لوانقوسوا على الله

لأبرم ، ابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء وفيه القطاع وجهالة .

عن هذا الرابع ولا  
يراد الزهد في الدنيا  
إلا لسكال الفراغ  
للتعان به على إقامة  
العمل فتعالى والعمل  
فه أن يكون البعد  
لا زال ذا كرا أوتاليا  
أو مصليا أو مراقبا  
لا يشغله عن هذه إلا  
واجب شرعى أو مهم  
لا بد منه طبعيا فإذا  
استولى العمل القلبي  
على القلب مع وجود  
الشغل الذى أداه إليه  
حكم الشرع لا يستر  
باطنه عن العمل  
فإذا كان مع الزهد  
والتقوى متمسكا  
بدوام العمل فقد  
أكل الفضل وما إلى  
جهدا في البرودية

هذه المأني لوفلت وفهمت فجميع قصص القرآن تنبيهات لأولي البصائر والأبصار حتى ينظروا إليها  
بين الاعتبار فأنما هي عند ذوى الاعتبار من الأسماء . فأول القصص قصة آدم عليه السلام  
وإبليس أمارا كما كيف اشتراكا في اسم للصية والمخالفة ثم تباينا في الاجتناب والصصة . أما إبليس  
فأبلس عن رحمة . وقيل إنه من البعدين . وأما آدم عليه السلام فقيل فيه - وعصى آدم ربه  
فغوى ثم اجتبه ربه فتاب عليه وهدى - وقد عاتب الله نبيه صلى الله عليه وسلم في الاعراض  
عن عبد والاقبال على عبد وما في العبودية بيان ولكن في الحال مختلفان ، فقال - وأما من  
جاءه يسمى وهو غشى فأنت عنه تلهى - وقال في الآخر - أما من استغنى فأنت له تصدى -  
وكذلك أمره بالقعود مع طائفة ، قال عز وجل - وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا قل سلام  
عليكم - وأمره بالإعراض عن غيرهم ، قال - وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض  
عنهم - حتى قال - فلا تعتمد بهد الذكرى مع القوم الظالمين - وقال تعالى - واصبر نفسك مع  
الذين يدعون ربهم بالغتة والنتى - فكذلك الانبساط والإدلال يحتمل من بعض العباد دون  
بعض ، فمن انبساط الأنس قول موسى عليه السلام - إن هي إلا فتنة تفتلك بها من تشاء  
وتنهى من تشاء - وقوله في التسليل والاعتذار لما قيل له - اذهب إلى فرعون - وقال - ولهم  
على ذنب - وقوله - إنى أخلف أن يكذبون ويضيق صدرى ولا ينطلق لسانى - وقوله - إننا  
نخاف أن يغرط علينا أودن يغلطى - وهذا من غير موسى عليه السلام من سوء الأدب لأن الذى  
أقيم مقام الأنس يلاطف ويحتمل ولم يحتمل لىونس عليه السلام مادون هذا لما أقيم مقام القبض  
والهبة فزوق بالسخن في بطن الحوت في ظلمات ثلاث ونودى عليه إلى يوم القيامة - ولولا أن  
تداركه نعمة من ربه لشد بالعراء وهو مذموم - . قال الحسن العراء هو القيامة ، ونهى نبينا  
صلى الله عليه وسلم أن يقتدى به . وقيل له - فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت إذ  
نادى وهو مكظوم - وهذه الاختلافات بسببها لاختلاف الأحوال والقامات وبسببها لما سبق في  
الأزل من التفاضل والتفاوت في القسمة بين العباد ، وقد قال تعالى - ولقد فضلنا بعض النبيين  
على بعض - وقد قال - منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات - فكان عيسى عليه السلام من  
الفضلين ولإدلاله سلم على نفسه ، قال - والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا -  
وهذا انبساطه لما شاهد من اللطف في مقام الأنس . وأما يحيى بن زكريا عليه السلام فانه أقيم  
مقام الهبة والحياة فلم ينطق حتى أتى عليه خالقه ، قال - وسلام عليه - وانظر كيف احتمل  
لإخوة يوسف مافلوه يوسف . وقد قال بعض العلماء : قد عدت من أول قوله تعالى - إذ قالوا  
ليوسف وأخوه أحب إلى آيتنا منا - إلى رأس العشرين من أخباره تعالى عن زهدهم فيه نيفا  
وأربعين خطبة بعضها أكبر من بعض وقد يجتمع في الكلمة الواحدة الثلاث والأربع فزفر  
لهم وعفا عنهم ولم يحتمل المزير في مسألة واحدة سأله عنها في القدر حتى قيل هي من ديوان النبوة  
وكذلك كان يلطم بن باعوراء من أكبر العلماء فأكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك . وكان  
أصف من اللسرين وكانت مصيته في الجوارح فضا عنه قد روى أن الله تعالى أوحى إلى سليمان  
عليه السلام يارأس العابدين ويا ابن حجة الزاهدين إلى كم يصيبني ابن خالك أصف وأنا أعلم عليه  
مرة بعد مرة فوعزتي وجلالي لأن أخذته عسفة من صفاتي عليه لأركنه مثقال من معه وسكالا  
لمن بعده . فلما دخل أصف على سليمان عليه السلام أخبره بما أوحى الله تعالى إليه فخرج حتى علا

قال أبو بكر الوراق :  
من خرج من قالب  
العبودية صنع به ما  
يصنع بالآبق . وسئل  
سهل بن عبد الله  
التستري : أى منزلة إذا  
قام العبد بمقام  
العبودية قال إذا ترك  
التدبير والاختيار فاذا  
تحقق العبد بالثبوة  
والزهد ودوام العمل  
فه بشئله وقته الحاضر  
عن وقته الآتى ويصل  
إلى مقام ترك التدبير  
والاختيار ثم يصل إلى  
أن يملك الاختيار ،  
فيكون اختياره من  
اختيار الله تعالى فيروا  
هواه ووفور عله  
واقطاع مادة الجهل  
عن باطنه . قال يحيى  
ابن معاذ : الرازي ما دلم

كثيما من رمل ثم رفع رأسه ويديه نحو السماء وقال إلهي وسيدى أنت أنت وأنا أنا فكيف أتوب  
 إن لم تقبل طي وكيف أستعصم إن لم تصفى لأعودن فأوحى الله تعالى إليه صدقيا أسفأنت أنت  
 وأنا أنا استبذل التوبة وقد ثبت عليك وأنا التواب الرحيم ، وهذا كلام مدلل به عليه وهارب منه  
 إليه وتأخر به إليه ، وفي الخبر « إن الله تعالى أوحى إلى عبد تداركه بعد أن كان أشقى على الملكة كم  
 من ذنب واجهته به غفرته لك قد أهلكت في دونه أمة من الأمم » فلهذه سنة الله تعالى في عباده  
 التفضل والتقديم والتأخير على ما سبقت به للشبهة الأزلية وهذه القصص وردت في القرآن لتعرف  
 بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل لنا في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور وتحرف من الله تعالى  
 إلى خلقه فآخرة يتعرف إليهم بالتفديس فيقول - قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له  
 كفوا أحد - وثلاثة يتعرف إليهم بصفات جلالة فيقول - لك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز  
 الجبار المتكبر - وثلاثة يتعرف إليهم في أفعاله المحرقة قول الرجوة فيتلو عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه  
 فيقول - أم تركيف فعل ربك بباد إرم ذات المارد - أم تركيف فعل ربك بأصحاب الفيل ولا يبدو  
 القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهي الارشاد إلى معرفة ذات الله وتقدسيه أو معرفة صفاته وأسمائه أو معرفة  
 أفعاله وسنته مع عباده ، ولما اشتملت سورة الاخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التفديس  
 ولزمتها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلث القرآن قال « من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن »<sup>(١)</sup>  
 لأن منتهى التفديس أن يكون واحدا في ثلاثة أمور : لا يكون حاصلاته من هو نظيره وشبهه ودل  
 عليه قوله لم يلد - ولا يكون حاصله من هو نظيره وشبهه ودل عليه قوله لم يولد ولا يكون في درجته  
 وإن لم يكن أصلا له ولا فرعا من هو مثله ودل عليه قوله - ولم يكن له كفوا أحد - وجميع جميع  
 ذلك قوله تعالى - قل هو الله أحد سوجه تفصيل قول لا إله إلا الله فهذه أسرار القرآن ولا تنهاه أمثال  
 هذه الأسرار في القرآن - ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين - وذلك قال ابن مسعود رضي الله عنه  
 نوروا القرآن والتوا غرائب فيه علم الأولين والآخرين وهو كما قال ولا يفره إلا من طالع آحاد  
 كلاته فكره وصفا له فهمه حتى تشبه له كل كلمة منه بأنه كلام جبار قاهر ملك قادر وأنه خارج عن  
 حد استطاعة البشر وأكثر أسرار القرآن معبأة في طي القصص والأخبار فكأن حريصا على استنباطها  
 لينكشف لك فيه من المعاني ما تستحق معه العلوم الزخرفة الخارجة عنه فهذا ما أردنا ذكره من  
 معنى الأنس والانبساط الذي هو ثمرته ويان ثخاوت عباد الله فيه والله سبحانه وتعالى أعلم .

( القول في معنى الرضا بقضاء الله وحقيقته وما ورد في فضيلته )

اعلم أن الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات القربين وحقيقته غامضة على الأكثرين  
 وما يدخل عليه من التشابه والابهام غير منكشف إلا لمن علته الله تعالى التأويل وفهمه وقهه في  
 الدين قد أنكروا منكرين تصور الرضا بما يخالف الحق ثم قالوا إن أمكن الرضا بكل شيء لأن فضل  
 الله فينبغي أن يرضى بالسكرو والمصاوي وأنضج بذلك قوم فرأوا الرضا بالنجور والسوق وترك الاعتراض  
 والانكسار من باب التسليم لقضاء الله تعالى ، ولو انكشف هذه الأسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر  
 الشرع لما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم - لم لا يبن عباس حيث قاله اللهم قهه في الدين وعده التأويل<sup>(٢)</sup> و

(١) حدث من قرأ سورة الاخلاص فقد قرأ ثلث القرآن أحمد من حديث أبي بن كعب باسناد  
 صحيح ورواه البخاري من حديث أبي سعيد ومسلم من حديث أبي العزراء نحوه (٢) حديث دعاه  
 لابن عباس اللهم قهه في الدين وعله التأويل متفق عليه دون قوله وعله التأويل ورواه أحمد  
 بهذه الزيادة وتقدم في العلم .

البد يتعرف به  
 لا تحتر ولا تسكن مع  
 اختيارك حتى تعرف  
 فإذا عرف وصار عارفا  
 يقال له إن شئت اختر  
 وإن شئت لا تحتر  
 لأنك إن اخترت  
 فاختيارنا اخترت  
 وإن تركت الاختيار  
 فاختيارنا تركت  
 الاختيار فانك بنا في  
 الاختيار وفي ترك  
 الاختيار والبد  
 لا يتحقق بهذا المقام  
 العالي والحال العزيز  
 الذي هو الناية والنهاية  
 وهو أن تلك الاختيار  
 بعد ترك التدبير  
 والخروج من الاختيار  
 إلا بإحكامه وهذه  
 الأربعة التي ذكرناها  
 لأن ترك التدبير فناء  
 وتعليك التدبير

فانبدأ ببيان فضيلة الرضا ثم بحكايات أحوال الراسخين ثم نذكر حقيقة الرضا وكيف تصورمه فيها بخلاف الهوى ثم نذكر ما يظن أنه من تمام الرضا وليس منه كترك الدعاء والسكوت على المعاصي .

### ( بيان فضيلة الرضا )

أما من الآيات قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه - وقد قال تعالى - هل جزاء الإحسان إلا الإحسان - ومنه الإحسان رضا الله عن عبده وهو ثواب رضا البعد عن الله تعالى وقال تعالى - وما كن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر - فقد رفع الله الرضا فوق جنات عدن كما رفع ذكره فوق الصلاة حيث قال - إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر - فكما أن مشاهدة للذكور في الصلاة أكبر من الصلاة فرضوان رب الجنة أعلى من الجنة بل هو غايته مطلب سكان الجنان ، وفي الحديث « إن الله تعالى يجلب للمؤمنين يقولون فيقولون رضاه » (١) فمؤااهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل . وأما رضا البعد فنذكر حقيقته وأما رضوان الله تعالى عن البعد فهو بمعنى آخر يقرب بما ذكرناه في حب الله للبعد ولا يجوز أن يكشف عن حقيقته إذ تنصرف أفهام الخلق عن دركه ومن يقوى عليه فيستقل بادره من نفسه . وعلى الجملة فلا رتبة فوق النظر إليه فائسأناؤه الرضا لأنه سبب دولم النظر فسكانهم رأوه غاية القابات وأقصى الأمان لما نظروا بنعم النظر فاسأروا بالسؤال لم يسألوا إلا دولمه وعلوا أن الرضا هو سبب دولم رفع الحجاب وقال الله تعالى - ولله نامزيد قال بعض القسرين فيه يأتي أهل الجنة في وقت للزبد ثلاث تحف من عند رب العالمين : إحداها هدية من عند الله تعالى ليس عندهم في الجنان مثلها فذلك قوله تعالى - فلا تمل خس ما أنقى لهم من قررة أعين - والثانية السلام عليهم من ربهم فيزيد ذلك على الهدية فضلا وهو قوله تعالى - سلام قولامن رب رحيم - والثالثة بقول الله تعالى : إني عنكم راض . فيكون ذلك أفضل من الهدية والتسليم فذلك قوله تعالى - ورضوان من الله أكبر - أي من النعم الذي هم فيه فهدى فضل رضا الله تعالى وهو غمر قرضا البعد . وأما من الأخبار فقد روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم سأله طائفة من أصحابه ما أنتم قائلوا مؤمنون فقال معلامة إيمانكم فقالوا نضرب على البلاء ونشكر عند الرخاء ونرضى بوجائع القضاء فقال مؤمنون ورب السكينة » (٢) وفي خبر آخر أنه قال « حكاء علماء كادوا من قههم أن يكونوا أنبياء » (٣) وفي الخبر « طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافا ورضى به » (٤) وقال عليه السلام « من رضى من الله تعالى بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل » (٥) وقال أيضا « إذا أحب الله تعالى عبدا ابتلاه فان صبر اجتبه فان رضى اصطفاه » (٦) وقال أيضا « إذا كان يوم القيامة أنبت الله تعالى لطائفة من أمم أجنحة فيطيرون من قبورهم إلى الجنان يسرحون فيها ويتنعمون فيها كيف شاءوا فاقول لهم

والاختيار من الله تعالى لبعد وردة إلى الاختيار تصرف بالحق وهو مقام البقاء وهو الانسلاخ عن وجود كان بالبعد إلى وجود بصير بالحق وهذا البعد ما يق عليه من الاعوجاج ذرته واستقام ظاهره وباطنه في العبودية وعمر العلم والعمل ظاهره وباطنه وتوطن حضرة القرب بنفس بين يدي الله عز وجل متمسكة بالاستسكانة والانتظار متعققة بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا تنكفئ إلى نفسي طرفة عين فأهلك ولا إلى أحد من خلقك فأضبح اكلائي كلامه

(١) حديث إن الله تعالى يجلب للمؤمنين يقولون فيقولون رضاه كذا البزار والطبراني في الأوسط من حديث أس في حديث طويل بسند فيه لين وفيه فيتجلى لهم بقول أنا الذي صدقكم وعدى وأعمت عليكم نعمق وهذا محل إكرامي فسألوني فيسألونه الرضا الحديث ورواه أبو جلى بلفظ ثم يقول ماذا تريدون فيقولون رضاه الحديث ورجاله رجال الصحيح (٢) حديث سأله طائفة من أصحابه ما أنتم قائلوا مؤمنون فقال معلامة إيمانكم الحديث تقدم (٣) حديث أنه قال في حديث آخر حكاء علماء كادوا من قههم أن يكونوا أنبياء تقدم أيضا (٤) حديث طوبى لمن هدى للإسلام وكان رزقه كفافا ورضى به الترمذى من حديث فضالة بن عبيد بلفظ وقنع وقال صحيح وقد تقدم (٥) حديث من رضى من الله بالقليل من الرزق رضى الله تعالى منه بالقليل من العمل ورواه في أمالي الهاملى بإسناد ضعيف من حديث على بن أبى طالب ومن طريق الهاملى رواه أبو منصور الديلمى في مسند التردوس .

للاللثة هل رأيتم الحساب فيقولون مارأينا حسابا فتقول لهم هل جزئتم الصراط فيقولون مارأينا صراطا فتقول لهم هل رأيتم جهنم فيقولون مارأينا شيئا فتقول للاللة من أمة من أمة فيقولون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فتقول ناشدناكم الله حدثونا ما كانت أعمالكم في الدنيا فيقولون خصلتان كانتا فينا فبئنا هذه التزلة بفضل رحمة الله فيقولون وماها فيقولون : كنا إذا خلونا نستحي أن نصيبه ونرضى بالسير مما قسم لنا فتقول للاللة بحق لكم هذا <sup>(١)</sup> وقال صلى الله عليه وسلم «يا معتز القراء أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بواب قمركم وإلا فلا» <sup>(٢)</sup>.

الوليد ولا تغفل عنى.

[ الباب الستون :

في ذكره إشارات

الشايخ في القامات

على الترتيب ]

قولهم في التوبة قال

رويه معنى التوبة أن

يتوب من التوبة قبل

معناه قول رابعة

أستغفر الله العظيم

من قلة صدق في قولى

أستغفر الله . وسئل

الحسن للغازي عن

التوبة ، فقال تسألني

عن توبة الانابة أو

عن توبة الاستجابة

فقال السائل ما توبة

الانابة ؟ فقال : أن

تخاف من الله عز

وجل من أجل

قدرته عليك . قال

فما توبة الاستجابة .

(١) حديث إذا كان يوم القيامة أثبت الله لطائفه من أمي أجنة فيطرون من قبورهم إلى الجنان يبرحون فيها رواه ابن جبان في الضعفاء وأبو عبد الرحمن السلمي من حديث أنس مع اختلاف ، وفيه حميد بن عيسى ساقط هالك والحديث منكرو مخالف للقرآن ، وللأحاديث الصحيحة في الورد وغيره . (٢) حديث أعطوا الله الرضا من قلوبكم تظفروا بواب قمركم وإلا فلا تقدم (٣) حديث من أحب أن يعلم ماله عند الله فليظن بالله عند الحديث الحاكم من حديث جابر وصححه بإفظ منزلة ومنزلة الله (٤) حديث قال الله أنا الله لا إله إلا أنا من لم يصبر على بلاني الحديث الطبراني في الكبير وابن جبان في الضعفاء من حديث أبي هند الدارمي مقتصر على قوله من لم يصبر على بلاني فيضاني ويصبر على بلاني فليتمس ربا سوى وإسناده ضعيف (٥) حديث قال الله تعالى قدرت القادر ودرت التدبير وأحكمت الصنع فمن رضى لله الرضا الحديث لم أجدهم بهذا اللفظ والطبراني في الأوسط من حديث أن أمية خلق الله الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق الدين الحديث وإسناده ضعيف (٦) حديث يقول الله خلقت الخير والشر فظوني لمن خلقت الخير وأجريت الخير على يديه الحديث ابن شاهين في شرح

وهكذا سبق لك مني وهكذا قضيت عليك قبل أن أخلق الدنيا أقربد أن أعيد خلق الدنيا من أجلك أم تريد أن أبذل ما قدرته عليك فيكون ماحب فوق ما أحب ويكون ما تريد فوق ما أريد وعزني وجلالي لأن تلجئ هذا في صدرك مرة أخرى لأعزتك من ديوان النبوة . وروى أن آدم عليه السلام كان يبنى أولاده الصغار يصعدون على يده وينزلون بجمل أحدهم رجله على أضلاعه كهيئة الدرج فيصعد إلى رأسه ثم ينزل على أضلاعه كذلك وهو مطرق إلى الأرض لا ينطق ولا يرفع رأسه ، قال له بنى ولده يابث : أما ترى ما يصنع هذا بك لو نبيت عن هذا فقال يابث : إنى رأيت ما لم نروا ، وعلمت ما لم تعلموا إنى تحركت حركة واحدة فأهبطت من دار السكرامة إلى دار الحوان ومن دار النعم إلى دار الشقاء فأخاف أن أتحرك أخرى فيصينى مالا أعلم . وقال أنس بن مالك رضى الله عنه وخدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين سنة لما قال لي كفى فقلت لم فلتك ولائى لم أفله لم لأفله ولا قال فى شئ كان ليته لم يكن ولا فى شئ لم يكن ليته كان وكان إذا خاصنى خصام من أهله يقول دعوه لوقضى شئ لكان (١) . وروى أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : يا داود إنك تريد وأريد وإني ما يكون ما أريد فإن سلت لما أريد كفيتك ما تريد ، وإن لم تسلم لما أريد أمتيتك فيما تريد ثم لا يكون إلا ما أريد . [ وأما الآثار ] فقد قال ابن عباس رضى الله عنهما : أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الذين يعمدون الله تعالى على كل حال . وقال عمر بن عبد العزيز ما جرى لي سرور إلا في مواقع القدر . وقيل له ماتشهى ، قال ما يقضى الله تعالى . وقال ميسون بن مهران من لم يرض بالقضاء فليس لحقه دواء . وقال الفضيل : إن لم تحسب على تقدير الله لم تحسب على تقدير نفسك . وقال عبد العزيز ابن أبي رواد : ليس الشأن في أكل خبز الشعير والحل ولا في لبس الصوف والشعر ولكن الشأن في الرضا عن الله عز وجل . وقال عبد الله بن مسعود : لأن الحس حجرة أحرقت ما أحرقت وأقت ما أقت أحب إلى من أن أقول شئ كان ليته لم يكن أو شئ لم يكن ليته كان . ونظر رجل إلى قرحة في رجل محمد بن واسع ، فقال إنى لأرحمك من هذه القرحة ، قال : إنى لأشكرها منذ خرجت إذ لم تخرج في عيني . وروى في الاسماليات أن طابدا عبد الله دها طويلا فأرى في المنام فلانة الراعية رفعتك في الجنة فسأل عنها إلى أن وجدها فاستضافها ثلاثا لينظر إلى عملها فكان بيت قائما وتبيت نائمة وبظل صائما وتظل مظطرة ، قال أمالك عمل غير ما رأيت ، قالت ما هو والله إلا ما رأيت لأعرف غيره فلم يزل يقول تذكرى حتى قالت خيبة واحدة هي في إن كنت في شدة لم آتمن أن أكون في رخاء وإن كنت في مرض لم آتمن أن أكون في صحة وإن كنت في الشمس لم آتمن أن أكون في الظل فوضع العابد يده على رأسه وقال أهذه خيبة هذه والله خيبة عظيمة بعجز عنها العباد . وعن بعض السلف إن الله تعالى إذا قضى في الباء قضاء أحب من أهل الأرض أن يرضوا بقضائه . وقال أبو البرداء ذروة الإيمان الصبر للحكم والرضا بالقدر . وقال عمر رضى الله عنه ما أتاني على أى حال أصبحت وأمسيت من شدة أوراخ . وقال الثوري يوماعند رابعة : اللهم ارض عني فقالت ما تستحق من الله أن تسأله الرضا وأنت عنه غير راض فقال استغفر الله فقال جعفر ابن سليمان الضبي لم يرضوا بغير رضا عن الله تعالى قالت إذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالدمعة . وكان الفضيل يقول إذا استوى عندك النعم والعطاء فقد رضى عن الله تعالى . وقال أحمد بن أبي الحواري قال أبو سليمان الداراني إن الله عز وجل من كرمه قدرضى من عباده بما رضى العبيد من موالهم السنة عن أبي أمامة بإسناد ضعيف (١) حديث أنس خدمت النبي صلى الله عليه وسلم لما قال في شئ فقلت لم فلتك الحديث متفق عليه وقد تقدم .

قال أن تستحق من الله لقربه منك وهذا الذى ذكره من توبة الاستجابة إذا تحقق العبد بها ربما تاب في صلاته من كل خاطر يلزم سوى الله تعالى ويستغفر الله منه وهذه توبة الاستجابة لازمة ليوطن أهل القرب كما قيل وجودك ذنب لا يغاس به ذنب . قال الذوالنون توبة الصوم من الذنوب ، وتوبة الخواص من العلة ، ونبوة الأنبياء من رؤية محضهم عن بلوغ مآلها غيرهم . مثل أبو محمد سهل عن الرجل

قلت وكيف ذلك قال ليس مراد العبد من الخلق أن يرضى عنه مولاه قلت نعم قال فإن محبة قمن عبيده أن يرضوا عنه . وقال سهل حظ العبد من اليقين على قدر حظهم من الرضا وحظهم من الرضا على قدر عيشهم مع الله عز وجل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن الله عز وجل يحبكته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا واليقين وجعل النهم والحزن في الشك والسخط » (١) .

( بيان حقيقة الرضا وتصوره فيما يخالف الموى )

اعلم أن من قال ليس فيما يخالف الموى وأنواع البلاء إلا الصبر فأما الرضا فلا يتصور فاعلم أن من ناحية إنكار المحبة فأما إذا ثبت تصور الحب لله تعالى واستغرق الهم به فلا يخفى أن الحب يورث الرضا بأفضل الحبيب ويكون ذلك من وجهين : أحدهما أن يطل الاحساس بالألم حتى يجرى عليه الإؤلوم ولا يحس وتصيبه جراحة ولا يدرك ألمها ومثاله الرجل المحارب فإنه في حال غضبه أو في حال خوفه قد تصيبه جراحة وهو لا يحس بها حتى إذا رأى الهم استدل به على الجراحة بل الذي يندوف شغل قريب قد تصيبه شوكة في قدمه ولا يحس بألم ذلك لشغل قلبه بل الذي يحجم أو يحاق رأسه عديدة كالة يتألم به فإن كان مشغول القلب بهم من مهاته فرغ الزين والحجاب وهو لا يشعر به وكل ذلك لأن القلب إذا صار مستغرقا بأمر من الأمور مستوفى به لم يدرك ما عداه فكذلك العاشق المستغرق الهم بمشاهدة معشوقه أو محبة قد يصيبه ما كان يتألم به أو يشتم له لولا عشقه ثم لا يدرك غمه وآله لفراط استيلاء الحب على قلبه هذا إذا أصابه من غير حبيبه فكيف إذا أصابه من حبيبه وشغل القلب بالحب والعشق من أعظم الشواغل وإذا تصور هذا في ألم يسير بسبب حب خفيف تصور في الألم العظيم بالحب العظيم فإن الحب أيضا يتصور تضاعفه في القوة كما يتصور تضاعف الألم وكما يقوى حب الصور الجميلة للدركة بحاسة البصر فكذا يقوى حب الصور الجميلة الباطنة للدركة بآثار البصيرة وجمال حضرة الربوبية وجلالها لا يقاس به جمال ولا جلال فمن ينكشف له شيء منه فقد يهده به حيث يدهش ويدهش عليه فلا يحس بما يجرى عليه . فقد زوى أن امرأة فتح الوصل عثرت فاقطعت ظفرها فضحكته قبل لها أما تجدني الوجع ؟ فقالت إن لذة ثوابه أزالته عن قلبي مرارة وجهه ، وكان سهل رحمه الله تعالى به علة يبالغ غيره منها ولا يبالغ نفسه قبل له في ذلك فقال يادوست ضرب الحبيب لا يوجع . وأما الوجه الثاني فهو أن يحس به ويدرك أنه ولكن يكون راضيا به بل راغبا فيه مريدا له أعز بقلبه وإن كان كارها بطبعه كالذي يلتزم من القصاد القصد والحجامة فإنه يدرك ألم ذلك إلا أنه راض به وراغب فيه ومتكلم من القصاد به منة بفعله فهذا حال الراض بما يجرى عليه من الألم وكذلك كل من يسافر في طلب الربيع يدرك مشقة السفر ولكن حبه لثمرة سفره طيب عنده مشقة السفر وجمه راضيا بها ومهما أصابه بلية من الله تعالى وكان له يقين بأن ثوابه الذي ادخر له فوق ما فاته رضى به ورغب فيه وأحبه وشكر الله عليه هذا إن كان يلاحظ الثواب والاحسان الذي يجازى به عليه ويجوز أن يغلب الحب بحيث يكون حظ الحب في مراد محبوبه ورضاه لا يحس آخر وراه فيكون مراد حبيبه ورضاه محبوا باعتدوم مطلوبوا كل ذلك موجود في المشاهدات في حب الخلق وقد تواصلها المتواصلون في نظمهم وشرهم ولا معنى له إلا ملاحظة جمال الصورة الظاهرة بالبصر فإن نظر إلى الجلال فساهوا لإجله ولحمودهم مشحونون بالافتقار والأخبات ببايته من نقطة ملوثة ونهايته جيفة قدرة وهو فيما بين ذلك يحمل المذرة وإن نظر إلى اللدرك

(١) حديث إن الله يحبكته وجلاله جعل الروح والفرح في الرضا والفرح في الرضا الحديث الطبراني من حديث ابن مسعود إلا أنه قال بسطه وقد تقدم .

يتسبب من الشيء ويتركه ثم يخطر ذلك الشيء بقلبه أو يراه أو يسمع به فيجده حلاوته فقال الحلاوة طبع البشرية ولا بد من الطبع وليس له حيلة إلا أن يرفع قلبه إلى مولاه بالشكوى ويشكره بقلبه ويكرم نفسه بالانكار ولا يفارقه ويدعو الله أن ينسبه ذلك ويشغله بنسبه من ذكره وطاعته قال وإن غفل عن الانكار طرفة عين أخاف عليه أن لا يسلم وتعمل الحلاوة في قلبه ولكن مع وجدان الحلاوة يلزم قلبه الانكار ومحزن فإنه لا يضره . وهنا

للجمال فهي العين الحساسة التي تغلط فيما ترى كثيرا فترى الصغير كبيرا والكبير صغيرا والبعيد قريبا والقصيح جيلا فإذا تصور استيلاء هذا الحب فمن أين يستحيل ذلك في حب الجمال الأزلي الأبدى الذي لا منتهى لكلكه الدرك بعين البصيرة التي لا يمتريها الغلط ولا يدور بها الوت بل تبقى بعد الموت حية عند الله فرحة برزق الله تعالى مستفيدة بالوت مزيد تنبيه واستكشاف فمذا أمر واضح من حيث النظر بين الاعتبار وشهد تلك الوجود وحكايات أحوال المحبين وأقوالهم فقد قال شقيق البلخي من يرى ثواب الشدة لا يشتهي المخرج منها . وقال الجنيد سألت سريرا السقطي هل يجد الحب ألم البلاء ؟ قال لا قلت وإن ضرب بالسيف قال نعم وإن ضرب بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة . وقال بعضهم أحببت كل شيء عجبته حتى لو أحب النار أحببت دخول النار . وقال بشر بن الحرث مررت برجل وقد ضرب ألف سوطا شريفة بئداه ولم يشكهم ثم حمل إلى الحبس فبسته فقلت له لم ضربت ؟ قال لأنني عاشق فقلت له ولم سكنت ؟ قال لأن معشوقى كان يجذاني ينظر إلى فقلت فلو نظرت إلى المعشوق الأكبر قال فزعت زعقة خرميتا . وقال يحيى بن معاذ الرازى رحمه الله تعالى إذا نظر أهل الجنة إلى الله تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر إلى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع إليهم فما تلك بقلوب وقست بين جماله وجلاله إذا لاحظت جلالة هابته وإذا لاحظت جماله تاهت . وقال بشر قصدت عبادان في بدايتي فإذا برجل أسمى مجذوم مجنون قد صرع والتل يأكل لحمه فرضت رأسه فوضعت في حجرى وأنا أردد الكلام فذا أفأق قال من هذا القسولى الذى يدخل بينى وبين ربي لو قطعنى إربا ما زددت له إلا حبا . قال بشر لما رأيت بعد ذلك قومة بين عبد وبين ربه فأنكرتها . قال أبو عمرو محمد بن الأشعث إن أهل مصر مكثوا أربعة أشهر لم يكن لهم غذاء إلا النظر إلى وجه يوسف الصديق عليه السلام كانوا إذا جاعوا نظروا إلى وجهه فشفطهم جماله عن الاحساس بألم الجوع بل في القرآن ما هو أبلغ من ذلك قطع النسوة أيديهن لاستتارهن ملاحظة جماله حتى ما أحسن بذلك . وقال نعيم بن يحيى رأيت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شابا وفي يده مديّة وهو ينادى بأعلى صوته والناس حوله وهو يقول:

يوم القراق من القيامة أطول والوت من ألم التفريق أجمل

قالوا الرحيل قد كنت براحل لكن مهجنى التي ترحل

ثم يمر بالمدينة بطنه وخرميتا فسألت عنه وعن أمره فقيل لى أنه كان بهوى فتى لبعض اللوك حجب عنه يوما واحدا ويروى أن يونس عليه السلام قال لجبريل دلتى على أعبد أهل الأرض فدلته على رجل قد قطع الجذام يديه ورجليه وذهب يصيره قسعه وهو يقول : إلهى متعتي بهما ما شئت أنت وسلبتني ما شئت أنت وأبقيت لى فيك الأمل يا رب يا وصول . ويروى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما أنه اشتكى له ابن فاشدته وجده عليه حتى قال بعض القوم لقد خشينا على هذا الشيخ إن حدث بهذا القلام حدث فحدث القلام ظفرج ابن عمر في جنازته وما رجع أشد سرورا أبدا منه فقيل له في ذلك فقال ابن عمر إنما كان حزنى رحمة له فلما وقع أمر الله رضىنا به . وقال مسروق : كان رجل بالبادية له كلب وحمار وديك فالديك يؤظهم للصلاة والحمار ينقلون عليه الماء ويعمل لهم خبأهم والكلب يحرسهم قال فجاء الثعلب فأخذ الديك فحزنوا له وكان الرجل صالحا فقال عسى أن يكون خيرا ثم جاء ذئب فغرق بطن الحمار فقتله فحزنوا عليه فقال الرجل عسى أن يكون خيرا ثم أصيب الكلب بعد ذلك فقال عسى أن يكون خيرا ثم أصبحوا ذات يوم فنظروا فإذا قد سبي من حولهم وبقواهم قال وإنما أخذوا أولئك لما كان عندهم من أصوات الكلاب

الذى قاله سهل كاف بالغ لكل طالب صادق يريد صحة توبته . والعارف القوى الحال يتمكن من إزالة الحلاوة عن بطنه ويسهل عليه ذلك وأسباب سهولة ذلك متنوعة للعارف ومن تمكن من قلبه حلاوة حب الله الحاس عن صفاء مشاهدته وصرف يقين فأى حلاوة تبقى في قلبه وإعما حلاوة الموى لمدم حلاوة حب الله . وسئل السوسى عن التوبة فقال التوبة من كل شيء ذمه العلم إلى ممدحه العلم وهذا وصف بعم الظاهر والباطن لمن كوشف بصريح العلم لأنه لا بقاء

والخير والديكة فكانت الحيرة لمؤلاه في هلاك هذه الحيوانات كما قدره الله تعالى فاذن من عرف حق  
 لطف الله تعالى رضي بفعله على كل حال . ويروي أن عيسى عليه السلام مرّ برجل أعمى أبرص مقعد  
 مضروب الجنين بفالج وقد تاتر لجمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيرا  
 من خلقه فقال له عيسى يا هذا أي شيء من البلاء أراه مصروفا عنك فقال يا ربّ الله أنا خير من يجعل  
 الله في قلبه ما جبل في قلبي من معرفته فقال له صدقت هات يدك فتأوله يده فاذا هو أحسن الناس وجها  
 وأفضلهم هيئة وقد أذهب الله عنه ما كان به فصحب عيسى عليه السلام وتبذروا وقطع عروقه بن الزبير  
 رحله من ركبته من أكلة خرجت بها ثم قال الحمد لله الذي أخذ مني واحد قواك لأن كنت أخذت  
 لقد أنجيت ولئن كنت ابتليت لقد عاقبت ثم لم يدع ورده تلك الآية وكان ابن مسعود يقول الفقر والتقى  
 مطيتان ما أتى أُنهما ركبته إن كان الفقر فإن فيه العبر وإن كان التقى فإن فيه البذل . وقال  
 أبو سليمان الداراني قد نلت من كل مقام حالا إلا الرضا فمالئ منه بالإستقام الرغب وعلى ذلك لو أدخل  
 الخلاق كلهم الجنة وأدخلني النار كنت بذلك راضيا . وقيل لما راف آخر هل نلت غاية الرضا عنه فقال  
 أما الغاية فلا ولكن مقام الرضا قد نلته لوجعني جبراً على جهنم يبر الخلاق على إلى الجنة ثم ملائي  
 جهنم تحلة لقسمه وبدلاً من خلقته لأحببت ذلك من حكمه ورزيت به من قسمه وهذا الكلام من علم  
 أن الحب قد استغرق همه حتى منه الاحساس بأن النار فإن بقي إحساس فيغمره ما يحصل من الله في  
 استعمار حصول رضا محبوبه بآلهة إياه في النار واستيلاء هذه الحالة غير محال في نفسه وإن كان  
 بعيداً من أحوالنا الضعيفة ولكن لا ينبغي أن يستكثر الضعيف المحروم أحوال الأقوياء . ونظن أن  
 ماهو عاجز عنه يجز عن الأولياء . وقال الروذباري قتل لأبي عبد الله بن الجلاء الدمثي قول فلان  
 وددت أن جسدي قرض بالمقاريض وأن هذا الخلق أطاعوه مامناً فقال يا هذا إن كان هذا من  
 طريق التعظيم والاحلال فلا أعرف . وإن كان هذا من طريق الاشتاق والتصحّ للخلق فأعرف قال  
 ثم غشي عليه وقد كان عمران بن الحصينة . استسقى بطنه فبقى ملقى على ظهره ثلاثين سنة لا يقوم  
 ولا يقعد قد قب له في سرير من جريد كان عليه موضع لقضاء حاجته فدخل عليه مطرف وأخوه العلماء  
 فجعل يبكي لما يراه من حاله فقال لم يبكي ؟ هل لأن أراك على هذه الحالة العظيمة قال لا بئس أحب  
 إلى الله تعالى أحبه إلى ثم قال أحدثك شيئاً لعل الله أن ينعم بك به وإكنتم على حق أموت إن اللائكة  
 تزورني فأتسبها وتسلم على فأسمع تسليمها فأعلم بذلك أن هذا البلاء ليس بفتوة يدهو سبب هذه  
 النعمة الجسيمة فمن يشاهد هذا في بلاءه كيف لا يكون راضياً به قال ودخلنا على سويد بن منبة  
 نعوده فرائياً ثوبا ملقى فما ظننا أن تحته شيئاً حتى كشف فقالت له امرأته أهلي قد أوك ما نطعمك  
 ما نطيقك فقال طالت الضجة وديرت الحرافيش وأصبحت نضوا لا أطعم طمأناً ولا أسبغ شرباً منذ كذا  
 فذكر أياماً وما يسترني أتى قصص من هذا قلامة ظفر . ولما قدم سعد بن أبي وقاص إلى مكة وقد  
 كان كعب بصره جاءه الناس يهرعون إليه كل واحد يسأله أن يدعو له فيدعوه لهذا ولذا وكان حجاب  
 الدعوة . قال عبد الله بن السائب فأتيته وأنا غلام فتعرفت إليه فمررتي وقال أنت قاري أهل مكة ؟  
 قلت نعم فذكر قصة قال في آخرها قتل له باعمر أنت تدعو للناس فلو دعوت نفسك فرد الله عليك  
 بصرك فبسم وقال يا بني قضاء الله سبحانه عندي أحسن من بصري . وضاع لبعض الصوفية ولد صغير  
 ثلاثة أيام لم يعرف له خبر فقبل له لو سألت الله تعالى أن يرده عليك فقال اعترضني عليه فما قضى أشد  
 على من ذهب ولدى . وعن بعض العباد أنه قال إني أذنبت ذنباً عظيماً فأنا أبكي عليه منذ ثنتين سنة  
 وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب فقيل له وما هو ؟ قال قلت مرة لشيء كان ليته

لجهنم مع العلم كالإبقاء

ليل مع طلوع الشمس

وهذا يستوعب جميع

أقسام التوبة بالوصف

الخاص والعام وهذا

العلم يكون علم الظاهر

والباطن بتطهير الظاهر

والباطن بأخص

أوصاف التوبة وأعم

أوصافها . وقال

أبو الحسن التوري

التوبة أن توب عن

كل شيء سوى الله

تعالى . قولهم في الورع

قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم : ملاك

دينكم الورع . أخبرنا

أبو زرعة بإجازة عن

أبي بكر بن خلف عن

أبي عبد الرحمن السلمي

إجازة قال أنا أبو سعيد

الحلال قال حدثني

لم يكن . وقال بعض السلف لو قرض جسمي بالمقارض لكان أحب إلي من أن أقول لشيء قضاء الله سبحانه لي لم يقضه ، وقيل لبيد الواحد من زبدهنا رجل قد تعبد حسين سنة قصدته فقال له يا جبيي أخبرني عنك هل قصت به ؟ قال لا ، قال أنت به ؟ قال لا ، قال فهل رضىت عنه ؟ قال لا ، قال فاعلم أن مريدك من الصوم والصلاة ؟ قال نعم ، قال لولا أني أستحي منك لأخبرتكم بأن معاملتك حسين سنة مدخولة وممنه أنك لم يفتح لك باب القلب فترقى إلى درجات القرب بأعمال القلب وإنما أنت تدعى طبقات أصحاب اليقين لأن مريدك منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم . ودخل جماعة من الناس على الشيلي رحمه الله تعالى في مارستان قد حبس فيه وقد جمع بين يديه حجارة فقال لمن أمته ؟ فقالوا عجبوك فأقبل عليهم يرميهم بالحجارة قهاريوا فقال ما بالكم ادعيتهم ههنا ؟ إن صدقتم فاصبروا على بلائي ، والشيلي رحمه الله تعالى :

إن الهبة للرحمن أسكرني وهلى رأيت محبا غير سكران

وقال بعض عباد أهل التمام كلكم يلقي الله عز وجل مصدقا وله قد كذبه وذلك أن أحدكم لو كان له أصبع من ذهب ظل يشير بها ولو كان بها شلل ظل يوارها يعني بذلك أن الشهب مذموم عند الله والناس يتفخرون به والبلاء زينة أهل الآخرة وهم يستكفون منه . وقبل أن يقع الحريق في السوق قيل لمرى احترق السوق وما احترق ذلكنا قال الحمد لله ثم قال كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون السليبي خاب من التجارة وترك الحانوث بجة عمره توبة واستغفارا من قوله الحمد لله ، فإذا تأملت هذه الحكايات عرفت قطعا أن الرضا بما يخالف الهوى ليس مستحلا بل هو مقام عظيم من مقامات أهل الدين ومهما كان ذلك ممكنا في حب الخلق وحظوظهم كان ممكنا في حق حب الله تعالى وحظوظ الآخرة قطعا . وإمكانه من وجهين : أحدهما الرضا بالألم لا يتوقع من الثواب الموجود كالرضا بالقصد والحجامة وشرب الدواء انتظارا للقضاء . والثاني الرضا به لا لحظ وراءه بل لكونه مراد المحبوب ورضا له فقد يذلل الحب بحيث ينشمر مراد الحب في مراد المحبوب فيكون لذلك الأشياء عنده سرور قلب محبوه ورضاء وتقوى وإرادته ولوفى هلاك روحه كما قيل : فلأجرح إذا أرضاكم ألم ● وهذا يمكن مع الاحساس بالألم وقد يستولى الحب بحيث يدهش عن إدراك الألم فالقياس والتجربة والشاهدة دالة على وجوده فلا ينبغي أن ينكره من تقدمه من نفسه لأنه إنما تقدمه لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يلق طعم الحب لم يعرف عجائبه فلهما جبين محاب أعظم مما وصفناه . وقد روى عن عمرو بن الحرث الرازي قال : كنت في مجلس بالرقعة عند صديق لي وكان معنا فتى يتشقق جارية منية وكانت معنا في المجلس فضربت بالفضيب وغنت :

علامة ذل الهوى على العاشقين البكا

ولاسيا عاشق إذا لم يجد مشتكا

فقال لها الفتى أحسنت والله يا سيدتي أفأذنين لي أن أموت فقالت مت راشدا قال فوضع رأسه على الوسادة وأطبق فيه وغمض عينيه فحركناه فإذا هو ميت . وقال الجنيد رأيت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع إليه ويظهر له الهبة فالتفت إليه الصبي وقال له إلى متى هذا التفاني الذي تظهرني قال قد علم الله أني صادق فيما أوردته حتى لو قلت لي مت لمت فقال إن كنت صادقاً قلت قال فتسعى الرجل وغمض عينيه فوجد ميتا . وقال صفي بن الحرث المحب كان في جيراننا رجل وله جارية بها طافية الحب فاعتلت الجارية فجلس الرجل ليصلح لها حيا فبينما هو يحرك القدر إذ قالت الجارية آه قال فدهش الرجل وسقطت للتعلمين يده وجلس يحرك ماني القدر بيده حتى سقطت أصابعه فقالت الجارية ما هذا ؟ قال هذا ما كان يؤول آه . وحكى عن محمد بن عبد الله البغدادي قال رأيت بالبصرة أبا علي سطح مرتفع وقد أشرف على الناس وهو يقول :

ابن قتيلة قال ثنا عمر بن عثمان قال حدثنا جبة عن أبي بكر بن أبي مرزوم عن جبيب بن عبيد عن أبي الدرداء رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توحشا على نهر فلما فرغ من وضوئه أفرغ فضله في النهر وقال يلهه الله عز وجل قوما ينفعهم . قال عمر بن الخطاب لا ينبغي لمن أخذ بالقوى ووزن بالورع أن يذل لصاحب دنيا قال معروف السرخسي حفظ لسائك من اللذخ كما تحفظه من القدم . قال عن الحرث بن أسد المحاسبي أنه كان على طرف أمية الوسطى عرق إذا مديده إلى

من مات عشقا فليمت هكذا لاخير في عشق بلا موت

ثم رمى نفسه إلى الأرض فخلعه ميتا فهذا أو مثاله قد يصدق به في حب الخلق والتصدق به في حب الخالق أولى لأن البصيرة الباطنة أصدق من البصر الظاهر وجمال الحضرة الربانية أو في كل جمال بل كل جمال في العالم فهو حسنة من حسنات ذلك الجمال، نعم الذي قد البصر ينكر جمال الصور والذى قد السمع ينكر لغة الألحان والنفحات للوزونة فالذى قد القلب لا يمد أن ينكر أيضا هذه الذات التي لا مظهر لها سوى القلب.

(بيان أن الدعاء غير منافع لرضا)

ولا يخرج صاحبه عن مقام الرضا وكذلك كراهة للعاصي ومقت أسبابها والسمي في إزالتها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يناقضه أيضا وقد غلط في ذلك بعض البطالين للترين وزعم أن العاصي والتجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا به وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع، فأما الدعاء فقد تعبدنا به وكثرة دعوات رسول الله صلى الله عليه وسلم وسائر الأنبياء عليهم السلام على ما قلناه في كتاب الدعوات تدل عليه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أعلى القامات من الرضا وقد أنقذ الله تعالى على بعض عباده بقوله سيد دعواته غابور بها أو ما إنكار العاصي وكراهتها وعدم الرضا بها فقد تعبد الله بعبادته وذهب على الرضا به فقال سور ضو بالحياة الدنيا وأطمانوا بها - وقال تعالى - رضا بأن يكونوا مع الخوالب وطبع على قلوبهم - وفي الخبر للشهور من شهد منكرا فرضى به فكأنه قد فعله - وفي الحديث «الدال على الشر كغافله» وعن ابن مسعود: إن العبد لينيب عن المنكر ويكون عليه مثل وزر صاحبه قيل وكيف ذلك؟ قال يلفه فيرضى بعوى الخبر ولو أن عبدا قتل بالشرق ورضى بقتله آخر بالمغرب كان شريكا في قتله<sup>(١)</sup> وقد أمر الله تعالى بالحسد وللناسة في الحشرات وتوفي الشرور فقال تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «لا حسد إلا في اثنين رجل آثام الله حكمة فهو بيننا في الناس وبسطها ورجل آثام الله مافسطه على هلكته في الحق»<sup>(٢)</sup> وفي لفظ آخر «ورجل آثام الله القرآن فهو يقوم به آثامه القليل والتهار فيقول الرجل لو آثام الله مثل ما آثام هذا فقلت مثل ما فعل». وآما بعض الكفار والفقار والانسكار عليهم ومقتهم لما ورد فيه من شواهد القرآن والأخبار لا يحصى مثل قوله تعالى - لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين - وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء - وقال تعالى - وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا - وفي الخبر «إن الله تعالى أخذ البيئات على كل مؤمن أن يبخس كل منافع وعلى كل منافق أن يبخس كل مؤمن»<sup>(٣)</sup> وقال عليه السلام «للمع من أحب»<sup>(٤)</sup> وقال «من أحب قوما واللام حشر معهم يوم القيامة»<sup>(٥)</sup> وقال عليه السلام «أوتق

طعام فيه عبهة ضرب عليه ذلك الرق. سئل الشبل عن الورع فقال الورع أن تتورع أن ينشئت قلبك عن الله طرفه عين. وقال أبو سليمان النخعي أن الورع أول الورع أن القناعة طرف من الرضا. وقال يحيى بن ساذ الورع الوقوف على حد العلم من غير تأويل. سئل الخواص عن الورع فقال أن لا يتكلم العبد إلا بالحق غضب أو رضى وأن يصكون اهتمامهما بما رضى الله تعالى. أخبرنا أبو زرعة بإجازة عن أبي بكر بن خلف بإجازة عن السلي قال سمعت الحسن بن أحمد

(١) حديث الدال على الشر كغافله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بن سناد ضيف جدا (٢) حديث لو أن رجلا قتل بالشرق ورضى بقتله آخر في المغرب كان شريكا في قتله لم أجده أصلا هذا اللفظ ولا ين عدى من حديث أبي هريرة من حضر مصيبة فكرها فأنكأها غاب عنها ومن غاب عنها فأحبها فكأنما حضرها وتقدم في كتاب الأمر بالمعروف (٣) حديث لا حسد إلا في اثنين الحديث البخاري من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث ابن مسعود وقد تقدم في العلم (٤) حديث إن الله أخذ البيئات على كل مؤمن أن يبخس كل منافق الحديث لم أجده أصلا (٥) حديث للمع من أحب تقدم (٦) حديث من أحب قوما واللام حشر معهم الطبراني من حديث أبي هريرة وابن عدى من حديث جابر من أحب قوما على أعمالهم حشر في زميرهم زاد ابن عدى يوم القيامة وفي طريقه إسماعيل بن يحيى التيمي ضيف.

عزى الإيمان الحب في الله والبغض في الله (١) « وشاهد هذا قد ذكرناه في بيان الحب والبغض في الله تعالى من كتاب آداب الصبغة وفي كتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلان يمد. فان قلت قد وردت الآيات والأخبار بالرضا بقضاء الله تعالى (٢) فان كانت العاصي يبرئ قضاء الله تعالى فهو محال وهو قاذف في التوحيد وإن كانت بقضاء الله تعالى فكرهتها ومقتها كراهة لقضاء الله تعالى وكيف السبيل إلى الجمع وهو متناقض على هذا الوجه وكيف يمكن الجمع بين الرضا والكراهة في شيء واحد. فاعلم أن هذا مما يلتبس على الضعفاء القاصرين عن الوقوف على أسرار العلوم وقد التبس على قوم حتى رأوا السكوت عن المنكر مقاماً من مقامات الرضا ومموء حسن الخلق وهو جهل محض بل يقول الرضا والكراهة يشادان إذا تواردا على شيء واحد من جهة واحدة على وجه واحد فليس من التضاد في شيء واحد أن يكروه من وجه ويرضوه من وجه إذ قد يموت عدوك الذي هو أيضاً عدو بعض أعدائك وساع في إهلاكك ذكره موته من حيث إنه مات عدو عدوك وترضاه من حيث إنه مات عدوك وكذلك العصية لها وجهان وجه إلى الله تعالى من حيث إنه فعله واختياره وإرادته فيرضى به من هذا الوجه تسلياً للملك إلى مالك. للكم رضاء بما يغضه فيه ووجه إلى العبد من حيث إنه كسبه ووصفه وعلامة كونه محموقاً عند الله وبخياً عنده حيث سلط عليه أسباب البعد ولتقت فهو من هذا الوجه منكر ومدموم ولا ينكشف هذا إلا بمثل قلن فرض محبوباً من الخلق قال بين يدي عبي إلى إريد أن أميز بين من يحبني ويغضبني وأحب في معياراً صادقاً وميزاناً ناطقاً وهو أن تصد إلى فلان فأؤذيه وأضر به ضراً يضطره ذلك إلى الشتم لي حتى إذا شتمني أبغضته وأخذته عدواً لي قتل من أحبه أعلم أيضاً أنه عدوي وكل من أبغضه أعلم أنه صديق وعي ثم فعل ذلك وحصل مراده من الشتم الذي هو سبب البغض وحصل البغض الذي هو سبب المداواة خلق على كل من هو صادق في محبة وعالم بشر وطاعة لله أن يقول أما تدير لك في إبقاء هذا الشخص وضربه وإبعاده وتحريضك إياه للبغض والمداواة فأنا محب له وراض به فانه رأيك وتدير لك وفيك وإرادتك وأما شتمه إياك فانه عدوان من جهته إذ كان حقه أن يصبر ولا يشتم ولكنه كان مرادك منه فانك قصدت بضربه استتطاعه بالشتم للوجوب للمقت فهو من حيث إنه حصل على وفق مرادك وتدير لك الذي دبرته فأنا راض به ولو لم يحصل لك ذلك نقصاناً في تدير لك وتوحي في مرادك وأنا كاره لغوات مرادك ولكنه من حيث إنه وصف لهذا الشخص وكسب له وعدوان وتهجم منه عليك على خلاف ما يقتضيه جلالك إذ كان ذلك يقتضي أن يحتمل منك الضرب ولا يقابل بالشتم فأنا كاره له من حيث نسبته إليه ومن حيث هو وصفه لا من حيث هو. رادك ومقتضى تدير لك وأما بغضك له بسبب شتمك فأنا راض به ومحب له لأنه مرادك وأنا على موافقتك أيضاً بمنزلة له لأن شرط المحب أن يكون لحبيب المحبوب حبياً واعدوه عدواً وأما بغضه لك فأنى أرضاه من حيث إنك أردت أن يبغضك إذ أبعدته عن نفسك وسلطت عليه دواعي البغض ولكني أبغضه من حيث إنه وصف ذلك للبغض وكسبه وغضه وأمته لذلك فهو محموق عندى لفته إياك وبغضه ومقتك لك أيضاً عندى مكروه من حيث إنه وصفه وكل ذلك من حيث إنه مرادك فهو مرضى وإعما التناقض أن

ابن جعفر يقول سمعت  
محمد بن داود الله بنوري  
يقول سمعت ابن الجلاء  
يقول أعرف من أقام بمكة  
ثلاثين سنة ولم يشرب  
من ماء زمزم إلا من  
ماء استقاه بركوته  
ورشاؤه ولم يتناول من  
طعام جلب من مصر  
شيئاً. وقال الحواص:  
الورع دليل الخوف  
والخوف دليل المعرفة  
وللمعرفة دليل القربة  
قولهم في الزهد: قال  
الجنيد: الزهد خلو  
الأيدي من الأملاك  
والأقوال من التبع.  
وسئل الشبل عن الزهد  
فقال لا زهد في الحقيقة  
لأنه إما أن يزهد فيها  
ليس له فليس ذلك  
يزهد أو يزهد فيها هو له

- (١) حديث أوثق عزى الإيمان الحب في الله والبغض في الله رواه أحمد وتقدم في آداب الصبغة
- (٢) الأخبار الواردة في الرضا بقضاء الله الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاص من سعادة ابن آدم رضاه بما قسم الله عز وجل الحديث وقال عريب وتقدم حديث ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وحديث إن الله يسقطه جعل الروح والفرح في الرضا وتقدم في حديث الاستخارة والقدري الحير حيث كافى ثم رضى به وحديث من رضى من الله بالليل من الرزق رضى منه بالليل من

يقول هو من حيث إنه مرادك مرضى ومن حيث إنه مرادك مكروه. وأما إذا كان مكروها لامن حيث إنه فعله ومراده بل من حيث إنه وصف غيره. وكسبه فهذا لاتناقض فيه وجهه لذلك كل مايكروه من وجه ويرضى به من وجه ونظائر ذلك لأخصى فأذن تسليط الله دواعي الشهوة والهيبة عليه حتى يجره ذلك إلى حب العيبة ويجره الحب إلى فعل العيبة يضاهي ضرب المحبوب للشخص الذي ضربناه مثالا يجره الضرب إلى التنبذ والنضب إلى الشتم ومقت الله تعالى لمن عصاه وإن كانت معصيته بتدبيره يشبه بضئ للشتم لمن شتمه وإن كان شتمه إنما يحصل بتدبيره واختياره لأسبابه وفعل الله تعالى ذلك بكل عبد من عبده أعنى تسليط دواعي الهيبة عليه بدل على أنه سبقت مشيئته بإبداءه ومقتة فواجب على كل عبد محب لله أن يفيض من أبضه الله ويمقت من مقته الله ويمدح من أمدحه الله عن حفرته وإن اضطره جهره وقدرته إلى معاداته ومخالفته فإنه بعيد مطرود ملمون عن الحضرة وإن كان بعيدا بإبداءه قهرا ومطرودا بطرده واضطراؤه بالمدح من درجات القرب يذم أن يكون مقتيا أيضا إلى جميع المحبين موافقة للمحسوب بإظهار التنبذ على من أظهر المحبة. وبالنسبة إليه عليه بإبداءه وهذا يقرر جميع ماوردت به الأخبار من البغض في الله والحب في الله والتشديد على الكفار والتخليط عليهم والبالغة في مقتهم مع الرضا بقضاء الله تعالى من حيث إنه قضاء الله عز وجل وهذا كله يستمد من سر القدر الذي لا رخصة في إفشائه وهو أن الشر والخير كلاهما داخلان في الشئبة والإرادة ولكن الشر مراد مكروه والخير مراد مرضى به فمن قال ليس الشر من الله فهو جاهل وكذا من قال أيهما جيمنا منه من غير إقتراق في الرضا والكراهة فهو أيضا مقصر وكشف الغطاء عنه غير مأثور فيه فالأولى السكوت والتأدب بأدب الشرع فقد قال صلى الله عليه وسلم «والقدر سر الله فلا تنشروه»<sup>(١)</sup> وذلك يتعلق بعلم للكاشفة وغرضنا الآن بيان الامكان فيما تعبد به الخلق من الجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى ومقت للعاصي مع أيها من قضاء الله تعالى وقد ظهر الغرض من غير حاجة إلى كشف السر فيه وهذا يعرف أيضا أن الدعاء بالمغفرة والعصمة من المعاصي وسائر الأسباب العينية على الدين غير منقضى الرضا بقضاء الله تعالى فإن الله تعبد العباد بالدعاء ليستخرج الدعاء منهم صفاء الذكر وخشوع القلب ورقة التضرع ويكون ذلك جلاء للقلب ومفتاحا للكشف وسببا لتواتر مزايا اللطف كما أن حمل الكوز وشرب الماء ليس مناقضا للرضا بقضاء الله تعالى في العطش وقرب الماء طلبا لازالة العطش مباشرة سبب ربه مسبب الأسباب فكذلك الدعاء سبب ربه الله تعالى وأمر به وقد ذكرنا أن التمسك بالأسباب جريا على منه الله تعالى لا يناقض التوكل واستعصانة في كتاب التوكل فهو أيضا لا يناقض الرضا لأن الرضا مقامه لاصق للتوكل ويتصل به نعم إظهار البلاء في معرض الشكوى وانكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا وإظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض. وقد قال بعض السلف من حسن الرضا بقضاء الله تعالى أن لا يقول هذا يوم حار أي في معرض الشكوى وذلك في الصيف فأما في الشتاء فهو شكر والشكوى تناقض الرضا بكل حال ودم الأطعمة وغيرها يناقض الرضا بقضاء الله تعالى لأن مذمة الصنعة مذمة للصانع والكل من صنع الله تعالى وقول القائل الفقر بلاء ومحنة واليأس هم وتعب والاحتراف كد ومشقة كل ذلك قاذح في الرضا بل ينبغي أن يعلم التدبير لمديره والمملكة لمالكه أو يقول ما قاله عمر رضي الله عنه : لا أبالي أصبحت غنيا أو فقيرا فاني لأدري أيهما خير لي .

المعل وحديث أسألك الرضا بالقضاء الحديث وغير ذلك (١) حديث القدر سر الله فلا تنشروه أبو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر وابن عدي في الكامل من حديث عائشة وكلاهما ضعيف .

فكيف زهد فيه هو

معه وعندك فليس

إلا تطلب النفس وبذل

مواصلة ، يشير إلى

الأناس التي سبقت بها

الأقلام وهذا لو اطرده

هدم قاعدة الاجتهاد

والكسب ولكن

مقصود الشئ أن يقال

الزهد في عين للعند

بالزهد فلا يشتر به .

قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم «إذا

رأيت الرجل قد أوفى

زهدا في الدنيا منطلقا

فأقربوا منه فإنه يلحق

الحكمة» وقدمى الله

عز وجل الزاهد بن

علاء في قصة قارون

قال تعالى - وقال

الذين أوتوا العلم ويلكم

نواب الله خير - قيل

(بيان أن القرار من البلاد التي هي مظان للعاصي ومنعتها لا بدح في الرضا)

اعلم أن الضيف قد بظن أن نبي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخروج من بلد ظهر به الطاعون <sup>(١)</sup> يدل على النهي عن الخروج من بلد ظهرت فيه العاصي لأن كل واحد منهما قرار من قضاء الله تعالى وذلك محال بل العلة في النهي عن مفارقة البلد بسد ظهور الطاعون أن يلوّث هذا الباب لارتحل عنه الأسماء، ونبي فيه الرضى مهمبلن لا تمتد لهم فيه لكون هؤلاء وضرا ولذلك شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الأخبار بالقرار من الرضف <sup>(٢)</sup> ولو كان ذلك لقرار من القضاء لما أذن لمن قارب البلدة في الانصراف وقد ذكرنا حكم ذلك في كتاب التوكل وإذا عرف للمنيظهر أن القرار من البلاد التي هي مظان للعاصي ليس قراراً من القضاء بل من القضاء القرار بما لا بد من القرار منه وكذلك مذمة الموضع التي تدعو إلى العاصي والأصباب التي تدعو إليها لأجل التنفير عن اللصية ليست ممنومة لما زال السلف الصالح يتادون ذلك حتى اتفق جماعة على ذم بغداد وإظهارهم ذلك وطلب القرار منها فقال ابن البار قد طفت الشرق والغرب فما رأيت بها شراً من بغداد قيل وكيف قال هو بل تزدري فيه نعمة الله وتستصر فيه مصيبة الله ولما قدم خراسان قيل له كيف رأيت بغداد قال ما رأيت بها إلا شريطاً غضبان أو تاجراً لغبان أو قارئاً حيران ولا ينبغي أن نظن أن ذلك من النية لأنه لم يترس لشخص بعينه حتى يستتر ذلك الشخص به وإنما قصد بذلك تحذير الناس وكان يخرج إلى مكة وقد كان مقامه بغداد يرغب استمداد القافلة ستة عشر يوماً فكان يتصدق بستة عشر ديناراً لكل يوم دينار كفارة لقامه وقد ذم العراق جماعة كعمر بن عبد العزيز وكعب الأحمار . وقال ابن عمر رضي الله عنهما مولى له أن تسكن فقال العراق قال لما تصنع به بلغنا أنه ما من أحد يسكن العراق إلا قبض الله له قريناً من البلاد وذكر كعب الأحمار يوماً العراق قال فيه تسعة أشرار الشر وفيه الداء المضال وقد قيل قسم الحيرة عشرة أجزاء فثلاثة أعشاره بالشام وعشرة بالعراق وقسم الكثر عشرة أجزاء على العكس من ذلك وقال بعض أصحاب الحديث كنا يوماً عند التقبيل بن عياض فجاءه سوق متدبرع بعباءة فأجلسه إلى جانبه وأقبل عليه ثم قال أين تسكن فقال بغداد فأعرض عنه وقال يا بني أأحدم في زى الرعيان فإذا سألتاه أين تسكن قال في عبي الظلمة وكان بشر بن الحرث يقول مثال التبد يتداد مثال التبد في الحصى وكان يقول لا تهتدوا به في اللقاه ما من أراد أن يخرج فليخرج وكان أحد بن حبل يقول لولا تعلق هؤلاء الصبيان بنا كان الخروج من هذا البلد آثراً في نبي قبل وأين تختار السكنى قال بالشور . وقال بعضهم وقد سئل عن أهل بغداد أهدم زاهد وشيروم شرير فهذا يدل على أن من بل يلهة تكبر فيها للعاصي ويقل فيها الخير فلا عذر له في اللقاه بها بل ينبغي أن يهاجر قال الله تعالى - أَمْ تَسْكَنُ أَرْضَ اللَّهِ وَأَسْتَأْذِنُ قَهْرًا جِئُوا فِيهَا - فإن منه عن ذلك عيال أو علاقة فلا ينبغي أن يكون راضياً بحاله مطبئ النفس إليه بل ينبغي أن يكون منزعج القلب منها قائلاً على الصوامر - ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها - وذلك لأن الظلم إذا عم زل البلاد وهمر الجميع وهمل الطبيعيين قال الله تعالى - واتقوا فتنة لا يصيبن الدين ظلموا منكم خاصة - فاذن ليس في شيء من أسباب هصر الدين البتة رضا مطلق إلا من حيث إساقها إلى فعل الله تعالى فأما هي في غسها فلا وجه لرضا بها بحال وقد اختلف العلماء في الأفضل من أهل القامات الثلاث رجل يحب الموت شوقاً إلى لقاء الله تعالى ورجل يحب البقاء لخدمة الولي ورجل قال لا أخار شيئاً بل أرضى

هم الزاهدون . وقال سهل بن عبد الله العتق ألق اسم ولكل اسم منه ألق اسم وأول كل اسم منه ترك الدنيا ، وقيل في قوله تعالى - وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما سبوا - قيل عن الدنيا . وفي الخبر والعلاء أماء الرسل مالم يدخلوا في الدنيا فإذا دخلوا في الدنيا فاحذروهم على دينكم . وجاء في الأثر لا تزال لإله إلا الله تدفع عن العباد سخط الله مالم يألوا ما خص من دنياهم فإذا صلوا ذلك وقالوا لا إله إلا الله قال الله تعالى : كذبتم لستم بها صادقين .

بما اختاره الله تعالى ورفضت هذه السألة إلى بعض العارفين فقال صاحب الرضا أفضلهم لأنه أقلمهم فضولا واجتمع ذات يوم وهيب بن الورد وسفيان الثوري ويوسف بن أسباط فقال للثوري كنت أكره موت الفجأة قبل اليوم واليوم وددت أني مت فقال له يوسف ؟ قال لما أعوف من الفتنة فقال يوسف لكني لا أكره طول اليافه فقال سفيان لم ؟ قال لعل أصادف يوما أنوب فيه وأعمل صالحا فقبل لوهيب إيش تقول أنت ؟ فقال أنا لا أخار شيئا أحب ذلك إلى أحبه إلى الله سبحانه وتعالى قبله الثوري بين عينيه وقال روحانية ورب السكبة .

### ( بيان جملة من حكايات المهين وأتوالم ومكاشفاتهم )

قيل لبعض العارفين إنك محب فقال لست محبا إنما أعجب وبوالهيب متعجب وقيل له أيضا الناس يقولون إنك واحد من البعثة فقال أنا كل البعثة وكان يقول إذا رأيتمون فقدر أيتهم أربعين بدلا قليل وكيف وأنت شخص واحد قال لأنني رأيت أربعين بدلا وأخذت من كل بدل خلقا من أخلاقه وقيل له بل لنا أنك ترى الحضر عليه السلام تبهيم وقال ليس العجب بمن يرى الحضر ولكن العجب بمن يربد الحضر أن يراه فيحتجب عنه وحكى عن الحضر عليه السلام أنه قال ما حدثت نفسي يوما قط أنه لم يبق ولي لله تعالى إلا عرفته ولا رأيته في ذلك اليوم ولما لم أعرفه وقيل لأنني يزيد البسطامي مرة حدثتني عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح ثم قال ويلكم لا يصلح لكم أن تملوا ذلك قيل لئلا تأسد عبادك نفسك في الله تعالى فقال وهذا أيضا لا يجوز ثم أن أطلعكم عليه قيل فحدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك فقال نعم دعوت نفسي إلى الله فجئت على فزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك . وعكبي عن يحيى بن معاذ أنه رأى أبا يزيد في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع القمر مستوفزا على صدور قدميه راضا أخضبه مع عقيقه عن الأرض ضاربا بقدته على صدره شاخصا بعينيه لا يظرف قال ثم سجد عند السحر فأطأه ثم قد فقال اللهم إن قوما طلبوك فأعطيتهم الشيء على الماء والشيء في الهواء فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيتهم على الأرض فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك وإن قوما طلبوك فأعطيتهم كسوز الأرض فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك حتى عد نيفا وعشرين مقاماً من كرامات الأولياء ثم انفتحت فرأى فقال يحيى قلت لهم ياسيدي فقال ما مني أنت ههنا ؟ قلت منذ حين فسكت فقلت ياسيدي حدثني بشيء فقال أحدثك بما يصلح لك أدخلني في الفلك الأسفل فدورني في اللسكوت السفلى وأراني الأرضين وما أعطاني التي ترى ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوفت في السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش ثم أوقفني بين يديه فقال سلني أي شيء رأيت حتى أحبه لك ؟ فقلت ياسيدي ما رأيت شيئا استحسنته فأسألك إياه فقال أنت عبيدي حقا تعبدني لأجلى صدقا لأفنان بك ولأفنان فذكر أشياء ، قال يحيى فهاهي ذلك وامتلأت به وحببت منه فقلت ياسيدي لم لأسألك العرفة به وقد قال لك ملك اللوك سلني ما شئت قال فصاح بي صيحة وقال اسكت وبلغ غرت عليه مني حتى لأحب أن يعرفه سواء . وحكى أن أبا تراب البخشي كان معجبا ببعض الزيديين فكان يدينه ويقوم بمصالحه والريد مشغول بعبادته ومواجهته فقال له أبو تراب يوما لو رأيت أبا يزيد فقال إني عنه مشغول فلما أكره عليه أبو تراب من قوله لو رأيت أبا يزيد هاج وجد الريد فقال وعك ما أصنع بأبي يزيد قد رأيت الله تعالى فأغثنني عن أبي يزيد قال أبو تراب فهاج طبعي ولم أملك نفسي فقلت وبلغ تعتر بالله عز وجل لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة قال فبنت النبي من قوله وأنسكروه قال وكيف ذلك قال له وبلغ أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك ترى أبا يزيد

وقال سهل : أعمال البر كلها في موازين الزهاد وثواب زهدهم زيادة لهم . وقيل من سمى باسم الزهد في الدنيا فقد سمى بألف اسم محمود ومن سمى باسم الرغبة في الدنيا فقد سمى بألف اسم مذموم . وقال السري الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا وجمع هذا الحظوظ المالية والمجاهية وجب للثقة عند الناس وحب المحمدة والثناء وسئل الشبل عن الزهد فقال الزهد غفلة لأن الدنيا لا شيء والزهد في لا شيء غفلة وقال بعضهم لما رأوا حقارة الدنيا زهدوا في

عند الله قد ظهر له على مقدار صرف ماقلت فقال احملني إليه فذكر قصة قال في آخرها فوقنا على تل تنتظرونه  
ليخرج إلينا من الغيضة وكان بأوى إلى غيضة فيها سباع قال لم ربنا وقد قلب فروة على ظهره قلت  
لأفنى هذا أبو يزيد فانظر إليه فخطر إليه الفتي فصمق فخر كناه فاذا هوميت فقامونا على دفته قلت  
لأبي يزيد يابسي نظره إليك قتله قال لا، ولكن كان صاحبكم صادقا واستكن في قلبه سر لم يكشف  
له بومعه فلما رأنا انكشف له سر قلبه فضاقت عن حمله لأنه في مقام الضياء للردين قتله ذلك.  
ولما دخل الزنج البصرة قتلوا الأتقي ونهبوا الأموال اجتمع إلى سهل إخوانه فقالوا لو سألت الله تعالى  
دفعهم فسكت ثم قال إن لله عبادا في هذه البلدة لودعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم  
إلا مات في ليلة واحدة ولكن لا يفعلون قبل لم ؟ قال لأنهم لا يحبون ما لا يحب ثم ذكر من إجابة الله  
أشياء لا يستطيع ذكرها حتى قال ولو سألوهم أن لا يقيم الساعة في قمها وهذه أمور ممكنة في أنفسها  
فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق واليمان بامكانها فإن القدرة واسعة والفضل  
عظيم ومحاسن الملك واللكوك كثيرة ومتدورات الله تعالى لانهاية لها وفضل على عباده الذين اسطفى  
لا غاية له ولذلك كان أبو يزيد يقول إن أعطاك مناجاة موسى وروحانية عيسى وخلة إبراهيم فاطلب  
ما وراء ذلك فإن عنده فوق ذلك أعماقا مضاعفة فإن سكنت إلى ذلك حبسك به وهذا بلا مناهم  
ومن هو في مثل حالهم لأنهم الأمثل فالأمثل . وقد قال بعض الصالحين : كوشفت بأربعين حوراء  
رأيتهن يتسعين في الهواء عليهن ثياب من ذهب وفضة وجوهر يشخشش ويتنقش منهن فنظرت  
إلهن نظرة فتوقفت أربعين يوما ثم كوشفت بعد ذلك بشمانين حوراء فوقهن في الحسن والجمال،  
وقيل لي انظر إلهن قال فسجدت ونحمت عيني في سجودي ثلاثا أنظر إلهن وقلت أعوذ بك  
بماسوئك لاحاجة لي بهذا فلم أزل أنضرع حتى صرفهن الله عني . فأمثال هذه للكشافات لا ينبغي  
أن يسكرها المؤمن لإفلاسه عن مثلها فلو لم يؤمن كل واحد إلا بما يشاهده من نفسه للظلمة وقلبه  
القاسي لاضاق مجال الإيمان عليه بل هذه أحوال تظهر بعد مجاوزة عقبات ونيل مقامات كثيرة  
أدناها الإخلاص وإخراج حظوظ النفس وملاحظة الخلق عن جميع الأعمال ظاهرا وباطنا ، ثم  
مكانة ذلك عن الخلق بستر الحال حتى يبق منحصا بحسن المحول فهذه أوائل سلوكهم وأقل مقاماتهم  
وهي أعز موجود في الأقيان من الناس وبعد تصفية القلب عن كدورة الانفات إلى الخلق فيفيض  
عليه نور اليقين وينكشف له مبادئ الحق وإنكار ذلك دون التجربة وسلوك الطريق يجرى  
يجرى إنكار من أنكر إمكان انكشاف الصورة في الجديدة إذا شكلت وتثبت وسقلت وصورت  
بصورة للآفة فخطر للسكر إلى ما في يده من زبرة حديد مظلم قد استولى عليه الصدأ والحب وهو  
لا يحكي صورة من الصور فأنكر إمكان انكشاف الرئي فيها عند ظهور جوهرها وإنكار ذلك  
غاية الجول والضلال فهذا حكم كل من أنكر كرامات الأولياء إذ لا مستند له إلا قصوره عن ذلك  
وقصور من رآه وبشئ المستند ذلك في إنكار قدرة الله تعالى بل إنما يدم روائع الكشافة من  
سلك شيئا ولو من مبادئ الطريق كما قيل لبشر بأى شيء بلغت هذه اللزلة قال كنت أكتب الله  
تعالى حالي معناه أسأله أن يكتب على ويخفى أمرى . وروى أنه رأى الحضرة عليه السلام ، فقال له  
ادع الله تعالى لي ، فقال يسر الله عليك طاعته . قلت : زدني قال وسترها عليك ، قيل معناه  
سترها عن الخلق ، وقيل معناه سترها عنك حتى لا تلتفت أنت إليها . وعن بعضهم أنه قال ألقى  
الشوق إلى الحضرة عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن يريني إياه ليعلم شيئا كان أهم الأشياء  
على . قال فرأيتني فما غلب على همي ولا همي إلا أن قلت له يا أبا العباس علمني شيئا إذا قلته حجت عن  
قلوب الخلق فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرف أحد بصلاح ولا ديانة ، فقال قل : اللهم أسبل على كنيث

زهدم في الدنيا  
لهوائها عديم وعدي  
أن الزهد في الزهد  
غير هذا وإنما الزهد  
في الزهد بالخروج من  
الاختيار في الزهد لأن  
الزهد اختار الزهد  
وأرادته وإرادته تستند  
إلى عله وعله قاصر  
فاذا أقيم في مقام ترك  
الارادة وانسلخ من  
اختياره . كاشفه الله  
تعالى بإرادته فيترك  
الدنيا بمراد الحق لا بمراد  
نفسه فيكون زهد  
بالله تعالى حينئذ أو  
يعلم أن مراد الله منه  
التلبس بشيء من  
الدنيا فما يدخل بالله  
في شيء من الدنيا  
لا يتمس عليه زهد  
فيكون دخوله في

سترك وحط على سرادقات حبيبك واجعلني في مكنون عينك واحببني عن قلوب خالقك قال ثم غاب فلم أراه ولم أشتق إليه بعد ذلك فأنزلت أول هذه الكافات في كل يوم فحكي أنه صار بحيث كان يستدل ويتبين حتى كان أهل الدمة يسخرون به ويستخرونه في الطرق يعمل الأشياء لهم لسقوطه وعدم وكان الصبيان يلعبون به فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذلكم وخولته فكذلك حال أوليائه الله تعالى في أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا والغرورون إنما يطلبونهم تحت الرفعات والطباستوفى الشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرياسة وغيره الله تعالى على أوليائه تأني الإخفاء هم كما قال تعالى : أوليائي تحت قباي لا يعرفهم غيري ، وقال صلى الله عليه وسلم « رب أشمت أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره » (١) وبالجملة فأبعد القلوب عن مشام هذه العالم القلوب الشكرية العجبة بأعسها المستبشرة مملها وعلمها وأقرب القلوب إليها القلوب الشكرية للمستبشرة ذلك نفسها استشعارا بإذلال واعتصم لم يحس بالذل كما لا يحس العبد بالذل مهما ترفع عليه مولاه فإذا لم يحس بالذل ولم يشعر بأعباءه لم يتفاته إلى الذل بل كان عند نفسه أخص منزلة من أن يرى جميع أنواع الذل ذلا في حقه بل يرى نفسه دون ذلك حتى صار التواضع الطبع صفة ذات فمثل هذا القلب يرجى له أن يستشيق مبادئ هذه الروائح فإن قدنا مثل هذا القلب وحرمانا مثل هذا الروح فلا ينبغي أن يطرح الإيمان بإمكان ذلك لأنه من لا يقدر أن يكون من أوليائه الله فليكن محبا لأولياء الله مؤنابهم فحسب أن يحشر مع من أحب وشهد لهذا ماروي أن عيسى عليه السلام قال لبي إسرائيل ابن يثب الزرع قالوا في التراب فقال بحق أقول لكم لا تثبت الحكمة إلا في قاب مثل التراب ولقد انتهى الريدون لولاية الله تعالى في طلب شروطها بإذلال النفس إلى منتهى الضعة والحسة حتى روى أن ابن الكري وهو أستاذ الجند بدعاه رجل إلى طعام ثلاث مرات ثم كان يرده ثم يستدعيه فيرجع إليه بعد ذلك حتى أدخله في الررة الرابعة فقال له عن ذلك فقال قد رمت نفسي على القتل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يطرد فينظر ثم يدعى فيرمى له عظم فيعود ولوردته خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت وعنه أيضا أنه قال نزلت في محلة صرفت فيها بالصلاح فقتلت على قاي قد دخلت الحمام وعدلت إلى ثياب فاخرة فسرقتها وبسبها لم يست مرقني فوقها وخرجت وجعلت أمشي قليلا قليلا فلحقوني فزعموا مرقني وأخذوا الثياب وصغفوني وأوجعوني ضربا فصرت بعد ذلك أعرف بلص الحمام فكنت نفسي فكذلك كانوا يروون أن أنفسهم حتى يغاصهم الله من النظر إلى الخلق ثم من النظر إلى النفس فإن التفت إلى نفسه محجوب عن الله تعالى وشغله بنفسه حجاب له فليس بين القلب وبين الله حجاب بهر وتغال حائل وإنما بعد القلوب شغلها بغيره أو بنفسها وأعظم الحجب شغل النفس ، ولذلك حكى أن شاهدا عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يارق مجلس أبي يزيد ، فقال له يوما أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لأفطر وأقوم الليل لأأتم ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئا وأنا أصدق به وأحبه ، فقال أبو يزيد ولوصمت ثلثمائة سنة وقلت ليها ما وجدت من هذا ذرة . قال ولم ؟ قال لأنك محجوب بنفسك قال فلهذا مواء ؟ قال نعم قال قل لي حتى أعمله قال لا تقبله ، قال فاذكره لي حتى أعمل قال اذهب الساعة إلى الذين فالحق زأسك ولينك واتزع هذا اللباس وأزر بعباءة وعلق في عنقك عملة مملوءة جوزا واجمع الصبيان حولك وقل كل من صفني صفعة أعطيه جوزة وادخل السوق وطف الأسواق كلها عند اليهود وعند من يبركك وأنت على ذلك فقال الرجل سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال أبو يزيد فوالله سبحان الله شرك قال وكيف ؟ قال لأنك عظمت نفسك فبجبتها

(١) حديث رب أشمت أغبر ذي طمرين مسلم من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

التي من الدنيا بالله  
وباذن منه زهدا  
في الزهد والزهد  
في الزهد استوى عنده  
وجود الدنيا وعدمها  
إن تركها تركها بالله  
وإن أخذها أخذها  
بالله وهذا هو الزهد في  
الزهد وقد رأينا من  
العارفين من أقيم في  
هذا القام . وفوق هذا  
مقام آخر في الزهد هو  
لمن يرد الحق إليه  
اختياره لسة عليه  
وطهارة نفسه في مقام  
البقاء في زهد زهدا  
ثالثا ويترك الدنيا بعد  
أن مكن من ناصيتها  
وأعبدت عليه  
موهوبة ويكون تركه  
الدنيا في هذا القام  
باختياره واختياره



« رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمقي في كفة فرجعت بهم ووضع أبو بكر في كفة وجيء بأمني فوضعت في كفة فرجع بهم (١) » ومع هذا كله قد كان استراق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلعة مع غيره فقال « لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لأخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله تعالى (٢) » بنى نفسه .

( خاتمة الكتاب بكلمات متفرقة تتعلق بالحبة ينتفع بها )

قال سفيان : الحبة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال غيره دواء الله كرو قال غيره : إشار المحبوب وقال بعضهم كراهية البقاء في الدنيا وهذا كله إشارة إلى ثمرات الحبة فأما نفس الحبة فلم يتعرضوا لها ، وقال بعضهم الحبة معنى من المحبوب فسر للقلب عن إدراكه وتفتح الأذن عن عبارته ، وقال الجنيد حرم الله تعالى الحبة على صاحب العلاقة وقال كل حبة تكون بموض فاذا زال العوض زالت الحبة وقال ذو النون قل لمن أظهر حب الله أحسن أن تذل لغير الله وقيل للشبي رحمه الله صف لنا العارف والمحبة فقال العارف إن تسلكم هلك والمحبة إن سكت هلك وقال الشبي رحمه الله :

يا أيها السيد الكريم حبك بين الحشا متين  
بارافع النوم عن جفوني أنت بما مر بي عليم  
هجيت لمن يقول ذكرت إلى وهل أنسى فأذكر ما نسي  
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا حسن ظني ما حيت  
فأحيا بالمي وأموت شوقاً فكيف أحيا عليك وكما أموت  
شربت الحب كأنما بعد كأس لما نقد الشراب وما رويت  
قلبت خياله نصب ليعنى فان قصرت في نظري هجيت

وقالت رابعة العدوية يوما من بدلتا على حينئذ قالت خادمة لها حبيبنا معنا ولكن الدنيا قطعتنا عنه وقال ابن الجلاء رحمه الله تعالى أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إنى إذا اطلعت على سر عبد فلم أجد فيه حب الدنيا والآخرة ملائته من حبي وتوليت به غفطى وقيل تسلك ممنون يوما في الحبة فاذا بطائر نزل بين يديه فلم يزل ينقر بمقاربه الأرض حتى سال الدم منه فأت وقال إراهم بن آدم إلى إنك تعلم أن الجنة لا تزن عندى جناح بموضة في جنب ما كرمتى من محبتك وآستقي بذكرك وفرغنى للتفكر في عظمتك . وقال السرى رحمه الله من أحب الله عاش ومن مال إلى الدنيا طاش والأحق يشد ويروح في لاش والعامل عن عبويه فاش وقيل لرابعة كيف حبك للرسول صلى الله عليه وسلم قالت وإنى لأحبه جبا شديدا ولكن حب الخالق شغلنى عن حب المخلوقين وسئل عيسى عليه السلام عن أفضل الأعمال فقال الرضا عن الله تعالى والحب له وقال أبو يزيد المحبة لأحب الدنيا ولا الآخرة إنما يحب من مولاه مولاه وقال الشبل الحب دهش في لذة وحيرة في تعظيم وقيل الخيفان نحو أتركك حتى لا يبقى فيك شيء راجع منك إليك وقيل الحبة قرب القلب من المحبوب بالاتباش والفرح وقال الخواص الحبة محو الارادات واحتراق جميع الصفات والحاجات وسئل سهل عن الحبة فقال

وفيه وفى الكبير من رواية القيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده نحوه بلفظ الإيمان وللبزار من حديث عثمان بن عفان إن لله تعالى مائة وسبع عشرة شريعة الحديث وليس فيها كلها تعرض لسؤال أبي بكر وجوابه وكلها ضيقة (١) حديث رأيت ميزانا دلى من السماء فوضعت في كفة ووضعت أمقي في كفة فرجعت بهم الحديث أحمد من حديث أبي أمامة بسند ضيف (٢) حديث لو كنت متخذاً من الناس خليلاً لأخذت أبا بكر خليلاً الحديث متفق عليه وقد تقدم.

أن تصبر في الصبر  
أى لا تطالع فيه  
الفرج . قال الله تعالى  
والصابرين في البأساء  
والضراء وحين اليأس  
أولئك الذين صدقوا  
وأولئك هم التتون .  
وقبل : لكل شيء  
جوهر وجوهر الإنسان  
العقل وجوهر العقل  
الصبر فالصبر عرك  
النفس وبالعرك تلين  
والصبر جار في الصابر  
يجرى الأنفاس لأنه  
يحتاج إلى الصبر عن  
كل ما يبي ومكروه  
ومذموم وظاهره أو جلها  
والسلم يدل والصبر  
يقبل ولا تنفع دلاله العبر  
بغير قبول الصبر ومن  
كان العزم سائمه في  
الظاهر والباطن لا يتم

عطف الله بقلب عبده لمشاهدته بعد الفهم للمراد منه وقيل بمسألة الحب على أربع منازل على المحبة والمهبة والحياة والتعظيم وأفضلها التعظيم والمحبة لأن هاتين المنزلتين يقيان مع أهل الجنة في الجنة ويرفع عنهم غيرهما وقال هرم بن حبان المؤمن إذا عرف به عز وجل أحبه وإذا أحبه أهبل عليه وإذا جد جلاوة الإقبال عليه لم ينظر إلى الدنيا بين النبوة ولم ينظر إلى الآخرة بين الفترة وهي تحسر على الدنيا وتروى على الآخرة . وقال عبد الله بن محمد صحت امرأته من التبعيدات تقول وهي يا كيتو اسمع على خد جابر يقول الله قد سئمت من الحياة حتى لو جعلت الموت يباع لأشترته شوقا إلى الله تعالى وحبالقائه قال قلت لها فلي ثقة أنت من عملك قالت لا ولكن لحبي إياه وحسن ظني بأقرانه يذبني وأنا أحبه وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام لو يعلم الدبرون عنى كيف انتظاري لهم ورفقي بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لما توا شوقا إلى . وتطعت أوصالهم من محبتي يا داود هذني إرادتي في الدبرين عنى فكيف إرادتي في القبلين على يا داود أوحى ما يكون البعد إلى إذا استغنى عنى وأرحم ما يكون ببدي إذا أوبر عنى وأجل ما يكون عندي إذا رجع إلى . وقال أبو خالد الصغار لقي نبي من الأنبياء عابدا فقال له إنكم معاشر العباد تعملون على أمر لستما معشر الأنبياء تعمل عليه أنتم تعملون على الحرف والرجاء ونحن نعمل على المحبة والشوق . وقال الشبلي رحمه الله أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام يا داود كرى لذنا كرى وجنى للمعطين وزيارتى للمشتاقين وأنا خاصة للمحبين وأوحى الله تعالى إلى آدم عليه السلام يا آدم من أحب حبيبا صدق قوله ومن أسى بحبيبه رضى فعله ومن اشتاق إليه جد في مسيره . وكان الخواص رحمهم الله يشرب على صدره ويقول واشمقه لمن يراني ولا أراه . وقال الجنيد رحمه الله بكى بؤس عليه السلام حتى عمى وقام حتى أغشى وصلى حتى أقعد وقال وعزتك وجلالك لو كان بيني وبينك بحر من نار لحشته إليك شوقا مني إليك وعن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال سألت رسول الله ﷺ عن سنته فقال للرفة رأس مالى والعقل أصل ديني والحب أساسى والشوق مركبى وذكر الله أنيسى والثقة كزى والحزن رفيقى والعلم سلاحى والصبر ردائى والرضا غنيمتى والعجز غفري والزهد حرقى واليقين قوتى والصدق شفيعى والطاعة حبي والجهاد خلقى وقرة عيني في الصلاة (١) وقال ذو النون سبى من جعل الأرواح جنودا مجندة فأرواح المارقين جلالية قدسية فذلك اشتاقوا إلى الله تعالى وأرواح المؤمنين روحانية فذلك حنوا إلى الجنة وأرواح النافقين هوائية فذلك مالوا إلى الدنيا . وقال بعض الساجد رأيت في جبل السكام رجلا أمر اللون ضعيف البدن وهو يقفز من حجر إلى حجر ويقول :

الشوق والهوى صيراني كما ترى

وبقال الشوق نار الله أشعلها في قلوب أوليائه حتى يحرق بها مني قلوبهم من الخواطر والارادات والخواص والحاجات فهذا القدر كاف في شرح المحبة والأنس والشوق والرضا فلتنصر عليه والله للوفى له صواب ثم كتاب المحبة والشوق والرضا والأنس يتلوه كتاب النية والاخلاص والصدق .

### ﴿ كتاب النية والاخلاص والصدق ﴾

( وهو الكتاب السابع من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

نحمد الله حمد الشاكرين ونؤمن به إيمان الوقين ونقر بوحدانيته إقرار الصادقين ونشهد أن لا إله

(١) حديث على سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال للرفة رأس مالى والعقل أصل ديني الحديث ذكره القاضي عياض من حديث على بن أبي طالب ولم أجده له إسنادا .

﴿ كتاب النية والاخلاص والصدق ﴾

ذلك إلا إذا كان  
الصبر مستقرا وممكنه  
والعلم والصبر متلازمان  
كالروح والجسد  
لا يستقل أحدهما بدون  
الآخر ومصدرهما  
الفرزة العقلية  
وهما متقاربان لا تعاد  
مصدرهما والصبر  
يتعامل على النفس  
وبالعلم يترقى الروح وهما  
البرزخ والفرقان بين  
الروح والنفس ليستقر  
كل واحد منهما في  
مستقره وفي ذلك  
صريح العدل وصحة  
الاعتدال وبالتصال  
أحدهما عن الآخر أعنى  
العلم والصبر ميل أحدهما  
على الآخر أعنى النفس  
والروح ويان ذلك  
يدق وناهيك بصرف

إلا الله رب العالمين وخالق السموات والأرضين وكاف الجن والأنس والملائكة القرابين أن يبدؤوا عبادة المخلصين فقال تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - فإله الإلهين الخالصين. فإنه أغنى الأغنياء عن شركة الشراكين والصلاة على نبيه محمد سيد الرسلين وعلى جميع النبيين وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

[ أما بعد ] قد انكشف لأرباب القلوب بصيرة الإيمان وأنوار القرآن أن لا وصول إلى السعادة إلا بالعلم والعبادة فالناس كلهم هلكت إلا العالمون والمؤمنون كلهم هلكت إلا العالمون والمؤمنون والماملون والماملون كلهم هلكت إلا المحاضون والمخلصون على خطر عظيم فالعمل بغير نية غناء والنية بغير إخلاص رياء وهولنا في كفاء ومع العبادين سواء والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء وقد قال الله تعالى في كل عمل كان بإرادة غير الله مشوباً مغشوراً - وقد مدنا إلى ماملوا من عمل فحصلناه هباء منثوراً - وليت شعري كيف صحح نيته من لا يعرف حقيقة النية أو كيف يخلص من صحح النية إذا لم يعرف حقيقة الإخلاص أو كيف تطالب الخالص نفسه بالصدق إذا لم يتحقق معناه فالوظيفة الأولى على كل عبد أراد طاعة الله تعالى أن يتعلم النية أولاً لتحصل المعرفة ثم يصححها بالعمل بعد فهم حقيقة الصدق والإخلاص اللذين هما سبيلنا العبد إلى النجاة والخلص ونحن نذكر معاني الصدق والإخلاص في ثلاثة أبواب : الباب الأول في حقيقة النية ومعناها . الباب الثاني في الإخلاص وحقيقته . الباب الثالث في الصدق وحقيقته . [ الباب الأول في النية ] وفيه بيان فضيلة النية وبيان حقيقة النية وبيان كون النية خيراً من العمل وبيان تفضيل الأعمال المتعلقة بالفس وبيان خروج النية عن الاختيار .

### ( بيان فضيلة النية )

قال الله تعالى - ولا تظن الذين يدعون نذرهم بالبداء والعشي يريدون وجههم ولا يرون أن الله قد أتىهم النية وقال عليه السلام « إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرس ورب قليل بين الصنفين أفعلم بدينه (٢) » وقال تعالى - إن يريدا إصلاحاً يوفق الله بينهما - فجعل النية سبب التوفيق وقال صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم (٣) » وإنما ينظر إلى القلوب لأنها مظنة النية وقال صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليعمل أعمالاً حسنة فتصعد للملائكة في صنف عتمة فتأتي بين يدي الله تعالى فيقول أفعلم هذه الصحيفة فإنه لم يرد بها وجهي ثم ينادي الملائكة اكتبوا له كذا وكذا اكتبوا له كذا وكذا فيقولون يا ربنا إنه لم يعمل شيئاً من ذلك فيقول الله تعالى إنه نواه (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « الناس أربعة رجل آتاه الله عز وجل علماً ومالاً فهو يعمل بملكه في ماله فيقول رجل لو أتاني الله تعالى مثل ما أتاه عملت كما يعمل فيها في الأجر سواء ورجل آتاه الله تعالى مالا ولم يؤته علماً فهو يتخطى بعمله في ماله فيقول رجل لو أتاني الله تعالى مثل ما أتاه عملت كما يعمل فيها في الوزر سواء (٥) » ألا ترى كيف شرکه بالنية في محاسن عمله

(١) حديث إنما الأعمال بالنيات الحديث متفق عليه من حديث عمر وقد تقدم (٢) حديث أكثر شهداء أمتي أصحاب الفرس ورب قليل بين الصنفين الله أعلم بدينه أحمد من حديث ابن مسعود وفيه عبد الله بن لمبة (٣) حديث إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم الحديث - من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٤) حديث إن العبد ليعمل أعمالاً حسنة فتصعد بها الملائكة الحديث الدارقطني من حديث أنس بإسناد حسن (٥) حديث الناس أربعة رجل آتاه الله علماً ومالاً الحديث ابن ماجه

الصبر قوله تعالى - إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب - كل أجر بغير حساب - وأجر الصابرين بغير حساب . وقال الله تعالى لنيه : - واصبر وصابرك - وإياك - أضاف الصبر إلى نفسه لشراف مكانه وتكمل النعمة به . قيل وقف رجل على الشئ فقال أي صبر أشد على الصابرين فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر في الله فقال لا فقال الصبر مع الله فقال لا فقال الصبر الشئ وقال وعك أي شيء هو فقال الرجل الصبر عن الله قال فصرخ الشئ صرخة كاد أن تلتف روحه . وعندي

وساويه وكذلك في حديث أنس بن مالك لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ولما  
«إن» بلادية أنوالها ماقطعنا وأديا ولاوطنا موطا يخيظ السكفار ولاأفئتنا ثقة ولاأصابتنا غصصة إلا  
شركونا في ذلك وهم بالمدينة قالوا وكيف ذلك يا رسول الله وليسوا معنا قال حبسهم العذر فسر كوا بحسن  
النية (١) وفي حديث ابن مسعود «من هاجر يبتغي شيئا فهو له هاجر رجل فزوج امرأته ففكان  
يسمى مهاجر أم قيس (٢) وكذلك جاء في الخبر «إن رجلا قتل في سبيل الله وكان يدعى قاتل الحمار (٣)  
لأنه قاتل رجلا ليأخذ سلبه وحماره قتل على ذلك فأصنبت إلى نيته وفي حديث عبادة عن النبي صلى  
الله عليه وسلم «من غزا وهو لا يبتغي إلا عقالا فله ما نوى (٤) وقال أبي «استعنت رجلا بغير وصى  
فقال لاحق نجعل لى جعلا نجعل له فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته  
الإمام جليله (٥) وروى في الأسر اثني عشر رجلا من ركبنا من رمل في جماعة فقال في نفسه لو كان  
هذا الرمل طعاما قسمت بين الناس فأوحى الله تعالى إلى نبيهم أن قل له إن الله تعالى قد قبل صدقتك وقد  
شكر حسن نيتك وأعطاك ثواب ما لو كان طعاما فتصدق به ، وقد ورد في أخبار كثيرة «من هم عسنة  
ولم يعملوا كنس له حسنة (٦) وفي حديث عبدالله بن عمرو «من كانت الدنيا نيته جعل الله قفرو  
بين عينيه وفارقها أرغب ما يكون فيها ومن تكن الآخرة نيته جعل الله تعالى غناه في قلبه وجمع عليه  
رضيته وفارقها أزهى ما يكون فيها (٧) وفي حديث أم سلمة «أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر جيشا  
يخسف بهم اليبداء قتل يارسول الله يكون فيهم السكرو والأجبر فقال يحشرون على نياتهم (٨)  
وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إنما يقتل القاتلون على البيات (٩)  
وقال عليه السلام «إذا انتهى الصفان ثلثت اللاتكة تسكتب الحاقى على مراتبهم فلان يقال للذي  
فلان يقال حية فلان يقال عصية ألا فلا تفعلوا فلان قتل في سبيل الله فمن قال استكون كلمة الله  
من حديث أبي كبشة الأنماري بسند جيد بلقط مثل هذه الأمة كمثل أربعة نفر الحديث وقد تقدم  
ورواه الترمذي بزيادة وفيه وإنما الدنيا لأربعة نفر الحديث وقال حسن صحيح (١) حديث أنس بن  
المدينة أنوالها ماقطعنا وأديا الحديث البخاري مختصرا وأبو داود (٢) حديث ابن مسعود من هاجر  
يبتغي شيئا فهو له هاجر رجل فزوج امرأته وكان يسمى مهاجر أم قيس الطبراني بإسناد جيد (٣) حديث  
إن رجلا قتل في سبيل الله فكان يدعى قاتل الحمار لم أجده لأصلا في اللوسولات والخبار وأما بواسط القراوي  
في السنن من وجه مرسل (٤) حديث من غزا وهو لا يبتغي إلا عقالا فله ما نوى النسائي من حديث عبادة  
بن الصامت وتقدم غير مرة (٥) حديث أبي استعنت رجلا بغير وصى فقال لاحق نجعل لى جعلا فجعل له  
فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فقال ليس له من دنياه وآخرته إلا ما جعل له الطبراني في مسند الشاميين  
ولأبي داود من حديث يعلى بن أمية أنه استأجر أجيرا لئلا نوى وسمى له ثلاثة دنائير فقال النبي صلى الله  
عليه وسلم ما أجده في غزوته هذه في الدنيا والآخرة إلا دنائيره التي ممي (٦) حديث من هم عسنة فلم  
يعملها كتب له حسنة متفق عليه وقد تقدم (٧) حديث عبدالله بن عمرو من كانت الدنيا نيته جعل  
الله قفرو بين عينيه الحديث ابن ماجه من حديث زيد بن ثابت بإسناد جيدون قوله وفارقها أرغب  
ما يكون فيها ودون قوله وفارقها أزهى ما يكون فيها وفيه زيادة ولم أجده من حديث عبدالله بن  
عمرو (٨) حديث أم سلمة في الجيش الذي يخسف بهم يحشرون على نياتهم مسلم وأبو داود وقد تقدم  
(٩) حديث إنما يقتل القاتلون على البيات ابن أبي الدنيا في كتاب الإخلاص والنية من حديث عمر  
بإسناد ضعيف بلقط إنما يعث ورويناه في فوائد تمام بلقط إنما يعث السدون على البيات ولأن  
ماجه من حديث أبي هريرة إنما يعث الناس على نياتهم وفيه لبث بن أبي سليم مختلف فيه .

في معنى الصبر عن الله  
وجهه ولو كونه من أشد  
الصبر على الصابرين  
وجه وذلك أن الصبر  
عن الله يكون في أخس  
مقامات الشاهدة يرجع  
العبد عن الله استحياء  
وإحلالاً وتتطرق  
بصيرته خجلاً وذوباناً  
وتغيب في مغاور  
استكانته وتخفيه  
لإحساسه بعظم أمر  
اتجلى وهذا من أشد  
الصبر لأنه بدو استدامة  
هذا الحال تأدية لحق  
الجلال والروح وودان  
تتكحل بصبرها  
باستماع نور الجلال  
وكأن النفس منزعة  
لعوم حال الصبر  
فالروح في هذا الصبر  
منزعة فاشتد الصبر

هي العليا فهو في سبيل الله (١) » وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « يمت كل عبد على مامات عليه (٢) » وفي حديث الأحنف عن أبي بكر « إذا اتقى اللسان بسيفه فالتقاتل والمقتول في النار قبل بإرسول الله هذا القاتل فما بال القاتل ؟ قال لأنه أراد قتل صاحبه (٣) » وفي حديث أبي هريرة « من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أدائه فهو زان ومن أدان ديناً وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق (٤) » وقال صلى الله عليه وسلم « من تطيب لله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك ومن تطيب لغير الله جاء يوم القيامة وريحه أثنى من الحيفة (٥) » .

وأما الآثار : فقد قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله تعالى . وصديق النية فيما عند الله تعالى ، وكذب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز اعلم أن عون الله تعالى للعبد على قدر النية فمن تحت نيته تم عون الله له وإن قصت نفس بقدره . وقال بعض السلف : رب عمل صغير تنظمه النية ورب عمل كبير تصرفه النية . وقال داود الطائي البر همته التقي فلو تعلقت جميع جوارحه بالدنيا لردته نيته يوماً إلى نية صالحة وكذلك الجاهل بعكس ذلك . وقال الثوري : كانوا يعملون النية للعمل كما تعملون العمل . وقال بعض العلماء : اطلب النية للعمل قبل العمل وما دمت توى الخير فأنت خير ، وكان بعض المريدين يطوف على العلماء يقول من يداني على عمل لا أزال فيه عامله الله تعالى فاني لا أحب أن يأتي على ساعتم من ليل أو نهار إلا وأنا عامل من عمال الله قبل له قد وجدت حاجتك فأعمل الخير ما استطعت فإذا فرت أو تركته فهم بعمله فإن العلم بعمل الخير كماله ، وكذلك قال بعض السلف : إن نعمة الله عليكم أكثر من أن تحصوها وإن ذنوبكم أكثر من أن تعدوها ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين بغفر لكم ما بين ذلك . وقال عيسى عليه السلام : طوبى لعين نامت ولا تهم ، صهيوا نابت إلى غير اسم . وقال أبو هريرة : يعيشون يوم القيامة على قدر نياتهم ، وكان الفضيل بن عباس إذا قرأ أو سألوا عن حكم حق تعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبأوا أخباركم - يبكي ويردها ويقول : إنك إن بليت افتضحتا وهتكت أستاذنا . وقال الحسن : إنما خلد أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار بالنيات . وقال أبو هريرة : مكتوب في التوراة ما أريد به وجهي قليله كثير وما أريد به غيري فكثيره قليل . وقال بلال بن سعد : إن العبد ليقول قول مؤمن فلا يدعه الله عز وجل وقوله حتى ينظر في عمله فإذا عمل لم يدعه الله حتى ينظر في ورعه فإن تورع لم يدعه حتى ينظر ماذا نوى فإن صلاحته نيته في الخير أن يصلح به دون ذلك ، فإذن عماد الأعمال النيات فالعمل مفتقر إلى النية ليعير بها خيرا والنية في تصاخير وإن تذر العمل بما تقى .

### ( بيان حقيقة النية )

اعلم أن النية والإرادة والقصد عبارات متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة للقلب يكنهها

(١) حديث إذا اتقى الصغان نزلت اللانكة تنكب الخاق على مراتبه فلان مقاتل للدنيا الحديث ابن المبارك في الزهد موقوفا على ابن مسعود وآخر الحديث مرفوع في الصحيحين من حديث أبي موسى من قائل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٢) حديث جابر يمت كل عبد على مامات عليه رواه مسلم (٣) حديث الأحنف عن أبي بكر « إذا اتقى اللسان بسيفه فالتقاتل والمقتول في النار متفق عليه (٤) حديث أبي هريرة من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي أدائه فهو زان أحمد من حديث صهيب ورواه ابن ماجه مقتصر على قصة الدين دون ذكر الصداق (٥) حديث من تطيب لله جاء يوم القيامة وريحه أطيب من المسك الحديث أبو الوليد الصغار في كتاب الصلاة من حديث إسحق بن أبي طلحة مرسل .

عن الله تعالى ذلك .  
وقال أبو الحسن بن  
سالم م ثلاثة متصبر  
وصابر وصابر فالمتصبر  
من صبر في الله فترة  
يصبر ومرة يجزع  
والصابر من يصبر في  
الله وقت ولا يجزع  
ولكن تتوقع منه  
الشكوى وقد يمكن  
منه الجزع وأما الصابر  
فذلك الذي صبره في  
الله والله فهذا هو  
وقع عليه جميع البلايا  
لا يجزع ولا يتغير من  
جهة الوجود والحقيقة  
لأمن جهة الرسم  
والحقيقة وإشارته في  
هذا ظهور حكم العلم  
فيه مع ظهور صفة  
الطبيعة . وكان  
الشبل يشتمل بهذين  
البيتين :

أمران : علم وعمل العلم يقدمه لأنه أصله وشروطه والعمل يتبعه لأنه ثمرته وفرعه وذلك لأن كل عمل أعنى كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم إلا بثلاثة أمور : علم وإرادة وقدرة لأنه لا يريد الإنسان ما لا يسهل فلا بد وأن يعلم ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من إرادة ومعنى الإرادة انبعاث القلب إلى ما يراه موافقا للعرض إما في الحال أو في الآل فقد خلق الإنسان بحيث يوافق بعض الأمور ويلازم غرضه ويخالفه بعض الأمور فيحتاج إلى جلب اللذات الموافقة إلى نفسه ودفع النارث الناقية عن نفسه فانتظر بالضرورة إلى معرفة وإدراك الشيء الضر والنافع حتى يجلب هذا ويهرب من هذا فان من لا يصبر الغداء ولا يعرفه لا يمكنه أن يتناول ومن لا يصبر النار لا يمكنه الحرب منها فخلق الله الهداية والعرفه وجعل لها أسبابا وهي الحواس الظاهرة والباطنة وليس ذلك من غرضنا ثم لو أبصر الغداء وعرف أنه موافق له فلا يكتفي بذلك للتناول ما يمكن فيه ميل إليه ورغبة فيه وشهوة له باعثة عليه إذ المرض يرى الغداء ويعلم أنه موافق ولا يمكنه التناول لعدم الرغبة والليل ولقد الداعية المحركة إليه فخلق الله تعالى له الليل والرغبة والإرادة وأعنى به نزوعا في نفسه إليه وتوجها في قلبه إليه ثم ذلك لا يكتفي فكم من مشاهد طعاما راغب فيه يريد تناوله عاجز عنه لكونه زمنا غلقت له القدرة والأعضاء للتحركة حتى يتم به التناول والعضو لا يتحرك إلا بالقدرة والقدرة تنتظر الداعية الباعثة والداعية تنتظر العلم والعرفه أو الظن والاعتقاد وهو أن يقوى في نفسه كون الشيء موافقا له فاذا جازمت للعرفه بأن الشيء موافق ولا بد وأن يفعل وسلت عن معارضة باعث آخر صارف عنه انبعت الإرادة وتحقق الليل فاذا انبعت الإرادة انتبعت القدرة لتحريك الأعضاء فالقدرة خادمة للإرادة والإرادة تابعة لحكم الاعتقاد والعرفه فالنية عبارة عن الصفة المتوسطة وهي الإرادة وانبعثت النفس بحكم الرغبة والليل إلى ما هو موافق للعرض إما في الحال وإما في الآل فالحرك الأول هو العرض المطلوب وهو الباعث والعرض الباعث هو القصد النوى والانبعاث هو القصد والنية وانبعثت القدرة لخدمة الإرادة بتحريك الأعضاء هو العمل إلا أن انبعثت القدرة للعمل قد يكون باعث واحد وقد يكون يبايعين اجتماعا في فعل واحد وإذا كان يبايعين فقد يكون كل واحد بحيث لو انفرد لكان ملبا يبايعان القدرة وقد يكون كل واحد قاصرا عنه إلا بالاجتماع وقد يكون أحدهما كافيا لولا الآخر لكن الآخر انتهى عاضدا له ومعاون فخرج من هذا التقسيم أربعة أقسام فلقد كرر لكل واحد مثالا وإسما . أما الأول . فهو أن ينفرد الباعث الواحد ويتجرد كما إذا هجم على الإنسان سبع فكما رآه قام من موضعه فلا مزعج له إلا غرض الحرب من السبع فانه رأى السبع وعرفه فصارا فانبعثت نفسه إلى الحرب ورغبت فيه فانتهت القدرة عاملة بتفويض الانبعاث فيقال نية القرار من السبع لانية له في القيام لغيره وهذه النية تسمى خاصة ويسمى العمل بموجبها إخلاصا بالإضافة إلى العرض الباعث ومعناه أنه خلص عن مشاركة غيره ومجازته . وأما الثاني : فهو أن يجتمع باعثن كل واحد مستقل بالإنهاض لو انفرد ومثاله من المحسوس أن يتعاون رجلان على حمل شيء بمقدار من القوة كان كافيا في الحمل لو انفرد ومثاله في غرضنا أن يسأله قريه فقير حاجة فيقضيها الفقير وقراهته وعلم أنه لولا فقره أسكن يقضيها بمجرد القرابة وأنه لولا قرابته لكان يقضيها بمجرد الفقر وعلم ذلك من نفسه بأنه محضره قريب غنى فيرغب في قضاء حاجته وفقير أجني فيرغب أيضا فيه وكذلك من أمره الطبيب يترك الطعام ودخل عليه يوم عرفة فقام وهو يعلم أنه لو لم يكن يوم عرفة لكان يترك الطعام حية ولولا الحلية لكان يتركه لأجل أنه يوم عرفة وقد اجتمعا جميعا فأقدم على الفعل وكان الباعث الثاني رفيق الأول فلنسم هذا مراقة للبواعث : والثالث : أن لا يستقل كل واحد لو انفرد

إن صوت الهب من  
ألم الشوق  
في وخوف الفراق  
يوثر ضرا  
صابر الصبر فاستغاث  
به الصبر  
رفصاح الحب للصبر  
صبرا  
قال جعفر الصادق  
رحمه الله أمر الله تعالى  
أنبياءه بالصبر وجعل  
الحظ الأمل للرسول  
صلى الله عليه وسلم  
حيث جعل صبره بالله  
لأنفسه فقال  
— وما صبرك إلا بالله —  
وسئل السري عن  
الصبر فكلم فيه فذهب  
على رجله عقرب فجعل  
بضربه يؤرته قبل لم  
لأنفذه قال أستحي  
من الله تعالى أن أنكسكم

ولكن قوى مجموعهما على إتهام القدرة ومثاله في المحسوس أن يتعاون ضميعةان على حمل ما لا ينفرد أحدهما به ومثاله في غرضنا أن يقصده قريبه التي فيطلب درهما فلا يبطئه ويقصده الأجنبي الفقير فيطلب درهما فلا يبطئه ثم يقصده القريب الفقير فيعطيه فيكون انبعاث داعيته بمجموع الباعثين وهو القرابة والفقر وكذلك الرجل يصدق بين يدي الناس لمرض الثوب ولمرض الشتاء ويكون بحيث لو كان منفردا لكان لايمته مجرد قصد الثوب على العطاء ولو كان الطالب فاسقا لاثواب في التصديق عليه لكان لايمته مجرد الرياء على العطاء ولتواجعنا أورتنا بمجموعهما تحريك القلب ولنسم هذا الجنس مشاركة . والرابع : أن يكون أحد الباعثين مستقلا ولو انفرد بنفسه والثاني لا يستقل ولكن لما انضاف إليه لم ينفك عن تأثير بالاعانة والتسهيل . ومثاله في المحسوس أن يتعاون الضعيف الرجل القوى على الحمل ولو انفرد القوى لاستقل ولو انفرد الضعيف لم يستقل فان ذلك بالجملة يسهل العمل ويؤثر في تخفيفه . ومثاله في غرضنا أن يكون للإنسان ورد في الصلاة وعادة في الصدقات فانفق أن حضر في وقتها جماعة من الناس ضار القمل أخف عليه بسبب مشاهدتهم وعلم من نفسه أنه لو كان منفردا خاليا لم يفر عن عمله وعلم أن عمله لو لم يكن طاعة لم يكن مجرد الرياء بحمله عليه فهو شوب تطرق إلى النية ولنسم هذا الجنس المعاونة فالباعث الثاني إما أن يكون رفيقا أو شريكا أو معينا وسنذكر حكمها في باب الاخلاص والغرض الآن بيان أقسام النيات فان العمل تابع لباعث عليه فيكتسب الحكم منه ولذلك قيل إنما الأعمال بالنيات لأنها نايصة لاحكم لها في حسنها وإثما الحكم للشروع .

( بيان سر قوله صلى الله عليه وسلم : نية المؤمن خير من عمله (١) )

اعلم أنه قد يظن أن سبب هذا الترجيح أن النية سر لا يطلع عليه إلا الله تعالى والعمل ظاهر ولعمل السر فضل وهذا صحيح ولكن ليس هو المراد لأنه لو نوى أن يذكر الله بقلبه أو يتفكر في مصالح المسلمين فيقتضي عموم الحديث أن تكون نية التفكر خيرا من التفكر وقد يظن أن سبب الترجيح أن النية تدوم إلى آخر العمل والأعمال لا تدوم وهو ضعيف لأن ذلك يرجع معناه إلى أن العمل الكثير خير من القليل بل ليس كذلك فان نية أعمال الصلاة قد لا تدوم إلا في لحظات معدودة والأعمال تدوم والعموم يقتضي أن تكون نية خيرا من عمله وقد يقال إن معناه أن النية مجردة خيرا من العمل بمجرد دون النية وهو كذلك ولكنه بعيد أن يكون هو المراد إذ العمل بالنية أولى النية لاخير فيه أصلا والنية بمجرد خيرا وظاهر الترجيح للفقهاء في أصل الخبر بل المعنى به أن كل طاعة تنظم بنية وعمل وكانت النية من جملة الخيرات وكان العمل من جملة الخيرات ولكن النية من جملة الطاعة خيرا من العمل أي لسلك واحد منهما أثر في التصودق وأثر النية أكثر من أثر العمل فمعناه نية المؤمن من جملة طاعته خيرا من عمله الذي هو من جملة طاعته والغرض أن الجهد اختيارا في النية وفي العمل فهما عملان والنية من الجملة خيرا فهما معناه وأما سبب كونها خيرا ومترجحة على العمل فلا يفرجه إلا من فهم مقصد الدين وطريقه ومبلغ أثر الطريق في الاتصال إلى المقصد وقاس بعض الآثار بالبعض حتى يظهر له بعد ذلك الأرجح بالإضافة إلى التصودق قال الخبر خيرا من الفاكهة فالما يعني به أنه خير بالإضافة إلى مقصود التوف والاغذاء ولا يفهم ذلك إلا من فهم أن الغذاء مقصودا وهو الصحة والبقاء وأن الأغذية مخافة الآثار فها وفهم أثر كل واحد وقاس بعضها بالبعض

(١) حديث نية المؤمن خير من عمله الطبراني من حديث سهل بن سعد ومن حديث النواص ابن مسمان وكلاهما ضعيف .

في حال ثم أخالف  
سأستكمل فيه . أخبرنا  
أبو زرعة بإجازة  
أبي بكر بن خازم  
عن أبي عبد الرحمن  
قال سمعت محمد بن خالد  
يقول سمعت الفرغاني  
يقول سمعت الجبلي  
رحمه الله يقول إن الله  
تعالى أكرم المؤمنين  
بالإيمان وأكرم الأيمان  
بالعمل وأكرم العقل  
بالبصيرة فالإيمان زين  
للمؤمن والعقل زين  
للابيمان والبصيرة زين  
للعقل وأنشد عن  
إبراهيم الحنصلي  
رحمه الله :

صبرت على بعض  
الأذى خوف كنه  
ودامت عن نفسي  
لنفس ضرت

فالتطاعات غذاء للقلوب ، والقصود شفاؤها وقاؤها وسلامتها في الآخرة وسعادتها وتتمتعها ببقاء الله تعالى . فالقصود لذة السعادة ببقاء الله قط ولن يتم بقاء الله إلا من مات محبا لله تعالى عارفا بالله ولن يحبه إلا من عرفه ولن يأمن بربه إلا من طال ذكره له ، فالأنس يحصل بدوام الذكر والعرفة تحصل بدوام الفكر ! والمحبة تتبع للعرفة بالضرورة ولن يتفرغ القلب لدوام الذكر والفكر إلا إذا فرغ من شواغل الدنيا ، ولن يتفرغ من شواغلها إلا إذا انقطع عنه شهواتها حتى يصير مثالا إلى الخير مريدا له نافرا عن الشر مبضا له وإنما يميل إلى الخيرات والطاعات إذا علم أن سعادته في الآخرة منوط بها كما يميل العاقل إلى القصد والحجامة لعله بأن سلامته فيها ، وإذا حصل أصل الليل بالعرفة فاعلم يقوى بالعدل بمقتضى الليل واللواظبة عليه فإن اللواظبة على مقتضى صفات القلب وإرادتها بالعدل تجري مجرى الغذاء والقوت لتلك الصفة حتى ترشح الصفة وتؤدى بسببها فالتأمل إلى طلب العلم أو طلب الرياسة لا يكون ميلة في الابتداء إلا ضعيفا ، فان اتبع مقتضى الليل واشتغل بالعلم وتربية الرياسة والأعمال المطلوبة لذلك تأكد ميلة ورسخ وعصر عليه الزرع وإن خالف مقتضى ميلة ضعف ميلة وانكسر وربما زال وانمحق بل الذي ينظر إلى وجه حسن مثلا فيميل إليه طبعه ميلا ضعيفا لوتيمه وعمل بمنتهى فداوم على النظر والمجالسة والمخالطة والمداورة تأكد ميلة حتى يخرج أمره عن اختياره فلا يقدر على الزرع عنه ، ولو نظم نفسه ابتداء وخالف مقتضى ميلة لكان ذلك كمنقطع القوت والغذاء عن صفة الليل ويكون ذلك زبرا ودفا في وجهه حتى يضعف وينكسر بسببه وينقم وينمى وهكذا جميع الصفات والخيرات والطاعات كلها هي التي تراد بها الآخرة والشرور كلها هي التي ترد بها الدنيا والآخرة ، ويدل النفس إلى الخيرات الأخوية وانصرافها عن الدنيوية هو الذي يفرغها للذكر والفكر ولن يتأكد ذلك إلا بالمواظبة على أعمال الطاعة وترك المعاصي بالجوارح لأن بين الجوارح وبين القلب علاقة حتى إنه يتأثر كل واحد منهما بالآخر فترى العدو إذا أصابته جراحة تألم بها القلب وترى القلب إذا تألم بلمه يموت عزيز من أعزته أو يهجوم أمر خوف تأثرت به الأعضاء وارتعدت الفرائض وتغير اللون إلا أن القلب هو الأصل للتبوع فكأنه الأمير والراعي والجوارح كالحفم والرعيا والاتباع ، فالجوارح خادمة للقلب بتأكيد صفاتها فيه فالقلب هو القصود والأعضاء آلات موصلة إلى القصود ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد » (١) وقال عليه الصلاة والسلام « اللهم أصلح الراعي والريعية » (٢) وأراد بالراعي القلب ، وقال الله تعالى - لن يبال الله لحومها ولداؤها ولكن يناله التقوى منكم - وهي صفة القلب ، فمن هذا الوجه يجب لامانة أن تكون أعمال القلب على الجملة أفضل من حركات الجوارح ثم يجب أن تكون الآفة من جنتها أفضل لأنها عبارة عن ميل القلب إلى الخير وإرادته له . وغرضنا من الأعمال بالجوارح أن يعود القلب بإرادة الخير ويؤكد فيه الميل إليه ليفرغ من شهوات الدنيا ويكسب على الذكر والفكر بالضرورة يكون خيرا بالإضافة إلى الفرض لأنه متمكن من نفس القصود ، وبهذا كأن للعدة إذا تأملت فقد تدأوى بأن يوضع الطلاء على الصدر وتدأوى بالشرب والدواء الواصل إلى للعدة ، فالشرب خير من طلاء الصدر لأن طلاء الصدر أيضا إنما أريد به أن يسرى منه الأثر

وجرحها فكروه

حتى تدربت

ولولم أجرحها إذن

لاشأن أوت

الأرب ذلسا لنفس

عزة

وبارب نفس بالتذلل

عزت

إذا ماددت السكب

النفس التي

إلى غدير من قال

أسألوني فقلت

سأصبر جهدي إن في

الصبر عزة

وأرضى بدني وإن

هي قلت

قال عمر بن عبدالعزيز

رحمه الله : ما أنعم الله

على عبد من نعمة ثم

اتزعجا ففاضه مما

اتزعج منه الصبر

إلا كان ماعاضه خيرا

(١) حديث إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد متفق عليه من حديث النعمان بن بشير وقد تقدم (٢) حديث اللهم أصلح الراعي والريعية تقدم ولم أجده .

إلى العدة ، لما يلقى عين العدة فهو خير وأضع فهكذا ينبغي أن تعهم تأثير الطاعات كلها ، إذ للطلوب منها تغيير القلوب وتبديل صفاتها قسط دون الجوارح ، فلا تظن أن في وضع الجبهة على الأرض غرضا من حيث إنه جمع بين الجبهة والأرض بل من حيث إنه بحكم العادة يؤكد صفة التواضع في القلب فإن من يجد في نفسه تواضعا ، فإذا استكان بأعضائه وصورها بصورة التواضع تأكد تواضعه ، ومن وجد في قلبه رقة على يتيم فإذا مسح رأسه وقبله تأكدت الرقة في قلبه ، ولهذا لم يكن العمل بتغيير نية مفيدا أصلا لأن من مسح رأس يتيم وهو غافل بقلبه أو ظان أنه مسح نوما لم ينتشر من أعضائه أثر إلى قلبه لتأكيده الرقة وكذلك من يسجد غافلا وهو مشغول الهم بأعراض الدنيا لم ينتشر من جبهته ووضعا على الأرض أثر إلى قلبه يتأكد به التواضع ، فكان وجود ذلك كدمه وما سواى وجوده عديمه بالإضافة إلى العرض للطلوب منه يسمى بإطلا فبقال العبادة بتغيير نية باطلة وهذا معناه إذا فعل عن غفلة ، فإذا قصد به رياء أو تعظيم شخص آخر لم يكن وجوده كدمه بل زاده شرافاته لم يؤكد الصفة للطلوب تأكيدها حتى أكد الصفة للطلوب فمعها وهى صفة الرياء التى هى من الليل إلى الدنيا فهذا وجه كون النية خيرا من العمل ، وهذا أيضا يعرف معنى قوله صلى الله عليه وسلم « من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة » لأن هم القلب هو ميله إلى الخير وانصرافه عن الهوى وحب الدنيا وهى غاية الحسنات وإنما الاعمال بالعمل بزيتها تأكيدها فليس المقصود من إراقة دم القربان الدم واللحم بل ميل القلب عن حب الدنيا وبهذا إشارا لوجه الله تعالى وهذه الصفة قد حصلت عند جزم النية والهمة وإن عاق عن العمل عائق فقل ينال الله حلوها ولا دملؤها واسكن طائفة التقوى منك ، والتوى ههنا أعنى القلب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « إن قوما بالمدينة ندشركون فى جهادنا كما تقدم ذكره لأن قلوبهم فى صدق إرادة الخير وبذل لال والنفس والرغبة فى طلب الشهادة وإعلاء كلمة الله تعالى كقلوب الحار جين فى الجهاد وما عاقوهم بالأبدان لموافق تخص الأسباب الخارجية عن القلب وذلك غير مطلوب إلا لتأكيد هذه الصفات وبهذه المعاني تفهم جميع الأحاديث التى أو ردناها فى فضيلة النية فأعرضنا عليها ليكشف لك أسرارها فلا تظن بالإعادة.

### ( بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالية )

اعلم أن الأعمال وإن اتسمت أقساما كثيرة من فعل وقول وحركة وسكون وجلب ودفع وفكر وذكر وغير ذلك بما لا يصور إحصاؤه واستقصاؤه فهى ثلاثة أقسام طاعات ومعاصى ومباحات. القسم الأول: للأصلى وهى لا تتغير عن موضعها بالية فلا ينبغي أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله عليه السلام « إنما الأعمال بالنيات » فيظن أن النية تتقلب طاعة بالية كالذى ينتاب إنسانا مراعاة لقلب غيره أو يطعم فقيرا من مال غيره أو يبنى مدرسة أو مسجدا أو رابطا بمال حرام وأصد الخير فهذا كلام جاهل بالية لا تؤثر فى إخراجه عن كونه ظاهرا وعدوانا ومهصية بل قصد الخير بالشر على خلاف مقتضى الشرع شر آخر ، فإن عرفه فهو معاند للشرع وإن جهله فهو عاص بجهله إذ طاب العلم فريضة على كل مسلم والخيرات إنما يعرف كونها خيرات بالشرع فكيف يمكن أن يكون الشر خيرا مبهات بل للرج ذلك على القلب خفى الشهوة وباطن الهوى فإن القاب إذا كان لائلا إلى طاب الجاهل واستماله قلوب الناس وسائر حظوظ النفس نوسل الشيطان به إلى التلبس على الجاهل ولذلك قال سهل رحمه الله تعالى: ما عصى الله تعالى بمعية أعظم من الجهل. قيل يا أبا محمد هل تعرف شيئا أشد من الجهل قال نعم الجهل بالجهل وهو كما قال لأن الجهل بالجهل يسد بالسكينة باب التعلم فمن يظن بالسكينة بنفسه أنه عاقل كيف يعلم وكذلك أفضل ما أطيع الله تعالى به العلم ورأس العلم العلم بالعلم كما أن رأس الجهل الجهل بالجهل

بما اتزعه منه وأنشد  
لسمون :

تجرعت من حاله  
نمى وأبوسا

زمانا إذا أجرى عزاليه  
احتسى

فكم حمرة قد جرعنى  
كؤوسا

فجرعته من عرصرى  
أكؤوسا

تدرت صبرى  
والتحفت صروقه

وقلت لنفسى الصبر أو  
فاهلكى أسى

خطوب لوان التمس  
زاحم خطبها

لأنت ولم تدرك لها  
الكف ملسا

[ قولهم فى القفر ] قال  
ابن الجلاء : القفر أن

لا يكون لك فإذا كان  
لك لا يكون لك حتى

فان من لا يعلم النافع من العلم الضار اشتغل بما أكب الناس عليه من العلوم المزخرفة التي هي وسائلهم إلى الدنيا وذلك هو مادة الجبل ومنبع فساد العالم والقصود أن من قصد الخير بمصيبة عن جهل فهو غير معذور إلا إذا كان قريب العهد بالاسلام ولم يجد بعد مهلة للتعلم ، وقد قال النبي سبحانه - فاستلوا أهل الذكر إن كنتم لاتعلمون - وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يعذر الجاهل على الجبل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه <sup>(١)</sup> » وتقرب من تقرب السلاطين ببناء المساجد والمدارس بالمال الحرام تقرب العلماء السوء بتعليم العلم السفهاء والأشرار للتشغول بالفسق والفجور القاصرين همهم على مماراة العلماء ومباراة السفهاء واستمالة وجوه الناس وجمع حطام الدنيا وأخذ أموال السلاطين واليتامى والسالكين فان هؤلاء إذا تعلموا كانوا قطع طريق الله واتبع كل واحد منهم في بلدته نائبا عن الدجال يتكالب على الدنيا ويتبع الهوى ويتباعد عن التقوى ويستجري الناس بسبب مشاهدته على معاصي الله ثم قد ينتشر ذلك العلم إلى مثله وأمثاله وينخدونه أيضا آلة ووسيلة في الشر واتباع الهوى ويتسلسل ذلك ووبال جميعه يرجع إلى العلم الذي علمه العلم مع علمه بفساد نيته وقصده ومشاهدته أنواع المعاصي من أقواله وأفعاله وفي مطعمه وملبسه ومسكنه فيعوث هذا العالم وتبقى آثار شره منتشرة في العالم ألف سنة مثلا وأثنى ستون طويلا إذا مات مائة معه ذنوبه ثم العجب من جهله حيث يقول « إنما الأعمال بالنيات » وقد قصدت بذلك نشر علم الدين فان استعمله هو في الفساد فالمصيبة منه لا منى وما قصدت به إلا أن يستعين به على الخير وإعانة حب الرياسة والاستتباع والتفاخر بعلوم العلم بحسن ذلك في قلبه والشيطان بواسطة حب الرياسة يلبس عليه وليت شعري ما جوا به عن وهب سيفا من قطع طريق وأعد له خيلا وأصحابا يستعين بها على مقصوده ويقول إنما أردت البذل والسخاء والتخلق بأخلاق الله الجلية وقصدت به أن يفزع هذا السيف والفرس في سبيل الله فان إعداد الخيل والرباط والقوة للفرزة من أفضل القربات فان هو صرفه إلى قطع الطريق فهو المعاصي وقد أجمع الفقهاء على أن ذلك حرام مع أن السخاء هو أحب الأخلاق إلى الله تعالى حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله تعالى ثلثانة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء <sup>(٢)</sup> » فليت شعري لم حرم هذا السخاء ولم يوجب عليه أن ينظر إلى قرينة الحال من هذا الظالم فإذ لا ح له من عادته أنه يستعين بالسلاح على الشر فينبغي أن يسعى في سلب سلاحه لا أن يمدد بغيره والعلم سلاح يقا تل به الشيطان وأعداء الله وقد يعاون به أعداء الله عز وجل وهو الهوى فن لا يزال مؤثرا لدنياء على دينه وهواه على آخرته وهو عاجز عنها لقلة فضله فكيف يجوز إمداده بنوع علم يتمسكن به من الوصول إلى شؤوانه بل لم يزل علماء السلف رحمهم الله يتفقدون أحوال من يتردد إليهم فلو رأوا منه تقصيرا في نقل من الزوافل أنسكروه وتركوا إكرامه وإذا رأوا منه فجورا واستحلال حرام هجروه وغفوه عن مجالسهم وتركوا تسكابه فضلا عن تعليمه لهم بأن من تعامل بمسألة ولم يعمل بها وحاووزها إلى غيرها فليس يطلب إلا آلة الشر وقد تمود جميع السلف بالله من الفاجر العالم بالسنة وما تمودوا من الفاجر الجاهل . حكى عن بعض أصحاب أحمد بن حنبل رحمه الله أنه كان يتردد إليه سنين ثم اتفق أن أعرض عنه أحمد وهجره وصار لا يكلمه فلم يزل يسأله عن تقيره عليه وهو

نثر . وقال الكنانى إذا صح الافتقار إلى الله تعالى صح الغنى بالله تعالى لأنهم ماحلان لا يلب أحدهما إلا بالآخر . وقال الثوري : نعم المقرء السكون عند العدم والبذل عند الوجود . وقال غيره : والاضطراب عند للوجود . وقال الدراج فتشت كنتف أستاذى أريد مكحلة فوجدت فيها قطعة فتحبرت ، فلما جاء قلت له : إني وجدت في كنتفك هذه القطعة . قال قد رأيتهأ ردها ثم قال خذها واشتر بها شيئا فقامت : ما كان أمر هذه القطعة بحق معبودك فقال ما رزقني

(١) حديث لا يعذر الجاهل على الجبل ولا يحل للجاهل أن يسكت على جهله الحديث الطبرانى في الأوسط وابن السنى وأبو نعيم في رياضة التلمذ من حديث جابر بسند ضعيف دون قوله لا يمتذر الجاهل على الجبل وقال لا ينبغي بطل ولا يحل وقد تقدم في العلم (٢) حديث إن الله ثلثانة خلق من تقرب إليه بواحد منها دخل الجنة وأحبها إليه السخاء تقدم في كتاب المحبة والشوق .

لا يذكره حتى قال بلغني أنك طيفت حائط دارك من جانب الشارع وقد أخذت قدر سمك الطين وهو  
أثمة من شارع المسلمين فلا تصلح لنقل العلم فمكثت كانت مراقبة السلف لأحوال طلاب العلم وهذا  
وأمثاله يماثل بس على الأغنياء وأتباع الشيطان وإن كانوا أرباب الطيالة والأكل الواسعة وأصحاب  
الأسنة الطويلة والفضل الكثير ، أعنى الفضل من العلوم التي لا تشمل على التحذير من الدنيا  
والزجر عنها والترغيب في الآخرة والدعاء إليها بل هي العلوم التي تتعاقب بالحق وتوصل بها إلى جمع  
الحطام واستتباع الناس والتقدم على الأقران فاذن قوله عليه السلام « إنما الأعمال بالنيات » يخص  
من الأقسام الثلاثة بالطاعات والباحات دون المعاصي إذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد والباح ينقلب  
معصية وطاعة بالقصد فأما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد أصلاً ، نعم لينة دخل فيها وهو أنه إذا ضاف  
إليها قصد خبيثة تضاعف وزرها وعظم وبالها كما ذكرنا ذلك في كتاب التوبة . القسم الثاني الطاعات  
وهي مرتبطة بالنيات في أصل صحتها وفي تضاعف فضلتها . أما الأصل فهو أن ينوي بها عبادة الله تعالى  
لا غير فإن نوى الرياء صارت معصية وأما تضاعف الفضل فبكثره النيات الحسنة فإن الطاعة الواحدة  
يمكن أن ينوي بها خيرات كثيرة فيكون له بكل نية ثواب إذ كل واحدة منها حسنة تضاعف كل  
حسنة عشر أمثالها (١) كما ورد به الخبر ومثاله التعمود في المسجد فإنه طاعة ويمكن أن ينوي فيه نيات  
كثيرة حتى يصير من فضائل أعمال للتقوى ويبلغ به درجات القربين أولها أن يعتقد أنه بيت الله  
وأن داخله زائر الله فيقصد به زيارة مولاه رجاء لما وعده به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال  
« من قدم في المسجد فقد زار الله تعالى وحقق على المزور إكرام زاره » (٢) وثانيها أن ينظر الصلاة  
بعد الصلاة فيكون في جملة انتظاره في الصلاة وهو معنى قوله تعالى - وربطوا - . وثالثها الترهيب  
بكف السمع والبصر والأعضاء عن الحركات والترددات فإن الاعتكاف ككف وهو في معنى الصوم وهو  
نوع ترهب ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رهبانية أمتي التعمود في المساجد » (٣) ورابعها  
عكوف الهم على الله ولزوم السر للغير في الآخرة ودفع الشواغل الصارقة عنه بالاعتزال إلى المسجد  
وخامسها التجرد لذكر الله أولاً واستماع ذكره . ولتذكر به كما روى في الخبر « من غدا إلى المسجد يذكر  
الله تعالى أو يذكر به كان كالمجاهد في سبيل الله تعالى » (٤) وسادسها أن يقصد إفادة العلم بأمر معروف  
ونهي عن منكر إذ المسجد لا يخلو عن منسى في صلاته أو يتعاطى ما لا يحل له فيأمره بالمعروف وينهيه  
إلى الدين فيكون شريكاً معه في خيرة الذي يعلم منه فتضاعف خيراؤه . وسابعها أن يستفيد أخا  
في الله فإن ذلك غنيمة وذخيرة للدار الآخرة والمسجد ممشى أهل الدين المحبين لله وفي الله . وثامنها  
أن يترك الذنوب حياء من الله تعالى وحياء من أن يتعاطى في بيت الله ما يقتضي هناك الحرمة ،  
وقد قال الحسن بن علي رضي الله عنهما : من أضمن الاختلاف إلى المسجد رزقه الله إحدى سبع  
خصال أخا مستفاداً في الله أو رحمة مستنزلة أو علماً مستظرفاً أو كفة تدل على هدى أو تصرفه

الله تعالى من الدنيا  
مفسراء ولا يضاه  
غيرها فأردت أن  
أوصي أن تشد في كفى  
فأردها إلى الله وقال  
إبراهيم الحواصلي  
رداء الشرف ولياس  
المرسلين وجلباب  
الصالحين . وسئل  
سهل بن عبد الله عن  
الفقير الصادق فقال  
لا يسأل ولا يرد ولا  
يحبس . وقال أبو يعلى  
الروذباري رحمه الله  
سألتني الزقاق فقال  
يا بيا على لم ترك الفقراء  
أخذ البلعة في وقت  
الحاجة قال قلت لأنهم  
مستفنون بالمعطي عن  
المعطي قال نعم ولكن  
وقع لي شيء آخر قلت  
هات أفدني ما وقع لك

(١) حديث ضعيف الحسن بن عثمان تقدم (٢) حديث من قدم في المسجد فقد زار الله تعالى  
وحق على المزور إكرام زاره ابن حبان في الضعفاء من حديث سلمان والبيهقي في الشعب نحوه من  
رواية جماعة من الصحابة لم يسموا باستناد صحيح وقد تقدم ما في الصلاة (٣) حديث رهبانية أمتي التعمود  
في المساجد لم أجده أصلاً (٤) حديث من غدا إلى المسجد يذكر الله أو يذكر به كان كالمجاهد في سبيل  
الله حالي هو معروف من قول كعب الأحبار روي في جزء ابن طوق والطبراني في الكبير من حديث  
أبي أمامة من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يعلم خيراً أو يعلمه كان له كاجر حج تاما حجة وإسناده جيد  
وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلاً كما دعا أوراح

عن رضى أو ترك الذنوب خشية أوحيا، فهذا طريق تمكثير النيات وقس به سائر الطاعات والباحات  
 إنما من طاعة إلا لا تحتل نيات كثيرة وإنما تحضر في قلب العبد الأزمن بقدر جده في طلب الخير  
 وتشمعه له وتفكره فيه فهذا تزكو الأعمال وتتضاعف الحسنات [القسم الثالث للباحات] كوما من شيء  
 من الباحات إلا لا تحتل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالي الدرجات لما أعظم  
 خسران من يفشل عنها ويتعاطاها تقاطي الزهائم للهمة عن سهو وغفلة ولا ينبغي أن يستحق العبد  
 شيئا من المحطرات والحطوات واللحظات فكل ذلك يسئل عنه يوم القيامة أنه لم تفعله وما الذى قصد به  
 هذا في مباح محض لا يشوبه كراهة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم «حلالها حساب وحرماها عقاب»<sup>(١)</sup>  
 وفي حديث معاذ بن جبل أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن العبد ليسأل يوم القيامة عن كل شيء حتى  
 عن كل عينيه وعن ثنات الطينة بإصبعيه وعن لسه ثوب أخيه»<sup>(٢)</sup> وفي خبر آخر «من تطيب لله تعالى  
 جاء يوم القيامة وريحه أطيب من السك ومن تطيب لغيره الله تعالى جاء يوم القيامة وريحه أنف من  
 الجيفة» فاستعمال الطيب مباح ولكن لا بد فيه من نية . فان قلت لما الذى يمكن أن ينوى بالطيب  
 وهو حظ من حفاظ النفس وكيف يتطيب لله . فاعلم أن من يتطيب مثلا يوم الجمعة وفي سائر الأوقات  
 يصور أن يقصد التمتع بقداس الدنيا أو يقصد به إظهار التفاخر بكثرة اللال ليجدها الأفران أو يقصد به  
 رياء الخلق أيقوم له الجاه في قلوبهم ويذكر بطيب الرائحة أو ليتودد به إلى قلوب النساء الأخنيات  
 إذا كان مستحلا للنظر إليهن ولأمور أخر لا نحصى وكل هذا يجعل التطيب معصية فبذلك يكون  
 أن من من الجيفة في القيامة إلا لا يقصد الأول وهو التلذذ والتتم فان ذلك ليس معصية إلا أنه يسئل عنه  
 ومن نوى الحساب عذب ومن أتى شيئا من مباح الدنيا لم يعذب عليه في الآخرة ولكن ينقص  
 من نعيم الآخرة له بقدره وناهيك خسرانا بأن يستعمل ما يغنى ويغنى زيادة نعيم لا ينقص وأما النيات  
 الحسنة فأنه ينوى به اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة<sup>(٣)</sup> وينوى بذلك أيضا  
 تعظيم المسجد واحترام بيت الله فلا يرى أن يدخله زائرا لله إلا بطيب الرائحة وأن يقصد به ترويح  
 جبراته ليسترعوا في المسجد عند مجاورته بروائحهم وأن يقصد به دفع الروائح الكريهة عن نفسه  
 التي تؤدي إلى إنباء محالطيه وأن يقصد حسم باب النية عن المتعاقبين إذا اغتايوا يومه بالروائح الكريهة  
 فيصون الله بسببه فمن تعرض للنية وهو قادر على الاحتراز منها فهو شريك في تلك المعصية كقائل:  
 إذا دخلت عن قوم وقد قدروا أن لا تخافهم فالراحلون هم

قال لأنهم قوم لا ينفعهم  
 الوجود إذ قد فاتهم  
 ولا تضرهم القافة إذ قد  
 وجودهم قال بعضهم  
 الفقر وقوف الحاجة  
 على القلب ومحوها  
 محاسن الرب وقال  
 السوحي الفقير الذى  
 لا تغنيه التعم ولا تقهره  
 الحن . وقال يحيى بن  
 معاذ حقيقة الفقر أن  
 لا يستغنى إلا بالله ورحمه  
 عدم الأسباب كلها  
 وقال أبو بكر الطووسى  
 بقيت مدة أسأل عن  
 معنى اختيار أصحابنا  
 لهذا الفقر على سائر  
 الأشياء فلم يعنى أحد  
 بجواب يقتضى حق  
 سألت نصر بن الحامى  
 فقال لى لأنه أول  
 منزل من منازل

وقال الله تعالى - ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم - أشار به إلى أن  
 التسبب إلى الشر شر وأن يقصد به معالجة دماغه لتزديده فأنه تود كذا وهو يسئل عليه درك مهمات دينه  
 بالفكر فقد قال الشافعى رحمه الله من طاب روعه زاد عقله فهذا أوامره من النيات لا يسجد الفقيه عنها إذا  
 كانت تجارة الآخرة وطلب الخير غالبية على قلبه وإذا لم يغلب على قلبه إلا النعيم الدنيا لم تحضره هذه النيات  
 (١) حديث حلالها حساب وحرماها عذاب تقدم (٢) حديث معاذ إن العبد ليسأل يوم القيامة  
 عن كل شيء حتى عن كل عينيه وعن ثنات الطين بإصبعيه وعن لسه ثوب أخيه لم أجده لم إسنادا  
 (٣) حديث إن ليس الثياب الحسنة يوم الجمعة سنة أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة  
 وأبي سعيد من اغتسل يوم الجمعة ومس من طيب إن كان عنده ولبس أحسن ثيابه الحديث ولأبي  
 داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن سلام ما على أحدكم لو اشترى ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي  
 مهنته وفي إسناده اختلاف وفي الصحيحين أن عمر رأى حلة سبوا عند باب المسجد فقال يا رسول الله  
 لو اشتريت هذه فلبستها يرم الجمعة الحديث .

وإن ذكرت له لم يثبت لها قلبه فلا يكون معه منها إلا حديث النفس وليس ذلك من النية شيء  
والباحات كثيرة ولا يمكن إحصاء النيات فيها فقس بهذا الواحد ماعداء ولهذا قال بعض العارفين من  
السلف إنني لأستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكل وشربي ونومي ودخولي إلى الخلاء  
وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرب إلى الله تعالى لأن كل ما هو سبب لبقاء البدن ورفاه القلب من  
مهمات البدن فهو معين على الدين فمن قصد من الأكل التقوى على العبادة ومن الوقع تحصين دينه  
وتطبيب قلب أهله والتوصل به إلى نيل صالح يبعد الله تعالى بدمه فتشكر به أمة محمد صلى الله عليه وسلم كان  
عليها بأكله ونسكاحه وأغلب حظوظ النفس الأكل والوقع وقصد الخير بهما غير محتج لمن غلب  
على قلبه هم الآخرة ولذلك ينبغي أن يحسن نيته مهما ضاع له مال ويقول هو في سبيل الله وإذا بلغه  
اعتياب غيره له فليطيب قلبه بأنه سيحصل سيئاته وسنقل إلى ديوانه حسناته وليتو ذلك بسكوته عن  
الجواب في الخير « إن العبد ليحاسب قنطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من  
الأعمال الصالحة ما يستوجب به الجنة فيتعجب ويقول يارب هذه أعمالها قط فيقال هذه  
أعمال الدين اغضبوك وآذوك وظفرك (١) » وفي الخير « إن العبد ليوفي القيامة بحسنات أعمال الجبال  
لو خلصت له لدخل الجنة فيأتي وقد ظلم هذا وشتم هذا وضرب هذا فيقتل لهذا من حسناته ولهذا من  
حسناته حتى لا يبقى له حسنة فتقول اللائكة قد فئت حسناته وبقي طابون فيقول الله تعالى ألقوا عليه  
من سيئاتهم ثم مكوا له مكاً إلى النار (٢) » وبالجملة فإياك أن تستحق شيئا من حركاتك فلا تكثر  
من غرورها وشروها ولا تعد جوابها يوم السؤال والحساب فإن الله تعالى مطلع عليك وشهيد بما يلفظ  
من قول إلا لديه رقيب عتيد وقال بعض السلف كتب كتابا وأردت أن أترجم من حائط جاري فخرجت  
ثم قلت تراب وما تراب قربة فتفت في هائف سيلم من استخف بتراب ما يلقى غدامن سوء الحساب  
وصلى رجل مع الثوري فرأه مقلوب الثوب فرفقه قد يده ليصاحبه ثم قبضها فربسوه فسأله عن ذلك  
فقال إنني لبست لله تعالى ولا أريد أن أسويه لغير الله وقد قال الحسن إن الرجل ليعلم بالرجل يوم القيامة  
فيقول بيني وبينك الله فيقول والله ما أعرفك فيقول بلى أنت أخذت ابنة من حاطمي وأخذت خطيما من  
نوبي فهذا وأمثاله من الأخبار قطع قلوب الحاضرين فإن كنت من أولى العزم والسيى ولم تكن من الغفريين  
فانظر لنفسك الآن ودقق الحساب على نفسك قبل أن يدقق عليك وراقب أحوالك ولا تسكن  
ولا تتحرك ما لم تأمل أولا أنك لم تتحرك وماذا تقصد وما الذي تنال به من الدنيا وما الذي يفوتك  
من الآخرة وبما ذا ترجع الدنيا على الآخرة فإذا علمت أنه لا باعث إلا الدين فأعرض عنك وما خطر  
بيالك وإلا فأمسك ثم راقب أيضا قلبك في إمساكك وامتناعك فإن ترك العمل فعل ولا بدله من نية  
صحيحة فلا ينبغي أن يكون الداعي هو حتى لا يطلع عليه ولا يفرنك ظواهر الأمور ومشهورات الحيراث  
واقطن للأغوار والأسرار تخرج من حين أهل الاعتذار قد دروي عن زكريا عليه السلام أنه كان يعمل  
في حائط بالطين وكان أجيرا تقوم قدسوا له رغيفا إذ كان لا يأكل إلا من كسب يده فدخل عليه قوم

(١) حديث إن العبد ليحاسب قنطل أعماله لدخول الآفة فيها حتى يستوجب النار ثم ينشر له من  
الأعمال الحسنة ما يستوجب به الجنة الحديث وفيه هذه أعمال الدين اغضبوك وآذوك وظفرك أبو منصور  
الديلمي في مسند الفردوس من طريق أبي نعيم من حديث شيب بن سعد البلوي مختصرا إن العبد  
ليلقى كتابه يوم القيامة منتشرا فينظر فيه فيرى حسنات لم يعملها فيقول هذا لي وإنما عملها بقال بما  
اقتابك الناس وأنت لا تشعر وفيه ابن لمعة (٢) حديث إن العبد ليوفي القيامة بحسنات أعمال  
الجبال وفيه ويأتي قد ظلم هذا وشتم هذا الحديث تقدم مع اختلاف .

التوحيد فقتلت بذلك  
وسئل ابن الجلاء عن  
الفقر فكنت حتى صلي  
ثم ذهب ورجع ثم قال  
أنى لم أسكت إلا درهم  
كان عندي فذهبت  
فأخرجته واستحييت  
من الله تعالى أن أنكلم  
في الفقر وعندي ذلك  
ثم جلس وتكلم .  
قال أبو بكر بن  
طاهر عن حكم الفقير  
أن لا يكون له رغبة  
فإن كان ولا بد لا تجاوز  
رغبته كفايته . قال  
فارس قلت ليعرض  
الفقراء مرة وعليه أثر  
الجوع والضرر لم لا تسأل  
فطعموك ؟ فقال إنني  
أخاف أن أسألهم  
فيمنعوني فلا يفلحون  
وأشد بعضهم :

فلم يدعهم إلى الطعام حتى فرغ فدمجوا منه لما عذوا من سخائم وزهد وظنوا أن الحرف في طلب الساعدة في الطعام فقال إني أعمل قوم بالأجرة وقد سئمت إلى الرغبة لأتقوى به على عملهم فلوأ كلتم من لم يكنكم ولم يكنكم وضعت عن عملهم فالصبر هكذا ينظر في البواطن بنور الله فان منعه عن العمل حرص في فرض وترك الدعوة إلى الطعام حرص في فضل ولا يحكم للفضائل مع الفرائض . وقال بعضهم دخلت على سفيان وهو يأكل لما كفى حتى لعق أصابعه ثم قال لولا أني أخذته بدين لأجبت أن تأكل منه . وقال سفيان من دعا رجلا إلى طعامه وليس له رغبة أن يأكل منه فان أجابه فأكل فضله وزدان وإن لم يأكل فضله وزر واحد وأراد بأحد الوزرين التفريق وبالتالي تبرئته أخاه لما يكره لوعله فكذلك ينبغي أن يتفقد البعد عنه في سائر الأعمال فلا يقدم ولا يحجم إلا بنية فان لم تحضره التبة توقفت فان التبة لا تدخل تحت الاختيار .

### (بيان أن التبة غير داخلة تحت الاختيار)

اعلم أن الجاهل بسمع ماذكرناه من الوصية بتحسين التبة وتكثيرها مع قوله صلى الله عليه وسلم «إنما الأعمال بالنيات» فيقول في نفسه عند تدريسه أو تجارته أو أكله نويت أن أدرس فأكل أو أكل لله ويظن ذلك نية وهيات فذلك حديث نفس وحديث لسان وفكر أو انتقال من خاطر إلى خاطر والنية بمنزلة من جميع ذلك وإنما التبة انبعاث النفس وتوجهها وميلها إلى مظهر لها فيه غرضها إما عاجلا وإما أجلا والليل إذا لم يكن لا يمكن اختراعه واكتسابه بمجرد الإرادة بل ذلك كقول الشيعان نويت أن أشتى الطعام وأميل إليه أو قول الفارغ نويت أن أعشق فلانا وأحبه وأعظمه بقلى فذلك محال بل لا طريق إلى اكتساب صرف القلب إلى الشيء وميله إليه وتوجه نحوه إلا باكتساب أسبابه وذلك مما يقدر عليه وقد لا يقدر عليه وإنما تنبذت النفس إلى الفعل إيجابا لغيره الباعث الوافق للنفس للملائم لها وما لم يعتقد الإنسان أن غرضه منوط بفعل من الأفعال فلا توجه نحوه قصد وذلك مما لا يقدر على اعتقاده في كل حين وإذا اعتقد فالحما يتوجه القلب إذا كان فارغا غير مصروف عنه بغير شاغل أقوى منه وذلك لا يمكن في كل وقت والدواعي والصوارف لها أسباب كثيرة بها تجتمع ويختلف ذلك بالأشخاص والأحوال والأعمال فإذا غلبت شهوة النكاح مثلا ولم يعتقد غرضا صحيحا في الولد دينا ولا دنيا لا يمكنه أن يواقع على نية الولد بل لا يمكن إلا على نية قضاء الشهوة إذ التبة هي إجابة الباعث ولا باعث إلا الشهوة فكيف ينوي الولد وإذا لم ينسب على قلبه أن إقامة سنة النكاح (١) اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعظم فضله لا يمكن أن ينوي بالنكاح اتباع السنة إلا أن يقول ذلك بلسانه وقلبه وهو حديث محض ليس بنية ، نعم طريق اكتساب هذه التبة مثلا أن يقوى أولا إيمانه بالتسرع ويقوى إيمانه بعظم ثواب من سعى في تكبير أمة محمد صلى الله عليه وسلم ويدفع عن نفسه جميع التفورات عن الولد من تحمل المؤنة وطول التسب وغيره فإذا قل ذلك ربما انبثت من قلبه رغبة إلى تحصيل الولد للثواب فحركة تلك الرغبة وتحرك أعضاؤه لما مره القصد فإذا انتهت القدرة الحركة للسان بقبول العقد طاعة لهذا الباعث الغالب على القلب كان نوايا فان لم يكن كذلك لما يقدره في نفسه ويرده في قلبه من قصد الولد وسواس وهذيان ولهذا امتنع جماعة من السلف من جملة من الطاعات إذ لم يحضروا التبة وكانوا يقولون ليس يحضرنا فيه حتى إن ابن سيرين لم يصل على جائزة الحسن البصري وقال ليس يحضرني نية ونادى بعضهم امرأته وكان يسرح شعره وأن هات للدرى فقالت أحيى بالمرأة فسكت ساعت ثم قال نعم فقيل له في ذلك قال كان لي في الدررى نية

(١) حديث إن النكاح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تقدم في آداب النكاح .

قالوا غدا العيد ماذا

أنت لابسه

فكانت خاضعة ساق

عبد الجرجا

ففر وصبر لها ثوبان

نحتما

قلب يرى ربه الأعياد

والجوا

أحرى اللابس أن تلقى

الحبيب به

يوم الزاود في التوب

الذي خلعا

الدهر لي مأنهم إن غبت

يأمل

والسبد مادمت لي

مرأى ومستعما .

[ قولهم في الشكر ]

قال بعضهم الشكر

هو التبة عن التهمة

برؤية التتم . وقال

يحيى بن معاذ الرازي

لست بشاكر مادمت

نشكر وغاية الشكر

ولم تحضرني في الرأفة نية فتوقفت حتى هياها الله تعالى ومات حماد بن سلمان وكان أحد علماء أهل الكوفة قبيل الثوري ألا تشهد جنازته فقال لو كان لي نية لعملت وكان أحدهم إذ سئل عما عمل من أعمال البر يقول إن رزقني الله تعالى نية فقلت وكان طاموس لا يحدث إلا بنية وكان يسأل أن يحدث فلا يحدث ولا يسأل فيتدري قبيل له في ذلك قال أفتحبون أن أحدث بشئ نية إذا حضرني نية فقلت. وحكي أن داود بن المهبر لما صنف كتاب العقل جاءه أحمد بن حنبل فطلبه منه فنظر فيه أحمد فمعاورده فقال مالك قال فيه أسانيد ضعاف فقال له داود أنا لم أخرجها على الأسانيد فأنظر فيه بين الخبرين ما نظرت فيه بين العمل فانتفعت قال أحمد فرده على حتى أنظر فيه بالعين التي نظرت فأخذته ومكث عنده طويلا ثم قال جزاك الله خيرا فقد انتفعت به وقيل لطاموس ادع لنا فقال حتى أجد له نية. وقال بعضهم أنا في طاب نية لعبادة رجل منذ شهر لما صحت لي بعد . وقال عيسى بن كثير مشيت مع ميمون بن مهران فلما انتهى إلى باب داره انصرفت فقال ابنه ألا تعرض عليه العشاء قال ليس من نبي وهذا لأن التبة تتبع النظر فإذا تغير النظر تغيرت التبة وكانوا لا يرون أن يعملوا عملا إلا بنية لهم بأن التبة روح العمل وأن العمل بغير نية صادقة رياء وتكلف وهو سبب مقت لاسبب قرب وعلوا أن التبة ليست هي قول القائل بلسانه نويت بل هو انبعاث القلب يجرى مجرى الفرح من الله تعالى فقد تيسر في بعض الأوقات وقد تعذر في بعضها ، نعم من كان الطالب على قلبه أمر الدين تيسر عليه في أكثر الأحوال إحضار التبة للخيرات فان قلبه مائل بالجملة إلى أصل الخير فينبعث إلى التفاصيل غالبا ومن مال قلبه إلى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له في القرض إلا بمجدد يمد يده إليه أن يذكر النار ويغدر نفسه عقابها أو نعيم الجنة ويرغب نفسه فيها فرعما تفتت له داعية ضعيفة فيكون ثوابه بقدر رغبته ونيته وأما الطاعة على نية لإجلال الله تعالى لاستحقاقه الطاعة والميوعة فلا تيسر للرغبة في الدنيا وهذه أعز النيات وأعلاها ويسر على بساط الأرض من يفهمها فضلا عن يعاطاها ونيات الناس في الطاعات أقسام إذ منهم من يكون عمله إجابة لباعث الخوف فإنه يبقى النار ومنهم من يعمل إجابة لباعث الرجاء وهو الرغبة في الجنة وهذا وإن كان نازلا بالإضافة إلى قصد طاعة الله وتعظيمه لذاته ولجلاله لا لأمر سواه فهو من جملة نيات الصحيحة لأنهم إلى الوعود في الآخرة وإن كان من جنس الأولويات في الدنيا وأغلب البواعث باعث الفرج والبطن وموضع قضاء وطرحها الجنة فالعامل لأجل الجنة عامل لبطنه وفرجه كالأجير السوء ودرجته درجة البله وإنه لينالها بعمله إذا كثرت أهل الجنة إليه وأما عبادة ذوى الألباب فإنها لا تجاوز ذكر الله تعالى والفكر فيه جبالا للحوال وهوائا الأعمال تكون مؤكدات وروادف وهؤلاء أرفع درجة من الالفتات إلى النكسح والطعوم في الجنة فانهم لم يقصدوها بل هم الذين يدعون ربهم بالتسادة والتمنى يريدون وجهه قسوط ثواب الناس بقدر نياتهم فلا جرم يقتسمون بالنظر إلى وجهه الكريم ويسخرون ممن ينفث إلى وجهه الحور العين كالسخر للتمتع بالنظر إلى الحور العين مما يقتسم بالنظر إلى وجه الصور للصنوعة من الطين بل أشد فإن التفاوت بين جمال حضرة الربوبية وجمال الحور العين أشد وأعظم كثيرا من التفاوت بين جمال الحور العين والصور للصنوعة من الطين بل استعظام النفوس البهيمية الشهوانية لقضاء الوطرن من عاطلة الحسان وإعراضهم عن جمال وجه الله الكريم يضاهي استعظام الخنفساء لصاحبها وإلهائها وإعراضها عن النظر إلى جمال وجوه النساء فسمى أكثر القلوب عن إحصار جمال الله وجلاله يضاهي عن الخنفساء عن إدراك جمال النساء لأنها لا تنظر به أصلا ولا تلفت إليه ولو كان لها عقل وذكر لها لا تحسنت عقل من ينفث إليهن - ولا يزالون مختلفين - كل حزب بما لديهم فرحون - ولذلك خلقهم -

التحدير وذلك أن  
الشكر نعمة من  
الله يجب الشكر  
عليها وفي أخبار داود  
عليه السلام إلى  
كيف أشكرك وأنا  
لا أستطيع أن  
أشكرك إلا بنعمة  
تأتي من نعمك فأوحى  
الله إليه إذا عرفت  
هذا قد شكرتني  
ومعنى الشكر في اللغة  
هو الكشف والالتهاز  
يقال شكر وكثير  
إذا كشف عن قعر  
وأظهره فشر النعم  
وذكرها وتصددها  
بالشان من الشكر  
وباطن الشكر أن  
تستعين بالنعم على  
الطاعة ولا تستعين بها  
على النعمة فهو شكر

حكى أن أحمد بن خضرويه رأى ربه عز وجل في المنام فقال له كل الناس يطلبون مني الجنة إلا أبا زيد فان يطلبنى ورأى أبو زيد ربه في المنام فقال يارب كيف الطريق إليك فقال أترك نفسك وتعال إلي . ورؤى الشبلى بعد موته في المنام فيقول له ما فعل الله بك فقال لم يطالبني على الدعوى بالبرهان إلا على قول واحد قلت يوما أي خسارة أعظم من خسران الجنة فقال أي خسارة أعظم من خسران لقائي والغرض أن هذه الثبات متفاوتة الدرجات ومن غلب على قلبه واحدة منها ربما لا يتيسر له الدخول إلى غيرها ومعرفة هذه الحقائق تورث أعمالا وأفعالا لا يستكرها الظاهريون من الفقهاء فاقول من حضرت له نية في مباح ولم تحضر في فضيلة المباح أولى وانتقلت الفضيلة إليه وصارت الفضيلة في حقه بقصة لأن الأعمال بالنيات وذلك مثل العفو فانه أفضل من الانتصار في الظلم وربما تحضر نية في الانتصار دون العفو فيكون ذلك أفضل ومثل أن يكون له نية في الأكل والشرب والنوم ليرجع نفسه ويتقوى على العبادات في المستقبل وليس تثبت نيته في الحالين للصوم والصلاة فالأكل والشرب والنوم هو الأفضل له بل لو مل العادة لمواظبته عليها وسكن نشاطه وضمت رغبته وعلم أنه لو ترفسا ساعة لم يوحده عاد نشاطه فالله أفضل له من الصلاة . قال أبو الدرداء : إنى لأستجمل نفسي بشئ من الله فيكون ذلك عوناً لي على الحق وقال علي كرم الله وجهه وروحو القلوب قائماً إذا كرهت عيباً وهذه دقائق لا يدركها إلا بحسرة العلماء دون الحشوية منهم بل الحاذق بالطلب قد يجالج المحرور بالجمع مع حرارة توسعته القاصر في الطلب وإنما ينبغي به أن يجد أولاً قوته ليحتمل العالجة بالفسد والحاذق في لعب الشرط ربح مثلاً قد يزل عن الرخ والقرس مجاناً ليتوصل بذلك إلى القلب والضعف البصري قد يشك به ويتعجب منه وكذلك الحجير بالقتال قد يفر بين يدي قربه ويوله دبره حيلة منه ليستجره إلى مضيق فيسكر عليه فيقره فكذلك سلوك طريق الله تعالى كله قتال مع الشيطان ومعالجة القلب والبصر للوقوف يقف فيها على لطائف من الحيل يستبدها الضعفاء فلا ينبغي للعبد أن يضمر إنكاراً على ما رآه من شيعة ولا لاعتمال أن يتراض على استناده بل ينبغي أن يقف عند حد بصيرته وما لا يهيم به من أحوالهما بإسماعه لهما إلى أن يشكشكف له أسرار ذلك بأن يبلغ رتبتهما وينال درجتهما ومن الله حسن التوفيق .

( الباب الثاني في الاخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته )

( فضيلة الاخلاص )

قال الله تعالى - وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين - وقال - ألافه الدين الخالص - وقال تعالى - إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله - وقال تعالى - فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً - ثلاث فيمن يعمل لله ويجب أن يخلص عليه وقال النبي صلى الله عليه وسلم « ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله <sup>(١)</sup> » وعن مصعب بن سعد عن أبيه قال « ظن أبي أن له فضلاً على من هو دونه من أصحاب رسول الله <sup>(ص)</sup> فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما نصر الله عز وجل هذه الأمة بضغائنا ودعوتهم وإخلاصهم وصلاتهم <sup>(٢)</sup> » وعن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى الاخلاص سر من سرى استودعته قلب من

( الباب الثاني في الاخلاص )

(١) حديث ثلاث لا يغل عليهن قلب رجل مسلم إخلاص العمل لله الترمذي وصححه من حديث النعمان بن بشير (٢) حديث مصعب بن سعد عن أبيه أنه ظن أن له فضلاً على من دونه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم إنما نصر الله هذه الأمة بضغائنا ودعوتهم وإخلاصهم رواه النسائي وهو عند البخاري بلفظ هل تصرون وترزقون إلا بضغائكم .

النعمة . وصحمت شيئاً

رحم الله يشد عن

بعضهم :

أوليتي نعماً أبوح

بشكرها

وكيفيتي كل الأمور

بأسرها

فلا شكرنك ما حبيت

وإن أمت

فلتشكرنك أعظمي

في قبرها .

قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم

« أول من يدعى إلى

الجنة يوم القيامة الذين

يحمدون الله في السراء

والضراء . » وقال

رسول الله صلى الله عليه

وسلم « من ابتلى فصر

وأعطى فشكر وعظم

فغفر وعظم فاستغفر »

قيل لما باله قال « أولئك

أحببت من عبادي <sup>(١)</sup> » وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه لاتبهوا اقله العمل واهتموا بالذبول فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لمعاد بن جبل «أخلص العمل يحركه من القليل <sup>(٢)</sup> » وقال عليه السلام «مامن عبد يخلص لله العمل أربعين يوما إلا ظهرت بنابيع الحكمة من قلبه على لسانه <sup>(٣)</sup> » وقال عليه السلام «أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم فيقول الله تعالى ما صنعت فيما علفت فيقول يارب كنت أقوم به آتاه اللبيل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان عالم ألا فقد قيل ذلك ورجل آتاه الله ما لا فيقول الله تعالى لقد أمنت عليك فإذا صمت يقول يارب كنت أتصدق به آتاه اللبيل وأطراف النهار فيقول الله تعالى كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان جواد ألا فقد قيل ذلك ورجل قد نزل في سبيل الله تعالى فيقول الله تعالى ماذا صنعت فيقول يارب أمرت بالجهاد فقاتلت حتى قتلت فيقول الله كذبت وتقول لللائكة كذبت بل أردت أن يقال فلان شجاع ألا فقد قيل ذلك قال أبو هريرة ثم خطب رسول الله ﷺ على غزدي وقال يا أيها البراءة أول خلق تسمرنار جهنم بهم يوم القيامة <sup>(٤)</sup> » فدخل راوي هذا الحديث على معاوية وروى له ذلك فسكى حتى كادت نفسه تزهر في ثم قال صدق الله إذ قال - من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها الآتي في الاسرائيليات أن عابدا كان يعبد الله دهرا طويلا فجاء قوم فقالوا إنهم أقوم ما يبدون شجرة من دون الله تعالى فغضب لذلك وأخذ فأسه على عاتقه وقصد الشجرة ليقطعها فاستقبله إبليس في صورة شيطان فقال أين تريد ربك فقال الله قال أريد أن أقطع هذه الشجرة قال وما أنت وذا الذي تركت عبادتك واشتغالك بنفسك ونفرتك لغير ذلك فقال إن هذا من عبادي قال فإني لأتركك أن تقطعها فأتاه العابد فقطر على إلى الأرض وقصد على صدره فقال له إبليس أطلقني حتى أأكلك فقال عني فقال إبليس يا هذا إن الله تعالى قد أقطعك هذا ولم يفرضه عليك وما تبديها أنت وما عليك من غيرك وفيه تعالى أنبياء في أقاليم الأرض ولوشاء بعثهم إلى أهلها وأمرهم بقطعها فقال العابد لا بد لي من قطعها فإبذ للقتال فغلبه العابد وصرعه وقصد على صدره فصجز إبليس فقال له هل لك في أمر فصل بيتي وبينك وهو خير لك وأشجع قال وما هو قال أطلقني حتى أقول لك فأطلقه فقال إبليس أنت رجل فقير لا شيء لك إنما أنت كل على الناس ببولوك ولعلك تحب أن تتفضل على إخوانك وتواسي جيرانك وتتبع وتستنق عن الناس قال نعم قال فارجع عن هذا الأمر ولاك على أن أجعل عند رأسك في كل ليلة دينارين إذا أصبحت أخذتهم فأنتفتحت على نفسك وعيالك وتصدقت على إخوانك فيكون ذلك أنفع لك وللمسلمين من قطع هذه الشجرة التي يفرس مكانها ولا يضرهم قطعها شيئا ولا ينفع إخوانك المؤمنين قطعك إياها ففكر العابد فيها قال وقال صدق الشيخ لست بنبي فيلزم قطع هذه الشجرة ولأمرني الله أن أقطعها فأكون عاصيا بتركها

(١) حديث الحسن مرسل يقول الله تعالى الإخلاص سر من سرى استودعته قلب من أحببت من عبادي رويناه في جزء من مسلات القزويني مسلا يقول كل واحد من رواه سألت فلانا عن الإخلاص فقال وهو من رواية أحمد بن عطاء المجيمي عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن الله تعالى وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك وهما من الزهاد ورواه أبو القاسم القشيري في الرسالة من حديث علي بن أبي طالب بسند ضيف (٢) حديث أنه قال لمعاد أخلص العمل يحركه من القليل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث معاذ وإسناده منقطع (٣) حديث مامن عبد يخلص لله أربعين يوما ابن عدي ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات عن أبي موسى وقد تضمن (٤) حديث أول من يسئل يوم القيامة ثلاثة رجل آتاه الله العلم الحديث وقد تقدم .

لحم الأمن وم  
مهندون . وقال  
المنيد فرض الشكر  
الاعتراف بالعلم القلب  
واللسان . وفي الحديث  
«أفضل الذكر لإله  
إلا الله وأفضل الدعاء  
الحمد لله» . وقال بعضهم  
في قوله تعالى - وأسبغ  
عليك نعمه ظاهرة  
وباطية - قال الظاهرة  
العواقي والنفى والباطية  
السلوى والفقر  
فان هذه نعم أخروية  
لما يستوجب بها من  
الجسراء . وحقيقة  
الشكر أن يرى جميع  
القضى له به نعمًا غير  
ما يضره في دينه لأن  
الله تعالى لا يقضى للعبد  
للمؤمن شيئًا إلا أوهو  
نعمته حق فإما عاجلة

وما ذكره أكثر من نفعه فاضده على الوفا، بذلك وحاف له فرجع العابد إلى متعبه فبات فلما أصبح رأى دينار بن عبد راسه فأخذها وكذلك الدنم أصبح اليوم الثالث وما بعد فمريشاً فغضب وأخذ رأسه على عاتقه فاستقبله إبليس في سورة شيخ فقال له إلى أين؟ قال أقطع تلك الشجرة فقال كذبت والله ما أنت بقادر على ذلك ولا سبيل لك إليها قال فتناوله العابد ليفعل به كاذل أول مرة فقال هبرات فأخذه إبليس وصرعه فاذا هو كالصقور بين رجله وقعد إبليس على صدره وقال لتتبين عن هذا الأمر أولاً وغلقتك فنظر العابد فاذا لاطاقة له به قال يا هذا غلقتي غلقت عني وأخبرني كيف غلقتك أولاً وغلقتي الآن فقال لأنك غضبت أول مرة لله وكانت نيتك الآخرة ففسخني الله لا والله المرة غضبت لنفسك وللدينا فصرعتك وهذه الحساكيات تصديق قوله تعالى - لإعبادك منهم المخلصين - فإذا لا يتخلص اليه من الشيطان إلا بالأخلاص ولذلك كان معروف السرخي رحمه الله تعالى يضرب نفسه ويقول يا نفس أخلصي تخلصي . وقال بقوب للكفوف : المخلص من يكتم حسنة كما يكتم سيئانه . وقال سليمان : طوبى لمن صحت له خطوة واحدة لا يريد بها إلا الله تعالى ، وكتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى أبي موسى الأشعري : من خلعت نيتك كفاء الله تعالى ما بينه وبين الناس ، وكتب بعض الأولياء إلى أخ له أخلص البية في أتمالك بكفك القليل من العمل . وقال أيوب السخنياني : تخليص النيات على المال أشد عليهم من جميع الأعمال ، وكان مطرف يقول من صفا صني له ومن خلط خلط عليه . وروى بعضهم في التمام قيل له كيف وجدت نفسك؟ فقال كل شيء عملته لله ووجدته حتى حبة رمان لقطتها من طريق وحتى هرة ماتت لنا رأيتها في كفة الحسان وكان في قلنسوتي خيط من حرير فرائيته في كفة السيئات وكان قد تقى حمالي فتمتامة دينار فصاريت له ثوباً فقلت موت سنور في كفة الحسان وموت حمالي في ثوبها فقلت له إنه قد وجه حيث يمشي به فانه لما قيل لك قد مات قلت في لعة الله فيطأ أجرك فيه ولوقفت في سبيل الله لوجدته في حسناك . وفي رواية قال وكتب قد صدقت بصدقة بين الناس فأجبتني نظرم إلى فوجدت ذلك لاطي ولالي . قال سفيان لما سمع هذا ما أحسن حاله إذ لم يكن عليه نقد أحسن إليه . وقال يحيى بن معاذ : الاخلاص يميز العمل من العيوب كتمييز اللبن من الثرى والحلم ، وقيل كان رجل يخرج في زى النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس أو مأتم فاتفق أن حضر يوماً موضعاً فيه جمع للنساء فصرقت درة فصاحوا أن أعلقوا الباب حتى تفتش فكلوا يقتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة إلى الرجل وإلى امرأة معه فدعا الله تعالى بالأخلاص وقال إن نجوت من هذه القضية لأعود إلى مثل هذا فوجدت الدرة مع تلك المرأة فصاحوا أن أطلقوا الحرة فقد وجدنا الدرة . وقال بعض الصوفية : كنت قائماً مع أبي عبيد التستري وهو يحرق أرضه بعد العصر من يوم عرفة فمر به بعض إخوانه من الأبدال فساره بشي فقال أبو عبيد لا ، فمر كالمسحاح يمسح الأرض حتى غاب عن عيني فقلت لأبي عبيد ما قال لك؟ فقال سألتني أن أحج معك قلت لا قلت فم لا فمات؟ قال ليس لي في الحج نية وقد زويت أن أتم هذه الأرض العتية فأخاف إن حججت معه لأجله تمرضت لمقت الله تعالى لأنني أدخل في عمل الله شيئاً غيره فيكون ما أنا فيه أعظم عندي من سبعين حجة . وروى عن بعضهم قال : غزوت في البحر ففرض بسفنا فخلة فقلت أشرتها فأنقذ بها في غزوى فاذا دخلت مدينة كذا بسفنا فبرحت فيها فاشترتها فرأيت تلك البيلة في اليوم كأن شخصين قد نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه اكتب المرأة فأملى عليه خرج فلان منزهاً وفلان مراثياً وفلان تاجراً وفلان في سبيل الله ثم نظروا إلى وقال اكتب فلان خرج تاجراً فقلت

بمرها وبفهمها وإما آجلة بما غضى له من الكار كما أن تكون درجة له أو تمحيصاً أو تكفيراً فاذا علم أن مولاه أنصح له من نفسه وأعلم بمصالحه وأن كل ماله نعم قد شكر .

[قوله في الخوف]  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رأس الحكمة مخافة الله»  
وروى عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال «كان داود النبي عليه السلام يوده الناس يظنون أن به مرضاً وما به مرض إلا خوف الله تعالى والحيا منه»  
قال أبو عمر الدمشقي الخائف من يخاف من

الله في أمرى ما خرجت أنجر وما معى تجارة أنجر فيها ما خرجت إلا لآلئى وقال يا شيع قد اشتريت أمس عملة تريد أن ترع فيها فكبت وقالت لا تسكتبونى تاجرنا فظفر إلى صاحبه وقال ما نرى فقال اكتب خرج الثلاث غاربا إلا أنه اشترى في طريقه عملة ليرع فيها حتى يحكم الله عز وجل فيه بما يرى . وقال سرى السقطى رحمه الله تعالى : لأن تعلى ركعتين في خلوة تغلظهما خير لك من أن تسكتب سبعين حديثا أو سبعائة بعلو . وقال بعضهم في إخلاص ساعة نخاة الأبد ولكن الإخلاص عزيز ويقال العلم بذنر والعمل بزرع وماؤه الإخلاص . وقال بعضهم إذا أخض الله عبدا أعطاه ثلاثا ومنعه ثلاثا أعطاه محبة الصالحين ومنعه القبول منهم وأعطاه الأعمال الصالحة ومنعه الإخلاص فيها وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها . وقال السوسى : مراد الله من عمل الخلاق الإخلاص فقط . وقال الجديد : إن لله عبادا فعلموا عقلا وعملوا فدا عملوا أخلاصا فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البر أجمع . وقال محمد بن سعيد للروزي : الأمر كله يرجع إلى أصلين قل من بك وفعل منك له فترضى ما فعل وتخلص فيها تعمل فاذن أنت قد سعدت بهذين وفزت في الدارين .

### ( بيان حقيقة الإخلاص )

اعلم أن كل شيء يتصور أن يشوبه غيره فإذا صفا عن شوبه وأخلص عنه سمى خالصا ويسمى الفعل النصف الخامس إخلاصا قال الله تعالى - من بين فرت ودم لنا خالصا سائغا للشاربين - فالتخلص هو التخلص من الشوب أن لا يكون فيه شوب من الدم والفرت ومن كل ما يمكن أن يمزج به والاختلاص بضاده الاشتراك فمن ليس مخلصا فهو مشترك إلا أن المشترك درجات فالإخلاص في التوحيد بضاده التثريبك في الإلهية والشرك منه خفى ومنه جلى وكذا الإخلاص والاختلاص وضده يتواردان على القلب فحله القلب وإنما يكون ذلك في التصود والبيات وقد ذكرنا حقيقة التبة وأنها ترجع إلى إجابة البواعث فمهما كان الباعث واحدا على التجرد سمى الفعل الصادر عنه إخلاصا بالإضافة إلى النوى فمن تصدق وغرضه محض الرياء فهو محاس ومن كان غرضه محض التقرب إلى الله تعالى فهو مخلص ولكن العادة جارية بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب كما أن الاتحاد عبارة عن الليل ولكن خصصته العادة بالليل عن الحق ومن كان غايته مجرد الرياء فهو معرض للهلاك ولما تسلكم فيه إذ قد ذكرنا ما يتعلق به في كتاب الرياء من ربيع للهالكات وأقل أمور ماورد في الخبر من « إن الراى يدعى يوم القيامة بأربع أمامه رأى بالحادع بآءه شرك يا كافر (١) » وإنما تسلكم الآن فيمن انبث لغرض التقرب ولكن أفرج بهذا الباعث آخر إما من الرياء أو من غيره من حظوظ النفس ومثال ذلك أن يصوم ليتفتح بالحمية الحاصلة بالصوم مع قصد التقرب أو يمتن عبدا ليتخلص من مؤنته وسوء خلقه أو يحج ليصح مزاجه بحركة السفر أو يتخلص من شر يعرض له في بلد أو ليهرب من عدو له في منزل أو يترحم بأهله وولده أو يشغل هو فيه فأراد أن يستريح منه أياما أو لينزو ولجارس الحرب ويتعلم أساليبها ويقدر به على تهنة الساكر وجرها أو يصلى بالليل وله غرض في دفع الناس عن نفسه به ليراق أهله أو رحله أو يتم العلم ليسهل عليه طلب ما يكفيه من المال أو ليكون عززا بين المشركين أو ليسكون عقاره أو ماله محروسا بمن العلم عن الأطماع أو اشتغل بالدرس والوعظ ليتخلص عن كرب الصحة ويترجى بركة الحديث أو تسكفل بجنمة الماء والصوفية لتكون حرمته وافرقة عندهم وعند الناس أو ليئال يرفقوا الدنيا

(١) حديث إن الراى يدعى يوم القيامة بأمران بالحادع الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب السنة

والإخلاص وقد تقدم .

نفسه أكثر مما يخاف من الشيطان . وقال بعضهم ليس الخائف من ربك ويسبح عبيته ولكن الخائف التارك لما يحلف أن يعذب عليه . وقيل الخائف الذى لا يخاف غير الله قيل أى لا يخاف لنفسه إنما يخاف إحلالا له والحوف للنفس خوف العقوبة . وقال سهل الخوف ذكر والرحاء أنى أى منها تتولد حقائق الإيمان . قال الله تعالى - ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله - فإله هذه الآية قطب القرآن لأن مدار

أو كتب مصحفا ليجود ملاحظة على الكتابة خطه أو حج ماشيا ليخفف عن نفسه الكراء أو تواضعا  
ليتذلل أو يتبرد أو اعتسلا لتنظيف راحته أو روى الحديث ليعرف به أو الاسناد أو اعتسكف في المسجد  
ليخفف كراء السكن أو صام ليخفف عن نفسه التردد في طبع الطعام أو ليخرج لأعماله فلا يشغله  
الأكل عنها أو تصدق على السائل ليقطع إبراهيم في السؤال عن نفسه أو يعود مريضاً ليعاد إذا مرض  
أو يشيع جنازة ليشيع جنازة أهله أو يفعل شيئا من ذلك ليعرف بالحير وينذكر به وينظر إليه بين  
الصالح والوفار فلهما كان باعثه هو التقرب إلى الله تعالى والسكن انضاف إليه خطرة من هذه  
الخطرات حتى صار العمل أخف عليه بسبب هذه الأمور فقد خرج عمله عن حد الاخلاص وخرج  
عن أن يكون خالصا لوجه الله تعالى وتطرق إليه الشرك وقد قال تعالى «أنا أغنى الشركاء عن الشرك»  
وبالجملة كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ويعيل إليه القلب قل أم كثر إذا تطرق  
إلى العمل تشكدر به مفوء وزال به إخلاصه والإنسان مرتبط في حظوظه بنفسه في شبهاته قلما  
يفتق فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذه الأجناس فلذلك  
نبه من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا وذلك لعرة الاخلاص وعسر تفتية القلب  
عن هذه الشوائب بل الخالص هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى وهذه الحظوظ  
إن كانت هي الباعثة وحدها فلا يخفى شدة الأمر على صاحبه فيها وإنما انظرنا فيها إذا كان القصد  
الأصلي هو التقرب وانضافت إليه هذه الأمور ثم هذه الشوائب إما أن تكون في رتبة الواو أو في  
رتبة الميم أو في رتبة اللام أو في رتبة الهمزة كما سبق في التنية ، وبالجملة فاما أن يكون الباعث النفس مثل الباعث  
الذيني أو أقوى منه أو أضعف ولكل واحد حكم آخر كما سنبينه وإنا الاخلاص تخلص العمل  
عن هذه الشوائب كلها قليلا وكثيرا حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواء وهذا  
لا يتصور إلا من عجب لله مستتر بالله مستترق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا في قلبه فقرر حتى  
لا يحب الأكل والشرب أيضا بل تكون رغبته فيه كرهية في قضاء الحاجة من حيث إنه ضرورة والجملة  
فلا يشترى الطعام لأنه طعام بل لأنه يقويه على عبادة الله ويتنى أن لو كفى شر الجوع حتى لا يحتاج  
إلى الأكل فلا يبقى في قلبه حظ من العضول الزائدة على الضرورة ويكون قدر الضرورة مطلقا بعبده  
لأنه ضرورة دينه فلا يكون له هم إلا الله تعالى فمثل هذا الشخص لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان  
خالص العمل صحيح الية في جميع حركاته وسكناته فلو نام مثلا حتى يرجع فله ليتقوى على العبادة بعده  
كان نومه عبادة وكان له درجة الخاصة فيه ومن ليس كذلك فباب الاخلاص في الأعمال مسدود  
عليه إلا على الدور وكما أن من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاستسببت حركاته الاعتبادية صفة همه  
وصارت إخلاصا فالتى يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة ، وبالجملة غير الله فقد استسببت جميع  
حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عباداته من صوم وصلاة وغير ذلك إلا نادرا فإذا نزل علاج الاخلاص كسر  
حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث يغلب ذلك على القلب فاذ ذاك يتيسر  
الاخلاص وكل من أهمل شعب الإنسان فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها مغرورا ولا يهتدي  
وجه الآفة فيها كما حكى عن بعضهم أنه قال قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صليتها في المسجد في الصف الأول  
لأن تأخرت يوما لعذر فصليت في الصف الثاني فاعتزنت بحجلة من الناس حيث رأوني في الصف الثاني  
فعرفت أن نظر الناس إلي في الصف الأول كان مسرورا وسبب استراحة قلبي من حيث لا أشعر وهذا دقيق  
غامض قلما تسلم الأعمال من أمثاله وقل من يتذلل له إلا من وثقه الله تعالى والعاقلون عنه يرون حسناتهم كلها في  
الآخر تسببات وهم الرادون بقوله تعالى - وبذلهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - وبذلهم سيئات ما كتبوا -

الأمر كله على هذا .  
وقيل إن الله تعالى جمع  
للمؤمنين ما فرقه على  
المؤمنين وهو الهدى  
والرحمة والعلم  
والرضوان فقال تعالى  
- هدى ورحمة للأئمة  
هم لرهم يربون -  
وقال - إنما يحى الله  
من عباده العلماء -  
وقال - رضى الله عنهم  
ورضوا عنه ذلك لمن  
غنى ربه - . وقال  
سهل: كمال الإيمان بالعلم  
وكمال العلم بالخوف .  
وقال أيضا: العلم كسب  
الإيمان والخوف  
كسب المعرفة . وقال  
فوالنون: لا يسقى الحب  
كأس الحبة إلا من بعد  
أن ينضج الحبوب فيه .  
وقال فضيل بن عياض

ويقوله تعالى - قل هل ينشك بالآخرين أعمالا الدين صلّ معهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا - وأشدّ الخلق تمرضا لهذه الفئة العلماء فإن الباعث الأكثرين على نشر العلم للذة الاستيلاء والفرح بالاستتباع والاستبشار بالحمد والتناء والسيطان يلبس عليهم ذلك ويقول غرضكم نشر دين الله والنضال عن الشرع الذي شرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتزى الواعظين على الله تعالى بنصيحة الخلق ووعظه لسلطين ويفرح بقبول الناس قوله وإقبالهم عليه وهو يدعى أنه يفرح بما يسره من نصرة الدين ولوطيهم من أفرانه من هو أحسن منه وعظا وانصرف الناس عنه وأقبلوا عليه ساءه ذلك وغمه ولو كان باعث الدين لشكر الله تعالى إذ كفاه الله تعالى هذا الملم بغيره ثم الشيطان مع ذلك لا يغلبه ويقول إنما حرك لا تقطاع الثواب عنك لا لانصراف وجوه الناس عنك إلى غيرك إذ لو اتعظوا بقولك لكنت أنت الثواب واعتمالك لقوات الثواب محمود لا يدرى للسكين أن اتياده للحق وتسليمه الأمر أفضل وأجزل ثوبا وأعود عليه في الآخرة من اتقاهه ، وليت شعري لو اعتمّ عمر رضى الله عنه بتصدع أبي بكر رضى الله تعالى عنه للإمامة أكان غمه محمودا أو مذموما ولا يسترب فؤده أن لو كان ذلك لكان مذموما لأن اتياده للحق وتسليمه الأمر إلى من هو أصلح منه أعود عليه في الدين من تنكفه بإصالح الخلق مع ما فيه من الثواب الجزيل بل فرح عمر رضى الله تعالى عنه باستقلال من هو أولى منه بالأمر ، فما بال العلماء لا يفرحون بمثل ذلك وقد ينخدع بعض أهل العلم بفرور الشيطان فيحدث نفسه بأنه لو ظهر من هو أولى منه بالأمر لفرح به وإخباره بذلك عن نفسه قبل التجربة والامتحان محض الجهل والذور فان النفس سهلة الفياذ في الوعد بأمثال ذلك قبل نزول الأمر ، ثم إذا دهاه الأمر تغير ورجع ولم يصب بالوعود ذلك لا يعرفه إلا من عرف مكاييد الشيطان والنفس وطال اشتغاله بامتئائها ، فعرفة حقيقة الاخلاص والعمل به بحر عميق يشرق فيه الجميع إلا الشاذ النادر والفرذ القذ وهو المستثنى في قوله تعالى - لإعبادكم منهم المخلصين - فليكن العبد شديد التقوى والرفقة لهذه الدقائق وإلا التحق بأتباع الشياطين وهو لا يشعر .

### ( بيان أقاويل الشيوخ في الإخلاص )

قال الوسى : الإخلاص فقد رؤية الإخلاص ، فإن من شاهد في إخلاصه الإخلاص فقد احتاج إخلاصه إلى إخلاص ، وما ذكره إشارة إلى تصفية العمل عن العجب بالفعل فإن الالتفات إلى الإخلاص والنظر إليه محب ؟ وهو من جملة الآفات . والخالص : ماصفا عن جميع الآفات فهذا تمرض لأفة واحدة . وقال سهل رحمه الله تعالى : الإخلاص أن يكون سكون العبد وحركاته لله تعالى خاصة ، وهذه كلمة جامعة محبطة بالعرض وفي معناه قوله إبراهيم بن آدم : الإخلاص صدق النية مع الله تعالى . وقيل لسهل أى شئ أشد على النفس ، فقال : الإخلاص إذ ليس لها فيه نصيب . وقال رويم : الإخلاص في العمل هو أن لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين ، وهذا إشارة إلى أن حظوظ النفس آفة أجلا عاجلا والمابذ لأجل تنعم النفس بالشهوات في الجنة لمول بل الحقيقة أن لا يراد بالعمل إلا وجه الله تعالى وهو إشارة إلى إخلاص الصديقين وهو الإخلاص الطلق . فأما من يعمل لرجاء الجنة وخوف النار فهو مخلص بالإضافة إلى الحظوظ العاجلة وإلا فهو في طلب حظ البطن والفرج وإنما المطلوب الحق تدوى الأبواب وجه الله تعالى فقط ، وهو القائل لا يتحرك الإنسان إلا لحظ والبراءة من الحظوظ صفة الإلهية ، ومن ادعى ذلك فهو كافر . وقد قضى القاضي أبو بكر الباقلاني بتكفير من يدعى البراءة من الحظوظ وقال هذا من صفات

الإلهية وما ذكره حقاً ، ولكن القوم إنما أرادوا به البراءة مما يسيبه الناس حظوظاً ، وهو الشوائب الوسوفة في الجنة فقط . فأما التلذذ بمجرد العرفة والنجاة والنظر إلى وجه الله تعالى . فهذا حظ هؤلاء . وهذا لا يبعد الناس حظاً بل يتنجسون منه . وهؤلاء لوعوضوا عمام فيه من لذّة الطاعة والنجاة وملازمة الشهود للحضرة الإلهية سرّاً وجهراً جميع نعم الجنة لاستحقاقه ولم يلتفتوا إليه لمركبهم لحظ وطاعتهم لحظ ولكن حظهم يعودهم فقط دون غيره . وقال أبو عثمان : الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق فقط وهذا إشارة إلى آفة الرياء فقط وذلك قال بعضهم الاخلاص في العمل : أن لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك فيكتبه فانه إشارة إلى مجرد الاخفاء . وقد قيل الاخلاص : ما ستر عن الخلاق وصفاً عن العلائق وهذا أجمع للمقاصد . وقال المحاسي : الاخلاص هو إخراج الخلق عن معاملة الرب وهذا إشارة إلى مجرد نفي الرياء . وكذلك قول الخواص : من شرب من كأس الرياسة قد خرج عن إخلاص العبودية . وقال الحواريون لمسي عليه السلام : ما الخالص من الأعمال فقال الذي يعمل لله تعالى لا يحب أن يحمده عليه أحد وهذا أيضاً تعرض لترك الرياء . وإنما خصه بالذكر لأنه أقوى الأسباب للشوشة للاخلاص . وقال الجيد : الاخلاص خفية العمل من السكدرات . وقال الفضيل : ترك العمل من أجل الناس رياء والعمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يفايك الله منها . وقيل : الاخلاص دوام المراقبة . ونسيان الحظوظ كلها وهذا هو البيان الكامل والأقوال في هذا كثيرة . ولافائدة في تكبير النقل بعد انكشاف الحقيقة وإنما البيان الناقب يان سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم « إذ سئل عن الاخلاص فقال : أن تقول ربّي الله ثم تستقيم كما أمرت (١) » أي لا تبعد هواك ونفسك ولا تبعد الإبرك وتستقيم في عبادته كما أمرت وهذا إشارة إلى قطع ما سوى الله عن مجرى النظر وهو الاخلاص حقاً .

( بيان درجات الشوائب والآفات السكدرية للاخلاص )

اعلم أن الآفات الشوشة للاخلاص بعضها جلي وبعضها خفي وبعضها ضئيف مع الجلاء وبعضها قوي مع الحفاء ولا يشهم اختلاف درجاتها في الحفاء والجلاء إلا بمثال . وأظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر منه مثالا . فنقول : الشيطان يدخل الآفة على الصلّى مهم ٣٠ مخلصاً في صلاته ثم نظر إليه جماعة أودخل عليه داخل فيقول له حسن صلاتك حتى ينظر اليك هذا الحاضر بين الوقار والصلاح ولا يزدريك ولا يشاك فتخضع جوارحه وتكن أطرافه وتحسن صلاته وهذا هو الرياء الظاهر ولا يخفى ذلك على البتدين من الرديين . الدرجة الثانية يكون الريد تدهم هذه الآفة وأخذ منها حذره فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ويستمر في صلاته كما كان فيأتيه في معرض الخير ويقول أنت متبوع ومقتدى بك ومنظور اليك وماتمله يؤثر عنك ويتأسى بك فترك فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسن وعليك الوزر إن أسأت فأحسن عملك بين يديه فساء يقتدى بك في المشروع وتحسين العبادة وهذا أغصن من الأول وقد ينخدع به من لا ينخدع بالأول وهو أيضاً

(١) حديث سئل عن الاخلاص فقال أن تقول : ربّي الله ثم تستقيم كما أمرت لم أره بهذا اللفظ ولترمذى وصححه وابن ماجه من حديث سفيان بن عباد الله التقي قلت يارسول الله حدثني بأمر أنتصم به قال قل ربّي الله ثم استقم وهو عند مسلم بلفظ : قل لي في الاسلام قولاً لأسأل عنه أحداً بعدك قال قل آمنت بالله ثم استقم .

فبسم الأعزى قال  
الذي سئل الله عليه  
وسلم م ضحك  
بأعزى ؟ فقال  
إن الكريم إذا قدر  
عفا وإذا حاسب  
سامح . وقال شاء  
الكرماني : علامة  
الرجاء حسن الطاعة .  
وقيل : الرجاء رؤية  
الجلال بين الجبال .  
وقيل : قرب القلب  
من ملاطفة الرب .  
قال أبو علي الروذماري :

الحسوف والرجاء  
يكنسهما الطائر إذا  
استويا استوى الطائر  
وتنم في طيرانه . قال  
أبو عبد الله بن خفيف :  
الرجاء ارتياح القلوب  
لرؤية كرم المرجو .  
قال مطرف : لو

عين الرياء ومبطل للإخلاص فإنه إن كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيرا لا يرضى لغيره تركه فلم يرض لنفسه ذلك في الخلوة ولا يمكن أن تكون نفس غيره أعز عليه من نفسه فهذا بعض التلبس بل القندي به هو الذي استقام في نفسه واستقام قلبه فانتشر نوره إلى غيره فيكون له ثواب عليه فأما هذا فبعض النفاق والتلبس فمن اتقى به أتى به عليه . وأما هو فيطالب بتلبس مواسق في إظهاره من نفسه ما ليس متصفا به . الدرجة الثالثة وهي أدق مما قبلها أن يجرب العبد نفسه في ذلك ويتنبه لكيد الشيطان ويعلم أن مخالفة بين الخلوة والشاهدة فبعض الرياء ويعلم أن الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في اللأ ويستحي من نفسه ومن ربه أن يتخضع لمشاهدة خلقه تخشعا زائدا على عادته فيقبل على نفسه في الخلوة ويحسن صلاته على الوجه الذي يرضيه في اللأ ويصلي في اللأ أيضا كذلك فهذا أيضا من الرياء النافس لأنه حسن صلاته في الخلوة لتحسن في اللأ فلا يكون قد فرق بينها فالتفاتة في الخلوة واللأ إلى الخلق بل الإخلاص أن تكون مشاهدة الهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة فكان نفس هذا ليست تسمح بإساءة الصلاة بين أظهر الناس ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة الرائيين ويظن أن ذلك يزول بأن تستوى صلاته في الخلوة وللأوهيات بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجادات في الخلوة وللأجيا وهذا من شخص مشغول المهمل بالخلق في اللأ والخلوة جميعا وهذا من الكساية الخفية للشيطان . الدرجة الرابعة هي أدق وأخفى أن ينظر إليه الناس وهو في صلاته فيحجز الشيطان عن أن يقوله اشغ لأجلهم فإنه يعرف أنه تعذر لذلك فيقول له الشيطان تذكر في عظمة الله تعالى وجلاله ومن أنت واقف بين يديه واستحي من أن ينظر الله إلى قلبك وهو غافل عنه فيحضر بذلك قلبه وتخضع جوارحه ويظن أن ذلك عين الإخلاص وهو عين السكر والحداد فان خشوعه لو كان نظره إلى جلالة لكانت هذه الحظرة تلزمه في الخلوة ولكن لا تخشع حضورها بحالة حضور غيره وعلامة الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الحاضر مما ياله في الخلوة كأياله في اللأ ولا يكون حضور الغير هو السبب في حضور الحاضر كما لا يكون حضور البهيمة سببا لما دام يفرق في أحواله بين مشاهدة إنسان ومشاهدة بهيمة فهو بعد خارج عن صفو الإخلاص مدنى الباطن بالشرك الخفي من الرياء ، وهذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم من ديب التلعة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء (١) كما ورد به الخبر ، ولا يسلم من الشيطان إلا من دق نظره وسعد بسمه الله تعالى وتوفيقه وهدايته وإلا فالشيطان ملازم للمتشرعين لعبادة الله تعالى لا يشغل عنهم لحظة حتى يحلمهم على الرياء في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وطيب يوم الجمعة ولبس الثياب فان هذه سنن في أوقات مخصوصة والنفس فيها حظ خفي لا يرتبط بنظر الخلق بها ولا استئناس الطبع بها فيدعوه الشيطان إلى فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي أن تتركها وتكون انبعاث القلب لما لها لأجل تلك الشهوة الخفية أو مشوبة بها شوب يخرج عن حد الإخلاص بسببه وما لا يسلم من هذه الآفات كلها فليس بخالص بل من يعتكف في مسجد مع مورنظيف حسن العمارة بأنس إليه الطبع فالشيطان يرغبه فيه ويكثر عليه من فضائل الاعتكاف وقد يكون المحرك الخفي في سره هو الأنس بحسن صورة السجد واستراحة الطبع إليه ويتبين ذلك في ميله إلى أحد السجدين أو أحد اللوذين إذا كان أحسن من الآخر وكل ذلك امتزاج بشوائب الطبع وكدورات

(١) حديث الشرك أخفى في قلب ابن آدم من ديب التلعة السوداء في الظلمة الظلماء على الصخرة تقدم في العلم وفي ذم الجاه والرياء .

وزن خوف اللؤمن  
ورجاء الاعتدلا .  
والخسوف والرجاء  
للإيمان كالجناحين  
ولا يكون خافا إلا  
وهو راج ولا راجيا  
إلا وهو خائف لأن  
موجب الخوف الإيمان  
وبالإيمان رجاء  
وموجب الرجاء الإيمان  
ومن الإيمان خوف  
ولهذا المعنى روى  
عن لقمان أنه قال  
لا به خف الله تعالى  
خوفا لا تأمن فيه  
مكره وارجع أشد من  
خوفك ، قال فكيف  
أستطيع ذلك وإني  
في قلب واحد ؟ قال  
أما علمت أن اللؤمن  
لقدو قلبين يخاف  
بأحدهما ويرجو

النفس ومبطل حقيقة الاخلاص لصمى النفس الذى يمزج بخالص الذهب له درجات متفاوتة فيها مايلب ومنها مايقبل لكن يسهل فذكره ومنها مايدق بحيث لايدركه إلا الناقد البصير وغشى الغائب ودغل الشيطان وخبت النفس أغشى من ذلك وأدق كثيرا ، ولهذا قيل ركنان من عالم أفضل من عبادة سنة من جاهل وأريد به العالم البصير بدقائق آفات الأعمال حتى يخلص عنها فإن الجاهل انظره إلى ظاهر العبادة واغتراره بها كنظر السوادى إلى حمرة الدنار الموهو واستدارته وهو مشوش زائف فى نفسه وقبراط من الخالص الذى يرتضيه الناقد البصير خير من دنار يرتضيه الغر الذى فهكذا يتفاوت أمر العبادات بل أشد وأعظم ومداخل الآفات الشطرنج إلى فنون الأعمال لا يمكن حصرها وإحصاؤها فليتنع بما ذكرناه مثالا والقطع بغيبه القلب عن الكثير والبليد لا يضيئه التطويل أيضا فلا فائدة فى التصيل .

### ( بيان حكم العمل للشوب واستحقاق الثواب به )

اعلم أن العمل إذا لم يكن خالصا لوجه الله تعالى بل امتزج به شوب من الرياء أو حظوظ النفس فقد اختلف الناس فى أن ذلك هل يقتضى ثوابا أم يقتضى عقابا أم لا يقتضى شيئا أصلا فلا يكون له ولا عليه وأما الذى لم يرد به إلا الرياء فهو عليه قطعا وهو سبب القتل والعقاب . وأما الخالص لوجه الله تعالى فهو سبب الثواب وإنما النظر فى للشوب وظاهر الأخبار تدل على أنه لا ثواب له (١) وليس تخلو الأخبار عن تعارض فيه والذى يتقدم لما فيه والعالم عند الله أن ينظر إلى قدر قوة الباعث فإن كان الباعث الذى مساويا للباعث النفسى تقاوما وتساقتا وصار العمل لا له ولا عليه وإن كان باعث الرياء أغلب وأقوى فهو ليس بانفع وهو مع ذلك مضر ومنفع للعقاب نعم العقاب الذى فيه أخف من عقاب العمل الذى تجرد للرياء ولم يمتزج به شائبة التقرب وإن كان قصد للتقرب أغلب بالإضافة إلى الباعث الآخر فله ثواب بقدر ما فضل من قوة الباعث الدينى وهذا لقوله تعالى - فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - ولقوله تعالى - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها - فلا يقتضى أن يضيع قصد الخير بل إن كان غالبا على قصد الرياء حبط منه القدر الذى يساويه وبقيت زيادة وإن كان مغلوبا سقط بسببه شيء من عقوبة القصد الفاسد وكشف الغطاء عن هذا أن الأعمال تأثيرها فى القلوب بتأكيده صفاتها فداعية الرياء من الهلكات وإنما غذاء هذا الهلاك وقوته العمل على وقته وداعية الخير من التنجيات وإنما قوتها بالعمل على وقتها فإذا اجتمعت الصفتان فى القلب فهما متضادتان فإذا عمل على وفق مقتضى الرياء فقد قوى تلك الصفة وإذا كان العمل على وفق مقتضى التقرب فقد قوى أيضا تلك الصفة وأحدهما مهلك والآخر منجى فإن كان تقوية هذا بقدر تقوية الآخر فقد تقاوما فكان كاستنصر بالحرارة إذا تناول ما يضره ثم تناول من البردات ما يقاوم قدر قوته فيكون بعد تناولهما كأنه لم يتناولهما وإن كان أحدهما غالبا لم يخل القلب عن أثر فكل لا يضيع مثقال ذرة

(١) الأخبار التى يدل ظاهرها على أن العمل للشوب لا ثواب له قال وليس تخلو الأخبار عن تعارض أبو داود من حديث أبي هريرة أن رجلا قال يا رسول الله رجل يبتغى الجهاد في سبيل الله وهو يبتغى عرضا من الدنيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أجر له الحديث والناس من حديث ابن أمانة بإسناد حسن أن رجلا غزا يبتغى الأجر والذكر ماله فقال لاشئ له فأعاده ثلاث مرات يقول لاشئ له ثم قال إن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا وابتغى به وجهه ولترمذى وقال غريب وابن حبان من حديث أبي هريرة الرجل يعمل العمل فيسره فإذا أطلع عليه أعجبه قال له أجزان أجر السر وأجر العلانية وقد تقدم فى ذم الجاه والرياء .

بالآخر وهذا لأنها من حكم الإيمان .  
[ قولهم فى التوكل ]  
قال السرى : التوكل الانحلال من الحول والقوة . وقال الجنبى التوكل أن تسكون لله كما لم تكن فيكون الله لك كما لم يزل . وقال سهل : كل اللقائات لها وجه وقفا غير التوكل فإنه وجه بلا قفا قال بعضهم يريد توكل الصابى لا توكل الكفاية والله تعالى جعل التوكل مقرونا بالإيمان فقال - وعلى الله فتوكلا وإن كنتم مؤمنين - وقال - وعلى الله فليتوكل المؤمنون - وقال شيه - وتوكل على الحى الذى لا يموت - وقال

من الطعام والشراب والأدوية ولا يترك عن أثر في الجسد بحكم سنة الله تعالى فكذلك لا يضيع مثال ذرة من الخير والشر ولا يترك عن تأثير في إثارة القلب أو تسويده وفي تقريره من الله أو إبعاده فإدعاء ما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا قد عاد إلى ما كان فلم يكن له ولا عليه وإن كان العمل بما يقربه بشرين والآخر يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شيئا وقد قال النبي ﷺ «أتبع السيئة الحسنة تمحها» (١) فإذا كان الرياء المحض يمحوه الإخلاص المحض غفيه فإذا اجتمعا جميعا فلا بد وأن يتدافعا بالضرورة وبشبه لهذا إجماع الأمة على أن من خرج حاجا ومعه تجارة صح حجه وأثيب عليه وقد امتزج به حظ من حظوظ النفس نعم يمكن أن يقال إنما يثاب على أعمال الحج عند انتهائه إلى مكه أو تجارته غير موقوفة عليه فهو خالص وإنما اشترك طول السافة ولا ثواب فيه مهما قصد التجارة ولكن الصواب أن يقال مهما كان الحج هو الحركة الأصلية وكان غرض التجارة كالعين والتابع فلا يترك نفس السفر عن ثواب. وما عسى أن الغزاة لا يدركون في أنفسهم غرة بين غزو الكفار في جهة تسكر فيها الضمائم وبين جهة لا غنية فيها وبعد أن يقال إدراك هذه التفرقة يحيط بالكية ثواب جهادهم بل العدل أن يقال إذا كان الباعث الأصلي والزرع القوي هو إلاء كلمة الله تعالى وإعلاء الغيبة في الغيبة على سبيل التبعة فلا يحيط به الثواب نعم لا يساوي ثوابه ثواب من لا يلتفت قلبه إلى النتيجة أصلا فإن هذا الالتفات نقصان لا محالة. فإن قلت فالآيات والأخبار تدل على أن شوب الرياء يحبط لثواب وفي معناه شوب طلب التبعة والتجارة وسائر المحظوظ قد دروي طاموس وغيره من التابيين «أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن يسطع العروف أوقال يتصدق فيجب أن يحمده ويؤجر فلم يدر ما يقول له حتى نزلت - فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - (٢) وقد قصد الأجر والمد جميعا وروى معاذ عن النبي ﷺ أنه قال «أدنى الرياء شرك» (٣) وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «يقال لمن شرك في عمله خذ أجره ممن عملت له» (٤) وروى عن عبادة «أن الله عز وجل يقول أنا أغنى الأغنياء عن الشرك من عمل لي عملا فأشرك معي غيره ودعت نصيب لشريك» وروى أبو موسى «أن أعرابيا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله الرجل يقاتل حمية والرجل يقاتل شجاعة والرجل يقاتل ليرى مكانه في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم من قاتل لتسكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» (٥) وقال عمر رضي الله عنه تقولون فلان شهيد ولله أن يكون قديما دفن راحته ورقا وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال رسول الله ﷺ «من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له» (٦) فقول هذه الأحاديث لا تاقض ما ذكرناه بل المراد بها من لم يرد بذلك إلا الدنيا كقولهم من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا وكان ذلك هو الأغلب على همه وقد ذكرنا أن ذلك صبيان وعدوان لأن طلب الدنيا حرام ولكن طلبها بأعمال الدين

(١) حديث أنبج السيئة الحسنة تمحها تقدم في رياضة النفس وفي التوبة (٢) حديث طاموس وعبد من التابعين أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن يسطع العروف أوقال يتصدق فيجب أن يحمده ويؤجر فقلت فمن كان يرجوا لقاء ربه من أبي الدنيا في كتاب السنة والحاكم نحوه من رواية طاموس مرسل وقد تقدم في ذم الجاه والرياء (٣) حديث معاذ أدنى الرياء شرك الطبراني والحاكم وتقدم فيه (٤) حديث أبي هريرة يقال لمن شرك في عمله خذ أجره ممن عملت له تقدم فيه من حديث محمود بن لبيد بنحوه وتقدم فيه حديث أبي هريرة من عمل عملا أشرك فيه معي غيره تركه مع شريكه وفي رواية مالك في الوطأ فهو له كله (٥) حديث أبي موسى من قاتل لتسكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله تقدم فيه (٦) حديث ابن مسعود من هاجر يبتغي شيئا من الدنيا فهو له تقدم في الباب الذي قبله.

ذواته: التوكل ترك تدبير النفس والأهمل من الحلول والقوة. وقال أبو بكر الرقابي: التوكل رد العيش إلى يوم واحد وإسقاط هم غد. وقال أبو بكر الواسطي: أصل التوكل صدق الفاقة والافتقار وأن لا يفتارق التوكل في أمانته ولا يلتفت بسره إلى توكله لحظة في عمره. وقال بعضهم من أراد أن يقوم بحق التوكل فليحفر لنفسه قبرا يدفنها فيه وينس الدنيا وأهلها لأن حقيقة التوكل لا يقوم لها أحد من الخلق على كماله. وقال سهل أول مقامات التوكل أن يكون العبد بين يدي الله تعالى

حرام لما فيه من الرياء وتغيير العبادة عن موضعها وأما لفظ الشرك حيث ورد فطلق للناسوي وقد بينا أنه إذا تساوى التصدان تقاوما ولم يكن له ولا عليه فلا يثبت أن يرجى عليه ثواب ثم إن الإنسان عند الشرك أبدا في خطر فانه لا يدري أى الأمرين أغلب على قصده فربما يكون عليه وبال لذلك قال تعالى: فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا - أى لا يرجى اللقاء مع الشركه الى أحسن أحوالها التساقط ويجوز أن يقال أيضا منصب الشهادة لا ينال إلا بالاخلاص في التزوي وبيد أن يقال من كانت داعيته الدينية بحيث تزججه إلى مجرد الغزو وإن لم يكن غنيمة وقدر على غزوطا فمتين من الكفار إحداها غنية والأخرى فقيرة فالإغناء لا علاه كلمة الله والغبية لا ثواب له على غزوه وأبته ونعوذ بالله أن يكون الأمر كذلك فان هذا حرج في الدين ومدخل للبأس على المسلمين لأن أمثال هذه الثواب التابعة قط لا ينفك الإنسان عنها إلا على التدور فيكون تأثير هذا في حصان الثواب فأما أن يكون في إحباطه فلا نعم الإنسان فيه على خطر عظيم لأنه ربما يظن أن الباعث الأقوى هو قصد التقرب إلى الله ويكون الأغلب على سره الحظ النفسى وذلك مما يخفى غاية الخفاء فلا يحصل الأجر إلا بالاخلاص والاخلاص قلما يمتقنه العبد من نفسه وإن بالغ في الاحتياط فذلك يثبت أن يكون أبدا بعد كمال الاجتهاد مترددا بين الرد والقبول خائفان أن تكون في عبادته آفة يكون وبالها أكثر من ثوابها وهكذا كان الخائفون من ذوى البصائر وهكذا يثبت أن يكون كل ذى بصيرة وذلك قال صفيان رحمه الله لأعتد بما ظهر من عملى وقال عبدالعزيز بن أبي رواد جاورت هذا البيت ستين سنة وحسبت ستين حجة لم تدخلت في شيء من أعمال الله تعالى إلا وحاسبت نفسى فوجدت نصيب الشيطان أوفى من نصيب الله ليته لالى ولا على ومع هذا فلا يثبت أن يترك العمل عند خوف الآفة والرياء فان ذلك منتهى بغية الشيطان منه إذ التصود أن لا يموت الاخلاص ومهما ترك العمل فقد ضيع العمل والاخلاص جميعا وقد حكى أن بعض الفقهاء كان يخدم أباسيد الحارث وزعم في أعماله فسلكهم أبو سعيد في الاخلاص يوما يريد إخلاص الحركات فأخذ الفقير يتفقد قلبه عند كل حركة وإطال به بالاخلاص فعمد عليه قضاء الحوائج واستقر الشيخ بذلك فسأله عن أمره فأخبره بطلانته نفسه بحقيقة الاخلاص وأنه يميز بها في أكثر أعماله فتركها فقال أبو سعيد لا ضل إذ الاخلاص لا يقطع المعاملة فواظب على العمل واجتهد في تحصيل الاخلاص فمالت لك ترك العمل وإنما قلت لك اخلاص العمل وقد قال الفضيل ترك العمل بسبب الخلق رياء وقوله لأجل الخلق شرك.

( الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته )

( فضيلة الصدق )

قال الله تعالى - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - وقال النبي صلى الله عليه وسلم «إن الصدق يهدي إلى البر والبر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقا وإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا» (١) ويكفى في فضيلة الصدق أن الصدق مشتق منه والله تعالى وصف الأنبياء به في معرض اللذخ والثناء فقال - واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا - وقال - واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادقا الوعد وكان رسولنا نبيا - وقال تعالى - واذكر في الكتاب إدريس إنه كان صديقا نبيا وقال ابن عباس أربع من كن فيه فقد ربح الصدق والحياء وحسن الخلق والشكر. وقال بصري الحرث بن عثمان بن عبد الله بالصدق

( الباب الثالث في الصدق )

(١) حديث إن الصدق يهدي إلى البر الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود وقد تقدم .

حكيت بين يدي القائل بقلبه كيف أراد ولا يكون له حركة ولا تدبير وقال حمدون النصارى : التوكل هو الاعتماد بالله . وقال سهل أيضا : ألم كله باب من التمدد والتعبد كله باب من الورع والورع كله باب من الزهد والزهد كله باب من التسوكل . وقال : إن القوى واليقين مثل كفتى الميزان والتوكل لسانه به تعرف الزيادة والقصان ويقع على أن اتوكل على قدر العصار بلوكل فكل من كان لهم معرفة كان لهم توكل ومن كل توكله غاب في رؤية الوكيل عن رؤية توكله ثم إن

استوحش من الناس . وقال أبو عبد الله الرضائي رأيت منصوراً الدينوري في المنام قلت له ما ضل الله بك قال غفرتي ورحمتي وأعطاني ما لم أؤمل قلت له أحسن ما توجه به إلى الله ماذا قال الصدق وأصبح ماتوجه به الكذب . وقال أبو سليمان أجل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبك . وقال رجل لحكيم ما رأيت صادقا فقال له لو كنت صادقا لفرغت الصادقين وعن محمد بن علي السكتاني قال وجدنا دين الله تعالى مبني على ثلاثة أركان على الحق والصدق والعدل فالخلق على الجوارح والعدل على القلوب والصدق على العقول . وقال الثوري في قوله تعالى - ويوم القيامة نرى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة - قال هم الذين ادعوا محبة الله تعالى ولم يكونوا بها صادقين ، وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام بإدواؤك من صدقي في سريرته صدقة عند الخلقين في علانيته وصاح رجل في مجلس الشبلي ورمى نفسه في دجلة فقال الشبلي إن كان صادقا فإله تعالى ينجيه كما نجى موسى عليه السلام وإن كان كاذبا فإله تعالى يفرقه كما أغرق فرعون . وقال بعضهم أجمع الفقهاء والمصنف على ثلاث خصال أنها إذا صحت فيها النجاة ولا يتم بعضها إلا ببعض الإسلام الخالص عن البدعة والهوى والصدق لله تعالى في الأعمال وطيب الطعم . وقال وهب بن منبه وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفا كان صلحاء بني إسرائيل يجتمعون فيقرءونها ويتدارسونها . لاكثر أنفع من العلم والامال أربع من العلم والحلم والحسب وأضع من النضب والآخرين أربع من العمل والارفاق أشين من الجهل ولا تشرّف أعز من التقوى ولا كرم أوفى من ترك الهوى ولا عمل أفضل من الفكر ولا حسنة أسمى من الصبر ولا سبحة أغزى من الكبر ولا دواء ألين من الرفق ولا داء أوجع من الحرق ولارسل أعدل من الحق ولادليل أنصح من الصدق ولا قرأ أدل من الطمع ولا غنى أشقى من الجمع ولا حياة أطيب من الصحة ولا معيشة أهنأ من العفة ولا عبادة أحسن من الخشوع ولا زهد خير من القنوع ولا حارس أخطر من الصمت ولا غالب أقرب من اللوث . وقال محمد بن سعيد للروزي إذا طلبت الله بالصدق أتاك الله تعالى امرأة يدك حتى تبصر كل شيء من محابب الدنيا والآخرة . وقال أبو بكر الوراق اخفظ الصدق فما بينك وبين الله تعالى والرفق فما بينك وبين الخلق وقيل لدى النون هل للعبد إلى صلاح أموره سبيل ؟ فقال :

قد بقينا من الذنوب حيارى نطلب الصدق ما إليه سبيل

فدعوى الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا تعيل

وقيل لسهل ما أصل هذا الأمر الذي نحن عليه فقال الصدق والسخاء والشجاعة قليل زدتنا فقال التقي والحياء وطيب الغذاء . وعن ابن عباس رضي الله عنهما وأن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الكمال فقال : قول الحق والعمل بالصدق <sup>(١)</sup> وعن الجدي في قوله تعالى - ليسأل الصادقين عن صدقهم - قال يسأل الصادقين عن أنفسهم عن صدقهم عند ربهم وهذا أمر على خطر .

( بيان حقيقة الصدق ومعناه ومراقبه )

اعلم أن لفظ الصدق يستعمل في ستة معان صدق في القول وصدق في النية والارادة وصدق في العزم وصدق في الوفاء بالعزم وصدق في العدل وصدق في تحقيق مقامات الدين كلها فمن أنصف بالصدق في جميع ذلك فهو صادق لأنه مبالغة في الصدق ثم هم أيضا على درجات فمن كان له حظ في الصدق في شيء من الجلة فهو صادق بالإضافة إلى ما فيه صدقه . الصدق الأول : صدق اللسان وذلك لا يكون إلا في الإخبار أوفيا يتضمن الإخبار وينبئ عليه والخبر إيمان أن بشئ بالماضي أو بالمستقبل

(١) حديث ابن عباس سئل عن الكمال فقال قول الحق والعمل بالصدق لم أجده هذا اللفظ .

قوة للفرقة بخيد صرف العلم بالعدل في القصة وإن الأقسام نصبت بإزاء القسم لهم عدلا وموازنة فإن النظر إلى غير الله لوجود الجهل في النفس وكل ما أحس بشيء ينفع في توكيله براه من منبع النفس فقصان التوكل يظهر بظهور النفس وكما بهت بضية النفس وليس للأقوياء اعتداد بتصحيح توكلهم وإنما شغلهم في تثبيت النفس بقوة مواد القلب فإذا غابت النفس انحسرت مادة الجهل فصح التوكل والعدل غير ناظر إليه وكما تحرك من

وفيه يدخل الوفاء بالوعد والخلف فيه وحق على كل عبد أن يحفظ ألفاظه فلا ينكسكم إلا بالصدق وهذا هو أشهر أنواع الصدق وأظهرها فمن حفظ لسانه عن الأخبار عن الأشياء - أي خلاف ما هو عليه فهو صادق ولكن لهذا الصدق كالان: أحدهما الاحتراز عن المعارض ضد قبل في المعارض مندوحة عن الكذب وذلك لأنها تقوم مقام الكذب إذ المحذور من الكذب تنهيه عن شيء على خلاف ما هو عليه في نفسه إلا أن ذلك مما تحس إليه الحاجة وتقتضيه الصلحة في بعض الأحوال وفي تأديب الصبيان والنسوان ومن يجري مجرى مجرام وفي الحذر عن الظلمة وفي قتال الأعداء والاحتراز عن اطلاعهم على أسرار تلك فمن اضطر إلى شيء من ذلك صدقه فيه أن يكون نطقه فيه أنه فيأمره الحق. ويقتضيه الدين فإذا نطق به فهو صادق وإن كان كلامه معها غير ما هو عليه لأن الصدق ما أريد لذاته بل للدلالة على الحق والدعاء إليه فلا ينظر إلى صورته بل إلى معناه نعم في مثل هذا الوضع ينبغي أن يعدل إلى المعارض ما وجد إليه سبيلا، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا توجه إلى سفر ورى غيره <sup>(١)</sup> وذلك كي لا ينتهي الخبر إلى الأعداء فيقصد وليس هذا من الكذب في شيء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس بكذاب من أصلح بين اثنين فقال خيرا أو نهي خيرا <sup>(٢)</sup>» ورخص في النطق على وفق الصلحة في ثلاثة مواضع من أصلح بين اثنين ومن كان له زوجتان ومن كان في مصالح الحرب، والصدق ههنا يتحول إلى التبة فلا يرعى فيه إلا الصدق التية وإرادة الخبر فمهما صح قصده وصدقت نيته وتجردت الخيرة لإرادته صار صادقا وصدقا كيفما كان لفظه ثم التريض فيه أولى وطريقته ما حكي عن بعضهم أنه كان يطلبه بعض الظلمة وهو في داره فقال لزوجته خطي بأصبعك دائرة وضعي الأصبع على الدائرة وقولي ليس هو ههنا واحترز بذلك عن الكذب ودفع الظالم عن نفسه فكان قوله صدقا وأقيم الظالم أنه ليس في الدار فالشكل الأول في اللفظ أن يحترز عن صريح اللفظ وعن المعارض أيضا لإعانة الضرورة والشكك الثاني أن يرعى معنى الصدق في ألفاظه التي يتجاسى بها ربه كقوله - وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض - فإن قلبه إن كان منصرفا عن الله تعالى مشغولا بأماني الدنيا وشهواته فهو كاذب وكقوله - إياك نعبد وإياك نستعين - فإن نصف حقيقة العبودية وكان له مطلب سوى الله لم يكن كلامه صدقا ولو طوّل يوم القيامة بالصدق في قوله أنا نعبد الله لعجز عن تحقيقه فانه إن كان عبدا لنفسه أو عبدا الدنيا أو عبدا لشهواته لم يكن صادقا في قوله وكل ما تعبد العبد به فهو عبده كما قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا وقال نبينا صلى الله عليه وسلم «تص عبد الدينار تص عبد الدرهم وعبد الحلة وعبد الحميصة <sup>(٣)</sup>» فسمى كل من قيد قلبه بشيء عبدا له وإنما العبد الحق لله عز وجل من اعتق أولا من غير الله تعالى فصار حرا مطلقا فإذا تقدمت هذه الحرية صار القلب فارغا خلعت فيه العبودية فله فتشغله بالله وعبجته وتقيده بطله وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد إلا الله تعالى ثم تجاوز هذا إلى مقام آخر أسنى منه يسمى الحرية وهو أن يعتق أيضا عن إرادته في من حيث هو بل يقتنع بما يريد الله له من تقرب أو إبعاد فتتفي إرادته في إرادة الله تعالى وهذا عبدا عن غير الله فصار حرا ثم عاد واعتق عن نفسه فصار حرا وصار مفقودا لنفسه موجودا لسيده ومولاه إن حركه تحركه وإن سكنه سكن وإن اتلاه رضى بل يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض بل هو بين يدي الله كاليت بين يدي القاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية

الفسخ بنية رد على ضمير سر قوله تعالى - إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء - فينبط وجود الحق الأعيان والألوان وري الكون بالله من غسبر استقلال الكون في نفسه ويصير التوكل جيند اضطرارا ولا يقدر في توكل مثل هذا التوكل ما يقدر في توكل الضمعة في التوكل من وجود الأسباب والوسائط لأنه يرى الأسباب مواتا لا حياة لها إلا بالتوكل وهذا توكل خواص أهل العرفة. [فولهم في الرضا] قال الحرث الرضا سكنون

(١) حدث كان إذا أراد سفرا ورى غيره متفق عليه من حديث كعب بن مالك (٢) حدث ليس بكاذب من أصلح بين الناس الحديث متفق عليه من حديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط وقد تقدم (٣) حديث تص عبد الدينار الحديث البخاري من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

لله تعالى فالعبد الحق هو الذي وجوده لولاه لآله - وهذه درجة الصديقين . وأما الحرية عن غير الله  
 فدرجات الصادقين وبعدها تتحقق العبودية لله تعالى وما زال هذا فلا يتحقق صاحبه أن يسمى صادقا  
 ولا صديقا فهذا هو معنى الصدق في القول . الصدق الثاني: في النية والأرادة ويرجع ذلك إلى الاخلاص  
 وهو أن لا يكون له باعث في الحركات والسكنات إلا الله تعالى فإن ما رجه شوب من حظوظ النفس  
 يطل صدق النية وصاحبه يجوز أن يسمى كذا بكرويا في فضيلة الاخلاص من حديث الثلاثة حين  
 يسئل العالم ما حملت فيها قلت ؟ فقال قلت كذا وكذا ، فقال الله تعالى كذبت بل أردت أن يقال  
 فلان عالم <sup>(١)</sup> فانه لم يكذب ولم يقل له لم تعمل ولكنه كذبه في إرادته ونيته ، وقد قال بعضهم: الصدق  
 صفة التوحيد في القصد وكذلك قول الله تعالى - والله يهدى إن الناقلين لكاذبون - وقد قالوا إنك  
 لرسول الله وهذا صدق ولكن كذبهم لا من حيث نطق اللسان بل من حيث ضمير القلب وكان التكذيب  
 يتطرق إلى الخبر وهذا القول يتضمن إخبارا بقرينة الحال إذ صاحبه يظهر من نفسه أن يتقدم يقول  
 فكذب في دلالة بقرينة الحال على ما في قلبه فانه كذب في ذلك ولم يكذب فيما يلفظ به ف يرجع أحد  
 معاني الصدق إلى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق فلا بد وأن يكون بخلاف الصدق الثالث:  
 صدق العزم فإن الإنسان قد يقدم العزم على العمل فيقول في نفسه إن زلتني لله ما لصدقت بجميعه  
 أو بشرطه أو إن قيت عدوا في سبيل الله تعالى قاتلت ولم أنال وإن قتلت وإن أعطاني الله تعالى ولاية  
 عدلت فيها ولم أعص الله تعالى بظلم وميل إلى خاقي فهذه العزيمة قد صادفها من نفسه وهي عزيمة  
 جازمة صادقة وقد يكون في عزمه نوع ميل وتردد وضعف يضاد الصدق في العزيمة فكان الصدق  
 هنا عبارة عن التمام والقوة كما يقال فلان شهوة صادقة وقال هذا الرضيع شهوته كاذبة مهالم  
 تكن شهوته عن سبب ثابت قوى أو كانت ضيفة فقد بطل الصدق وباد به هذا المعنى والصادق  
 والصدق هو الذي تصادف عزمته في الخبرات كلها قوة تامة ليس فيها ميل ولا ضعف ولا تردد بل  
 تسخو نفسه أبدا بالزم المصمم الجازم على الخبرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه: لأن أقدم فخصرب  
 عني أحب إلي من أن أتأمر على قوم فهم أبو بكر رضي الله عنه فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم  
 والمحبة الصادقة بأنه لا يتأمر مع وجود أبي بكر رضي الله عنهم كذلك بماد كرم من القتل . ومراث  
 الصديقين في العزائم تختلف فقد يصادف العزم ولا يتسنى به إلى أن يرضى بالقتل فيه ولكن إذا دخل  
 ورأيه لم يقدم ولو ذكر له حديث القتل لم ينقض عزمه بل في الصادقين والمؤمنين من لو خير بين أن  
 يقتل هو أو أبو بكر كانت حياته أحب إليه من حياة أبي بكر الصديق . الصدق الرابع: في الوفاء بالعزم  
 فإن النفس قد تسخو بالعزم في الحال إذ لا مشقة في الوعد والعزم للوثة فيه خفيفة فإذا حققت الحقائق  
 وحصل التمكن وهاجت الشهوات انحلت العزيمة وغلبت الشهوات ولم يتفق الوفاء بالعزم وهذا يضاد  
 الصدق فيه ، ولذلك قال الله تعالى - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - فقد روى عن أنس «أن  
 محمدا أنس بن النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق ذلك على قلبه وقال أول  
 مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم غبت عنه أما والله لئن أرائني الله شهيدا مع رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ليرين الله ما أصنع قال فشهد أحدا في العام التالي فاستقبله سعد بن معاذ فقال  
 يا أبا عمرو إلى أين فقال وإها لربح الجنة إني أجد رجها دون أحد قتال حتى قتل فوجد في جسده  
 بضع ومخاضون مابين رمية وضربة وطعنة فقالت أخته بنت النضر ما عرفت أخى إلا بيناته ، فزلت  
 هذه الآية - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه - <sup>(٢)</sup> . ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على مصعب

(١) حديث الثلاثة حين سأل العالم ماذا حملت فيها قلت الحديث تقدم (٢) حديث أنس أن محمدا أنس بن

القلب تحت جريان  
 الحكم وقال دوالنون  
 الرضا سرور القلب عبر  
 القضاء . وقال سفیان  
 عبد راية اللهم ارض  
 عنا فقلت له أما  
 تستحي أن تطلب رضا  
 من است عنه براى  
 فدلها بعض الحاضرين  
 منى يكون العبد راضيا  
 عن الله تعالى فقالت  
 إذا كان سروره  
 بالمصيبة كسروره  
 بالعملة . وقال سهل إذا  
 اتصل الرضا بالرضا  
 اتصلت الطمأنينة  
 - فطوبى لهم وحسن  
 ما أب - وقال رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم  
 «ذاق طعم الايمان من  
 رضى بالله ربا» وقال  
 عليه السلام «إن الله

ابن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد شهيدا وكان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليه السلام - رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر - (١) وقال فضالة بن عبيد سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك الذي يرفع الناس إليه أعيهم يوم القيامة هكذا ورفع رأسه حتى وقفت قلنسوته . قال الراوى : فلا أدري قلنسوة عمر أو قلنسوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورجل جيد الإيمان إذا لقي العدو فكأنما يضرب وجهه بشوك الطلح أتاه سهم عاث فقتله فهو في الدرجة الثانية ورجل مؤمن خلط عملا صالحا وآخر سيئا لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الثالثة ورجل أسرف على نفسه لقي العدو فصدق الله حتى قتل فذلك في الدرجة الرابعة (٢) » وقال مجاهد رجلان خرجا على ملا من الناس قوم قتلوا رزقا لله تعالى مالا تصدق فيخلوا به فترلت - ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين - وقال بعضهم إنما هو شيء نووه في أنفسهم لم يتكلموا به قط - ، ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله غلوا به وتولوا وهم معرضون فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون - فجعل الزم عهدها وجعل الخلف فيه كذبا والوفاء به صدقا وهذا الصدق أشد من الصدق الثالث فإن النفس قد تسخو بالزم ثم تنكس عند الوفاء لشدة عليها ولهيجان الشهوة عند التحسب وحصول الأسباب ، ولذلك استثنى عمر رضى الله عنه فقال لأن أقدم فتضرب عنق أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر اللهم إلا أن تسول لى نفسى عند القتل شيئا لأجده الآن لأنى لا آمن أن يشتم عليا ذلك فتتبرعن عن زمها وأشار بذلك إلى شدة الوفاء بالزم والعزم وقال أبو سعيد الخراز رأيت في المنام كأن ملكين نزالا من السماء فقالا لى ما الصدق قلت الوفاء بالعمد فقالا لى صدقت وعمرأ لى لىء . الصدق الخامس فى الأعمال وهو أن يجتهد حتى لا تدل أعماله الظاهرة على أمر فى باطنه لا ينصب هو به لأبأن يترك الأعمال ولكن بأن يستجر الباطن إلى تصديق الظاهر وهذا مخالف ما ذكرناه من ترك الرأى لأن للرأى هو الذى يقصد ذلك ورب واقف على هيئة الخشوع فى صلاته ليس يقصد به مشاهدة غيره ولكن قلبه غافل عن الصلاة فمن ينظر إليه يراه قائما بين يدى الله تعالى وهو الباطن قائم فى السوق بين يدى شهوات من شهواته فهذه أعمال تحرب بلسان الحال عن الباطن إعرافا هو فيه كاذب وهو مطالب بالصدق فى الأعمال وكذلك قد يمشى الرجل على هيئة السكون والوقار وليس باطنه موصوفا بذلك الوقار فهذا غير صادق فى عمله وإن لم يكن ملتفتا إلى الخلق ولا مرأيا لىام ولا ينجو من هذا إلا باستواء السرير وتو العلاية بأن يكون باطنه مثل ظاهره أو خيرا من ظاهره ومن خيفة ذلك اختار بعضهم تشويش الظاهر وليس ثياب الأشرار كيلا يظن به الخير بسبب ظاهره فيكون كاذبا فى دلاله الظاهر على الباطن فاذن مخالفة الظاهر للباطن إن كانت عن قصد سميت زياه ورفوت بها الاخلاص وإن كانت عن غير قصد فيقوت النضر لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث فى قتاله بأحد حتى قتل فوجدنى جسده بضع ومخاتون من بين رمية وضربة وطلعة ونزول - رجال صدقوا - الآية الترمذى وقال حسن صحيح والنسائى فى الكبرى وهو عند البخارى مختصرا إن هذه الآية زلت فى أنس بن النضر (١) حديث وقف على مصعب بن عمير وقد سقط على وجهه يوم أحد وقرأ هذه الآية أبو نعيم فى الحلية من رواية عبيد بن عمير مرسلا (٢) حديث فضالة بن عبيد عن عمر بن الخطاب الشهداء أربعة رجل مؤمن جيد الإيمان الحديث الترمذى وقال حسن .

تعالى بحكمته جعل الروح والفرح فى الرضا واليأس وجعل المم والحزن فى الشك والسخط وقال الجنيد الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلوب فإذا باشر القلب حقيقة المسلم أدله إلى الرضا وليس الرضا والمجة كالحوف والرجاء فانهما حالان لا يجارقان العبد فى الدنيا والآخرة لأنه فى الجبة لا يستنى عن الرضا والمجة . وقال ابن عطاء الرضا سكون القلب إلى قدیم اختيار الله للعبد لأنه اختاره الأفضل فبرضى له وهو ترك السخط . وقال أبو تراب ليس بال الرضا من الله من

بها الصدق ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اجعل سرى سرى خبراً من علانيته واجعل علانيته سرية (١) وقال يزيد بن الحرث إذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وإن كانت سريرته أفضل من علانيته فذلك الفضل وإن كانت علانيته أفضل من سريرته فذلك الجور وأنشدوا:

إذا السر والإعلان في المؤمن استوى فقد عز في الدارين واستوجب الثنا  
فإن خالف الإعلان سرا فإنه على سعيه فضل سوى الكد والمنا  
فإن خالف الديار في السوق نافع ومفسوسه الردود لا يقتضى الثنا

وقال عطية بن عبد الغافر : إذا وافقت سريرة المؤمن علانيته باهى الله به الملائكة يقول هذا عبدي حقاً . وقال معاوية بن قرة من يدلى على بكاء بالليل بإسم النهار ، وقلع عبد الواحد بن زيد كان الحسن إذا أمر بشيء كان من أهل الناس به وإذا نهى عن شيء كان من أترك الناس له ولم أر أحداً قط أشبه سريرة بعلانيته منه ، وكان أبو عبد الرحمن الزاهد يقول إلهي عاملت الناس فيما بيني وبينهم بالأمانة وعاملتك فيما بيني وبينك بالخيانة ويسكني ، وقال أبو يعقوب النهرجوري : الصدق موافقة الحق في السر والعلانية فاذن مساواة السريرة للعلانية أحد أنواع الصدق . الصدق السادس : وهو أعلى الدرجات وأعزها الصدق في مقامات الدين كالصدق في الخوف والرجاء والتعظيم والرهو والرضا والتوكل والحب وسائر هذه الأمور فإن هذه الأمور لها مبدأ تنطلق الاسم بظهورها ثم لها غايات وحقائق والصادق المحقق من نال حقيقتها وإذا غلب الشيء وتمت حقيقته شئ صاحبه صادقاً فيه كما يقال فلان صدق القتال ، ويقال هذا هو الخوف الصادق وهذه هي الشهوة الصادقة وقال الله تعالى : إني أتعلم المؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا - إلى قوله - أولئك هم الصادقون - وقال تعالى : ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر - إلى قوله - أولئك الذين صدقوا - وسئل أبو ذر عن الإيمان قرأ هذه الآية فقيل له سألتك عن الإيمان فقال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإيمان قرأ هذه الآية (٢) ولضرب الخوف مثلاً من عبد يؤمن بالله واليوم الآخر إلا وهو خائف من الله خوفاً ينطلق عليه الاسم ولكنه خوف غير صادق أي غير بالغ درجة الحقيقة أما تراه إذا خاف سلطاناً أو قاطع طريقاً في سفره كيف يصفر لونه وترتد فرجه ويتنفس عليه عيشه ويتعذر عليه أكله ونومه وينقسم عليه فكره حتى لا يتنفع به أهله وولده وقد يزعم عن الوطن فيسبيل بالأنس الوحشة وبالراحة التعب والشقة والتعرض للأخطار كل ذلك خوفاً من ذلك المهدور ثم إنه يخاف النار ولا يظهر عليه شيء من ذلك عند جريان مصيبة عليه ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : لم أر مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها (٣) فالمتحقق في هذه الأمور عزيز جداً ولا غاية لهذه اللقائات حتى ينال تمامها ولكن لكل عيونه حظ بحسب حاله إما ضئيل وإما قوى فإذا قوى شئ صادقاً فيه فحرفة الله تعالى وتعظيمه والخوف منه لانتهاء لها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام : أحب أن أراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطبق ذلك قال بل أرى فواعده البقيع في ليلة مقمرة فأنا فأنظر النبي صلى الله عليه وسلم فإذا هو به قد سد الأفق يعني جوائب السماء فوقه النبي صلى الله عليه وسلم مغشياً عليه فأفاق وقد عاد

(١) حديث المهم اجعل سرى سرى خبر من علانيته تقدم ولم أجده (٢) حديث أبي ذر سألت عن الإيمان قرأ قوله تعالى - ولكن البر من آمن بالله اليوم الآخر - إلى قوله - أولئك الذين صدقوا - رواه محمد بن نصر للروزي في تعظيم قدر الصلاة بأسانيد منقطعة لم أجده إلا شاذاً .  
(٣) حديث لم أر مثل النار نام هاربها الحديث تقدم .

للدنيا في قلبه مقداره .  
وقال السري : خمس  
من أخلاق القربين  
الرضا عن الله فيما يحب  
الفس وتكبره  
والحب لله بالحب  
إليه والحياء من الله  
والأنس به والوحشة  
محاسنهم وقال الفضيل  
الراضي لا يتنى فوق  
مركزه شئاً وقال ابن  
شيمون الرضا بالحق  
والرضا له والرضا عنه  
قال رضا بمدير واختار  
والرضا عنه قاصداً  
ومعطياً والرضا له لها  
وربما . سئل أبو سعيد  
هل يجوز أن يكون  
العبد راضياً بما خاطأ  
نعم يجوز أن يكون  
راضياً عن رب ما خاطأ  
على نفسه وعلى كل قاطع

جبريل صورته الأولى فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما ظننت أن أحدا من خلق الله هكذا قال وكيف لو رأيت إسرائيل إن العرش لعل كاهله وإن رجله قد مرقنا تحت نجوم الأرض السفلى وإنه ليصاغر من عظمة الله حتى يصير كالوصع (١) « بنى كالصفور الصغير، فانظر ما الذي يشاء من العظمة والهيبة حتى يرجع إلى ذلك الحد وسائر اللائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم . وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مررت ليلة أسري بي وجبريل بالملأ الأعلى كالجلس البالي من خشية الله تعالى (٢) يعني الكساء الذي يلقى على ظهر البعير وكذلك الصحابة كانوا خائفين وما كانوا يلبثوا خوف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولذلك قال ابن عمر رضي الله عنهما إن تبليغ حقيقة الإيمان حتى تنظر الناس كلهم حتى في دين الله . وقال مطرف ما من الناس أحد إلا وهو أحقق فيما بينه وبين ربه إلا أن بعض الحق أهون من بعض وقال النبي صلى الله عليه وسلم « لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأباعر في جنب الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير (٣) « فالصادق إذن في جميع هذه القامات عزز ثم درجات الصدق لانهائية وقد يكون لقب صدق في بعض الأمور دون بعض فإن كان صادقا في الجميع فهو الصديق حقا قال سعد بن معاذ ثلاثة ألقاب فمن قوی وفيما سواه من ضعیف ما صليت صلاة منذ أسلمت فحدثت نفسي حتى أفرغ منها ولا شئت جنازة فحدثت نفسي بشير ما هي قائلة وما هو مقول لها حتى يفرغ من دفنها وما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قولا إلا علمت أنه حق فقال ابن السبب ما ظننت أن هذه الحصال تجتمع إلا في النبي عليه السلام فهذا صدق في هذه الأمور وكل قوم من جلة الصحابة قد أدوا الصلاة واتبوا الجنائز ولم يلغوا هذا البليغ فهذه هي درجات الصدق ومعانيه والصفات والآثورة عن الشايخ في حقيقة الصدق في الأغلب لا تتعرض إلا لأحاد هذه المعاني نعم قد قال أبو بكر الوراق الصدق ثلاثة صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق للرفقة فصدق التوحيد لامة المؤمنين قال الله تعالى - والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون - وصدق الطاعة لأهل العلم والورع وصدق الرفقة لأهل الولاية الذين هم أوتاد الأرض وكل هذا يدور على ما ذكرناه في الصدق السادس ولكنه ذكر أقسام ما فيه الصدق وهو أيضا غير محيط بجميع الأقسام . وقال جعفر الصادق: الصدق هو المجاهدة وأن لا تختار على الله غيره كما لم يختَر عليك غيرك فقال تعالى - هو اجتنابكم - وقيل أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إن إذا أحببت عبدا ابتليته بملأ لا تقوم لها الجبال لأنظر كيف صدقه فان وجدته صابرا اتخذته وليا وحييا وإن وجدته جزوعا يشكوني إلى خلقي خذته ولا أبالي فاذن من علامات الصدق كتمان الصائب والطاعات جميعا وكراهة اطلاع الخلق عليها . ثم كتاب الصدق والأخلاص ، يتلوه كتاب الرقابة والمحاسبة والمجدفة .

يقطعه عن الله . وقيل  
للحسن بن علي بن أبي  
طالب رضي الله عنهما  
إن أبا ذر يقول الفقير  
أحب إلى من النبي  
والسهم أحب إلى من  
الصحة قال رحمه  
الله أبا ذر ، أما أنا  
فأقول : من اتكل  
على حسن اختيار الله  
له لم يمتن أنه في غير  
الحالة التي اختار الله له  
وقال علي رضي الله  
عنه من جلس على  
بساط الرضا لم ينته من  
الله مكروه أبدا ومن  
جلس على بساط  
السؤال لم يرض عن  
الله في كل حال . وقال  
عبيد بن جريح الأمر كله  
إلى هذين الأصلين  
فل من بك وصل

- (١) حديث قال لجبريل أحب أن أراك في صورتك التي هي صورتك فقال لا تطيق ذلك الحديث  
نقدم في كتاب الرجاء والخوف أخضر من هذا الذي ثبت في الصحيح أنه رأى جبريل في صورته مرتين  
(٢) حديث مررت ليلة أسري بي وجبريل بالملأ الأعلى كالجلس البالي من خشية الله الخ . بحث محمد بن  
نصر في كتاب تعظيم قدر الصلاة واليهيقي في دلائل النبوة من حديث أنس وفيه الحارث بن عبيد  
الإدادي ضمنه الجمهور وقال البيهقي ورواه حماد بن سلمة عن أبي عمران الجوني عن محمد بن عمير بن  
عطار وهذا مرسل (٣) حديث لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى ينظر إلى الناس كالأباعر في جنب  
الله ثم يرجع إلى نفسه فيجدها أحقر حقير لم أجده أصلا في حديث مرفوع .

## ﴿ كتاب المراقبة والمحاسبة ﴾

( وهو الكتاب الثامن من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله القائم على كل نفس بما كسبت الرقيب على كل جارحة بما أجرحت الطلع على ضائر القلوب  
إذا هجست الحبيب على خواطر عباده إذا اختلجت الذي لا يحزب عن غله مثقال ذرة في السموات  
والأرض تهزكت أوسكت الحساب على التقير والقلمبر والقيل والسكبر من الأعمال وإن خفيت  
للتفضل بقبول طاعات العباد وإن سرحت التطول بالنعو عن معاصيهم وإن كثرت وإنما محاسبهم  
لنمل كل نفس ما أحضرت وتنتظر فيما قدمت وأخرت فتعلم أنه لو لا زورهم للمراقبة والمحاسبة في الدنيا  
لثبتت في صعيد القيامة وهلكت وبعد المهاددة والمحاسبة والمراقبة لولا فضله بقبول بضاعتها للرجاة  
لثابت وخسرت فصبجان من عمت نعمته كافة العباد وقبعت واستغرقت رحمته الخلائق في الدنيا  
والآخرة وغمرت فبفحات فضله اتسعت القلوب للإيمان وانتشرت ويسم توفيقه تقيدت الجوارح  
بالبادات وتأديت وبحسن هدايته أجمعت عن القلوب ظلمات الجهل وانقشعت وبأيده ونصرته  
اعطت مكاييد الشيطان واندفعت وباطف عنايته ترجع كافة الحسنات إذا تملت وبقيته  
تيسرت من الطاعات ما تيسرت منه العطاء والجزاء والاباء والاداء والاسعاد والاشقاء والمصاة  
والسلام على محمد سيد الأنبياء وعلى آله سادة الأصفياء وعلى أصحابه قادة الأقياء .

منك 4 قرضي بما  
عمل وتخلص فيما تعمل  
وقال بعضهم الراضى  
من لم يندم على فائت  
من الدنيا ولم يتأسف  
عليها . وقيل ليحي  
ابن معاذ يبلغ البعد  
إلى مقام الرضا قال إذا  
أقام نفسك على أربعة  
أصول فيما يامل به يقول  
إن أعطيتني قبلت  
وإن منعتني رضيت  
وإن تركتني عديت  
وإن دعوتني أجيت  
وقال الشبلي رحمه الله  
بين يدي الجنب لا حول  
ولا قوة إلا بالله . قال  
الجنب قولك ذائق  
صدر فقال صدقت قال  
فريق الصدر ترك  
الرضا بالقضاء وهذا  
إنما قاله الجنب رحمه

[أما بعد] قد قال الله تعالى - ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئا وإن كان مثقال  
حبة من خردل أثينا بها وكفى لنا حاسبين - وقال تعالى - ووضع الكتاب فترى الهمزتين مشفقين  
مما فيه ويقولون يا ابتنا ما لهذا الكتاب لا بغادر صنيرة ولا كبيرة لإحسانها ووجدوا ما عملوا  
حاضرا ولا يظلم ربك أحدا - وقال تعالى - يوم يبعث الله جيمعا فلينبئهم بما عملوا أخصاء الله ونسوه  
والله على كل شيء شهيد - وقال تعالى - يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال  
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره - وقال تعالى - ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون -  
وقال تعالى - يوم نحمد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود أن ينسها وينسها أمدا بعدا  
ومحذر كما الله نفسه - وقال تعالى - واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم فاحذروا - فعرف أرباب البصائر من  
جملة العباد أن الله تعالى لهم بالمرصاد وأنهم سيناقشون في الحساب ويطلبون بمناقبهم في القدر من الحطرات  
واللحظات وتحققوا أنه لا ينجمهم من هذه الأخطار إلا لزوم المحاسبة وصدق للمراقبة ومطالبة النفس  
في الأغاس والحركات ومحاسبتها في الحطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل أن يحاسب خضع في القيامة  
حسابه وحضر عند السؤال الجوابه وحسن منقلبها يوم لم يحاسب نفسه عذبات حسرتها وطالت في عرصات  
القيامة وقبضته وقادته إلى الخزى والقت سبائته فلما انكشف لهم ذلك علموا أنه لا ينجمهم منه إلا طاعة الله  
وقد أمرهم بالصبر والرياسة فقال عز من قائل - يا أيها الذين آمنوا صبروا وصابروا وابطلوا فربطوا  
أنفسهم أولا بالمشاركة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم بالمعاقبة فكانت لهم في المراقبة  
مقامات ولابد من شرحها وبيان حقيقتها وتفضيلها وتفضيل الأعمال فيها وأصل ذلك المحاسبة وتولكن كل  
حساب فبعد مشاركة ومراقبة ويتبعه عند الحسرة المعاقبة والمعاقبة فلذلك كثر شرح هذه المقامات وبالله  
التوفيق .

( القيام الأول من الرابطة للشارطة )

اعلم أن مطلب للتاملين في التجارات للشركين في البضائع عند المحاسبة سلامة الربح وكان التاجر

يستعين بشريكه فيسلم إليه المال حتى يتجر ثم يحاسبه فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة وإنما  
مطلبه ورجمه تركية النفس لأن بذلك فلاحها قال الله تعالى - قد أفلق من زكاهها وقد خاب من  
دسها - وإنما فلاحها بالأعمال الصالحة والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة إذ يستعملها ويستخرها  
فيما يركبها كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتجر في ماله وكان أن الشريك يصير خصما منازعا  
يغاذبه في الربح فيحتاج إلى أن يشارطه أولا ويراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويأذنه وأجابه رابعا فيصاحف فكذلك  
العقل يحتاج إلى مشارطة النفس أولا فيوظف عليها الوظائف ويحيط عليها الشروط ويرشدها إلى  
طرق الفلاح ويحزم عليها الأمر يسلك تلك الطرق ثم لا يخل من مراقبتها لحفظه فانه لو أهملها لم يربح  
إلا الحيلانة وتضييع رأس المال كالصيد الخائن إذا خلا له الجو وانحدر بالمال ثم بعد القراع ينبغي أن  
يحاسبها ويطلبها بالوقاء بمشارطتها عليها فان هذه تجارة ربحها القردوس الأعلى وبلغ سدرة اللتهى  
مع الأتنياء والشهداء فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيرا من تدقيقه في أرباح الدنيا مع أنها  
محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى ثم كيفما كانت لمصيرها إلى التصرم والاقتضاء ولا خيرا غير لا يدوم بل  
شر لا يدوم خير من خير لا يدوم لأن الشر الذي لا يدوم إذا هبط على الفرح باقسطه دائما وقد انقضى  
الشر والحير الذي لا يدوم يبقى الأسف على انقضاءه دائما وقد انقضى الحير ولذلك قيل :

أشد الهم عندى في سرور    تيقن عنه صاحبه انتحالا

لخم على كل ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يخل عن محاسبة نفسه والتدقيق عليها في حركاتها  
وسكناتها وخطراتها وحظواتها فان كل نفس من أنفاس الصمر جوهره نقيصة لا عوض لها يمكن أن  
يشترى بها كثر من الكنوز لا ينتهي نقيصة أبد الآباد فانقضاء هذه الأنفاس ضائلة أو مصروفة إلى  
ما يجاب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل ، فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة  
الصبح ينبغي أن يفرغ قلبه ساعة لمشارطة النفس كما أن التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك  
العامل يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفس مالى بضاعة إلا للعمر ومهما فنى قد فنى رأس المال  
ووقع البأس عن التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد أمهأت الله فيه وأنا فى أجل وأنتم على  
به ولو توفانى لكنت أمتى أن يرجعنى إلى الدنيا يوما واحدا حتى أعمل فيها خالفا لحاسبي أنك قد توفيت  
ثم قد رددت فأياك ثم إياك أن تضيع هذا اليوم فان كل نفس من الأنفاس جوهره لا قيمة لها وعلى النفس  
أن اليوم واليلة أربع وعشرون ساعة ، وقد ورد في الخبر "أنه ينشر للعبد بكل يوم ويلة أربع  
وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها مخلوعة نورا من حسنة التي عملها في تلك الساعة  
فيأخذ من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار التي هي وسيلته عند ذلك الجبار المألوف  
على أهل النار لأدهشهم ذلك الفرح عند الاحساس بألم النار ويفتح له خزانة أخرى سوداء مظلمة  
مفرجة تنتها ويشاهد ظلامها وهي الساعة التي عصى الله فيها فيأخذ من الهول والفرع ما لو قسم على أهل  
الجهنم لتنفص عليهم نعيمها ويفتح له خزانة أخرى فارغة ليس فيها ما يبرم ولا ما يسوء (١) وهي الساعة  
التي نام فيها أو غفل أو اشتغل بشئ من مباحات الدنيا فيتصبر على خلوها ويأخذ من غيب ذلك ما ينال  
القادر على الربح الكبير والملك الكبير إذا أهمله وتساهل فيه حتى فاته وناهيك به حسرة وغنا  
وهكذا تعرض على خزان من أوقاته طول عمره فيقول لنفسه اجترى اليوم في أن تمرى خزانتك ولا تدعها  
فارغة عن كنوزك التي هي أسباب مسكك ولا تميل إلى الكسل والدعة والامتراحة فيفوتك من

الله نعيمها منه على  
أهل الرضا وذلك أن  
الرضا يحصل لا بشرط  
القلب واتصاحه  
واندراج القلب من  
نور اليقين قال الله تعالى  
سأفنى شرح الله صدره  
للإسلام فهو على نور  
من ربه - فإذا تمكن  
النور من الباطن اتسع  
الصدر وانفتحت عين  
البصيرة وعان حسن  
تدبير الله تعالى فيتنوع  
السخط والاضجر لأن  
اتسع الصدر تضمن  
حلاوة الحب وتمل  
المحسوب بموقع الرضا  
عن المحب الصادق لأن  
المحب يرى أن الفعل  
من المحسوب مراده  
واختياره فيبقى في لذة  
رقبة اختيار المحبوب

(١) حديث ينشر للعبد كل يوم ويلة أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة فيراها  
مخلوعة من حسنة الحديث بطوله لم أعده له أصلا .

درجات عليين ما بغيرك غيرك وثيق عندك حسرة لا تفارقك وإن دخلت الجنة فألم القين وحسنة لا يطاق وإن كان دون ألم النار وقد قال بعضهم هب أن السى قد عني عنه أليس قد فاعناهب الحسين أشار به إلى القين والحسرة وقال الله تعالى - يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم الثابتين - فهذه وصيته لنفسه في أوقاته ثم ليستأنف لها وصية في أعضائه السبعة وهي العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وتسلحها إليها فاتها رعايا خادمة لنفسه في هذه التجار - وبها تم أعمال هذه التجارة وإن لجهن سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم وإنما تعين تلك الأبواب لمن عصى الله تعالى بهذه الأعضاء فوصيها بحفظها عن معاصيها أما العين فيحفظها عن النظر إلى وجه من ليس له بحرم أو إلى عورة مسلم أو النظر إلى مسلم يعين الاحتقار بل عن كل فضول مستغنى عنه فإن الله تعالى يسأل عبده عن فضول النظر كما يسأله عن فضول الكلام ثم إذا صرفها عن هذا لم تنفع به حتى يشغلها بما فيه تجارتها ويرعبها وهو ما خلقت له من النظر إلى عجائب صنع الله بعين الاعتبار والنظر إلى أعمال الخير للاقتداء والنظر في كتاب الله وصلة رسوله ومظالمه كتب الحكمة للامتناع والاستفادة وهكذا ينبغي أن يفصل الأمر عليها في عضو عضولها لسانها والبطن أما اللسان فلائه منطاق بالطبع ولا مؤنة عليه في الحركة وجنابه عظيمة بالنية والكذب والخيبة وتركبة النفس ومذمة الخلق والأطعمة والأمن والدعاء على الأعداء والمارة في الكلام وغير ذلك مما ذكرناه في كتاب آفات اللسان فهو يصد ذلك كله مع أنه خلق للذكر والتذكير وتكرار العلم والتعليم وإرشاد عباد الله إلى طريق الله وإصلاح ذات البين وسائر خيراتنا فليشترط على نفسه أن لا يعرك اللسان طول النهار إلا في الذكر فخلق المؤمن ذكر ونظرة عبرة وصمتة فكمرة وما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد - وأما البطن فيكفاه ترك الشره وتقليل الأكل من الحلال واجتناب الشهوات وبعثه من الشهوات ويقصر على قدر الضرورة ويشترط على نفسه أنها إن خالفت شيئاً من ذلك عاقبها بالنس عن شهوات البطن ليفوتها أكثر مما ناله بسهواتها وهكذا يشترط عليها في جميع الأعضاء واستنصاء ذلك بطول ولا تخفى معاصي الأعضاء وطاعتها ثم يستأنف وصيتها في وظائف الطاعات التي تتكرر عليه في اليوم والليلة ثم في النوافل التي يقدر عليها ويقدر على الاستكثار منها ويرتب لها تفصيلها وكيفية الاستعداد لها بأسبابها وهذه شروط يفترض إليها في كل يوم ولكن إذا تعود الإنسان شرط ذلك على نفسه أياماً وطاوعته نفسه في الوفاء بجميعها استغنى عن للشارطة فيها وإن ألتاع في بعضها بقيت الحاجة إلى تجديد للشارطة فيها ببقى ولكن لا يغلو كل يوم عن مهم جديد وواقعة حادثة لها حكم جديد وله عليه في ذلك حق ويترك هذا على من يشتغل بشيء من أعمال الدنيا من ولاية أو تجارة أو تدريس إذ قلما يغلو يوم عن واقعة جديدة يحتاج إلى أن يقضى حق الله فيها فعليه أن يشترط على نفسه الاستقامة فيها والالتزام للحق في مجاريها ومجدها مقية الامحال وبعضها كما يوعظ المبد الآبق للثبوت فان النفس بالطبع مستعدة عن الطاعات مستعدة عن العبودية ولكن الوعظ والتأديب يؤثر فيها - وذكر فإن الذي ترى تنفع المؤمنين - فهذا وما يجري مجراه هو أول مقام الرابطة مع النفس وهي محاسبة قبل العمل والماسبة تارة تكون بعد العمل وتارة قبله للتخدير قال الله تعالى - واعلموا أن الله يعلم ما أنتم تكتمون فاحذروا وهذا المستقبل وكل نظر في كثرة ومدار لمعرفة زيادة نقصان فانه يسمى محاسبة فالتنظر فيما بين يدي العبد في نهاره ليعرف زيادته من نقصانه من المحاسبة وقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فبينوا - وقال تعالى - يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا - وقال تعالى

عن اختيار عنه كما قيل :

وكل ما يفعل المحبوب محبوب .

[ الباب الحادى

والسنون في ذكر

الأحوال وشرحها ]

حدثنا شيخنا شيخ

الاسلام أبو النجيب

السرورى رحمه الله

قال أنا أبو طالب الزينى

قال أخبرتنا كريمة

للسروية قالت أنا

أبو الهيثم الكشميرى

قال أنا أبو عبد الله

القربرى قال أنا

أبو عبد الله البخارى

قال تاسلطان بن حرب

قال حدثنا شعبة عن

قنادة عن أنس بن

مالك رضى الله عنه

عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال ثلاث من

ولقد خافنا الانسان ونعلم ماتوسوس به نفسه - ذكر ذلك تحذيرا وتنبها للاحتراز منه في المستقبل . وروى عبادة بن الصامت أنه عليه السلام قال لرجل سأله أن يوصيه بسطة « إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته فان كان رجدا فأمنه وإن كان غيا فاته عنه <sup>(١)</sup> » . وقال بعض الحكماء : إذا أردت أن يكون العقل غالبا الهوى فلا تعمل بقضاء الشهوة حتى تظفر العاقبة فان مكثت الدائمة في القلب أكثر من مكث خفة الشهوة . وقال لقمان : إن المؤمن إذا أبصر الدائمة آمن الدائمة . وروى شداد بن أوس عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والأحق من أتبع نفسه هواها ونهى على الله <sup>(٢)</sup> » . دان نفسه أي حاسبها ويوم الدين يوم الحساب وقوله - أننا لمديون - أي لمحاسبون . وقال عمر رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تموتوا ونزوها قبل أن تنزلوا وتهيبوا للغرض الأكبر ، وكتب إلى أبي موسى الأشعري حاسب نفسك في الرخاء قبل حساب الشدة . وقال لكعب كيف تجتهد في كتاب الله قال ويلداني الأرض من ديان الساء ضلال بالهرة وقال لإمام حاسب نفسه فقال كسب بأمر المؤمنين إني إلى جنبي في التوراة ما بينهما حرف إلا من حاسب نفسه وهذا كله إشارة إلى المحاسبة لله تعالى إذ قال من دان نفسه يعمل لما بعد الموت ومعناه وزن الأمور أولا وقدرها ونظر فيها وتدبرها ثم أقدم عليها فباشرها . [ الرابطة الثانية الرقابة ] إذا أوصى الانسان نفسه وشرط عليها ما ذكرناه فلا يفيق إلا للرقابة لها عند الخوض في الأعمال وملاحظتها بالعين الكائنة فاتها إن تركت طفت وفست . ولذكر فضيلة الرقابة ثم درجاتها . أما الفضيلة : فقد سأل جبريل عليه السلام عن الاحسان فقال « أن تعبد الله كأنك تراه <sup>(٣)</sup> » وقال عليه السلام « اعبد الله كأنك تراه فان لم تسكن تراه فانه يراك <sup>(٤)</sup> » وقد قال تعالى - أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت - وقال تعالى - ألم يعلم بأن الله يرى - وقال الله تعالى - إن الله كان عليكم رقيبا - وقال تعالى - والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهادتهم قائمون - . وقال ابن المبارك لرجل : راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن أبدا كأنك ترى الله عز وجل . وقال عبد الواحد بن زيد : إذا كان سيدي رقيبا على فلا أبالي بغيره . وقال أبو عثمان النري : أفضل ما يلزم الانسان نفسه في هذه الطريقة المحاسبة والرقابة وسياطة عمله بالمع . وقال ابن عطاء : أفضل الطاعات مراقبة الحق على دوام الأوقات . وقال الجريزي : أمرنا هذا مبني على أصلين أن نلزم نفسك الرقابة لله عز وجل ويكون العلم على ظاهره قائما . وقال أبو عثمان : قال لي أبو حفص إذا جلست للناس فكُن واعظا لنفسك وقلبك ولا يفرئك اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك . وحكي أنه كان لبعض المشايخ من هذه الطائفة تلميذ شاب وكان يكرمه ويقدمه فقال له بعض أصحابه كيف تتكلم هذا هو شاب ونحن شيوخ قدما بدة طيور وناول كل واحد منهم طائرا وسكبنا . وقال أيدع كل واحد منكم طائرا . في موضع لا يراه أحد ودفع إلى الشاب مثل ذلك وقال له كما قال لهم فرجع كل واحد بطائرهم مذبوحا ورجع الشاب والطائر حي في يده فقال مالك لم تدع كما ذبح أصحابك فقال لم أجد موضعا لاراني فيه أحد إذ الله مطلع على كل مكان فاستحسنوا منه هذه الرقابة وقالوا حق لك أن تتكلم .

كن فيه وجد حلوة  
الايمن : من كان الله  
ورسوله أحب إليه مما  
سواه ومن أحب عبدا  
لأحبه إليه ومن يكره  
أن يعود في الكفر بعد  
إذ أهداه الله منه كما  
يكره أن يلقى في النار .  
وأخبرنا شيخنا  
أبو زرعة طاهر بن  
أبي الفضل قال أنا  
أبو بكر بن خاف قال  
أنا أبو عبد الرحمن قال  
أنا أبو عمر بن حيوة  
قال حدثني أبو عبيد بن  
مؤمل عن أبيه قال  
حدثني بشر بن محمد  
قال حدثنا عبد الملك  
ابن وهب عن إبراهيم  
ابن أبي عيسى عن  
الرباض بن سارية  
قال « كان رسول الله

- (١) حديث عبادة بن الصامت إذا أردت أمرا فتدبر عاقبته الحديث تقدم (٢) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت الحديث تقدم (٣) حديث سأل جبريل عن الاحسان فقال أن تعبد الله كأنك تراه متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه مسلم من حديث عمر وقد تقدم (٤) حديث اعبد الله كأنك تراه الحديث تقدم .

وحكى أن زليخا لما خات يوسف عليه السلام قامت فغطت وجهه منهم كان لها قال يوسف مالك أمتحين من مراقبة جاد ولا أستحي من مراقبة تلك الجبار . وحكى عن بعض الأحداث أنه راود جارية عن نفسها فقالت له ألا تستحي فقال ممن أستحي ؟ وما يرانا إلا الكواكب قالت فأين مكوكها . وقال رجل للجندى هم أستدين على غض البصر فقال بملك أن نظر الناظر إليك أسبق من نظرك إلى الثنور إليه . وقال الجنيد : إنما يتحقق بالمراقبة من يخاف على فوت حظه من ربه عز وجل ، وعن مالك بن دينار قال : جنات عدن من جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل له ومن يسكنها ؟ قال يقول الله عز وجل إنما يسكن جنات عدن الذين إذا هموا بالمعاصي ذكروا عظمى فراقبون والذين اثنت أصلاهم من خشيق وعزق وجلال إلى لأم بسذاب أهل الأرض فاذا نظرت إلى أهل الجوع والعطش من مخافتي صرفت عنهم الذباب . وسئل الهامسي عن الرقابة قال : أولها علم القلب بقرب الرب تعالى . وقال للرئيس : الرقابة مراعاة السر بملاحظة القلب مع كل لحظة ونقطة . وروى أن الله تعالى قال للملائكة أتمموا كون الظاهر وأنا الرقيب على الباطن . وقال محمد بن علي الترمذي اجعل مراقبتك لمن لا تقرب عن نظره إليك واجعل شكرك لمن لا تنتفع نعمه منك واجعل طاعتك لمن لا تستغنى عنه واجعل خضوعك لمن لا تخرج عن مسلكه وسلطانه . وقال سهل : لم يترن القلب بشئ أفضل ولا أشرف من علم العبد بأن الله شاهده حيث كان . وسئل بعضهم عن قوله تعالى - رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه - فقال معناه ذلك لمن راقب ربه عز وجل وحاسب نفسه وتزود لمعاده . وسئل ذواتون بم نال العبد الجنة ؟ قال بخمس استقامة ليس فيها روغان واجتهاد ليس معه سهو ومراقبة الله تعالى في السر والعلانية وانتظار الموت بالتأهب له ومحاسبة نفسك قبل أن تحاسب وقد قيل :

إذا ما خلوت الدهر يوما فلا تقل خلوت ولكن قل علي رقيب  
ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يخب  
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غدا لناظرن قريب

وقال حميد الطويل لسليمان بن علي عظمي فقال : لئن كنت إذا عصيت الله خاليا ظننت أنه يراك لقد احترأت على أمر عظيم ولئن كنت تظن أنه لا يراك فلقد كفرت . وقال سفيان الثوري : عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية عليك والرجاء ممن يملك الوفاء عليك والخذل ممن يملك العقوبة . وقال فرقد السنجي : إن للنافق ينظر فاذا لم ير أحدا دخل مدخل السوء وإنما يراقب الناس ولا يراقب الله تعالى . وقال عبدة بن دينار : خرجت مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى مكة فرسنا في بعض الطريق فأعذر عليه راع من الجبل فقال له ياراعى بنى شاة من هذه القمم فقال إني مملوك فقال قل لسيدي أكلها القتب قال فأين الله قال بكى عمر رضى الله عنه ثم غدا إلى الملوكة فاشتراه من مولاه وأعطه وقال أعنتك في الدنيا هذه الكلمة وأرجو أن تمتك في الآخرة .

( بيان حقيقة الرقابة ودرجاتها )

اعلم أن حقيقة للرقابة هي ملاحظة الرقيب وانصراف الهم إليه فمن احتز من أمر من الأمور بسبب غيره يقال إنه يراقب فلانا ويراعى جانبه ومعنى بهذه الرقابة حالة القلب يشمرها نوع من المعرفة وتشمر تلك الحالة أعمالا في الجوارح وفي القلب أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به وانفتاحه إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه وأما المعرفة التي تشمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفس بما كبت وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشيرة للحلق مكشوف بل أشد من ذلك فهذه المعرفة إذا صارت بقينا

صلى الله عليه وسلم  
يدعوهم إلى الله  
حبك أحب إلى من  
نفسى وصلى وبصرى  
وأهلى ومالى ومن  
لله الباردة فكان  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم طلب  
خالس الحب وخالص  
الحب هو أن يحب الله  
تعالى بكليته وذلك  
أن العبد قد يكون في  
حال قائما بشروط  
حاله يحكم العلم والجلية  
تفاضل بضد العلم مثل  
أن يكون راضيا  
والجلية قد تصح  
ويكون النظر إلى  
الانقياد بالعلم لا إلى  
الاستعصاء بالجلية  
قد يحب الله تعالى  
ورسوله بحكم الإيمان

أخى أنها خلت على الشك ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته قرب علم لاشك فيه لا يصاب على القلب كالم بالوث فاذا استولت على القلب استعرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه وللقوتون بهذه الطريقة هم للقربون ، وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب الجبين ، لمراتبهم على درجتين . الدرجة الأولى : مراقبة القربين من الصديقين ، وهي مراقبة التعظيم والجلال ، وهو أن يصير القلب مستغرقا بملاحظة ذلك الجلال ومتكسرا تحت الهيبة فلا يلقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلا وهذه مراقبة لا تطول النظر في تفصيل أعمالها فانها مقصورة على القلب . أما الجوارح فانها تتحلل عن الالتفات إلى اللباحات فضلا عن المخطورات ، وإنما تحرك بالطاعات كانت كالستمة بها فلا تحتاج إلى تدبير وثبيت في حفظها على سنن السداد ، بل يسد الرعية من ملك كلية الرأى والقلب هو الرأى فاذا صار مستغرقا بالمعبودات الجوارح مستعملة جارية على السداد والاستقامة من غير تكلف وهذا هو الذى صار همه ما واحدا فكفاه الله سائر المهوم ، ومن نال هذه الدرجة قد يفلح عن الخلق حتى لا يصير من يحضر عنده وهو قانع بعينه ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا يسمع به وقد يمر على ابنه مثلا فلا يكلمه حتى كان بعضهم يجرى عليه ذلك ، فقال لمن عابه إذا مررت بي فركنى ولا تسبم هذا فانك تجد نظير هذا في القلوب المظلمة للوكة الأرض حتى إن خدم للوك قد لا يحسون بما يجرى عليهم في مجالس اللوك لشدة اشتغالهم بهم بل قد يشغل القلب بهم حقير من مهفات الدنيا فيفوس الرجل في الفكر فيه ويغشى غريما يجاوز الوضع الذى قصده وينسى الشغل الذى نهى له . وقد قيل لبيد الواحد بن زيد هل تعرف في زمانك هذا رجلا قد اشتغل بحاله عن الخلق ، قال ما أعرف إلا رجلا سيدخل عليكم الساعة فما كان لإسريما حتى دخل عتبة الغلام ، فقال له عبد الواحد بن زيد من أين جئت باعتبة ، قال من موضع كذا وكان طريقه على السوق فقال من أقيت في الطريق فقال ما رأيت أهدا . ويزوي عن يحيى بن زكريا عليهما السلام أنه مر بامرأة فدفعها فسهطت على وجهها فقيل له لم فعلت هذا ؟ قال ما ظننتها لإجدارا . وحكى عن بعضهم أنه قال مررت بمجاعة يترامون وواحد جالس بيدها منهم فقدمت إليه فأردت أن أكلمه فقال ذكر الله تعالى أشهى قلت أنت وحدك فقال معى ربي وملسكى قلت من سبق من هؤلاء قال من غفر الله له قلت أين الطريق فأشار نحو السماء وقام ومضى ، وقال أكثر خلقك شاغل عنك فهذا كلام مستغرق بمشاهدة الله تعالى لا يشككم إلا منته ولا يسمع إلا فيه فهذا لا يحتاج إلى مراقبة لسانه وجوارحه فانها لا تتحرك إلا بما هو فيه . ودخل التبل على أبي الحسين النورى وهو معتكف فوجده ما كنا حسن الاجتماع لا يتحرك من ظاهره شئ . قال له من أين أخذت هذه الرقابة والسكون ، قال من سنور كانت لنا فسكانت إذا أردت الصيد رابطت رأس الجحر لا تتحرك لها شعرة . وقال أبو عبد الله بن خفيف خرجت من مصر أريد الرملة لقاء أبى على الروذبارى فقال لى عيسى بن يونس الصرى المعروف بالزاهد إن فى صور شابا وكهلا قد اجتمعا على حال الرقابة ، فلو نظرت إليهما انظر لملك تستفيد منهما فدخلت صور وأنا جائع عطشان وفى وسطى خرقة وليس على كفى شئ فدخلت للمسجد فاذا بشخصين قاعدتين مستقبلي التبله فسلمت عليهما فما أجاباني فسلمت ثانية وثالثة فلم أسمع الجواب . فقلت : نشدكما بالله إلا اردتما على السلام فرفع الشاب رأسه من مرقعته فنظر إلى وقال يا ابن خفيف الدنيا قليل وما بقى من القليل إلا القليل فخذ من القليل الكثير . يا ابن خفيف : ما أقل شغلك حتى تنفرغ إلى لقائنا . قال فأخذ بكفى ثم طأطأ رأسه فى السكبان فبقت عندهما حتى صابنا الظهور والعصر

وعب الأهل والولد  
بحكم الطبع . والهيبة  
وجوه وبواعث الهبة  
فى الانسان متنوعة  
لها محبة الروح  
وعبة القلب وعبة  
النفس ومحبة القلب  
قول رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
وقد ذكر الأهل  
واللذات والماء البارد  
معناه استئصال عروق  
الهبة محبة الله تعالى  
حتى يكون حب الله  
تعالى طالبا فيحب الله  
تعالى قبله وروحه  
وكليته حتى يكون  
حب الله تعالى أغلب  
فى الطبع أيضا والهيبة  
من حب الماء البارد  
وهذا يكون جبا  
صافيا لحواص تنفر

فذهب جوعى وعطشى وعنائى . فلما كان وقت العصر قلت عظمى فرغ رأسه إلى وقال : يا ابن خفيف نحن أصحاب اللصائب ليس لنا لسان العظلة فبقيت عندهما ثلاثة أيام لا تأكل ولا تشرب ولا أنام ولا أرىهما أكل شيئا ولا شربا فلما كان اليوم الثالث قلت فى سرى أحلفهما أن يعطاني لعل أن أشتبع بهما فلما فرغ الشاب رأسه وقال لى يا ابن خفيف عليك بصحة من يذكرك الله رؤيته وتضع يمينه على قلبك يعطيك لسان ضله ولا يعطيك لسان قوله والسلام ثم عافهما درجة للراقبين الذين غلب على قلوبهم الاجلال والتعظيم فلم يبق فيهم متسع لتبر ذلك . الدرجة الثانية : مراقبة الورعين من أصحاب اليقين وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهريهم وباطنيهم على قلوبهم ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حد الاعتدال متسعة لانتفاء الأحوال والأعمال إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة . نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يخدمون ولا يحجون إلا بعد التثبت فيه ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به فى القيامة فاتهم برون الله فى الدنيا مطالعا عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة وتعرف الاختلاف الدرجتين بالمشاهدات فانك فى خلوتك قد تتعاملى أعمالا فيحضرك صي أو امرأة فتعلم أنه مطلع عليك فتستحي منه فتحسن جلوسك وترضى أحوالك لا عن إجلال وتعظيم بل عن حياء فان مشاهدته وإن كانت لا تدهشك ولا تستغرق فاتها تهيج الحياء منك وقد يدخل عليك ملك من الملوك أو كبير من الأكابر فيستغرقك التعظيم حتى تترك كل ما أنت فيه فخلا به لاجاء منه فهكذا تختلف مراتب العباد فى مراقبة الله تعالى ومن كان فى هذه الدرجة فيحتاج أن يراقب جميع حركاته وسكناته وخطراته والحظاته وبالجملة جميع اختياراته ، وله فيها نظران نظر قبل العمل ونظر فى العمل . أمّا قبل العمل فلينظر أن مظهره وتحرك يظه خاطره أهو لله خاصة أو هو فى هوى النفس ومتابعة الشيطان فيتوقف فيه ويتثبت حتى يتكشف له ذلك بنور الحق ، فان كان لله تعالى أمضاء ، وإن كان لتبر الله استحياء من الله وانكشف عنه ثم لام نفسه على رغبته فيه وهمة به وسيله إليه وعزتها سوء فعلها وسميها فى فضيحتها وأنها عدوة نفسها إن لم يتداركها الله بصمته وهذا التوقف فى بداية الأمور إلى حد البيان واجب محتوم لا يحصى لأحد عنه فان فى الخبر «إنه ينشر لعبد فى كل حركة من حركاته وإن صرفت ثلاثة دواوين : الديوان الأول لم . والثانى كيف . والثالث لمن» ومعنى لم أى لم فعلت هذا أكان عليك أن تعلمه لولاك أو لمت إليه بشهوتك وهو لك فان سلم منه بأن كان عليه أن يعمل ذلك لولا سئل عن الديوان الثانى فقيل له كيف فعلت هذا فان شفى كل عمل شرطاً وحكماً لا يدرك قدره ووقته وصفته إلا يعلم فيقال له كيف فعلت أبطل محقق أم مجهول وظن فان سلم من هذا نشر الديوان الثالث وهو اللطابة بالاخلاص فيقال له لمن عملت ألوجه الله خالصاً وفاقاً بقوله لا إله إلا الله فيكون أجرك على الله أولم أراة خلق مثلك غداً أجرك منه أم عملته لتنال عاجل دنياك فقد وفيتك نصيبك من الدنيا عملته بسهو وغفلة قد سقط أجرك وحبط عملك وخاب سعيك وإن عملت لغيري فقد استوجبت مقى وعقابي إذ كنت عبداً لى تأكل رزقى وترفع بمنعمي ثم عملت لغيري أم امتننى أقول لى إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم - إن الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقاً فاستبقوا عند الله الرزق واعبدوه - ويحك أم امتننى أقول - أالله الدين الخالص - فاذعراف العبد أنه يصدده هذه اللطابات والتويخات طالب نفسه قبل أن تطالب وأعد فلو قال جواباً وليسكن الجواب صواباً فلا يبدى ولا يعبد إلا بعد التثبت

(١) حديث ينشر لعبد فى كل حركة من حركاته وإن صرفت ثلاثة دواوين : الأول لم . والثانى كيف . والثالث لمن . لم أنف له على أصل .

به وينوره نار الطبع والجليلة وهذا يكون حب الذات عن مشاهدة يكوف الروح وخلوصه إلى مواطن القرب . قال الواسطى فى قوله تعالى - يحبهم وعجبونه - كما أنه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فالهاء راجعة إلى الذات دون التعوت والصفات . وقال بعضهم الحب شرطه أن تلحقه سكرات المحبة فانما لم يكن ذلك لم يكن حبه فيه حقيقة فان الحب حبان حب عام وحب خاص فالحب العام مفسر بامثال الأمر وربما كان حبا من معدن السلم بالألاء

ولا يحرك جفا ولا تحمة إلا بهد التأمل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكره إن الرجل ليستل عن كحل عينه وعن قته الطين بأصبعه وعن لسه ثوب أخيه (١) وقال الحسن كان أحدهم إذا أراد أن يصدق بصدقة نظر وثبت فإن كان لله أمضاء . وقال الحسن : رحم الله تعالى عبدا وقف عندهما فإن كان ثمة مضى وإن كان لغيره تأخر وقال في حديث سعد بن أوساء سلمان «أتق الله عندكم إذا هممت» (٢) وقال محمد بن علي إن المؤمن وقاف متأن يقف عند همه ليس كعاطب ليل فهذا هو النظر الأول في هذه الراقبة ولا يخلص من هذا إلا العلم للثب والعرفة الحقيقية بأسرار الأعمال وأغوار النفس ومكاييد الشيطان فلي لم يعرف نفسه وربه وعدوه إبليس ولم يعرف ما يوافق هواه ولم يميز بينه وبين ما يحبه الله ويرضاه في نيته وهمة وفكرته وسكوته وحركته فلا يسل في هسله الراقبة بل الأكثرون يرتكبون الجهل فيما يكرهه الله تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، ولا تظن أن الجاهل بما يقدر على التحمل فيه يسفر هبات بل طلب العلم فريضة على كل مسلم ولهذا كانت ركتان من عالم الفضل من ألف ركة من غير عالم لأنه يعلم آفات النفوس ومكاييد الشيطان ومواضع الترويض في ذلك والجاهل لا يعرفه فكيف يحترز منه فلا يزال الجاهل في تمسب والشيطان منه في فرح وهمانية فتعوز بالله من الجهل والتفقه فهو رأس كل شقاوة وأساس كل خسران لحكم الله تعالى على كل عبد أن يراقب نفسه عند همه بالعلم وسعيه بالجراحة فيتوقف عن الملم وعن السعي حتى يشكشف له بنور العلم أنه قد تعالى فيضيه أوهو لمهوى النفس فينتبه ويزجر القلب عن الفكر فيه وعن الملم بهما فغان الخطرة الأولى في الباطن إذا لم تدفع أورثت الرغبة والرغبة تورث الملم والملم يورث جزم القصد والتقصير يورث العمل والقصد يورث البوار والتقصير يورث أن تحسم مادة الشر من منبعه الأول وهو الخاطر فإن جميع ماوراءه يقبه ومهما أشكل على العبد ذلك وأظلمت الواقعة فلم يشكشف له فيتفكر في ذلك بنور العلم ويستعيد بالله من مكر الشيطان بواسطة المهوى فإن عجز عن الاجتهاد والفكر بنفسه فيستغنى بنور علماء الدين ولغير من العلماء الضالين للقليل على الدنيا فرار من الشيطان بل أشد قد أحس الله تعالى إلى داود عليه السلام : لاتسأل عني طالما أسكره حب الدنيا فيقطعك عن محبت أولئك قطاع الطرق على عبادي ، فاقلوب المظلمة بحب الدنيا وشدة الثمرة والتكالب عليها محبوبة عن نور الله تعالى فإن مستغناء أنوار القلوب حضرة الربوبية فكيف يستغنى بها من استدبرها وأقبل على عدوها وعشق بغيضا ومقتبها وهي شهوات الدنيا فتلكن همة المريد أولا في أحكام العلم أوفي طلب عالم معرض عن الدنيا أوضيف الرغبة فيها إن لم يجد من هو عديم الرغبة فيها وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات والعقل الكامل عند هجوم الشهوات» (٣) جمع بين الأمرين وهما متلازمان حائلين ليس له عقل وازع عن الشهوات فليس له بصر ناقد في الشبهات ولذلك قال عليه السلام «من قارف ذنبا قارقه عقل لا يهود إلا أبدا» (٤) فما قدر العقل الضعيف الذي سعد الآدمي به حتى يصد إلى محو ومحنة عقارة الذنوب ومعرفة آفات الأعمال قد اندرست في هذه الأعصار فإن الناس كلهم قد خبروا هذه العلوم واشتغلوا

(١) حديث قال لما ذكره إن الرجل ليستل عن كحل عينه عليه الحديث تقدم في الله قبله (٢) حديث سعد بن أوساء سلمان أن اتق الله عندكم إذا هممت إذا هممت أحمد والحاكم وصححه وهذا القدر منه موقوف وأوله مرفوع تقدم (٣) حديث إن الله يحب البصر الناقد عند ورود الشبهات الحديث أبو تيم في الحلية من حديث عمران بن حصين وفيه حمص بن عمر المدني ضعفه الجمهور (٤) حديث من قارف ذنبا قارقه عقل لا يهود إلا أبدا تقدم ولم أجده .

والعلماء وهذا الحب محرجه من الصفات وقد ذكر جمع من المشايخ الحب في القامات فيكون النظر إلى هذا الحب العام الذي يكون لكسب العبد فيه مدخل . وأما الحب الخاص فهو حب الذات عن مطالعة الروح وهو الحب الذي فيه السمكات وهو الاصطناع من الله الكريم لبيده واصفاؤه إياه وهذا الحب يصكون من الأحوال لأنه محض موهبة ليس للكسب مدخل وهو مفهوم من قول النبي صلى الله عليه وسلم وأحب إلى من الماء البارد لأنه

بأوسط بين الخلق في الخصومات الناعرة في اتباع السموات وقالوا هذا هو الفقه وأخره وهذا العلم الذي هو فقه الدين عن جملة العلوم وتجردوا لفقه الدنيا الذي ما قصد به الإذعان للشواغل عن القلوب ليتم فرغ الفقه الدين فكان فقه الدنيا من الدين بواسطة هذا الفقه وفي الخبر «أنتم اليوم في زمان خيركم فيه للصارع وسيأتي عليكم زمان خيركم فيه للثبث» (١) ولهذا توقف طائفة من الصحابة في القتال مع أهل العراق وأهل الشام لما أشكل عليهم الأمر كعمد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمرو وأسامة ومحمد بن مسلمة وغيرهم فلم يتوقف عند الاشتباه كان متبعاً لهم أو معجراً بآراءه وكان ممن وصفه رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال «فاذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً ومحجاً بكل ذي رأي يرأيه فليكن غمامة تنسك» (٢) وكل من خاض في شبهة بغير تحقيق فقد خالف قوله تعالى - ولا تقف ما ليس لك به علم - وقوله عليه السلام «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث» (٣) وأراد به مطاعاً بغير دليل كما يستأنى بعض المومنين قلبه فيما أشكل عليه ويتبع ظنه ولصعوبة هذا الأمر وعظمه كان دعاء الصديق رضي الله تعالى عنه اللهم أرني الحق حقاً وارزقني اتباعه وأرني الباطل باطلاً وارزقني اجتنابه ولا تجعله متشابهاً علي فاتبع الهوى . وقال عيسى عليه السلام «الأمور ثلاثة: أمر استبان رغبته فاتبه وأمر استبان غيبه فاجتنبه وأمر أشكل عليك فكله إلى الله» (٤) وقد كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم «اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم» (٥) فأعظم نعمة الله على عباده والعلم وكشف الحق والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتثنا على عبده - وكان فضل الله عليك عظيماً - وأراد به العلم وقال تعالى - فاستأمنوا أهل الله إن كنتم لاتعلمون - وقال تعالى - إن علينا للهدى - وقال - ثم إن علينا بياناه - وقال - وعلى الله قصد السبيل - وقال على كرم الله وجهه: الهوى شريك العمى ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ونعم طاردهم اليقين وعاقبة الكذب الندم وفي الصدق السلامة رب بعيد أقرب من قريب وغريب من لم يكن له حبيب والصدق من صدق غيبه ولا يندمك من حبيب سوء ظن نعم الخلق التسكهم والحياة سبب إلى كل جميل وأوثق العرا التفوى وأوثق سبب أخذت به سبب بينك وبين الله تعالى إنما لك من دينك ما أصلحت بهمواك والرزق رزقاً من رزق تطلبه ورزق يطلبك فإن لم تأت أهلك وإن كنت جازعاً على ما أصيب بمحاذيك فلا تتجرب على ما لم يصل إليك واستدل على ما لم يكن بما كان فأنما الأمور أشباه والره يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوء فوت ما لم يكن ليدركه لما نالك من دينك فلا تسكتن به فرحاً وما فاتك منها فلا تقيمه نفسك أسفاً وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لأخرك وهك فبا بعد الموت وغرضنا من نقل هذه الكلمات قوله ومن التوفيق التوقف عند الحيرة ، فاذن النظر الأول للمراقب نظره في العلم والحركة أم هي أم لا للهوى وقد قال صلى الله عليه وسلم «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرأى بشيء من عمله وإذا عرض له أمران أحدهما للدين والآخرة والآخرة أثر الآخرة على الدنيا» (٦) وأكثر ما ينكشف في حركته أن يكون مباحاً ولكن

(١) حديث أنتم اليوم في زمان خيركم فيه للصارع وسيأتي عليكم زمان خيركم فيه للثبث لم أجده (٢) حديث فاذا رأيت شحاً مطاعاً وهوى متبعاً الحديث تقدم (٣) حديث إياكم والظن الحديث تقدم (٤) حديث قال عيسى الأمور ثلاثة الحديث الطبراني من حديث ابن عباس بإسناد ضيف (٥) حديث اللهم إني أعوذ بك أن أقول في الدين بغير علم لم أجده (٦) حديث ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم الحديث أبو بصير الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة وقد تقدم .

كلام عن وجدان روح  
تلك حب الذات  
وهذا الحب روح  
والحب الذي يظفر عن  
مطالعة الصفات ويطمع  
من مطالع الإيمان  
قالب هذا الروح ولما  
صحت محبة هذه أخير  
الله تعالى عنهم بقوله  
أذلة على المؤمنين - لأن  
الحب يذل المحبوبة  
والمحبوب محبوبة  
وينشد :  
لعين ندى ألف عين  
وتقى  
ويكرم ألف الحبيب  
السكر  
وهذا الحب الخالص  
هو أصل الأحوال  
السية وموجبها وهو  
في الأحوال كالنوبة  
في اللقائات فمن صحت

لا ينييه فيتركه قوله صلى الله عليه وسلم «من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينييه»<sup>(١)</sup>. النظر الثاني للرقابة عند الشروع في العمل وذلك بتفقد كيفية العمل ليقضى حق الله فيه ويحسن الثبة في إتمامه ويكمل صوره ويتطاع على أكل ما ينكته وهذا ملازم له في جميع أحواله فإنه لا يغفل في جميع أحواله عن حركة وسكون فإذا راقب الله تعالى في جميع ذلك قدر على عبادة الله تعالى فيها بالتقوى وحسن العمل ومراعاة الأدب فإن كان قاعدا مثلاً فينبغي أن يقدم مستقبل القبلة لقوله صلى الله عليه وسلم «خير المجلس مستقبل القبلة»<sup>(٢)</sup> ولا يجلس مترجاً إذ لا يجالس للوكة كذلك ومثل ذلك للوكة مطلق عليه قال إبراهيم بن آدم رحمه الله

جلست مرة مترجاً فسمعت هاتفاً يقول هكذا يجالس للوكة فلم أجلس بعد ذلك مترجاً وإن كان ينام فينام على اليد اليمنى مستقبل القبلة مع سائر الآداب التي ذكرناها في مواضعها فكل ذلك داخل في الرقابة بل لو كان في قضاء الحاجة لمراعاته لأدائها وفاء بالرقابة فاذن لا يغفل العبد إيماناً أن يكون في طاعة أو في معصية أو في مباح فراقبته في الطاعة بالاخلاص والإكمال ومراعاة الأدب وحراستها عن الآفات وإن كان في معصية فراقبته بالتوبة والندم والافتقار والحياء والاشتغال بالتفكير وإن كان في مباح فراقبته بمراعاة الأدب ثم يسهو للتمتع في التمتع والشكر عليها ولا يغفل العبد في جملة أحواله عن بلية لا بد له من الضرب عليها ونعمة لا بد له من الشكر عليها وكل ذلك من الرقابة بل لا ينفك العبد في كل حال من فرضه تعالى عليه إما فعل يلزمه مباشرة أو محذور يلزمه تركه أو نذير يحث عليه ليسارع به إلى مغفرة الله تعالى وسابق به عبادة الله أو مباح فيه صلاح جسمه وقلبه وفيه عون له على طاعة ولكل واحد من ذلك حدود لا بد من مراعاتها بدوام الرقابة - ومن تعد حدود الله قد ظلم نفسه فينبغي أن يتفقد العبد نفسه في جميع أوقاته في هذه الأقسام الثلاثة فإذا كان فارغاً من الفرائض وقدر على الفضائل فينبغي أن يلتزم أفضل الأعمال ليستبها بها فإن من فاته مزيد ربح وهو قادر على دركه فهو مغبون والأرباح تتوالى بمازيا الفضائل فيذلك بأخذ العبد من دنياه لآخرته كما قال تعالى - ولا تنس نصيبك من الدنيا - وكل ذلك إنما يمكن بصبر ساعة واحدة فإن الساعات ثلاث ساعة مضت لا ميب فيها على العبد كيفما اقتضت في مشقة أو راحة وساعة مستقبل لم تأت بعد لا يدرى العبد أي شيء إليها أم لا ولا يدرى ما يقضى الله فيها وساعة راحة فينبغي أن يجاهد فيها نفسه وراقب فيها ربه فإن لم تأت الساعة الثانية لم يتحسر على فوات هذه الساعة وإن أتت الساعة الثانية استوفى حقه منها كما استوفى من الأولى ولا يطول أمه خمسين سنة فيطول عليه العزم على الرقابة فيها بل يكون ابن وقته كأنه في آخر أوقاته فله آخر أوقاته وهو لا يدرى وإذا أمكن أن يكون آخر أوقاته فينبغي أن يكون على وجه لا يكره أن يدركه الموت وهو على تلك الحالة وتكون جميع أحواله مقصورة على ما رواه أبو ذر رضي الله تعالى عنه من قوله عليه السلام «لا يكون المؤمن طاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد أو مرمة لحاش أو وقفة في غير هرم»<sup>(٣)</sup> وما روى عنه أيضاً في معناه «على العاقل أن تكون له أربع ساعات ساعة يتأجر فيها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يتفكر فيها في صنع الله تعالى وساعة يغفل فيها العظم والشرب»<sup>(٤)</sup>

نوبته على الكمال تحقق بسائر اللقاعات من الزهد والرضا والتوكل على ما شرعناه أولاً ومن صحت محبة هذه تحقق بسائر الأحوال من القضاء والبقاء والصحو والمحو وغير ذلك والتوبة لهذا الحب أيضاً بمثابة الجبان لأنها مستقلة على الحب العام الذي هو لهذا الحب كالجسد ومن أخذ في طريق المحبوبين وهو طريق خاص من طريق الهبة يتكلم فيه ويجمع له روح الحب الخاص مع قالب الحب العام الذي تشتمل عليه التوبة

(١) حديث من حسن إسلام المرء تركه ما لا ينييه تقدم (٢) حديث خير المجلس ما استقبل به القبلة الحاكم من حديث ابن عباس وقد تقدم (٣) حديث أبي ذر لا يكون المؤمن طاعناً إلا في ثلاث تزود لمعاد الحديث أحمد وابن حبان والحاكم وصححه أنه صلى الله عليه وسلم قال إنه في صف موسى وقد تقدم (٤) حديث وطى العاقل أن يكون له ثلاث ساعات ساعة يتأجر فيها ربه الحديث وهي بقية حديث أبي ذر الذي قبله .

فإن في هذه الساعة عوناً له على بقية الساعات ثم هذه الساعات التي هو فيها مشغول الجوارح بالمطعم والشرب لا ينبغي أن يغفل عن عمل هو أفضل الأعمال وهو الذكر والفكر فإن الطعام الذي يتناوله مثلاً فيه من العجائب ما لو تفكر فيه وفطن له كان ذلك أفضل من كثير من أعمال الجوارح والناس فيه أقسام : قسم ينظرون إليه بعين التبصر والاعتبار فينظرون في عجائب صنعه وكيفية ارتباط قوام الحيوانات به وكيفية تقدير الله لأسبابه وخلق الشهوات الباغية عليه وخلق الآلات للسخرية لشهوة فيه كما فصلنا بضه في كتاب الشكر وهذا مقام ذوى الألباب وقسم ينظرون فيه بعين القتل والكراهة ويلاحظون وجه الاضطراب إليه ويودم لو استغنوا عنه ولكن يرون أنفسهم مهتورين فيه مسخرين لشهواته وهذا مقام الزاهدين وقوم يرون في الصنعة الصانع ويرتقون منها إلى صفات الخالق فتكون مشاهدة ذلك سبباً لتذكر أبواب من الفكر تفتح عليهم بسببه وهو أعلى المقامات وهو من مقامات العارفين وعلامات المحبين إذا ألهم إذا رأى صنعة حبيبه وكتابه وتصنيفه نسي الصنعة واشتغل قلبه بالصانع وكل ما يتردد البعد فيه صنع الله تعالى فله في النظر منه إلى الصانع مجال رحب إن فتح له أبواب للسكرات وذلك عزيز جداً . وقسم رابع ينظرون إليه بين الرغبة والحرس فينتاقفون على ما فاتهم منه ويغروحون بما حضرم من جملة ويذمون منه ما لا يوافق هواهم ويعيبونه ويذمون فاعله فيذمون الطبيخ والطباخ ولا يصفون أن الفاعل للطبيخ والطباخ ولقد رته ولفظه هو الله تعالى وأن من ذم شيئاً من خلق الله بنير إله الله قد ذم الله ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر »<sup>(١)</sup> فهذه الرابطة الثانية بمراقبة الأعمال على الدوام والاتصال وشعر ذلك بطول وفيها ذكرناه تنبيه على التهاج لمن أحكم الأصول .

(الرابطة الثالثة : حسابة النفس بعد العمل . ولذكر فضيلة الحسابة ثم حقيقتها)

أما الفضيلة : فقد قال الله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لنفسها وهذه إشارة إلى الحسابة على ماضي من الأعمال ، ولذلك قال عمر رضي الله تعالى عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا ، وفي الخبر « أنه عليه السلام جاءه رجل فقال يا رسول الله أوصني فقال أمتسوس أنت فقال نعم قال إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته فإن كان رشداً فأمشه وإن كان غياً فأنه عنه » وفي الخبر وينبغي للعامل أن يكون له أربع ساعات ساعة يحاسب فيها نفسه . وقال تعالى - وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون - والتوبة نظر في الفعل بعد الفراغ منها بالندم عليه ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إنى لأستغفر الله تعالى وأتوب إليه في اليوم مائة مرة »<sup>(٢)</sup> وقال الله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وعن عمر رضي الله تعالى عنه أنه كان يضرب قدميه بالدرّة إذا جبه الليل ويقول لنفسه ماذا عملت اليوم وعن سيمون بن مهران أنه قال لا يكون العبد من المتقين حتى يحاسب نفسه أشد من محاسبة شريكه والشرى كان يحاسبان بعد العمل ، وروى عن عائشة رضي الله تعالى عنها أن أبابكر رضي الله تعالى عنه قال لها عند الموت ما أهد من الناس أحب إلي من عمر ثم قال لها كيف قلت فأعادت عليه ما قال فقال لأحد أعز علي من عمر فأنظر كيف نظر بعد الفراغ من الكرامة فقدم بها وأبدلها كرامة غيرها « وحديث أبي طلحة حين شغل الطائر في صلاته فتدبر ذلك قبل حائطه صدقة لله تعالى داموا رجاء للعوض عاقبته »<sup>(٣)</sup>

(١) حديث لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر مسلم من حديث (أبي هريرة) (٢) حديث (أبي هريرة) (٣) حديث (أبي طلحة) حين شغل الطائر عن صلاته فجعل حديثه صدقة لله غير مرة .

النصوص وعند ذلك لا يتقلب في أطوار المقامات لأن التغلب في أطوار المقامات والترقى من شيء منها إلى شيء طريق المحبين ومن أخذ في طريق المجاهدة من قوله تعالى - والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبيلنا - ومن قوله تعالى - ويهدي إليه من ينيب - أثبت كون الانابة سبباً للهداية في حق الحب وفي حق المحبوب صرح بالأجتهاد غير معطل بالكسب فقال الله تعالى - يجتبي إليه من يشاء - فمن أخذ في طريق المحبوبين بطوى بساط أطوار المقامات ويندرج فيه

وفي حديث ابن سلام أنه حمل حزمة من حطب فقيل له: يا أيوسف قد كان في بئرك وغلمانك ما يكونونك هذا فقال أردت أن أجرب نفسي هل تنكروني . وقال الحسن : للؤمن قوام على نفسه محاسباً شواهداً خف الحساب على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة ثم سهر المحاسبة فقال إن المؤمن ينجؤه الشيء يسير فيقول والله إنك لتعجبني وإنك من حاجتي ولكن هيات حبل بيني وبينك وهذا حساب قبل العمل ثم قال ويغفر الله له ما مضى من غير حج إلى نفسه فيقول ماذا أردت بهذا والله لا أعثر بهذا والله لا أعود لهذا أبداً إن شاء الله . وقال أنس بن مالك سمعت عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه يوماً وقد خرج وخرجت معه حتى دخل حائطاً فسمعته يقول ويبي وبينه جدار وهو في الحائط عمر بن الخطاب أمير المؤمنين يخج والله لتتبعن الله أو ليعذبك . وقال الحسن في قوله تعالى - ولا تأمّنوا بالنفس اللوامة - قال بلحق المؤمن إلا عاتب نفسه ماذا أردت بكمضي ماذا أردت بأكلتي ماذا أردت بشربتي والفاجر يعصى فعدلاً لا عاتب نفسه . وقال مالك ابن دينار رحمه الله تعالى رحم الله عبداً قال لنفسه ألت صالحة كذا ألت صالحة كذا ثم ذهبا ثم خطمها ثم أزمها كتاب الله تعالى فكان له قائداً وهذا من معاتبة النفس كما سيأتي في موضعه ، وقال يمين بن مهران : اتقى أشد محاسبة لنفسه من سلطان غاشم ومن شريك شحيح ، وقال إبراهيم التيمي : مثلت نفسي في الجنة أكل من الجنة أكل من محارها وأشرب من أنهارها وأعاني أبقارها ثم مثلت نفسي في النار أكل من زقومها وأشرب من صديدها وأعاني سلاسلها وأشغلها قتل نفسي يا نفس أي شيء تريدين فقالت أريد أن أورد إلى الدنيا فأعمل صالحاً قلت فأنت في الأمانة فاعلمي ، وقال مالك بن دينار سمعت الحجاج يخطب وهو يقول: رحم الله أمراً حاسب نفسه قبل أن يصير الحساب إلى غيره رحم الله أمراً أخذ بئان عمله فنظر ماذا يريد به رحم الله أمراً نظرت في مكيال الله رحم الله أمراً نظرت في ميزانه فإزال يقول حتى أبكاني ، وحكي صاحب للأخف بن قيس قال كنت أصعب نكاحاً عامة صلواته بالليل الدعاء وكان يجمي إلى الصباح فيضع أصبعه فيه حتى يحس بالنار ثم يقول لنفسه يا حنيف ماحلك على ما صنعت يوم كذا ماحلك على ما صنعت يوم كذا .

( بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل )

اعلم أن العبد كما يكون له وقت في أول النهار يشارط فيه نفسه على سبيل التوعية بالحق فيذني أن يكون له في آخر النهار ساعة يطالب فيها النفس ومحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التجار في الدنيا مع الشركاء في آخر كل سنة أو شهر أو يوم حرصاً منهم على الدنيا وخوفاً من أن يفوتهم منها ما لو فاتهم لكانت الحيرة لهم في فواته ولو حصل ذلك لهم فلا يبقى إلا الأيا مال لا نيل فكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلق به خطر الشقاوة والسعادة أبدأ بالأدب ما هذه المساهلة إلا عن الغفلة والخذلان وقلة التوفيق نعوذ بالله من ذلك ومعنى المحاسبة مع الشريك أن ينظر في رأس المال وفي الربح والخسران ليتبين له الزيادة من نقصان فإن كان من فضل حاصل استوفاه وشكره وإن كان من خسران طالبه بضائه وكلفه تداركه في المستقبل ، فكذلك رأس مال العبد في دينه القرائن ورجح النوافل والفضائل وخسرانه المعاصي وموسم هذه التجارة جملة النهار ومعاملة نفسه الأمانة بالسوء فيحاسبها على الرأين أولاً فإن أداها على وجهها شكر الله تعالى عليه ورغبها في مثلها وإن فوتها من أصلها طالبها بالقضاء وإن أداها ناقصة كلفها الجبران بالنوافل وإن ارتكب معصية اشتغل بقصوبها وتغذيتها ومعانيها ليستوفي منها ما يتدارك به ما فرط كما يصنع التاجر جبريكه وكما أنه يغتني في حساب الدنيا عن المحبة والقرابات فيحفظ مداخل الزيادة والنقصان حتى لا يفتن في شيء منها فيفتن في غيبة النفس ومكرها فاتها خداعة ملبسة مكررة فليطلبها ولا يتصحيح الجواب عن جميع ما نكلم به طول نهار وليستكمل بنفسه

صفوها وخالصها بأنم  
وصفها والمقامات  
لا يقبده ولا تحبسه  
وهو يجيدها ويعبسا  
برقيه منها واتزاعه  
صفوها وخالصها لأنه  
حيث أشرقت عليه  
أنوار الحب الحاص  
خلع ملابس صفات  
النفس ونسوتها  
والمقامات كلها مصفية  
لنعموت والصفات  
الفسانية فالزهد يصفه  
عن الرغبة والتوكل  
يسقيه عن قلة الاعتماد  
التوكل عن جهل  
النفس والرضا بصفه  
عن خسران عرق  
النازعة والنازعة لبقاء  
جمود النفس ما أشرق  
عليها شمس المحبة  
الحاسة فيسقى ظلها

من الحساب ماستولاه غيره في صعيد القيامة وهكذا عن نظره بل عن خواطره وأفكاره وقيامه وقعوده وأكله وشربه ونومه حتى عن سكوته أنه لم سكت وعن سكوته لم سكن ! فإذا عرف مجموع الواجب على النفس وصح عنده قدر أدى الواجب فيه كان ذلك القدر محسوبا له فيظهر له الباقي على نفسه فليشته عليها وليكتبه على صحيفة قلبه كما يكتب الباقي الذي على شريكه على قلبه وفي جريدة حسابه ثم النفس غريم يمكن أن يستوفي منه الدين . أما بضمها بالترجمة والضمان وبضمها بردينه وبسببها بالقوة لها على ذلك ولا يمكن شيء من ذلك إلا بعد تحقيق الحساب وتميز الباقي من الحق الواجب عليه ، فإذا حصل ذلك اشتد بعد بالمطالبة والاستيقاظ ثم ينبغي أن يحاسب النفس على جميع العمر يوما يوما وساعة ساعة في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة كما قلنا من توبة ابن الصمة وكان بالرقه وكان محاسباً لنفسه فحسب يوما فإذا هو ابن ستين سنة فحسب أيام أقاداهي وأحد عشرون ألف يوم وخمسة أيام يوم فصرخ وقال : يا ويلتي أني الملك بأحد وعشرين ألف ذنب فكيف وفي كل يوم عشرة آلاف ذنب ثم خر متشيا عليه فإذا هومت فسمعوا قائلاً يقول يالك ركضة إلى التردوس الأذى فكذلك ينبغي أن يحاسب نفسه على الأنفاس وعلى مصيبتها بالقلب والجوارح في كل ساعة ، ولو رمى البعد بكل مصيبة حجرا في داره لامتلات داره في مدة يسيرة فرية من عمره ولكنه يتساهل في حفظ العاصي والمساكين يحفظان عليه ذلك أحصاه الله ونسوه .

( للرابطة الرابعة في معاينة النفس على تصورها )

مهما حاسب نفسه فلم تزل عن مقارنة مصيبة والركاب تصير في حق الله تعالى فلا ينبغي أن يسهلها فانه إن أهملها سهل عليه مقارنة العاصي وأنست بها نفسه وعسر عليه فطامها ، وكان ذلك سبب هلاكها بل ينبغي أن يعاقبها فإذا أكل لقمة شبهت بشهوة نفس ينبغي أن يعاقب البطن بالجوع وإذا نظر إلى غير محرم ينبغي أن يعاقب العين بمنع النظر وكذلك يعاقب كل طرف من أطراف بدنه بجمعه عن شهواته هكذا كانت عادة سالكي طريق الآخرة فقد روى عن منصور بن إبراهيم أن رجلا من العباد كلم امرأة فلم يزل حتى وضع يده على غلظها ثم ندم فوضع يده على النار حتى يست . وروى أنه كان في بني إسرائيل رجل يتعب في صومته لمسكت كذلك زمانا طويلا فاستشف ذات يوم فإذا هو بامرأة فاتفت بها وهم بها فأخرج رجله لينزل إليها فأدركه الله بساقية فقال ماهذا الذي أريد أن أصنع فرجعت إليه نفسه وعصمه الله تعالى فلما أقدم فلما أراد أن يجدره إلى الصومعة قال هيأت هيأت رجل خرجت تريد أن تمسى الله تعود معي في صومتي لا يكون والله ذلك أبدا فتركها معلقة في الصومعة تصيبها الأمطار والرياح والثلج والشمس حتى تقطعت فسقطت فشكر الله له ذلك وأزل في بعض كتبه ذكره ويحكى عن الجليل قال سمعت ابن الكريسي يقول أصابت لي ليلة جبانة فاحتجبت أن أغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت في نفسي تأخرا وتصيرا للحدثي نفسي بالتأخير حتى أصبح وأسخن الماء أو أدخل الحلم ولا أعي على نفسي فقلت وأهملها أنا أهمل الله في طول عمري فجبب له على حق فلا أجدي السارعة وأجد الوقوف والتأخر آليت أن لا أغتسل إلا في مرقعي هذه وآليت أن لا أزعم ولا أعصرها ولا أجففها في الشمس . ويحكى أن غزوان وأبا موسى كانا في بعض منازلهما فسكتت جارية فظهر إليها غزوان فرفع يده فلفظ عينه حتى فحرت وقال إنك للحاظلة إلى ما يخرلكو نظره بضمه نظرة واحدة إلى امرأة فجعل على نفسه أن لا يشرب الماء البارد طول حياته فكان يشرب الماء الحار لينقص على نفسه الدبيب . ويحكى أن حسان بن أبي سنان مر برفقة فقال متى بنيت هذه ثم أقبل على نفسه فقال تسألين عما لا يجنيك لأعاقبك بصوم سنة فصامها . وقال مالك بن سفيان جاء رباح القيس يسأل عن

وجودها فمن تحقق  
بالحب الخاص لانت  
نفسه وذهب جودها  
فإذا يزع الزهد منه  
من الرغبة ورغبة  
الحب أحرقت رغبته  
وماذا يصني منه التوكل  
ومطالعة الوكيل وحشو  
بصيرته وماذا يمكن  
فيه الرضا من عروق  
للزاعة ممن لم تسلم  
كليت . قال الروضاري  
مالم تخرج من كليتك  
لا تدخل في حد الهبة  
وقال أبو يزيد من  
فتنته محبته فدينه  
رؤيته ومن قتله عشقه  
فدينه منادته ، أخبرنا  
بذلك أبو زرعة عن  
ابن خلف عن أبي  
عبد الرحمن قال سمعت  
أحمد بن علي بن جعفر

أبي سعد المصنف قلنا إنه قائم فقال أنوم هذه الساعة هذا وقت نوم؟ ثم قال منصرفاً فأنصبر رسولاً وقلنا له ألا نوقفك لك فجاء الرسول وقال هو أشغل من أن ينهم عن شيئاً أدركنه وهو يدخل القمار وهو يسانب نفسه ويقول أفلت وقت نوم هذه الساعة أفكان هذا عليك بنام الرجل متى شاء وما يدريك أن هذا ليس وقت نوم تتكلمين بما لا تخلين أما إن لله علي عهداً لا أنقضه أبداً لأؤسذك الأرض لنوم حولاً إلا لمرض حائل أو لفعل زائل سواء لك أما تستحين كم توبخين وعن غيبك لا تنتبين قال وجعل يسكن وهو لا يشمر بكافي قلنا رأيت ذلك انصرفت وتركت . وبخى عن نعيم الدارى أنه نام ليلة لم يغم فيها يتجدد فقام سنة لم يغم فيها عتوبة لذي صنع . وعن طلحة رضى الله تعالى عنه قال انطلق رجل ذات يوم فزغ ثيابه وترغم في الرضاء فكان يقول لنفسه ذوقى ونار جهنم أشد حراً أجينة الليل بطلالة البهار فيبينا هو كذلك إذ أبصر النبي صلى الله عليه وسلم في ظل شجرة فأقامه فقال غلبتني نفسى فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ألم يكن لك يد من اللى صنعت أما لقد صنعت لك أبواب السماء ولقد باهى الله بك الملائكة ثم قال لأصحابه تزودوا من أخيك فجعل الرجل يقول له يا فلان ادع إلى يا فلان ادع إلى فقال النبي صلى الله عليه وسلم عهمهم فقال اللهم اجعل التقوى زادهم واجمع على الهدى أمرهم فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول اللهم سدد فقال الرجل اللهم اجعل الجنة مأوىهم <sup>(١)</sup> . وقال حذيفة بن قبادة قيل لرجل كيف تصنع بنفسك في شهواتها فقال ما على وجه الأرض نفس أبغض إلى منها فكيف أعطيته شهواتها ودخل ابن السكك على داود الطائي حين مات وهو في بيته على التراب فقال يادادو سجت نفسك قبل أن تسجن وعذبت نفسك قبل أن تغضب فالיום ترى ثواب من كنت تعد له . وعن وهب بن منبه أن رجلاً سجد زماناً ثم بدت له إلى الله تعالى حاجة فقام سبعين سباً يأكل في كل سبت إحدى عشرة مرة ثم سأل حاجته فلم يعطها فرجع إلى نفسه وقال منك أثبت لو كان فيك خير لأعطيت حاجتك ففزع إليه ملك وقال يا ابن آدم ساعتك هذه خير من عبادتك التي مضت وقد قضى الله حاجتك . وقال عبد الله بن قيس كنا في غزاة لنا فغضر العدو فصيح في الناس فقاموا إلى الصاف في يوم شديد الريح وإذا رجل أمامى وهو يخاطب نفسه ويقول أى نفسى ألم أشهد مشهد كذا وكذا قتلتي لأهلك وعيالك فأطعك ورجعت ألم أشهد مشهد كذا وكذا قتلتي لأهلك وعيالك فأطعك ورجعت والله لأعز منك اليوم على الله أخذك أو تركك قتلتي لأمرقته اليوم فرمته فحمل الناس على عدوهم فكان في أوائلهم ثم إن العدو حمل على الناس فانكشفوا فكان في موضعه حتى انكشفوا أمراته وهن ثابت يقابلن فوالله ما زال الذالك يهجن رأيت صريماً فعدت به وبدابته ستين أو أكثر من ستين طعنه وقد ذكرنا حديث أبي طلحة لما اشتغل قلبه في الصلاة بطائر في حائطه فتصدق بالحائط كفاية لذلك وإن عمر كان يضرب قديمه بالذرة كل ليلة ويقول ماذا عملت اليوم وعن مجمع أنه رفع رأسه إلى السطح فوقع بصره على امرأة فجعل على نفسه أن لا يرفع رأسه إلى السماء مادام في الدنيا . وكان الأحنف بن قيس لا يفرقه الصباح بالليل فكان يضع أصبعه عليه ويقول لنفسه ما حملك على أن صنعت يوم كذا كذا . وأنسكروهب بن النور وشيخا على نفسه فتف شعرات على صدره حتى عظم ألمه ثم جعل يقول لنفسه وحك إنما أريد بك الخير ورأى محمد ابن بشر داود الطائي وهو يأكل عند إفطاره خبزاً بنير ملح فقال له لو أكلته بخل فقال إن نفسى لدعوني إلى اللع منذ سنة ولا ذاقى داود ملحاً مادام في الدنيا فهكذا كانت عقوبة أولى الخزي لم أنفسهم والعجب

يقول سمعت الحسين ابن عوفيه يقول قال أبو يزيد ذلك فإذا التفت إلى الطوار للقامات لولم المحين وطى بساط الأطوار لحواس المحين وم المهبون تخلفت عن همهم القامات وربما كانت القامات على مسدأرج طبقات السموات وهى مواطن من يتعثر في أذيال بياها . قال بعض الصكبار لأبراهيم الحواسب إلى ماذا أدى بك التصوف فقال إلى التوكل فقال تسمى في عمران باطك أين أنت من الفناء في التوكل برؤية الوكيل فالنفس إذا تحركت

(١) حديث طلحة انطلق رجل ذات يوم فزغ ثيابه وترغم في الرضاء وكان يقول لنفسه ونار جهنم أشد حراً الحديث بطوله ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس من رواية ليث بن أبي سليم عنه وهذا منقطع أو مرسل ولا أدري من طلحة هذا .

أنك تعاقب عبدك وأمتك وأهلك وولدك على ما يصدر منهم من سوء خلق وتقصير في أمر وتخاف أنك لو تجاوزت عنهم لخرج أمرهم عن الاختيار وبسوء عليك ثم تهل تمسك وهي أعظم عدولك وأشد طغياناً عليك وضربك من طغيانها أعظم من ضربك من طغيان أهلها فان غابهم ابن يسوءوا عليك مميصة الدنيا ولو عقلت لعلت أن العيش عيش الآخرة وأن فيه النعيم القيم الذي لا آخر له ونفسك هي التي تنقص عليك عيش الآخرة فهي المعلقة أولى من غيرها .

### [ الرابطة الخامسة المجاهدة ]

وهو أنه إذا حاسب نفسه فزأها قد فارقت مصيبة فينبغي أن يباقها بالعقوبات التي مضت وإن رآها تنوأن يحكم السكسل في شيء من الفضائل أو ورد من الأوراد فينبغي أن يؤذيها بتبديل الأوراد عليها ويلزمها فتوأن من الوظائف جبراً لما فاتته وتداركاً لما فرطت فهكذا كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر بن الخطاب نفسه حين فاته صلاة العصر في جماعة بأن تصدق بأرض كانت له فيعطيها مائتا ألف درهم وكان ابن عمر إذا فاته صلاة في جماعة أحيا تلك الليلة وأخر ليلة صلاة للقلب حتى طلع كوكبان فأعق رقتين وفات ابن أبي ريمه ركننا القمر فأعق رقبة وكان بعضهم يجعل على نفسه صوم سنة أو الحج مائياً أو التصديق بجميع ماله كل ذلك مرابطة للنفس ومؤاخفة لها بما فيه نجاتها . فان قلت إن كانت نفسي لافطاعني على المجاهدة والمواظبة على الأوراد فماسبيل معالجتها . فأقول سيالك في ذلك أن تسحب ما ورد في الأخبار من فضل المجتهدين (١) ومن أنفع أسباب العلاج أن تطلب صجعة عبد من عباد الله يجتهد في العبادة فتلاحظ أقواله وتفتدي به وكان بعضهم يقول كنت إذا اعترتني فترة في العبادة نظرت إلى أحوال محمد بن واسع وإلى اجتهداه فصلمت على ذلك أسبوعاً إلا أن هذا العلاج قد تضرر إذ قد قد في هذا الزمان من يجتهد في العبادة أجهاد الأولين فينبغي أن يبدل من المشاهدة إلى السماع فلا شيء أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجليل وقد انشغى عنهم وبقي نواهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع فما أعظم ملسهم وما أشد حسرة من لا يتدنى بهم فيجتنب نفسه أياماً فلالاً بشهوات مكذبة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهي أيد الآباد فموذاه الله تعالى من ذلك ونحن نورد من أوصاف المجتهدين وفضائلهم ما يحرك رغبة للريد في الاجتهاد اقتداء بهم فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « رحم الله أقواماً يحسبهم الناس مرضى وميامم مرضى (٢) » قال الحسن أجهدتهم العبادة قال الله تعالى - والذين يؤتون ما آتوا قلوبهم ورجله - قال الحسن يعملون ما عملوا من أعمال البر ويخافون أن لا ينجم ذلك من عذاب الله وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « طوبى لمن طال عمره وحسن عمله (٣) » ويروى أن الله تعالى يقول للملائكة ما بال عباده يجتهدون

(١) الأخبار الواردة في حق المجتهدين أبوداود من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص من قام بستر آيات لم يكتب من القائلين ومن قام بمائة آية كتب من القائلين ومن قام بألف آية كتب من القائلين وله ولقسان وابن ماجه من حديث أبي هريرة بأسناد صحيح رحم الله رجلاً قام من الليل فضاً وأبغض أمراته ولقمرمذى من حديث بلال عليكم بقيام الليل فانه ذاب الصالحين قبلكم الحديث وقال غريب ولا يصح وقد تقدم في الأوراد مع غيره من الأخبار في ذلك (٢) حديث رحم الله أقواماً يحسبهم مرضى وميامم مرضى لم أجده إلا في حديث مرفوع ولكن رواه أحمد في ازهد موقوفاً على علي في كلامه له قال فيه ينظر إليهم الناظر فيقول مرضى وما بالقوم من مرض (٣) حديث طوبى لمن طال عمره وحسن عمله الطبراني من حديث عبد الله بن بسر وفيه بقية رواه بسيفه عن وهو مدلس وللقمرمذى من حديث أبي بكره خير الناس من طال عمره وحسن عمله وقال حسن صحيح وقد تقدم .

بصفتها متلفة من دائرة الزهد يرجعها الزاهد إلى الدائرة بهذه والتوكل إذا تحركت نفسه يرجعها بتوكلها الراضى بردها برضاء وهذه الحركة من النفس بقايا وجودية تقتدر على سياسة العلم وفي ذلك تنسم روح القرب من بعيد وهو أداء حق العبودية مبلغ العلم ومحبة الاجتهاد والسكسب ومن أخذ في طريق الخامسة عرف طريق التخلص من البقايا بالتسمر بأنوار فضل الحق ومن اكتفى ملابس نور القرب بروح دأمة المكوف محبة عن

فيقولون لها خوفهم شيئا عافوه وشوقهم إلى شيء فاشتاقوا إليه فيقول الله تبارك وتعالى فكيف  
لورأتني عبادي لسكنوا أشد اجتهادا . وقال الحسن : أدركت أنوما وصحبت طوائف منهم ما كانوا  
يفرحون بشيء من الدنيا أقبل ولا يتأسفون على شيء منها أدبر ولهم كانت أهون في أعينهم من هذا  
التراب الذي تظفونه بأرجلكم إن كان أحدهم يعيش عمره كله ماطول له ثوب ولأمر أهله بصنعة  
طعام قط ولا جعل بينه وبين الأرض شيئا قط وأدركتهم عاملين بكتاب ربهم وسنة نبيهم إذا جنهم  
الليل قيام على أطرافهم يغترشون وجوههم تجري دموعهم على خدودهم ينجون ربهم في فسكك  
رقابهم إذا عملوا الحسنة فرحوا بها ودأبوا في شكرها وسألوا الله أن يتقبلها وإذا عملوا السيئة  
أحزنتهم وسألوا الله أن ينفرها لهم والله ما زالوا كذلك وعلى ذلك والله ما سلموا من الذنوب ولا نجوا  
إلا بالعمرة . وعني أن قوما دخلوا على عمر بن عبد العزيز يودونه في مرضه وإذا بهم شاب  
ناحل الجسم فقال عمر له يا بني ما الذي بلغ بك ما أرى فقال يا أمير المؤمنين أقام وأمرأض فقال  
سألتك بالله لإصداقتي فقال يا أمير المؤمنين ذقت حلاوة الدنيا فوجدتها مرة وصغر عندي زهرتها  
وحلاوتها واستوى عندي ذهبها وحجرها وكأني أنظر إلى عرش ربي والناس يساقون إلى الجنة والنار  
فأظلمات لتلك نهاري وأسهرت ليلي وقابل حقير كل ما أنا فيه في جنب ثواب الله وعقابه . وقال  
أبو نعيم كان داود الطائي يشرب الفيتيت ولا يأكل الخبز قليل له في ذلك فقال بين مضغ الخبز وشرب  
الفيتيت قراءة خمسين آية ودخل رجل عليه يوما فقال إن في سقف بيتك خذعة مسكورا فقال يا ابن  
أخي إن لي في البيت منذ عشرين سنة ما نظرت إلى السقف وكانوا يكرهون فضول النظر كما يكرهون  
فضول الكلام . وقال محمد بن عبد العزيز : جلسنا إلى أحمد بن رزيق من غدوة إلى العصر فما التفت  
بينة ولا يسرة قليل له في ذلك فقال إن الله عز وجل خلق العيين لينظر بهما العبد إلى عظمة الله تعالى  
فشكل من نظر بغير اعتبار كتبت عليه خطيئة . وقالت امرأة مسروق : ما كان يوجد مسروق  
إلا وساقاه منتفخان من طول الصلاة وقالت والله إن كنت لأجلس خلقه فأبكي رحمة له . وقال  
أبو الدرداء : لولا ثلاث ما أحببت العيش : يوما واحدا الظمأ لله بالهواجر والسجود لله في جوف الليل  
ومجالسة أقوام ينتقون أطياب الكلام كما ينتقى أطياب الثمر ، وكان الأسود بن يزيد يجتهد في العبادة  
ويصوم في الحر حتى يخضر جسده ويصفر فكان علقمة بن قيس يقول له لم تعذب نفسك فيقول  
كرامتها أريد وكان يصوم حتى يخضر جسده ويصلى حتى يسقط فدخل عليه أنس بن مالك والحسن  
فقالا له إن الله عز وجل لم يأمر بك بكل هذا فقال إنما أنا عبد مملوك لأدع من الاستكانة شيئا إلا جئت  
به ، وكان بعض المهتدين يصلي كل يوم ألف ركعة حتى أفعد من رجليه فكان يصلي جالسا ألف ركعة  
فاذا صلى العصر احتج ثم قال هجيت للخليفة كيف أرادت بك بدلائلك هجيت للخليفة كيف أنست  
بسواك بل هجيت للخليفة كيف استنارت قلوبها بذكر سواك ، وكان ثابت البناني قد حبيت إليه  
الصلاة فكان يقول اللهم إن كنت أذنت لأحد أن يصلي لك في قبره فأذن لي أن أصلي في قبري .  
وقال الجنيد : ما رأيت أعبد من السري أمت عليه نحران وتسعون سنة ما روى مضطجعا إلا في علة  
الوت . وقال الحرث بن سعد : مر قوم براهب فرأوا ما صنع بنفسه من شدة اجتهاده فكلموه في ذلك  
فقال وما هذا عند ما يراد بالحلق من ملائمة الأحوال وهم غافلون قد اعتسكفوا على حظوظ أنفسهم  
وسوا حظهم الأكبر من ربهم فسبك القوم عن آخرهم ، وعن أبي محمد اللعازلي قال جاور أبو محمد  
الجريري بمكة سنة فلم ينم ولم يتكلم ولم يستند إلى عمود ولا إلى حائط ولم يعد رجليه فسير عليه  
أبو بكر السكتاني فلم عليه وقال له يا أبا محمد بم قدرت على اعتكافك هذا فقال علم صدق باطن

الطوارق والصروف  
لا يزججه طلب ولا  
يوحسه سلب فازهد  
والتوكل والرضا كان  
فيه وهو غير كائن  
فيها على معنى أنه كيف  
تقلب كان زاهدا وان  
رغب لأنه بالحلق لا  
بنفسه وإن روى منه  
اللائفات إلى الأسباب  
فهو متوكل وإن وجد  
منه الكراهة فهو  
راض لأن كراهته  
لنفسه ونفسه للحق  
وكراهته للحق أعيد  
إليه نفسه بدواعيها  
وصفتها مطهرة  
موهوبة محمودة  
ملطوف بها صار عين  
الداء دواء وصار  
الاعلال شفاء وناب  
طلب الله له مناب كل

فأعاني على ظاهري فأطرق السكتاني ومشى مفكرا ، وعن بعضهم دل دخلت على فتىح للوصلى  
 فرأيت قد مد كفيه يكي حتى رأيت الدموع تتحد من بين أصابعه فتدبرت منه فادا دموعه قد  
 خالطها صفة فقلت ولم بالله يا فتىح بكيت الدم فقال لولا أنك أحلفني بالله ما أحبرت بك ، نعم بكيت دما  
 فقلت له على ماذا بكيت الدموع ؟ فقال على تخلفي عن واجب حق الله تعالى وبكيت الدم على الدموع  
 ثلاثا يكون ما صحت لي الدموع قال فرأيت بعد موته في المنام فقلت ما صنع الله بك ؟ قال غفرتي فقلت  
 له فإذا صنع في دموعك ؟ فقال قربني ربي عز وجل وقال لي يا فتىح الدع على ماذا ؟ قلت يارب على  
 تخلفي عن واجب حقك فقال والدم على ماذا ؟ قلت على دموعي أن لا تصح لي فقال لي يا فتىح  
 ما أردت بهذا كله وعزتي وجلالي لقد صعد حافلك أربعين سنة بصحيفتك ما فيها خطيئة ، وقيل  
 إن قوما أرادوا سفرا فنادوا عن الطريق فانتهوا إلى راهب منفرد عن الناس فادوه فأشرف عليهم  
 من صومعته فقالوا ياراهب إنا قد أخطأنا الطريق فكيف الطريق فأومأ برأسه إلى السماء فلم القوم  
 ما أراد فقالوا ياراهب إنا ما نلوك فهل أنت مجيبنا ؟ فقال سلوا ولا تسكروا فإن التهاران يرجع والصبر  
 لا يعود والطالب حيث فصب القوم من كلامه فقالوا ياراهب علام الحاق فدا عند مليسكم فقال  
 على نياتهم فقالوا أوصنا فقال تزودوا لي قدر - فمركم فإن خير الزاد ما بلغ البنية ثم أُرشدهم إلى الطريق  
 وأدخل رأسه في صومعته . وقال عبد الواحد بن زيد مررت بصومعة راهب من رهبان الصين  
 فناديته ياراهب فلم يجبني فناديته الثانية فلم يجبني فناديته الثالثة فأشرف على وقال يا هذا ما أنا  
 ياراهب إنما الراهب من رهب الله في سبائه وعظمه في كبريائه وصبر على بلائه ورضى بقضائه وحده  
 على آلائه وشكره على نعمائه وتواضع لعظمته ودل لعزته واستسلم لقدرته وخضع لمهايته وفكر  
 في حسابيه وغنايه فتهاره صائم وليله قائم قد أسهره ذكر النار ومسألة الجبار ذلك هو الراهب وأما أنا  
 فكلب عقور حبست نفسي في هذه الصومعة عن الناس ثلاثا أعترهم فقلت ياراهب لما الذي قطع  
 الحاق عن الله بعد أن عرفوه ؟ قال يأخى لم يقطع الحاق عن الله إلا حب الله نيا وزينته لأشغال  
 للعاصي والذنوب والمائل من رمي بها عن قلبه وتاب إلى الله تعالى من ذنبه وأقبل على ما يقرب من  
 ربه . وقيل لعاود الطائي لو سرحت لحيتك فقال إني إذن افارغ ، وكان أويس القرني يقول هذه  
 ليلة الركوع فيحي الليل كله في ركة وإذا كانت الليلة الآتية قال هذه ليلة السجود فيحي الليل  
 كله في سجدة ، وقيل لما تاب عبثه الضالام كان لا يثينا بالطعام والشراب فقلت لأمه لورقت بنفسك  
 قال الرفق أطلب دعيني أتمب قليلا وأتمم طويلا وحج مسروق فما نام قط إلا ساجدا . وقال سفيان  
 الثوري عند الصباح يحمد القوم السرى وعند المات يحمد القوم النقي . وقال عبد الله بن داود :  
 كان أحدهم إذا بلغ أربعين سنة طوى فراشه أي كان لا ينام طول الليل ، وكان كهمس بن الحسن  
 يصل كل يوم ألف ركة ثم يقول لنفسه قومي يماؤى كل شر فلا ضئف انتصر على خصائصهم كان  
 يكي ويقول ذهب نصف عملي وكانت ابنة الريح بن خيم تقول له يا أبت مالي أرى الناس ينامون  
 وأنت لاتنام ؟ فيقول يا ابتنا إن أباك يخاف البيات ولما رأت أم الريح ما بليق الريح من البكاء  
 والسر نأده يا بني لملك قتلته قليلا قال نعم يا أمه قالت فمن هو حتى تطلب أهله فيفنى عنك نوائه  
 لو يطلون ما أنت فيه لرحمك وغفوا عنك فبقول يا أمه هي نفسي ، وعن عمر ابن أخت جبرين  
 الحرث قال سمعت خالي بشر بن الحرث يقول لأمي يا أختي جوف وخواصرى تضرب على قنات له  
 أُمى يا أختي أنا نأذن لي حتى أصلي لك قليل حساء بكف دقيق عندي تتحساه برم جوفك فقال لها  
 وبك أخاف أن يقول من أين لك هذا الدقيق فلا أدري إيش أقول له فبكت أُمى وبكى معها

طالب من زهد وتوكل  
 ورعا أوصار ما تلوه  
 من الله ينوب عن كل  
 مطلوب من زهد  
 وتوكل ورعا . قالت  
 رابعة : عجب الله لا يسكن  
 أئنته وحبيبته حتى  
 يسكن مع محبوبه .  
 وقال أبو عبيد الله  
 القرظي حقيقة المحبة  
 أن تهب لمن أحببت  
 كلاك ولا يبق لك منك  
 شيء . وقال أبو الحسين  
 الوراق : السرور بالله  
 من شدة المحبة له والمحبة  
 في القلب نار تحرق كل  
 دنس . وقال يحيى بن  
 معاذ صبر الهيبين أشد  
 من صبر الزاهدين  
 وإيجها كيف يصبر  
 الإنسان عن حبيبه .  
 وقال بعضهم من أدى

وبكيت معهم . قال عمر ورئت أُمي ما يبشر من شدة الجوع وجعل بنفس غشا ضعيفا فقالت له أُمي  
 يا أُمي ليت أمك لم تلدنني فقد والله تقطعت كبدي بما أرى بك فسمعت يقول لها وأنا قلت أُمي  
 لم تلدنني وإن ولدتني لم يدر ثديها على . قال عمر وكانت أُمي تبكي عليه الليل والنهار . وقال الربيع :  
 أثبت أُويسا فوجدته جالسا قد صلى العجْر ثم جلس فجالت قنات لا أشفعه عن التيسيح فكثت  
 مكانه حتى صلى الظهر ثم قام إلى الصلاة حتى صلى العصر ثم جلس موضعه حتى صلى المغرب ثم ثبت  
 مكانه حتى صلى العشاء ثم ثبت مكانه حتى صلى الصبح ثم جلس فقلبت عيناه فقال اللهم إني أعوذ بك  
 من عين نومة ومن بطن لاتسع فقلت حسي هذا منه ثم رجعت ونظر رجل إلى أُويس فقال  
 يا أبا عبد الله مالي أراك كأنك مريض فقال وما لأُويس أن لا يكون مريضا يطعم المريض وأُويس  
 غير طاعم وبنام المريض وأُويس غير نائم . وقال أحمد بن حرب : باعيا لمن يعرف أن الجنة  
 تزين فوقه وأن النار تسر تحته كيف بنام بينهما . وقال رجل من النساك أثبت إبراهيم بن آدم  
 فوجدته قد صلى العشاء فقدمت أرقبه فلف نفسه بعباءة ثم رمى نفسه فلم ينقلب من جنب إلى  
 جنب الليل كله حتى طلع الفجر وأذن المؤذن فوثب إلى الصلاة ولم يحدث وضوءا إلّا ذلك في صدره  
 فقلت له رحمك الله قد نمت الليل كله مضطجعا ثم لم تجد وضوء . فقال كنت الليل كله جالسا في  
 رياض الجنة أحيانا وفي أودية النار أحيانا فبقي في ذلك نوم . وقال ثابت البناني : أدركت رجلا  
 كان أحدهم يصلي فيعجز عن أن يأتي فراشه إلا حيوا ، وقيل مكث أبو بكر بن عباس أربعين سنة  
 لا يضع جنبه على فراش وتزل الماء في إحدى عينيه فكثت عشرين سنة لا يلم به أهله وقيل كان  
 ورد صحنون في كل يوم خمسمائة ركعة ، وعن أبي بكر اللطوعي قال كان وردى في شبيته كل يوم  
 ليلة أفرا فيه : قل هو الله أحد إحدى وثلاثين ألف مرة أو أربعين ألف مرة شك الراوي ، وكان  
 منصور بن النعمان إذا رأته قلت رجل أصيب بصمية منكسر الطرف من خفض الصوت رطب العينين  
 إن حركته جاءت عيناه بأربع ولقد قالت له أمه ما هذا الذي تصنع بنفسك تبكي الليل عامته  
 لاتسكت لعلك يابني أصبت نسا لعلك تلت قتيلا ؟ فيقول يا أمه أنا أعلم بما صنعت بنفسى ، وقيل  
 لعامر بن عبد الله كيف صبرك على سهر الليل وعلما المواجه فقال هل هو إلّا أنى صرفت طعام النهار  
 إلى الليل ونوم الليل إلى النهار وليس في ذلك خطير أمر وكان يقول ما رأيت مثل الجنة نام طالها  
 ولا مثل النار نام هاربا وكان إذا جاء الليل قال أذهب حر النار النوم لما بنام حتى يصبح فاذا جاء  
 النهار قال أذهب حر النار النوم لما بنام حتى يمسى فاذا جاء الليل قال من خاف أدلج وعند الصباح  
 بحمد القوم السرى . وقال بعضهم : سمعت عامر بن عبد القيس أربعة أشهر لما رأته نام بلبل  
 ولا نهار . وروى عن رجل من أصحاب علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه أنه قال : صليت  
 خلف علي رضى الله تعالى عنه الفجر فلما سلم اشتغل عن بيته وعليه كآبة فكثت حتى طلعت  
 الشمس ثم قلب يده وقال والله لقد رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما رى اليوم شيئا يشبههم  
 كانوا يصبحون شعثا غبرا قد باتوا لله سجدا وقيامًا يتلون كتاب الله براوحون بين أقدامهم  
 وجباههم . وكانوا إذا ذكروا الله مادوا كما يمد الشجر في يوم الربيع وهملت أعينهم حتى تبل ثيابهم  
 وكان القوم باتوا غلظين ينى من كان حوله وكان أبو مسلم الحولاني قد علق موطا في مسجد بيته  
 يخوف به نفسه وكان يقول لنفسه قومي فوالله لأزحفن بك زحفا حتى يكون السكل منك لاني  
 فإذا دخلت الفترة تناول سوطه وضرب به ساقه ويقول أنت أولى بالضرب من داني وكان يقول  
 أياظن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن يستأثروا به دوننا كلا والله لئراحمهم عليهم حاسا حتى يملوا  
 أنهم قد ظفروا ورواهم رجلا . وكان صفوان بن سليم قد تقدمت ساقا من طول القيام وبلغ من الاجتهاد

محبة الله من غير تورع  
 عن محارمه فهو كذاب  
 ومن ادعى محبة الجنة  
 من غير إيفاق ملكه  
 فهو كذاب ومن ادعى  
 حب رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم من غير  
 حب الفقراء فهو كذاب  
 وكانت رابعة تشدد :  
 تسمى الإله وأنت  
 تظهر حبه

هذا لعمري في القمال  
 يدعي  
 لو كان حبك صادقا  
 لأطعته

إن الحب لمن يحب  
 حطيط  
 وإذا كان الحب  
 للأحوال كالنوبة  
 للمقامات فمن ادعى  
 حاله يهترج ومن  
 ادعى محبة تختبر قوته

مالوقيل له القيامة غدا ماوجد مزايدا ، وكان إذا جاء الشتاء اضطلع على السطح ليضربه البرد وإذا كان في الصيف اضطلع داخل البيوت ليجد الحر فلا ينام وأنه مات وهو ساجد وأنه كان يقول : اللهم إني أحب لقاءك فأحِبْ لقائي . وقال القاسم بن محمد غدوت يوما وكنت إذ اغدوت بدأت بمائسة رضى الله عنها أسلم عليها فغدوت يوما إليها فلذا هي صلى صلاة الضحى ، وهى قرأ - فن الله علينا ووقانا عذاب السموم - وتبكي وتدعو وتردد الآية فسمعت حتى مللت وهى كاهى فلما رأيت ذلك ذهبت إلى السوق فقلت أفرغ من حاجتى ثم أرجع ففرغت من حاجتى ثم رجعت وهى كاهى ترعد الآية وتبكي وتدعو . وقال محمد بن إسحاق لماورد علينا عبدالرحمن بن الأسود حاجبا اعتلت إحدى قدميه فقام يمشى على قدم واحدة حتى صلى الصبح بوضوء المشاء . وقال بعضهم : ما أخاف من لثوث الألمان حيث يحول بينى وبين قيام الليل . وقال طى بن أبى طالب كرم الله وجهه سمى الصالحين صفرة الألوان من السر وعمش العيون من البكاء وذبول الشفاء من الصوم عليهم غيرة الخاشعين . وقبل الحسن : ما بال للهجد بن أحسن الناس وجوها فقال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره ، وكان عامر بن عبد القيس يقول : إلهى خلقتى ثم تؤامرنى وتميتن ولا تمنين خلقت معى عدوا وجملته يجرى منى مجرى الدم وجعلته يرانى ولأمره ثم قلت لى استمسك إلهى كيف استمسك إن لم تمسكنى إلهى فى الدنيا المدموم والأحزان وفى الآخرة العقاب والحساب فأبى الراحة والفرح ، وقال جعفر بن محمد كان عتبة الغلام يقطع الليل بثلاث صيحات كان إذا صلى النعمة وضع رأسه بين ركبتيه يشكر فإذا مضى ثلث الليل صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يشكر فإذا مضى الثلث الثانى صاح صيحة ثم وضع رأسه بين ركبتيه يشكر فإذا كان السحر صاح صيحة قال جعفر بن محمد فحدث به بعض البصريين فقال لا تنظر إلى صياحه ولكن انظر إلى ما كان فيه بين الصيحتين حتى صاح . وعن القاسم بن راشد الشيباني قال كان زمعة نازلا عندنا بالمصب . وكان له أهل وبنات ، وكان يقول فيصلى ليلا طويلا فإذا كان السحر نادى بأعلى صوته أيها الركب للمرسون أكل هذا الليل ترقدون أفلا تقومون فترحلون فيتواثبون فيسمع من ههنا بك ومن ههنا دأع ومن ههنا قارى ومن ههنا متوضئ ، فإذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى . وقال بعض الحكماء : إن لله عبادا أنهم عليهم فرفوه وشرح صدورهم فأطاعوه وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء البقين ويوتا للحكمة وتوايت للعلمة وخزائن للقدرة فهم بين الخلق مقبولون ومدبرون وقولهم نجول فى اللسكوت وتولد بمحبوب النجوم ثم ترجع ومعها طوائف من لطائف القوا الله ولا يمكن وأصفا أن يصفه فهم فى باطن أمورهم كالديباج حسنا وهم فى الظاهر متناديل مبتلون لمن أرادهم تواضعا ، وهذه طريقة لا يبلغ إليها بالنسكف وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء . وقال بعض الصالحين : بينا أنا أسير فى بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هناك فإذا أنا بصوت قد علا وإذا تلك الجبال تنجيه لها دوى حال فابت الصوت فإذا أنا بروضة عليها شجر ملتف وإذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية - يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا - إلى قوله - ويحذركم الله نفسه - قال فنبلس خلفه أصمح كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خر منفضا عليه فقلت وأسماء هذا لشقائى ، ثم انتظرت إفاقته فأناق بعد ساعة فسمعت وهو يقول أعوذ بك من مقام الكذابين أعوذ بك من أعمال الباطلين أعوذ بك من إغراض الغافلين ثم قال لك خست قلوب الحائضين وإليك فرغت آمال التصيرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين ثم تقضى يده فقال مالى ولدينا

فإن الثوبة قلوب الروح  
الحب وهذا الروح  
قيامه بهذا القالب  
والأحوال أعراض  
قوامها بخوهر الروح .  
وقال مدون : ذهب  
المحبسون قد يشرف  
الدنيا والآخرة لأن  
النبي صلى الله عليه وسلم  
قال «الره مع من  
أحب» فهم مع الله  
تعالى وقال أبو يعقوب  
السوسى لا تصح المحبة  
حتى تخرج من رؤية  
المحبة إلى رؤية  
المحبوب بفناء علم  
المحبة من حيث كان  
له المحبوب فى القلب  
ولم يكن هذا بالمحبة  
فإذا خرج الحب إلى  
هذه النسبة كان  
محباً من غير محبة

ومال الدنيا ولي عليك يا دنيا بأبناء جنسك وآلاف نعمك إلى محبك قاذبي وإياهم قاذعي ثم قال  
 أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة في التراب ييلون وعلى الزمان يغنون فلا بدته يا عبد الله أن تعلمند  
 اليوم خالفك أنتظر فراغك فقال وكيف يفرغ من ياد الأوقات وتبادله بخاف سبقها بالموت إلى نفسه  
 أم كيف يفرغ من ذهب أيامه وبقيت آثامه ثم قال أنت لها ولكل شدة أتوقع زولها ثم لها على  
 ساعة وقرأ - وبه اللهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - ثم صاغ صبيحة أخرى أشد من الأولى وقرأ  
 منشأ عليه قفقت قد خرجت روحه فدنوت منه فاذا هو يضطرب ثم أفاق وهو يقول لمن أنا ماذا طرى  
 هب لي إسمائي من فضلك وجلي بترك واعف عن ذنوبي بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك قفقت  
 له بالذي ترجوه لنفسك وتثق به إلا كنتي فقال عليك بكلام من ينفك كلامه ودع كلام من أوقته  
 ذنوبه إلى نفي هذا الوضع مذ شاء الله أجاهد إياي وبجاهدي فلم يجد عونا علي ليخرجني مما أنا فيه  
 غبرك قاليك عني يا مدحوق قد عطلت على لساني وميلت إلى حديثك شعبة من قلبي وأنا أعوذ بالله  
 من شركك ثم أرجو أن يعذني من سخطه ويغفر لي برحمته قال قفقت هذا أولي الله أخاف أن أشغله  
 فأعاقب في موضع هذا فانصرف وتركته . وقال بعض الصالحين بينا أنا أسير في مسجدي إذ ملمت إلى  
 شجرة لأستريح تحتها فاذا أنا بشيخ قد أشرف علي فقال لي يا هذا قم فان الودع لم يمت ثم هام على وجهه  
 فابتعته فسمعته وهو يقول - كل نفس ذائقة الموت - اللهم بارك لي في الموت قفقت وفيها بد الموت  
 فقال من أين بما بعد الموت شعر مئزر الحذر ولم يكن له في الدنيا مستقر ثم قال يا من لوجهه عنت  
 الوجوه يبعث وجهي بالنظر إليك واملا قلبي من المحبة لك وأجرتي من ذل التوسيع غدا عندك فقد  
 آن لي الحياء منك وحنان لي الرجوع عن الاعراض عنك ، ثم قال لولا حلك لم يسكن أجلى ولولا  
 عفوك لم ينسبط فيها عندك أملي ثم مضى وتركني ، وقد أنشدوا في هذا المني :

تحيل الجسم مكتئب الفؤاد	تراه بقعة أوبطن وادي
ينوح على معاص فاضحات	يكدر قلبها صفو الرقاد
فان حاجت مخاوفه وزادت	فدعوه أغشى بأعمادي
فأنت بما ألقىه عليم	كثير الصفع عن زلل العباد
أنت من التسلذ بالتواني	إذا أقبان في حلال حسان
منيب فر من أهل ومال	يسبح إلى مكان من مكان
ليخمل ذكره ويبش فردا	ويظفر في البسادة بالأمان
تلهذه التسلاوة أين ولي	وذكر بالسواد وباللسان
وعند الموت يأتيه بشير	يبشر بالسجدة من الحيوان
فيدرك ما أراد وما تمنى	من الراحة في غرف الجنان

وكان كرز بن وبرة يحتم القرآن في كل يوم ثلاث مرات وبجاهد نفسه في العبادات غاية الجاهدة فقبيل  
 قد أجهدت نفسك فقال كم عمر الدنيا قليل سبعة آلاف سنة فقال كم مقدار يوم القيامة قليل خمسون  
 ألف سنة فقال كيف يعجز أحدكم أن يعمل سبع يوم حتى يأمن ذلك اليوم يعني أولك لو عشت عمر الدنيا  
 واجتهدت سبعة آلاف سنة وتخلصت من يوم واحد كان مقداره خمسين ألف سنة لكان ربك  
 كثيرا وكنت بالربعة فيه جديرا فكيف ومحرك قصر والآخرة لا غاية لها فهكذا كانت سيرة السلف  
 السالطين في مراعاة النفس ومراقبتها فهما تحردت نفسك عليك وامتنعت من الواطئة على العادة  
 فظالم أحوال هؤلاء فانه قد عز الآن وجود مثله ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فمواضع

مثل الجنييد عن  
 المحبة قال : دخول  
 صفات المحبوب على  
 البديل من صفات  
 المحب . قيل هذا على  
 معنى قوله تعالى « فاذا  
 أحببتهم كنت له سمعا  
 وبصرا » وذلك أن  
 المحبة إذا صفت وكلت  
 لأزال تعذب بوصفها  
 إلى محبوبها ، فاذا  
 انتهت إلى غاية جهدها  
 وقفت والرابطة متصلة  
 متأكدة وكال وصف  
 المحبة أزال الوانع من  
 المحب وبكمال وصف  
 المحبة تعذب صفات  
 المحبوب تطفأ على  
 المحب الخاص من  
 موانع قاذحة في صدق  
 المحب ونظرا إلى  
 قصوره بعد استفاد

في القلب وأبث على الاقتداء فليس الخبر كالمعاينة وإذا هجرت عن هذا فلا تنفل عن سماع أحوال هؤلاء.  
 فان لم تكن إبل فعزى وخير تسك بين الاقتداء بهم والسكون في زميرهم وغمارهم وهم الغلاء والحسكة.  
 وذوو البساتين في الدين وبين الاقتداء بالجملة الغافلين من أهل عصرك ولا ترض لما أن تخرط على سلك الحق  
 وتنتع بالتبته بالأغبياء وتؤثر خالة الغلاء فان حدثك نفسك بأن هؤلاء رجال أوفياء لا يطلق الاقتداء  
 بهم فطالع أحوال النساء المجهيدات وقل لها يا نفس لا تستكفي أن تكوني أقل من امرأة فأخس رجل  
 يقصر عن امرأتي أمر دينها ودنياها ، ولندكر الآن نبذة من أحوال المجهيدات قد دروي عن حبيبة  
 المدوية أنها كانت إذا صلت الضمة قامت على سطح لها وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت إلهي قد  
 غارت النجوم ونامت العيون وغلقت اللوك أبوابها وخلاكل حبيب بحبيبه وهذا قامي بين يديك ثم  
 تقبل على سلاتها فإذا طلع الفجر قالت إلهي هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر فليت شعري أقبلت  
 مني ليلتي فأهنا أم رددتها على فأعزى وعزتك لهذا دأبي ودأبك ما يقيني وعزتك لوالهترتي عن بابك  
 ما برحت لما وقع في نفسي من وجودك وكرمك . وبروي عن هجرة أنها كانت تحب الليل وكانت مكشوفة  
 البصر فإذا كان في السحر نادت بصوت لها عزون إليك قطع العابدون دجى الليالي بسببها ونزل إلى رحمتك  
 وضل مغفرتك فبك يا إلهي أسألك لا يضر لك أن تجعلني في أول زمرة السائقين وأن ترفقني إليك في عليين  
 في درجة القرين وأن تلتحقني ببادك الصالحين فأنت أرحم الرحماء وأعظم المعظما وأكرم الكرماء  
 يا كريم ثم تحر ساجدة فيسمع لها وجة ثم لا تزال تدعو وتبكي إلى الفجر . وقال يحيى بن بسطام:  
 كنت أشهد مجلس شجوة فكنت أرى ماصع عن النباحة والبكاء قهلت لصاحب لي لو أتيها إذا دخلت  
 فأمرناها بالرفق بنفسها فقال أنت وذلك قال فأتيها قهلت لما لورقت بنفسك وأصرت عن هذا البكاء  
 شيئا فكان لك أقوى على ما تريد من قال فيكنت ثم قالت والله لو ددت أني أبكي حتى تنفد دعوى ثم أبكي دما  
 حتى لا تبقى قطرة من دم في جرح من جوارحي وأنى لي بالبكاء وأنى لي بالبكاء فلم تزل تردو أنى لي بالبكاء  
 حتى غشى عليها . وقال محمد بن معاذ حدثني امرأة من التبيدات قالت رأيت في منامي كأنني أدخلت  
 الجنة فإذا أهل الجنة قيام على أبوابهم قهلت ما شأن أهل الجنة قيام فقال لي قائل خرجوا ينظرون إلى هذه  
 للرأة التي زخرفت الجنان لقدومها قهلت ومن هذه المرأة قبل أمه سوداء من أهل الأبيكة يقال لها شعرة  
 قالت قهلت أختي والله قالت فيينا أنا كذلك إذ أقبل بها على ناحية تطير بها في الهواء فلما رأيتها ناديت  
 يا أختي أما ترين مكان من مكانك فلو دعوت لي مولاك فألحقني بك قالت فتبسمت لي وقالت لم بأن  
 لقدومك ولكن احفظي عن اثنتين أئزى الحزن قلبك وقدمي عجة الله على هواك ولا يضر لك من مت.  
 وقال عبيد الله بن الحسن كانت لي جارية رومية وكنت بها معجبا فكانت في بعض الليالي نائمة إلى جنبى  
 فانتبهت فالتفتها فلم أجدها قمعت أهلها فإذا هي ساجدة وهي تقول بحبك لي لإما غفرت لي ذنوبي  
 قهلت لها لا تتولي بحبك لي ولكن قولي بحبي لك فقالت يا مولاي بحبي لي أخرجني من الشرك إلى  
 الاسلام وحب لي أيقظ عيني وكثير من خلقه نيام . وقال أبو هاشم القرشي قدمت علينا امرأة من  
 أهل اليمن يقال لها سرية فزلت في بعض ديارنا قال فكنت أجمع لها من الليل أنينا وشيئا فقلت يوما  
 لحامد لي أشرف على هذه المرأة ماذا تصنع قال فأشرف عليها لما رآها تصنع شيئا غير أنها لا ترد  
 طرفها عن السماء وهي مستقبلة القبلة تقول خافت سرية ثم غديتها بنعمتك من حال إلى حال وكل  
 أحوالك لها حسنة وكل بلائك عندها جميل وهي مع ذلك متحرصة لسلطتك بالتوب على معاصيك  
 فلنت بعد قلعة آراها تظن أنك لا ترى سوء فإلها وأنت عليم خبير وأنت على كل شيء قدير . وقال  
 ذو النون المصري خرجت لية من وادي كنعان فلما علوت الوادي إذا سواد مقبل على وهو يقول

جهده فيعود الحب  
 يسواله اكتساب  
 الصفات من المحبوب  
 فيقول عند ذلك :  
 أنا من أهوى  
 ومن أهوى أنا  
 نحن روحان حلتنا دنا  
 فإذا أبصرته أبصرته  
 وإذا أبصرته أبصرته  
 وهذا الذي عبرنا عنه  
 حقيقة قول رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم  
 « تخلقوا بأخلاق الله »  
 لأنه بزاهة النفس  
 وكال الزكية يستعد  
 للمحبة والمحبة موجهة  
 غير مطلة بالزكية  
 ولكن سنة الله  
 جارية أن يزكي نفوس  
 أجياله بحسن توفيقه  
 وتأييده وإذا منح  
 زاهة النفس وطهارتها

- وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون - ويسكن فلما قرب من السواد إذا هي امرأة عليها جبة صوف  
وبعدها ركوة قالت لي من أنت غير فزعة من قلت رجل غريب قالت يا هذا وهل يوجد مع  
الله غربة قال فبكيت لقولها قالت لي ما الذي أبكاك قلت قد وقع الدواء على داء قد قرع فأسرع  
في نجاهه قالت فإن كنت صادقا فلم بكيت قلت برحمتك الله والصادق لا يسكن قالت لا قلت ولماذا قالت  
لأن البكاء راحة القلب فسكت متحجبا من قولها - وقال أحد من على استأذنا على غيرة فحجبتنا فلما  
الباب فلما علت ذلك قامت لتفتح الباب لنا فسمعتها وهي تقول اللهم إني أعوذ بك ممن جاء يشغلني  
عن ذكرك ثم فحت الباب ودخلنا عليها قتلنا لها يا أمة الله ادعي لنا قالت جعل الله قراكم في بيتي  
للفترة ثم قالت لنا مكث عطاء السلى أربعين سنة فكان لا ينظر إلى السماء فحانت منه نظرة فغمضا  
عليه فأصابه حرق في بطنه فبالت غيرة إذا رفعت رأسها لم تنس وإليها إذا عصمت أتمد - وقال بعض  
الصالحين خرجت يوما إلى السوق ومعي جارية حبشية فاحتسبتني في موضع بائعة السوق وذهبت في بعض  
حواليي وقلت لا تبرح حتى أنصرف إليك قال فأنصرفت فلم أجدها في الوضع فأنصرفت إلى  
منزلي وأنا عديد الغضب عليها فلما رأيته عرفت الغضب في وجهي قالت يا مولاي لا تسجل على إنك  
أجلستني في موضع لم أر فيه ذا ذكر الله تعالى غفقت أن يحسف بذلك للوضع فصببت قوتها وقلت لها  
أنت حرة - قالت ساء ما صنعت كنت أخذمك فيكون لي أجران وأما الآن قد ذهب عن أحدهما -  
وقال ابن العلاء السعدي كانت لي ابنة عمي قال لها بريرة تعبدت وكانت كثيرة القراءة في الصحف فكما  
أنت على آية فيها ذكر النار بكت فلم تزل تبكي حتى ذهبت عينها من البكاء فقال بنو عمها انطلقوا بنا  
إلى هذه المرأة حتى نعلمها في كثرة البكاء قال فدخلنا عليها قتلنا بابرية كيف أصبحت قالت أصبحت  
أضيقا منيخين بأرض غربة نتظر متى ندعى فنجيب قتلنا لها كم هذا البكاء قد ذهبت عينك فقالت  
إن يكن لعيني عند الله خير لما يضرها ما ذهب منها في الدنيا وإن كان لها عند الله شرف فبشر بها بكاء  
أطول من هذا ثم أعرضت - قال قال القوم قوموا بنا فمسي والله في شيء غير ما نحن فيه - وكانت معاذة  
العذوبة إذ جاء التبار تقول هذا يوم الذي أموت فيه لما تطعم حتى تمسي فإذا جاء الليل تقول هذه الليلة التي  
أموت فيها فقصي حتى تصبح - وقال أبو سليمان الداراني بث ليلة عند رابعة قامت لي إلى عراب لها وقت أنا  
إلى ناحية من البيت فلم تزل قائمة إلى السحر فلما كان السحر قلت ما جزاء من قواني على قيام هذه الليلة قالت  
جزاؤه أن تصوم له غدا وكانت شموانة تقول في دعائها إلى ما شوقني إلى لقاءك وأعظم رجائي لجزائك  
وأنت الكريم الذي لا يخيب لديك أمل الآملين ولا يهطل عندك شوق المشتاقين إلىي إن كان دنا أجلي  
ولم يقربني منك عمل قد جعلت الاعتراف بالذنوب وسائل على فان عفوت فمن أولى منك بذلك  
وإن عذبت فمن أعدل منك هنالك إلىي قد جرت على نفسي في النظر لها وبقي لها حسن نظرك  
فالويل لها إن لم تسعدني إلىي إنك لم تزل في برا أيام حياتي فلا تقطع عني ريك بعد مماتي ولقد رجوت  
من تولاني في حياتي بأحسانه أن يسعني عند مماتي بفرانه إلىي كيف أيأس من حسن نظرك بعد  
مماتي ولم تولني إلا الجبل في حياتي إلىي إن كانت ذنوبي قد أخافتني فإن عني لك قد أجارتني فحول من  
أمرى ما أنت الله وعد فضلك على من غره جهله إلىي لو أردت إهائي لما هدبتني ولو أردت فضيحي  
لم تسترني فمتني بماله هديتي وأدم لي مابه سترتي إلىي ما أظنك تردني في ساجدة أفنيت فيها عمري  
إلىي لولا ما عذرتني من القنوب ما خفت عقابك ولولا ما عرفت من كرمك ما رجوت ثوابك -  
وقال الحواص دخلنا على رحلة العابدة وكانت قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عجمت وصمت  
حتى أقصدت وكانت تصلي قاعدة فسلمنا عليها ثم ذكرناها عيشا من العفول يهون عليها الأمر قال فشمعت

جذب روحه بجاذب  
الجنة خلق عليه خلق  
الصفات والأخلاق  
ويكون ذلك عنده  
ربة في الوصول فتارة  
ينبت الشوق من  
باطنه إلى ما وراء ذلك  
لكون عطيا لله  
غير متناهية  
وتارة يشل بما منح  
فيكون ذلك وصوله  
الذي يسكن نيران  
هوقه وياعث الشوق  
تستقر الصفات للهوية  
الحقيقة ربة الوصول  
عند الحب ولولا باعث  
الشوق رجح التهفري  
وظهرت صفات نفسه  
الحائلة بين الرء وقلبه  
ومن ظن من الوصول  
غير ما ذكرناه ونحابل  
له غير هذا التدفرو

ثم قالت على بنى فرج فؤادى وكلم كبدى والله لو دئت أن الله لم يخفى ولم أك شيئا مذكورا  
ثم أقبلت على صلاتها . فليكن إن كنت من الرابطين الراقبين لنفسك أن تطالع أحوال الرجال والنساء  
من المجتهدين ليثبت نشاطك ويزيد حرصك وإياك أن تنظر إلى أهل عصرك فانك إن تطعم أكثر  
من في الأرض يضالوك عن سبيل الله وحكايات المجتهدين غير محصورة وفيها ذكرناه كفاية للمبتدئين وإن  
أردت مزيدا فليكن بالمواظبة على مطالعة كتاب حلية الأولياء فهو مشتمل على شرح أحوال الصحابة  
والتابعين ومن بعدهم وبالقوف عليه يستبين لك بعدك وبعد أهل عصرك من أهل الدين فإن  
حدثك نفسك بالنظر إلى أهل زمانك وقالت إنما تيسر الخير في ذلك الزمان لكثرة الأعوان  
والآن فإن خالفت أهل زمانك رأوك مجنونا وسخرؤا بك فواقهم فيما هم فيه وعليه فلا يجرى عليك  
إلا ما جرى عليهم والصلية إذا عمت طابت فأياك أن تتدلى بجعل غرورها وتخدع بتزويرها وقل  
لها رأيت لوجه سبيل جارف يرق أهل البلد ويثبوا على مواضعهم ولم يأخذوا حذرهم لجهلهم  
بحقيقة الحال وقدرت أنت على أن تارقهم وتركي في سفينة تخلصين بها من الترق فهل يخرج  
في نفسك أن الصلية إذا عمت طابت أم تركين مواقفهم وتستجھلينهم في صيغهم وتأخذين حذر  
عما دهاك فإذا كنت تركين مواقفهم خوفا من الترق وعذاب الترق لا تنادى إلا ساعة فكيف  
لاهرين من عذاب الأبد وأنت متعرضة له في كل حال ومن أين تطيب للصية إذا عمت ولأهل  
النار شغل شاغل عن الالتفات إلى العموم والخصوص ولم يهلك الكفار إلا بواقعة أهل زمانهم  
حيث قالوا - إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون - فليكن إذا اشتغلت بمعبادة نفسك  
وحملها على الاجتهاد فاستصحت أن لا تترك معانيها وتوبيخها وتقريرها وتحرفها سوء نظرها لنفسها  
فصاها تزجر عن طغيانها .

### ( الرابطة السادسة في توبيخ النفس ومعانيها )

اعلم أن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وقد خلقت أمانة بالسوء مائلة إلى الشر فرارفة من الخير  
وأمرت بتزيينها وتضويمها وقودها بسلال القهر إلى عبادة ربها وخالفها ومنعها عن شوائبها واطمأنتها  
عن لذاتها فإن أهملتها جمحت وشردت ولم تنظر بها بعد ذلك وإن لازمها بالتوبيخ والمعانية والمذل  
واللامة كانت نفسك هي النفس الواهمة التي أقسم الله بها ورجوت أن تصير النفس للطمشة الدعوة  
إلى أن تدخل في زمرة عباد الله راضية مرضية فلا تنفلت ساعة عن تذكيرها ومعانيها ولا تستغلن  
بوعظ غيره ما لم تستغل أولا بوعظ نفسك أوصى الله تعالى إلى عيسى عليه السلام يا ابن مريم عظ  
نفسك فإن امتطت فطمت الناس وإلا فاستحي منى وقال تعالى - وذكر فإن الله كرهى تنفع المؤمنين -  
وسيلك أن تقبل عليها فخر عندها جهلها وغباوتها وأنها أبدا تنعز بغطتها وهدايتها ويستند أهلها  
وامتناعها إذا نسبت إلى الحق فتقول لها يا نفس ما أعظم جهلك تدعين الحكمة والذكاء والقطنة  
وأنت أشد الناس غباوة وحما أما تحرفين ما بين يديك من الجنة والنار وأنت حائرة إلى إحداها على  
القرب فإليك تفرحين وتضحكين وتستغلين باللهو وأنت مطلوبة لهذا الخطب الجسيم وعساك اليوم  
تحتطين أوغدا فأراك تزين الموت بعيدا ويراه الله قريبا أما تعلمين أن كل ما هو آت قريب وأن  
البعيد ما ليس بآت أما تعلمين أن الموت يأتي بغتة من غير تقديم رسول ومن غير مواعيد ومواطاة  
وأنة لا يأتي في شيء دون شيء ولا في شئ دون صيف ولا في صيف دون شتاء ولا في شتاء دون ليل ولا في ليل  
دون نهار ولا يأتي في الصادون الشباب ولا في الشباب دون الصبايل كل نفس من الأناس يمكن أن يكون  
فيه الموت فجأة فإن لم يكن الموت فجأة فيكون للرض فجأة ثم ينفى إلى الموت فجأة لا تستعدين للموت

منعرض لله  
النصارى في اللاهوت  
والناسوت. وإشارات  
الشيوع في الاسترقاق  
والقضاء كلها عائدة إلى  
تحقيق مقام المحبة  
بإستبلاء نور اليقين  
وخلاصة الذكر على  
القلب وتحقيق حق  
اليقين بزوال الدواعج  
البقايا وأمنت اللوث  
الوجودى من بقاء  
صفات النفس وإذا  
صحت المحبة ترتبت  
عليها الأحوال وتبينها.  
سئل الشبلى عن المحبة  
فقال كس لها وجه  
إذا استقر في الحواس  
وسكن في النفوس  
تلاشت . وقيل للمحبة  
ظاهر وباطن ظاهرها  
اتباع رضا المحبوب

وهو أقرب إليك من كل قريب أمانتدبرين قوله تعالى - اقرب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم - وعلمك يا ناس إن كانت جراتك على معصية الله لا اعتقادك أن الله لا يراك لما أعظم كفرك وإن كان مع علمك باطلاعه عليك فما أشد وقاحتك وأقل حياءك . وعلمك يا ناس لو واجهك عبد من عبيدك بل نزع من إخوانك بما شكره فيه كيف كان غضبك عليه ومقتك له فبأي جسارة تترصقن لقت الله وغضبه وشدد عقابه أفتظنين أنك تطيقين عذابه هيات هيات جري نفسك إن أهلك البطر عن ألم عذابه فاحبس ساعة في الشمس أوفى بيت الحمام أوفى أصبعك من النار ليتبين لك قدر طاعتك أم تغترين بكرم الله وفضله واستغاثته عن طاعتك وعبادتك فمالك لا تعولين على كرم الله تعالى في مهمات دنياك فاذا تصدك عدو فلم تستبطين الحيل في دفعه ولا تسكتينه إلى كرم الله تعالى وإذا أرفقتك حاجة إلى شهوة من شهوات الدنيا بما لا ينقض الإبالدينار والدرهم فمالك تزعين الروح في طلبها وتخصيلها من وجوه الحيل فلم لا تعولين على كرم الله تعالى حتى يمر بك على كثر أو يسخر عبدا من عبيده فيحمل إليك حاجتك من غير سعي منك ولا طلب أتحسبين أن الله كريم في الآخرة دون الدنيا وقد عرفت أن سنة الله لا تبديل لها وأن رب الآخرة والدنيا واحد وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وعلمك يا ناس ما أعجب تفاهك ودعائك الباطلة فانك تدعين الإيمان بلسانك وأثر التفاهك ظاهر عليك ألم يقل لك سيدك مولاك - وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها - وقال في أمر الآخرة - وأن ليس للإنسان إلا ما سعى - فقد تنكف لك بأمر الدنيا خاصة وصرفك عن السعي فيها فكذبته بأفمالك وأصبحت تسكابين على طلبها تنكالب الله وهوش السهر ووكل أمر الآخرة إلى سعيك فأعرضت عنها إعراض للفرور ولست تحقر ما هذان علامات الإيمان لو كان الإيمان باللسان فلم كان للناقضون في الدرك الأسفل من النار . وعلمك يا ناس أنك لا تؤمنين يوم الحساب وتظنين أنك إذا مت انتقلت وتخلصت وهيات آتسين أنك تركين سدى ألم تكنو نقطة من مقياسي ثم كنت علة غلق فسوي أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى فإن كان هذا من إضمارك فما أكفرك وأجهلك أمانتسكرين أنه مماذا خلقك من نقطة خلقك قدرك ثم السبيل يسرك ثم أمانك فأفرك أفسدك فيه في قوله ثم إذا شاء أشرك فإن لم تكنو مكذبة فمالك لا تأخذين حذررك ولو أن يهودي أخبرك في آله أطمعتك بأنه يضررك في مرضك لصرت عنه وتركته وجاهدت نفسك فيه أفسكان قول الأنبياء للتوידين بالمعجزات وقول الله تعالى في كتبه للزلة أقل عندك تأثيرا من قول يهودي يخبرك عن حدس وتخمين وطن مع قصان عقل وتصور علم والعجب أن هؤلاء أخبرك بطفل بأن في ثوبك عقربا لربيت ثوبك في الحال من غير مطالبة له بدليل وبرهان أفسكان قول الأنبياء والعلماء والحكماء وكافة الأولياء أقل عندك من قول صبي من جملة الأغبياء أم صار حرجهم وأغلغلها وأنسكها وزفوها ومقامها وصدها ومومها وأفاعها وغفورها أمقر عندك من عقرب لأعسين بألها إلا يوما أو أقل منه ماهذه أفعال العقلاء بل لو انكشف لهابهم حالك لضحكوا منك وسخروا من عقلك فإن سكنت يا ناس قد عرفت جميع ذلك وآمنت به فمالك تسوفين العمل ولتوت لك بالمرصاد ولله غنطفك من غير مهلة فها إذا أنت استعجال الأجل وهبك أنك وعدت بالامهال مائة سنة أفتظنين أن من يطعم الدابة في حشيش القبة يطلع ويقدر على قطع القبة بها إن ظننت ذلك فما أعظم جهلك أرأيت لو سافر رجل ليتفق في القرية فأقام فيها سنين متعللا بطلا لا يدقسه بالتفقه في السنة الأخيرة عند رجوعه إلى وطنه هل كنت تضحكين من غفولته أن تفقيه النفس بما يطعم فيه بمدة قرية أو حسبانه أن مناصب التقهات تال من خير غفقه اعلمها على كرم الله سبحانه وتعالى

وباطلها أن يصكون مفتونا بالحبيب عن كل شيء ولا يلقى فيه بقة لغيرة ولا لنفسه فمن الأحوال السنية في الهبة الشوق ولا يكون الحب إلا مشاقا أبدا لأن أمر الحق تعالى لاهية له فما من حال يلقها الحب إلا ويعلم أن ما وراء ذلك أوفى منها وأتم : حزن كحزنك للفا أمد

ينهي إليه وللا أمد ثم هذا الشوق الحادث عنه ليس كسبه وإنما هو موهبة خص الله تعالى بها المحبين . قال أحمد ابن أبي الخوارى دخلت على أبي سليمان

ثم هي أن الجهد في آخر العمر نافع وأنه موصل إلى الدرجات العلى فلعل اليوم آخر حركتك فلا تستغلين فيه بذلك فإن أوحى إليك بالامهال فلا تلتصق من اللبادة وما يباع لك على التسويف هل لسبب إلا بهزك عن مخالطة شيوئك لما فيها من التعب والشقة أنتظرين يوما يأتيك للصبر فيه مخالطة الشبوات هذا يوم لم يخلق الله قط ولا يخلق فلا تسكون الجنة قط إلا محفلة بالمسكورة ولا تسكون للكاره قط خيفة على النفوس وهذا حال وجوده أما تأملين مذم تمدن نفسك وتولين غدا فدا قد جاء القدر وصار يوما فكيف وجدته أما علمت أن القدر الذي جاء وصار يوما كان له حكم الأمل لا بل تعجزين عنه اليوم فأنت غدا عنه أهجر وأهجر لأن الشهوة كالشجرة الراسخة التي تعبد العبد بقلعها فإذا هجر العبد عن قلعها للضعف وأخرها كان كمن هجر عن قلع شجرة وهو شاب قوي فأخرها إلى سنة أخرى مع العلم بأن طول اللذة يزيد الشجرة قوة ورسوخا ويزيد القالع ضعفا وهنا فلا يقدر عليه في الشباب لا يقدر عليه قط في للشيب بل من العناء رياضة المهرم من التعذيب تهذيب القديب والقضيب الرطب يقبل الانحناء فإذا جف وطال عليه الزمان لم يقبل ذلك فإذا كنت أيها النفس لا تفهمين هذه الأمور الجليلة وتركبين إلى التسويف لما بالك تدعين الحكمة وأية حكمة تزيد في هذه الحاجة فلو لك تقولين ما عنتي عن الاستقامة إلا حرصي على لغة الشهوات وقلة صبري على الآلام وللشقات فما أهد غباوتك وأتبع اعتذارك إن كنت صادقة في ذلك فاطلبي التمتع بالشبوات الصافية عن السكورات الدائمة أبدأ الأبد ولا مطمع في ذلك إلا في الجنة فإن كنت ناظرة لشهواتك فالظرر لما في مخالفتها فرب أكلة تمنع أكلات وما قولك في عقل مريض أشار عليه الطبيب بترك الشاء البارد ثلاثة أيام ليضع وهما جرب به طول عمره وأخبره أنه إن شرب ذلك مرض مرضا مزمنًا وامتنع عليه شربه طول العمر فما مقتضى العقل في قضاء حق الشهوة أصبر ثلاثة أيام ليتنم طول العمر أم بغض شهوتي في الحال خوفا من ألم المخالفة ثلاثة أيام حتى يولمه ألم المخالفة ثلاثة يوم وثلاثة آلاف يوم وجميع حرك بلاضافة إلى الأبد الذي هو مدة نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار أقل من ثلاثة أيام بلاضافة إلى جميع العمر وإن طال مدة ، ولست شعري ألم الصبر عن الشهوات أعظم شدة وأطول مدة أو ألم النار في حرارتها فمن لا يطيق الصبر على ألم المجاهدة كيف يطيق ألم عذاب الله ما أراكم تتوانين عن النظر لنفسك إلا لكفر خفي أو لحق جلي . أما الكفر الخفي فهو ضعف إيمانك بيوم الحساب وقلة معرفتك بسنن قدر الثواب والعقاب . وأما الحق الجلي فاعتادك على كرم الله تعالى وعفوه من غير الثفات إلى مكروه واستدراج واستغفاله عن عبادتك مع أنك لا تتمدن على كرمه في لغة من الحيز أو حبة من اللؤلؤ أو كلة واحدة تسميها من الخلق بل تتوصلين إلى غرضك في ذلك بجميع الحيل وبهذا الجهل تستعفين قلب الحلاقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال « الكيس من دان نفسه وحمل لما بعد الموت والأحمق من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني » وبحكم يا غس لا ينبغي أن تحرك الحياة الدنيا ولا يغررك بالله التروير فانظري لنفسك فما أمرك بهم لغيرك ولا تضمعي أو قاتك فالأقسام معدودة فإذا مضى منك نفس قد ذهب بفسادك فاعتنى الصحة قبل السقم والفرار قبل الشغل والنهي قبل الفقر والشباب قبل الهرم والحياة قبل الموت واستعدي للأخرة على قدر مالك فيها يا نفس أما تتمدن لشتاء بقدر طول مدته فتجدين له القوت والكسوة والحطب وجميع الأسباب ولا تتكلمين في ذلك على فضل الله وكرمه حتى يدفع عنك البره من غير جبة ولبد وحطب وغير ذلك فاته قادر على ذلك أنتظرين أيها النفس أن زمهرير جهنم أخف بردا وأقصر مدة من زمهرير الشتاء أم تظنين أن ذلك دون هذا كلا أن يكون هذا كذلك أو أن يكون بينهما مناسبة

الداراني فرأيتني  
فقلت ما يبكيك رحمة  
الله قال وبكى يا أحمد  
إذا جن هذا الليل  
اقترحت أهل المحبة  
أقدامهم وجرت  
دموعهم على خدودهم  
وأشرف الليل  
جل جلالة عليهم  
يقول « يعنى من تقد  
بكلامى واستراح إلى  
مناجاتى وإلى مطلع  
عليهم في خلواتهم أصعب  
أنينهم وأرى بكاءهم  
يا جبريل ناد . فيهم  
ما هذا البكاء الذي  
أراه فيكم هل خبركم  
خبر أن حبيا يجذب  
أحبابه بالنار كيف  
يجعل بي أن أعذب .  
توما إذا جن عليهم  
الليل تملقوا إلى نهي

في الشدة والبرودة أفظنين أن البدر يجو منها بغير سعي هيئات كما لا يندفع برد الشتاء إلا بالجلبة والثار  
وسائر الأسباب فلا يندفع حر النار وبردها إلا بحسن التوحيد وخندق الطاعات وإعماج كرم الله تعالى  
في أن عرفك طريق التحصن وبسرك أسبابه لافي أن يندفع عنك الذئاب دون حصنه كأن كرم  
الله تعالى في دفع برد الشتاء أن خلق النار وهذا الطريق استخرجها من بين حديدية وجبر حتى تدفع  
بها برد الشتاء عن نفسك وكان أن شرأ الحطب والجلبه بما يستخى عنه خالقك ومولاك وإنما تشتريه  
لنفسك إذ خلقه سبيلا لاحتراك فطاعتك ومجاهداتك أيضا هو مستغن عنها وإعماج طريقك إلى  
تجارتك لمن أحسن فلنفسه ومن أساء فلعنبا والله غني عن العالمين . ويحك يا نفس اترعى عن جهلك  
وقبسى آخرتك بدنياك فما خلفك ولا بعثك إلا كنفس واحدة وكا بدنا أول خلق نصيده . وكا  
بناكم تمودون وسنة الله تعالى لا تجدن لها تبديلا ولا تحويلا . ويحك يا نفس ما أراك إلا ألقت الدنيا  
وأنت بها فصر عليك مفارقتها وأنت مقبلة على مفارقتها وتؤكد في نفسك مؤذنها فاحسى أنك  
غافلة عن عقاب الله وثوابه وعن أهوال القيامة وأحوالها أنت مؤمنة بالوالت الفرق بينك وبين محابك  
أقربين أن من يدخل دار ملك ليخرج من الجانب الآخر فمد بصره إلى وجهه مليح يعلم أنه يستغرق ذلك  
قلبه ثم يضطر لاحالة إلى مفارقتها فهو معدود من العقلاء أم من الحقى . أما طغيان أن الدنيا دار الملك  
لللوك وما لك فيها إلا عجاز وكل ما فيها لا يصعب المجتازين بها بعد الموت . والله قال سيد البشر صلى الله  
عليه وسلم « إن روح القدس نفث في روعى أحب من أحببت فانك مفارقة فاعمل ما شئت فانك مجرى  
به وعش ما شئت فانك ميت (١) » . ويحك يا نفس أنتعين أن كل من يلتفت إلى ملاذ الدنيا وبأنس  
بها مع أن اللوت من ورائها قائما يستكثر من الحسرة عند الفراق وإنما يبر ومن السمل للملك وهو لا يدري  
أو ما تنظرين إلى الذين مضوا كيف بنوا وعلاوهم ذهبوا وخلصوا وكيف أورت أقدارهم ودبارهم أعداءهم  
أما ترينهم كيف يجمعون مالا يأكلون وبينون مالا يسكنون ويؤمنون مالا يدركون بين كل واحد  
قصرا مرفوعا إلى جهة السماء ومقره قبر محفور تحت الأرض فهل في الدنيا حق واستكاس أعظم من  
هذا يصير الواحد دنياه وهو مرغل عنها بيتنا وغرب آخرته وهو سائر إلى القضاة أما تستحين يا نفس  
من مساعدة هؤلاء الحقى على حماقتهم واحسى أنك لست ذات بصيرة تهتدى إلى هذه الأمور وإنما تبليين  
بالطبع إلى التشبه والافتداء فقبسى عقل الأنبياء والعلماء والحكماء بعقل هؤلاء الشكيبين على الدنيا  
واقندى من الفريقين بمن هو أعدل عندك إن كنت تتعبد في نفسك العقل والدكاء يا نفس ما أعجب  
أمرك وأشد جهلك وأظهر طغيانك ، محبائك كيف تعمين عن هذه الأمور الواضحة الجلية لملك يا نفس  
أسكرك حب الجاه وأدهشك عن فهمها ، أو ما تتفكرين أن الجاه لا معنى له إلا ليل القلوب من بعض  
الناس إليك فاحسى أن كل من على وجه الأرض سجد لك وأطاعك ، أفما ترفق أن بعد خمسين سنة  
لا تبقي أنت ولا أحد بمن على وجه الأرض عن عبدك وسجودك وسيأتى زمان لا يبقى ذكر لك ولا ذكر  
من ذكرك كما أتى على اللوك الذين كانوا من قبلك فهل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا  
فكيف تتبعين يا نفس ما يبقى أيد الأباد بما لا يبقى أكثر من خمسين سنة إن بقي هذا إن كنت ملكا  
من ملوك الأرض سلم لك الشرق والغرب حق أدعت لك الرقاب واشتظمت لك الأسباب كيف وبأبى  
إدبارك وشغوانك أن يسلم لك أمر محلتك بل أمر دارك فضلا عن محلتك فان كنت يا نفس لا تحركين  
الدنيا رغبة في الآخرة لجهلك وعمى بصيرتك فما لك لا تتركينها ترضا عن خسة شركائها ونزها عن  
كثرة عائلها وتوقيا من سرعة فناءها أم مالك لا تزهد في قليلها بعد أن زهد في كثيرها وما لك

حلفت إذا وردوا  
القيامة على أن أسمر لهم  
عن وجهى وأيحمهم  
رياض قدسى وهذه  
أحوال قوم من المخبين  
أقيموا مقام الشوق  
والشوق من المحبة  
كازهد من التوبة  
إذا استقرت التوبة  
ظهر الزهد وإذا  
استقرت المحبة ظهر  
الشوق . قال الواسطى  
في قوله تعالى وسعجت  
إليك رب لترضى . قال  
شوقا واستهانة بمن  
وراءه . قال هم أولاء  
على آخرى . من شوقه  
إلى مكالة الله ورمى  
بالألواح لما فاته من  
وقته . قال أبو عثمان  
الشوق تمر المحبة تمن  
أحب الله اشتاق إلى

(١) حدث إن روح القدس نفث في روعى أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث تقدم في الطر وغيره .

تفرحين بدنيا إن ساعدتك فلا تغلو بذلك من جماعة من اليهود والمجوس يدعونك بها ويزيدون عليك في نعيمها وزينتها فأف لدنيا يدعوك بها هؤلاء الأعداء فما أجلك وأخس همك وأسقط رأيك إذا رغبت عن أن تكون في زمرة للقرّيين من النبيين والصديقين في جوارب العالمين أيد الأبدن لتكون في صف العالم من جملة الحق الجاهلين بأماقلائ فاحسرة عليك إن خسرت الدنيا والدين ، فبادري وعك يا نفس قد أشرقت على الهلاك واقترب الموت وورد الذر فمن ذابصلى عليك بعد الموت ومن ذا يصوم عليك بعد الموت ومن ذا يترضى عليك ربك بعد الموت . وعك يا نفس مالك إلا أيام معدودة هي بضاعتك إن أنجرت فيها وقد ضيعت أكثرها فلوبكيت بقية عمرك على ما ضيعت منها لستك مقصرة في حق نفسك فكيف إذا ضيعت البقية وأصررت على عادتك . أما تملين يا نفس أن الموت موعده والقبر بيتك والتركاب فراشك والوداد نيسك والفرع الأكرين يدك ، أما علمت يا نفس أن عسكر الموت عندك على باب البلد ينتظرونك وقد آتوا على أنفسهم كلهم بالإيمان للقلطة أنهم لا يرحون من مكانهم مالم يأخذوك معهم ، أما تملين يا نفس أنهم يمتنون الرجعة إلى الدنيا يوما ليستقلوا بتدارك ما فرط منهم وأنت في أمّنتهم ويوم من عمرك لويح منهم بالدنيا عذافيرها لا تشروء لو قدروا عليه وأنت تضيعين أيامك في الغفلة والبطالة . وعك يا نفس أما تستحيين زينتين ظاهرك للخلق وتبارزين الله في السرّ بالطعام أفستحيين من الخلق ولا تستحيين من الخالق . وعك أهو أهو الناظرين عليك تأمرين الناس بالحجر وأنت متلطفة بالذائل تدعين إلى الله وأنت عنه فارة وتذكرين بالله وأنت له ناسية ، أما تملين يا نفس أن المذب أنثى من الذرة وأن الذرة لا تطهر غيرها فلم تطمعين في تطهير غيرك وأنت غير طيبة في نفسك . وعك يا نفس لو عرفت نفسك حق المعرفة لظننت أن الناس ما يصيبهم بلاء إلا بشؤمك . وعك يا نفس قد جئت نفسك حمارا لإبليس يقولك إلى حيث يريد ويسخر بك ، ومع هذا فتعجبين بمملك وفيه من الآفات ما لو نحت منه رأسا برأس لكان الرمح في يدك وكيف تعجبين بمملك مع كثرة خطاياك وزلللك وقد لمن الله إبليس بخطيئة واحدة بعد أن عبده مائتي ألف سنة وأخرج آدم من الجنة بخطيئة واحدة مع كونه نبيه وصفيه . وعك يا نفس ما أغدرك وعك يا نفس ما ألوححك وعك يا نفس ما أجعلك وما أجرك على ناماسي وعك كم تقصددين فتقصين وعك كم تمدين فتدوين وعك يا نفس أنتشتلين مع هذه الخطايا بعمارة دنيالك كأنك غير مرتحلة عنها أما تطيرين إلى أهل القبور كيف كانوا اجموا كثير اوبنوا مشيدا وأملوا جيدا فأصبح جميعهم بورا وبناتهم قبور أو أمهم غرور أو وعك يا نفس أما لك بهم عيرة أما لك إليهم نظرة أنتظنين أنهم دعوا إلى الآخرة وأنت من الخلدلين هيهات هيهات ساء ماتوا توهمين مآلت إلا في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك فأبى على وجه الأرض فصرك فان بطها عن قليل يكون قبرك أما تخافين إذا بلغت النفس منك التراقي أن تدور سربك من حدره إليك بسواد الأنوار وكلح الوجوه وشرى بالعذاب فهل ينفعك حينئذ الدم أو يقبل منك الحزن أو يرحم منك البكاء والعجب كل العجب منك يا نفس أنك مع هذا تدعين البصيرة والفطنة ومن فطنتك أنك تفرحين كل يوم بزيادة مالك ولا تحزينين بنفسان عمرك وما تقع مال يزيد وعمر ينقص . وعك يا نفس تم ضنين عن الآخرة وهي مقبلة عليك وتقبلين على الدنيا وهي معرضة عنك ، فكمن من مستقبل يوما لا يستكمله وكم من مؤمل لمد لا يبلغه فأنت تشاهدين ذلك في إخوانك وأقاربك وجيرانك قربين تحسرم عند الموت ثم لاترجعين عن جهالك فاحدري أيتها النفس اللسكية يوما آلى الله فيه على نفسه أن لا يترك عبدا أمره في الدنيا ونهاه حتى يسأله عن عمله دقة وجلبه سره وعلايته

لقائه . وقال أيضا في قوله تعالى - فإن أجل الله لآت - تحسرة للمشاقين معناه آف أعلم أن شوقكم إلى غالب وأنا أجلت للقائكم أجلا وعن قريب يكون وصولكم إلى من تشتاقون إليه وقال ذو النون: الشوق أعلى الدرجات وأعلى القامات إذا بلغها الإنسان استبطأ الموت شوقا إلى ربه ورجاء لقائه والنظر إليه . وعندى أن الشوق السكأن في المحبين إلى رب يتوقفونها في الدنيا غير الشوق الذي يتوقعون به ما بعد الموت والله تعالى يكشف أهل وده بسطايا بمجدونها

فانظري يا نفس بأني بدن تقفين بين يدي الله وبأني لسان نجيبين وأعدى لسؤال جوابا والجواب  
 سوابا واحملي بقية حمرتك في أيام صار لأيام طوال وفي دار زوالها دار مقامتي في دار حزن ونصبها دار نسيم  
 وخلود احملي قبل أن لا تسلي اخرجي من الدنيا اختيارا خروج الأحرار قبل أن تخرجي منها على  
 الاضطراب ولا تفرحي بما يساعذك من زهرات الدنيا قرب مسرور مفيون وروب مفيون لا يشرفويل  
 لمن له الولد ثم لا يشتر بضحك ويفرح ويلهو ويمرح ويأكل ويشرب وقد حق له في كتاب الله أنه  
 من وقود النار فليكن نظرك يا نفس إلى الدنيا اعتبارا لوسميك لما اضطرابا ورفضك لما اختيارا وطلبك  
 للآخرة ابتدارا ولا تسكوني ممن جبر عن شكر ما أوتى ويتنهي الزيادة فيما جنى وينهى الناس ولا يتنهي  
 واعلمي يا نفس أنه ليس للدين عوض ولا للايمان بدل ولا للجسد خلف ومن كانت مطينه الليل والنهار  
 فانه يساره وإن لم يسر فاقطعي يا نفس بهذه اللوعة واقبل هذه الصيحة فان من أعرض عن  
 اللوعة فقد رضى بالنار ومأثرها بها راضية ولا لهذه اللوعة واعية فان كانت التساوة تمتك عن  
 قبول اللوعة فاستغني عنها بدوام التهج والقيام فان لم تزل فبالمواظبة على الصيام فان لم تزل فبقية  
 الحاشية والكلام فان لم تزل فبصلة الأرحام والطف بالأيتام فان لم تزل فاعلمي أن الله قد طبع على قلبك  
 وأقل عليه وأنه قد تراكت ظلة الذنوب على ظاهره وباطنه فوطئي نفسك على النار قد خلق الله  
 الجنة وخلق لها أهلا وخلق النار وخلق لها أهلا فكل ميسر لما خلق له فان لم يرق فيك مجال فلو عظم  
 فاقطعي من نفسك والقنوط كبيرة من الكبائر فعوذ بالله من ذلك فلا تسيل لك إلى القنوط ولا تسيل  
 لك إلى الرجاء مع انسداد طرق الخير عليك فان ذلك اغترار وليس برجاء فانظري الآن هل يأخذك  
 حزن على هلمه للصية التي ابتليت بها وهل تسمح عينك بدمعة رحمة منك على نفسك فان  
 سمحت فستبقي الدمع من بحر الرحمة قد بقي فيك موضع للرجاء فواظبي على النياحة واليكاء واستغني  
 بأرحم الراحمين واشتكي إلى أكرم الأكرمين وأدمن الاستغاثة والتمج طول الشكاية لله أنه يرحم  
 منك وبشكك فان مصيبتك قد عظمت وبيئتك قد خالفت وتماذك قد طال وقد اعطت منك  
 الجبل وراحت عنك الطل فلا مذهب ولا مطلب ولا مستغاث ولا مهرب ولا ملجأ ولا منجأ إلى مولدك  
 فاغزعي إليه بالتضرع واخضعي في تضرعك على قدر عظم جهلك وكثرة ذنوبك لأنه يرحم للتضرع  
 الدليل وبنيث الطالب للتلطف ويجب دعوة للضطر وقد أصبحت إليه اليوم مضطرة وإلى رحمته  
 محتاجة وقد ضاقت بك السبل وانسدت عليك الطرق واعطت منك الجبل ولم تتجع فيك العظايت  
 ولم يكسر لك التوبيخ فالمطلوب منه كريم والمشتول جواد والمستغاث به بر روف والرحمة واسمة  
 والكرم قاض والفوق شامل وقولي يا أرحم الراحمين يا رحمن يا رحيم يا حلِيم يا عظيم يا كريم أنا اللدب  
 الصر أنا الجريد الذي لا أفلح أنا اللدب الذي لا أستمى هذا مقام للتضرع للسكين والبائس الفقير  
 والضعيف الحقير والمالهك الطريق فجل إعائتي وفرجي وأرنى آثار رحمتك وأذنني برجعك وسعرتك  
 وارزقني قوة عظمتك يا أرحم الراحمين اقتداء بأبيك آدم عليه السلام قد قال وهب مني به لما أهبط  
 الله آدم من الجنة إلى الأرض مكث لا ترفأ له دعة فاطلع الله عز وجل عليه في اليوم السابع وهو محزون  
 كئيب كظيم منكسر رأسه فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ما هذا الجهد الذي أرى بك قال يا رب عظمت  
 مصيبي وأحاطت بي خطيئتي وأخرجت من ملكوت ربّي فصرت في دار الهوان بعد الكرامتي في دار  
 الشقاء بعد السعادة وفي دار النصب بعد الراحة وفي دار البلاء بعد العافية وفي دار الزوال بعد القرار  
 وفي دار اللوت والقناء بعد الخلود والبقاء فكيف لا أبكي على خطيئتي فأوحى الله تعالى إليه يا آدم ألم  
 أصفنتك لنفسي وأحلتك داري وخصصتك بكرامتي وحذرتك من خطيئتي ألم أخلقك بيدي ودفنت فيك

علما ويطلبونها فلو  
 فكذلك يكون شوقهم  
 ليسير العلم ذو قلوب ليس  
 من ضرورة مقام الشوق  
 استبطاء اللوت وربما  
 الأسعاب من الحبين  
 يتلذذون بالحياة في  
 حال كما قال الجليل  
 رسوله عليه الصلاة  
 والسلام قل إن صلاتي  
 ونفسي ومحياي ومماتي  
 لله رب العالمين فمن  
 كانت حياته لله منه  
 الكرم لله للثبات  
 والحبه تمتلئ عينه  
 من الحمد ثم يكفهم من  
 اللع والطايب في الدنيا  
 ما يتحق مقام الشوق  
 من غير الشوق إلى  
 ما بعد اللوت وأنكر  
 بعضهم مقام الشوق  
 وقال إنما يكون الشوق

من روجي وأسجدت لك ملائكتي فصيت أمري ونسيت عهدي ونعشت لحدتي فوعزتي وجلالي  
لو ملأت الأرض رجالا كلهم مثلك يبدونني ويسبحونني ثم عصوني لأزلتهم منازل العاصين فيكي آدم  
عليه السلام عند ذلك لثلاثة عام . وكان عبيد الله الجلي كثير السكاء يقول في بكائه طول ليلة: إلهي أنا  
الذي كلما طال عمري زادت ذنوبي أنا الذي كلما هممت بترك خطيئة عرشت لي شهوة أخرى واعبيده  
خطيئة لم تبطل وصاحبها في طلب أخرى واعبيده إن كانت النار لك مقبلا وماوي واعبيده إن كانت  
القامع لرأسك نهيا واعبيده فضيت حوائج الطالبين ولعل حاجتك لا تقضى . وقال منصور بن عمار صحت  
في بعض الليالي بالكوفة عابدا ينادي رب هو هو . قول يا رب وعزتك ما أردت بعصيتك عفاة لك ولا عصيتك  
إذ عصيتك وأنا بمكانك جاهل ولا لعقوبتك متعرض ولا لنظرك مستخف ولكن سولت في نفسي  
وأعاني على ذلك شقوتي وغرني سترك الرخي على فصيتك بحبي وخالفتك بعقلي فمن عذابك  
الآن من يستغفني أو يحبل من أعصم إن قطعت حبلك عني واسوأته من الوقوف بين يديك غدا  
إذا قيل للمخفين جوزوا وقيل للمتقين حطوا أفع المعفين أجوز أفع التقيين أحطوب لي كما كبرت سني كثرت  
ذنوبي وبلى كلما طال عمري كثرت معاصي . فإني متى أتوب وإلى متى أعود أما الآن أني أستعجى من ربى  
فهذه طرق الأقوم في مناجاة مولاهم وفي معاتبة نفوسهم وإنما مطلبهم من التناجاة الاسترضاء ومقصدهم  
من المعاتبة التنبيه والاعتراء فمن أهل المعاتبة والتناجاة لم يكن نفسه مراعىا وبوشك أن لا يكون  
الله تعالى عنه راضيا والسلام . ثم كتاب المحاسبة والمراقبة . ويتلوه كتاب التفكير إن شاء الله تعالى  
والحمد لله وحده وصلاة على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلامه .

### (كتاب التفكير)

( وهو الكتاب التاسع من ربيع النجيات من كتب إحياء علوم الدين )

( بسم الله الرحمن الرحيم )

الحمد لله الذي لم يخدر لانهاء عزته نحو ولا قطرا ولم يجعل لراق أقدام الأوهام ومرمى سهام الأفهام  
إلى حمى عقلته مجرى بل ترك قلوب الطالبين في يدها كبرياه والهة حيرى كلها اهزئت لذل  
مطلوبها ردتها سبحات الجلال قسرا وإذا هممت بالانصراف آيسة نوديت من سرادقات الجلال صبرا  
صبرا ثم قبل لها أجيلي في ذل البودية منك فكبرا لأنك لو تفكرت في جلال الربوبية لم تقدرى  
له قدرا وإن طلبت وراء الفكر في صفاتك أمرا فانظري في نعم الله تعالى وإباديه كيف توالى عليك  
تتري وجددى لكل نعمة منها ذكرا وشكرا وتأملى في بحار القادر كيف قامت على العالين خيرا  
وشرا ونعما وضرا وعسرا ويسرا وفوزا وخسرا وجبرا وكسرا وطيا وقسرا وإعنا وكفرا وعرفنا  
ونكرا فان جاوزت النظر إلى الأفعال إلى النظر في الذات فقد حاولت أمرا إما أو خاطرت بنفسك  
بمجازة حد طاقة البشر ظنا وجورا قد انهرت العقول دون مبادئ إشرافه وانتقصت على أعقابها  
اضطرابا وقهرا والصلاة على محمد سيد ولد آدم وإن كان لم يعد سيادته غرا صلاة تبقى لنا في  
عرصات القيامة عنة وذخرا وعلى آله وأصحابه الذين أصبح كل واحد منهم في سماء الدين بدرا  
ولطواف للسلين صدرا وسلم تسليما كثيرا .

[ أما بعد ] قد وردت السنة بأن تفكر ساعة خير من عبادة سنة (١) وكذا الحث في كتاب

### (كتاب التفكير)

(١) حديث تفكر ساعة خير من عبادة سنة ابن حبان في كتاب المغلة من حديث أبي هريرة

لثابت ومضى غيب  
الحبيب عن الحبيب  
حتى يشتاق ولهذا  
الأنطاكى عن الشوق  
قال إنما يشتاق إلى  
الثابت وما غبت عنه  
منذ وجدته وإنكار  
الشوق على الإطلاق  
لا أرى له وجهاً لأن  
رتب العطايا والتبع  
من أنصبة القرب إذا  
كانت غير متناهية  
كيف ينكر الشوق  
من الحب فهو غير غائب  
وغير مشتاق بالنسبة  
إلى ما وجد ولكن  
يكون مشتاقاً إلى ما لم  
يعد من أنصبة القرب  
فكيف يمنع حال  
الشوق والأمر هكذا .  
ووجه آخر أن الإنسان  
لا بد له من أمور يردها

الله تعالى على التدبر والاعتبار والنظر والافتكار ولا يعني أن الفكر هو مفتاح الأنوار ومبدأ الاستبصار وهو شبكة العلوم ومصيدة المعارف والفهوم وأكثر الناس قد عرفوا فضله وربته لكن جعلوا حقيقته ومثمره ومصدره ومورده ومجره ومسرحه وطريقه وكيفيته ولم يعلم أنه كيف يتفكر وفيذا يتفكر ولماذا يتفكر وما الذي يطلب به أهو مراد لربه أم لفكرة تستفاد منه فإن كان لفكرة لما تلك الفكرة أهو من العلوم أو من الأحوال أو منهما جميعا وكشف جميع ذلك مهم ونحن نذكر أولا فضيلة التفكير ثم حقيقة التفكير ومثمره ثم مجارى الفكر ومسارحه إن شاء الله تعالى.

### (فضيلة التفكير)

قد أمر الله تعالى بالتفكير والتدبر في كتابه العزيز في مواضع لا تحصى وأثنى على التفكيرين فقال تعالى - الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا - وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما « إن قوما تنسكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تنسكروا في خلق الله ولا تنسكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره <sup>(١)</sup> » وعن النبي صلى الله عليه وسلم « أنه خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تسلكون؟ فقالوا تنسكروا في خلق الله عز وجل قال فكذلك فاعملوا تنسكروا في خلقه ولا تنسكروا فيه فان بهنا القرب أرضا يضاء نورها يياضها ويياضها نورها مسيرة الشمس أربعين يوما بها خلق من خلق الله عز وجل لم يصوا الله طرفة عين قالوا يا رسول الله فإين الشيطان منهم؟ قال ما يدرون خلق الشيطان أم لا قالوا من ولد آدم؟ قال لا يدرون خلق آدم أم لا <sup>(٢)</sup> » وعن عطاء قال « انطلقت يوما أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة رضى الله عنها فسلمتاه وبيننا حجاب فقالت يا عبيد ما يمنعك من زيارتي؟ قال قول رسول صلى الله عليه وسلم زر غبا تردد جا قال ابن عمر فأخبرنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسكت وقالت كل أمره كان عجبا أنا في ليلى حتى مس جلده جلدي ثم قال ذريني أعبد لربي عز وجل قدام إلى القربة فتوصاً منها ثم قام يصلى فسكى حتى بل لحيته ثم سجد حتى بل الأرض ثم اضطجع على جنبه حتى آتى بلال يؤذنه بسلامة الصبح فقال يا رسول الله ما يريك وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ فقال ولحك بالبال وما يعنى أن أبكي وقد أزل الله تعالى على في هذه القيلة - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب - ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها <sup>(٣)</sup> » فقيل

بلفظ ستين سنة بإسناد ضعيف ومن طريقه ابن الجوزي في الموضوعات ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس بلفظ ثمانين سنة وإسناده ضعيف جدا ورواه أبو الشيخ من قول ابن عباس بلفظ خير من قيام ليلة (١) حديث ابن عباس إن قوما تنسكروا في الله عز وجل فقال النبي صلى الله عليه وسلم تنسكروا في خلق الله ولا تنسكروا في الله فانكم لن تقدروا قدره أبو نعيم في الحلية بالرفوع منه بإسناد ضعيف ورواه الأصبهاني في التزغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه ورواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر وقال هذا إسناد فيه نظر قلت فيه الزايع بن نافع متروك (٢) حديث خرج على قوم ذات يوم وهم يتفكرون فقال ما لكم لا تسلكون فقالوا تنسكروا في خلق الله الحديث ورواه في جزء من حديث عبد الله بن سلام (٣) حديث عطاء انطلقت أنا وعبيد بن عمير إلى عائشة الحديث قال ابن عمر فأخبرنا بأعجب شيء رأيته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث في نزول - إن في خلق السموات والأرض - وقال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها تضم في السر والشكر وأنه في صحيح ابن حبان من رواية عبد الله بن أبي سليمان عن عطاء .

حكم الحال لموضع  
بشرحه وطيته  
وعدم وقوفه على حد  
المعنى الذى يقتضيه حكم  
الحال ووجود هذه  
الأمور مثيل نار الشوق  
ولا نعى بالشوق إلا  
بمطالبة بتبعث من  
الباطن إلى الأولى  
والأعلى من أنصبة  
القرب وهذه للطالبة  
كاشفة في الحين والشوق  
إذن كائن لأوجه  
لانسكاره وقد قال قوم  
شوق للشاهد واللقاء  
أشد من شوق البعد  
والغيوبة فيكون في  
حال الغيبة مشتاقا  
إلى اللقاء ويكون في  
حال اللقاء والشاهدة  
مشتاقا إلى زوايد  
ومبار من الحبيب

للاوزاعي ما غاية التفكير فمن قال يقرؤون ويفقهون . وعن محمد بن واسع أن رجلا من أهل البصرة ركب إلى أم ذر بعد موت أبي ذر فسألها عن عبادة أبي ذر فقالت كان نهاره أجمع في ناحية البيت يتفكر . وعن الحسن قال : تفكر ساعة خير من قيام ليلة . وعن الفضيل قال : التفكر مرآة تريك حسناتك وسيئاتك ، وقيل لأبراهيم إنك تطيل التفكرة فقال التفكرة مخ العقل ، وكان سفيان بن عيينة كثيرا ما يمثل بقول القائل :

إذا لرء كانت له فكرة ففي كل شيء له عبرة

وعن طاوس قال قال الحواريون لميس بن مريم ياروح الله هل على الأرض اليوم مثلك ؟ فقال نعم من كان منطق ذكرا وصنعت فكرا ونظره عبرة فانه مثلي . وقال الحسن : من لم يكن كلامه حكمة فهو لئو ومن لم يكن سكوته تفكرا فهو سهو ومن لم يكن نظره اعتبارا فهو لهو وفي قوله تعالى - - أصرف عن آياتي الذين يشكرون في الأرض بغير الحق - قال أمتنع قلوبهم التفكير في أمري . وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعطوا أعينكم حظها من العبادة فقالوا يارسول الله وما حظها من العبادة ؟ قال النظر في الصحف والتفكير في الاعتبار عند محاميه (١) ، وعن امرأة كانت تسكن البادية قريبا من مكة أنها قالت : لو تطالعت قلوب للتقنين بفكرها إلى ما قد ادخر لها في حجب القيب من خير الآخرة لم يصف لهم في الدنيا عيش ولم تقرر لهم في الدنيا عين . وكان لقمان يطيل الجلوس وحده فكان يمر به مولاة فيقول بالقمان إنك تديم الجلوس وحسبك فلو جلست مع الناس كان آنس لك فيقول لقمان إن طول الوحدة أقوم للتفكير وطول التفكير دليل على طريق الجنة . وقال وهب بن منبه : ما طالت فكرة امرئ قط إلا علم وما علم امرؤ قط إلا عمل . وقال عمر بن عبد العزيز : التفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة . وقال عبد الله ابن المبارك يوما لسهل بن علي وراه ما كنا متفكرا أين بلغت ؟ قال الصراط . وقال جابر بن عبد الله في عظمة الله ما عاصوا الله عز وجل . وعن ابن عباس ركعتان مقنعتان في تفكير خير من قيام ليلة بلا قلب . وبينما أبو شريح يمضي إذ جلس فضع بكائه فجعل يسئ قيل له يكيك ؟ قال تفكرت في ذهاب عمري وقلة عملي واقتراب أجلي . وقال أبو سليمان عودوا أعينكم البكاء وقلوبكم التفكير . وقال أبو سليمان الفكر في الدنيا حجاب عن الآخرة وعقوبة لأهل الولاية والتفكير في الآخرة يورث الحكمة ويحيي القلوب . وقال حاتم من العبارة يزيد العلم ومن الله ذكر يزيد الحب ومن التفكير يزيد الخوف . وقال ابن عباس : التفكير في الخير يدعو إلى العمل به والتدبر على الشر يدعوى إلى تركه . وروى أن الله تعالى قال في بعض كتبه إني لست أقبل كلام كل حكيم ولكن أنظر إلى مهموه ما فإذا كان مهموه ما إلى جعلت صنعت تفكرا وكلامه حمدا وإن لم يتكلم . وقال الحسن إن أهل العقل لم يزالوا يسودون بالذكر على الفكر والفكر على الذكر حتى استطقوا قلوبهم فنفطت بالحكمة . وقال إسحاق بن خاف كان داود الطائي رحمه الله تعالى على سطح في ليلة فقرأ تفكرك في ملكوت السموات والأرض وهو ينظر إلى السماء ويكي حتى وقع في دار جار له قال فوثب صاحب الدار من فراشه عرابا ناو يده سيف وظن أنه لسان فلما نظر إلى داود رجع ووضع السيف وقال من ذا الذي طرحتك من السطح قال ما شعرت بذلك . وقال الجنيد أشرف المجالس وأعلاها الجلوس مع الفكرة في ميدان التوحيد والتفكير بنسيم العرفة والشرب بكأس المحبة من بحر الوداد والنظر بحسن الظن لله عز وجل ثم قال يا بهائم مجالس ما أجملها ومن شراب ما أشده طوي لمن رزقه

(١) حديث أبي سعيد الخدري أعطوا أعينكم حظها من العبادة الحديث ابن أبي الدنيا ومن طريقه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب العظمة لمساند ضعيف .

وأفضاله وهذا هو الذي أراه وأستأره . وقال فارس قلوب الشواقين منورة بنور الله فإذا تحركت اشتبأ أضاء النور ما بين الشرق والغرب فيرضهم الله على اللاشك فيقول هؤلاء الشقائق إلى أشهدكم أني إليهم أشوق . وقال أبو يزيد : لو أن الله حجب أهل الجنة عن رؤيته لاستفتوا من الجنة كما يستفتي أهل النار من النار . سئل ابن عطاء الله عن الشوق فقال هو احتراق الحشا وتلهب القلوب وتقطع الأكباد من البعد بعد القرب . سئل بعضهم هل الشوق

وذو الشامي رحمه الله تعالى استنبوا على السلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر وقال أيضا صحة النظر في الأمور نجاة من الغرور والعزم في الرأي سلامة من التضييق والدم والروبو الفكر بكشف ما في الحزم والقلعة ومشاورة الحكماء ثبات في النفس وقوة في البصيرة فذكر قبل أن تعزوتد بر قبل أن تهجم وشاور قبل أن تهم . وقال أيضا الفضائل أربع : إحداهما الحكم وقوامها الفكرة . والثانية العفة وقوامها في الشجوة . والثالثة القوة وقوامها في القنص . والرابعة العدل وقوامها في اعتدال القوى النفس فهذه أقاويل العلماء في الفكرة وما شرع أحد منهم في ذكر حقيقتها وبيان مجازيها .

( بيان حقيقة الفكر وعمره )

اعلم أن معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة . ومثاله أن من مال إلى العاجلة وآثر الحياة الدنيا وأراد أن يعرف أن الآخرة أولى بالإتيار من العاجلة فله طريقان : أحدهما أن يسمع من غيره أن الآخرة أولى بالإتيار من الدنيا فيثبته ويصدقه من غير بصيرة بحقيقة الأمر فيقبل بصله إلى إتيار الآخرة اعتيادا على مجرد قوله وهذا يسمى تقليدا ولا يسمى معرفة . والطريق الثاني أن يعرف أن الأتيق أولى بالإتيار ثم يعرف أن الآخرة أبقى فيحصل له من هاتين للمعرفتين معرفة ثالثة وهو أن الآخرة أولى بالإتيار ولا يمكن تحقق للثالثة بأن الآخرة أولى بالإتيار إلا بالمعرفتين السابقتين فأحضر للمعرفتين السابقتين في القلب للتوصل به إلى المعرفة الثالثة يسمى تفكرا واعتبارا وتذكرا ونظرا وتأملا وتدبرا . أما التدبر والتأمل والتفكير فإحداثيات مترددة على معنى واحد ليس تحتها معان مختلفة وأما اسم التذكر والاعتبار والنظر فهي مختلفة المعاني وإن كان أصل اللفظ واحدا كما أن اسم الصارم وللهند والسيف يتوارى على شيء واحد ولكن باعتبارات مختلفة فالصارم يدل على السيف من حيث هو قاطع وللهند يدل عليه من حيث نسبه إلى موضعه والسيف يدل دلالة مطلقة من غير إشعار بهذه التواريات فكذلك الاعتبار ينطلق على إحضار للمعرفتين من حيث إنه يمر منها إلى معرفة ثالثة وإن لم يقع العبور ولم يمكن إلا الوقوف على للمعرفتين فينتقل عليه اسم التذكر لاسم الاعتبار . وأما النظر والتفكير فيقع عليه من حيث إن فيه طلب معرفة ثالثة فمن ليس يطلب المعرفة الثالثة لا يسمى ناظرا فكل متفكر فهو متذكر وليس كل متذكر متفكرا . وفائدة التذكر كالتكرار للعارف على القلب لترسخ ولا تنسى عن القلب ، وفائدة التفكير تكثير العلم واستجلاب معرفة ليست حاصلة فهذا هو الفرق بين التذكر والتفكير والعارف إذا اجتمعت في القلب وازدوجت في ترتيب مخصوص أعمرت معرفة أخرى فالمعرفة تنجح المعرفة فإذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر وهكذا يتصاعد النتاج ويتصاعد العلوم ويتصاعد الفكر إلى غير نهاية ، وإنما تندس طريق زيادة المعارف بالموت أو بالوفاة . هذا لمن يقدر على استتار العلوم ويهتدي إلى طريق التفكير . وأما أكثر الناس فأعما ضلوا في الزيادة في العلوم فلقد رم رأس المال وهو المعارف التي بها تستثمر العلوم كالتي لا بضاعة له فإنه لا يقدر على الربح وقد علك البضاعة ولكن لا يحسن صناعة التجارة فلا يربح شيئا فكذلك قد يكون معه من المعارف ما هو رأس مال العلوم ولكن ليس يحسن استثمارها وتأليفها وإيقاع الازدواج للقضى إلى النتاج فيها ومعرفة طريق الاستعمال والاستثمار تارة تكون بنور إلهي في القلب يحصل بالفطرة كما كان للأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين وذلك عزيز جدا وقد تكون بالتعلم والممارسة وهو الأكثر ثم للتفكير قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الخبرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها ولا يقدر على التعبير عنها لغة بممارسته لصناعة التعبير في الإبراد فكيف من إنسان يعلم أن الآخرة أولى بالإتيار علما حقيقيا ولو شغل عن سبب معرفته لم يقدر على إبراده والتعبير عنه مع أنه لم يحصل معرفته إلا عن للمعرفتين السابقتين وهو أن الأتيق أولى

أعلى أم الحياة ؟ قال  
الحياة لأن الشوق  
يتولد منها فلا مشتاق  
إلا من غلبه الحب فالجلب  
أصل والشوق فرع  
وقال النصر ابادي :  
لخلق كلهم مقام  
الشوق لا مقام الاختيار  
ومن دخل في حال  
الاختيار هاهنا فيه  
حق لا يرى له أثر ولا  
قرار . ومنها الأنس  
وقد سئل الجنيد عن  
الأنس فقال : ارتفاع  
الحسنة مع وجود  
الحسية . وسئل  
فوالنون عن الأنس  
قال : هو انبساط  
القلب إلى المحبوب قبل  
معناه قول الخليل -  
أرى كيف نجي النوف -  
وقول موسى - أرى

بالإيمان وأن الآخرة أتت من الدنيا فحصل له معرفة تامة وهو أن الآخرة أولى بالإيمان فرجع حاصل حقيقة التفكير إلى إحضار معرفتين للتوصل بهما إلى معرفة تامة . وأما ثمرة الفكر فهي العلوم والأحوال والأعمال ولكن ثمرته الخاصة العلم لا غير ، نعم إذا حصل العلم في القلب تغير حال القلب وإذا تغير حال القلب تغيرت أعمال الجوارح فالعلم تابع للحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر ، فالفكر إذن هو البداء والفتاح للخيرات كلها وهذا هو الذي يكشفك عن ضلالتك وتفكر وأنت خير من الذكر والتذكر لأن الفكر ذكر وزيادة وذكر القلب خير من عمل الجوارح بل شرف العمل لما فيه من الذكر ، فإذن الفكر أفضل من جملة الأعمال ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة سنة ، وقيل هو الذي يحدث الذي ينقل من السكارى إلى المحاب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والفتاة ، وقيل هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى ولذلك قال تعالى - لهم ينشرون أو يحدث لهم ذكرا - وإن أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فثابته ما ذكرناه من أمر الآخرة فان الفكر فيه يعرف أن الآخرة أولى بالإيمان فإذا رسخت هذه المعرفة يقينا في قلوبنا تغيرت القلوب إلى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا وهذا ما عتينا به بالحال إذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل إليها والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت إرادته وورغته ثم أثمر تغير الإرادة أعمال الجوارح في طراح الدنيا والانبال على أعمال الآخرة فهنا خمس درجات : أولاها التذكر وهو إحضار للمعرفتين في القلب . وثانيها التفكير وهو طاب للمعرفة المقصودة منها . والثالثة حصول المعرفة الطولية واستنارة القلب بها . والرابعة تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة . والخامسة خدمة الجوارح لقلب بحسب ما يجتذبه من الحال فكما يضرب الحجر على الحديد فيخرج منه نار يستضيء بها للوضع فضمير المعين مبصرة بعد أن لم تكن مبصرة وتنفض الأعضاء للعمل فكذاك زاد نور المعرفة هو الفكر فيجمع بين العرفتين كما يجمع بين الحجر والحديد ويؤلف بينهما تأليفا مخصوصا كما يضرب الحجر على الحديد ضربا مخصوصا فينبعث نور المعرفة كما ينبعث النار من الحديد ويغير القلب بسبب هذا النور حتى يميل إلى ما لم يكن يميل إليه كما يتغير البصر بنور النار فيرى ما لم يكن يراه ثم تنفض الأعضاء للعمل بمقتضى حال القلب كما ينفض العاجز عن العمل بسبب الظلمة للعمل عند إدراك البصر ما لم يكن يبصره ، فإذن ثمرة الفكر العلوم والأحوال والعلوم لا يتغير بها والأحوال التي تتصور أن تتقلب على القلب لا يمكن حصرها ولهذا لو أراد مرشد أن يحصر فنون الفكر ومجاريه وأنه في هذا يتفكر لم يقدر عليه لأن مجارى الفكر غير محصورة ونعماته غير متناهية ، نعم نحن نجتهد في ضبط مجاريه بالإضافة إلى محطات العلوم الدينية وبالإضافة إلى الأحوال التي هي مقامات السالكين ويكون ذلك ضبطا جليا فان خصل ذلك يستدعى شرح العلوم كلها وجملة هذه الكتب كالشرح لفضائلها مشتملة على علوم تلك العلوم تستفاد من أفكار مخصوصة فلنشر إلى ضبط الجامع فيها ليحصل الوقوف على مجارى الفكر .

### ( بيان مجارى الفكر )

اعلم أن الفكر قد يجري في أمر يتعلق بالدين وقد يجري فيما يتعلق بغير الدين وإجماعنا ما يتعلق بالدين فلنترك القسم الآخر ونعني بالدين العامة التي بين العبد وبين الرب تعالى لجميع أفكار العبد إيمان أن تتعلق بالبعد وصفاته وأحواله وإما أن تتعلق بالموجود وصفاته أو أفعاله لا يمكن أن يخرج عن هذين القسمين وما يتعلق بالبعد إيمان أن يكون نظرا فيها هو محبوب عند الرب تعالى أو فيها مكره ولا حاجة إلى الفكر في غير هذين القسمين ، وما يتعلق بالرب تعالى إيمان أن يكون نظرا في ذاته وصفاته وأسمائه الحسنات كلها أن يكون في أفعاله وملكه وملكوته وجميع ما في السموات والأرض وما بينهما وينكشف

أنظر إليك وأنت

لروم :

شملت قلوبنا بالديك فلا

ينفك طول الحياة

عن فكر

آسنى منك بالوداد قد

أوحشتني من جميع

ذا البشر

ذكرك لي مؤني

يمارضي

يوعدي عنك منك

بالفكر

وحينا كنت

يامدى همى

فأنت من بوضع النظر

وروى أن مطرف

ابن الشخير كتب إلى

عمر بن عبد العزيز

ليكن أنسك بالله

واشغاطك إليه فان

فه عبادة استأنسوا

بالله وكانوا وحدهم

لك انحصار الفكر في هذه الأقسام مثال وهو أن حال السائرين إلى الله تعالى ولشقائقه إلى لقاءه يضاهاى حال العاشق فلتتخذ العاشق السهر مثالا ، فنقول : العاشق المستغرق في المحبة لا يحد فكره من أن يتعلق بمشوقه أو يتعاقب بنفسه فإن تفكر في مشوقه فاما أن يتفكر في جماله وحسن صورته في ذاته لیتتم بالفكر فيه وبمشاهدته وإما أن يتفكر في أهله اللطيفة الحسنة الدالة على أخلاقه وصفاته ليكون ذلك مضغفا لذاته ومقويا لهجة وإن تفكر في نفسه فيكون فكره في صفاته التي تسقطه من عين محبوه حتى يتزه عنها أوفى الصفات التي تغريه منه وتحببه إليه حتى يتصف بها فإن تفكر في شيء خارج عن هذه الأقسام فذلك خارج عن حد المشق وهو نقصان فيه لأن المشق التام الكامل ما يستغرق العاشق ويستوفي القلب حتى لا يترك فيه مقصدا لغيره فلهذا أحب الله تعالى ينبغي أن يكون كذلك فلا يدنو نظره وتفكره محبوه ومهما كان تفكره محصورا في هذه الأقسام الأربعة لم يكن خارجا عن مقتضى المحبة أصلا فلينبدأ بالقسم الأول وهو تفكره في صفات نفسه وأهله نفسه ليعلم المحبوب منها عن السكروه فإن هذا الفكر هو الذي يتعلق بعلم العاملة الذي هو التصود بهذا الكتاب وأما القسم الآخر فيتعلق بعلم السكافة ثم كل واحد عما هو مكروه عنده أو محبوب يتقسم إلى ظاهر كالطاعات والمعاصي وإلى باطن كالصفات النجيات والمهلكات التي محلها القلب وذكرنا تفصيلها في ربيع المهلكات والنجيات والطاعات والمعاصي تنقسم إلى ما يتعلق بالأعضاء السبعة وإلى ما ينسب إلى جميع البدن كالفرار من الزحف وعقوق الوالدین والسكون في المسكن الحرام ويجب في كل واحد من المكروهات التفكر في أمور : الأول التفكر في أنه هل هو مكروه عند الله أم لا فربما يتبين ما يظهر كونه مكروها بل يدركه بدقيق النظر . والثاني التفكر في أنه إن كان مكروها فما طريق الاحتراز عنه . والثالث أن هذا المكروه هل هو متصف به في الحال فتركه أوهو متعرض له في الاستقبال فيحترز عنه أو قاربه فيامضى من الأحوال فيحتاج إلى تداركه وكذلك كل واحد من المحبوبات ينقسم إلى هذه الانقسامات فإذا جمعت هذه الأقسام زادت مجارى الفكر في هذه الأقسام على مائة والبدء مدفوع إلى الفكر إما في جميعها أو في أكثرها وشرح آحاد هذه الانقسامات بطول ولكن انحصر هذا القسم في أربعة أنواع الطاعات والمعاصي والصفات المهلكات والصفات النجيات فلنذكر في كل نوع مثالا ليقين به المرید سائر ما هو ينتفع به في الفكر ويتسع عليه طريقه [النوع الأول المعاصي] ينبغي أن يغتنى الإنسان صبيحة كل يوم جميع أعضائه السبعة تفصيلا ثم بدنه على الجملة هل هو في الحال ملابس لمعية بها فيتركها أو لا يسأها بالأسى فيتداركها بالترك والتندم أوهو متعرض لها في نهارة فيستعد للاحتراز والتباعد عنها فينظر في اللسان ويقول إنه متعرض للقيية والكذب وتركبة النفس والاستهزاء بالغير والمماراة والمنازعة والحوش فبالإسنى إلى غير ذلك من المكروهات فيقرر أولا في نفسه أنها مكروهة عند الله تعالى ، ويتفكر في شواهد القرآن والسنة على شدة العذاب فيها ثم يتفكر في أحواله أنه كيف يتعرض لها من حيث لا يشترع ثم يتفكر أنه كيف يحترز منه ويعلم أنه لا يتم له ذلك إلا بالعزلة والانفراد وأن لا يجالس إلا صالحا حقا يتبين فكره عليه مهما تكلم بما يكرهه الله والإفضيع حجرا في فيه إذا جالس غيره حتى يكون ذلك مذكرا له فكذا يكون الفكر في حيلة الاحتراز ويتفكر في ممة أنه يسنى به إلى السيئ والكذب وفضول الكلام إلى اللهو والبدعة وأن ذلك إنما يسمعه من زيد وعمره وأنه ينبغي أن يحترز عنه بالاعتزال أو بالهوى عن الفكر فمهما كان ذلك فيتفكر في بطله أنه إنما يسمي الله تعالى فيه بالأكل والشرب إما بكثرته أو كل من الحلال فان ذلك مكروه عند الله ومقو للشهوة التي هي سلاح الشيطان عدو الله وإماما بكل الحرام والنسبة فينظر من أين مطعمه ولبسه ومسكنه ومكسبه ومالكه ويتفكر في طريق الحلال ومدخله ثم

أشد استئناسا من الناس في كثرتهم وأوحش ما يكون الناس أنس ما يكونون وأنس ما يكون الناس أوحش ما يكونون . قال الواطلى : لا يصل إلى محل الأنس من لم يستوحش من الأكوان كلها . وقال أبو الحسين الوراق : لا يكون الأنس بالله إلا وسمه التعظيم لأن كل من استأنست به سقط عن قلبك تعظيمه إلا الله تعالى فانك لا تزيد بأنا إلا ازددت منه هية وتخطيا . قالت رابعة : كل مطيع مستأنس وأنشدت : ولقد جعلت لك في القواد حدى

يتفكر في طريق الحيلة في الاكتساب منه والاحتراز من الحرام ويقرر على نفسه أن العبادات كلها ضامة مع أكل الحرام وأن أكل الحلال هو أساس العبادات كلها وأن الله تعالى لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام (١) كلورد الخبر به فهكذا يتفكر في أعضائه في هذا القدر كفاية عن الاستقصاء لهم ما حصل بالتفكير حقيقة المعرفة بهذه الأحوال اشتغل بالمرآة طول النهار حتى يحفظ الأعضاء عنها [وأما النوع الثاني وهو الطاعات] فينظر أولاً في الفرائض للكتوبة عليه أنه كيف يؤديها وكيف يحرسها عن النقصان والتقصير أو كيف يجبر نقصانها بكثره النوافل ثم يرجع إلى عضو عضو فيتفكر في الأعمال التي تتعلق بها بما يحبه الله تعالى فيقول مثلاً إن العين خلقت للنظر في ملكوت السموات والأرض عبادة ولتستعمل في طاعة الله تعالى وتطهر في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وأنا قادر على أن أشغل العين بمطالعة القرآن والسنة فلم لأضله وأنا قادر على أن أنظر إلى فلان للطبع بين التعظيم فأدخل السرور على قلبه وأنظر إلى فلان الفاسق بين الازدراء فأزجره بذلك عن مصيئته فلم لأضله وكذلك يقول في سمعه إني قادر على استماع كلام مملوفاً أو استماع حكمة وعلم أو استماع قراءة وذكراً فإني أعطيه وقد أنعم الله علي به وأودعني لأشكره فما لي أكره نعمة الله فيه بتضييعه أو تعطيله وكذلك يتفكر في اللسان ويقول إني قادر على أن أقرب إلى الله تعالى بالتعليم والوعظ والتودد إلى قلوب أهل الصلاح وبالسؤال عن أحوال الفقراء وإدخال السرور على قلب زيد الصالح وعمره العالم بكلمة طيبة وكل كلمة طيبة فلها صدقة وكذلك يتفكر في ماله فيقول أنا قادر على أن أتصدق بالمال الفلاني فإني مستغن عنه ومهما احتجت إليه رزقني الله تعالى مثله وإن كنت محتاجاً الآن فإني أنا إلى نواب الأيتام أحوج مني إلى ذلك المال وهكذا يفكر في جميع أعضائه وجملة بدنه وأمواله بل عن دوابه وغلته وأولاده فان كل ذلك أدواته وأسبابه ويقدر على أن يطيع الله تعالى بها فيستنبط بديق الفكر وجوه الطاعات الممكنة بها ويتفكر فيها رغبة في البداء إلى تلك الطاعات ويتفكر في إخلاص النية فيها ويطلب لها مظان الاستحقاق حتى يزكو بها عمله وقس على هذا سائر الطاعات [وأما النوع الثالث فهي الصفات الملهكة التي محلها القلب] فيعرفها بما ذكرناه في ربيع الملهكات وهي استيلاء الشهوة والتغلب واليأس والكبر والسب والرياء والحسد وسوء الظن والنفقة والفرور وغير ذلك وينتقد من قلبه هذه الصفات فان ظن أن قلبه منزّه عنها فيتفكر في كيفية امتناعه والاستنباط بالملاهيات عليه فان النفس أبداً تعد بالخير من نفسها وتختلف فإذا ادعت التواضع والبرامة من الكبر فينبغي أن تجرب بحمل حزمة حطب في السوق كما كان الأولون يجربون به أنفسهم وإذا ادعت الحلم تعرض لضرب باله من غير ثم يجرب في كظم الغيظ وكذلك في سائر الصفات وهذا تنكر في إنعاده هو موصوف بالصفة للسكر وههنا لا ذلك علامات ذكرناها في ربيع الملهكات فإذا دلت العلامة على وجودها فكر في الأسباب التي تبيح تلك الصفات عنده وتبين أن منشأها من الجهل والغلظة وخبث البوخله كالوراء في نفسه بما يعمل فيتفكر ويقول إنما على يدي وجارحتي وقدرتي وإرادتي وكل ذلك ليس مني ولا إلهي وإنما هو من خلق الله وفضله على فهو الذي خلقتي وخلق جارحتي وخلق قدرتي وإرادتي وهو الذي حرك أعضائي بقدرته وكذلك قدرتي وإرادتي فكيف أعجب بعدي أو بنفسي ولا أقوم بنفسي فإذا أحس في نفسه بالكبر قرر على نفسه ما فيه من الحماقة ويقول لها لم ترين نفسك أكبر والكبير من هو عند الله كبير وذلك ينكشف بند اللوث وكمن كافر في الحال يموت مقرباً إلى الله تعالى بزوجته عن الكفر وكمن مسلم يموت شقياً

(١) حديث إن الله لا يقبل صلاة عبد في ثمن ثوبه درهم حرام أحمد من حديث ابن عمر بسند فيه جهول وقد تقدم.

وأبحث جسي من  
أراد جلوس  
فالجسم من الجلوس  
مؤانس  
وحبيب قلب في القواد  
أنيس

وقال مالك بن دينار:  
من لم يأنس عبادة  
الله عن عبادة الخلق  
قد قل عليه وعي  
قلبه وضع عمره .  
قيل لبعضهم من معك  
في الدار قال الله تعالى  
معي ولا يستوحش من  
أنس بره . وقال  
الحراز: الأنس عبادة  
الأرواح مع المحبوب  
في مجالس القرب .  
وصف بعض العارفين  
صفة أهل المحبة  
الواصلين فقال: جدد  
لهم الود في كل طرفة

بتغير حاله عند الموت بسوء الحظ فإذا عرف أن السكر مهلك وأن أصله الخلق يتفكر في علاج إزالة ذلك بأن يتطلى أفعال للتواضع وإذا وجد في نفسه شهوة الطعام وشرهه تفكر في أن هذه سفة البهائم ولو كان في شهوة الطعام والواقع كمال لكان ذلك من صفات الله وصفات اللائكة كالعلم والقدرة ولما اتصف به البهائم ومهما كان الثبره عليه أغلب كان بالبهائم أشبه وعن اللائكة القربين أبعد وكذلك يقرر على نفسه في الضبط ثم يتفكر في طريق العلاج وكل ذلك ذكرناه في هذه الكتب فمن يريد أن يتبع له طريق الفكر فلا بد له من تحصيل ما في هذه الكتب [ وأما النوع الرابع وهو للتبقيات ] فهو التوبة والتعلم على القنوب والصبر على البلاد والشكر على النعماء والخوف والرجاء والزهدي في الدنيا والإخلاص والصدق في الطاعات وعبادة الله وتعظيمه والرضا بآفاله والشوق إليه والخشوع والتواضع له وكل ذلك ذكرناه في هذا الربع وذكرنا أسماياه وعلاماته فليستكر البعد كل يوم في قلبه ما الذي يورثه من هذه الصفات التي هي للقربة إلى الله تعالى فإذا افتقر إلى شيء منها فليعلم أنها أحوال لا يشرها إلا علوم وأن العلوم لا يشرها إلا أفكار فإذا أراد أن يكتب لنفسه أحوال التوبة والتسليم فليفتش ذنوبه أولا وليتفكر فيها وليجسمها على نفسه وليعظمها في قلبه ثم لينظر في الوعيد والتشديد الذي ورد في الشرع فيما ليتحقق عنده نفسه أنه متمرض لفت الله تعالى حتى يبعث له حال الندم وإذا أراد أن يستبرئ من قلبه حال الشكر فليتنظر في إحسان الله إليه ويأديه عليه وفي إرساله جميل ستره عليه على ما شرحتنا بعضه في كتاب الشكر فليطالع ذلك وإذا أراد حال المحبة والشوق فليتنفكر في جلال الله وجماله وعظمته وكبريائه وذلك بالنظر في عجائب حكمته وبدائع صنعه كما سنشير إلى طرف منه في القسم الثاني من الفكر وإذا أراد حال الخوف فليتنظر أولا في ذنوبه الظاهرة والباطنة ثم لينظر في الموت وسكراته ثم فيما يهدمه من سؤال المنكر ونكير وعذاب القبر وحياته وعقابه وديداته ثم في هول النداء عند نفخة الصور ثم في هول المحشر عند جمع الخلائق على صعيد واحد ثم في النافذة في الحساب والضائقة في القبر والقطير ثم في الصراط ودقته وحدته ثم في خطر الأمر عنده أنه يصرف إلى التبال فيكون من أصحاب النار أو يصرف إلى التبين فيزول دابر القرار ثم ليحضر بعد أحوال القيامة في قلبه صورة جهنم ودركتها ومقامها وأهوالها وسلاسلها وأغلالها وزنوبها وصديدها وأنواع العذاب فيها وقبح صور الزبانية الموكنين بها وأنهم كلما فصحت جلودهم بدلوا جلودا غيرها وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدها فيها وأنهم إذا رأوها من مكان بعيد سمعوا لها تعظيضا وزفيرا وهلم جرا إلى جميع ماورد في القرآن من شرحها وإذا أراد أن يستجلب حال الرجاء فليتنظر إلى الجنة ونعيمها وأشجارها وأنهارها وجورها وولدها ونعيمها للقيم وملوكها الدائم فيكذلك طريق الفكر الذي يطلب به العلوم التي تثمر اجتلاب أحوال محبوبة أو التزهد عن صفات مذمومة وقد ذكرنا في كل واحد من هذه الأحوال كتابا مفردا يستعان به على تحصيل الفكر أما بذكر مجامعه فلا يوجد فيه أضع من قراءة القرآن بالتفكر فإنه جامع لجميع اللقائات والأحوال وفيه شفاء للعالمين وفيه ما يورث الخوف والرجاء والصبر والشكر والمحبة والشوق وسائر الأحوال وفيه ما يزرع عن سائر الصفات الذمومة فينبغي أن يقرأه البعيد ويردد الآية التي هو محتاج إلى التفكر فيها مرة بعد أخرى ولو مائة مرة فتراد آية بتفكر وفهم خير من خمسة غير تدبر وفهم فليتنوقف في التأمل فيها ولو ليلة واحدة فإن تحت كل كلمة أسرار لا تتحصرو ولا يوقف عليها إلا بديق الفكر عن صفاء القلب بعد صدق العامة وكذلك مطالعة أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قد أوتي جوامع الكلم <sup>(١)</sup> وكل كلمة من كلماته بحر من بحور الحكمة ولو تأملها

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم أوتي جوامع الكلم تقدم .

بدوام الاتصال وآوام  
في حكمته غفائق  
المكون إليه حتى  
أنت قلوبهم وحت  
أرواحهم شوقا وكان  
الحب والشوق منهم  
إشارة من الحق إليهم  
عن حقيقة التوحيد  
وهو الوجود بالله  
فذهبت مناهم وانقطعت  
آمالهم عنده لما بان  
منهم ولو أن الحق  
تعالى أمر جميع الأنبياء  
يسألون لهم ما سألوه  
بعض ما أعد لهم من  
قديم وحدانيته ودوام  
أزليته وسابق عله  
وكان نصيبهم معرفته  
به وفراغ همهم عليه  
واجتماع أهوائهم فيه  
ضار بمحسوم من  
عبيده الموم أن

العالم حق التأمل لم ينقطع فيها نظره طول عمره وشرح آحاد الآيات والأخبار بطول فأنظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم «إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فأنت مفارقة وعش ماشئت فأنت ميت وأعمل ماشئت فأنت مجزئ به» (١) فإن هذه الكلمات جامعة حكم الأولين والآخرين وهي كافية للمؤمنين فيها طول العمر إذلو وقفوا على معانيها وغلبت على قلوبهم غلبة يقين لاستغرقهم ولحال ذلك بينهم وبين التلفت إلى الدنيا بالسكية فهذا هو طريق الفكر في علوم العالمة وصفات العبد من حيث هي محبوبة عند الله تعالى أوسكرهه والبتدىء ينشئ أن يكون مستغرق الوقت في هذه الأفكار حتى يصر قلبه بالأخلاق الحمودة والقامات الشريفة ويزه باطنه وظاهره عن السكارة. ولعلم أن هذا مع أنه أفضل من سائر المبادات فليس هوله غاية للطلب بل المشغول به محبوب عن مطلب الصديقين وهو النعم بالله فكر في جلال الله تعالى وجماله واستغراق القلب بحيث يغنى عن نفسه أى ينشئ نفسه وأحواله ومقاماته وصفاته فيكون مستغرق المهمل بالمحسوب كالعاشق المستغرق عند لقاء الحبيب فإنه لا يتفرغ للأنظر في أحواله ونفسه وأوصافها بل يبقى كالمهلول الغافل عن نفسه وهو مشغى لذة الشاق . فأما ما ذكرناه فهو تفكير في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال فإذا شيع جميع عمره في إصلاح نفسه فحق يتعم بالقرب ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقبه الحسين بن منصور وقال فم أنت؟ قال أدور في البوادي أصليح حالي في التوكل فقال الحسين أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين القضاء في التوحيد والقضاء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصديقين . وأما التزم عن الصفات الهلكتات فيجربى مجرى الخروج عن السدة في التكاح . وأما الإصاف بالصفات النجيات وسائر الطاعات فيجربى مجرى نهية المرأة جهازها وتزيينها وجهها ومشطها شعرها لتصلح بذلك لقاء زوجها فإن استغرقت جميع عمرها في تربة الرحم وتزيين الوجه كان ذلك حجابا لها عن لقاء المحبوب ، فهكذا ينشئ أن تضم طريق الدين إن كنت من أهل المجالسة وإن كنت كالمبد السوء لا يتحرك إلا خوفا من الضرب وطعما في الأجرة فدونك واتعب البدن بالأعمال الظاهرة فإن بينك وبين القلب حجابا كثيفا فإذا قضيت حق الأعمال كنت من أهل الجنة ولكن للجالسة أقوام آخرون وإذا عرفت جمال الفكر في علوم العالمة التي بين العبد وبين ربه فينبئ أن تتخذ ذلك عادتك وديندك صباحا ومساء فلا تنفل عن نفسك وعن صفاتك البعده من الله تعالى وأحوالك للقرية إليه سبحانه وتعالى بل كل مر يد فينبئ أن يكون له جريدة يثبت فيها جملة الصفات للهلكات وجملة الصفات للنجيات وجملة المعاصي والطاعات ويعرض نفسه عليها كل يوم ، ويكتبه من الهلكتات النظر في عشرة فانه إن سلم منها سلم من غيرها وهي البخل والكبر والعجب والرياء والخسد وشدة التضب وشدة الطعام وشدة الوقوع وحب المال وحب الجاه . ومن المنجيات عشرة : الندم على القنوب ، والصبر على البلاء ، والرضا بالقضاء ، والشكر على النعماء ، واعتدال الخوف والرجاء ، والزهدي في الدنيا والآخرة والخلص في الأعمال ، وحسن الخلق مع الخلق ، وحب الله تعالى ، والخشوع له . فهذه عشرون خصلة عشرة مضمومة وعشرة محمودة فمها كفى من المضمومات واحدة فيخط عليها في جريدته ويدع الفكر فيها ويشكر الله تعالى على كفايته إيها وتزبه قلبه عنها ويسلم أن ذلك لم يتم إلا بتوفيق الله تعالى وعونه ولو وكله إلى نفسه لم يقدر على نحو أقل الرذائل عن نفسه فيقبل على التسعة الباقية وهكذا يفعل حتى يخط على الجميع ، وكذا يطالب نفسه بالاتصاف بالمنجيات ، فإذا اتصف بواحدة منها كالنوبة والنعم مثلا خط عليها واشتغل بالباقي ، وهذا يحتاج إليه المرید المشعر .

(١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحب من أحببت فأنت مفارقة الحديث تقدم غير مرة

دفع عن قلوبهم جميع  
المهموم . وأنشد في  
معناه :

كانت قلبي أهواء  
مفرقة

فاستجملت إذا رأيتك  
النفس أهوائ

فصار يحدني من  
كنت أحسنه

وصرت مولى الورى  
مصدرت مولائ

تركت للناس دنياهم  
ودنيهم

تعلما بذكرك ياديني  
ودنياي

وقد يكون من الأنس  
الأنس بطاعة الله

وذكره وتلاوة كلامه  
وسائر أبواب القربات

وهذا القدر من الأنس  
نعمة من الله تعالى

ومنحة منه ولكن

وأما أكثر الناس من المودعين من الصالحين فينبغي أن يبتدوا في جرائدهم للعاصي الظاهرة كأكل الشهرة وإطلاق اللسان النابية والنجمة والراء والثناء على النفس والأفراط في معاداة الأعداء وموالات الأواباء والدعابة مع الخلق في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فإن أكثر من جده نفسه من وجوه الصالحين لا يبتك عن جملة من هذه للعاصي في جوارحه وما لم يطهر الجوارح عن الآثام لا يمكن الاشتغال بصيانة القلب وتطهيره بل كل فريق من الناس يطلب عليهم نوع من الصلابة فينبغي أن يكون تقدم لها وتفكرهم فيها لا في معاصيهم بمنزل عنها. مثاله العالم الورع فإنه لا يغفل في غالب الأمر عن إظهار نفسه بالمع والطلب الشهرة وانتشار الصيت إما بالتدريس أو بالوعظ ومن فعل ذلك تصدى لفتنة عظيمة لا ينجو منها إلا الصديقون فإنه إن كان كلامه مقبولا حسن الوقع في القلوب لم يفتك عن الاعجاب والجلالة والترزين والتصنع وذلك من الهلكات وإن رد كلامه لم يخل عن غيظ وأتة وحقد على من يرده وهو أكثر من غيظه على من يرد كلامه غيره. وقد بلبس الشيطان عليه ويقول إن غيظك من حيث إنه رد الحق وأنكره فإن وجد تفرقة بين أن يرد عليه كلامه أو يرد على علم آخر فهو مغرور وضحة للشيطان ثم مهما كان له ارتياح بالقبول وفرح بالثناء واستتفاف من الرذائل والأعراض لم يخل عن تكلف وتصنع لتحسين اللفظ والإيراد حرصا على استتلاب الثناء والله لا يحب للتكلفين والشيطان قد بلبس عليه ويقول إما حرصك على تحسين الألفاظ والتكلف فيها ينتشر الحق ويحسن موقعه في القلب إعلاما لدين الله فإن كان فرحه بحسن ألقاظه وثناء الناس عليه أكثر من فرحه بثناء الناس على واحد من أقرانه فهو مخدوع وإما يدورون حول طلب الجاه وهو يظن أن مطلبه الدين ونهما اختلاج ضميره بهذه الصفات ظهر على ظاهره ذلك حتى يكون للموثر له العتد قضله أكثر احتراما ويكون بلفظه أشد فرحا واستبشارا بمن يغفل في موالاته غيره وإن كان ذلك الغير مستحقا للوالاته ورعا ينهى الأمر بأهل العلم إلى أن يتأبروا بتأثير النساء فيشقى على أحدهم أن يختلف بعض تلامذته إلى غيره وإن كان يعلم أنه متع بغيره ومستفيد منه في دينه وكل ذلك رشح الصفات الهلكات المشتبهة في سر القلب التي قد يظن العالم النجاة منها وهو مغرور فيها وإما ينكشف ذلك بهذه العلامات فتنته العالم عظيمة وهو إماما لك وإماما لك ولا مطمع له في سلامة العوام فمن أحس في نفسه بهذه الصفات فالواجب عليه العزلة والانفراد وطلب الحول والمدافعة لفتاوى مسماسل فقد كان المسجد يحوى في زمن الصحابة رضي الله تعالى عنهم جمعا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم مفتون وكانوا يتدافعون الفتوى وكل من كان يغنى كان يؤد أن يكفيه غيره. وعند هذا ينبغي أن يتقى شياطين الإنس إذا قالوا لا تفعل هذا فإن هذا الباب لو فتح لاندست العلوم من بين الخلق وليقل لهم إن دين الإسلام مستغن عن فانه قد كان معمورا قبلي وكذلك يكون بدى ولومت لم نهزم أركان الإسلام فإن الدين مستغن عنى وأما أنا فلست مستغنيا عن إصلاح قلبي، وأما أداء ذلك إلى اندراس العلم خيال يدل على غابة الجهل فإن الناس لو حبسوا في السجن وقيدوا بالقيود وتوعدوا بالآثار على طلب العلم لكان حب الرياسة والتمو يحملهم على كسر القيود وهضم حيطان الحصون والخروج منها والاشتغال بطلب العلم فالعلم لا يندرس مادام الشيطان يحجب إلى الخلق الرياسة والشيطان لا يفتخر عن عمله إلى يوم القيامة بل يتهم لتشر العلم أقوام لا تصيب لهم في الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم» (١) و «إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر» (٢) فلا ينبغي أن يتر العالم بهذه التلبسات فيشتغل بمخالطة الخلق حتى يتر في قلبه حب الجاه والثناء والتعظيم فإن ذلك بذر التفات

ليس هو حال الأنس الذي يكون للحيثين والأنس حال تزييف يكون عند طهارة الباطن وكنسه يصدق الزهد وكال التقوى وقطع الأسباب والملائق ومحو الخواطر والمواجس وحقيقته عندى كنس الوجود بقل لأع العظيمة وانتشار الروح في مبادي القنوح وله استقلال بنفسه يشتمل على القلب فيجمعه به عن الهية وفي الهية اجتماع الروح ورسوبه إلى عمل النفس وهذا الذى وصفناه من أنس القات وهية القات يكون في مقام البقاء بعد البور على

(١) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم تقدم (٢) حديث إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر تقدم أيضا في العلم.

قال صلى الله عليه وسلم « حب الجاه والمال يثبت النفاق في القلب كايثبت الماء البقل »<sup>(١)</sup> وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما ذنبان ضاربان أرسلا في زريعة غم يأكلهما فسادا فيها من حب الجاه والمال في دين الرء السلم »<sup>(٢)</sup> ولا ينقطع حب الجاه من القلب إلا بالاعتزال عن الناس والمهرب من مخالطتهم وترك كل ما يزيد جاهه في قلوبهم فليكن العالم في التنظن لحفايا هذه الصفات من قلبه وفي استنباط طريق الخلاص منها وهذه وظيفة العالم التي فأما أمثاله فلينبئ أن يكون تفكرنا فيها يقوى إيماننا يوم الحساب إذ لو رأنا السلف الصالحون لقالوا قطعا إن هؤلاء لا يؤمنون يوم الحساب فإعمالنا أعمالهم من يؤمن بالجنة والنار فإن من خاف شيئا هرب منه ومن رجش شيئا طلبه وقد علمنا أن المهرب من النار بترك الشهوات والحرام وترك الماصي ونحن منهم مكون فيها وأن طلب الجنة يشكّر نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منها فلم يحصل لنا من عمرة العلم إلا أنه يقنئ بنا في الحرص على الدنيا والتكالب عليها ويقال لو كان هذا مضموما لكان الماء أحق وأولى باجتنابه منا فليتنا كنا كالعوالم إذ امتنا ماتت معنا ذنوبنا لما أعظم الفتنة التي تعرضنا لها لو تفكرنا ففسأل الله تعالى أن يصلحنا وصالح بنا وبرقنا للتوبة قبل أن يتوفانا إنه الكريم اللطيف بنا لنعم علينا بهذه مجاري أفكار العلماء الصالحين في علم العاملة فإن فرغوا منها انقطع الغناهم عن أنفسهم وارتقوا منها إلى التفكر في جلال الله وعظمته والتتم بمشاهدته بعين القلب ولا يتم ذلك إلا بعد الانفكاك من جميع الهالكات والانصاف بجميع النجيات وإن ظهر شيء منه قبل ذلك كان مدخولا معلولا مكذرا مقطوعا وكان ضعيفا كالبرق الخاطف لا يثبت ولا يدوم ويكون كالعاشق الذي خلا بمشوقه ولكن تحت ثيابه حيات وعقارب تلدغ غمرة بعد أخرى فتضيق عليه هذه الشهادة ولا طريق له في كمال التمتع إلا بإخراج العقارب والحيات من ثيابه وهذه الصفات النومة عقارب وحيات وهي مؤذيات ومشوشات وفي القبر يزيد ألم لدغها على لدغ العقارب والحيات فهذا القدر كاف في التنبيه على مجاري فكر البديق صفات نفسه المحبوبة والكرهية عند ربه تعالى . القسم الثاني الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه ، وفيه مقامان القام الأعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني أسمائه وهذا مما منع منه حيث قبل تفكروا في خلق الله تعالى ولا تفكروا في ذات الله وذلك لأن العقول تتحير فيه فلا يطبق مد البصر إليه إلا الصديقون ثم لا يطبقون دوام النظر بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى كحال بصير الحفاش بالإضافة إلى نور الشمس فإنه لا يطيقه البتة بل يغشى نهارا وإنما يتردد ليلا ينظر في قبة نور الشمس إذا وقع على الأرض وأحوال الصديقين كحال الإنسان في النظر إلى الشمس فإنه يقدر على النظر إليها ولا يطبق دوامه وغشى على بصره لو أدام النظر ونظيره المختطف إليها يورث العمى ويفرق البصر وكذلك النظر إلى ذات الله تعالى يورث الحيرة والذهش واضطراب العقل فالصواب إذن أن لا يتعرض لمجاري الفكر في ذات الله سبحانه وصفاته فإن أكثر العقول لا تختمل بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو أن الله تعالى مقدس عن اللكان ومزود عن الأقطار والجهات وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالمالم ولا هو منفصل عنه قد حير عقول أقوام حتى أنكروا ذلك بطريقوا اسماعه ومعرفته بل ضعفت طائفة عن احتمال أقل من هذا إذ قيل لهم إنه يشاظم ويتألى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو وأن يكون جسما مشخصا له مقدار وحجم فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قمع في عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحق من العوام إن هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الإله لظن السكين أن الجلالة

(١) حديث حب المال والجاه يثبت النفاق في القلب الحديث تقدم (٢) حديث ما ذنبان جاحان أرسلا في زريعة غم الحديث ههنا .

عمر الفناء وما غير  
الأنس والهيبة اللذين  
يذهبان بوجود الفناء  
لأن الهيبة والأنس  
قبل الفناء ظهرا من  
مطالعة الصفات من  
الجلال والجمال وذلك  
مقام التلويح وما ذكرناه  
بعد الفناء في مقام  
التحسين والبقاء من  
مطالعة الذات ومن  
الأنس خضوع النفس  
للطيشة ومن الهيبة  
خشوعها والخضوع  
والخشوع يتقاربان  
وبتقاربان بفرق لطيف  
يدرك لمعناه الروح .  
ومنها القرب قال الله  
تعالى لبيبه عليه الصلاة  
والسلام - واسجد  
واقرب - وقد ورد  
« أقرب ما يكون العبد

والعظمة في هذه الأعضاء وهذا لأن الإنسان لا يعرف إلا نفسه فلا يستعظم إلا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه ، نعم غايته أن يفكر في الصورة جالسا على سريره ويحس به غفان يتلون أمره فلا يجرم غايته أن يفكر ذلك في حق الله تعالى وتقدس حتى يفهم العظمة بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لحاقلك جناح ولا يد ولا رجل ولا له طير لأن لا تسكر ذلك وقال كيف يكون خالق أنفسي متى أف يكون مقصود الجناح أو يكون زما لا يفكر على الطير أن أو يكون لآلة وقدرة لا يكون له مثاها وهو خالق ومصوري وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل وإن الإنسان لجهول ظولوم كفار . ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن أخبرهم عنى بما ينهون . ولما كان النظر في ذات الله تعالى وصفاته خطرا من هذا الوجه اقتضى أدب الشرع وصلاح الخلق أن لا يتعرض لمجاري الفكر فيه لكننا نعدل إلى القيام الثاني وهو النظر في أفعاله ومجاري قدره وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه فانها تدل على جلالة وكبريائه وتقدمه وتعاليه وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى عاذه مشيئة وقدرته فينظر إلى صفاته من آثار صفاته فانها لا تنطق النظر إلى صفاته كما أنا نطق النظر إلى الأرض مهما استقارت بنور الشمس ونستدل بذلك على عظم نور الشمس بالإضافة إلى نور القمر وسائر الكواكب لأن نور الأرض من آثار نور الشمس والنظر في الآثار يدل على للزور دلاله ما وإن كان لا يفهم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع وجوداته التي تباثر من آثار قدرة الله تعالى ونور من أنوار ذاته بل لاطلة أشد من الدم ولا نور أظهر من الوجود ووجود الأشياء كلها نور من أنوار ذاته تعالى وتقدس إذ قوام وجود الأشياء بذاته تعالى يوم نفسه كأن قول نور الأجسام بنور الشمس الضئيلة بنفسها ومهما انكشف بعض الشمس قد جرت العادة بأن يوضع طشت ماء حتى ترى الشمس فيه ويمكن النظر إليها فيكون الماء واسطة بنض قلاب من نور الشمس حتى يطلق النظر إليها فكذلك الأفصال واسطة نشاهد فيها صفات الفاعل ولا نهرب بأنوار الذات بعد أن تباعدنا عنها بواسطة الأفصال فهذا سر قوله **﴿تفكر﴾** وتفكر والى خلق الله ولا تفكر والى ذات الله تعالى .

( بيان كيفية التفكير في خلق الله تعالى )

اعلم أن كل مافي الوجود مما سوى الله تعالى فهو خلق الله وخلق الله وكل ذرة من القرات من جوهر وعرض وصفة وموصوف فمهما عجائب وغرائب تظهر بها حكمة الله وقدرته وجلاله وعظمته وإحصاء ذلك غير ممكن لأنه لو كان البحر مدادا لكتب بذلك لكتب البحر قبل أن ينفد عشر عشرة ولكننا نشير إلى جملته ليكون ذلك كالمثال لما عداه . فنقول للوجودات المخلوقة منقسمة إلى مالا يعرف أصلها فلا يمكننا التفكير فيها وهم من الوجودات التي لا تعلمها كما قال الله تعالى - وخلق ما لا تعلمون . سبحانه الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم وما لا يحصون - وقال - وتتشعب فيها لا تعلمون - وإلى ما يعرف أصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا أن تفكر في تفصيلها وهي منقسمة إلى ما أدركناه بحس البصر وإلى ما لا ندركه بالبصر أما الذي لا ندركه بالبصر فكاللائحة والجن والشياطين والعرش والكرسي وغير ذلك وبجمال الفكر في هذه الأشياء مما يضيق ويضيق فلنعمدل إلى الأقرب إلى الأفهام وهي الدرجات بحس البصر وذلك هو السموات السبع والأرض وما بينهما فالسموات مشاهد بكونها كلها ومحبها وقمرها وحركتها ودوراتها في طلوعها وغروبها والأرض مشاهدة بما فيها من جبالها وماءها وأنهارها وبحارها وحبواتها ونباتها وما بين السماء والأرض وهو الجو مدرك بعيونها وأمطارها ونفوجها ورعداها وبرقها ومواسمها وشبهها وما عداها من الأنجاس لا شاهد من السموات والأرض وما بينهما وكل جلس منها ينقسم إلى أنواع وكل نوع ينقسم إلى أقسام وينشعب كل قسم

من ربه في سجوده  
فالساجد إذا ذيق طعم  
السجود يقرب لأنه  
يسجد ويطوى  
بسجوده بساط الكون  
ما كان وما يكون  
ويسجد على طرف  
رداء العظمة فيقرب.  
قال بعضهم إن لأجد  
المحضور فأقول يا الله  
أو يارب فأجد ذلك  
على أشمل من الجبال  
قيل ولم قال لأن النداء  
يكون من وراء حجاب  
وهل رأيت جلبسا  
ينادي جلبسه وإنما  
هي إشارات وملاحظات  
ومتناغاة وملاطقات  
وهذا الذي وصفه مقام  
عزيز متحقق فيه  
القرب ولكنه مشعر  
بتمتع ومؤذن بسر

إلى أصناف ولا نهاية لانتساب ذلك وانقسامه في اختلاف صفاته وهياته ومعانيه الظاهرة والباطنة  
وجميع ذلك مجال الفكر فلا تتحرك ذرة في السموات والأرض من جماد ولا نبات ولا حيوان ولا  
فلك ولا كوكب إلا والله تعالى هو محركها وفي حركتها حكمة وأحكامان أو عشر أو ألف حكمة كل ذلك  
شاهد في تعالى بالوحدانية ودال على جلالة وكبريائه وهي الآيات الدالة عليه ، وقد ورد القرآن بالحث  
على التفكير في هذه الآيات كما قال الله تعالى - إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار  
لآيات لأولي الأبصار - وكما قال تعالى - ومن آياته - من أول القرآن إلى آخره ، فلنذكر كيفية الفكر  
في بعض الآيات ، فمن آياته الإنسان المخلوق من الطينة وأقرب شيء إليك نفسك وفيك من العجائب  
الدالة على عظمة الله تعالى ما تنتفض الأعمار في الوقوف على عشر عشرين وأنت غافل عنه ، نيام هو غافل  
عن نفسه وجاهل بما كيف تطمع في معرفة غيرك وقد أمرك الله تعالى بالتدبر في نفسك في كتابه  
العزيز فقال - وفي أنفسكم أفلا تبصرون - وذكر أنك مخلوق من نقطة قدرة قال - قل الإنسان  
ما أكفره من أي شيء خلقه ، من نقطة خلقه قدره ، ثم السيل يسره ، ثم أماته فأقبره ، ثم إذا شاء  
أنشره - وقال تعالى - ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم حسر تنكفرون وقال تعالى ألم  
يك نقطة من منى يحيى ثم كان علقه خلق فسوى - وقال تعالى - ألم نخلقكم من ماء مهين فجعلناه  
في قرار مكين إلى قدر معلوم - وقال - أولم ير الإنسان أنا خلقناه من نقطة فاذا هو خصيم مبين وقال  
- إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج - ثم ذكر كيف جعل النطفة علقا والعلقة مضغة واللينة عظاما  
فقال تعالى - ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة  
علقا - الآية ، فذكر في الكتاب العزيز ليس لسمع لفظه ويرك التفكير في معناه فانظر  
الآن إلى النطفة وهي قطرة من الماء ، قدرة لو تركت ساعة ليضربها الهواء فسدت وأنت كيف أخرجها  
رب الأرباب من الصلب والترائب وكيف جمع بين الذكر والأنثى وألقى الألفه والحب في قلوبهم وكيف  
فدوم بسلسلة الحب والشهوة إلى الاجتماع وكيف استخرج النطفة من الرجل بحركة الواقع وكيف  
استنجد دم الحية من أعماق المروق وجمعه في الرحم ، ثم كيف خلق النطفة وسقام عمام  
الحبيض وغذاء حتى يماوربا وكبر ، وكيف جعل النطفة وهي يضاء مشرقة علقه حرام ثم كيف جعلها  
مضغة ثم كيف قسم أجزاء النطفة وهي مثابها متساوية إلى العظام والأعصاب والمروق والأوتار والاعلم  
ثم كيف ركب من اللحم والأعصاب والمروق الأعضاء الظاهرة فدور الرأس وشق السمع والبصر  
والأنف والفم وسائر المنافذ ثم مديد الرجل وقسمه ، وسها بالأصابع وقسم الأصابع بالأناامل ثم كيف  
ركب الأعضاء الباطنة من القلب واللمعة والكبد والطحال والرة والرحم والثناثو الأمعاء كل واحد  
على شكل مخصوص ومقدار مخصوص لعمل مخصوص ، ثم كيف قسم كل عضو من هذه الأعضاء  
بأقسام أخر فركب العين من سبع طبقات لكل طبقة وصف مخصوص وهيئة مخصوصة لو فقدت طبقة  
منها أوزالت صفة من صفاتها تعطلت العين عن الإبصار فلقد ذهبنا إلى أن نصف ما في آحاد هذه الأعضاء  
من العجائب والآيات لا تقضى فيه الأعمار فانظر الآن إلى النظام وهي أجسام صلبة قوية كيف خلقها  
من نقطة سخيقة رقيقة ثم جعلها قواما قدينا وعمادا له ثم قدرها بمقادير مختلفة وأشكال مختلفة  
فمنه صغير وكبير وطويل ومستدير وجوف ومصمت وعريض ودقيق ، ولما كان الإنسان محتاجا  
إلى الحركة بمجملة بدنه وبعض أعضائه مفتنرا لتردد في حاجاته لم يجعل عظمه عظما واحدا بل  
عظاما كثيرة بينها مفاصل حتى تتيسر بها الحركة وقد شكل كل واحدة منها على وفق الحركة  
المطلوبة بها ثم وصل مفاصلها وربط بعضها ببعض بأوتار أنبتها من أحد طرفي العظم والعضة والعظم

يكون ذلك لمن غاب  
نفس في نور روحه  
لغلبة سكره وقوة دعوته  
فإذا صحوا فاق تتخلص  
الروح من النفس  
والنفس من الروح  
ويوجد كل من البدن  
إلى محله ومقامه فيقول  
يا الله ويلرب بلسان  
النفس للطنشة العالمة  
إلى مقام حاجتها وحمل  
جسوديتها والروح  
تستقل بفتوحه وبكمال  
الحال عن الأقوال  
وهذا أتم وأقرب من  
الأول لأنه وفي حق  
القرب باستغلال الروح  
بالفتوح وأقام رسم  
العبودية بحد حكم  
النفس إلى محل الاعتقاد  
وحظ القرب لا يزال

الآخر كارباط له ثم خلق في أحد طرفي العظم زوائد خارجة منه وفي الآخر حمر اغاصصة فيه موافقة لشكل الزوائد لتدخل فيها وتطبق عليها فصار العبد إن أراد تحريك جزء من بدنه لم يمتنع عليه ولولا للفواصل لتمتع عليه ذلك ثم انظر كيف خلق عظام الرأس وكيف جمعها وربكها وقدر كبرها من خمسة وخمسين عظما مختلفة الأشكال والصور فألف بعضها إلى بعض بحيث استوى به كرة الرأس كما تراه فيها ستة خمس الفحفف وأربعة عشر لحي الأظلي واثنان للحي الأسفل والبقية هي الأسنان بعضها عريضة تصلح للطحن وبسببها حادة تصلح للقطع وهي الأنياب والأضراس والثنايا ثم جعل الرقبة مكبلا للرأس وربكها من سبع خرزات بمخوقات مستديرات فيها عورفات وزوائد وتفاصيلات لينطبق بعضها على بعض ويطول ذكر وجه الحكمة فيها ثم ركب الرقبة على الظهر وربك الظهر من أسفل الرقبة إلى منتهى عظم العجز من أربع وعشرين خرزة وربك عظم العجز من ثلاثة أجزاء مختلفة فينصل به من أسفله عظم الصمص وهو أيضا مؤلف من ثلاثة أجزاء ثم وصل عظام الظهر بعظام الصدر وعظام الكتف وعظام اليدين وعظام المانة وعظام العجز وعظام الفخذين والساقين وأصابع الرجلين ، فلانطول بذكر عدد ذلك وجموع عدد العظام في بدن الانسان مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما سوى العظام الصغيرة التي حتى بها خلل للفواصل فانظر كيف خلق جميع ذلك من نقطة صغيرة رقيقة ، وليس المقصود من ذكر أعداد العظام أن يعرف عددها فان هذا علم قريب يعرفه الأطباء وللتروحون وإنما الغرض أن ينظر منها في مديرتها وخالقها أنه كيف قدرها وادبرها وخالف بين أشكالها وأقدارها خصصها بهذا العدد المخصوص لأنه لو زاد عليها واحدا لكان وبالا على الانسان يحتاج إلى قلمه ولو نقص منها واحدا لكان قصاصا يحتاج إلى جبره فالطبيب ينظر فيها لمعرفة وجه العلاج في جبرها وأهل البصائر ينظرون فيها ليستدلوا بها على جلالة خالقها ومصورها فشتان بين النظرين ، ثم انظر كيف خلق الله تعالى آلات لتحريك العظام وهي العضلات غلقت في بدن الانسان خمسمائة عضلة وتسعا وعشرين عضلة ، والعضلة مركبة من لحم وعصب ورباط وأغشية ، وهي مختلفة القادير والأشكال بحسب اختلاف مواضعها وقدر حاجاتها فأربع وعشرون عضلة منها هي لتحريك حدة العين وأجفانها لو نقصت واحدة من جعلتها اختلف أمر العين وهكذا لكل عضو عضلات بعدد مخصوص وقدر مخصوص وأمر الأعصاب والعروق والأوردة والشرايين وعددها ومنايتها وانشعالاتها أعجب من هذا كله وشرحه يطول ، فلا فسر مجال في آجاد هذه الأجزاء ثم في آحاد هذه الأعضاء ثم في جملة البدن فكل ذلك نظر إلى عجائب أجسام البدن وعجائب الماعن والصفات التي لا تدرك بالحواس أعظم ، فانظر الآن إلى ظاهر الانسان وباطنه وإلى بدنه وصفاته فترى بمن العجائب والصنعة ما يقضى به العجب وكل ذلك صنع الله في قطرة ماء قدرة ترى من هذا صنع في قطرة ماء فما صنعته في ملكوت السموات وكواكبها وما حكته في أوضاعها وأشكالها ومقاديرها وأعدادها واجتاع بعضها وتفرق بعضها واختلاف صورها وتماوت مشارقها ومغاربها فلا تظن أن ذرة من ملكوت السموات تنفك عن حكمة وحكم بل هي أحكم خالقا وأتقن صنعا وأجمع للعجائب من بدن الانسان بل لانية لجميع مافي الأرض إلى عجائب السموات ولذلك قال تعالى - أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها ، وأغطش ليها وأخرج ضحاها - فارجع الآن إلى الطقة وتأمل حالها أولا وما سارت إليه ثانيا وتأمل أنه لو اجتمع الجن والانس على أن يخلقوا للطفة ميمما وبصرا أو غملا أو قدرة أو غملا أو روحا أو خلقا فيها عظما أو عرقا أو عصبيا أو جلدا أو شعرا لم يقدروا على ذلك لو أرادوا أن ينفقوا لكنه حقيقة وكيفية خلقته بعد أن خلق الله تعالى ذلك لعجزه فإله يحب منك لو نظرت إلى صورة

بتوفر نصب الروح  
باقامة رسم العبودية  
من النفس . وقال  
الحديد إن الله تعالى  
شرب من قلوب  
عباده على حسب  
ما يرى من قرب قلوب  
عباده منه فانظر ماذا  
يقرب من قلبك .  
وقال أبو سفيان  
السوسي مادام العبد  
يكون بالقرب لم يكن  
قريبا حتى يصب عن  
رؤية القرب بالقرب  
فاذا ذهب عن رؤية  
القرب بالقرب فذلك  
قرب وقد قال قائمهم:  
قد تحققت في الله  
ر فاجاك لسانى  
فاجتصنا لمعان  
وافترقا لمعان

إنسان مصور على حائط تأتى النقاش في صورتها حتى قرب ذلك من صورة الإنسان وقال الشاعر  
إليها كأنه إنسان عظم تصبجك من صنة النقاش وحذقه وخفة يده وتعام فطنته وعظم في قلبك  
محله مع أمته تعلم أن تلك الصورة إنما تمت بالصنيع والقلم واليد والحائط والبقرة وبالعلم وبالارادة  
وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا خلقه بل هو من خلق غيره وإنما منتهى فعله الجمع بين  
الصنيع والحائط على ترتيب مخصوص فيكبر تصبجك منه وتستعظمه وأنت ترى النطفة القذرة  
كانت معدومة خلقها في الأصلاب والترائب ثم أخرجها منها وشكلها فأحسن تشكيلها وقدرها  
فأحسن تقديرها وتصورها وقسم أجزائها للنشابة إلى أجزاء مختلفة فأحكم العظام وأرجائها وأحسن  
أشكال أعضائها وزين ظاهرها وباطنها ورب عروقها وأعصابها وجعلها تجري لنفاتها ليكون ذلك  
سبب بقائها وجعلها مبيعة بصيرة عالة ناطقة وخلق لها الظاهر أساسا لبدنها والباطن حاويا لآلات  
غذائها والرأس جامعاً لحواسها ففتح العينين ورب طبقاتها وأحسن شكلها ولونها وهياتها ثم  
حمها بالأفجان لتسترها وتخفظها وتصلها وتدفق الأقداء عنها ثم أظهر في مقدار عسة منها صورة  
السماوات مع اتساع أكتافها وتباعاً أقطارها فهو ينظر إليها ثم شق أذنيه وأودعها مائة مرا  
ليحفظ سمعها ويدفع الهواء عنها وحولها بصدفة الأذن لتجمع الصوت قرده إلى صاخبها ولتحم  
يديها الهواء إليها وجعل فيها عريفات وأعوجاجات لتكثر حركة ما يدب فيها ويطول طريقه  
فيتنبه من النوم صاحبها إذا قصد ما دابة في حال النوم ثم رفع الأنف من وسط الوجه وأحسن  
شكله وقصم منخره وأودع فيه حاسة الشم ليستدل باستنشاق الروائح على مطاعمه وأغذته  
وليستنشق يغذد للتحريز روح الهواء غذاء لقلبه وترويحاً لحرارة بطنه وقصم الفم وأودع اللسان  
ناطقاً وترجماناً ومعبراً عما في القلب وزين الفم بالأسنان لتكون آلة الطحن والكسرو والقطع فأحكم  
أسوأها وحدد رءوسها ويضن لونها ورب صفوفها متساوية الرموس متساوية الترتيب كأنها المر  
للنظوم وخلق الشفتين وحسن لونها وشكلها لتنطبق على الفم فتسد منفذه ولتحمها بحروف الكلام  
وخلق الخنجره وهماها لخروج الصوت وخلق لسان قدرة للحركات والقطيعات لتقطع الصوت  
في مخارج مختلفة تختلف بها الحروف ليقص بها طريق النطق بكثرتها ثم خلق الحناجر مختلفة  
الأشكال في الضيق والسعة والحشونة وللأمانة وصلابة الجوهر ورخاوتها والطول والقصر حتى اختلفت  
بسببها الأصوات فلا يشابه صوتان بل يظهر بين كل صوتين فرقة حتى يميز السامع بعض الناس  
عن بعض بمجرد الصوت في الظفة ثم زين الرأس بالشعر والأصدان وزين الوجه باللبية والحاجبين  
وزين الحاجب رقة الشعر واستقواس الشكل وزين العينين بالأهداب ثم خلق الأعضاء الباطنة  
وسخر كل واحد لفضل مخصوص فخر للعدة لتضج الغذاء والكبد لإحالة الغذاء إلى الدم والطحال  
والرارة والكلية لخدمة الكبد فالطحال يخدمها بحبب السوداء عنها وللرارة تخدمها بحبب الصفراء  
عنها والكلية تخدمها بحبب اللآنية عنها والثلاثة تخدم الكلية بقبول الماء عنها ثم خرجها في طريق  
الإحليل والعروق تخدم الكبد في إيصال الدم إلى سائر أطراف البدن ثم خلق اليدين وطولهما لتمسك  
إلى للقاصد وعرض الكف وقسم الأصابع الخمس وقسم كل أصبع بثلاث أظفار ووضع الأربعة في  
جانب الإبهام في جانب لتدور الإبهام على الجميع ولو اجتمع الأولون والآخرون على أن يستبطلوا  
بذيق الفكر وجها آخر في وضع الأصابع سوى ما وضعت عليه من بعد الإبهام عن الأربع وضاعت  
الأربع في الطول وترتيبها في صف واحد لم يقدروا عليه إذ بهذا الترتيب صلحت اليد للقبض  
والإعطاء فان بسطها كانت له طبقاً يضع عليها حاريد وإن جمعها كانت له آلة للضرب وإن ضمها

إن يكن غيبك الله  
ظلم عن لحظ عياني  
فلقد صبرك الوجه

يد من الأحشاء داني  
قال ذو النون ما ازداد  
أحد من الله قرابة إلا  
ازداد هيبة . وقال  
سهل أدنى مقام من  
مقامات القرب الحياه  
وقال التصرا باذى  
باتباع السنة تنال  
المعرفة وبأداء  
القرائن تنال القرية  
وبالمواظبة على الدواخل  
تنال الهبة . ومنها  
الحياه والحياه على  
الوصف العام والوصف  
الحاس فأما الوصف  
العام فإمر برسول  
الله صلى الله عليه وسلم  
في قوله «استعيروا من  
الله حق الحياه فتلوا

ضيا غير تام كانت معرفة له وإن بسطها وضم أوصافها كانت معرفة له ثم خلق الأظفار على رموسها  
زينة للأنامل وعماد لها من ورائها حتى لا تنقطع ويلتقط بها الأشياء الحقيقية التي لا تتناولها  
الأنامل وليحك بها يده عند الحاجة فالظفر الذي هو أخس الأجزاء لو عدمه الانسان وظهر به  
حكمة لكان اهمل الخلق وأضعفهم ولم يتم أحد مقامه في حكمة يده ثم هذى اليد إلى موضع الحك حتى  
تتد إليه ولو في النوم والفتنة من غير حاجة إلى طلب ولو استعان بغيره لم يثر على موضع الحك  
إلا بعد تعب طويل ثم خلق هذا كله من النطفة وهي في داخل الرحم في ظلمات ثلاث ولو كشف  
التطاء والقشاء واستمد البصر إليه لكان يرى التخطيط والتصور يظهر عليها هيئا فثبتا ولا يرى  
للمرور ولا آتاه فهل رأيت مصورا أو فاعلا لا يمس آتاه ومصنوعه ولا يلاقيه وهو يتصرف فيه  
فبجانه ما أعظم شأنه وأظهر برهانه ، ثم انظر مع كمال قدرته إلى تمام رحمة فاعلمنا أن الله الرحمن  
الحي لما كبر كيف هداه السبيل حتى تسكس ونحرك وخرج من ذلك الضيق وطلب للتفد كانه  
عائل بصير بما يحتاج إليه ثم لما خرج واحتاج إلى الغذاء كيف هداه إلى التقام الثدي ثم لما كان  
بده سخيلا لا يعتمد الأغذية الكثيفة كيف دبر له في خلق اللبن اللطيف واستخرجه من بين  
الفرث والحلم سائحا خالصا وكيف خلق الثديين وجمع فيهما اللبن وأثبت منهما حلتين على قدر  
ما ينطبق عليهما ثم الصبي ثم وضع في حلة الثدي قبا شيقا جدا حتى لا يخرج اللبن منه إلا بدللص  
تدرجيا فان الطفل لا يطق منه إلا القليل ثم كيف هداه للاقتصار حتى يستخرج من ذلك الضيق  
اللبن الكثير عند شدة الجوع ثم انظر إلى عطفه ورحمته وراقه كيف أخر خلق الإنسان إلى تمام  
الحولين لأنه في الحولين لا يبتلى إلا باللبن فيستثنى عن السن وإذا كبر لم يواقع اللبن السخيف  
ويعتاج إلى طعام غليظ ويحتاج الطعام إلى الضغ والطحن فأثبت له الإنسان عند الحاجة لاجلها  
ولا يدها فبجانه كيف أخرج تلك العظام الصلبة في تلك الثناث اللينة ثم خلق قلوب الوالدين  
عليه للقيام بتدبيره في الوقت الذي كان عاجزا عن تدبير نفسه فلم يسلط الله الرحمة على قلوبهما  
لكن الطفل أصعب الخلق عن تدبير نفسه ، ثم انظر كيف رزقه القدرة والتحيز والفضل والمداية  
تدرجيا حتى يبلغ وتكامل فصار مرافقا ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا كما كنوز أو شكور أو مطعيا أو عاصيا  
مؤمنًا أو كافرا تصديقا لقوله تعالى - هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا إنا  
خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميما بصيرا إنا هديناه السبيل إما هادرا وإما  
كفورا - فانظر إلى اللطف والكرم ثم إلى القدرة والحكمة بهرلك هجاب الحضرة الربانية والسبب  
كل الجبب بمن يرى خطا حسنا أو نقسا حسنا على حائط فيستحسنه فيصرف جميع همه إلى التفكير  
في النقائص والحطاط وأنه كيف تحفه وخطه وكيف اقتدر عليه ولا يزال يستعظمه في نفسه ويقول  
ما أحذقه وما أكل صنعه وأحسن قدرته ثم ينظر إلى هذه العجائب في نفسه وفي غيره ثم يفكر عن  
صانه ومصوره فلا تدعشه عظمت ولا يحيره جلاله وحكمته فهذه نبذة من هجاب بذلك التي لا يمكن  
استنساؤها فهو أقرب مجال لتفكيرك وأجلى شاهد على عظمة خالقك وأنت فاعل عن ذلك مشغول  
ببطئك وفرجك لا تعرف من نفسك إلا أن مجموع فتا كل وتضيع فتنام وتنسى فتجائع وتغيب  
خفائل والهائم كلها تشاركك في معرفة ذلك وإعسا خاصة الانسان التي حببت الهائم عنها معرفة  
الله تعالى بالنظر في ملكوت السموات والأرض وهجاب الآفاق والأنفس إذ بها يدخل البعد في  
زمرة لللائكة القربين ويحضر في زمرة النبيين والصديقين مقربا من حضرة رب العالمين وليست  
هذه الزمة للهائم ولا لانسان رضى من الدنيا شهوات الهائم فانه شر من الهائم بكثير إذ لا قدرة

إنا نستحي يا رسول الله  
قال ليس ذلك ولكن  
من استعيا من الله  
حق الحياء فليحفظ  
الأس وماوعى والبطن  
وماحوى وليذكر اللوت  
والبلى ومن أراد الآخرة  
ترك زينة الدنيا فمن  
فضل ذلك فقد استعيا  
من الله حق الحياء  
وهذا الحياء من  
القصاصات وأما الحياء  
الخاص فمن الأحوال  
وهو ما نقل عن عثمان  
رضي الله عنه أنه قال إني  
لأغتسل في البيت للظلم  
فأنطوى حياء من  
الله . أخبرنا أبو زرعة  
عن ابن خلف عن  
أبي عبد الرحمن قال  
صحت أبا البباس  
للبساسى يقول  
صحت أحمد السقطي

البينة على ذلك وأما هو قد خلق الله القدرة ثم عطلها وكفر نعمة الله فيها فأولئك كالأنعام بل هم أضل سبيلا . وإذا عرفت طريق التفكير في حكمة تفكير في الأرض التي هي متركبة من أنهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منها إلى ملكوت السموات . أما الأرض : فمن آياته أن خلق الأرض فراشا ومهادا وسلك فيها سبيلا فجابجا وجعلها ذلولاً لتمشوا فيها مناكبها وجعلها قارة لاتحرك وأرسى فيها الجبال أوتاناً لها تمنحها من أن تميد ثم وسع أكنافها حتى همز الأديمون عن بلوغ جميع جوانبها وإن طالت أعمارهم وكثر تطوافهم فقال تعالى - والساء بينها بأيدي وإننا لموسعون والأرض فرشناها فتم للهاددون - وقال تعالى سحوا الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فاستموا في مناكبها - وقال تعالى - الذي جعل لكم الأرض فراشا - وقد أكثر في كتابه العزيز من ذكر الأرض ليتفكر في عجائبها فظهرها مقر للأحياء وبطنها مرقد للأموات قال الله تعالى - ألم نجعل الأرض كفاتاً أحياء وأمواتاً - فانظر إلى الأرض وهي ميتة فإذا أنزل عليها للناس اهتزت وربت واخضرت وأنبئت بهجاب النبات وخرجت منها أصناف الحيوانات ثم انظر كيف أحكم جوانب الأرض بالجبال الراسيات الشوامخ الصم الصلاب وكيف أودع الياه تحتها فاجتمع اليبون وأسال الأنهار تجري على وجهها وأخرج من الحجارة اليابسة ومن التراب الكدر مادي قاعداً صافياً زلالاً وجعل به كل شيء حتى فأخرج به فروع الأشجار والنبات من حب وعنب وقصب وزيتون ونخل ورمان وفواكه كثيرة لأهلي مختلفة الأشكال والألوان والطعوم والصفات والأرياح بفضل بعضها على بعض في الأكل تسقي بماء واحد وتخرج من أرض واحدة . فان قلت إن اختلافها باختلاف بذورها وأسولها فمضى كان في الواة تحفة مطوقة بنقايد الرطب ومضى كان في حبة واحدة سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة ثم انظر إلى أرض البوادي وفش ظاهرها وباطنها قراها رطابة مشايها فإذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبئت من كل زوج بهيج ألواناً مختلفة ونباتاً مشايها وفيها ممشى لكل واحد طعم وريح ولون وهكل يخالف الآخر فانظر إلى كثرتها واختلاف أصنافها وكثرة أشكالها ثم اختلاف طبائع النبات وكثرة منافعه وكيف أودع الله تعالى العقاقير النافع النيرة في هذا النبات ينفذ وهذا يقوى وهذا يحيى وهذا يقتل وهذا يبرد وهذا يسخن وهذا إذا حصل في اللدغة قطع الصفراء من أحماق العروق وهذا يستحيل إلى الصفراء وهذا يجمع اليبوم والسوداء وهذا يستحيل إليها وهذا يسقي الدم وهذا يستحيل مما وهذا يفرج وهذا ينوم وهذا يقوى وهذا يضعف فلم تنبت من الأرض ورقة ولا نبتة إلا وفيها منافع لا يقوى البشر على الوقوف على كلها وكل واحد من هذا النبات يحتاج القلاح في زبته إلى عمل مخصوص فالتخل تزور والكرم يكسح والزرع ينقى عنه الحشيش والدغل وبعض ذلك يستنبث بيت البذر في الأرض ويضغ بفرس الأغصان ويضغ يركب في الشجر ولورداً أن نذكر اختلاف أجناس النبات وأنواعه ومنافعه وأحواله وعجائبه لاحتضت الأيام في وصف ذلك فيسكتك من كل جنس نيلة سيرة ذلك على طريق التفكير فهذه بهجاب النبات [ومن آياته الجواهر اللوذة تحت الجبال وللعادن الحاصلة من الأرض] ففي الأرض قطع متجاورات مختلفة فانظر إلى الجبال كيف يخرج منها الجواهر النفيسة من الذهب والفضة والفيروز واللؤلؤ وغيرها بعضها منتظمة تحت الطارق كالذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد وبعضها لا ينطبع كالفيروز واللؤلؤ والذهب وكيف هدى الله الناس إلى استخراجها وتنقيتها واتخاذ الأواني والآلات والقود والحلى منها ثم انظر إلى معادن الأرض من النفط والكبريت والقطر وغيرها وأقلها للبح ولا يحتاج إليه إلا لطبيب الطعام ولو خلعت عنه بهمة لتسارع الهلاك إليها فانظر إلى رحمة الله تعالى كيف خلق بعض الأراضي سبعة بجورها بحيث يجتمع فيها للناس الصافي من الطر فيستجبل ملحا مالحا محرراً لا يمكن تناول مثقاله منه

ابن صالح يقول سمعت  
عبد بن عبدون يقول  
سمعت أبا العباس  
الزؤب يقول قال لي  
سرى : احفظ على  
ما أقول لك إن الحياء  
والأنس يطوفان  
بالقلب فإذا وجد فيه  
الزهد والورع حطا  
والإرحلا والحياء  
إطراق الروح إجلالا  
لعظيم الجلال والأنس  
التنذاد الروح بكمال  
الجمال فإذا اجتمعا  
فهو الغاية في النوال والنهاية  
في العطاء وأنشد  
شيخ الاسلام :  
أشانه فإذا بدا  
أطربت من إجلاله  
لاخنة بل هبة  
وصيانة لجماله  
الوث في إداره  
والعيش في إقباله

ليكون ذلك تطييباً لطعامك إذا أكلته ميتاً عيشك وما من جماد ولا حيوان ولا نبات إلا وفيه حكمة وحكم من هذا الجنس ما خلق شي منها عبثاً ولا لباً ولا هزلاً بل خلق السكل بالحق كما ينبغي وعلى الوجه الذي ينبغي وكما يليق بحلاله وكرمه ولطفه ولذلك قال تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عبثاً ما خلقناهما إلا بالحق . ومن آياته أصناف الحيوانات : وانقسامها إلى ما يطير وإلى ما يمشي وانقسام ما يمشي إلى ما يمشي على رجلين وإلى ما يمشي على أربع وعلى عشرة وعلى مائة كما يشاهد في بعض الحشرات ثم انقسامها في النافع والصور والأشكال والأخلاق والطباع فانظر إلى طيور الجو وإلى وحوش البر والبهائم الأهلية ترى فيها من العجائب ما لا تشك معه في عظمة خلقها وقدرت مقدرها وحكمة مصورها وكيف يمكن أن يستغنى ذلك بل لو أردنا أن نذكر عجائب البقعة والنفثة والنحلة أو العنكبوت وهي من صغار الحيوانات في بنائها بيتها وفي جمعها غذاءها وفي ألوانها وزوجها وفي ادخارها لنفسها وفي حذقها في هندسة بيتها وفي هدايتها إلى حاجاتها لم ندر على ذلك قنرى العنكبوت يبنى بيته على طرف نهر فيطلب أولاً موضعين متقاربين بينهما فرجة يقدر ذراع لها دونه حتى يتمكن أن يصل بالخط بين طرفيه ثم يبتدىء ويلقى اللعاب الذي هو خيطه على جانب يلتصق به ثم يمشي إلى الجانب الآخر فيحكم الطرف الآخر من الخيط ثم كذلك يتردد ثانياً وثالثاً ويجعل يد ما بينهما متشابهاً تناسباً هندسياً حتى إذا أحكم معاقده القمط ورب الخيط كالسدى اشتغل باللحمة فيضع اللحمة على السدى ويضيف بعضه إلى بعض ويحكم القعد على موضع التقاء اللحمة بالسدى ويراعي في جميع ذلك تناسب الهندسة ويجعل ذلك شبكة يقع فيها البق والذباب وتعد في زاوية مترصداً لوقوع الصيد في الشبكة فإذا وقع الصيد ابدى إلى أخذه وأكله فإن عجز عن الصيد كذلك طلب لنفسه زاوية من حائط ووصل بين طرفي الزاوية غيط ثم علق نفسه فيها غيطاً آخر وبقي منكساً في الهواء ينظر ذبابة تطير فإذا طارت رمى بنفسه إليها فآخذه ولف خيطه على رجله وأحكمه ثم أكله وما من حيوان صغير ولا كبير إلا وفيه من العجائب ما لا يحصى أفترى أنه تعلم هذه الصنعة من نفسه أو تكون بنفسه أو كونه آدمى أو عله أو لا هادي له ولا من أفتيك ذلك بصيرة في أنه مسكين ضعيف عاجز بل القبل العظيم خشية الظاهر قوته عاجز عن أمر نفسه فكيف هذا الحيوان الضعيف أقل يشهد هو بشكائه وصورته وحركته وهدايته وعجائب صنعه فاطر الحكيم وخالقه القادر العليم فالعير يرى في هذا الحيوان الصغير من عظمة الخالق لا يبرو جلالة وكلال قدرته وحكته ما تتعجب فيه الألباب والعقول فضلاً عن سائر الحيوانات وهذا الباب أيضاً لا حصر له فإن الحيوانات وأشكالها وأخلاقها وطباعها غير محصورة وإنما سقط تعجب القلوب منها لأنهم ابتكروا الشاهدة ، نعم إذا رأى حيواناً غريباً لرؤوداً تجد تعجبه وقال سبحانه الله ما أعجبهم إلا أن أعجب الحيوانات وليس تعجب من نفسه بل لو نظر إلى الأنعام التي أنعم الله عليها ونظر إلى أشكالها وصورها ثم إلى منافعها وفوائدها من جلودها وأصوافها وأوبارها وأشعارها التي جعلها الله لباساً خلفها وكانها ملحق بظلمتهم وإقامتهم وآية لأشربهم وأوعية لأغذيتهم وصوائناً لأقدامهم وجعل ألبانها ولحومها أغذية لهم ثم جعل بعضها زينة للركوب وبعضها حاملة للأفعال قاطعة للبوادي والغارات البعيدة لأكثر الباطل التعجب من حكمة خالقها ومصورها فإنه ما خلقها إلا لم يحيط بجميع منافعها سابق على خاقه بإياهنا سبحانه من الأمور مكتشفة في علمه من غير تفكير ومن غير تأمل وتدبر ومن غير استعانة بوزير أو مشير فهو العليم الخبير الحكيم القدير فلقد استخرج بأقل القليل مما خلقه صدق الشهادة من قلوب العارفين بتوحيده فما لخلق إلا الاذعان لقهره وقدرته والاعتراف بربوبيته والاررار بالعجز عن معرفة جلالة وعظمته فمن ذا الذي يحصى ثناء عليه بل هو كما أثنى على نفسه وإنما غاية مدركنا الاعتراف بالعجز عن

وأصد عنه إذا بدا  
وأروم طيف خياله  
قال بعض - الحكاء  
من تكلم في الحياء  
ولا يستحي من الله في  
يتكلم به فهو مستدرج .  
وقال ذو النون : الحياء  
وجود الهية في القلب  
مع حشمة ما سبق منك  
إلى ربك . وقال ابن  
عطاء . العلم الأكبر  
الهية والحياء فإذا  
فهب عنه الهية  
والحياء فلا خير فيه .  
وقال أبو سليمان : إن  
العباد عملوا على أربع  
درجات على الخوف  
والرجاء والتعظيم  
والحياء وأشرفهم منزلة  
من عمل على الحياء  
لما أيقن أن الله تعالى  
براه على كل حال

معرفة فسنال الله تعالى أن يكرمنا بهدايته بنه وراقته . ومن آياته البحار العميقة المكتشفة لأقطار الأرض التي هي قطع من البحر الأعظم المحيط بجميع الأرض حتى إن جميع المكشوف من البوادي والجلال من الماء بالإضافة إلى الماء بجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الأرض مستورة بالماء . قال النبي صلى الله عليه وسلم : الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض <sup>(١)</sup> . فالصواب إلى جميع الأرض . واعلم أن الأرض بالإضافة إلى البحر مثله وقد شاهدت عجائب الأرض وما فيها فتأمل الآن عجائب البحرفان عجائب ما فيه من الحيوان والجواهر أضفاف عجائب ما تشاهده على وجه الأرض كما أن سبعة أضفاف سعة الأرض ولعظم البحر كان فيه من الحيوانات العظام ما ترى ظهورها في البحر فظن أنها جزيرة فيزل الركاب عليها فرميا بحس باليزان إذا اشتعلت فتتحرك ويدلم أنها حيوان وما من صنف من أصناف حيوان البر من فرس أو طير أو بقر أو إنسان إلا وفي البحر أمثاله وأضافه وفيه أجناس لا يحصى لها نظير في البر وقد ذكرت أو صافها في مجلدات وجميع أقوام عنابر كوكب البحر وجميع عجائبه ثم انظر كيف خلق الله الثور ودوره في صدفه تحت الماء وانظر كيف أنبت المرجان من صم الصخور تحت الماء وإنما هو نبات على هيئة شجر ينبت من الحجر ثم تأمل ما عده من العنبر وأصناف التفاليس التي يذفها البحر وتستخرج منه ثم انظر إلى عجائب السفن كيف أمسكها الله تعالى على وجه الماء وسير فيها التجار وطلاب الأموال وغيرهم وسخر لهم الفلك لتعمل أنفهم ثم أرسل الرياح لتسوق السفن ثم عرف للإنسان موارد الرياح ومهابها ومواقيتها ولا يستنص على الجملة عجائب صنع الله في البحرفي مجلدات وعجب من ذلك كله ما هو أظهر من كل ظاهر وهو كيفية قطرة الماء وهو جسم رقيق لطيف سيال مشف متصل الأجزاء كأنه شيء واحد لطيف التركيب سريع القبول للتطبيع كأنه منفصل وسخر للتصرف قابل للاتصال والاتصال به حياة كل ما على وجه الأرض من حيوان ونبات فلو احتاج العبد إلى شربة ماء ومنع منها لبذل جميع خزائن الأرض وملك الدنيا في تحصيلها لو هلك ذلك ثم لو شرها ومنع من إخراجها لبذل جميع خزائن الأرض وملك الدنيا في إخراجها فالعجب من الآدمي كيف يستعظم الدينار والدرهم ونفائس الجواهر ويفعل عن نعمة الله في شربة ماء إذا احتاج إلى شرها أو الاستغناء عنها بذل جميع الدنيا فيها فتأمل في عجائب المياه والأنهار والآبار والبحار فهي تمتع للفكر وجمال وكل ذلك شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حلما مفضحة عن جلال بارئها معربة عن كمال حكمته فيها متداوية أرباب القلوب بنفائسها قائلة لكل ذي لب أماتاني وترى صورتي وتركيب وصفاني ومتناهي واختلاف حالاتي وكثرة فوائدني أنظن أني كوت نفسي أو خلقني أحد من جنس أو ما تستحي أن تنظر في كلمة مرقومة من ثلاثة أحرف فتقطع بأنها من صنعة آدمي عالم قادر مرید متكمم ثم تنظر إلى عجائب الخطوط الإلهية الرفوعة على صفحات وجهي بالقلم الإلهي الذي لا تدرك الأبصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله يجعل الخط ثم ينفك قلبك عن جلالة صانعه وتقول النطقة لأرباب السمع والقلب لا فذين هم عن السمع معزولون توهمني في قلعة الأحشاء مغموسة في دم الحيف في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي فيتشقق النقاش حدق وأجفاني وجهي وخدي وشفتي فترى التفويش يظهر شيئا فشيئا على التدرج ولا ترى داخل النطقة نقاشا ولا خارجها ولا داخل الرحم ولا خارجة ولا خبر منها للألم وللأب ولا للنطقة وللأرحم أم هذا النقاش أعجب مما تشاهده بنفسه بالقلم صورة عجيبة لو نظرت إليها مرة أو مرتين لعلته فهل تقدر على أن تتلم هذا الجنس من النقش والتصوير الذي يجم ظاهر النطقة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملاسة للنطقة ومن غير

(١) حديث الأرض في البحر كالإصطبل في الأرض تقدم ولم أجده .

استحيا من حسنة  
أكثر مما استحيا  
العاصون من سيئاتهم .  
وقال بعضهم : الغالب  
على قلوب المستحيين  
الاجلال والتعظيم دائما  
عند نظر الله إليهم .  
ومنها الاتصال . قال  
الدوري : الاتصال  
مكاشفات القلوب  
ومتشاهدات الأسرار .  
وقال بعضهم الاتصال  
وصول السر إلى مقام  
الذهول وقال بعضهم  
الاتصال أن لا يجد  
العبد غير خالق  
ولا يتصل بغيره مظهر  
لتعريف صانعه . وقال .  
سهل بن عبيد الله  
حركوا بالبلاء فحركوا  
ولو سكنوا اتصالا .  
وقال يحيى بن معاذ

اتصال بها لا من داخل ولا من خارج فان كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تنهم بها أن الذي صور ونشأ وقدر لا نظير له ولا يساويه فاشي ولا مصور كما أن نقشه وصنعه لا يساويه فنش وصنع فبين القائلين من اللبابة والتباعد ما بين القائلين فان كنت لا تتعجب من هذا فتعجب من عدم تعجبك فانه أعجب من كل عجب فان الذي أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنك من التبيين مع هذا البيان جدير بأن تعجب منه فبحان من هدى وأضل وأغوى وأرشد وأشقى وأسعد وفتح بصائر أحابيه فشاهدوه في جميع ذرات العالم وأجزائه وأعمى قلوب أعدائه واحتجب عنهم بزمه وثلاثه فله الخلق والأمر والامتنان والفضل واللطف والتهر لاراد لحكمه ولا معقب لقضائه ومن آياته الهواء اللطيف المحبوس بين مقر السماء ومحدب الأرض [ لا يدرك بحس القس عند هبوب الرياح جسمه ولا يرى بالعين شخصه وجملة مثل البحر الواحد والطيور محقة في جو السماء ومسقة سباحة فيه بأجنحتها كما تسبح حيوانات البحر في الماء وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هبوب الرياح كما تضطرب أمواج البحر فإذا حرك الله الهواء وجهه ريحا هبته فان شاء جعله نثرا بين يدي رحمة كما قال سبحانه - وأرسلنا الرياح لواقف - فيصل بحركته روح الهواء إلى الحيوانات والنباتات فتستعد لها وإن شاء جعله عذابا على العصاة من خلقه كما قال تعالى - إنا أرسلنا عليهم ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر ترتع الناس كأهم عجايب نخل منتمر - ثم انظر إلى لطف الهواء ثم شدته وقوته معها منطلق الماء فإني للنفوخ يتعامل عليه الرجل القوي لنفسه في الماء فيجوز عنه والحديد الصلب تضعه على وجه الماء فيرسب فيه فانظر كيف ينقبض الهواء من الماء بقوة مع لطافته وهذه الحكمة أمسك الله تعالى السفن على وجه الماء وكذلك كل جوف فيه هواء لا ينفوس في الماء لأن الهواء ينقبض عن الفوس في الماء فلا ينصل عن السطح الداخلة من السفينة فتبقى السفينة الثقيلة مع قوتها وصلابتها معلقة في الهواء اللطيف كالذي يقع في بحر فيتعلق بذيل رجل قوي يمتنع عن الهوى في البر فالسفينة بمقمرها تثبت بأذيال الهواء القوي حتى تمتنع من الهوى والفوس في الماء فبحان من خلق المركب الثقيل في الهواء اللطيف من غير علاقة تشاهد عقدة تشد ثم انظر إلى عجائب الجو وما يظهر فيه من القيوم والعود والبروق والأمطار والتلوج والذهب والسواقي فهي عجائب ما بين السماء والأرض وقد أشار القرآن إلى جملة ذلك في قوله تعالى - وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا عينين - وهذا هو الذي يبينها وأشار إلى تفصيله في مواضع شتى حيث قال تعالى - والسحاب السخريين السماء والأرض - وحيث تعرض للبرق والبرق والسحاب والمطر فإذا لم يكن لك حظ من هذه الجملة إلا أن ترى الطريقين وتسمع الرعد بأذنك فالهيمه تشاركك في هذه المعرفة فارتفع من حضيض عالم الهائم إلى عالم اللاألهي فقد فحنت عينيك فأدركت ظاهرها فمض عينك الظاهرة وانظر بصيرتك الباطنة ترى عجائب باطنها وغرائب أسرارها وهذا أيضا باب يطول التفكر فيه إلا لمطيع في استقصائه فتأمل السحاب الكثيف الظلم كيف تراه يجمع في جو صاف لاكدورة فيه وكيف خلقه الله تعالى إذا شاء ومضى شاء وهو مع رخاوته حائل للماء الثقيل ويمسك له في جو السماء إلا أن يأذن الله في إرسال الماء وتنطبع القطرات كل قطرة بالقدر الذي أراده الله تعالى وعلى الشكل الذي شاء فترى السحاب يرش الماء على الأرض ويرسله قطرات متفاصلة لا تدرك قطرة منها قطرة ولا تتصل واحدة بأخرى بل تنزل كل واحدة في الطريق الذي رسم لها لاتصل عنه فلا يتقدم للتأخر ولا يتأخر للتقدم حتى يسبب الأرض قطرة قطرة فلو اجتمع الأولون والآخرون على أن يخلقوا ميا قطرة أو يعرفوا عددا ما ينزل منها في بلدة واحدة أو قرية واحدة لعجز حسابها لجن والانس عن ذلك فلا يعلم عددها إلا الذي أو جدها ثم كل قطرة منها عينت

الرازي : العمال أربعة  
ثائب وزاهد ومشتاق  
وواصل قائلنا  
محبوب يتوبته  
والزاهد محبوب زهده  
وللشاق محبوب  
بحاله والواصل لا يجبه  
عن الحق شيء . وقال  
أبو سعيد القرشي :  
الواصل الذي يصله الله  
فلا يخشى عليه القطع  
أبدا والتصل الذي  
يجهده يصل وكلا دنا  
القطر وكان هذا  
الذي ذكره حال  
الريد والراد لكون  
أحدهما مبادا  
بالكشف وكون  
الأخر مردودا إلى  
الاجتهاد . وقال  
أبو زيد : الواصلون  
في ثلاثة أحرف مهم

لكل جزء من الأرض ولكل حيوان فيها من طير ووحش وجميع الحشرات والدواب مكتوب على تلك القطرة بخط إلهي لا يدرك بالبصر الظاهر أنها رزق الدودة الغلابة التي في ناحية الجبل الغلاني تصل إليها عند عطشها في الوقت الغلاني هذا مع ما في انعقاد البرد الصلب من الماء اللطيف وفي تناثر الثلوج كالقطران للندوف من العجائب التي لا تحصى كل ذلك فضل من الجبار القادر وقهر من الخلاق القاهر مالا أحد من الخلق فيه شرك ولا مدخل بل ليس للقوة عين من خلقه إلا الاستكانة والخضوع تحت جلالة وعظمته ولا لعميان الجاحدين إلا الجهل بكيفيته ورجم الظنون بذكر سببه وعلمه فيقول الجاهل للغرور إنما ينزل الماء لأنه ثقيل بطبعه وإنما هذا سبب نزوله وبظن أن هذه معرفة انكشفت ويخرج بها ولو قيل له مادني الطبع وما الذي خلقه ومن الذي خلق الماء الذي طبعه الثقل وما الذي رقى الماء للسبب في أسافل الشجر إلى أعالي الأغصان وهو ثقيل بطبعه فكيف هوى إلى أسفل ثم ارتفع إلى فوق في داخل تجاويف الأشجار شيئاً فشيئاً بحيث لا يرى ولا يشاهد حتى ينتشر في جميع أطراف الأوراق فينبذ كل جزء من كل ورقة ويجرى إليها في تجاويف عروق شجرة صنار يروى منه العرق الذي هو أصل الورقة ثم ينتشر من ذلك العرق الكبير للمدود في طول الورقة عروق صنار فسكان الكبير نهروما انتشبت عنه جداول ثم ينتشبت من الجداول سوق أصغر منها ثم ينتشر منها خيوط عنكبوتية دقيقة تخرج عن إدراك البصر حتى تنبسط في جميع عرض الورقة فصل للماء في أجوافها إلى سائر أجزاء الورقة لينفذها وينعشها ويزينها وتبقى طراوتها وضارها وكذلك إلى سائر أجزاء الفواكه فإن كان للماء يتحرك بطبعه إلى أسفل فكيف تحرك إلى فوق فإن كان ذلك بمجذب جاذبها الذي سخر ذلك الجاذب وإن كان ينهى بالآخرته إلى خالق السموات والأرض وجبار الملك والملكوت فلم لا يحال عليه من أول الأمر فنهاية الجاهل بدابة العاقل [ومن آياته ملكوت السموات والأرض وما فيها من الكواكب] وهو الأمر كله ومن أدرك الكمال فانه عجايب السموات قد فداته الكمال تحقيقاً فالأرض والبخار والهواء وكل جسم سوى السموات بالإضافة إلى السموات قطرة في بحر وأصغر من أنظر كيف عظم الله أمر السموات والنجوم في كتابه فليمن سورة لا تؤتشدل على تخمينها في مواضع وكمن قسم في القرآن بها كقوله تعالى - والسماء ذات البروج - والسماء الطارق - والسماء ذات الحلبك - والسماء وما بناها - وكقوله تعالى - والشمس وضحاها والقمر إذا تلاها - وكقوله تعالى - فلا أقسم بالجنس الجوار الكائن - وقوله تعالى - والنجم إذا هوى - فلا أقسم بمواقع النجوم وإنه لقسمن لو تعلمون عظيم - قد علمت أن عجايب النطفة القنطرة عجز عن معرفتها الأولون والآخرين وما أقسم الله بها فما ظنك بما أقسم الله تعالى به وأحال الأرزاق عليه وأضافها إليه فقال تعالى - وفي السماء رزقكم وما توعدون - وأنى على التفكير فيه فقال - ويتفكرون في خلق السموات والأرض - وفي الرسول الله صلى الله عليه وسلم «ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبيله» أي تجاوزها من غير تفكير ومنه العرضين عنه فقال - وجعلنا السماء سقفا محفوظا ومن عن يمينها رزقكم - فأى نسبة لجميع البحار والأرض إلى السماء وهي متغيرات على القرب والسموات صلاب شدة محفوظات عن التغير إلى أن يبالغ الكتاب أجله وقد الله سبحانه الله تعالى محفوظا فقال - وجعلنا السماء سقفا محفوظا - وقال سبحانه - وبينا فوقكم سبعا سموات - وقال - أنتم أشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها - فانظر إلى الملكوت ترى عجايب العز والجبروت ولا تظن أن معنى النظر إلى الملكوت بأن تعد البصر إليه فتزى زرة السماء وضوء الكواكب وتفرقها فإن البهائم

(١) حديث «ويل لمن قرأ هذه الآية ثم مسح بها سبيله أي قوله تعالى - ويتفكرون في خلق السموات والأرض - تفهم .

تشاركك في هذا النظر فإن كان هذا هو المراد فلم مدح الله تعالى إبراهيم بقوله - وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض - لا بل كل ما يدرك بحاسة البصر فالقرآن يبرعه الملك والشهادة وما يقاب عن الأبصار فيبر عنه الغيب والملكوت والله تعالى عالم الغيب ولا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى من رسول فأجل أيها العاقل فكرك في الملكوت فمضى يفتح لك أبواب السماء فتجول بقلبك في أقطارها إلى أن يقوم قلبك بين يدي عرش الرحمن فتدرك ما يبرج لك أن تبلغ رتبة عمر بن الخطاطب رضى الله عنه حيث قال : رأى قلبي ربى . وهذا لأن بلوغ الأنسى لا يكون إلا بعد مجاوزة الأدنى وأدنى شيء إليك نفسك ثم الأرض التي هي مترك ثم الهواء الكائنات ثم النبات والحيوان وما على وجه الأرض ثم محائب الجو وهو ما بين السماء والأرض ثم السموات السبع يكوا كها ثم الكرسي ثم العرش ثم اللاسكة الذين هم حملة العرش وخزان السموات ثم منه تجاوز إلى النظر إلى رب العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما وبين هذه القارور العظيمة وللأساطير الشاسعة والعقبات الشاهقة وأنت بعد لم تنفزع من العتبة القريبة النازلة وهي معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق اللسان بوقاحتك وتدعى معرفتك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه فقيا ذا أنفكر وإلى ماذا أنطلق فارفع الآن رأسك إلى السماء وانظر فيها وفي كواكبها وفي دوراتها وطلوعها وغروبها ومحسها وقرها واختلاف مشارقها ومغاربها ودورها في الحركة على الدوام من غير خور في حركتها ومن غير تغير في سيرها بل تجري جميعا في منازل مرتبة بحساب مقدر لا يزيد ولا ينقص إلى أن يطوبها الله تعالى على السجدة للكتاب وتدبر عدد كواكبها وكثرتها واختلاف ألوانها فبعضها يميل إلى الحمرة وبعضها إلى البياض وبعضها إلى اللون الرصاصي ثم انظر كيفية أشكالها فبعضها على صورة القمر وبعضها على صورة الحمل والثور والأسد والإنسان وامان صورة في الأرض إلا وهما مثال في السماء ثم انظر إلى مسير الشمس في فلكها في مدة قسمة ثم هي تطلع في كل يوم وتغرب بسير آخر سخرها له خالقها ولولا طلوعها وغروبها لما اختلف الليل والنهار ولم تعرف الواقيت ولأطبق الظلام على الدوام أو الضياء على الدوام فكان لا يتميز وقت للماش عن وقت للاستراحة فانظر كيف جعل الله تعالى الليل ليأسا والنوم سباتا والنهار معاشا وانظر إلى إبلاجه الليل في النهار والليل في الليل وإدخاله الزيادة والنقصان عليهما على ترتيب مخصوص وانظر إلى إماتة مسير الشمس عن وسط السماء حتى اختلف بسببه الصيف والشتاء والربيع والخريف فإذا انخفضت الشمس من وسط السماء في مسيرها برد الهواء وظهر الشتاء وإذا استوت في وسط السماء اشتد القيظ وإذا كانت قيا بينهما اعتدل الزمان ومحائب السموات لا مطمع في إحصاء عشر عشر جزء من أجزائها وإنما هذا تنبيه على طريق الفكر واعتقد على طريق الجملة أنه مامن كوكب من الكواكب إلا والله تعالى حكم كثيرة في خلقه ثم في مقداره ثم في شكله ثم في لونه ثم في وضعه من السماء وقربه من وسط السماء وبعد وقربه من الكواكب التي يحبه وبعد وقس على ذلك ما ذكرناه من أعضاء بدنك إذ مامن جزء إلا وفيه حكمة بل حكم كثيرة وأمر السماء أعظم بل لانسبة لعالم الأرض إلى عالم السماء لافي كبر جسم ولا في كثرة معانيه وقس التفاوت الذي بينهما في كثرة المعاني بما بينهما من التفاوت في كبر الأرض فأنت تعرف من كبر الأرض واتساع أطرافها أنه لا يقدر آدمي أن يدركه أو يسور بحواضنها وقد اتفق الناظرون على أن الشمس مثل الأرض مائة وثلاثون مرة وفي الأخبار ما يدل على عظمتها <sup>(١)</sup> ثم الكواكب

(١) الحديث الدال على عظم الشمس أحمد من حديث عبد الله بن عمر رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشمس حين غربت فقال « في نار الله الحامية لولا ما زعها من أمر الله لأهلك

وصل إلى صفو البقين بطريق الدوق والوجدان فهو من رتبة الوصول ثم يتفاوتون فمنهم من يجد الله بطريق الأمثال وهو رتبة في التجل فيبقى فله فضل غيره لوقوفه مع فعل الله ويخرج في هذه الحالة من التدبير والاختيار وهذه رتبة في الوصول ومنهم من يوقف في مقام الهية والأنس بما يكشف قلبه به من مطالعة الجمال والجلال وهذا نجلى طريق الصفات وهو رتبة في الوصول ومنهم من ترى لقام القناء مشتملا على باطنه أنوار البقين والشاهدة منيا في

التي تراها أصفرها مثل الأرض ثمانى مرات وأكبرها يتسهي إلى قريب من مائة وعشرين مرة مثل الأرض وهذا تعرف ارتفاعها وبسببها إذا بعد صارت ترى صناراً ولذلك أشار الله تعالى إلى بسببها فقال - رفع صحتها فساواها - وفي الأخبار أن ما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام<sup>(١)</sup> فإذا كان مقدار كوكب واحد مثل الأرض أضغاث مضاعفات إلى كثرة الكواكب ثم انظر إلى السماء التي الكواكب مركوزة فيها وإلى عظمتها ثم انظر إلى سرعة حركتها وأنت لا تعلم بحركتها فضلاً عن أن تدرك سرعتها لكن لا تشك أنها في لحظة تسير مقدار عرض كوكب لأن الزمان من طلوع أول جزء من كوكب إلى تمامه يسير وذلك الكوكب هو مثل الأرض مائة مرة وزيادة قد دار الفلك في هذه اللحظة مثل الأرض مائة مرة وهكذا يدور على الدوام وأنت غافل عنه وانظر كيف عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته إذ قال له النبي صلى الله عليه وسلم - هل زالت الشمس قال لا نعم فقال كيف تقول لانهم فقال من حين قلت لا إلى أن قلت ثم سارت الشمس خمسمائة عام<sup>(٢)</sup> فانظر إلى عظم شخصها ثم إلى خفة حركتها ثم انظر إلى قدرة العاطر الحكيم كيف أثبت صورته مع اتساع أكنافها في حذقة العين مع صفرها حتى تجلس على الأرض وتنتش عينيك نحوها فتري جميعها هذه السماء بظلمتها وكثرة كواكبها لا تنظر إليها بل انظر إلى بارئها كيف خلقها ثم أمسكها من غير حمد ترونها ومن غير علاقة من فوقها وكل عالم كبيت واحد والسماء سقفه فالعجب منك أنك تدخل بيت غنى فتراه مزوقاً بالصبح نحوها بالنهب فلا ينقطع تمجيدك منه ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمره وأنت أبداً تنظر إلى هذا البيت العظيم وإلى أرضه وإلى سقفه وإلى هوائه وإلى عجائب أمتته وغرائب حيواناته وبدائع قنوسه ثم لا تحدث فيه ولا تلتفت بقلبك إليه لما هذا البيت دون ذلك البيت الذي نصفه بل ذلك البيت هو أيضاً جزء من الأرض التي هي أخس أجزاء هذا البيت ومع هذا لا تنظر إليه ليس له سبب إلا أنه بيت ربك هو الذي افرد بيناته وترتيبه وأنت قد نسبت نفسك وربك وبيت ربك واشغلت بطنك وفركك ليس لك ثم إلا شهوتك أو حشمتك وغاية شهوتك أن تعلق بطنك ولا تخدع على أن تأكل عشر مائاً كله هيمة فتكون البهية فوقك بشتر درجات وغاية حشمتك أن تقبل عليك عشرة أو مائة من معارفك فيناضون بالسهم بين يديك ويضمرون خبايا الاعتقادات عليك وإن صدقوك في مودتهم إليك فلا يملكون لك ولا لأنفسهم نعماً ولا ضرراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً وقد يكون في بطنك من أغنياء اليهود والنصارى من يزيد جاهه على جاهك وقد اشغلت بهذا التورود وغفلت عن النظر في جمال ملكوت السموات والأرض ثم غفلت عن التمتع بالنظر إلى جلال مالك الملك وما مثلك ومثل عقلك إلا كمثل النملة تخرج من جحرها الذي خربت في قصر مشيد من تصور الملك رفيع البنيان حصين الأركان مزين بالجواري والفلان وأنواع الله خائر ما على الأرض والطريراني في الكبير من حديث أبي أمامة وكل بالشمس تسعة أملاك يرمونها بالليل كل يوم لولا ذلك ما أنت على شيء إلا أحرقت<sup>(٣)</sup> حديث بين كل سماء إلى سماء خمسمائة عام الترمذي من رواية الحسن عن أبي هريرة وقال غريب قال وروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلى ابن زيد قالوا ولم يسمع الحسن من أبي هريرة ورواه أبو الشيخ في العظمة من رواية أبي هريرة عن أبي ذر ورجاله ثقات إلا أنه لا يعرف لأبي هريرة جماع من أبي ذر<sup>(٤)</sup> حديث أنه قال لجبريل هل زالت الشمس فقال لانهم فقال كيف تحول لانهم فقال من حين قلت لا إلى أن قلت ثم سارت الشمس مسيرة خمسمائة عام لم أجد له أصلاً .

شهوده عن وجوده وهذا ضرب من تجلي الباطن لخواص القرين وهذا القام رتبة في الوصول وفوق هذا حق اليقين ويكون من ذلك في الدنيا لخواص لمع وهو سريان نور الشاهدة في كلية البعد حتى يعطى به روحه وقلبه ونفسه حتى قابله وهذا من أعلى رتب الوصول فإذا تحققت الحقائق يعلم البعد مع هذه الأحوال الشريفة أنه بعد في أول النزل فأين الوصول ههنا منازل طريق الوصول لا تقطع أبداً الأباد في عصر الآخرة الأبدى فكيف في العمر القصير الدنيوى ومنها

والنفاث فإما إذا خرجت من جحرها ولقيت صاحبها لم تحدث لو قدرت على النطق لإعنيها  
وغذائها وكيفية ادخارها فأما حال القصر ولللك الذي في القصر فهي بمنزل عنه وعن التفكير فيه  
بل لا قدرة لها على المجاوزة بالنظر عن نفسها وغذائها وبينها إلى غيره وكما غفلت الخلة عن القصر  
وعن أرضه وسفحه وحيطانه وسائر بنيانه وغفلت أيضا عن سكانه فأنت أيضا غافل عن بيت الله  
تعالى وعن ملائكته الذين هم سكان سمواته فلا تعرف من السماء إلا ما تعرفه الخلة من سقف بيتك  
ولا تعرف من ملائكة السموات إلا ما تعرفه الخلة منك ومن سكان بيتك ، نعم ليس للسملة طريق إلى  
أن تعرفك وتعرف محائب قصرك وبدائع صنعة الصانع فيه وأما أنت فلك قدرة على أن تجول في  
اللكوت وتعرف من محائبه ما الخلق غافلون عنه ولتقبض عنان الكلام عن هذا الخط فانه مجال  
لا آخر له ولو استقصينا أعمارا طويلة لم نقدر على شرح ما تفضل الله تعالى علينا بعرفته وكل ما عرفناه  
قليل نزر حقير بالاضافة إلى ما عرفه جملة العلماء والأولياء وما عرفوه قليل نزر حقير بالاضافة إلى ما عرفه  
الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وجملة ما عرفوه قليل بالاضافة إلى ما عرفه محمد نبي الله صلى الله عليه وسلم  
وما عرفه الأنبياء كلهم قليل بالاضافة إلى ما عرفه للملائكة القربون كإسرافيل وجبريل وغيرهم  
جميع علوم الملائكة والجن والانس إذا أضيف إلى علم الله سبحانه وتعالى لم يستحق أن يسمى  
علما بل هو إلى أن يسمى دهنًا وحيرة وقصورا وعجزا أقرب فسيحان من عرف عباده ما عرف  
ثم خاطب جميعهم فقال - وما أو تيتيم من العلم إلا قليلا - فهذا بيان معاقب الجمل التي تجول فيها فسكر  
التفكيرين في خلق الله تعالى وليس فيها فسكر في ذات الله تعالى ولكن يستفاد من الفسكر في  
الحلق للاحالة معرفة الخالق وعظمته وجلاله وقدرته وكما استكثرت من معرفة بحبيب صنع الله تعالى  
كانت معرفتك بخلاله وعظمته أتم ، وهذا كما أنك تعظم علما بسبب معرفتك بسله فلا تزال تطلع  
على غريبة غريبة من تصنيفه أو شره فترداد به معرفة وترداد بحسنة له توقيرا وتعظيما واحتراما  
حتى إن كل كلمة من كلماته وكل بيت عجب من آيات شره يزيدك علما من قلبك يستدعي التعظيم  
له في نفسك فمكثدا تأمل في خلق الله تعالى وتصنيفه وتأليفه وكل ما في الوجود من خلق الله وتصنيفه  
والنظر والفكر فيه لا ينأى أبدا وإنما لكل عبد منهما بقدر ما رزق ، فلنقتصر على ما ذكرناه  
ولنصف إلى هذا ما فصلناه في كتاب الشكر فانا نظرننا في ذلك الكتاب في فضل الله تعالى من حيث  
هو إحسان إلينا وإنعام علينا ، وفي هذا الكتاب نظرننا فيه من حيث إنه فضل الله فقط وكل ما نظرننا  
فيه فان الطبيعي ينظر فيه ويكون نظره سبب ضلاله وشقاوته وللوقوف بنظر فيه فيكون سبب هدايته  
وسعادته وما من ذرة في السماء والأرض إلا والله سبحانه وتعالى يضل بها من يشاء ويهدي بها  
من يشاء ، فمن نظر في هذه الأمور من حيث إنها فضل الله تعالى وصنعه استفاد منه المعرفة بجلال  
الله تعالى وعظمته واهتدى به ومن نظر فيها أقصرا للنظر عليها من حيث تأثير بعضها في بعض  
لامن حيث ارتباطها بسبب الأسباب فقد شقي وارتنى فتعود بالله من الضلال ، ونسأله أن ينجبنا  
مزلة أقدم الجهال بينه وكرمه وفضله وجوده ورحمته .

(تم الكتاب التاسع من ربيع النجيات والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله وسلامه )  
يتوله كتاب ذكر الموت وما بعده وبه كل جريح الديوان بحمد الله تعالى وكرمه .

القبض والبسط وهما  
حالات شريفة قال الله  
تعالى - والله يقبض  
ويبسط - وقد تكلم  
بهما النبوخ وأشاروا  
إشارات هي علامات  
القبض والبسط ولم  
أجد كشافا عن  
حقيقتهما إلا أنها كنفوا  
بالإشارة والإشارة  
تخضع الأهل وأحببت  
أن أشبع الكلام فيهما  
له ينشوق إلى ذلك  
طالب ويعجب بسط  
القول فيه والله أعلم .  
واعلم أن القبض  
والبسط لهما موسم  
معلوم ووقت محتموم  
لا يكونان قبله ولا  
يكونان بعده ووقتهما  
وموسمهما في أوائل حال  
الحياة الخاصة لا في نهايتها

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

ولاقبل حال الحجة  
الخاصة فن هو  
في مقام الهبة المعلقة  
الثابتة بحكم الايمان  
لا يكون له قبض ولا  
بسط وإنما يكون له  
خوف ورجاء وقد بعد  
شبه حال القبض وشبه  
حال البسط ويظن  
ذلك قبضا وبسطا  
وليس هو ذلك وإنما  
هو مما يعتري قبضته  
قبضا واهترازا فثاني  
ونشاط طبيعي يظنه  
بسطا والهم والنشاط  
يصدران من محل  
النفس ومن جوهرها  
لبقاء صفاتها ومادامت  
صفة الأمانة فيها بقية  
على النفس يكون منها  
لاهتراز والنشاط والهم  
وهو ساجور النفس

لا هتزاز والنشاط والهم  
وهج ساجور النفس

الباب الأول في فضل ذكر اللوت والترغيب فيه . الباب الثاني في ذكر طول الأمل وقصره . الباب الثالث في سكرات اللوت وشدة ما يستحب من الأحوال عند الموت . الباب الرابع في وفاته رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده . الباب الخامس في كلام المتضررين من الخلفاء والأمراء والصلحاء . الباب السادس في أقوال العارفين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور . الباب السابع في حقيقة اللوت وما يلقاه اليت في القبر إلى فتحة الصور . الباب الثامن فيها عرف من أحوال اللوت بالمكاشفة في المنام .

(١) حديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت تقدم غير مرة .

## (الباب الأول في ذكر الموت والترغيب في الإكثار من ذكره)

اعلم أن للممك في الدنيا للسكب على غرورها الحب كشواتها بفعل قلبه لاهمالة عن ذكر الموت فلا يذكره. وإذا ذكر به كرهه ونفر منه أو لك هم الدين قال الله فيهم - قل إن للموت القى تفرقون منه فإنه ملائكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون - ثم الناس إمامتهم وإماتات مبتدئ. وأعارف منته أئامتهم فلا يذكر الموت وإن ذكره فيذكره فأنسف على دنياه وبشتغل بخدمته وهذا يزيد ذكر الموت من الله بعدا ، وأما النائب فإنه يكتر من ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والحشية فينبئ التوبة وربما يكره الموت خيفة من أن يختطفه قبل تمام التوبة وقبل إصلاح الزاد وهو معذور في كراهة الموت ولا يدخل هذا تحت قوله صلى الله عليه وسلم «من كره لقاء الله كره لقاء الله» (١) فإن هذا ليس بكره الموت ولقاء الله وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشغلا بالاستعداد للقاءه على وجه رضاء فلا يدركه لقاءه ، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له لاشغل له سواء والإلتفات بالممك في الدنيا وأما العارف فإنه يذكر الموت دائما لأنه موعده للقاءه الحبيب والمحبة لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب وهذا في غالب الأمر يستطيق بحسب الموت ويجب محبته ليتخلص من دار العاصين وينتقل إلى جوار رب العالمين كما روى عن حذيفة أنه لما حضرته الوفاة قال حبيب جاء على فاقة لأفزع . نندم اللهم إن كنت تعلم أن القمر أحب إلى من النقي والشمس أحب إلى من الصحة والموت أحب إلى من العيش فهل على الموت حتى ألتقاك ، فأذن النائب معذوري كراهة الموت وهذا معذور في حب الموت ومحبة ما على منها رغبة من فوض أمره إلى الله تعالى فصار لإخثار نفسه موتا ولا حياة بل يكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا وهو القابض المنتهى ، وعلى كل حال ففي ذكر الموت ثواب وفضل فإن الممك أيضا يستفيد بذكر الموت التجافي عن الدنيا إذ ينقص عليه نعيمه ويكدر عليه صفوته وكل ما يكره على الإنسان الذات والشهوات فهو من أسباب النجاة .

## (بيان فضل ذكر الموت كيفما كان)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكثرنا من ذكر هادم اللذات» (٢) معناه تفصوا بذكره اللذات حتى يتقطع ركوسكم إليها فتقبلوا على الله تعالى . وقال صلى الله عليه وسلم «لوتعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها ميمنا» (٣) وقالت عائشة رضي الله عنها «يارسول الله هل يحشر مع الشهداء أحد ؟ قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة» (٤) وأما سبب هذه الفضيلة كما أن ذكر الموت يوجب التجافي عن دار القصور ويتقاضى الاستعداد للأخرة والفتنة عن الموت تدعو إلى الانهماك في شهوات الدنيا ، وقال صلى الله عليه وسلم «تحفة المؤمن الموت» (٥) وأما قال هذا

## (الباب الأول في ذكر الموت والترغيب فيه)

(١) حديث من كره لقاء الله كره لقاء الله كره الله لقاءه متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث أكثرنا من ذكر هادم اللذات الترمذي وقال حسن والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وقد تقدم (٣) حديث لوتعلم البهائم من الموت ما يعلم ابن آدم ما أكلتم منها ميمنا البيهقي في الشعب من حديث أم حبيبة الجنيبة وقد تقدم (٤) حديث قالت عائشة هل يحشر مع الشهداء أحد قال نعم من ذكر الموت في اليوم والليلة عشرين مرة تقدم (٥) حديث تحفة المؤمن الموت ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني والحاكم من حديث عبد الله بن عمر مرسلا بسند حسن .

والنشاط ارتضاع موج النفس عند تلاطم بحر الطبع فإذا ارتقى من حال المحبة العامة إلى أوائل المحبة الخاصة يصير ذأحال وذأقلب وذأ نفس لوامسة ويتشأوب القبيض والبسط فيه عند ذلك لأنه ارتقى من رتبة الإيمان إلى رتبة الأيمان وحال المحبة الخاصة فيقبضه الحق قارة ويبسطه أخرى قال الواسطي فيفيض عمالك ويبسطك فيها له وقال النوري فيفيض بآيك ويبسطك لإياه واعلم أن وجود القبيض لظهور صفة النفس وغلبها وظهور البسط لظهور صفة القلب وغالبها

لأن الدنيا سجن المؤمن إذ لا يزال فيها في عناء من مقاساة نفسه ورعاية شهوته ومداومة شيطانه فالموت إطلاق له من هذا العذاب والإطلاق نعمة في حقه وقال صلى الله عليه وسلم «الموت كفارة لكل مسلم» (١) وأراد بهذا السلم حقا المؤمن صدقا الذي يسلم المسلمون من لسانه ويده ويتحقق فيه أخلاق المؤمنين ولم يتدنس من المعاصي إلا بالهمم والصغار فالموت يطهره منها ويكفرها بعد اجتنبه الكبائر وإقامته الفرائض . قال عطاء الخراساني «مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلى فيه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت» (٢) وقال أنس رضي الله تعالى عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أكثر ما من ذكر الموت فانه يحصن الذنوب ويزهده في الدنيا» (٣) «وقال صلى الله عليه وسلم «كفى بالموت مفرقا» (٤) «وقال عليه السلام» كفى بالموت واعظا» (٥) . «وخرج رسول الله ﷺ إلى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون ، فقال : اذكروا الموت أما والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» (٦) . «وذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فأحسنا التناء عليه ، فقال : كيف ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هناك» (٧) «وقال ابن عمر رضي الله عنهما «أثبت النبي صلى الله عليه وسلم عشرة عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله فقال : أكرمهم ذكر الموت وأضعفهم استدعا له أولئك هم الأكياس ذهبوا بشرف الدنيا وكرامة الآخرة» (٨) وأما الآثار : فقد قال الحسن رحمه الله تعالى فضع الموت الدنيا فلم يترك لدى لب فرح . وقال الربيع ابن خيثم ما قائب ينتظره المؤمن خيرا له من الموت وكان يقول لا تشعروا بي أحدوا سألوني إلى رب سلا وكتب بعض الحكماء إلى رجل من إخوانه : يا أخى احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تبقى فيها الموت فلا تحمد . وكان ابن سيرين إذا ذكر عنده الموت مات كل عضو منه وكان عمر بن عبد العزيز يجمع كل ليلة الفقهاء فيتنفذون الموت والقيامة والآخرة ثم يكون حتى كأن بين أيديهم جنازة . وقال إبراهيم التيمي شيئا قطعا عن لثة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدي الله عز وجل . وقال كعب

(١) حديث الموت كفارة لكل مسلم أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب والخطيب في التاريخ عن حديث أنس قال ابن العربي في سراج المريدين إنه حسن صحيح وضعفه ابن الجوزي وقد جمعت طرقه في جزء (٢) حديث عطاء الخراساني مر النبي صلى الله عليه وسلم بمجلس قد استعلاء الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر مكدر اللذات الحديث ابن أبي الدنيا في الموت هكذا مر سلا وروئيه في أمالي الحلال من حديث أنس ولا يصح (٣) حديث أنس أكثر ما من ذكر الموت فانه يحصن الذنوب ويزهده في الدنيا ابن أبي الدنيا في الموت بإسناد ضعيف جدا (٤) حديث كفى بالموت مفرقا الحديث ابن أبي أسامة في مسنده من حديث أنس وعراك بن مالك بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في البر الوصلة من رواية أبي عبد الرحمن الجلي مر سلا (٥) حديث كفى بالموت واعظا الطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عمار بن ياسر بسند ضعيف وهو مشهور من قول الفضيل بن عياض ورواه البيهقي في الزهد (٦) حديث خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المسجد فاذا قوم يتحدثون ويضحكون فقال اذكروا الموت الحديث ابن أبي الدنيا في الموت من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف (٧) حديث ذكر عند رسول الله ﷺ رجل فأحسنا التناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم للموت الحديث ابن أبي الدنيا في الموت من حديث أنس بسند ضعيف وابن المبارك في الزهد قال أنا مالك بن مغول فقد كره بلاغا بزيادة فيه (٨) حديث ابن عمر أثبت النبي صلى الله عليه وسلم عشرة عشرة فقال رجل من الأنصار من أكيس الناس الحديث ابن ماجه مختصرا وابن أبي الدنيا بكاه بإسناد جيد .

والنفس مادامت لوامه  
فتارة مغلوقة وتارة  
غالبية والتقبض والبسط  
باعتبار ذلك منها  
وصاحب القلب تحت  
حجاب نوراني لوجود  
قلبه كما أن صاحب  
النفس تحت حجاب  
ظلماني لوجود نفسه  
فاذا ارتقى من القلب  
وخرج من حجاب  
لا يقيد الحال ولا  
يتصرف فيه فيخرج  
من تصرف القيض  
والبسط حينئذ فلا  
يقبض ولا يبسط اداه  
متخلصا من الوجود  
النوراني الذي هو القلب  
وتتحققا بالقرب من  
غير حجاب النفس  
والقلب فاذا عاد إلى

من عرف الموت هانت عليه مصائب الدنيا ومهماتها . ودل مطرف رأيت فيأري النائم كأن قال يقول في وسط مسجد البصرة : قطع ذكر الموت قلوب الحاضرين فوالله ماترأى الأواهين . وقال أشعث كما ندخل على الحسن فأنما هو النار وأمر الآخرة وذكر الموت . وقالت صفيرضى الله تعالى عنها امرأة . اشتكت إلى عائشة رضي الله عنها فساوة قلبها فقالت أكررى ذكر الموت يرق قلبك فقلت فرق قلبها فجاءت تشكر عائشة رضي الله عنها . وكان عيسى عليه السلام إذا ذكر الموت عنده يقطر جلداه دما . وكان داود عليه السلام إذا ذكر الموت والقيامة يبكي حتى تنخلع أوصاله فاذا ذكر الراحم خرجت إليه نفسه . وقال الحسن . سأريت عاقلا قط إلا أصبته من الموت حذرا وعليه حزينا وقال عمر بن عبد العزيز لبعض العلماء عظمى فقال ألسنت أول خليفة توت قال زدى قال ليس من آياتك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك فبكي عمر لذلك . وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرا في داره فكان ينأى فيه كل يوم مرات يستدبر بذلك ذكر الموت وكان يقول لو فارقت ذكر الموت فاني ساعة واحدة أفسد . وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير إن هذا الموت قد نفس على أهل التهم نعيمهم فأطلبوا نعيمًا لأموت فيه . وقال عمر بن عبد العزيز لعنسة أكثر ذكر الموت فإن كنت واسع العيش ضيقه عليك وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك . وقال أبو سليمان الداراني قلت لأمر هرون : أحمين الموت ؟ قالت لا ، قلت لم ؟ قالت لو عصيت آدميا ما أشتيت لقاءه فكيف أحب لقاءه وقد عصيته ( بيان الطريق في تحقيق ذكر الموت في القلب )

اعلم أن الموت هائل وخطره عظيم وغفلة الناس عنه ثقلة ففكرهم فيه وذكر كره له ومن يذكره ليس يذكره قلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينبجج ذكر الموت في قلبه الطريق فيه أن يفرغ القلب من كل شيء إلا عن ذكر الموت الذي هو بين يديه كالذي يردد أن يسافر إلى مفازة عظيمة أو يركب البحر فإنه لا يتفكر إلا فيه فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا ويتكسر قلبه وأنجع طريق فيه أن يكثر ذكر أشكاله وأقرانه الذين مضوا قبله فيترك موتهم ومصارعهم تحت التراب وينتدكر صورهم في مناصبهم وأحوالهم ويتأمل كيف محال التراب الآن حسن صورهم وكيف تبددت أجزاؤهم في قبورهم وكيف أرموا لنساءهم وأيتامهم وأولادهم وضيعوا أموالهم وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم وانقطعت آثارهم فلهما تذكر رجل رجلا أو فاضل في قلبه حاله وكيفية موته ونوم صورته وتذكر نشاطه وتردده وتأمله للعيش والبقاء ونسيانه الموت وانغداه بعواناة الأسباب وبركونه إلى القوة والشباب وبيله إلى الضحك والبهو وغفلة عما بين يديه من الموت التدريع والهلاك السريع وأنه كيف كان يتردد والآن قد تهدمت رجلا ومفاصله وأنه كيف كان ينطق وقد أكل الدود لسانه وكيف كان يضحك وقد أكل التراب أسنانه وكيف كان يدبر لنفسه ما لا يحتاج إليه إلى عشر سنين في وقت لم يكن بينه وبين الموت إلا شهر وهو غافل عما يراد به حتى جاء الموت في وقت لم يحسبه فأنكشف له صورة تلك وقبح صممه النداء إما بالجنة أو بالنار ضد ذلك ينظر في نفسه أنه مثلهم وغفلته كغفلتهم وستكون عاقبته كعاقبتهم . وقال أبو الدرداء رضي الله عنه : إذا ذكرت الموت فقد تفكك كأحدهم . وقال ابن مسعود رضي الله عنه السعيد من وعظ بشيرة . وقال عمر بن عبد العزيز ألا ترون أنكم تجهزون كل يوم بغدا وأورثا إلى الله عز وجل فتضعونه في صمد من الأرض قد توسد التراب وخلف الأحباب وقطع الأسباب فلا تلم هذه الأفكار وأمنالها مع دخول المقابر ومشاهدة المرضى هو الذي يبعد ذكر الموت في القلب حتى غلب عليه بحيث يصير نصب عينيه فتد ذلك بوشك أن يستعد له ويتجافى عن دار الغرور وإلا قال ذكر بظاهر القلب وعذبة اللسان

الوجود من الفناء والبقاء يسود إلى الوجود والنوراني الذي هو القلب فيعود القبض والبسط إليه عند ذلك ومهما غلب على الفناء والبقاء فلا قبض ولا بسط قال فارس أول القبض ثم البسط ثم لا قبض ولا بسط لأن القبض والبسط يقع في الوجود فأما مع الفناء والبقاء فلا ثم إن القبض قد يكون عقوبة الأفرط في البسط وذلك أن الوارد من الله تعالى برد على القلب فيمتلئ القلب منه روحا وفرحا واستبشارا فتشرق النفس السمع عند ذلك وتأخذ نصيبها فإذا وصل أثر الوارد

قيل الجدي في التحذير والتنبه ومهما طالب قلبه شيء من الدنيا يبقَى أن يتذكر في الحال أنه لا بد له من مفارقتها ، نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه - نهائهم بكى وقالوا للثلاث لكت بك مسرورا ولولا ناصر إليه من سبق القبور اهتدت الدنيا أعيننا ثم بكى بكاء شديدا حتى ارتفع صوته .

( الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طولوه وكيفية معالجته )

(فضيلة قصر الأمل)

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر «إذا أصبحت فلا تذكر نفسك بالمساء وإذا أميت فلا تذكر نفسك بالصباح وخذ من جانبك الموتى ومن صحتك استمتعك فانك بأبعد الله لاندري ما صحتك غدا»<sup>(١)</sup> وروى على كرم الله وجهه أنه صلى الله عليه وسلم قال «إن أشد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فإنه يصد عن الحق وأما طول الأمل فإنه الحب للدنيا ثم قال : ألا إن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ويمنع وإذا أحب عبدا أعطاه الإيمان ألا إن للدين أبناء والدنيا أبناء فكونوا من أبناء الدين ولا تكونوا من أبناء الدنيا ألا إن الدنيا قد ارتحلت مولية إلا أن الآخرة قد ارتحلت مقبلة ألا وإنكم في يوم عمل ليس فيه حساب ألا وإنكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل»<sup>(٢)</sup> وقالت أم النضر «اطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية إلى الناس فقال : أيها الناس أمانتحيون من الله قالوا وما ذاك يا رسول الله ؟ قال تجمعون ما لانا كاؤون وتأملون ما لاتدركون وتبتنون ما لاتسكنون»<sup>(٣)</sup> وقال أبو سعيد الخدري «اشترى أسامة بن زيد من زيد بن ثابت وليدة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تنجيون من أسامة الشترى إلى شهر إن أسامة لعلويل الأمل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناى بالإظننت أن شفرى لا يلتقيان حتى يقبض الله روحى ولا رفعت طرفى فظننت أنى واضعه حتى أقبض ولا لقيمت لقمة بالإظننت أنى لا يسيغها حتى أغص بها من الموت ثم قال يا بنى آدم إن كنتم تمقلون فسدوا أنفسكم من اللغو والذي نفسي بيده - إن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين»<sup>(٤)</sup> وعن ابن عباس رضي الله عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج بهريق الماء فيتمسح بالتراب فأقول له يا رسول الله إن الماء منك قريب فيقول ما يدري لعلى لأبأنه»<sup>(٥)</sup> وروى «أنه صلى الله عليه وسلم أخذ ثلاثة أعواد ففرز عودا

(الباب الثاني في طول الأمل)

(١) حديث قال لعبد الله بن عمر إذا أصبحت فلا تعذب نفسك بالمساء الحديث ابن حبان ورواه البخاري من قول ابن عمر في آخر حديث كفي في الدنيا كأنك غريب (٢) حديث علي بن أحمد ما أخاف عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الأمل الحديث بطوله ابن أبي الدنيا في كتاب قصر الأمل ورواه أيضاً من حديث جابر بن جهم وكلاهما ضيف (٣) حديث أم المنذر أيها الناس أمانتكم بيون من الله تعالى قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تعبدون ما لنا كأول الحديث ابن الدنيا ومن طريقه البیهقی في الشعب باسناد ضيف وقد تقدم (٤) حديث أبي سعيد اشترى ابن زيد من زيد بن ثابت وليلة بمائة دينار إلى شهر فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا تعبدون من أمانة الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والطبرانی في مسند الشاميين وأبو نعیم في الحلیة والبیهقی في الشعب باسناد ضيف (٥) حديث ابن عباس كان يخرج يهرق الماء فيسمع بالباب فأقول الماء منك قريب فيقول ما يدري لعل لا يبلسه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل والبرازر باسناد ضيف .

إلى النفس طنت بطيها  
وأفرطت في البسط  
حق تشاكل البسط  
نشاطا خضابا بالقبض  
عقوبة وكل القبض  
إذا قضى لا يكون إلا  
من حركة النفس  
وظهورها بصفها ولو  
تأديت النفس وعدلت  
ولم يجر بالطغيان تارة  
وبالصبيان أخرى  
ما وجد صاحب القلب  
القبض وما دام روحه  
وأمنه ورعاية  
الاعتدال التي يد  
باب القبض متلقى من  
قوله تعالى - لكبرا  
تأسوا على ما فاتكم  
ولا تفرحوا بما  
آتاكم - فوارد الفرح  
مادام موقوفا على  
الروح والقلب لا تكف

بين يديه والآخر إلى جنبه وأما الثالث فأبده فقال هل تدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا  
 الإنسان وهذا الأجل وذلك الأمل يتطاول ابن آدم ويختلجه الأجل دون الأمل <sup>(١)</sup> وقال عليه السلام  
 «مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية إن أخطأته الدنيا وقع في الحرم <sup>(٢)</sup>» قال ابن مسعود وهذا  
 لآله وهذه الختوف حوله شوارع إليه والحرم وراء الختوف والأمل وراء الحرم فهو يؤمل وهذه  
 الختوف شوارع إليه فأبها أمر به أخسده فإن أخطأته الختوف قتله الحرم وهو ينتظر الأمل قال  
 عبادة <sup>(٣)</sup> «خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا وخط خطوطا إلى جنب  
 الخط وخط خطا خارجا قال أندرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا الإنسان للخط الذي في الوسط  
 وهذا الأجل محيط به وهذه الأغراض للخطوط التي حوله تنهيه إن أخطأته هذا تنهيه هذا وذاك الأمل  
 يعني الخط الخارج <sup>(٤)</sup>» وقال أنس <sup>(٥)</sup> «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يهرم ابن آدم ويقيم معه اثنتان  
 الحرص والأمل <sup>(٦)</sup>» وفي رواية وتنبأ به اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر وقال رسول  
 الله <sup>(٧)</sup> «نجا أول هذه الأمة باليقين والزهدة وبهلك آخر هذه الأمة باليغل والأمل <sup>(٨)</sup>» وقيل بينا  
 عيسى عليه السلام جالس وشيخ يعمل بمسحاة يشير بها الأرض فقال عيسى اللهم انزع منه الأمل فوضع  
 الشيخ المسحاة واضطجع قلبت ساعة فقال عيسى اللهم اردد إليه الأمل فقام فجعل يعمل فسأله عيسى  
 عن ذلك فقال بينا أنا نأعمل إذ قالت لي نفسي إلى متى تعمل وأنت شيخ كبير فألقت المسحاة واضطجعت  
 ثم قالت لي نفسي والله لا بد لك من عيش ما بقيت فقامت إلى مسحاتي وقال الحسن قال رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم «كلكم يجب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصر وامن الأمل وثبتوا أجالكم  
 بين أبادكم واستحيوا من الله حق الحياء <sup>(٩)</sup>» «وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه : اللهم إني  
 أعوذ بك من دنيا تمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع  
 خير العمل <sup>(١٠)</sup>» الآثار : قال مطرف بن عبد الله لوعلت من أجل الحشيت على دهاب عقي ولكن  
 الله تعالى من على عباده بالفتنة عن الموت ولولا الفتنة ماتوها بعيش ولانامت بينهم الأسواق وقال  
 الحسن السهو والأمل نعمتان عظيمتان على بني آدم ولولا هاتامتي المسنون في الطرق وقال الثوري  
 بلغني أن الإنسان خلق أحق ولولا ذلك لم يهزم العيش . وقال أبو سعيد بن عبد الرحمن إنما

(١) حديث أنه أخذ ثلاثة أعواد فقرر عودا بين يديه الحديث أحمد وابن أبي الدنيا في قصر الأمل  
 واللفظ له الزاهر مزي في الأمثال من رواية أبي المنوكل الناجي عن أبي سعيد الحدرى وإسناده  
 حسن ورواه ابن المبارك في الزهد وابن أبي الدنيا أيضا من رواية أبي المنوكل مرسلا (٢) حديث  
 مثل ابن آدم وإلى جنبه تسع وتسعون منية الحديث الترمذى من حديث عبد الله بن النخعي وقال  
 حسن (٣) حديث ابن مسعود خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطا مربعا وخط وسطه خطا  
 الحديث رواه البخارى (٤) حديث أنس يهرم ابن آدم ويقيم معه اثنتان الحرص والأمل وفي رواية  
 ويشب مع اثنتان الحرص على المال والحرص على العمر ورواه مسلم بلفظ الثاني وابن أبي الدنيا في  
 قصر الأمل باللفظ الأول باسناد صحيح (٥) حديث نجا أول هذه الأمة باليقين والزهدة وبهلك آخر هذه  
 الأمة باليغل والأمل ابن أبي الدنيا فيه من رواية ابن لهيعة عن عمرو بن شبيب عن أبيه عن جده  
 (٦) حديث الحسن أكلكم يجب أن يدخل الجنة قالوا نعم يا رسول الله قال قصر وامن الأمل الحديث  
 ابن أبي الدنيا فيه هكذا من حديث الحسن مرسلا (٧) حديث كان رسول الله <sup>(٨)</sup> «ول في دعائه اللهم إني  
 أعوذ بك من أمل يمنع خير الآخرة وأعوذ بك من حياة تمنع خير الممات وأعوذ بك من أمل يمنع خير العمل  
 ابن أبي الدنيا فيه من رواية حوشب عن النبي صلى الله عليه وسلم وفي إسناده ضعف وجهه لا أدرى من حوشب

ولا يتوجب صاحبه  
 النفس سيما إذا لطف  
 بالفرح بالوارد بالايواء  
 إلى الله وإدراكه لم يتجنى  
 بالايواء إلى الله تعالى  
 تاملت النفس وأخذت  
 حظها من الفرح وهو  
 الفرح بما أتى المنوع  
 منه فمن ذلك القبح  
 في بعض الأحيان  
 وهذا من أطف  
 الذنوب الموجبة للقبض  
 وفي النفس من حركاتها  
 وصفاتها وثبات متعددة  
 موجبة للقبض ثم  
 الختوف والرجاء  
 لا يدمهما صاحب  
 القبض والبسط ولا  
 صاحب الأنس والهوية  
 لأنها من ضرورة  
 الإيمان فلا يتممان  
 وأما القبض والبسط

عمرت الدنيا بقله عقول أهلها . وقال سلمان الفارسي رضى الله عنه ثلاث أعجبني حتى أصحكني مؤمل الدنيا والوث يطالبه وغافل وليس بفعل عنه وصاحك مله فيه ولا يدرى أسأخط رب العالمين عليه أم راض وثلاث أحزنتني حتى أبكتني فراق الأحبة محمد وحزبه وهول المطلع والوقوف بين يدي الله . ولا أدرى إلى الجنة يؤمرني أو إلى النار . وقال بعضهم رأيت زلزلة بن أبي أوفى يدمع وتفي النام فقلت تفي الأعمال أبلغ عندكم قال التوكل وقصر الأمل . وقال الثوري الزهد في الدنيا قصر الأمل ليس بأكل القلظ ولا لبس البعامة وسأل الفضل بن فضالة ربه أن يرفع عنه الأمل فذهبت عنه شهوة الطعام والشراب ثم دعا ربه فرد عليه الأمل فرجع إلى الطعام والشراب . وقيل للحسن بأب سبدا لا تتسل قبضك فقال الأمر أهمل من ذلك . وقال الحسن الوث معقود بنو اميكم والدنيا تطوى من ورائكم وقال بعضهم أنا كرجل باد عنقه والسيوف عليه ينتظر متى تضرب عنقه . وقال داود الطائي لو أعلمت أن أعيش شهرا لأرأيتني قد أنبت عظامي وكيف أوئل ذلك وأرى الفجاج تفتى الخلائق في ساعات الليل والنهار . وحكي أنه جاء شقيق البخني إلى أسناده فقال له أبوه انتم الرماة وفي طرف كساته شيء مضرور فقال له أسناده إيش هذا معك فقال لوزات دفعها إلى أخ لي وقال أحب أن تنظر عابا فقال يا شقيق وأنت تحدث نفسك أنك تبقى إلى الليل لا تكفك أبدا قال فأعلق في وجهي الباب ودخل . وقال عمر ابن عبد العزيز في خطبه إن لكل سفر زادا لا محالة فزودوا أسفركم من الدنيا إلى الآخرة التقوى وكوّنوا كفن عابن ما أعد الله من ثوابه وغنا به تغربوا ولا يطول عليكم الأمد فقصو قلوبكم هتفادوا لعدوك فانه والله ما بسط أمل من لا يدرى لعله لا يصبح بعد مسائه ولا يمس بعد صباحه وربما كانت بين ذلك خطافات للنايا وكم رأيت ورأيت من كان بالدي مغترا وإعما فتر عين من وثق بالنجاة من عذاب الله تعالى وإعما يفرح من أمن أهوال القيامة فأما من لا يداوى كلها إلا أصابع جرح من ناحية أخرى فكيف يخرج أعود بالله من أن أترككم بما لا أنهى عنه نفس فخر صفق وتظهر عيني وتبدو مسكني في يوم يبدو فيه النقي والفقر والوازين فيه منصوبة لقد عيت بأمر لو عيت به النجوم لانكدت ولو عيت به الجبال لدابت ولو عيت به الأرض لتشققت أما تعلمون أنه ليس بين الجنة والنار منزلة وأنكم صائرون إلى إحداها وكتب رجل إلى أخ له أما بعد فإن الدنيا باح والأخرة قطة والتوسط بينهما الوث ونحن في أحناث أحلام والسلام وكتب آخر إلى أخ له إن الحزن على الدنيا طويل والوث من الانسان قريب والنفص في كل يوم منه نصيب وللبلاء في جمعه عيب فبادر قبل أن تنادي بالرحيل والسلام . وقال الحسن كان آدم عليه السلام قبل أن يخطئ أمه له خاف ظهروه وأجله بين عينيه فذا أصاب الحنينة حول جبل أمه بين عينيه وأجله خاف ظهروه . وقال عبد الله بن سبيط صمت أن يقول أيها القتر بطول صمته أما رأيت ميتا قط من غير سقم أيها القتر بطول الهلة أمارأت ما خوذنا طمن غير عمد إنك لو فكرت في طول عمرك لكسيت ما قد تقدم من لذاتك أبا الصحة فتترو أن بطول العافية ترحون أم الموت تأمنون أم على ملك الموت تجزئون إن ملك الموت إذا جاء لا ينعمه منك روق مالك ولا كثرة امتدادك أما علمت أن ساعة الموت ذات كرب وغصص وندامة على القتر طم ثم يقال رحم الله عبدا عمل لما بعد الموت رحم الله عبدا نظر لنفسه قبل نزول الموت ، وقال أبو بكر الصديق بينا سامان بن عبد الملك في المسجد الحرام إذ أتى بحجر منثور فطالب من يقرؤه فأتى بوهب من منبه فاذا فيه ابن آدم إنك لو رأيت قرب ما بقي من أجلك لزهدت في طول أملك ولرغبت في الزيادة من عملك ولتصرت من حرصك وحيلك وإعما بقاء غدا تملك لو قنزلت بك فدمك وأسلك أهلك وحشمتك وفارقك الوالد والقريب ورفضك الولد والنسب فلا أنت إلى دينك كعاد ولا في حسناتك زاندا فاعمل

فبئس دمان عند صاحب  
الإيمان لنقصان الحظ  
من القلب وعند صاحب  
القضاء والبقاء والقرب  
لتخلصه من القلب  
وقد يرد على الباطن  
قبض وبسط ولا  
يعرف سببها ولا  
يغنى سبب القبض  
والبسط إلا على قليل  
الحظ من العلم الذي  
لم يحكم علم الحال ولا  
علم المقام . ومن أحكم  
علم الحال والمقام لا يغنى  
عليه سبب القبض  
والبسط وربما يشتهيه  
عليه سبب القبض  
والبسط كما يشتهيه عليه  
الهم بالقبض والنشاط  
بالبسط وإعما علم  
ذلك لمن استقام قلبه  
ومن عدم القبض  
والبسط وارضى منها

ليوم القيامة قبل الحسرة والدعاة فيكي سليمان بكاء شديدا وقال بعضهم رأيت كتابا من محمد بن يوسف إلى عبد الرحمن بن يوسف سلام عليك فاني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو أما بعد فاني أحذرك متحوك من دار مهلكك إلى دار إقامتك وجزاء أعمالك فنصير في قرار باطن الأرض بعد ظاهرها فبأنك منكرو نسكك فيقعدانك وينثرانك فان يكن الله معك فلا بأس ولا وحشة ولا ناقه وإن يكن غير ذلك فأناذني الله وإياك من سوء مصرع وضيق مضجع ثم تبليتك صيحة الحشر وتفتح الصور وقيام الجبار لتصل قضاء الخلائق وخلاص الأرض من أهلها والسموات من سكانها فباحث الأسرار وأسمرت النار ووضعت للوازيين وجيء بالنبیین والشهداء وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين فكم من مفتضح ومستور وكم من هالك وناج وكم من معذب ومرحوم فيا ليت شعري ما حالى وحالك يومئذ في هذا ما هدم القذات وأسلم عن الشهوات وقصر عن الأمل وأيقظ النائمين وحذر الغافلين أعانتا الله وإياكم على هذا الخطر العظيم وأوقع الدنيا والآخرة من قلبي وقلبك سوقتهما من قلوب التلقين فاعلمنا نحن بموله والسلام . وخطب عمر بن عبد العزيز خمد الله وأثنى عليه وقال أيها الناس إنكم لم تخلقوا عبثا ولأن تركوا سدى وإن لكم معادا يجمعكم الله فيه للحكم والقسط فيها بينكم غاب وشقي غدا عيدا أخرجه الله من رحمة التي وسعت كل شيء وجته التي عرضها السموات والأرض وإنما يكون الأمان غدا لمن خاف واتقى وباع قليلا بكثير وفانيا يباق وشقوة بسعادة لا تزول أنكم في أصلاب المالكين وسيختلف بدمكم الباقون ألا ترون أنكم في كل يوم تسيرون غدا يورثكم الله عز وجل قد قضى نحبه واقطع أمه فتضمونه في بطن صدع من الأرض غير موسى ولا محمد قد خلغ الأسباب وفارق الأجواب وواجه الحساب وإبم الله إلى لأقول مقاتلي هذه ولا أعلم عند أحدكم من الذنوب أكثر مما أعلم من عسى ولكنك تأسى من الله عاذلة أمر فيها بطاعته وأنهى فيها عن مصيئته واستغفر الله ووضع كفه على وجهه وجعل يمينه حتى بات دموعه لحية وما عاد إلى مجلسه حتى مات وقال القمقام بن حكيم قد استمدت للموت سنة ثلاثين سنة فلو أناني ما أحببت تأخير شيء عن شيء وقال الثوري رأيت شيخا في مسجد الكوفة يقول أنا في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة أنتظر الموت أن ينزل بي ولو أناني ما أمرته بشيء ولا يهتبه عن شيء ولا لي على أحد شيء ولا لأحد عندي شيء وقال عبد الله بن ثعلبة تضحك ولعلك كفا نكد فخرجت من عند القصار ، وقال أبو محمد بن علي الزاهد خرجنا في جنازة بالكوفة وخرج فيها داود الطائي فانتبذ قمعة ناحية وهي تدفن بثث فقدمت قريبا منه فتكلم فقال : من خاف الوعد قصر عليه البعد ومن طال أمه ضعف عمله وكل ما هو آت قريب . واعلم يا أخي أن كل شيء يشغلك عن ربك فهو عليك مشيئوم واعلم أن أهل الدنيا جميعا من أهل القبور إنما يندمون على ما يخلفون ويبرحون بما يخدمون فما ندم عليه أهل القبور أهل الدنيا عليه يقتلون وفيه يتنافسون وعليه عند القضاة يختصمون . وروى أن معروفا الكرخي رحمه الله تعالى أقام الصلاة قال محمد بن أبي نوبة فقال لي تقدم فقلت إني إن صليت بكم هذه الصلاة لم أصل بكم غيرها فقال معروف وأنت تحدث نفسك أن تصلي صلاة أخرى نموذجها من طول الأمل فإنه يمنع من خير العمل وقال عمر بن عبد العزيز في خطبة إن الدنيا ليست بذار قرار كم دار كتب الله عليها الفناء وكتب على أهلها الظن عنها فتكم من عامر موقوف عما قليل يهرب وكم من مقيم منتبذ عما قليل يظعن فأحسنوا رحمكم الله منها الرحلة بأحسن ما حضرتمكم من الثقة ونزودوا فان خير الزاد التقوى إنما الدنيا كفيء ظلال فلنفس فذهب بينا ابن آدم في الدنيا ينافس وهو قدير العيل إذ دعاه الله بقدره ورماء يوم حفته فسلبه آثاره وديناه وصير لقدم آخر من مصانعه ومفناه إن الدنيا لا تسر بقدر ما تضرر إنما تسر قليلا وتهزن طويلا . وعن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه

ففسه مطمئنة  
لا تنفخ من جوهرها  
فان توجب القبض ولا  
يتلاطم بحر طبعها من  
أهوية الهوى حتى  
يظهر منه البسطور بما  
صار مثل هذا القبض  
والبسط في نفسه لا من  
نفسه فتكون نفسه  
الطامشة بطبع القلب  
فيجسرى القبض  
والبسط في نفسه  
الطامشة وما لقلبه قبض  
ولا بسط لأن القلب  
متحصن بشعاع نور  
الروح مستقر في دقة  
القرب فلا قبض ولا  
بسط ( ومنها الفناء  
والبقاء ) قد قيل  
الفناء أن يغنى عن  
الحفظ فلا يكون له  
في شيء حظ بل يغنى

أنه كان يقول في خطبته أين الوضاعة الحسنة وجوههم المعجبون بشبابهم أين الملوك الذين بنوا للدائن وحسنوها بالحيطان أين الذين كانوا يسطون القلبة في مواطن الحرب قد تضعضع بهم الدهر فأصبحوا في ظلمات القبور الوحا الوحاشم النجا النجا .

### ( بيان السبب في طول الأمل وعلاجه )

اعلم أن طول الأمل له سببان : أحدهما الجهل والآخر حب الدنيا أما حب الدنيا فهو أنه إذا أنس بها وشبهواتها ولذاتها وعلاقتها ثقل على قلبه مفارقتها فامتنع قلبه من الفكر في الموت الذي هو سبب مفارقتها وكل من كره شيئا دفعه عن نفسه والآنسان مشغوف بالأمانى الباطلة فيعني نفسه أبدا بما يوافق مراده وإنما يوافق مراده البقاء في الدنيا فلا يزال يتوهمه ويقدره في نفسه ويحذر توابع البقاء وما يحتاج إليه من مال وأهل ودار وأصدقاء ودواب وسائر أسباب الدنيا فيصير قلبه كغاف على هذا الفكر موقفا عليه فيلهو عن ذكر الموت فلا يقدر قربها فان خطر له في بعض الأحوال أمر الموت والحاجة إلى الاستعداد له سوف ووعده نفسه وقال الأيام بين يديك إلى أن تكبر ثم تتوب وإذا كبر فيقول إلى أن تصير شيخا فإذا صار شيخا قال إلى أن تفرغ من بناء هذه الدار وعمارة هذه الضيعة أو ترجع من هذه السفرة أو تفرغ من تدبير هذا العمل وجهازه وتدير مسكنه له أو تفرغ من قهر هذا العدو الذي يشمت بك فلا يزال يسوف ويؤخر ولا يخوض في شغل إلا ويتعاقب بتمام ذلك الشغل عشرة أشغال أخرى وهكذا على التدرج يؤخر يوما بعد يوم ويغشى به شغل إلى شغل بل إلى أشغال إلى أن تختطفه النية في وقت لا يحسبه فتطول عند ذلك حسرته وأكثر أهل النار وصباحهم من سوف يقولون واحزننا من سوف والسوف للسكين لا يدرى أن الذي يدعو إلى التسوف اليوم هو معه غدا أو عما زاد بتطول لادته قوة وروسخا ويظن أنه يتصور أن يكون لخصائص في الدنيا والحفاظ لها فراغ قطوه هيات فيا فرغ منها إلا من أطرحها :

### فانقضى أحد منها لباته وما انتهى أرب إلا إلى أرب

وأصل هذه الأمانى كلها حب الدنيا والأنس بها والفتنة عن معنى قوله عليه السلام « أحب من أحببت فانك مفارقة » (١) . وأما الجهل فهو أن الآنسان قد يعود على شيا به فيستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة ولا يفكر السكين أن مشايخ بلده لوعدا لكانوا أقل من عشر رجال البلد وإنما قالوا لأن الموت فجأة ولا أكثر فإلى أن يموت شيخ يموت ألف صبي وشاب وقد يستبعد الموت لصحته ويستبعد الموت فجأة ولا يدرى أن ذلك غير بعيد وإن كان ذلك بعيدا فالمرض فجأة غير بعيد وكل مرض فائما يقع فجأة وإذا مرض لم يكن الموت بعيدا ولو تفكر هذا القائل وعلم أن الموت ليس له وقت مخصوص من شباب وشيب وكهولة ومن سيف وشتاء وخريف وربيع من ليل ونهار اعظم استشاره واشتغل بالاستعداد له ولكن الجهل بهذه الأمور وحب الدنيا دعواه إلى طول الأمل وإلى الفتنة عن تقدير الموت القريب فهو أبدا يظن أن الموت يكون بين يديه ولا يقدر نزوله به ووقعه فيه وهو أبدا يظن أنه يشيع الجنائز ولا يقدر أن يشيع جنازته لأن هذا قد تنكر عليه وآله وهو مشاهدة موت غيره فأما موت نفسه فلم يألوه ولم يتصور أن يألوه فانه لم يقع وإذا وقع لم يقع دفعة أخرى بعد هذه فهو الأول وهو الآخر وسيله أن يقيس نفسه بغيره ويعلم أنه لابد وأن تحمل جنازته ويدفن في قبره ولعل اللبن الذي يغطي به لحده قد ضرب وفرغ منه وهو لا يدرى فتسوفه جهل محض ، وإذا عرفت أن سببه الجهل وحب الدنيا فعلاجه دفع سببه أما الجهل فيدفع بالانكسار الصافي من القلب الحاضر وبسبغ الحكمة (١) حديث أحب من أحببت فانك مفارقة الحديث تقدم غير مرة .

عن الأشياء كلها  
شغلا بمن في فيه  
وقد قال عامر بن  
عبد الله لأبالي  
امرأة رأيت أم حانظا  
ويكون محظوظا فيها  
فه عليه مصروفا  
عن جميع المخالفات  
والبقاء ببقته وهو  
أن يغنى عمله ويقى  
بعاله تعالى . وقبل  
الباقى أن نصير  
الأشياء كلها له شيئا  
واحدا فيكون كل  
حركته في موافقة  
الحق دون مخالفة  
فصكان فانيا عن  
المخالفات باقيا في  
المواقفات . وعندى  
أن هذا الذى ذكره  
هذا القائل هو

الباقية من القلوب الطاهرة وأما حب الدنيا فالعلاج في إخراجها من القلب شديد وهو البدء بالمصال الذي أنبأ الأولين والآخرين علاجه ولعلاج له إلا الإيمان، باليوم الآخر وبما فيه من عظيم العقاب وجزيل الثواب ومهما حصل له اليقين بذلك ارتحل عن قلبه حب الدنيا فإن حب الخطيئة هو الذي يجعو عن القلب حب الحقير فإذا رأى حقارة الدنيا ونفاضة الآخرة استبكت أن يلتفت إلى الدنيا كلها وإن أعطى ملك الأرض من الشرق إلى الغرب وكيف وليس عنده من الدنيا إلا قدر يسير مكدر منفس فكيف يفرح بها أو يتسرع في القلب حبها مع الإيمان بالآخرة ففسأل الله تعالى أن يرينا الدنيا كما أراها الصالحين من عباده ولعلاج في تدبير اللوث في القلب مثل النظر إلى من مات من الأثران والأشكال وأنهم كيف جاءهم اللوث في وقت لم يعتسبوا أمانهم كان مستعاقدهم فازفورا عظيما وأمانهم كان مفرورا بطول الأمل فقد خسر خسرا مبينا فلينظر الإنسان كل ساعة في أطرافه وأعضائه وليتدبر أنها كيف تأكلها الديدان لاهالة وكيف تنتفت عظامها وليتشكر أن الدود يبدأ بحمته التي أولأواليسرى لها على بدنه شيء إلا وهو طعمة الدود وماله من نفسه إلا العلم والعمل الخالص لوحه الله تعالى وكذلك يتفكر فيما سنوره من عذاب القبر وسؤال المنكر ونكير ومن الحشر والنشر وأحوال القيامة وقرع النداء يوم العرض الأكبر فأمثال هذه الأفكار هي التي تجدد ذكر اللوث على قلبه وتدعوه إلى الاستعداد له .

#### ( بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره )

اعلم أن الناس في ذلك يتفاوتون فمنهم من يأمل البقاء ويشتهي ذلك أبدا قال الله تعالى - يود أحدكم لو يعمر ألف سنة - ومنهم من يأمل البقاء إلى المحرم وهو أقصى العمر الذي شاهد مورآ وهو الذي يحب الدنيا حبا شديدا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الشيخ شاب في حب طلب الدنيا وإن التفت ترفوته من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل مأم» (١) ومنهم من يأمل إلى سنة فلا يشتغل بتدبير ما وراءها فلا يقر لنفسه وجودا في عام قابل ولكن هذا يستعد في الصيف للشتاء وفي الشتاء للصيف فإذا جمع ما يكفيه استعد للبادية ومنهم من يأمل مدة الصيف أو الشتاء فلا يدخر في الصيف ثياب الشتاء ولا في الشتاء ثياب الصيف ومنهم من يرجع أمه إلى يوم وليلة فلا يستعد إلا للتهارة وأما لقد فلا قال عيسى عليه السلام : لاهتموا برزق غد فإن يكن غد من آجالكم فستأني فيه أمر اللهكم مع آجالكم وإن لم يكن من آجالكم فلا تهتموا لآجال غيركم ومنهم من لا يجاوز أمه ساعة كما قال نبينا ﷺ «يا عبد الله إذا أصبحت فلا تذكر نفسك بالمساء وإذا أمسيت فلا تذكر نفسك بالصباح» ومنهم من لا يقدر البقاء أيضا ساعة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيم مع القدرة على الداء قبل مضي ساعة ويقول لم لي لأبقيته ومنهم من يكون اللوث نصب عينيه كأنه واقع به فهو ينتظره وهذا الإنسان هو الذي يصلي صلاة مودع وفيه ورد ما قل عن معاذ بن جبل رضى الله تعالى عنه لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حقيقة إيمانه فقال ما خلطت خطوة إلا ظننت أني لآتيها أخرى (٢) وكما قل عن الأسود وهو حبشي أنه كان يصلي ليلا ولتفت عينا وشيئا فقال له قائل ما هذا قال أنظر ملك اللوث من أي جهة يأتيني فنه مراتب الناس ولكل درجات عند الله وليس من

مقام صحة التوبة  
التصريح وليس من  
القضاء والبقاء في شيء  
ومن الإشارة إلى الفناء  
ماروى عن عبد الله  
ابن عمر أنه سلم عليه  
إنسان وهو في الطواف  
فلم يرد عليه فسكاه  
إلى بعض أصحابه فقالا  
له كنا نراى الله في  
ذلك المكان . وقيل :  
القضاء هو التوبة عن  
الأشياء كما كان فناء  
موسى حين نجى ربه  
للجبل . وقال الخراز :  
الفناء هو التلاشي  
بالحق والبقاء هو  
الحضور مع الحق .  
وقال الجليلي : الفناء  
استجماع الكل عن  
أوصافك واستئصال  
الكل منك بملكته

(١) حديث الشيخ شاب في حب الدنيا وإن التفت ترفوته من الكبر إلا الذين اتقوا وقليل مأم لم أجده بهذا اللفظ وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال الشيخ شاب على حب اثنين طول الحياة وحب المال (٢) حديث سؤاله لماذا عن حقيقة إيمانه فقال ما خلطت خطوة إلا ظننت أني لآتيها أخرى أبو نعيم في الحلية من حديث أنس وهو ضيف .

أمله مقصور على شهر كمن أمله شهر ويوم بل بينهما تفاوت في الدرجة عند الله فان الله لا يظلم مثقال درة - ومن يعمل مثقال ذرة خيرا يره - ثم يظهر أثر قصر الأمل في البادرة إلى العمل وكل إنسان يدعى أنه قصر الأمل وهو كاذب وإنما يظهر ذلك بأعماله فانه يعنى بأسباب ربما لا يحتاج إليها في سنة فيبدل ذلك على طول أمله وإنما علامة التوفيق أن يكون الموت نصب العين لا يبعد عنه ساعة فلا يستعمل الموت الذي يرد عليه في الوقت فان عاش إلى المساء شكر الله تعالى على طاعته وفرح بأنه لم يضيع نهاره بل استوفى منه حظه وادخره لنفسه ثم يستأنف مثله إلى الصباح وهكذا إذا أصبح ولا يتيسر هذا إلا لمن فرغ القلب عن الغد وما يكون فيه مثل هذا إذا مات سعد وعثم وإن عاش سر بحسن الاستعداد ولذة الناجاة فالوت له سعادة والحياة له مزيد فليكن الموت على بالاك بالمسكين فان السرحان بك وأنت غافل عن نفسك ولعلك قد قاربت للزلزل وقطعت المسافة ولا تكون كذلك إلا ببادرة العمل اغتناما لكل نفس أمهات فيه .

### ( بيان للبادرة إلى العمل وحذر آفة التأخير )

اعلم أن من له أخوان غائبان ينتظر قدوم أحدهما في غد وينتظر قدوم الآخر بعد شهر أو سنة فلا يستعد للذي يقدم إلى شهر أو سنة وإنما يستعد للذي ينتظر قدومه غدا فالاستعداد نتيجة قرب الانتظار فمن انتظر مجيئ الموت بعد سنة اشتغل قلبه بالمدة ونسى ما وراء المدة ثم يصبح كل يوم وهو ينتظر لاسعة يكملها لا ينقص منها اليوم الذي مضى وذلك يمنعه من مبادرة العمل أبدا فانه أبدا يرى نفسه متسعا في تلك السنة فيؤخر العمل كما قال عليه السلام « ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطايا أو فقرا منسيا أو مرضا منسدا أو هرماء تبدا أو موتا مجهرا أو الدجال قال جالس شر غائب ينتظر أو الساعة أو الساعة أدهى وأمر <sup>(١)</sup> » وقال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه « اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل تملكك وحياتك قبل موتك <sup>(٢)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ <sup>(٣)</sup> » أي أنه لا ينضمهما ثم يعرف قدرهما عند زوالهما وقال صلى الله عليه وسلم « من خاف أدجلا ومن أدجلا بلغ الزلزال ألا إن ساعة الله غالية ألا إن ساعة الله الحنية <sup>(٤)</sup> » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « جاءت الراجفة تبقيها الزادفة وجاء الموت بما فيه <sup>(٥)</sup> » « وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أنتمكم المنيبة راتبة لازمة إما بشقاوة وإما بسعادة <sup>(٦)</sup> » وقال أبو هريرة « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا النذير والموت الغير والساعة الوعد <sup>(٧)</sup> »

(١) حديث ما ينتظر أحدكم من الدنيا إلا غنى مطايا أو فقرا منسيا الحديث الترمذي من حديث أبي هريرة بلفظ هل ينتظرون إلا غنا الحديث وقال حسن ورواه ابن المبارك في الزهد ومن طريقه ابن أبي الدنيا في قصر الأمل بلفظ الصف وفيه من لم يسم (٢) حديث ابن عباس اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك الحديث ابن أبي الدنيا فيه بأسا حسن ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية عمرو بن ميمون الأزدي مرسل (٣) حديث نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ البخاري من حديث ابن عباس وقد تقدم (٤) حديث من خاف أدجلا ومن أدجلا بلغ الزلزال الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن (٥) حديث جاءت الراجفة تبقيها الزادفة الحديث الترمذي وحسنه حتى حديث أبي بن كعب (٦) حديث كان إذا أنس من أصحابه غفلة أو غرة نادى فيهم بصوت رفيع أنتمكم المنيبة الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل من حديث زيد السلمي مرسل (٧) حديث أبي هريرة أنا النذير والموت الغير والساعة الوعد ابن أبي الدنيا في قصر الأمل وأبو القاسم البغوي بإسناد فيه لين .

وقال إبراهيم بن شيخان علم الفناء والبقاء بدور على إخلاص الوحدة وما وصحة العبودية وما كان غير هذا فهو من الله الطيط والزندقة . وسئل الخراز ما علامة الفاني قال علامة من ادعى الفناء ذهب حظه من الدنيا والآخرة إلا من الله تعالى . وقال أبو سعيد الخراز : أهل الفناء في الفناء صحتهم أن يصحبهم علم البقاء وأهل البقاء في البقاء صحتهم أن يصحبهم علم الفناء .

واعلم أن أقاويل الشيوخ في الفناء

وقال ابن عمر « خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السمف فقال ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه <sup>(١)</sup> » وقال صلى الله عليه وسلم « مثل الدنيا كمثل ثوب شق من أوله إلى آخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط أن ينقطع <sup>(٢)</sup> » وقال جابر « كان رسول الله ﷺ إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومسيبتكم بثت أنا والساعة كهاتين وقرن بين أصبعيه <sup>(٣)</sup> » وقال ابن مسعود رضى الله عنه « تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن برد الله أن يديه يشرح صدره للاسلام - فقال إن النور إذا دخل الصدر انشعق قليل يارسل الله هل لك من علامة تعرف قال نعم التجاني عن دار الغرور والاناثة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله <sup>(٤)</sup> » وقال السدي - الذي خلق الموت والحياة ليلاكم أيكم أحسن عملا - أي أيكم أكثر للموت ذكرا وأحسن له استعدادا وأشد منه خوفا وحذرا وقال حذيفة مامن صباح ولا مساء إلا ومناد ينادي أيها الناس الرجل الرجل وتصديق ذلك قوله تعالى - إنها لإحدى الكبر نذيرا للبشر لمن شاء منكم أن يتقدم أو تأخر في الموت وقال - جهم مولى بني تميم جلست إلى عامر بن عبد الله وهو يسلي فأوجز في صلاته ثم أقبل عليّ فقال أرحنى بحاجتك فاني أبادر قلت وما تبادر قال ملك الموت رحلك الله قال قدمت عنه وقام إلى صلاته ومرداود الطائي فساءل الرجل عن حديث فقال دعني إنما أبادر خروج نفسي قال عمر رضى الله عنه التؤدة في كل شيء خير إلى أعمال الخير للأخرة ، وقال النضر سمعت مالك بن دينار يقول لنفسه ويحك بادري قبل أن يأتاك الأمر ويحك بادري قبل أن يأتاك الأمر حتى كثر ذلك ستين مرة أصحمه ولا يراني . وكان الحسن يقول في موقعه البادرة البادرة فاتما هي الأنفاس لو حبست أخطت عنكم أعمالكم التي تقر بون بها إلى الله عز وجل رحم الله امرأ نظر إلى نفسه وبكى على عدد ذنوبه ثم فرأه ذلك الأبقار فاعاناه فلم يعد إلى الأتقاس آخر العدد خروج نفسك آخر العدد فراق أهلك آخر العدد ذلوك في قبرك واجتهدا بمومسي الأشعري قبل موته اجتهدا شديدا قيل له لو أمسكت أو رقت بنفسك بعض الرقيق فقال إن الخيل إذا أرهلت تقاربت رأس جمرها أخرجت جميع ما عندها والذي بقي من أجل أنل من ذلك قال فلم يزل على ذلك حتى مات ، وكان يقول لامرأته شدي رحلك فليس على جهنم معبر وقال بعض الحلفاء على منبره : عباد الله اتقوا الله ما استطعتم وكونوا قوما صريح بهم فانتقوا وعدوا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا واستعدوا للموت فقد أظلمكم وترحلوا فقد جد بكم وإن غاية تنقصها اللحظة وتهدمها الساعة فيدرة بقصر للذة وإن غائبا يجد به الجديدان الليل والنهار لخرى بسرعة الأوبة وإن قادما يحمل بالفوز أو الشقوة لمستحق لأفضل العدة فانتفى عند ربه من ناصح نفسه وقدم توبته وغلب شهوته فإن أجله مستور عنه وأمله خادع له والشيطان موكب به بغيبة التوبة ليسوفها ويزن إليه العصية ليرتكبها حتى تهجم ميتته عليه أغفل ما يكون عنها وإنه ما بين أحدكم وبين الجنة أو النار إلا اللوت أن ينزل به فيا لها حسرة على ذي غفلة

والإبقاء كثيرة فبعضها إشارة إلى فناء الخالفات وبقاء لواظفات وهذا يقتضيه التوبة النصوح فهو ثابت بوصف التوبة وبعضها يشير إلى زوال الرغبة والحرص والأمل وهذا يقتضيه الزهد وبعضها إشارة إلى فناء الأوصاف للذمومة وبقاء الأوصاف المحمودة وهذا يقتضيه زكية النفس وبعضها إشارة إلى حقيقة الفناء المطلق وكل هذه الاشارات فيها معنى الفناء من وجه ولكن الفناء المطلق هو ما يستولى من أمر الخلق سبحانه وتعالى على العبد فيغلب كون

(١) حديث ابن عمر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والشمس على أطراف السمف فقال ما بقي من الدنيا إلا كما بقي من يومنا هذا في مثل ما مضى منه ابن أبي الدنيا في إسناده حسن ولترمذي نحوه من حديث أبي سعيد وحسنه (٢) حديث مثل الدنيا مثل ثوب شق من أوله إلى آخره الحديث ابن أبي الدنيا فيه من حديث أنس ولا يصح (٣) حديث جابر كان إذا خطب فذكر الساعة رفع صوته واحمرت وجنتاه الحديث مسلم وابن أبي الدنيا في قصر الأمل واللفظ له (٤) حديث ابن مسعود تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم - فمن برد الله أن يديه يشرح صدره للاسلام - فقال إن النور إذا دخل القلب انتسح الحديث ابن أبي الدنيا في قصر الأمل والحاكم في المستدرک وقد تقدم .

أن يكون عمره عليه حجة وأن ترد به أيامه إلى شقوة جعلنا الله وإياكم بمن لا يطره نعمه ولا تقصره  
عن طاعة الله مصيبة ولا يحل به بعد الموت حسرة إنه يمدد الخبر دائماً فقال لما يشاء وقال  
بعض المفسرين في قوله تعالى - فنتنم أنفسكم - قال الشبوت والذات - وترى بصرهم - قال بالتو بشواربهم -  
قال شككتم - حتى جاء أمر الله - قال الموت - وغرهم بالله الغرور - قال الشيطان . وقال الحسن  
تصبروا وتشددوا فأنما هي أيام قلائل وإنما أنتم ركب وقوف يوشك أن يدعى الرجل منكم فيجيب  
ولا يلتفت فانتقلوا بصالح ما يحضر تكم وقال ابن مسعود ما منكم من أحد أصبح إلا وهو ضيف وماله  
عارية والضيف مرتحل والعارية مؤداة وقال أبو عبيدة الباجي : دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات  
فيه فقال مرحبا بكم وأهلا بكم الله بالسلام وأحلتنا وإياكم دار القام هذه علانية حسنة إن صبرتم  
وصدقتم واتقيتم فلا يكن حظكم من هذا الخبر رحمة الله أن تسموه بهذه الأذن ونخرجوهم من هذه  
الأذن فإن من رأى محمدا صلى الله عليه وسلم فقد رآه غاديا ورأى محمدا بضع ليلة على ابنه ولا سب على قبة  
ولكن رفع له علم فشر إليه الوحا الوحا التجالاجاعلام تخرجون أنتم ورب الكعبة كأنكم الأمر  
معا رحم الله عبدا جعل العيش عيشا واحدا فأكل كسرة وليس خلقا وثق بالأرض واجتهد في العبادة  
وبكى على الخطيئة وهرب من العتو بوقايتي الرحمة حتى أتته أجله وهو على ذلك (١) . وقال عاصم الأحول  
قال لي فضيل الرقاشي وأنا سائله بأهذا لا يشتلك كثرة الناس عن نفسك فإن الأمر يخص إليك  
دونهم ولا تغفل أذهب ههنا وههنا فيقطع عنك النهار في لاشئ فإن الأمر محفوظ عليك ولم تر شيئا  
قط أحسن طلبا ولا أسرع إدراكا من حسنة حديثة لذنب قديم .

### ( الباب الثالث في سكرات الموت وشدة وما يستجب من الأحوال عند )

اعلم أنه لو لم يكن بين يدي المبدل السكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت مجرد هالكان  
جدرا بأن يتفص عليه عيشه ويشكدر عليه سروره وبفارقة سهوه وغفلته حقيقا بأن يطول فيه  
فكره ويظلم له استعداده لاسيا وهو في كل نفس يصده كإقال بعض الحكماء كرب يدسوا ولا تدرى  
مق يشاك . وقال لقمان لابنه يا بني أمر لا تدرى متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك والعجب أن  
الانسان لو كان في أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه جندى فيضربه خمس  
خشبات لتسكدرت عليه لفته وقد عليه عيشه وهو في كل نفس يصد أن يدخل عليه ملك الموت  
بسكرات التزع وهو عنه غافل فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور . واعلم أن شدة الألم في سكرات  
الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها ومن لم يذوقها فأنما يعرفها إمانا بقياس إلى الآلام التي أدر كها وإما  
بالاستدلال بأحوال الناس في التزع على شدة ما هم فيه فأنما القياس الذي يمد له فهو أن كل عضو  
لا روح فيه فلا يحس بالألم فإذا كان فيه الروح فالدرك للألم هو الروح فهما أصاب العضو جرح  
أو حرق سرى الأثر إلى الروح فقدر ما يسرى إلى الروح يتألم وللؤلم يتفرق على اللحم والدم وسائر  
الأجزاء فلا يصيب الروح إلا بعض الألم فإن كان في الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلقى غيره فأنما أعظم  
ذلك الألم وما أشده . والتزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه حتى لم يبق  
جزء من أجزاء الروح المشتت في أعماق البدن إلا وقد حصل به الألم فلو أصابته شوكة فالألم الذي  
يحمده إنما يجري في جزء من الروح بلاق ذلك الموضع الذي أصابته الشوكة وإنما يظلم أثر  
الاحتراق لأن أجزاء النار تنوص في سائر أجزاء البدن فلا يبقى جزء من العضو المحترق ظاهرا

(١) حديث أبي عبيدة الباجي دخلنا على الحسن في مرضه الذي مات فيه فقال مرحبا بكم الحديث  
إن أبي الدنيا في قصر الأمل وإن حبان في الثقات وأبو نعم في الحلية من هذا الوجه .

الحق سبحانه وتعالى  
على كون العبد وهو  
ينقسم إلى فناء ظاهر  
وفناء باطن فأما الفناء  
الظاهر فهو أن  
يتجلى الحق سبحانه  
وتعالى بطريق الأفهام  
ويسلم عن العبد  
اختياره وإرادته فلا  
يرى نفسه ولا تغيره  
فملا إلا بالحق ثم  
ياخذ في المعاملة  
مع الله تعالى بحسبه  
حتى سمح أن بعض  
من أقيم في هذا  
المقام من الفناء كان  
يقبى أياما لا يتناول  
الطعام والشراب حتى  
يتجرده له فعمل  
الحق فيه ويقبض  
الله تعالى له من

وباطنا لإوتصيه النار فحمه الأجزاء الروحانية المنتشرة في سائر أجزاء اللحم. وأما الجراحة فبما تسبب للوضع الذي منه الحديد قطع فكان لذلك ألم الجرح دون ألم النار فالتم التزعج بهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فانه التزعج المجدوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم فلا تسأل عن كربه وألمه حتى قالوا إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر المناشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان للتناول للبشر نفس الروح وإنما يستنبت للضروب ويصبح لبقاء قوته في قلبه وفي لسانه وإنما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة ألمه لأن السكرب قد بالغ فيه وتصاد على قلبه وبلغ كل موضع منه فهذا كل قوة وضعف كل جراحة فلم يترك له قوة الاستئانة. أما العقل فقد غشي وشوشه وأما اللسان فقد أبكبه وأما الأطراف فقد ضمفها وبود لو قدر على الاستراحة بالأثني والصباح والاستئانة ولكنه لا يقدر على ذلك فان بقيت فيه قوة سميت له عند نزع الروح وجذبها خوارا وغرغرة من حلقه وصدره وقد تغير لونه واربدة حتى كأنه ظهر منه التراب الذي هو أصل فطرته وقد جذب منه كل عرق على حباله فالألم ينتشر في داخله وخارجه حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالي أجفانه وتتقلص الشفتان ويتقلص اللسان إلى أصله وترتفع الأثنيان إلى أعالي موضعهما وتضجر أنامله فلا تمل عن بدن مجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجدوب عرقا واحدا لكان ألمه عظيما فكيف والمجدوب نفس الروح التالمة لأم عرق واحد بل من جميع العروق ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجا فبدأوا لقدمائهم ساقاتهم غذاءه ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم فتند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويعلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والتدانة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقبل توبة العبد ما لم يفرغ» (١) وقال مجاهد في قوله تعالى - وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن - قال إذا عاب الرجل فند ذلك تبدله صفحة وجهه ملك الموت فلا تسأل عن طعم حرارة الموت وكرهه عند ترادف سكراته ولذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «اللهم هوّن على محمد سكرات الموت» (٢) والناس إنما لا يستبدون منه ولا يستعظمونه لحماهم به فان الأشياء قبل وقوعها إنما تدرك بنور النبوة والولاية ولذلك عظم خوف الأنبياء عليهم السلام والأولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الخواريين ادعوا الله تعالى أن هوّن على هذه السكرة بيني وبين الموت فقد خفت الموت مخافة أوقفي خوفا من الموت على الموت. وروى أن غرام بن أبي اسير سمى بابقرة فقال بعضهم لبعض لودعوتهم الله تعالى أن يخرج لكم من هذه القبرة ميتا تسألونه فدعوا الله تعالى فاذا هم رجل قد قام وبين عينيه أثر السجود قد خرج من قبر من القبور فقال يا قوم ما زردتم مني لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت. من قالي وقالت عائشة رضي الله عنها لا يغبط أحدا يموت عليه الموت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروى أنه عليه السلام كان يقول «اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والعصب والأنامل اللهم فأعني على الموت وهوّنه علي» (٣) وعن الحسن «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الموت وغصته وألمه فقال

بطعمه وسقيه كيف شاء وأحب وهذا لعمري فناء لأنه فني عن نفسه وعن الغير نظرا إلى قول الله تعالى فناء فعل غير الله والقضاء الباطن أن يكشف تارة بالصفات وتارة بمشاهدة آثار عظيمة الذات فيستولي على رايته أمر الحق حتى لا يبقى له هاجس ولا وسواس وليس من ضرورة الفناء أن يغيب إحساسه وقد ينفي غيبة الإحساس لبعض الأشخاص وليس ذلك من ضرورة الفناء على الإطلاق وقد سألت الشيخ أبي محمد بن عبد الله البصري

(١) حديث إن الله يقبل توبة العبد ما لم يفرغ الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث ابن عمر

(٢) حديث كان يقول اللهم هوّن على محمد سكرات الموت تقدم (٣) حديث كان يقول اللهم إنك تأخذ الروح من بين العصب والعصب والأنامل الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث صعبة ابن غيلان الجعفي وهو موشل سقط منه الصحاحي والتامس .

هو قدر ثلثائة ضربة بالسيف<sup>(١)</sup>». «وسئل صلى الله عليه وسلم عن اللوت وشدة فقال إن أهون الموت بمنزلة حكة في صوف فهل تخرج الحكة من الصوف إلا ومعا صوف<sup>(٢)</sup>». «ودخل صلى الله عليه وسلم على مريض ثم قال إني أعلم مايلي مامنه عرق إلا وبألم الموت على حدة<sup>(٣)</sup>». وكان على كرم الله وجهه بعض على القتال ويقول إن لم تقتلوا تموتوا والذي نفس يده لألف ضربة بالسيف أهون على من موت على فراش وقال الأوزاعي بلغنا أن الميت يجد ألم اللوت ما لم يعث من قبره وقال شداد بن أوس اللوت أقطع هول في الدنيا والآخرة على المؤمن وهو أشد من نشر بالناسير وقرض بالمقاريض وعلى في القدر ولأن الميت نشر فأخبر أهل الدنيا بالموت ما اتصفوا ببش ولا قدوا بنوم. وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال إذا بقي على المؤمن من درجاته شيء لم يسلها بعمله شدد عليه اللوت ليبلغ سكرات اللوت وكر به درجته في الجنة وإذا كان للكافر معروف لم يجزه هون عليه في اللوت ليستكمل ثواب معرفته فيصير إلى النار وعن بعضهم أنه كان يسأل كثيرا من المرضى كيف يجدون اللوت فها مرض قيل له فأت كيف تجدته فقال كان السموات مطقة على الأرض وكان نفسي يخرج من ثقب إبرة وقال صلى الله عليه وسلم «موت النجاة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر<sup>(٤)</sup>». وروى عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «لو أن شجرة من شجر البيت وضعت على أهل السموات والأرض لما تواروا بأذن الله تعالى لأن في كل شجرة لوت ولا يقع اللوت بشيء إلا مات<sup>(٥)</sup>». وروى «لو أن قطرة من ألم اللوت وضعت على جبال الدنيا كلها قادت<sup>(٦)</sup>». وروى أن إبراهيم عليه السلام لما مات قال الله تعالى له كيف وجدت اللوت يا خليلي قال كنفود جبل في صوف رطب ثم جذب فقال أما إنا قد هونا عليك وروى عن موسى عليه السلام أنه لما صارت روحه إلى الله تعالى قال له ربه يا موسى كيف وجدت اللوت قال وجدت نفسي كالصفور حين يقلى على اللقى لا يموت فيستريح ولا ينجو فبطير. وروى عنه أنه قال وجدت نفسي كشاة حية تسلم يد القصاب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم «أنه كان عنده قدح من ماء عند اللوت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هوّن على سكرات اللوت<sup>(٧)</sup>»

(١) حديث الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر اللوت وغضته وأله فقال هو قدر ثلثائة ضربة بالسيف ابن أبي الدنيا فيه هكذا مرسلًا ورجاله ثقات (٢) حديث سئل عن اللوت وشدة فقال إن أهون اللوت بمنزلة حكة الحديث ابن أبي الدنيا فيه من رواية شهر بن حوشب مرسلًا (٣) حديث دخل على مريض فقال إني أعلم مايلي مامنه عرق إلا وبألم الموت على حدة ابن أبي الدنيا فيه من حديث سلمان بنسند ضيف ورواه في الرض والكفارات من رواية عبيد ابن عمير مرسلًا مع اختلاف ورجاله ثقات (٤) حديث موت النجاة راحة للمؤمن وأسف على الفاجر أحمد من حديث عائشة بامداد صحيح قال وأخذت أسف ولأبي داود من حديث خالد السلمي موت النجاة أخفة أسف (٥) حديث مكحول لو أن شجرة من شجر البيت وضعت على أهل السموات والأرض لما تواروا الحديث ابن أبي الدنيا في اللوت من رواية أبي عيسى رفته وفيه لو أن ألم شجرة ، وزاد وإن في يوم القيامة لتسعين هولاً أدناها هولاً يضاعف على اللوت سبعين ألف ضعف وأبو عيسى هو عمرو بن شرحبيل والحديث مرسل حسن الاسناد (٦) حديث لو أن قطرة من اللوت ولو وضعت على جبال الدنيا كلها قادت لم أجده أصلاً ولعل للصف لم يورده حديثاً فإنه قال وروى (٧) حديث إنه كان عنده قدح من ماء عند اللوت فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هوّن على سكرات اللوت متفق عليه من حديث عائشة .

وقلت له هل يكون بقاء التخيلات في السر ووجود الوسواس من الشرك الحفي وكان عدى أن ذلك من الشرك الحفي فقال لي هذا يكون في مقام الفناء ولم يذكر أنه هل هو من الشرك الحفي أم لا ثم ذكر حكاية مسلم بن يسار أنه كان في الصلاة فوقعت أسطوانة في الجامع فازعج لهدتها أهل السوق فدخلوا للسجد فزاروه في الصلاة ولم يحس بالأسطوانة ووقعها فهذا هو الاستغراق والفناء باطننا ثم قد ينسج وعاءه حتى لعله يكون

وقاطمة رضي الله عنها تقول واكرهاء لسكرك يا أبتاه وهو يقول لا كرب على أيك بعد اليوم<sup>(١)</sup> وقال عمر رضي الله عنه لسككب الأخبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال نعم بأمر المؤمنين إن الموت كمنصن كثير الشوك أدخل في جوف رجل وأخذت كل شوكة يرق ثم جذبه رجل شديدا فجنب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى . وقال النبي صلى الله عليه وسلم « إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة<sup>(٢)</sup> » فهذه سكرات الموت على أولياء الله وأحبابه ، فما حالنا ونحن الهمكون في المعاصي وتوالي علينا سكرات الموت بقية الدواهي فإن دواهي الموت ثلاث . الأولى : شدة الزرع كاذكرناه . الداهية الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروح والحلوف منه على القلب فلو رأى صورته التي قبض عليها روح العبد للذب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته ، فقد روى عن إبراهيم الحليل عليه السلام أنه قال لملك الموت هل تستطيع أن تربني صورتك التي قبض عليها روح القاجر ؟ قال لا تطيق ذلك . قال بلى . قال فأعرض عني فأعرض عنه ثم التفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر متن الریح أسود الثياب يخرج من فيه ومناخيره لميب النار والدخان فضى إلى إبراهيم عليه السلام ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق القاجر عند الموت لاصوره وجعله لسان حسيبه ، وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم « أن داود عليه السلام كان رجلا غيورا وكان إذا خرج أغلق الأبواب فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فإذا هي برجل في الدار قبالت من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليقين منه غناء فجاء داود فرأه فقال من أنت فقال أنا الذي لا أهلب اللوك ولا يمنع مني الحجاب فقال فأنت والله إذن ملك الموت وزمل داود عليه السلام مكانه<sup>(٣)</sup> » وروى أن عيسى عليه السلام مر بمجمعة فضر بها برجله فقال تسكني بأذن الله فقالت يا روح الله أنا ملك زمان كذا وكذا بيئنا أنا جالس في ملكي على تاجي وحولي جنود وحشمي على سرر ملكي إذ بدا لي ملك الموت فزال مني كل عضو على حباله ثم خرجت نفسي إليه فيا ليت ما كان من تلك الجوع كان فرقة وبأليت ما كان من ذلك الأنس كان وحشة ، فهذه دواهيه يلقاها الصائفة ويكفهاها الطبيعيون ، فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة الزرع دون الروعة التي يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك ولو رآها في منامه ليلة لتنفس عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحال . وأما الطبع فانه يراه في أحسن صورة وأجلها ، فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان رجلا غيورا وكان له بيت يتعمد فيه فإذا خرج أغلقه فرجع ذات يوم فإذا برجل في جوف البيت فقال من أدخلك دارو فقال أدخلنيها ربهما فقال أنا ربهما فقال أدخلنيها من هو أم لك بها مني ومنك فقال من أنت من الملائكة قال أنا ملك الموت قال هل تستطيع أن تربني الصورة التي قبض فيها روح المؤمن ؟ قال نعم فأعرض عني فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه فقال يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسيبه ومنها مشاهدة المنكبين الحافظين . قال وهيب : بلغنا أنه مبيت يموت حتى يترأى له ملكاه

(١) حديث إن فاطمة قالت واكرهاء لسكرك يا أبت الحديث البخاري من حديث أنس يلفظ واكره أبتاه وفي رواية لابن خزيمة واكرهه (٢) حديث إن العبد ليعالج كرب الموت وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض الحديث رويناه في الأربعين لأبي هدية إبراهيم بن هدية عن أنس وأبو هدية هالك (٣) حديث أبي هريرة إن داود كان رجلا غيورا الحديث أحمد بإسناد جيد نحوه وابن أبي الدنيا في كتاب الموت باللفظ .

متحققا بالفناء ومعناه روحا وقلبا ولا ينبغي عن كل ما يجري عليه من قول وفعل ويكون من أقسام الفناء أن يكون في كل فعل وقول مرجعه إلى الله وينتظر الأذن في كليات أموره ليسكون في الأشياء باقلا بنفسه فتارك الاختيار منتظر لقصد الحق فان وصاحب الانتظار لاذن الحق في كليات أموره راجع إلى الله باطنه في جزئياتها فان ومن ملكه الله تعالى اختياره وأطلقه في التصرف بخار صكيف شاء وأراد لا منتظرا للأذن ولا منتظرا للإذن هو باقي الباقي في مقام

السكرات عملها فان كان مطيعا قال له جزاك الله عنا خيرا قرب مجلس صدق اجلسنا وعمل صالح احضرنا ، وإن كان فاجرا قال له لاجزاك الله عنا خيرا قرب مجلس سوء اجلسنا وعمل غير صالح احضرنا وكلام قبيح اصمعتنا فلاجزاك الله عنا خيرا فذلك شخص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدا. الداعية الثالثة : مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل للشاهدة فانهم في حال السكرات قد تجاوزت قوام واستسلمت للخروج ارواحهم ولن يخرج ارواحهم ما لم يسموا الله ملك للوث بأحد البشريين إما أشر ياعدو الله بالنار أو أجيروا يولوا الله بالجنة ، ومن هذا كان خوف أرباب الألباب ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم «لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فقالوا كلنا نكره للوث قال ليس ذاك بذلك إن المؤمن إذا فرج له عما هو قادم عليه أحب لقاء الله وأحب الله لقاءه» (٢) وروى أن حذيفة بن اليمان قال لابن مسعود وهو لما به من آخر الليل قم فانظري ساعة هي قيام ابن مسعود ثم جاء فقال قد طلعت الحراء فقال حذيفة أعوذ بالله من صباح إلى النار ، ودخل مروان على أبي هريرة فقال مروان اللهم خفف عنه فقال أبو هريرة اللهم لشدة بكى أبو هريرة وقال والله ما أبكى حزنا على الدنيا ولا جزعا من فراقكم ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربي بجنة أم نار ، وروى في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله إذا رضى عن عبد قال بملك للوث اذهب إلى فلان فأنثى بروحه لأربعه حسبي من عمله قد بلوته فوجدته حيث أحب فينزل ملك اللوث ومعه خمسمائة من الملائكة ومعهم قضبان الرمحان وأصول الزعفران كل واحد منهم يشره بيشارة سوى بيشارة صاحبه وتقوم الملائكة تسعين لخروج روحه معهم الرمحان فإذا نظر إليهم إليس وضع يده على رأسه ثم صرخ قال فيقول له جنوده مالك باسبينا فيقول أما ترون ما أعطى هذا العبد من السكرامة أين كنتم من هذا قالوا قد جهدنا به فكان مصروما» (٣) وقال الحسن لأرواح المؤمنين إن الله تعالى رحمتي فإني أحب لقاء الله تعالى فيوم الموت يوم سروره وفرحه وأمنه وعزه وشرفه ، وقيل لجابر بن زيد عند الموت ما تشتهي قال نظرة إلى الحسن فما دخل عليه الحسن قيل له هذا الحسن فرغ طرفه إليه ثم قال يا أخواناه الساعة والله أفارقكم إلى النار أو إلى الجنة ، وقال محمد بن واسع عند الموت يا أخواناه عليكم السلام إلى النار أو يوسف والله وتمي بعضهم أن يبقى في التزع أبا ولا يبعث ثواب ولا عقاب ، تخوف سوء الحاتمة قطع

(١) حديث لن يخرج أحدكم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره وحتى يرى مقعده من الجنة أو النار ابن أبي الدنيا في الموت من رواية رجل لم يسم عن أبي موقفا لا يخرج نفس ابن آدم من الدنيا حتى يعلم أين مصيره إلى الجنة أم إلى النار وفي رواية حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار وفي الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت ما يشهد بذلك إن المؤمن إذا حضره الموت جبر برضوان الله وكرامته وإن الكافر إذا حضر جبر بعذاب الله وعقوبته الحديث (٢) حديث من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه الحديث متفق عليه من حديث عبادة بن الصامت (٣) حديث إن الله إذا رضى عن عبد قال بملك الموت اذهب إلى فلان فأنثى بروحه لأربعه الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب الموت من حديث نجيم الدار بن إسناد ضعيف بزيادة كثيرة ولم يصرح في أول الحديث برفعه وفي آخره ما دل على أنه مرفوع وللأساني من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح إذا حضر الميت آتته الملائكة الرحمة بحرية بيضاء فيقولون أخرجي راضية مرضية عنك إلى روح الله ورب رحمان ورب راض غير غضبان الحديث .

لا يعجبه الحق عن  
الحق ولا الخلق عن  
الحق والقاني محبوب  
بالحق عن الخلق  
والقاء الظاهر لأرباب  
القلوب والأحوال  
والقاء الباطن لمن  
أطلق عن وثاق  
الأحوال وصار بالله  
لا بالأحوال وخارج  
من القاب فصار مع  
مقلبه لأمع قلبه .

[الباب الثاني والستون  
في شرح كلمات مشيرة  
إلى بعض الأحوال في  
اصطلاح الصوفية]  
أخبرنا الشيخ الثقة  
أبو الفتح محمد بن  
عبد الباقي بن سليمان  
إجازة قال أنا أبو الفضل  
أحمد بن أحمد قال أنا  
الحافظ أبو نسيم

قلوب العارفين وهو من الدواهي العظيمة عند الموت وقد ذكرنا معنى سوء الحاتمة وشدة خوف العارفين منه في كتاب الخوف والرجاء وهو لا تائق بهذا الوضع ، ولكننا لانطول بذكره وإعادته .  
( بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت )

اعلم أن المحبوب عند الموت من صورة المحتضر هو الهدوء والسكون ومن لسانه أن يكون ناطقا بالشهادة ومن قلبه أن يكون حسن الظن بالله تعالى . أما الصورة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه ودمعت عيناه وبيست شفتاه فهي من رحمة الله قد نزلت به وإذا غط غطيظ الخنوق واحمر لونه واربدت شفتاه فهو من عذاب الله قد نزل به <sup>(١)</sup> » وأما انطلاق لسانه بكلمة الشهادة فهي علامة الخير قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لقنوا موتاكم لا إله إلا الله <sup>(٢)</sup> » وفي رواية حذيفة « فاتها تهيم ما قبلها من الخطايا <sup>(٣)</sup> » وقال عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة <sup>(٤)</sup> » وقال عبيد الله وهو يشهد وقال عثمان إذا احتضر الميت فلقنوه لا إله إلا الله فإنه ممن عبد يحتم له بها عند موته إلا كانت زاده إلى الجنة . وقال عمر رضى الله عنه : احضروا موتاكم وذكرهم قاهم يرون مالاترون ولقنوه لا إله إلا الله . وقال أبو هريرة سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « حضر ملك الموت رجلا يموت فظفر في قلبه فلم يجد فيه شيئا ففك لحية فوجد طرف لسانه لاصقا بحنكته يقول لا إله إلا الله ففكر له بكلمة الاخلاص <sup>(٥)</sup> » وينبغي للملقن أن لا يبلغ في التلقين ولكن يتلطف فربما لا ينطق لسان المريض فيشقى عليه ذلك ويؤدى إلى استنقائه التلقين وكراهيته للكلمة فربما أن يكون ذلك سبب سوء الحاتمة ، وإنما معنى هذه الكلمة أن يموت الرجل وليس في قلبه شيء غير الله فإذا لم يبق له مطلوب سوى الواحد الحق كان قدومه بالموت على محبوبه غاية النعم في حقه وإن كان القلب مشغولاً بالله بما ملئنا إليها مناسعا في لسانها وكانت الكلمة على رأس اللسان ولم ينطبق القلب على حقيقتها وقع الأمر في خطر المشيئة فإن مجرد حركة اللسان قليل الجدوى إلا أن يفضل الله تعالى بالقبول . وأما حسن الظن فهو مستحب في هذا الوقت وقد ذكرنا ذلك في كتاب الرجاء وقد وردت الأخبار بفضل حسن الظن بالله ، دخل وثالث بن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله قال أغرقتني ذنوب لي وأشرفت علىهلكة ولكنى أرجو رحمة ربي فكبر وثالث وكبر أهل البيت بكبره وقال الله أكبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء <sup>(٦)</sup> » ودخل النبي صلى الله عليه وسلم على شاب وهو يموت فقال : كيف تجدك قال أرجو الله وأخاف ذنوبي فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما اجتمعا في قلب عبد في مثل هذا

(١) حديث ارقبوا الميت عند ثلاث إذا رشح جبينه وذرفت عيناه الحديث الترمذي الحكيم في نواذر الأصول من حديث سلمان ولا يصح (٢) حديث لقنوا موتاكم لا إله إلا الله تقدم (٣) حديث حذيفة فاتها تهيم ما قبلها تقدم (٤) حديث من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة تقدم . (٥) حديث أبي هريرة حضر ملك الموت رجلا يموت فظفر في قلبه فلم يجد فيه شيئا الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين وللطبراني والبيهقي في الشعب وإسناده جيد إلا أن في رواية البيهقي رجلا لم يسم وسمى في رواية الطبراني إسحق بن يحيى بن طلحة وهو متعصب (٦) حديث دخل وثالث ابن الأسقع على مريض فقال أخبرني كيف ظنك بالله وفيه يقول الله أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ماشاء ابن حبان بالرفوع منه وقد تقدم وأحمد والبيهقي في الشعب به جميعا .

الأصفهاني قال تناهده ابن إبراهيم قال ثنا أبو مسلم السكتي قال ثنا مسور بن عيسى قال ثنا القاسم بن يحيى قال ثنا ياسين الزيات عن أبي الزبير عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إن من مصادق التقوى تصلك إلى ما قد علمت علم ما لم تعلم والنقص فيها علمت قوة الزيادة فيه وإنما يزهده الرجل في علم ما لم يعلم فقل لا تنفع بما قد علمه فتنازع الحسوف أن تكونوا أساس التقوى وتعلموا العلم لله تعالى وعملوا بما طهروا لموضع ضوام فسلمهم الله تعالى ما لم

للوطن إلا أعطاه الله الذي يرجو وآمنه من الذي يخاف<sup>(١)</sup> وقال ثابت البناني كان شاباً بمحدثو كان له أم تمطره كثيراً وتقول له يا بني إن لك يوماً فاذكر يومك فلما نزل به أمر الله تعالى أكتب عليه أمه وجعلت تقول له يا بني قد كنت أحذر لك مصرعك هذا وأقول إن لك يوماً فقال يا أمه إن لي رباً كثيراً المعروف وإنني لأرجو أن لا يصدني اليوم بمصرع معروفه ، قال ثابت فرحمه الله بحسن ظنه بربه . وقال جابر بن وداعة كان شاب به رهيق فاحضر فقالت له أمه يا بني توصي بشي قال نعم خاتمي لتسليبي فأن فيه ذكر الله تعالى فلعل الله يرحمني فلما دفن رؤى في المنام فقال أخبروا أمي أن السكينة قد غفنتي وإن الله قد غفر لي . ومرض أعرابي فقيل له إنك يموت فقال ابن يذهب بي قالوا إلى الله قال لما كراهني أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه . وقال أبو العزيم بن سليمان قال لي لما حضرته الوفاة يا معتمد حدثني بالرخيص لعل ألقى الله عز وجل وأنحسن الظن به وكانوا يستجيون أن يذكروا لجدعنا من عمله عند موته لكي يحسن ظنه بربه .

( بيان الحسرة عند لقاء ملك اللوت عجايب يرب لسان الحال عنها )

قال أشعث بن أسلم سألت إبراهيم عليه السلام ملك اللوت واسمه عزرائيل وله عينان عين في وجهه وعين في قفاه فقال يملك اللوت ما تصنع إذا كان نفس بالشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع ؟ قال أدعو الأرواح باذن الله فتكون بين أصبعي هاتين وقال قد حدثت له الأرض فتركت مثل الطشت بين يديه يتناول منها ما يشاء قال وهو يبشره بأنه خليل الله عز وجل . وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك اللوت عليه السلام مالي لأمر الله تصدق بين الناس تأخذ هذا وتدفع هذا قال ما أنا بذلك بأعلم منك إنما هي محض أوكسب تلقى في فيها أسماء ، وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى الأرض فعدا شباباً ليبلبسا فلم تعجبه فطلب غير هاتين إلىس ما أعجبه بعدد مرات وكذلك طلب دابة فأتى بها فلم تعجبه حتى أتى بدواب فركب أحسنها فجاءه إليس فتفضع في منخره فتحة فلامه كبراً ثم سار وسارتمعه الحيول وهو لا ينظر إلى الناس كبراً فجاءه رجل رث الحية فسلم ففر رد عليه السلام فأخذ بلجام دابته فقال أرسل اللجام فقد تعاطيت أمراً عظيماً قال إن لي إليك حاجة قال اصبر حتى أنزل قال لا الآن قهره على الجلام دابته فقال اذكرها قال هو سر فأدنى لمرأته فصاروه وقال أنملك اللوت فتخير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى أرجع إلى أهلي وأقضى حاجتي وأودعهم قال والله لا ترى أهلك وتلك أبداً قبض روحه فخر كأنه خشبة ثم مضى فلقى عبداً مؤمناً في تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال ان لي إليك حاجة أذكرها في أذنك فقال لهاتين فصاروه وقال أنملك اللوت فقال أهلاً ومرحباً بمن طالت غيبته علي فو الله ما كان في الأرض غائب أحب إلي أن ألقاه منك فقال ملك اللوت أقض حاجتك التي خرجت لها فقال مالي حاجة أكبر عندي ولا أحب من لقاء الله تعالى قال فاختر علي أي حال شئت أن أقبض روحك فقال تعذر علي ذلك قال نعم إنني أمرت بذلك قال فدعني حتى أتوضأ وأسل ثم أقبض روحي وأنا ساجد قبض روحه وهو ساجد . وقال أبو بكر بن عبد الله المزني جمع رجل من بني إسرائيل مالا فلما أشرف على الموت قال لبنيه أروني أوصاف أموالي فأتى بشي كثيراً من الخيل والابل والرقيق وغيره فلما نظر إليه بكى تحسراً عليه فمرأته ملك اللوت وهو يكي فقال له ما يبكيك فو الذي خولك ما أنا بخارج من منزلك حتى أفرق بين روحك وبينك قال فاقلمه حتى أفرق قال هبها اتعطمت عنك المهبة فهل كان ذلك قبل حضور أجلك قبض روحه . وروى أن رجلاً جمع مالا فأوعى ولم يدع صنفاً من المال إلا اتخذه وابنى قصراً وجعل عليه بابين وثيقين وجمع عليه حرساً من غلمانهم جمع أهلهم وصنع لهم طعاماً وقصد على سريره ورفع إحدى رجليه على الأخرى وهم يأكلون

(١) حديث دخل على شاب وهو يموت فقال كيف تهجدك فقال أرجو الله وأخافه وذوني الحديث تقدم.

يلطوا من غرائب  
العلوم ودقيق الاشارات  
واستنبطوا من كلام  
الله تعالى غرائب العلوم  
وجمالب الأسرار  
وترسخ قدمهم في العلم  
قال أبو سعيد الخراز  
أول القهم لكلام الله  
العمل به لأن في العلم  
والفهم والاستنباط  
وأول القهم لقاء السمع  
والمشاهدة لقوله تعالى  
- إن في ذلك لذكرى  
لمن كان له قلب أو ألقى  
السمع وهو شريد .  
وقال أبو بكر الواسطي  
الراسخون في العلم هم  
الذين رسخوا بأرواحهم  
في غيب آتيت وفي  
سر السر ففرهم  
ما عرفهم وأراد منهم  
من مقتضى الآيات

فما فرغوا ، قال يا بنى انسى لسنين قد جمعت لك ما يكفيك ثم فرغ من كلامه حتى أقبل إليه ملك الموت في هيئة رجل عليه خلقان من الثياب وفي عنقه حلاوة يتشبها بالمساكين فصرع الباب بشدة عظيمة قرعاً أفرعه وهو على فراشه فوثب إليه الضمان وقالوا ماشأناك فقال ادعوا إلى مولانا كم قتلوا وإلى من ملك يخرج مولانا قال نعم فأخبروه بذلك فقال هلا فطمم به وفطم فصرع الباب قرعة أشد من الأولى فوثب إليه الحرس فقال أخبروه أنى ملك الموت فلما سمعوه أتى عليهم الرعب ووقع على مولاهم الدل والتخضع فقال قولوا له قولاً لنا وقولوا هل تأخذ به أحداً فدخل عليه وقال اصنع في ملك ما أنت صانع فأتى لست بخارج منها حتى أخرج روحك فأمر بماله حتى وضع بين يديه فقال حين رآه لعنك الله من مال أنت شغلتني عن عبادة ربي ومنعتني أن أعطي لربي فأنتقم الله اليك فقال لم تسبق وقد كنت تدخل على السلاطين بي ورد التقي عن باهمم وكنت تتسكع في التعمعات بي وتجلس مجالس اللوك بي وتتفق في سبيل الشر فلا أمتنع منك ولو أفتقتني في سبيل الخير فعتكت خلقت وابن آدم من تراب فتطلق يري ومنطلق بأنهم ثم قبض ملك الموت روحه فقط. وقال وهب بن منبه قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة في الأرض مثله ثم عرج إلى السماء فقالت لللائكة لمن كنت أشد رحمة ممن قبضت روحه قال أمرت بقبض نفس امرأة في فلاة من الأرض فأقبلها وقد ولدت مولوداً فرحمتها لتربيتها ورحمت ولدها لصغره وكونه في فلاة لا تمتد له بها أوقات لللائكة الجبار الذي قبضت الآن روحه هو ذلك الولود الذي رحمته فقال ملك الموت سبحان اللطيف لما يشاء قال عطاء بن يسار إذا كان ليلة النصف من شعبان دفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض في هذه السنة من في هذه الصحيفة قال فإن العبد ليعرس القراس وينسكح الأزواج ويبنى البنايا وإن اسمه في تلك الصحيفة وهو لا يدري . وقال الحسن مامن يوم إلا وملك الموت يتصفع كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه واقضى أجله قبض روحه فإذا قبض روحه أقبل أهله برنة وبكاء فأخذ ملك الموت بضادتي الباب فيقول والله ما كنت له رزقا ولا أنفيت له عمرا ولا انتقصت له أجلا وإن لي فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقى منكم أحدا قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لتهلوا عن ميتهم ولبكوا على أشيمهم وقال يزيد الرقاشي بينا جبار من الجبابرة من بني إسرائيل جالس في منزله قد خلا يبيض أهله إذ نظر إلى شخص قد دخل من باب بيته فثار إليه فزعا مضطبا فقال له من أنت ومن أدخلك على داري فقال أما الذي أدخلني الدار فربها وأما أنا فإلهي لا يمنع مني الحجاب ولا أستأذن على اللوك ولا أخاف صولة للسلطين ولا يتنعم مني كل جبار عنيد ولا شيطان مرید قال فسقط في يد الجبار وارتد حتى سقط منكبا على وجهه ثم رفع رأسه إليه مستجديا متذلا له فقال له أنت إذن ملك الموت قال أنا هو قال فقل أنت ممبلى حتى أحدث عهدا قال هيأت اقتطعت مدتك واقتضت أعمارك وتوعدت ساعاتك فأبى إلى تأخيرك سبيل قال فإني أين تذهب بي قال إلى عملك الذي قدمته وإلى بيتك الذي مهدت له قال فإني لم أقدم عملا صالحا ولم أقصد بيتا حسنا قال فإني لأظن نزاعة للشوى ثم قبض روحه فسقط ميتا بين أهله فمن بين صارع وبك قال يزيد الرقاشي لو يعلمون سوء القلب كان العويل على ذلك أكثر وعن الأعمش عن خزيمة قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جلسائه يديم النظر إليه فلما خرج قال الرجل من هذا قال هذا ملك الموت قال لقد رأيته ينظر إلي كأنه يريدني قال فإذا تريد قال أريد أن تخلىصني منه فأمّر الرعب حتى تحملى إلى أقصى الهند ففعلت الرعب ذلك ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أفاء ثانيا رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائي . قال نعم كنت أتعجب منه لأنني كنت أمرت أن أقبضه بأقصى الهند في ساعة قريبة وكان عندك فعبت من ذلك.

مالم يرد من غيرهم وخاضوا بحر الصلح بالهم طلب الزيادات فأنكشف لهم من سدخور الحزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم ومحائب النسم فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة . وقد ورد في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه سليمان بن عيينة عن ابن جريج عن عطاء عن أبي هريرة أنه قال إن من العلم كهيئة المنكون لا يسله إلا العلماء بالله فإذا انطقوا به لا ينكره إلا أهل الثرة بالله . أخبرنا أبو زرعة قال

(الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلق الراشدين من بعده)  
(وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم)

اعلم أن في رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة حيا وميتا وفلا قول ولا جميع أحواله عبرة للناظرين وبصرة للمستعبرين إذ لم يكن أحد أكرم على الله منه إذ كان خليل الله وحببيه ونبيه وكان صفيه ورسوله ونبيه فانظر هل أمهله ساعة عند انقضاء مدته وهل أخره لحظة بعد حضور ربهته لا بل أرسل إليه اللامعة الكرام للوكيلين قبض أرواح الأنام فجدوا بروحه الزكية الكريمة ليقلوها وعالجوها ليرحلوها عن جسده الطاهر إلى رحمة ورضوان وخيرات حسان بل إلى مقعد صدق في جوار الرحمن فاشتد مع ذلك في التزع كربه وظهر آنيته وترادف قلعه وارتفع حنينه وتغير لونه وعرق جبينه واضطربت في الانقباض والانبساط لهاله وبنيته حتى بكى لمصرعه من حضره وانتحب لشدة حاله من شاهد منظره فهل رأيت منصب النبوة دافعا عنه مقدورا وهل راقب اللذة فيه أهلا وعشيرا وهل ساعده إذ كان للحق نصيرا وللخلق بشيرا ونذيرا هيات بل امتلأ ما كان به مأمورا وأبغى ما وجد في اللوح مسطورا فهذا كان حاله وهو عند الله ذو القام المحمود والحوض للورود وهو أول من تنشق عنه الأرض وهو صاحب الشفاعة يوم العرض فالجيب أنا لانتبهر به ولما على ثقة فيها نلقاه بل نحن أسراء الشهوات وفرقاء العاصي والسيئات فما بالنا لا نعتصم بمصرع محمد سيد المرسلين وإمام المؤمنين وحبیب رب العالمين لعلنا نلظن أننا عتدون أو توهم أناع سوء أهملنا عند الله مكرمون هيات هيات بل تتيقن أننا جميعا على النار واردون ثم لا ينبجو منها إلا اللعنون فحقن للورود مستيقنون وللصدور عنها متوهمون لا بل ظننا أننا إن كنا كذلك لنال الظن منتظرين لما نحن والله من اللتين وقد قال الله رب العالمين - وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا ثم تنجي الدين انقوا وتذر الظالمين فيها جثيا - فلننظر كل عبد إلى نفسه أنه إلى الظالمين أقرب أم إلى المؤمنين فانظر إلى نفسك بعد أن تنظر إلى سيرة السلف الصالحين فلقد كانوا مع ما وقعوا له من الخاتمين ثم انظر إلى سيد المرسلين فإنه كان من أمره على يقين إذ كان سيد التبيين وقائد المؤمنين واعتبر كيف كان كربه عند فراق الدنيا وكيف اشتد أمره عند الانقلاب إلى جنة المأوى قال ابن مسعود رضي الله عنه «دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها حين دنا الفراق فظفر البنا فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ثم قال مرحبا بك حيا كم الله آواكم الله نصركم الله وأوصيكم بقوى الله وأوصى بك الله إلى لسرك منه نذير مبين ألا تعلموا على الله في بلاده وعباده وقد دنا الأجل والمقلب إلى الله وإلى سدة المنتهى وإلى جنة المأوى وإلى الكأس الأولى فاقربوا على أنفسكم وعلى من دخل في دينكم بعدى منى السلام ورحمة الله» وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام عند موته «من لأمتي بعدى

(الباب الرابع في وفاة النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) حديث ابن مسعود دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت أمنا عائشة حين دنا الفراق الحديث رواه البراء وقال هذا الكلام قد روى عن مرة عن عبد الله من غير وجه وأسانيدها متقاربة قال وعبد الرحمن الأنصاري لم يسمع هذا من مرة وإنما هو عمن أخبره عن مرة قال ولا أعلم أحدا رواه عن عبد الله غير مرة . قلت وقد روى من غير ما وجه رواه ابن سعد في الطبقات من رواية ابن عوف عن ابن مسعود ورواه في مشيخة القاضي أبي بكر الأنصاري من رواية الحسن العري عن ابن مسعود ولكنهما منقطعان وضميفان والحسن العري في إتمامه عن مرة كرواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الأوسط .

أنا أبو بكر بن خلف  
قال ثنا أبو عبد الرحمن  
قال سمعت النضر الماذني  
يقول سمعت ابن عائشة  
يقول سمعت القرشي  
يقول هي أسرار الله تعالى  
يبدى بها إلى أمناه وأولائه  
وسافات النبلاء من  
غير جماع ولادراسة  
وهي من الأسرار التي  
لم يطلع عليها إلا  
الحواصم . وقال  
أبو سعيد الخزاز  
للعارفين خزائن  
أودعها علوما غريبة  
وأبناء محبة يتكلمون  
فيها بلسان الأبدية  
ويخبرون عنها ببارة  
الأزلية وهي من العلم  
المجهول قوله بلسان  
الأبدية وبعبارة الأزلية  
إشارة إلى أنهم بالله

فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أتى لأخذه في أمته وبشره بأنه أسرع الناس خروجا من الأرض إذا بشوا وسيدم إذا جمعوا وأن الجنة محرمة على الأمم حتى تدخلها أمته فقال الآن قرت عيني (١) وقالت عائشة رضي الله عنها «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نقسه بسبع قرب من سبعة أبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحدودها لهم وأوصى بالأنصار فقال أما بعد يا معشر المهاجرين فانكم تزيدون وأصبحت الأنصار لا تزيد على هيئتها التي هي عليها اليوم وإن الأنصار عبيتي التي أوتيت إليها فأكرموا كريمهم بنى محسنهم وتجاوزوا عن سيئهم ثم قال إن بعدا خير بين الدنيا وبين ما عند الله فاختار ما عند الله فبكى أبو بكر رضي الله عنه وظن أنه يريد نفسه فقال النبي صلى الله عليه وسلم على رسلك يا أيها الكرسي وهذه الأبواب الشوارع في المسجد إلا باب أبي بكر فاني لا أعلم امرأة أفضل عندي في الصفة من أبي بكر (٢) قالت عائشة رضي الله عنها «قبض صلى الله عليه وسلم في بيتي وفي يومي وبين سحري ومغري وجمع الله بين ربيتي وريحته عند الموت فدخل علي أخي عبد الرحمن ويده سواك فجعل ينظر إلي ففرقت أنه يسببه ذلك فقلت له آخذه لك فأومأ برأسه أن نعم فخالته إياه فأدخله في فيه فاشتد عليه فقلت آله لك فأومأ برأسه أن نعم فليتني وكان بين يديه ركوة ماء فجعل يدخل فيها يده ويقول لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ثم نسب يده يقول الرفيق الأملئ الرفيق الأملئ فقلت إذن والله لا يغترنا (٣) وروى سعيد بن عبد الله عن أبيه قال لما رأيت الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد تقلا أطافوا بالمسجد فدخل العباس رضي الله عنه على النبي صلى الله عليه وسلم فأعلمه بمكالمهم وإشفاقهم ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك ثم دخل عليه على رضي الله عنه فأعلمه بمثل ذلك يده وقالها فتأولوه فقال ما تقولون فقالوا تقول نخشى أن تموت وتصاب نساؤم لاجتماع رجالهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فزار رسول الله ﷺ فخرج متوكئا على علي والفضل والعباس أمامه ورسول الله صلى الله عليه وسلم مصوب الرأس يخط برجله حتى جلس على أسفل مرقاة من اللبر وثاب الناس إليه فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس إنه بلغني أنكم تخافون على الموت كأنه استنكار منكم للموت وما تذكرون من موت نبيكم ألم أنع إليكم وتعي إليكم أشكم هل خلدني قبلي فيمن يمث فأخذه فيكم إلا نبي لاحق بربي وإنكم لاحقون به وإني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خير أو أوصي المهاجرين فبا بينهم فان الله عز وجل قال - والعصر إن الإنسان لئى خسر إلا الذين آمنوا - إلى آخرها وإن الأمور تجري بأذن الله فلا يحمانكم استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يجعل لمجلة أمد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه - فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أركانكم - وأوصيكم بالأنصار خير فانهم الذين تبوءوا الدار والدين من قبلكم

(١) حديث أنه صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عند موته من لأمتي يبدى فأوحى الله تعالى إلى جبريل أن بشر حبيبي أتى لأخذه في أمته الحديث الطبراني من حديث جابر وابن عباس في حديث طويل فيه من لأمتي للسلطنة من يبدى قال أجبر بأحبب الله فان الله عز وجل يقول قد حرمت الجنة على جميع الأنبياء والأمم حتى تدخلها أنت وأمتك قال الآن طابت نفسي وإسناده ضعيف (٢) حديث عائشة أمرنا أن نقسه بسبع قرب من سبعة أبار ففعلنا ذلك فوجد راحة فخرج فصلى بالناس واستغفر لأهل أحد الدار في مسنده وفيه إبراهيم بن الحنظل مختلف فيه عن محمد بن إسحق وهو مدلس وقد رواه بالضعف (٣) حديث عائشة قبض في بيتي وفي يومي وبين سحري ومغري وجمع الله بين ربيتي وريحته عند الموت الحديث متفق عليه .

ينطقون وقد قال تعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم «يُنطق» وهو الملم اللدني الذي قال الله تعالى فيه في حق الخضر - آتيناه رحمة من عندنا وعلما من لدنا تعلمناه لعلنا تلوته ألسنتهم من الكلمات فهمان بعضهم البعض وإشارة منهم إلى أحوال يجدونها ومعاملات قلبية يعرفونها قولهم الجمع والتفرقة قيل أصل الجمع والتفرقة قوله تعالى - شهد الله أنه لا إله إلا هو - فهذا جمع ثم فرق فقال وللأسفة وأولو العلم وقوله تعالى - آمنوا بالله - جمع ثم فرق بقوله - وما أزلنا - واجمع أصل والتفرقة

أَنْ نَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ أَلَمْ يَشَاطِرُواكُمْ الْفُتَارَ أَلَمْ يَوْسِعُوا عَلَيْكُمْ فِي الدِّيارِ أَلَمْ يَوْزُوكُمْ عَلَى أَنْتَسِمِ بِهِمْ الْخِصَاصَةَ  
أَلَا لَنْ وَلِي أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَيَلْقِيَهُنَّ مِنْ حَسَنِهِمْ وَلِيَتَجَاوَزَ عَنْ مَسِيئَتِهِمْ أَلَا وَلَا تَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ  
أَلَا وَإِنِّي قَرِطٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لَاحِقُونَ بِهِ أَلَا وَإِنْ مَوَعِدُكُمْ الْحَوْضَ حَوْضِي أَعْرَضَ مَحَابِينَ بِصَرِي النِّعَامِ  
وَعِنْدَهُ الْعَيْنُ يَسْبُ فِيهِ مِيزَابُ الْكَوْثَرِ مَا أَشَدَّ يَاسُناً مِنَ الْبَقْلِ وَالْبَيْنِ مِنَ الرِّيدِ وَأَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ  
مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ أَبَداً حِصَابُوهُ الْقَوْثُورُ وَيَطْحَاوُهُ السُّلُوكُ مِنْ حَرَمِهِ فِي لَوْقَتِ غَدَا حَرَمِ الْحَيَرِ كُلُّهُ  
أَلَا لَنْ أَحَبُّ أَنْ يَرِدَهُ عَلَى غَدَا فَيُكْنَفَ لِسَانُهُ وَيَدُهُ إِلَّا مَا يَبْنِي فَقَالَ الْعَبَّاسُ يَا نَبِيَّ أَفَأَوْسُ بَقَرِشٍ  
قَالَ إِنَّمَا أَوْسَى بِهَذَا الْأَمْرِ قَرِشًا وَالنَّاسُ تَبِعَ لَقَرِشٍ بِرَمْ يَرْمُ وَقَاجِرَمْ قَاجِرَمْ فَاسْتَوْصُوا  
أَلْ قَرِشِ بِالنَّاسِ خَيْرًا يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ الْقُدُوبُ تَبِعَ التَّمِيمَ وَتَبَدَّلَ الْقِسْمُ فَإِذَا بِرِ النَّاسِ بِرَمْ أَعْنِهِمْ  
وَإِذَا فُجِرَ النَّاسُ عَقُومُهُمْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى - وَكَذَلِكَ نَوَلَّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ - (١)  
وَرَوَى ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ « أَنْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْأَبِيِّ بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَلِ يَا أَبَا بَكْرٍ  
قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَنَا الْأَجَلَ قَالَ قَدْ دَنَا الْأَجَلَ وَتَدَلَّى لِيَنَّكَ يَا نَبِيَّ اللَّهُ مَعْنَدُ اللَّهِ فَلَبِثْتُ شَعْرَى  
عَنْ مَنَظِلُنَا قَالَ إِلَى اللَّهِ وَإِلَى سِدْرَةِ النَّهْشِ ثُمَّ إِلَى جَنَّةِ الْأَوَى وَالْقُدُوسِ الْأَمَلِيِّ وَالْكَأَسِ الْأَوْفَى  
وَالرِّفْقِ الْأَمَلِيِّ وَالْحِظِّ وَالْبَيْشِ لَهْنًا قَالَ يَا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَلَى غَسْلِكُمْ؟ قَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدْنَى فَأَلَدْنِي  
قَالَ قَتِيمٌ نَكْنَفُكَ؟ قَالَ فِي ثِيَابِي هَذِهِ وَفِي حُلَّةٍ بَيَاضَةٍ وَفِي يَاسُضٍ مِصْرٍ قَالَ كَيْفَ الصَّلَاةُ عَلَيْكَ مَا  
وَبَكِينًا وَبِكِي ثُمَّ قَالَ مَهْلًا غَفَرَ اللَّهُ لَكُمْ وَجَزَاكُمْ عَنْ نَيْبِكُمْ خَيْرًا إِذَا غَسَلْتُمُونِي وَكَفَفْتُمُونِي فَضُوءِي  
عَلَى سَرِيرِي فِي بَيْتِي هَذَا عَلَى شَعِيرِ قَبْرِي ثُمَّ أَخْرَجُوا عَنْ سَاعَةِ قَاتِلِ الْأَوْدَمِ صَلَّى عَلَى اللَّهِ وَعَازِلِهِ هُوَ  
الَّذِي صَلَّى عَلَيْكُمْ وَمَلَأْتِكُمْ - ثُمَّ يَأْذَنُ لِلْمَلَائِكَةِ فِي الصَّلَاةِ عَلَى قَاوُلٍ مَنْ يَدْخُلُ عَلَى مَنْ خَلَقَ اللَّهُ  
وَصَلَّى عَلَى جِبْرِيلَ ثُمَّ مِيكَائِيلَ ثُمَّ إِسْرَافِيلَ ثُمَّ مَلَكَ اللَّوْثِ مَعَ جُنُودٍ كَثِيرَةٍ ثُمَّ لِلْمَلَائِكَةِ بِأَجْمَعِهَا صَلَّى  
اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ ثُمَّ أَتَتْ قَادِخَاوُا عَلَى أَفْوَاجَا فَضَلُّوا عَلَى أَفْوَاجَا زَمْرَةً زَمْرَةً وَسَلُّوا سَاجِدًا وَلَا يُؤْذَنُ  
بِزُكَاةٍ وَلَا صَبِيحَةٍ وَلَا رَتَّةٍ وَلِيَدُائِ مَنْسَكِ الْإِمَامِ وَأَهْلُ بَيْتِي الْأَدْنَى فَأَلَدْنِي ثُمَّ زَمَرَ النِّسَاءُ ثُمَّ زَمَرَ الصِّبْيَانُ  
قَالَ لَنْ يَدْخُلَكَ الْقَبْرِ؟ قَالَ زَمَرَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي الْأَدْنَى فَأَلَدْنِي مَعَ مَلَائِكَةٍ كَثِيرَةٍ لَا رَوْنَهُمْ وَمِنْ رَوْنِهِمْ  
قَوْمُوا فَأَدَاوَا عَنْهُ إِلَى مَنْ بَعْدِي (٢) « قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَمْرَةَ جَاءَ بِاللَّيْلِ أُولُ شَهْرِ رَيْحِ الْأَوَّلِ فَأَذَنَ  
بِالصَّلَاةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ « مَرُوا أَبَا بَكْرٍ صَلَّى بِالنَّاسِ خَرَجَتْ فَلَمْ أَرِ بِحَضْرَةِ الْبَابِ إِلَّا عَمْرُو  
رَجُلٌ لَيْسَ فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ فَقُلْتُ قَدْ يَأْمُرُ فَصَلَّ بِالنَّاسِ قَامَ عَمْرُو فَمَا كَبَّرَ وَكَانَ رَجُلًا صَيَّنًا مَعَ  
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَهُ بِالتَّكْبِيرِ فَقَالَ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ يَا نَبِيَّ اللَّهُ ذَلِكَ وَالسَّلُوكُ قَالَهُمَا ثَلَاثَ  
مَرَّاتٍ مَرُوا أَبَا بَكْرٍ فَيُصَلِّ بِالنَّاسِ قَالَتْ حَاضِرَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنْ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَفِيقٌ  
الْقَلْبِ إِذَا قَامَ فِي مَقَامِكَ غَلِبَهُ الْبُكَاءُ فَقَالَ إِنْ كُنَّ صَوِّعِبَاتٍ يَوْسُفَ مَرُوا أَبَا بَكْرٍ فَيُصَلِّ بِالنَّاسِ

(١) حَدَّثَ سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ لَمَّا رَأَتْ الْأَنْصَارُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
يَزْدَادُ تَقَالُطًا فَوَافُوا بِالْمَسْجِدِ فَدَخَلَ الْعَبَّاسُ فَأَعْلَمَهُ بِمَكْلَمِهِمْ وَاشْتَفَاقِهِمْ فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِي خُرُوجِهِمْ مَتَوَكِّفًا  
مُصَوَّبَ الرَّأْسِ يَخْطُ رَجُلِيهِ حَتَّى جَلَسَ عَلَى أَسْفَلِ مِرْقَاةٍ مِنَ اللَّبَرِّ فَذَكَرَ خُطْبَتَهُ بِطَوَّلِهَا هُوَ حَدَّثَ  
مُرْسِلٌ ضَعِيفٌ وَفِيهِ نِكَارَةٌ وَلَمْ أَجِدْ لَهُ أَصْلًا وَأَبُوهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ ضَرَّارٍ بْنُ الْأَزْوَريِّ تَابِيٌّ - رَوَى عَنْ  
ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ أَبُو حَاتِمٍ فِيهِ وَفِي أَبِيهِ سَعِيدٌ لَيْسَ بِالْقَوِي (٢) حَدَّثَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ  
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لِلْأَبِيِّ بَكْرٍ سَلِ يَا أَبَا بَكْرٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ دَنَا الْأَجَلَ قَالَ قَدْ دَنَا الْأَجَلَ الْحَدِيثُ فِي  
سُؤَالِهِمْ لَهُ مَنْ عَلَى غَسْلِكَ وَفِيهِ نَكْنَفُكَ وَكَيْفِيَّةُ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ فِي الطَّبَقَاتِ عَنْ عُمَرَ  
ابْنِ عَمْرِو هُوَ الْوَأَقْدَى بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ إِلَى ابْنِ عَوْفٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ مُرْسِلٌ ضَعِيفٌ كَأَحْمَدٍ.

فزع لكل جمع  
بلا ضربة زندقه  
وكل ضربة بلا جمع  
تعطيل . وقال الجنيدي  
القرب بالوجد جمع  
وغنيته في البشرية  
تفرقة وقيل جمعهم في  
الفرقة وفرقهم في  
الأحوال والجمع اتصال  
لا يشاهد صاحبه إلا  
الحق فحق شاهد غيره  
لما جمع والتفرقة مشهود  
لأن شاء بالمباينة  
وعباراتهم في ذلك  
كثيرة والمقصود أنهم  
أغاروا بالجمع إلى  
تجريد التوحيد  
وأشاروا بالتفرقة إلى  
الاكتساب فحق هذا  
لا جمع إلا بتفرقة  
ويقولون فلان في عين  
الجمع ينون استيلاء

قال صلى أبو بكر بعد الصلاة التي صلى عمر فكان عمر يقول لبيد الله بن زمة بذلك وبحكم ماذا صنعت لي والله لولا أني ظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك ما ضللت فيقول عبد الله إن لم أر أحدا أولى بذلك منك قالت عائشة رضي الله عنها وما قلت ذلك ولا صرفته عن أبي بكر إلا لرغبة به عن الدنيا ولما في الولاية من المخاطرة والمهلكة إلا من سلم الله وخشيت أيضا أن لا يكون الناس يحبون رجلا صلى الله مقام النبي صلى الله عليه وسلم وهو حي أبدا إلا أن يشاء الله فيجسدونه ويغنون عليه ويشاءون به فأذن الأمر أمر الله والقضاء قضاءه وعصمه الله من كل ما غفوت عليه من أمر الدنيا والدين <sup>(١)</sup> وقالت عائشة رضي الله عنها فما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار ففرق عنه الرجال إلى ما نزلهم وجواهمهم مستبشرين وأخفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم بالنساء فينا نحن على ذلك لم نكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قبل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اخرجني عن هذا للكم يستأذن علي فخرج من في البيت غيры ودأبه في حجرى » جلس وتحتيت في جانب البيت فاجبى الملك طويلا ثم إنه دعاني فأعدوا رأسه في حجرى وقال لئن شئت أدخلت ما هنا بحس جبريل عليه السلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أجل يا عائشة هذا ملك الموت جاءني فقال إن الله عز وجل أرسلني وأمرني أن لا أدخل عليك إلا بأذن فان لم تأذن لي أوجع وإن أذنت لي دخلت وأمرني أن لا أقضك حتى تأمرني فماذا أمرك قلت لكف عني حتى يأتي جبريل عليه السلام فهذه ساعة جبريل قالت عائشة رضي الله عنها فاستقبلت بأمر لم يكن له عندنا جواب ولا رأى فوجنا وكأنا ضربنا بصخرة مانعير إليه شيئا وما يتكلم أحد من أهل البيت إعظاما لذلك الأمر وهيبة ملائكة أجوافنا قالت وجاء جبريل في ساعته فلم تعرف حبه خرج أهل البيت فدخل فقال إن الله عز وجل يقرأ عليك السلام ويقول كيف تجدك وهو أعلم بالله تجد منك ولكن أراد أن يزيدك كرامة وشرفا وأن يتم كرامتك وشرفك على الخلق وأن تكون سنة في أمك قال أجدني وجعا قال أجز فان الله تعالى أراد أن يملكك ما أعدك قال يا جبريل إن ملك الموت استأذن علي وأخبره الخبر فقال جبريل يا محمد إن ربك إليك مشتاق ألم يهلك الذي يربدك لا والله ما استأذن ملك الموت على أحد قط ولا يستأذن عليه أبدا إلا أن ربك متم شرفك وهو إليك مشتاق قال فلا تبرح إذن حتى يمضي وأذن لفساء قال يا فاطمة ادني فأكبتي عليه فاجأها فرفضت رأسها وعيناها تدمع وما تطيق الكلام ثم قال أدني مني رأسك فأكبتي عليه فاجأها فرفضت رأسها وهي تضحك وما تطيق الكلام فكان الذي رأينا منها هيبا فساءت بها بعد ذلك فقالت أخبروني وقال إنى ميت اليوم فكبت ثم قال إنى دعوت الله أن يهلكك بي في أول أهلي وأن يملكك معي فضحكت وأدنت أنفها منه فشمهما قالت وجاء ملك الموت فلم واستأذن فأذن له فقال لك سائرا ثم أتى يا محمد فقال ألعنني ربى الآن فقال بلى من يومك هذا أما إن ربك إليك مشتاق ولم يتردد عن أحد زوده عنك

(١) حديث عبد الله بن زمة جاء به في أول ربيع الأول فأذن بالصلاة فقال النبي صلى الله عليه وسلم مروا أبا بكر فابسل بالناس فخرجت فلم أر بحضرة الباب إلا عفر في رجال ليس فيهم أبو بكر الحديث أبو داود بإسناد جيد نحوه مختصرا دون قوله فقالت عائشة إن أبا بكر رجل رقيق إلى آخره ولم يقل في أول ربيع الأول وقال مروا من يصلى بالناس وقال بآبي الله ذلك وللؤمنون مرتين وفي رواية له قال لا لا لا ليل للناس إن أبى صفانة يقول ذلك مغضبا وأما ما في آخره من قول عائشة في الصحيحين من حديثها فقالت عائشة يا رسول الله إن أبا بكر رجل رقيق إذا قام مقامك لم يسمع الناس من البكاء فقال إنك إن سكن صواحبات يوسف مروا أبا بكر فابسل بالناس .

مرقبة الحق على باطله  
فإذا عاد إلى شيء من  
أعماله عاد إلى التفرقة  
فصحة الجمع بالتفرقة  
وصحة التفرقة بالجمع  
فهذا يرجع حاصله  
إلى أن الجمع من العلم  
بالله والتفرقة من العلم  
بأمر الله ولا بد منهما  
جميعا . قال الزين  
الجمع عين القضاء بالله  
والتفرقة البسوبة  
متصل بعضها ببعض  
وقد غلط قوم وادعوا  
أنهم في عين الجمع  
وأهملوا إلى صرف  
التوحيد وعطلوا  
الاكتساب فزندقوا  
ولما أجمع حكم الروح  
والتفرقة حكم القالب  
وما دلم هذا التركيب  
بأفيا فلا بد من الجمع

ولم ينه عن الدخول على أحد إلا بآذن غيره ولكن ساعتك أمامك وخرج قالت وجاء جبريل فقال السلام عليك يا رسول الله هذا آخر ما نزل فيه إلى الأرض أبدأطوى الوحي وطويت الدنيا وما كان لي في الأرض حاجة غيرك ومالي فيها حاجة إلا حضورك ثم لزوم موقفي لا والله يا محمد بالحق ما لي البيت أحد يستطيع أن يحير إلي في ذلك كلمة ولا يثبت إلى أحد من رجاله لعظم ما يسمع من حديثه ووجدنا وإشفاقا قالت قصمت إلى النبي ﷺ حتى أضمر رأسه بين ثديي وأمسكت بصدري وجعل يضي عليه حتى يظلم وجهه ترشح ترشعا مارأته من إنسان قط فجعلت أسأل ذلك الفرق وما وجدت راحة شيء أطيب منه فكنت أقول له إذا أفاق بأبي أنت وأمي وتقي وأهل ما تلقى جهنك من الرشح فقال يا عائشة إن نفس المؤمن تخرج بالرشح ونفس الكافر تخرج من شذيقه كنفس الحمار فعند ذلك ارتبنا وبشنا إلى أهلنا فكان أول رجل جاءنا ولم يشهد أخى بيته إلى أبي قتات رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يمضي أحد وإعما صدم الله عنه لأنه ولاه جبريل وميكائيل وجعل إذا أغمي عليه قال بل الرقيق الأمل كان الحيرة تعاد عليه فإذا أطلق الكلام قال هذه الصلاة الصلاة إنكم لا تزالون متاسكين ماصلين جميعا الصلاة الصلاة كان يوصي بها حتى مات وهو يقول الصلاة الصلاة (١) قالت عائشة رضي الله عنها مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانصاف النهار يوم الاثنين (٢) قالت فاطمة رضي الله عنها ما لقيت من يوم الاثنين والله لا تزال الأمة تصاب فيه بمطبعة

(١) حديث عائشة لما كان اليوم الذي مات فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم رأوا منه خفة في أول النهار فتفرق عنه الرجال إلى منازلهم وحوالهم مستبشرين وأخبروا رسول الله ﷺ بالنساء فبينما نحن على ذلك لم يكن على مثل حالنا في الرجاء والفرح قيل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجني عنى هذا ذلك يستأذن على الحديث بطوله في مجي ملك اللوت ثم ذهب ثم مجي جبريل ثم مجي ملك اللوت ووفاته صلى الله عليه وسلم الطبراني في الكبير من حديث جابر وابن عباس مع اختلاف في حديث طويل فيه فلما كان يوم الاثنين اشتد الأمر وأوحى الله إلى ملك اللوت أن اهبط إلى جبري وصفي محمد صلى الله عليه وسلم في أحسن صورة وارقب به في قبض روحه وفيه دخوله ملك اللوت واستئذنه في قبضه فقال يا ملك اللوت أين خلفت جبري قال خلفته في سما الدنيا ولللائكة يزونه فيك فلما كان بأسرع أن أتاه جبريل فقعده عند رأسه وذكر بشارة جبريل له بما أعد الله له وفيه أدن يا ملك اللوت فأنته إلى ما أمرت به الحديث وفيه فدنا ملك اللوت ببالغ قبض روح النبي صلى الله عليه وسلم وذكر كربه لذلك إلى أن قال قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو حديث طويل في ورقتين كبار وهو منكر وفيه عبد الله بن إدريس ابن سنان عن أبيه عن وهب بن منبه قال أحمد كان يكذب على وهب بن منبه وأبوه إدريس أيضا متروك قاله الدارقطني ورواه الطبراني أيضا من حديث الحسين بن علي أن جبريل جاءه أولا فلقاه عن ربه كيف تمجد ثم جاءه جبريل اليوم الثالث ومعه ملك اللوت وملك الهواء إسماعيل وأن جبريل دخل أولا فأنساه ثم استأذن ملك اللوت وقوله امض لما أمرت به وهو منكر أيضا وفيه عبد الله بن ميمون القداح قال البخاري ذاهب الحديث ورواه أيضا من حديث ابن عباس في مجي ملك اللوت أولا واستئذنه قوله إن ربك يقرئك السلام فقال ابن جبريل فقال هو قارب مني الآن يأتي فخرج ملك اللوت حتى نزل عليه جبريل الحديث وفيه المختار بن ثعلبة منكر الحديث.

(٢) حديث عائشة مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ارتفاع الضحى وانصاف النهار يوم الاثنين رواه ابن عبد البر .

والنفرة . وقال الواسطي إذا نظرت إلى نفسك فرقت وإذا نظرت إلى ربك جمعت . وإذا كنت قائما بفرك فأنت فان بلا جمع ولا نفرة . وقيل جمعهم بذاته وفرقهم في صفاته وقد يريدون بالجمع والنفرة أنه إذا أثبت لنفسه حكما ونظرا إلى أعماله فهو في النفرة وإذا أثبت الأشياء بالحق فهو في الجمع ومجموع الاشارات وبني أن الكون يفرق والمكون يجمع فمن أفرد المكون جمع ومن نظرا إلى الكون فرق فالنفرة عبودية والجمع توحيد فإذا

وقالت أم كلثوم يوم أصيب على كرم الله وجهه بالكوفة مثلها ما لقيت من يوم الاثنين مات في رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه قتل أبي فمأقبت من يوم الاثنين وقالت عائشة رضي الله عنها لما مات رسول الله ﷺ اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم لللائكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فماتكم إلا بعد البعد وخط آخرون فلأثوا الكلام بغير بيان وبقي آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون فكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يميت ولم ير جمعه الله عز وجل وليتظن أيدي وأرجل رجاله من اللواقين يتنبون رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت إنما واعد الله عز وجل كما واعد موسى وهو آتيكم<sup>(١)</sup> وفي رواية أنه قال : يا أيها الناس كنوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يميت والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا علوته بسيفي هذا . وأما علي فإنه أقعد فلم يرح في البيت وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والهدى وإن كان الناس لم يعرفوا إلا قول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وبلغ أبي بكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فظفر إليه ثم أكب عليه قبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يبدر محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يبدر رب محمد فإنه حي لا يموت قال الله تعالى - وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم -<sup>(٢)</sup> الآية فكان الناس لم يسموا هذه الآية إلا يومئذ وفي رواية : أن أبا بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهلان وغصه ترضع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد القمل والقال فأكسب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يكي ويقول : بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت

(١) حدثت عائشة لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ لللائكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فماتكم إلا بعد البعد وخط آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون وكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يميت ولم ير جمعه الله عز وجل وليتظن أيدي وأرجل رجاله من اللواقين يتنبون رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت إنما واعد الله عز وجل كما واعد موسى وهو آتيكم<sup>(١)</sup> وفي رواية أنه قال : يا أيها الناس كنوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يميت والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا علوته بسيفي هذا . وأما علي فإنه أقعد فلم يرح في البيت وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والهدى وإن كان الناس لم يعرفوا إلا قول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وبلغ أبي بكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فظفر إليه ثم أكب عليه قبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يبدر محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يبدر رب محمد فإنه حي لا يموت قال الله تعالى - وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم -<sup>(٢)</sup> الآية فكان الناس لم يسموا هذه الآية إلا يومئذ وفي رواية : أن أبا بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهلان وغصه ترضع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد القمل والقال فأكسب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يكي ويقول : بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت

(٢) حدثت عائشة لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتحم الناس حين ارتفعت الرنة وسجى رسول الله ﷺ لللائكة بثوبه فاختلفوا فكذب بعضهم بموته وأخرس بعضهم فماتكم إلا بعد البعد وخط آخرون معهم عقولهم وأقعد آخرون وكان عمر بن الخطاب فيمن كذب بموته وعلى فيمن أقعد وعثمان فيمن أخرس فخرج عمر على الناس وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يميت ولم ير جمعه الله عز وجل وليتظن أيدي وأرجل رجاله من اللواقين يتنبون رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت إنما واعد الله عز وجل كما واعد موسى وهو آتيكم<sup>(١)</sup> وفي رواية أنه قال : يا أيها الناس كنوا ألسنتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لم يميت والله لا أسمع أحدا يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات إلا علوته بسيفي هذا . وأما علي فإنه أقعد فلم يرح في البيت وأما عثمان فجعل لا يكلم أحدا يؤخذ بيده فيجاء به ويذهب به ولم يكن أحد من المسلمين في مثل حال أبي بكر والعباس فإن الله عز وجل أيدهما بالتوفيق والهدى وإن كان الناس لم يعرفوا إلا قول أبي بكر حتى جاء العباس فقال والله الذي لا إله إلا هو لقد ذاق رسول الله صلى الله عليه وسلم الموت ولقد قال وهو بين أظهركم - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - وبلغ أبي بكر الخبر وهو في بني الحارث بن الخزرج فجاء ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فظفر إليه ثم أكب عليه قبله ثم قال بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما كان الله ليذيقك الموت مرتين فقد والله توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج إلى الناس فقال أيها الناس من كان يبدر محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يبدر رب محمد فإنه حي لا يموت قال الله تعالى - وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم -<sup>(٢)</sup> الآية فكان الناس لم يسموا هذه الآية إلا يومئذ وفي رواية : أن أبا بكر رضي الله عنه لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهلان وغصه ترضع كقصع الجرة وهو في ذلك جلد القمل والقال فأكسب عليه فكشف عن وجهه وقبل جبينه وخديه ومسح وجهه وجعل يكي ويقول : بأبي أنت وأمي ونفسي وأهلي طبت

أثبت طاعته نظرا إلى كسبه فرق وإذا أثبتنا بالله جمع وإذا تحقق بالقائه فهو جمع الجمع ويمكن أن يقال رؤية الأفعال بفرقة ورؤية الصفات جمع ورؤية الذات جمع الجمع . مثل بعضهم عن حال موسى عليه السلام في وقت الكلام فقال : أفنى موسى عن موسى فلم يكن لموسى خبر من موسى ثم كان فكان الكلام والكلم هو وكيف كان يطبق موسى حمل الخطاب وردة الجواب لولا إلهام مع ومعنى هذا أن الله تعالى منحه قوة تلك

حيا وميتا انقطع موتك ما لم ينقطع موت أحد من الأنبياء والنبيوة فضلمت عن الصفة وجللت عن البكاء وخصمت حتى صرحت مسلاة وعممت حتى صرنا فيك سواء ولولا أن موتك كان اختيارا منك لجدا لحزنك بالفوس ولولا أنك نهيت عن البكاء لأتقدنا عليك ماء العيون فأما ما لا نستطيع فيه عنا فكذلك وادكار محالان لا يبرحان اللهم فأبلغه عنا أذكرنا بأحمد صلى الله عليه عند ربك ولكن من بالك فلولا ما خلفت من السكينة لم يتم أحد لما خلفت من الوحشة اللهم أبلغ نيك عنا واحفظه فينا (١). وعن ابن عمر أنه لما دخل أبو بكر البيت وصلى وأثنى على أهل البيت عجب عجب بجماعهم أهل الصل كما ذكر شيئا ازدادوا لها سكن عجبهم إلا تسليم رجل على الباب صبت جلد قال السلام عليكم بأهل البيت - كل نفس ذائقة الموت - الآية إن في الله خلقا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فأنهم فارجوا وبه فتقوا فاستموا له وأنسكروا وقطعوا البكاء فلما انقطع البكاء تقدموه فاطمة أحدهم فلم ير أحدا ثم عادوا فبكوا فادام مناد آخر لا يرفون صوته بأهل البيت أذكروا الله وأحمدوه على كل حال تبهكونوا من المخلصين إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فأنهم فأنظروا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر هذا الحضر والبسع عليها السلام حضرا النبي صلى الله عليه وسلم (٢) واستوفى القصاص بن عمرو حكاية خطبة أبي بكر رضى الله عنه فقال قام أبو بكر في الناس خطيبا حيث قضى الناس عبراتهم بخطبة جلها الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم حمد الله وأثنى عليه

(١) حديث إن أبا بكر لما بلغه الخبر دخل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وعيناه تهلان وغصصه ترتفع كقصع الجيرة وهو في ذلك جلد القتل والقتال فأبك عليه فكشف الثوب عن وجهه الحديث إلى قوله واحفظه فينا إن في الدنيا في كتاب العزاء من حديث ابن عمر باسناد ضيف جاء أبو بكر ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسحى فكشف الثوب عن وجهه الحديث إلى آخره (٢) حديث ابن عمر في صماع الترمذية به صلى الله عليه وسلم إن في الله خلقا من كل أحد ودركا لكل رغبة ونجاة من كل مخافة فأنهم فارجوا وبه فتقوا ثم صموا آخر بعده إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل رغبة فأنهم فأنظروا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر هذا الحضر والبسع لم أجد فيه ذكر البسع وأما ذكر الحضر في الترمذية فأنكر التوى وجوده في كتب الحديث وقال إنما ذكره الأصحاب قلت بل قد رواه الحاكم في المستدرک في حديث أنس ولم يصححه ولا يصح ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب العزاء من حديث أنس أيضا قال لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع أصحابه حوله ليكون قد دخل عليهم رجل طويل شعر للشكيب في إزار ورداء يخطي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أخذ بضادتي باب البيت فبكى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أتبل على أصحابه فقال إن في الله عزاء من كل مصيبة وعوضا من كل خائف وكل هالك قال في الله تعالى فأنظروا ونظروا إليكم في البلاء فأنظروا فإن للصاب من لم يحجره الثواب ثم ذهب الرجل فقال أبو بكر على الرجل فأنظروا وبأمره فاعملوا فقال أبو بكر لعل هذا الحضر أخونا عليه السلام جاء يزيينا ورواه الطبراني في الأوسط وإسناده ضعيف جدا ورواه ابن أبي الدنيا أيضا من حديث علي بن أبي طالب لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء أت نسع حسولا ترى شخصه قال السلام عليكم ورحمة الله وبركاته إن في الله عوضا من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فأنهم فأنظروا وبأمره فارجوا فإن المحروم من حرم الثواب والسلام عليكم فقال على تدرون من هذا هو الحضر وفيه عهد بين جعفر الصادق تسلم فيه وفيه انقطاع بين علي بن الحسين وبين جده علي والعروف عن علي بن الحسين مرسل من غير ذكر على كما رواه الشافعي في الأم وبس في ذكر الحضر.

القصة مع ولولا  
تلك القوة ما قدر  
على السمع ثم أئند  
القاتل متمثلا :

وبدا له من بعد  
ما اندمل الهوى  
بقى تألق موهنا  
لحانه

يدو كاشبة الرداء  
ودوه  
صب القدر متنع  
أركانه

فبدا لينظر كيف للاح  
فلم يطق  
نظرا إليه ورده  
أشجانه

فالتار ما اغتملت عليه  
شالعه  
والله ما جمعت به  
أجانه

ومنا قولهم التجل  
والاستقرار قال الجند

على كل حال وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فقه الحمد وحده وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد أن الكتاب كائلا وأن الدين كائلا سرعان وأن الحديث كائلا حدث وأن القول كائلا قال وأن الله هو الحق الذين الهم فضل على محمد عبدك ورسولك ونبيك وحبيبك وأمينك وخيرتك وصفوك بأفضل ما صليت به على أحد من خلقك اللهم واجعل صلواتك ومعافاةك وزحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وخاتم النبيين وإمام التلقين محمد قائد الخير وإمام الخير ورسول الرحمة اللهم قرب زلفته وعظم برهانه وكرم مقامه وابته مقاما محمودا بفضله بالأولون والآخرون وانفعنا بجماله يوم المأمود يوم القيامة واخلفه في الدنيا والآخرة وبلغه الدرجة والوسيلة في الجنة اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم إنك حميد مجيد أيها الناس إنه من كان يعبده محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبده الله فإن الله حي لم يمت وإن الله قد تقدم إليكم في أمره فلا تدعوه جزعا فإن الله عز وجل قد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم ماعدته على ما عندكم وقضه إلى ثوابه وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم فمن أخذ بهما عرف ومن فرق بينهما أضر - يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط - ولا يفتلكم الشيطان بموت نبيكم ولا يفتنكم عن دينكم وعاجلوا الشيطان بالخير تعجزوه ولا تنتظروه فيلحق بكم ويقتسمكم - وقال ابن عباس لما فرغ أبو بكر من خطبته قال يا عمر أنت الذي بلغني أنك تقول ما مات نبي الله صلى الله عليه وسلم أما ترى أن نبي الله صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا: كذا وكذا اليوم كذا: كذا وكذا وقال تعالى في كتابه - إنك ميت وإنهم ميتون - فقالوا والله لك أني نسمع به في كتاب الله قبل الآن لما نزل بنا أشهد أن الكتاب كائلا وأن الحديث كائلا حدث وأن الله حي لا يموت - إنا لله وإنا إليه راجعون - وصلوات الله على رسوله وعند الله تحسب رسوله صلى الله عليه وسلم ثم جلس إلى أبي بكر - وقالت عائشة رضي الله عنها لما اجتمعوا لصلته قالوا: والله ما ندري كيف نقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبجده عن ثيابه كما نضع بموتانا أو نسله في ثيابه قالت فأرسل الله عليهم النوم حتى ما يرى منهم رجل إلا واهض لحته على صدره ما نأمنه قالوا لا يدري من هو عدلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه ثيابه فاتهبوا ففعلوا ذلك فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم في قبره حتى إذا فرغوا من غسله كفن وقال على كرم الله وجهه أردنا خلع قبره فنودينا لا نخلعوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ثيابه فأقررنه ففسلناه في قبره كما نعمل موتانا مستلقيا ما نشاء أن نلقب لنا منه عضو لم يخال فيه إلا قلب لنا حتى نمرغ منه وإن معنا خفيًا في البيت كالريح الرخاء وبسوت بنا ارققوا رسول الله ﷺ فانكم تشكفون فهكذا كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يترك سبدا ولا لدا إلا دفن معه قال أبو جعفر فرش لخدمه بعرش وقطيفة وغرست ثيابه عليها التي كان يلبس يقظان على القطيفة والفرش ثم وضع عليها في أكفانه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنين في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قسبة على قسبة (١) ففي وفاته عبرة تامة للمسلمين به أسوة حسنة .

(وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه)

لما احتضر أبو بكر رضي الله تعالى عنه جاءت عائشة رضي الله عنها فتمثلت بهذا البيت :

(١) حديث أبي جعفر فرش لخدمه بعرشه وقطيفة وفيه فلم يترك بعد وفاته مالا ولا بنين في حياته لبنة على لبنة ولا وضع قسبة على قسبة أما وضع للفرشة والقطيفة فالذي وضع القطيفة شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس ذكر ذلك من شرط كتابنا وأما كونه لم يترك مالا فقد تقدم من حديث عائشة وغيرها وأما كونه ما بين في حياته فقد تقدم أيضا .

إنما هو تأديب وتهذيب وتذويب فالتأديب محل الاستتار وهو للعوام والتهذيب للخواص وهو للتجني والتذويب للأولياء وهو للمشاهدة وحاصل الاشارات في الاستتار والتجني راجع إلى ظهور صفات النفس . (ومنها الاستتار) وهو إشارة إلى غيبة صفات النفس بكمال قوة صفات القاب (ومنها التجني) ثم التجني قد يكون بطريق الأفعال وقد يكون بطريق الصفات وقد يكون بطريق الذات والحق تعالى أبقى على الحواس موضع الاستتار رحمة منه

لمسرك ما ينسى الثراء عن الفنى إذا حشر جرت يوما وصاق بها الصدر فكشف عن وجهه وقال ليس كذا ولكن قولى - وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد - انظروا ثوبى هذين فاغسلوهما وكذبوني فهما فان الحق - إلى الجديد أخرج من البيت . وقالت عائشة رضى الله عنها عند موته :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ريح اليتامى عصمة للأرامل

قال أبو بكر ذاك رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلوا عليه فقالوا ألا ندعوك طيبا بنظر إليك ؟ قال قد نظر إلى طبيي وقال إني ضال لما أريد . ودخل عليه سلمان الفارسي رضى الله تعالى عنه بوجهه فقال يا أبا بكر أوصنا قال : إن الله طامع عليكم الدنيا فلا تأخذن منها إلا بلاغك . واعلم أن من صلى صلاة الصبح فهو في ذمة الله فلا تحزنن الله في ذمته فيكبك في النار على وجهك . ولما قتل أبو بكر رضى الله تعالى عنه وأراد الناس منه أن يستخاف فاستخاف عمر رضى الله عنه فقال الناس له استخلفت علينا فظا غليظا لماذا تقول لربك قال أقول استخافت على خافك خير خافك ثم أرسل إلى عمر رضى الله عنه فبعاء قال إني موصيك بوصية . اعلم أن حق في النهار لا يتقبله في الليل وأن حق في الليل لا يتقبل في النهار وأنه لا يقبل النافعة حتى تؤدى الفريضة وإنما خلت موازين من قبلت موازينهم يوم القيامة بأبائهم الحق في الدنيا وقته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الحق أن يتقل وإنما خنت موازين من خنت موازينهم يوم القيامة باتباع الباطل وخنته عليهم وحق لميزان لا يوضع فيه إلا الباطل أن ينفذ وإن الله ذكر أهل الجنة بأحسن أعمالهم وتجاوز عن سيئاتهم فيقول القائل أنا دون هؤلاء . ولا يبلغ مبلغ هؤلاء . فان الله ذكر أهل النار بأسوأ أعمالهم ورد عليهم صالح الذي عملوا فيقول القائل أنا أفضل من هؤلاء . وإن الله ذكر آية الرحمة وآية العذاب ليكون المؤمن راغباً رابها ولا يلقى يديه إلى الهلكة ولا يتعنى على الله غير الحق فان حفظت وصيتي هذه فلا يكون غائباً أبداً إليك من الموت ولا بد لك منه . وإن كنت سعيد بن السيب لما احتضر أبو بكر رضى الله عنه أتاه ناس من الصحابة فقالوا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم زدونا فانا نراك لما بك . قال أبو بكر من قال هؤلاء الكلمات ثم مات جعل الله روحه في الأفق البين قالوا وما الأفق البين ؟ قال قاع بين يدي العرش فيه رياض الله وأشجار وأشجار يشاء كل يوم مائة رحمة فمن قال هذا القول جعل الله روحه في هذا المكان : اللهم إني أبتدأت الخلق من غير حاجة بك إليهم ثم جعلتهم فريقين فريقاً للنعم وفريقاً للسعير فأجعلني للنعم ولا تجعلني للسعير . اللهم إني خلقت الخلق فرقا وميزتهم قبل أن تحلقهم فجعلت منهم ثقيا وسعيدا وغويا ورشيذا فلا تشقى بمصائبك . اللهم إني علمت ما تكسب كل نفس قبل أن تحلقها فلا تحبس لها معاملة فاجعلني ممن تستعمله بطاعتك . اللهم إن أحدا لا يشاء حتى تشاء فأجعل مشيتك أن أشاء ما يقربني إليك . اللهم إني قد قدرت حركات العباد فلا تحرك شيئا إلا بأذنك فأجعل حركاتي في ثوابك . اللهم إني خلقت الخير والشر وجعلت لكل واحد منهما عاملا بعمله فأجعلني من خير القسمين . اللهم إني خلقت الجنة والنار وجعلت لكل واحد منهما أهلا فأجعلني من سكان جنتك . اللهم إني أردت بقوم الضلال وضيق به صدورهم فأنشر صدري للإيمان وزينه في قلبي . اللهم إني دبرت الأمور وجعلت مصيرها إليك فأخين بعد الموت حياة طيبة وقربني إليك زلمي . اللهم من أصبح وأمسى تقته ورجاؤه غيرك فأنت تقى ورجاؤى ولا حول ولا قوة إلا بالله قال أبو بكر هذا كله في كتاب الله عز وجل .

لهم وقبرهم فأما لهم فلائهم به يرجعون إلى مصالح النفوس وأما لتبرهم فلائهم لولا مواضع الاستقرار لم ينتفع بهم لاستقرارهم في جمع الجمع وبروزهم في الواحد القهار . قال بعضهم علامة تحمل الحق لأسراره هو أن لا يصدد السر ما يسلط عليه التعبير ويحويه القهم فمن عبر أوفهم فهو صاحب استدلال لا ناظر اجلال . وقال بعضهم التسجلى رضع حجة البشرية لأن يتلون ذات الحق عز وجل والاستقرار أن تكون البشرية حائلة بينك وبين شهود النبي . ومنها التجريد والتفريد

( وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه )

قال عمرو بن ميمون كنت قائما غداة أصيب عمر مائني وبينه بالإعبد الله بن عباس وكان إذا مر بين الصنفين قام بينهما فإذا رأى خلا قال استنوا حتى إذا لم يرفهم خلا تقدم فسكر قال وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس فمأهوا إلا أن كبر فسمعت يقول قتلني أو أكلني السكب حين طمنه أبو لؤلؤة وطار الملح بسكين ذات طرفين لا يمر على أحد ميتا أو مهنلا إلا طمنه حتى طمن ثلاثة عشر رجلا فمات منهم تسعة وفي رواية سبعة فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما غلن الملح أنه مأخوذ نحر نفسه ، وتناول عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه قائما من كان يلي عمر فقد رأى ما رأيت وأما واهي السجد ما يدرون ما الأمر غير أنهم قد دوا صوت عمر وهم يقولون سبحان الله سبحان الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن صلاة خفيفة فلما انصرفوا قال يا ابن العباس انظر من قتاني قال فتاب ساعة ثم جاء فقال غلام النيرة بن شعبة قال عمر رضي الله عنه قاتله الله لقد كنت أمرت به معروفا ، ثم قال الحمد لله الذي لم يجعل مني يدا رجل مسلم قد كنت أمت وأبولك عجمان أن يكثر العلوج بالمدينة وكان العباس أكرهم رفقيا فقال ابن عباس إن شئت فقلت : أي إن شئت فقلناهم قال بعد ما تكلموا بلسانكم وصلوا إلى قبلكم وحجوا حجبكم فاحتمل إلى بيته فأنطلقا معه قال وكان الناس لم تصيب مصيبة قبل يومئذ قال قتائل يقول لأخاف عليه وقائل يقول لأبأس فأني بنبيذ ضرب منه فخرج من جوفه ثم أتى بلبن ف ضرب منه فخرج من جوفه فصرخوا أنه ميت قال فدخلنا عليه وجاء الناس يشنون عليه وجاء رجل شاب فقال أشر يا أمير المؤمنين يشرى من الله عز وجل قد كان لك محبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدم في الإسلام ما قد علمت ثم ولت فعدلت ثم شهادة فقال وددت أن ذلك كان كفافا لاعي والي فلما أدبر الرجل إذا بإزاره يمس الأرض فقال ردوا على الفلام فقال يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أشفى لك وبك وأشفى لربك ثم قال يا عبد الله انظر مالي من الدين لحسبه فوجدوه ستة وثمانين ألفا ونحوه فقال إن وفي به مال آل عمر فأده من أموالهم وإلا فصل في بني عدي بن كعب فإن لم تضأموهم فسل في قريش ولا تقدم إلى غيرهم وأد عني هذا المال انطلق إلى أم المؤمنين عائشة فقل عمر يقرأ عليك السلام ولا تقل أمير المؤمنين فإني لست اليوم للمؤمنين أميرا وقل يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبه فذهب عبد الله وسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي فقال يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبه فقالت كنت أريد نفسي ولأوترته اليوم على نفسي فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء فقال ارضوني فأسنده رجل إليه فقال ماله بك قال الذي تحب يا أمير المؤمنين قد أذنت لي فأدخلوني وإن ردوني ردوني إلى مقابر المسلمين وجاءت أم المؤمنين حفصة والنساء يسترنها فلما رأيناها قلنا فولجت عليه فبكت عنده ساعة واستأذن الرجال فولجت داخلنا فسمنا بكاهما من داخل فقالوا أوص يا أمير المؤمنين واستخاف فقال ما أرى أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن وقال يشهدكم عبد الله بن عمر وليس لهم الأمر شيء كهيئة التعزية له فإن أصابت الأمارة سعدا فذلك والإقلا يستن به أيكم أمرفاني لم أعزله من محز ولا حيا يقول أوصي خلفي من يدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم فضلهم ويحفظ لهم حرمهم وأوصي بالأنصار خير الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يفنو عن مسيئهم وأوصي بأهل الأمصار خير أقاتهم رده الإسلام

الإشارة منهم في التجريد والتفريد أن العبد يتجرد عن الأغراض فيأمله لا يأتي بما يأتي به نظرا إلى الأغراض في الدنيا والآخرة بل ما كوشف به من حق العظمة يؤديه حسب جهده عبودياتا وقيادا والتفريد أن لا يرى نفسه فيما يأتي به بل يرى مئة الله عليه فالتجريد بنى الأغيار والتفريد بنى نفسه واستغرقه في رؤية نعمة الله عليه وغيت عن كسبه ومنها الوجد والتسواجد والوجود فالوجد ما يرد على الباطن من الله يكسبه فرحا أو حزنا ويضربه عن هيئته

وجباة الأموال وغيظ الصدو وأن لا يأخذ منهم إلا فضلهم عن رضائهم وأوصيه بالأعراب خيرا فاتهم أصل العرب ومادة الاسلام وأن يأخذ من حوائش أموالهم ويرد على قراهم وأوصيه بدمه الله عز وجل وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يوفى لهم بهدم وأن يقاتلهم من وراءهم ولا يكتفهم إلا طاقهم قال فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نحمل فسلم عبد الله بن عمر وقال يستأذن عمر بن الخطاب فمالت أدخلوه فأدخلوه في موضع هناك مع صاحبه الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال لي جبريل عليه السلام ليك الاسلام على موت عمر <sup>(١)</sup> » وعن ابن عباس قال يوضع عمر على سريره فتكفئه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم فلم يرعني إلا رجلا قد أخذ بيدي فالتفت فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه فترحم على عمر وقال ما خلفت أحدا أحب إلى أن أتلى الله بثل عملك منك وإيم الله إن كنت لأظن ليجللك الله مع صاحبيك وذلك أتي كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول « ذهب أنا وأبو بكر وعمر وخرجت أنا وأبو بكر وعمر ودخلت أنا وأبو بكر وعمر <sup>(٢)</sup> » فاني كنت لأرجو أو لأظن أن يجلك الله معهم .

( وفاة عثمان رضي الله عنه )

الحديث في قتله مشهور وقد قال عبد الله بن سلام أتيت أخى عثمان لأسلم عليه وهو محصور فدخلت عليه فقال مرحبا يا أخى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الليلة في هذه الخوخة وهي خوخة في البيت فقال يا عثمان حصروك قلت نعم قال عطشوك قلت نعم فأدلى إلى دلو فيه ماء فشربت حتى رويت حتى إنى لأجد برده بين يدي وبين كفتي وقال لي إن شئت نصرت عليهم وإن شئت أفطرت عندنا فاخترت أن أفطر عنده فقتل ذلك اليوم رضي الله عنه . وقال عبد الله بن سلام لمن حضر : تسخط عثمان في الموت حين جرح ماذا قال عثمان وهو يتسخط ؟ قالوا صمءاء يقول : اللهم اجمع أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثلاثا قال والذي نفسي بيده لو دعا الله أن لا يجتمعوا أبدا ما اجتمعوا إلى يوم القيامة وعن عتبة بن حزن القشيري قال شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال اتوني بصاحبيك الذين أباكهم علي قال فجاء بهما كأنهما هما حملان أو حماران فأشرف عليهم عثمان رضي الله عنه فقال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير يئر رومة فقال من يشتري رومة يجعل دلوه مع دلاء المسلمين غير له منها في الجنة فاشترتها من صلب مالي فأتم اليوم تمنوني أن أشرب منها ومن ماء البحر ؟ قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أني جهزت جيش المنصرة من مالي ؟ قالوا نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن للسجد كان قد شاق بأهله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يشتري بقعة آل فلان فيزيعها في السجد غير منها في الجنة فاشترتها من صلب مالي فأتم اليوم تمنوني أن أسل فيها ركنتين ؟ قالوا اللهم نعم قال أنشدكم الله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على ثياب بيكة ومعه أبو بكر وعمر وأنا فتمرك الجبل حتى تساقطت حجارتها بالحصى قال فركفه برجله وقال اسكن ثبير فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدان ؟ قالوا اللهم نعم قال الله أكبر شهدوا لي ورب الكعبة أتى شهيد <sup>(٣)</sup> . وروى عن شيخ من ضبة أن عثمان حين

(١) حديث قال لي جبريل عليه السلام ليك الاسلام على موت عمر أبو بكر الأجرى في كتاب الشريعة من حديث أبي بن كعب بسند ضعيف جدا وذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢) حديث ابن عباس قال وضع عمر على سريره فكفئه الناس يدعون ويصلون فذكر قول علي بن أبي طالب كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول ذهب أنا وأبو بكر وعمر الحديث متفق عليه (٣) حديث عتبة بن حزن القشيري شهدت الدار حين أشرف عليهم عثمان الحديث الترمذي وقال حسن والساني .

ويتطلع إلى الله تعالى وهو فرحة يجدها القلوب عليه بصفات نفسه ينظر منها إلى الله تعالى والتواجد استجلاب الوجد بالكر والتفكير والوجود الساع فرجة الوجد بالخروج إلى قضاء الوجدان فلا وجد مع الوجدان ولا خبر مع الديان فالوجد بعرضية الزوال والوجود ثابت ثبوت الجبال وقد قيل : قد كان بطرني ووجدني فأقصدني عن رؤية الوجد من في الوجد موجود والوجد يطرب من في الوجد راحته والوجد عند حضور الحق مفقود

صرب والدماء تدب على لحينه جعل يقول لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين اللهم  
إني أستعديك عليهم وأستعينك على جميع أموري وأسألك الصبر على ما يلبثني .

( وفاة علي كرم الله وجهه )

قال الأصمعي الخطابي لما كانت الليلة التي أصيب فيها علي كرم الله وجهه أناء من النياح حين طلع الفجر  
بؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متناقل فماد الثانية وهو كذلك ثم عاد الثالثة فقام على يثني وهو يقول :

اشدد حيازك الموت فان الصوت لا يكا

ولا تجزع من الموت إذا حبل بوادكا

فلما بلغ الباب الصغير شد عليه ابن ملجم فضر به فخرجت أم كلثوم ابنة علي رضي الله عنه فجعلت تقول  
مالي ولصلاة العداة قتل زوجي أمير المؤمنين صلاة العداة وقتل أبي صلاة العداة وعن شيخ من قريش أن  
علياً كرم الله وجهه لما ضربه ابن ملجم قال فزت ورب الكعبة فوقع علي محمد بن علي أنه لما ضرب أوصى بنيه  
ثم لم ينطق إلا بالله إلا الله حتى قبض ولما قتل الحسين بن علي رضي الله عنه مادخل عليه الحسين رضي الله  
عنه فقال يا أخى لأى شيء تجزع تقدم على رسول الله ﷺ وعلى علي بن أبي طالب وهما ابواك وعلى خديجة  
بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وهما أمك وعلى حمزة وجعفر وهما عمك قال يا أخى أقدم على أمر لم أقدم على مثله  
وعن محمد بن الحسن رضي الله عنه قال لما نزل القوم بالحسين رضي الله عنه ما يؤمن أنهم قاتلوه قام في أصحابه  
خطيباً لحمد الله وأثنى عليه ثم قال قد نزل من الأمر ما ترون وإن الدنيا قد تغيرت وتسكرت وأدبر معروفها  
وانشمرت حتى لم يبق منها إلا كسبابة الإناث ألا حسبي من عيش كالمرعى الويل للآل الذين الحق لا يصلح به  
والباطل لا ينقاه عنده ليرغب المؤمن في لقاء الله تعالى وإني لأرى الموت لإسماعدة والخيامع الظالمين لإجراما .

( الباب الخامس في كلام المختصرين من الخلفاء والأمراء والصالحين )

لما حضرت معاوية بن أبي سفيان الوفاة قال أتمدوني فأتمدني فجعل يسبح الله تعالى ويذكره ثم بكى  
وقال تذكر ربك يا معاوية بعد الهرم والاعطاط ألا كان هذا وغصن الشباب فضر ربان وبكى حتى  
علا بكأوه وقال يارب ارحم الشيخ العاصي ذا القلب القاسي اللهم أقل العثرة واغفر الزلة وعد بحلمك  
على من لم يرج غيرك ولم يبق أحد سواك . وروى عن شيخ من قريش أنه دخل مع جماعة عليه  
في مرضه فرأوا في جلده غصونا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أما بعد فقل الدنيا أجمع إلا ما جرتنا ورأينا  
أما والله لقد استقبلنا زهرتها بمجدتنا وباستلذاذنا ببديتنا فما لبثنا الدنيا أن نفضت ذلك منا حالا  
بعد حال وعروة بعد عروة فأصبحت الدنيا وقد ترتنا وأخلفتنا واستألمت إلينا أف لدينا من  
دار ثم أف لها من دار . وروى أن آخر خطبة خطبها معاوية أن قال : أيها الناس إن من زرع  
قد استحصد وإنه قد وليتكم ولن يليكم أحد من بعدى إلا وهو شر مني كما كان من قبل خيرامني  
ويا يزيد إذا وفي أجلى قول غسلى رجلا لبيا كان الباب من الله بكان فليتم القدر وليجبر بالتكبير  
ثم اعمد إلى مندبل في الخزانة فيه ثوب من نياح النبي صلى الله عليه وسلم وقراضه من شعره وأظفاره  
فاستودع القراضة أنتى وفي وأذنى وعيني واجعل الثوب على جلهى دون أ كفاى . وبأزيد احفظ  
وصية الله في الوالدين فإذا أدرجتموني في جسد يدي ووضعتوني في حفرة فغلوا معاوية وأرحم  
الراحمين . وقال محمد بن عتبة لما نزل معاوية الموت قال يا ليتني كنت رجلا من قريش بذى طووس  
وإني لم أله من هذا الأمر شيئا . ولما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسال بجانب دمشق  
يلوى ثوبا يده ثم يضرب به للفضلة فقال عبد الملك ليتني كنت غسالا آكل من كسب يدي يومايوم

( ومنها القلبة ) القلبة  
وجد متلاحق فالوجد  
كالرق يدو والقلبة  
كتلاحق السبرق  
وتواتره يغيب عن  
الغيز فالوجد ينطق  
سريما والقلبة تنطق  
للأسرار حرز امينا .  
( ومنها السامرة ) وهى  
تضرد الأرواح بمعنى  
متناحسا ولطيف  
متناحسا فى سر السر  
بلطيف إدراكها  
للقلب تغرد الروح بها  
تلتذ بها دون القلب  
( ومنها السكر والصحو )  
فالسكر استيلاء  
سلطان الحال والصحو  
العود إلى ترتيب الأفعال  
وتهذيب الأقوال  
قال محمد بن خفيف

( الباب الخامس في كلام جماعة من المختصرين )

ولم آل من أمر الدنيا شيئا فبلغ ذلك أباحازم فقال الحمد لله الذي جعلهم إذا حضروا للوثة يتمنون ما نحن فيه وإذا حضروا للوثة لم تمن مام فيه . وقيل لعبد الملك بن مروان في مرضه الذي مات فيه كيف تعبدك يا أمير المؤمنين ؟ قال أجدي كما قال الله تعالى . ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم - الآية ، ومات . وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان امرأة عمر بن عبدالعزيز كنت أسمع عمر في مرضه الذي مات فيه يقول : اللهم أخف عليهم موتى ولو سامعن من نهار فلما كان اليوم الذي قبض فيه خرجت من عنده فجلست في بيت آخر بيني وبينه باب وهو في قبلة فسمعه يقول - تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الأرض ولا نسادا وإمامة للفنيين - ثم هدا فجعلت لأصبع له حركة ولا كلاما فقلت لوصيف له انظر أنا ثم هو فلما دخل صاح فوثبت فإذا هوميت وقيل له لما حضره الموت اعهد يا أمير المؤمنين قال أحذركم مثل مصرعي هذا فإنه لا بد لكم منه وروى أنه لما نقل عمر بن عبدالعزيز دعى له طبيب فلما نظر إليه قال أرى الرجل قد سقى السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال ولا تأمن الموت أيضا طي من لم يسق السم قال الطبيب هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين قال نعم قد عرفت ذلك حين وقع في بطني قال فعالج يا أمير المؤمنين فاني أخاف أن تذهب نفسك قال ربي خير مذهب وإنه والله لو علمت أن شفاقي عند شحمة أذني مارفت يدي إلى أذني فتناولته اللهم خر لعمر في لغائك فلم يلبث إلا أياما حتى مات وقبل لما حضرته الوفاة بكى قبيل له ما يبكيك يا أمير المؤمنين أبشر فقد أحيا الله بك سنا وأظهر بك عدلا فبكى ثم قال أليس أوقف فأستل عن أمر هذا الخلق فو الله لو عدلت فيهم لحقت على نفسي أن لا تقوم بحجتي بين يدي الله إلا أن يلقها الله حجتي فكيف بكبير محاسنها ووافقت عينا فلم يلبث إلا يسيرا حتى مات ولما قرب وقت موته قال أجلسوني فأجلسوه فقال: أنا الذي أمرتني فقصرت ونهيتني فصيت ثلاث مرات ولكن لا إله إلا الله ثم رفع رأسه فأعد النظر فقيل له في ذلك فقال إني لأرى خضرة مام بأفس ولاجن ثم قبض رحمه الله . وحكى عن هرون الرشيد أنه انتهى أ كفافه يده عند اللوثة وكان ينظر إليها ويقول ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه وفرش للأمون رمادا واضطجع عليه وكان يقول يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه وكان للتصميم يقول عند موته لو علمت أن عمري هكذا قصر ما فعلت وكان للتصميم يضطرب على نفسه عند موته فقيل له لا بأس عليك يا أمير المؤمنين فقال ليس إلا هذا لقد ذهبت الدنيا وأقبلت الآخرة . وقال عمرو بن العاص عند الوفاة وقد نظر إلى صناديق لبنيه من يأخذها بما فيها ليه كان برا . وقال الحجاج عند موته اللهم اغفر لي فان الناس يقولون إنك لا تنفري لي فكان عمر بن عبدالعزيز تعجبه هذه الحكمة منه وبسطه عليها ولما حكى ذلك الحسن قال أقالها ؟ قيل نعم قال عسى .

( بيان أقوال جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم )

( من أهل التصوف رضى الله عنهم أجمعين )

لما حضرت معاذا رضى الله عنه الوفاة قال اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أراجوك اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأشهر والافرنس الأشجار ولكن أظلمها لحواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند خلق الذكر ولما اشتد به التبع ونزع نزعا لم ينزعه أحد كان كما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب ما أخفى خدك فوعزت بك إنك تعلم أن قلبي عبك ولما حضرته سامان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك قال ما أبكى جزعا على الدنيا ولكن عهد إلينا رسول الله

السكر غلبان القلب  
عند معارضات ذكر  
المحبوب وقال الواسطي  
مقامات الوجد أربعة  
الذهول ثم الحيرة ثم  
السكر ثم الصحو  
ثم دحل فيه ثم أخذته  
الأمواج فلى هذامن  
بقى عليه أثر من  
سريان الحال فيه  
فصابه أثر من السكر  
ومن عاد كل شئ منه  
إلى مستقره فهو صاح  
فالسكر لأرباب القلوب  
والصحو لكلام الشقيين  
بحقائق التسبب  
( ومنها المحو والإتيان )  
المحو بإزالة أوصاف  
النفس والاتيان بما  
أدبر عليهم من آثار  
الحب كؤوس أو الحو



وقيل للجنيذ قل لا إله إلا الله فقال ما نسيت فأذكره وسأل جعفر بن نصير بكران الدينوري خادم الشبلي ما الذي رأيت منه فقال قال عليّ درهم مظلمة وتصدقت عن صاحبه بألف فما عليّ شيء أعظم منه ثم قال وضئى صلاة فعملت فأنسيت تخاليل لحية وقد أمسك على لسانه فقبض على يدي وأدخلها في لحية ثم مات فبكي جعفر وقال ماتوا في رجل لم يفته في آخر عمره وأدب من آداب الشريعة وقيل لبشر بن الحارث لما احتضر وكان يشق عليه كأنك تحب الحياة فقال القدمي على الله شديد وقيل للصالح من مسار ألا توصي بانيك وعيالك فقال إني لأستحي من الله أن أوصي بهم إلى غيرهم ولما احتضر أبو سليمان الداراني أتاه أصحابه فقالوا أجزر فانك تخدم على رب غفور رحيم فقال لهم ألا تقولون احذر فانك تقدم على رب يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير ولما احتضر أبو بكر الواسطي قيل له أو صانعا قال احفظوا ما أريد الحق فيكم احتضر بعضهم فبكت امرأته فقال لها ما يبكيك فقالت عايك أبكي فقال إن كنت باكية فابكي على نفسك فلقد بكيت لهذا اليوم أربعين سنة وقال الجنيذ دخلت على سري السقطي أعوده في مرض موته فقلت كيف تجدك فأنشأ يقول :

كيف أشكو إلى طبيبى مابى      والذي بي أصابنى من طبيبى  
فأخذت الروح لروحى فقال كيف يجد ربح الروح من جوفه يمحرق ثم أنشأ يقول :  
القلب محرق والدمع مستبق      والكرب مجتمع والصبر مفترق  
كيف القرارى من لآخراره      مما جناه الهوى والشوق والقلى  
يارب إن يك شيء قبلى فرج      فاستن على به مادام بي رمق

وحكى أن قوما من أصحاب الشبلي دخلوا عليه وهو في اللوت فقالوا له قل لا إله إلا الله فأنشأ يقول :  
إن ييتا أنت ساكنه      غير محتاج إلى السرج      وجيبك للأموال حجتا  
يوم يأتي الناس بالحجج      لا أتاج الله لي فرجا      يوم أدعو منك بالفرج  
وحكى أن أبا الباس بن عطاء دخل على الجنيذ في وقت نزع فسلم عليه فلم يجبه ثم أجاب بدساعة وقال اعذرني فاني كنت في وردي ثم ولى وجهه إلى القبلة وكبر ومات وقيل للسكتاني لما حضرته الوفاة ما كان عملك فقال لو لم يقرب أجل ما أخبرتكم به وقفت على باب قلبي أربعين سنة فكلما مر فيه غير الله حجبته عنه وحكى عن القنبر قال كنت فيمن حضر الحكم بن عبد الملك حين جاءه الحق فقلت اللهم هون عليه سكرات اللوت فانه كان وكان فذكرت محاسنه فأفاق فقال من التكلم ؟ فقلت أنا فقال إن ملك اللوت عليه السلام يقول لي إني بكل سخي رفيق ثم طفق ولمّا حضرت يوسف بن أسباط الوفاة شهده حذيفة فوجده قلعا فقال يا أبا محمد هذا أو ان القلق والجزع فقال يا أبا عبد الله كيف لا ألق ولا أجزع وإني لا أعلم أني صدقت الله في شيء من عملي فقال حذيفة وأهيا لهذا الرجل الصالح خلف عند موته أنه لا يعلم أنه صدق الله في شيء من عمله. وعن المغازلي قال دخلت على شيخ لي من أصحاب هذه الصفة وهو عليل وهو يقول يمكنك أن تعمل ما تريد فارفق بي . ودخل بعض الشيوخ على محمد الدينوري في وقت وفاته فقال له فضل الله تعالى وصنع من باب الدعاء فضحك ثم قال منذ ثلاثين سنة تعرض على الجنة بما فعلها لما أمرتها طرقي . وقيل لرويم عند اللوت قل لا إله إلا الله فقال لأحسن غيري ولمّا حضرت الثوري الوفاة قيل له قل لا إله إلا الله فقال أليس ثم أمر . ودخل للزني على الشافعي رحمه الله عليه ما في مرضه الذي توفي فيه فقال له كيف أصبحت يا أبا عبد الله فقال أصبحت من الدنيا راحلا ولاخوان مفارقا ولسوء عملي ملاقيا ولكأس الية شاربيا وعلى الله تعالى وارجدا ولا أدري أدوحى نصير إلى الجنة فأهنيها ثم إلى النار فأعزها ثم أنشأ يقول :

بورود رائد الوصال  
قال فارس : علم اليقين  
لا اضطراب فيه  
وعين اليقين هو  
العلم الذي أودعه  
الله الأسرار والعلم  
إذا اتقرد عن نعمت  
اليقين كان علما  
بشبهة فاذا انضم  
إليه اليقين كان علما  
بلاشبهة وحق اليقين  
هو حقيقة ما أشار  
إليه علم اليقين وعين  
اليقين . وقال الجنيذ  
حق اليقين ما يتحقق  
البعد بذلك وهو  
أن يشاهد القيوب  
كما يشاهد الرثبات  
مشاهدة عيان  
وعلم على القلب فيغير  
عنه بالصق كما أخبر  
الصدوق حين قال لما

ولمسا قسا قلمي وحاشا مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلا  
تعاظمي ذنبي فلما فرسته بعفوك ربي كان عفوك أعظما  
فلما زلت ذا عفوك عن الذنب أنزل تجود وتعفو منة وتكرما  
ولولاك لم يغوى إبليس عابد فكيف وقد أفوى منك آدماء

ولما حضر أحمد بن خضرويه الوفاة سئل عن مسألة قدمته عينا وقال يا بني باب كنت أدقه خمسا  
وتسعين سنة هوذا يفتح الساعة لي لأدري أبتغى بالسعادة أو الشقاوة فكان لي أوان الجواب فنهت  
أقاويلهم وإنما اختلفت بحسب اختلاف أحوالهم فقلب على بعضهم الخوف وعلى بعضهم الرجاء وعلى  
بعضهم الشوق والحب فحكم كل واحد منهم على مقتضى حاله والكل صحيح بالإنصاف إلى أحوالهم.

(الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز والقبور وحكم زيارة القبور)

اعلم أن الجنائز عبرة بصير وفيها تنبيه وتذكير لأهل الغفلة فإنها لا تزيدهم مشاهدتها إلا قسوة لأنهم  
يظنون أنهم أبدا إلى جنازة غيرهم ينظرون ولا يحسبون أنهم لاهلة على الجنائز يحملون أو يحسبون  
ذلك ولكنهم على القرب لا يقدرين ولا يتفكرون أن الممهلين على الجنائز هكذا كانوا يحسبون  
فبطل حسابهم وانقضت على القرب زماهم فلا ينظر عبد إلى جنازة إلا ويغدر نفسه محمولا عليها  
فانه محمول عليها على القرب وكأن قد ولعه في غدا أو بعد غدا. ويروى عن أبي هريرة أنه كان إذا  
رأى جنازة قال امضوا فانا على الأثر. وكان مكحول الدمشقي إذا رأى جنازة قال اغدوا فانا را محمول  
موعظة بلغة وغفلة سرية يذهب الأول والآخر لا عقل له. وقال أسيد بن حضير ما شهدت جنازة  
لحدثني نفس بشيء سوى ما هو مفعول به وما هو صائر إليه ولمعات أخو مالك بن دينار خرج مالك  
في جنازته يبكي ويقول والله لا تمر عيني حتى أعلم إلى ماذا صرت إليه ولا أعلم ما قدمت حيالا قال الأعمش  
كنا ننهى الجنائز فلا ندرى من نغزى لحزن الجميع وقال ثابت البناني كنا ننهى الجنائز فلاندرى إلا  
متنعما بما فيها فكذلك كان خوفهم من الموت والآن لا ينتظر إلى جماعة يحضرون جنازة إلا وأكثروا  
بضحكون ويلهون ولا يشككون إلا في ميراثه وما خلفه لورثته ولا يتفكرون أقرأنا أو قرأ به إلا في الجيلة  
التي بها يتناول بعض ما خلفه ولا يتفكر واحد منهم إلا ما شاء الله في جنازة نفسه وفي حاله إذا حمل  
عليها ولا سب لهذه الغفلة إلا قسوة القلوب بكثرة العاصي والذنوب حتى نسبنا الله تعالى اليوم الآخر  
والأهوال التي بين أيدينا فصرنا نلهو ونفعل ونشتغل بما لا ينبغي فنسأل الله تعالى اليقظة من هذه  
الغفلة فإن أحسن أحوال الحاضرين على الجنائز بكاءهم على الميت ولو عفلوا بالبكاء على أنفسهم لعل الميت  
ينظر إبراهيم الزيات إلى أناس يترحمون على الميت فقال لو ترحمون على أنفسكم لكان خيرا لكم فإنه  
نجا من أهوال ثلاثة : وجهه ملك الموت وقد رأى ، ومرارة الموت وقد ذاق ، وخوف الحاخمة وقد  
أمن . وقال أبو عمرو بن الصلاء : جلست إلى جرير وهو يعل على كتابه شعرا فأطلمت جنازة  
فأمسك وقال شيتني والله هذه الجنائز وأنشأ يقول :

نروعا الجنائز مقبيلات وتلمو حين تذهب مدبرات

محروعة ثلة لخار ذئب فلما غاب عادت راعيات

فن آداب حضور الجنائز التفكير والتنبه والاستعداد والتي أمامها على هيئة التواضع كما ذكرنا  
آداب وسنة في فن الفقه ومن آداب حسن الظن بالميت وإن كان فاسقا وإساءة الظن بالنفس وإن  
كان ظاهرا الصلاح فان الحاخمة خطيرة لاندري حقيقتها ، ولذلك روى عن عمر بن ذر أنه مات

(الباب السادس في أقاويل العارفين على الجنائز والقبور)

قال له رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
وماذا أبقيت لميتك  
بعضهم : علم اليقين  
حال التفرقة وعين  
اليقين حال الجمع وحق  
اليقين جمع الجمع  
بلسان التوحيد وقيل  
اليقين اسم و رسم  
وعلم وعين وحق  
فالاسم والرسم للموالم  
وعلم اليقين للأولياء  
وعين اليقين لخواص  
الأولياء وحق اليقين  
للأنبياء عليهم الصلاة  
والسلام وحقية اليقين  
اختص بها نبينا محمد  
صلى الله عليه وسلم .  
(ومن الوقت) والبراد  
بالوقت ما هو غالب  
على العبد وأغلب

واحد من جيرانه وكان مسرفاً على نفسه فتجافى كثير من الناس عن جنازته لحصرها هو وصلى عليها فلما دلى في قبره وقف على قبره وقال برحمك الله يا أبا فلان فقد صحبت عمرك بالتوحيد وعفرت وجهك بالسجود وإن قالوا مذهب وذو خطايا فمن منا غير مذهب وغير ذي خطايا . وبخى أن رجلاً من القهقريين في الفساد مات في بعض نواحي البصرة فلم يجد امرأته من يمينها على حمل جنازته إذ لم يدبرها أحد من جيرانه لكثرة فسقه فاستأجرت حمالين وحملنها إلى الصلي فواصل عليه أحد خدمتها إلى الصبراء لدفن فكان على جبل قريب من الموضع زاهد من الزهاد الكبار قرأته كالنظر للجنازة ثم قصد أن يصلى عليها فانتهز الخبر في البلد بأن الزاهد نزل ليلصق على فلان فخرج أهل البلد فصلى الزاهد وصلوا عليه وتعجب الناس من صلاة الزاهد عليه فقال قبل لي في المنام أنزل إلى موضع فلان ترى فيه جنازة ليس معها أحد إلا امرأة فصلّى عليه فانه مغفور له فزادت تعجب الناس فاستدعى الزاهد امرأته وسألها عن حاله وأنه كيف كانت سيرته قالت كما عرف كان طول نهاره في المأخور مشغولاً حارب الخمر قال انظري هل تعرفين منه شيئاً من أعمال الخير قالت نعم ثلاثة أشياء : كان كل يوم يبق من سكره وقت الصبح بيدل ثيابه ويتوضأ ويصلي الصلح في جماعة ثم يعود إلى المأخور ويشتمل بالفسق ، والثاني أنه كان أبداً لا يغلو بيته من يتيم أو يتيمين وكان إحسانه إليهم أكثر من إحسانه إلى أولاده وكان شديد التقصد لهم ، والثالث أنه كان يبق في أثناء سكره في غلام الليل فيبكي ويقول يارب أي زاوية من زوايا جهنم تريد أن تملأها بهذا الحديث يعني نفسه فانصرف الزاهد وقد ارتفع إشكاله من أمره . وعن صلة بن أشيم وقد دفن أخ له فقال على قبره :

فان تخرج منها تخرج من ذي عظيمة وإلا فإن لا إخالك ناجياً

( بيان حال القبر وأقاربهم عند القبور )

قال الضحاك قال رجل « يا رسول الله من أزهّد الناس قال من لم ينس القبر واليلى وترك فضل زينة الدنيا وآثر ما بقى على ما بقى ولم يعد غداً من أيامه وعدّ نفسه من أهل القبور <sup>(١)</sup> » . وقبل له « كرم الله وجهه ما شئت جاورت للقبرة قال إنى أجدم خير جيران إلى أجدم جيران صدق بكفون الألسنة ويذكرون الآخرة وقال رسول الله ﷺ « ما رأيت منظراً إلا والقبر أقطع منه <sup>(٢)</sup> » وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القابر فجلس إلى قبر وكنت أدنى القوم منه فبكى وبكى وقال ما يبكيك فلما بكى البكاء قال هذا قبر أمي آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي فاستأذنته أن أستغفر لها فأبى عني فأدركني ما يدرك الولد من الرقة <sup>(٣)</sup> »

(١) حديث الضحاك : قال رجل يا رسول الله من أزهّد الناس؟ قال من لم ينس القبور واليلى والحديث تهم (٢) حديث : ما رأيت منظراً إلا والقبر أقطع منه تقدم في الباب الثالث من آداب الصحبة (٣) حديث عمر : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القابر فجلس على قبر وكنت أدنى القوم الحديث وفيه هذا قبر أمية بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها فأذن لي الحديث وتقدم في آداب الصحبة أيضاً ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث ابن مسعود وفيه ذكر لعمر بن الخطاب وآخره عند ابن ماجه مختصراً وفيه أيوب بن هاني ضعه ابن معين وقال أبو حاتم صالح .

ما على العبد وقته  
فانه كاليف يعني  
الوقت بحكمه ويقطع  
وقد يراد بالوقت  
ما بهجم على العبد  
لا بكبه فيتصرف  
فيه فيكون بحكمه  
يقال فلان يحكم  
الوقت يعني مأخوذاً  
عما منه بما حقق.  
(ومن الغنى والسيوف)  
فالشهود هو الحضور  
وقتا بنت للراقبة  
وكتبا بوصف  
للشاهدة لئلا دام العبد  
موصوفاً بالشهود  
والراقبة فهو حاضر  
فاذا قصد حال  
للشاهدة والراقبة  
خروج من دائرة  
الحضور فهو غائب  
وقد يعنون بالنية

وكان عتيان بن عفان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحية فستل عن ذلك وقيل له تذكر الجنة والنار فلا تبكى وتبكى إذا وقفت على قبر فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن القبر أول منازل الآخرة فإن نجا منه صاحبه لم يبعث له غيره وإن لم ينج منه لم يبعث له غيره» (١) وقيل إن عمرو بن العاص نظر إلى القبرة فقلز وصلى ركعتين فقبل له هذا ثم لم تكن تصنع فقال ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأجبت أن أقرب إلى الله بهما وقال مجاهد أول ما يكلم ابن آدم حفرته فتقول أنا ميت المودود ميت الوديع وميت القربى وميت الظلمة هذا ما أعدت لك فما أعدت لي . وقال أبوذر الأحمري يوم فترى يوم أوضع في قبري وكان أبو الدرداء يقعد إلى القبور فقبل له في ذلك فقال اجلس إلى قوم يذكرون معادي وإذا قمت لم يفتابوني وكان جعفر بن محمد يأتي القبور ليلا ويقول بأهل القبور مالي إذا دعوتكم لا تجيبوني ثم يقول حيل والله بينهم وبين جواني وكأني أكون مثلم ثم يستقبل الصلاة إلى طلوع الفجر . وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه يا فلان لقد أرقت الليلة أنشكر في القبر وساكنه إنك لو رأيت ليت بعد ثلاثة قفره لاستوحشت من قربه بعد طول الأنس منك به ولرأيت بيتا يحول فيه الهوام ويمر في الصديد وتغترقه الديدان مع تبر الريح وبلى الأكفان بعد حسن الهيئة وطيب الريح وتفاء الثوب قال ثم شق شقة خرم مشبا عليه وكان يزيد الرقاشي يقول أبها للقبور في حفرته وللخلى في القبر بوحدته للسناس في بطن الأرض بأعماله ليت شعري بأي أعمالك استبشرت وبأي أخوانك اغتبطت ثم يبكي حتى يبل عمامته ثم يقول استبشر بالله بأعماله الصالحة واغبط بالله بأخوانه المتعاونين على طاعة الله تعالى وكان إذا نظر إلى القبور خار كما يجور الثور وقال حاتم الأصم من شر ما يقابل قبر يغشرك لنفسه ولم يدفع لهم فقد خان نفسه وخانهم وكان بكر العابد يقول يأثمك ليتك كنت بي عفا إن لايتك في القبر حبسا طويلا ومن بعد ذلك منه رجلا وقال يحيى بن معاذ يا ابن آدم ذلك ربك إلى دار السلام فانظر من أين يجيء إن أجبته من دنياك واشتغلت بالرحلة إليه دخلتها وإن أجبته من قبرك منعها وكان الحسن بن صالح إذا أشرف على القابر يقول ما أحسن ظواهرك إنما البواهي في بواطنك وكان عطاء السلمي إذا جن عليه الليل خرج إلى القبرة ثم يقول يا أهل القبور من فوامواته وعائيت أعمالكم فواعلاءم ثم يقول غدا عطاء في القبور غدا عطاء في القبور فلا يزال ذلك دأبه حتى يصبح وقال سفيان بن أكث من ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومن غفل عن ذكره وجده حفرة من حفر النار وكان الربيع بن خنيم قد حفر في داره قبرا فسكان إذا وجد في قلبه قساوة دخل فيه فاضطجع ومكث ماشاء الله ثم يقول رب ارجعون لعل أعمل صالحا فإني تركت يرددها ثم يرد على نفسه ياربيع قد رجعتك فاعمل وقال أحمد بن حرب تصعب الأرض من رجل عهد مضجه ويسوى فراشة فنوم فتقول يا ابن آدم لم لا تذكر طول بلاك وما بيني وبينك شي . وقال ميمون بن مهران خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى القبرة فلما نظر إلى القبور بكى ثم أقبل على فقال يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا في دنائهم وعيشهم أم أترام صرعى قد حلت بهم الثلاث واستحك فيهم البلى وأصاب الهوام مقيلا في أبدانهم ثم بكى وقال والله ما أعلم أحدا أتم عن صار إلى هذه القبور وقد آمن من عذاب الله وقال ثابت البناني دخلت القابر فلما قصدت الخروج منها فإذا بصوت قائل يقول يا ثابت لا يرغرك صوت أهلها فكفر

القية عن الأشياء  
 بالحق فيكون على  
 هذا المبنى حاصل ذلك  
 راجعا إلى مقام الفناء  
 (ومنها الشوق والشرب  
 والرى) فالشوق إيمان  
 والشرب علم والرى  
 حال فالشوق الأرباب  
 البوادع والشرب لأرباب  
 الطوائف واللوائح  
 والواضع والرى لأرباب  
 الأحوال وذلك أن  
 الأحوال هي التي تستقر  
 فما يستقر فليس  
 بحال وإنما هي لومع  
 وطوائف وقبل الحال  
 لا تستقر لأنها تحول  
 فإذا استقرت تكون  
 مقاما (ومنها المحاضرة  
 وللشاهدة وللشاهدة)  
 فالمحاضرة لأرباب  
 التساؤل وللشاهدة

(١) حديث عثمان كان إذا وقف على قبر بكى حتى ييل لحبته وفيه إن القبر أول منازل الآخرة التي يمدى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه وتقدم في آداب الصحبة .

من نفس مضمومة فيها ، وروى أن فاطمة بنت الحسين نظرت إلى جنازة زوجها الحسن بن الحسن فقلعت وجهها وقالت :

وكانوا رجاء ثم أسوارزبة قد عظمت تلك الرزايا وجلت

وقيل إنها ضربت على قبره فسطاها واعتكفت عليه سنة فلما مضت السنة قلعوا القسطاها ودخلت الدبنة فسمعوا صوتا من جانب البقيع هل وجدوا ما فقدوا فسمعوا من الجانب الآخر بل يشعوا فانقلبوا . وقال أبو موسى التميمي : توفيت امرأة الفرزدق فخرج في جنازتها وجوه البصرة وفيهم الحسن فقال له الحسن يا أبا فراس ماذا أعددت لهذا اليوم فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ سنتين سنة فلما دفنت أقام الفرزدق على قبرها فقال :

أخاف وراء القبر إن لم تعافى أشد من القبر التبايا وأضيقا

إذا جاءني يوم القيامة قائداً عفيف وسواق يسوق الفرزدقا

لقد خاب من أولادكم من مشى إلى النار مغلول الفلاة أزرقا

وقد أنشدوا في أهل القبور :

قف بالقبور وقل على ساكنها من منكم للتمور في ظلماتها

ومن للسكر منكم في قبرها قد ذاق برد الأمن من روعاتها

أما السكون لدى العيون فواحد لا يستبجز الفضل في درجاتها

لو جابوك لأخبروك بألسن تصف الحقائق بعد من حالاتها

أما الطبع فتازل في روضة يغض إلى ماشاء من دوحاتها

والمجرم الطاغى بها متقلب في حفرة بأوى إلى حياتها

وعنارب تسمى إليه فروحه في شدة التعذيب من لدغاتها

ومر داود الطائي على امرأة تبكي على قبر وهي تقول :

عمدت الحياة ولا نلتها إذا كنت في القبر قد ألدوكا

فكيف أذوق لطم السكرى وأنت يمينك قد وسدوكا

ثم قالت يا ابنه بأى خديك بدأ الدود فصق داود مكانه وخر مغشيا عليه . وقال مالك بن دينار مررت بالمقبرة فأنشأت أقول :

أثبت القبور فناديتها فأين للعظم والمختر

وأين الدل بسلطانه وأين الزكي إذا ما اقتخر

قال فتوديت من بينها أسمع صوتا ولا أرى شخصا وهو يقول :

تفانوا جميعا فما عبر وما توارى جميعا ومات الخبر

تروح وتقدو بنات الثرى تصحو محاسن تلك الصور

فيا سائلي عن أناس مضوا أما لك فما ترى معتبر

قال فرجعت وأنا باك .

آيات وجدت مكتوبة على القبور

وجد مكتوبا على قبر :

تناجيك أجدان وهن صدوت وسكانها تحت التراب خفوت

أي جامع الدنيا لتسير بلاغه لمن نجمع الدنيا وأنت تموت

لأرباب التكئين

وللكاشفة بينهما إلى

أن تستقر فالمشاهدة

والمحاضرة لأهل العلم

وللكاشفة لأهل العين

وللمشاهدة لأهل الحق

أى حق اليقين (ومنها

الطوبار واليوادى

والبانه والواقع

والقادح والطوالع

واللوامع والواضع

وهذه كلها ألفاظ

متقاربة المعنى ويمكن

بسط القول فيها

ويكون حاصل ذلك

راجعا إلى معنى واحد

يكثر بالعارة فلا فائدة

فيه والقصود أن هذه

الأسماء كلها مبادئ

الحال ومقدماته وإذا

صح الحال استوعب

ووجد على قبر آخر مكتوبا :

أي غاتم أما ذراك فواسع      وقبرك معمور الجوانب محكم  
وما ينفع القبور عمران قبره      إذا كان فيه جسمه بينهم  
وقال ابن السكيت مررت على القابر فإذا على قبر مكتوب :

يمر أقاربى جنات قبرى      كأن أقاربى لم يعرفوني  
ذوو الميراث يقتسمون مالى      وما يألون أن يجدوا ديوني  
وقد أخذوا سهامهم وغاشوا      فبالله أسرع ما نسوني  
ووجد على قبر مكتوبا :

إن الحبيب من الأحباب يخلس      لا ينسج اللوت يوتاب ولا حرس  
فكيف تفرح بالدينا ولدتها      بأمن يد عليه اللفظ والنفس  
أصبحت باغافلا في القص منمنسا      وأنت دهرك في اللذات منفس  
لا رحم للوت فا جهل لفرته      ولا ألقى كان منه الصلم يقتبس  
كم أخرس اللوت في قبر وقت به      عن الجسواب لسانا ما به خرس  
قد كان قصرك معمورا له شرف      فقبرك اليوم في الأحداث مندرس  
ووجد على قبر آخر مكتوبا :

وقفت على الأوبة حين صفت      قبورهم ككفراس الزهان  
فلما أن بكيت وقاض دمعى      رأيت عيناي بينهم مكاني  
ووجد على قبر طيب مكتوبا :

قد قلت لما قال لي قائل      صار لقمان إلى رمله  
فأبني ما يوصف من طبه      وحذقه في اللاء مع جسبه  
هبات لا يدفع عن غيره      من كان لا يدفع عن نفسه  
ووجد على قبر آخر مكتوبا :

يا أيها الناس كان لي أمل      قصر به عن بلوغه الأجل  
فلتلق الله ربه رجلا      أمكنه في حياته العمل  
ما أنا وحدي قلت حيث ترى      كل إلى مثله سينتقل

فهذه أبيات كتبت على قبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل اللوت والبصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره فيرى مكانه بين أظهرهم فيستعد للحقوق بهم ويعلم أنهم لا يرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم وليتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضى له لكان ذلك أحب إليهم من الدنيا بخلافها لأنهم عرفوا قدر الأعمار وانكشف لهم حقائق الأمور فأنما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك القصر به تقصيره فيخلص من العقاب وليتزيد الوفي به ربه فيضاعف له الثواب فأنهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقضاءه لحسرتهم على ساعة من الحياة وأنت قادر على تلك الساعة وأملك تقدر على أمثالهم ثم أنت مضى لها فوطن نفسك على التحسر على تضییعها عند خروج الأمر من الاختيار إذ لم تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الإبتدار فقد قال بعض الصالحين رأيت أخا لي في الله فبا برى النائم فقلت يا فلان عشت الحمد لله رب العالمين قال لأن أقدر على أن أقولها يعني الحمد لله رب العالمين أحب إلى من الدنيا وما فيها ثم قال ألم تر حيث كانوا يدفنونني لأن فلانا

هذه الأسماء كلها ومعانيها .

( ومنها التساوين والتحكين )

فالتساوين لأرباب القلوب لأنهم تحت

حجب القلوب والقلوب

تخلص إلى الصفات

والصفات تعدد بتعدد

جهاتها فظهر لأرباب

القلوب بحسب تعدد

الصفات تلوينات ولا

تجاوز للقلوب وأربابها

عن عالم الصفات وأما

أرباب التحكين

فخرجوا عن مشائم

الأحوال وخرقوا

حجب التسلوب

وباشرت أرواحهم

سبطوع نور الذات

فارتفع التساوين لعدم

قد قام فضلى ركعتين لأن آكون أقدر على أن أصلهما أحب إلى من الدنيا وماله .

( بيان أقوالهم عند موت الولد )

حق على من مات ولده أو قريب من أقاربه أن يزله في تقدمه على الموت من العالم لو كان في سفر فصرقه الولد إلى البلد التي هو مستقره ووطنه فانه لا يعظم عليه تأسفه لعلمه أنه لاحق به في القرب وليس بينهما إلا تقدم وتأخر وهكذا الموت فان معناه السبق إلى الوطن إلى أن يلحق التأخر وإذا اعتقد هذا قل جزعه وحرزته لاسيما وقد ورد في موت الولد من الثواب ما يعزى به كل مصاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله» (١) وإنما ذكر السقط تنبيها بالأذى على الأهل وإلا فالثواب على قدر عمل الولد من القلب وقال زيد بن أسلم توفي ابن لسواد عليه السلام فحزن عليه حزنا شديدا فقبل له ما كان عدله عنده قال ملء الأرض ذهباً قيل له فان لك من الأجر في الآخرة مثل ذلك وقال رسول الله ﷺ «لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحسبهم إلا كانوا له جنة من النار» قالت امرأة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أو اثنان قال أو اثنان (٢) وليخلص الوالد الدعاء لولده عند الموت فانه أرحم دعاء وأقرب إلى الاجابة . وقب محمد بن سليمان على قبر ولده فقال اللهم إني أصبحت أرجوك له وأخافك عليه فحق رجائي وأمن خوفي ووقب أبو سنان على قبر ابنه فقال اللهم إني قد غفرت له ما وجب لي عليه فأغفر له ما وجب لك عليه فانك أجود وأكرم ، ووقب أعرج على قبر ابنه فقال اللهم إني قد وهبت له ما قصر فيه من برى فهب له ما قصر فيه من طاعتك . ولما مات ذر بن محمد بن ذر قال أبوه عمر بن ذر بعد ما وضعه في لحده فقال يا ذر لقد شغلنا الحزن لك عن الحزن عليك فليت شعري ماذا قلت وماذا قيل لك ثم قال اللهم إن هذا ذر متعتي به فامتنعني ووفيت له أجله ورزقه ولم تظلمه اللهم وقد كنت أؤتمنه طاعتك وطاعتك اللهم وما وعدتني عليه من الأجر في مصيبي فقد وهبت له ذلك فهب لي عذابه ولا تنذب فأبكى الناس ثم قال عند انصرافه ما علينا بعدك من خصاصة يا ذر وما بنا إلى إنسان مع الله حاجة فأند مضينا وثر كنك ولواثنا ما نضعك . ونظر رجل إلى امرأة باصرة فقال ما رأيت مثل هذه النظارة وما ذاك إلا من قلة الحزن فقالت يا عبد الله إني لفي حزن ما يشركي فيه أحد قال فكيف قالت إن زوجي ذبح شاة في يوم عيد الأضحي وكان لي حبيبان مليحان يا عبد الله فقال أكبرهما للآخر أريد أن أريك كيف ذبح أبي الشاة قال نعم فأخذه وذبحه وما شعرنا به إلا امتسحطا في دمه فلما ارتفع الصراخ هرب الغلام فلجأ إلى جبل فرهقه ذبح فأكله وخرج أبوه يطلبه فبات عطشا من شدة الحر قالت فأرادني الدهر كما ترى فأمثال هذه النصاب ينبغي أن تتذكر عند موت الأولاد ليتلى بها عن شدة الجزع فسامن مصيبة لا يوصور ما هو أعظم منها وما يذفقه الله في كل حال فهو الأكثر .

( بيان زيارة القبور والدعاء للميت وما يتعلق به )

زيارة القبور مستحبة على الجملة للتذكر والاعتبار وزيارة قبور الصالحين مستحبة لأجل التبرع بالاعتبار وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك بعد (٣) .

(١) حديث لأن أقدم سقطا أحب إلى من أن أخلف مائة فارس كلهم يقاتل في سبيل الله لم أجده فيه ذكر مائة فارس وروى ابن ماجه من حديث أبي هريرة لسقط أقدمه بين يدي أحب إلى من فارس أخلفه خاني (٢) حديث لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فيحسبهم الحديث تقدم في السكاح (٣) حديث نهى عن زيارة القبور ثم أذن في ذلك مسلم من حديث بريدة وقد تقدم .

روى عن علي رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزورها» فانها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجرا<sup>(١)</sup> وزار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه في ألف مقنع فلم يربا كيا أكثر من يومئذ<sup>(٢)</sup> وفي هذا اليوم قال أذن لي في الزيارة دون الاستغفار<sup>(٣)</sup> كأوردنا من قبل وقال ابن أبي مليكة أقبلت عائشة رضي الله عنها يوما من القابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخي عبد الرحمن فقلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها<sup>(٤)</sup> ولا ينبغي أن تمسك بهذا فؤاد النساء في الخروج إلى القابر فانه يكثر المنهج على رءوس القابر فلا يلي خبر زيارتهن بشره ولا يخلون في الطريق عن تكشف وتبرج وهذه عظامهم والزيارة سنة فكيف يحتمل ذلك لأجلها نعم لا بأس بخروج المرأة في ثياب بدلة ترد أعين الرجال عنها وذلك بشرط الانقصار على الدعاء وترك الحديث على رأس القبر وقال أبو ذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «زار القبور تذكر بها الآخرة واغسل الوتر فان معالجة جسدخاو موعظة بليغة وصل على الجنائز لعل ذلك أن يعزتك فان الحزين في ظل الله<sup>(٥)</sup> وقال ابن أبي مليكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «زوروا موتاكم وسلموا عليهم فان لكم فيهم عبرة<sup>(٦)</sup> وعن نافع أن ابن عمر كان لا يمر بقبر أحد الأوفق عليه وسلم عليه وعن جعفر بن محمد عن أبيه أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم كانت تزور قبر عمها حمزة في الأيام فتصلي وتبكي عنده وقال النبي صلى الله عليه وسلم «من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برآ<sup>(٧)</sup> وعن ابن سيرين قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الرجل ليجوت والداه وهو عاق لهما فيدعوا الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين<sup>(٨)</sup> وقال النبي صلى الله عليه وسلم

أن ما كوشف له من الحقيقة لا ينواري عنه أبدا ولا يتناقص بل يزيد وصاحب السؤلون قد يتناقص الشيء في حقه عند ظهور صفات نفسه وتقيب عنه الحقيقة في بعض الأحوال ويكون بسوته على مستقر الإيمان وتلونه في زوائد الأحوال (ومنها النفس) ويقال النفس القدسي والوقت للبهدي والحال للمتوسط فكأن إشارة منهم إلى أن البدني بطرقه من الله تعالى طارق لا يستقر والمتوسط صاحب حال غالب حاله عليه وللشهي صاحب نفس

(١) حديث على كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الآخرة غير أن لا تقولوا هجرا رواه أحمد وأبو يعلى في مسنده وابن أبي الدنيا في كتاب القبور واللفظ له وإسناد أحمد وأبو يعلى غير أن لا تقولوا هجرا وفيه على بن زيد بن جدهان عن ربيعة بن النابغة قال البخاري لم يصحور ربيعة ذكره ابن حبان في الثقات (٢) حديث زار رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أمه في ألف مقنع فلم يربا كيا أكثر من يومئذ ابن أبي الدنيا في كتاب القبور من حديث بريدة وشيخه أحمد بن عمران الأحمسي متروك ورواه بنحوه من وجه آخر كما معه قريمان ألف راكب وفيه أنه لم ياذن له في الاستغفار لها (٣) حديث وقال في هذا اليوم أذن لي في الزيارة دون الاستغفار تقدم في الحديث قبله من حديث بريدة أنه لم يؤذن له في الاستغفار لها ورواه مسلم من حديث أبي هريرة استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم ياذن لي واستأذنت أن أزور قبرها فأذن لي (٤) حديث ابن أبي مليكة أقبلت عائشة يوما من القابر فقلت يا أم المؤمنين من أين أقبلت قالت من قبر أخي عبد الرحمن قلت أليس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عنها قالت نعم ثم أمر بها ابن أبي الدنيا في القبور بإسناد جيد (٥) حديث أبي ذر زر القبور تذكر الآخرة واغسل الوتر فان معالجة جسدخاو موعظة بليغة الحديث ابن أبي الدنيا في القبور والحال كما بإسناد جيد (٦) حديث ابن أبي مليكة زوروا موتاكم وسلموا عليهم وصلوا عليهم الحديث ابن أبي الدنيا فيه هكذا مسندا وإسناده حسن (٧) حديث من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة غفر له وكتب برآ الطبراني في الصغير والأوسط من حديث أبي هريرة وابن أبي الدنيا في القبور من رواية محمد بن النعمان برهه وهو معضل ومحمد بن النعمان مجهول وشيخه عند الطبراني يحيى بن العلاء البجلي متروك (٨) حديث ابن سيرين أن الرجل ليجوت والداه وهو عاق لهما فيدعوا الله لهما من بعدهما فيكتبه الله من البارين ابن أبي الدنيا فيه وهو مرسل صحيح الإسناد ورواه ابن عدي من رواية يحيى بن عتبة بن أبي العزاز عن محمد بن جعدة

« من زار قبري قد وبيت له شفاعتي » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « من زارني بالمدينة محسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة » (٢) وقال كعب الأحبار: ما من جفريط طاع إلا نزل سبعون ألفا من اللاتكة حتى يغفوا بالقبر يضربون بأجنحتهم ويصلون على النبي صلى الله عليه وسلم حتى إذا أسوا عرجوا وهبط مثلهم فصنعوا مثل ذلك حتى إذا انشقت الأرض خرج في سبعين ألفا من اللاتكة يوقرونه. والستحب في زيارة القبور أن يقف مستدبر القبلة مستقبلا بوجهه لئلا يتولى وأن يسلم ولا يسبح القبر ولا يسبه ولا يقبله فإن ذلك من عادة النصارى. قال نافع كان ابن عمر رأته مائة مرة فأوأى كثير جمعى إلى القبر فيقول السلام على النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر السلام على أبي وبنصر. وعن أبي أمامة قال رأيت أنس بن مالك أتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فرفع يده حتى ظننت أنه افتتح الصلاة فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف. وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ « ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم » (٣) وقال سليمان بن جهم رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم قلت يا رسول الله هؤلاء الذين يأتونك ويسلمون عليك أنت فمهمهم قال نعم وأورد عليهم وقال أبو هريرة إذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه وإذا مر بغيره لا يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام وقال رجل من آل عاصم الجحدري رأيت عاصم بن مامي بعد موته بسنتين قلت أليس قد مات قال بلى قلت أين أنت فقال أنا واقف في روضة من رياض الجنة أنا ونفر من أصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصيحتها إلى أبي بكر بن عبد الله الذي فتلى في أخباركم قلت أجسامكم أم أرواحكم قال هيئات بليت الأجسام وإنما تتلقى الأرواح قال قلت فهل تموتون بزيارتها إياكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت إلى طلوع الشمس قلت وكيف ذلك دون الأيام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه. وكان محمد بن واسع يزور يوم الجمعة فقيل له لو أخرت إلى يوم الاثنين قال بلغني أن اللوى يملون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبله ويوما بعده وقال الضحاك: من زار قبر أبل طلوع الشمس يوم السبت علم لئلا بزيارته قبل وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة. وقال بشر بن منصور لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلج إلى الجبانة فيشهد الصلاة على الجنائز فإذا أمسى وقف على باب المقابر فقال آس الله وحشتكم ورحم غريبتكم وتجاوز عن ميتاتكم وقبل الله حسناكم لا يزيد على هذه الكلمات قال الرجل فأسميت ذات ليسة فأنصرفت إلى أهلي ولم آت المقابر فأدعوا كما كنت أدعو فبينما أنا نائم إذا خلق كثير قد جاءوني قلت ما أنتم وما حاجتكم قالوا نحن أهل المقابر قلت ما جاءكم بكم قالوا إنك قد عودتنا منك هدية عند انصرافك إلى أهلك قلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو لنا بها قلت فاني أعود لذلك فما تركتها بعد ذلك. وقال بشر بن غالب التجري رأيت امرأة الدوبة العابدة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشر بن غالب هداياك تأتيها على أطباق من نور مخمرة بتنايل الحرير قلت وكيف ذلك قالت وهكذا دعاء المؤمنين الأحياء إذا دعوا للصوت فاستجيب لهم جعل ذلك الدعاء على أطباق النور وخمر بتنايل الحرير ثم أتى به لئلا تقبل له هدية فلان إليك وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ما لئلا في قبره إلا كالغريق العوث ينتظر دعوة أحق من آية

عن أنس قال ورواه الصلت بن الحجاج عن ابن جعدة عن قتادة عن أنس وجمعيهم عقيوا الصلت بن الحجاج كلاما ضيف (١) حديث من زار قبري قد وبيت له شفاعتي تقدم في أسرار الحج (٢) حديث من زارني بالمدينة محسبا كنت له شفيعا وشهيدا يوم القيامة تقدم فيه (٣) حديث عائشة ما من رجل يزور قبر أخيه ويجلس عنده إلا استأنس به ورد عليه حتى يقوم ابن أبي الدنيا في القبور وفيه عبد الله بن جهمان ولم ألق على حاله ورواه ابن عبد البر في التمهيد من حديث ابن عباس نحوه وصححه عبد الحق الأشيلي.

تمسكن من الحال لا يتناوب عليه الحال بالنية والحضور بل تكون للواجبه مقرونة بأفاسه مقبلة لا تتناوب عليه وهذه كلها أحوال لأربابها ولهم منها ذوق وشرب والله ينفع يركنهم آمين

[ الباب الثالث والستون في ذكر شيء من البدليات والنهايات وصحتها ] حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي قال أنا الشريف أبو طالب الحسين بن محمد الزيني قال أخبرتنا كريمة الروزية قالت أخبرنا أبو الهيثم محمد بن مكي

أوأخيه أوصديق له فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها وإن هدايا الأحياء للأموات الدعاء والاستغفار (١). وقال بعضهم مات أشعلى في قرأته في الشام فقلت ما كان حاله حيث وضعت في قبرك قال أتاني آت يشبه من نار فلو أن داعيا دعاني لرأيت أنه سيفرض بي يوم من هذا يستحب تأمينا ليت بعد الدفن والدعاء له قال سعيد بن عبد الله الأزدي وشهدت بأمامة الباهلي وهو في الترع فقال ياسعيد إذا مت فاصنوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إذا مات أحدكم فسيوّم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقول يا فلان ابن فلانة الثانية فانه يستوي قاعدا ثم ليقول يا فلان ابن فلانة الثالثة فانه يقول أرشدنا يرحمك الله ولكن لا نسمعون فيقول له أذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأنت رضى بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً وبالقرآن إماماً فان منكرنا ونكيرنا يتأخر كل واحد منهما فيقول انطلق بنا ما يقعدنا عندهذا وقد لقن حجة ويكون الله عز وجل حجيجه دونهما فقال رجل يا رسول الله فان لم يعرف اسم أمه قال فليسمه إلى حواء (٢). ولا بأس بقراءة القرآن على القبور روى عن علي بن موسى الحدا قال: كنت مع أحمد بن حنبل في جنازة ومحمد بن قدامة الجوهري مما قفا دفن البيت جاء رجل ضريحاً رقيقاً عند القبر فقال له أحمد باهلاً إن القراءة عند القبر بدعة فلا خرجنا من القابر قال محمد بن قدامة لأحمد يا أبا عبد الله ما تقول في مبشر بن اسمعيل الحلبي قال ثقة قال هل كتبت عنه شيئا قال نعم قال أخبرني مبشر بن اسمعيل عن عبد الرحمن بن العلاء بن الجراح عن أبيه أنه أوصى إذا دفن أن يقرأ عند رأسه فاتحة البقرة وخاتمتها وقال سمعت ابن عمر يوصي بذلك فقال له أحمد فارجع إلى الرجل فقل له يقرأ. وقال محمد ابن أحمد الروزي سمعت أحمد بن حنبل يقول إذا دخلتم للقابر فاقرءوا فاتحة الكتاب والمواعظ وقل هو الله أحد واجعلوا ثواب ذلك لأهل القابر فانه يصل اليهم وقال أبو قلابة أقلت من الشام إلى البصرة فزلت الخندق فطهرت وصليت ركعتين ببليل ثم وضعت رأسي على قبر فتمت ثم نهيت فإذا صاحب القبر يشتكي يقول لقد أذيتني منذ الليلة ثم قال إنكم لا تعلمون ونحن نعلم ولا تقدر على العمل ثم قال لركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جرى الله عنا أهل الدنيا خير أقرهم السلام فانه قد يدخل علينا من دعائهم نور أمثال الجبال فالقصد من زيارة القبور للزأر الاعتبار بها وللزور الانتفاع بدعائه فلا ينبغي أن ينفل الزائر عن الدعاء لنفسه وللميت ولا عن الاعتبار به وإنما يحصل له الاعتبار بأن صورته في قلبه البيت كيف تفرقت أجزاءه وكيف يبعث من قبره وأنه على القبر سيلحق به كما روى عن مطرف بن أبي بكر الهذلي قال كانت مجهوز في عبد القيس متعبدة فكان إذا جاء الليل تحزمت ثم قامت إلى الهرب وإذا جاء النهار خرجت إلى القبور فليفتي أنها عوبت في كثرة اتباعها للقابر

(١) حديث ما لبت في قبره إلا كالنريق للفقو ينتظر دعوة تاحقه من أبيه أو من أخيه أو صديق له الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس وفيه الحسن بن علي بن عبد الواحد قال الذهبي حدث عن هشام بن عمار بحدث باطل (٢) حديث سعيد بن عبد الله الأزدي قال شهدت بأمامة الباهلي وهو في الترع فقال ياسعيد إذا مت فاصنوا بي كما أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إذا مات أحدكم فسيوّم عليه التراب فليقم أحدكم على رأس قبره ثم يقول يا فلان ابن فلانة الحديث في تلّة لبت في قبره الطبراني هكذا باسناد ضعيف .

الكشبي قال أنا أبو عبد الله محمد بن يوسف القبري قال حدثنا أبو عبد الله محمد ابن اسمعيل بن ابراهيم البخاري قال حدثنا الجيبي قال حدثنا صفيان بن عيينة قال حدثنا يحيى بن سعيد الأنصاري قال أخبرني محمد بن ابراهيم التيمي أنه سمع علقمة بن وقاص قال سمعت عمر ابن الخطاب رضي الله عنه يقول على التبر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن

قالت إن القلب القاسى إذا جفا لم يلينه إلا رسوم البلى وإن لآلئ القبور فسكان أنظروا وقد خرجوا من بين أطباقها وكأنى أنظر إلى تلك الوجوه المتغيرة وإلى تلك الأجسام المتغيرة وإلى تلك الأعفان الدمة قبائلها من نظرة لأشرها العباد قلوبهم ما تسكل مرارتها للأفئس وأشد تلغها للأبدان بل يبنى أن يحضر من صورة البت ما ذكره عمر بن عبد العزيز حيث دخل عليه فقيه فحجب من تغير صورته لكثرة الجهد والعبادة فقال له يا فلان لورأيتى بعد ثلاث وقد أدخلت قبرى وقد خرجت الحدقتان فسالنا على الحدين وتقلصت الشفتان عن الأسنان، وخرج الصديد من الفم وافتتح الفم وتآ البطن فعلا الصدر وخرج الصلب من الدبر وخرج الدود والصديد من الناخر لرايت أعجب مما تراه الآن ويستحب التائب على البت والابتدأ بالجليل قالت عائشة رضى الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تمضوا فيه» (١) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا» (٢) وقال صلى الله عليه وسلم «لا تذكروا موتاكم إلا بخير فانهم إن يكونوا من أهل الجنة تأمنوا وإن يكونوا من أهل النار تحسبهم مأم» فيه (٣) وقال أنس بن مالك «مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا عليها شرا فقال عليه السلام وجبت ومروا بأخرى فأتوا عليها خيرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجبت فسأله عمر بن عبد الله فقال إن هذا أثنيتم عليه خيرا فوجبت له الجنة وهذا أثنيتم عليه شرا فوجبت له النار وأنتم شهداء في الأرض» (٤) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن البعث ليوت فبئى عليه القوم التائب يعلم الله منه غيره فيقول الله تعالى لللائكة أشهدكم أنى قد قبلت شهادة عبيدى على عبادى وتجاوزت عن عفى فى عبادى» (٥)

( الباب السابع فى حقيقة اللوت وما يلقاه البت فى القبر إلى ثغرة الصور )

( بيان حقيقة اللوت )

اعلم أن الناس فى حقيقة اللوت غلونا كاذبة قد أخطأوا فيها فظن بعضهم أن اللوت هو العنم وأنه لا حشر ولا نشر ولا عقاب ولا غير والنشر وأن موت الانسان كموت الحيوانات وجفاف النبات وهذا رأى للحدادين وكل من لا يؤمن بالله واليوم الآخر وظن قوم أنه يتعبد بالموت ولا يتألم بقباب ولا يتعم شواب مادام فى القبر إلى أن ينادى فى وقت الحشر وقال آخرون إن الروح باقية لا تنعدم بالموت وإنما للتاب والعاقب هى الأرواح دون الأجساد وإن الأجساد لا تبث ولا تحشر أصلا

(١) حديث إذا مات صاحبكم فدعوه ولا تمضوا فيه أبو داود من حديث عائشة بإسناد جيد (٢) حديث لا تسبوا الأموات فانهم قد أفضوا إلى ما قدموا البخارى من حديث عائشة أيضا (٣) حديث لا تذكروا موتاكم إلا بخير الحديث ابن أبى الدنيا فى الموت هكذا بإسناد ضعيف من حديث عائشة وهو عند النسائى من حديث عائشة جيد مقتصرا على ما ذكر منه هنا بلفظه هسكاكم وذكره فى زيادة صاحب مسند القردوس وعلم عليه علامة النسائى والطبرانى (٤) حديث أنس مرت جنازة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتوا عليها شرا فقال وجبت الحديث متفق عليه (٥) حديث أبى هريرة إن البعث ليوت فبئى عليه القوم التائب يعلم الله منه غيره ذلك الحديث أحمد من رواية شيخ من أهل البصرة عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربه عز وجل مامنه عبد مسلم يموت فيشهد له ثلاث آيات من جبراته الأدين غير إلا قال الله عز وجل قد قبلت شهادة عبادى على ما علموا وغفرت لهم ما أعلم.

( الباب السابع فى حقيقة اللوت وما يلقاه البت فى القبر )

كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة يسكنها فهجرت إلى ما هاجر إليه النبى أول العمل وبعبها يكون العمل وأهم ما للفريد فى ابتداء أمره فى طريق القوم أن يدخل طريق الصوفية ويتزأ بزيم وبجالس ملائمتهم لله تعالى فإن دخوله فى طريقهم هجرة حاله ووقته. وقد ورد «لهاجر من هجر مانهاء الله عنه» وقد قال الله تعالى - ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله - فالمريد يبنى أن

وكل هذه غلوز فاسدة ومائلة عن الحق بل الذي تشهد له طرق الاعتبار وتطابق به الآيات والأخبار أن لوت معناه تغير حال فقط وأن الروح باقية بعد مفارقة الجسد إمامة مبدية وإما منعمة ، ومعنى مفارقتها لجسد انقطاع تصرفها عن الجسد بخروج الجسد عن طاعتها فإن الأعضاء آلات لروح تستعملها حتى أنها لتبطل باليد وتسمع بالأذن وتبصر بالعين وتعلم حقيقة الأشياء بالقلب والقلب ههنا عبارة عن الروح والروح تعلم الأشياء بنفسها من غير آلة وذلك قد يتألم بنفسه بأنواع الحزن والغم والسكد ويتنعم بأنواع الفرح والسرور وكل ذلك لا يتعلق بالأعضاء فكل ما هو وصف للروح بنفسها فيبقى معها بعد مفارقة الجسد وما هو لها بواسطة الأعضاء فيتمطل بموت الجسد إلى أن تعاد الروح إلى الجسد ولا يبعد أن تعاد الروح إلى الجسد في القبر ولا يبعد أن تؤخر إلى يوم البعث والله أعلم بحكمه على كل عبد من عباده وإنما تمطل الجسد بالموت يضاهي تمطل أعضاء الزمان فساد مزاج يقع فيه وبشدة تقع في الأعصاب تمنع نفوذ الروح فيها فتكون الروح العالة العالفة للدركة باقية مستعملة لبعض الأعضاء وقد استعصى عليها بعضها ولوت عبارة عن استعصاء الأعضاء كلها وكل الأعضاء آلات والروح هي المستعملة لها وأغنى بالروح المعنى الذي يدرك من الانسان العلوم والآم القوم ولدت الأفرح ومهما بطل تصرفها في الأعضاء لم تبطل منها العلوم والإدراكات ولا بطل منها الأفرح والقوم ولا بطل منها قبولها للآلام والذات والانسان بالحقيقة هو المعنى للدرك للعلوم والآلام والذات وذلك لا يعوت أى لا يعلم ومعنى لوت انقطاع تصرفه عن البدن وخروج البدن عن أن يكون آلة له كما أن معنى الزمانة خروج اليد عن أن تكون آلة مستعملة فالوت زمانة مطلقة في الأعضاء كلها وحقيقة الانسان نفسه وروحه وهى باقية . نعم تغير حاله من جهتين : أحدهما أنه سلب منه غيبه وأذنه وإسائه ويده ورجله وجميع أعضائه وسلب منه أهله وولده وأقاربه وسائر معارفه وسلب منه خيله ودوابه وغدانه ودوره وعقاره وسائر أملاكه ولا فرق بين أن تسلب هذه الأشياء من الانسان وبين أن يسلب الانسان من هذه الأشياء فإن اللؤلؤ هو القراق والقراق يحصل تارة بأن ينهب مال الرجل وتارة بأن يسي الرجل عن الملك والمال والألم واحداً من الحالين ، وإتمام معنى اللوت سلب الانسان عن أمواله بازعاجه إلى عالم آخر لا يناسب هذا العالم فإن كان له في الدنيا شئ يأنس به ويستريح إليه ويمتد بوجوده فيعظم تحسره عليه بعد اللوت ويسبب شقاؤه في مفارقتها بل يأنف قلبه إلى واحد واحد من ماله وجهه وعقاره حتى إلى قميص كان يلبسه مثلاً ويفرح به وإن لم يكن يفرح إلا بذكر الله ولم يأنس إلا به عظم نعيمه وتمت سعادتة إذ دخل بينه وبين محبوبه وقطعت عنه العوائق والشواغل إذ جميع أسباب الدنيا شاغلة عن ذكر الله ، فهذا أحد وجهي الخالفة بين حال اللوت وحال الحياة ، والثاني أنه يتكشف له بالموت ما لم يكن مكتشفاً له في الحياة كما قد يتكشف للمتيقظ ما لم يكن مكتشفاً له في النوم والناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا وأول ما يتكشف له ما يضمره وينفعه من حسناته وسيئاته وقد كان ذلك مسطوراً في كتاب مطوى في سر قلبه وكان يشغل عن الاطلاع عليه شواغل الدنيا فإذا انقطعت الشواغل انكشف له جميع أعماله فلا ينظر إلى سيئة إلا وينحسر عليها تحسراً يؤثر أن يخوض غمرة النار للخلاص من تلك الحسرة وعند ذلك يقال له - كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً - ويتكشف كل ذلك عند انقطاع النفس وقبل الدفن وتشتغل فيه نيران القراق أغنى فراق ما كان يطمئن إليه من هذه الدنيا الفانية دون ما أراد منها لأجل الزاد والبلغة فإن من طلب الزاد بالبلغة فإذا بلغ التصديق

يخرج إلى طريق القوم فله تعالى فاته إن وصل إلى نهايات القوم قد لحق بالقوم بالمنزل وإن أدركه الموت قبل الوصول إلى نهايات القوم فأجره على الله وكل من كانت بدايته أحكم كانت نهايته أتم . أخبرنا أبو زرعة بإجازة عن ابن خلف عن أبي عبد الرحمن عن أبي العباس البغدادي عن جعفر الجلي قال سمعت الجنيد يقول أكثر العوائق والحوائل واللوانع من فساد الاشتداد فالمرید في أول سلوكه هذا الطمأنينة يحتاج

بفارقته بقية الزاد إذ لم يكن يريد الزاد لعينه وهذا حال من لم يأخذ من الدنيا إلا بقدر الضرورة وكان يود أن تنقطع ضرورته ليستغنى عنه فقد حصل ما كان يوده واستغنى عنه وهذه أنواع من العذاب والآلام طليعة تهجم عليه قبل الدفن ثم عند الدفن قد ترد روحه إلى الجسد لنوع آخر من العذاب وقد يعنى عنه ويكون حال التئيم بالدنيا الطمأن إلى حال من تنعم عند غيبة ملك من الملوك في داره وملسكه وحريره اعتيادا على أن الملك يتساهل في أمره أو على أن الملك ليس يدرى ما يتعمدها من قبيح أهله فأخذه الملك بنقطة وعرض عليه جريمة قد دوت فيها جميع فواحته وجناباته ذرة ذرة وخطوة خطوة والملك قاهر متسلط وغبور على حرمه ومنتم من الجناة على ما سلكه وغير ملتفت إلى من يتشفع إليه في العصاة عليه فانظر إلى هذا للأخذ كيف يكون حاله قبل نزول عذاب الملك بمن الخوف والحجبة والحياء والتجسس والتندم فهذا حال اللب الفاجر للفر بالدنيا الطمأن إلى حال قبل نزول عذاب القبر به بل عند موته نمود بالله منه فإن الحزى والافتضاح وهناك السرا أعظم من كل عذاب يحل بالجسد من الضرب والقطع وغيرها فهذه إشارة إلى حال اللب عند الموت شاهدها أو بالبصائر بمشاهدة باطنة أقوى من مشاهدة العين وشهد لذلك شواهد الكتاب والسنة نعم لا يمكن كشف الطعنة عن كنه حقيقة لاوت إذ لا يعرف لاوت من لا يعرف الحياة ومعرفة الحياة بمعرفة حقيقة الروح في تساهل وإدراك ماهية ذاتها « ولم يؤذن لرسول الله ﷺ أن يتكلم فيها ولا أن يزيد على أن يقول الروح من أمرى » (١) فليس لأحد من علماء الدين أن يكشف عن سر الروح وإن اطلع عليه وإنما لأدوين بهذ كرحال الروح بعد لاوت ويدل على أن لاوت ليس عبارة عن انعدام الروح وانعدام إدراكها آيات وأخبار كثيرة : أما الآيات فما ورد في الشهداء إذ قال تعالى - ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل لهم أجناب عند ربهم يرزقون فرحين - ولما قتل صناديد قريش يوم بدر نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال « يا فلان يا فلان يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا قبل وجدة ما وعدكم حقا قبل يارسول الله أتأديهم وهم أموات فقال صلى الله عليه وسلم والذي نفسى بيده إنهم لأسمع لهذا السلام منكم إلا أنهم لا يقدرون على الجواب » (٢) فهذا نص في بقاء روح الشقي وبقاء إدراكها ومعرفة ما والآية نص في أرواح الشهداء ولا يغلو لبيت عن سعادة أو شقاوة وقال صلى الله عليه وسلم « القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة » (٣) وهذا نص صريح على أن لاوت معناه تغير حال فقط وأن ما سيكون من شقاوة اللب وسعائه يتجمل عند لاوت من غير تأخر وإنما يتأخر بعض أنواع العذاب والثواب دون أصله . وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال « الموت القيامة فمن مات قد قامت قيامته » (٤) وقال صلى الله عليه وسلم « إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده غدوة وعشية إن كان من أهل الجنة فمن الجنة وإن كان من أهل النار فمن النار ويقال لهذا مقعده حتى تبعث إليه يوم القيامة وليس غنى ما في مشاهدة المقعدين من عذاب ونعيم في الحال » (٥)

(١) حديث إنه لم يؤذن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتكلم في الروح . تنق عليه من حديث ابن مسعود في سؤال اليهود له عن الروح ونزول قوله تعالى - وإشراونك عن الروح - وقد تقدم (٢) حديث ندائه من قتل من صناديد قريش يوم بدر يا فلان قد وجدت ما وعدني ربي حقا الحديث (٣) مسلم من حديث عمر بن الخطاب (٤) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة الترمذي من حديث أبي سعيد وتقدم في الرجاء والخوف (٥) حديث إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالقدادة والعشى الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر .

إلى إحكام التيقن وإحكام التيقن نزولها من دواعي الهوى وكل ما كان للنفس فيه حظ عاجل حتى يكون خروجه خالصا لله تعالى . وكتب سالم بن عبد الله إلى عمر بن عبد العزيز اعلم يا عمر أن عون الله للعبد بقدر التيقن فمن تمت نيته تم عون الله ومن قصرت عنه نيته قصر عنه عون الله بقدر ذلك . وكتب بعض الصالحين إلى أخيه أخلص التيقن في أعمالك يكفك قليل من العمل ومن لم يند إلى التيقن بنفسه يصعب من يخلصه حسن التيقن . قال سهل بن عبد الله التستري أول ما يؤمر به

وعن أبي قيس قال كنا مع عاتمة في جنازة فقال أما هذا فقد قامت قيامته . وقال على كرم التوجهه حرام على نفس أن تخرج من الدنيا حتى تعلم من أهل الجنة هي أم من أهل النار . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مات غريبا مات شهيدا » ووقى فئات القبر وغدى وريح عليه برزقه من الجنة (١) . وقال مسروق ما غبطت أحدا ما غبطت مؤمنا في اللحد قد استراح من نصب الدنيا وأمن عذاب الله تعالى . وقال يعلى بن الوليد كنت أمتى يوما مع أبي الدرداء فقلت له ما غبط لمن تحب قال اللوت قلت فإن لم يمت قال يقل ماله وولده وإن أحب اللوت لأنه لا يحبه إلا المؤمن واللوت إطلاق المؤمن من السجن وإنما أحب قلة المال والولد لأنه فتنة وسبب للناس بالدنيا والناس بن لا بد من فراقه غاية الشقاء فكل مأسوى الله وذكره والناس به فلا بد من فراقه عند الموت لا محالة ولهذا قال عبد الله بن عمرو : إنما مثل المؤمن حين يخرج نفسه أو روحه مثل رجل بات في سجن فأخرج منه فهو يتفلسح في الأرض ويقلب فيها وهذا الذي ذكره حال من تحافى عن الدنيا ويرى بها ولم يكن له أنس إلا بذكر الله تعالى وكانت شواغل الدنيا تحبسه عن محبته ومقاساة الشهوات تؤذيه فكان في اللوت خلاصه من جميع المؤذيات وانفراجه بمحبته الذي كان به أنسه من غير عائق ولا دافع وما أجدر ذلك بأن يكون منتهى التعم واللذات وأكل اللذات للشهداء الذين قتلوا في سبيل الله لأنهم ما أقدموا على القتال إلا قاطعين التفاهم عن علائق الدنيا مشتاقين إلى لقاء الله وأرضين بالقتل في طلب مرضاته فإن نظر إلى الدنيا فقد باعها طوعا بالآخرة والبايع لا يابغث قلبه إلى البيع وإن نظر إلى الآخرة فقد اشتراها وتشوق إليها فما أعظم فرحه عما اشتراه إذا رآه ما أقل التفاته إلى ما باعه إذا فارقته وتجرد القلب لحب الله تعالى قد يتفق في بعض الأحوال ولكن لا يدركه اللوت عليه فيعتبر والقتال سبب للموت فكان سببا لإدراك اللوت على مثل هذه الحالة فإنها أعظم التعم إذ معني التعم أن ينال الإنسان ما يريد قال الله تعالى - ولهم ما يشتهون - فكان هذا أجمع عبارة لمعانى ذات الجنة وأعظم العذاب أن يمنع الإنسان عن مراده كما قال الله تعالى - وحبل بينهم وبين ما يشتهون - فكان هذا أجمع عبارة لعقوبات أهل جهنم وهذا التعم يدركه الشهيد كما أقطع نفسه من غير تأخير وهذا أمر انكشف لأرباب القلوب بنور اليقين وإن أردت عليه شهادة من جهة السمع لجميع أحداث الشهداء تدل عليه وكل حديث يشتمل على التعبير عن منتهى نعيمهم بعبارة أخرى فقد روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجابر « ألا أبشرك يا جابر وكان قد استشهد أبوه يوم أحد فقال بلى بشرك الله بالجحيم فقال إن الله عز وجل قد أحيا أباك وأقدمه بين يديه وقال تمن على عبيدي ما شئت أعطيكه فقال يارب ما عبادتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك فأقتل فيك مرة أخرى قال له إنه قد سبق مني أنك إليها ترجع (٢) » وقال كعب بوجود رجل في الجنة يبكي فيقال له لم تبكي وأنت في الجنة قال أبكي لأني لم أقتل في الله إلا فتنة واحدة فكنت أشتى أن أرد فأقتل فيه فتلاوت . واعلم أن المؤمن يشكف له عقيب الموت من سمع جلال الله ما تكون الدنيا بالإضافة إليه كالسجن والضيق ويكون مثاله كالحبوس في بيت مظلم فتح له باب

للريد المبدى التبري  
من الحركات الذمومة  
ثم النقل إلى الحركات  
المحمودة ثم التفرد  
لأمر الله تعالى ثم  
التوقف في الرشاد ثم  
الثبات ثم البيان ثم  
القرب ثم التناجاة ثم  
الصلاة ثم اللوالة  
وبكون الرضا والتسليم  
مراده والنقوض  
والتوكل حاله ثم بمن  
الله تعالى بعد هذه  
بالمرقة فيكون مقامه  
عند الله مقام التبرين  
من الحول والقوة  
وهذا مقام حملة العرش  
وليس بعده مقام  
هذا من كلام سهل  
جمع فيه ما في البداية  
والنهاية ومضى تمسك  
للريد بالصدق

(١) حديث أبي هريرة من مات غريبا مات شهيدا ووقى فئات القبر ابن ماجه بسند ضيف وقال فتنة القبر وقال ابن أبي الدنيا فتان (٢) حديث عائشة ألا أبشرك يا جابر بالحديث وفيه إن الله أحيا أباك فأقدمه بين يديه الحديث ابن أبي الدنيا في اللوت باسمه فيه ضعف ولترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث جابر ألا أبشرك بما لقي الله به أباك قال بلى يا رسول الله الحديث وفيه فقال يا عبيدي تمن على أعطك قال يارب تعينني فأقتل فيك ثانية قال الرب سبحانه إنه سبق مني أنهم لا يرجعون.

إلى بستان واسع الأكتاف لا يبلغ طرفه أقصاه فيه أنواع الأشجار والأزهار والثمار والطيور فلا يشتهي العود إلى السجن الظلم وقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلاً قال رجل مات وأصبح هذا مرثلاً عن الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قدرني فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه<sup>(١)</sup> ففرقك بهذا أن نسبة سعة الآخرة إلى الدنيا كنسبة سعة الدنيا إلى ظلة الرحم وقال صلى الله عليه وسلم «إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على عرجه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه<sup>(٢)</sup>» وكذلك المؤمن يجزع من اللوت فإذا أفضى إلى ربه لم يحب أن يرجع إلى الدنيا كما لا يحب الجنين أن يرجع إلى بطن أمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فلاناً قدمنا فقال مستريح أو مستراح منه<sup>(٣)</sup>» وأشار المستريح إلى المؤمن والمستراح منه إلى القاجر إذ يستريح أهل الدنيا منه وقال أبو عمر صاحب السبأ مرثياً ابن عمر ونحن صبيان فنظر إلى قبر فاذا ججمة بادية فأمر رجلاً فواراها ثم قال إن هذه الأبدان ليس يضرها هذا الثرى شيئا وإنما الأرواح التي تعاقب وتتاب إلى يوم القيامة، وعن عمرو بن دينار قال ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون في أهله بعده وإنهم ليسوا به ويكفونونه وإنه لينظر إليهم وقال مالك بن أنس بلغني أن أرواح المؤمنين مرسلات تلعب حيث شاتت وقال النعمان بن بشير «سمعت رسول الله ﷺ على التبر يقول ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الثياب يمور في جوفها فأنه في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم<sup>(٤)</sup>» وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم «لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور<sup>(٥)</sup>» ولذلك قال أبو الدرداء اللهم إني أعوذ بك أن أعمل عملاً آخرى بعد عبدك من راحة وكان قد مات وهو خاله وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن أرواح المؤمنين إذا ماتوا أين هي ؟ قال في حواصل طير يسبح في ظل العرش وأرواح الكافرين في الأرض السابعة . وقال أبو سعيد الخدري سمعت رسول الله

(١) حديث قال لرجل مات أصبح هذا قد خلا من الدنيا وتركها لأهلها فإن كان قدرني فلا يسره أن يرجع إلى الدنيا كما لا يسر أحدكم أن يرجع إلى بطن أمه ابن أبي الدنيا من حديث عمرو بن دينار مرسلًا ورجاله ثقات (٢) حديث إن مثل المؤمن في الدنيا كمثل الجنين في بطن أمه إذا خرج من بطنها بكى على عرجه حتى إذا رأى الضوء ووضع لم يحب أن يرجع إلى مكانه ابن أبي الدنيا فيه من رواية بقية عن جابر بن ظالم السلفي عن سليم بن عامر الجنازي مرسلًا هكذا (٣) حديث قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلاناً قدمنا فقال مستريح أو مستراح منه متفق عليه من حديث أبي قتادة باللفظ مرثياً عليه بخاتمة فقال ذلك وهو عند ابن أبي الدنيا في اللوت باللفظ الذي أورده الصنف (٤) حديث النعمان بن بشير ألا إنه لم يبق من الدنيا إلا مثل الثياب يمور في جوفها فأنه في إخوانكم من أهل القبور فإن أعمالكم تعرض عليهم ابن أبي الدنيا أبو بكر بن لال من رواية مالك بن أدنى عن النعمان من قوله الله الله ورواه بكاه الأزد في الضعفاء وقال لأصح إنسانه وذكره ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل بكاه في ترجمة أبي اسمعيل السكوني رواية عن مالك بن أدنى ونقل عن أبيه أن كلامهما يجهول قال الأزد لأصح إنسانه وذكر ابن حبان في الثقات مالك بن أدنى (٥) حديث أبي هريرة لا تفضحوا موتاكم بسيئات أعمالكم فإنها تعرض على أوليائكم من أهل القبور ابن أبي الدنيا والهاملي باسناد ضعيف ولأحمد من رواية من سمع إنساناً عن أنس أن أعمالكم تعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات الحديث .

والإخلاص بلغ مبلغ الرجال ولا يعقق صدقه وإخلاص شيء مثل متابعة أمر الشرع وقطع النظر عن الخلق شكل الآفات التي دخلت على أهل البدايات لوضع نظرم إلى الخلق وبلغنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال «لا يكمل إيمان المرء حتى يكون الناس عنده كالأباعر ثم يرجع إلى نفسه فيراها أصغر ما غر» إشارة إلى قطع النظر عن الخلق والخروج منهم وترك التفتيش بآدابهم . قال أحمد بن خضرويه : من أحب أن يكون الله تعالى معه على كل حال فلا يرم

صلى الله عليه وسلم يقول «إن للبت يعرف من يسله ومن يحمله ومن يدليه بقبره» (١). وقال صالح  
الري بلني أن الأرواح تتلاقى عند الموت فتقول أرواح اللوئي الروح التي تخرج إليهم كيف كان مأواك  
وفي أي الجسد كنت في طيب أو خبيث . وقال عبيد بن عمير أهل القبور يترقبون الأخبار فإذا أنام  
البت قالوا ماض فلان ؟ فيقول ألم يأتكم أو ما قدم عليكم فيقولون إن الله وبنا إليه راجعون سلك به  
غير سبيلنا . وعن جعفر بن سفيان قال إذا مات الرجل استسلفه ولده كاستقبل الغائب . وقال جاهد:  
إن الرجل ليشر بصلاح ولده في قبره وروى أبو أيوب الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه  
قال «إن نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشرى في الدنيا يقولون أنظروا  
أخاكم حتى يستريح فإنه كان في كرب شديد فيسألونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت فلانة وهل تزوجت  
فلانة فإذا سألوه عن رجل مات قبله وقال ما قبل قالوا إن الله وبنا إليه راجعون ذهب به إلى أمه الهاوية» (٢).

( بيان كلام القبر للبت )

وكلام اللوئي إيمانسان التال أولسان الحال التي هي أصح في تفهم اللوئي من لسان القال في تفهم  
الأحياء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يقول القبر للبت حين يوضع فيه يحك بالإن آدم ما غرك في  
ألم تعلم أني بيت القنة بيت الظلة وبيت الوحدة وبيت الدود ما غرك في إذ كنت تحرك فذا  
فإن كان مسلما أجاب عنه يجيب القبر فيقول أ رأيت إن كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر فيقول  
القبر إنني إذا تحولت عليه خضرا ويومد جسده نوراً وتصعد روحه إلى الله تعالى» (٣) والقد اذهو  
الذي يقدم رجلا ويؤخر أخرى هكذا فسره الراوي . وقال عبيد بن عمير القبر ليس من بيت يموت  
لأنادته خرفته التي يدفن فيها أنا بيت الظلة والوحدة والافتراء فإن كنت في حياتك لله مطيعا  
كنت عليك اليوم رحمة وإن كنت عاصيا فأنا اليوم عليك نعمة أنا الذي من دخلني مطيعا خرج  
سريورا ومن دخلني عاصيا خرج مشبورا . وقال محمد بن صبيح بلسان الرجل إذا وضع في قبره فمذب  
أو عاصيا بعض ما يكره نأواه جيرانه من اللوئي أيها التلخف في الدنيا بعد إخوانه وجيرانه أما كان لك  
فيما متبرأ ما كان لك في متقدمنا إياك فكرة أمارأيت انقطاع أعمالنا عنا وأنت في اللهة فلا تستدركت  
ما فات إخوانك وتتاديه بقاع الأرض أيها القبر بظاهر الدنيا هلا عبرت بمن غيب من أهلك في بطن  
الأرض بمن غرته الدنيا قبلك ثم سبق به أجله إلى القبور وأنت تراه محمولا لتهاداه أحيته إلى النزل الذي  
لا بد له منه . وقال يزيد الرفاعي بلني أن البت إذا وضع في قبره احتوشته أعماله ثم أنطقه الله ؟ فقالت  
أيها العبد النفر في حفرة انقطع عنك الأخلاء والأهلون فلا تأيس لك اليوم عدنا . وقال كعب: إذا  
وضع العبد الصالح في القبر احتوشته أعماله الصالحة الصلاة والصيام والحج والجهاد والصدقة قال قحجى  
ملائكة العذاب من قبل رجليه فتقول الصلاة إليكم عنه فلا سبيل لكم عليه قد أطال في القيام لله

الصدق فإن الله تعالى  
مع الصادقين وقد ورد  
في الخبر عن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
«الصدق يهدي إلى  
البر» ولا بد للمريد  
من الخروج من الدار  
والجاء والخروج عن  
الحلق قطع النظر  
عنهم إلى أن يحكم  
أساسه فيعلم دقائق  
الهوى وخفايا شهوات  
النفس وأفع شئ  
للمريد معرفة النفس  
ولا يقوم بأواجب حق  
معرفة النفس من له  
في الدنيا حاجة من  
طلب الفضول  
والزيادات أو عليه  
من الهوى بقية . قال  
زيد بن أسلم: خصلتان  
هما كمال أمرك تصبح

(١) حديث أبي سعيد الخدري إن البت يعرف من يسله ومن يحمله ومن يدليه بقبره ورواه أحمد  
من رواية رجل عنه اسمه معاوية أو ابن معاوية نسيه عبد الملك بن حسن (٢) حديث أبي أيوب إن  
نفس المؤمن إذا قبضت تلقاها أهل الرحمة من عند الله كما يتلقى البشر يقولون أنظروا أخاكم حتى  
يستريح ابن أبي الدنيا في كتاب الموت والطبراني في مسند الشاميين بإسناد ضعيف ورواه ابن المبارك  
في الزهد موقوفا على أبي أيوب بإسناد جيد ورفعه ابن صاعد في زوائده على الزهد وفيه سلام الطويل  
ضعيف وهو عند النسائي وابن حبان نحوه . من حديث أبي هريرة بإسناد جيد (٣) حديث يقول  
القبر للبت حين يوضع فيه ويحك بالإن آدم ما غرك في أن لم تعلم أني بيت الدنة الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب  
القبور والطبراني في مسند الشاميين وأبو أحمد الحاكم في السكينة من حديث أبي الجعاج الثعالبي بإسناد ضعيف.

عليها فيأتونه من قبل رأسه فيقول الصيام : لايسبل لكم عليه قد أطال ظمأه فـ في دار الله ينافلا سبل لكم عليه فيأتونه من قبل جسده فيقول الحج والجهاد : إليكم عنه قد أنصب أنفسكم فـ وجع وبهته وحج وجاهد فـ فلا يسبل لكم عليه قال فيأتونه من قبل يديه فتقول الصدقة كفوا عن صاحبي فكم من صدقة خرجت من هاتين اليدين حتى وقفت في يد الله تعالى ابتغاء وجهه فلا يسبل لكم عليه قال فيقال له هنيئا طبت حيا وطبت ميتا قال وتأنيبه ملائكة الرحمة فنقرش له فرأش من الجنة ودارنا من الجنة ونسح له في قبره مد بصره ويؤتى بتبديل من الجنة فيستقى . بنوره إلى يوم يبعث الله من قبره . وقال عبد الله بن عبيد بن عمير في جنازة بلثي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إن الميت يمد وهو يسمع خطو مشيعه فلا يكلمه شيء إلا بقبره يقول ويحك ابن آدم أليس قد حذرني وحذرت نبيي وتقي وهولي ودودي لماذا أعددت لي (١) » .

( یان عذاب القبر وسؤال منکر و نکیر )

قال البراء بن عازب : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار جلوس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسرا رأسه ثم قال : اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر ثلاثا ثم قال إن المؤمن إذا كان في قبر من الآخرة بعث الله ملائكة كأن وجوههم الشمس معهم جنوطه وكنته فيجلسون مد بصره فإذا خرجت روحه صلى الله عليه وسلم على كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك في السماء، وفتحت أبواب السماء فليس منها باب إلا يحب أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه قيل أي رب عبدك فلان فيقول أرجوه فأرووه ما أعددت لهم من الكرامة فإني وعدته منها خلقناكم وفيها نبدىكم - الآية وإنه ليسمع خلق نالههم إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك ؟ فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبى محمد ﷺ قال فيقهراته انتهارا شديدا وهى آخر فتنة تعرض على الميت فإذا قال ذلك نادى مناد أن قد صدقت وهى معنى قوله تعالى - ثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت - الآية ثم يأتيه آت حسن الوجه طيب الرائحة حسن الثياب فيقول أجبر برحمة ربك وجنت فيها نعم مقبم فيقول وأنت فيشرك الله بخير من أنت ؟ فيقول أنا عمك الصالح والله ما علمت إن كنت لسريما إلى طاعة الله بطيئا عن معصية الله فجزاك الله خيرا قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له من فرش الجنة واخحوا له بابا إلى الجنة فيفرش له من فرش الجنة ويضع له باب إلى الجنة فيقول اللهم عجل لىام الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى . قال وأما الكافرانة إذا كان فى قبل من الآخرة واقتطع من الدنيا نزلت إليه ملائكة غلاظ شداد معهم ثياب من نار وسرايل من قطران فيحنوشونه فإذا خرجت نفسه لعنه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك فى السماء وغلقت أبواب السماء فليس منها باب إلا يكره أن يدخل بروحه منه فإذا صعد بروحه نذ وقيل أى رب عبدك فلان لم تقبله ساء ولا أرض فيقول الله عز وجل أرجوه فأرووه ما أعددت له من الشر إني وعدته - منها خلقناكم وفيها نبدىكم - الآية وإنه ليسمع خلق نالههم إذا ولوا مدبرين حتى يقال يا هذا من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري فيقال لا تدري ثم يأتيه آت فيبعث الوجه منقن الرائحة فيفتح الثياب فيقول أجبر بسخط من الله وبسذاب أليم مقبم فيقول بشرك الله بجر من أنت فيقول أنا عمك الحبيب والله إن كنت لسريما فى معصية الله بطيئا عن طاعة الله فجزاك الله شرا

(١) حدث عبد الله بن عبيد بن عمير بلفظي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الميت يقعد وهو يسمع خطبوا مشيعه فلا يكلمه إلا قبره يقول وعجك يا ابن آدم الحديث ابن أبي الدنيا في القبور هكذا مرسلًا ورجاله ثقات ورواه ابن المبارك إلا أنه قال بلفظي ولم يرفعه .

لاهم في بمصوتوس  
ولا لهم في بمصبةفاذا  
أحكم الزهد والقوى  
انكشفت في النفس  
وخرجت من حجها  
وعلم طريق حركتها  
وخفي شهواتها  
ودساها وتلبساتها  
ومن تمسك بالصدق  
قد تمسك بالعروة  
الوثقى . قال ذوالنون  
فه تعالى في أرضه  
سيف ماض على شيء  
إلا قطع وهو الصدق  
وقل في معنى الصدق  
أن عابدا من بني  
إسرائيل راودته  
ملكة عن نفسه ،  
فقال اجعلوا لي ما في  
الحلأ . أنتظف به ثم  
سعد على موضع في  
القصر فمرى نفسه

فيقول وأنت جزاك الله شرا ثم يقبض له أصم أعمى أبكم معه مرزبة من حديد لو اجتمع عليها الثقلان على أن يقولوا لم يستطيحوا لو ضرب بها جبل صار ترابا فيضربه بها ضربة فيصير ترابا ثم تعود فيه الروح فيضربه بها بين عينيه ضربة يسمعها من أعلى الأرضين ليس الثقلين قال ثم ينادى مناد أن افرشوا له لوحين من نار واقضوا له بابا إلى النار فيقرش له لوحان من نار ويغشج له باب إلى النار (١) وقال محمد بن علي مامن ميت يموت إلا مثل له عند الموت أعماله الحسنة وأعماله السيئة قال فيشخص إلى حسنة ويطرق عن سيئانه . وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن إذا حضر أته لللائكة محررة فيها مسك وضائر الریحان فتسل روحه كانتل الشجرة من العيين ويقال : أينما النفس الطمئة اخرجي راضية ومرضا عنك إلى روح الله وكرامته فإذا أخرجت روحه وضعت على ذلك السك والريحان وطويت عليها الحريرة وبعث بها إلى عليين وإن الكافر إذا حضر أته لللائكة بمسح فيه حجرة فتخرج روحه انثرا عذبا ويؤذيها : أينما النفس الحبيثة اخرجي ساخطة ومسخوطا عليك إلى هوان الله وعذابه فإذا أخرجت روحه وضعت على تلك الحجرة وإن لها نقيشا ويطوى عليها السح ويذهب بها إلى سبعين (٢) وعن محمد بن كعب القرظي أنه كان يقرأ قوله تعالى - حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني لملي عمل صالحا فيتركه - قال أي شيء تريد في أي شيء . ترغب أن تريد أن ترجع لتجمع المال وتغرس الفراس وتبنى البنيان وتشقق الأنهار قال لا لملي عمل صالحا فيتركه قال فيقول الجبار - كلا إنها كلمة هو قائلها أي ليقولها عند الموت . وقال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم : المؤمن في قبره في روضة خضراء وريح له في قبره سبعون ذراعا ويطوى حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فإذا أنزلت - فإن له مبيتة شتى - قالوا الله ورسوله أعلم قال عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تنبها هل تدرون ما التين ؟ تسعة وتسعون حبة لكل حبة سبعة رموس يخذشونه ويلحسونه ويؤنفخون في جسمه إلى يوم يبعثون ولا ينبغي أن يتعجب من هذا العدد على الخصوص فإن أعداد هذه الحيات والعقارب بسدد الأخلاق للذمومة من الكبر والرياء والحسد والقول والحقد وسائر الصفات فإن لها أصولا معدودة ثم تنشعب منها فروع معدودة ثم تنقسم فروعها إلى أقسام وتلك الصفات بأعينها هي الهلكات وهي بأعينها تنقلب عقارب وحيات فالقوى منها يبلغ لبغ التين والضعيف يبلغ لبغ العقرب وما بينهما يؤذى إيذاء الحية وأرباب القلوب والبصائر يشاهدون بنور البصيرة هذه الهلكات والشعاب فروعها إلا أن مقدار عدها لا يوقف عليه إلا بنور النبوة (٣) فأمثال هذه الأخبار لها ظواهر صحيحة وأسرار خفية ولكنها عند أرباب البصائر واضحة فمن لم تكشف له حقائقها فلا ينبغي أن ينكر ظواهرها بل أقل درجات الإيمان التصديق والتسليم . فإن قلت فنحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شيئا من ذلك لها وجه التصديق على خلاف الشهادة ؟ فاعلم أن لك ثلاث مقامات في التصديق بأمثال هذا [أحدها] وهو الأظهر والأصح

فأوحى الله تعالى إلى ملك الهواء أن ازمع عبيدي قال فآمره ووضعه على الأرض وضعا رفيقا فقبل لإبليس ألا أعويته فقال ليس لي سلطان على من خالف هواه وبذل نفسه لله تعالى وبني للمريد أن تكون له في كل شيء نية لله تعالى حتى في أكله وشربه وملبوسه فلا يلبس إلا لله ولا يأكل إلا لله ولا يشرب إلا لله ولا يلبس إلا لله ولا يأكل إلا لله ولا يشرب إلا لله لأن هذه كلها أرفاق أدخلها على النفس إذا كانت قد استعصى النفس وتنجب إلى ما يراد منها من المعاملة لله والإخلاص وإذا

(١) حديث البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على قبره منكسرا رأسه ثم قال اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر الحديث بطوله أبو داود والحاكم بكامله وقال صحيح على شرط الشيخين وضعفه ابن حبان ورواه النسائي وابن ماجه مختصرا (٢) حديث أبي هريرة إن المؤمن إذا حضر أته لللائكة محررة فيها مسك وضائر الریحان الحديث ابن أبي الدنيا وابن حبان مع اختلاف والبراز باقظ الصنف (٣) حديث أبي هريرة المؤمن في قبره في روضة خضراء وريح له في قبره سبعون ذراعا الحديث ورواه ابن حبان

والأسم أن تصدق بأنها موجودة وهي تلغى اليت ولستك لا تشاهد ذلك فإن هذه العين لا تصلح  
لشاهدة الأمور للسكريّة وكل ما يتعلق بالآخرة فهو من عالم المسكوت أمارى الصحابة رضى الله عنهم  
كيف كانوا يؤمنون بنزول جبريل وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بأنه عليه السلام يشاهده فإن  
كنت لا تؤمن بهذا فصحيح أصل الإيمان بالمالئكة والوحى أم عليك وإن كنت أنت به وجوزت  
أن يشاهد النبي ما لا تشاهده الأمة فكيف لا يجوز هذا في اليت وكان أن الملك لا يشبه الأسميين  
والحيوانات فالحيات والقاربات التي تلغى في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر وتدرك  
بحاسة أخرى [لقام الثاني] أن تذكر أمر التأم وأنه قدرى في نومعية تلغى وهو يتألم بذلك حتى  
نراه يصبح في نومه ويرقى جيبه وقد يزعج من مكانه كل ذلك يدرك من تقسمون تأذى به كيتأذى  
البقطن وهو يشاهده وأنت ترى ظاهره ساكنا ولا ترى حواله حيويا الحية موجودة في حقه والعذاب  
حاصل ولكنه في حقه غير مشاهد وإذا كان العذاب في ألم اللدغ فلا فرق بين حية تتخيل أو تشاهد [لقام  
الثالث] أنك تعلم أن الحية بنفسها لا تؤلم بل الذى يلفك منها وهو السم ثم السم ليس هو الألم بل عذابك في  
الأثر الذى يحصل فيك من السم فلو حصل مثل ذلك الأثر من غير سم لكان العذاب قد تفرغ وكان لا يمكن  
تعريف ذلك النوع من العذاب إلا بأن يضاف إلى السبب الذى يعطى إليه في العادة فانه لو خلق في الإنسان  
لثة الواقع مثلا من غير مباشرة صورة الواقع لم يمكن تعريفها إلا بالاضافة إليه لتكون الاضافة للتعريف  
بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصله وإن لم تحصل صورة السبب والسبب يراد لثمة لانه انه هذه الصفات  
للهالكات تتقلب مؤذيات ومؤلمات في النفس عند اللوث فتكون آلامها كالآلام لدغ الحيات من غير  
وجود حيات وانقلاب الصفة مؤذية يشاهي انقلاب المشق مؤذيا عند موت المشوق فانه كان لقيدها  
فطُرأت حالة صار اللدغ بنفسه مؤلما حتى يرد بالقلب من أنواع العذاب ما يمتنع معه أن لا يمكن قد تم  
بالمشوق والوصال بل هذا بينه هو أحد أنواع عذاب اليت فانه قد سلط المشق في الدنيا على نفسه  
فصار يشقى ماله وعقاره وجاهه وولده وأقاربه ومعارفه ولو أخذ جميع ذلك في حياته من لا يرجو  
استرجاعه منه فإذا ترى يكون حاله أليس يعظم شقاؤه ويشد عذابه ويتمنى ويقول لئنه لا يمكن أن مال  
قط ولا جاء قط فكنت لا تأذى بقراره فاللوث عبارة عن مفارقة المحبوبات الدنيوية كلها دفعة واحدة:

ما حال من كان له واحد غيب عنه ذلك الواحد

لما حال من لا يفرح إلا بالدنيا فتؤخذ منه الدنيا وتسلم إلى أعدائه ثم يضاف إلى هذا العذاب تحريمه  
على مفاته من نعم الآخرة والحجاب عن الله عز وجل فإن حب غير الله عجيبة عن لقاء الله والتمتع  
به فينوالى عليه ألم فراق جميع محبوباته وحسرتة على مفاته من نعم الآخرة أبدا لا يآبى وذلك الرد  
والحجاب عن الله تعالى وذلك هو العذاب الذى يمد به لإذ لا يتبع نار القراق إلا نار جهنم قال تعالى  
- كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم إنهم لصالوا الجحيم - وأما من لم يأنس بالدنيا ولم يحب  
إلا الله وكان مشتاقا إلى لقاء الله فقد تخلص من سجن الدنيا ومقاساة الشهوات فيها وقد تم على محبوه  
وانقطعت عنه الموانئ والصوارف وتوفر عليه النعيم مع الأمن من الزوال أبدا لا يآبى ولعل ذلك  
فليعمل العالمون والمقصود أن الرجل قد يحب فرسه بحيث لو خبر بين أن يؤخذ منه وبين أن تلغى  
غربه آثر الصبر على لدغ القرب ، فإذا لم فراق القرب عنه أعظم من لدغ القرب وحبه للقرب  
هو الذى يلدغه إذا أخذ منه فرسه فليستمد لهذه اللدغات فإن اللوث يأخذ منه فرسه ومركبه وداره  
وعقاره وأهله وولده وأحبابه ومعارفه ويأخذ منه جاهه وقبوله بل يأخذ منه سمومه وبصره وأعضاءه  
ويأس من رجوع جميع ذلك إليه فإذا لم يحب سواء وقد أخذ جميع ذلك منه فذلك أعظم عليه

دخل في شيء من رفق  
النفس لأنه يغير نية  
صالحة صار ذلك وباللا  
عليه وقد ورد في الخبر  
«من تطيب لله تعالى  
جاء يوم القيامة ويرجعه  
أطيب من السك الأذفر  
ومن تطيب لغير الله  
عز وجل سئل جاء يوم  
القيامة ويرجعه أتقى  
من الجيفة» . وقيل  
كان أنس يقول طيبوا  
كفى بكم فإن ثابنا  
بصاغى وقيل يدي  
وقد كانوا يحسنون  
اللباس للصلاة متفرجين  
بذلك إلى الله بنينهم  
فالمريد يبنى أن يتفقد  
جميع أحواله وأعماله  
وأقواله ولا يسمع  
نفسه أن تتحرك  
عركة أو تتكلم  
كلمة إلا أنه تعالى

من العقارب والحيات وكما لو أخذ ذلك منه وهو حي فمعظم عقابه فكذلك إذا مات لأننا قد بينا أن  
 للنبي الذي هو الدرك للآلام والآفات لم يمت بل عذابه بعد الموت أشد لأنه في الحياة يتسلى بأبواب  
 يشغل بها حواسه من جملة ومحادثة ويتسلى برجاء العود إليه ويتسلى برجاء العوض منه ولاسلوة  
 بعد الموت إذ قد انسد عليه طرق التسلى وحصل اليأس ، فاذن كل قيس له ومنديل قد أحبه بحيث  
 كان يتقي عليه لو أخذ منه فإنه يتقي متأسفا عليه ومندبا به فإن كان محضا في الدنيا سلم وهو للنبي  
 بقولهم نجا المحضون وإن كان مثقلا عظم عذابه وكما أن حال من يسرق منه دينار أخف من حال من  
 يسرق منه عشرة دنانير فكذلك حال صاحب الدرهم أخف من حال صاحب الدرهمين وهو النبي بقوله  
 صلى الله عليه وسلم صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين (١) ، ومما من شئ من الدنيا  
 يختلف عنك عند الموت إلا وهو حسرة عليك بعد الموت فإن شئت فاستكثر وإن شئت فاستقل  
 فإن استكثر فست بمنكر لإلزام الحسرة وإن استقلت فست تخفف لإعانة ظهورك وإعانة أكثر  
 الحيات والعقارب في قبور الأغنياء الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة فربوا بها وأطمأنوا إليها  
 فهذه مقامات الإيمان في حيات القبر وعقابه وفي سائر أنواع عقابه . رأى أبو سعيد الخدري  
 ابنا له قد مات في المنام فقال له يا بني عظمي قال لا تخاف الله تعالى فبا يريد قال يا بني زدني قال يا بني  
 لا تطيق قال قل قال لا تجعل بينك وبين الله شيئا فإياك فإياك ثلاثين سنة . فإن قلت فما الصحيح  
 من هذه المقامات الثلاث . فاعلم أن في الناس من لم يثبت إلا الأول وأنكر ما بعده ومنهم من أنكر  
 الأول وأثبت الثاني ومنهم من لم يثبت إلا الثالث وإما الخلق الذي انكشف لنا بطريق الاستبصار  
 أن كل ذلك في حيز الامكان وأن من ينكر بعض ذلك فهو لضيق حوصله وجهه باتساع قدرته الله  
 سبحانه وعجائب تديره فينكر من أفعال الله تعالى ما لم يأس به وبألقه وذلك جهل وقصور بل  
 هذه الطرق الثلاثة في التعذيب بمكة والتصديق بها واجب ورب عبد يعاقب بنوع واحد من هذه  
 الأنواع ورب عبد تجمع عليه هذه الأنواع الثلاثة نعوذ بالله من عذاب الله قليله وكثيره ، هذا  
 هو الحق صدق به تقليدا فيعظم على بساط الأرض من يعرف ذلك تحقيقا والذي أوصيك به أن  
 لا تنكر نظرك في تفصيل ذلك ولا تشتغل بمعرفة بل اشتغل بالتدبير في دفع العذاب كيما كان  
 فإن أهملت العمل والعبادة واشتغلت بالبحث عن ذلك كنت كمن أخذ سلطان وجبه ليقطع يده  
 ويجمع أشه فأخذ طول الليل يشكر في أنه هل يقطعه بسكين أو بسيف أو بموسى وأهمل طريق  
 الحل في دفع أصل العذاب عن نفسه وهذا غاية الجهل فقد علم على القطع أن البعد لا يخلو بعد  
 ثلاث من عذاب عظيم أو نعيم مقيم فينبغي أن يكون الاستعداد له . فاما البحث عن تفصيل  
 العقاب والثواب فمضروب وتضييع زمان .

( بيان سؤال منكر ونكير وصورتها وضئطة القبر ورجية القول في عذاب القبر )

قال أبو هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم « إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال  
 لأحدهما منكر وللآخر نكير فيقولان له ما كنت تقول في النبي فإن كان مؤمنا قال هو عبد الله  
 ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فيقولان إن كنا لنعلم أنك تقول ذلك ثم يسبحه  
 في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له في قبره ثم يقال له ثم يقول دعوني أرحم إلى أهلي  
 فأخبرهم فيقال له ثم فينم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه  
 ذلك وإن كان منافقا قال لأدري كنت أسمع الناس يقولون شيئا وكنت أقوله فيقولان إن كنا لنعلم

وقد رأينا من أصحاب  
 شيخنا من كان ينوي  
 عند كل قصة ويقول  
 بلسانه أيضا آكل  
 هذه اللقمة لله تعالى  
 ولا ينعى القول إذا لم  
 تكن النية في القلب  
 لأن النية عمل القلب  
 وإنما اللسان ترجمان  
 فما لم تشتمل عليها  
 غزيرة القلب لله  
 لا تكون نية ونادي  
 وجل أمراته وكان  
 يسرح شعره فقال  
 هات الدرى أراد  
 الليل ليفرق شعره  
 فقالت له امرأته أجي  
 بالمسدى وللرأة  
 فسكت ثم قال ثم  
 فقال له من صممت  
 ونقضت عن الرأة  
 ثم قلت ثم قال إني

(١) حديث . صاحب الدرهم أخف حسابا من صاحب الدرهمين لم أجده له أصلا .

أنك تقول ذلك ثم يقال للأرض التثني عليه فلتثني عليه حتى تختلف فيها أضلاعه فلا يزال معذباً حتى يئمه الله من مضجعه ذلك (١) وعن عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر ابن الخطاب رضي الله عنه يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك قاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر ثم رجعوا إليك ففسلوك وكفذك وحطوك ثم احتدوك حتى يعضوك فيه ثم يهلوا عليك التراب ويدفنونك فإذا انصرفوا عنك أنكأنا القبر منكروا ونكبر أوصاها كالرعد القاصف وبصائرهما كالبرق الحاطف يجران أشمارهما ويحشان القبر بأنباهما فتلكاك وترراك كيف بك عند ذلك يا عمر ؟ قال عمر ويكون معي مثل علي الآن ؟ قال نعم قال إذن أكفبك بها (٢) وهذا نص صريح في أن العقل لا يتغير بالموت إنما يتغير البدن والأعضاء فيكون الميت عاقلاً مدركاً لما بالآلام والذات كما كان لا يتغير من عقله شيء وليس العقل للدرك هذه الأعضاء بل هو شيء مطمئن ليس له طول ولا عرض بل الذي لا ينقسم في نفسه هو للدرك للأشياء ولو تآثرت أعضاء الإنسان كلها ولم يبق إلا الجزء للدرك الذي لا يتجزأ ولا ينقسم لكان الإنسان الدارق بكأله فأما باقي وهو كذلك بعد الموت فإن ذلك الجزء لا يحل الموت ولا يطرأ عليه العدم . وقال محمد بن الشكدر يلقى أن الكافر يسقط عليه في قبره دابة عذابه صاوي في يدها سوط من حديد في رأسه مثل غرب الجمل تضربه به إلى يوم القيامة لا تراه فتفتيه ولا يسمع صوته فترحمه . وقال أبو هريرة إذا وضع الميت في قبره جاءت أعماله الصالحة فاحتوشته فإن أتاه من قبل رأسه جاء قرآنه القرآن وإن أتاه من قبل رجله جاء قيامه وإن أتاه من قبل يده قالت البدان والله لقد كان يسقطي للصدقة والعطاء لاصيل لكم عليه وإن جاء من قبل فيه جاء ذكره وصيامه وكذلك تنف الصلاة والصبر ناحية فيقول أما إني لو رأيت خلا لكنت أنا صاحبه . قال سفيان تجاحش عنه أعماله الصالحة كما يجاحش الرجل عن أخيه وأهله وولده ثم قال له عند ذلك يارك الله لك في مضجعتك فعم الأخلاء أخلاؤك ونعم الأصدقاء أمهاتك . وعن حذيفة قال « كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة جلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ثم قال « ينفط لاؤم من في هذا ضمطة ترد منه حمائله (٣) » وقالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن للقبر ضمطة ولو سلم أو نجا منها أحد لجا سعد بن معاذ (٤) » وعن أنس قال « توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقاة فتبعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنا حاله ، فلما انتهينا إلى القبر فدخله انتفع وجهه صفرة ، فلما خرج أسفر وجهه قتلنا يارسول الله رأينا منك شأناً لم ذلك ؟ قال ذكرت ضمطة ابنتي وشدة عذاب القبر ، فأثبت فأخبرت أن الله (١) حديث أبي هريرة إذا مات العبد أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما منكر وللآخر نكير الحديث الترمذي وحسنه وابن حبان مع اختلاف (٢) حديث عطاء بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب يا عمر كيف بك إذا أنت مت فانطلق بك قومك قاسوا لك ثلاثة أذرع في ذراع وشبر ، الحديث ابن أبي الدنيا في كتاب القبور هكذا رسلوا رجاله فقامت قال البيهقي في الاعتقاد رويته من وجه صحيح عن عطاء بن يسار مرسل . قلت ووصله ابن بطنة في الإبانة من حديث ابن عباس ورواه البيهقي في الاعتقاد من حديث عمر وقال غريب بهذا الاسناد خرد به مفضل . ولأحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمر قال عمر أريد إلينا عقولنا فقال نعم كبريتكم اليوم فقال عمر بن الخطاب (٣) حديث حذيفة كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة فجلس على رأس القبر ثم جعل ينظر فيه ، الحديث رواه أحمد بسند ضعيف (٤) حديث عائشة إن القبر ضمطة لو سلم أو نجا منها أحد لجا سعد بن معاذ رواه أحمد بإسناد جيد .

قلت لها هات للمدري  
بنية فلما قالت والمرأة  
لم يكن لي في المرأة نية  
توقفت حتى هبأ الله  
تعالى لي نية فقلت  
نعم وكل مبشدي  
لا يحكم أساس بدايته  
بهاجرة الألف  
والأصدقاء والمعارف  
وبتمسك بالوحدة  
لا تستقر بدايته ، وقد  
قيل من قلة الصدق  
كثرة الخطاء وأقع  
ماله لزوم الصمت وأن  
لا يطرئ حمة كلام  
الناس فإن باطله يتغير  
ويتأثر بالأقوال المختلفة  
وكل من لا يعلم كمال  
زهده في الدنيا وعسكه  
بحقائق التقوى  
لا يعرفه أبداً فإن عدم

قد حذف عنها ولقد منقطعت من صوتها ما بين الحافقين (١) .

( الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة في التام )

اعلم أن أنوار البصائر المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومن مناهج الاعتبار تعرفنا أحوال الموتى على الجملة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء ولكن حال زيد وعمرو وبينه فلا يتكشف أصلاً فإنا إن عولنا على إيمان زيد وعمرو فلا ندرى على ماذا مات وكيف ختم له وإن عولنا على صلاحه الظاهر فالتقوى عمله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن قال الله تعالى - إنما يتقبل الله من المتقين - فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو إلا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه وإذا مات قد تحول من عالم الملكوت والشهادة إلى عالم النيب والملكوت فلا يرى بالعين القاهرة وإنما يرى بين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل إنسان ولكن الإنسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيوية فصار لا يصر بها ولا يتصور أن يصر بها شيئاً من عالم الملكوت مالم تنشق تلك الغشاوة عن عين قلبه، ولما كانت التشاؤم متشعبة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا ما يجاوز الموت في عالم الملكوت فشهدواهم وأخبروا ، ولذلك رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منقطعة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته (٢) وكذلك حال أبي جابر لما استشهد إذ أخبره أن الله أقامه بين يديه ليس بينهما ستر ، ومثل هذه المشاهدة لا يقطع فيها لتبر الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجهم منهم وإنما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضئيلة إلا أنها أيضاً مشاهدة نبوية وأعلى بها المشاهدة في التام وهي من أنوار النبوة . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة » (٣) وهو أيضاً انكشاف لا يحصل إلا بانفتاح الغشاوة عن القلب فذلك لا يوفق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق ومن كثرت كذبه لم تصدق رؤياه ومن كثرت فساده وسوءه أظلم قلبه فكان ما يراه أخفاً أحلام ، ولذلك أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطهارة عند النوم لينام طاهراً (٤) وهو إشارة إلى طهارة الباطن أيضاً فهي الأصل وطهارة الظاهر بمنزلة التمسك والتكفلة لها ومهما صفا الباطن انكشف في حدة القلب ما يكون في المستقبل كما انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم حتى نزل قوله تعالى - لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق - (٥) وقفاً غلو الإنسان عن منامات دلت على أمور فوجدتها جميعاً رؤيا وسعة القرب في اليوم من عجائب صنع الله تعالى وبدائع فطرة آدمي وهو من أوضح الأدلة على عالم الملكوت والحقا فاعلموا عنه كنفهم عن سائر عجائب القلب وعجائب العالم والقول في حقيقة الرؤيا من دقائق علوم المكاشفة فلا يمكن ذكره

(١) حديث أنس توفيت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت امرأة مسقاة الحديث وفيه لقد منقطعت من صوتها ما بين الحافقين ابن أبي الدنيا في الموت من رواة يسلمان الأعمش عن أنس ولم يسمع منه .

( الباب الثامن فيما عرف من أحوال الموتى بالمكاشفة )

(٢) حديث رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم منقطعة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته وكذلك حال أبي جابر لما استشهد تقدمت الثلاثة أحاديث في الباب الذي قبله (٣) حديث الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة تقدم (٤) حديث أمره بالطهارة عند النوم متفق عليه من حديث البراء إذا أتيت منجسك فتوضأ وضوءك لصلاة الحديث (٥) حديث انكشف دخول مكة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم ابن أبي حاتم في تفسيره من رواية مجاهد مرسل .

معرفة لا يفتح عليه خبراً ويواظب أهل الابتداء كالشمع قبل كل نقيش وربما استضر المبتدى بمجرد النظر إلى الناس ويستضر بفضول النظر أيضاً وفضول المشي فيقف من الأشياء كلها على الضرورة فينظر ضرورة حتى لو مشى في بعض الطريق يجتهد أن يكون نظره إلى الطريق الذي يسلكه لا يلتفت به ويساره ثم يبقى موضع نظر الناس إليه وإحساسهم منه بالترافع والاحتراف فإن علم الناس منه بذلك أضرم عليه من ضله ولا يستقر فضول

علاوة على علم العامة ولكن القدر الذي يمكن ذكره ههنا مثال يفهمك القصد وهو أن تعلم أن القلب مثله مثال مرآة تراهي فيها الصور وحقائق الأمور وأن كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم إلى آخره مسطور ومثبت في خلق خلقه الله تعالى يعبر عنه تارة بالروح وتارة بالكتاب اللين وتارة بإمام مبين كما ورد في القرآن لجميع ما جرى في العالم وما يجري مكتوب في يومه وقوس عليه نقشا لا يشاهد بهذه العين ولا تظن أن ذلك اللوح من خشب أو حديد أو عظم وأن الكتاب من كاغد أو ورق بل ينبغي أن نفهم قطعاً أن لوح الله لا يشبه لوح الخلق وكتاب الله لا يشبه كتاب الخلق كما أن ذاته وصفاته لا تشبه ذات الخلق وصفاته بل إن كبت تطلب له مثالا يقر به إلى فهمك فاعلم أن ثبوت القادر في اللوح بظاهري ثبوت كالات القرآن وحرورته في دماغ حافظ القرآن وقلبه فانه مسطور فيه حتى كأنه حين يقرؤه ينظر إليه ولو قشقت دماغه جزءا جزءا لم تشاهد من ذلك الخط حرفا وإن كان ليس هناك خط يشاهد ولا حرف ينظر فمن هذا الخط ينبغي أن نفهم كون اللوح سنة وشامع جميع ما قدره الله تعالى ونضاه والروح في المثال كمرآة ظهر فيها الصور فلو وضع في مقابلة المرآة مرآة أخرى لكانت صورة تلك المرآة تراهي في هذه إلا أن يكون بينهما حجاب فالقلب مرآة تقبل رسوم العلم والروح مرآة رسوم العلم كلها موجودة فيها واشتغال القلب بشيواته ومقتضى حواسه حجاب مرسل بينه وبين مطالعة اللوح الذي هو من عالم للسلوك ، فإن هبت ريح حركت هذا الحجاب ورففته تلاماً في مرآة القلب شيء من عالم للسلوك كالبرق الخاطف وقد ثبت ويدوم وقد لا يدوم وهو الغالب ومادام متيقظ فهو مشغول بما تورد له الحواس عليه من عالم للكل والشهادة وهو حجاب عن عالم للسلوك ، ومعنى النوم أن تترك الحواس عليه فلا تورد على القلب فإذا تخلص منه ومن الخيال وكان صافيا في جوهره ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ فوقع في قلبه شيء عاين في اللوح كاتع الصورة من مرآة في مرآة أخرى إذا ارتفع الحجاب بينهما إلا أن النوم مانع مسافر الحواس عن العمل وليس مانعا للخيال عن عمله وعن تحركه كما يقع في القلب بيندوره الخيال فيحاكيه بمثال بقرابه وتكون للتخيالات أثبت في الحفظ من غيرها فيبقى الخيال في الحفظ فإذا اتبعه لم يذكر إلا الخيال فيحتاج العبر أن ينظر إلى هذا الخيال حكاية أي معنى من المعاني فيرجع إلى المعاني المناسبة التي بين التخييل والمعاني وأمثلة ذلك ظاهرة عند من نظر في علم التعبير ويكتفيك مثال واحد وهو أن رجلا قال لابن سيرين رأيت كأن يدي خائما أختم به أفواه الرجال وفروج النساء قال أنت مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان قال صدقت فالنظر أن روح الختم هو المنع ولأجله يراد الختم وإيمانك كشف للقلب حال الشخص من اللوح المحفوظ كما هو عليه وهو كونه مانعا للناس من الأكل والشرب ولكن الخيال ألب المنع عند الختم الحاتم تشبه بالصورة الخيالية التي تضمن روح المعنى ولا يبقى في الحفظ إلا الصورة الخيالية ، فهذه نبذة بسيطة من بحر عالم الرؤيا الذي لا تنحصر بحجابه وكيف لا وهو أخو الموت وإنما الموت هو حجب من العجائب وهذا لأنه يشبه من وجه ضيف أثر في كشف الطاء عن عالم القلب حتى صار النائم يعرف ما سيكون في المستقبل فإذا تراءى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الطاء بالكلية حتى يرى الإنسان عند انقطاع النفس من غير تأخير نفسه إما محذوفة بالأنكال والمجازي والفضائح نحو ذهابه من ذلك وإما مكتوبا بنعم وملاك كبير لا آخره وعند هذا يقال للاحتياط وقد انكشف الطاء - لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم جديد - ويقال - أفسر هذا أم أتم لتبصرون أصلها فاصبروا أولا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون - وإليه الإشارة بقوله تعالى - وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحسبون -

المشي فإن كل شيء من قول وفعل ونظر وسماع خرج عن حد الضرورة جر إلى الفضول ثم يجر إلى تفسيح الأصول - قال سفيان : إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول ففككت من لا تمسك بالضرورة في القول والفعل لا يقدر أن يقف على قدر الحاجة من الطعام والشراب والنوم ومتى تعدى الضرورة تداعت عزائم قلبه وأعلنت شيئا بعد شيء قال سهل بن عبد الله من لم يبدقه اختيارا يبدد الخلق اضطرابا وينتج على الصمد أبواب الرخص

فأعلم الطاء وأحكم الحكاء. يتكشف له عقيب الموت من العجائب والآيات ما لم يحيط به ولا اختلج به ضميره. فلو لم يكن للماتل ثم وغم إلا الفكرة في خطر تلك الحال أن الحجاب عما ذير ترفع وبالله الذي يتكشف عنه الطاء من شقاوة لازمة أم سعادة دائمة لكان ذلك كافيًا في استغراق جميع العمر والعجب من غفلتنا وهذه العظام بين أيدينا وأحبب من ذلك فرحنا بأموانا وأهلينا وبأسبابنا وذو يقابل بأعضائنا وسمننا وبصرنا مع أننا لم نغفارة جميع ذلك يقينا ولكن أين من ينفث روح القدس في روعه فيقول ما قال لسيد النبيين «أحبب من أحببت فانك مفارقة وعنى ماشئت فانك سبيت واعمل ماشئت فانك مجزي به» (١) فلا جرم لما كان ذلك مكتوفًا له بين اليقين كان في الدنيا كما مرسل لم ينزع لية على لينة ولا نصبة على نصبة (٢) ولم يخلف دينار ولا درهما (٣) ولم يتخذ حبيبا ولا خليلًا لهم قال ولو كنت متخذًا خليلًا لا اتخذت أبا بكر خليلًا ولكن صاحبكم خليل الرحمن (٤) فيبين أن خلة الرحمن تخلت باطن قلبه وأن جبهه تمسكن من جبهه قلبه فلم يترك فيه مقصدا لحليل ولا حبيب وقد قال لا تهتم إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله - فانما أمته من أتبعه وما أتبعه إلا من أعرض عن الدنيا وأقبل على الآخرة فانه مادما إلا إلى الله واليوم الآخر وما صرف إلا عن الدنيا والخطوط المأجولة فيقدر ما عرضت عن الدنيا وأقبلت على الآخرة فقد سلكت سبيله الذي سلكه ويقدر ما سلكت سبيله فقد أتبعته ويقدر ما أتبعته فقد صرت من أمته ويقدر ما أقبلت على الدنيا عدلت عن سبيله ورغبت عن مآبته والتحت بالدين قال الله تعالى فيهم - فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوى - فلما خرجت من مكن التورود وأنصفت نفسك بآرجل وكنا ذلك الرجل لعنت أنك من حين تصبغ إلى حين تمسح لانسى إلا في الخطوط المأجولة ولا تتحرك ولا تسكن إلا لما جل الدنيا ثم تطمع أن تكون غدا من أمته وأتباعه ما أبدعك وما أبدع طمعك - أفجعل السليين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون - ولترجع إلى ما كنا فيه ويصده قد استند عنان الكلام إلى غير مقصده ولذكرك الآن من اللامات الكاشفة لأحوال اللوث ما يظم الانتفاع به فيذهب النبوة وبقيت البشرات وليس ذلك إلا للامات.

(بيان منامات تكشف عن أحوال اللوث والأعمال النافعة في الآخرة)

فمن ذلك رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال عليه السلام «من رأى في المنام قد رأى في حقها فان الشيطان لا يشتمل بي» (٥) وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فرأيت لا ينظر إلى قلت يا رسول الله ماشأتني فالتفت إلى وقال ألسنت القبل وأنت صائم قال والذي نفسي بيده لا أقبل امرأة وأنا صائم أبدا . وقال العباس رضي الله عنه كنت وذا العمر فاشتريت أن أرا لفي المنام فما رأيته إلا عند رأس الحول فترأيت به مسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا أوان فراخي إن كان عرشي ليد لولا أن لقيته ردوا فرحبا . وقال الحسن بن علي قال لي على رضي الله عنه إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سنع لي الليلة في منامي قلت يا رسول الله ما لقيت من أمته قال ادع عليهم قلت اللهم أبدلي بهم من هو خير لي منهم وأبدلهم بي من هو شر لهم مني فخرج فصر به ابن ملجم وقال بعض الشيوخ رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت يا رسول الله استغفر لي فأعرض عني قلت يا رسول الله إن

والاستماع وبذلك مع  
المالكين ولا ينبغي  
للبندي أن يعرف  
أحدًا من أرباب  
الدنيا فان معرفته لهم  
سم قاتل . وقد ورد  
«الدنيا مبنوخة الله  
فمن تمسك بعجل منها  
قاده إلى النار» وما  
جبل من حالها إلا  
كأبنائها والطالين  
لها والمحبين فمن  
عرفهم انجذب إليها  
هباء أو أوى وعجز  
للبندي عن مجالسة  
الغفراء الذين لا يقولون  
بيام الليل وصيام  
التهار فانه يدخل عليه  
منهم أكثر ما يدخل  
عليه بمجالسة أبناء  
الدنيا وربما يعفرون  
إلى أن الأعمال شغل

- (١) حديث إن روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقة الحديث تقدم .
- (٢) حديث لم يضع لينة على لينة ولا نصبة على نصبة أيضا (٣) حديث لم يخلف دينار ولا درهما تقدم أيضا (٤) حديث لو كنت متخذًا خليلًا لا اتخذت أبا بكر ولكن صاحبكم خليل الرحمن تقدم أيضا (٥) حديث من رأى في المنام قد رأى فان الشيطان لا يشتمل بي متفق عليه من حديث أبي هريرة .

سفيان بن عيينة حدثنا عن محمد بن النكدر عن جابر بن سميد الله إنك لم تسأل شيئا قط قلت لا فأقبل على فقال غفر الله لك <sup>(١)</sup> وروى عن العباس بن عبد المطلب قال كنت مواخيا لأبي لهب مصابجا له فلما مات وأخبر الله عنه بما أخبر حزنت عليه وأهني أمره فسألت الله تعالى حولاً أن يرني إياه في المنام قال فرأيتني يلقب ناراً فسألت عن حاله فقال صرت إلى النار في العذاب لا يخفف عني ولا يروح إلا ليلة الاثنين في كل الأيام واليالي قلت وكيف ذلك قال ولد في تلك الليلة محمد صلى الله عليه وسلم فجاءني أمية فبشرني بولادة آمنة إياه فحزنت به وأعنت وليلة لي فرحاً به فأتاني الله بذلك أن رضع عن العذاب في كل ليلة اثنين . وقال عبد الواحد بن زيد خرجت ساجداً فحجني رجل كان لا يقوم ولا يمشي ولا يتحرك ولا يسكن إلا صلى على النبي ﷺ فسألت عن ذلك فقال أخبرك عن ذلك خرجت أول مرة إلى مكة ومعى أبي فلما انصرفنا تمت في بعض المنازل فبينما أنا قائم إذ أتاني آت فقال لي قم فقد أمات الله أباك وسود وجهه قال قممت مذموراً فكشفت الثوب عن وجهه فإذا هو ميت أسود الوجه فداخلى من ذلك رعب فبينما أنا في ذلك التم إذ غلبني عيني قممت فإذا على رأس أبي أربعة سدان معهم أعمدة حديد إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين فقال لهم تنحوا ففسح وجهه يده ثم أتاني فقال قم قد رضى الله وجهه أياك فقامت له من أتى بأبي أنت وأمي فقال أنا محمد قال قممت فكشفت الثوب عن وجه أبي فإذا هو أبيض لما تركت الصلاة بعد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم . وعن عمر بن عبد العزيز قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر رضى الله عنهم جالسين عنده فسلمت وجلست فبينما أنا جالس إذ آتى بلى ومعاوية فأدخلا بينا وأجيب عليهما الباب وأنا أنظر لما كان بأسرع من أن أخرج على رضى الله عنه وهو يقول قضى لي وزب الكعبة وما كان بأسرع من أن أخرج معاوية على أثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة واستقيظ ابن عباس رضى الله عنهما مرة من نومه فاسترجع وقال قتل الحسين والله وكان ذلك قبل قتله فأنكره أصحابه فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زجاجة من دم فقال لا تعلم ما صنعت أمي بعدى فتلوا ابني الحسين وهذا دمه ودم أصحابه أرزقها إلى الله تعالى فبها الخبر بعد أربعة وعشرين يوماً بشفته في اليوم الذي رآه ورؤي الصديق رضى الله عنه فقيل له إنك كنت تحول أبداً في لسانك هذا أوردني للوارد لماذا فعل الله بك قال قلت به لا إله إلا الله فأوردني الجنة .

( بيان منامات الشايع رحمة الله عليهم أجمعين )

قال بعض الشايع رأيت منما الدورى في المنام قد أتى يأسى ما فعل الله بك فقال دبرني في الجنان قليل لي يا منتم هل استحسنتم فيها شيئا قلت لا يا سيدى فقال لو استحسنتم منها شيئاً لو كنتك إلي يوم أؤصلك إلى ورؤى يوسف بن الحسين في المنام قليل له ما فعل الله بك قال غفر لي قبل عبادا قال ما خلطت جداً بهزل وعن منصور بن إسماعيل قال رأيت عبد الله الزباز في النوم فقلت ما فعل الله بك قال أوتفتي بين يديه ففتر لي كل ذنب بقررت به إلا ذنباً واحداً فأتى استحييت أن أقربه فأوتفتي في العرق حتى سقط لحم وجهي فقلت ما كان ذلك الذنب قال نظرت إلى غلام جميل فاستحسنته فاستحييت من الله أن أذكره وقال أبو جعفر الصديقي رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم وحوله جماعة من الفقهاء فبينما نحن كذلك إذ انشقت السماء فقول ملكان أحدهما يده طشت ويد الآخر إبريق فوضع الطشت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبل يده ثم أمر حتى غسلوا ثم وضع الطشت بين يدي

(١) حديث ابن عيينة عن محمد بن النكدر عن جابر ما مثل النبي صلى الله عليه وسلم شيئا قط فقال لا ، رواه مسلم وقد تقدم .

التعبد وأن أرباب  
الأحوال ارتضوا عن  
ذلك . وبينى الفقير  
أن يقتصر على الفرائض  
وصوم رمضان لحسب  
ولا ينبغي أن يدخل  
هذا الكلام حمة رأسا  
فانا اخترنا ومارسنا  
الأموار كلها وجالسا  
الفقراء . والصالحين  
ورأينا أن الدين يضلون  
هذا القول وبرون  
القراض دون  
الزيادات والنوافل  
تحت التصور مع كونهم  
أصحاء في أحوالهم فلي  
العبد التمسك بكل  
فرصة وفضية فذلك  
يثبت قدمه في بدايته  
وبراس يوم الجمعة  
خاصة ويحمله الله تعالى  
خالصا لا يمزجه بهي .

فقال أحدهما للآخر لا تصب على يده فإنه ليس منهم فقلت يا رسول الله أليس قد روى عنك أنك قلت «الرد مع من أحب» قال بلى قلت يا رسول الله فاني أحبك وأحب هؤلاء الفقراء فقال صلى الله عليه وسلم صب على يده فإنه منهم وقال الجنيد رأيت في المنام كأنني أتكم على الناس فوقفت على ملك فقال أقرب ما تقرب به للتقربون إلى الله تعالى ماذا قلت عمل خفي بجزان وفي فولي الملك وهو يقول كلام موفق والله وروى مجمع في النوم قيل له كيف رأيت الأمر فقال رأيت الزاهدين في الدنيا ذهبوا بخير الدنيا والآخرة . وقال رجل من أهل الشام للملاء بن زياد رأيتك في النوم كأنك في الجنة فزلت عن مجلسه وأقبل عليه ثم قال لعل الشيطان أراد أمراً فصمت منه فأشخص رجلاً بفتاني . وقال محمد بن واسع الرؤيا تسر المؤمن ولا تفره وقال صالح بن بشير رأيت عطاء السلي في النوم فقلت له رحلك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا قال أما والله لقد أعقبني ذلك راحة طوية وفرحاً دائماً فقلت في أي الدرجات أنت - فقال مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين - الآية . وسئل زرارة بن أبي أوفى للنام أي الأعمال أفضل عندهم فقال الرضا وقصر الأمل وقال يزيد بن مذكور رأيت الأوزاعي في المنام فقلت يا أبا عمرو دلني على عمل أتقرب به إلى الله تعالى قال ما رأيت هناك درجة أرفع من درجة العلماء ثم درجة المهزوين قال وكان يزيد شيخاً كبيراً فلم يزل يبكي حتى أظلمت عيناه وقال ابن عيينة رأيت أخى في المنام فقلت يا أخى ما ضل الله بك فقال كل ذنب استغفرت منه غفر لي وما لم استغفر منه لم يغفر لي وقال علي الطلمي رأيت في المنام امرأة لاتبته نساء الدنيا فقلت من أنت قالت جوراء فقلت زوجيني فقلت لا يا سيدي وأمرني فقلت وما مهربك قالت حبس نفسك عن آفاتنا وقال إبراهيم بن إسحق الحارثي رأيت زبدة في المنام فقلت ما فعل الله بك قالت غفر لي فقلت لها بما أغضت في طريق مكة قالت أما النفقات التي أنفقتها رحمت أجورها إلى أربابها وغفر لي بنيتي ولما ماتت سفيان الثوري رأى في المنام قتيلاً ما ضل الله بك قال وضعت أول قدمي على الصراط والثاني في الجنة وقال أحمد بن أبي الحواري رأيت في المنام جارية ما رأيت أحسن منها وكان يتلأأ وجهها نوراً فقلت لها لماذا ضو وجهك قالت تذكر تلك الليلة التي بكيت فيها فقلت نعم قالت أخذت دمعك لمسحت به وجهي فمن ثم ضو وجهي كما ترى وقال السكاني رأيت الجنيد في المنام فقلت له ما ضل الله بك قال طاعتك تلك الاشارات وذهبت تلك البارات وما حصلنا إلا على ركعتين كنا نصلهما في الليل ورؤيت زبدة في المنام فقلت لها ما ضل الله بك قالت غفر لي بهذه الكلمات الأربع لا إله إلا الله أفنى بها عمري لا إله إلا الله أدخل بها نيري لا إله إلا الله أخلف بها وحدي لا إله إلا الله ألقى بها ربي وروى بشر في المنام فقلت له ما ضل الله بك قال رحمى ربي عز وجل وقال بإسراء ما استحييت من كنت تخافني كل ذلك الخوف وروى أبو سليمان في النوم فقلت له ما ضل الله بك قال رحمى وما كان شيء أضر علي من إشارات القوم إلى وقال أبو بكر السكاني رأيت في المنام شاباً بأمر أحسن منه فقلت له من أنت قال التتوي فقلت فأين تسكن قال كل قلب حزين ثم التفت فإذا امرأة قد قتلت من أنت قالت أنا السقم فقلت فأين تسكنين قالت كل قلب فرح مرح قال فانتبهت وتعاهدت أن لا أضحك إلا غلبة وقال أبو سعيد الخزاز رأيت في المنام كأن إبليس وتب على فأشذت الصبا لأضربه فلم يزع منها فهتف بي هاتف إن هذا لا يخاف من هذه وإنما يخاف من نور يكون في القلب وقال المسوحى رأيت إبليس في النوم يمشي عرياناً فقلت ألا تستحي من الناس فقال بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت ألب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالسكره بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمي وأشار بيده إلى أصحابنا الصوفية وقال أبو سعيد الخزاز كنت في دمشق فرأيت في المنام كأن النبي

من أحوال غسه  
ومآربها ويسكر إلى  
الجامع قبل طلوع  
الشمس بعد التل  
للجمعة وإن اغتسل  
قريباً من وقت الصلاة  
إذا أمكنه ذلك فحسن  
قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم «يا أبا  
هريرة اغتسل للجمعة  
ولو اشترت إلباء  
بشئائك وما من  
نبي إلا وقد أمره  
الله تعالى أن يغتسل  
للجمعة فإن غسل  
الجمعة كفارة للذنوب  
ما بين الجنيتين» ويستنزل  
بالصلاة والتضرع  
والدعاء والتلاوة وأنواع  
الأذكار من غير خور  
لأنه أن يغسل  
ويجلس مستكفاً في

صلى الله عليه وسلم جاءني متكئا على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فجاء فوقفت على وأنا أقول شيئا من الأصوات وأدق في صدري فقال شر هذا أكثر من خبره. وعن ابن عيينة قال رأيت سفيان الثوري في النوم كأنه في الجنة يطير من شجرة إلى شجرة يقول مثل هذا فلعل العاملون فقلت له أوصني قال أقلل من معرفة الناس وروى أبو حاتم الرازي عن قيس بن عتبة قال رأيت سفيان الثوري فقلت ماض الله بك فقال:

نظرت إلى ربي كفاحا فقال لي هنيئا رمتني عنك يا ابن سعيد  
قد كنت قواما إذا أظلم الدجى بصيرة مشتاق وقلب محميد  
فدونك فاخترتني قصر أردته وزرتني فاني منك غير بيد

وروى الشبلبي بعد موته بثلاثة أيام قيل له ماض الله بك قال تاتيتني حتى أبست ظفاري بأسي تتمدني برحمته وروى مجنون بن عامر بعد موته في المنام قيل له ماض الله بك قال غفرتي وجعلني حجة على المهين وروى الثوري في المنام قيل له ماض الله بك قال رحمتي قيل له محال عبد الله بن المبارك فقال هو بمن يلج على ربه في كل يوم مرتين وروى بعضهم فسل عن حاله فقال : حاسبو نافذة قوائم منوا فأعتقوا وروى مالك بن أنس قيل له ماض الله بك قال غفرتي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنائز سبحة الحى التى لا يموت وذوئى فى الليلة التى مات فيها الحسن البصرى كان أبواب السماء مفتحة وكان مناديا ينادى ألا إن الحسن البصرى قدم على الله وهو عنه راض وروى الجاحظ قيل له ماض الله بك قال :

ولا تكتب بحطك غير شئ\* يسرك فى القيامة أن تراه

ورأى الجنيد إبليس فى المنام عريانا فقال ألا تستحي من الناس فقال وهؤلاء ناس الناس أقوام فى مسجد الشوزية قد أنصتوا جسدى وأحرقوا كبدى قال الجنيد لما انتهت غدوت إلى المسجد فرأيت جماعة قد وضوا رءوسهم على ركبهم يتفكرون فلما رأوني قالوا لا يتركك حديث الحديث وروى النضر الباذي بمكة بعد وفاته فى النوم قيل له ماض الله بك قال عوتبت عتاب الأشراف ثم نوديت يا أبا القاسم أبعد الاتصال اتصال قلل لا يابذا الجلال لما وضعت فى اللحد حتى لحقت برى ورأى عتية العلام حوراء فى المنام على صورة حسنة فقالت يا عتية أتألك عاشقة فأنظر لآعمل من الأعمال شيئا فيحال بيني وبينك فقال عتية طلعت الدنيا ثلاثا لارجمة لى عليها حتى ألقاك وقيل رأى أيوب السخيتاني جنازة عاص فدخل الدهليز كيلا يصل عليها فرأى للبت بعضهم فى المنام قيل له ماض الله بك قال غفرتي وقال قل لأيوب- قل لو أنتم تعلمون خزان رحمتي إذا لمستم خشية الاغراق- وقال بعضهم رأيت فى الليلة التى مات فيها داود الطائي نور او ملائكة نزولا وملائكة صعودا فقلت لى ليلة هذه فقالوا ليلة مات فيها داود الطائي وقد زخرت الجنة لقدم روحه وقال أبو سعيد الشعام رأيت سهلا الصعلوكى فى المنام فقلت أيها الشيخ قال دع التشبيخ قلت تلك الأحوال التى شاهدتها فقال لمن عنا فقلت ماض الله بك قال غفرتي بعائل كان يسأل عنها المجز وقال أبو بكر الرشيدى رأيت محمدا الطوسى الملقب فى النوم فقال لى قل لأبي سعيد الصغار المؤدب :

وكنا على أن لا نحول عن الهوى فقد وحيات الحب حلتم وما حلنا

قال فانتبهت فذكرت ذلك له فقال كنت أزر قبره كل جمعة فلم أزر هذه الجمعة وقال ابن راشد رأيت ابن المبارك فى النوم بعد موته فقلت أليس قد مات قال بلى قالت فما صنع الله بك فى لغفرتي مغفرة فأحاطت بكل ذنب قلت سفيان الثوري قال بلغ من ذاك - من الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين - الآية وقال الربيع بن سليمان رأيت الشافعى رحمة الله عليه بعد وفاته فى المنام فقلت يا أبا عبد الله ما صنع الله بك

الجامع إلى أن يصل  
فرض العصر ونية  
النهار يشغله بالتسبيح  
والاستغفار والصلاة  
على النى صلى الله عليه  
وسلم فانه يرى بركة  
ذلك فى جميع الأسبوع  
حتى يرى ثمرة ذلك  
يوم الجمعة وقد كان من  
الصادقين من يضبط  
أحواله وأقواله وأفعاله  
جميع الأسبوع لأنه يوم  
المزيد لكل صادق  
ويكون ما يجده يوم  
الجمعة معيارا يعتبر به  
سائر الأسبوع الذى  
مضى فانه إذا كان  
الأسبوع سليما يكون  
يوم الجمعة فيه مزيد  
الأنوار والبركات وما يجد  
فى يوم الجمعة من الظلة  
وسامة النفس وقلة

قال أجلسنى على كرسى من ذهب ونشر على الأرض الرطب ورأى رجلاً من أصحاب الحسن البصرى ليلقنات الحسن كان منادياً بنادى - إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين واصطفى الحسن البصرى على أهل زمانه وقال أبو يعقوب القارى الدقيقى رأيت فى منامى رجلاً آدم طوالاً والناس يتيمونه قتلته من هذا قالوا أوبس القرنى فأنتبهت قتلته أوصنى رحمتك الله فكلح فى وجهى قتلته مسترهد فأرشدنى أرشدك الله فأقبل على وقال اتبع رحمة ربك عند محبته واحذر قهقهة عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه فى خلال ذلك ثم ولى وتركنى وقال أبو بكر بن أبى مريم رأيت ورقاء بن بشر الحضرمى قتلته ما فاضلت يا ورقاء قال نجوت بعد كل جهد قتلته فأبى الأعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من خشية الله وقال يزيد بن نامة هلكت جارية فى الطاعون الجارف فرأى أبوها فى المنام فقال لها بنية أخبرينى عن الآخرة قالت يا أبت قدما على أمر عظيم نعلم ولا نعلم ونتمولون ولا تملون والله لتسبيحى أو تسبيحان أو ركعة أو ركعتان فى فسحة عمل أحب إلى من الدنيا وما فيها وقال بعض أصحاب عتبة الغلام رأيت عتبة فى المنام قتلته ما مضى الله بك قال دخلت الجنة بثلك الدعوة المكتوبة فى بيتك قال فلما أصبحت جئت إلى بيتي فاذا خط عتبة الغلام فى حائط البيت يباهى الضالين ويأرمح المؤمنين ويأقيل عثرات المارئين أرحم عبدك ذا الخطر العظيم والسلبين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأحياء الرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والسديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين وقال موسى بن حماد رأيت سفيان الثورى فى الجنة يطير من نخلة إلى نخلة ومن شجرة إلى شجرة قتلته بأبأعباده هم نلت هذا فقال بالورع قتلته فما زال على بن عاصم قال ذلك لا يكاد يرى إلا كبرى السكوك ورأى رجلاً من التابعين الذى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال يا رسول الله عظمى قال نعم من لم ينفذ القصاص فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فالوفاة خير له . وقال الشافعى رحمة الله عليه دهمى فى هذه الأيام أمر أمضى وآتى وبطلع عليه غير الله عز وجل فدا كان البارحة أنأت آت منامى فقال لي يا محمد بن إدريس قل اللهم إني لأملك نفسي فما لأضرا ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا أستطيع أن أخذ إلا ما أعطيتى ولا أتقى إلا ما أوتيتنى اللهم فوقى لما تحب وترضى من القول والعمل فى عافية فلما أصبحت أعدت ذلك فلما ترحل النهار أعطانى الله عز وجل طلبى وسهل لى الخلاص مما كنت فيه فعليكم بهذه الدعوات لا تلتفتوا عنها فهذه جملة من الكشافات تدل على أحوال اللوق وعلى الأعمال القريبة إلى الله زلفى . فلنذكر بعدها ما بين يدى اللوق من ابتداء نعمة الصور إلى آخر القرار إما فى الجنة أو فى النار والحمد لله حمد الشاكرين .

[الشرط الثانى من كتاب ذكر اللوق فى أحوال البيت من وقت نعمة الصور إلى آخر الاستقرار فى الجنة أو فى النار وتفصيل ما بين يديه من الأهوال والأخطار] وفى بيان نعمة الصور وصفة أرض المحشر وأهلها وصفة عرق أهل المحشر وصفة طول يوم القيامة وصفة يوم القيامة ودوابها وأسمائها وصفة النساء عن الذنوب وصفة الميزان وصفة الحصى ورد الظلم وصفة الصراط وصفة الشفاعة وصفة الخوض وصفة جهنم وأهلها وأسكنها وحياتها وعقاربها وصفة الجنة وأصناف نعمها وعدد الجنان وأبوهم وأغرفها وحيطانها وأهوارها وأشجارها ولباس أهلها وفرشهم ونسرجهم وصفة طعامهم وصفة الحور العين والولدان وصفة النظر إلى وجه الله تعالى وباب فى سعة رحمة الله تعالى وبه ختم الكتاب إن شاء الله تعالى .

(صفة نعمة الصور)

قد عرفت فيما سبق شدة أحوال البيت فى سكرات اللوق وخطره فى خوف المابقة ثم مقاساته لظلمة القبر

(الشرط الثانى من وقت نعمة الصور)

لا تخرج طما ضيق  
فى الأسبوع يعرف  
ذلك ويعتبره ويتقى  
جداً أن يلبس لباس  
أما للرفع من الثياب  
أوثاب التثخين ليرى  
بين الزهد قس ليس  
الرفع قس هو وفى  
لبس الحشن رياء فلا  
يلبس إلا الله . بلغنا  
أن سفيان لبس  
القميص مقلوباً ولم يعلم  
بذلك حتى ارتفع الثمار  
ونبهه على ذلك بعض  
الناس فهم أن يخلع  
ويغير ثم أمسك وقال  
لبسته بنية فلا غيره  
فألبسه بنية فللبس فليعلم  
العبد ذلك وليعتبره  
ولا يبدل لبتدى أن يكون  
له حظ من تلاوة القرآن  
ومن حفظه فيحفظ

وإيدانه ثم لشكر ونكير ومؤلها ثم لعذاب القبر وخطره إن كان مغضوبا عليه وأعظم من ذلك كله الأخطار التي بين يديه من نزع الصور والبث يوم النشور والعرض على الجبار والنشور على القليل والكثير ونصب لليزان لحرفة القادير ثم جواز الصراط مع دقة وحدته ثم انتظار النداء عند فصل القضاء إما بالإنقاذ وإما بالاشتداد فهذه أحوال وأحوال لا بد لك من معرفتها إيمان بها على سبيل الجرم والصدق ثم تطويل الفكر في ذلك لينبت من قلبك دواعي الاستعداد لها وأكثرت الناس لم يدخل الإيمان باليوم الآخر صميم قلوبهم ولم يتمكن من سويدها أقدنتهم وبدل على ذلك شدة تشمرهم واستعدادهم لمحر الصيف وبرد الشتاء ونهايتهم بحر جهنم وزمهرير هائم ما تكتشفه من اللصاعب والأحوال بل إذا سألوا عن اليوم الآخر نطقت به ألسنتهم ثم غفلت عنه قلوبهم ومن أخبر بأن ما بين يديه من الطعام مسموم قال لصاحبه الذي أخبره صدقت ثم مده لتأوله كان مصداقاً لما نوهه وتكذبا به وهو تكذيب العمل بالعلم بالغ من تكذيب القسان وقد قال النبي ﷺ « قال الله تعالى شئني ابن آدم وما يبني له أن يشتني وكذبني وما يبني له أن يكذبني أما غشمة إياي فيقول إن لي ولها وأما تكذيبه فله لن يعيدني كما بداني <sup>(١)</sup> » وروى عن الأوطان عن قوة اليقين والتصديق بالبث والنشور لقلة الفهم في هذا المالم لأمثال تلك الأمور ولولم يشاهد الإنسان نواتج الحيوانات وقيل له إن صافيا يصنع من النطفة المنفرة مثل هذا الأدمي الصور العاقل التكلم للتصرف لا شئ غور باطنه عن التصديق به ولذلك قال الله تعالى « ولما لم الإنسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين » وقال تعالى « يحسب الإنسان أن يترك سدى ألم يك نطفة من مئذني ثم كان علقة خلق فسوى فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى فني خلق الأدمي مع كثرة عجايبه واختلاف تركيب أعضائه أعاجيب تزيد على الأعاجيب بشه وإعادته في فكيف ينكر ذلك من قدرة الله تعالى وحكمته من يشاهد ذلك في صنعه وقدرته فإن كان في إيمانك ضعف فقول الإيمان بالنظر في النشأة الأولى فإن الثانية مثله وأسهل منها وإن كنت قوي الإيمان بها فأشعر قلبك تلك المخاوف والأخطار وأكثر فيها التفكير والاعتبار لتسلب عن قلبك إلحادا والقرار فتشتغل بالنشور للعرض على الجبار وتفكر ألا فبا يقرع مع سكان القبور من شدة نزع الصور فاتها صيحة واحدة تنفجر بها القبور عن رءوس الموتى فيثورون دفعة واحدة قوهم نفسك وقد وثبت متغيرا وجهك مغبرا بدتك من فرقك إلى قدمك من تراب قبرك مبهوتا من شدة الصعقة شاخص العين نحو النداء وقد ثار الخلق ثوروا واحدة من القبور التي طال فيها بلاؤهم وقد أزهجهم الفزع والرجب مضافا إلى ما كان عندهم من المصوم والصوم وشدة الانتظار لعافية الأمر كما قال تعالى « وتنفخ في الصور فضعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم خضع فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون » وقال تعالى « فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير » وقال تعالى « ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون نزع في الصور فاذا هم من الأجداث إلى ربهم يسألون قالوا يا ويلنا من بئتنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون - فلو لم يكن بين يدي الموتى إلا هول تلك النفخة لكان ذلك جديرا بأن يتقي فاتها نفخة وصيحة يضعق بها من في السموات والأرض يعني بموتهم بها إلا من شاء الله وهو بعض الملائكة ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كيف أتمم وصاحب الصور قد التزم القرن وحى الجبهة

(١) حديث قال الله تعالى شئني ابن آدم وما يبني له أن يشتني وكذبني وما يبني له أن يكذبني الحديث البخاري من حديث أبي هريرة .

من القرآن من السبع إلى الجميع إلى أقل أو أكثر كيف أمكن ولا يصنى إلى قول من يقول ملازمة ذكر واحد أفضل من تلاوة القرآن فانه يجذب تلاوة القرآن في الصلاة وفي غير الصلاة جميع ما ينبغي بتوفيق الله تعالى وإنما اختار بعض الشايع أن يديم الريد ذكر واحد ليجمع لهم فيه ومن لازم التلاوة في الخلوة وتمسك بالوحدة فيه التلاوة والصلاة أو في ما يفيد الذكر الواحد فاذا سئم في بعض الأساليب يصانع النفس على الذكر بمسانة وينزل من التلاوة

وأصغى بالأذن ينتظر متى يؤمر فينفع <sup>(١)</sup> قال مقاتل : الصور هو القرن وذلك أن إسرائيل عليه السلام وأمنع قام على القرن كهيئة البوق ودائرة رأس القرن كقرص السموات والأرض وهو شامخ بصره نحو العرش ينتظر متى يؤمر فينفع النفخة الأولى فإذا نفع صمق من في السموات والأرض أي مات كل حيوان من شدة الفزع إلا من شاء الله وهو جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ثم يأمر ملك الموت أن يقبض روح جبريل ثم روح ميكائيل ثم روح إسرائيل ثم يأمر ملك الموت فيموت ثم يابث الحلق بعد النفخة الأولى في البرزخ أربعين سنة ثم يحيي الله إسرائيل فيأمره أن ينفع الثانية فنفع قوله تعالى - ثم نفع فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون - على أرجلهم ينظرون إلى البعث وقال صلى الله عليه وسلم « حين يبعث إلى بئس إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وآخر أخرى ينتظر متى يؤمر بالنفع ألا فاقفوا النفخة <sup>(٢)</sup> فتفكر في الخلائق وذلم وانكسارهم واستكانتهم عند الانبثاق خوفا من هذه الصعقة وانتظارا لما يقضى عليهم من معادة أو شقاوة وأنت فيما بينهم منكسر كانكسارهم متحير كتحيرهم بل إن كنت في الدنيا من الترفهين والأغنياء للتمتعين فلوك الأرض في ذلك اليوم أدل أهل أرض الجمع وأصغرهم وأحقهم يوطئون الأقدام مثل الدر وعند ذلك تقبل الوحوش من البراري والجبال منكسة رموسها مختلطة بالخلأق بعد توحشها ذليلة ليوم النشور من غير خطيئة تدنست بها ولكن حشرتهم شدة الصعقة وهول النفخة وشغلهم ذلك عن الحرب من الحلق والتوحش منهم وذلك قوله تعالى - وإذا الوحوش حشرت - ثم أنبئت الشياطين للردة بعد تمردها وعتوها وأذعنت خاشعة من هبة العرش على الله تعالى تصديقا لقوله تعالى - فو ربك لتحشرنهم والشياطين ثم لحضرنهم حول جهنم جثا - فتفكر في حالك وحال قايك هناك .

### ( صفة أرض المحشر وأهله )

ثم النظر كيف يساقون بعد البعث والنشور حفاة عراة فر لا إلى أرض المحشر أرض يضاء قاع صفصف لأرى فيها عوجا ولا أمنا ولا ترى عليها روية تخفي الإنسان ورأها ولا وهدة ينخفض عن الأعين فيها بل هو صعيد واحد بسيط لا تفاوت فيه يساقون إلى زمزم اقربحان من جمع الخلائق على اختلاف أصنافهم من أقطار الأرض إذ ساقهم بالرافعة تتبعها الرافعة والرافعة هي النفخة الأولى والرافعة هي النفخة الثانية وحقيق تلك القلوب أن تكون يومئذ واجفة ولتلك الأبصار أن تكون خاشعة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها ماء لأحد <sup>(٣)</sup> »

- (١) حديث كيف أنهم وصاحب الصور قد التزم القرن وحتى الجهة الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن ورواه ابن ماجه بلفظ إن صاحب القرن بأيديهما أو بأيديهما قرآن بالاحظان النظر متى يؤمران وفي رواية ابن ماجه الحاجج بن أرطاة مختلف فيه (٢) حديث حين يبعث إلى بئس إلى صاحب الصور فأهوى به إلى فيه وقدم رجلا وآخر أخرى الحديث لم أجده هكذا بل قد ورد أن إسرائيل من حين ابتداء الخلق وهو كذلك كما رواه البخاري في التاريخ وأبو الشيخ في كتاب العظمة من حديث أبي هريرة إن الله تبارك وتعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرائيل فهو واضعه على فيه شامخ يصيره إلى العرش ينتظر متى يؤمر قال البخاري ولم يصح وفي رواية لأبي الشيخ ما طرف صاحب الصور مذ وكل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرمد إليه طرفه كأن عينه كوكبان دريان وإسنادها جيد
- (٣) حديث يحشر الناس يوم القيامة على أرض يضاء عفراء كقرص النقي ليس فيها ماء لم أجده

إلى الذكر فانه أخف على النفس ويشينى أن يعلم أن الاعتبار بالقلب فكل عمل من تلاوة وصلاة وذكر لا يجمع فيه بين القلب واللسان لا يمتد به كل الاعتداد فانه عمل ناقص ولا يحضر الوساوس وحديث النفس فانه مضروءاء عضال فيطالب نفسه أن تصبر في تلاوته معنى القرآن مكان حديث النفس من باطنه فكما أن التلاوة على اللسان هو مشغول بها ولا يترجمها بسلام آخر هكذا يكون معنى القرآن في القلب لا يترجمه بحديث النفس وإن كان أعجب لا يعم

قال الراوى : والغفرة يبيض ليس بالناصع والنقى هو النقى عن القشر والنخالة ومعلم أى لآبناء يسر ولا تفاوت برد البصر ، ولا تظن أن تلك الأرض مثل أرض الدنيا بل لا تساوها إلا في الاسم قال تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات - . قال ابن عباس : يزداد فيها وينقص وتذهب أشجارها وجبالها وأوديتها ومافيهما وتمد الأرض ممد الكفاي أرض بيضاء مثل القضة لم يسفك عليها دم ولم يعمل عليها خطيئة والسماوات تذهب شمسا وقرها ونجومها فانظر بإمكانك في هول ذلك اليوم وشدة فاته إذا اجتمع الخلائق على هذا الصعيد تناثرت من فوقهم نجوم السماء وطمس الشمس والقمر وأظلمت الأرض لمخود سراجها فينام كذلك إذ دارت السماء من فوق رؤسهم وانثقت مع غلظها وشدها خبائة عام والملائكة قيام على حافاتها وأرجائها فياهول صوت انشقاقها في صمك وبهاية ليوم تنشق فيه السماء مع صلابتها وشدها ثم تنهار وتنبل كالقضة اللذابة تغالطها صخرة فصارت وردة كالدهان وصارت السماء كالملل وصارت الجبال كالمنى واشتدك الناس كالغراش البثور وهم حفاة عراة مشاة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم الرقي وبلغ شحوم الآذان . قالت سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم رواية الحديث قلت يا رسول الله واسوأناه ينظر بعضنا إلى بعض فقال شغل الناس عن ذلك بهم - لسلك امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه - <sup>(١)</sup> » فأعظم يوم تكشف فيه العورات ويؤمن في مع ذلك النظر والالتفات كيف وبعضهم يمشون على بطونهم ووجوههم فلا قدرة لهم على الالتفات إلى غيرهم قال أبو هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف ركباناً ومشاة وعلى وجوههم فقال رسول الله وكيف يمشون على وجوههم ؟ قال الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يحشرهم على وجوههم <sup>(٢)</sup> » في طبع الأدمى إنكار كل مالم يأنس به ولو لم يشاهد الإنسان الحية وهى تمشى على بطنها كالرقي الحائط لأنكر تصور الشئ على غير رجل وللشئ بالرجل أيضاً مستبعد عند من لم يشاهد ذلك فبالله أن تنكر شيئاً من محاب يوم القيامة لحالته قياس ما في الدنيا فانك لو لم تكن قد شاهدت محاب الدنيا ثم عرضت عليك قبل الشاهدة لكنت أشد إنكاراً لها فأحضر في قلبك صورتك وأنت واقف على ما كنتوقاً ذليلاً مدحوراً متنجساً مهوياً منتظراً لما يجرى عليك من القضاء بالعادة أو بالثاوة وأعظم هذه الحال فانها عظيمة .

### ( صفة الرقي )

ثم تنفكر في ازدحام الخلائق واجتماعهم حتى ازدحموا على الوقوف أهل السماوات السبع والأرضين السبع من ملك وجن وإنس وشيطان ووحش وسبع وطير فأشرفت عليهم الشمس وقد تضاعف حرها وتبدلت عما كانت عليه من خفة أمرها ثم أدبنت من رؤوس الملائك كقباب قوسين ثم يبق على الأرض ظل إلا لظل عرش رب العالمين ولم يمكن من الاستظلال به إلا القربون فمن بين مستظل بالعرش وبين مضطج لحر الشمس قد صيرته بحرها واشتدكر به وغمد من وجهها ثم تدافعت الخلائق ودفع

متفق عليه من حديث سهل بن سعد وفصل البخارى قوله ليس فيها معلم لأحد فجعلنا من قول سهل وغيره وأدرجها مسلم فيه <sup>(١)</sup> حديث يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم الرقي وبلغ شحوم الآذان قالت سودة رواية الحديث واسوأناه الحديث التعلبي والنبوى وهوى الصحيحين من حديث عائشة وهى القائلة واسوأناه ورواه الطبرانى في الأوسط من حديث أم سلمة وهى القائلة واسوأناه <sup>(٢)</sup> حديث أبى هريرة يحشر الناس يوم القيامة ركباناً ومشاة على وجوههم الحديث رواه الترمذى وحسنه وفى الصحيحين من حديث أنس أن رجلاً قال يابني الله كيف يحشر الكافر على وجهه قال أليس الذى أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة .

معنى القرآن يكون لمراقبة حلية باطية فيشغل باطنه عطالة نظر الله إليه ممكن حديث النفس فإن بالدوام على ذلك يصير من أبواب للمشاهدة . قال مالك : قلوب الصديقين إذا سمعت القرآن طربت إلى الآخرة فليست منك المرید بهذه الأصول وليستعن . بدوام الافتقار إلى الله بذلك ثبات قدمه . قال سهل : على قدر لزوم الالتجاء والافتقار إلى الله تعالى يعرف البلاء وعلى قدر معرفته بالبلاء يكون افتقاره إلى الله فدوام الافتقار إلى الله أصل كل خير

بعضهم بعضاً لشدة الزحام واختلاف الأقدام وانضاف إلى المشقة الحجلة والحياض من الانقضاح والاختزاه عند العرض على جبار السماء فاجتمع وهج الشمس وحر الأتاس واحتراق القلوب بنار الحياض والخوف ففاض العرق من أصل كل شجرة حتى سال على صعيد القيامة ثم ارتفع على أقدامهم على قدر منازلهم عند الله فيعصهم بلغ العرق ركبته وبعضهم حقويه وبعضهم إلى شجرة أذنيه وبعضهم كاد ينيب فيه . قال ابن عمر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يوم يقوم الناس لرب العالمين - حتى ينيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه<sup>(١)</sup>» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين باعوا يلجمهم ويبلغ آذانهم<sup>(٢)</sup>» كذا رواه البخاري ومسلم في الصحيح وفي حديث آخر «قياماً شاحصة أبصارهم أربعين سنة إلى السجدة يلجمهم العرق من شدة الكرب<sup>(٣)</sup>» وقال عتبة بن عامر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمن الناس من يبلغ عرقه عقبه ومنهم من يبلغ نصف ساقه ومنهم من يبلغ ركبته ومنهم من يبلغ غطفه ومنهم من يبلغ خاصرته ومنهم من يبلغ فاه وأشار يده فألجم فاه ، ومنهم من ينظفه العرق ، وضرب يده على رأسه هكذا<sup>(٤)</sup>» فأمل بالمسكين في عرق أهل المشقة وشدة كربهم وفيهم من ينادي فيقول رب أرحنى من هذا الكرب والانتظار ولولاي النار وكل ذلك ولم يذوقوا بعد حساباً ولا عقاباً فانك واحد منهم ولا تدرى إلى أين يبلغ بك العرق . واعلم أن كل عرق لم يخرج الصب في سبيل الله من حج وجهاد وصيام وقيام وتردد في قضاء حاجة مسلم وتحمل مشقة في أمر معروف ونهى عن منكر فسيخرجه الحياض والخوف في صعيد القيامة ويطول فيه الكرب ولو لم يكن آدم من الجهل والفروغ لعم أن تعب العرق في تحمل مصائب الطاعات أهون أمراً وأقصر زماناً من عرق الكرب والانتظار في القيامة فإنه يوم عظمة شدته طويلة مدته .

### (صفة طول يوم القيامة)

يوم تنف فيه الخلائق شاحصة أبصارهم منظره قلوبهم لا يكلمون ولا ينظر في أمورهم يقفون ثلاثاً عام لا يأكلون فيه أكلة ولا يشربون فيه شربة ولا يجنون فيروح نسيم . قال كعب وقناة - يوم يقوم الناس لرب العالمين - قال يقومون مقدار ثلاثمائة عام بل قال عبيد الله بن عمر وتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية ثم قال «كيف بكم إذا جمعكم الله كما تجمع النبل في السكينة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم<sup>(٥)</sup>» وقال الحسن ما ظنك يوم قاموا فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة

(١) حديث ابن عمر يوم يقوم الناس لرب العالمين حتى ينيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه متفق عليه (٢) حديث أبي هريرة يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعاً الحديث أخرجه في الصحيحين كما ذكره للصنف (٣) حديث قياماً شاحصة أبصارهم أربعين سنة إلى السماء يلجمهم العرق من شدة الكرب ابن عدى من حديث ابن مسعود وفيه أبو طيبة عيسى ابن سليمان الجرجاني ضعه ابن معين وقال ابن عدى لا أصل له أنه كان تعدد الكذب ولكن له تشبه عليه (٤) حديث عتبة بن عامر تدنو الشمس من الأرض يوم القيامة فيعرق الناس فمنهم من يبلغ عرقه عقبه الحديث رواه أحمد وفيه ابن لهيعة (٥) حديث ابن عمر تلا هذه الآية يوم يقوم الناس لرب العالمين ثم قال كيف بكم إذا جمعكم الله كما يجمع النبل في السكينة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم قلت إنما هو عبيد الله بن عمر ورواه الطبراني في الكبير وفيه عبد الرحمن بن ميسرة ولم يذكر له ابن أبي حاتم راوياً غير ابن وهب ولهم عبد الرحمن بن ميسرة الحضرمي أربعة هذا أحدهم مصري والثلاثة الآخرون شاميون .

ومفتاح كل علم دقيق في طريق القسوم وهذا الافتقار مع كل الأتاس لا ينشبت بحركة ولا يستقل بكلمة دون الافتقار إلى الله فيها وكل كلمة وحركة خلقت عن مراجعة الله والافتقار فيها لا تغيب خسراناً قطعا علنا ذلك وتحققناه . وقال سهل من انتقل من نفس إلى نفس من غير ذكر فقد ضيع حاله وأدنى ما يدخل على من ضيع حاله دخوله فيها لا ينبيه وتركه ما ينبيه . وبلغنا أن حسان بن سنان قال ذات يوم لمن هذه العلة ثم رجع إلى

لأباً كلون فيها أكلة ولا يشربون فيها شربة حتى إذا انقطعت أعناقهم عطشوا واحترقت أجوافهم جوعاً انصرف بهم إلى النار فسقوا من عين آتية قد آن حرها واشتد لقمها فلما بلغ المجهود منهم ملاطاة لهم به كلم بعضهم بسناً في طلب من يكرم على مولاه ليشفع في حتمهم فلم يعلقوا بنبى إلا دفعهم وقال دعوني نفسى نفسى شغلنى أمرى عن أمر غيرى واعتذر كل واحد بشدة غضب الله تعالى وقال قد غضب اليوم ربنا غضباً لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله حتى يشفع نبينا صلى الله عليه وسلم لمن يؤذن له فيه - لا يمكن الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا - فتأمل في طول هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتى يخف عليك انتظار الصبر عن العاصى في عمره المختصر. واعلم أن من طال انتظاره في الدنيا لموت لشدة مقاساته للصبر عن الشهوات فانه يقصر انتظاره في ذلك اليوم خاصة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سئل عن طول ذلك اليوم قال «والذى نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة للكنوبة يصليها في الدنيا» <sup>(١)</sup> فاجتهد أن تكون من أولئك المؤمنين فإدام يبق لك نفس من عمرك فالأمر إليك والاستعداد إليك فاعمل في أيام قصار لأيام طوال ترجع ربها لامتنتهى لسروره واستحقق عمره بل عمر الدنيا وهو سبعة آلاف سنة فانك لو صبرت سبعة آلاف سنة مثلاً لتخلص من يومه داره خمسون ألفاً ساكن ربحك كثيراً وتبكت يسيراً.

( صفة يوم القيامة ودواهبه وأساميه )

فاستمد بالمسكين لهذا اليوم العظيم شأنه للديد زمانه القاهرة سلطانه القريب أوانه، يوم ترى السماء فيه قد انقطرت، والكواكب من هولاء قد انتشرت، والنجوم الزواهر قد انكسرت، والشمس قد كورت، والجبال قد سيرت، والنفوس إلى الأبدان قد زوجت، والحجيم قد صمرت، والجنة قد أزلت، والجبال قد نسفت، والأرض قد مدت، يوم ترى الأرض قد زلزلت فبعضها، وأخرجت الأرض أنهارها، يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم، يوم تحمل الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة، فيومئذ وقعت الواقعة وانشقت السماء فهي يومئذ واهية، ولللك على أرجائها، ويعمل عرش بك فوقهم يومئذ ثمانية يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية، يوم تسمى الجبال وترى الأرض بارزة، يوم ترج الأرض فيه رجاً وتبس الجبال بسا فكتات هباء منبثاً، يوم يكون الناس كالفرش المبثوث وتكون الجبال كالهنئ للنفوس، يوم تذهل فيه كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد، يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبزوا، قد الواحد القهار، يوم تنسف فيه الجبال نسفاً فتركها صفاً صفصفاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، يوم ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب، يوم تنشق فيه السماء فتكون وردة كالدهان، فيومئذ لا يستل عن ذنبه إنس ولا جان، يوم يجمع فيه العاصى من الكلام ولا يستل فيه عن الإجماع بل يؤخذ بالتواصى والأقدام، يوم تجد كل نفس ما معات من خير محضراً وما حملت من سوء تودلوان بينها وبينه أمداً بعيداً، يوم تعلم فيه كل نفس ما أحضرت وتشهد ما قدمت وأخرت يوم تحرس فيه الألسن

(١) حديث سئل عن طول ذلك اليوم فقال والذي نفسى بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أهون عليه من الصلاة للكنوبة يصليها في الدنيا أبو يعلى والبيهقي في الشعب من حديث أنس سعيد الخدري وفيه ابن لمية وقد رواه ابن وهب عن عمرو بن الحارث، بدل ابن لمية وهو حسن ولا يفي على من حديث أبي هريرة بإسناد جيد يهون ذلك على المؤمن كتنلى الشمس للغروب إلى أن تشرق ورواه البيهقي في الشعب إلى أن قال أظنه رضى بالغنى إن الله ليخفف على من يشاء من عباده طول كونه حلاًة مبرومة.

نفسه وقال نالى وهذا السؤال وهل هذه إلا كلمة لا تمنى وهل هذا إلا لاستيلاء نفسى وقلة أدبها وآلى على نفسه أن يصوم سنة كفارة لهفه الكلمة فبالصدق قالوا ما نالوا وبقوة العزائم عزائم الرجال بلغوا ما بلغوا. أخبرنا أبو زرعة إجازة قال أنا أبو بكر بن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت منصوراً يقول سمعت أبا عمرو الأنصاري يقول سمعت الجنيد يقول لو أنبل صادق على ألف سنة ثم أعرض عنه لحظة لكان ما فات من الله أحسن مما نال وهذه

وتطلق الجوارح يوم شيب ذكره سيد المرسلين إذ قال له الصديق رضى الله عنه : أراك قد شبت  
يا رسول الله قال لا شيتنى هود وأخواتها<sup>(١)</sup> وهى الواقعة والمرسلات وعم يشاءون وإذا الشمس كورت؛  
فيا أيها القارىء العاجز إنما حفظك من قراءتك أن تجمع القرآن وتحركه باللسان ولو كنت متفكرا  
فيا تفرؤا لكنت جدرا بأن تنشق مرارتك بما شاب منه شعر سيد المرسلين وإذا اقتضت حركة اللسان  
لقد حرمت نعمة القرآن فالقيامه أحد ما ذكر فيه وقد وصف الله بعض دواهيه وأكثرت أساميه  
لتنف بكثرة أساميه على كثرة معانيها فليس المقصود بكثرة الأسامي تكرير الأسامي والألقاب بل  
الفرش تنبيه أولى الألباب فحت كل اسم من أسماء القيامة سر وفي كل نعمت من نعمتها معنى فاحرص  
على معرفة معانيها ونحن الآن نجعل لك أساميه . وهى : يوم القيامة ويوم الحسرة ويوم الندامة ويوم  
الحسبة ويوم المسألة ويوم السابقة ويوم النافذة ويوم النافذة ويوم الزلزلة ويوم القسمة ويوم  
الصاعقة ويوم الواقعة ويوم القارعة ويوم الراجفة ويوم الرادفة ويوم الغاشية ويوم الداهية ويوم  
الآزفة ويوم الحاقة ويوم الطامة ويوم الصاحفة ويوم التلاقى ويوم الفراق ويوم الساقى ويوم القصاص  
ويوم التنادد ويوم الحساب ويوم اللآب ويوم العذاب ويوم القرار ويوم القرار ويوم القفا . ويوم  
البقاء ويوم القضاء ويوم الجزاء ويوم البلاء ويوم البكاء ويوم الحشر ويوم الوعيد ويوم العرض  
ويوم الوزن ويوم الحق ويوم الحكم ويوم الفصل ويوم الجمع ويوم البعث ويوم الفتح ويوم الحشر  
ويوم عظيم ويوم عظيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم اليقين ويوم النشور ويوم الصير ويوم النفخة  
ويوم الصيحة ويوم الرجفة ويوم الرجة ويوم الزجرة ويوم السكرة ويوم القزع ويوم الجزع  
ويوم التنهى ويوم التأوى ويوم اللغات ويوم اليعاد ويوم الرماد ويوم القلق ويوم العرق ويوم  
الانقار ويوم الانكدار ويوم الانشار ويوم الانشاق ويوم الوقوف ويوم الخروج ويوم الخلود  
ويوم الثنائين ويوم عبوس ويوم معلوم ويوم موعود ويوم مشهود ويوم لارب فيه ويوم نبى  
السرائر ويوم لا تحزى نفس عن نفس شيئا ويوم تشخص فيه الأصوار ويوم لا ينسى مولى عن مولى  
شيئا ويوم لا تملك نفس لنفس شيئا ويوم يدعون إلى نار جهنم دعا ويوم يسحبون فى النار على  
وجوههم ويوم تقب وجوههم فى النار ويوم لا يحزى والد عن ولده ويوم يفر الرء من أخيه وأمه  
وأبيه ويوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فمتذرون يوم لا مرد له من الله يوم هم بارزون يوم هم على النار  
يفتنون يوم لا ينفع مال ولا بنون يوم لا تنفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار يوم تردفه  
العاذير وتبلى السرائر وتظهر الضباير وتكشف الأستار يوم تخضع فيه الأصبار وتسكن الأصوات  
ويقل فيه الالتفات وتبرز الحقيبات وتظهر الخطيئات يوم يساق العباد ومعهم الأثماء ويشيب الصنير  
ويسكر الكبير فيومئذ وضعت الموازين ونشرت الدواوين وبرزت الجحيم وأغلى الجحيم وزفرت  
النار ويشى السكفار وسمرت النيران وتغيرت الألوان وخرس اللسان ونطقت جوارح الإنسان  
فيا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم حيث أغلقت الأبواب وأرخت السجور واستترت عن  
الخالق قمارفت النجور فإذا نفعل وقد شهدت عليك جوارحك ولول كل الويل لنا معاشر  
الغافلين يرسل الله لنا سيد المرسلين ويُرسل عليه الكتاب المبين ويخبرنا بهذه الصفات من نفوت  
يوم الدين ثم يعرفنا غفلتنا ويقول - اقرب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ما يأتهم من ذكر  
من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون لاهية قلوبهم - ثم يعرفنا قرب القيامة فيقول اقرب الساعة

الجملة يحتاج للتدبر  
أن يحكمها والتنبيه  
عالم بها عامل بمقائدها  
فالمبتدئ صادق  
والنهي صديق قال  
أبو سعيد القرشي  
الصادق الذي ظاهره  
مستقيم وباطنه ميل  
أحيانا إلى حظ النفس  
وعلامته أن يجد  
الحلاوة فى بعض  
الطاعة ولا يجدها فى  
بعض وإذا اشتغل  
بالذكر نور الروح  
وإذا اشتغل بحفظ  
النفس يهيج عن  
الأذكار والصديق  
الذى استقام ظاهره  
وباطنه يمد الله تعالى  
بسلوك الأحوال  
لا ينجيه عن الله  
وعن الأذكار أكل

(١) حديث شيبنى هود والواقعة والمرسلات وعم يشاءون وإذا الشمس كورت الترمذى وحسنه  
والحاكم وصححه وقد تقدم .

وانشق القمر - إنهم يرونه مبداً وئراء قريبا - وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً إنهم يكون أحسن أحوالنا أن تتخذ دراسة هذا القرآن عملاً فلا تتدبر معانيه ولا تنظر في كثرة أوصاف هذا اليوم وأسمايه ولا تستعد للتخلص من دواهيه فتمود بالله من هذه النعمة إن لم يداركنا الله بواسع رحمته.

### (صفة المسالة)

ثم تفكر يا مسكين بعد هذه الأحوال فيها يتوجه عليك من السؤال شفاهاً من غير ترجمان فتسأل عن القليل والكثير والتغير والتطير فيبينا أنت في كرب القيامة وعرقها وشدة عظامها إذ نزلت ملائكة من أرجاء السماء بأجسام عظام وأشخاص ضخام غلاظ شداد أمروا أن يأخذوا بنواصي المهجرين إلى موقف العرض على الجبار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن قذع وجل ملكا ما بين شغرى عينيه مسيرة مائة عام (١) » فما ظنك بنفسك إذا شاهدت مثل هؤلاء اللائكة أرسلوا إليك ليأخذوك إلى مقام العرض وتراهم على عظم أشخاصهم منسكبين لشدة اليوم مستعمرين مما بدا من غضب الجبار على عباده وعند نزولهم لا يبق في ولا صدق ولا صالح إلا ويغرون لأذنتهم خوفاً من أن يكونوا هم الأخاذين فهذا حال للمترين فما ظنك بالصالحين المهجرين وعند ذلك يادرأقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة أفبكم ربنا وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع اللائكة من سؤالهم إجلالاً لحالهم عن أن يكون فيهم فتادوا بأصواتهم مزهين لملكهم عما توحه أهل الأرض وقالوا سبحان ربنا ما هو قينا ولكنه آت من بعد وعند ذلك تقوم اللائكة صفافدين بالخلائق من الجواب وعلى جميعهم شعار الدل والخنوع وهيئة الخوف والهابة لشدة اليوم وعند ذلك يصدق الله تعالى قوله - فلنسلأن الذين أرسل إليهم ولنسلأن الرساين فلتنصن عليهم بعلومنا كذا غائبين - وقوله - فو ربك لنسلأنهم أجمعين عما كانوا يعملون - فيبدأ سبحانه بالأنبياء - يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب - فيأشدة يوم تذهل فيه عقول الأنبياء وتسمى علومهم من شدة الهيبة إذ يقال لهم ماذا أجبتم وقد أرسلتم إلى الخلائق وكانوا قد علموا قدهم عقولهم فلا يدرون بماذا يجيبون فيقولون من شدة الهيبة لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب وهم في ذلك الوقت صادقون إذ طارت منهم العقول وانصمت العلوم إلى أن يقوهم الله تعالى فيدعى نوح عليه السلام فيقال له هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته هل بلغت فيقول نعم فيقول ما أتانا من نذير ويؤف ببيسى عليه السلام فيقول الله تعالى له أأنئت قلت للناس اتخذوني وأمي الهين من دون الله فيسب متشحطا تحت هيبة هذا السؤال سنين فيالعظم يوم تمام فيه السياسة على الأنبياء بمثل هذا السؤال ثم تقبل اللائكة فينادون واحداً واحداً بإفلاق بن فلانة هلم إلى موقف العرض وعند ذلك ترتعد الفرائص وتضطرب الجوارح وتبهت العقول وتشتت أقوام أن يذهب بهم إلى النار ولا تعرض قبائح أعمالهم على الجبار ولا يكشف سترهم على ملائ الخلائق وقبل الابتداء بالسؤال يظهر نور العرش - وأشرقت الأرض بنور ربها - وأبقن قلب كل عبد بإقبال الجبار لمسالة العباد وظن كل واحد أنه ما يراه أحد سواه وأنه التصود بالأخذ والسؤال دون من عدها فيقول الجبار سبحان الله تعالى عند ذلك يا جبريل انقني بالنار فيجىء لها جبريل ويقول يا جبريل أحيي خالقك ومليكك فيصاذه جبريل على غيظها وغضبها فلم يلبث بعد ندائه أن ثارت وفازت وزفرت إلى الخلائق وشمت وصحح الخلائق تعيظها وزفيرها وانصت خزنتها متوجهة إلى الخلائق غضبا على من عصى الله تعالى وخالف أمره فأحضر يالك وأحضر في قلبك حالة قلوب العباد وقد امتلأت فزعا ورعبا فاستأطوا احتيا على الركب

(١) حديث إن لله عز وجل ملكا ما بين شغرى عينيه مسيرة خمسمائة عام لم أره بهذا اللفظ .

ولا نوم ولا شرب  
ولا طعام والصدى  
يريد نفسه لله وأقرب  
الأحوال إلى النبوة  
الصدقية . وقال  
أبو يزيد : آخر  
نهايات الصديقين أول  
درجة الأنبياء . واعلم  
أن أرباب النهايات  
استقامت بواطنهم  
وظواهرهم لله  
وأرواحهم خلصت  
عن ظلمات النفوس  
ووطئت بساط القرب  
وتقوسهم متقادة  
مطوعة صالحة مع  
القلوب مجية إلى كل  
ما تحيب إليه القلوب  
أرواحهم متعلقة  
بالقام الأعلى انطفأت  
فيهم نيران الهوى  
وتخمر في بواطنهم

وولوا مدبرين - يوم ترى كل أمة جالية - وسقط بعضهم على الوجوه منسكين وينادى العاصف والظالمون بالويل والثبور وينادى الصديقون نفسى نفسى فبينما هم كذلك إذ زفرت النازر فرمت الثانية تضاعف خوفهم وتحاذت قواهم وظنوا أنهم مأخوذون ثم زفرت الثالثة فساقت الحلائق على وجوههم وشخصوا بأبصارهم ينظرون من طرف خفى خاشع وانهمضت عند ذلك قلوب الظالمين فلبثت الحناجر كاظمين وذهلت النقول من السعداء والأشقياء أجمعين وبعد ذلك أقبل الله تعالى على الرسل وقال ماذا أجبتكم فإذا رأوا ما قد أقيم من السياسة على الأنبياء اشتد الفزع على العصاة فصر الوالد من ولده والأخ من أخيه والزوج من زوجته وبقي كل واحد منتظرا لأمره ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالى شفاه عن قليل عمله وكثيره وعن سره وعلايته وعن جميع جوارحه وأعضائه قال أبو هريرة « قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها حجاب قالوا لا » قال فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه حجاب قالوا لا » قال فوالله نفسى يده لا تضارون في رؤية ربك فلقى العبد فيقول له ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الحيل والابل وأدرك رأسى وترى فيقول العبد بلى فيقول أظننت أنك لا ترى فيقول لا فيقول فأنا أنساك كما نسيتي (١) فتوهم تسلك بامسكين وقد أخذت للامسك بضدك وأنت واقف بين يدي الله تعالى يسألك شفاه فيقول لك ألم أنعم عليك بالشباب فقيا ذا ألبنت ألم أمهل لك في العمر فقيا ذا أفتيته ألم أرزقك المال فمن أين اكتسبته وفيا ذا أفتقته ألم أكرمك بالعلم فإذا عملت فاعملت فكيف ترى حياتك وخجلك وهو يد عليك إنعامه ومعاصيك وأياديه وسابوك فإن أنكرت شرت عليك جوارحك . قال أنس رضى الله عنه « كنا مع رسول الله ﷺ فضحك ثم قال أتدرون من أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه يقول يارب ألم تحزن من الظلمة قال يقول بلى قال فيقول فاني لا أجيز على نفسى إلا شاهدا منى فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا والكرام الساكين شهودا قال فيختم على فيه ويقال لأركانه انطقى قال فتنتطق بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول لأعضائه بدا لكنى وسحقا ففسكن كنت أنا ضل (٢) فعوذ بالله من الانضاج على ملا الحاق جهادة الأعضاء إلا أن الله تعالى وعد للؤمن بأن يستر عليه ولا يطلع عليه غيره . سأل ابن عمر رجل فقال له كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى فقال قال رسول الله ﷺ « يدنو أحدكم من ربه حتى يضع كنفه عليه فيقول حملت كذا وكذا فيقول نعم فيقول حملت كذا وكذا فيقول نعم ثم يقول إنى سترتها عليك في الدنيا وإنى أغفرها لك اليوم (٣) » وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة (٤) » فهذا إنما يرجى لعبد مؤمن ستر على الناس عيوبهم واحتمل في حق نفسه تقصيرهم ولم يحرك لسانه بذلك ما سويهم ولم يذكرهم في غيبتهم بما يكرهون لو سمعوه فهذا جدبر بأن يجازى بثله في القيامة وهب أنه قد ستره عن غيرك أليس قد ستره عنك الله تعالى إلى العرش فيكفيك تلك الروعة جزاء عن ذنوبك إذ يؤخذ بناصيتك فتقادو فؤادك مضطرب بوليك طائر وفراتك مرتعدة وجوارحك مضطربة ولونك متغير والمالم عليك من شدة الله ولعظم قدر

صرع العلم وانكشف لم الآخرة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق أبي بكر رضى الله عنه « من أراد أن ينظر إلى ميت يتنى على وجه الأرض فلينظر إلى أبي بكر » إشارة منه عليه الصلاة والسلام إلى ما كشف به من صرع العلم الذى لا يصل إليه عوام المؤمنين إلا بعد اللوت حيث يقال - فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد - فأرباب النهايات ماتت أهويهم وخلصت أرواحهم . قال يحيى بن معاذ وقد سئل عن وصف العارف فقال رجل

- (١) حديث أبي هريرة هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليس دونها حجاب الحديث متفق عليه دون قوله فيلقى العبد الخ فانفرد بهما مسلم (٢) حديث أنس أتدرون من أضحك قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه الحديث رواه مسلم (٣) حديث سأل ابن عمر رجل فقال كيف سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في النجوى الحديث رواه مسلم (٤) حديث من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة تقدم .

نفسك وأنت بهذه الصفة تنخطى الرقاب وتغرق الصفوف وتقاد كقاد القرس المجهز وقد رفع الخلاق إليك أيدارم فزوم نفسك أنك في أيدي اللوكين بك على هذه الصفة حتى انتهى بك إلى عرش الرحمن فرموك من أيديهم وناداك الله سبحانه وتعالى بعظيم كلامه يا ابن آدم ادن مني فدنوت منه بقلب خائف محزون وجل وطرفه خاشع ذليل وفؤاد منكسر وأعطيت كتابك الذي لا يبادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها فحكم من فاحشة نسبها فقد كرتها وكمن طاعة غفلت عن آفاتنا فكشف لك عن مساوينا فحكم لك من خجل وجبن وكمن لك من حسر وهجز فليت شعري بأي قدم تغيب بين يديه وبأي لسان نجيب وبأي قلب تقبل ما تقول ثم تفكر في عظم حياثك إذا ذكرك ذنوبك شفاها إذا يقول يا عبدي أما استحييت مني فبارزني بالقيح واستحييت من خلق فأظهرت لهم الجليل أ كنت أهون عليك من سائر عبادي استخفت بنظري إليك فلم تكثرت واستعظمت نظر غيبي ألم أنعم عليك فإذا غرك في أخذنت أني لا أراك وأنتك لا تألفاني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما منكم من أحد إلا ويسأله الله رب العالمين ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان» (١) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ليقفن أحدكم بين يدي الله عز وجل ليس بينه وبينه حجاب فيقول له ألم أنعم عليك ألم أوتك مالا فيقول بلى فيقول ألم أرسل إليك رسولا فيقول بلى ثم ينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار فليقت أحدكم النار ولويشق حمرة فان لم يجد في كلمة طيبة» (٢) وقال ابن مسعود ما منكم من أحد إلا يسأله الله عز وجل به كما يخلو أحدكم بالقمرة ليلة البدر ثم يقول يا ابن آدم ما غرك في يا ابن آدم ما عملت فيما علت يا ابن آدم ماذا أجبت الرسلين يا ابن آدم ألم أكن رقيقا على عينك وأنت تنظر بها إلى مالا يحل لك ألم أكن رقيقا على أذنك وهكذا حتى عد سائر أعضائه وقال مجاهد لا تزول قدما عبد يوم القيامة من بين يدي الله عز وجل حتى يسأله عن أربع خصال عن عمره فيما أفناه وعن عمله ما عمل فيه وعن جسده فيما أبلاه وعن ماله من أين اكتسبه وفماذا أفترقه فأعظم ما يسكن بحياثك عند ذلك ويخطر لك فأنك بين أن يقال لك سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم ففند ذلك يعظم سرورك وفرحك ويضبطك الأولون والآخرون وإمان يقال للملائكة خذوا هذا العبد سوء ففعلوه ثم الجحيم صاوه وعند ذلك لو بكت السموات والأرض عليك لكان ذلك جديرا يعظم مصيبتك وشدة حسرتك على ما فرطت فيه من طاعة الله وعلى ما بست آخرتك من دنيا دين بقى معك.

## (صفة اللبران)

ثم لا تخفل عن الفسك في اللبران وتطير الكتب إلى الأعيان والتجائل فان الناس بعد السؤال ثلاث فرق فرقة ليس لهم حسنة فيخرج من النار عنق أسود فيلقطهم لقط الطير الحب وينطوى عليهم ويلقيهم في النار فتنبت لهم النار وينادي عليهم شقاوة لا إعادة بعدها وقسم آخر لا يلبث لهم ينادي مناد ليتم الحادون فله على كل حال فيقومون ويسرحون إلى الجنة ثم يفعل ذلك بأهل قيام الليل ثم يعلم إن تشغله تجارة الدنيا ولا يبعث عن ذكر الله تعالى وينادي عليهم سعادة لا شقاوة بعدها وينادي قسم ثالث وهم الأكثرون خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا وقد يغنى عنهم ولا يغنى على الله تعالى أن الغالب حسنتهم أو سيئاتهم ولكن يأبى الله إلا أن يعرفهم ذلك لين فضله عند العفو وعده عبد العاقب فتطير الصحف والكتب منظومة على الحسنات والسيئات وينصب اللبران وتشخص الأبصار إلى الكتب أتمتع في الميمن أو في الشمال ثم إلى لسان اللبران أي ميل إلى جانب السيئات أو إلى جانب الحسنات

(١) حديث ما منكم من أحد إلا ويسأله الله رب العالمين الحديث متفق عليه من حديث ابن عدى عن أبي حاتم بلط لا يسأله إلا سيكلمه الحديث (٢) حديث ليقفن أحدكم بين يدي الله تعالى ليس بينه وبينه ترجمان الحديث البخاري من حديث عدى بن حاتم .

مهم بأن منهم وقال مرة عبد كان فإن فأرباب النهايات م عند الله بحقيقتهم معوقين بتوقيف الأجل جعلهم الله تعالى من جنوده في خلقه بهم يهدي وبهم يرشد وبهم يجذب أهل الإرادة كلامهم دواء ونظرم دوا. ظاهرهم محذوطة بالحكم وباطنهم معمور بالعلم . قال ذو النون علامة الدار في ثلاثة لا يطفى نور مغرقه نور وروحه ولا يتعقد باطننا من العلم ينقض عليه ظاهرها من الحكم ولا يحمله كثرة نعم الله وكرامته على هتك أستار عارم الله فأرباب النهايات

وهذه حالة هائلة تطيش فيها عقول الخلاق . وروى الحسن « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان رأسه في حجر عائشة رضي الله عنها فمكثت في كرت الآخرة فبكت حتى سال معها فقطع على خذ رسول الله صلى الله عليه وسلم فالتبه فقال ما يكيك يا عائشة ؟ قالت ذكرت الآخرة تذل كرون أهليكم يوم القيامة قال والذي نفسي بيده في ثلاثة مواطن فإن أحدا لا يذكر إلا نفسه : إذا وضعت الموازين ووزنت الأعمال حتى ينظر ابن آدم أنحف ميزانه أم أثقل ، وعند الصحف حتى ينظر أيمنه يأخذ كتابه أو جلاله ، وعند الصراط (١) » . وعن أنس « يؤتى ابن آدم يوم القيامة حتى يوقف بين كفتي میزان ويؤكل به ملك فان ثقل ميزانه نادى الملك بصوت يسمع الخلاق مسددا فلان مسددا لا يشقى بعدها أبدا وإن خف ميزانه نادى بصوت يسمع الخلاق شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وعند خفة الحسنات تقبل الزبانية وبأيديهم مقامع من حديد عليهم ثياب من نار فيأخذون نصيب النار إلى النار » قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم القيامة فإنه يوم ينادى الله تعالى فيه آدم عليه السلام فيقول له قم يا آدم فابست النار فيقول وكم بشت النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون فلما سمع الصحابة ذلك أباحوا حتى ما وضوا أباحكة فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عند أصحابه قال اعملوا وأبشروا فوالذي نفسي محمد بيده إن معكم خليفتين ما كانتا مع أحد قط إلا كثرتا مع من هلك من بني آدم وبني إبليس قالوا وما هما يا رسول الله ؟ قال بأجوج ومأجوج قال فسرى عن القوم فقال اعملوا وأبشروا فوالذي نفسي محمد بيده ما أتم في الناس يوم القيامة إلا كالشامة في جنب العير أو كالرقعة في ذراع الدابة (٢) »

### (صفة الحصاء ورد للظالم)

قد عرفت هول میزان وخطره وأن الأعين شاخصة إلى لسان میزان - فأما من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية وأما من خفت موازينه فأمة هابية وما أدراك ما هية نار حامية - وأعلم أنه لا ينجو من خطر میزان إلا من حاسب في الدنيا نفسه ووزن فيها بيزان الشرع وأعماله وأقواله وخطراته ولحظاته كما دل عمر رضي الله عنه : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وإنما حاسبه لنفسه أن يتوب عن كل معصية قبل اللوث توبة نصوحا ويستدرك ما فرط من تقصيره في فراض الله تعالى ويرد للظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه وبطيب قلوبهم حتى يموت ولم يبق عليه مظلمة ولا فريضة فهذا يدخل الجنة بغير حساب وإن مات قبل رد للظالم أحاط به خصاؤه فهذا يأخذ بيده وهذا يقبض على ناصيته وهذا يتعلق بلبيه هذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول استهزأت بي وهذا يقول ذكرتني في النية بما يسوءني وهذا يقول جاورتني فأستأث جوارى وهذا يقول عاملتني فخشقتني وهذا يقول يابستني فقيتني وأخفيت عني عيب سلعتك وهذا يقول كذبت في سعر

- (١) حديث الحسن أن عائشة ذكرت الآخرة فبكت الحديث وفيه فقال ما يكيك يا عائشة قالت ذكرت الآخرة هل تذكرون أهليكم يوم القيامة الحديث أبو داود من رواية الحسن أنها ذكرت النار فبكت فقال ما يكيك دون كون رأسه صلى الله عليه وسلم في حجرها وأنه نفس وإسناده جيد
- (٢) حديث يقول الله يا آدم قم فابست النار فيقول وكم بشت النار فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون الحديث متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ورواه البخاري من حديث أبي هريرة نحوه وقد تقدم .

كلما ازدادوا نعمة  
ازدادوا عبودية وكلما  
ازدادوا دنيا ازدادوا  
قربا وكلما ازدادوا  
جها ورفعة ازدادوا  
تواضعا وذلة - أدلة على  
الؤمنين أعزة على  
الكافرين - وكلما تناولوا  
شهوة من شهوات  
النفس استخرجت  
منهم شكرا صافيا  
يتناولون الشهوات : زنة  
رفقا بالنفس لأنها  
معهم كالطفل الذي  
يلطف بالتي ويهدي  
له شيء لأنه مفهور  
نحت السياسة مرحوم  
ملطوف به وتارة  
يمنعون نفوسهم  
للكهوات تأمبا بالأنبياء  
واختيارهم الثقيل من  
الشهوات الدنيوية قال

متاعك وهذا يقول رأيتني محتاجاً وكنت غنياً لما أطمعتني وهذا يقول وجدني مظلوماً وكنت قادراً على دفع الظلم عنى فذهبت الظالم وما راعيتنى ، فبينا أنت كذلك وقد أنشب الحياء فبك محالهم وأحكوا في تلاييك أيديهم وأنت مهتوت متعبر من كثيرهم حتى لم يبق في عمرك أحد عاملته على درهم أو جالسته في مجلس إلا وقد استحق عليك مظلة نبية أو خيانة أو نظر بعين استحقار وقد ضعفت عن مقاومتهم ومددت عنق الرجاء إلى سيدك ومولاك لعله يخاصك من أيديهم إذ قرع صمك نداء الجبار جل جلاله - اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم - ضد ذلك ينخل قلبك من الهية وتوقن نفسك بالوار وتذكر ما أنذرك الله تعالى على لسان رسوله حيث قال - ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخركم ليوم تشخص فيه الأبصار مقطعين مقنى رءوسهم لا يرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء وأنذر الناس نادياً أن أشد فرحك اليوم بتمضضك بأعراض الناس وتناولك أموالهم وما أشد حسراتك في ذلك اليوم إذا وقف ربك على بساط العدل وشوفت بخطاب السياسة وأنت مغلى فقير عاجز مهين لا شمر على أن ترد حقاً أو تظهر عدراً ضد ذلك تؤخذ حسراتك التي تبيت فيها محركاً وتنقل إلى خصمائك عوضاً عن حقوقهم . قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هل تدرون من القلب قلنا القلب فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا دينار ولا متاع قال القلب من أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فئت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار <sup>(١)</sup> » ، فانظر إلى مصيبتك في مثل هذا اليوم إذ ليس يدر لك حسنة من آفات الرياء ومكاييد الشيطان ، فإن سلمت حسنة واحدة في كل مدة طويلة ابتدعها خصلها وأخذوها ، ولعلك لو حاسبت نفسك وأنت مواظب على صيام النهار وقيام الليل لعلت أنه لا ينقض عنك يوم إلا ويجرى على لسانك من غيبة المسلمين ما يستوفي جميع حسناتك فكيف يقية السيئات من أكل الحرام والشبهات والتقصير في الطاعات وكيف ترجو الخلاص من الظالم في يوم يقتص فيه للجحيم من القرآن ، فقد روى أبو ذر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى شاتين يتطحنان فقال يا أبا ذر أتدري فيم يتطحنان قلت لا قال ولكن الله يدري وسيقضى بينهما يوم القيامة <sup>(٢)</sup> » . وقال أبو هريرة في قوله عز وجل - وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم - إنه عشر الخاق كلهم يوم القيامة البهائم والدواب والطيور وكل شيء فيبلغ من عدل الله تعالى أن يأخذ للجحيم من القرآن ثم يقول كوني تراباً فذلك حين يقول الكافر ياليتني كنت تراباً فكنت أنت يامسكين في يوم ترى صيفتك خالية عن حسنات طال فيها نصيبك فتقول أين حسناتي فيقال نقلت إلى صيفة خصمائك وترى صيفتك مشحونة بسيئات طال في الصبر عنها نصيبك واشتد بسبب الكف عنها عاؤك فتقول يارب هذه سيئات ما قارفتها قط فيقال هذه سيئات القوم الذين اغتبتهم وشتمتهم وقصدتهم بالسوء وظلمتهم في البايسة والمجاورة والمخاطبة والناظرة وللذاكرة وللدارسة ومائر أصناف العاملة .

(١) حديث أبي هريرة : هل تدرون من القلب ؟ قالوا القلب يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع الحديث تقدم (٢) حديث : يا أبا ذر أتدري فيم يتطحنان قلت لا قال ولكن ربك يدري وسيقضى بينهما أحمد من رواية أشياخ لم يسموا عن أبي ذر .

يعني بن معاذ الدنيا عروس أطلبها ماشطتها والزاهد فيها يسبح وجهها ويتفقد شعرها ويحرق ثوبها والعارف بالله مشغل بعبده ولا يلتفت إليها . واعلم أن النسي مع كماله لا يستغنى أيضاً عن سياسة النفس ومنها الشهوات وأخذ الحظ من زيادة الصيام والقيام وأنواع البر وقد غلط في هذا خلق وظنوا أن النسي استغنى عن الزيادات والتواضع ولا على قلبه من الاسترسال في تناول اللذات والشهوات وهذا خطأ لا من حيث إنه يحب العارف عن معرفته ولكن

قال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الشيطان قد يشئ أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهى الوبقات فاتقوا الظلم المستطعم فان العبد ليجىء يوم القيامة بأمثال الجبال من الطاعات فبى أنهن سينجيه لما يزال عبد يجىء فيقول رب إن فلانا ظلمنى بمظلمة فيقول أمح من حسناته لما يزال كذلك حتى لا يبقى له من حسناته شيء وإن مثل ذلك مثل سفر زلوا بفلاة من الأرض ليس معهم - طيب فخرق التوم خطبوا فلم يلبثوا أن أعظموا نارهم وصنعوا ما أرادوا (١) » وكذلك الذنوب « ولما نزل قوله تعالى - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون - قال الزبير : يا رسول الله أكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب قال : نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذى حق حقه (٢) » قال الزبير والله إن الأمر لشديد فأعظم بشدة يوم لا يسامح فيه بخطوة ولا يتجاوز فيه عن لكمة ولا عن كلمة حتى ينتقم للمظلوم من الظالم قال أنس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « يحشر الله العباد عراة غيرأهبا قال : قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء ثم يناديهم ربهم تعالى بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب أنا تلك أنا الديان لا يبنى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا أحد من أهل النار عليه مظلمة حتى أتقصه منه ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار ولا أحد من أهل الجنة عند مظلمة حتى أتقصه منه حتى لا يطعم قلنا وكيف وإنما تأتي الله عز وجل عراة غيرأهبا قال بالحسنات والسيئات (٣) » فاتقوا الله عباد الله وظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم وتضييق قلوبهم وإساءة الخلق في معاشرتهم فإن ما بين البدويين الله خاصة فالغفرة إليه أسرع ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب عنها وعسر عليه استحلال أرباب الظالم فليسكر من حسناته ليوم القصاص وليس ببعض الحسنات بينه وبين الله بكال الاخلاص بحيث لا يطلع عليه إلا الله فهاهنا يقرب به ذلك إلى الله تعالى فينال به لطفه الذى ادخره لأحبابه للؤمنين في دفع مظالم العباد عنهم كما روى عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال « بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأى ضحك حتى بدت نياياه فقال عمر ما يضحك يا رسول الله أبى أنت وأمى قال رجلان من أمى جئاني بىدى رب المزة فقال أحدهما يارب خذ لى مظلمتى من أخى فقال الله تعالى أعط أخاك مظلمته فقال يارب لم يبق من حسناتى شيء فقال الله تعالى للطالب كيف اصنع ولم يبق من حسناته شيء قال يارب يتحمل عني من أوزارى قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبكاء ثم قال إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس إلى أن يجعل عنهم من أوزارهم قال فقال الله للطالب ارفع رأسك فانظر في الجنان فرفع رأسه فقال يارب أرى مدائن من فضة

يقف عن مقام الزيد وقوم لما رأوا أن هذه الأشياء لا تؤثر فيهم فسوتوا نورهم حجة ركنوا إليها واسترسلوا فيها وقصصوا بأداء القرائن واتسعوا في التلاكل والشرب وهذا الانبساط منهم بقية من سكر الأحوال وتبند بنور الحال وعدم التخاص بالكتابة إلى نور الحق ومن تخاص من نور

(١) حديث ابن مسعود إن الشيطان قد أيس أن تعبد الأصنام بأرض العرب ولكن سيرضى منكم بما هو دون ذلك بالمحقرات وهى الوبقات الحديث وفى آخره وإن مثل ذلك مثل سفر زلوا بفلاة الحديث رواه أحمد والبيهقى فى الشعب مقتصرأ على آخره بإاكم ومحقرات الذنوب فانهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب لهن مثلا الحديث وإسناده جيد فأما أول الحديث فرواه مسلم مختصرا من حديث جابر إن الشيطان قد أيس أن يعبد الصالحون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم (٢) حديث لما نزل قوله تعالى - إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قال الزبير يا رسول الله أكرر علينا ما كان بيننا الحديث أحمد واللفظ له والترمذى من حديث الزبير وقال حسن صحيح (٣) حديث أنس يحشر العباد عراة غيرأهبا قلنا ما بهما قال ليس معهم شيء الحديث قلت ليس من حديث أنس وإنما هو عبيد الله ابن أنس رواه أحمد بإسناد حسن وقال غرلا مكان غيرأهبا .

مرغمة وقصورا من ذهب مكللة بالؤلؤ لآي نبي هذا؟ ولآي صدق هذا؟ ولآي شهيد هذا؟ قال لمن أعطانى  
الغن قال يارب ومن يملك مني قال أنت تملكه قال وما هو قال عفوك عن أخيك قال يارب إن قد عفوت  
عنه قال الله تعالى خذ يد أخيك فأدخله الجنة ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك اتقوا الله  
وأصلحوا ذات بينكم فإن الله يصلح بين المؤمنين <sup>(١)</sup> وهذا تنبيه على أن ذلك إنما ينال بالخلق بأخلاق  
الله وهو إصلاح ذات البين وسائر الأخلاق فتذكر الآن في نفسك إن خلت صفتك عن الظلم أو تأنف  
لك حتى عفائك وأجنت بسعادة الأبد كيف يكون سرورك في منصرفك من مفصل القضاء وقد خاف  
عليك خلعة الرضا وعدت بسعادة ليس بعدها شقاء وتبعم لا يدور بمخايفه الفناء وعند ذلك طار  
قلبك سرورا وفرحا وابتسم وجهك واستنار واشرق كما شرف القمر ليلة البدر فقوم بتذكر بين الخلق  
راضا رأسك غالبا عن الأوزار ظهر لك ونصرة نسيم العيم وبرد الرضا بلا لآمن جينك وخلق الأولين  
والآخرين ينظرون إليك وإلى حالك وبسطونك في حسنك وجمالك وللأسك عشون بين يدك ومن  
خافك وينادون على رسول الأنبياء هذا فلان بن فلان رضي الله عنه وأرضاه وقد سد سعادة لا يشقى  
بعدها أبدا أقرى أن هذا لنصب لبس بأعظم من السكينة التي تنالها في قلوب الخلق في الدنيا برباك  
ومداهنتك وتصنعك وتزينك فإن كنت تعلم أنه خير منه بل لانبية له إليه فوسل إلى إدراك هذه  
الرتبة بالاخلاص الصافي والنية الصادقة في معاملتك مع الله فإن تدرك ذلك إلا به وإن تسكن الأخرى  
والنبياء بالله بأن خرج من صفتك جريعة كنت تحسبها هبة وهي عند الله عظيمة فتفك لأجلها فقال  
عليك لعني يا عبد سوء لا أهبل منك عبادتك فلا تسمع هذا النداء إلا وبسود وجهك ثم تقضب  
للالسكة لنصب الله تعالى فيقولون وعليك لعنتنا ولعنة الخلق أجمعين وعند ذلك تتشال إليك الزبانية  
وقد غضبت لنصب خالقها فأقدمت عليك بضماظتها وزعارتها وصورها السكر فأخذوا بناصيتك  
يسحبونك على وجهك على ملا الخلق وهم ينظرون إلى اسوداد وجهك وإلى ظهور خزيك وأنت  
تتأدى بالويل والتبور وهم يقولون لك لا تدع اليوم ثورا واحدا وادم ثورا كثيرا وتنادي للالسكة  
ويقولون هذا فلان بن فلان كشف الله عن فضائحه ومخازنه ولنه بقبائح مساويه فتشقى شقاوة لا يسهل  
بعدها أبدا وربما يكون ذلك بذنب أذنبته خفية من عباد الله أو طابا للسكينة في قلوبهم أو خوفا من  
الافتضاح عندهم فما أعظم جهلك إذ تتهزز عن الافتضاح عند طائفة يسيرة من عباد الله في الدنيا  
للتفرضة ثم لا تخشى من الافتضاح العظيم في ذلك إلا العظيم مع الترض لسخط الله وعقابه الأليم والسياق  
بأيدي الزبانية إلى سواء الجحيم فهذه أحوالك وأنت لم تشعر بالخطر الأعظم وهو خطر الصراط .

## (صفة الصراط)

ثم تذكر بعد هذه الأحوال في قول الله تعالى - يوم نحشر للتقين إلى الرحمن وفدا ونسوق المجرمين  
إلى جهنم وردا - وفي قوله تعالى - فاهدوهم إلى صراط الجحيم - وقومهم إنهم مسئولون - فالناس بعده  
الأحوال يساقون إلى الصراط وهو جسر محدود على متن النار أحد من السيف وأدق من الشعر فإن  
استقام في هذا العالم على الصراط المستقيم خف على صراط الآخرة ونجا من عدل عن الاستقامة في الدنيا  
وأثقل ظهره بالأوزار وعصى تشرى أول قدم من الصراط وتردى فتذكر الآن فيا محل من التفرغ خوذاك  
إذا رأيت الصراط ودقته ثم وقع بصرك على سواد جهنم من تحتك ثم قرع سمعك شريق النار ونفثها

(١) حديث أنس يينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس إذ رأيت ضحك حتى بدت نتائها فقال  
عمر ما ضحكك يا رسول الله أبني وأمي قال رجلان من أمي جيتان يدي يدرب العالمين الحديث بطوله  
ابن أبي الدنيا في حسن الظن بالله والمحاكم في التندرل وقد تقدم .

الحال إلى نور الحق  
ينهب عنه بقايا  
السكر ويوقف نفسه  
مقام السبيد كأحد  
عوام المؤمنين يتقرب  
بالصلاة والصوم وأنواع  
البر حتى يطمأنة الأدنى  
عن الطسرق ولا  
يشكبر ولا يستكف  
أن يمسود في صور  
عوام المؤمنين من  
إظهار الإرادة بكل  
بر وصلة فيتناول  
الشهوات وقتا رقتا

وقد كلفت أن تمشي على الصراط مع نصف حالك واضطراب قلبك وتزلزل قدمك ونقل ظهرك بالأوزار الناعمة لك عن الشيء على بساط الأرض فضلا عن حدة الصراط فكيف بك إذا وضعت عليه إحدى رجليك فأحسست بحدته واضطربت إلى أن ترفع القدم الثانية والحلاق بين يديك يزولون ويتعثرون وتتناولهم زبانية النار بالخطاطيف والكلايب وأنت تنظر إليهم كيف يتسكسون فتسفل إلى جهة النار ردوسهم وتملأ أرجلهم فياله من منظر ما أظلمه ومرتقى ما أصعبه ومجازما مشيقه فانظر إلى حالك وأنت تزحف عليه وتصد إليه وأنت مثل الظهر بأوزارك تلثفت بينا وشمالا إلى الخلق وهم يتهافون في النار والرسول عليه السلام يقول «يا رب سلم سلم» والزغفات بالويل والثبور قد ارتفعت إليك من قدر جهنم لكثرة من زل عن الصراط من الخلاق فكيف بك لو زلت قدمك ولم ينفعك قدمك فناديت بالويل والثبور وقلت هذا ما كنت أخافه فياليتي قدمت لحياي باليتي اتخذت مع الرسول سيلا يولينا ليتي لم آخذ فلانا خليلا ياليتي كنت ترابا ياليتي كنت نسيانسيا ياليت أمتي لم تلدني وعند ذلك تخطفك النيران والعباذ بالله وينادي النادى اخسوفوا بها ولا تسكحون فلا يبقى سبيل إلا الصياح والأنين والتنفس والاستغاثة فكيف ترى الآن غفلك وهذه الأخطار بين يديك فإن كنت غير مؤمن بذلك فما أطول مقامك مع السكمار في دركات جهنم وإن كنت به مؤمنا وعنه غافلا وبالاستعداد له منهاونا فما أعظم خسارتك وطفيتك وماذا ينفعك إيمانك إذا لم يعتك على السعي في طلب رضا الله تعالى بطاعته وترك معاصيه فلو لم يكن بين يديك إلا الهول الصراط وارتباج قلبك من خطر الجواز عليه وإن سلمت فهاهيك به هولا وفرعا ورعبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يضرب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يخرج بأمتهم من الرسل ولا يشكلم ومثد إلا الرسل ودعوى الرسل ومثد اللهم سلم اللهم سلم وفي جهنم كلايب مثل شوك السعدان هل أيت شوك السعدان قالوا نعم يا رسول الله قال فاتها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم رة عظمها إلا الله تعالى تخطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوق بعمله ومنهم من يغردل ثم ينجو<sup>(١)</sup> وقال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يرى الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلايب وخطاطيف تخطف الناس بينا وشمالا على جنبته ملاسكة يقولون اللهم سلم اللهم سلم فمن الناس من يمر مثل البرق ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كالفرس المجرى ومنهم من يسعي سعي أومهم من يمشي مشيا ومنهم من يجر جوا ومنهم من يزحف زحفا فأما أهل النار الذين هم أهالها فلا يعوتون ولا يحجون وأما الناس فيؤخذون بذنوب وخطايا فيحترقون فيكونون لحما ثم يؤذن في الشفاعة<sup>(٢)</sup> وذكر إلى آخر الحديث . وعن ابن مسعود رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال «يجمع الله الأولين والآخرين لمقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاحصة أصهارهم إلى السماء ينظرون فصل القضاء وذكر الحديث إلى أن ذكر وقت سجود المؤمنين قال «ثم يقول للمؤمنين ارفعوا رؤوسكم فرفعوا رؤوسهم فعطهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل العظيم يسمى بين يديه ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة ومنهم من يعطى نوره أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلا يعطى نوره على إهام قدمه فيضي مرة ويجو مرة فإذا أضاء قام قدمه فمشى وإذا أظلم قام ثم ذكر مرورهم على الصراط على قدر نورهم فمنهم من

بالنفس للطهرة الزكاة للنفادة للطاوعة لأنها أسيرته ويعتمها الثبوت وقتا لأن في ذلك صلاحها واعتبر هذا سواء بحال الصبي فإنه إن جاوز حد الاعتدال من إعطاء المراد وقتا ومنه وقتا انفس طبعه لأن الجلبة لابد من قدمها بسياسة العلم ومادامت الجلبة باقية لابد من

(١) حديث ينصب الصراط بين ظهري جهنم فأكون أول من يخرج بأمتهم من حديث أبي هريرة في أثناء حديث طويل (٢) حديث أبي سعيد بخسرى الناس على جسر جهنم وعليه حسك وكلايب وخطاطيف الحديث متفق عليه مع اختلاف ألفاظ .

يعر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كالمطر ومنهم من يمر كالماء ومنهم من يمر كشدة القمر ومنهم من يمر كشدة الرجل حتى يمر الذي أعطى نوره على إهاب قدمه يعبر على وجهه ويديه ورجليه تجر منه يد وتعلق أخرى وتعلق رجل وتجر أخرى وتصبب جوانبه النار قال فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وثق عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحدا إلا نجاتي منها بعد إذ رأيته فينطلق به إلى غددر عند باب الجنة فيقتل (١) وقال أنس بن مالك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة وإن اللائكة ينجون المؤمنين والمؤمنات وإن جبريل عليه السلام لاخذ بعجزتي وإني لأقول يا رب سلم - لم تفلح اللون والالآت يومئذ كثير (٢) » فهذه أهوال الصراط وعظائم فطوله فكذلك فإن أسلم الناس من أهوال يوم القيامة من طال فيها فكره في الدنيا فإن الله لا يجمع بين خوفين على عبد فمن خاف هذه الأهوال في الدنيا أمنها في الآخرة ولست أعني بالخوف رقة كربة النساء تدمع عينك ويرق قلبك حال السباع ثم تنسا على القرب وتعود إلى الهوك ولعلك فماذا من الخوف في شيء بل من خاف شيئا هرب منه ومن رجا شيئا طلبه فلا ينجيك إلا خوف يملك عن معاصي الله تعالى ويعينك على طاعته وأهدم رقة النساء خوف الحق إذا صموا الأهوال سبق إلى ألسنتهم الاستعاذة فقال أحدهم استعذت بالله فعوذ بالله اللهم سلم سلم وسلم مع ذلك مصرون على المعاصي التي هي سبب هلاكهم فاشيطان يشكك من استعاذتهم كما يشكك على من يقصد سبع ضار في صحراء ووراء حصن فادارأى أبواب السبع وصوله من بعده قال بلسانه أعوذ بهذا الحصن الحصين وأستعين بشدة بنيانه وإحكام أركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعد في مكانه فأني ينفي عنه ذلك من السبع وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا أن لا إله إلا الله صادقة ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى ولا معبود غيره ومن أخذ له هواء فهو بعيد من الصدق في توحيده وأمره مخطر في نفسه فإن هجرت عن ذلك كله فكأن محبا للرسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعظيم سنته ومثوقا إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته ومتمبرا بأدعيتهم ففساك أن تال من شفاعته أو شفاعتهم فتنبج بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة .

### ( صفة الشفاعة )

اعلم أنه إذا حق دخول النار على طوائف من المؤمنين فإن الله تعالى فضله قبل فيهم شفاعاة الأنبياء والمصدين بل شفاعاة العلماء والصالحين وكل من له عند الله تعالى جاه وحسن معاملة فإن له شفاعاة في أهله وقرابته وأصدقائه ومعارفه فكأن حريصا على أن تسكتب لنفسك عندهم رتبة الشفاعة وذلك بأن لا تحقر آدميا أصلا فإن الله تعالى خبا ولايته في عباده فاعلم الذي تزد به عينك هو الذي لا تستصغر محبة أصلا فإن الله تعالى خبا غضبه في معاصيه فلعل مقت الله فيه ولا تستحقر أصلا طاعة فإن الله تعالى خبا رضاء في طاعته فلعل رضاء فيه ولو الكلمة الطيبة أو الكلمة أو التوبة الحسنة أو ما يجري مجرا وشواهد الشفاعة في القرآن والأخبار كثيرة : قال الله تعالى - ولسوف يعطيك ربك فترضى -

(١) حديث ابن مسعود يجمع الله الأولين والآخرين ليقات يوم معلوم قياما أربعين سنة شاحصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء قال وذكر الحديث إلى ذكر سجود المؤمنين الحديث بطوله رواه ابن عدى والحاكم وقد تقدم بعضه مختصرا (٢) حديث أنس الصراط كحد السيف أو كحد الشعرة الحديث البيهقي في الشعب وقال هذا إسناد ضيف قال وروى عن زياد النخعي عن أنس مرفوعا الصراط كحد الشعرة أو كحد السيف قال وهي رواية صحيحة انتهى ورواه أحمد من حديث عائشة وفيه ابن لهيعة .

سياسة السلم وهذا باب غامض دخل في التباهات على التباهي من ذلك ودخل ووقع الركون وانسد به باب المزيد فالتبهي ملك ناصية الاختيار في الأخذ والترك ولا بد له من أخذ وترك في الأعمال والمخطوط في الأعمال لا بد له من أخذ وترك فتارة يأتي بالأعمال كأحاد الصادقين وتارة يترك

روى عمرو بن العاص «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاقوا إبراهيم عليه السلام - رب إني أظن كثير من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم - وقول عيسى عليه السلام - إن تعذبهم فإنهم عبادك - ثم رفع يديه وقال أمتي أمتي ثم بكى فقال الله عز وجل يا جبريل اذهب إلى محمد فقل ما يريك فأتاه جبريل فسأله فأخبره والله أعلم به فقال يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك في أمثك ولا نسوءك (١) » وقال صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمسا لم يسطعن أحد قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وأحلت لي القنائم ولم تحل لأحد قبلي وجعلت لي الأرض مسجدا وزواياها طهورا فأنا رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأعطي الشفاعة وكل نبي بث إلى قومه خاصة وبث إلى الناس عامة (٢) » وقال صلى الله عليه وسلم « إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير غر » وقال صلى الله عليه وسلم « أنا سيد ولد آدم ولا غر وأنا أول من تنشق الأرض عنه وأنا أول شافع وأول شفيع يدي لواء الحمد تحت آدم فمن دونه (٣) » وقال صلى الله عليه وسلم « لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختي مدعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة (٤) » وقال ابن عباس رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ « ينصب للأنبياء منابر من ذهب فيجلسون عليها ويقي منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا مخافة أن يثبني إلى الجنة وتبقى أمتي بعدى فأقول يارب أمتي يقول الله عز وجل يا محمد ما تريد أن أصنع بأمتك فأقول يارب عجل حسابهم لما أزال أشفع حتى أعطى صكاً لرجال قدمت بهم إلى النار وحق إن مالكا خازن النار يقول يا محمد ما تركت النار لتضربك في أمثك من بقية (٥) » وقال صلى الله عليه وسلم « إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حبر ومدر (٦) » وقال أبو هريرة « أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم يلطم فرج إله الدراع وكانت تصبغ فصبغ منها نهمشة ثم قال أناسيد الرسلين يوم القيامة وهل تدرون من ذلك يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعون الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من التهم والكرب مالا يطيقون ولا يحتملون يقول الناس

زيادة الأعمال رقعا  
بالنفس وتارة يأخذ  
المخطوط والتهوات رقعا  
بالنفس وتارة يتركها  
افتقادا للنفس بحسن  
السياسة فيكون في  
ذلك كله مختارا فمن  
ساكن ترك المخطوط  
بالكلية فهو زاهد  
تارك بالكلية ومن  
استرسل في أخذها  
فهو راغب بالكلية  
والنهي شمل الطرفين  
فانه على غاية الاعتدال

(١) حديث عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاقوا إبراهيم عليه وسلم - رب إني أظن كثيرا من الناس فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم - وقول عيسى صلى الله عليه وسلم - إن تعذبهم فإنهم عبادك - ثم رفع يديه . ثم قال أمتي أمتي ثم بكى الحديث وفيه يا جبريل اذهب إلى محمد فقل إنا سنرضيك ولا نسوءك في أمثك قلت ليس هو من حديث عمرو بن العاص وإنما هو من حديث ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه مسلم ولعله سقط من الإحياء ذكر عبد الله من بعض النسخ (٢) حديث أعطيت خمسا لم يسطعن أحد قبلي الحديث وفيه وأعطي الشفاعة متفق عليه من حديث جابر إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم من غير غر الترمذي وابن ماجه من حديث أبي بن كعب قال الترمذي حسن صحيح (٣) حديث أنا سيد ولد آدم ولا غر الحديث الترمذي وقال حسن وابن ماجه من حديث أبي سعيد الحدرى (٤) حديث لكل نبي دعوة مستجابة فأريد أن أختي مدعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة متفق عليه من حديث أنس ورواه مسلم من حديث أبي هريرة (٥) حديث ابن عباس ينصب للأنبياء منابر من ذهب يجلسون عليها ويقي منبري لا أجلس عليه قائما بين يدي ربي منتصبا الحديث الطبراني في الأوسط وفي إسناده محمد بن ثابت البناني ضعيف (٦) حديث إني لأشفع يوم القيامة لأكثر مما على وجه الأرض من حبر ومدر أحمد والطبراني من حديث ربيعة بإسناد حسن .

بعضهم لبعض ألا ترون ما قد بانكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس بعض عليكم  
يأثم عليه السلام فيأتون آدم فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده وخلق فيه من روحه وأمر  
اللائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم عليه السلام  
إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد نهانى عن الشجرة فصرت في  
نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا عليه السلام فيقولون يا نوح أنت أول الرسل  
إلى أهل الأرض وقد سماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول إن ربى قد  
غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنه قد كانت لى دعوة دعوتها لى قومى  
نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم خليل الله فيأتون إبراهيم خليل الله عليه السلام  
فيقولون أنت نبى الله وخليفه من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول لهم إن ربى  
قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله وإنى كنت كذبت ثلاث كذبات  
وبذركها نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى عليه السلام فيقولون  
يا موسى أنت رسول الله فضلك برسائه وبكلامه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول  
إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله وإنى نلت نقسا لم آمر بقتلها نفسى  
نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى عليه السلام فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله  
وكلته ألقاها إلى مريم وروح منه وكتب الناس فى الهدى اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فيقول عيسى  
عليه السلام إن ربى غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله ولم يذ كر ذنبا نفسى  
نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم فيأتون فيقولون يا محمد أنت رسول الله  
وخاتم النبيين وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه فألقاها  
فأتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتتح الله لى من محامده وحسن انشاء عليه شيئا لم يعنه على  
أحد قبل ثم يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطوا واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول آمين آمين يارب فىقال يا محمد  
أدخل من أمك من لى حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ثم شركاء الناس فىأسوى ذلك من  
الأبواب ثم قال والذى نفسى بيده إن بين الصرايين من مصاريع الجنة كابين مكة وحميم أو كابين مكة  
وبصرى (١) وفى حديث آخر هذا السباق بعينه مع ذكر خطاب إبراهيم وهو قوله فى السكوا كب هذا ربى  
وقوله لآلهم بل فعله كبيرهم هذا وقوله لى سقيم فلهذه شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حاد أمته من  
العلماء والصالحين شفاعة أيضا حق قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمى  
أكثر من ربيعة ومضر (٢) وقال صلى الله عليه وسلم قال للرجل قهرا فلان فاشفع فيه يوم الرجل فيشفع للغير

(١) حديث أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم أتى بلحم فرفع إلىه الذراع وكان معه رجل فنهش منها  
نهشة ثم قال أنا سيد الناس الحديث بطوله فى الشفاعة قال وفى حديث آخر هذا السباق مع ذكر خطاب  
إبراهيم متفق عليه وهذه الرواية الثانية أخرجا مسلم (٢) حديث يدخل الجنة بشفاعة رجل من  
أمى أكثر من ربيعة ومضر وروى أنه فى جزء أبى عمر بن السالك من حديث أبى أمامة إلا أنه  
قال مثل أحد الحيين ربيعة ومضر وفيه فكان الشبيخة يرون أن ذلك الرجل عثمان بن عفان  
وإسناده حسن ولازمذى وابن ماجه والحاكم من حديث عبد الله بن أبى الجعداء يدخل الجنة  
بشفاعة الرجل من أمى أكثر من بنى تميم قالوا سواك قال سواى قال الترمذى حسن صحيح وقال  
الحاكم صحيح قبل أراد بالرجل أويسا .

واقف على الصراط  
بين الإفراط والتفريط  
فمن ردت إليه  
الأقسام فى الشهادة  
فأخذها زاهدا فى  
الرغد فهو تحت قهر  
الحال من ترك الاختيار  
وتارك الاختيار الواقف  
مع فعل الله تعالى مقيد  
بالحال وكأن الزاهد  
مقيد بالترك تارك  
الاختيار فكذلك  
الزاهد فى الزهد الآخذ  
من الدنيا ما سبق إليه

ولأهل البيت وللرجل والرجلين على قدر عمله (١) « وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 « إن رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول  
 يا فلان هل تعرفني ؟ فيقول لا والله ما أعرفك من أنت ، فيقول أنا الذي مررت في الدنيا فاستسقيت  
 شربة ماء فسقيتك قال قد عرفت قال فاشفع لي بها عند ربك فيسأل الله تعالى ذكره ويقول إني  
 أشرفك على أهل النار فناداني رجل من أهلها فقال هل تعرفني ؟ قلت لا من أنت ؟ فقال أنا الذي  
 استسقيت في الدنيا فسقيتك فاشفع لي عند ربك فشفعني فيه فيشفعه الله فيه فيؤمر به فيخرج من  
 النار (٢) « وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنا أول الناس خروجا إذا بنوا  
 وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا يتسولوا الحمد يومئذ يدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي  
 ولا نقر (٣) » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني أقوم بين يدي ربي عز وجل فأكسي حلة  
 من حلل الجنة ثم أقوم عن عيني العرش ليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري (٤) »  
 وقال ابن عباس رضي الله عنهما « جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظرونه  
 فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجا إن الله عز وجل أخذ من  
 خلقه خليلا أخذ إبراهيم خليلا ، وقال آخر ماذا بأجب من كلام موسى كله تكليم ، وقال آخر فيس  
 كلمة الله وروحه ، وقال آخر آدم اصطفا الله فخرج عليهم صلى الله عليه وسلم فلم يسم وقال قد سمعت  
 كلامكم وتجبكم إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك وموسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله  
 وكلته وهو كذلك وآدم اصطفا الله وهو كذلك ألا وأنا حبيب الله ولا نقر وأنا حامل لواء الحمد  
 يوم القيامة ولا فخر وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر وأنا أول من يحرك خلق  
 الجنة فيفتح الله لي فأدخلها ومعي قراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر (٥) »  
 (صفة الخوض)

اعلم أن الخوض مكرمة عظيمة خص الله بها نبينا صلى الله عليه وسلم وقد اشتملت الأخبار على وصفه  
 ونحن نرجو أن يرزقنا الله تعالى في الدنيا عله وفي الآخرة ذوقه فإن من صفاته أن من شرب منه  
 لم ينظما أبدا . قال أنس « أغنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغناء فرفع رأسه متبجحا فقالوا له  
 يا رسول الله لم صنعتك ؟ فقال آية أنزلت على آتفا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك  
 السكوتر - حتى خدمنا ثم قال هل تدرون ما السكوتر ؟ قالوا الله ورسوله أعلم قال إنه نهر وعديني

(١) حديث يقال للرجل قم يا فلان فاشفع فيقوم يشفع للقبيلة ولأهل البيت وللرجل والرجلين على  
 قدر عمله الترمذي من حديث أبي سعيد إن من أمي من يشفع للفتام ومنهم من يشفع للقبيلة  
 الحديث وقال حسن وللبزار من حديث أنس إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة (٢) حديث أنس  
 إن رجلا من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول  
 يا فلان هل تعرفني فيقول لا والله ما أعرفك من أنت فيقول أنا الذي مررت في الدنيا فاستسقيت  
 شربة فسقيتك الحديث في شفاعة فيه وإخراجه من النار أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس  
 بسند ضعيف (٣) حديث أنس أنا أول الناس خروجا إذا بنوا الحديث الترمذي وقال حسن غريب  
 (٤) حديث فأكسي حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن عيني العرش الحديث الترمذي من حديث  
 أبي هريرة وقال حسن غريب صحيح (٥) حديث ابن عباس جلس ناس من أصحاب رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم ينتظرونه فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم  
 عجا إن الله أخذ من خلقه خليلا أخذ إبراهيم خليلا الحديث رواه الترمذي وقال غريب .

لرويته فعل الله مقيدا  
 بالأخذ وإذا استقرت  
 النهاية لا يتعد بالأخذ  
 ولا بالترك بل بتركه  
 واختياره من اختيار الله  
 وبأخذ وقدا واختياره  
 من اختيار الله وهكذا  
 صومه النافلة وصلاته  
 النافلة يأتي بها وقدا  
 ويسمح للنفس وقال أنه  
 مختار صحيح في الاختيار  
 في الحالين وهذا هو  
 الصحيح ونهاية النهاية  
 وكل حال يستقر

ربى عز وجل في الجنة عليه خير كثير عليه حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آتيته عدد نجوم السماء (١) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بيننا أنا أسير في الجنة إذا بنهر حافاه قباب القؤل الجوف قلت ماهذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك فحسب الملك يده فإذا طينه مسك (٢)» وقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعا أو مثل ما بين المدينة ومحان (٣)» وروى ابن عمر «أنه لما نزل قوله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافاه من ذهب شرابه أشد يابضا من اللبن وأحلى من العسل وأطيب ريحا من اللسك يجري على جنادل القؤل والرجان (٤)» وقال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حوضي ما بين عدن إلى عمان اللقاء ماؤه أشد يابضا من اللبن وأحلى من العسل وأكوابه عدد نجوم السماء من شرب منه شربة لم يظلمأ بعدها أبدا أوكل الناس ورودا عليه قناراهل الجبرين قال عمر بن الخطاب ومن ثم يارسول الله؟ قال ثم الشمت رهوسا الذين يباي الدين لا ينكحون التمتع ولا يفتح لهم أبواب السدد (٥)» وقال عمر بن عبد العزيز والله لقد نسكت التمتع فاطمة بنت عبد الملك وتحت لي أبواب السدد إلا لأن يرمي الله لاجرم لأدهن رأسي حتى يشمت ولا أغسل ثوبي الذي على جسدي حتى يتسخ وعن أبي ذر قال «قلت يارسول الله ما آتية المحوس؟ قال والذي نفس محمد بيده لآتية أكثر من عدد نجوم السماء وأكوابها في الليلة الظلمة للضجة من شرب منه لم يظلمأ آخر ما عليه يشخب فيه ميزابان من الجنة عرسته مثل طول ما بين محان وأيلة ماؤه أشد يابضا من اللبن وأحلى من العسل (٦)» وعن مرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لكل نبي حوضا وإنهم يباهون بهم أكثر واردة وإني لأرجو أن أكون أكثرهم واردة (٧)» فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فليرج كل عبد أن يكون في جملة الواردين وليحذر أن يكون متعيا ومترا وهو يظن أنه راج فان الراعي للحصاد من ثمر البذر وتوفي الأرض وسقاها الماء ثم جلس رجو فضل الله بالإنبات ودفع الصواعق إلى أوان الحصاد فأما من ترك الحرادة أو الزراعة وتقبه الأرض وسقيها وأخذ رجو من فضل الله أن ينبت له الحب والفاكهة

(١) حديث أنس أغفى رسول الله صلى الله عليه وسلم إغفاءة فرفع رأسه متبعا فقالوا له يارسول الله لم ضحكك فقال آية نزلت على آغا وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم - إنا أعطيناك الكوثر - رواه مسلم (٢) حديث أنس بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافاه قباب القؤل الجوف الحديث الترمذي وقال حسن صحيح ورواه البخاري من قول أنس لما عرج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء الحديث وهو مرفوع وإن لم يكن صرح به عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) حديث أنس ما بين لابتي حوضي مثل ما بين المدينة وصنعا أو مثل ما بين المدينة ومحان ورواه مسلم (٤) حديث ابن عمر لما نزل قوله تعالى - إنا أعطيناك الكوثر - قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو نهر في الجنة حافاه من ذهب الحديث الترمذي مع اختلاف لفظ وقال حسن صحيح ورواه الدارمي في مسنده وهو أقرب إلى لفظ الصنف (٥) حديث ثوبان إن حوضي ما بين عدن إلى عمان اللقاء الحديث الترمذي وقال غريب وابن ماجه (٦) حديث أبي ذر قلت يارسول الله ما آتية المحوس قال والذي نفسي بيده لآتية أكثر من عدد نجوم السماء الحديث رواه مسلم (٧) حديث مرة إن لكل نبي حوضا وإنهم يباهون بهم أكثر واردة الحديث الترمذي وقال غريب قال وقدرى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسل لا يذكر فيه عن معرقه وهو أضعف

ويستقيم بشا كل حال  
رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وهكذا  
كان رسول الله  
عليه الصلاة والسلام  
يقوم من الليل ولا يقوم  
الليل كله ويصوم من  
الشهر ولا يصوم الشهر  
كله غدير رمضان  
ويتناول الشهوات  
ولما قال الرجل إنني  
عزمت أن لا أكل  
اللاحم قال فإني أكل  
اللاحم وأحبوه وولسأت

فهذا مقرر ومنمن وليس من الزاجين في شيء. وهكذا رجاء كثير الخلق وهو غرور الحقى نموذجاً  
من التورود والغفلة فان الاعتراض بالله أعظم من الاعتراض بالدنيا قال الله تعالى - فلنترككم الحياة  
الدنيا ولا يفرنكم بالله التورود -

### ( القول في صفة جهنم وأهوالها وأنكالتها )

يا أيها العاقل عن نفسه للتورود بما هو فيه من شواغل هذه الدنيا الشرف على الاضواء والوالدع  
التفكر فيها أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فانك أخبرت بأن التارمورد للجميع إذ قبل -  
وإن منكم إلا وادها كان على ربك حتماً متصياً ثم تنجي الدين اتقوا ونذر الظالمين فيها جياشاً - فانت  
من التورود على يقين ومن النجاة في شك فاستشر في قلبك هل ذلك للتورود فعساك تستدعيه فاجتنبه  
وتأمل في حال الخلاق وقد قالوا من دواهي القيامة ما قالوا فيها من كربها وأهوالها وقايتنظرون  
حقيقة أنبأها وتشفيح شعاعها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شعب وأظلت عليهم نار ذات لب  
ومصموا لها زفيراً وجرجرة تصعج عن حدة النبط والتضب فتند ذلك أيقن المجرمون بالعطب وجشت  
الأمم على الركب حتى أشفق البراء من سوء القلب وخرج الناصي من الزبانية قالوا : أين فلان  
ابن فلان للسوف نفسه في الدنيا بطول الأمل الضيع عمرة في سوء العمل فيأودونه بمقامع من  
حديد ويستبيلونه بمظالم التهديد ويسوقونه إلى العذاب الشديد ، ويسكسونه في قعر الجحيم  
ويقولون له ذق إنك أنت العزيز الكريم - فأسكنوا ماراً ضيقة الأرجاء مظلمة السالك سبعة لهاك  
يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير شراهم فيها الجحيم ويستقرهم الزبانية فقمهم والهاوية  
تجمعهم أمانهم فيها الهلاك ومالم منها فكل قد شدت أقدامهم إلى النواصي واسودت وجوههم  
من ظلمة العاصي ينادون من أكنافها ويسبحون في نواحيها وأطرافها : يا مالك قد حق علينا  
الوعيد يا مالك قد أمتلأ الحديد يا مالك قد نصبت منا الجلود يا مالك أخرجنا منها فانا لا نعود نقول  
الزبانية هيأت لآل حين أمان ولا خروج لكم من دار الهوان فآخسوا فيها ولا تسكلمون ولو أخرجتم  
منها لسكنتم إلى ما نهيتهم عنه تمودون فتند ذلك ينظرون وعلى ما فرطوا في جنب الله يتأسفون ولا  
ينجيم الندم ولا يخيمهم الأسف بل يكون على وجوههم مغلولين النار من فوقهم والنار من تحتهم  
والنار عن أيانهم والنار عن شمائلهم فهم غرقى في النار طعامهم نار وشراهم نار ولباسهم نار  
ومهادهم نار فهم بين مقطعات النيران وسرايل القطران وضرب القامع وتقل السلاسل فهم يتجلبجلون  
في مضائقها ويتحطمون في دركاتها ويضطربون بين غواشيا تغلق بهم النار كغلي القدور ويهتفون  
بالويل والويل ومهما دعوا بالبور صب من فوق رؤوسهم الجحيم يسهر به ماني بطونهم والجلود  
ولهم مقامع من حديد تهشم بها جباههم فينجر الصديد من أفواههم وتنقطع من العطش أكبادهم  
وتسيل على الحدود أحداثهم ويسقط من الوجنات لحودها وتشمع من الأطراف شعورها بل جلودها  
وكلا نصبت جلودهم بدلوا جلوداً غيرها قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة  
بالعروق وعلاق العصب وهي تنش في لقع تلك النيران وهم مع ذلك يمتنون الموت فلا يتوتون فكيف  
بك لو نظرت إليهم وقد سودت وجوههم أشد سواداً من الجحيم وأعيت أصارهم وأبكت ألسنتهم  
وقصمت ظهورهم وكسرت عظامهم وجذعت آذانهم ومزقت جلودهم وغلت أبدعهم إلى أعناقهم  
وجمع بين نواصيهم وأقدامهم وهم يشون على النار بوجوههم ويطشون حلك الحديد بأحداقهم  
فلهيب النار سار في بواطن أجسادهم وحيات الهاوية وعقاربها متشبثة بظواهر أعضائهم هذا بعض

### ( القول في صفة جهنم )

... أن يطمئن كل يوم  
لأطمئن وذلك يدل  
على أن رسول الله صلى  
الله عليه وسلم كان  
عثاراً في ذلك إن شاء  
أكل وإن شاملاً بكل  
وكان يترك الأكل  
اختياراً وقد دخلت  
الجنة على قوم كلما  
قبل لهم إن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
فعل كذا يقولون كان  
رسول الله صلى الله عليه  
وسلم مشرعاً وهذا إذا

جملة أحوالهم وانظر الآن في تفصيل أحوالهم وتفكير أيضا في أودية جهنم وشعابها فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم « إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف ثوبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والثافق حتى يواقع ذلك كله » (١) وقال صلى الله عليه وسلم « وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تمودوا بالله من جب الحزن أو وادى الحزن قبل يارسول الله وما وادى أوجب الحزن قال واد في جهنم تمود منه جهنم كل يوم سبعين مرة أعد الله تعالى للقرءاء للراغبين (٢) « فله سعة جهنم وانشعب أوديتها وهي بحسب عدد أودية الدنيا وشعوبها وعدد أبوابها بمدد الأعشاء السبعة التي بها يمسى العبد بعضها فوق بعض الأعلى جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم الجعيم ثم الهاوية ، فانظر الآن في عمق الهاوية فانه لا حد لعقها كما لا حد لعمق شهبوات الدنيا فكذلك لا ينتهي أرب من الدنيا إلا إلى أرب أعظم منه فلا تنتهي هاوية من جهنم إلا إلى هاوية أعظم منها قال أبو هريرة « كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا جبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما هذا قلنا الله ورسوله أعلم قال هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين عاما الآن انتهى إلى قعرها (٣) « ثم انظر إلى ثخاوت الدركات فإن الأخيرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا فكذلك أبواب الناس على الدنيا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالفرق فيها ومن خائف فيها إلى حد محدود فكذلك تناول النار لهم متفاوت فإن الله لا يظلم مثقال ذرة فلا تترادف أنواع العذاب على كل من في النار كيفما كان بل لكل واحد حد معلوم على قدر عصيانه وذنبه إلا أن أقامهم عذابا لو عرضت عليه الدنيا بخلافها لا تقيدها من شدة ما هو فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أدنى أهل النار عذابا يوم القيامة يتلعل بطنين من نار ينلى دماغه من حرارة نعليه (٤) « فانظر الآن إلى من خفف عليه واعتبر به من شدد عليه ومهما تشككت في شدة عذاب النار اقرب أصبحك من النار وقس ذلك بتم اعلم أنك أخطأت في القياس فإن نار الدنيا لا تناسب نار جهنم ولكن لما كان أشد عذاب في الدنيا عذاب هذه النار عرف عذاب جهنم بها وهيئات لو وجد أهل الجعيم مثل هذه النار لحاؤوها طامعين هربا منهم فيوعن هذا عبر في بعض الأخبار حيث قيل « إن نار الدنيا غسلت بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى أطافها أهل الدنيا (٥) « بل صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة نار جهنم فقال « أمز الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلة (٦) « وقال عليه السلام « اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن لي نفي سبعين

(١) حديث إن في جهنم سبعين ألف واد في كل واد سبعون ألف شعب في كل شعب سبعون ألف ثوبان وسبعون ألف عقرب لا ينتهي الكافر والثافق حتى يواقع ذلك كله ثم أجده هكذا جماعته وسأيت بعده ما ورد في ذكر الحيات والعقارب (٢) حديث على تمودوا بالله من جب الحزن أو وادى الحزن الحديث رواه ابن عدى بلفظ وادى الحزن وقال باطل وأبو نعيم والأصبهاني بسند ضعيف ورواه الترمذي وقال غريب وابن ماجه من حديث أبي هريرة بلفظ جب الحزن وضعفه ابن عدى وتقدم في ذم الجاهل والراه (٣) حديث أبي هريرة كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعنا جبة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أمز الله تعالى أن يوقد على النار ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى ابيضت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهي سوداء مظلة (٤) « وقال عليه السلام « اشتكت النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن لي نفي سبعين

قالوا على معنى أنه لا يلزمهم التأني به جهل محض فإن الرخصة الوقوف على حد قوله والمزمنة التأني بفعله وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأرباب الرخص وضعه لأرباب العزائم ثم إن التمسى بما كان حال رسول الله عليه الصلاة والسلام في دعاء الخلق إلى الحق فكل

نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما يجدونه في الصيف من حرها وأشد ما يجدونه في الشتاء من زمهريرها (١) وقال أنس بن مالك يؤتى بأنعم الناس في الدنيا من الكفار يقال اغمسوه في النار غمسة ثم يقال له هل رأيت نعيما قط فيقول لا ويؤتى بأشد الناس شرا في الدنيا يقال اغمسوه في الجنة غمسة ثم يقال له هل رأيت شرا قط فيقول لا . وقال أبو هريرة لو كان في السجدة مائة ألف أو يزيدون ثم تنفس رجل من أهل النار لماتوا وقد قال بعض العلماء في قوله تنفس وجوههم النار - إنها لهم قذمة واحدة لها أثبت لها على عظم إلا ألقته عند أعقابهم ثم انظر بعد هذا في نين الصديد الذي يسيل من أبدانهم حتى يفرقون فيه وهو التماسق ، قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ « لو أن دلوامن غساق جهنم ألقى في الدنيا لأثخن أهل الأرض » (٢) فهذا شرابهم إذا استأثروا من العطش فيسقي أحدهم من ماء صديد يشجره ولا يكاد يسيغه وبأية اللوث من كل مكان وما هو بيت وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتقا ، ثم انظر إلى طعامهم وهو الزقوم كما قال الله تعالى - ثم إنكم أهل الضالون السكذبون لا تكون من شجر من زقوم فالثون منها البطون فشاربون عليه من الجحيم فشاربون شرب الميم - وقال تعالى - إنها شجرة تخرج من أصل الجحيم طلعها كأنه رموس الشياطين فأنهم لا تكون منها فالثون منها البطون ثم إن لهم عليها الثوب من حميم ثم إن مرجعهم إلى الجحيم - وقال تعالى - تعالى نارا حامية تسقي من عين آية - وقال تعالى - إن الدنيا أنكأ لوجعا وطعاما ذا غصا وعذابا ألما - وقال ابن عباس قال رسول الله ﷺ « لو أن قطرة من الزقوم قطرت في بحار الدنيا أفسدت على أهل الدنيا معائبهم فكيف من يكون طعامه ذلك » (٣) وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اربغوا فيها رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم الله به من عذابه وعقابه ومن جهنم فانه لو كانت قطرة من الجنة معكم في دنياكم التي أنتم فيها طينتها لكم ولو كانت قطرة من النار معكم في دنياكم التي أنتم فيها خبثتها عليكم » (٤) وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل مامم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام فيثاقون بطعام من ضريع لا يسمن ولا يفي من جوع ويستغيثون بالطعام فيثاقون بطعام ذي غصة فيذكرون أنهم كما كانوا يجيزون القصص في الدنيا بشراب فيستغيثون بجراب فيفرغ إليهم الجحيم بكلايب الحديد فإذا دنت من وجوههم شوت وجوههم فإذا دخل الشراب بطونهم قطع ما في بطونهم فيقولون ادعوا خزنة جهنم قال فيدعون خزنة جهنم أن ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب فيقولون ولم تترك تأنيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى قالوا فادعوا أو مادعوا الكافرين إلا في ضلال قال فيقولون ادعوا ما لكما فيدعون فيقولون يا مالك ليقض علينا ربك قال فيجيئهم إنكم ما كنون » (٥) وقال الأعمش أن

ما كان يجتمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهى أن يستد به فكان قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصباحه الزائد لا يغلو إما أنه كان ليقضى به وإما أنه كان لمزيد كان يجده بذلك فان كان ليقضى به فالنهي أيضا مقتدى به ينهى أن يأتي مثل ذلك والصحيح الحق أن رسول الله صلى الله

(١) حديث اشكتك النار إلى ربها فقالت يارب أكل بعضي بعضا فأذن لها بنفسين الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث أبي سعيد الخدري لو أن دلوامن غساق ألقى في الدنيا لأثخن أهل الأرض الترمذي وقال إنما نعرفه من حديث رشد بن سعد وفيه ضعف (٣) حديث ابن عباس لو أن قطرة من الزقوم قطرت في دار الدنيا أفسدت على أهل الأرض معائبهم الحديث الترمذي وقال حسن صحيح وابن ماجه (٤) حديث أنس اربغوا فيها رغبكم الله واحذروا وخافوا ما خوفكم به من عذاب الله وعقابه من جهنم الحديث لم أجده إلا متنادا (٥) حديث أبي الدرداء يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل مامم فيه من العذاب فيستغيثون بالطعام الحديث الترمذي من رواية سمرة ابن عطية عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال الدارمي والناس لا يعرفون هذا الحديث وإنما روى عن الأعمش عن سمرة بن عطية عن شهر عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قوله.

بين دعاتهم وبين إجابة مالك إياهم ألف عام قال فيقولون ادعوا ربكم فلاحد خير من ربكم فيقولون ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال فيجيبهم اخشوا فيها ولا تكلمون قال فمعد ذلك يشربوا من كل خير وعند ذلك أخذوا في الزفر والحسرة والويل قال أبو أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه - قال «يقرب إليه فيسكره فاذا أدنى منه شوى وجهه فوكت فروة رأسه فاذا شربه قطع أمهه حتى يخرج من دبره يقول الله تعالى - وسقوا ماء حميا قطع أمهه - وهو قال تعالى وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه - فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم (١) فانظر الآن إلى حيات جهنم وغاربا وإلى شدة حرها وعظم أشخاصها وقطاعة منظرها وقد سلطت على أهلها وأغريت بهم فبى لا تنتر عن النهى واللغ ساعة واحدة قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعا أقرع له زبيبتان بطوقه يوم القيامة ثم يأخذ بله زممه يعني أشداه فيقول أنا مالك أنا كنزك ثم تلا قوله تعالى - ولا يحسبن الذين يخولون بما آتاهم الله من فضله الآية - (٢) وقال الرسول صلى الله عليه وسلم «إن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة فيجد حوتها أربعين خريفا وإن فيها لغارب كالغالب للوكمة يلسعن اللسعة فيجد حوتها أربعين خريفا وهذه الحيات والغارب إنما تسلط على من سلط عليه في الدنيا البخل وسوء الحاق وإيذاء الناس ومن وفى ذلك وفى هذه الحيات فلم يمتل له (٣) ثم تفكر بهذا كلف في تعظيم أجسام أهل النار فان الله تعالى يزيد في أجسامهم طولا وعرضا حتى يتزايد عذابهم بسببه فيحسون بفتح النار وبلغ الغارب والحيات من جميع أجزائها دفعة واحدة على التوالى قال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «ضرس الكافر في النار مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاث (٤)» وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «شفة السفلى ساقطة على صدره والعليا قاصة قد غطت وجهه (٥)» وقال عليه السلام «إن الكافر ليجر لسانه في سبعين يوم القيامة يتواطؤه الناس (٦)» ومع عظم الأجسام كذلك تحرقهم النار مرات فتجدد جلودهم ولحومهم قال الحسن في قوله تعالى - كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غير ما قالوا تأكلهم النار كل يوم سبعين ألف مرة كلما أكلتهم قيل لهم عودوا فعودون كما كانوا - ثم تفكر الآن في بكاء أهل النار وشيئهم ودعائهم بالبويل والنبور فان ذلك يسلط عليهم في أول إلقائهم في النار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بهم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك (٧)» وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يرسل على أهل النار البكاء فيكون حتى تقطع الدموع ثم يكون الدم حتى يرى في وجوههم كثية الأخشود لو أرسلت فيها السفن لجرت ومادام يؤذن لهم في البكاء

(١) حديث أبي أمامة في قوله تعالى - ويسقى من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه - قال يقرب إليه الحديث الترمذي وقال غريب (٢) حديث أبي هريرة عن حديث جابر نحوه (٣) حديث ابن في النار لحيات مثل أعناق البخت يلسعن اللسعة الحديث أحمد من رواية ابن لهيعة عن دراج عن عبد الله بن الحارث بن جزء (٤) حديث أبي هريرة ضرس الكافر في النار مثل أحد الحديث رواه مسلم (٥) حديث شفة السفلى ساقطة على صدره والعليا قاصة قد غطت وجهه الترمذي من حديث أبي سعيد وقال حسن صحيح غريب (٦) حديث ابن الكافر ليجر لسانه فرسعين يوم القيامة يتواطؤه الناس الترمذي من رواية أبي الحارث عن ابن عمر وقال غريب وأبو الحارث لا يعرف (٧) حديث يؤتى بهم يومئذ لها سبعون ألف زمام الحديث مسلم من حديث عبدالله بن مسعود.

عليه وسلم لم يفعل ذلك لجره الاقتداء بل كان يجد بذلك زيادة وهو ما ذكرناه من تهذيب الجيلة . قال الله تعالى خطابا له - وأعيد ربك حتى يأتيك اليقين - لأنه بذلك ازداد استعدادا من الحضرة الإلهية وقرع باب الكرم والنبي عليه الصلاة والسلام مفتقر إلى الترياقه من الله تعالى غير مستثن

والشقيق والزفيو والدعوة بالويل والثبور فلهم فيه مستروح ولكنهم يمتدنون أيضا من ذلك (١) قال محمد بن كعب : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل في أربعة فإذا كانت الخامسة لم يشكعوا بعدها أبدا يقولون - ربنا أمتنا الثنتين وأحييتنا الثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل - فيقول الله تعالى جيبا لهم - ذلك بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم وإن شركه به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير - ثم يقولون - ربنا أبصرنا وصحنا فأرجعنا لعلنا نعمل صالحا - فيجيبهم الله تعالى - وألم تكونوا أقمتم من قبل ما كنتم من زوال - فيقولون ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل - فيجيبهم الله تعالى - وألم نعمركم ما نذكركم فيه من تذكرة وجاءكم النذير فذوقوا لها لظالمين من نصير - ثم يقولون - ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما مساكين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فاعاقبنا ظالمين - فيجيبهم الله تعالى - يا خسرنا فيها ولا تشكعوا - فلا تشكعوا بعدها أبدا وذلك غاية شدة العذاب . قال مالك بن أنس رضي الله عنه : قال زيد بن أسلم في قوله تعالى - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص - قال صبروا وما أقمتم ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا - سواء علينا أجزعنا أم صبرنا وقال صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح بين الجنة والنار ويقال يا أهل الجنة خلودوا موت وبأهل النار خلودوا بموت (٢) » وعن الحسن قال يخرج من النار رجل بعد ألف عام وليتي كنت ذلك الرجل ورؤي الحسن رضي الله عنه جالسا في زاوية وهو يسكن قيل له لم يسكن قال أيسكني أن يطرحني في النار ولا ياتي في هذه أصناف عذاب جهنم على الجنة ونفصل غمومها وأحزائها وبهجتها وحسرتها لانهاية له فأعظم الأمور عليهم مع ما يلاقونه من شدة العذاب حسرة فوت نعيم الجنة وفوت لقاء الله تعالى وفوت رضاء مع عليهم بأنهم باعوا كل ذلك بشئ من دراهم معدودة إذ لم يبيعوا ذلك إلا بصحوات حقيرة في الدنيا أياما قصيرة وكانت غير صافية بل كانت مكيدة منخضة فيقولون في أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنا أنفسنا بصبان ربنا وكيف لم نكف أنفسنا الصبر أياما قلائل ولو صبرنا لكانت قد اهضمت عنا أيامه وبقينا الآن في جوار رب العالمين منتصين بالرضا والرخوان في الحسرة هؤلاء وقد فاتهم ما فاتهم وبلوا بما بلوا به ولم يبق معهم شيء من نعيم الدنيا لو كانت لهم لولم يشاهدوا نعيم الجنة لم تعظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم فقد قال رسول الله ﷺ «يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها نودوا أن اصرفوهم عنها لا تصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة ما رجع الأولون والآخرون بعثلها فيقولون ياربنا لو أدخلتنا النار قبل أن نربنا ما لربنا من نوابك وما أعدت فيها لأوليائك كان أهون علينا فيقول الله تعالى ذاك أردت بكم كنتم إذا خلوتن بآر زعموني بالعظام وإذا لقيتم الناس لقيتموهم بحنين تراءون الناس بخلاف ما منعوني من قلوبكم هبت الناس ولم تهابوني وأجلتكم الناس ولم يهلوني وتركتهم للناس ولم تتركوا لي فالويلم أذيقهم العذاب الأليم مع ما حرمتمكم من الثواب القيم (٣) » قال أحمد بن حنبل إن أحدا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار . وقال عيسى عليه السلام كم من جرد صحيح ووجه صحيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح . وقال داود الهادي لا مبرئ على حرمته فكيف صبري

عن ذلك ثم في ذلك سر غريب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم برابطة جنبية النفس كان يدعو الخلق إلى الحق ولولا رابطة جنبية النفس إلى الحق ما وصلوا إليه ولا انضموا به وبين نفسه الطاهرة ونفوس الأتباع رابطة التأليف كابين روحه وأرواحهم رابطة التأليف ورباطة النفس

(١) حديث أنس يرسل على أهل النار البكاء فيكون حق تقطع الدموع الحديث ابن ماجه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس والرقاشي ضعيف (٢) حديث يؤتى يوم القيامة كأنه كبش أملح فيذبح البخاري من حديث ابن عمر ومسلم من حديث أبي سعيد وقد تقدم (٣) حديث يؤتى يوم القيامة بناس من النار إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها الحديث وروناه في الأربعين لأبي هبة عن أنس وأبو هبة إبراهيم بن هبة هالك .

على حر نارك ولا صبر لي على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك فانظر يا مكين في هذه الأحوال واعلم أن الله تعالى خلق النار بأهوالها وخلق لها أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون وأن هذا أمر قد قضى وقرع منه قال الله تعالى - وأنذرهم يوم الحسرة إذ نفضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون - ولعمري الإشارة به إلى يوم القيامة بل في أزل الأزول ولكن أظهر يوم القيامة ما سبق به القضاء والمعجب منك حيث تضحك وتلهو وتشغل بحفريات الدنيا ولست تدري أن القضاء بماذا سبق في حرك ؟ فان قلت فليت شرى ماذا موردي وإلى ماذا مآلي ومرجى وما الذي سبق به القضاء في حقك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهي أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك فان كلا ميسر لما خلق له فان كان قد يسر لك سبيل الخير فأبصر فانك بعد عن النار وإن كنت لا تفصح خبر إلا وتحيط بك المواق قد دفعه ولا تصد شراً إلا وتيسر لك أسبابه فاعلم أنك مقضى عليك فان دلالة هذا على العاقبة كدلالة الطر على النبات ودلالة الدخان على النار فقد قال الله تعالى - إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم - فاعرض نفسك على الآيتين وقد عرفت مستقر كل من الدارين والله أعلم .

### ( القول في صفة الجنة وأصناف نعيمها )

اعلم أن تلك الدار التي عرفت همومها وغموها تها لها دار أخرى تأمل نعيمها وسرورها فان من يبد من أحدهما استقر لا محالة في الأخرى فاسترا الخوف من قلبك بطول الفكر في أهوال الجحيم واسترا الرجاء بطول الفكر في النعم التميم الوعود لأهل الجنان وسق نفسك بسوط الخوف وقدها بزمانم الرجاء إلى الصراط المستقيم فبذلك تنال اللذات العظمى وتسلم من العذاب الأليم فتفكر في أهل الجنة وفي وجوههم نضرة النعم يسفون من رحيق مخنوم جالسين على منابر الباقوت الأحمر في خيام من اللؤلؤ الرطب الأرض فيها بسط من البقري الأخضر متكئين على أرائك منصوبة على أطراف أنهار مطردة بالحر والعسل مخوفة بالمفان والولدان مزينة بالخور العين من الحيرات الحسان كأنهن الباقوت والرجان لم يطعنن إسن قبلهم ولا جان يشين في درجات الجنان إذا اختالت إحداهن في مشيها حمل أعطافها سبعون ألفاً من الولدان عليها من طرائف الحرير الأبيض ماتعير فيه الأبصار مكلاات بالتيجان الرصعة باللؤلؤ والرجان شكلات غنجات عطرات آمنت من الحر من والبؤس مقصورات في الحيام في قصور من الباقوت بنيت وسط روضات الجنان قاصرات الطرف عين ثم يطاف عليهن وعليهن بأكواب وأباريق وكأس من معين يضاء لثة للشاربين ويطوف عليهن خدام وولدان كأنهم اللؤلؤ للكون جزاء بما كانوا يعملون في مقام أمين في جنات وعيون في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر ينظرون فيها إلى وجه الملك الكريم وقد أشرقت في وجوههم نضرة النعم لا يرهقهم قتر ولا ذلة بل عباد مكرمون وبأنواع التحف من رهم يتاهدون فهم فيها اشبهت أنفسهم خالدين لا يخافون فيها ولا يحزنون وهم من رب التواب آمنون فهم فيها يتمتعون وبأكلون من أطعمتها وشربون من أنهارها لبناً وحماً وعسلاً في أنهار أراضيهان فمنها وحشاؤها مرجان وعلى أرض ترابها مسك وأذقر ونباتها زعفران ويطفون من سحب فيها من ماء النسرين على كشبان السكاقر ويؤتون بأكواب وأى أكواب بأكواب من فضة مرصعة بالدر والياقوت والرجان كوب فيه من الرحيق المثلج مزوج به السليل المذهب كوب يشرب نور من صفاء جوهره ويدو الشراب من ورائه وقته وعمرته لم يمتعه آدمي فيصير فيسويق صمته وتحسين صناعته في كف خادم يحكي مناه وجهه الشمس في إشرافها ولكن من أين للشمس حلاوة مثل حلاوة صورته وحسن أصدائه

### ( القول في صفة الجنة )

ألفت آثاماً كما أن  
الأرواح ألفت أولاً  
ولكل روح مع  
نفسه تأليف خاص  
والكون والتأليف  
والامتزاج واقع بين  
الأرواح والنفس  
وكان رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يديم  
العمل لتصفية نفسه  
وتغوس الأتباع لها  
احتاج إليه نفسه من  
ذلك ناله وما فضل من  
ذلك وصل إلى غوس

وملاحة أحداه في أعجاب لمن يؤمن بدار هذه صفتها ويؤمن بأنه لا يموت أهلها ولا تهل القبالب عن نزل بناتها ولا تنظر الأحداث بين التغير إلى أهلها كيف يأتي بدار قد أدن الله في خرابها وبنيانها يعيش دونها والله لو لم يكن لها إلا سلامة الأبدان مع الأمن من اللوث والجوع والعطش وسائر أصناف الحدائق لكان جديراً بأن يهجر الدنيا بسببها وأن لا يؤثر عليها ما التصرم والتعنس من ضرورته كيف وأهلها ملوك آمنون وفي أنواع السرور ممتعون لهم فيها كل ما يشتهون وهم في كل يوم يبنون العرش يحضرون وإلى وجه الله الكريم ينظرون وينالون بالنظر من الله ما لا ينظرون معه إلى سائر نعيم الجنان ولا يلتفتون وهم على الدوام بين أصناف هذه النعم بركة دون وهم من زوالها آمنون قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ينادي مناد بأهل الجنة إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تنحبوا فلا تنفوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تشبوا أبداً وإن لكم أن تموتوا فلا تموتوا أبداً إن لكم أن تنحوا فلا تنحوا أبداً وإن لكم أن تشبوا فلا تشبوا أبداً وإن لكم أن تموتوا فلا تموتوا أبداً» وبهذه أردت أن تعرف صفة الجنة فأقرأ القرآن فليس وراءه يان الله تعالى يان وأقرأ من قوله تعالى «ولن نخاف مقام ربنا» إلى آخر سورة الرحمن وأقرأ سورة الواقعة وغيرها من السور وإن أردت أن تعرف تفصيل صفاتها من الأخبار فتأمل الآن تصنيفها بعد أن اطلمت على مجملها وتأمل أول أبعاد الجنان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى «ولن نخاف مقام ربنا» جنتان من فضة آتينهما ومافيهما وجنتان من ذهب آتينهما ومافيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن (١) ثم انظر إلى أبواب الجنة فتأمل كثرة عجبها أصول الطاعات كالن أبواب النار بحسب أصول المعاصي قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أتق زوجين من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة كلها ولجنة ثمانية أبواب فمن كان من أهل الصلوة دعى من باب الصلاة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد قال أبو بكر رضي الله عنه والله ما على أحسن ضرورة من أيها دعى فهل يدعى أحد منهم كلها ؟ قال نعم وأرجو أن تكون منهم (٢) وعن أبي هريرة عن حمزة عن علي بن كرم الله وجهه أنه ذكر النار فظلم أمرها ذكر الألفاظ ثم قال جوسيق الذين اتخا ربهم إلى الجنة زمرا - حتى إذا اتهموا إلى باب من أبوابها وجدوا عند مشجرة يخرج من تحتها قبا عتبان يخرجان فصدوا إلى إحداها كما أمروا به فصرخوا منها فأذعبت مالي بطونهم من أذى أو بأس ثم عمدوا إلى الأخرى فظفروا منها فخرجت عليهم نضرة التعم فلم تتغير أعضارهم بعدها أبداً ولا تشب ردهم وسهم كأنما ذهبن أو بالهذهن ثم اتهموا إلى الجنة فقال لهم خزنتها سلام عليكم طيبتم فادخلوها خالدين ثم تلقاهم الولدان يطبقون بهم كما تطيب ولدان أهل الدنيا بالحليب يسعم عليهم من غيبة يقولون له أجزأ أمك الله لك من الكرامة كذا قال فينتطلق غلام من أولئك الولدان إلى بسى أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان بأخيه القبي كان يدعى به في الدنيا فتقول أنت رأيت فيقول أنا رأيته وهو بأثرى فيتحفها الفرح حتى تقوم إلى أسكفة بابها فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنيانه فإذا جند اللؤلؤ فوقه صرح أحمر وأخضر وأسفر من كل لون ثم يرفع رأسه فينظر إلى سقفه فإذا

الآلة وهكذا للنهي مع الأصحاب والاتباع على هذا المعنى فلا يتخلف عن الريادات والتوافل ولا يسترسل في الشهوات والذوات إلا بدلالة نفس النفس ولا يعطى الاعتدال حتى من فكك إلا بتأييد الله تعالى ونور الحكمة وكل من يحتاج إلى صحة العبادة فليست لايده من خلوة صحبة بالحق حتى تكون

(١) حديث أبي هريرة ينادي مناد إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وأبي سعيد (٢) حديث جنتان من فضة آتينهما ومافيهما وجنتان من ذهب آتينهما ومافيهما الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث أبي هريرة من أتق زوجين من ماله في سبيل الله دعى من أبواب الجنة الحديث متفق عليه .

مثل البرق ولولا أن الله تعالى قدره لألم أن يذهب بصره ثم يطأطأ رأسه فإذا أزواجهم وأكواب موضوعة وتبارق مصفوفة وزراني مشوطة - ثم اتكأ فقال - الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله - ثم ينادى مناد يحيون فلا يموتون أبداً وتقيمون فلا تظلمون أبداً وتصحون فلا تفرحون أبداً - وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أتى يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الحازن من أنت فأقول محمد فيقول بك أمرت أن لا أدخل لأحد قبلك (١)» ثم تأمل الآن في غرف الجنة واختلاف درجات العلو فيها فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً وكما أن بين الناس في الطاعات والظاهرة والأخلاق الباطنة المحمودة تفاوتاً ظاهرة فكذلك لها مجازون به تفاوت ظاهر فإن كنت تطلب أعلى الدرجات فاجتهد أن لا يسبقك أحد بطاعة الله تعالى صدأ شركاً بالله المسابقة للثلاثة فيها قال تعالى - ساجداً إلى مغفرة من ربكم - وقال تعالى - وفي ذلك فليتنافس المتنافسون - والعجب أنه لو تقدم عليك أقرانك أو جيرانك بزيادة درهم أو بمولود أو بعتل عليك ذلك وضاق به صدرك وتغنم بسبب الحسد عيشك وأحسن أحوالك أن تستغرق الجنة وأنت لا تسلم فيها من أقوام يسبقونك بلطائف لا توارثها الدنيا بمخافاتها فقد قال أبو سعيد الخدري قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كما تراءون السكوك الفائر في الأفق من الشرق إلى الغرب ففاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يدخلها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين (٢)» وقال أيضاً «إن أهل الدرجات العلى ليرام من تحميم كاترون النجم الطالع في أفق من أفاق السماء وإن أبابكر وعمر منهم وأمناء (٣)» وقال جابر قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم «الآن أحدكم بنرف الجنة قال قلت بلى يا رسول الله صلى الله عليه وسلم «أنا قال قلت إن في الجنة غرفاً من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وفيها من النعم والذات والسرور ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال قلت يا رسول الله ولهن هذه الغرف قال لمن أفضى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام قال قلنا يا رسول الله ومن يطبق ذلك قال أمقر تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه وأورد عليه فقد أفضى السلام ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام ومن صام شهر رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام فقد أدام الصيام ومن صلى الشاء الآخرة وصلى العداة في جماعة فقد صلى بالليل والناس نيام (٤)» يعني اليهود والنصارى والمجوس - «وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله - وما كن طيبة في جنات عدن - قال : قصور من لؤلؤ في كل قصر سبعون داراً من ياقوت أحمر في كل دار سبعون بيتاً من زمرد أخضر في كل بيت سرير على كل سرير سبعون فراشاً من كل لون على كل فراش زوجة من الحور العين في كل بيت سبعون مائدة على كل مائدة سبعون لوناً من الطعام في كل بيت سبعون وصيفة ويسل للؤمن في كل غداة يعني من القوة ما يأتي على ذلك أجمع (٥)».

(١) حديث آتى يوم القيامة باب الجنة فاستفتح فيقول الحازن من أنت فأقول محمد الحديث مسلم من حديث أنس (٢) حديث أبي سعيد إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف فوقهم كاتراءون السكوك الحديث متفق عليه وقد تقدم (٣) حديث إن أهل الدرجات العلى ليرام من تحميم كما يرون النجم الطالع روله الترمذي وحسنه وابن ماجه من حديث أبي سعيد (٤) حديث جابر الآن أحدكم بنرف الجنة قلت يا رسول الله بأبي أنت وأمتنا قال إن في الجنة غرفاً من أصناف الجوهر الحديث أبو نعيم من رواية الحسن عن جابر (٥) حديث مثل عن قوله تعالى - وما كن طيبة في جنات عدن - قال قصور من لؤلؤ الحديث أبو الشيخ ابن حبان في كتاب المظلة والآجري في كتاب النصيحة

جلوته في حماية خلوته ومن يترامى له أن أوقاته كلها خلوته وأنه لا يحجب شيء وأن أوقاته بالله وقته ولا يرى نقصاناً لأن الله ما حفظه لحقيقة الزيد فهو صحيح في حاله غير أنه تحت قصور لأنه مائة لسياسة الجنة وما عرف سر تخليك الاختيار وما وقف من البيان على البيضاء النقية وقد نقلت عن الشايع كلمات

## (صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها)

تأمل في صورة الجنة وتفكر في غبطة سكانها وفي حسرة من حرمها لثقلته بالدنيا عوضاً عنها قد قال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك» (١). «وسئل رسول الله ﷺ عن تربة الجنة فقال درمكة يضاهي مسك خالص» (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره أن يسقيه الله عز وجل الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا» (٣). «وأنهار الجنة تتفجر من تحت تلال أو تحت جبال للسك» (٤). «ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحلبها الله عز وجل به في الآخرة أفضل من حلية الدنيا جميعها» (٥). وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها القردوا إن شئتم - وظل محدود -» (٦). وقال أبو أمامة: «كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون إن الله عز وجل ينفعنا بالأعراب ومساائلهم أقبل أعرابي قال يارسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية وما كنت أدري أن في الجنة شجرة تؤذي صاحبها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هي قال السدر فإن لها شوكاً فقال قد قال الله تعالى - في سدر مخضود - يخشد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكه ثمرة ثم تتفتح الثمرة منها عن اثنين وسبعين لونا من الططم ما منها لون يشبه الآخر» (٧). وقال جرير بن عبد الله: «نزلنا الصفاح فإذا رجل قائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه فقلت للقلام انطلق بهذا النطح فأظله فانطلق فأظله فلما استيقظ فإذا هو سلمان فأبته أسلم عليه فقال يا جرير تواضع لله فان من تواضع لله في الدنيا رضى الله يوم القيامة هل تدري ما الظلمات يوم القيامة قلت لأدري قال ظم الناس بشهم بضام أخذ عويدا لا أكاد أراه من»

من رواية الحسن بن خليفة عن الحسن قال سألت أبا هريرة وعمران بن حصين في هذه الآية ولا يصح والحسن بن خليفة لم يعرفه ابن أبي حاتم والحسن البصري لم يسمع من أبي هريرة حتى قول الجمهور (١) حديث أبي هريرة: «إن حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ترابها زعفران وطينها مسك الترمذي بلفظ وبلاطها المسك وقال ليس إسناده بذلك القوى وليس عندي بمثل ورواه البراز من حديث أبي سعيد بإسناد فيه مقال ورواه موقوفا عليه بإسناد صحيح (٢) حديث: سئل عن تربة الجنة فقال درمكة يضاهي مسك خالص مسلم من حديث أبي سعيد أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن ذلك فذكره (٣) حديث أبي هريرة: «من سره أن يسقيه الله الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا ومن سره أن يكسوه الله الحرير فليتركه في الدنيا الطبراني في الأوسط بإسناد حسن وللنسائي بإسناد صحيح: من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة (٤) حديث: أنهار الجنة تتفجر من تحت تلال أو تحت جبال للسك القليل في الضعفاء من حديث أبي هريرة (٥) حديث: لو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعها لكان ما يحلبها الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعها الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة بإسناد حسن (٦) حديث: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث أبي أمامة أقبل أعرابي قال يارسول الله قد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية قال ما هي قال السدر الحديث ابن المبارك في الزهد عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر مرسل من غير ذكر لأبي أمامة.

فها موضع اشتباه قد يسمى بها الإنسان ويبنى عليها الأولى أن يفتخر إلى الله تعالى في أي كاذب يسميها حق يسميها الله من ذلك الصواب . هل عن بعضهم أنه سئل عن كمال المعرفة فقال : إذا اجتمعت للفرقات واستوت الأحوال والأماكن وسقطت رؤية التمييز ومثل هذا القول يوم أن

صفه فقال يا جبريل لو طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده قلت يا أبا عبد الله فإن النخل والشجر قال أصولها القلوظ والذهب وأعلاها النمر .

( صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسررهم وأرائكهم وخيامهم )

قال الله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير - والآيات في ذلك كثيرة وإنما تفصيله في الأخبار فقد روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من يدخل الجنة ينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفتن شبابه في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » (١) . وقال رجل يارسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق خلق أم نسج نسج فسكت رسول الله ﷺ وضحك . بعض القوم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم م تشعكون من جاهل سألت علما ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل ينشق عنها ثمر الجنة من ثياب (٢) وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يصفون فيها ولا يعتضون ولا يتخطون آنتهم وأمشاطهم من الذهب والفضة وورشهم للسك لكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقها من وراء اللحم من الحسن لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب واحد يسبحون الله بكرة وعشي ( وفي رواية ) على كل زوجة سبعون حلة » (٣) وقال صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب - قال « إن عليهم التيجان إن أدنى لؤلؤة فيها نقي ما بين الشرق والغرب » (٤) وقال ﷺ « الحيمة درة مجوفة طولها في السماستون ميلا في كل زاوية منها للؤمن أهل لإبراهيم الآخرون » (٥) ورواه البخاري في الصحيح قال ابن عباس الحيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب وقال أبو سعيد الخدري « قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى : وفرش مرفوعة قال ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض » (٦)

( صفة طعام أهل الجنة )

بيان طعام أهل الجنة المذكور في القرآن من الثواكه والطيور والحان واللبن والسوى والعسل واللبن وأصناف كثيرة لا تحصى قال الله تعالى - كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأنوا به متشابها - ، وذكر الله تعالى شراب أهل الجنة في مواضع كثيرة ،

(١) حديث أبي هريرة : من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس لا تبلى ثيابه الحديث رواه مسلم دون قوله : في الجنة ما لا عين رأت الخ فانفق عليه الشيخان من حديث آخر لأبي هريرة : قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت الحديث (٢) حديث : قال رجل يارسول الله أخبرنا عن ثياب أهل الجنة أخلق خلقا أم نسج نسج أجبنا الحديث الثاني من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث أبي هريرة : أول زمرة تدخل الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر الحديث متفق عليه (٤) حديث : في قوله تعالى - يحلون فيها من أساور من ذهب - قال إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة فيها نقي ما بين الشرق والغرب الترمذي من حديث أبي سعيد دون ذكر الآية وقال لا تعرفه إلا من حديث رشدين سعد (٥) حديث : الحيمة درة مجوفة طولها في السماء ستون ميلا الحديث عزاء الصنف البخاري وهو متفق عليه من حديث أبي موسى الأشعري (٦) حديث أبي سعيد في قوله تعالى - وفرش مرفوعة - قال ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض الترمذي بلفظ : ارتفاعها لسكا بين السماء والأرض خمسمائة سنة وقال غريب لا تعرفه إلا من حديث رشدين سعد .

لا يفتن بغير بين الحلو والجلوة وبين القيام بسور الأعمال وبين تركها ولم يفهم منه أن القائل أراد بذلك معنى خاصا يعني أن حظ للرفة لا يتغير بحال من الأحوال وهذا صحيح لأن حظ للرفة لا يتغير ولا يتغير إلى التميز وتتنوع الأحوال فيه ولكن حظ للرب لا يتغير ويحتاج إلى

وقد قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم «كنت قائما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءه من أجبار اليهود فذكر أسئلة إلى أن قال فمن أول إجازة يعنى على الصراط ؟ قال قراء المهاجرين ، قال اليهودى فأتعفتهم حين يدخلون الجنة ؟ قال زيادة كبد الموت ، قال لما غداؤم على أرضه ؟ قال ينزلهم نور الجنة الذى كان يأكل فى أطرافها . قال لما شربهم عليه ؟ قال من عين فيها تسعى سلسيلا . فقال صدقت <sup>(١)</sup> » وقال زيد بن أرقم «جاء رجل من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أبا القاسم أأنت زعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون وقال لأصحابه إن أقرئ بها خدمته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى والذى نفسى بيده إن أحدهم يعطى قوة مائة رجل فى الطعام والشرب والجماع ، قال اليهودى فإن الذى يأكل ويشرب يكون له الحاجة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجتهم عرق بغيض من جلودهم مثل السك فاذا البطن قد ضمر <sup>(٢)</sup> » وقال ابن مسعود قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنك تنظر إلى الطير فى الجنة فتشبهه فيخر بين يديك مشويا <sup>(٣)</sup> » وقال حذيفة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن فى الجنة طيرا أمثال البهائم . قال أبو بكر رضى الله عنه إنها لناعمة يارسول الله . قال أنهم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها ياأبا بكر <sup>(٤)</sup> » وقال عبد الله بن عمر فى قوله تعالى - يطاف عليهم بصحاف - قال يطاف عليهم ببعين صحفة من ذهب كل صحفة فيها لون ليس فى الأخرى مثله . وقال عبد الله ابن مسعود رضى الله عنه - ومزاجه من تسنيم - قال يمزج لأصحاب الجن ويشربه القربون صرطا . وقال أبو البرداء رضى الله عنه : فى قوله تعالى - ختامه مسك - قال هو شراب أبيض مثل القضة يختمون به آخر شربهم لو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذوروح إلا وجد ريح طيبها .

### ( صفة المحور العين والولدان )

قد تسكر فى القرآن وصفهم ووردت الأخبار زيادة شرح فيه ، روى أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «غدوة فى سبيل الله أوروحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أوموضع قدمه من الجنة خير من الدنيا وما فيها ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلمت إلى الأرض لأضأت وللاضأت ما بينهما رائحة وللصيفها على رأسها خير من الدنيا عما فيها <sup>(٥)</sup> » يعنى الحمار وقال

(١) حديث ثوبان جاء به من أجبار اليهود فذكر سؤاله إلى أن قال فمن أول الناس إجازة يعنى على الصراط فقال قراء المهاجرين قال اليهودى فأتعفتهم حين يدخلون الجنة قال زيادة كبد الموت الحديث رواه مسلم بزيادة فى أوله وآخره (٢) حديث زيد بن أرقم جاء به من اليهود فقال ياأبا القاسم أأنت زعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون الحديث وفيه حاجتهم عرق بغيض من جلودهم مثل السك الحديث ابن مسعود إنك تنظر إلى الطير فى الجنة فتشبهه فيخر بين يديك مشويا البزار بإسناد فيه ضعف (٤) حديث حذيفة إن فى الجنة طيرا أمثال البهائم الحديث غريب من حديث حذيفة وأحمد من حديث أنس بإسناد صحيح إن طير الجنة كأمثال البهائم البحث ترى فى شجر الجنة قال أبو بكر يارسول الله إن هذه الطير لناعمة قال أكلت أنتم منها قالوا ثلاثا وإني أرجو أن تسكون ممن يأكل منها وهو عند الترمذى من وجه آخر ذكر فيه نهر السكوت وقال فيه طير أعناقنا كأعناق الحمر قال عمر : إن هذه لناعمة الحديث وليس فيه ذكر لأبي بكر وقال حسن (٥) حديث غدوة فى سبيل الله أوروحة خير من الدنيا وما فيها الحديث البخارى من حديث أنس .

التمييز وليس فى هذا الكلام وأمثاله ما ينافى ما ذكرناه . قيل لعمد ابن الفضل حاجة العارفين إلى ماذا قال حاجتهم إلى الحصة التى كلفت بها الملائكة كلها ألا وهى الاستقامة وكل من كان أمم معرفة كان أم استقامة فاستقامة أرباب النهاية على التمام والبد فى الاستبداء مأخوذ فى الأعمال محبوب بها

أبو سعيد الحدرى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى - كأنهن - الياقوت والرجان - قال ينظر إلى وجهها في خدرها أصفى من الرأة وإن أدنى لؤلؤة عليها لضئى ما بين الشرق والشرق وإنه يكون عليها سبعون ثوبا ينقدها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك <sup>(١)</sup> وقال أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى بي دخلت في الجنة موضعا يسمى الياقوت عليه خيام اللؤلؤ والرجد الأخضر والياقوت الأحمر قلن السلام عليك يا رسول الله فقلت يا جبريل ماهذا الغمام قال هؤلاء التصورات في الخيام استأذن ربهن في السلام عليك فأذن لهن فطفقن يقان عن الراضيات فلا نسخط أبدا ونحن الخالدات فلا نلظن أبدا . وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - حور مقصورات في الخيام - <sup>(٢)</sup> وقال مجاهد في قوله تعالى - وأزواج مطهرة من الجن والنجاسات والبول والبصاق والجمامة والقي والولد . وقال الأوزاعي - في شغلها كيون - قال شغلها انقضاء الأكل . وقال رجل يا رسول الله - أياض أهل الجنة ؟ قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منك <sup>(٣)</sup> وقال عبد الله بن عمر إن أدنى أهل الجنة منزلة من يسقى معه ألف خادم كل خادم على عمل ليس عليه صاحب . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وخمسة آلاف تيب يعاق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا <sup>(٤)</sup> وقال النبي صلى الله عليه وسلم - إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل صورة دخل فيها وإن فيها مجتمع الحور العين يرضن بأصوات لم تسمع الخلاق مثلها يقان نحن الخالدات فلا نبئد ونحن النائمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له <sup>(٥)</sup> وقال أنس رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) حدث أنى سعيد الحدرى في قوله تعالى - كأنهن الياقوت والرجان - قال تنظر إلى وجهها في خدرها أصفى من الرأة الحديث أبو يعلى من رواية أبي الهيثم عن أبي سعيد بإسناد حسن ورواه أحمد وفيه ابن لهيعة ورواه ابن المبارك في الزهد والرائق من رواية أبي الهيثم عن أبي سعيد <sup>(١)</sup> مرسل دون ذكر أبي سعيد ولترمذى من حديث ابن مسعود إن الرأة من نساء أهل الجنة لا يرى يابض مخ ساقها من وراء سبعين حلة الحديث ورواه عنه موقوفا قال وهذا أصح وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة لكل امرئ منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء النجم <sup>(٢)</sup> حديث أنس لما أسرى بي دخلت في الجنة موضعا يسمى الصرح عليه خيام اللؤلؤ والرجد الأخضر والياقوت الأحمر الحديث وفيه ابن جبريل قال هؤلاء التصورات في الخيام وفيه فطفقن يقان نحن الراضيات فلا نسخط لم أجده هكذا بسامه ولترمذى من حديث على بن في الجنة لجماعة للحور العين يرضن أصواتا لم تسمع الخلاق مثلها يقان نحن الخالدات فلا نبئد ونحن النائمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط فطوبى لمن كان لنا وكنا له وقال غريب ولأبى الشيخ في كتاب العظمة حديث ابن أبي أوفى بسند ضعيف فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقان بأصوات الحديث <sup>(٣)</sup> حديث قال رجل يا رسول الله أياض أهل الجنة قال يعطى الرجل منهم من القوة في اليوم الواحد أفضل من سبعين منك الترمذى ومحمد وابن حبان من حديث أنس يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قليل أو يطبق ذلك قال يعطى قوة مائة <sup>(٤)</sup> حديث إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر وخمسة آلاف تيب يساقى كل واحد منهن مقدار عمره في الدنيا أبو الشيخ في طبقات الحديث وفي كتاب العظمة من حديث ابن أبي أوفى لإثباته قال مائة حوراء ولم يذكر فيه عاقبة له وإسناده ضيف وتقدم قبله حديث <sup>(٥)</sup> حديث إن في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء إلا الصور من الرجال والنساء الحديث الترمذى فرقه في موضعين من حديث على وقد تقدم بعضه قبل هذا حديثين .

عن الأحوال في  
التوسط . محض  
بالأحوال قد يعجب  
عن الأحوال وفي الالتواء  
لأعجبه الأعمال عن  
الأحوال ولا الأحوال  
عن الأعمال وذلك هو  
الفضل العظيم . مثل  
الجيد عن النهاية قال  
هي الرجوع إلى البداية  
وقد فسر بعضهم قول  
الجيد فقال معناه أنه  
كان في ابتداء أمره في  
جهل ثم وصل إلى

« إن الخور في الجنة يتنبن نحن الخور الحسان خيشا لأزواج كرام <sup>(١)</sup> » وقال يحيى بن كثير في قوله تعالى - في روضة يجرون - قال الساج في الجنة وقال أبو أمامة الباهلي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان من الخور الذين يفتنانه بأحسن صوت معه الانس والجن » وليس بزمارة الشيطان ولكن بتحميد الله وتهديبه <sup>(٢)</sup> .  
( يان جل مفرقة من أوصاف أهل الجنة وردت بها الأخبار )

روى أسامة بن زيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه « ألا هل مشعر للجنة إن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلأأ ورمانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وفاكة كثيرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة في حبرة ونعمة في مقام أبدا ونضرة في دار عالية بهية سليخة قالوا نحن للشعرون لها يا رسول الله قال قولوا إن شاء الله تعالى ثم ذكر الجهاد وحض عليه <sup>(٣)</sup> » وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال هل في الجنة خيل فأنها تصيبي قال إن أحببت ذلك أنبت بغرس من ياقوتة حمراء فتغير بك في الجنة حيث شئت له وقال رجل : إن الأبل تصيبي فهل في الجنة من إبل قال إبل عبد الله إن أدخلت الجنة فلك فيها ما شئت تحسك ولدت عيناك <sup>(٤)</sup> » وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الرجل من أهل الجنة ليولد له الولد كإبشهي يكون حمله وفضاله وشبابه في ساعة واحدة <sup>(٥)</sup> » وقال رسول الله ﷺ « إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق إلى الإخوان إلى الأخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا فيلتهان ويتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول بأخى تذكر يوم كذا في مجلس كذا فدعونا الله عز وجل فنقر لنا <sup>(٦)</sup> » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن أهل الجنة أذرع <sup>(٧)</sup> » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أذن أهل الجنة الذي له ثمانون ألف خادم

للمرقة ثم رد إلى التعبير والجهل وهو كالطفولة يكون جهل ثم علم ثم جهل قال الله تعالى - لكيلا يعلم بعد علم شيئا - . وقال بعضهم : أعرف الخلق بالله أشد من تحسيرا فيه ويجوز أن يكون معنى ذلك ما ذكرناه أنه ينادى الأعمال ثم يرقى إلى الأحوال ثم يجمع له بين الأعمال والأحوال وهذا يكون انتهى

(١) حديث أنس إن الخور في الجنة يتنبن فيقلن نحن الخور الحسان خيشا لأزواج كرام الطبراني في الأوسط وفيه الحسن بن داود للشكسري قال البخاري يتكلمون فيه وقال ابن عدي أرجوا أنه لا بأس به (٢) حديث أبي أمامة مامن عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجله ثنتان من الخور الذين يفتنانه بأحسن صوت معه الانس والجن وليس بزمارة الشيطان ولكن بتحميد الله وتقديسه الطبراني بإسناد حسن (٣) حديث أسامة بن زيد « ألا هل من مشعر للجنة إن الجنة لا خطر لها الحديث ابن ماجه وابن حبان (٤) حديث جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال هل في الجنة خيل فأنها تصيبي الحديث الترمذي من حديث يزيد بن أسد قال قال رسول الله ﷺ « إن أهل الجنة أذرع <sup>(٥)</sup> » حديث أبي موسى للدين بن عبد الرحمن بن سابط في ذيله على ابن مندة في الصحابة ولا يصح له محبة (٦) حديث ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب قال وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم في الجنة جماع ولا يكون ولد انتهى ولأحمد من حديث لأبن رزين يله ويل مثل لداكم في الدنيا وتلدن بكم غير أن لا نواله (٧) حديث إذا استقر أهل الجنة في الجنة اشتاق إلى الإخوان إلى الأخوان فيسير سرير هذا إلى سرير هذا البزار من رواية الربيع بن صبيح عن الحسن بن أنس وقال لا تلهي بروي عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا الاسناد ثم رد به أنس انتهى والربيع بن صبيح ضعيف جدا ورواه الأصفهاني في الترغيب والترهيب مرسل دون ذكر أنس (٨) حديث أهل الجنة جرد مرد يبيض جسادا مكحولون أبناء ثلاث وثلاثين الحديث الترمذي من حديث معاذ بن حنيفة دون قوله يبيض جسادا ودون قوله على خلق آدم آخره

وثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت وكاين الجابية إلى منعماء وإن عليهم التيجان وإن أدنى لؤلؤة منها ثمن مائتي ألف دينار والشرق والغرب (١) وقال صلى الله عليه وسلم ونظرت إلى الجنة فإذا الرمان من رمانها تكلف البعير القتب وإذا طيرها كالبيت وإذا فيها جارية قتلت بإجارية لمن أنت ؟ قالت تريد بن حارثة وإذا في الجنة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر (٢) وقال كعب : خلق الله تعالى آدم عليه السلام بيده وكتب التوراة بيده وغرس الجنة بيده ثم قال لها تكلمي قالت - قد أفلح المؤمنون - فهذه صفات الجنة ذكرناها جملة ثم قلناها تخيصاً ، وقد ذكر الحسن البصري رحمه الله جلها فقال : إن رمانها مثل الدلاء وإن أنهارها لمن ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من عسل مصفى لم يصفه الرجال وأنهار من خمر لينة لا يشربها إلا نسف الأسماء ولا تصدع منها العروق وإن فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مولود ناعمون أبناء ثلاث وثلاثين في سن واحد طولهم ستون ذراعاً في السماء كل جرد مرد قد آمنوا العذاب وأطاعوا نواهيهم العباد وإن أنهارها تجري على زبرجذ وياقوت وزبرجد وإن عروقها ونخلها وكرمها اللؤلؤ ونخارها لا يملح عليها إلا الله تعالى وإن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة سنة وإن لهم فيها خيلاً وإبلًا وهاة رحالها وأزمتها وسروجها من ياقوت يترأفون فيها وأزواجهم الخواص الذين كأنهم فيش مكنون وإن المرأة تأخذ بيمين أصبعها سبعين حلة فلبسها فيرى منخسافها من وراء تلك السبعين حلة قد طهر الله الأخلاق من السوء والأجساد من اللوث لا يتخبطون فيها ولا يولون ولا يتفوطون ولا يجمهاو جسامهم وشرع مسك لهم وزقم فيها بكرة وعشياً أما إن ليس ليل يكر التمدد على الرواح والرواح على التمدد وإن آخر من يدخل الجنة وأدنام منزلة ليدل في بصره وملكة مسيرة مائة عام في تصور من الذهب والفضة وخيام اللؤلؤ ويضع له في بصره حتى ينظر إلى أنصاف كما ينظر إلى أدنام يمدى عليهم سبعين ألف صحيفة ذهب وبراح عليهم يمثلها في كل صحيفة لون ليس في الأخرى مثله ويمد لهم آخره كما يمد لهم أوله وإن في الجنة يا قوتة فيها سبعون ألف دار في كل دار سبعون ألف بيت ليس فيها صدع ولا تيب. وقال مجاهد : إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن يسير في ملكه ألف سنة يرى أنصاف كما يرى أدنام وأرؤفهم الذي ينظر إلى ربه بالتداع والشئ . وقال سعيد بن المسيب : ليس أحسن أهل الجنة إلا وفي يده ثلاثة أسور سوار من ذهب وسوار من لؤلؤ وسوار من فضة . وقال أبو هريرة رضي الله عنه : إن في الجنة سوراة يقال لها العنقاء إذا مشى عن يمينها ويسارها سبعون ألف وصيفة وهي تحول بين الأمرين بالمرور والنهوض عن النكر . وقال يحيى بن معاذ : ترك الدنيا شديد وفوت الجنة أشد وترك الدنيا مهر الآخرة . وقال أيضاً في طلب الدنيا ذل النفس وفي طلب الآخرة عز النفس فياهبها لمن يختار الذلة في طلب ما يفنى ويترك العز في طلب ما يبقى .

( صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى )

قال الله تعالى - ولئن أحسنوا الحسنى وزيادة - وهذه الزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى وهي اللذة وبره أيضاً من حديث أبي هريرة هضموا أهل الجنة جرد مرد كل وقال غريب وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً (١) حديث أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم الحديث الترمذي من حديث أبي سعيد منقطعاً من أوله إلى قوله وإن عليهم التيجان ومن هنا باسناده أيضاً قال لا تعرفه إلا من حديث رعد بن سعد (٢) حديث نظرت إلى الجنة فإذا الرمان من رمانها بكل البعير القتب وإذا طيرها كالبيت الحديث رواه الترمذي في تفسيره من رواية أبي هريرة البصري عن أبي سعيد وأبو هريرة اسمه حمارة بن حرث حليف جدوا وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة يقول الله أعدمت لبادي الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر .

الراد للأخوذ في طريق  
المحبوبين تجلب  
روحه إلى الحضرة  
الالهية وتستبج  
القلب والقلب يستبج  
النفس والنفس تستبج  
القلب فيكون بكنيته  
قائماً بالله ساجداً  
بين يدي الله تعالى  
كما قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم  
وسجدت سواي  
وخالي وقال الله تعالى  
- ولله يسجد من في

الكبرى التى ينسب فيها نعيم أهل الجنة وقد ذكرنا حقيقتها فى كتاب الحبة وقد شهد لها الكتاب والسنة على خلاف ما يفتقد أهل البدعة قال جرير بن عبد الله البجلي « كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال إنكم ترون ربكم كما ترون هذا القمر لا تضامون على رؤيته فإن استطعتم أن لا تلقوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها لافضلوا ثم قرأ - وصحب بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها - (١) وهو مخرج فى الصحيحين وروى - سلمى على الصحيح عن صيب قال « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعدا يريد أن ينجزكموه قالوا ما هذا الموعد ؟ ألم ينقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويخبرنا من النار قال فيرفع الحجاب وينظرون إلى وجه الله عز وجل لما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إليه (٢) » وقد روى حديث الرؤيا جماعة من الصحابة وهذه هى غاية الحسنى ونهاية الحمى وكل ما فضلناه من التمتع عند هذه النعمة ينسب وليس لسرور أهل الجنة عند معادة اللقاء منتهى بل لانسبة لشيء من لذات الجنة إلى لقاء الله ، وقد أوجزنا فى الكلام هنا لما فضلناه فى كتاب الحبة والشوق والرمنا فلا ينبغي أن تكون همه البعد من الجنة بغير سوى لقاء الولي . وأما سائر نعيم الجنة فانه يشارك فيه البرية للسرعة فى الرعى .

( نَحْمُ الْكِتَابَ بَابُ فِي سَمَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى سَبِيلِ التَّفَاوُلِ بِذَلِكَ )

قد « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التفال (٣) » وليس لنا من الأعمال ما نرجو به للثمرة فنفتدى برسول الله ﷺ فى التفال ونرجو أن نحمى عاقبتنا بالخير فى الدنيا والآخرة كما خستنا الكتاب بذكر رحمة الله تعالى فقد قال الله تعالى - إن الله لا يفرق أن يشرك به ويفتر مدون ذلك لمن شاء - وقال تعالى - قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم - وقال تعالى - ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يمدح الله غفورا رحيم - ونحن نستغفر الله تعالى من كل مازلت به القدم أو ظنى به التلم فى كتابنا هذا وفى ما تركتبا ونستغفره من أقوالنا التى لا توافقها أعمالنا ونستغفره مما ادعينا وأظهرناه من العلم والبصيرة بدین الله تعالى مع التقصير فيه ونستغفره من كل علم وعمل قصدنا به وجهه الكريم ثم خالطه غيره ونستغفره من كل وعد وعدناه به من أنفسنا ثم قصرنا فى الوفاء به ونستغفره من كل نعمة أنعم بها علينا فاستعملناها فى مصيئته ونستغفره من كل تصريح وتعميرى بشقصان ناقص وتقصير مقصر كنا متصفين به ونستغفره من كل خطرة دعنا إلى تصنع وتكلف زينا للناس فى كتاب سطرناه أو كلام نظمناه أو علم أفدناه أو استفدناه ، ونرجو بعد الاستغفار من جميع ذلك كله لنا ولن طالع كتابنا هذا أو كثره أو صغره أن نكرم بالثمرة والرحمة والتجاوز عن جميع النيبات ظاهرا وباطنا

(١) حديث جرير : كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى القمر ليلة البدر فقال إنكم ترون ربكم الحديث هو فى الصحيحين كما ذكره للصف (٢) حديث صيب فى قوله تعالى - للذين أحسنوا الحسنى وزيادة - رواه مسلم كما ذكره للصف .

( باب فى سمة الرحمة )

(٣) حديث : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحب التفال متفق عليه من حديث أنس فى أثناء حديث : ويصحبى القائل الصالح والكلمة الحسنة ولهما من حديث أبى هريرة : وخيرهما القائل قالوا وما القائل ؟ قال الكلمة الصالحة يسميها أحدكم .

السموات والأرض  
طوعا وكرها وظلالهم  
بالصدو والآمال -  
والظلال القلوب تسجد  
بوجود الأرواح وعند  
ذلك تسرى روح الحبة  
فى جميع أجزائهم  
وأبوابهم فينقذون  
ويتنعمون بذكر  
الله تعالى وتلاوة  
كلامه بحبة وودا  
فيحبهم الله تعالى

فإن السكرم عقيم والرحمة واسعة والجود على أصاف الخلاق فائض ونحن خلق من خلق الله عز وجل لا وسيلة لنا إليه إلا فضله وكرمه فقد قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى ما تفرح به أمة واحدة بين الجن والإنس والطير والبهائم والحوام فيها يتعاطفون وبها يتراحمون وأخر تسعوا وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة» (١) وروى أنه «إذا كان يوم القيامة أخرج الله تعالى كتابا من تحت العرش فيه إن رحمتي سبقت غضبي وأنا أرحم الراحمين فيخرج من النار مثلاً أهل الجنة» (٢) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يتجلى الله عز وجل لنا يوم القيامة ضاحكاً فيقول أشروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً» (٣) وقال النبي ﷺ «يشفع الله تعالى آدم يوم القيامة من جميع ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف» (٤) وقال ﷺ «إن الله عز وجل يقول يوم القيامة للمؤمنين هل أحببت لثقتي فيقولون نعم يا ربنا فيقول لم؟ فيقولون رجونا عفوك ومغفرتك فيقول قد أوجبت لكم مغفرتي» (٥) وقال رسول الله ﷺ «يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام» (٦) وقال رسول الله ﷺ «إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تتكفونا؟ المسلمين قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذ أنتم معنا في النار فيقولون كانت لنا ذنوب فأخذناها فيسمع الله عز وجل ما قالوا فيأمر بإخراجهم من كان في النار من أهل القبلة فيخرجون فإذا رأى ذلك الكفار قالوا يا ليتنا كنا مسلمين فنخرج كما أخرجوا ثم قرأ رسول الله ﷺ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين» (٧) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الله أرحم بعبده المؤمن من الوالدة الشفيرة بولدها» (٨) وقال جابر بن عبد الله

(١) حديث إن الله تعالى مائة رحمة أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس الحديث مسلم من حديث أبي هريرة وسلمان (٢) حديث إذا كان يوم القيامة أخرج الله كتاباً من تحت العرش فيه إن رحمتي سبقت غضبي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة لما قضى الله الخلق كتب عنده فوق العرش إن رحمتي سبقت غضبي لفظ البخاري وقال مسلم كتب في كتابه على نفسه إن رحمتي تطلب غضبي (٣) حديث يتجلى الله لنا يوم القيامة ضاحكاً فيقول أشروا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا وقد جعلت مكانه في النار يهودياً أو نصرانياً مسلم من حديث أبي موسى إذا كان يوم القيامة دفع الله إلى كل مسلم يهودياً أو نصرانياً فيقول هذا قد أؤك من النار ولأبي داود أمتي أمتهم رحمة لا عذاب عليها في الآخرة الحديث وأما أول الحديث فرواه الطبراني من حديث أبي موسى أيضاً يتجلى الله لنا ضاحكاً يوم القيامة حتى ينظروا إلى وجهه فيخرون له سجداً فيقول ارفعوا رءوسكم فليس هذا يوم عبادة وفيه على بن زيد ابن جعدان (٤) حديث يشفع الله آدم يوم القيامة من ذريته في مائة ألف ألف وعشرة آلاف ألف الطبراني من حديث أنس بإسناد ضعيف (٥) حديث إن الله تعالى يقول يوم القيامة للمؤمنين هل أحببت لثقتي فيقولون نعم الحديث أحمد والطبراني من حديث معاذ بن سعد ضعيف (٦) حديث يقول الله عز وجل يوم القيامة أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام الترمذي من حديث أنس وقال حسن غريب (٧) حديث إذا اجتمع أهل النار في النار ومن شاء الله معهم من أهل القبلة قال الكفار للمسلمين ألم تتكفونا مسلمين؟ قالوا بلى فيقولون ما أغنى عنكم إسلامكم إذا أنتم معاني النار الحديث في إخراج أهل القبلة من النار ثم قرأ رسول الله ﷺ ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين - النسائي في الكبرى من حديث جابر نحوه بإسناد صحيح (٨) حديث لله أرحم بعبده للمؤمن من الوالدة الشفيرة بولدها متفق عليه من حديث عمر بن الخطاب وفي أوله قصة المرأة من السبي إذ وجدت صبياً في السبي فأخذته فألصقته يبطئها فأرضته .

ويعيهم إلى خلقه  
نعمته منه عليهم وفضلاً  
على ما أخبرنا شيخنا  
ضياء الدين أبو النجب  
السمرودي رحمه الله  
قال أنا أبو طالب  
الزبي قال أخبرتنا  
كريمة السروزي  
قالت أنا أبو الهيثم  
الكشميري قال أنا  
عبد الله القريري قال  
أنا أبو عبد الله البخاري

من زادت حسنة على سيئاته يوم القيامة فذلك الذي يدخل الجنة بغير حساب ومن استوت حسنته وسيئاته فذلك الذي يحاسب حساباً يسيراً ثم يدخل الجنة وإنما شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن أديق نفسه وأتمل ظهريه ويروي أن الله عز وجل قال لموسى عليه السلام يا موسى استأثرت بك فارون فلم تقته وعزتي وجلالي لو استأثرت بي لأغنته وعفوت عنه وقال سعد بن بلال : يؤمى يوم القيامة بأخراج رجلين من النار فيقول الله تبارك وتعالى ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد وأمر بردهما إلى النار فيمدوا أحدهما في سلسله حتى يلتصقها وبئسلكما الآخر فيؤمر بردهما وبئسلكما عن ضلعهما فيقول الذي عدا إلى النار قد حذرت من وبال الصبية فلم أكن لأعرض لسخطك ثانية ويقول الذي تملكأ حسن ظني بك كان يشعري أن لا تردني إليها بعد ما أخرجتني منها فيأمر بهما إلى الجنة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة يا أئمة محمد أماما كان لي قلبكم فقد وهبته لكم وقيت التبعات فتواهبوها وادخلوا الجنة رحمى <sup>(١)</sup> » وروى أن أعرابيا مع ابن عباس يقرأ - وكنتم على شفاعرة من النار فأخذكم منها - فقال الأعرابي والله ما ألتذمكم منها وهو يريد أن يوتقكم فيها فقال ابن عباس خذوها من غير قتية وقال الصنابحي دخلت على عبادة بن الصامت وهو في مرض الموت فبكيت فقال مهلا لم تبكي؟ فوالله ما من حديث سمعته من رسول الله ﷺ لكم فيه خير إلا حدثتكموه إلا حديثا واحدا وسوف أحدثتكموه اليوم وقد أحبط بنفسى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار <sup>(٢)</sup> » وقال عبد الله بن عمرو بن العاص قال رسول الله ﷺ « إن الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر عليه تسعة وتسعين سجلا كل سجل منها مثل مد البصر ثم يقول أشكر من هذا شيئا أظفنتك كتبني الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذر فيقول لا يارب فيقول بلى إن لك عندنا حسنة وإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فيقول يارب ماهله البطاقة مع هذه السجلات فيقول إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا ينقل مع اسم الله <sup>(٣)</sup> » وقال رسول الله ﷺ في آخر حديث طويل يصف فيه القيامة والصراط إن الله يقول لللائكة من وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم ندر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم ندر فيها أحدا ممن أمرتنا به ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ياربنا لم ندر فيها أحد ممن أمرتنا به فكان أبو سعيد يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقروا إن شئتم - إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما -

قال حدثني إسحق قال حدثنا جسد الصد قال حدثنا عبد الرحمن ابن عبد الله بن دينار من أبيه عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن الله

(١) حديث ينادى مناد من تحت العرش يوم القيامة يا أئمة محمد أما ما كان لي قلبكم فقد غفرت لكم وقيت التبعات فتواهبوها بينكم وادخلوا الجنة برحمى ربي في سياعات أبي الأسعد القشيري من حديث أنس وفيه الحسين بن داود البخاري قال الخطيب ليس بثقة (٢) حديث الصنابحي عن عبادة بن الصامت من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله حرم الله عليه النار على النار مسلم من هذا الوجه وانفقا عليه من غير رواية الصنابحي بلفظ آخر (٣) حديث عبد الله بن عمرو إن الله يستخلص رجلا من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا فذكر حديث البطاقة ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب .

قال فيقول الله تعالى فصنت لللائكة وشفع للذين آمنوا ولم يلق الأرحم الراحمين فيقبض قبضة فيخرج منها قوما لم يعلموا خيرا قط قد عادوا حسما فيلقبهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منها كأخضر الحبة في حمل السيل ألارونها تكون مائل الحجر والشجر ما يكون إلى الشمس أسفر وأخضر وما يكون منها إلى الظل أبيض قالوا يا رسول الله كأنك كنت ترى بالبادية قال فيخرجون كالؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة يقولون هؤلاء عتقاء الرحمن الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملهم ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فإرايتم فهو لكم فية ولون ربنا أعطيتنا ما لم نعط أحدا من العالمين فيقول الله تعالى إن لكم عندي ما هو أفضل من هذا فيقولون يا ربنا أي شيء أفضل من هذا ؟ فيقول رضائي عنكم فلا أسخط عليكم بعده أبدا <sup>(١)</sup> رواه البخاري ومسلم في صحيحهما وروى البخاري أيضا عن ابن عباس رضي الله عنهما قال «خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال عرضت على الأمم يمر النبي ومعه الرجل والنبي ومعه الرجل والنبي ليس معه أحد والنبي معه الزهط فرأيت سوادا كثيرا فرجوت أن تكون أمي قيل لي هذا موسى وقومه ثم قيل لي انظر فرأيت سوادا كثيرا قد سد الأفق قيل لي انظر هكذا وهكذا فإرايت سوادا كثيرا قيل لي هؤلاء أمك ومع هؤلاء سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب فتفرق الناس ولم يبق لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتذكر ذلك الصحابة فقالوا أما نحن قولنا في الشرك ولكن قد آمننا بالله ورسوله هؤلاء هم أنباؤنا فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هم الذين لا يكتون ولا يسترقون ولا يتطرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة فقال ادع الله أن يجعلني منهم يارسول الله قال أنت منهم ثم قام آخر فقال مثل قول عكاشة فقال النبي صلى الله عليه وسلم سبقك بها عكاشة <sup>(٢)</sup> وعن عمرو بن حزم الأنصاري قال «تعب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ثلاثا لا يخرج إلا الصلاة مكتوبة ثم يرجع فلما كان اليوم الرابع خرج إلينا قلنا يارسول الله احبست عنا حتى ظننا أنه قد حدث حدث قال لم يحدث إلا خبر إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل من أمي الجنة سبعين ألفا لحساب عليهم وإني سألت ربي في هذه الثلاثة أيام الزيد فوجدت ربي ماجدا واجدا كريما فأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا قلت يا رب وبلغت أمي هذا ؟ قال أكل لك العدد من الأعراب <sup>(٣)</sup> وقال أبوذر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «عرض لي جبريل في جانب الحرة فقال جبرائيل أنك من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة فقلت يا جبريل

(١) حديث إن الله يقول للآلئكة من وجدتم في قلبي مثقال دينار من خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقا كثيرا الحديث في إخراج اللوحدين وقوله تعالى لأهل الجنة: فلا أسخط عليكم بعده أبدا أخرجه في الصحيحين كما ذكر المصنف من حديث أبي سعيد (٢) حديث ابن عباس عرضت على الأمم يمر النبي معه الرجل والنبي معه الرجل والنبي ليس معه أحد الحديث إلى قوله سبقك بها عكاشة ورواه البخاري (٣) حديث عمرو بن حزم الأنصاري تعيب عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ثلاثا لا يخرج إلا الصلاة مكتوبة ثم يرجع وفيه إن ربي وعدني أن يدخل من أمي الجنة سبعين ألفا لحساب عليهم وفيه أعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا البهقي في البعث والنشور ولأحمد وأبي يعلى من حديث أبي بكر فزادني مع كل واحد سبعين ألفا وفيه رجل لم يسم ولأحمد والطبراني في الأوسط من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر فقال عمر فلا استزدته فقال قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فلا استزدته قال قد استزدته فأعطاني هكذا وفرج عبد الله بن أبي بكر بين يديه قال عبد الله وبسط باعيه وحش عليه وفيه موسى بن عبيدة الرندي ضيف .

تعالى إذا أحب عبدا نادى جبريل إن الله تعالى قد أحب فلانا فأحبه فحبه جبريل ثم نادى جبريل في السماء إن الله قد أحب فلانا فأحبوه فحبه أهل السماء ويوضع له القبول في



## فهرس

- ١١٥ الطرف الخامس في سم الله تعالى في الأسباب  
الوصلة للأطعمة إليك
- ١١٦ الطرف السادس في إصلاح الأطعمة  
الطرف السابع في إصلاح الصلصين
- ١١٧ الطرف الثامن في بيان سم الله تعالى في خلق  
اللائكة عليهم السلام
- ١٢٠ بيان السبب العارف لخلق عن الشكر
- ١٢٤ الركن الثالث من كتاب الصبر  
بيان وجه اجتماع الصبر والشكر على شيء واحد
- ١٣١ بيان فضل النعمة على البلاد
- ١٣٢ بيان الأفضل من الصبر والشكر
- ١٣٨ (كتاب الخوف والرجاء)  
ويقتل على شطرين أما الشطر الأول فيقتل على  
بيان حقيقة الرجاء الخ
- ١٣٩ بيان حقيقة الرجاء
- ١٤١ بيان فضيلة الرجاء والترغيب فيه
- ١٤٢ بيان دواء الرجاء والسبيل الذي يحصل منه حال  
الرجاء وظبط
- ١٥٢ الشطر الثاني من الكتاب في الخوف  
بيان حقيقة الخوف
- ١٥٤ بيان درجات الخوف واختلافه في القوة والضعف
- ١٥٥ بيان أقسام الخوف بالإضافة إلى ما يخاف منه
- ١٥٧ بيان فضيلة الخوف والترغيب فيه
- ١٦١ بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف أو غلبة الرجاء  
أو اعتدالهما
- ١٦٤ بيان الذي به يستجلب حال الخوف
- ١٧٠ بيان معنى سوء الخاتمة
- ١٧٧ بيان أحوال الأفيياء واللائكة عليهم الصلاة  
والسلام في الخوف
- ١٨٠ بيان أحوال الصعابة والتأبين والسلف والمالين  
في شدة الخوف
- ١٨٥ (كتاب الفقر والازهد)  
الشطر الأول من الكتاب في الفقر
- ١٨٦ بيان حقيقة الفقر واختلاف أحوال الفقير وأسبابه
- ١٨٩ بيان فضيلة الفقر مطلقاً
- ١٩٥ بيان فضيلة خصوص الفقراء من الراسخين والفتانين  
والمصدقين
- ١٩٦ بيان فضيلة الفقر على التقي
- ٢٠١ بيان آداب الفقير في فقره
- ٢٠٢ بيان آداب الفقير في قبول العطاء الخ
- ٢٠٥ بأن تحرم السؤال من غير ضرورة وآداب الفقير  
انضطر فيه
- ٢٠٩ بيان مقدار التقي المحرم سؤال
- (كتاب التوبة)
- ٢ الركن الأول في نفس التوبة الخ
- ٣ بيان حقيقة التوبة وحدها
- ٤ بيان وجوب التوبة وفضلها
- ٥ بيان أن وجوب التوبة على الفور
- ٩ بيان أن وجوب التوبة عام في الأشخاص والأحوال  
فلا ينفك عنه أحد البنية
- ١٢ بيان أن التوبة إذا استجمعت شرائعها فهي مقبولة لا محالة
- ١٥ الركن الثاني فيها عنه التوبة وهي القنوب
- ١٦ بيان أقسام القنوب بالإضافة إلى صفات العبد
- ٢٢ بيان كيفية توزيع الدرجات والدركات في الآخرة على  
الחסنة والسيئات في الدنيا
- ٣٢ بيان ما تعطر به الصائمين من القنوب
- ٣٤ الركن الثالث في تمام التوبة الخ
- ٤٣ بيان أقسام العاد في دوام التوبة
- ٤٦ بيان ما ينبغي أن يبادر إليه التائب الخ
- ٤٩ الركن الرابع في دواء التوبة الخ
- ٥٩ (كتاب الصبر والشكر)  
الشطر الأول في الصبر
- ٦٠ بيان فضيلة الصبر
- ٦١ بيان حقيقة الصبر ومناه
- ٦٥ بيان كون الصبر نصف الإيمان
- ٦٦ بيان الأساس التي تتجدد لصبر الخ
- ٦٦ بيان أقسام الصبر بحسب اختلاف القوة والضعف
- ٦٧ بيان مطلق الحاجة إلى الصبر الخ
- ٧٣ بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه
- ٧٨ الشطر الثاني من الكتاب في الفكر
- الركن الأول في نفس الفكر
- ٧٩ بيان فضيلة الفكر
- ٧٩ بيان حد الفكر وحدته
- ٨٣ بيان طريق كشف النقاء عن الفكر في حق الله تعالى
- ٨٧ بيان تمييز ما يحبه الله تعالى عما يكرهه
- ٩٦ الركن الثاني من أركان الشكر الخ
- بيان حقيقة النعمة وأقسامها
- ١٠٦ بيان وجه الأموذج في كثرة سم الله تعالى وتسللها  
وخروجها من المحصر
- ١٠٧ الطرف الأول في سم الله تعالى في خلق أسباب  
الإدراك
- ١٠٨ الطرف الثاني في أصناف النعم في خلق الإرادات
- ١٠٩ الطرف الثالث في سم الله تعالى في خلق القدرة  
وآلاته الحركة
- ١١٣ الطرف الرابع في سم الله تعالى في الأصول التي  
تحصل فيها الأطعمة الخ

## سلسلة

- ٢١٠ بيان أحوال الصالحين  
 ٢١١ الشطر الثاني من الكتاب في الزهد  
 بيان حقيقة الزهد  
 ٢١٤ بيان فضيلة الزهد  
 ٢٢٠ بيان درجات الزهد وأقسامه الخ  
 ٢٢٤ بيان تفصيل الزهد فيها هو من ضروريات الحياة  
 ٢٣٦ بيان علامات الزهد  
 ٢٣٨ ( كتاب التوحيد والتوكل )  
 بيان فضيلة التوكل  
 ٢٤٠ بيان حقيقة التوحيد الذي هو أصل التوكل وهو الشطر الأول من الكتاب  
 ٢٥٣ الشطر الثاني من الكتاب في أحوال التوكل وأعماله وفيه بيان حال التوكل الخ  
 بيان حال التوكل  
 ٢٥٧ بيان ما قاله الشيخ في أحوال التوكل  
 ٢٥٨ بيان أعمال التوكلين  
 ٢٦٥ بيان توكل العمل  
 ٢٦٨ بيان أحوال التوكلين الصالحين بالأسباب بضرب مثال  
 ٢٧٤ بيان آداب التوكلين إذا سرق مناعهم  
 ٢٧٩ بيان أن ترك الدواوي قد يمسد في بسى الأحوال ويحل على قوة التوكل الخ  
 ٢٨٣ بيان الرد على من قال ترك الدواوي أفضل بكل حال  
 ٢٨٥ بيان أحوال التوكلين في إظهار المرض وكنياته  
 ٢٨٦ ( كتاب المحبة والشوق والأنس والرضا )  
 بيان شواهد الصريح في حب البعد تعالى  
 ٢٨٨ بيان حقيقة المحبة وأسبابها وتحقيق معنى محبة البعد تعالى  
 ٢٩٣ بيان أن المستحق للعبه هو الله وحده  
 ٢٩٩ بيان أن أجل اللذات وأعلما معرفة الله تعالى الخ  
 ٣٠٣ بيان السبب في زيادة النظر في الآخرة على المعرفة في الدنيا  
 ٣٠٧ بيان الأسباب القوية لحب الله تعالى  
 ٣١١ بيان السبب في تفاوت الناس في الحب  
 ٣١٢ بيان السبب في تصور أنفسهم المخلق من معرفة الله سبحانه وتعالى  
 ٣١٤ بيان معنى الشوق إلى الله تعالى  
 ٣١٨ بيان محبة الله تعالى للهد ومناها  
 ٣٢٠ القول في علامات محبة البعد تعالى  
 ٣٢٩ بيان معنى الأنس بالله تعالى  
 ٣٣١ بيان معنى الانبساط والإدلال الذي تشبهه خلق الأنس  
 ٣٣٣ القول في معنى الرضا بقضاء الله الخ  
 ٣٣٤ بيان فضيلة الرضا  
 ٣٣٧ بيان حقيقة الرضا وتصوره فيها بخلاف القوي  
 ٣٤١ بيان أن الدعاء غير منافس للرضا

## سلسلة

- ٣٤٤ بيان أن التفرار من البلاد التي هي مظان للناس ومنعتها لا يقدح في الرضا  
 ٣٤٥ بيان جهة من حكايات المحبين وأحوالهم ومكشفتهم  
 ٣٤٩ نائمة الكتاب بكلمات متفرقة تنجلي بالمحبة ينفتح بها  
 ٣٥٠ ( كتاب البقية والإخلاص والصدق )  
 ٣٥١ الباب الأول في البقية  
 بيان فضيلة البقية  
 ٣٥٣ بيان حقيقة البقية  
 ٣٥٥ بيان سر قول صل الله عليه وسلم : يا قوم خير من عمله  
 ٣٥٧ بيان تفصيل الأعمال المتعلقة بالبقية  
 ٣٦٢ بيان أن البقية غير خائفة تحت الاختيار  
 ٣٦٤ الباب الثاني في الإخلاص وفضيلته وحقيقته ودرجاته  
 فضيلة الإخلاص  
 ٣٦٧ بيان حقيقة الإخلاص  
 ٣٦٩ بيان أقوال الصيوخ في الإخلاص  
 ٣٧٠ بيان درجات القوالب والآفات المكسرة للإخلاص  
 ٣٧٢ بيان حكم العمل للشوب واستحقاق الثواب به  
 ٣٧٤ الباب الثالث في الصدق وفضيلته وحقيقته ودرجاته .  
 فضيلة الصدق  
 ٣٧٥ بيان حقيقة الصدق ومناها ومراتبه  
 ٣٨١ ( كتاب المراقبة والمحاسبة )  
 المقام الأول من الرابطة المراقبة  
 ٣٨٤ المراقبة الثانية المراقبة  
 ٣٨٥ بيان حقيقة المراقبة ودرجاتها  
 ٣٩١ الرضاء الثالثة محاسبة النفس الخ  
 فضيلة المحاسبة  
 ٣٩٢ بيان حقيقة المحاسبة بعد العمل  
 ٣٩٣ المراقبة الرابعة في معاينة النفس على تنصيرها  
 ٣٩٥ المراقبة الخامسة المعاهدة  
 ٤٠٣ المراقبة السادسة في توبيخ النفس ومعاتبتها  
 ٤٠٩ ( كتاب التفكير )  
 فضيلة التفكير  
 ٤١٠ بيان حقيقة التفكير وثمرته  
 ٤١٣ بيان مجازي التفكير  
 ٤٢٠ بيان كيفية التفكير في خلق الله تعالى  
 ٤٣٣ ( كتاب ذكر القوت وما بعده )  
 الشطر الأول في مقدماته وتوابعه الخ  
 ٤٣٤ الباب الأول في ذكر اللوت الخ  
 بيان فضل ذكر اللوت كذا كان  
 ٤٣٦ بيان الطريق في تحقيق ذكر اللوت في القلب  
 ٤٣٧ الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طول وكيفية سببها

صفحة	موضوع
٤٨٦	بيان سؤال منكر وتكبير وصورتها وصفة القبر
٤٨٨	وجبة القول في عذاب القبر
٤٩٠	الجاب التامن لبايع من أحوال الموتى بالمشاهدة في المنام
٤٩١	بيان منامات تكشف من أحوال الموتى والأعمال النافعة في الآخرة
٤٩٢	بيان منامات الشارع رحة الله عليهم أجمعين
٤٩٤	الشرط الثاني من كتاب ذكر الموت في أحوال الميت من وقت نفخة الصور إلى آخر الاستمرار في الجنة أو النار وتقصيل ما بين يديه من الأموال والأخطار وفيه بيان نفخة الصور الخ . صفة نفخة الصور
٤٩٦	صفة أرض المحضر وأهله
٤٩٧	صفة العرق
٤٩٨	صفة طول يوم القيامة
٤٩٩	صفة يوم القيامة ودواحيه وأساخيه
٥٠١	صفة المساءة
٥٠٣	صفة القرآن
٥٠٤	صفة الخصاء ورد للظالم
٥٠٧	صفة الصراط
٥٠٩	صفة الشفاعة
٥١٢	صفة الحوس
٥١٤	القول في سعة جهنم وأهوالها وأنكلماتها
٥١٩	القول في سعة الجنة وأمتاب نعيمها
٥٢٢	صفة حائط الجنة وأراضيها وأشجارها وأنهارها
٥٢٣	صفة لباس أهل الجنة وفرشهم وسرورهم وأرائكهم وخيامهم
٥٢٤	صفة طعام أهل الجنة
٥٣٤	صفة المور العين والودان
٥٣٦	بيان جل مفرقة من أوصاف أهل الجنة ورددها بها الأخبار
٥٣٧	صفة الرؤية والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى . نغم الكتاب يباب في سعة رحمة الله تعالى على سبيل التفاضل بذلك
٥٣٨	باب في سعة رحمة الله تعالى
صفحة	موضوع
٤٤١	فتية لمر الأمل
٤٤٢	بيان السبب في طول الأمل وعلاجه
٤٤٣	بيان مراتب الناس في طول الأمل وقصره
٤٤٤	بيان المبادأة إلى العمل وحذر آفة التأخير
٤٤٥	الباب الثالث في سكرات الموت وعدته وما يستحب من الأحوال عنده
٤٥٠	بيان ما يستحب من أحوال المحتضر عند الموت
٤٥١	بيان الحسرة عند لقاء ملك الموت بمكافات يهرب لسان الحال منها
٤٥٣	الباب الرابع في وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده
٤٦٠	وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم
٤٦١	وفاة أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه
٤٦٢	وفاة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه
٤٦٣	وفاة عثمان رضي الله تعالى عنه
٤٦٤	وفاة علي كرم الله وجهه
٤٦٥	الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والأسماء والصالحين
٤٦٥	بيان أقوال جماعة من خصوص الصالحين من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل التصوف رضي الله عنهم أجمعين
٤٦٨	الباب السادس في أقوال المارقين على الجنائز والمقابر وحكم زيارة القبور
٤٦٩	بيان حال القبر وأقوالهم عند القبور
٤٧٣	بيان أقوالهم عند موت الولد
٤٧٤	بيان زيارة القبور والدعاء للميت الخ
٤٧٧	الباب السابع في حفة الموت وما يلقاه الميت في القبر إلى نفخة الصور
٤٨٧	بيان حقيقة الموت
٤٨٧	بيان كلام القبر للميت وكلام الموتى إما بلسان النقال أو بلسان الحال
٤٨٣	بيان عذاب القبر وسؤال منكر وتكبير

## فهرس

بقية عوارف المعارف للسهروردي الذي بالمهامش

صفحة	باب	صفحة
٢٠٢	باب التاسع والخمسون في معرفة الخواطر وتخليها وتميزها	٢ الباب التاسع والأربعون في استفعال التهار والأدب فيه والعمل
٢٨١	باب الثامن والخمسون في شرح الحال والمقام والفرق بينهما	٣٧ الباب الخمسون في ذكر العمل في جميع التهار وتوزيع الأوقات
٢٩٨	باب التاسع والخمسون في الإشارات إلى المقامات على الاختصار والإيجاز	٧٨ الباب الحادي والخمسون في آداب الريد مع الشيخ
٣٣٥	باب الستون في ذكر إشارات الشايخ في المقامات على الترتيب	١١٧ الباب الثاني والخمسون في آداب الشيخ وما يستفهم مع الأصحاب والتلاميذ
٣٨٣	باب الحادي والستون في ذكر الأحوال وشرحها	١٣٨ الباب الثالث والخمسون في حنيفة الصعبة وما فيها من الخير والشر
٤٤٩	باب الثاني والستون في شرح كلمات مشيرة إلى بعض الأحوال في اصطلاح الصوفية	١٦٥ الباب الرابع والخمسون في آراء حقوق الصعبة والأخوة في الله تعالى
٤٧٥	باب الثالث والستون في ذكر شيء من البهائم والتهابات وصحتها	١٨٠ الباب الخامس والخمسون في آداب الصعبة والأخوة
		١٩٧ الباب السادس والخمسون في معرفة الإنسان نفسه وسكاشفات الصوفية من ذلك

بمجد الله تعالى تم طبع كتاب [ إحياء علوم الدين ] لحجة الإسلام الإمام الغزالي ، وصه كتاب [ الفتى عن عمل الأسفار في الأسفار في تخرج ما في الإحياء من الأخبار ] لحافظ الإسلام زين الدين العراقي .

وبهاتمه ثلاثة كتب :

الأول : تعريف الأحياء بفضل الإحياء للشيخ عبد القادر العبدروس باعلوى .

الثاني : الإملاء عن إشكالات الإحياء تصنيف الإمام الغزالي .

الثالث : عوارف المعارف للإمام السهروردي .